

# المروية

مجلة أسبوعية للفقه والتاريخ

نصدر مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصفه

1937

Volume 2

PUBLICATION PROTEGEE

PAR LA

LEGISLATION SUR LA PROPRIETE

LITTERAIRE ET ARTISTIQUE

LOI N **57 298** DU **11** MARS **1957**

# PROVENANCE DE LA COLLECTION

INSTITUT DU MONDE  
ARABE

Cote: 833 (051) RIW

**MICROFILM ÉTABLI**

**PAR**

**L'ASSOCIATION POUR LA CONSERVATION  
ET LA REPRODUCTION PHOTOGRAPHIQUE  
DE LA PRESSE**

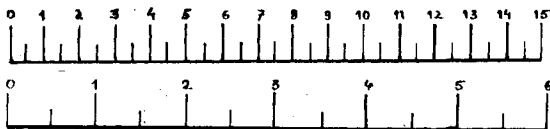
**PARIS**

*L'Exploitation commerciale de ce film est interdite.  
La Reproduction totale ou partielle est soumise à  
l'autorisation préalable des ayants droit et à  
celle de l'A.C.R.P.P. qui conserve un exemplaire  
du microfilm négatif.*

**© 1998 A.C.R.P.P.**

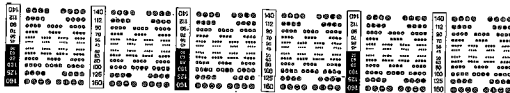


# ECHELLE DE PRISE DE VUE



Rx9-

A.C.R.P.P



MIRE ISO n° 1  
NF Z 43-007

AFNOR  
Cedex 7 - 92080 PARIS-14-DEFENSE

306.57.70  
graphicom

2017-11-14 14:16:13



صاحب المجلة ومديرها  
ورئيس تحريرها المسئول  
احمد حسن الزيات

بدل الاشتراك عن سنة

٣٠ في مصر والسودان  
٥٠ في الممالك الأخرى  
١ عن العدد الواحد

الادارة

شارع عبد العزيز رقم ٣٦  
العتبة الخضراء — القاهرة  
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

# المجلة

مجلة الأسبوعية للقصص والروايات

تصدر مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصف

العدد الثالث عشر ٢٤ جمادى الأولى سنة ١٣٥٦ — أول أغسطس سنة ١٩٣٧ السنة الأولى

من إحصاء القصص



## فهرس العدد

صفحة	المؤلف	العنوان
٧٧٨	النائب	أفصوصة مصرية
٧٨٣	الفرقة المشتركة	لجون ماديسون
٧٨٨	يوميات نائب في الأرياف	صور مصرية
٧٩٥	أجلافين وسيليزيت	رواية تفتيلة لموريس مارتلك
٨٠٦	طرق القدر	الكتاب الأمريكي أو هنري
٨٢٤	شجرة عيد الميلاد	لفيدور دستوفسكي
٨٢٩	اعتقافات فتى مصر	لألفريد دي موسيه
٨٣٥	الأوديسة	لهومروس
		للأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني
		بقلم الأديب احمد فتحي مرسى
		بقلم الأستاذ توفيق الحكيم
		بقلم الدكتور محمد غلاب
		بقلم الأستاذ عبد الحميد حمدي
		بقلم الأستاذ عبد الليف النشار
		بقلم الأستاذ فليكس فارس
		بقلم الأستاذ دريني خبطة





# السَّاعَةُ

لِلْأَسَانِدِ أَبِيهِمْ عَبْدِ الْقَادِرِ الْمَازِنِيِّ

الوالد لما سمع بالفجيعة  
التي أصابته أن يلتبس  
من الحكمة أن تؤجل  
قضاياه، فقبل القاضي وهو  
متمتبط، وطأن الوالد  
التلف و دعا الله أن يرد  
إليه ابنه سالماً، وطوى  
أوراقه التي كانت أمامه،

ونهض فما كان في الحكمة كلها من الحامين إلا اثنان  
أو ثلاثة، وخرج مع الحامي وهو ربت له على ظهره،  
ويقول له: «لا تعلق ولا تنزعج... ستجده إن  
شاء الله يلعب في البيت» وخرج وراءهما أصحاب القضايا  
وهم ينفخون ويهزون زءوسهم ولا يرون لهم حيلة.  
وفي الساعة الثانية عشرة عقدت الأسرة جلسة  
برئاسة الوالد وعضوية الأم المنتخبة والعمة التي  
دعيت من بيتها على عجل، وودى الشهود، فتقدمت  
«خليمة» وقررت - من غير أن تحلف أي يمين  
فإن الموقف لا يعقل فيه الكذب ولا يحتمل هذه  
الاجراءات الطويلة - أنها رأت «سیدی فوزی»  
في الصباح يفتح الخزانة ويخرج حق السكر ويسرق  
منه قطعة. وكانت معه قطعة من الخبز الطازج  
- فقد كانت الأسرة تمجن وتبخز كل يوم جمعة  
ويوم اثنين - فصاحت الأم السكينة: «يأربنا  
ما خبزنا ولا نيلنا... آثاره غطس ولا حد شافه...  
وياً كل عيش وسكر؟ يا حبيبي يا ابني... خرج  
من غير فطور... والوقت الضهر...»

فقال الأب: «حملك يا أم فوزی... انتظري  
علينا... خلتنا نفهم الولد راح فين»

في الساعة التاسعة والديقة الخامسة والعشرين  
تماماً اختفى الطفل «فوزی» ولم يعد أحد يراه لا في  
البيت ولا في الحديقة الواسعة ولا حول النافورة  
أو فيها، ولا في الشارع. وفي الساعة العاشرة والربع  
بدأت أمه تسأل عنه بعد أن أعدت له الحمام على  
عادتها كل يوم جمعة. وبعد ربع ساعة من السؤال  
والاستفسار بلا جدوى انطلق الخادم المهرم «عم محمد»  
وزوجته «خليمة» يبحثان عن فوزی ويسألان كل  
صاحب دكان في الحارة هل رآه منهم أحد؟ وفي  
أثناء هذا البحث العقيم كانت أم فوزی قاعدة على  
آخر درجة من درجات السلم وكوعها على فخذهما،  
وذقها على كفها، والزفرات الحاراء يعلو بها صدرها  
وميهط. وينفذ صبرها أحياناً فتضرب كفها بكف  
وتقول: «مسكين يا ابني... يا ترى رحت فين  
يا ابني... المسكينة أمك... أمك المسكينة...  
بعد التنب وطول التلب أخسرك مرة واحدة...  
لو كنت مت كنت عرفت انت فين... كنت  
أعرف أرضك وأروح أزورك...» الخ الخ  
وفي الساعة الحادية عشرة عاد الرسول بأبي الغلام  
المفقود من «بيت القاضي» فقد كان محامياً شرعياً  
وكان «بيت القاضي» هذا هو دار الحكمة - بين  
حي سيدنا الحسين وحي النحاسين - وقد اضطرب

لا ينبغي أن يموت عليه ، وذكرت من أسباب قرارها أن المراحة بين الجزارين هي التي أغرت الصبي بهذا الكلام الفارغ

وفي الساعة العاشرة مساء عاد فوزى إلى البيت تحمله جارية سوداء لامعة الجلد كالقشم « الكوك » وقالت إنها وجدته نائماً على عتبة بيتها فرق له قلبها وحملته فأدخلته وعالجت أن توفقه ، فلم تفلح ، فتركته حتى تغلب فهزته ففتح عينيه وسألته عن اسمه ولكن النوم كان يغالبه فلم يجيبها فاستشارت جارة لها فاتفقوا لحسن الحظ أنها تعرف الثلام فدلته على أهله

ونضت عنه أمه ثيابه القذرة الملطخة وألبسته أخرى نظيفة وغسلت له رأسه فسال منها غسل كثير ولم يستطع أحد أن يعرف أين ذهب الثلام ولا أين كان غالباً طول النهار وإلى ما بعد المشاء ، ولكنى كنت نذه وكنا نلعب معا ولا نكاد نفترق فقص على ما بأتى وأوصانى ألا أبوح بالسر . فأنا أوصى القراء بمثل هذا الكتابان

وقد صحح لى شهادة الشهود أولاً فقال إنه لم يأخذ السكر ليا كله بل ليمصه ، لأن أسنانه مختلفة الثبته غير مستسقة وبعضها طويل والبعض قصير فالص لهذا أسهل — وأحلى أيضاً — وقال إن الذى كان معه وهو يكلم صبي الجزار لم يكن ودعات وإنما كان خرزات ، وعجب للصبي كيف لا يعرف الفرق بين الدوعة والحزرة . ولم يصدق الصبي فى قوله إنه ذهب إلى دكان الجزار الآخر ليكلم أحداً فما وقف أمام دكانه إلا لأن منظر الجزار وهو يفرم اللحم الأحمر سحره فلم يسهه إلا أن ينظر ، وكان يتوقع فى كل لحظة أن تقطع السكين أصابع الرجل ، ولكن الأصابع كانت تدفع اللحم وتكومه للسكين الهاوية وتنتق وقمها بمهارة عجيبه ، وقد كان فوزى

وتقدم الشاهد الثانى « عم محمد » وكان رجلاً مفضن الوجه ، كما تبدو مبانى المدينة للمخلق فى طيارة ، ولكنه قوى جلد يعرف المشى ولا يعرف الركوب ، ويحبب المدينة لكما على قدميه ولا يتأفف أو يتذمر ، ولا تراه قط إلا كالمرح أو الجندى فى الصف . ويظل طول النهار يعمل ، وبروح ويحيى ولا يكمل ، ويقبل الليل فيخدم سيده فى المكتب حتى إذا صعد سيده إلى مسكنه — فقد كان المكتب فى البيت — تسال « عم محمد » إلى « البوظة » الحلية ثم عاد يتطرح إلى غرفته فيرتنى فى أى مكان فيها إلى الصباح

وقال عم محمد : « أهو كان يلعب فى الجنيئة » فسأله الأب : « هل رأيته يخرج ؟ » قال : « آه ... وقف عند الجزار » فسأله الأب : « وهل رأيته يعود بعد ذلك ؟ » فقال : « أنا خرجت أقصى الحاجة » فسأله الأب : « ماذا كان يصنع عند الجزار ؟ » فقال الشاهد : « أنا عارف ... كان يكلم الصبي فدعى الصبي ، وكان يناهز التاسعة من عمره ، ولكنه كان مثملاً ضحاً ، وكانت رقبته غليظة ، ورأسه لهذا يبدو كأنه مغروس بين كتفيه ، فغطت السيدتان وجههما لما دخل عليهما الصبي

وقال الشاهد إن فوزى كان يربه ودعتين كانتا معه وإنه بعد ذلك ذهب إلى دكان الجزار الذى فى آخر الحارة . وهنا تبرع الشاهد برأى له فقال إنه يعتقد أن ذاك الجزار خطف فوزى وأنه يخفيه ليذبحه ويبيع لحمه للزبان باسم لحم صان مصغر . فصرخت الأم واستعازت بالعمه بالله ، وقالت يا حفيظ ، وطرده الأب من الجلسة . ثم تشاورت المحكمة وغررت ألا تأخذ بهذه الشهادة ، وإن كلام صبي الجزار

يسد به ، فلم يشك في أن هذا غسل لأنه رأى مثله في البيت فتناول الرجلين ومد يده بخفة ورفع الغطاء ودرس يده في الوعاء حتى بلغت الغسل ثم راح يلحس وتكرر منه ذلك . ويظهر أنه أفرط فيه أو شغل بلحس الغسل عن الحذر الواجب فقد فاجأ أحد الرجلين بزجر عنيف وكانت يده في ذلك الوقت في جوف « البلاصى » فانتزعها بسرعة وبلا حساب فخرجت ولكن الوعاء مال وسقط على الأرض فأريق الغسل . وذهب فوزى يجري غير أن الرجل أدركه وعاد به وجعل يضربه ويشتمه ، ثم لم يكفه الضرب والشتم القبيح بل تناول بيده من الغسل المراق على الأرض ونزع الطاقية عن رأس فوزى وجعل يمسح له شعر رأسه — أو يعجنه على الأصح — بالغسل المزوج بالطين والوحل . ثم مسح يديه في جلبابه وعلى وجه الغلام ورفسه فكبه على وجهه ، وارتد إلى ما كان فيه من غير أن يغسل يديه . اكتفاء بمسحهما على ثياب الفتى ووجهه

( ولم أستطع أن أفهم من فوزى كيف اتفق له ما سيجيء والظاهر أنه سار على غير هدى وأنه كان مشغولا بما أصابه من هذا الخلف القاسى الذى ضربه ولوث له ثيابه ووجهه ورأسه بالطين والغسل على أنه فراغ لا يؤخر في الموضوع فليسهه القارئ بما شاء ) وألقى فوزى نفسه في شارع لا عهد له به وكان

الذى لفته إلى ذلك أنه سمع طبلولا تدق وأصوات مزامير — أى موسيقى — فتلفت وأنصت حتى استطاع أن يعرف مصدر الصوت فاتجه إليه وإذا بسرادق كبير تنبعث منه هذه الأصوات المغرية تصحبها ضججات عالية ونحكات مرقمة وتصفيق وصفيز وصيحات ، فأيقن أن ههنا شيئا يستحق الرؤية وحاول أن يدخل من الباب ولكن رجلا واقفين عليه منعه وانتهروه بعد أن طالبوه بقرش

وهو واقف ينظر ويعجب ، يود لو أن الجزار سمح له بالتدرب على هذه « اللعبة » وأعرب لى عن أسفه لأن أباه وأمه لا يسمحان له بلعبة تشبه هذا

وكان يلبس جلبابا — جلالية — مخططا وحذاءين ، وعلى رأسه « طاقية » مزركشة ، وكان في يده « عقلة » مما تتخذ منه الأقلام « البسط » التى يحتاج إليها أبوه في أعمال مكتبته وقد أعطاه إياها « عم محمد » — وقد نسي أن يفضي بذلك في شهادته أو لعله خاف أن يؤثبه سيده — فراح فوزى يمشى ويدفع الحصى في طريقة طورا بقدميه وتارة بالعقلة وكانت عينه إلى الأرض فلم يلتفت إلى الطريق ( يجب أن يلاحظ القارئ أنى أنا الذى أقص الحكاية الآن لافوزى وأنى أحاول أن أجعلها مفهومة على قدر ما يتيسر ذلك ) فلما تنبه ألقى نفسه في حارة لا يعرفها فجعل يتلفت وشق عليه أن يكون قد ضل وأدار عينه في الرايحين والناذين لعله يعرف واحداً منهم أو عسى أن يعرفه منهم أحد فلم يوفق وكاد يبكي من الجزع ولكن عينه أخذت رجلا يصنع أمام دكانه ما استطعت أن أفهم أنه ما يسمى « الخلاوة الحمضية » وكان يعطها وهى مشدودة إلى عمود مركز في الأرض ثم يعود فيطويها ففتنه هذا المنظر كما فتته منظر القصاب وهو يفرم اللحم ودنا من الرجل ووقف يتطلع إليه ثم حانت منه التفاتة فرأى ما هو أغرب وأولى بمتابته . ذلك أنه أبصر رجلا ضخما على وسطه فوطه مخططة وأمامه مرجل كبير يقلب فيه يديه ما أدركت أنه « الخلاوة الطحينية » فوقف مبهورا ثم زاغت عينه بين الرجلين وأحس برينه يجرى وشعر بعضه الجوع وكان ظهره إلى باب الدكان وكانت يده تعبت بالعقلة فضربت شيئا استغرب صوته فأدار وجهه لينظر فإذا به يرى وعاء هو الذى سمي « البلاصى » وعلى فيه أو — فتحت — لوف

ولم يكن معه شيء من الفلوس . فارتد أسفاً كاسف البال واغروقت عيناه بالدموع وعز عليه أن يحرم هذه « الفرجة » التي يتمتع بها كل هؤلاء الذين هم في السرادق من الأطفال مثله ومن الكبار أيضاً . ثم جعل يمزى نفسه وراح يتمسح بالسرادق ويطل من بين قطع الخيام المشدود بعضها إلى بعض ، فرأى ملعباً مرفوعاً وعليه خيل تدور وتدخل في دوائر كبيرة وتخرج منها إلى أخرى بعدها وتب من فوق ما يشبه المقاعد سوى أنها غير ظهور ، فلم يطق صبراً على هذا الحرمان وظل يدور حول السرادق حتى اهتدى إلى مكان يسهه أن يدخل منه - من تحت الخيمة - ويتمتع ساعة بالخيال الدائرة وبمنظر المهرج الذي يلبس فوق رأسه « طرطورا » ويرتدي ثياباً مرصقة مختلفة الألوان وعلى وجهه طليقات من الأبيض في مواضع دون أخرى ، وبغير ذلك مما يجري هذا الجري . وانفض السامر وانصرف المتفرجون وهو معهم أو بينهم وصار في الشارع مرة أخرى . وكان الجوع قد ألح عليه ولا طعام معه ولا فلوس في جيبه . وشعر أن قواه بدأت تنحور ، فلما مرت به مركبة يجرها جوادان تعلق بها من الخلف فسارت به وراحت وجاءت ولطف الله بالفتى فلم يش به أحد إلى الجودى وإلا لسكره بالسوط الطويل ، كما هي العادة . وأخيراً وقفت المركبة في الموقف - وكان لحسن الحظ عند بيت القاضي - فتركها فوزي ومشى يجر رجله والجوع وبعضه والنوم ينال به

(وهنا غموض آخر في القصة وأحسب أن السبب فيه أن فوزي كان يمشى وهو كما يقول الشاعر : « مشاهد للأمر غير مشاهد » من فرط التعب ومن إلحاح الجوع والنعاس عليه . وله العذر)

وقد قال لي إن بيت الجارية ليس أول بيت نام على عتبة فقد كان يسقط من الأعياء والجوع فينام

على أقرب عتبة حتى يوقظه داخل أو خارج . فيهنس ويستأنف الشيء وهو يفرك عينيه . ويكي أولاً يكي - حسب الأحوال - حتى ارتدى على عتبة الجارية . وهذا تصحيح آخر فقد حملته ودخلت به كما قالت ولكنه لم يكن مستغرقاً في النوم كما زعمت ، فقد استيقظ لما أحس بها ورأها تحمله على صدرها ، ويؤكد فوزي أنه نظر بمؤخر عينيه إلى وجهها ، فلما رآه أسود كالفتحم خاف فأغمض عينيه وتظاهر بالنوم ، ووضعته الجارية على حشية طويلة ودست تحت رأسه وسادة ووقفت تتأمله وكان هو يحس عينها عليه وإن كانت عيناه مغمضتين من الخوف . وقد كبر في وهمه أنها ستأكله ، فلما هزته ليستيقظ أبى أن يفتح عينيه وأصر على التناوم ولح في هذا العناد خوفاً وقلقاً . وجعل بعد ذلك يلاحظها من حيث لا تشعر ويتبعها بعينه وهي تروح وتجيء . ولكنه يأم أخيراً - غلبه النوم لا بدري كيف على الرغم من الخوف الذي كان يساوره فلما استيقظ سألته عن اسمه فأشفق أن يذكره لها فخاورته ودأبته وجاءه بشيء من الحلوى وكان جائعاً فأكل فلما أحسن بعض الشبع امتنع عن الأكل مخافة أن يكون في الحلوى سم مدسوس كما سمع في القصص التي قصها عليه « حليلة » كل ليلة قبل أن ينام . وجاءت سوداء أخرى فنظرت إليه ملياً ثم قالت له : « إنت مش فوزي ابن الست أم فوزي ؟ » فلم يجب وأصر على التباله ، فأكدت السوداء الثانية أنها وأهله أنه فوزي وقالت إن عمته ساكنة على مقربة من هنا وإمها وأنه مراراً يجيء إلى عمته مع خادمته فلما سمع فوزي كلام هذه الجارية بكى وقال : « علوز أروح لعتي فصاحت الجارية التي عرفتته : « شفتي ؟ . شفتي بقى ؟ . عشان تصدقني »

واتخذت من بكائه ومن رغبته أن يذهب إلى عمته



ونام فوزى على كتفها وهي عائدة به إلى بيته وأهله، فلما نهض في صباح اليوم التالى ألقي نفسه على سرير المألف فهل كان كل هذا حلمًا؟ كلا. فان ثيابه «العسولة» هالك تذكره بما لقي في رحلته العجبية. وهذا شعره لا يزال كما غسلوه بقطر عسلا ولا يذكر فوزى أنه كان يحن إلى البيت أو إلى أمه أو أبيه. وكل ما كان يحسه هو الجوع والتعب. وقد علمته هذه التجربة شيئًا هو ألا يخرج قط من البيت — يجاوز عتبه — إلا إذا كان معه فلوس. إذ من يدري؟ فقد يضل مرة أخرى فيجوع فاذا يصنع بغير فلوس.؟؟

وقد كبر فوزى وصار رجلا ولكنه لم ينس هذه التجربة ولا الدرس الذى حذقه فى السادسة من عمره منها فاذا لقيته فى الطريق فتق أن معه ما يكفيه للطوارئ. وأنت وذمتك

ابراهيم عبد القادر المازنى

دليلا على صدق فراستها. وقد تكون سمته هذه فى آخر الدنيا ولكن رغبة الصبي فى رؤيتها كانت حسبا الجارية دليلا على صحة رأيها. وكثرت الجوارى فى البيت واجتمع على فوزى ظلام الليل وظلام وجوههن، ولكن هذا لم يفزعه فقد راقه بياض أسنانهن وبعض الحرة فى عيونهن — من أثر البوطة وفعلها على الأرجح فقد كان شربها شائعا بين الجوارى فى ذلك الزمان — وكان لظلمتهن عظيما وكن جميعا يتكلمن ولا يبدو أن واحدة منهن تصنى إلى ما يقال أو تمنى بغير ما تقول هي، ولم يكن هو يفهم شيئًا من كلامهن لشدة الضوضاء ولعجزه عن متابعتهم ولغرابه لهجتهم أيضا. وأخيرا انتهى المؤتمر الأسود فخرج جميعا إلا صاحبة البيت فقد عادت من توديعهم وقالت له: «تعال يا حبيبي» وحلته على كتفها وهو يحب أن ياترى تريد أن تذهب به، ويدعو الله فى سره ألا تذهب به إلى الجزائر

الفلاح المصرى يزرع القطن

والعامل المصرى يغزله وينسجه

فالقطن ثروتكم وهو فخركم

أعدته لكم منسوجات لا تقارن فى جودتها

شركة مصر للغزل والنسيج

اشتروا ما يلزمكم من

شركة بيع المصنوعات المصرية

السيدة بنسر ولا شك..

تفضلي ياسيدتي

( تدخل السيدة بنسر )

السيدة بنسر - أيم

صباحاً يا مستر كوكس...

أمل أن تكون قضيت

نومة هائلة

كوكس - كلا

لا يمكنني أن أقول إني

فعلت ... فقد كان

الفراش قلقاً نائياً فأرجو أن نبخني عن فراش ألبن وأوثر

السيدة بنسر - إني أفعل كل ما فيه راحتك

ياسيدتي

كوكس - إذن احملي لي هذه المرأة قليلاً حتى

أصف شعري هذا من جهة ، ومن جهة أخرى

لا أعلم لماذا يتناقص فحفي بهذه السرعة

السيدة بنسر - ماذا تقول ياسيدتي ؟

كوكس - وكذلك الزيت والسكر

السيدة بنسر - أظنني أني أسرقها ؟

كوكس - كلا .. كلا .. لا أظن هذا ...

ولا أظن أيضاً أن القطة سرقها . قد تسرق القطط

البين ، ولكن لا أظن أنها تسرق الفحم لتسخن البين ،

أو السكر لتضعه فيه ... ومن جهة أخرى كثيراً

ما أجد جو الغرفة ملبداً بالبتان عندما أعود في

مغرب الشمس

السيدة بنسر - آه ... هذا دخان المدفأة

كوكس - كلا .. كلا لا أظن هذا النوع ..

أندخين التبغ

السيدة بنسر - كلا ألبتة ...

كوميديا في فصل واحد

# الخريف المشترك

للمطابق الإنجليزي جون ماديسون

بقلم إدوارد جيمس مرس

« تقيم السيدة ( بنسر ) في منزل صغير تستغل حجراته المؤقتة بالإيجار لتقيم أودها »

وأحد مستأجريها وهو السيد جون بوكس

رجل ذو غفلة ، فهو يمضي ما بين أطراف الليل من

عمله ويعود عند انبلاج الصباح تاركاً حجراته طوال

الليل تنمي من بناها ... وقد استغلت السيدة بنسر

هذا الظرف فراحت تؤجر الحجرة لرجل آخر وهو

السيد كوكس رجل شاذ الخلق يشتغل في صناعة

القبعات ويعود عندما يسبل الليل سجوفه ... وكلا

الرجلين لا يعلم شيئاً عن الآخر »

« الصباح متليح تسيل أشعته من خصائص نافذة

البحر كوكس وهو يمشط رأسه أمام المرأة »

كوكس - إني لن أخلق رأسي بعد اليوم قط

فإن المشط لا يمكنه أن يؤدي واجبه ألبتة بين هذه

الشعرات القصار ... لقد قلت للحلاق أن يقص

أطراف الشعر فقط ، ففهم بفكره السقيم أن يقص

أطراف الرأس ( يمسح طرقاتاً على الباب )

كوكس - من هذا الذي يطرق الباب ؟ ...

( ١ ) عن كتاب « بوكس وكوكس » لقصصى الإنجليزي

السكوتيدى جون ماديسون

القبعات تتشكل على رأسه بتشكيل الأيام ...  
السيدة بنسر - أجل إنه يعمل في محل قبعات  
أريد شيئاً ياسيدي .

بوكس - كلا... لك الشكر ( تخرج السيدة بنسر )  
بوكس - لقد لبثت طول الليل لا يغمض لي  
طرف ... فيجب أن أنام قليلاً ويجب أن أتناول  
أيضاً ما تبسر من الطعام ... أيهما سأفعله أولاً ؟ ..  
أتناول الطعام قبل أن اضطجع على السرير أم  
اضطجع على الطعام قبل أن أتناول السرير أعني  
اضطجع على السرير قبل أن أتناول الطعام ؟ ..  
سأتناول الطعام أولاً ... أين صندوق الثقباب ؟ ..  
لقد تركته على المنضدة أمس . إنه الآن على شفا الموقد ..

لا أظن أن للصندوق سيقاناً فيقفز هذه الفقرة  
الخطرة ... لا بد أن السيدة بنسر قد استخدمت  
شيئاً منه .

( يوفد النار في الموقد فذكر وتوجع ثم تناول آية  
في يده قبلها وتشمها ) لا شك أنت مسر بنسر  
استعملت تلك الآتية في إعداد طعامها . إن رائحتها  
تفوح رائحة السمك ...

( يخرج من جيبه ورقة في طواياها قطعة من اللحم  
يضعها في الإناء على النار - ثم يذهب فيطرح على السرير  
ويبدل الأستار ) - والآن سأغفو غفوة سريعة

حتى ينضج اللحم . ( يدخل مسر كوكس )

كوكس - ( لنفسه ) إن محائب هذه الدنيا  
لا تنتهي ... لقد قال لي الدير وما أطيب قلبه ...  
ليس لك عمل اليوم ويمكنك أن تقضي يوماً سعيداً  
هنيئاً على شاطئ النهر ... والآن سأتناول طعامي  
سريعاً ثم أمضي إلى ضفاف النهر الناضرة ...  
( يخرج من جيبه قطعة من السبك ) ... أين صندوق  
الثقباب ، لقد تركته على حافة الموقد ... والآن  
هوذا على المنضدة ... أظن أن ليس للثقباب سيقان

كوكس - إذن فمن أين جاء هذا الدخان الخائق  
السيدة بنسر - إن الرجل الذي يشغل الحجرة  
التي فوق حجرتك يدخن الفليون ... فربما نفذ  
إليك دخان غليونه

كوكس - أظن أن الدخان يصعد إلى أعلى  
ولا يهبط إلى أسفل ... أتحدثين عن ذلك الرجل  
الذي يقابلني ساعداً عندما أهبط ، وهابطاً عندما  
أصعد ؟ أهو يقيم في أعلى الدرج ؟

السيدة بنسر - ( في اضطراب ) ... لماذا ...  
أجل أجل بالطبع ...

كوكس - والآن لقد أذف موعدي ... عمي  
صباحاً ياسيدي ( يخرج )

السيدة بنسر - لقد ذهبت أخيراً ... إنها  
فكرة نيرة ولا شك تلك التي جعلتني أتناول أجراً  
مضاعفاً لغرفة واحدة ... كم أتمنى أن يكون كل  
القطان مثل هذين الرجلين ... والآن يجب أن أنسق  
الغرفة فقد أوشتك السيد بوكس أن يعود ( تسمع المسر  
بوكس في الخارج )

بوكس - ( في الخارج ) لماذا لا نلزم جانباً  
واحداً من الدرج في هبوطك ياسيدي ؟ .. لقد  
كدت أن تدوس قدني .

كوكس - إنه خطأك ياسيدي

بوكس - بل خطأك أنت ياسيدي  
كوكس - إنه خطأك ياسيدي لأنك لم تنظر من الهابط  
بوكس - بل خطأك ياسيدي لأنك لم تنظر  
من الصاعد . ( يدخل )

إلا خبريني يا مس بنسر من هذا المخلوق الذي  
يقابلني ساعداً عندما أهبط ، وهابطاً عندما أصعد ؟  
السيدة بنسر - ( في اضطراب ) إنه ... إنه  
السيد الذي يقيم في الحجرة الصغيرة التي في أعلى الدرج  
بوكس - فيخيل إلى أنه بائع قبعات ... لأن



بوكس — خفض عليك جأشك يا سيدي فأني لا أريد أن تشاحن.

بوكس — وكذلك أنا لا أود أن تشاحن .. أمتزوج أنت يا سيدي؟

بوكس — كلا ... ولكنني عقدت النية على الزواج

بوكس — أعني لك مستقبلاً سعيداً

بوكس — لك الشكر ... وإن كنت أعتقد أنه لن يكون سعيداً

بوكس — ولم ذلك ... ألا تنتظر زوجة دقيقة تدوب شوقاً لرؤيتك؟

بوكس — لا أظن هذا ... فزوجتي الآنسة بنلوب آن تدوب شوقاً لرؤية المال لا لرؤيتي أنا

بوكس — بنلوب آن؟! بنلوب — نعماً

بوكس — أوف مارجات.

بوكس — بالضبط ... أوف مارجات

بوكس — أنتظر لتلك الآنسة كزوجتك المستقبلية؟

بوكس — أجل .. أنا أنظر إليها كزوجتي المستقبلية.

بوكس — وهل هي تنظر إليك كزوجها المستقبل؟

بوكس — إنها تفعل ... فقد وعدتني بالزواج

بوكس — إذن دعني أقول لك إن بنلوب آن هي زوجتي المستقبلية ... يا عامل الطعمة البسيط

بوكس — كلا إنها زوجتي المستقبلية أيها الصانع الفقير ولن أتركها لك ولو أقاتك إلى النهاية

الامتنان معاً — أيها السيدة بنسر ( تدخل السيدة بنسر على مجل )

بوكس — علينا بالسلاح .

بوكس — أنتوي أن تدخن في غرفتي يا سيدي؟

بوكس — إني أدخن متى وأين يروق لي ( يفتح البيد كوكس نافذة الغرفة )

بوكس — أفتح نافذة غرفتي أيها السيد؟

بوكس — أجل إني أفتح نافذة غرفتي لأستريح

أنسام الخارج

بوكس — أقفل هذه النافذة

بوكس — ضع هذا الغليون

بوكس — هوذا ... ( يضع الغليون )

بوكس — هي ذى ... ( بوسد النافذة )

بوكس — أظن أنه ما دمنا نقطن غرفة واحدة يا سيدي فيجب أن يكون التفاهم رائدنا ... إني أرى في نفسي ميلاً إليك يا سيدي

بوكس — وإني لكذلك أيها السيد

بوكس — إذن دعنا نشغل وقتنا بأية وسيلة ..

أفني يا سيدي؟

بوكس — كلا ... إن زوجتي لا تسمع لي بذلك

بوكس — وهل أنت متزوج يا سيدي؟

بوكس — كلا يا سيدي ... ولكنني عقدت العزم على الزواج

بوكس — لك مني خير الأمنيات

بوكس — لك الشكر يا سيدي

بوكس — وعلى ذكر هذا أقول ... عند ما تزوج يا سيدي أظنك ستترك الغرفة الأخرى التي

ستعدها لك السيدة بنسر

بوكس — إني لن أقيم في الغرفة الأخرى ...

هذه غرفتي ولن أبرحها بأية حال

بوكس — ولكن هذه غرفتي

بوكس — كلا إنها غرفتي

آه إن قطعتك تحمل رأسين أيضاً... ألا تحجل من خيانتك

كوكس — أئدعوني خائناً... إنك أنت الخائن  
بوكس — كيف تجرؤ أن تقول ذلك  
( يبدآن في التناحر )

الاثنان معاً — هل انتهيت من إعداد الحجرة  
الأخرى أيها السيدة بنسر

السيدة بنسر — ليس تماماً ياسادق... لم  
أتمكن من الاتيان بالسلح ولكني أتيت بخطاب  
( يأخذ السير كوكس الخطاب ويخرج السيدة بنسر )

كوكس — إنه من بنلوب آن  
بوكس — إذن أعطه لي... ( ينظر السير بوكس

إلى الخطاب من فوق كنف كوكس ) إنه معنون باسمي  
ب. و. ك. س. « بوكس »

كوكس — إنه معنون باسمي وهذه السكاف  
واضحة ظاهرة للعيان

بوكس — وأنا أقول لك إن هذه الباء يراها  
الأعشى

كوكس — إذن دعنا نقرأه سوياً  
( يفتح الخطاب وينظر فيه )

كوكس — أخبار حمزة ؟  
بوكس — أنة أخبار ؟

كوكس — أخبار مفرجة  
بوكس — دعني أرى...

كوكس — دعني أرى ثانية... لعل أخطأت  
( يقرأ )

« عزيزي السير كوكس »  
بوكس — بوكس

كوكس — عزيزي السير كوكس — بوكس  
« إن عندي لك خبراً حمزناً... »

« فاني أرى أن مشاربنا تختلف ونزعانا تباين

السيدة بنسر — أجل ياسيدي (تم بالخروج)  
كوكس — انتظري... أتمنين أيها المرأة أنك

تحتفظين بسلح محشو في منزلك ؟  
السيدة بنسر — كلا إنه غير محشو

كوكس — إذن فعلينا به ( تخرج السيدة بنسر )  
بوكس — ولكن ما رأيك ياسيدي في القتال ؟

أظن أن أمثالنا من الفضلاء يتقاتلان على تلك  
الصورة .

كوكس — كلا... لا أظن هذا ! ...  
فالأفضل أن محل النزاع بالتفاهم.. وهي

أن يذنف كل منا بقطعة من النقود فإذا سقطت  
قطعتي ورأس الملك إلى أعلى فأنا الفائر .

بوكس — وإذا سقطت قطعتي ورأس الملك  
إلى أعلى فأنا الفائر... وإذا سقطت القطعتان على

الوجه الآخر فلا فائر بيننا .  
كوكس — فكرة نيرة ( يخرج من جيبه قطعة

من النقود )  
بوكس — ( يخرج من جيبه قطعة أخرى ) أنت

على أهبة... إذن دعنا نبدأ  
كوكس — ( يذف قطعه إلى أعلى فتبسط فينظر

إليها ) : رأس الملك .  
بوكس — ( يذف قطعه ) : رأس الملك

كوكس — يجب أن نقدفها ثانية  
الاثنان معاً — ( يذفانها ثانية ) : رأس الملك

— ( يذفانها ثالثة ) : رأس الملك .  
كوكس — إن هذا عجيب... دعني أرى

قطعتك ياسيدي آه.. لك الخزي... إنها كما ظننت  
ليست قطعة حقيقية إنها تحمل رأس الملك على

الوجهين... إن هذه خيانة... ألا تحجل من ذلك ؟  
بوكس — دعني أرى قطعتك ياسيدي...

فاضت بها خزانتي ... آه من هذه الشكاوى ! إنها أكثر عدداً من ذلك « البق » الراحف جيوشاً على حائط دار النيابة الرطب المهدم ! ينحيل إلى أن الشكاوى لا تنزل على رأسى كالوايل إلا أيام الأسواق ؛ كأن الفلاح إنما يخرج إلى سوق الخميس من كل أسبوع يبيع كيلة ذرة ليشتري قليلاً من السكر والشاي ويملأ زجاجة « السيرج » ويستكتب أحد الكتبة العمومية « بلاغاً » أو « عريضة » ضد مأذون الناحية أو العمدة أو وكيل شيخ الخنفر .

ولعل هذا أصبح بنداً ثابتاً معتاداً في ميزانية كل خارج إلى السوق من هؤلاء الفلاحين . لست أدري لذلك من سبب . أهو الظلم حقاً ! أم هو داء الشكاوى استوطن دم الفلاح على مدى أحقاب من الجور صرت به حقيقة ! على أى حال ماذبى أنا أجزع مافى هذه الأوراق من سخط . يظهر أن حضور جلسات المحاكم وضبط قضايا التلبس في النهار ، وقيد وارد



## يَوْمِيَّاتِي فِي الْأَرْيَافِ

لِلأَسْتَاذِ تَوْفِيقِ الْحَكِيمِ

٢٢ أكتوبر ...

استيقظت اليوم متأخراً . فقد سهرت أكثر الليل في التهام الأوراق المتأخرة . إذ بعد أسبوع تبدأ السنة القضائية الجديدة . ومعنى هذا أنه لا ينبغي أن تبق عندي قضية واحدة لم يتم التصرف فيها من قضايا العام المنصرم . ومعنى هذا أيضاً أنه يجب على أن أجلس نفسى طول هذا الأسبوع حتى أنظر في المتأخر من أكدياس « الشكاوى » التي

حتى لا سبيل إلى الاتفاق

« وأنا أحرر لك هذا الخطاب لأخبرك أنه قر عزمى على الزواج من السير بوكس وهو رجل فاضل ثري من أمائل المدينة ... أأمل أن توافقني على ذلك ... وأنعى لك حياة سعيدة » (يتلو بآن)

بوكس — أظن أنني لا أكون مبالغاً إن قلت أنني كنت أمقت هذه الفتاة من كل قلبي كوكس — وهكذا كنت أنا أيضاً فافى لم أكن مشتاقاً إلى هذا الزواج

السيدة بنسر — (خارج الغرفة) لقد انتهيت من إعداد الغرفة الأخرى أيها السيدان

بوكس — هيا أيها السير كوكس

كوكس — هيا أيها السير بوكس

بوكس — ولكن ياسيدى أرى أننا متفقان في كثير من مشاربنا ونواحي حياتنا . أليس كذلك؟ كوكس — أجل ياسيدى ... إنى أرى هذا بوكس — إذن أليس من الغباء أن نفترق على تلك الصورة؟

كوكس — أجل إنى لا أوافق على أن نفترق

بوكس — إذن أوافق أن نعيش سوياً؟

كوكس — أجل إن ذلك يلائم حياتى

بوكس — إنه يلائم حياتى أيضاً

(تدخل السيدة بنسر وقد سمعت جدبهما في الخارج)

السيدة بنسر — وأنا يسرى أن أقول إن نصف هذا الأجر يلائمى

الاثنتان ممّا — وبلاننا أيضاً « ستر »

(اسكندرية) أحمد فني مرسي

خلالها نظرات صريحة إلى المجتمعين في أزوقة دار النيابة من وكلاء المحامين وأرباب القضاة كأخا يستحهم على الوقوف له . ولا حديث عنده إلا ذكر علاقته وصلاته بكبار الموظفين ، يقول ذلك في زهو وانتفاخ . ولطالما طلبت إليه حساباً عن عمله فيجيبني دائماً :

— أنا والله الحمد رجل لا أميل إلى الأبهة ولا إلى الفخفة !

تراني سألته في ذلك ؟ لم يحدث قط . يحصل إلى أن من الناس من يلقى الكلمة يدفع بها عن نفسه فإذا فيها الاتهام الصارخ . ولعل كل منهم يحمل في طيات كلامه دليل إجرامه ، كما يحمل المريض في دمه جرائمه !

لا بد إذن من العمل المضي حتى تحتم السنة القضائية على خير . وقد أمرت بإغلاق أبوابي على حتى أنفرد لهذه الملفات أنصرف فيها باليمين والشمال ، ومضيت أعمل وأنا أقول : « خذ من التل يختل ! » ولكن الذي وضع هذا التل كان يقصد بالثل النقود والذهب . أما أوراق « الشكاوى » فهي تل دائم النمو ، لا يختل ولا يزل .

وهل تنقطع للإنسان « شكاوى » على هذه الأرض مادام هو إنساناً . ونسيت نفسي في العمل ، فلم أسمع طريقة خفيفة قيل إنها وقعت على الباب . ولكنني رأيت رجلاً أتيقاً في وسط الحجره يتسم إلى وخلفه حاجب يحمل حقيقتين . عجباً ! هذا زميلي وكيل نيابة طنطا ! ماذا أتى به ؟ وما هذه الحقائق ؟ ولم يترك لي زميلي وقتاً للتساؤل . فقد أشار إلى حاجبه أن يضع الحقيقتين على الأرض وينصرف . وما إن صرنا وحدنا حتى جثا على قدميه أمامي في حركة تمثيلية وقال :

الجنح والمخالفات في المساء ، والانتقال لتحقيق وقائع الجنائيات بالليل ، كل هذا لا يكفي وكيل النيابة في الأرياف . فهو ما زال يجد وقتاً يتنفس فيه . . . فلتسد عليه إذن مسالك الهواء بأكوام الأوراق التافهة الآتية من المركز باسم « الشكاوى » و « العوارض » و « الأحوال » . ومعنى هذا أيضاً أني أنا الشخص الضعيف الجسم والبنية الدقيق الحس والشعور الذي يتوق إلى نصف الساعة يفرغ فيها إلى مطالعة كتاب جميل ، ينبغي لي أن أقرأ أيضاً ما جرى بين « ست الدار » وجارتها « قطايف » من تبادل « الردح » والسباب وما تلقاه المركز من بلاغات فقد الأختام و « محاضر » البحث الجاري عن جحش هرب من أمام الباب ، وإصابة قدم طفل داس على قطعة زجاج ، وسقوط فروع جيزة على رأس كبش الحاج هباب ! إني والله لأعذر ذلك النائب في الصعيد الذي قيل إنه كان يعبر النيل في قارب للوصول إلى مقر عمله وكان معه حمل من هذه « الشكاوى » حار في أمره ، فأومأ إلى صاحب القارب ، قال بقاربه على أحد جنبيه ميلاً أسقط « الشكاوى » في الماء ! وزيد في بلائي أكثر من هذا إلحاح عبد المقصود أفندي رئيس القلم الجنائي . فهو المنوط بإرسال « كشوف » القضايا في مواعيدها إلى النائب العام ووزارة الحفانية . هذا الرجل لا أرى له عملاً عندي غير التنقل بين الحجرات حاملاً في يده ورقة يأمر هنا وينهى هناك . حتى عملية « التنفيذ » التي من نصيبه قد أتى ببعضها على غيره من مرؤوسيه واكتفي هو « بمهمة » الصباح في السكتية والحجاب . وهو أول من ينصرف من الموظفين واضعاً على طرف أنفه عويناته الذهبية ، يرسل من



— أعوذ بالله !

وجعل هذا الضيف يخرج الأكداس تلو الأكداس وهو يقول :

— النبي قبل الهدية !

فلم أجد ما أقول لهذا الانسان الذي يصر على أن يسمى هذه « السخرة » هدية ، ولعنت في نفسي قولهم إن « النياية لا تتجزأ » . هذا المبدأ الذي نسير عليه ؛ وهذا النظام الذي يفرض التضامن بين كل أعضاء النياية ، ويعطى الحق لو كبل نياية أسوان أن يتصرف في قضايا وكيل نياية الاسكندرية دون أن يبطل تصرفه اختصاص مكاني أو زمني . لعنت ذلك ولعنت الضيف ولعنت نفسي إذ أن لي حقيقة من سوء حظي صيتاً بين زملائي بأن من أحباب الهمم خصوصاً في الشكاوى الإدارية وسرعة التصرف فيها . وقد نقل عني الكثير من إخواني أعضاء النياية طريقي في قراءة الشكاوى . فهم يقولون إني أقرأ الشكاوى من آخرها لا من أولها . وهذا صحيح فأنا لست مجنوناً حتى أقرأ الأوراق من أولها كما يقرأ الناس والمقلاء ! لو فعلت ذلك لما انتهيت ، ولكنني أضرب صفحاً عن الديباجة وما فيها من « أتم يا ملاذ العدل ويا نصير الحق ويا مبين دولة الظلم ويا ما حق ... الخ الخ » وأنظر في الحال إلى السطر الأخير فقيه عادة لب الموضوع . وهذا اللب أيضاً فلما أجد له لباً ، وكثيراً ما يجري فيه قلبي بالكسب أي « بالحفظ » في سرعة وجراءة وهمة أطمعت في الزملاء الموروثين الفارقين في بحار هذا « الواعش » ، ولكنني اليوم آخز من يعين الناس . إني أنا نفسي في حاجة إلى المعونة . وإن هبوط هذا « الضيف » على كاهي يهبط الصلبة لأمر شاق على النفس . ولم

— أنا وقعت من السبا وأنت تلتفتني !

فنظرت إلى يدي الهزليتين ثم إلى جسمه الممتلئ — أنا تلتفتني ؟ وزلت « صاغ » سليم !

— اسمع ! الموضوع جد . أنت رجل معروف بيننا جميعاً أنك صاحب همه ومروءة ...

هنا لعب في « عبي الفار » ! وأدركت أن هذا الزميل قد ترك مقر عمله طنطا في هذا الوقت العصيب وقت مولد السيد البدوي وما يتبعه من ازدحام المدينة بأفواج الوافدين وكثرة الحوادث والوقائع التي تصحب عادة كل مولد وكل ازدحام . ترك ذلك وأتى إلي يطلب ولا شك إلى همتي ومروءتي معونة كبرى ترى ما نوع هذه المعونة ؟ وخاضعتي قلبي ، وأردت أن أعرف سريعاً ما يريد مني حتى أطمئن فقلت :

— أنا في خدمتك !

فما كاد يسمع هذه الكلمة المشجعة حتى قام إلى رأسي يقبله ويقول في صوت كصوت « الشحاذين » — زبنا يخليك وبيقيك ويمد في عمرك و ... ثم تركني وأسرع إلى حقائبه وقال لي :

— تسمح ؟

فقلت له وقد حمدت له في نفسي ذوقه ومراعاته اللياقة في الزيادة :

— والله ما كان فيه لزوم تكلف نفسك هدية وفتح إحدى الحفيتين وأنا أتوقع أن أرى فيها على الأقل حصصاً من حصص السيد البدوي وفي الأخرى حلاوة الولد ... ولكنه أخرج أحمالاً من أوراق « الشكاوى » ووضعها على مكنتي وهو يقول في تواضع :

— هديتنا على قدنا :

فنظرت إلى الأوراق في روع وتتمت :

الواقع أنها بلاد قريفة من الفطرة والوحشية .  
هذا الوجه القليل من مصرشء مخيف لساكن الوجه  
البحرى . إن المرأة هناك شبح لا يرى ولا ينبغي أن  
يرى . وهي مخلوق جاف لا فرق بينها هناك وبين  
الرجل . كلاهما شء لا أثر للفرقة فيه . وكلاهما فى  
الجسم والطبع والروح كتركك الأرض السوداء التى  
يعيشان عليها وقد جف عنها النيل فى زمن التحازيق !  
آدميون قد جف عن تركيبهم ذلك الماء الذى فيه  
سر امتياز الأدميين

ونفخ صاحبي الدخان من أنفه وفه ثم استنورد :  
— لعنة الله على دى بلد ! أنا أراهن أن تسفة  
أعشار أهالي ديروط لو تكشف روسهم تلقى معمول  
لهم جميعاً عمليات « طربنة » من ضربهم فى بعض  
بالنباتات !

فصادقت برأسى على قوله ثم زدت :

— وأبنوب ؟

— ألعن !

قالها فى إشارة من يده أضحكتنى وذكريتى بشئ  
قرأته عن هذه البلدة : إحصائية صدرت فى أوروبا  
أو أمريكا (لست أذكر على التحقيق) غرضها بيان  
الاجرام فى العالم : ورد فيها أن « شيكاغو »  
أكثر بلاد الأرض فى عدد جرائمها ، وتلبها مباشرة  
« أبنوب » ، وبمدها بقية مدن العالم الشهيرة ..  
وقد حسبت وقتئذ أن « أبنوب » هذه مدينة فى  
أمريكا . نولا ملحوظة فى هامش الإحصائية  
ذكرت أنها من بلاد الوجه القبلى بالقطر المصرى .  
دهشت عند ذلك أن يكون لهذه البلدة الحفيرة  
الصغيرة هذا المقام العظيم بين « دن الدنيا الشهيرة »

أتمالك ، وتجهمت للشكاوى الخارجة من الحفائب  
وقلت فى سخرية المنيظ :

— يا سلام ! يا سلام على حمص المولد ! حاجة  
تشرح القلب صحيح !

فقال الضيف وهو ينفض يديه من آخر ملف :

— كان غرضي أجيب لك شوية حلوة ...  
فقاطعته صائحاً مرتاعاً :

— من الصنف ده ؟ !

فاستمر فى قوله باسم :

— لكن والله غاب عن فكرى فى آخر لحظة ...

— الحمد لله ! جاءت سليمة ! ..

فضحك الزميل المحترم . وجاءت القهوة فشرب  
هنيئاً . ثم قام فدار دورة فى الحجره واقرب من  
النافذة كعادته التى أعرفها عنه وأطلق بصره فيها  
حولنا من منازل قليلة وغمر بعينه :

— فى البيت ده بنت حلوة !

فبادرت إليه وجذبته من ذراعه بعيداً وأنا  
أقول له :

— كنت فاكرك عقلت وبطلت الهلس !

فقال باسماً وهو يعود إلى الحجره ويجلس على  
مقعد :

— أبطل ازاي ؟ « البصيصه » فى دى !

وجعل يذكرنى بأيام « ديروط » حيث كنا  
نعمل معاً فى نياتنا . وطلب منى سيجارة طفق  
بدخنها ويقول :

— فاكرك فى ديروط لما كنا نقف فى الشبايك

نبحث بعيننا فوق الأسطح عن قيص حريمى مشغول  
« بالتفتنة » لأجل بس نظمنا على وجود صنف  
النسوان فى البلد !

— حركة التقلات في نوفمبر .  
 — أظن على الدور أنتقل لمصر .  
 — النقل لمصر مش بالدور يا حبيبي . عندك واسطة ؟ ؟  
 — لا .  
 — حاتيش وتموت في الأرياف .

— وإخواننا اللي قاعدين متمتعين في مصر بقي لهم ستين ؟

— تشلمهم كذلك حركة التقلات . لكن على الوجه المفهوم وعلى الطريقة المعتادة : وكيل نيابة الموسكى ينقل إلى نيابة الأزبكية . ووكيل شبرا إلى نيابة الخليفة . ووكيل السيدة زينب إلى كلية مصر ؛ يعنى تقلات مع مراعاة عدم خروجهم من لجنة العاصمة . ومع ذلك تجب حضراتهم غير راضين . لأن بعضهم يقول لك : « شبرا ! يا سلام شبرا بعيدة جدا جدا عن بيتي في الزمالك ! » والآخر يقول لك : « إزاي أروح نيابة السيدة ؟ حي ديموقراطي قوى ! ! » أما حضرتك وحضرتي ، فأنت إن شاء الله من هنا إلى « الفشن » من غير كلام . وأنا من طنطا إلى « طما » أو « مغلوط » من غير كلام . وإن فتح واحد منا فه بالشكوى أو الاحتجاج هبوا فينا : ليه دلع أعضاء النيابة ده ! تفضلوا روحوا نياباتكم بلا دلع ! !

فأطرقت طويلا في حزن وغم ؛ ولم أجد في يدي غير التمسك بالصبر حتى لا أضيف على بلائي بلاء وقت متهدا :

— أمرنا الله ! لنا رب ! لكن ده شيء يصد النفس عن الشغل . . .

وإن كان هذا المقام في عالم الاجرام ! « شيكاجو » و « أنبوب » ! قطبا العرصة السفلى على هذه الأرض . الأولى لإجرام الحضارة ، والثانية لإجرام البدواة ! كل له طابعه ومميزاته . إجرام الحضارة ، قد ازددى هو أيضاً ثوب الحضارة بأسلحتها وأغراضها وأسبابها !

هناك الجريمة المتحضرة تخرج في سيارتها المصفحة حاملة « المسدسات » و « المتراليوزات » و « المفرقات » لتجهم على أضخم « البنوك » ويوت المال ثم تعود إلى مكنتها بثروات طائلة من الجنيئات ! وهنا الجريمة الفطرية تخرج متدثرة في عباءتها حاملة هراوتها أو فأسها أو بندقيتها لتسفك دم رجل ضعيف انتقاماً لعرض أهين في نظر التقاليد والمادات . هنا لك الثروة والمال ، وهنا التقاليد والمادات . هذا هو الفرق بين الحضارة والفطرة ، بين ما يشغل بال الرجل المتحضر وما يشغل بال الرجل المتأخر ! نعم إن الشر هودأماً الشر . ولكن الشر الناتج عن سبب كبير لأجدر بالتقدير من شر نشأ عن سبب نافع حقير ! إن الحضارة العظيمة لا تزال الشر ولا تنحو الجريمة ، ولكنها توجد الشر العظيم والجريمة العظيمة !

والتفت إلى زميلي المطرق وقلت له :

— أنا روحي طلعت خلاص ! زهقت من حاجة اسمها أرياف ! زهقت من أصناف « اللبد » ! — إزهقي على كيفك !

— أنا اشتقت لمصر ! نسيت شكل عاصمة بلاي ! أحب بالاس أغير نوع الجريمة ، وأشتغل مع مجرمين لابسين ستره وبنطلون !

أره . لأن أحدا لم يعطيني ! إنهم يطلبون إلي أن أنظر في شكواى الناس ولا يتنازلون هم إلى النظر في شكواى وشكوى الثالث من زملائي ! وأجريت القلم في الأوراق أوسعها « حفلا » ! ودخل على عبدالمقصود افندي يحمل ملفات ضخمة فقلت مرعبا :  
— إيه كل ده ؟

— الجنج الباقية على التصرف ..

ثم التفت خلفه ونادى الحاجب :

— هات الجنائيات يا جديع !

ونظر إلى قائلا :

— حانعل إيه في الجنائيات الباقية ...

ووضع أمانى ملفات قرأت على غلاف أحدها قضية « قرر الدولة علوان » . فتذكرت أن الفاعل في هذه القضية لم يعرف . لم يعرف . طبعاً لم يعرف ولن يعرف . وكيف يراد منا أن نعرف منها في قضية غامضة كهذه القضية وكل من المأمور والبوليس « ملبوخ » من رأسه إلى قدمه في تريف الانتخابات ، وأنا « ملبوخ » في قراءة شكواى وجنج ومخالفات وحضور جلسات . لو أن لدينا « بوليس مبرى » على النظام الحديث ، و « قاضى تحقيق » ينقطع لقضايا الجنائيات كما هو الحال في أوروبا والعالم للتقصير ! إنهم هنا يك ينظرون إلى أرواح الناس بعين الجديع . أما هنا فلا أحد يأخذ ذلك على سبيل الجد . وإن الأموال لتتفق هنا بسخاء في التافه من الأمور ، أما إذا طلبت لأقامة العدل أو بحسين حال الشعب فإنها تصبح عزيمة شخصية تقبض عليها الأيك المبرمجة كأبها مستلق في البحر هباء . ذلك أن « العدل » و « الشعب » ... الخ الخ كلمات لم يزل معناها غامضاً عن العقول في هذا البلد . كلمات كل مهمتها أن تكتب على الورق وتلقى في الخطب كنبرها من الألفاظ والصفات المنوثة التي لا يجس لها وجود (٣)

لفظت ذلك وقد وقعت عيني على أكوام الأوراق التي لا بد من إنجاز التصرف فيها فأحسست أن رغبتى في العمل قد فترت . فقال صديقى :

— الشغل ... هو آخر شئ مهم أسيادنا الرؤساء الكبار ! المحسوبة أولاً ، ومصلحة العمل أخيراً ، وكون نفس حضرتك تنسد أو تنفتح للشغل مسألة غير مفهومة بالرة ولا مهمة بالرة عند أسيادنا الكبار !

ونظر الزميل في ساعته ثم نهض سريماً مستأذناً فأمسكت به في لهفة . فوجدنا معاً وتقلب ذكرياتنا ببعض الراحة والعزاء :

— أقعد ! أنت راجح تتحدى عندي النهارده !

— مستحيل ! نيايتي قاضية ووقت مولد . أخرجوك تسامحنى ...

وشكر لي ومد إلي يده وودعني بسرعة وهو يقول مشيراً إلى ملفات الشكواى التي جاء بها :

— على الله نفسك تنفتح على السكم ورقه الهدية ... ويقي لك عندى الرمة الحاية الحلاوة ... حلاوة بصحيح : حمصية وحمصية وبالجز والوز والفتق ...

— طيب رح بقى ، ربقى جرى مقدماً ...  
وشيعته باسم إلى باب حجرى حتى اختفى ، فرجعت إلى ما كنت فيه ولكن في شئ من التناقل بالضييق والسكابة . وألقيت نظرة أخرى على « الشكواى » . ورأيت أن أمضى في عملى وأن لا أضيع الوقت في تيرم لافائدة منه ، لا يشعر به أحد ولا يراه أحد غير تلك الخيطان الأربعة التي تحبس روجى وأنفاسى . وأمسكت بالقلم . وتناولت من السكوم ملفاً وفتحته . وقرأت « باملاذ العدل » . فالتألمت أن تحكت بصوت مرتفع ضحكة مرة . أنا ملاذ العدل ؟ أين هو العدل ؟ إنى لا أعرفه ولم

فيها للوصول إلى معرفة الفاعل وأنه مواصل بمحته ومصر عليه لا يعتبر ذلك عذراً ، وسفاهة زملاؤه وحسبوه « غشياً » ونصحوه بأن « يحفظ » القضية « مؤقتاً » حتى تعتبر « متصرفاً فيها » ؛ فالجهات العليا يهملها ويطمئنها « التصرف » في القضايا أى « نفذ » اليد والفراغ منها كما يفرغ التجار من كراسي صنعها ، حتى تستطيع تلك الجهات أن تدون في الاحصائيات : « وقع في القطر هذا العام عدد كذا جنات ... تم التصرف في عدد كذا منها ... الخ » . وكلما كان عدد القضايا التي تم فيها التصرف كبيراً كان ذلك دليلاً ناصعاً على نشاط رجال المدل وغيرتهم على استتباب الأمن وحسن سير الدولاب الحكومى !! وأشار عبد المقصود أفندى بأصبعه إلى الملفات وقال :

— قبل كل شئ بإسعاد البك تصرف لنا في الحكم جنات الباقين لأجل أن أسدد كشف الجنات وأصدره للباشا النائب والوزارة ...

— بس كده ؟ حاضر !

وغمست القلم في المداد وتناولت القضية الأولى وهي قضية « قمر الدولة » :

— طالب تصرف ، خد تصرف !

ثم كتبت في ذيل المحضر الإشارة الموهودة :

« تحفظ القضية لعدم معرفة الفاعل ... الخ »

وسحبت « الجنات » الأخرى وفعلت بها مثل ذلك وناولتها رئيس القلم الجنائى وأنا أقول له في نبرة خرجت ساخرة مريرة على الرغم منى .

— مبسوط ! أودنا خلاص سدنا كشف الجنات !

( انتهى )

نور الدين الحكيم

حقيق . فلماذا ينتظر منى أنا أن آخذ على سبيل الجد روح « سى قمر الدولة علوان » ! إن هذا الجنى عليه قد مات وانتهى مثل غيره من مئات الجنى عليهم في هذا المركز والمراكز الأخرى في القطر ، ذهب دمهم جميعاً أرخص من المداد الذى حبرت به محاضر قضاياهم ، وانتهى ذكرهم عندنا « رسمياً » بذلك الاجراء الأخير البسيط : « تحفظ القضية لعدم معرفة الفاعل ويكتب للمركز باستمرار البحث والتحرى » . فيجيب المركز بعبارة مألوقة محفوظة يحمرها كاتب الضبط في حركة آلية وهو يقضم « شرش جزر » : « جازن البحث والتحرى .. » وهي كلمة الدواع التي تقبر بها القضية نهائياً . لقد كُلفت في قضية قمر الدولة « قمر » مضى ميز في أعيننا هذه القضية عن غيرها وحجب إلينا العمل والجهود في سبيلها . ولقد اخفق هذا القمر إلى الأبد . ترك القضية وعحقها في الظلام ! بل إنه بذهابه قد زال عنها ذلك الاعتبار الخاص فأصبحت قضية عادية كثالث القضايا التي لا يعيننا من أمر أشخاصها شئ . وللقضية أى لذلك « الملف » المادى من الورق المكتوب « شخصية » قائمة بذاتها في نظر رجال المدل . وإن ما يعنى جهاتنا الرئيسية هو ذلك « الملف » وسرعة التصرف فيه . وإنه لن يعيننا شئ إذا حفظنا القضية ، ولكن العيب كل العيب أن تظل هذه القضية باقية قيد التصرف ويثبت ذلك في « الكشوف » المرسلة إلى النائب العام والوزارة في آخر السنة القضائية . أى عار عند ذلك وأي إهمال ينسب إلى وكيل النيابة ؟ وأي مكاتبات مستحجلة وغير مستحجلة تسقط على رأسه من جميع الجهات عن سبب بقاء هذه القضية قيد التصرف ؟ فإذا أجاب بأنه لم يستوف بعد أبحاثه

لقد كان هذا  
السفر سيئاً وموفقاً،  
غير أنني حين نزلت إلى  
الشاطئ وجدت  
الطريق مغطى بمياه  
الأمطار الغزيرة، ومن  
المحتمل أن الشمس  
ستغرب قبل أن أُلح  
برج ذلك القصر العتيق  
حيث سيليزيت الخيرة

# أجلاقيين وسيليزيت

## رواية تمثيلية في خمسة فصول

للطبيب البلجيكي موريس مارتلك

بقلم الدكتور محمد غريب

أرادت أن تستقبل (أيم) شقيقها

سيليزيت مصفقة :

أوه، الشمس أذنت بالغييب، أنظر إذاً، لا بد  
أن تكون قد اقتربت، سأرى. ولكن «ميلياندر»  
يمنعها من الخروج بإشارة ويستأنف القراءة.

«أنا لم أرك إلا مرة واحدة» «يا ميلياندر»  
وكانت في وسط الحيرة والارتباك، لأنها كانت في  
يوم عرسى، ذلك العرس البائس الذي مع الأسف  
لم نلمح فيه ذلك الضيف<sup>(١)</sup> الذي لا يدعوه أحد،  
ولكنه كان يجلس دائماً في مكان السعادة التي  
تنتظرنا. لم أرك إلا مرة واحدة منذ ثلاثة أعوام،  
ومع ذلك فاني أجمء تحوكم بلا قلق كأننا كنا  
ننام منذ الطفولة في مهد واحد. إنني متأكدة  
أني أجد فيك أماً شقيقاً. نحن لم نتحدث معاً تقريباً  
ولكن الكلمات القليلة التي قلتها لي كان لها في مسمعي  
نبرات تغاير جميع النبرات التي سمعتها حتى الآن.

سيليزيت — لا تقرأ سريعاً إلى هذا الحد  
ميلياندر مستمراً في القراءة: «كم أنا أشتحنى

(١) المراد بالضيف الموت.

## أشخاص الرواية

تظهر في هذه الرواية خمس شخصيات، ثلاث  
منها تلعب دوراً جوهرياً، واثنان قليلتا الأهمية،  
فأما الثلاث الأول فهي شخصية «سيليزيت»  
وشخصية «ميلياندر» زوجها و«أجلاقيين» أيم  
شقيق «سيليزيت»؛ وأما الشخصيتان الثانويتان في  
هذه الرواية فهما شخصيتا «ميتجران» جدة  
«سيليزيت» و«إيساين» الفتاة الصغيرة.

## الفصل الأول

النظر الوحيد: يجري هذا النظر في إحدى  
قاعات قصر «ميلياندر» حيث تشاهد الجدة المعجوز  
مستغرقة في النوم على كرسي طويل ذي مسند عال  
في نهاية القاعة.

ميلياندر — سيليزيت :

ميلياندر ممسكاً بيده الرسالة التي وردت إليه  
من أجلاقيين يقرأ :

«لا تخرج لقابلي، بل انتظري في نفس  
القاعة التي تنتظري فيها عادة سماع دقائق الراحة  
حتى لا أحس أنني أجنبي: إنني أكتب إليك هذه  
الرسالة على أثر زروى من الباخرة التي كانت تحملني إليك.

سعيدة ويكي حين تكون حزينة ، على حين أنها هي شخصيا قد تبجل ما إذا كان يبني لها أن تكون سعيدة أو حزينة . وأنا لم أر قط شعرا تبعت منه الحياة كهذا الشعر . إنه يتحدثها في جميع الأحيان إذا صح أن نسمي إظهار الفضيلة المراد إخفاؤها خداعا ، لأنها ليس لديها ما تحاول أن تخفيه إلا الفضيلة

سيليزيت — أنا أعرف أنني لست جميلة

ميلياندر — لا تقول هذا الكلام أثناء وجودها هنا ، لأنه ليس من الممكن أن يقال أمامها كلام غير مجد كهذا الكلام . إذ أنها تظن بقوتها كل ما يخالف الحقيقة حولها .

سيليزيت — إنها تظن بقوتها كل ما يخالف الحقيقة حولها ... !

ميلياندر — سيليزيت ؟

سيليزيت — ميلياندر ؟

ميلياندر — إنه قد مضت علينا أربعة أعوام ونحن نعيش معا .

سيليزيت — إن العام الرابع سيكمل في نهاية هذا الصيف .

ميلياندر — ها هي ذى أربعة أعوام قد مضت وأنا أجلك ببجائي دائما جميلة ودائما محبة ووديدة ، والبسمة الحلوة التي تتم عن السعادة العميقة لاتفارق تفرك . أنت لم تبك كثيرا في هذه الأعوام الأربعة .

أليس كذلك ؟ اللهم إلا حين يفر من بين يديك أحد طيورك المحبوبة ، أو حين تشاك كسك جذتك ، أو حين تذوي إحدى زهورك المتفتحة قسك بين بضع عزرات قليلة ، ولكن عند ما يعود الطائر وتهدأ الجدة وتنسى الزهرة تعودن إلى القاعة ضاحكة مستبشرة دافئة الأبواب والنوافذ ، قافزة فوق ركبتي مقبلة خدى كأنك طفلة تعودن من المدرسة . وأحسب أنه بناء على هذا يمكن أن نقول : إننا كنا

أن أقبل سيليزيت ! لا بد أن تكون غاية في الخيرية وغاية في الجمال ما مدت تحبها وهي تحبك . سأحبها حتما أكثر من حبك إياها ، لأن التماسه علمني كيف أحب . والآن أنا سعيدة بأن تألت كثيرا ، وأستطيع أن أقاسمك الخير الذي يناله الأشقياء أثناء آلامهم . يحيل إلى أن الفداء الذي دفعته أنا يكفي لأن يقتدينا نحن الثلاثة ، وأن القدر لن يطالبنا بعد بشيء ، وأنا نستطيع منذ الآن أن نتحقق من وجود حياة قيمة ، وأنتا لن تنشغل بعد ذلك إلا بالسعادة ؛ فانت وأنا وسيليزيت كما بنأى عنها نظفر بالسعادة ، لأن السعادة لا تتبع إلا من نواحي الخير التي في داخل أنفسنا . سوف لا يكون عندنا ما يشغلنا إلا أن نصبح غاية في السمو حتى يجب كل منا الآخر أكثر مما يحبه الآن ، وحتى نصير أجيالاً بقدر ما تتحاب فيما بيننا . إننا سنشغل نفوسنا ونحوط أشخاصنا بالحب حتى لا ندع فيها مجالاً للشقاء ولا للحزن ؛ وإذا أراد الشقاء والحزن أن يتدخلنا بيننا على رغم كل هذا فيجب أن يصيرا عذرين قبل أن يطرقا بابنا »

سيليزيت — هل هي جميلة ؟

ميلياندر — من هي ؟

سيليزيت — أجلافين

ميلياندر — نعم هي جميلة جداً .

سيليزيت — من تشبه ؟

ميلياندر — إنها لاثبتة أية واحدة من النساء .

إنه جمال من نوع آخر ، وهذا هو كل ما أقول .

إنه جمال أكثر غرابة وأكثر سوا . إنه جمال ذو نواح متعددة . إنه جمال يدع الروح دائما تنعكس على الوجه دون أن يحول بينها وبين ذلك الانعكاس

مرة واحدة ، وسترين أن لها شعرا يصح أن يكون

الفرد العلم في بابه ، شعرا يضحك حين تكون

سيليزيت — أنا أعرف أنني لا أنهم ذلك  
 ميلاندر — أنت تفهمين بإسيليزيت — وإن  
 كنت لا تريد أن تعترفي بذلك — ولولا أنني واثق  
 من هذا لا حدثتك عن كل ذلك ؛ إن لك روحا  
 أعظم مما تظهرين لي ، وهذه الروح العميقة هي التي  
 تلهين باخفاؤها عني حين أبدأ في البحث عنها  
 لا تبكي بإسيليزيت فليس ذلك تأنيدا لك من جاني  
 سيليزيت — أنا لا أبكي ، ولماذا أبكي ؟  
 ميلاندر — ومع ذلك فأنا أرى شفتيك ترتشان  
 سيليزيت — إنني كنت أفكر في شيء آخر  
 لا علاقة له ألبتة بما تقول ، هل كانت شقية حقاً ؟  
 ميلاندر — نعم إنها كانت شقية بسبب شقيقك  
 سيليزيت — لعلها تستحق  
 ميلاندر — أنا لا أدري إذا كان في العالم سيدة  
 تستحق أن تكون شقية  
 سيليزيت — ماذا عمل لها أخي ؟  
 ميلاندر — إنها توسلت إلى ألا أبتك بشيء  
 مما فعله أخوك معها  
 سيليزيت — هل كنت تراسلان ؟  
 ميلاندر — لقد أريتك رسائلها أكثر من  
 مرة ولكنك لم تكوني تهتمين بقراءتها  
 سيليزيت — لا أذكر ذلك  
 ميلاندر — ولكني أنا أذكره جيداً  
 سيليزيت — أن رأيتها آخر مرة ؟  
 ميلاندر — أنا لم أراها إلا مرة واحدة ؛ ولقد  
 قلت لك ذلك آنفاً ؛ ولقد كان ذلك في حديقة قصر  
 شقيقك تحت الأشجار الوارفة الظلال  
 سيليزيت — في المساء ؟  
 ميلاندر — نعم في المساء  
 سيليزيت — ماذا كانت تقول ؟  
 ميلاندر — لقد قلنا يومئذ شيئاً قليلاً ولكننا  
 استطعنا أن نرى أن غايتنا واحدة

سعداء ، ومع ذلك فأنني أراني مضطراً أحياناً إلى  
 أن أسأل نفسي : هل يعيش كل منا قريباً من الآخر ؟  
 ولست أدري هل أنا الذي يوزعه الصبر لكي أبتعد  
 أو أنت التي تهربين مني بسرعة فائقة ، ولكن الذي  
 لاشك فيه هو أنني حيناً أريد أن أحادثك كما حدث  
 منذ لحظة ، فانك في أغلب الأحيان تكونين كما كنت  
 تجاوبيني من الطرف الآخر للعالم حيث تفرين مني  
 وتبحثين عن مأوى آخر ، ولا أعرف لشيء من هذا  
 كله سبباً . فهل حقاً أن أرواحنا تروح إلى هذا  
 الحد من المواقف الجديدة أو من ذكر الحقائق التي  
 تتعلق بالحب ؟ ثم ألم يحل هذا التباعد الزوجي بيننا  
 وبين بعض الأشياء التي كانت تستطيع أن تربط  
 بيننا أكثر من قبل الشفاه ؟ أنا لست أدري لماذا  
 أحس هذا الاحساس اللبلة أكثر من كل وقت  
 آخر ؟ هل السبب في هذا الاحساس هو ذكريات  
 « أجلافين » الأكثر حيوية ، أو هو رسالتها التي  
 بين أيدينا ، أو هو قدومها الذي أصبح مناقب قوسين  
 أو أدنى ؟ ذلك القدم الذي سيستخلص حتماً بعض  
 الشيء من قلوبنا .  
 يحيل إلى أننا قد تماينا بقدر ما يستطيع النوع  
 الانساني أن يتحاب ، ولكن حيناً تحضر  
 « أجلافين » سزداد حبنا ، وينبكون من نوع آخر  
 أكثر عمقا ؛ ولهذا السبب على الأخص ، أنا سعيد  
 بقدومها ، أما وأنا وحدي . فلا أستطيع هذا النوع  
 الجليل من الحب ، لأنني لا أملك القوة التي عندها  
 وإن كنت أرى الأشياء كما تراها . إنها إحدى هذه  
 الكائنات التي تعرف كيف تجمع القلوب إلى منابها ،  
 وحيناً تكون هنا سوف يشمر كل واحد منا بأنه  
 لا فرق بين ما هو عليه وبين الحقيقة .  
 سيليزيت — أحبها ، فإذا أحبتها فسأنصرف  
 ميلاندر — سيليزيت ... !



بها ؛ ولو أنك لم تكوني هنا لما استطعت أن أرى نفسي . أنا لا أجد شخصيتي ولا أبتسم لنفسي ، بل أنا لا أحبا إلا في ذاتك أنت . يحيل إلى غالباً حين أعانقك أني أعانق يا كيا جزء نفسي الذي ليس من هذا العالم الأرضي .

أجلافيين - وأنا أيضاً أقول بدوري باميلياندر حين أعانقك أني أعانق نفسي بعد أن أصير أكثر جالاً ؛ أنا لست حقيقة من الحقائق إلا حين تكون بجانبني ، ولا أسمع صوت نفسي إلا متمرجاً بصوتك . إنني أبحث عن نفسي خارج ذاتي فلا أجدها إلا ممثلة فيك . أنا لم أعد أعرف إذا كنت أنت ضوئي أو أنا نورك . إن امتزاج ذاتينا قد وصل إلى حد لا استطاع معه تمييز أن يبدأ أحداً وأن ينتهي الآخر . إنني أشعر أنني أزهري في نفسك كما تزهري في نفسي ، وأن كلنا منّا يتوالد في نفس الآخر بدون انقطاع .

ميلياندر - إنه لا يوجد شيء يباعد بيننا قليلاً إلا تلك الدهشة التي تخالج نفسي .  
أجلافيين - هذا حق ! إنني أدهش نهاراً وليلاً من أن كلنا مثلك يوجد في الحياة الواقعية .

ميلياندر - وأنا أيضاً أعترف بأن جميع حواسي لم تمد كافية لأن أهتمك . إنني أحسبني أحلم حين أراك ، وأحسبني أحلم حين أسمعك ، وأظن أنني في حلم حين لا أراك . وأعتقد أنني مخدوع حين لا أسمعك . فأبحث عنك ظناً أنني لا أزال مخدوعاً فأراك وأسمعك وأعانقك ، وفي هذه اللحظة نفسها أريد أن أفر ، لأبحث عن شيء أكثرنا كدّاً من هذا .

أجلافيين - وأنا أيضاً حيناً أكون بجانبك أود أن أبعدك عني لكي أراك أكثر امتزاجاً بي حين أكون منفردة ، ولكنني حين أكون وحدي

سيليزيت - وهل تماقنا

ميلياندر - متى ذلك ؟

سيليزيت - في نفس ذلك المساء

ميلياندر - نعم تماقنا في ساعة الفراق

سيليزيت - آه ..

ميلياندر - أنا لا أظن أنها ستمكث بيننا زمناً

طويلاً يا سيليزيت

سيليزيت - لي ، أنا أريد أن تمكث

بيننا الزوجان على هذه الحال إذ سمعنا ضجيجاً خارج المنزل فصاحت الزوجة قائلة : إنها جاءت ثم قفزت إلى النافذة وقالت إنه يوجد في المر الأسفل مصباح ، ثم تلت ذلك لحظة من السكون فتح الباب على أثرها وظهرت على عتبة « أجلافيين » التي لم تلبث أن دخلت واتجهت نحو سيليزيت بعد أن نظرت إليها نظرة قصيرة فاحصة

ميلياندر - تماقنا

أجلافيين - نعم . وعانقت سيليزيت ثم اتجهت

نحو ميلياندر وعانقته قائلة : وأنت أيضاً

## الفصل الثاني

### المشهد الأول

يجري هذا المشهد في حديقة القصر حيث يجلس

ميلياندر وأجلافيين على مقعد في هذه الحديقة

ميلياندر - لم يمض بعد أسبوع على مقامنا تحت سقف هذا القصر ، ولكنني لا أستطيع أن أتخيل أننا لم نولد في مهد واحد ، يحيل إلى أننا لم نفترق قط وأنني عرفت قبل أن أعرف نفسي ، إنك تظهرين لي سابقة على كينونتي نفسها . إنني أحس بروحك أكثر مما أحس بروحي . إنك أكثر قرباً إليّ من كل ذاتي . ولو أنه قيل لي : نج حياتك لبادرت إلى نتيجة حياتك أنت لكي أحيا

ميلاندر — ولكن هل كنت تستطيعين أن تحبيني كما أحبك قبل أن تربي؟  
أجلافيين — وأنت هل رأييني كما رأيتك قبل أن ألتقي بك؟

ميلاندر — أنا لا أصدق أن ما يحدث لنا الآن قد حدث لأحد غيرنا وأن توجد حياة أخرى تشبه حياتنا  
أجلافيين — آه إنني أعتقد أحياناً أن ذلك مستحيل  
ميلاندر — وأنا أيضاً ، ولهذا أرتاع .

أجلافيين — من ماذا أنت مرئع ؟ لقد وجد كل منا صاحبه ، فإذا يمكن أن يخشى بعد ذلك ؟  
ميلاندر — بالعكس إنما يجب على المرء أن يرتاع أكثر حين يكون سعيداً . إنه لا يوجد شيء يهدد الإنسان أكثر من السعادة ، وإن كل قبلة تتبادل بين المحبين يمكن أن توظف عدواً جديداً ، وفوق ذلك فإن هناك شيئاً آخر .

أجلافيين — ماهو ؟  
ميلاندر — هي سيليزيت .

أجلافيين — ثم ماذا ؟  
ميلاندر — هل فكرت في سيليزيت ؟

أجلافيين — نعم  
ميلاندر — أو ليس برؤعك هذا ؟

أجلافيين — لا . هذا لم يعد برؤعي  
ميلاندر — إنها يمكن أن تتألم

أجلافيين — ألا أستطيع أن أحبك كشقيق  
يا ميلاندر ؟

ميلاندر — ومع ذلك فإذا بكت فإذا يكون ؟  
أجلافيين — إنها لن تبكي طويلاً إذا صعدت

إلى صفنا . لماذا لا تصعد معنا إلى الحب الذي يتجاهل صفائر الحب ؟ إنها خير مما نقدد يا ميلاندر ، إننا سنعلم إليها يدنا ، وإنها ستعرف كيف تلحق بنا ، ومتى تحقق لها ذلك ، فإنها لن تبكي . إنها ستباركنا

أشعر بشيء يجذبني إلى البحث عنك ، لأنني أعتقد أن روحك تنتظرني بحالة أكثر عمقا ألف مرة مما أستطيع أن أتخيله . أنا لم أعد أعرف ماذا ينبغي عمله في وسط سعادة . كسادتنا . إنه ليخجل إلى أحياناً أنني شقية من فرط السعادة .

ميلاندر — أين كنت توجدني أثناء السنين التي صرت قبل أن يعرف كل منا الآخر .

أجلافيين — أنا كنت أفكر في أن أوجه إليك هذا السؤال نفسه ، لأن روحنا تتكلمان غالباً قبل أن ينفرج مفترقا عن ألفاظ .

ميلاندر — ومع ذلك فإنك حين تتكلمين فأنما هو صوتي أنا الذي أسمعه للمرة الأولى .

أجلافيين — وأنا حيناً تتحدث إلي فأنما هو قلبي الذي أستمع إليه ، وحيناً أضمت فأنما أستمع إلى قلبك . أنا لا أستطيع أن أجِد قلبي دون أن أتلاقى مع قلبك ، ولا أستطيع أن أبحث عن قلبك دون أن أجِد قلبي .

ميلاندر — إن روحنا كان يجب من غير شك أن تكونا في جسم واحد ، ولكن لست أدري لماذا وضعهما الإله في جسمين مختلفين .

أجلافيين — أين إذا كنت أثناء هذه الأعوام التي كنت أحيائها منفردة ؟

ميلاندر — كنت أنتظر كمنفردة أيضاً وإن كان ذلك بلا أمل .

أجلافيين — وأنا أيضاً كنت أنتظر منفردة ، ولكنني كنت أؤمل .

ميلاندر — ولكن من الذي قال لك : إن أحداً من هذا النوع ينتظرك .

أجلافيين — لم يقل لي أحد شيئاً ، ولم أك أعرف شيئاً إلا أن يكون المرء يعرف دون أن يعرف ، ولقد كنت أعرفك دون أن أراك .

ولكن يجب ان نعمل كل لو كنا نعرف ، وإذا كان لابد من الخطأ فالأفضل ان يخطئ الانسان على نفسه .  
ميلياندر — أنا أعرف ذلك ، ولكن كيف العمل ؟ .

أجلافين — إن القدر قد قرب بيننا فتعارفنا بهيئة قد لا يكون أحد سبقنا إليها ؛ لقد أحب كل منا الآخر حباً لا يستطيع شيء في الدنيا أن يفيره فيمنحك من أن تحبني أو يمنعني من أن أحبك .  
ميلياندر — إنني أعتقد ما تعتقدن ولا أرى شيئاً في العالم . . . . .

أجلافين — ومع ذلك فلو أنني أبكيت كائنا طاهراً ، هل ستظل تعرفني ؟ .  
ميلياندر — إنه من غير الممكن أن يبكي أحد بسبك إلا إذا كان مخدوعاً .

أجلافين — إن الدموع التي تنسكب خطأ هي مؤلة أيضاً .

ميلياندر — إنه لم يبق لنا إلا أن يفادر كل منا صاحبه يا أجلافين ، ولكن هذا مستحيل ، لأنني لا أستطيع أن أتخيل أن جننا ولد ليفي في الدموع ؛ وفوق ذلك فإنه يجب علينا أن نؤدي واجبنا نحو أنفسنا .  
أجلافين — أنا أعتقد ذلك أيضاً يا ميلياندر ، وأعتقد أن هناك شيئاً أفضل من الفراق ، لأن هذا الحب الجميل لم يولد ليوت .

ميلياندر — أألا أعرف لماذا ولدت هذه الأشياء . ولكني أعرف أن الدموع تجيء على غير انتظار .

أجلافين — إذا كان هناك أحد يجب أن يتألم فينبني أن تكون نحن . إن هناك ألف واجب ولكني أعتقد أن الانسان لا يتخدد إلا نادراً حيناً يجتهد في ان يرفع الألم عن الضمءاء ، ليحتمله هو نفسه .  
ميلياندر — ( ضاماً إياها بين ذراعيه ) : إنك جميلة يا أجلافين .

بدموعها ، لأن بعض الدموع خير من القبل .  
ميلياندر — هل تصدقين أنني أحبك كأخت ؟  
أجلافين — آه !

ميلياندر — وهل تعتقدن أنك تستطيعين أن أن تحبيني كأخ ؟ .  
أجلافين — حيناً تسألني عن هذا لا أعرف عنه شيئاً .

ميلياندر — لم أعد أستطيع أن أصدق ذلك ، إننا سنجاهد وسنقاوم وقتاً طويلاً ، وإن أبعد قوانا التي سنكسبها من الحب النفيس أو من الجمال التي الحقيقة العميقة ستهلك في هذه المبالاة العابثة ، وبقدر ما قاوم سنجد بيننا رغبة تشبه ستاراً تريد كفافته شيئاً فشيئاً حتى تتأهي في الظلمة . ولا شك أن أسمي نواحي نفسينا ستعتمد أمام هذه الرغبة . تخيل إلى أنه لا يوجد في أعماق كل هذا إلا أشياء تافهة بين روحين وبين سعادتهما . هل النجوم والأزهار ، وألساء الصباح . أو الفكر والدموع . لا تتطور تبعاً للقبل التي تتبادلها معاً ؟ بل هل الليل نفسه له في نظر الأخت عين العمق الذي هو في نظر العشيقة ؟ ينبغي ألا نغلق الباب دون الحقيقة العميقة فنور حياتنا سيتضاءل أمام هذه الكذبة الصغيرة . أنت لست أختي يا أجلافين ، وأنا لن أستطيع أن أحبك كأخت .

أجلافين — إنه حق أنك لست أختي ، وهذه قطعة آلامنا من غير شك .

ميلياندر — أنت أيضاً إذا تخمين الألم العابث .  
أجلافين — أنا لا أحب إلا الألم الذي أحتمله عن الآخرين .

ميلياندر — وأي ألم ذلك الذي نحمله هنا عن الآخرين دون أن ننقد أنفس مالدينا ؟  
أجلافين — نحن لا نعرف ذلك حتى الآن ،

يسألني الصفح عنه ، وجينا يتماقنان يجب أن أختفي  
 كالو أننى كنت قد سرقت شيئاً . إنها قد خرجا  
 أيضاً هذا المساء ، لقد غاب عنى أثرها في الحديقة .  
 إن سيليزيت الصغيرة لا علم لها البتة بسرهما ، وإنه  
 لم يعد يتحدث إليها أحد منهما إلا باسمها ولا يتقدم  
 إليها إلا بقبلة فوق الجبهة أو بشيء من الزهور أو  
 الفواكه . إن سيليزيت الصغيرة محمية الآن بهذه  
 الأجنية ، إنها يماقنهما باكين ، ليقولا فيا بينهما  
 وبين أنفسهما : أوه ! يا للسكينة الصغيرة ! إنها لن  
 تنصرف ، ولكنها لن ترى شيئاً . على أثر ذلك  
 يتناول كل منهما يد صاحبه ، نعم نعم إلى هذه  
 اللحظة . . . صبرا صبرا . . . إن سيليزيت سيكون  
 لها يومها ، إنها لا تعرف إلى الآن ماذا تفعل ، ولكن  
 صبرا صبرا ، سنى »

وبينا هي كذلك إذ بها تلمح أجلافين نائمة على  
 المقعد الملاصق للحفرة ، فاقتربت منها قائلة : إنها  
 منفردة أيضاً ، وهذا الذى على وجهها ؟ أهو شعاع  
 القمر ؟ أم هو نصفها (١) الأبيض ؟ إنها نائمة ،  
 ماذا سأعمل ؟ إنها لعل شاطئ الحفرة من حيث  
 لا تدري ، فلو أنها تحركت أقل حركة لسقطت  
 في الهوة ، وفوق ذلك فقد أطرططر المطر ، وإنها قد  
 غطت رأسها ، ولكن صدرها ظل مكشوفاً ، إنها  
 مبللة بالياه وستصاب بضربة برد ، لأنها لا تعرف  
 جو هذه البلاد ، هل سقطت على هذا المقعد أو هي  
 مريضة ؟ آه . إنها تضطرب في نومها ، سأعطىها  
 معطى ، ثم غطت أجلافين بمعطفها وأزاحت الثياب  
 عن وجهها . إنها تنام نوماً عميقاً . أنا أظن أنها  
 بكت ، إنها لا تلوح عليها علامة السعادة ولا يظهر  
 على وجهها أنها أسعد منى ، إننى أرى أنها لا تزال

(١) النصف : الثياب

أجلافين ( ضامة لياه بدورها ) : إنى أحبك  
 ياميلاندر .

ميلاندر — هل أنت التي تبكين يا أجلافين ؟

أجلافين — لا ، لست أنا ، وإنما نحن .

ميلاندر — وهل نحن أيضاً الذين نضطرب ؟

أجلافين — نعم

( في هذه اللحظة أخذ الحبيبان يتماقنان بحرقه  
 وإمهما لذلك إذ سمعا صيحة ألم ثم رأيا سيليزيت  
 فارة نحو القصر والهواء يعث بشعرها )

ميلاندر — ها هي ذى سيليزيت .

أجلافين — نعم .

ميلاندر — إنها سمعتنا وفرت نحو القصر .

أجلافين — ( قائلة وهي تشير إلى سيليزيت ) :

إذهب إليها .

ميلاندر — نعم

( قال هذا وانفلت مسرعاً نحو سيليزيت بينما  
 استندت أجلافين إلى شجرة من أشجار الحديقة  
 وأخذت تبكي بكاء صامتاً )

### المنظر الثاني

يقع هذا المنظر في حديقة القصر على شاطئ  
 حفرة مغممة بالياه حيث ترى أجلافين نائمة على  
 مقعد من الحجر ملاصق لحافة الحفرة .

سيليزيت تتحدث نفسها قائلة : « سيليزيت  
 الصغيرة لا ينبغي أن تبكي ، إنه يشفق علىّ ، لأنه لم  
 يعد يجنبني ، وأنا كذلك لم أعد أحبه ، إمهما يتقدان  
 أنى سأظل هادئة ، وأنه حسبي أن يعاقني وهو  
 متجه إلى ناحية أخرى .

سيليزيت — سيليزيت ، هذه الكلمة تقال  
 بحنان ، وبحنان أكثر من المتاد ، إنه ينظر إلى  
 شيء آخر حين يعاقني الآن ، أو هو ينظر إلى كأنما

أجلافين - أنا أرجوك ألا تحاولي الفرار في اللحظة التي كل مافي كينوتك من عمق وسعة قد أراد أن يتجه نحوي . هل تعتقدن أنني لا أسمع الجهود التي تتفعل الآن في نفسك؟ هل تعتقدن أن كلاً منا سيكون أكثر قرباً إلى صاحبه في أي وقت آخر منه الآن؟ لا ينبغي أن نضع كلمات نافهة تشبه الشوك بين قلبينا المسكينين. فلنتحدث ككاثنين مسكينين من بني الانسان كما هي حالتنا وكما يتكلم كل كاثنين بقدر ما يستطيعان، أي بأيديهما وأعينهما وروحهما كما أرادا أن يتحدّثا عن شيء أكثر حقيقة من أن تسمو إليه الألفاظ . هل تعتقدن أنني لا أسمع قلبك حين يفيض بمختلف المواقف وشقي الاحساسات؟ عاقبتني في هدوء هذا الليل ودعيني أحوطك بذراعي، وإذا لم تستطعي ان تجاوبيني فلا تهمني لذلك، لأن في داخل نفسك شيئاً انا اسمعه كما تسمعه انت سواء بسواء .

سيليزيت - (باكياً) أجلافين ...

أجلافين - (باكياً) وأجلافين أيضاً تبكي، إنها تبكي، لأنها تحبك ولأنها هي أيضاً لا تستطيع أن تقول بالضبط ما ينبغي لها أن تعمل وما ينبغي لها أن تقول . ها نحن أولاء وحدنا يا سيليزيت المسكينة؛ ها نحن أولاء وحدنا، فلتضم كل واحدة منا الأخرى في هذه الظلمة . إن السعادة أو البأساء اللتين ستزلمان بنا قد يوضع تصميم مصيرها في هذه اللحظة في داخل أنفسنا، ولكن أحداً لا يستطيع أن يعرف ذلك، وإنني كلما أسألت المستقبل عما يمكنه لنا لا أجد جواباً على سؤالي إلا الدموع . أنا أعتقد أنني أكثر جكمة، وحينما تجيء اللحظة التي تنبئ فيها المعرفة فناشعر أنني محتاجة إليك أكثر مما محتاجين إلى . ولهذا السبب أنا أبكي، ولهذا السبب أنا أعاشقك هكذا حتى يقترب كل واحد منا من صاحبه بقدر المستطاع

تبكي، إنها جميلة حين تكون ممتعة هكذا حتى لكأنها مترجة بأشعة القمر! لا ينبغي إيقاظها بنته لأنها يمكن أن ترنح وتسقط في الهوة . قالت هذا وانحنت عليها برقة ثم نادتها بهدوء: أجلافين! أجلافين! (مستيقظة) : آه! الجو مضى، سيليزيت - خذي حذرَكَ إنك على الشاطئ، لا تتحركي فيأخذك الوم .

أجلافين - أين أنا؟

سيليزيت - إنك على حافة خزان المياه الحلوة للقصر، ألم تكوني تعرفين ذلك؟ وهل جئت وحدك إلى هنا؟ كان ينبغي أن محتاطي، إن هذا هو المكان الخطر .

أجلافين - إنني لم أكن أعرف ذلك، لأن الجو كان مظلماً فلم أر إلا هاتيك الشجيرات التي حالت بيني وبين رؤية المساء، وإلا هذا المقعد؛ وقد كنت حزينة ومتمية فتمت .

سيليزيت - هل أصابك البرد؟ أحكي علي جسمك المعطف .

أجلافين - ما هذا المعطف؟ إنه لمعطفك يا سيليزيت، إنك أنت التي غطيتني حينما كنت نائمة، لكن أنت التي أصابك البرد، تعالى هنا لأدرك أيضاً . إنك ترتمشين أكثر مني . قالت هذا والتفتت نحو الحفرة ثم صاحت : آه ... الآن قد أشرق القمر، فأنا أرى الماء يلعب بين جدران الهوة فلو أنني تحركت أدنى حركة ... هل أنت ... يا سيليزيت ... (ثم نظرت إلى سيليزيت)

سيليزيت - لا يمكنك هنا، هذا هو مكان الحمى أجلافين - لا ينبغي أن نضيع فرصة مثيلات هذه اللحظات، لأنها لا تتكرر . لقد رأيت روحك يا سيليزيت، لأنك أحببتني بالرغم منك حين أيقظتني آنفاً .

سيليزيت - إننا سنصاب بالبرد يا أجلافين .

كيف تسمعين ذلك .

سيليزيت — إن المستقبل لا يشبه الماضي في هذه الناحية ، بل إنه شيء آخر يفارقه تماماً .  
أجلافين — إن هذا الذي كنت لا تسمعيه يا سيليزيت لا يمكن أن يسمع بالآذن ؛ وهذا الذي تسمعيه الآن لا تسمعيه بأذنك حقاً ، لأنك في الحقيقة لا تسمعين الألفاظ التي أقولها لك ، وإنما تسمعين أنني أحبك .

سيليزيت — وأنا أيضاً أحبك  
أجلافين — ولهذا أنت تسمعين وتفهمين جداً ما لا أستطيع أن أقوله : ليس يدانا وحدثهما اللتين تتماثلان الآن يا سيليزيت السكينة ، ولكن ملياندر يحبك أيضاً ، فلماذا لا تسمعين إليه ؟

سيليزيت — إنه ليس مثلك يا أجلافين .  
أجلافين — إنه خير مني ، إنه لا بد أن يكون قد تحدث إليك أكثر من مرة وبأسلوب لا أستطيع أن أصل إليه .

سيليزيت — لا لا ، ليس الأمر واحداً في الحالتين ؛ اسمي : أنا لا أستطيع أن أقول لك بالضبط ما معنى هذا ؟ وإنما كل ما أعرفه أنه حيناً يكون موجوداً أختي في داخل نفسي ، أنا لا أريد أن أبكي ولا أريد أن يعتقد أنني أفهم ما يجري ، لأنني أنا أحبه أكثر مما ينبغي .

.....  
سيليزيت — أوه ، إنني بدأت أحبك يا أجلافين  
أجلافين — أنا أحبك منذ وقت طويل يا سيليزيت  
سيليزيت — أما أنا فلا ، لأن حين رأيتك للمرة الأولى لم أكن أحبك ثم أحبيتك مع ذلك . لقد غميت لك سوءاً في وقت من الأوقات ، ولكنني لم أكن أعرف أنك هكذا ، لو أنني كنت في مكانك لكنت مؤذية .  
أجلافين — لا لا يا سيليزيت السكينة ، إنك في داخل نفسك لست خبيثة ولم تكوني لتصبحي

طيقاً لما يتركز في نفسنا من عواطف ، لقد آلتك كثيراً في هذا الصباح .

سيليزيت — لا لا ، أنت لم تؤليني .  
أجلافين — لا ، بل آلتك كثيراً في هذا الصباح ، وأريد ألا أقدم إليك شيئاً من ذلك في المستقبل ، ولكن ماذا ينبغي أن يعمل الإنسان حتى لا يؤلم من يحبه ؟ لكأنني ألحظ هو منشأ الألم ، إذ لا يكاد المرء يحب الآخر حتى يكون هذا الحب محلبة لآلام المحبوب ، وهكذا في اللحظة التي أحسست فيها بأنني أحبيتك أكثر من ذي قبل ، طبعت على خدك القبلية التي أبكتك للمرة الأولى .

سيليزيت — لقد بكيت يا أجلافين ، ولكنني لم أكن عاقلة ، وسوف لا أبكي بعد الآن  
أجلافين — يا سيليزيت السكينة : إن الشخص لا يعرف بالضبط متى يكون عاقلاً ولا ينبغي أن نسأل الذين يكونون : هل هم متفعلون أو غير متفعلين ؟ وإنما يجب أن نبحث بكل بساطة عما ينبغي أن يتخذ من الوسائل لنفهم من البكاء .

سيليزيت (باكياً) — أجلافين . . .  
أجلافين — ماذا حدث ؟ إنك لشديدة الاضطراب  
سيليزيت — إنني لم أكن قد رأيتك نائمة قبل الآن يا أجلافين .

أجلافين — ستريني نائمة منذ الآن كثيراً يا سيليزيت .

سيليزيت — إنه لم يتحدث إلي أحد قط بهذه الطريقة .

أجلافين — طي ، طي ، يا سيليزيت السكينة . من المحتمل أن يكون قد قيل لك ما يقال للناس جميعاً ، لأن كل أحد يستطيع أن يقول مثل هذا الكلام متى أراد ، ولأن كل كائن لا بد أن يظفر بجماع مثل هذا الأسلوب متى انتهز فرصة الحديث الضروري له ، ولكنك أنت لا تعرفين إلى الآن

منا نحن الاثنين .

سيليزيت — أنا لا ادري لماذا ابكي، انا لست شقية ، انا سعيدة بأن ابقظتك يا اجلافين .

اجلافين — وانا ايضا سعيدة بأن ابقظتك يا سيليزيت<sup>(١)</sup> . تعالى تنصرف من هنا ، إذ لا ينبغي المكث طويلا في نفس المكان الذي سعدت فيه روحانا بما لم يتح للنوع الانساني ان يسعد به .

### المظهر الثالث

يقع هذا المظهر في جناح من اجنحة القصر حيث تشاهد سيليزيت وميليجران جدتها العجوز في نهاية القاعة يتحادثان تحت ستار الظلام ميليجران — انت لم تعدى تقوين على الاحتمال ياسيليزيتى المسكينة ، لا تقولى : لا . لامهزى راسك بحففة دموعك .

سيليزيت — ولكن يا جدتي انا قلت لك : إننى ابكى لأننى سعيدة .  
ميليجران — لا يبكي الانسان هكذا حينما يكون سعيداً .

سيليزيت — طي ، إن السعيد يبكي هكذا مادمت أنا أبكى هكذا .

ميليجران — إستمعي إلى يا سيليزيت ، لقد سمعت ما كل قصصه على هذا المساء في موضوع أجلافين ، أنا لا أعرف أن أتكلم مثلها ، أنا لست إلا امرأة عجوز لا تعرف شيئاً كثيراً ، ولكننى تأملت أيضاً في شبان . أنا ليس لى في العالم إلا أنت ، وإننى أقرب من القبر ، وكل هذه العوامل تظهر لنا من الحقائق ما قد يكون أقل جمالا مما تحدثنا عنه أجلافين ، ولكن ليس من اللازم دائماً أن تنبصر الحقائق الأكثر جمالا على الحقائق الأكثر بساطة

مؤذية ، وإنما فقط كنت لا تعرفين كيف يكون الانسان خيراً حيناً يكون شقيماً . يحتمل أنك كنت تظنين إذ ذاك أن واجبك يقضى عليك بأن تكونى مؤذية مادامت الشجاعة تموزك لأن تكونى خيرة .  
يشعني الانسان الشر لجميع الذين يهينونه ولكن عند ما يحدث لهم أقل ألم تنعكس الآية ، ويشعني أن منحهم كل ماله من سعادة حتى يحول بينهم وبين البكاء ، ولكن لماذا لا يحجم قبل ان يصبحوا نساء ؟ لا يخطئ الانسان إذا أحجم مقدماً ، لأنه لا يوجد في هذه الحياة كائن واحد يستمتع بالسعادة طول حياته .  
سيليزيت — أريد أن أعاقبك مرة أخرى يا أجلافين . . . . إن هذا لشيء عجيب ، في مبدأ الأمر لم أكن استطيع ان أعاقبك . كنت ادهب فك ولا ادري لماذا . والآن ، هل يبقك غالباً ؟

اجلافين — هو .. ؟

سيليزيت — نعم

اجلافين — نعم ياسيليزيت ، هو يقبلي ، وانا اقبله ايضاً .

سيليزيت — ولماذا ؟

اجلافين — لأنه توجد اشياء لا يمكن ان تقال إلا في حالة العناق ، وذلك لأن أكثر الأشياء عمقا وقاء لا يمكن ان تبرز من الروح إلا حين تدعوها التبل للبروز .

سيليزيت — أنت تستطيعين أن تقبليه أمانى يا أجلافين .

أجلافين — أنا لن اقبله بعد الآن إذا كنت تريدن ذلك ياسيليزيت .

سيليزيت — ( باكية فجأة ) وتستطيعين أن تقبليه دون أن أراك .

( قالت هذا وانحنت على كتف اجلافين واستمرت في البكاء ) .

أجلافين — لا تبكى يا سيليزيت ، لأنك خير

(١) المراد بالجملة الأولى هو إقظاظ سيليزيت لأجلافين من فوق حافة الهوة والمراد بالجملة الثانية هو إقظاظ أجلافين لسيليزيت من الناحية الروحية .

هو ذلك الذي تسكينته ، ولكنني قلقة منذ بضعة أيام ، ولقد قلت لنفسى أكثر من مرة : إن وراء هذه الحقيقة التي يمكن أن ندرکہا حقيقة أخرى أكثر خطراً وعمقاً وإنها تنتظر في أعماق نفوسنا ساعتها المحددة ، وإن كل كائناتنا لا تستطيع أن تنجو بسمتها ولا أن تحجب السموم من عينيها ، وإنني أعتقد أنني وجدت اليوم هذه الحقيقة التي تصيرنا برغم مجهوداتنا . وذاعاً يا سيليزتي ، قلوبني قد تقدم بنا الليل ، وميلاندر ينتظرك

سيليزت — ألا تحبين لتقبله مني  
أجلافيين — أنا لن أقبله بعد الآن ، أنا سأقبلك أنت حين ستكون معاً ، وسأستطيع أن أقول له كل ما ينبغي أن يقال له كما لو كنت أقبلك

سيليزت — ماذا حدث ؟ إن عينيك تلمعان كأنك تحبين عنى شيئاً  
أجلافيين — بالعكس إن عيني تلمعان ، لأنني لم أعد أخفي شيئاً ، لقد عرفت أنه يحبك ، إنه يحبك بهيئة أعمق مما كان يظنه هو نفسه

سيليزت — وهل قال لك ذلك ؟  
أجلافيين — لا ، ولو أنه قاله لي لما كنت متأكدة منه مثل تأكدي الآن

سيليزت — لكن ، وأنت ؟ ألم بعد يحبك ؟  
أجلافيين — إنه يحبني أقل مما يحبك  
سيليزت — أوه يا أجلافيين للسكنية إن هذا غير ممكن ، لماذا هو يحبك أقل مني ؟ ماذا تريد أن أفعل ؟ ينبغي ألا تظلي وحدها هذا المساء إذا كنت تعتقدين أنك لست سعيدة ، هل تريد أن أمكث معك ؟ سأقول له ....

أجلافيين — إذهي ، إذهي ، أسرع يا سيليزت ، أنا لن أكون أبداً أكثر سعادة في أي وقت مني في هذا المساء . فالتنا ذلك ثم تعانقتا في ضمت وخرجتا متتايمتين ( البقية في العدد القادم ) محمد غنوب

وشيوخوخة . أنا لا أرى إلا شيئاً واحداً يا سيليزتي السكنية وهو أنك — بالرغم من ابتسامتك التي تظهرها — عندما تعتقدين أنك منفردة تتمتعين وتبكين . لا ينبغي للانسان أن يغالب قواه النفسية إلى هذا الحد . عشا قيل : إن البكاء برهان عدم العقل ، إذ حين يصل الانسان مثلي إلى نهاية الحياة يكون قد رأى كثيراً أن البكاء هو وحده برهان الحقيقة ، لأن القدر هو الذي يتحدث من خلال السموم ، وأن السموم التي تصعد إلى أعيننا إنما تجيء إليها من أعماق المستقبل

(إنهما لكذلك ، وإذا بأجلافيين تدخل عليهما دون أن يلحاهما)

ميليجران — (مستمرة في الحديث) لقد بكيت كثيراً يا سيليزتي السكنية فيماذا تريد أن ينتهي كل هذا ؟ لقد فكرت طويلاً في هذا كله ، وأنا في هذه الزاوية واجهت أن أتحدث إليك بلهجة هادئة بالرغم مما أعانيه من ألم حين أراك تتألمين ظلاماً . إنه لا يوجد من الحلول الانسانية لعقدة هذه الأحران إلا حل واحد ، وهو أن تتخلى واحدة منك إما بالموت وإما بالانصراف . ومن التي يجب أن تنصرف إذا لم تكن تلك التي أتى بها القدر متأخرة

سيليزت — ولماذا لا تكون التي أتى بها القدر متقدمة  
أجلافيين — (متقدمة نحوها وهي تقول) : لا ينبغي أحد قبل الأوان يا سيليزتي السكنية ، وإنما ينبغي كل في ساعة معينة ، وإنني أعتقد أن الجدة محقة  
سيليزت — إذا كانت الجدة محقة ، فالتنا

ستنصير تيسات

أجلافيين — وإذا كانت الجدة مخطئة ، فالتنا سنبتكي أيضاً . ماذا تريدن يا سيليزت ونحن لا نملك إلا الاختيار بين دموعنا فحسب ؟ ولو أنني لا أستمع إلا إلى تعقلى الضعيف لقلت لك : إنه ينبغي أن تختار الحل الذي هو أكثر جمالاً ، والأكثر جمالاً هنا





خاطبتني بها هذا النهار »

وفيا عدا الفتية الصاخين في الحانة كان جميع أهل القرية في فراشهم بأعين ، قسطل داود في هدوء إلى غرفته في بيت أبيه ، وجمع متاعه القليل في حزمة حملها على عصا وانطلق في الطريق الخارجة من فرنوى .

ومر بنم أبيه وقد تجمعت في حظيرتها الليلية — وهذه الغم هي التي كان يراها كل يوم فتركها مشردة بينها هو يكتب الشعر على قصاصات من الورق ، فرأى نوراً لا يزال مضيقاً في نافذة إيفون ، فزعزع عزيمته شيء من الوهن المفاجئ . ومن الجائر أن يكون معنى ذلك النور أنها قد ندمت ، ساهدة ، على ما بدا من غضبها ، وأن صباح الغد قد يحمل معه ... ولكن لا ! لقد استقرت عزيمته ، فليست فرنوى بالمكان اللائق به ، فما فيها من إنسان واحد يشاطره آراءه وأفكاره . وهناك على مدى هذه الطريق يقوم حظه ومستقبله .

وكانت الطريق تمتد مسافة ثلاثة فراسخ في خط مستقيم كأحدود المحراث ، وهي مسافة قطعها الفتى في الظلام . وكان أهل القرية يعتقدون أن هذه الطريق تصل على الأقل إلى باريس . واسم باريس هو الاسم الذي كان الشاعر يهتف به لنفسه في أغلب الأحيان كلما مشى من مكان إلى مكان . ولكن

لأن أسير في طرق كثيرة باحثاً عما سيكون أحل قلباً صادقاً قوياً يضيئه الحب فهل ترى تهود في هذه الطرق ، في معركة الحياة ، إلى إصابة ما كتب لي في لوح القدر أم إلى تغاضيه أم إلى تلطيفه أم إلى تسويته ؟ « من الشعر غير المطبوع لداود ميخوت »

انتهت الأغنية ، وكان المنفى هو داود ، وكان المكان إحدى قرى الريف ، فصفت الجماعة الصغيرة الملتفة حول مائدة الحانة تصفيقاً حاداً هو صدى حماسهم القلبية ، فقد دفع الشاعر الصغير ثمن الشراب . ولم يثد عن الجماعة غير موسيو باينو . مسجل العقود ، مكتفياً بأن هن رأسه عند صياح ذلك الشعر ، لأنه من أهل العلم ولم يكن قد شارك القوم في احتساء الخمر .

وانطلق داود إلى الطريق الرئيسية في القرية حيث أطار هواء الليل ما بقي في رأسه من أثر الخمر فذكر أنه وإيفون قد تشاجرا في أثناء النهار ، وأنه قد اعترم أن ينادر بيته تلك الليلية ليسبح عن الصيت والشرف في العالم الواسع وراء هذه القرية الضيقة .

وقال الفتى يحدث نفسه في شيء من الوهو البهيج :

« ومتى جرى شعري على ألسن الناس جميعاً فقد تفكر . يومذاك في الكلمات الشديدة التي

ضخم كهامته ولكنه رققه بالصناعة والعادة :  
 « لتدخل إلى العربية » ، ولم يكن سامع هذا  
 الصوت ليستطيع غير الطاعة ؛ وعلى الرغم من أن تردد  
 الفتى لم يطل ، فإن تكرار الأمر من السيد قضى على  
 كل أثر للتردد ، فارتفعت قدم داود من تلقاء نفسها  
 إلى سلم العربية وقد رأى في الظلام سيدة جالسة على  
 المقعد الخلفي ؛ وبينما هو يتأهب للجلوس على المقعد  
 المقابل إذا بصوت السيد الضخم ينحضه لأمره من  
 جديد وقد قال :

« لتجلس إلى جانب السيدة »

وجلس السيد على المقعد المقابل ، ومضت  
 العربية تصعد المرفق . وكانت السيدة منكشة في  
 مكانها صامتة لا تنطق ولا تتحرك . ولم يكن في  
 مقدور داود أن يحكم من منظرها إذا كانت صغيرة  
 أو كبيرة ، ولكن شذا عطرياً رقيقاً انبعث من  
 ملابسها أتى في روع خياله الشرى أن وراء ذلك  
 السر النامض شيئاً جليلاً ، إذن هو على باب إحدى  
 تلك المناصير التي كثيراً ما حلم بها ، ولكنه حتى  
 هذه اللحظة لم يهتد إلى مفتاح ذلك الباب ، إذ لم  
 ينبس أحد بكلمة في أثناء جلوسه مع رفاقه الصامتين  
 وبعد ساعة لاحظ داود من خلال النافذة أن  
 العربية تجتاز طريقاً إلى إحدى المدن ، ثم وقفت العربية  
 أمام بيت مغلق مظل ؛ ونزل أحد الخدم من العربية  
 ففتح الباب دقاً عتيقاً سريعاً ، ففتحت نافذة مشبكة  
 من الطابق العلوى وأطل منها رأس معصوب وسمع  
 صوت يقول :

« من أتم يا من تقلقون الأشراف النائين في  
 مثل هذه الساعة من الليل ؟ إن بيتي مغلق . وليست  
 مثل هذه الساعة هي الساعة التي يبق فيها السائحون

داود لم يتعد من قبل عن قريته مثل هذه المسافة  
 الطويلة .

### طريق الشمال

قطع الفتى ثلاثة الفراسخ في خط مستقيم ، ثم  
 وقف متحيراً ، فقد التقت الطريق بطريق أخرى  
 أوسع منها ترسم معها زاوية قائمة . فبقى لحظة  
 لا يستقر على رأى ، ثم سلك طريق الشمال .

وفي هذه الطريق العامة الأعظم شأناً من سابقها  
 رأى الفتى آثار مجلات حديثة المرور ، وبعد نصف  
 ساعة رأى العربية التي خلقت هذه الآثار ، وهي  
 عربية هائلة ثقيلة غرزت مجلاتها في مجرى موحل  
 عند قاعدة تل شديد الانحدار ، وكان السائق  
 ومساعدوه في خفة وصخب يشدون لجم الخيل في  
 عنف ليستحثوها ولكن على غير طائل . وقد وقف  
 على إحدى جانبي الطريق سيد ضخم الهامة يرتدى  
 السواد ، وإلى جانبه سيدة هيفاء القوام متشحة  
 بعباءة طويلة خفيفة .

وأدرك داود افتقار الخدم إلى المهارة فيما يبدلون  
 من جهد لإخراج العربية من وحلها ، فتقدم في  
 هدوء يتولى إرشادهم إلى ما يجب أن يعملوا ، فطلب  
 من الخدم الواقفين خارج العربية أن يكفوا عن  
 صخبهم وأن يوجهوا جهدهم وقوتهم إلى المجلات  
 وأن يكفوا السائق وحده بتحميس الخيل بصوت  
 البادى . وأسند داود كتفه القوية إلى مؤخرة  
 العربية ودفعها دفعة شديدة حركتها فاجتازت  
 المجلات المجرى الموحد إلى الأرض الصلبة ، فأسرع  
 الواقفون في الخارج بالتسلق إلى أماكنهم .

ووقف داود لحظة على قدم واحدة ، فلوح  
 الرجل الضخم الهامة يده في الهواء وقال في صوت

«مولاي... لو كنت على علم بمقدمكم لأعددت ما يجب لمقامكم الرفيع من أسباب التكريم. وعندى الآن خبز ودجاجة باردة وقد يكون هناك...»  
فقال المركز وقد بسط أصابع يده العليظة البيضاء:  
«الشموع...»

قال الرجل: «أمرك يا مولاي»  
وأحضر ست شمعات أشعلها ووضعها فوق المائدة وقال:

«لعل مولاي يتفضل بتذوق نوع من خبز بورجندي فعندى قنينة...»  
فقال السيد باسطة أصابعه:  
«الشموع»  
قال الرجل:

«أمرك يا مولاي... في الحال سأطير بها إلى مولاي...»

وجاء الرجل باثني عشرة شمعة أخرى أشعلها فأضيئت الغرفة. وكان جسم المركز الضخم قد غطى الكرسي الذي يجلس عليه، وكان يرتدى من قمة رأسه إلى أخمص قدمه ملابس رقيقة سوداء فيما عدا الزركشة البيضاء حول معصيه وعنقه. وحتى قبضة سيفه وغمدته كانا أسودين. وكانت ملامح وجهه تنم عن كبرياء ساخرة. وكانت سبالاه المقوصان إلى أعلى يكادان يلامسان عينيه المازنيتين وجلست السيدة جامدة لا تتحرك، وقد لاحظت داود على ضوء الشموع أنها صبية وأنها ذات جمال محزون جذاب. وقد قطع عليه تأمله في حسنها صوت المركز القوى وقد صاح به:

«ما اسمك وما صناعتك؟»

«اسمى داود ميجنون، وأنا شاعر»

الأخير خارج الأبواب. فكفى طرفاً على بابي وانصرفوا»

فصاح الخادم في صوت يقرب من الصراخ:  
«افتح... افتح للسيد المركز دى بويرتيز»  
فصاح الرجل المثل من النافذة:

«آه. عفواً ألف مرة يا مولاي، إني لم أستطع معرفتكم - فالساعة متأخرة - سيفتح الباب في الحال وسيكون البيت رهن أمر مولاي

وسمع من الداخل رنين سلسلة من الحديد وصوت محرك الزلاچ وفتح الباب على مصراعيه، ووقف صاحب بيت القنينة الفضية على عتبة الباب منتفضاً من البرد والخوف، يحمل شمعة في يده وهو نصف عار.

وخرج داود من الغرفة وراء المركز الذى ألقى إليه بهذا الأمر:

«ساعد السيدة في النزول»

فأطاع الشاعر الأمر وأحس بيد السيدة ترتجف وهي تهبط السلم. ثم دوى في أذنيه صوت المركز ملقياً إليه بهذا الأمر الجديد:

«ادخل البيت»

وكانت الغرفة التي دخلوها غرفة مائدة الفندق المستطيلة. وقد وضعت في وسطها مائدة كبيرة من خشب البلوط. جلس السيد الكبير الهامة على كرسي عند أذن طرفها إليه، وجلست السيدة على كرسي يجوار الجدار، وقد بدا عليها أثر الضجر الشديد. ووقف داود يفكر في أصح الطرق للاستئذان في الانصراف والاطلاق في طريقه.

وقال صاحب الدار وقد انحنى حتى كاد جبينه يلمس الأرض:

وكأنما هو بيت هائل قد أغلق جميع أبوابه ونوافذه في وجه القادمين . وكان من أمانى داود أن يتكلم ولكن منظر الرجل الهائل قد عقد لسانه . فوقف إلى جانب كرمى السيدة وأنحى وقال - وقد عجب في نفسه من انطلاق لسانه في سهولة أمام مثل ما تحتل به الحسنة الغريبة من عظمة وجمال :

« أيها الأنسة . لقد سمعتي أقول إنني راع . كذلك يلقي في روحي أحياناً أنني شاعر . وإذا كان من زعات الشاعر أن يعبد الجمال ويحبه فإن هذه الزعة قد قويت الآن في نفسي . فهل في مقدوري أن أقدم اليك بإسديتي خدمة ما في أية ناحية من النواحي ؟ »

فنظرت الفتاة إليه بعينين جافتين محزوتين . ولكن ما رأت على وجهه من أمارات الصراحة والاشراق ، ومظهر الجدل الذي نشأ عن خطر الغامرة التي واجهها ، وما تحتل لها من قوة جسمه واستقامته وما لحظت في عينيه من شفقة متدفقة ، ولكن ذلك كله وقد تضاف إليه أيضاً حاجتها الملحة إلى المساعدة والشفقة اللتين حرمتهما منذ زمان طويل ، قد بيث إلى عينيها بالدموع المفاجئة ...

وقالت الفتاة في لهجة خافتة :

« سيدى ، إنه ليبدو عليك أنك صادق شفيق ؛ وهذا الرجل هو عمى شقيق أبى ، وقربى الوحيد في الحياة . ولقد أحب أبى فهو ينفذنى لأبني أشاهبها . ولقد أحال حياتى إلى فزع طويل . وإنى لأخاف مجرد نظراته ، ولم أجرو قط من قبل على مخالفة أوامره . ولكنه الليلة كان على وشك أن يزوجنى من رجل تبلغ سنة ثلاثة أمثالي سنى ؛ ولعلك تساعينى إذ أبعث إلى نفسك الغضب بمثل هذا »

فازداد سبالا المركيز دنواً من عينيه وقال : « وكيف تعيش ؟ »

فارتفع رأس داود وعلا الاحمرار وجنتيه وقال : « وإنى أعمل راعياً أيضاً ؛ أرى قطع أبى » « إذن اصغ أيها السيد الراى الشاعر إلى الحظ الذى عثرت به الليلة . هذه السيدة هى ابنة أختي الأنسة لوسى دى قارين . وهى من سلالة نبيلة وتملك دخلاً سنوياً قدره عشرة آلاف فرنك لاشريك لها فيه . أما محاسنها فيمكنك أن تقدرها بنفسك ، فإذا وقعت نتيجة الفحص من قلب الراى موقفاً حسناً فإنها تسمى زوجك بكلمة واحدة . لاتقاطنى ؛ لقد ذهبت بها الليلة إلى قصر الكونت دى فيلمور ، وكان موعوداً بالزواج منها . وقد استكمل عدد المدعوين ، وجلس القسيس ينتظر عقد زواجها على الرجل الذى يماثلها نسباً وثروة ، ووقف المروسان أمام المذبح ، ولكن هذه الفتاة التى تراها هنا وديمة مطيعة ، قد التفتت إلى ، وقد انقلبت لبوة ، فاهتمتى بالقسوة وارتكاب الجرائم ، وفسخت أمام الراهب المنهزل المهد الذى قطعه عنها . عندئذ أقسمت وأنا فى موقفى بمشرة آلاف شيطان أن أزوجها من أول رجل نصادفه فى طريقنا بعد مغادرة القصر سواء أكان هذا الرجل أميراً أم موقد حطب أم لصاً . وانت أيها الراى أول من صادفنا فى الطريق ؛ وهذه الفتاة لا بد أن تزوج الليلة إن لم يكن منك فى سواك . وأنى أمهلك عشر دقائق للتفكير والاختيار ، فلا تضايقنى بالكلمات والأسئلة . عشر دقائق أيها الراى ، والدقائق تمضى سريعاً »

نقر المركيز بأصابعه البيضاء نقرأ قوياً على المائدة . ثم جلس ينتظر فى صمت يحيطه الغموض .

قتسرت يدها الرقيقة الصغيرة من تحت معطفها حتى أمسكت بيده وقالت متبهتة :

« سأبقى بك وأضع حياتي بين يديك . و ... والحب - قد لا يكون بعيداً كما تظن . فأجبه . ومتى بعدت عن قوة عينيه فقد أنسى »

فشى داود حتى وقف في وجه المركز . فتعحرك الهيكل الضخم ، ونظرت عيناه الساحرتان الى الساعة الكبيرة المعلقة على الجدار وقال :

« لم يبق غير دقيقتين . يحتاج الراعي لثلاث دقائق ليقرر اذا كان يقبل أو لا يقبل الزواج من عروس ذات جمال وثروة ؟ تكلم أيها الراعي ، أتوافق على أن تسمى زوج الأنسة ؟ »

فبدت الكبرياء على داود وقال :

« لقد شرفني الأنسة بأن قبلت رجائي في أن تسمى زوجي . فقال المركز :

« لقد أحسنت التعبير . وإن في نفسك أيها السيد الراعي لروح النديم . وكان من الجائز أن تقع الأنسة في شر من هذه النتيجة . والآن لنتنه من هذا الأمر بأسرع ما تسمح به الكنييسة والشيطان »

وضرب المركز السائدة بقبضة سيفه الصلبة شديدة ، فأقبل رب الدار مضطرب المفاصل جاثلاً شموعاً جديدة متوقفاً سلفاً ما يأمر به المركز ، ولكن المركز فجأه بقوله :

« أحضر لنا قسيساً . قسيساً أقهمت ؟ في عشر دقائق يجب أن تحضر القسيس الى هنا وإلا ... » فألقى الرجل بالشموع وجري

وجاء القسيس مثقل الجفون من أثر النوم

الكلام وأحسبك متراض ، دون زيب ، ذلك الأمر الجنوني الذي يحاول أن يقرضه عليك قسراً . ولكن اصبح لي أن أشكر لك على الأقل ، ما وجهت إلى من كلمات كريمة ، فاني لم اسمع منذ زمان طويل أحداً يخاطبني بمثل هذه الكلمات »

وهنا نطقت عين الشاعر بشيء أكثر من الكرم . وما من شك في أنه كان شاعراً ، فقد نسي إيفون ، وقد تملكته هذه الحسنة الجديدة بما وهبها الله من عظمة ونضارة ، وقد أثار الشدا الجليل المنبعث منها عواطف غريبة في نفسه . فنظر إليها نظرة رقيقة أغضت لها متعشة لما فيها من حنان وقال داود :

« لقد منحني عشر دقائق للثت فيما كنت أجعل للث فيه عدة من السنين . ولا أقول إنني أشفق عليك أيها الأنسة ، لأنني لو قلت ذلك لما كنت صادقاً - فاني أحبك . وما أستطيع بعد أن أطلب منك مقابلة الحب بالحب ، ولكن اسمحي لي بأن أتقدم لك من هذا الرجل القاسي ، وسينجيء الحب مع الزمن ؛ وإني لأظن أن لي مستقبلًا ، فلي أكون راعياً طوال عمري . وسأحيطك في الوقت الحاضر بكل ما في قلبي من القوى لأخفف من أحزانك الموحجة ، فهل تودعين حظك آمنة بيت يدي ياسيدي ؟ »

« أه ! ستضحى بنفسك شفقة على ! »

« لا ، ولكنني أتقدم إليك باسم الحب ، والزمن كفيل في الغالب بكل شيء يا آنسة »

« إنك ستندم على ذلك وستحترقني وتردديني » « سأفقد حياتي على إسعادك وعلى رفع نفسي إلى المستوى اللائق بك »

« لقد شرفنى فى هذه اللحظة بأن دعوتى  
« السيد » هل أمل إذن أن يكون زواجى من  
الآنسة قد رفقى إلى مكانة تدنو قليلا من مكانة  
ولتكن مكانة الظل من الأصل - فيسمح لى ذلك  
بأن أقف موقف الند من السيد المركز فى شأن  
صغير معين أخله فى رأسى ؟ »

فقال المركز ساخراً :

« قد تأمل فى ذلك أيها الراعى »

فأتى الفتى بكأسه بين عيني المركز الساخرتين  
اللتين ههآن به وقال :

« اذن ، قد تتنازل فتبارزنى »

فتجلت ثورة السيد العظيم فى لعنة مفاجئة  
انفجرت من بين شفثيه كنفخة البوق الكبير .  
وجرد الرجل سيفه من غمده وصاح رب البيت  
المضطرب :

« حىء هذا الحلف بسيف ! »

ثم التفت إلى السيدة ضاحكاً محملاً أزعجت  
قلبها وقال :

« انك تحيلينى كثيراً من التتابع أيتها  
السيدة ؟ ويلوح لى أنه لابد من أن أزورك وأرملك  
فى ليلة واحدة »

فقال داود وقد احمر وجهه لاضطراره الى هذا  
الاعتراف أمام زوجه :

« أنا لا أعرف استعمال السيف »

فقال المركز فى لهجة الساخر :

« أنا لا أعرف استعمال الشيف ! أتبارز اذن  
كالفلاحين بهراوات البيلوط ؟ مرحى ! أحضر  
يا فرانسوا عذارى ! »

فأسرع أخذ الخدم وأحضر من العربة عذاريتين

مترنحات ، فأجرى الطفوس التى أسس بها داود  
ميجنوت ولوسى دى فارين زوجين ؛ ثم دس فى  
جيبه قطعة من النقود الذهبية ألقى بها المركز إليه ،  
وغادر البيت من حيث جاء دالفاً فى الظلام  
فبسط المركز أصابعه الكبيرة فى وجه رب الدار  
وصاح به :

« هات خراً »

فلما جاءه بالبحر قال :

« املا الكؤوس »

ووقف على رأس السائدة فى ضوء الشموع ،  
فكان أشبه بجبل أسود من الضئيلة والغرور .  
وعند مواقع نظره على ابنة أخيه بدا فى عينيه شئ  
كذكرى الحب القديم وقد انقلب بها قاتلاً .  
ورفع كأسه فى يده وقال :

« مسيو ميجنوت ! اشرب بعد أن أقول لك  
هذه الكلمات : لقد تزوجت من فتاة ستملاً حياتك  
غشاً وتامساً ، فالدم الذى يجرى فى عروقها هو  
سيل موروث من الأكاذيب السود والدمار  
الأحمر . فستجلب لك العار والهواجس . فالشيطان  
الذى انحدر إليها بالورثة كامن هناك فى عينيها  
وجلداه وقفا الذى يتزل حتى لخناع رجل فلاح .  
هذا هو ما وعدت به أيتها السيد الشاعر من الحياة  
السعيدة . اشرب خمر . وأنت أيتها الفتاة لقد  
تخلصت منك آخر الأمر »

وشرب المركز كأسه ؛ وخرجت من بين شفثى  
الفتاة صرخة محزونة كأنها منبثقة من جرح مفاجئ ،  
فتقدم داود وكأسه فى يده ثلاث خطوات ثم  
وقف من المركز وجهاً لوجه . فلم يكن فى منظره  
ما يشبه منظر الرعاة ، وقال فى هدوء :

الركيز باسمًا وقد استندت أصابع يده اليسرى إلى المائدة . وبقي داود منتصبًا في مكانه ؛ ثم أدار رأسه في بطاء شديد بحثًا بعينه عن زوجته ، ثم إذا هو يسقط فجأة كتلة جامدة كما يسقط المعطف عن الشجب .

فجرت العروس الأرملة ، وقد صرخت صرخة الجزع واليأس ، فانحنت على جثة زوجها القتيل ، وعثرت على جرحه ، ثم نظرت نظرًا القديمة الجامدة من الحزن الموجه وقالت هامة :

« في صميم قلبه ، أواه ! في قلبه ؟ »

فدوى صوت الركيز الرعب في أرجاء الغرفة :

« تعالى لنذهب إلى العربية ! ولني رايك الفجر بين يدي ، فستروجين مرة أخرى ، في هذه الليلة ومن زوج حي . وسكون هذا الزوج أول رجل نصادفه في الطريق ، عظيمًا كان ذلك الرجل أم فلاحًا حقيرًا . فإذا لم نصادف في الطريق أحدًا فستزوجين من البواب الذي يفتح أبواب قصرى . هلمي إلى العربية ! »

خرج الركيز الضخم الجثة المتحجر الضمير ، تبسمه السيدة ملتفة في معطفها الذى يحيطها بالأسرار ، وحوّلها الخدم يحملون السلاح - خرجوا جميعًا إلى العربية الواقعة في الانتظار ، فلم يلبث دوي عجلاتها الكبيرة أن تردد صدهاء في أرجاء القرية الناعمة ؛ بينما صاحب بيت « التقنية الفضية » متحن فوق جثة الشاعر القتيل تشارد الفكر يدق يدًا بيد ، ولهيب الأربع والعشرين شعبة المضاء فوق المائدة يرقص متأرججًا في الهواء

\*\*\*

كبيرتين لامعتين قد زينت أيديهما بالفضة المنقوشة . فالتقى الركيز إحداها فوق المائدة على مقربة من يد داود وصاح به :

« إلى الطرف الآخر من المائدة . وحتى الراعى قد يستطيع أن يطلق القنطرة . وقليل منهم هم الذين ينمون بشرف الموت بسلام دى بورتيز »

وتواجه الركيز وداود من طرفي المائدة . وأصاب الجزع رب الدار فأخذ يخبط الهواء بيديه ويقول مترنمًا :

« سيدى . . . سيدى ، بحق المسيح لا تفعل ذلك في بيتي ! لا ترق الدماء هنا - فيدمر ذلك سمعى ويقضي على مستقبلى . . »

ولكن نظرة الركيز التهديدية إليه عقلت لسانه ، وقد صاح به الرجل :

« كفى ترثرة أيها الجبان ، وهىء لسانك الطويل ليعلم كلمة القتال »

ولكن ركبتي رب الدار كانتا قد لامستا الأرض ، وقد ذهل عن كل شيء فهو لا يكاد يسمع أو يبى ولكنه كان مع ذلك لا يزال يستجدى السلام باسم سمعة بيته والحرص على علامته .

وقالت السيدة في صوت جلي :

« سأعطى أنا الكلمة »

ثم تقدمت إلى داود فقبلته قبله رقيقة . وكانت عيناها تبرقان وقد علا الاحمرار وجنتها . ووقفت بجوار الجدار وصوبت الرجلان غدارتهما أحدهما إلى الآخر منتظرين أمرها بإطلاق النار :

« واحد . اثنان . ثلاثة ! »

وخرج الطلقتان في وقت واحد على التقريب فلم يضطرب لب الشموع غير مرة واحدة ووقف

## لمرير اليبين

قطع الفتى ثلاثة الفراسخ في خط مستقيم ، ثم وقف متحيراً ، فقد التقت الطريق بطريق أخرى أوسع منها ترسم معها زاوية قائمة ، فبق لحظة لا يستقر على رأى ، ثم سلك طريق اليبين

لم يكن داود يدري إلى أين تقوده هذه الطريق ولكنه كان قد اعترم أن يتعمد الليلة عن فروى ما استطاع . وبعد أن قطع فرسخاً في الطريق الجديدة مر بقصر نذل الظواهر على أنه غير باحتفال حديث ، فقد كانت الأنوار بادية من جميع نوافذه ، وكانت آثار عجلات العربات التي حملت الضيوف واضحة ممتدة من داخل الباب الكبير إلى طول الطريق

وبعد ثلاثة فراسخ أخرى أحسن داود بالتعب ، فجلس يستريح ثم رقد على كومة من الأعشاب إلى جانب الطريق . واستيقظ بعد فترة فواصل السير إلى حيث لا يدري .

وعلى هذه الصورة قضى الفتى خمسة أيام ماشياً في هذه الطريق الواسعة الطويلة ، بنام على فراش الطبيعة فوق ركام الفلاحين ، أكلا من خبزهم الأسود السخى ، شارباً من الجرادل أو أكواب الرعاة الكرماء .

وأخيراً عبر جسراً كبيراً فوضع قدمه على أرض المدينة الباسمة التي حطمت أو توجت من الشغراء عدداً يزيد على مجموعة الشعراء في أى مكان آخر . وجري نفسه سريعاً عند ما غنت له باريس في صوت خافت أغنية الترحيب — وهي أغنية عناصرها همهمة الأصوات ووقع الأقدام ودوي المجلات .

واستقر الفتى في غرفة صغيرة فوق سطح منزل قديم بإشراق كوني ، فدفع أجر الإقامة ، وجلس

على كرسي من الخشب منكبا على أشعاره ، وكان الشارع الذي يقيم فيه من الشوارع التي هجرها أهل الجد والعمل ، فأصبحت مسرحاً للذين يسركون في فترة الانحدار .

وكانت البيوت عالية ، يبدو عليها أثر العظمة الرائلة ، وكان أغلبها خالياً إلا من الأتربة والعنكبوت ، ولم يكن يسمع في الليل غير جلجلة الحديد وصراخ المشاعين المتغلبين من حانة إلى حانة ؛ وفي الجملة أصبح ذلك الحى الذي كان مسرح السادة الأشراف مأوى للرعاع المجرمين ، ولكن داود وجد في هذا الحى المسكن المناسب لاله القليل ، ولم يره نور النهار ولا ضوء الشموع إلا منكبا على الأقلام والورق .

وفي ذات مساء كان داود عائداً من جولة في الأحياء الفقيرة حاملاً شيئاً من الخبز والأداموز حاجة من التبيد الخفيف ، وفي منتصف درجات السلم التقى — أو بمباراة أخرى وقع على — سيدة فتية ذات جمال يعطل حتى خيال الشعراء . ترتدى معطفاً أسود خفيفاً ينفرج عن ملابس غالية تتم عن الثراء ، وكانت عينها تتفيران في سرعة مذهشة وفان مائتور في رأسها من آراء . ففي لحظة تراها مستديرتين لا أثر للصناعة فيها كأنما هما عينا طفل بى ، وفي لحظة أخرى تراها مستطبتين خداعتين كميون نساء العنجر ، وقد رفعت إحدى يديها طرف ثوبها كاشفة عن خذاء على الكعب محلول الرباط ، وهي في وقفها مخلوقة سماوية غير خليفة بالانحناء ، فهي إنما خلقت لتسحر الناس ولتأمر ققطاع ! ولعلها قد رأت داود يصعد الدرجات فانتظرت ليقدم إليها ما تود من مساعدة .

آه ، أيغفر لها السيد وقونها في الطريق ، ولكن



في الغرفة الصغيرة التي يحل السليم أمامها .  
فادارت السيدة رأسها ناحية وقالت :  
« في الغرفة الأمامية ؟ »

« في الخلفية ياسيدي »

فتهدت السيدة كأنها قد شعرت بشيء من  
الارتياح . وقالت وقد استدارت عيناها وضاع منهما  
كل أثر للصناعة :

« لن أؤخرك أكثر من ذلك ياسيدي . وعليك  
أن تحافظ علي منزلي . أسفا ! إن ذكريته هي كل  
ما أملك منه الآن . وداعا وتقبل شكري لما قدمت  
لي من مساعدة »

واختفت السيدة عن نظر الفتى غير تاركة وراءها  
إلا ابتسامة والاشدا حلوا منعشا . وتسلق داود  
السلم تسلق النائم يسير في المنام ، ولكنه لم يلبث  
أن استيقظ ، ولازمته الابتسامة والشذا ولم يبد أن  
أحدهما قد فارقه بعد ذلك أبداً ، فقد أحاطته هذه  
السيدة بكل ما يحيط به الملاك الساحر الشاعر الرقيق  
الحسن من مفرجات .

وما من شك في أنه كان شاعراً ، فقد نبى  
إيفون ، وقد تملكته هذه الحسنة الجديدة بما  
وهبتها الطبيعة من عظمة ونضارة . وذلك الشذا  
الجميل الذي انبث منها بعث عواطف غريبة في نفسه

\*\*\*

وفي ليلة ما اجتمع ثلاثة أشخاص حول مائدة  
في غرفة بالطابق الثالث من هذا البيت نفسه . ولم  
يكن في الغرفة من أثاث غير الثلاثة الكراني  
واللائدة والشمعة المضيئة فوقها . وكان أحد  
الأشخاص رجلاً ضخماً الهامة يرتدى البواد ، تدل  
تقاسيم وجهه على ما في نفسه من كبرياء يساخرة ،

الحذاء . — ذلك الحذاء الشقي الماكر ! أسفا ! إنه  
لا يبق على ربطته . آه ! لو أن السيد تفضل بتقديم  
مساعده الكريمة !

وارتجفت أصابع الشاعر وهو يعقد الرباط . ثم  
لكنه حاول المهرب الذي يواجهه في حضرتها ،  
ولكن عينيها قد استطالتا خدعتين كميون العجر  
فشلتا حركته . فقال على حاجز السلم ممسكا بزجاجة  
الخمر الرديء .

وقالت السيدة مبتسمة :

« لقد كنت كريماً ياسيدي ، فملكك من سكان  
هذا البيت . »

« نعم ياسيدي . أنا — أنا اظني كذلك . »

« لملك إذن تسكن الطابق الثالث ؟ »

« لا ، ياسيدي ، بل أعلى من ذلك . »

فحركت السيدة أصابعها حركة تدل على شيء من  
الصنجر وقالت :

« عفواً أنا طفيلية في سؤال ، وإني لأرجو  
السيد أن يسامحني ، فما أقصد حقاً أن أعرف أين  
يسكن . »

« لا تقولي ذلك ياسيدي ، فأني أسكن في .. »

« لا ، لا ، لا ، لا تقي لي ، فاني مدركة الآن

أنني قد أخطأت ، ولكنني لا أستطيع أن اتقلب

على إهتامي بأمر هذا المنزل وكل ما يتصل به ، فلقد

كان يبق يوماً ما . وإني لأحضر إلى هنا في أغلب

الأوقات ، ولكن لجهد التمتع باستعادة ذكريات

تلك الأيام السعيدة . فهل تقبل مني هذا العذر ؟ »

فقال الفتى مترجماً :

« لتصني إلى إذن ، فابك من حاجة للاعتذار ،

إني لأسكن في الطابق الأخير فوق سطح الدار —

فصرب الكابتن دزول على المائدة مرة أخرى وقال مكرراً كلامه الأول :

« الليلة .. لقد سمعتي ، ياسيدى المركز ، أقول إن يدى ستضرب الليلة الضربة الواجبة »

فقال الرجل الضخم الحثة في شيء من الرقة :  
« ولكن الآن يمرض لنا هذه المسألة : يجب أن نرسل كلمة لأصدقائنا في القصر الملكي ، وهناك إشارة متفق عليها . ويجب أن يصبح رجائنا المخلصون عربة الملك . فمن هو الرسول الذى يستطيع في هذه الساعة أن يتوغل حتى الباب القبلى ؟ فرسكز ريبوت عند ذلك الباب ، ففى وصلت الرسالة إلى يده فسيم كل شيء على ما يحب »

فالت السيدة :

« سأولى أنا إبلاغ الرسالة »

فرجع المركز حاجبيه وقال :

« أنت يا كوتس ؟ إننا نعرف أن اخلاصك عظيم ولكن ... »

فوقفت السيدة واتكأت يديها على المائدة وقالت :

« أصبغ الى ، في غرفة بأعلى هذا المنزل مسكن

شاب من الريف خلص وديع كالحرفاء التى يرعاها

هناك ، ولقد قابله على السلم مرتين أو ثلاثا .

وسأته عن مسكنه خيفة أن يكون قريباً من الترفة

التي يجتمع فيها ، وأنه لطوع يدي إن أردت ، فهو

يكتب الشعر في غرفته وأظن أنه يحلم بى . وسيفعل

ما أطلب منه فعله ، وسيحمل الرسالة إلى القصر »

فوقب المركز وانحنى شم قال :

« إنك لم تسمحن لى يا كوتس بأن أتم حملتي

فلقد كنت أريد أن أقول ان اخلاصك عظيم

ولكن ذكالك وحسنك لاحد لعظمتهما »

وكان شبلاء الفتولان الى أعلى بكادان يلاسان عينيه الهازئين . وكان الشخص الثانى سيدة صبية جميلة ، ذات عيين تراهما حيناً مستديرتين لا أثر للتصنع فيهما كأنهما عينا طفل برى ، وتراهما مرة مستطيلتين خداعتين كميون الفجر ولكنهما كانا ساعة هذا الاجتماع حادتين تنطقان بما في نفسيهما من مطامع كميون غيرها من التآمرين ؛ أما الشخص الثالث فكان رجل عمل ، وكان عارفاً شجاعاً صبوراً فعلاً يستشقى أنفاسه خلال النار والحديد ، وكان صاحبه يدعو به الكابتن دزول .

ضرب هذا الرجل المائدة بيده وقال في صوت بآت قوي :

« الليلة .. الليلة حين يذهب لصلاة نصف الليل .

لقد تبعت من التآمر الذى لا يؤدى إلى شجعة . وانى

لأختنق من الاشارات والرموز والاجتماعات السرية

ومثل هذه المهمة التى تتحدث بها . فلنكن خونة

أشرافاً ، فإذا كانت لابد لفرنسا أن تتخلص منه

فلنضرب ضربتنا علناً ، غير غادعين ولا ملتجئين

للخيائل والاشراك . فالليلة كما قلت . وكأنا كرر القول ،

الليلة ستضرب يدي هذه الضربة الواجبة ، الليلة

عند ما يذهب لصلاة نصف الليل »

ف نظرت اليه السيدة نظرة تقدر وعجاب . والمرأة

وان انتمرت في المؤامرات لا تزال أبداً تنحنى أمام

مثل هذه الشجاعة المتدفقة . ورم الرجل الضخم

شاربيه وقال في صوت غليظ يطلعه بحكم العادة :

« إني متفق معك في هذه المرة ، أيتها الكابتن

العزيز ، فليس هناك ما نجنبه من وراء الانتظار ،

فبين حرس القصر من أصدقائنا العدد الكافى لضبان

بجراح مشروعتنا »

فستتمكن والدتي من رؤيته قبل أن تغمض عينها  
إلى الأبد »

فقال داود متحمساً :

« هات الكتاب ياسيدي ، ولكن هل أتركك  
تعودين وحدك في الشوارع في هذه الساعة  
المتأخرة ؟ أنا ... »

فقال السيدة وقد استطالت عينها وبدأت  
خداعتين كيوم الفجر :

« لا . لا — أسرع أنت ، فكل لحظة تمر  
كأنها جوهرة نفيسة ؛ وسيأتي الوقت الذي أحاول  
فيه أن أشكر لك طيبتك »

فدس الشاعر الخطاب في صدره واتجه إلى السلم  
فهبطه مسرعاً . فلما انصرف عادت السيدة إلى غرفة  
التأخر .

فكانت حركة حاجي الركيز تم عن سؤالها  
عما حدث فأجاب :

« لقد ذهب بالكتاب أبله فبياً كما جدى الغم  
التي رعاها »

فاهتزت المائدة مرة أخرى باحدى ضربات  
الكابتن دزول وصاح :

« يا لله ! لقد نسيت غدارتي ، ولا أستطيع أن  
أنتق بغيرها »

ف سحب الركيز من تحت مطفئه غدارة كبيرة  
لامعة مزينة قبضتها بالقبضة المقوشة وقال :

« خذ هذه فما هناك من غدارة آمن منها ،  
ولكن حافظ عليها جيداً فانها تحمل اسمي وشعارى ،  
وأنا بالفعل مشتبّه في أمري . وقها يختص في سأبعد  
الليلة عدة فراسخ عن باريس . وسيشرق على صباح  
الند في قصرى ، تفضلى ياسيدي الكونثس »

وبينا كان التأمرون مشغولين بهذا الحديث  
في غرفتهم كان داود يهذب بعض أبيات من الشعر  
وجهاً إلى « حسناء السلم » ولم يلبث أن سمع  
طرقاً خفيفاً على باب غرفته ، وما كاد يفتحه حتى  
اضطرب قلبه إذ رأى الحسناء التى يتغنى بها واقفة  
على عتبة ثلث مفتوحة العينين بريئة النظرات  
كالطفل ، وكأنما هي في ضيق شديد وما رآته حتى  
قالت في صوت متقطع :

« سيدى ، إني أحييتك الآن جازعة ، وإنى  
لأعتقد أنك طيب صادق ولا أعرف سواك من  
الجا إليه للمساعدة . ولو رأيتنى وأنا أجري في  
الشوارع وسط الرجال المختالين بأنفسهم ؛ ولكن  
دفعنى إلى ذلك ياسيدي أن أرى في حالة النزاع ؛  
وخالى ضابط فى حرس الملك ؛ ولا بد من أن  
يسرع إليه أحد فيأتى لى به . وإنى لأرجو »

وهنا وضعت السيدة في يد الفتى رسالة مختومة  
ومضت تقول :

« اذهب إلى الباب القبلى — الباب القبلى  
لأنس ذلك — وقل للحرس الذين يجدهم هناك :  
« لقد غادر البازى وكره » وعندئذ يسمحون لك  
بالمرور ، فاقصد إلى مدخل القصر القبلى وكرر  
الجملة نفسها ، وسلم هذا الخطاب للرجل الذى يحييك  
بقوله : « دعه يضرب متى أراد » فهذه كلمة المرور  
التي أطلعني عليها عمى ياسيدي ، لأنه فى وسط  
الاضطراب الحاضر فى البلاد ، وبينما يوجد قوم  
يتآمرون على حياة الملك لا يستطيع أحد بدون  
هذه الكلمة أن يدخل إلى القصر بعد هبوط  
الظلام ؛ فإذا أنت حملت إليه هذا الخطاب ياسيدي

مائلة للسواد وقد انحنى إلى الأمام . وقال يخاطب ذلك الرجل :

« لقد رفعت إلى مسامحك يا مولاي **أرب** القصر يوج بالخونة والمتآمرين كما توج السرايب بالفيران . ولقد كنت تظن يا مولاي أن ما أقول ليس إلا من نسيج خيالي . وهذا الرجل استطاع الوصول إلى أبواب جدرانك بأعضاء الحراس ، وكان يحمل خطاباً أخذته منه . وهأنذا قد جئت به إلى حضرة جلالتك حتى لا تظن غيبي مبالغاً فيها فأجفل الملك في كرسيه ونظر إلى داود بعينين أتقلبهما غشاوة معتمة وقال :

« سأسأله بنفسى »

فتنى الشاعر ركبته . وسأله الملك :

« من أين جئت ؟ »

« من قرية فيرنوى في مقاطعة إرايه لوار يا مولاي »

« وماذا تعمل في باريس ؟ »

« أو .. أود أن أكون شاعراً »

« وماذا كنت تعمل في فيرنوى ؟ »

« كنت أرحى أغنام أبي »

فأجفل مرة أخرى وانزاحت النشاوة عن عينيه وقال :

« آه — في الحقول ! »

« نعم ، يا مولاي »

« كنت تمشي في الحقول وتخرج في نسيم الصباح الطرى فتقرّد على الحشائش داخل السياج . وهناك ينتشر القطيع على جانب التل . وتشرب أنت من ماء النهر المنفّش ، وتأكل خبزك الأسود اللذيذ في الظل ، وتصني دون شك للطيور السوداء وهي

وتفخ المركز الشمعة فأطفاها ، ولفت السيدة نفسها جيداً بمعطفها وهبط الثلاثة السلم في هدوء ، ولم يلبثوا أن اندسوا بين المارة على أفريز شارع كوفنتي وأسرع داود حتى وصل إلى الباب القبلي للقصر الملك ، وهناك صوب أحد الحرس حريته إلى صدره ، ولكنه لم يلبث أن حولها عنه بهذه الكلمات :

« لقد غادر البازي وكره »

فقال الحارس :

« سر يا أخي ، وأسرع »

وعند الدرج الجنوبي للقصر تحرك الحرس للقبض عليه ، ولكن كلمة المرور لم تلبث أن فتحت له الطريق . وتقدم أحد الحرس منه وقال : « دعه بضرب ... » ولكن حركة عنيفة وسط الحرس أنبأت عن أمر مفاجئ ، فقد شق الطريق فجأة وسط الحراس رجل حاد النظر عليه سياء الجندية وأمسك بالخطاب الذي كان داود يحمل في يده ، وقال له :

« تعال معي »

ودخل به إلى الردهة الكبرى ، وهناك فض غلاف الخطاب وقراه . ثم أشار إلى رجل في ملابس الفرسان اتفق مروه في هذه اللحظة ، وقال :

« كابتن تيترو ... أسرع بالقبض على حرس المدخل الجنوبي وأودعهم السجن ، وضع مكانهم رجلاً ممن لا شك في ولائهم »

ثم وجه الحديث إلى داود فقال :

« وأنت تعال معي »

ثم قاده في عمو وصل منه إلى غرفة صغيرة تؤدي إلى حجرة فسيحة حيث جلس في كرسي كبير من الجلد رجل تبدو عليه أمارات الحزن يرتدى ملابس

« على فروع الـ ... »

هنا قطع هذا الحديث صوت أجش يقول :

« يأذن لي مولاي أن أسأل هذا الزان سؤالاً  
أو سؤالين . فليس لدينا من وقت نضعه قبل أن  
نعمل . وإنى لأسأل مولاي العفو إذا كان اهتمامي  
بسلامة جلاتكم قد أدّى إلى هذه المقاطعة التي قد  
تسوءكم »

فقال الملك :

« إن اخلاص الدوق دومول أكبر من أن  
يسبب لي أى امتعاض أو غضب »  
ثم غاص الملك في كرسيه وعادت العشاوة  
فاستولت على عينيه . فقال الدوق :

« وسأبدأ بأن أقرأ لجلالتكم الخطاب الذى حمله  
هذا الفتى وهذا هو :

« الليلة هي ليلة ذكري وفاة ولى العهد . فإذا  
خرج كمادة لحضور صلاة نصف الليل على روح  
ابنه ، فإن البازي سيضرب ضربته عند زاوية شارع  
اسبلاناد ، فإذا كانت هذه هي نيتة فضع نوراً أحمر  
في الغرفة العليا في الركن الجنوبي الغربي من القصر  
حتى يأخذ البازي أهبته »

ثم قال الدوق في شدة :

« أيها الفلاح ، لقد سمعت هذه الكلمات ، فمن  
الذى أعطاك هذه الرسالة لا يصلها إلى القصر ؟ »  
فقال داود في لهجة الجدد :

« سأخبرك يا مولاي الدوق ، لقد أعطتني  
هذه الرسالة سيدة قالت إن أمها مريضة وإن هذه  
الرسالة تستدعي خالها ليوقف إلى جانب فراش أخته  
وهي تموت . ولم أكن أعرف ما يحتوى عليه

تفتي بين الأحرار . أليس ذلك هو شأن الراعي ؟ »  
فأجاب داود متهدداً :

« هو ذاك يا مولاي ، وكذلك يصنى إلى النحل  
فوق الأزهار ، وقد يصنى كذلك إلى جناة العنب  
وهم يغنون »

« نعم ، نعم ، قد يصنى إلى جناة العنب ولكن  
الذى لا شك فيه أنه يصنى للطيور السوداء ، فهي  
غالباً ما تغنى في الأحرار ، أليس أمرها كذلك ؟ »  
« إنها لا تغنى في مكان آخر بأحلى مما تغنى في  
إيرابه لوار . ولقد حاولت أن أصف غناءها في بعض  
الأشعار التي أنشأتها »

فسأله الملك في لهفة شديدة :

« أستطيع أن تكرر على سمى هذه الأبيات ؟  
فند زمان بعيد أصفيت للطيور السوداء . وإنه لا أكبر  
من الملك أن يستطيع إنسان تصوير غنائها تصويراً  
صادقاً ... وكنت في المساء تدفع الأغنام إلى حظيرتها  
ثم تجلس في هدوء واطمئنان ، فتأكل خبزك الهنيء !  
هل تستطيع أن تكرر هذه الأبيات أيها الراعي ؟ »  
فقال داود في حماسة ملؤها الاحترام :

هذه هي يا مولاي :

« أيها الراعي السكول ! انظر خرافك الصغيرة

« وهي تثب مرحرة فوق الأعشاب

« وانظر إلى فراثها تهتز في النسيم

« واصنع إلى إله الرعاة ينفع في أرغوله

« فيترجم أقوال الطيور وهي تقول : -

« اصنع إلينا ونحن نصيح فوق النصوصن ،

« وانظر إلينا ونحن ننفض على أغنامك

« لنلتقط منها الأصوات التي تدق أو كارتنا

الليل ، فهل تقبل هذه التجربة ؟ »

فانقسم داود وقال :

« لقد نظرت إلى عينيها ، فبرهاني في يدي ،  
ولك أن تجري تجربتك على ما تريد »

وفي الساعة الحادية عشرة والدقيقة الثلاثين  
مساء وضع الدوق دومول يده مصباحاً أحمر في نافذة  
بالركن الجنوبي الغربي من القصر ، وفي الساعة  
الحادية عشرة والدقيقة الأربعين خرج داود من  
الحجرات الملكية مرتدياً ملابس الملك من قبة  
رأسه لأخص قدمه متكئاً على ساعد الدوق حائياً  
رأسه إلى الأمام حتى وصل إلى العربة المنتظرة أمام  
السلم الخارجي ، فساعده الدوق في دخوله وأقفل  
الباب . فسارت العربة في طريقها إلى الكاندينية .  
وفي نقطة ( كي فيف ) أمام بيت في زاوية شارع  
اسباناد اختبأ كابتين يترو مع عشرين من رجاله  
مستعدين للانقضاض على التامرين عندما يظهرون

ولكن يظهر أنه لأمر ما عدل التامرون في  
خطهم تدبلاً طفيفاً . فها وصلت العربة الملكية  
شارع كريستوفر ، وهو أقرب في الطريق من شارع  
اسباناد ، حتى اندفع منه كابتين دزول وعصايته  
التي عقدت النية على قتل الملك ، فهاجما العربة .  
وعلى الرغم من أن الحراس المحيطين بالركب قد بوغتوا  
بهذا الهجوم المفاجيء فانهم ترجلوا وقاتلوا المهاجمين  
مستبسلين . واسترعى تقارع الأسلحة ونحيب القتال  
أنظار كابتين يترو ورجاله فابرعوا لتجدة اخوانهم ،  
ولكن حدث في الوقت نفسه أن ثارت نفس كابتين  
دزول ، بعد أن استولى عليه اليأس ، فانقض على  
باب العربة وفتحته بعنف وصوب غدارته إلى صدر

خطابها ، ولكنني أستطيع أن أقسم أنها جميلة  
وطيبة »

فقال الدوق آمراً :

« صف لنا المرأة وقل كيف أصبحت رسولها  
الأبله »

فقال داود مبتسماً ابتسامة رقيقة :

« أصفها ؟ انك بذلك تأمر الكلمات أن تأتي  
بالمعجزات ! انها يامولاى مخلوقة من شعاع  
الشمس تحيطها هالة رائعة ، هيفاء كشجرة الحور ،  
إذا خطرت اكتشفها العظمة من كل ناحية ،  
وعيناها تتغيران وهي تحدثك ، فهما في لحظة  
مستديرتان ، وفي لحظة أخرى نصف غامضتين كما  
تقل عين الشمس من بين سحبتين . إذا جاءت  
فالسما حولها ، وإذا ذهبت تركت وراءها شذاً  
يسحر النفوس ، لقد جاءتني في شارع كونتي رقم  
٢٩ »

فالتفت الدوق إلى الملك وقال :

« إنه البيت الذي كنا نراقبه ، فشكراً للسان  
الشاعر ، فقد رسم لنا صورة من الكونتس ليبدو  
مفضوحة السمعة »

فقال داود في لهجة الجد :

« صاحب الجلالة ، ومولاى الدوق ، أرجو ألا  
تكون لكائي التيمسة قد ظلمت أحداً . لقد نظرت  
إلى عيني هذه السيدة ، وإلى لأراهن يحياى على أنها  
ملاك دون نظر إلى أمر هذا الخطاب »

فأحرق الدوق فيه النظر وقال في هدوء :

« إني سأختبرك ، فستلبس ملابس الملك ،  
وتذهب بنفسك في عربته لحضور صلاة نصف

وهب داود واقفا فنفض عوامل القلق والفكرة الحوشية التي استولت عليه ، وأدار وجهه إلى طريق القرية وعاد من حيث أتى . وما كاد يقطع الطريق حتى كان قد زال من نفسه كل أثر لفكرة الهجرة والبعد عن وطنه ، ومرر بمحطرة الغنم التي ربت من وقع أقدامه في هذه الساعة المتأخرة من الليل ، فأحس من حركاتها بجمرة الحنين إلى الوطن فتسأل في هدوء إلى غرفته الصغيرة حيث رقد على فراشه شاكرًا لله أن نجت قدمه هذه الليلة من الانزلاق في طرق المخاطر .

وما كان أعرف الفتى بقلب المرأة ! ففي المساء التالي كانت إيفون واقفة مع الفتى والفتيات المتجمعين حول البئر للاشتراك مع التيسيس في الصلاة ، وكانت الفتاة تنظر من طرف عينها باحثة عن ... ولو أنه يتخيل إلى من يرى فيها الجامد أنها قاسية لم ترحم ، ورأى داود نظرتها ورأى على فيها ما يناقض النظرة فادرك أنها تحاول أن تخفي بحركة فيها حقيقة شعورها فلاطفها ، وبعد فترة حظي - وهما عائدتان في الطريق - بقبلة من ذلك الغم الذي أسطعن الجفاء

وبعد ثلاثة أشهر من تاريخ ذلك اليوم تروج الحبيبان ، وكان أبو داود ميسر الحال كريما ، فأقام لزواجهما عرسًا سمع بعظمته الناس إلى مسافة ثلاثة فراسخ . وكان العروسان محبوبين من أهل القرية جميعًا ، فر الموكب في الطرق وأقيم المرقص فوق الأرض الخضراء ، وأحضر من بلدة درو بعض اللاعبين لتسليه الضيوف .

ومضى عام ومات والد داود ، وورث الفتى عنه البيت والقطيع . وكانت زوجته دون شك ألطف

المسكك الأسود القابع في داخلها وأطلق النار .  
والآن ، وقد أقيمت النجدة من الجنود المخلصين فقد علا الضجيج والسياح مصحوبًا بقمعة السلاح .  
على أن الخليل الجافلة قد اندفعت بالبرية على غير هدى وعلى فراش العربة رقدت جثة الملك الكاذب المسكين والشاعر الراعي ، وقد قتل برصاصة من غدارة السيد المركيز دي بوبيريز .

### الطريق الأصيلة

قطع الفتى ثلاثة فراسخ في خط مستقيم ، ثم وقف متحيرًا ، فقد التقت الطريق بطريق أخرى أوسع منها ترسم معها زاوية قائمة . فبقى لحظة لا يستقر على رأى ، ثم جلس ليستريح على جانب الطريق .  
لم يكن الفتى يعرف إلى أين تؤدي هذه الطرق ، وخيل إليه أن وراء كل منها دينا واسعة مليئة بالفرص الحسنة وبالاحطار أيضًا . وبعد أن جلس فترة يفكر وفقت عينه على نجم متلألئ في السماء ، وهو نجم اتفق هو وإيفون على أن يسمياه نجمهما . غولت رؤيته أفكاره إلى إيفون ، فساءل نفسه ألم يتسرع في مغادرة القرية على هذه الصورة ؟ وهل يصح أن يترك حبيبته وبيته لغريب سبب إلا أنه تبادل وهذه الحبيبة بضع كلمات حارة ؟ وهل كان الحب شيئًا هشًا تقصفه الغيرة - وهي دليل صدقه - بمثل هذه السهولة ؟  
وذكر أن الصباح يجعل دائما الشفاء للرؤوس التي يصدعها المساء . ورأى أن الوقت لا يزال متساعًا أمامه للعودة دون أن يشعر بأحد من أهل القرية النيام بخروجه منها . لقد كان قلبه ملكا لا يفون فهناك في القرية حيث عاش طوال عمره يستطيع إلى جانب حبيبته أن يقول الشعر وينعم بالسعادة .

يقضى وقته ناعساً : وأدركت الدئاب أن صياغة الشعر والنعاس سنوان من الوجهة العملية ، فواصلت حملتها على القطيع ، واستمر عدد الخراف في النقصان . وازداد خلق إيفون سوءاً تمشياً مع ازدياد ما يهدد حياتها البيتية من شقاء ، فكانت أحياناً تقف في الفناء وترفع صوتها لتسمع زوجها القابع في غرفته ماتنهال عليه من ألفاظ قاسيات .

وكان مسيو بابينو المسجل المعجوز رجلاً شقيقاً يتدخل في شئون أهل قريته ينصح لهم بما يفيدهم ؛ وقد رأى ما صارت إليه حال داود فقصد إليه يوماً وقال : —

« يا صاحبي ميجنوت إني أنا الذي ختمت شهادة زواج أيك ، لذلك يؤلني أشد الألم أن أضطر يوماً لنشر ورقة تعلن إفلاس ابنه ؛ ولكن هذه هي النتيجة التي أراك سائراً نحوها . فاصغ الآن لما أقول لك ، وثق أي أخطبك كصديق قديم : إني أراك عاقداً عزيمتك على مواصلة حياة الشعر والخيال . ولي صدق في درو اسمه مسيو بريل — جورج بريل وهو عالم يعيش وسط الكتب والأوراق . وزور باريس كل عام ، وله مؤلفات عديدة . وهذا الصديق العالم الخبير هو الذي يحسن النصيحة لك متى اطلع على شعرك ، فإما نصح لك بالضي فيه أو نصح لك بالموء إلى العناية بامرأتك وأعمالك ، فإن شئت كتبت له خطاباً تحمله إليه وتصحى لما يدلى به إليك »

فقال داود :

« أكتب الخطاب وإنه ليؤلني أنك لم تخاطبني بذلك قبل هذا اليوم بزمان »

وعند شروق شمس اليوم الثاني كان داود يسير

وأبقى امرأة في القرية ؛ شديدة العناية بأواني اللبن وأوعية الطهي ، فهي دائماً نظيفة لامة ، وكانت إلى جانب ذلك ناعمة الصوت إذا غنت أشجت السامعين .

ولكن جاء يوم فتح فيه داود درجاً مقفلاً منذ زمان ، فأخرج منه أوراقاً وقرض بأستانه طرف قلم من الرصاص ، وكان الربيع قد أقبل وحررك أوتار قلبه ، وما من شك في أنه كان شاعراً ، فقد نسي إيفون وهام قلبه بهمال الطبيعة وما تمثل فيها من بهاء وعظمة . وقد أثر في نفسه تأثيراً غريباً ذلك الشذا الجليل المنبعث من الغابات والمرامى .

وكان من قبل يذهب كل يوم بقطيعه ويعود به في المساء سالماً إلى حظيرته . أما الآن فقد ألف الرقاد إلى جانب السياج . يرص الكلمات بعضها إلى جانب بعض على صفحات القرباس ، تاركا النعم تشرد في كل مكان ، وأدركت الدئاب أن اهتمامك الراعى في صياغة الأشعار تيسر لها الاقتضااض على فرائسها المشتهاة ، فكانت تتسلل من الغاب إلى المرعى تحطف ماتشاء من الخراف .

ونما محصول داود من الشعر وتناقص عدد قطيعه ، وتسربت الحدة إلى أخلاق إيفون وقلت عنايتها بأوانيها ولكن عينها ما زالتا محتفظتين ببريقهما ؛ ولقد صارت زوجها بأن إهماله قد أدى إلى نقصان عدد القطيع وأنه سينزل الهمار بالبيت فاستأجر داود غلاماً برعى الأغنام عليه ، وحبس نفسه في غرفته الصغيرة بأعلى البيت مكباً على صياغة الأشعار . وكان الغلام الذي استأجره لرعاية النعم شاعراً بطبيعته ولكنه لم يكن يعرف الكتابة فكان



« لقد كان الأمر كما تقول »

فقال مسيو بريل وعيناه تدوران في بحر كتبه  
كأنهما تسيران مدى الأفق :

« لقد قرأت شعرك فانظر من خلال هذه  
النافذة وقل لي ماذا تری هنالك على الشجرة يامسيو

ميجنوت »

فنظر داود وقال :

« أرى غرابا »

فقال مسيو بريل :

« هنالك طائر ، وهذا ما يساعدني على أداء  
واجبي ، فهل تعرف هذا الطائر يامسيو ميجنوت ؟  
إنه فيلسوف الجو ، إنه سعيد بقناعاته بحظه ، وليس  
هناك من هو أسعد منه بنعيه وعينه التقلبتين  
وخطواته الطروب المرحه ، والحقول تزوده بما يطلب ،  
وهو لا يحزن أبداً لحرمانه من ريش جميل بهيج اللون  
كريش الصفارة الجبل . ولقد سمعت يامسيو ميجنوت  
النفمة التي خصته بها الطبيعة . فهل تظن أن البلبل  
أسعد من هذا الطائر حالا ؟ »

فهب داود واقفاً ، ونهب الغراب نميباً عالياً من  
موقفه فوق الشجرة وقال داود في بطء :

« شكراً لك يامسيو بريل ، إذن لم تجد نفمة  
واحدة من نفات البلبل بين كل هذا النيب ؟ »

فقال مسيو بريل متنهدا :

« لو وجدت لها خفيت على : لقد قرأت كل  
كلمة . فدع الشعر أيها الرجل ، ولا تحاول أن تعالجه  
مرة أخرى »

فقال داود ثانية :

« أشكر لك نصيحتك وسأعود الآن إلى غنمي »

في طريق درو متأبطاً حزمة شعره النفيس . وعند  
ذلك نفض التراب عن نعليه أمام بيت مسيو بريل .  
وفض الرجل العالم غلاف خطاب مسيو باينيو ، فلما  
قرأه أدخل داود إلى مكتبه وأجلسه على مقعد كأنه  
الجزيرة وسط بحر من الكتب .

وكان مسيو بريل رجلاً نحى الضمير ، تناول  
حزمة الورق التي تحتوى شعر الفتى فكسر خاتمها  
وأخذ يقرأ ما فيها بسرعة العالم الخبير ودقة الناقد  
الصادق .

وكان داود في الوقت نفسه جالساً يضطرب في  
وسط ذلك البحر من العلوم ، وقد خيل إليه أن  
نصف العالم لا بد أن يكون من المؤلفين .

واتبع مسيو بريل من قراءة المجموعة كلها  
فرفع نظارتيه عن عينيه ومسحهما بمنديله وسأل داود :  
« هل يتمتع صديقي باينيو بصحة جيدة ؟ »  
فأجاب داود :

« إن صحته على خير ما يكون »

« كم عندك من الغنم يامسيو ميجنوت ؟ »  
« ثلاثمائة رأس وتسعة رؤوس عند ما عدتها  
أمس . وقد أصاب القطيع سوء الحظ فأنحدر إلى  
هذا العدد بعد أن كان عدده ثلاثمائة وخمسين رأساً »

« ولك زوج وبيت وتميش في رخاء تدر الغنم عليك  
الخير الوفير وتذهب يومياً إلى الحقل فتستنشق الهواء  
الجيد وتناكل الخبز الأسمر اللذيذ . وليس عليك أن  
تتوقف وتكسب هناك على صنير الطبيعة مصنئاً إلى  
صفير الطيور السوداء بين الأحراج . . . فهل أنا

مصيب الحقيقة ؟ »

فقال داود :

أن تكثر من مغادرة البيت والجلوس مع الجيران .  
ولكن النار كانت مشتعلة في موقد المطبخ ، ففتح  
داود باب الموقد وألقى بشعره فوق الفحم المتقد .  
فكان لاحتراق الأوراق صفير خشن فقال الشاعر :  
« هذا نيب الغراب »

وصعد إلى غرفته فأقفل عليه بابها . وكان الجو  
هادئاً فسمع كثير من الرجال صوته الطلق الناري ،  
فجروا هناك وهناك ، وصعدوا ذرج السلم حيث استترى  
نظرم الدخان .

ووضع الرجال جثة الشاعر فوق فراشه ، محاولين  
أن يخفوا عن الأعين ريش الغراب المرقق : يتحدث  
النسوة معبرات في سبل من الألفاظ عما شعر به  
من شفقة وأسف ، وجرت بعضهن يحملن الخبر  
إلى إيفون .

وكان ألف مسيو باينو الذي يشم رائحة شئون  
الناس قد جذبته إلى دار القتيل في طليعة القادمين  
فالتقط الغدادة ففحص يدها المحلاة بالفضة لخص  
الخبير وقد بدت عليه أمارات الأمي .

وقال يخاطب القسيس :

« أرى على هذه الغدادة شعار السيد المركيز  
دي بويرتيز »

عبد الحميد صمدى

« ألا تتناول الغداء معي فأريك ماخفي عليك ؟ »  
« لا . إذ يجب أن أعود إلى حقل فأرعى قطيعي »  
وعاد داود في طريق فيرنوى متأبطا شعره .  
فلما وصل إلى قرية مال إلى حانوت يهودى من أرمينيا  
اسمه زيجمار يتجر بكل مايصل إليه من أنواع البضائع  
وقال له داود :

« يا صاحبي . إن الذئاب تأتى من الغابة فتسطو  
على غنمى وتحطفها ولا بد لى من سلاح لأحميها .  
فأى نوع لديك من السلاح ؟ »  
فد زيجمار يديه وقال :

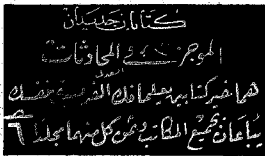
« إن هذا اليوم من أسوأ أيامي يا صاحبي ، إذ  
أرأى مضطرا أن أبيعك سلاحا لن تدفع فيه عشر  
ثمنه . ففي الأسبوع الماضى فقط اشتريت من بائع  
متحول عربة من البضائع ابتاعها في مراد على  
لحساب التاجر . وهو مراد فيه قصر وأتمتع  
سيد عظيم — لا أعرف لقبه — كان قد نقي لتأمره  
على حياة الملك . وبين هذه البضائع مجموعة من  
الأسلحة النارية القيمة . وهذه الغدادة التى أقدمها  
إليك خليقة بأن تكون سلاح أمير من الأمراء !  
ولن أتقاضى منك ثمنها لأكثر من أربعين فرنكا  
يا صاحبي ميجنوت ، وبذلك أخسر عشرة فرنكات  
من ثمن المشتري ، ولكن قد تراها من الطراز القديم .  
فقال داود وهو يلقي الثمن على مائدة التاجر :

« إنها كافية ، فهل هى محشوة ؟ »

قال الرجل :

« سأحشوها وإن دفعت عشرة فرنكات  
أخرى أعطيتك كمية من الذخيرة والرصاص »

وضع داود الغدادة تحت مظفنه وسار إلى بيته  
فلم تكن إيفون هناك فقد تمردت في العهد الأخير



## شجرة عيد الميلاد

للفقير صبي الرومي فيرور دستريفيكي  
بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار

ولم أك دأدو منه في  
الركن الذي هو جالس به  
حتى تزايدت ابتسامة كانت  
مرسمة على وجهه . وعلا  
وجهه العيوس . ولم يكن  
يعرف أحداً ممن بالحفلة  
غير صاحب المنزل ، وقد  
أبدى كل علامة على السأم

والملاة وإن كان قد بقي إلى نهاية الحفلة وبه من  
الشجاعة ما بأى إنسان يقاوم نفسه حتى يحملها على  
ماتكره . وقد علمت فيما بعد أنه من أهل الأقاليم ، وأنه  
جاء إلى العاصمة في أمر شديد الخطر والخطورة ، وأنه  
كان يحمل خطاب توصية إلى مضيفنا ، فدعاه هذا  
من باب المجاملة إلى حضور الحفلة . ولكن أحداً لم  
يدعه إلى لعبة الورق ولم يقدم إليه لفاقة تبغ ولم يبدأ  
معه حديثاً . ولعلمهم كانوا ذوى فراصة فعمروا  
الطائر في منسبجه بالجو من لون ريشه . لذلك قضى  
الليل في قتل شاربيه . وكان شارباه جميلين ، وليكنهما  
كانا كبيرين حتى ليخال من يراه أن الله خلقهما  
أولاً ثم خلق هذا الرجل تابعاً لها لكي يقتلها

وكان من الدعوين رجل آخر استرعى انتباهي ،  
ولكنه من نوع غير هذا النوع ، فإن مجرد النظر  
إليه يدل على أنه صاحب شخصية . وكانوا يدعونه  
جوليان ماستا كوتش

وكانت النظرة الأولى إليه تدل على أنه موضع  
الحفاوة والتكريم ، وأن مركز صاحب المنزل منه  
مركز صاحب الشارين الطويلين من صاحب المنزل .  
فقد كاد لا يتقطع سبيل الفكاهات والطرائف التي  
يتحدث بها إليه صاحب المنزل وزوجه ، وهما كثير

منذ أيام شاهدت عرساً . . . ولكن لا ، فلن  
أتكلم عن العرس بل عن شجرة عيد الميلاد . . .  
لقد كانت حفلة العرس جميلة وأحببتها حباً شديداً  
ولكن حادثة شجرة عيد الميلاد أجل ، ولا أعرف  
لماذا أتذكر شجرة عيد الميلاد كلما رأيت عرساً . . .  
ولكن هذا هو الذى حدث :

منذ خمسة أعوام كاملة دعاني إلى حفلة راقصة  
أقيمت للأطفال خصيصاً رجل من أغنياء التجار له  
قربانه ، وله معارفه وله أيضاً دسائسه . وقد  
ظهر لي أن تلك الحفلة لم تكن إلا ذريعة لكي يجتمع  
الآباء والأمهات ويتحدثون فيما بينهم بتلك الزهافة  
المعتادة

وكنت دخليلاً في هذه الحفلة لأنه لم يكن لي  
بأحد شأن خاص . لذلك كان في استطاعتي أن  
أقضى هذه الحفلة بينهم وأنا بمزمل عن كل واحد  
منهم . وكان بين الجالوس واحد يشابهني في ذلك ،  
فكان لهذا السبب أول من استرعى انتباهي ، ولم يكن  
مظهره دالاً على أنه ابن أسرة كبيرة أو أنه نبيل المولد .  
وهو طويل القامة نحيل جداً ، تبدو عليه علامات البالغة  
في الجذ والوقار . وهو شديد الاناقة في ملبسه ،  
ويظهر أنه لم يكن ينتم إلى هذه الاجتماعات العائلية

جالساً فيها جلست في ركن منها وفي يدها الدمية  
تلاعبها

وكان كل من الضيوف يحدث جاره بأن ألبها  
من أغنى التجار وبأنه منذ الآن قد أعد لها بائنة  
قدرها ٣٠٠ ألف روبل

ولما التفت إلى الجماعة الذين سمعهم يتحدثون  
بهذا وقع نظري على جوليان ماستا كوقتش فوجدته  
واقفاً ينصت إليهم ويدها مشبكتان خلف ظهره،  
ورأسه مائل إلى أحد الجانبين . وكنت طول هذا  
الوقت أعجب من الدكاء الذي أبداه صاحب المنزل في  
توزيع الهبات على الأطفال ، فالطفلة التي أعد لها أبوها  
بائنة كبيرة تهدي أحسن لعبة ، وسائر اللب تقسم  
وفق مراكز الآباء في الحياة الاجتماعية

وكان آخر طفل دعى لتقدم إليه هدية يبلغ من  
العمر عشرة أعوام ، وهو هنزيل أحر الشعر ضعيف  
البنية . وكانت هديته كتاب قصص ليس فيه صور  
ولا رسوم . وهو ابن المربية ، وهي أرملة مسكينة .  
وشكل الطفل دال على الحزن ، وعليه كساء رث ،  
فتناول كتابه وانساب في بطء بين الأطفال فاحملي  
اللعب

وقد كان يود أن يبدل أى شئ ليلب معهم  
ولكن كيف وليست له لعبة ؟

إننى من الذين يحبون أن يراقبوا الأطفال ليروا  
كيف تناضل أرواحهم روح الجماعة

وقد لاحظت أن الألعاب الأطفال كانت سحراً  
وفتنة في نظر الطفل الأحر الشعر . وشرع الأطفال  
يلعبون فأصر على أن يلاعبهم وعلى أن يناضل لو  
منعوه ، فاقبسم وسار نحو واحد منهم فأقامه من مكانه  
(٧)

الالتفات إليه يدوان منه ويحومان حوله ويستجمعان  
الضيوف لتقدمهم إليه . ولكنهما لا يقودانه لبقدماه  
إلى أى إنسان . وقد رأيت السموع تترقق في عيني  
صاحب المنزل وفي عيني زوجه لما قال جوليان  
ماستا كوقتش إنه قلما قضى ليلة سارة كهذه الليلة .  
وقد أخذت بعد انتهاء الحفلة أشعر بالسأم من هذا  
الضيف فانصرفت إلى الأطفال أنسل على علاحظهم ،  
وكان خمسة منهم يستحقون النظر والملاحظة ، فهم  
شهادة بناتية أمهاتهم بهم ، ثم تركت الغرفة بعد ذلك  
إلى الغرفة المجاورة ولم يكن فيها أحد ، جلست في  
طرفها المجاور للمكان الزجاجي المد لحفظ الأزهار في  
غير فصولها

وكنت لا أزال من مكاني هذا أراقب الأطفال  
والحق أن رؤيتهم تسحر

لقد كانوا يابون محاكاة من أهم أكبر منهم على  
الرغم من الجهود التي كانت تبذلها أمهاتهم ومربياتهم ؛  
ولم تمض ساعة حتى نبج هؤلاء الأطفال في تجريد  
شجرة عيد الميلاد من أوراقها وأعوادها وفي كسر  
أكثر من نصف الألعاب المعلقة فيها قبل أن  
يقسموا تلك الألعاب بينهم

وكان أحد هؤلاء الأطفال فتان الحسن أسود  
العينين جمعد الشعر ، وقد أصر في عناد على تصويب  
بنديته نحوى ، وقد استرعى نظري كثيراً ، ولكن  
أخته استرعت نظري أكثر بما استرعا . وهي في  
عامها الحادى عشر ، ولا يقل جمالها عن جمال كيوييد ؛  
وتبدو عليها علائم الهداة والتفكير . وعلى عينيها  
الواسعتين ونم الأحلام ؛ وقد أغضبها الأطفال  
الأمرا فتركهم وانسحبت إلى الغرفة التي كنت

بمثل حالة الخطيء الذى يؤنبه ضميره وانتصب على أطراف أنامله أمام الفتاة وأبحنى يقبلها وهو يتسلم وقد كان إقباله نحوها على غير انتظار حتى أمها صرخت، عند تقبيله إياها صرخة فزع .

قال لها بصوت خافت وهو يقرص خدها : « مالى تفعلين هنا يا بنية ؟ فأجابته : « نحن نلعب » فقال بلهجة المستنكر : « مع من ؟ مع هذا ؟ » وأشار إلى ابن الربية ثم قال له : « يجب أن تذهب إلى الغرفة الأخرى »

ظل الطفل صامتا وهو ينظر محملا في وجه الرجل ، فدار جوليان ماستا كوقتش بنظره في الغرفة ثم أكب على الفتاة وقال : « ماذا مملك يا عيزى ؟ دمية ! » فأجابته : « نعم ياسيدى » وقد قطبت حاجبيها وهي تجيب . قال : « دمية ؟ ومن أي شيء تصنع الدى ؟ ! »

فأحنت رأسها وقالت : « لا أعرف ياسيدى » قال : « تصنع من الخرق » ثم نظر إلى الطفل وقال : « اذهب أنت إلى الغرفة الأخرى التى فيها الأطفال »

وكانت نظره إلى الطفل في هذه المرة نظرة قاسية ، فقطب الطفلان وتشبث كل منهما بالأخر وأبيا أن يفترقا ، فقال جوليان وهو يخفص من صوته : « وهل تعرفين لماذا أعطوك هذه الدمية ؟ » فقالت : لا .

قال : « لأنك كنت طيبة - طيبة جداً طول الأسبوع » قال ذلك ثم عمه اضطراب شديد ونظره حوله فقال بصوت خافت يكاد لا يسمع ويلهجة شديدة الندالة على قبدان الضبر : « إذا جئت إلى

وجلس بذله لأن الأطفال كانوا قد جلسوا في دائرة ولم يتركوا له مكانا .

ولكن ذلك الطفل حل عليه فطمه لطمه قوية فلم يلبث أحر الشعر حتى رفع صوته بالبكاء ، وجاءت أمه فنهته عن اللب معهم فانسحب نحو الغرفة التى كنت جالسا بها مع الفتاة التى تقدم ذكرها وتركته الفتاة يجلس بجانبها واشتركا في لباس الدمية ثوبها ومضى نحو نصف ساعة ، وكاد النعاس يدركنى وأنا جالس أنصت حينا إلى حديث الطفل أحر الشعر ويشرد ذهني حينا . وعلى حين فجأة دخل جوليان ماستا كوقتش وكان قد انسحب من غرفة الجلوس التى أنا فيها عند ما اشتد تجميع الأطفال .. ولم ينب عنى وأنا جالس أراقبه من الركن الذى أنا فيه أنه كان في الفترة الأخيرة من الوقت يتخادع مع والدة الطفلة الجالسة معى في الغرفة .

وظل واقفا بعد الحديث يفكر وكأنه يعد على أصابعه - ثلاثمائة - أحد عشر - اثنا عشر عاما - خمسة أعوام - سمر أربعة في المائة - خمسة أضعاف ، ستون وأربعائة -

ويظهر أن هذا الخليلت يمجبه الحساب على سمر أربعة في المائة ، ثم أعاده على حساب ثمانية ، ثم على حساب عشرة .

وخرج من الغرفة فأطال النظر إلى الطفلة . وقد تخطاى نظره فلم يري ؛ ويظهر أن الحساب هو الذى أغفله عنى ، ثم مسح يديه وأخذ يتنقل من مكان إلى مكان وهو لا يزال يزداد اضطرابا .

وأخيرا تمكن من ضبط عواطفه وألقى نظره على عروس المستقبل وهم أن يتجه نحوها ، ثم وقف

ودخل تحت المنضدة فحار مطاردته ثم أخرج منديله وقلبه فجعله كالسوط وضرب به الطفل ليخرجه من مكانه .

ولا بد هنا من الملاحظة أن جوليان كان قوى البنية ضخم الحدين يبدو عليه علامات التغذية الجيدة . وكانت أطراف أصابعه كأنها لضخامتها جبات البندق وقد أحواله كراهيته (أو لعلها غيرته) نحو الطفل إلى الجنون المحض .

ضحكت من أعماق قلبي فالتفت جوليان ولعله ذكر في هذه اللحظة احترامه نفسه وكبر أهميته . وفي الوقت نفسه ظهر صاحب المنزل عند الباب وخرج الطفل من تحت المنضدة فأخذ يمسح ذراعيه وركبتيه وأسرع جوليان لجمع منديله الذي كان مفتولاً كالسوط وجعله تحت أنفه .

ونظر صاحب المنزل إلى ثلثتنا نظرة المراتب ، ولكنه وهو رجل يعرف الكثير من شؤون الدنيا قد انتهز هذه الفرصة لينال من ضيفه الكبير الأهمية أكثر ما يستطيع أن يناله منه فقال : « هذا هو الطفل الذي حدثت بك بشأنه وأما اعتقد على فضلك فيما يتعلق به » وأشار إلى الطفل الأحمر الشعر .

ولم يكن جوليان قد استرجع إلى الآن سيطرته على نفسه فقال وهو شارد الدهن : « أهذا هو ؟ » قال صاحب المنزل : « هو ابن المرية ، وهي فقيرة مسكينة وقد كان زوجها موظفاً شريفاً ، فإن كان في وسعك . . . » فصاح جوليان مقاطعاً : « مستحيل مستحيل ! أرجو أن تعذرني يا فيليب ألكسيفنش فلا توجد محال خالية ، وفي قوائم المرشحين نحو عشرة

منزلكم لزيارة أليك فهل تجيبني يا عزيزي ؟ » وحاول أن يقلعها على أثر هذا السؤال ، ولكن الطفل الأحمر الشعر أمسك بيدها كمن يريد أن يحبسها وبكى بأعلى صوته كالستجير . فاثارت حركته هذه غضب الرجل وصاح : « اذهب ! اذهب إلى الغرفة الأخرى حيث يلعب رفاقك » فقالت الطفلة : « لست أريد أن يذهب ، فاذهب أنت ودعه هنا »

وكادت الطفلة تبكي . وسمع وقع أقدام من ناحية الباب فارتجج جوليان ، وكان الطفل الأحمر الشعر أشد منه ارتجاجاً فترك يد الطفلة وتسلل إلى غرفة المائدة . وكى لا يستريح جوليان نظر أحد ممن بغرفة الجلوس تسلل هو أيضاً إلى غرفة المائدة ، وكان وجهه قد صار من الاحمرار في مثل لون الحناء ، حتى أن نظرة واحدة منه إلى وجهه في المرأة تكفي لازعاجه . وكان سبب الاضطراب كله أن حسابه أنه فأومعه أن الطفل عقبه في سبيل الثروة التي تنتظره . نعم إنه الآن لا يزال في العاشرة فهو قليل الخطر ولكنه سيصبح خطراً بعد خمسة أعوام أو نحو ذلك . وتبعتهما بنظري فوجدت نظرات جوليان صارت كأنها نظرات ثعبان ، وأصبح صوته مسماً . وأخذ يتوعد الطفل . وكان الطفل يتراجع أمام هذا الوعيد حتى لم يعد مكان يتسع لتراجعهم ، وكان جوليان يصيح به :

أخرج من هنا ! ما الذي تصنعه هنا ؟ تسرق الفاكهة ! أليس كذلك ؟ اذهب من هنا يادعهم إلى أمثالك !

وأدرك اليأس هذا الطفل المسكين فانكش

أحق منه . . . إنني آسف»

فقال صاحب المنزل : « مسكين ! مسكين ! »  
قال جوليان : « إنه شقي شرير . أخرج من هنا أيها الوغد الصغير . لماذا بقيت حتى الآن ؟  
أخرج إلى سائر الأطفال »

ونظر إلى نظرة جانبية وهو عاجز عن السيطرة على نفسه وأنا أيضاً عاجز عن السيطرة على نفسي ، فضحكت في وجهه ساخراً منه ، فالتفت إلى المضيف وسأله بصوت يكفي لبلوغ مسمي عمن عسى أن أكون . وتهاشم الرجلان وخرجا من الغرفة غير مباليين بي .

واهتز جسني من شدة الضحك وخرجت أيضاً إلى الغرفة الأخرى . وهناك رأيت الرجل العظيم محاطاً بالأباء والأمهات وهو يتكلم باهتمام مع سيدة قدمت إليه في تلك اللحظة . وكانت تلك السيدة ممسكة بيد الطفلة ، وكلام جوليان كله إطراء للطفلة وثناء عليها ، فهو يتنقل من مدح جمالها إلى مدح مواهبها إلى مدح تربيتها والأم تصني إليه ولا تكاد تمنع دموع السرور أن تفيض ، والأب يندى علامة لشكره انبساماً عذبة .

وكان السرور شاملاً فاشترك فيه كل إنسان حتى الأطفال ، ووقفوا اللعب حتى لا يشوشوا على المتحدثين . وسمعت أم الطفلة وهي تتخير النقي من اللفظ في مخاطبة ذلك الرجل داعية إياه أن يتنازل فيشرف منزلها بالزيارة ، وسمعته يقبل الدعوة في حمس لا يحاول أن يخفيه ، ثم تجمع المدعوون من أرجاء الغرفة مقلبين نظرهم بين والدة الفتاة وبين جوليان . وسألت جاري بصوت عال سمعه الجميع : « هل هو متزوج ؟ »

فنظر إلى جوليان نظرة مسمومة وقال لي جاري :  
« كلا » ولكن سؤالي وإن أجاب عليه سلباً قد أثار اهتمام الجميع

\*\*\*

ومنذ عهد غير بعيد مرت بكنيسة فرأيت عند بابها جمعاً كبيراً قد احتشد ليحضر حفلة عرس - وكان اليوم مكفهرًا وقد بدأ المطر يتساقط . واخترقت الصفوف فدخلت فرأيت العريس يدياً مرهلاً تبدو عليه علامٌ التغذية الدسمة . ورأيت رجلاً قصيراً يروح ويغدو من طرف الكنيسة إلى الطرف الآخر وهو لا يكف عن إصدار الأوامر

وأخيراً سمعت أن العروس مقبلة فاندفعت في وسط الزحام ، ورأيت جملاً عجيباً قد اكتسى بعلامٌ الحزن العميق

كانت العروس شاحبة مضطربة حتى لقد خلت أن عينها حراوان من أثر البكاء . وتحت مظهر الجلال والحزن طهارة الطفولة التي كانت كأنها تضرع وتتوسل طالبة الرحمة

وكانوا يقولون إن عمرها ستة عشر عاماً . ونظرت إلى العريس محققاً مدققاً فعرفت أنه جوليان ماستا كوقتش الذي لم أكن قد رأيته في الأعوام الخمسة الماضية . ثم نظرت إلى العروس ورجحاً يارب ولطفك !

رأيتها فوليت فراراً من باب الكنيسة على عجل ، وسمعت الناس يتحدثون عن غنى العروس وعن بائنتها البالغة ٥٠٠ ألف رويبل .

قلت في نفسي : « لقد صدق حساب هذا اللعين » . وأسرعت في مشيتي فراراً

عبد اللطيف الأنشاز

أما في كل آن ومكان تملأ ابتساماتها جوانب قلبي  
بأى قضاء قدنتي إلى الشقاء أيها العناية العليا؟  
وماذا كان علي أن أقدم من قبل لأصل إلى هذه  
الحياة الحرة، إلى مثل هذا الولاء والراحة حيث تنطبق  
أوائل ذرات الآمال .

على م يشكو الناس الحياة؟ لهم الله ! أليس لديهم  
الحب؟ وهل من شيء أعذب من الحب؟  
أفأ يمكنني الحب إحساناً أنه يجعل الانسان  
شاعراً بالحياة مدركاً بأنه خليفة ربه؟

حذار أن تشك في الحب فهو سر لن تجد له  
تفسيراً؛ ومهما قيدته الناس بأنواع الاغلال وأحاطوه  
بالدنايا والأقدار؛ ومهما تراكم فوقه من المعتقدات  
السخيفة ما يشوهه ويفسده فإنه يلبق بين هذه  
الأقدار القوة العنيفة السيطرة، والناموس السباوي  
الذي يتسباوى بقدرة وتعاليه عن الإدراك، والناموس  
الذي رفع الشمس في أفلاكها . .

ماهي هذه الرابطة التي تشد الناس بقيود أصلب  
وأمتن من الحديد وهي لا تلتس ولا ترى؟  
يصادف رجل امرأة، فإهي إلا نظرة وكلمة فإذا  
هذه المرأة راسخة في تذكاره لا يجحد إلى محوها من  
صفحاته سبيلاً .

من الذي قضى بأن يحدث هذا الانطباع من  
ذات هذه المرأة دون سواها؟

ارجع إلى العقل والاعتقاد والحس؛ الجأ إلى  
رأسك وإلى قلبك وعد بالايضاح إذا تمكنت منه،  
فإنك لن تجد أمامك إلا جسدتين يواجه أحدهما  
الآخر وليس بينهما إلا الهواء والذي .

ما أسخف من يعتقد بالإنسيته ويجسر على  
اقتحام الحب لتحليله، أرأيتم الحب تصفوه؟

إن أحداً يره، بل شعرتم به شعوراً منكم



## استغفرت في العصور

لألفريد روميه

بقتل الأستاذ فليكس فارس

### الجزء الثالث

#### الفصل السادس

وكنت في ذات ليلة عند مدام بيارسون وكان  
قد مر علي ثلاثة أشهر لم يفتني منها يوم دون أن  
أجتمع بها، وما أذكر من هذه الأيام إلا أنني  
كنت أراها؛ وقد قال لابروير: يكفي الانسان أن  
يوجد قرب من يهوى سواء استغرق في تفكيره  
أو تكلم، وسواء اتجه فكره إليه أو إلى أي  
موضوع كان .

كنت عاشقاً . مرت علينا ثلاثة أشهر ونحن  
تتمتع بالثروة ساعات طويلة فاطلمت على أسرار  
أعمالها البرودة؛ وكنا نجتاز الغابات وهي ممتطية  
مهرأ وأنا أمشي وراءها ويبدى عصا صغيرة، فكنا  
نذهب حاملين هماً وجوراً لنقرع أبواب الأكواخ  
وكان علي مدخل الغاب مقعد خشبي كنت  
أذهب فأجلس عليه كل مساء بعد العشاء فالتقي  
بها هنا لك كأن الصدفة تسوقنا إلى هذا المكان  
بلا موعده .

وفي السهرة كنا نلعب بالورق مع عمها قرب  
الموقد كما كان الحال في عهد والدي، وهكذا كانت



ولو أن هذه الحسنة لم تفتح لي بيتها بمثل هذا الولاء لكنت عززت عاطفتي بشيء من الأقدام ولم أكتب هذه الأشواق العنيفة التي كانت تهزني هزاً كلاً فارقها ولو إلى حين . ولكن ما كان يدور لي من صراحة وإخلاص في معاملتها لي كان كافياً لصدى عن كل إقدام ؛ فضلاً عن ذلك فإن مدام يارسون لم تبذل لي صداقتها إلا استناداً إلى اسم والدي ، وما كان هذا الاعتبار إلا ليزيد في احترايها وفي منلي إلى المحافظة على كرامة هذا الاسم .

قيل « إن من يتحدث عن الغرام فقد كشف من يحده بغرامه » لذلك لم أذكر الغرام إلا عرضاً في حديثي ؛ وكنت كلما تعرضت لكلمة الحب أرى جليستي تقتضب الكلام وتحول إلى موضوع آخر ، وما كنت لأعرف لذلك سبباً ، غير أنني كنت في مثل هذه المواقف ألجأ على وجهها التجهيم التام ؛ وما كنت سألتها شيئاً عن حياتها الماضية ولا خطر لي أن أفاتحها في هذا الأمر لذلك ضربت صفحاً عن كل محاولة .

وكان يقام مرقص في كل يوم أحد في القرية فكانت تذهب إليه في أغلب الأحيان ؛ وما كانت لتبدل شيئاً من بساطة ملابسها لهذه المناسبة بل كانت تكتفي بوضع زهرة تربطها على شعرها بشريلة زاهية فتريد في رونق شبابها . وكان الرقص يثير فيها الروح لأنها كانت محبة كرياضة بريئة . وكان لها مقعدها الخاص قرب جوقة الموسيقى ، فكانت تتوجه إليه قافزة ضاحكة لتجتمع بصوت محبتها ثم تندفع إلى الرقص دون انقطاع . وكنت ألاحظ زوال الكلفة بيني وبينها في هذه الأوقات ؛ وما كنت أشارك في الرقص لأنني لم أزل في مدة الحداد . ولكن خطر لي حين أراها مجرعة أن أتهنئ الفرصة لأبوج

لقد تبادلتم النظرات مع شخص مجهول مر بكم فشعرتم فجأة بانطلاق شيء منكم لا يحيط به اسم ولا يحدده تبير ، فوقها الهوى بكم يشد بأعراقكم إلى الأرض كأنكم حبة الخطة تشمر بالحياة تستنبت منها سنابل الحصاد .

وكنا جالسين سوياً أمام النافذة المفتوحة نطل على حديقة يجر في طرفها ينبوع صغير متصل بسقيته إلى أذنانا . ولكن أنني لو أنني أعيد الآن ما أسألت هذه العين من قطرات ونحن نتبادل الحديث ؛ تلك أوقات كنت أتمل منها حتى لأعنى يقولون إنه لا شيء أسرع إلى القلب من الشعور بالغور ، غير أنني أرى أسرع منه إلى القلب الشعور بالتفاهم وبترصده الحب للتفاهمين . فان لكل كلمة في هذه المرحلة الأولى قيمة تفوت كل تقدير وما يقف الفكر عند ما تنطلق به الشغاف عند ما تتجاوب في أحاديثها القلوب .

لله ما أحل هذه النظرات الأولى يبادلها العاشق نظرات امرأة تجتذبه ! وقله أوائل حديث كأنه محاولات تفكير متردد وتجاوب بيان ؛ ثم يشعر العاشقان بفرح غريب إذ يتحقق كل منهما أن صوته قد أهاج صدى كلنا في قلب الآخر فيجيا حياة مزدوجة يدهشه تقاربها وتلاصقها ، وإذ يثق أحدهما بالآخر ويتيقن من حبه ويعلم أنه ظفر بالتأخي المشهود تفيض الروحان غبطة فتستغل لغة الكلام إذ يسبقها الحب الباطن بياناً وإدراكاً وإذا تخاطبت الروحان أسكت تخاطبهما الشغاف . فيالها من أوقات صمت يعنى فيها من التذكار كل الوجود .

وكان الحب قد قبض على مشاعري منذ أول لقاء وتزايد حتى بلغ الهيام ؛ ولكنني استجيت من هذه المرأة فوجت أمامها لا أبدي ولا أعيد .

وما كنت أعرف شيئاً لإصراري على الصمت،  
وبدلاً من أن أتوجه إلى مسكني ذهبت شارداً في  
القرية وفي الغاب، فكنيت أجلس حيث أجد مقعداً  
ثم أمهض نقاةً . وما انتصف الليل حتى رأيته  
أقرب من بيت مدام يارسون فرأيته مطلة من  
النافذة فارتعشت وأردت أن أنكص على أعقابى  
فوقفت كالأخوذ ثم تقدمت على مهل وقعدت تحت  
نافذتها ولا أعلم إذا كانت عرفتني . ومرت دقائق على  
وجودي فسمعت صوتها الناعم الرنان يتعالى بنشيد  
هيام، وشمعت بزهره تسقط على كتفي فاذا هي ورده  
كانت تحلى بها صدرها في المساء، فرقمته إلى شفتي  
فقال: —

من هنا في مثل هذه الساعة؟ أهذا أنت؟  
وإذني باسمي . وكان الحاجز مفتوحاً فنهضت  
دون أن أجيب؛ ودخلت الحديقة، وإذا وصلت إلى  
وسط المرج توقفت لأني كنت كسائر في المنام  
لا أرى ما أقبل

ولاحت على باب الدرج وهي تحديق بأشعاع  
القمر وقد بدأ التردد على ملاعبها . ونشت نحوى  
فتقدمت إليها وعصاني الكلام فانظرت جاتياً أمامها  
وقبضت على يدها

فقال: اصغ إلى . أنا عارفة . ولكن إذا  
كان بلغ الأمر منك هذا الحد فيجب أن تذهب . أنت  
تجني كل يوم فزح بك . أفأ يكفينك هذا؟ وما  
بوسي أن أقبل من أجلك؟ أفأ بذلت لك صداقتي؟  
ولكم كنت أتمنى لو أنك حافظت على صداقتك لي  
إلى أمد أطول

\*\*\*

لها يحيى . ولكنني ما كنت أحوّل ذلك حتى أشعر  
برهبة لا أستطيع مقاومتها فأعود إلى موقعي الجدى .  
وعزمت مراداً أن أكتب إليها ولكنني مزقت  
جميع رسائلي قبل أن أصل إلى نصفها .

وفي هذا المساء كنت تناولت العشاء معها  
فكنيت أنظر إلى ما حولى من هدوء وسلام وأفكر  
في الراحة التي قدما منذ تعرفت إليها، فقلت في نفسي  
ولماذا أطلب مزيداً على هذا؟ أفأ يكفيني ما أمتنع به؟  
فأدري لعل الله لم يقدر لي مزيداً . ولعل هذه المرأة  
تصدني إذا أنا أعلنت حبى لها فأحرم مشاهدتها .  
وهل إذا قلت لها إنني أحبها سأزيد في سعادتها؟ وهل  
أبلغ أنا سعادة أوفر من التي أمتنع بها الآن؟

وكنيت أفكر في هذه الأمور وأنا مستند إلى  
البيانو فشعرت بحزن شديد فاستولى على، وبدأ الفسق  
يعد غلاله، فأوقدت شمعة ثم عادت نحو مقعدها  
فأرأت دموعاً تتدرج على خدي فقلت: — مالك؟  
فأدوت وجهي

والتمست عندياً فما عثرت على ما أعتذر به .  
وحاذرت أن تقع عينها على عيني فتوجهت نحو  
النافذة . وكان الهواء يهب بليلاً والقمر يطل مرة  
وراء أشجار الزيفون حيث كنت رأيته لأول مرة  
فحكمتي الدهول ونسيت كل شيء حتى وجودها هي،  
ورفعت ذراعي نحو السماء فخرجت زفرة كأنها الأنين  
من أعماق فؤادي

ونهبنت من مكانها فاذا هي واقفة ورائي تقول:  
— ما هذا؟

فقلت لها لقد تذكرت أبي ولجميعي بموته عندما  
رأيت هذه الأشجار  
واستأذنت بالانصراف وخرجت

## الفصل السابع

قالت هذا وسكنت كأنها تتوقع جواباً . وإذ رأيته لا أزال متهدماً تحت وقر أحزاني سجت يدها من يدي على مهل وتراجعت خطوات ثم وقفت لحظة وتولت إلى بيتها .

وبقيت على المرج وكنت أوقع أن أسمع منها ما سمعت ، لذلك لم أتردد في التصميم على الذهاب . وقفت وفي قلبي غصة وانطلقت أجوب أنحاء الحديقة وأنا أحرق بالسكن وبنافذة غرفة مدام ييارسون ؛ ثم عدت أدراجي إلى الحاجز وخرجت متلقة الباب ورأني ؛ وقبل أن أبتعد وضعت شفتي على القفل وقبلته طويلاً

وعند ما وصلت إلى مسكني طلبت من لاريف أن يعد متاعى لأني أزمعت السفر في الصباح ، فدهش السكن لهذه المفاجأة ، فأشرت إليه بأن ينفذ الأمر دون أى استفهام . فأحضر صندوقاً كبيراً وأخذنا نضع المتاع فيه

وكانت الساعة الخامسة صباحاً وقد لاحت نباشير الصباح فوقفت أسأل نفسي إلى أية جهة سأسافر ؟ وما كان خطر لي هذا الأمر حتى الساعة ، فاضطربت له وهوي بجملدي ، فسرحت أنظاري على الحقول وما وراءها من آفاق فاستولى الوهن عليّ فاستلقيت على مقعد وتبلبلت أفكاري . رفعت راحتي إلى جبيني فإذا هو يتصبب عرقاً . وشعرت بحمي شديدة تهز جميع أعضائي ، فنهضت أطلب فراشي وأنا أستند إلى ذراع لاريف . وطراً على التهلول فاكنت أذكر شيئاً مما جرى لي . ومنهال النهار وأمسى المساء فإذا بنغاث موسيقية تصل إلى أذني

فتذكرت أن اليوم يوم أحد ، فأدركت ان المرقص قد دار فأرسلت لاريف ليرى ماذا كانت مدام ييارسون موجودة فيه . فعاد لاريف قائلاً : أنها ليست هناك . أرسلته إلى بيتها فرأى النوافذ مقفلة ، وقالت له الخادمة ان سيدتها سافرت مع عمها لقضاء بضعة أيام عند أحد الأبناء في مدينة . . . وهي مدينة صغيرة تبعد مسافة ليست قصيرة عن القرية . ودفع إليّ لاريف بكتاب سلمته إياه الخادمة جاء فيه ما يأتي :

« منذ ثلاثة أشهر لم أقطع عن مشاهدتك ؛ ومنذ شهر انتصح لي أنك أخذت بالعاطفة التي يدعوها من في سنك غراماً . وكنت أحسب أنك مصرّ على كتمان أمرك والتغلب على نفسك . لقد كنت أحترمك وليس لي أن أوجه أية ملامة إليك عما حدث وعلى قتل غزيمك .

ان ما تحببه جداً ليس إلا شهوة ؛ ولا أجعل ان كثيرات من النساء يحلوطن تنبيه مثل هذه الشهوة وكان الأجدر بهن أن يرضين كبرياءهن باكتساب الإعجاب دون إثارة الشهوات ، ولكنني أرى الآن ان هذه الكبرياء نفسها خطرة وقد أسأت باندفاعي معها تجاهك .

اني أنسبقت في مرحلة العمر بسنوات ، فاطلب منك ألا تحاول الاجتماع بي لأن من يستسلم لضغفه لن يجد بعد ذلك للنسيان سبيلاً . ان ما جرى بيننا لا يمكن العود اليه ولا يمكن أن يُنسى تماماً .

اني لا أفارقك بلا حزن ، فأنا سأغيب عدة أيام . فإذا بارحت البلد أثناء غيابي فاني لأشكرك على ذلك كدليل على ما تشعربه بحوي من صداقة واحترام . »

ربحبت ييارسون

## الفصل الثامن

أننى ملت إلى الظن بأن ارتياحها ناشئ عن المفاجأة ليس إلا .

ولكنها بما لكت روعها وكررت كلهل بكل هدوء، فقلت لها : أطلب إليك أن أراك للمرة الأخيرة . فأنى سأسافر وأترك هذه البلاد فأصعد بأمرى بل أذهب إلى أبعد ما يقصدين . أقسم لك بأننى سأبيع بيت أبى وكل ما يملك لأهاجر إلى البلاد الأجنبية ! ولن أنفذ هذا القسم إلا إذا قبلت رجائى ، وإلا فأننى أبقي . لا تخافى . فأننى مصمم على هذا . فقطعت حاجبها وأجالت نظرات غريبة إلى ما حولها ثم قالت فى شيء من اللطف : تعال غداً فى النهار فأقابلك . وذهبت .

ذهبت إليها فى اليوم التالى عند الظهر فأدخلتني الخادمة إلى غرفة دعيمة الرياش حيث وجدت مدام ييارسون وحدها جلست تجاهها وقالت : ما أتيت لأشرح ما أعانى أو لأنكر ما فعلت حيك بى . لقد قلت لى فى كتابك إن مايجرى بيننا لا يمكن نسيانه فما أصدق ما عبرت عنه ؟ غير أنك قلت بعد ذلك إن اجتماعنا على ما كنا عليه من قبل أصبح مستحيلاً ، وهذا مالا أراك على حق فيه . أنا أحبك وما فى ذلك إهانة لك ، فوضعك لم يتغير مادمت أنت لا تحببى ، فإذا ماعدت إلى الالتقاء بك فلن يكون مدار الأمر إلا على وحدى وحيى لك كافل لك صياتك .

وأردت أن تقاطعنى فلم أتوقف بل تابعت قائلاً : — بتحقك اسميحي لى أن أذهب إلى آخر حديثى . إننى أعلم ولا يعلم أحد أكثر منى أن حبي سيتقبل على كل ما لك من حرمة عندى وعلى كل عهد أقطعه تجاهك على نفسى . وأنا أكرر لك القول بأننى ما أتيت لأنكر عليك ما يضره فؤادى ؛ وأنت أعلنت لى أنك عارفة بمجيئى منذ زمان فما الذى ردني حتى

(٨)

والأزمنى إلى الفراش أسبوعاً كاملاً . ولما استعدت قوى كتبت إلى مدام ييارسون أقول لها إننى أطيع أمرها ، وكتبت هذا العهد وأنا عازم على القيام به غير أننى مابلت حتى عدلت عنه .

استقلت عربية فسارت تبعدنى عن القرية حتى إذا أصبحت منها على مسافة ميلين صرخت بالسائق فأوقف السير وترجلت أتمشى على الطريق وأنا معلق بأصارى على البلد الذى قررت مبارحته ، ووقفت تنازعنى عوامل بلبلت من خاطرى ، فشعرت بأننى أعجز من أن أتابع طريق وأن مواجهتى الموت فى مكانى أسهل علي من ركوب العربة المولية . وأسدرت أسمى إلى السائق بالتكوص وبدلا من الاتجاه نحو باريس انطلق الفرسان يقطعان الأبعاد إلى قرية . . . حيث نقيم مدام ييارسون .

وصلت إلى هذه القرية عند الساعة العاشرة ليلاً ، وماكدت أنهل فى الفندق حتى طلبت من الخادم أن يدلنى على بيت نسيب بربحييت . فذهبت إليه ، وإذا قرعت الباب قابلتنى الخادمة فقلت لها أن تبلغ سيبتها أن رسولاً من قبل دسبريس كاهن القرية يطلب مواجهتها .

وتوارت الخادمة فى الدهليز فوقفت فى الباحة وكان المطر يتساقط ، فتقدمت إلى قبو تحت الدرج أتت فيه البلل ؛ وبعد فترة نزلت مدام ييارسون تتبعها خادمتهما فما رأتنى وأنا فى الظلمة ، فتقدمت إليها ووضعت يدي على ساعدها فرجعت مذعورة ونادت : « ماذا تريد منى ؟ »

وكان صوتها يرتجف ؛ وإذا تقدمت الخادمة بالنور رأيت وجهها منمقاً إلى درجة حسبتها نافرة منى لولا

الذى أحاذره هو فقدانى ليالك . ألقى التجارب على  
فاذا ما بلغ بى الألم حدا لا قبل لى بأحباله فانى لن  
أتردد فى الرحيل . وأنت واثقة من خضوعى لانبى  
مستعد اليوم للسفر تنفيذاً لأمرك .

وتوقفت أنتظر جوابها ، فهضمت من مكانها فجأة ثم  
عادت فاستلقت على مقعدها وبعد صمت قصير قالت :  
— كن واثقاً من أن الأمر ليس على ما تظن .  
ولحظت أنها تتلمس فى نذكارها كلمات تخفف  
من صرامة نياها فوقفت وقلت لها :

هى كلمة واحدة لا غير أطلبها منك . أنا  
لا أعرف من أنت فاذا كان فى قلبك رحمة فأنا  
أشكرك عليها . قولى هذه الكلمة فانت حياتى  
متوقفة عليها .

وهزت رأسها بتردد ، فاردفت قائلاً : إنك نظنين  
أنى سأسئى وأنا أسأل الله ألا يحرمك من هذا  
الظن . إذا أنت طردتنى الآن .

ونظرت إلى الأفق ورأيت العزلة تنتصب أمامى  
ورأيتى طريداً شريداً أفسحرت بتجمد الدم فى عروقى  
ونظرت إليها وأنا واقف أعلق عليها أبصارى وأتتظر  
جوابها وكانت كل حياتى معلقة على شفتيها .

فقالت : اصغ إلى . إنك قدومك إلى كان  
مجازفة ، فيجب ألا يعلم أحد أنك أتيت من أجل  
وسوف أعهد إليك بمهمة تقوم بها ، فاذا ما رأيت  
السفر فى هذه المهمة طويل الأمد فلك أن تقصره ؛  
ولكن إلى حد ، وعلى كل حال أرى سفرك إلى  
حين سيسكن من اضطرابك

إنك ستذهب إلى « الفوج » ومنها إلى  
ستراسبورغ وعندما تمود بعد شهر أو على الأصح بعد  
شهرين تطلقى على نتيجة مهمتك وعندما أتتمكن من  
أن أعطيك جوابى بأصرح مما يمكننى أن أفعل الآن  
( يتبع )  
فيلكنى فارس

اليوم عن إعلان هذا الحب لك ؟ إن ما أؤمنى  
الضمت إنما كان خوفاً من فقدك وحرمانى من  
الاجتماع بك ، وهذا الذى حاذرتة قد وقع . فأنا أرضى  
بشرطك على أن توصدى بابك فى وجهى إذا  
ما بدرت منى بادرة تحرف عن احترامى الشديد لك .

لقد تمكنت من السكون فيما مضى فلن أتكلم بعد  
الآن . أنت نظنين أنى أحببتك منذ شهر . لا ، لقد  
أحببتك منذ أول يوم . وأنت عرفت حجبى فادعاك  
ذلك إلى منى من مشاهدتك . فاذا كنت فى هذه  
الأنباء واثقة من أن حرمتك لن تميز لى أن أسئ  
إليك فلماذا تفقدننى هذه الثقة اليوم ؟ لقد أتيت  
مطالباً بهذه الثقة فما الذى ارتكبتته تجاهك ؟ ألا تبنى

طويت ركبتى على الأرض دون أن أنبس بكلمة  
أعد جانباً ؟ وهل عرفت من هذه الحركة شيئاً كنت  
تجهلنيه قبلها ؟ لقد وهنت قواى لأننى كنت متألماً  
فاصغ إلى ياسيدي . إننى فى العشرين من عمرى ومع  
ذلك فقد رأيت من الحياة ما أورتنى كرهاها حتى  
غدوت لا أرى لى فيها مقاماً أرتاح فيه ، لا بين الناس  
ولا فى العزلة والانفراد ؛ وليس لى من مستقر أنفسى  
الحياة فيه إلا هذا الذى الذى يجده جدران حديقتك .  
إنك دون سواك السكان الذى أومن قربه بالله .

ولقد كنت أعرضت عن كل شئ قبل أن عرفتك ،  
فلماذا تريدن حرمانى من الشعاع الوحيد الذى منحنى  
الله إياه من الشمس ؟ فاذا كان الخوف يدعوك إلى  
هذا الاحتياط فهل أتيت ما يبرر هذا الخوف ؟ وإذا  
كان سببه نفرة منى فأبى عمل استحققت هذا النفور ؟  
أما إذا كان ما دعا إلى هذه المعاملة إشفاقاً على  
ما احتملته من الآلام فانك منخدعة فى اعتقادك بإمكان  
شفائى . لقد قالت إمكان الشفاء منذ شهرين ، ولكننى  
فضلت أن أحتمل الآلام بقربك . ولست بناقم الآن  
ولا غداً على هذا مهما فملت بى الآلام . إن الشقاء



هو ميروس



## الأساطير من الأولين

بقلم الأستاذ دريني خشبة

### مقدمة الفصول السابقة

« بعد أن وضعت الحروب الطراودية أوزارها عاد الأبطال اليونانيون إلى ديارهم ما عدا أوديسيوس ملك إيثاكا، وكانت زوجته بلوب من أجل غادات هيلاس قطع في التزوج منها جميع أمراء البلاد، ولكنها وفّت لزوجها. ولولدها تلك قطنتهم ولكنها حاصروا بيتها ليرغموها على تخير واحد منهم ببلالها. ولما شب تلك البحر إلى ييلوس وأسرطة ليبت عن أبيه وقد أخبره ملك أسرطة أن أباه ما يزال سجيناً عند عروس البحر كاييسو - وقد غيظ العشاق لما فعلوا بغير تلك فتربصوا له ليقالوه عودته. أما أوديسيوس فقد سافر من عند كاييسو بأمر كبير الآلهة تريوس على رمت ظل يشق به عباب البحر حتى كاد يفرق بالقرب من شاطئ مملكة شيرويا بلاد الفياشيين وقد نجا بعد جهد ولّى ابنه الملك تلمب وتلهر في ربرب من أغرابها فسألها أن تله على بيت الملك فدلته عليه، ولّى ثمّة الملك الكينوس التي أكرم مثواه وأقام له خلا راضياً بتجباله، وقد أبدى أوديسيوس في هذا الحفل من غروب القوة ما بهر القوم ولكنه بكى بكاء طويلاً حيناً سمع المندد الأعشى - مطرب الملك - ينشد ماحدث عن طراودة ويتغنّى بشجاعة أوديسيوس؛ فلما سأل الملك من هو وما سبب بكائه أخذ يسرد

قصته منذ غادر طراودة وكيف غزا إزماروس وما كان من أصحابه في بلاد اللوتوفاجي - أكلة اللوتس - ثم ما كان بعد ذلك من حبسهم في كهف السيكلوب ونجاتهم منه بعد أن أكل منهم عدداً وقيراً - ثم ما حدث لهم في أرض المردة الآخرين، ورسومهم بحيزرة ربة البحر سيرس وكيف سحرت بعض أصحابه إلى خنازير ثم ذهباها لأعاذهم من سحر هذه الربة. وغمانها به ثم نصيحته أن يرحل إلى الدار الآخرة للقاء الكاهن الطبي تيرزيس ليرف له عن مستقبله ورجوعه إلى بلاده - وهو في الفصل التالي يقص كيف قام بهذه الرحلة إلى هييز وكيف لقي الكاهن ولّى روح أمه... الخ »

## رحلة أوديسيوس إلى الدار الآخرة

« وذهبتا إلى الشاطئ، فآثرنا الفلك إلى الماء،

ثم أصلحنا القلاع ونشرنا الشراع، ووضعنا القرائين على السطح، وزدقنا من الدمع ما شأنت لنا الهوموم والألام... وأقلعنا... وأرسلت سيرس

من كل فيج ، وأقبلت مهطلة كأسراب الدبى ...  
يا لآلهة ! هنا ، ذرافات العذارى جزعن كأس  
الحمام في ميعة الصبا ؛ وهنا ، جوع الشباب اليانع  
كأفواف الزهر غلهم عادى الردى ؛ وثمة ، عرائس  
سأدرت تسربلن سواد الحزن ، فحظهن المنيا ليلية  
الرفاق ؛ وهناك ، أطفال كأكام الورد لما تفتح  
قطفتهم أيدى النون ؛ وعن كئيب ، وقفت كواكب  
المحاريب الذين لطنخوا بالدماء وجه البسيطة ...  
والآباء والأمهات والأجداد ... أقبلوا يتدافعون  
نحو الوهدة صائحين صاخحين ، قاذفين في قلوبنا  
الرب ... ثم إنى هتفت برجالى فشرعوا يحرقون  
القرابين ويصلون لرب هذه الدار — بلوتو —  
ولزوج ، ورحلت أنا أذود الأشباح الهائجة عن  
دم الضحايا يسقى أضرب به ههنا وههنا ، حتى  
لحت روح رفيقى إليفور<sup>(١)</sup> الذى ركناه فى أرض  
سيرس دون أن نقيم له شعار الموت لما كنا بسبيله  
من هموم ... لحت روح رفيقى فتصدعت ، ثم ذرفت  
عبرات وعبرات ، وكلته قائلاً : « إليفور ! يا صديقى !  
كيف وصلت إلى ظلمات هذه الدار الآخرة فى مثل  
هذه السرعة ، ولم تحملنا إليها سفينتنا إلا بعد لى ؟  
عمرك الله هل سبحت فى الهواء ؟ أم طويت إليها  
الرحب ماشياً ؟ » وأنهرت من عينيه دموع ودموع .  
ثم قال يجيبني : يا ابن ليرتيس التليل ، المزعوف فى  
المالين بالحكمة وذقة الفهم ، لقد أودى بى السكر  
فسقطت من سطح سيرس فلدق عنق ، وأسرعت  
من ثمة على درج الظلمات إلى هيذز ... على أننى  
أستحلفك بكل عزيز عليك ، يندلوط ، بالنار المفسدة

بين أبدننا ربحاً رخاء كانت خير معوان لنا وخير  
رفيق فى سفرتنا الرهيبة هذه ، حتى تركناها مقاليد  
الفلك ، وأنسَدَ حننا<sup>(٢)</sup> فوق السطح من غير  
ما عمل . ولم تزل تجرى بنا طول هذا اليوم حتى إذا  
أوشكت الشمس أن توارى بالحجاب ، وقارب الظلام  
أن يلقى أردانه على الكون الهادى ، أشرفنا على تخوم  
البحر الأعظم ، حيث نهض مدينة السميرين التى  
ينعقد من فوقها دَجَن<sup>(٣)</sup> كثيف وظلمات داجية ،  
فلا تنفذ إليها شعاع من نور ، ولا ينجيها رسول من  
شمس هذه الدنيا العاملة الدائبة ، التى يسطع فى سماواتنا  
ركبها الفخم ؛ فهي أبداً فى ليل متصل مدلم ،  
لا تنجاب عنها غواشيه . وهنا ، ألقينا مراسينا ،  
وأزلنا الكباش والشاة إلى البر ، وانطلقنا فوق سيف  
البحر إلى حيث أمرتنا سيرس الإلهية ، وتركنا  
يوريلوخوس بن برميد عند القربانين ، وعينت أنا  
باحترار الوهدة فغلها ذراعاً فى ذراع ، ثم شرعت  
أصب تقدمات الشراب باسم الموني ، فبدأت بجزج  
اللين والعسل اللصق ، وأتبعته بالخر المعتقة ؛ وثلثت  
بالاء القراح ؛ ثم ثرت على ذلك كله دقيق الشعير ؛  
وصلت من أجل الموتى ، ونذرت — إن عدت إلى  
إيشاكا — أن أنحي لهم بجعل جسد ذى خوار  
يكون آمن وأقوى ما فى قطمانى ؛ أذبحه وأخرقه  
فى نار مجللة بكل ما يشوق الأشباح من أرواح  
وطيوب . وخصصت الكاهن الطيبى ( تيرزاس )  
فندرت أن أضحي له بأحسن كباشي وأعظمها مئة .  
ثم شمعت عن ساعدى ، وذبحت القربانين ، فتدفق  
الدم فى الوهدة ... وهنا ... أهرعت الأشباح

(١) انسح نام وفرج بين ساقيه .

(٢) السحاب المظلم

(١) التل الذى سقط من السطح فوق عقه ( الفصل  
السابق )

فيها لعدواً لودواً يتأترك ، ذلك هو نيتيون الذي  
أسخطته بما سمعت غين ولده السيكلوب (توليفيم)؛  
على أنك واصل بعد أهوال جسام إلى وطنك ،  
فإنك إن كبرت حجاج شواطئك ، أنت ومن معك ،  
فإنك واصل يوماً إلى شطآن تريناشيا ، وتكون قد  
أفكت من روع اليم وأرزائه ، فإذا كنت ثمة ، فأحذر  
أن تحس قطمان رب الشمس الساعة في الجزيرة بأذى  
إن كنت تجد حريص على العودة إلى بلادك سالماً ،  
مهما اقتضت بعد ذلك من عذاب وعقاب . فإذا  
نسبها منكم أحد بأذى ، فويل لكم جميعاً ! إن  
فلنك تقوص إلى الأعماق ، ويفرق رجالك أجمعون ؛  
أما أنت فتتجو بعد جهد ، وتلتقط سقينة  
عابرة وتمود بك بعد شقاء وبلاء ، وعناء أبعاء ،  
إلى وطنك الذي ينتظرك فيه ألف ويل وويل !  
ستجد قصرك المنيف محتلاً بظمنة أشرار من عشاق  
زوجك الوفية لك ، يُربون خيوك ويُذبحون  
شاءك ، ويُفرون بلوب بالعطايا والرشي لختار  
من بينهم بلاء لها . . . ولكنك ستنتقم منهم  
وتنتصف لما قدموا من سوء ، وستبذل مجموعهم ؛  
فإذا تم لك النصر عليهم فانطلق من فورك إلى الشعب  
الذي لم ير البحر أحد من أهله ولم يذق للملح أحد  
منهم قط ، ولكن معك مجذاف عظيم يدلك عليهم  
فإنهم إن رأوه عجوا من منظره ، وظنوه مفرأ بما  
يدري به القمع ؛ فإذا عرقهم فاغرس المجذاف في  
أرضهم ، وضع لنتيون رب البخار بعجل جسد  
وكبس سمين وخزير كنزاً (١) ، ثم تبث إليه  
وأحب ، وانطلق إلى وطنك ، وضع بأحسن

(١) بالكسر سمين

التي تتأجج عن قبسها حياتك ، بولئك الأوحاد  
تلك أن يجمع ما تبقى من سلاحى وعتادى إذا عدت  
إلى أرض سيرس ، وإنك إليها لعائد حين ترجع  
أدراجك من عالم هيدز ، وأن تحرق جثائى في نيران  
هذا المتاد ، ثم تصلى لى ، وتضرع للآلهة من أجل  
حتى أقر هنا ، وتبدأ في تلك الظلمات روحى ، وأن  
تفرس فوق الكومة التي تشمل زفانى ، مجدافى  
العزيز الذي عملت به في البحر تحت إمرتك ، وفي  
ذوى سلطانك وقيادتك ، حتى يذكرك في العالم  
الفانى الداكرون . . . ووعدته أنى فاعل . ثم لم أزل  
أخود الأشباح عن الدماء المتدفقة . ولجأة تحت بين  
أرواح الموت شبح أوى ! أوى المحبوبة أتكلياً ابنة  
الشجاع أوتوليكوس ، التي تركتها يوم جمعت شطر  
طروادة قوية « شابة » غريضة الصباريئة الشباب .  
وما وقعت عيني عليها حتى أجهشت وأجهشت ، ثم  
انهمرت من مقلى أحر العبرات . . . ومع ما كان  
يبتلع به صدرى من الأسى عليها ، فقد ذلتها عن  
الدماء كذلك ، وبى من الهم تلك الفعلة ما أوهنتى  
وأضوانى . ثم أقبل بنوطية وكاهنها الجليل ، بتوكاً  
على عصاه الذهبية ؛ وما كاد يحملنى قليلاً حتى  
عرفنى وخاطبنى يقول : « لم غادرت الدنيا الدافئة  
المشرقة أبهذا التمس ، وقدمت لتزى هؤلاء الموتى  
ولتضرب في ظلمات هذا العالم العبوس ! ولكن  
نح هذا السيف قليلاً حتى أخرج من تلك الدماء ،  
وإنى لهدئك حديث الصدق عما جئت من أجله . »  
وأغميت سيقى ، وأبجنى الكاهن فعب من الدماء  
ما شاء ، ثم نهض فقال لى : « أوديسوس ! إنك  
تجهد أن تمود أدراجك إلى بلادك ، غير أن طريقك  
إليها محفوفة بالمكاره ، ممتلئة بالعقبات ؛ وإن لك



تجشمت الأحوال الثقال منذ توجهت مع أبا ممتون  
للقاء أبناء طروادة... وهأنذا منذ ذلك اليوم لم  
تطأ قدماى أرض وطنى... ولكن... نبشئى يا أماء  
أية ضربة أودت بحياتك الغالية؟ هل سفك  
دمك أحد؟ أم أصابك سهم من ديانا؟... وحديثى  
كذلك عن أبى السند الشيخ، وعن ولدى تليماك،  
وحديثى عن ملكى وعتادى، هل غلب عليها أحد  
من سادات البلاد، حين يمس الكل من عودتى؟  
وخبرى عن زوجى، أما تزال تعيش مع ولدى  
مخلصة وفيه لى، أم تزوجت من أحد أمراء  
هيلاس؟! «وقال الشبح الكريم بحميينى: حشايبنى!  
إنها لا تزال وفيه لك، مبقية على ذكراك، مبقية  
فى قصرك، وإن تسكن تقضى ليالها وأيامها فى  
حزن ممض عليك، ودموع جارية من أجلك،  
وآلام ماتتغى لبعدك. أما أملاكك فما تزال لك،  
وما يفتأ ولذك يغلبا بسلك، وما يفتأ ينشى الولائم  
فى أبهة الأمراء، ورؤاء الأمانل العطاء: ولم يزل  
أبوك مقيا فى مزارعك، عزوفًا عن المدينة  
وبهرجها، وأرائك القصور وزرايها، وهو يقضى  
أيامه بصطلي نار المدفأة فى الشتاء، قابمًا على فروته  
الفقيرة المتواضعة، غارًا فى أثماله وعزقه، فإذا جاء  
الصفى، أو فجأه الخريف، اعتكف فى ناحية،  
وانطرح على المشيم المساقط من الأشجار، وراح  
يعالج من الحزن عليك، والبكاء بسبك، ما يوهيه  
ويضنيه، طوال تلك السنين البوالف؛ وهكذا  
هلكت أنا الأخرى من طول التفجع عليك،  
والتصدع من أجلك، فلا ديانا أضمت فؤادى بهم  
ولا اعتدى على معتد... بل الحزن وحده

ما تملك من الشاء والنعم للآلهة، وصل لكل  
منها وأخشع، تمش آمنًا غائمًا، وتمت بعد حياة  
هادئة موة قررة ناعمة بعد حكم عادل طويل،  
وشيخوخة هائلة موفورة... هذا من أبناء الحق  
عرقها لك.»

وقلت له: «أنا لا أكذبك يا تيرزياس فىما  
كشفت لى من أبناء النيب؛ ولكن حدثنى  
جملت فداك: إنى ألج شبح أى جائمًا بالقرب من  
الدم دون أن تتططف بكلمة واحدة على أبها الحبيب.  
فمن ذا الذى يشمرها أنى - أنا أبها الأوحده - قريب  
منها!» فقال: «لا أيسر من ذلك يا بنى! فانك  
إن تركت أيا من هذه الأشباح يرشف رشقة من  
ذاك الدم، فإنه يتحدث إليك بند، وينبئك بما  
تشاء.» ثم غاب شبح الكاهن فى ظلمات مملكة  
بلوتو، وسمرت أنا مكاني أنتظر شبح أى، التى  
ما كادت تتذوق الدم حتى عرفتنى، وانطلقت  
تكلمنى فى ترفى وحنان: أى بُنى كيف أتيج لك  
الضرب فى دياجير هذه الدار الآخرة وأنت ما تزال  
حيًا تدب على رجلحك؟! ألا ما أشق هذا على بنى  
الموتى من أهل الدار الأولى! إن ههنا أنهارًا من  
حميم يدور بعضها على بعض، وقد تطغى على شيطانها  
بعباب حمى، ويحيط بها البحر الأعظم الذى  
لا تشق أجياله فلك، بله قدم سائر عابر! أواه!  
لقد ذرعت البحار شرقًا ومغربًا فى رحلتك من  
إلى يوم، أنت ومن معك، ولما تصل إلى إيتاكا  
العزيزة: «وسكنت قليلًا، فسألها: «الظروف القاسية  
وحدها يا أماء هى التى قادتنى إلى مملكة بلوتو،  
ليعرف لى الكاهن الصالح الطيبى تيرزياس، ولقد

أنهار الدنيا - قد كان مشغولاً بها حباً ، وأنها ظالما  
كانت تغشى شطآنه البصر ، وخماله الخضر ، من  
أجل ذلك . وأنها كانت يوماً تلعب هناك بمخازن  
شبح جميل كأنه شبح حبيبها يظهر فجأة ثم يأخذها  
بين ذراعيه ، ثم يعلو طوفان من اليم فيطوئهما معاً ،  
ثم تفيق فتري نفسها بين ذراعى نيتون الجبار رب  
البحار الذى يشكها غرامه هو الآخر ويشتها  
حبه ، ولاعج قلبه ، ثم يهوى بها إلى أعماق  
مملكته السحيقة ، ويمارشها كزوجة ، ثم يرسلها  
بعد أن يوصيها بولديه التوأمين منها ، ثمرة الحب  
السرمدى للقدس ... ويفوص في اليم . وتعود  
هى إلى بلدها فتضع ولديها العظيمين - وزرى  
جوف الأكبر - پلياس ونليوس - ويشب پلياس  
ويضرب في الأرض ، فينتهى إلى مروج إياطلوس  
ويرعى ثمة بهمه وقطعانه ؛ أما نليوس فيسكن البلقع  
الجذب من أرض پيلسوس ... وتزوج من  
كريتيوس بعد ذلك كله ، فتنجب منه أبناءها الثلاثة  
الآخرين<sup>(١)</sup> ، ذوى الشهرة والمجد . ثم كُتبت قصص  
ابنة آسوب التى راحت تفخر بما كان بينها وبين  
جوف - كبير آلهة الأوبل - من هوى وصباة  
وحب ، وأنها أُتجيت له ولديه العظيمين أمفيون  
وذيتوس منشئ طيبة العظيمة ذات القلاع والتلاع  
والأبواب السبعة ... ولقيت بعدها ألكمينة ابنة  
أمفيريون حبيبة جوف ، وأم هرقل الحديدي  
الجبار ... ولقد ذُكرت لى أنها تزوجت من كربيون  
بعد ، فأنجبت له ابنته ميجارا ، زوجة ابن

(١) حدثنا هنا الأسماء مؤقفاً

يا أوديسيوس ، والوحشة والضنى ، وطول الوجد ،  
وذكرارك في كل حين ؛ بكل أولئك يابى اختصر  
عود حياى ، وعجل إلى مائى ! » وما كادت تفرغ  
من حديثها حتى « أزرقت<sup>(٢)</sup> » إليها أود لو ضممتها  
إلى صدرى ، بيد أنى فشلت مرة وأخري وثالثة ،  
إذ كانت تنفثل في كل مرة من بين ذراعى كما ينفثل  
الفلل . أو كما يسرى الحلم . ولم أطق على ذلك صبراً  
فقلت لها : « لساذا تأبين على عناقك يا أماء وقد  
تتداوى به ما بنا من شجو ، ولو كنا هنا في مملكة  
پاوتو ؟ أم ياترى أرسلت إلي برسفونييه شبحاً  
يعبث بي ويتضاحك على ؟ » قالت : « آواه يابى ،  
يا أنعى بنى الموتى ! أبداً ما حولت ربة هيدز أن  
تعبث بأحد ، ولكنها طبيعة الموتى هنا ، فهم  
لاعضل ولا لحم ولا عظم ، ولا مذهب به النار بعد  
الموت في الدار الأولى ... بل هم أرواح تشبه  
الظلال أو الأحلام في خفتها وسرعة انفلاتها ...  
ولكن هلم فعد أدراجك إلى النور ... فلقد جاءك  
من الحق ما هو حسبك » . ثم هممت حولي أشباح  
العذارى والأزواج من بنات هيدز ، سعين من عند  
برسفونييه ، فامتشتق سيني ، وطففت أذودهن فلا  
يقربن الدم إلا باذنى ، واحدة بعد واحدة ، لتقص  
على كل منهن قصة حياتها . ولقد كُتبت أول من  
كُتبت تيرو<sup>(٣)</sup> الحسناء ، كريمة المحتد ، طيبة الأعراق  
فذكرت لى أنها ابنة سالون وزوجة كريتيوس بن  
پولوس - وأن أبنيوس إله السليل ، أعذب

(١) أسرع

(٢) لم نألف أن ننقل أحداث أوديسيوس مع بنات هيدز  
كما تفصل بعض مترجمي هومر ، بل أترنا لأبائنا كما هى ،  
ونحن نعمل القارىء عن الملل لأن الأوديسة أعلى من أن تمل

ما تتمعن ثمة قليلا ولا كثيرا، فقد أصمها ديانا الغادرة  
بسماها، وشهد فعلها المنكرة باخوس العظيم ...  
في ديا

ورأيت ميلا... وكليميني... وإريفيلا التاسعة  
التي قبلت أن تنال من روح زوجها من الذهب  
والآن!! وقد أوشك الليل أن ياتي علينا طيلسانه  
فما أحسبني أستطيع أن أحصى زوجات الأبطال  
العظام وبناتهم اللاتي لقيت في هيدز، فخذوا لو أمر  
الملك فانطلقت لأستريح في سفيتي... أو هنا إن  
أذن... وكلّي ثقة فيكم، وإيمان بالآلهة، أنكم  
ستدبرون أمر إبحاري إلي وطني حتى الصباح...  
(ينبع)

## تاريخ الأدب العربي

لعمرو بن أسد من الزبابة

الطبعة السادسة

في حوالي ٥٠٠ صفحة من القطع المتوسط

يعرض تاريخ الأدب العربي منذ نشأته إلى اليوم

في صورة قوية تحليلية زائفة

ثمة عشرون قرشاً ويطلب من إدارة الرسالة

ومن لجنة التأليف ومن سائر المكاتب

أفقترون...؟... ولقيت الحسناء أليكاست<sup>(١)</sup>  
أم أديوس الملك التاسع، الذي زوجها وهو لا يدري  
أنها أمه، بعد أن ذبح أباه، فصبت عليه السماء  
سياط عذابها، وذهب على وجهه في الأرض حيران؛  
أما أمه، فقد سبقت روحها إلى هيدز بعد إذ شنت  
نفسها في سقف بيتها، تاركة ولدها لرباب العذاب  
يسمته الحسف ويجرعه الأوصاب... ولقيت الغادة  
الحُسناء خلوريس التي هام بها نليوس وتتر تحت  
قدمها هداياه، فأسلست له ورزق منها أبناء الثلاثة  
نسطور وخروم وبركل، الليامين ذوى المجد...  
ثم كلفتني ليذا زوجة تدار، أم كاستور الصنديد  
وبولكس الملاكم المتيد، إنهما ينعمان بنعمة زيوس  
أبي الآلهة، فهما يتبادلان الموت والحياة، سنةً  
فسنة<sup>(٢)</sup>، وفاء منهما بحبة وإعزازاً...؟...  
ثم رأيت إفيديا الحبيبة التي غرت بهام نيتيون  
والتي أحببت له طفليه الجليلين أوتوس وإفالت اللذين  
بزا بجملها كل من دب على وجه الأرض، باستثناء  
أوريون... يا لها من طفلين!! لقد شيا نيران  
الحرب على آلهة السماء وحاولا رفع أوسا إلى قمة  
الاولب فجعلوا نليون على أوسا ركاباً، وقد أوشكا  
أن يفلحوا لأن دجهمبا زيوس وولده أبوللو ليكونا  
عبرة لغيرهما... فيا للموت! هذا المعتدي على شباهما  
الغض فأذبل الخلدود وأذوى الورود!  
ورأيت بعد ذلك فيدرا، ولقيت آريادن الفتان  
وبروسين اللعوب، أما آريادن فقد حملها ثيديوس من  
كربت إلى فراديس أئينا... ولكن وأسفاه! إنها  
(١) بجوكشا  
(٢) وردت عنها أسطورة زائفة ستمهرها قريباً

(طبعت بمطبعة الرسالة بالرواية بشارع المهدي عمارة محمد رقم ٧)





# الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

مجلة الآداب الرفيعة والثقافة العالية

تصل الماضي بالحاضر وتربط الشرق بالغرب

على مدى وبصيرة

الرسالة : تعبر باخلاص عن روح النهضة المصرية

الرسالة : تجمع على وحدة الثقافة أبناء البلاد العربية

الرسالة : تصور مظاهر العبقرية للامت العربية

الرسالة : تسجل ظواهر التجديد في الآداب العربية

الرسالة : تحيي في النشء أساليب البلاغة العربية



مجموعة أعدادها ديوان العرب المشترك ، وكتاب الشرق

الجديد ، وسجل الأدب الحديث ، ودائرة معارف عامة



الاشتراك الداخلي ستون قرشاً ، والخارجي ما يساوي جنباً معريكة ، وللبلاد العربية بخم ٢٠ ٪



صاحب المجلة ومديرها  
وردئيس تحريرها للمستول  
احمد حسن الزيات

برل الونتراك عن سنه

٣٠ في مصر والسودان  
٥٠ في الممالك الأخرى  
١ عن العدد الواحد

ادارة

شارع عبد العزيز رقم ٣٦  
الجهة الحضراء - القاهرة  
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

# الرواية

مجلة اسبوعية ثلثية

نصدر مؤقنا في أول كل شهر وفي نصف

العدد الرابع عشر ٨ جمادى الثانية سنة ١٣٥٦ - ١٥ أغسطس سنة ١٩٣٧ السنة الاولى

## مسابقات الرواية

١- مسابقة القائل في مذكرات نائب في الورياف

اشترك في هذه المسابقة قراءة ألف كاتب ،  
ولكن أحدا منهم لم يوفق إلى الحل الذي انتهت  
به هذه القصة في العدد الماضي من الرواية وهو حفظ  
القضية لعدم معرفة القائل . ولذلك لم يظفر أحد بالجائزة

٢- مباراة الأوقصوصة

تجمع لدينا في هذه المباراة ثلاث وسبعون  
وأربعمئة أقصوصة من مختلف الأقطار العربية . ولما  
كان الأساتذة الذين ستؤلف منهم لجنة التحكيم  
قد تركوا القاهرة للاصطيف في أماكن متفرقة ،  
اضطرونا إلى تأجيل تأليف هذه اللجنة إلى أول  
الخريف . على أننا نستطيع أن نعلن من الآن أن اللجنة  
ستؤلف من الأساتذة : توفيق الحكيم ، محمد فريد  
أبو حديد ، ابراهيم عبد القادر المازني ، محمود تيمور  
ثم رئيس تحرير هذه المجلة .

## فهرس العدد

صفحة	
٨٤٢	الحب للكاتب الروسي { للأستاذ عبد الحميد حدى أنطون تشيخوف ...
٨٤٨	شيخ كاتريفيل للكاتب { بقلم الأستاذ بشير الشرقي الانجليزى اسكار وايلد
٨٦٥	الفتاة التي سلبتي ولدى { بقلم إميل فوج ... مترجمة عن الانجليزية
٨٧٥	الأحجار الجاهزة للشاعر { للأديب شاكر محمد عياد الفيلسوف رابندرانات طاغور الهندي ...
٨٨١	أجلافيين وسيليزيت { بقلم الدكتور محمد غلاب رواية تشيلية لموريس ماترك ... ..
٨٩٤	اعترافات في العصر { بقلم الأستاذ فيليكس فارس لألفريد دي موسيه
٨٩٩	الأوذنية لهوميروس { بقلم الأستاذ دريني خشيبة



# الحب

لغالب الروى الكبير انظرون تشيروف  
بسم الاستاذ عبد الحميد حمدى

كتابة هذا الخطاب  
خمس مرات، وكنت  
في كل مرة أضرق  
الورق وأحوصفحات  
كاملة وأعيد كتابتها،  
ولقد قضيت في  
كتابته من الوقت  
ما يكفى لكتابة قصة  
كاملة وتهدبها. ولم  
يك ذلك لأنى حاولت  
أن أزيد الخطاب طولاً

أو أن أبالغ في تنميته وإذكاء نار حماسته، ولكن  
لأنى أردت أن أطيل إلى غير نهاية زمن الكتابة  
بينما أنا جالس في هدوء مكتبي أناجى نفسى بأجلام  
يومية، وليلة الربيع الجميلة مطلة على من خلال نوافذى،  
ولقد كنت أرى في ثنايا الأسطر طيفاً محبباً إلى  
نفسى، وخيل إلى أن على المسائدة التى أنا جالس  
عليها أرواحاً ممتلئة في سذاجة سعادتها، وفي  
غفلتها، وفي ابتسامتها الهنية. ولقد مضيت أكتب  
في استمرار، ناظراً إلى يدي التى ما زالت تتوجع  
في لذة حيث ضغطتها يد «ساشا» في آخر مرة  
التقيت بها. ولما حولت عيني عن يدي تخيلت منظر  
الشعرية (١) الخضراء على الباب الصغير مفتحة خلال  
هذه الشعرية نظرت «ساشا» محدقة إلى بعد أن  
ألقيت إليها بكلمة الوداع، وعند ما كنت أودعها لم  
أكن أفكر في شيء، ولم يكن مستولياً على غير  
شعور الإعجاب بقوامها إعجاب كل رجل محترم بإمرأة  
جميلة. ولما رأيت من خلال فتحات الشعرية عينيها  
(١) الشعرية شبكة من الأخشاب الدقيقة توضع في الطاقة  
أو غيرها لحجب النظر من الخارج إلى الداخل.

«الساعة الثالثة صباحاً، وليلة إبريل الهادئة  
الصافية تطل على من نوافذ غرفتي، فاضحة إلى  
بنجومها، في رقة وفي لطف، وما أستطيع أن أنام  
فانى لجد سعيد»  
«وإن كيانى كله من قمة رأسى إلى أخمص قدمي  
ليفيض بشعور غريب لا يدرك العقل كنهه، ولست  
بقادر على أن أحل هذا الشعور - في ساعتى  
هذه - فوقتى لا يتسع لهذا التحليل، وإنى لكسول  
مغرق في الكسل؛ ثم إن هناك إلى جانب ذلك ...  
ألا بدءاً للتحليل! وهل من اليسور أن يفسر  
الرجل شعوره وهو يهوى على قمة رأسه ساقطاً  
من فوق قبة ناقوس؟ أو هل يستطيع الرجل أن  
يفسر شعوره في اللحظة التى علم فيها أنه قد ربح  
مائتى ألف من الروبلات؟ أو يكون مثل هذا  
الرجل في حال تسمح له بالتحليل؟»

\*\*\*

هذه هي، على التقريب، الكلمات التى بدأت  
بها خطاب غرباى إلى «ساشا» وهي فتاة في التاسعة  
عشرة من عمرها وقعت في أشراك حبها. لقد بدأت

بعد إلقائه خطاب غرامه إلى حبيبته في صندوق البريد ، وكيف يسرع في الدخول إلى سريره وفي جذب اللحاف حتى يغطي وجهه ، معتقداً الاعتقاد كله أنه متى استيقظ من النوم في الصباح فستفهمه ذكريات اليوم السابق ، وسينظر نظرة تقيض فرحاً وسروراً إلى النافذة حيث يندفع ضياء النهار من خلال يستانرها في قوة وحماسة .

وليك الواقع ... في منتصف نهار اليوم التالي جاءته خادم « ساشا » تحمل الرد الآتي : « تأكد أنني مفروحة إذا تفضلت وحضرت عندنا اليوم وسأنتظرك ، حبيبتك س »

ولم تكن في الرسالة أية علامة من علامات الترقيم ، وهذا الإهمال في الكتابة ، والخطأ في كتابة كلمة فرحة ، وما في الكتاب كله من ضعف في الانشاء ، وحتى الظروف الطويل الضيق الذي وضعته فيه ، كل هذا ملأ نفس بشعور من الحنان . ولقد رأيت في ثنايا خطها المفرطح الحنى خيال مشيتها وطريقها في رفع حاجبها إذا تحكت ، وحركت شفتيها ولكن نفسى لم تقنع بما تضمنته كتابها ... وأول ما أخذته عليها أن كتبت الغرام الشعرية لا يرد عليها بهذا الأسلوب ، وإنى لأتساءل بعد ذلك لماذا تدعوني إلى زيارة بيتها حيث أبقى تحت رحمة أن تتمفضل أمها الرشيق أو إخوتها أو أقاربها الساكنين بتركنا منفردين في الغرفة ؟ فمثل هذا الخطأ لن يدخل رؤوسهم أبداً ، وليس أبغض إلى الانسان من أن يكبح جماح عواطفه لسبب واحد بسيط هو الحياء من تطفل امرأة عجوز نصف صماء أو طفلة صغيرة توجه إليه من الأسئلة المضجرة ما لا يرى معدى من الاجابة عليه ... لهذا بعثت مع خادم « ساشا » جواباً على رسالتها سألتها فيه أن تتخير أحد الياديين

الواسعتين تحدقان بي علت ، فجأة كما لو كان قد أوحى إلى ، أنني وقت في شرك الغرام ، وأن الأمر كله قد سوى بيني وبينها ، وأن كل شيء قد استقر بالفعل فلم يبق عليّ ما أعمله غير إتمام اجراءات شكلية معينة .

ولأنه لم يوافق الاتهام أيضاً أن يحتم الانسان خطاب غرام ، وأن يلبس في بطء قبضته ومعطفه ، وأن ينادر البيت في هدوء ، حاملاً هذا الكنز النفيس إلى صندوق البريد . والسماء في هذه الساعة خالية من النجوم التي اخفت وحل محلها ، من جهة الشرق ، خط أبيض طويل ، تقطعه في أكثر من ناحية ، سحب تملو سطوح البيوت الصغيرة الحقيرة ، ومن هذا الخطيط غمرت السماء كلها بضوء خفيف باهت . . والبلدة نائمة ولكن عربات الماء قد خرجت إلى الطرقات ، وفي ناحية بعيدة يدوى في الجو صغير أحد المصانع لإيقاظ النائم من المال . وإنك لعل يقين من أن تجد إلى جانب صندوق البريد البلبل قليلاً بندى الليل ، هيكل أحد البوابين الضخم على كتفيه رداء من جلد الماعز وفي يده عصا يستند إليها ، وهو أشبه ما يكون بالتمثال الجامد لا يتحرك ، وما هو بالنائم ولا بالصالحى ولكنه بين الحاليتين .

ولو عرفت صناديق البريد كيف يلجأ إليها الناس في أغلب الأوقات لتعرف ما ينتهي إليه مصيرهم لما رضيت بما يبدو عليها من سياء التواضع . ولقد كنت على كل حال أقبل في أكثر المرات صندوق بريدى ، وكنت كلما نظرت إليه ذكرت أن مصلحة البريد هي أعظم النعم التي حظي بها الانسان .

وإنى لأرجو أى إنسان وقع يوماً في شرك الغرام أن يذكر كيف يسرع الانسان إلى بيته ،

الخيالية، قبلاقي وصمت الأشجار المظلمة والمواثيق التي أقطمها على نفسي... فلم تمر دقيقة نسيت فيها نفسها، أو غلبها شيء على ما تفكر فيه، أو سمحت للمعنى السري البادئ على وجهها أن يفارقه. والحق أنه لو كان في مكاني في تلك اللحظة إنسان سوى كائننا من كان لما كانت في حضرة بأقل شعوراً بالسعادة منها في حضرتي. وكيف يستطيع الإنسان في ظرف كهذا الظرف أن يعرف إذا كان محبوباً أو غير محبوب؟ وكيف يستطيع أن يعرف إذا كان الحب هو «الشيء الحقيقي» أو لا؟

ولقد أخذت «ساشا» من المتزّه إلى بيتي. وليس حضور المرأة التي يحبها الإنسان إلى بيته — وهو أعزب — بأقل في نفسه أثراً من الخمر أو الموسيقى. والمألوف في موقف كهذا أن يبدأ الإنسان بالكلام في المستقبل، وهو إذا تكلم في هذه الناحية لم يقف عند حد فيما يبدى من ثقة واعتزاز بالنفس، وانك عندئذ لتضع الشروغات وترسم الخطط وتتكلم في حاسة عن رتبة القائد وإن لم تكن قد وصلت بعد إلى رتبة الملازم، وفي الجملة أنك تهذى بمثل هذا السخف الضارب إلى العلاء، حتى ليتطلب تصديق سامعك لما تقول أن يكون مفرماً بك إلى أقصى حدود الغرام وأن يكون كذلك جاهلاً إلى أقصى حدود الجهل. ومن حين حظ الرجال أن النساء اللواتي يحبن تعميمن عواطفهن دائماً عن رؤية الحقائق فلا يعرفن شيئاً من شئون الحياة. وإنهن لبعيدات جداً عن أن يكذبن ما يسمعن، وإنهن ليسعرن فعلاً بشيء من الرهبة المقدسة فتهرب السماء من وجوههن، وتقفيض نفوسهن احتراماً ويتعلقن في شره بالكلمات البادية المحاقة والجنون. ولقد أصغت إلي «ساشا» في تنبه شديد

أو التزهات فتضرب لي فيه موعد اللقاء، ولقد قبول اقتراحى بالرضا في غير تردد، فقد ضربت على الوتر الحساس كما يقول المثل.

وفيما بين الساعتين الرابعة والخامسة من مساء ذلك اليوم أخذت طريق إلى أقصى حدود المتزّه العام وأكثر نواحيه ازدحاماً بالأشجار وأكثفها نباتاً. ولم يك في المتزّه كله مخلوق واحد، ولعله كان من الأنسب أن يضرب الموعد في مكان أقرب كأحد الشوارع الكبرى أو تحت إحدى مظلات الحدائق الضخمة، ولكن النساء لا يردن أن تكون أعمالهن فيما يتصل بالخيال والغرام بين يدي، فهن يجرن وراء خيالهن الشعري إلى آخر المدى — فإذا ضربن موعد اللقاء ضربته في أبعد الأدغال وأوعرها طريقاً، حيث يتعرض الإنسان لخطر الاصطدام بشريخ خشن أو سكير معرّب.

ولما وصلت إلى المكان الذي تخبرته ساشا وجدها واقفة وقد ولت ظهرها نحوي، وكان في مقدوري أن أقرأ في ذلك الظهر كثيراً من الأسرار الشيطانية؛ ولقد خيل إلي أن ظهرها، وخلف عنقها وذئرها، والقطب السوداء على رءائها، كل ذلك يقول: «... كانت الفتاة مرندية لباساً بسيطاً من القطن ألقت فوقه ذئاراً خفيفاً، ولتبالغ في إحاطة نفسها بحج من الأسرار غطت وجهها بتقاب أبيض ولكي لا أقصد أثر هذا الظهر السحري تقدمت منها مشياً على طرفي قديمي، وتكلمت في صوت أدنى إلى الهمس منه إلى الصوت المسموع

وعما أندكره الآن أنني لم أكن — إلى حد ما — بيت القصيد في هذه المقابلة إذا نحن تناولناها بشيء من التفصيل، فلم يكن اهتمام ساشا بالمقابلة في ذاتها كاهتمامها بما يحيط بالمقابلة من الأسرار الشعرية

إليها لما كان هناك من شك في أن ترفع حاجبها وتفكر لحظة ثم تقول كما قالت أولاً :  
« جميع الأنواع »

ثم أوصلت ساشا إلى بيتها وصرت أزورها وأعادر دارها في انتظام ، وقد تمت الاجراءات الرسمية للخطبة ، ووقفت موقف الانتظار حتى يحين يوم الإكمال . ولو سمح لي القاريء أن أحكم على الأمور بمجرد تجاربي الشخصية لقلت إن « الخطبة » من الأمور الموحشة جداً ، فالإنسان في أثنائها يكون أبعد جداً من أن يكون زوجاً أو أن يكون شخصاً غريباً لا علاقة له على الإطلاق بالخطبية . فليس الرجل في هذه الحال بالزوج ولا بالرجل الغريب ، فقد ترك إحدى صفتي الهر ولم يصل إلى الضفة الثانية ، فلا هو بالزوج ولا من الممكن أن يسمى أعزب .

وصرت - في كل يوم - إذا وجدت لدى فترة فراغ من العمل قُصدت إلى دار خطيبتي . وكنت كلما قُصدت إليها حملت معي مقداراً عظيماً من الأموال والزيارات والنيايات والاقتراحات والعبارات المختارة . وكنت دائماً أتصور ، لشدة ما أشعر به من الضيق والسكابة ، أن الخادمة لا تكاد تفتح الباب حتى أغوص إلى عنقي في بحر من السعادة المنعشة . ولكن الأمور كانت دائماً تنقلب إلى العكس من ذلك في الواقع . ففي كل مرة قُصدت إلى زيارة خطيبتي وجدت أن أسرتها وكل من يحويه الدار مشغولين بأمر « الجهاز » السخيف . ( وعلى فكرة أقول إنهم كانوا منهمكين بالعمل في الجهاز منذ شهرين إنهما كأشديد أجهزوا أشياء تقدر بأقل من مائتي روبل ) . . . وهناك يشم الإنسان رائحة السكاوي ، ودهن الشموع ودخانها . وترتطم قدمه

ولكنني لم أثبت أن تبنت على وجهها أثر التفكير الشارد . فهي لم تفهم شيئاً مما قلت لها ، ولم يكن المستقبل الذي تحدثت عنه ليهما إلا من وجهته الظاهرة فقط . ولقد كنت أضيع وقتي في عرض خطبتي ومشروعاتي عليها . فقد كان ههما كله منصرفاً إلى معرفة أية الغرف ستكون غرفتها ، وأى نوع من أنواع الورق ستغطي به جدران هذه الغرفة ، ولماذا فضلت البيان <sup>(١)</sup> المرتفع على البيان المنخفض الذي يشغل حيزاً كبيراً من الغرف . . . وهكذا . وخصصت في دقة جميع الأشياء الصغيرة الموضوعات على المائدة ، ونظرت إلى الصور الفوتوغرافية وضعت القناني وزعت طوابيع البريد القديمة عن المفروقات قاتلة إنها تحتاج إليها لأمر ما .

وقالت وقد يجهم وجهها :

« أرجو أن تجمع لي الطوابيع القديمة ! ومن فضلك لا تنس ذلك »

ثم وجدت على قاعدة النافذة بندقية فكسرتها بصوت عال وأكلتها .

ونظرت إلى خزانة الكتب وقالت :

« لماذا لا تلصق بطاقات صغيرة على ظهر كتبك ؟ »

« لماذا ؟ »

« أوه . . . لكي يحمل كل كتاب رقمه . . . »

ثم أين أضع كتبتي ؟ فإن لي أنا أيضاً كتباً كما تعلم فسألها :

« أي نوع من الكتب عندك ؟ »

فرفعت ساشا حاجبها وفكرت لحظة ثم قالت :

« جميع الأنواع . »

ولو أنه خطري أن أسأله عن نوع تفكيرها وما تعتنيق من المذاهب وعن الاهداف التي ترى

(١) استعملت كلمة البيان بكسر الباء منذ سنوات تقريباً بكلمة بيانو

مقدم رأسي . فلقد كنت مضطراً أن أحجب السيدتين إلى السوق ، وإنه لما يهد أعصابي ويضايق صدري أن أصنى إلى النساء وهن يتعثن شيئاً من الحوانيت ، فيساومن البائع المتنبه محاولات أن يبلبته . ولقد كنت أخجل عندما أرى ساشا بعد أن تقلب كنية هائلة من البضائع وبعد أن تنزل بالتمن إلى النهاية الصغرى ، تخرج من الحانوت دون أن تشتري شيئاً على الإطلاق ، أو تقلب من التاجر أن يقطع لها من القماش مالا يزيد ثمنه على نصف روبل

وإذ خرجت خطيبتي وأما من الحانوت أخذتا وقد بدت على وجههما علامات الغضب والجهد ، تتناقشان في أهمها قد أخطأتا فابتاعتا نوعاً ليس هو المطلوب ، لأن الوردات في القماش الجديد شديدة السمرة أو ما إلى ذلك

نعم إن فترة الخطية لمن أثقل الفترات وأجلها للضيق ، وإنه ليسرني أن قد انتهت هذه الفترة بسلام والآن أنا متزوج . وهذا هو المساء قد أقبل ، وأنا جالس في مكتبي أقرأ أحد الكتب ، وقد جلست ساشا ورائي على الصفة تمضغ شيئاً في فمها في صوت مرتفع ، وإن بي الحاجة إلى قدح من البيرة فأقول : « ابجي يا ساشا عن فتاحة القنسانى ، فقد مجدنيها في مكان ما هنا »

فتب ساشا من مكانها وتبتس مبثرة رزمتين أو ثلاثاً من الورق ، وتسقط علبة الكبريت على الأرض ، ودون أن تجد الفتاحة تمود فتجلس صامتة لا تنبس بحرف ...

وتمضي خمس دقائق ثم عشر . وتبدأ أعصابي تتور من العطش والغضب ، فأقول ثانية :

« أرجو يا ساشا أن تبجي عن الفتاحة »

فتب ساشا مرة أخرى وتمود إلى بثرة الأوراق

بكرات الخيط وتجهلها . وكانت الفرقان الرئيسيتان متشجعتين بالوسائد المصنوعة من التيل وغيره من الأقمشة الناعمة . من بين هذه الوسائد أطل رأس (ساشا) الصغير وبين أسنانها خيط معلق ، ورحب جميع من في الدار من المشتغلين « بالجهاز » بصيحات السرور والابتهاج ، ولكنهم لم يلبثوا أن أدخلوني إلى غرفة الاستقبال حتى لا أعطل عملهم وحي لا أرى ما لا يجوز أن يراه غير الأزواج . ولقد اضطرت ، وإن كان ذلك لا يتفق وشعوري ، أن أجلس في غرفة الاستقبال متحدثاً مع سيميونفا إحدى قريبات ساشا الفقيرات . وكان القلق والانفعال باديين على ساشا فكانت تمر في مسرعة ما بين لحظة وأخرى حاملة في يدها بعض أدوات التطرير أو غيرها من الأشياء التي تضايقي ، وتقول بحمية على نظراتي للتوسلة السائلة :

« صبراً ، صبراً ، فلن أغيب عنك أكثر من دقيقة ، ولكن انظر كيف أتلقت اللعينة استيانيدا مشد لباس الزفاف ! »

ويعد أن أنتظر عبثاً أن تنق بما تفضلت به من وعد ، بضيق صدري وتور أعصابي وأترك البيت لأتجول في الطرقات مصطحباً عصاي الجديدة التي ابتعتها منذ عهد قريب

وكننت قد تفت مرة إلى اصطحاب خطيبتي في نزهة على الأقدام أو في عربة ، فلما وصلت إلى دارها وجدتني واقفة بالفعل مع أمها في ردهة الدار تعبت مظلها مستعدة للخروج . ولقد بادرتني بقولها :

« أوه . . . إنا خارجتان إلى السوق فلا بد من أن نتابع كنية أخرى من الكشمير ، وأن نغير هذه القبة »

ولقد شعرت عندئذ كأن صدمة قوية قد أصابت

القرية مني ، فيؤثر في صوت مضمغها واحتكاك الورق  
تأثير السكاكين إذا حكّت بعضها ببعض لأرهاقها .  
فأقوم من مكاني وأبحث بنفسي عن الفتاحة فأجدها  
آخر الأمر ، وأفتح زجاجة البيرة . فتنجلس ساشا  
بجوار المائدة وتبدأ تحدثني في موضوع طويل  
لا ينتهي . فأقول :  
« يحسن أن تقرأ شيئا يا « ساشا »  
فتناول كتابا وتجلس في مواجهتي وتبدأ تحرك  
شفتيها . . . فأنظر إلى جبهتها الصغيرة وشفتيها  
التحركات وأستغرق في التفكير . فأقول في نفسي :  
« لقد قاربت العشرين من عمرها . . . فلو قارنها  
الإنسان بفتى في سنها من الطبقة المثقفة فيا لعظم  
الفارق الذي يجده بينهما ! فسيجد الفتى على شيء  
من العلم والمبادئ والدكاء »  
ولكنني لا ألبث أن أعترف هذا الفارق اغتفاري  
جيبها المائل وشفتيها التحركات . وإني لأذكر

سيرة محمد الحيد حمدي

الفلاح المصري يزرع القطن

والعامل المصري يغزله وينسجه

فالقطن ثروتكم وهو فخركم

أعدته لكم منسوجات لا تقارن في جودتها

شركة مصر للغزل والنسيج

اشتروا ما يلزمكم من

شركة بيع المصنوعات المصرية

ومن فروعها بالقطر المصري ومن تجار المانيفاتورة

عن عيني ليدي  
كانت رفيل .

فأجاب الوزير:

سأدفع ثمن الشبح

ياسيدي اللورد كما

أدفع ثمن رباش

القصر . أنا من عالم

يتنازع فيه المال كل

شيء . ويطغى شبانه على العالم

القديم من حين الى حين

يصغونه بالجرة ويحملون إلى

بلادهم أشهر مثلناكم وأعظم

عقيلاتكم . واني لأقرر هنا أن

هذا الشيء الذي تحدث عنه

إذا عد شبحاً في أوروبا فانا

نضعه في بلادنا في أحد

الشاحف العمومية في وقت

قصير أو في الطريق ليتفرج عليه الغادي والرائح

قال لورد كانترفيل مبتسماً — أخاف أن يكون

الشبح موجوداً . إنه معروف منذ ثلاثة قرون : أعني

منذ سنة ١٥٨٤ ؛ ومن عادته أن يظهر قبل موت

أى فرد من أسرتنا .

— حسن . هذا هو اعتقاد العائلة في هذه المسألة؛

وفي رأي أنه ليس هناك من شبح ؛ وأحب أن

أصارحك ياسيدي أن قوانين الطبيعة لا يمكن أن

تكون يوماً من الأيام خاضعة للأرستقراطية الانكليزية

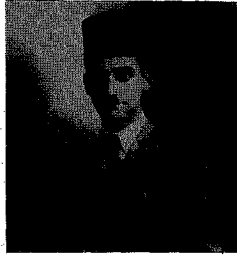
أجاب لورد كانترفيل دون أن يدرك تماماً مغزى

الملاحظة الأخيرة : إذا كنت لا تكثرث بالشبح يقيم في

الترل فهذا حسن ، ولكن أرجو ألا تنسى أنى حذر تلك

# شبح كانترفيل

للكاتب الانكليزي ايسكار وايلد  
بترجم الأستاذ بشير الشيتي



حينما ابتاع السيد هيرام .

ب . أوتس الوزير الأميركي

قصر كانترفيل الصفي خطاه

الناس أجمون وقالوا له إنك

تصرف تصرفاً سخيفاً لأن

القصر مسكون لا يشك في

ذلك أحد ، حتى لورد كانترفيل

نفسه الرجل الطيب النبيل قد

رأى أن من واجبه أن يلفت

نظر السيد أوتس إلى هذه الحقيقة حينما شرع

يبحث معه ثمن القصر .

قال لورد كانترفيل — لقد أهملنا يمكنى هذا

القصر منذ اليوم الذي أغفى فيه على عمى المجوز

إغماءة لم تشف منها أبداً متأثرة من يدين عظيمتين

وضعتا على كنفها وهي ترتدى ثوب النداء — وأراني

مضطراً أن أخبرك ياسيد أوتس أن أفراداً من عائلتنا

عديدين قد شاهدوا الشبح ، كما أن أسقف الأبرشية

أوغسطين دامبير قد شاهداه أيضاً ، وأنه بعد حادث

عمى المزعج لم تمد نجراً خادمة من خادماتنا الشابات

على المسكت عندنا ؛ وكذلك نفت هذه الأصوات

المبهمة التي تصاعد كل ليلة من المر والمكتبة الرقاد

ولكن السماء خجبت فجأة بالغيوم حين وصلوا إلى مدخل القصر الذى غرست الأشجار على جانبيه، واستولت على الجو سكينه رهيبة، وطار فوق رؤوسهم سرب عظيم من الغربان، ثم تدفقت أمطار غزيرة حين وقفت بهم العربية عند باب القصر؛ وكانت فى انتظارهم على الدرج امرأة عجوز فى ثياب من الحرير الأسود وقبعة بيضاء ومثريهى السيدة (أمنى) قهرمانه المنزل التى انحنى لهم حين أقبلوا أمحاءة الاحترام وقالت بلهجة قديمة أنيقة: (لقد حلتكم أهلاً)؛ ثم سارت أمامهم وهم يتبعونها ففروا بالهوى الفخم ثم دخلوا المكتبة فاذا هى غرفة واطئة طويلة قد سودت جدرانها بأخشاب السندبان، وفى نهايتها نافذة كبيرة قد ثبتت ألواح الزجاج فى ردتها؛ وفى هذه الغرفة وجدوا الشاى قد هبى لهم فخلعوا ما تدبروا به من ثياب وجلسوا يديرون أبصارهم فى الغرفة والسيدة أمنى قد وقفت رهن إشارتهم.

وجأة لفت نظر السيدة أوتس بقعة على البلاط حمراء قائمة قريبة من الموقد فقالت للسيدة أمنى وهى غافلة تماماً عن الجواب: ما أحسب إلا أن شيئاً أريق هنا.

أجاب القهرمانه العجوز هامسة: نعم ياسيدتى لقد أريق دم فى هذه البقعة.

صاحت السيدة أوتس — باللفظاعة: أنا لا أطيق أبداً أن أرى بقع دم فى غرفة الجلوس. يجب أن ترال حالاً.

ابتسمت العجوز وأجابت فى نغمة هادئة مهمة: إنه دم اللبدي ألينورا كاتريفيل التى قتلها زوجها السير سيمون كاتريفيل فى نفس هذه الغرفة وعند هذه البقعة سنة ١٥٧٥ وقد عاش زوجها بعد

وبعد هذا الحديث بعدة أسابيع تمت صفقة البيع؛ وفى مطلع فصل الصيف قصد الوزير وعائلته قصر كاتريفيل، وكانت العائلة مؤلفة من السيدة أوتس وهى التى اشتهرت بجملها الساحر فى شبابها، ولا ترال وقد بلغت منتصف عمرها جميلة العينين جذابة اللامح، ومن ولدها البكر وشنجلون وهو شاب جميل الوجه حقاً، جميل القد، جميل الشعر، دقيق الحس رقيق العاطفة، ومن الأبناء فرجيناء وهى فتاة صغيرة فى سن الخامسة عشرة لطيفة فى عينيها الزرقاوين الواسعتين حرة مستحبة، وكانت إلى جانب ذلك مسترجلة سابقة فى أحد الأيام وهى راكبة على مهرها لورد ييتون العجوز فسبقتهم وكانت حلبة السباق تمتد من تمال (اشيل) إلى حيث وقف دوق شيشر الشاب الذى أعاده رواده إلى (ايتون) فى الليلة ذاتها باكياً على فراق فرجيناء؛ ثم التوأمان البهيجان وكانا أشهر أفراد العائلة إذا استكنينا الوزير الخطير.

ولما كان قصر كاتريفيل يبعد عن محطة (اسكوت) سبعة أميال فقد خاطب السيد أوتس هذه المحطة ليهبوا لهم عربة؛ حتى إذا وقف القطار فى (اسكوت) كانت العربية فى انتظارهم فركبوها متبطين.

لقد كان مساء جميلاً من أمساء تموز وقد لطف الجو عبير غابات الصنوبر، وكانوا يسمعون من وقت لآخر قرى الغاب يرجع أغانيه العذبة، ويلهجون السناجيب الصغيرة ترمقهم من أشجار الزان حين يمرون بها، والأرانب تندفع بسرعات فى الأجمة وأذنانها البيضاء فى الهواء ثم سرعان ما تحتجى عن الأبصار.



قالت : لقد شاهدت بعين رأسي أشياء يقف لها شعر كل مسيحي . وما أكره الليالي التي لم يغمض لي فيها جفن هلماً من حوادث مريعة كانت تقع هنا وعلى كل حال فقد اطمان السيد أوتس وزوجه هذه السيدة الطيبة القلب وأكّدا لها أنهما لا يخافان الشبح ؛ وهي بعد أن توسلت إلى الله أن يحفظ سيدها الجديد وسيدها وبعد أن بحثت معها في زيادة مرتبتها سارت وهي ترتجف إلى غرفتها .

\*\*\*

لم تهدأ ثورة العاصفة طوال الليل . ولكن لم يقع من الحوادث ما يستحق الذكر .

وفي الصباح نزلت الأسرة لتناول الفطور فوجدوا بقعة الدم الزمجة على البلاط المرة الثانية . فقال وشنجنطون : لا أظن أن الخطأ خطأ (دهان بنكروتون) لأنني جربته في كل شيء ، بل إنه الشبح . وعاد يسح البقعة مرة ثانية ولكنها ظهرت في الصباح الثاني ، وكانت في مكانها في صباح اليوم الثالث على الرغم من أن السيد أوتس قد أقفل بنفسه في المساء باب المكتبة وحمل معه المفتاح .

والآن تجلس الأسرة بأجمعها تتفكك بالأحاديث ، فالسيد أوتس يترفض أنه غالي في إنكار وجود الشبح ، والسيدة أوتس أعلنت عزمها على الإنضمام إلى (الجمعية الطبيعية) ، وأعد وشنجنطون رسالة مطولة في موضوع (نبات البقع الدموية حين تتصلب أسبانيا بمجموعة) وهكذا زال من بال الجميع في تلك الليلة كل شك يتعلق بوجود الشبح .

كان النهار مشرقاً دافئاً وقد ركبت العائلة للزحمة في فحة المساء البارد ولم يعودوا إلى المنزل إلا في

ذلك تسع سنين ثم اختفى فجأة على أثر حوادث فامضة ، ولم تكتشف جثته ، ولكن روحه الشريرة لا تزال تسكن القصر ؛ وكثيراً ما أثارت بقعة الدم هذه استغراب السائحين واستغراب سوامم خصوصاً وهي باقية لا تزال أبداً

صاح وشنجنطون أوتس : هذا كله هراء . إن قليلاً من هذا الدهان سزيلها في الحال . وقبل أن تمرض القهرمانة المروعة ركع على ركبته واخذ يفرس بسرعة أرض البلاط يعود صغير كأنه ميثا أسود وفي لحظات قليلة لم يبق أثر لبقعة الدم

فأعلن وشنجنطون وقد غلبته نشوة الظفر : لقد كنت موقناً أن (دهان بنكروتون) سيجعلها أترأ بعد عين . قال ذلك وهو يجيل بصره في أهله الذين تملكهم الدهشة ، ولكنه ما كاد يفوه بكلماته هذه حتى أضاء الغرفة وميض خطف الأبصار ، وقصفت الرعود قصفاً خفيفاً هزماً عنيفاً وأوقع السيدة أمي مغشياً عليها

قال الوزير الأمريكي وهو يشعل سيجاره الطويل بكل هدوء : ياله من جو مرعج ! لقد كنت أحسب ان انكثرة هي خير بلد للسياحة فإذا بها مكتظة بالسكان وإذا بالمرء لا يجد فيها جواً معتدلاً

صاحت السيدة أوتس — يا عزيزي هيرام ما الذي نستطيع أن نفعله لامرأة أغشى عليها ؟ أجاب الوزير — قشني عن الذي سبب الاغماء ثمداوها به فلا يغمى عليها بعد ذلك . وفي الواقع فقد استيقظت السيدة أمي بعد لحظات ولكنها كانت ترتش رعباً ، وقد أخطرت السيدة أوتس بحرارة المفجوع أن يحدح أموراً مروعة لا بد أن تقع في المنزل .

الساعة التاسعة، فتناولوا طعاماً خفيفاً ثم دار الحديث فلم يصل إلى الأشباح من أى طريق. تحدّثوا عن ساره برنار كفنّانة بلغت قمة الشهرة، وعن صعوبة الحصول على دقيق وكمك وعسل حتى في أحسن البيوت الانكليزية، وعن أهمية بلدة (بوسطن) في حركة النشاط العالمي، وعن فوائد نظام (الأمّعة في سكة الحديد)، وعن حلاوة اللهجة النيويوركية إذا قيست بتشدق لندن، ولم يرد في أحاديثهم ذكر لخوارق الطبيعة ولا للسير سيمون دي كاتريفيل أصلاً. وعند ما دقت الساعة الحادية عشرة قامت الأسرة، لتنام وبعد نصف ساعة أطفئت الأنوار؛ وبعد قليل استيقظ السيد أوتس على صوت مزعج في المرر خارج غرفته أشبه بقعقة الحديد. وكان

وقف الشمع لحظة جامداً في غيظ طليبي، ثم رعى القارورة على البلاط اللامع لخطمها واندفع في المرر يصعد أنفاساً ثقيلة وينثر ضوءاً أخضر شاحباً، ولكنه لم يكد يصل إلى أعلى السلم الكبير حتى فتح باب وظهر فيه وجهان صغيران أبيضان ودوت وسادتان في رأسه، ولكنه كان مستعجلاً لا يقدر على التأخر لحظة فغاب في باطن الجدار وعمت السكينة القصر.

ولما وصل الشبح إلى غرفة سرية صغيرة في الخناح الأيسر وقف متكئاً على الحائط أمام أشعة القمر ليسترجع أنفاسه، وأخذ يفكر ويتأمل في حاله. إنه لم يهن مثل هذه الاهانة قط خلال ثلاثمئة عام مرت متلاثة هادئة. لقد فكر في الدوقة (داوجر) التي أغنى عليها من الخوف بينما كانت واقفة أمام المرأة في أشرطتها وجواهرها، وفي الخادومات الأربع اللاتي أصبن بالضرع لمجرد أن حرق أسنانه لهن من خلال ستائر إحدى غرف النوم، وفي أسقف الأبرشية الذي أطلقاً له شمعة في إحدى اللبالي التي عاد فيها متأخراً من المكتبة ففضى عمره تحت عناية السير وليام شهيد اضطراب عصبي، وفي سيدة (ترينولاك)

المعجوز التي استيقظت مبكرة في صباح أحد الأيام فشاهدت هيكلًا عظيمًا يجلس في كرسي كبير إلى جانب النار يقرأ في مذكراتها اليومية فظلت طريحة الفراش على أثر هذا المشهد ستة أسابيع تحرقها

الصوت بدو شيئاً فشيئاً فنهض في الحال وأشعل عود تقاب ونظر في ساعته فإذا هي واحدة بعد منتصف الليل. لقد كان في كامل هدوئه فحس نبضه فلم يجد أثراً لحى، ولكن لم يتقطع الصوت المبهم وهو هو يسمع معه بوضوح وقع أقدام، فتدثر بثيابه وتناول من صندوق في الغرفة قارورة مستطيلة صغيرة وفتح الباب فإذا به يشاهد أمامه على ضوء القمر الباهت رجلاً معجوزاً في مظهر خفيف يقده الشر من عينيه الجراوين وقد انسدل على كتفيه شعر طويل أشيب أشعث، عليه عباءة من طراز قديم قدرة كالفة يتدلى من رصغيه وكاحليه أغلال ثقيلة وسلاسل صدئة.

فيادره السيد أوتس قائلاً: يا سيدي العزيز! أراى مضطراً أن ألح عليك أن ترتب هذه الأغلال وقد أحضرت لك لهذه الغاية قارورة صغيرة من زيت (كالمى) المعروف بفائدته الماحلة؛ وإنك لتجد في

من الرقاد ومثل هذه الأصوات لاتنقطع خارج  
غرف النوم .

وعلى كل فقد قضوا بقية أيام الأسبوع دون  
أن يزعمهم أحد ، ولكن الشيء الوحيد الذى كان  
يثير انتباه الجميع هو ظهور بقعة الدم على بلاط  
المكتبة ظهوراً متوالياً ؛ وهذا العمر الحق مستغرب  
لأن السيد أوتس كان يقفل الباب كل ليلة ويحكم  
إغلاق النوافذ ، وكذلك كان تثير لون بقعة الدم  
كتنغير الحرباء محل ملاحظة وانتقاد ، فى صباح  
يكون ممناً ، وفى آخر أحر قاتماً ، ثم أحر قاتماً ، ثم  
بنفسجياً ؛ وكان إلى ذلك موضوع تسليّة للعائلة  
ومراهقات حرة كل مساء ، ولكن الصغيرة فرجينيا  
كانت الوحيدة التى لم تشترك فى هذا المزاج ، وكانت  
تظهر عليها علامات الامتعاض لسبب مجهول كلما  
شاهدت بقعة الدم حتى أنها كادت تبكي فى صباح  
أحد الأيام الذى ظهرت فيه البقعة خضراء لامعة .

وفى مساء يوم الأحد ظهر الشبح للمرة الثانية ،  
وذلك أن الأسرة بعد أن ذهبت إلى الفراش بقليل  
إذا بها تنفض فجأة على صوت سقوط جسم ثقيل فى  
القاعة فاندفعوا جميعاً إلى الطابق السفلى فإذا بدرع  
قديم قد حل من موضعه فى الحائط وسقط على  
البلاط ، وإذا بشبح كاتريفيل قد جلس فى مقعد كبير  
يفرك ركبته وقد ارتسمت على وجهه صورة الزرع  
الآخر ، فسدد التوأمان فى الحال سهام اللعب التى  
أحضراها معها ورمياه بهيمن بمهارة من أمضى  
وقتهاً كبيراً يتمرن على ظهر الأستاذ وهو على  
اللوحة ، بينما رفع وزير الولايات المتحدة مسدسه  
فى وجهه وطلب إليه على الطريقة الكاليفورنية  
أن يرفع يديه ، فهض الشبح يصيح من الغضب صياحاً

حى دماغية ، ولما شفت لثمت الكنيسة وانقطعت  
عن ( فولتين ) الدهرى ذى السمعة السيئة .

لقد استعرض فى غيخته . كل أعماله العظيمة  
فذكر أيضاً هذا الخادم الذى أطلق على نفسه النار  
فى بيت المؤونة لأنه أبصر يداً خضراء تنقر على  
زجاج النافذة ؛ وليدى ( استونفيلد ) الجميلة التى  
اضطرها إلى أن تلف عنقها دائماً بعصابة من مخمل أسود  
لتخفى أثر خض أصابع طبعت بالنار فوق بشرتها  
البيضاء ، التى انتحرت آخر الأمر بأن أغرقت نفسها  
فى بحيرة للسماك .

ثم بعد هذا كله يأتيه أمر يكي متجدد حقير  
فيقدم إليه بكل برود ( زيوت تامنى ) ثم يكون فى  
القصر من يقدف رأسه بوسائد . إن هذا لا يطاق  
أصلاً ؛ وفوق ذلك فإن التاريخ لا يذكر أن شيئاً  
عومل مثل هذه المعاملة ، ولهذا قد صمم على  
الانتقام وظل حتى الفجر يقلقه التفكير العميق

\*\*\*

حينما جلست عائلة أوتس لطعام الفطور فى صباح  
اليوم التالي تناولت حديث الشبح من بعض الوجوه ،  
وزير الولايات المتحدة قد أغضبه قليلاً رفض هديته  
وقد قال : إننى لا أضمن للشبح إلا كل خير ، ولا  
أريد أن يزعمه أحد ، وأرائى مضطراً إلى أن أقول إن  
رمى الشبح بالوسائد وهو الذى أمضى كل هذا الزمن  
الطويل فى القصر ليس من اللذوق فى شيء . إنها  
لملاحظة دقيقة يؤسفنى أن أصرح بها . وهنا  
انفجر التوأمان عن هدير من الضحك واستمر  
الوزير يقول : ومن جهة أخرى فإنه إذا كان يرفض  
حقيقة استعمال زيوت تامنى . فسنبضطر إلى تزج  
السلاسل عنه إنه لمن المستحيل أن يتمكن أحدنا

وقد ظل بعد ذلك عدة أيام يشكو المرض الشديد ملازماً غرفته لم يخرج منها إلا ليطبع بقعة الدم في مكانها الخاص ، ولكنه شفى أخيراً بفضل عنايته الشديدة بنفسه وصمم على تجربة ثالثة يفرغ بها وزير الولايات المتحدة وأسرته . وقد اختار يوم الجمعة ١٧ أغسطس موعداً لظهوره منفقاً معظم هذا اليوم في النظر إلى خزانة ثيابه ؛ وأخيراً قرأه على قبعة متهذلة ذات ريشة حمراء ، وعلى كفن مكشكش عند الرسنين والرقبة ، وعلى ميدة ذات حدين . وفي المساء هطلت أمطار غزيرة وعصفت الرياح عصفاً شديداً اهتزت لها أبواب القصر القديم ونوافذه فكان الجو تلك الليلة هو الجو الذي رغبه الشيخ ؛ وكانت خطة عمله : أن يجعل طريقه إلى غرفة وشجنطون أوتس رأساً في وطن عند أقدامه وهو راقد في سريره . إنه يحمل لو شجنطون حقداً من نوع خاص لاعتقاده أنه هو الذي اعتاد أن يزيل كل مرة بقعة الدم المشهورة بواسطة دهان ( ينكروتون ) ، وبعد أن يترك هذا الشاب فريسة للفزع الأكبر يتقدم إلى الغرفة التي يشغلها وزير الولايات المتحدة وزوجه فيضع يداً دبقة على جبين السيدة أوتس ، ثم همس في أذن زوجها المرتجفة أهول أسرار المنابر ؛ أما فرجينا الصغيرة فأنه لم يقطع في شيء يتعلق بها لأنها لم تؤذ أصلاً وكانت جد مؤدبة ولطيفة ، وقد اعتقدت أن أمات قليلة يصدها من خزانة الثياب هي فوق الكفاية ، حتى إذا لم تستيقظ ليل لحافها بأصابع مشاولة . أما ما يختص بالتوأمن فقد صمم على أن يعطيهما درساً ؛ وأول ما سيفعله بهما هو أن يجلس على صدرهما لينقح أنفاسهما ، ومن ثم يقف بين فراشهما المتقاربان في صورة جيفة خضراء مثلجة ، وأخيراً يخلع كفته ويحبو حول الغرفة

وحشياً ونشر حولهما ما يشبه الضباب ، وحينما مر وشجنطون أطفالاً له شمعة فتركهم جميعاً في ظلام حالك ؛ ولا وصل إلى أعلى الدرج . وكانت قد ملك وعيه واسترجع قواه صمم أن يضحك ضحكته الجنونية التي أتت له في مناسبات عدة بأحسن الثمرات ، هذه الضحكة التي أبيض لها شعر ( لورد ريكور ) المستعار ، وأكرهت القهرمانات الفرنسيات الثلاث على ترك الخدمة قبل انقضاء الشهر . ضحك ضحكته التقليدية المرعبة فاهترما السقف المعقود القديم ، ولكن الصدى الخفيف ثلاثي حين فتح باب وخرجت منه السيدة أوتس في جلباب أبيض أزرق وقالت مخاطبة الشيخ : « أحشى أن تكون مرصصاً ؛ لهذا أحضرت لك قارورة من ( اكسير الدكتور روبيلي ) فإذا كنت تشكو سوء الهضم فانك ستجد فيها الدواء الشافي . فخلق فيها الشبح مغيظاً ، وما كاد بهم يتحول نفسه إلى كلب أسود كبير حتى سمع وقع أقدام تقترب منه ، فعدل عن تنفيذ ما صمم عليه واكتفى بأن حول نفسه إلى ضباب باهت ، ثم تلاشى خلال أنين عميق وكان ذلك في الوقت الذي وصل فيه التوأمان . وحين دخل غرفته ارتدى خاثر القوى فريسة لأشد أنواع القلق . أما فاطمة التوأمن وبلادة السيد أوتس وماديتيه فما يتعب حقاً ، ولكن الذي زاد في سخطه أنه لم يستطع أن يرتدى الدرع وكان يعلق على ارتدائه آمالاً كباراً لأنه يحسب أن منظر الشبح في الدرع يربع حتى الأميركي المتجدد ؛ وفوق ذلك فإن الدرع درعه قد ارتداه في مبارزة ( كيت لورث ) فكان فيه مثال البهاء والجلال فما باله الآن قد انهد تحت ثقل الصدرية النحاسية الضخمة والمخوذة الفولاذية ؟

مرعبة، وينبعث من عينيه أشعة ضوء قرمزية، وكأن فيه بئر واسعة من نار قد وضع على صدره لوحة عليها كتابات غريبة ورفع في يده اليمنى حساماً قصيراً من فولاذ .

لقد كان خوفه شديداً لأنه لم يسبق له أن شاهد شيئاً من قبل فألقى نظرة ثانية خاطفة على الشيخ المربع ثم تراجع هارباً إلى غرفته يتعثر في أذيال كفته الطويل، وحين وصل إلى جناحه الخاص روى نفسه على سرير صغير وخبأ وجهه بالحاف؛ وبعد زمن تمالك شبح كاتريفيل الشجاع نفسه ففهم أن يعود حين يطلع النهار ويكلم الشيخ الآخر. وعلى ذلك ما كاد الفجر يلمس التلال بأصابعه الفضية حتى عاد إلى المكان الذي وقع فيه نظره لأول مرة على الشبح الهائل تدفعه فكرة خطيرة متأخرة على باله أن شبحين خير من شبح واحد وأنه سيتمكن بفضل صديقه الجديد من التغلب على التوأمين. وحين وصل إلى المكان وقع نظره على مشهد مروع. لقد حدث للشبح حادث، فقد انطلقاً النور الذي كان ينبعث من عينيه الجاحظتين وسقط من يده الحسام الفولاذي اللامع؛ ثم ما باله يتكئ على الجدار في وضع متخاذل؛ فاندفع إلى الأمام وقبض على ساعديه يدين مضطربتين فسقط الرأس وتدرج على البلاط، وإذا بشبح كاتريفيل يمانق سريراً مجللاً بنسيج أبيض قد ارتقى عند أسفله ساطور مطبخ ومكسنة ورأس لفت كبير، فلم يستطع أن يفهم شيئاً من هذا التنير العجيب؛ وبسرعة المحموم أنشب مخالبه في اللوحة فاذا به يقرأ على ضوء الصباح الباهت هذه الكلمات الخفية :

بعضاهم الضفراء المبيضة وعينه الواحدة الكروية الماثرة . وعند منتصف الساعة الحادية عشرة ونصف سمع حركة الأسرة ذاهبة إلى الفراش وظل بعد ذلك برهة ترعجه فقهات التوأمين الرنات؛ ولكنهم أخذوا إلى السكينة جميعاً عند حوالي الساعة الحادية عشرة وعند منتصف الليل انبرى لهم . وكان اليوم ينقر على زجاج النافذة والغربان تنوح من شجرة السنديان العتيقة والرياح تنح حول المنزل كالروح التائه، ولكن أسرة أوتس كانت تنام ملء أجفانها غافلة عما يجري لها القدر؛ وكان بإمكان الشيخ أن يسمع غطيط وزير الولايات المتحدة يرتفع خلال الطر المهمر والصواعق القاصفة .

انسل الشبح من الخزانة وعلى فمه الصلب المنفضن ابتسامة شيطانية، وحينما مر بشرفة النافذة خبأ القمر وجهه في الضباب وأظهر الليل البهيم اثمنازه؛ وجفا خيل إليه أنه يسمع شخصاً يصيح فوقف ولكن لم يكن هذا الصباح إلا بناح كلب آت من مزرعة قريبة فاستمر في سيره يقذف شتائم القرن السادس عشر الغريبة ويلوح بخنجره في الهواء دائماً أبداً؛ وأخيراً بلغ زاوية الممر المؤدى إلى غرفة وشنجوتون السى الحظ فوقف هناك لحظة والرياح تعبت بفدائه . عندئذ دقت الساعة زبناً بعد منتصف الليل فأحس أن قد آن الأوان فضحك في سره وتحول إلى الرواية، ولكنه ما كاد يتقدم خطوة حتى تراجع إلى الوراء يولول من الخوف وخبأ وجهه الأبيض بين يديه الطويلتين العظمتين فقد وقف أمامه شبح جامد كالتمثال المنحوت مخيف كأحلام مجنون، وكان أصلع الرأس مصقوله، مستدير الوجه ضخمه، ثقل سحنته إلى كشرة داغة ابتسامة

فاذا كانت أسيرة أوتس لاترغبها فن الواضح أنها لاتستأهلها . إنهم في هذا الوجود في مستوى وصنيع لا يستطيعون معه تقدير قيم الأشياء الزميرية ولا فهمها .

لقد كان من واجبه المقدس أن يظهر في الممر مرة في الأسبوع وأن يرطن من النافذة الكبيرة ذات الشرفة يوم الأربعاء الأول والثالث من كل شهر ، فلم يجد طريقة شريفة تلخصه من تعهده هذه حقيقة أن حياته شر في شر ، ولكنه كان من ناحية أخرى أميناً على كل ما يتصل بخوارق الطبيعة ، وعلى هذا فقد ظل أسابيع ثلاثة يجتاز الممر كعادة يوم السبت من كل أسبوع ما بين منتصف الليل والساعة الثالثة محاذراً كل الحذر أن يسمعه أو يراه أحد ؛ وفي كل مرة كان يلجع نعليه ويسير على رؤوس أصابعه مرتدياً عباءة فضفاضة من الخمل الأسود ، وكان يكثر العناية بترتيب سلاسل زيوت (تامى) . وهنا أراى مضطراً أن أصرح أن الشيخ لم يوافق على قبول هذا النوع الأخير من التحفظ إلا بعد مشقة عظيمة . فقد تسلل في إحدى الليالي والأسيرة تناول طعام المساء إلى غرفة نوم السيد أوتس وجعل معه القارورة . لقد شعر أول الأمر بشئ من الملفة ولكن سرعان ما طوى هذا الاختراع وأدرك أنه أفاده إلى حد ما .

وعلى الرغم من كل شئ فانه لم يترك وشأنه وهم لا يزالون يزعمونه ويقلقونه فقد نصبوا حبالاً على طول الممر وعرضه كان يتعثر بها في الظلام وقد سقط مرة سقطاً مؤلمة وهو في زي (اسحق الأسود) مترحلقاً بالسمن الذي فرش له التوأمان من مدخل غرفة الصور إلى أعلى الدرج ، فأغضبه كثيراً هذا

شيخ ب . أوتس  
هو وحده الشيخ الحقيقي الطبيعى  
احذروا من التقليد

لقد انكشف له كل شئ . إنه خدع وهم وغلب على أمره فقد على لثنيه ، وعادت نظرة كانتفيل القديمة إلى عينيه ، وأقسم رافعاً فوق رأسه يديه المتضخمتين على أسلوب المدرسة القديمة الغرب أنه عندما يصبح الديك صيحته الثانية لتكتبن وثائق الدم وليخطن القتلى في القصر بخطى موزونة . وما كاد ينتهي من هذا القسم العظيم حتى صاح الديك فضحك ضحكة طويلة خرساء مرة وانتظر الصيحة الثانية . لقد انتظر ساعة أثر ساعة ، ولكن الديك لسبب ما لم يعد للصياح . وأخيراً بلغت الساعة السابعة ونصفاً وحضرت القهرمانه فاضطره حضورها إلى أن يضع حداً ليقفته ، فعاد يسير على حذر إلى غرفته يفكر في أمه الضائع ورجاله الخائب . ولما دخل غرفته استشار عدة كتب تبحث في الفروسية القديمة وكان بها مفرماً فاذا به يجد الديك يصيح صيحته الثانية عند كل قسم من نوع قسمه . فتتم قائلاً : الويل لهذا الخبيث القبي ! سيأتى اليوم الذى أحرق فيه حلقه بسهمى . ثم استراح إلى ثابوت رصاصى رحب فكث فيه إلى المساء .

\*\*\*

أصبح الشيخ في اليوم الثانى مريضاً تعباً ، فقد أخذ يظهر عليه أثر الاضطراب المزيج الذى لم يفارقه خلال الأسابيع الأربعة الأخيرة . لقد توترت أعصابه فاذا به يجفل من ألطف الأصوات ، ولزم غرفته لم يغادرها طيلة خمسة أيام . وأخيراً قرر رأيه على التخلي عن بقعة الدم التى اعتاد أن يطبعها على بلاط المكتبة ،

جعلته يفر راكضاً إلى غرفته بكل ما أوتي من قوة ،  
وإذا به في صباح اليوم الثاني طريح الفراش يشكو  
الزكام القوي ويسأل عن همه أن رأسه لم يكن معه  
في هذا الحادث وإلا كانت العاقبة وخيمة جداً  
لقد قطع الآن كل أمل من تخويف هذه الأسرة  
الأميركية الفظة الغليظة القلب وأقع نفسه بالرحف  
حول الغرف وفي الممرات بحف خفيف وبحلقة  
حراء خشنة يلفها حول عنقه تقيه البرد ، وبغدارة  
صغيرة يصد بها هجوم التوأمين .

وفي اليوم التاسع عشر من سبتمبر جاءت آخر  
صدمة ، فقد هبط الطابق السفلي إلى البهو العظيم  
موقناً أنه سوف لا يجد هناك ما يرجعه معلاً نفسه  
بتسجيل ملاحظات هجوية على صور في الوزير الأمريكي  
وزوجه اللتين حلتا محل صور عائلة كاترفيل ، وكان  
يرتدي كفتاً بسيطاً طويلاً قد طرز بطين المقبرة  
ويربط شدة بقطعة مستطيلة من السكتان الأصفر ،  
ويحمل قنديلاً صغيراً في يد وفأس سادن الكنيسة  
في يد ، وكانت الساعة تبلغ الثانية والنصف صباحاً  
والشكل كما كان يتصور نيام ؛ فبينما هو متجه نحو  
المكتبة ليرى هل بقي أثر لبقعة الدم وإذا شخصان  
يقفزان عليه فجأة من زاوية مظلمة ويلوحان ساعديهما  
حول رأسهما وينفخان في أذنه ( بو ) ، فاحتاطه  
الفرع واندفع نحو السلم ولكنه وجد وشجبتون  
ينتظره هناك ومعه محقن الحديقة . ولما رأى نفسه  
محاصراً بأعدائه من كل جانب ومكرهاً على التسليم  
غاب في الموقد الحديدي الكبير الذي كان لحسن  
حظه غير موقد ، وكان عليه أن يجعل طريقه إلى  
غرفته خلال معاهد الدخان فوصل إلى غرفته في حالة  
يرثي لها من الوسخ والاضطراب واليأس

التحرش الأخير فصمم ليقوم بعمل جديد يسترجع  
به اعتباره ومركزه الاجتماعي فيروز الصغيرين  
السفيين في الليلة الآتية في زيه المشهور ( روبرت  
الطائش ) . إنه لم يظهر في هذا الزى منذ سبعين عاماً  
أي منذ أن أخاف به اللبدي ( برابه مودش ) الجميلة  
فاضطرت أن تفسخ خطبتها من جد لورد كاترفيل  
الحالي وتفر مع ( جاك كاتيلون ) الظريف معلنة أنه  
لا يوجد في العالم من يكرها على الاقتران من أسرة  
تسمح لمثل هذا الشح الخيف أن يخطر في القصر  
عند الفسق . مسكين جاك ! لقد قتل على أثر ذلك في  
مبارزة نشبت بينه وبين لورد كاترفيل ثم ماتت  
برابه محطمة القلب في بلدة « تبردج » قبل نهاية  
العالم وكان ذلك من توفيق الشيخ .

كانت عملية التنكر جد متعبة إذا جاز لنا أن  
نستعير هذا التعبير المسرحي لندل به على ما يتصل  
بأحد المظاهر النامضة المخارفة للطبيعة ، فقد قضى  
ثلاث ساعات وهو يستعد ؛ وأخيراً كان كل شيء  
على أحسن حال فارتاح كثير المظهره ؛ غير أن ( حذاء )  
الركوب كانت واسعا قليلا ولم يجد إلا مهمازاً  
واحداً ، ولكنه كان على العموم راضياً كل الرضاء .  
وعند الساعة الواحدة وربع انسل من خزانة الثياب  
وزحف إلى الممر ، وحين بلغ الغرفة التي يشغلها  
التوأمين وكانت تسمى غرفة النوم الزرقاء لكثرة  
ما فيها من الأشرطة والصور الملونة بهذا اللون ،  
وجد الباب متفرجاً قليلا ولكى يجعل دخوله مؤثراً  
انقض على الباب وفتحه على مصراعيه ، ولكنه  
لم يشعر إلا بجمرة ماء ثقيلة قد صبت عليه فنسلت  
كل جسمه ، ثم سمع رنين محركات عالية آتية من  
الفراش . لقد هزبت الصدمة كيانه التوترة

الصغير في دوره المشهور (الراهب مصاص السماء)  
هذا الدور الذي بلغ من فظاعته ان ليدي (استارتاب)  
حينما شاهدهت فيه في مساء عام ١٧٦٤ الجديد المشؤوم  
أخذت تصرخ صراخا حاداً من عجا. انتهى بها إلى ذاء  
السكتة ثم ماتت في ثلاثة أيام بعد أن حرمت كاتريفيل  
من إرثها وكان أقرب أقربائها، وأوصت بكامل ثروتها  
إلى صاحب (صيدلية لندن) . ولكن خوفه من  
التوأمين منعه في آخر لحظة من الخروج من غرفته  
فنام الدوق الصغير بسلام في غرفة النوم الملكية  
تحت المظلة المزخرفة يحمل فرجينيا

وبعد ذلك بعدة أيام ركبت فرجينيا وفارسها إلى  
روضة (بروكلي) فاذا بها تدخل في السياج فتعرق  
ثيابها؛ وفي عودتها قررت أن تدخل القصر من  
الباب الخلفي حتى لا يراها أحد، وبينما هي مسرعة إلى  
غرفتها مررت برفقة الثياب فاتفق أن كان بابها  
مفتوحاً فلمحت في داخلها شيخصاً ظنته خادمة والذهب  
فدخلت عليها لتأمرها أن تحيط لها ثوبها فاذا بها  
تفاجئ شيخ كاتريفيل نفسه، وكان يجلس إلى جانب  
النافذة يراقب الأشجار الصفراء الباهتة صاعدة في  
الهواء والأوراق الحمراء ترقص مجنونة عند مدخل  
القصر، ويسند رأسه بيده في وضع متخاذل كثيب  
لقد ملأ منظر الشيخ البائس المحزول قلب  
فرجينيا الصغيرة شفقة فاذا بها لا تفر إلى غرفتها  
وتتعلق خلفها الباب بل تصمم ان تدخل عليه لتؤنسه  
وتعزيه وقد بلغ من خفة خطواتها وثقل آلامه أنه  
لم يشعر بوجودها إلا حين كلمته  
قالت: إني لأتألم لك، ولكن إخواني  
ذاهبون إلى إيتون غداً، وحينئذ لا يكر أحد عليك  
صفوك

وبعد ذلك لم يشاهد الشيخ ثانية في حلة  
ليلية وقد ترقبه التوأمين في مناسبات عدة ولكن  
بلا جدوى. ومن الواضح أن شعوره المبحوح هو  
الذي منعه من الظهور؛ وعندئذ عاد السيد أوتس إلى  
تحرير كتابه العظيم (تاريخ الجماعات الديمقراطية)  
وهيات السيدة أوتس سمكة بحففة بحجية. أدهشت  
أهل المقاطعة، وأخذ الأولاد يلعبون ألعابهم الأميركية  
الوطنية، وكانت فرجينيا تركب مهرها وتسير في أزقة  
المدينة برفقة دوق شيشر الشاب الذي عاد من  
مدرسته ليقضي أيام العطلة في قصر كاتريفيل

لقد ظن الجميع أن الشيخ قد رحل عن القصر  
فكتب السيد أوتس إلى لورد كاتريفيل كتاباً بهذا  
المعنى، فجاءه الجواب يعلن فيه اللورد سروره العظيم  
بهذه الأخبار ويرسل أجمل تهانيه إلى زوج الوزير  
الصالح. لقد خدعت عائلة أوتس؛ فالشيخ لا يزال في  
القصر، وهو وإن كان مرصفاً لا يستطيع أن  
يترك الأمور تسير سيرها الهادئ الطبيعي خصوصاً  
بعد أن سمع أن بين الضيوف دوق شيشر الشاب  
الذي سبق أن تراهن عمه المجوز لورد (فرنسيس  
استيلتون) مع الكولونيل (كابوري) بمائة جنيه  
على أنه يستطيع أن يلاعب شيخ كاتريفيل الترد؛ وقد  
وجدوه في صباح اليوم الثاني طريق أرض القرعة مشلولاً  
شللاً لا أمل في شفائه منه؛ وهو وإن عاش بعد ذلك  
إلى أن بلغ أرذل العمر فقد ظل لا يستطيع أن يتكلم  
سوى كلمة واحدة (دوشيش) ولهذا فقد كان طبيعياً  
أن يهتم الشيخ بالظهور بمظهر الذي لم يفقد نفوذه  
على أسرة (استيلتون) التي تربطه بها أواصر  
المصاهرة  
وعلى ذلك فقد استعد أن يظهر لحبيب فرجينيا



بقية أسرتك الفظة الغليظة البربرية الغادرة

— صاحت فرجينيا واقفة على قدميها :  
اسكت ! إنك أنت الفظ الغليظ البربري الغادر . ألسنت  
أنت الذي سرقت مساحيق من صندوق لتطبيع  
وترخر في المكتبة بقعة الدم ؟ لقد أخذت باديء  
ذي بدء اللون الأحمر بأجمعه وأخذت معه اللون  
القرمزي وبذلك لم يعد باستطاعتي أن أترن بألوان  
الغروب ؛ ثم أخذت اللون الأخضر الزمردي والأصفر  
وأخيراً لم تترك لي سوى اللون النيلي والأبيض  
الصيني ؛ وهكذا لم يعد لي مقدوري أن أترن إلا  
بألوان ضوء القمر، هذه الألوان التي لا تسر الناظر  
والتي ليس من السهل اتقانها . إنني لم أشكك على الرغم  
من ألي الشديد . وقد أغضبني أكثر من كل شيء  
أن تجعل بقعة الدم خضراء قرمزية ؛ فهل سمع  
أحد أن دمًا يمكن أن يكون أخضر قرمزيًا ؟

قال الشبح متلطفًا : في الواقع أنك على حق ،  
ولكن ما الذي أصنعه ؟ إنه لمن الصعب جداً أن  
يحصل المرء على دم حقيق في هذه الأيام ؛ وبما دام  
أخوك قد أخذ على عاتقه إزالة البقعة ( بدهان  
بنكروتون ) فاني لم أجد بداً من أخذ مساحيقك .  
لقد كان دم أسرة كاتريفيل أزرق وأشد زرقاً من  
كل دم في انسكرتة ، ولكني أعلم أنكم معاشرة  
الاميريكيين لانسكروتون بالأمور التي بهذا اللون .

— إنك لاتعرف شيئاً عن ذلك ؛ وأرى أن  
توسع مداركك وتقف عقلك ؛ وأعتقد أن والدي  
لا يمانع في سفرك إلى أميركا . انك ستلاق نباحا عظيما  
في نيويورك ؛ وإني لأعرف جماعة هناك يدفعون ألف  
دولار لو يكون لهم جد ، ويدفعون أكثر من هذا

أجاب الشبح وهو ينظر مشدوها إلى هذه  
الفتاة الجميلة الصغيرة التي جرؤت على مخاطبتها :  
إن من البعث أن تطلي إلى صفو العيش . من البعث  
حقاً ، فأنا مكتوب على أن أفرق في أصفادي ، وارطن  
من قلوب الفاتح ، وأخطر في المساء ، فكيف تطلين  
منى أن أربح نفسي من أمور لم أوجد إلا من أجلها ؟  
— ليس من معنى لهذا الوجود . وفوق ذلك  
فأنت تذكر أنك اعترفت جريمة فظيعة . لقد أخبرتنا  
السيدة ( إمى ) في اليوم الأول من وصولنا أنك  
قتلت زوجتك

قال الشبح محمداً : حسن ! إنني أعترف بذلك  
ولكن الحادث كان عائلياً بحتاً وليس له علاقة  
بأحد

أجابت فرجينيا : إنه لأجرام أن تقتل أى  
شخص

— إنني لأكره الشدة المريحة في التأديب .  
لقد كانت زوجتي جد مهملة فهي لا تحسن يوماً  
تنشئة قبائى ولم تكن تعرف شيئاً عن الطبخ . لماذا ؟  
أنا أخبرك ؛ لقد اصطدت يوماً غزالاً من أجنة  
( هوجلى ) أندرين كيف وضعت على مائدة الطعام ؟  
ولكن لا ليس من الضروري الآن . لقد انتهى كل  
شيء ، وإنني لأحسب أنه يجمل باخوانك أن  
يمتوتى جوعاً لأنى قتلها

— يميوتك جوعاً ! آه ياسيدى الشبح !  
لا بل أريد أن أقول السير سيمون ! هل أنت  
جائع ؟ إن في صندوقى ( سندويتش ) أتحب  
السندويتش ؟

— لاء أشكرك . إنني لا آكل شيئاً الآن على  
كل حال . هذا لطف عظيم منك . وإنك لأفضل من

أظلمت عينا فرجينيا بالدموع وخبات وجهها  
في يديها ثم قالت متممة :

— إنك تعنى حقيقة الموت

— نعم الموت ! يجب أن يكون الموت جميلاً كل  
هذا الجمال . جميل أن يستريح الانسان في الأرض  
الناعمة السمراء والعشب ينمو فوق رأسه مصفياً  
للهدوء الشامل . جميل ألا يكون لنا أسس ولا غدا !  
جميل أن ننسى الزمن ونعفو عن الحياة فنظل في سلام .  
إنك تستطيعين مساعدتي لأن الحب معك دائماً والحب  
أقوى من الموت .

ارتعشت فرجينيا وسرت في جسمها فشريرة  
باردة وسادت السكينة لحظات قليلة . لقد شعرت  
كأنها في حلم مزعج .  
عندئذ عاد الشبح إلى الكلام وكان صوته أشبه  
بأنين الريح :

— هل قرأت مرة النبوءة القديمة المنقوشة على  
نافذة المكتبة ؟

فصاحت الفتاة الصغيرة رافعة بصرها : أوه  
كثيراً ما أقرأها ، وأني لأعرفها جيداً . إنها منقوشة  
بأحرف سوداء غريبة ومن الصعب قراءتها وهي  
سنة أسطر ونصف :

« حيناً تستطيع فتاة كالسجد أن تستخرج

صلاة من بين شفتي الخطيئة ؟

حيناً تحمل شجرة اللوز اليابسة ،

وتسخر طفلة صغيرة بالدموع ؟

عندئذ يعم القصر الهدوء

ويعود السلام إلى كاتريفيل »

ولكني لا أعرف ماذا تعنى هذه الأبيات .

فأجاب باكثبات — تعنى أنك يجب أن تبكي

المبلغ بكثير لو يحصل لهم شرف الانتساب إلى عائلة بين  
أفرادها شبح .

— ما أظن أنني أسر في أمريكا .

قالت فرجينيا مقبرة : طبعاً لأنه لا يوجد  
عندنا خرائب ولا تحف .

أجاب الشبح : لا يوجد عندنا خرائب ولا  
تحف ؛ عندكم أسطولكم وعندكم بحارتكم .

— فلتصبح على خير ! أنني ذاهبة لأرجو والدي  
أن يحصل للتأمين على إجازة أسبوع آخر .

فصاح الشبح : أرجو ألا تذهبي أيها الأنسة  
فرجينيا . إنني وحيد وجد تعيس ولا أدري ماذا  
أصنع . إنني أحب أن أذهب لأنام فلا أستطيع .

— هذا غير معقول . يكفي أن تذهب إلى الفراش  
وتطفىء الشمعة . إنه لمن الصعب جداً أحياناً أن تظل  
يقظاً وعلى الأخص في الكنيسة ولكن ليس في  
النوم صعبة .

قال الشبح متأثراً : إنني لم أنم منذ ثلاثمائة  
عام ، فافتحت عينا فرجينيا الزرقاوان الجميلتان  
استغرباً ! لم أنم منذ ثلاثمائة عام وكم أنا في عذاب  
إستولى الحزن على فرجينيا وارتعشت شفتاها  
الصغيرتان ارتعاش أوراق الورود فذنت نحوه وتفرست  
في وجهه المتغضن وتمت : مسكين مسكين أيها  
الشبح أليس لك من مكان تنام فيه ؟

فأجابها في صوت هادئ ، حالم : هنالك بعيداً  
وراء غابات الصنوبر يوجد حديقة صغيرة ينمو فيها  
العشب طويلاً عميقاً ويعني العندليب طيلة الليل ، طيلة  
الليل ينفث ، والقمر الرزين الفضى يتطلع من عليائه ،  
وشجرة الصفصاف تبسط سواعدها الطويلة القوية  
توق الراقدين

ماحولها، وإذا بها تشعر كأن يدًا تجذبها من ثيابها، فصاح الشبح: (اسرعى اسرعى وإلا وصلنا متأخرين) وفي لحظة أغلق الجدار ذو النقوش خلفهما وختل الغرفة .

\*\*\*

وبعد عشر دقائق دق الجرس لتناول الشاي فلم تحضر فرجينا، فأرسلت السيدة أوتس أحد الخدم في طلبها فعاد بعد قليل وقال إنه لم يجد الآنسة فرجينا في أى مكان . ولما كان من عادتها أن تخرج إلى الحديقة كل مساء لتقطف ورداً المسائدة الطعام فان السيدة أوتس لم تهتم بىء ذي بىء، ولكنها أخذت تضطرب حين دقت الساعة السادسة ولم تظهر فرجينا، فأرسلت الأولاد ليفتشوا عنها خارجاً بينما أخذت تقتش هي وزوجها في كل غرفة في القصر وقد عاد الأولاد عند الساعة السادسة والنصف يقولون إنهم لم يتركوا مكاناً لم يفتشوه ولكنهم لم يجدوا أى أثر لشقيقتهم .

إنهم الآن جميعاً في أشد حالات الاضطراب لا يدرون ماذا يصنعون ؟ وخباء تذكر السيد أوتس إنه سمح لجماعة من النور منذ أيام قليلة أن تخيم في جهات القصر وإن هذه الجماعة قد رحلت إلى ضاحية (بلاك فيل) ، فركب في الحال هو وولده البكر مع خادمين إلى تلك الضاحية ليتحرى بين النور عن الفتاة وقد طلب السوق شيشر وكان عظيم القلق على فرجينا أن يسمح له بالذهاب أيضاً ، ولكن السيد أوتس لم يأذن له بمراقبتهم لأنه كان يخشى وقوع اصطدام هنالك .

وحين وصلوا المكان وجدوا النور قد رخلوا، وكانت الآثار تدل على أنهم رحلوا فجأة ومنذ وقت

من أجلي ومن أجل ذنوبي لأنه ليس لدى دموع ، وتصلني من أجل نفسي لأنه ليس عندي إيمان ؛ وعندئذ يرحمني ملك الموت من أجل جلالك وصلاحك وأدبك . إنك ستشاهدين في الظلام أطلالا خفيفة ، وسهمس أرواح خبيثة في أذنك ، ولكنها سوف لا تؤذيك لأن قوى جهنم لن يمكنها أن تغلب على طهارة طفلة صغيرة

— لم تجب فرجينا . ففرك الشبح يديه بيأس قاتل وهو ينظر إلى رأسها المنحني الذهبي ، ولكنها وقتت فجأة شاحبة اللون ينبعث من عينيها نور غريب وقالت في حزم : إنني لأخاف وسأطلب إلى الملك أن يرحمك

فنهض من مقعده يصيح صيحة غبطة لطيفة وانحنى على يدها يقبلها بلهفة ورشاقة . كانت أصابعه باردة كالثلج، وشفاته مشتملتين كالنار، ولكن فرجينا لم تتلصك حين أخذ يقودها وسط الغرفة المظلمة

لقد أخذ الصيادون الصغار الذين طرزت صورهم على القماش الملحق الباهت ينفخون بأبواقهم ذات الديبول ويشيرون إليها بأيديهم الصغيرة لترجع : (ارجعي يا فرجينا ارجعي) ولكن الشبح شد على يدها وأشاحت هي عنهم بوجهها ثم أطلت من مدخنة في الجدار حيوانات هائلة بأذنان سحابة وعيون جاحظة ترمقها وتمتم : (كوني على حذر يا فرجينا الصغيرة ! كوني على حذر ! قد لا تراك مرة ثانية) ولكن الشبح انسل مسرعاً، ولم تصغ فرجينا لأحد . وحين وصلا إلى نهاية الغرفة وقف يتمتم ببعض كلمات لم تفهمها ففتحت عينيها وأبضرت الجدار ينقش شيئاً فشيئاً كما ينقش الضباب فإذا أمامها كهف عظيم أسود، وإذا بريح شديدة باردة . تكسكس

يعلم منه شيئاً؛ غير أن المدير أبقى لجميع المحطات وطمان السيد أوتس أنهم سوف لا ينقطعون لحظة عن التحرى عنها. وبعد أن ابتاع السيد أوتس قبة للدوق الصغير من أحد الخازن وكان صاحبه على وشك إغلاقه أتجه إلى (ميكلي) وهي قرية تبعد أربعة أميال عن (اسكوت) ويقيم فيها النور عادة؛ فلما وصلوا إليها قصدوا البوليس الريفي ليستعلموا منه عن فرجينيا، ولكنه لم يقدم شيئاً، وهم يهد أن تنقلوا في كل الساحات العامة والخاصة حولوا أئنة خيولهم إلى القصر وقد أنهكهم التعب وحطم قلوبهم الفشل فوجدوا وشحنطون والتوأمين في انتظارهم عند مدخل القصر يحملون المصاييح

لم يظهر أثر لفرجينيا. لقد قبض على النجر في مرج (بروكلي) ولكنها لم تكن معهم وقد علوا رحيلهم المفاجئ أنهم أخطأوا في تاريخ موسم (تشورتين) فاضطروا إلى الرحيل على عجل خوفاً من التأخر. وفي الحق لقد أظهروا غاية الأسف حين سمعوا بضياع فرجينيا لما يحفظون للسيد أوتس من جميل منذ أن سمح لهم بالإقامة في أراضيه، وقد تطوع أربعة منهم للمعاونة في التفتيش عنها وأخيراً وبعد أن ذهب كل مجهود عبثاً أصبح في حكم الثابت أن فرجينيا قد فقدت.

دخل السيد أوتس والأولاد القصر فالتقوا في القاعة بجماعة الخدم الفزعين، ثم دخلوا غرفة المكتبة فاذا بالسيدة أوتس قد ارتمت على المقعد الكبير بكاد الحزن يفقدها الوعي، والقهر مائة تفرك جبينها بماء الورد، فألح عليها السيد أوتس أن تتناول قليلاً من الطعام وأمر بتهيئة المشاء للجميع. لقد جلسوا للطعام وهم في حزن لا يوصف؛ حتى التوأمين كانا

قصير، لأن ناهم كانت لا تزال في اشتغال وعدداً من أطباقيهم ملق على الحشائش، فأرسل الوزير ولده والرحلين ليطوفوا في المقاطعة متقين، وعاد هو إلى المنزل على عجل وكتب بريات إلى جميع مفتشى البوليس في المقاطعة يطلب إليهم أن يتحروا عن فتاة صغيرة خطفها المشردون أو خطفها النور، ومن ثم طلب أن يهبط له جواده؛ وبعد أن ألح على زوجه وأولاده أن ينزلوا ويتناولوا غداهم ركب وسار في طريق (اسكوت) يرافقه السائس. وما كاد يسير ميلين حتى سمع شخصاً يمدو خلفه، فنظر حوله فأبصر الدوق الصغير قائماً على مهره مغبر الوجه عارى الرأس.

لمت الولد قائلاً: إني لأسف جداً ياسيد أوتس ولكني لا أقدر أن أتناول أي غداء وفرجينيا ضائعة. أتوسل إليك ألا تغضب علي. لو كنت وافقت في العام الماضي على عقد خطبتنا لما حدث شيء من هذا الازعاج. سوف لا تأمرني بالرجوع. أتأمرني؟ إني لا أستطيع أن أعود ولا أريد أن أعود.

لم يتالك الوزير نفسه من الابتسام لم رأى هذا الشاب الطائش الظريف وقد أثر فيه حبه العظيم لفرجينيا فأنحى عن جواده وربت بلفظ على ظهره وقال: حسن ياسيسيل! إذا كنت لا تريد أن تعود فعني ذلك أنك تحب أن ترافقتي ولكن على أن ابتاع لك قبة من (اسكوت).

صاح الدوق الصغير مبتسماً: أوه لا تزعم نفسك ببقيتي إني أريد فرجينيا.

وسارا ينهبان الأرض إلى محطة سكة الحديد، وهناك سأل السيد أوتس مدير المحطة إذا كان أحد شاهد فتاة بأوصاف فرجينيا على الرصيف، ولكنه لم

إلى فتحة الجدار تقودهم في ممر ضيق سرى وفي يد  
وشنجنطون قنديل تناوله عن المنضدة . وأخيراً وصلوا  
إلى باب كبير من سندان قد رصع بمسامير غليظة  
فالمسته فرجينا حتى فتح على مصراعيه ، فإذا بهم  
يجدون أنفسهم في غرفة صغيرة واطئة معقودة  
السقف قد تمدد على أرضها الحجرية هيكل عظمي  
هزيل ، فركت فرجينا إلى جانبيه وأخذت تصلي  
بهدهوء ضامة يديها الصغيرتين إلى بعضها والأسرة  
تنظر دهشة إلى هذه المأساة المزعجة التي أخذ ينجلي  
لها سرها .

ولجأة أعلن أحد التوأمين وهو يطل من النافذة  
ليتحقق في أى جناح من القصر قامت الغرفة .  
اسمعوا ! إن شجرة اللوز الكبيرة الباسية قد نورت ؛  
إنى أرى الأزهار واضحة على ضوء القمر .

قالت فرجينا برزاة وهي تهض على قدميها  
ونور جنيل يضيء وجهها : لقد غفر الله كل ذنوبه  
صاح الدوق الصغير : يا لك من ملاك طاهر !  
وطوق عنقها بذراعيه وقبلها .

\*\*\*

بعد هذه الحوادث المفجعة بأربعة أيام خرجت  
جنازة من قصر كاتريفيل حوالى الساعة الحادية  
عشرة مساء وكان النعش محمولا على عربة يجرها  
ثمانية جياد سود ومغطي ببساط أرجواني ثمين  
قد طرز عليه بالذهب ثوب كاتريفيل الحربي . وسار  
الخدم إلى جانب النعش والعربة يحملون المصابيح .  
وفي الحق كان الموكب يبعث الرهبة والخشوع في  
النفوس .

وكان اللورد كاتريفيل الذى حضر من (وايز)  
ليشترك في الجنازة أول المؤمنين . وقد جلس

واجبين ذاهلين . وحينما انتهوا أمرهم السيد أوتس أن  
يذهبوا جميعاً إلى الفراش فثلاثاً لم يمد في المكان  
عمل شيء آخر الليلة . وأنه سيرق في الصباح إلى  
(اسكوتلاند يارد) لتنشر الميول في كل مكان .  
وبينا هم خارجون من غرفة الطعام دقت ساعة البرج  
مشعرة بانتصاف الليل ، وحينما دقت الدقة الثانية عشرة  
سمعا صوت انكسار أعقبته صرخة رنانة ، ثم هز  
القصر هز جرد خفيف ، وطاف في الهواء لحن علوى ،  
وإذا بفتحة تظهر في الجدار عند أعلى الدرج ، وإذا  
بفرجينا تخرج منها شاحبة اللون جداً وفي يدها  
قبة صغيرة فاندفعوا نحوها جميعاً وطوقها السيدة  
أوتس بذراعيها في حنان ، وكم الدوق أنفاسها بقبة  
متقدة ، وأخذ التوأمين يرقصان حولهم رقصاً غريباً .  
قال السيد أوتس منفضاً حاسباً أنها كانت  
تمازحهم — يا إله السماء ! وأين كنت أيتها الطفلة ؟  
لقد ركبت أنا وسيسيل نفثس عنك المفاطعة بأسرها ،  
وكاد يقضى الأسى على والدتك . يجب ألا تعودى  
إلى مثل هذه المهازل بعد الآن .

صاح التوأمين وهما يقفزان — إلا مع الشبح  
إلا مع الشبح .

تمتعت السيدة أوتس وهي قبل الطفلة المرتعشة  
وتمسح على رأسها : أشكر الله يا عزيزى أنا وجدناك .  
يجب ألا تتركى جانبي بعد الآن .

قالت فرجينا مبينة : لقد كنت مع الشبح  
يا بابا ! لقد مات . ويجب أن تشاهده . لقد اقترف  
ذنوباً كثيرة ولكنه تاب أخيراً توبة نصوحا وقدم  
لي هذا الصندوق الممتلئ بالجواهر قبل أن يموت  
تفرست فيها الأسرة بهدشة خرساء ، ولكنها  
كانت تتكلم برزاة وجد ؛ ثم تحولت قليلا وسارت

تأخذها معك إلى لندن على اعتبار أنها جزء من ثروتك  
أعنتت إليك في حالات خاصة غريبة . أن ابنتي لاتزال  
طفلة ويسرن أن أقول أيضاً أنها قليلة الاهتمام بذنوب  
الرفاء الباطل ، وكذلك فقد علمت من السيدة أوتس  
أن هذه الجواهر عظيمة القيمة جداً وأنها إذا عرضت  
للبيع أنت بشمن كبير ، ولهذا ترى يا حضرة اللورد  
كيف يستحيل على أن أسمح ببقائها في ملكية أي  
فرد من اسرق . وفي الحق أن كل هذه اللعب البراقة  
سواء كانت لازمة أو ضرورية لشرف الارستقراطية  
الانكليزية لا محل لها عندنا نحن الجمهوريين البسطاء  
لقد أصنى لورد كاترفيل بانتباه شديد إلى خطاب  
الوزير القيم وكان ينتش شاربه الأشيب من وقت  
لآخر ليخفي ابتسامه اضطرابية . وحينما انتهى السيد  
أوتس من يده بأخلاص وقال له : يا سيدي العزيز  
إن ابنتك الفاتنة الصغيرة قد قدمت لجدي السيء  
الحظ السير سيمون أعظم خدمة . وإنى وأسرني  
لمدينون لشجاعتهما المحببة وإقدامهما بالشئ الكثير .  
إن الجواهر هي لها ولا شك ، وأنا أعتقد أنى إذا  
تفألطت وأخذتها قالت صاحبتنا المعجوز الشرير  
سيخرج من قبره بين عشية وضحاها ويزوج في داهية  
أما إنها موقوفة فلا ، لأن الوقف لا يتم إلا بموجب  
وصية أو ضك قضائي ، وهذا لم يقع ، بل أكثر من  
من ذلك أن هذه الجواهر مجهولة لا يعرف أحد منا  
شيئاً عنها . وإنى لو اتقن أن فرجينيا سيسرها كثيراً  
أن تجد في حيازتها عند ما تكبر حيلة تلبسها ؛ وفوق  
ذلك هل نسيت يا سيد أوتس أنك ابنتك الشبح كما  
ابتمت رياش القصر ، وأن كل شئ يخص الشبح قد  
دخل في ملكيتك كما دام التابع تابعاً ، والتابع لا يفرد  
في الحكم كما يقول رجال القانون ؟

في العربة الأولى مع الصغيرة فرجينيا ، ثم تأتي في  
الترتيب عربة وزير الولايات المتحدة وزوجه ، فعربة  
وشنجلتون والأولاد الثلاثة ؛ وأخيراً عربة السيدة  
أمى التي كانت تحدث نفسها والعربة تسيير بها  
إلى الكنيسة أن من حقها أن تشاهد نهاية هذا  
الشيخ الذى ظل يرعها خمسين عاماً كاملة .

لقد حفروا له قبراً عميقاً في ساحة الكنيسة  
تحت شجرة الصفصاف القديمة وأتى أغسطس  
دامبير دعاه بلهجة جد مؤثرة ، وما كاد ينتهي حتى  
أطلقاً الخدم مصاييحهم عملاً بعادة متبعة عند عائلة  
كاترفيل ، وحينما شرعوا ينزلون الناووس إلى القبر  
خطت فرجينيا إلى الأمام ووضعت عليه صلياً كبيراً  
صنعت من أزهار اللوز البيضاء والحجر . وفي تلك  
اللحظة برز القمر من وراء النجوم وغمر ساحة  
الكنيسة بضوئه القضى ، وأخذ العنديل يغمى من  
الشجيرات البعيدة . ففكرت فرجينيا في وصف الشيخ  
لحديقة الموت فأظلمت عيناها بالدموع ولم تنبس  
بنت شفاه أثناء عودتهم إلى القصر .

في صباح اليوم الثانى وقبل أن ينزل لورد  
كاترفيل إلى المدينة أخذ السيد أوتس يبحث معه  
في موضوع الأحجار الكريمة التي قدمها الشيخ إلى  
ابنته فرجينيا فقد كانت هذه الجواهر ممتازة جداً  
لا تقدر قيمتها بشمن ، لهذا احتار السيد أوتس كيف  
يسمح لابنته أن تقبلها

قال — يا سيدي اللورد أنا أعلم ان الوقف في  
هذه البلاد يجوز على المصوغات كما يجوز على الأرض ؛  
وإنه لظاهر لدى تمام أن هذه الجواهر هي أو يجب  
أن تكون إرثاً في اسرتكم ، ولهذا فاني أرجوكم أن

— أعلم ذلك ولكن أنا يجب أن تخبرني .  
أرجو ألا تطلب مني ذلك . إنني لا أقدر أن  
أخبرك بشئ . مسكين السير سيمون ! إنني لمدينة له  
بكثير . نعم لا تضحك ياسيسيل . إنني لمدينة له حقاً .  
لقد أطلعني على سر الحياة والموت وعلمني كيف يكون  
الحب أقوى من الحياة والموت .  
نهض الدوق وطبع على فم زوجته قبله حارة  
وتقم :  
— يمكنك أن تحتفظي بسرك ما دمت أحتفظ  
بقلبك .

إنك تلتحفظ به دائماً ياسيسيل .  
— وإنك ستخبرين أطفالنا يوماً ما . أليس كذلك ؟  
فاحررت وجنتا فرجينيا حياء .  
( شرق الأردن ) ( رجمة ( بشير الصريحي )

لقد ضاق السيد أوتس كثيراً برفض لورد  
كاتفيل هذا وزجاء أن تراجع رأيها ، ولكن اللورد  
التبيل ظل مصرّاً على رأيها ، فاضطر الوزير أخيراً  
أن يسمح لابنته أن تحتفظ بهدية الشبح  
وفي ربيع عام ١٨٩٠ حينما مثلت دوقة شيشر الشابة  
بمناسبة زواجها أمام الملكة كانت حليها موضوع  
إعجاب العالم أجمع . لقد اقترنت فرجينيا بعشيقها  
الشاب حين بلغت سن الرشد . وقد بلغ من فتنة  
المروسين وجهها لبعضهما أن كل شخص اغتبط  
لهذا القران اللهم إلا مراكزة ( دويليون ) المجوز  
التي كانت تعمل لاقتناص الدوق زوجاً لإحدى  
كرعاتها السبع الأوانس وقد أقامت لهذه الغاية  
ما لا يقل عن ثلاث دعوات .

وعند ختام شهر العسل عاد الدوق والدوقة إلى  
قصر كاتفيل ؛ وبعد ظهر اليوم الثاني من وصولهما  
زارا قبر السير سيمون وترا عليه وروداً جميلة نضرة  
وبحثا فيما يجب أن ينقش على شاهد القبر ؛ وأخيراً  
قررا أن ينقش اسم السيد القديم والآيات  
المنقوشة على نافذة المكتبة ؛ وبعد أن طافا في محراب  
الدير القديم الحرب جلست الدوقة على عمود مهتم  
وتعمد زوجها عند قدميها يدخن ؛ ولجأة رمى سيجارته  
بعيداً وتناول يدها وقال لها :

— يا فرجينيا ! إن الزوجة لا ينبغي أن تخفى شيئاً  
عن زوجها .

— يا عزيزي سيسيل إلى ما أخفيت عنك شيئاً  
أجاب مبتسماً — بل إنك لتخفين أنك لم تخبريني  
ماذا كان بينك وبين الشبح حين اختليت به .

أجابت فرجينيا خادة : إنني لم أخبر أحداً بذلك  
ياسيسيل .

## تاريخ الأدب العربي

لـؤـسـتـاز أحمد حسن الزيات

الطبعة السادسة

في حوالي ٥٠٠ صفحة من القطع المتوسط  
يعرض تاريخ الأدب العربي منذ نشأته إلى اليوم

في صورة قوية تحليلية رائمة

ثمّة عشرون قرشاً ويطلب من إدارة الرسالة

ومن لجنة التأليف ومن سائر المكاتب

# الفنسة التي سلبتني ولدي

## مترجمة عن الانجليزية

### بتم اميل فرج

من العمر ستة أسابيع  
حتى مات زوجي العزيز .  
فقدت بموته كل أمل  
لى فى الحياة وانهارت  
الأحلام الذهبية من  
أساسها وخيل لى فى ذلك  
الوقت أن يداً خفية  
جبارة تصرعنى بقسوة

وعنف ، ولكن .. وسط الدموع الزيرة والأحزان  
المستبدة تراءى لى وجه هارى الصغير وهو يتسم  
ابتسامته اللامكية فاسترجعت صواى وعزمت على أن  
أعيش .. أجل أعيش من أجل ولدى العزيز . لأنه  
يحتاج إلى حنانى .

ونشأ هارى الصغير دون أن يعرف شيئاً عن أبيه  
الراحل ، ولذلك كنت له أباً وأماً ومنحته كل مجهودى  
وحبوتى لأنى أيقنت أنه مفتقر للإلهما .. لقد كان  
هارى الصغير حياى التى أحياها .. كان روحى التى  
تردد فى جسدى .. كان كل نصيبى فى الحياة  
وهكذا مررت الأسابيع عملة ثقيلة ، ولكن تمكن  
طفلى العزيز بعد مدة أن يملأ هذا الفراغ الموحش  
الذى كان يضيقنى ويبدد الظلام الدامس الذى كان  
يسود حياتى .. ومرت السنين وتتابعت الأيام  
وأصبح هارى رجلى الحبيب الوحيد وكنت به  
سعيدة قانعة ..

واعتقدت فى ذلك الوقت أنى مثال الأم الرحيمة  
الحنون . ولكنى وجدت نفسى غططة فقد منحت  
هارى حياى ولذلك أردته أن يكون لى وحيدى ..  
أهى الأثرة وحب النفس الذى جعلنى هكذا .. ؟  
ربما ، ولكنى لم أكن لأدرك هذا فى ذلك الوقت إذ  
(٤)

« أهى غيرة امرأة أم حب أم الذى جعلها  
تمت الفتاة التى أحببت ابنها الحبيب ... ؟ »

\*\*\*

كان هارى جرانت فقيراً معدماً عند ما تبادلنا  
حباً جنونياً جافاً ، وكنت أنا فى العشرين من  
عمرى فتزوجنا ... فولد زوجنا فى نفسه حلماً رائعاً  
جيداً ورغبة ملحة قاهرة فى أن يقتنى ، ولذلك عزم  
على مبارحة أنجلترا إلى أمريكا ليحرب حظله فيها .  
إن صوته الآن ليبلغ أذنى من بعيد فيردد قلبى  
صداه فى ثورة مكتومة حبيسة ، وعيناه ... إلى  
لأراهما ترتفعان فى الفضاء أمانى فى تساؤل حبيب  
وهو يقول :

— هل تراقبني يا لوسى فى رحلتى إلى  
أمريكا ... ؟

— سأكون معك فى أى مكان يا حبيبى ...  
سأرافقك إلى أقصى العالم ... سأتابع معبودى  
الفريد :

وهناك فى أمريكا وبالرغم من كراهتى للطهى  
والحياكة ، وبالرغم من مزاجى الحاد الثقل فقد طابت  
لنا الحياة ، واغتنيانا لأن الحب والشباب كانا يولدنا  
فينا قوة هائلة لا تقهر .

ولكن ... لم يكد طفلا هارى الصغير يبلغ



— ربما لم تظن أنك امرأة كبيرة السن يا أماء  
لأن من يراك يحد فيك شابة مريحة طروباً حتى  
لأنها تخالك أختي .

ولكن هذا القول لم يفرحني بل على النقيض  
أغضبني أشد الغضب لأنني رأيت فيه نوعاً من التملق  
المقوت فقلت :

— إنها فتاة جريئة على كل حال ...

— هو كذلك يا أماء، وإنني لأحب هذا النوع  
من الفتيات

— آه ... ماذا تقول يا هاري ؟

— إنني أعني ماقلت، فاني أحب الأشخاص  
الذين يعرفون ما يريدون ثم يجاهدون حتى يحصلوا  
على أمئتهم

— إنني متأكدة يا هاري أنك لتأمل لفتاة  
تصيد الشبان من الطريق ...

وبعد يومين تأكدت أن قولي هذا كان عديم  
الجدوى، لأن هاري وماري أصبحا لا يفتقان فكتانا  
يشتركان في لعب التنس والسباحة والرقص وكل  
شيء حتى صار من العسير التفريق بينهما

كان ولدي أعني ... أحق ... لا يدرك ماهو  
مقدم عليه ... ولا يعرف أن مصادقته لهذه الفتاة  
جعلت الثورة تمشي في دمائي، والغضب يستبد بي  
أشد الاستبداد، والحزن يسيطر على قلبي، لأنني كنت  
أمت هذه الفتاة من كل قلبي ...

وبعد قليل من الزمن عزمتم على أن أحادثها  
لأنهمها أن هاري لن يفكر في الزواج في مثل هذه  
السن المبكرة ولن تناله مهما فعلت لأنه ولدي ورجلي  
وحدي فأنا أمه ولي مطلق التصرف فيه ...

ولكن وأسفاه لم أستطع أن أحادثها، لأنني  
طائشة غير مؤدبة بل كانت على النقيض مثال الأدب  
الحجول والشخصية الجذابة المحترمة والشباب المغري

لم يكن يدور في خلدي مطلقاً أن هاري يتزوج  
ويذهب مع المرأة الخليفة به ويتركني وحيدة فريدة؛  
لقد كنت أوقن في ذلك الوقت أن هذا اليوم لن  
يأتي مطلقاً وسيقضي هاري كل حياته بجاني  
يضحي بكل حب من أجلي ... أنا أمه الحبيبة،  
ولذلك كنت مستعدة أن أدفع أي ثمن مهما بلغ من  
أجل بقاءه بجاني ... فقد تصايبت من أجله ...  
عملت على أن أكون رشيقة كفتيات المدارس  
لأروق في عينيه، تركت أصدقائي ونبت حياة الرزاة  
والكبر وسرت بجانبه في طريق الشباب وملاهيته،  
كل ذلك من أجله ... من أجل ولدي العزيز .  
لقد جاهدت لأستقيبه بجاني ... ولكن في  
لحظة خاطفة فقدته ... أجل فقدته

\*\*\*

ما كاد هاري يحصل على إجازة الجامعة حتى  
ذهبتا في رحلة إلى شاطئ الريشيرا ليستعيد نشاطه  
وسط المناظر الخلابة والطبيعة الساحرة وهناك  
شعرت بالتعاسة لتحتاج قلبي الكبير بمنف شديد،  
وأحسست بالشيخوخة تدب في أوصالي فتوهنها  
ونهبكها حتى كرهت جميع الناس ... كرهتهم  
في شخص ماري ديفرز تلك الفتاة الرزينة الجميلة  
التي سرفت هاري واترعتة من بين أحضاني والتي  
لم يقو السكين على مقاومة سحرها ومغالبة تنبتها  
ففتنته اللعينة في مدى يومين ..

لقد دعنتا للعب الالبرج دون سابق معرفة فلي  
هاري دعوتها مسروراً مرتاحاً، وبعد انتهاء اللعب  
وانصراف الناس التفت إلى هاري قائلاً :

— إنها مثال الفتاة المصرية اللعوب لأنها  
صادقت شاباً صغير السن وامرأة مسنة مفضضة الوجه  
دون ...

— فقاطعتني هاري مهدوء :

شيئا من ذلك لم يحدث وأخيرا سمعته يقول :  
— لقد مضى هذا الوقت يا أماء ... إنك  
تسكمين عن الماضي ... إنني ابن هذه اللحظة ...  
لقد ولدت من جديد ...

ثم ... ثم غاب عن نظري ...  
كنت مطمئنة برغم ذلك لأننا سرعنا إلى لندن  
حيث يستطيع هاري أن ينسي فتاته الظرفية ذات  
العينين الواسعتين العميقتين والشباب الغض الفاتن،  
وينظر لأمه المسكينة التي قضت أعز زهرة في حياتها  
وفي اللحظة الأخيرة قبيل رحيلنا رحت أتلهى  
بالنظر من خلال النافذة وما كنت أفضل حتى  
رأيت ماري تميل على هاري وتقبله في وجنتيه  
فيضمها هو بدوره ضمة حارة ويقبلها قبلة طويلة عميقة  
لم أستطع أن أحتمل هذا المنظر لأنني كنت  
أفضل أن أتعذب أمر العذاب ولا أراها تقبله ...  
لقد كرهتها كاللوت، ومقبتها كجهم، وشعرت في هذه  
اللحظة أن الفيرة تجتاح قلبي في عنف وثورة  
ثم أقبل هاري فرحا مفتعلًا ولم يعرف المسكين  
أن كلماته التي فاه بها بعد لحظة قد وقعت على رأسي  
وقوع الصاعقة ..

— ماما ... ماما ! ستذهب ماري إلى لندن  
ولذلك سترافقنا في رحلتنا ...  
فأجبت به وحشية ثائرة :

— سوف لا تذهب هذه الفتاة إلى لندن ...  
سوف لا ترحل معنا .. أفهمت ما أقول ؟  
— ولكنها سترحل معنا يا أماء وقد وعدتها  
بذلك .. إنها جميلة ماهرة .. وهي المرأة الوحيدة  
القادرة على أن تجعل السعادة تفرح قلبي ، فهي تعمل  
كل شيء في سبيلي ومن أجل ..

وما كنت أسمع كلماته هذه حتى انتفضت واقفة  
كحيوان حبيس وقلت صارخة :  
— ماذا تعني أيها الطفل ؟

الفتان ، إلا أن كبرياءها وعزة نفسها أقامت حاجزاً  
شفاقاً بينها وبين أم الشاب الذي تحبه ...  
كانت تخبرني بأدب وكياسة أن أعني فقط  
بشعوني ولا أضايق الآخرين ، فأقول لنفسى حينئذ  
إنها خبيثة ماكرة ، ولذلك كنت أحسب جها لولدي  
العزيز الوحيد .

وفي آخر يوم من أيام زهرتنا في الرشيرا  
جلست في غرفة نومي أنتظره لأبذل آخر مجهود  
لاسترجاعه إلى أحضاني ، فتجملت وتأقت في ملابسى  
حتى أظهر أمامه جميلة مقبولة . وفي منتصف الليل  
أقبل هاري ببساملته الحلوة الحبيبة هاتفا :  
— هالو ماما ...

وحينئذ نظرت إليه فشعرت بالدموع تفرق  
في عيني شفقة به ورتاء له ثم قلت :  
— أظن يا هاري أن الانسان يجدر به أن  
واجه الحقائق كما هي ... لقد أصبحت لا تحب  
أمك لأن قلبك قدعلق فتاة تكرهني كل الكراهة؛  
لقد انكسر قلبي وخاب أمني ...

ونظرت إليه فرأيتني بنظر خلال النافذة نظرة  
حالة مفكرة ، فقال دون أن يلتفت إلي :  
— أنت مخطئة يا أماء في ماري ... هي  
لا تكرهك ... هي ... لماذا ؟ ... هي لا تفكر  
فيك مطلقاً ...

فقلت متحملة هذه الالهانة بجملد وصبر ، ولكنى  
لم أتمكن من جعل صوتي مستقيماً راتقاً :  
— وأنت يا هاري ... ألم تد تفكر في أمك  
العززة التي كانت لك كل شيء في العالم ، في مدى  
العشرين سنة الماضية ... أنسيختي يا هاري ...  
يا ولدى العزيز ؟

واتنظرت على مضض ... انتظرت أن يسجد  
الابن أمام أمه الحبيبة ليمتنر إليها ويؤكد لها حبه  
وإخلاصه كما كان يفعل هاري من قبل ، ولكن

— لقد كنت أفضل أم في العالم ... ولكن حياتي يا أماء ... سأسير في الطريق الذي أراه لنفسي ؛ اننى أرجو منك ألا تتدخل في شئوني مرة أخرى .. إننى حر ... حر لأن حياتي ملكي وحدي لا ينازعنى فيها منازع ... حاولي يا أماء أن تأخذى الأشياء كما هي .

ثم قال ببطء وصوته يهدج :

— لقد جاهدت أيتها الأم العزيزة ولكنك فشلت .. وهذا ما يمزني .

— أيمكن أن يكون هذا حقيقة ؟ هارى العزيز الذى من أجله نحييت كل حياتي بخاطبتي الآن بهذه اللهجة القاسية ... ما أعظم تماستي وشقاى ...

وقد تعهدت أمام الله ونفسى ألا أغفر لهارى ريفرز ما فعلت ... سوف لا أحبها ولا أصادقها مطلقاً ... مطلقاً ...

وكان عهدى هذا هو العار الأبدى الذى ظللنى بظله الظلم المقوت طيلة حياتي، وسيرافقنى لعنة أبدية إلى قبرى . لأنى حافظت عليه ...

\*\*\*

ومرت الأيام متتابعة كنفمة تتكرر في إحدى الأوبرات الثقيلة المملة ، وكنت لأزورها منذ تزوجت إلأ لسانيا ، فهارى أدمن الخمر وأصبحت لا أراه إلأ قليلا ، ومارى أخذت تلهو بسيارتها الصغيرة تقودها بسرعة جنونيه خفيفة هابطة نحو المدينة أو آتية منها طيلة النهار

وفي يوم من أيام الربيع الجميلة زارنى هارى وزوجته وقد غزما على أن يقضيا يوم عطلة في إيست بورن ...

كانت ماري جميلة في هذا اليوم بكل ما في هذه الكلمة من معان ، رائعة فائنة .. فكانت في شمرها الأسود الجميل وعينها اللامعتين اللتين تنطقان

— مستقرن بي ماري

— هارى .. إنك مجنون ياولدى ، لأنك ستزوج من فتاة لم تعرفها إلأ منذ أسابيع . ستلوك الأفواه سيرتك ، وستتناولك الألسن بالهزء والسخرية .. ارجع لصوابك يا هارى وكن ابني المطيع كما عهدتك ..

— دعهم يتكلموا يا أماء فاني لا أعبأ بهم ولا بمجديهم مادمت أحب ماري وهي تحبني .. عند ذلك انفجرت باكية بكاء مرأ لم أعرفه منذ وفاة زوجي العزيز ثم قلت :

— أنت مجنون يا هارى .. مجنون حقاً ... وكان الحزن قد أخذ مني كل مأخذ ، والغيرة كانت تفرى عظامي بوحشية رهيبة .. وقلبي .. وقلبي شمرت به يقف عن الحركة ، وكأن نصلاً حاداً اخترقه بعنف قتمزق ، لأن هارى سيفر من يدي .. ثم تمالكت نفسي وقلت بجمرة ...

— هارى .. ولي .. كيف تزوج من فتاة لا تعرف من هي وما أصلها ؟ لا بد أن تكون فقيرة معدمة ، وإلأ لما يذلت هذا المجهود المائل لاقتناساك .. كل الناس سيقولون إنك ضخمة غريبة ضعيفة ...

— هذا لا يعنهم ... ماري يتيمة .. لقد عرفت ماري جيداً وأظنها هي المرأة الوحيدة القادرة على أن تجعلني سعيداً .. سعيداً جداً يا أماء ... سأزوجها .. أجل سأزوجها وأرجو أن تحبها بعد ذلك — مطلقاً .. مطلقاً .. سأحكرها .. سأمقتها .. ستكون عدوى اللدود .. هارى إنى أملك أن تزوج من فتاة ...

— كفى ياولدى .. لا تنطلي بشئ تنسدن عليه فيما بعد ...

ثم قال وكأنه ينظر في آفاق بعيدة مجهولة :

من الذى مات ...؟ من الذى ذوى كشمعة فى  
مهب الرياح ؟ ... لا يمكن أن يكون هارى ...  
هارى الذى كان مثلاً حياً جيلاً للشباب الفاضل  
البائع ...؟ لا ... لا ... لا يمكن أن يكون  
هذا حقيقياً . أخبرنى ثانية يا دكتور ... أخبرنى  
ثانية ماذا تعنى ...؟

وأخيراً وقف الرجل أمامي وأخبرنى بحزن  
عميق أن ماري كانت تسوق السيارة بسرعة جنونية  
عندما اعترضها حاجز مرتفع فاقبلت بهما السيارة ،  
فهارى مات ومارى أصيبت ببعض جروح ...

— هارى يموت ومارى تبقى حية ؟ ! كانت  
تسوق السيارة . أجل فى التى قتلتها بإهالها الفطع .  
ليعاقبها الله ... ليعاقبها الله ...

فأجابني الدكتور بصوت خافت مرعش :  
— لقد عوبت يا سيدى ... لقد كسر ظهرها  
ثم أمسك يدي المتصلبتين بوحشية مرعبة  
وجعل يكفكف الدموع الغزيرة التى أهمرت كالطرر  
الغزير ...

كم أنا حزينة ... وكم أنا شقية ... لقد قتلت  
اللعينة ... لقد قتلت وحيدى .. حيانى ... رجلى ...  
ومرت على ساعات مظلمة حالكة مليئة بالأحزان  
طالعة باللوعة ... كنت أحاطب نفسى فيها قائلة :  
— سأنتقم لك يا هارى ... سأنتقم لك يا ولى

لقد قتلتك اللعنة فعليها لعنة الله  
وقد رأيته واقفة أمام المحكمة تدلى بجريعتها ،  
فاعترفت أنها كانت تقود السيارة بسرعة جنونية ،  
ولكنها عند ما قيل لها إنها هي المسئولة الوحيدة عن  
وفاة زوجها ... اهترت الفتاة ... اهترت من الأعماق  
وصار وجهها باهتاً ترسم عليه علامات الألم الصارخ  
والحزن العميق ... ثم انتهت المحاكمة وبرت الفتاة  
الجمرة التى قتلت ولى ... عند ذلك لم أحتمل الصدمة

بمعان عميقة بعيدة .. ويلديها الرقيقتين وقدها  
الرشيق الساحر ... كانت تمثل ملاكاً من الحسن  
والجمال هبط الى الأرض ليؤدى رسالة حية خالدة  
فى الفتنة والأغواء .

وقبلي هارى ضاحكاً فرحاً ، ولكنى شمعت رائحة  
الخر تهب بشدة من فمه ، ثم قال لي إنه يريد أن يخبرنى  
بغير سار عند رجوعه من زهرته ، وما كادت  
مارى تسمعه حتى ابتسمت ابتسامة رزينة ولم تنبس  
بكلمة لأنها لا تحادثنى إلا قليلاً ... فكانت رزائنها  
ونظراتها الثابتة العميقة تزيد من حقي عليها وكرهى  
لها ... وأخيراً ذهباً لئلهما

\*\*\*

لا أدري كيف أكتب البقية الباقية من سلسلة  
عذابي المرر ... أمي الذكري أسطرها لتفرج  
من كربتي أم هي حياة حافلة بالظلم والغيرة قضيتها  
واسترجعها الآن في مخيلتي لأشعر باللعنة تسحق  
عظامي والندم يكوى قلبي ؟ لا أدري . وإنما  
أدري أنى معذبة شقية ...

وفى عصر هذا اليوم المشغوم فوجئت بزيارة  
الطبيب بورنت الذى ساعدنى فى ولادة هارى ، كانت  
نظراته حزينة كثيفة رأيت خلالها ما دفيناً وحزناً  
بالغا فساأته جافلة :

— ما الذى حدث يا دكتور ...؟ أجبني بربك  
ماذا حدث ...؟

— لا شيء يا عزيزتي ... إنما هناك  
حدث مروع

عندئذ صرخت من أعماق قلبي :  
— هارى ... هارى ... أخبرنى بسرعة  
هل هارى بخير ؟ ...

— هارى سعيد يا سيدتي ... آه ... لقد ...  
لقد ... مات ولذلك المسكين ...

— مات ... مات ... ماذا تعنى أيها الرجل ؟

— لن أرحمها .. لقد أذاقتني مر الحياة ، ولذلك سأعذبها .. سأعقنها

— إنك لا تمدينها وحدها ياسيدتي .. فإن امرأة ابنك ستصير أمًا عما قريب

— ما .. ماذا تقول يادكتور ..! ماذا تقول ؟

شعرت في هذه اللحظة أني أهتر بكليتي اهتزازاً عنيفاً كأني ريشة في مهب الرياح ... إذن الخبر المهم الذي أراد هاري أن يقوله لي هو .. هو هذا الخبر . يا إلهي لم يعش هاري العزيز حتى يرى ابنه وفلذة كبده يدرج على الأرض ... لم يتمتع بشبابه ولم ير السعادة التي تصبو إليها نفوس الآباء ...

ولأول مرة في حياتي صرخت من الألم الحار وبكيت بدموع الحزن الذي لا يفنى ، والألم الذي لا يسكن ... بكيت من أجل ذلك الطفل اليتيم الذي حرم عطف الآبوة ... فسا أشقائي من امرأة رمتها الأيام ذرة مضطربة في هذا المحيط الواسع الشاسع فتقلبت في أجواء قاعة مظلمة ، وراحت تتقاذفها أعاصير الحياة القاسية الربعة بوحشية وقسوة .

بكيت بحماسة ولكني لم أبك من أجل ماري ، لأنني لن أنسى لها جريمته ، ومع ذلك تمنيت لها الشفاء من أجل الطفل اليتيم الذي يعيش في أحشائها ... ولذلك انتظرت قرار الدكتور الذي أخبرني أن ماري في حالة سيئة ، وستلد بصعوبة ... وبهذه الكلمات القاسية امتلأ كأش شقائي حتى فاض وأعرقني ، ولم أعد أحتمل ... لم أعد أحتمل

لم أستطع أن أجلس إليها إلا بعد مدة ... وكانت وقتذاك مضطجعة على ظهرها بهدوء على فراش المستشفى البسيط . كانت كالحمامة الهزيلة الضعيفة ... ولكن عينيها ظلتا عميقتين ساحرتين لم يحب ريقهما ولم ينطقن نورها ... وشعرها الأسود الجليل ... كان مهبطاً بإهمال لطيف فوق الوسادة ..

كانت نيلة في رقعته رائعة في نظرتها ... حينئذ لم

فجست على مقعد خارج المحكمة فرأيتها أمي شاحبة الوجه منكسرة النفس ... فنظرت إليها وصرخت في وجهها بعد أن هزتها هزاً عنيفاً ثم صحت بها :

— سأقتلك أيها المجرمة ... سأقتلك لأنك قتلت ولدي الوحيد ...

كانت الفتاة أقوى مني لأنها شابة في عنفوان الشباب ... كانت تستطيع أن تطرحني أرضاً ولكنها ظلت صامتة حزينة ، وكان وجهها الحزين يمثل الألم الصامت النبيل وترسم عليه علامات غريبة غامضة كافية لأن تبث في أضي القلوب الشفقة والرحمة ثم ... ثم رأيتها ترخ وتسقط على الأرض بقامتها المديدة ووجهها النبيل أيضاً كالثلج ... لقد تمددت على الأرض فائدة الوحى ، وكانت حتى في إغمائها نيلة هادئة رزينة

أجل لقد انتقم بعض الشيء ... لقد جعلتها تتألم ... لقد جعلتها تعرف أنني سأنتقم ، حسن ، سوف نرى ...

لا أدري أيهما يستحق عطف الناس وأيهما يستحق سخطهم ... أمي الأم التي تحزن لوفاة ابنها وتنقم له من قاتله ... أم الفتاة التي قتلت زوجها ؟

لا أبري ... ولكني حالاً ترنحت ماري رأيت وجهها كثيرة ترتفع أمامي ساخطة لاعتة ، وعيوناً تنظر إلى بائسها وفجاء ... ولكن هذه الوجوه وتلك البيوت الظالمة راحت تواسي تلك الفتاة المجرمة الممبدة أمامي ... راحت تعطف عليها وتمهدها بالرعاية والحنان ... ربي ! أي عدالة تلك التي تعاقب البري وتبرئ المجرم ؟ ..

وفي هذه اللحظة سعى إلى الدكتور — صديقي القديم — متجهماً الوجه ، وفي صوته رنة مريرة من التائب والغضب

— ماذا فعلت ياسيدتي ؟ .. كان يجب أن ترجمي هذه الأرملة الباسية ... لقد سلكت معها مسلكاً شائناً

أجل لقد كانت تحب ولدى كما أحبه ، وفي هذه الصرخة التي مازال طنينها يتجاوب في فضاء قلبي كأنه جرس رهيب في معبد مهجور ... وفي هذه الصرخة ألف الأسمى بين قلبينا وظهر الحزن فكسينا وعشنا مدة من الزمن كأننا شخص واحد وروح واحدة وقلب واحد يخفق من أجل شخص حبيب عزيز ...

وهكذا قبلت ماري أن تنتقل إلى منزلي وهناك بالرغم من العناية الفائقة كانت دائماً شقية تعيسة ودأماً حزينة باكية ...

وفي يوم جلست أحدثها عن طفولة هاري العزيز وكنت قد منعته من ذكر سيرته فلمحتها تفكر بحزن ثم قالت :

— يظهر أنك جعلته الشيء العزيز الذي ملأ عليك حياتك ... أهنأ حقيق ؟

— هذا حقيقي ... لأنه حين مات زوجي كان هاري كل مالى في الحياة ، فقد اشتغلت وتعبت ونحيت من أجله وحده ... كان كل كثرى في حياتي الحزينة ... كانت ذلك الشماع الذي أنشأ حياتي المظلمة ... كان الخيط الثين الذي ربطني بالسما والحياة ... ولذلك صرت له أما وأباً وأختاً ، وكان هو لى وحدى لا يتنازع فيه منازع

وغابت ماري في تفكير طويل عميق ثم قالت :  
— إنى لا أسدق ذلك ... يحيل إلى يا سيدتى أن حبك لشيء ما خطر فطيع

— خطر ؟ ... ؟  
— أجل يا سيدتى ... عند ما تحبين شخصاً تريد أن تستولى عليه وحده ، وهذا سر بنضائك لى عند ما قاسمتك هاري العزيز ... أما أنا فسوف لا أكون كذلك مع طفلى ... ساعده يعيش الحياة التي يريد أن يحياها ...

عند ذلك فتحت فى لأقول شيئاً قاسياً ، ولكنى أمام

أتمالك نفسي من أن أحنو عليها قليلا فقلت لها :  
— إننى أسفة ...

فقاطعتى بإبتسامة لطيفة صافية  
— لا تأسنى فكل شيء قد مضى ... مضى  
كلم رائع دأب خيالى حيناً ثم لى ... لى يا عزيزتى  
كما لى الرجل الذى أحببناه معاً ... هناك طفلى ...  
طفلى سيتطلب حنانك وعفوك ...

— لا تخافى يا ماري ...  
— ولكن كيف ... كيف ؟

— لقد أعددت كل ما يلزم وستنتقلين إلى منزلي حالما تستطيعين الحركة وتعيشين معى حتى تحسن حالتك وتلدى ...

وعند ذلك أحابتنى بانفعال وقد تصاعد الدم إلى وجهها الشاحب الجليل :

— لا يمكننى أن أذهب معك يا سيدتى ...  
لا ... لا يمكن أن أكون عالة على غيرى ؛ أجل  
لا أحب أن أكون حملاً ثقيلًا بغيضاً فوق أكتاف  
المرأة التي كرهتني

قالت ذلك بكبرياء وأنفة كأميرة متكبرة أهينت في الصميم ... ودون أن أدري وجدت نفسي أضغط على يديها المتصلبتين من الانفعال والغضب وقلت لها بحنان وعطف :

— حقاً ما تقولين يا ماري ... ولكن يجدر بنا يا عزيزتى أن نفكر في ابن هاري ، لننس أحقادنا فقد قاسيت كثيراً يا فتاتى المسكينة ... فهل لك أن تصفحي عني يا ماري ... اصفحي عن المرأة التي أساءت إليك فكانت مخطئة عمياء ...

عند ذلك صرخت المسكينة صرخة مزقت نياط قلبها ... صرخة تعيسة مريرة جمعت كل صنوف الشقاء وحووت كل ألوان التعاسة . صرخت المسكينة قائلة :

— هاري ... هاري ... !

— إنني آسفة . . . سأحاول أن أصفح  
ثم . . . ثم خرجت هاربة من الغرفة . . . تمنيت  
أن أسترجع هذه الكلمات ولكن كبرياى المقومة  
وغيرنى القاتلة منعنني من استرجاعها وإصلاح ما فعلت  
وعند ما دخلت حجرتها مرة ثانية رأيتها راقدة  
ووجهها إلى ناحية الحائط تبكي بكاءً أمراً أصامتاً فقسوت  
عليها مرة ثانية وخرجت دون أن أتكلم لأنها  
لا تستحق الشفقة والرحمة . . . فهل أنا ملاك حتى  
أعفر لها جريمتها ؟ كلا . . . كلا ستكون عدوى  
للنهاية . . .

\*\*\*

وفي ليلة حزينة كثيفة سمعت صوتاً خافتاً كأنه  
حشرة ميت منبعث من غرفة ماري، أنين مومج  
أليم يصل إلى أذني فيحرمني النوم والراحة . . .  
صوت حزين هملني على أن أقوم من نومي وأذهب  
إلى غرفة ماري فأراها مستلقية على ظهرها مقمصة  
العينين، ولكن الصوت الحزين ينبعث من بين شفتيها  
الجليتين . ورغم إرادتي كنت إلى جانبها أنظر إليها  
بعطف، وحنان وهمت في أذني :

— أظن من الأحسن استدعاء الدكتور بالتلفون

— كم من الوقت قضيت على هذه الحال ؟

— منذ . . . منذ غادرتني في أول الليل

شعرت بالخزي والألم يجتاحان قلبي المحطم لأنني  
تركها وحيدة في مثل هذا الليلة . كم أنا قاسية وكم  
أنا شريرة مجرمة . . .

كانت ماري لا تستطيع الحركة ولا الجلوس . .  
كانت تتألم ألماً لا تقوى أشد النساء على احتماله . . .  
وعيناها الدابلتان تنظران إلي لاشئ وجبينها الملتهب  
الجميل . . كل ذلك جعل منها صورة مجسمة حية  
للألم العميق والتعاسة البالغة . . . فقلت لها بيجنان  
عظيم حتى أعوض ما مضى :

— هلا استطعت أن أفعل شيئاً ؟

نظراتها الرزينة الحائلة، وعينها الواسعتين في كبرياء،  
وعظمتها الغرية الجذابة . . . صمت ولم استطع النطق  
ومررت الأيام وفي ليلة زرتها في فراشها فوجدتها  
تبكي بتماسة مرة ثم راحت تنظر إلى باسفاق ورتاء  
وأخيراً قالت :

— أريد أن أحادثك ياسيدي . . . لقد حملت  
حلماً سريعاً عن ذلك اليوم المشؤم الذي مات فيه  
هاري . . . إن الصمت يقتلني ياسيدي . . . إن  
الوحدة تغذيني عذاباً أليماً . . . لماذا لا نسمعين لي  
أن أتحدث عنه ؟ . . . لقد بنيت حاجزاً منيعاً  
بيننا . . . إنني وحيدة في هذا العالم . . . وحيدة  
عند ذلك أجبني بيروود وخشونة حتى لا أدع  
محالها في التحدث عنه :

لماذا تتحدث عنه وهو موضوع مؤلم لكتبتنا . . ؟  
فأجابني بوحشية ثائرة كأنها نمر محبوس  
— إنني أحبه أيتها المرأة وما زلت أحبه ولن  
أجد أحداً سواك أنكم معه عن هاري حبيبي  
العزيز . . . إنك لا زلت تكسرينني لأنني سلبتك  
وحيدك ولأنني قتلتها أيضاً . أيتها المرأة القاسية !  
ارحمي . . . ارحمي ضعفي وحزني . . .

— إنك تجهدين نفسك بدون طائل . . .

عندما يولد الطفل وتحسن حالتك سأ . . .

— سيكون الوقت متأخراً . . . أخبريني  
ياسيدي . . . أخبريني بربك . . . ألا يمكن أن  
تصفحي عني ؟

ثم مدت يدها الجليتين النحيلتين في زراعة  
واستنفار . . . وعيناها . . . آه إلى لأراها تنظران  
إلي بوحشة وباشفاق وتساؤل وقد انتظرت جوابي ،  
كان يخيل إلي أن أميل عليها وأقبلها قبل طوييلة تنسى  
فيها شقاءها . . . ولكنني تذكرت هاري وميته  
الشناء . . . وخسارتى الفادحة التي لا تمعوض ،  
فقلت لها بصوت منخفض :

— تصفحين عنها ... يا إلهي ... أتعرفين ماذا فعلت هذه الفتاة عندما ولد الطفل ... ؟

لقد قالت خذ الطفل يا دكتور إلى جدته العززة فربما تصفح عني الآن ...  
لم أستطع أن أحتمل هذا العذاب فرخت أكرر بقبادة ومهارة ...

— لقد صفحت عنها ... أجل لقد صفحت ...  
كان يبدو على الدكتور علامات التعب المضي ...  
كأن في عينيه ريقاً هائلاً؛ كأنه يحمل فيهما سر يريد الكشف عنه ... ونجأة جلس على مقعد وأجلسني بجانبه ثم أمسك يدي وهو يقول ...

— سيدتي ... سأدلي إليك الآن بشئ مقدس عاهدت ماري منذ ستة شهور مضت أن أخفيه في طيات قلبي الحزين

— أي عهد يا سيدتي ؟ ... أي عهد ؟ !  
— إنها عاهدتني ألا أقول لك كيف مات هاري ... ولكني سأقتض هذا العهد وأقول لك ما منعتني ماري المسكينة من قوله حتى تمنى أن تبعثها من قبرها إن ماتت ... إنها شريفة ونبيلة يا سيدتي ...

عندئذ عيل صبري ولم أعد أحتمل التليخ فقلت:  
— ما الذي تعهدت من أجله ... قل بربك  
— إنك تعلمين ياسيدتي كما يعلم جميع الناس أن ماري هي التي كانت تقود السيارة وقت وقوع الحادثة، ولكن هذا خطأ ... خطأ وظلم ... هاري ... هاري ... ياسيدتي هو الذي كان يقود السيارة وقت وقوع الحادثة المؤلمة ... فقد كان عملاً ...

— أقول الصدق حقيقة يا دكتور . ؟ هاري لماذا ؟ لماذا ؟ ... لماذا ؟ ...

— لأنها وجدتك مغرماً جنونياً بهاري  
(٥)

— لقد مضى ... لقد مضى ... إذهي ونأي ياسيدتي ... سأستريح عما قليل ...

لقد أجهدها الكلام وكان وجهها أصفر شاحباً ... كانت وحيدة ... وحيدة وسط صحراء شاسعة مترامية الأطراف ومع ذلك كان النبل ينشر عليها لونها سحراً جذاباً يجعل أفسى القلوب ينكسر ويتمزق تحت أقدامها ... حينئذ أردت أن أساعدها وأغفر لها ... أردت أن أسكب في أذنيها كلمات الحب والطف التي حرمتها ... ولكن ... ولكن منعي من ذلك دخول الطبيب والمرضة .

كل إنسان يعلم خطورة هذه الساعة على أي أم ولكن حالة ماري كانت أردأ الحالات وأعقدها فوقف الدكتور أمامها متبهاً منها كأنها كانت مهمة ثقيلة على قواه الضعيفة .

وما دقت الساعة الرابعة صباحاً حتى سمعت صرخة طفل صنيبر ... فقفزت من مكاني من فرط السرور ، وبعد قليل دخلت غرفتي الممرضة حاملة الطفل بين يديها قائلة :

— ها هو ذا حفيذك ياسيدتي ... حاولت أن أتناوله بين يدي ولكن سخافتي منعتني من ذلك ... ولماذا أسر ؟ إنه ابن هاري الذي قتل ورجل ... ولكن ماري ... ربما يموت المسكينة دون أن أسميها كلمة الغفران والحب لأنهم لن يسمحوا لي أن أدخل غرفتها الآن ... وبعد برهة أقبل الدكتور وقال :

— إنها لا تريد أن تشفي ياسيدتي ... إنها قوية وبحق لها أن تفتخر بقوتها حينما تخرج من هذا المأزق ولكنها لم تحاول ذلك ... لن تحاول ... وماكدت أسمع ذلك حتى هلع قلبي وارتجفت أعضائي ، وقهمت ماذا يعني فأجبته :

— أنت غطيت يا دكتور ... إنني أريد ... أن تشفي ... لقد صفحت عنها ...



العززة ... إننا نحبك يا ماري ... ماري ...  
ماري ... أجيبي يا حبيتي ...

ولكنها لم تسمعي ... إذن لماذا لا يسمعي  
الله ... سأبتل إليه ... وانكبت على وجهي  
أبتل إليه بحجارة وإعان لم أعرفهما من قبل وبعد  
أن فرغت من الصلاة مدت يدي إلى وجهها  
أحسسه ... ولكن ... ولكن وجدت أن  
الأمر قد انتهى ... وكثير مكدود هزيل وسط  
عاصفة هوجاء ... سقطت ماري المسكينة وسط  
زعازع الحياة وشقاء الانسانية ... لقد ماتت كما  
يموت الجندي الشجاع وسط صحراء شاسعة رهيبة  
وحيداً ... منفرداً ... لقد ماتت ... أجل ... لقد  
ماتت ... وإني موقنة أنها سعيدة بهذا الموت سعيدة.

\*\*\*

والآن وأنا أسير بخطوات واسعة نحو نهايتي ...  
أعيش مع حفيدتي العززة ماري التي كثيراً ما أجلس  
الساعات أحدثها عن أبيها الجميل وأُمها النبيلة  
الشجاعة ... وإن كنت أحدثها عن أمها حديثاً  
جماً حاراً فاني أجد نفسي أشد احتياجاً من هذه  
الطفلة إلى هذا الحديث لأجمل الندم واللوعة  
يخففان من ثقلهما على صدري الضيق المموم ...  
أيتها التاسعة ...

إذا كانت هذه القصة تمس الناحية الشريرة في  
الانسان فقد أدت غرضها المقصود ... لأنها قصة  
امرأة شريرة غيورة، كما أنها قصة امرأة نبيلة النفس  
كبيرة القلب ... لقد قلبها التحكم الأجيال بعدي  
على هذه الفتاة الصغيرة الراقة الآن بجاني كاللاك  
والتي تشبه أمها كل الشبه فكانها قطعة حية منها ...  
وإني لأتمنى أن يكون الحكم عادلاً ... شريعاً ...

أصيل فنج

لأنها خافت أن تهتم ذلك الحلم الرائع الذي يداعب  
خيالك ... لأنها رأت أن إخبارك بالحقيقة كسر لقلبك  
ونعاسة لنفسك فضلت المسكينة أن تنال سخطك  
وكرهينك وتقع تحت طائلة عقابك وعقاب العدالة  
على أن تشوه تلك الصورة القدسية الجبية التي  
تحتفظين بها لماري ... لقد سحقت فكانت في تضحياتها  
نبيلة، وأحببت فكانت في حبها مخلصه ... لقد  
خافت عليك يا سيدتي، ولم ترد أن تشوه سعادتك  
لأنها رأت أن سعادتك هي أن تكون سيرة ابنك  
نقية ومكاته سامية في نفسك إلى الأبد

صمت رهيب نشر ألويته فوقنا عقب كلمات  
الطبيب الدامية ... فحاولت أن أتخلص من هذا  
الكابوس المروع وأتمرد من هذا الجو البقيض  
ولكنني لم أفلح وظل صوت الضمير يعلو ... ويعلو  
حتى صار أشبه بقرعة المدافع تدوي في الميدان،  
وبصرحات الجنود تطلب الرحمة .. الرحمة وأخيراً  
قلت بعبادة وبسخافة:

— أستطيع أن أقابلها ... يجب أن أقابلها  
يا دكتور .

— لك ما تريد يا سيدتي ... لك ما تريد  
وفي لحة كنت في غرفتها فركمت بجانب فراشها  
ورحت أتمم ...

— إلهي ... إلهي ... أتعذ ماري ...  
اجعل ماري تعيش مدة أطول حتى أستطيع أن  
أكفر ...

لم تتحرك المسكينة ولم تفتح عينها ... كان  
وجهها الشاحب يحمل معاني هائلة من الألم والشقاء  
وكان جبينها النحيل الصافي يلهب من الحزن ...  
وأخيراً تحركت حركة ضعيفة فهتفت:

— ماري ... ماري ... امكثي معنا ...  
لا تفارقينا ... أنا والطفل سنحتاج إليك أيتها

# الأحجار الجائعة

لشاعر الفيلسوف رايندرانات طاغور الهندي  
بقتلم الأديب شكري محمد عباد

تغيير وجهة السفر،  
وقصدنا إلى غرفة  
الاستراحة فسمعنا  
باحثاً تأخر القطار  
لارتباك أصاب  
الخطوط فهيات  
لنفسى فوق النضد  
فراشا ، وتأهبت

لأسلم عني لا غفاء مريحة . ولكنى لم أهجع تلك الليلة  
لغويًا ووصبا ، فقد جاء الرجل ، يغتزل غزله ، ويحيك  
خيوط هذه الأقصوصة . .

حيناً الجأتهى الخلافات الإدارية إلى اعتزال  
منصبي في جنجارا ، ودخلت في خدمة نظام حيدر  
آباد — كنت في نحوه شباني ، وعنفوان قوتي ،  
فاختاروني جانيًا لضراب القطن في باريس

وباريس بلد جميل ، يعزف السوستا فيه ألحانه  
على مجرى حجرى وحصاء مفروشة ، فيمسها مساً  
رفيقاً ، كأنه أقدام راقصة ماهرة مفتحة ، ثم يسير  
بين الآجام متشكياً مرهجنا . ويرتفع منه سلم درجانه  
خمسون ومائة ، يجمج في أعلاه قصر من رخام أقيم  
على سفح الهضبة ، وأشرف على شاطئ النهر ،  
وأقام في مكانه ذاك منعزلاً وحيداً . . فما كان حوله  
موطن لبشر ، بل خلفته منازل القرية فريداً .

فنهذ مائتين وخمسين عاماً على التقريب ابتنى  
السلطان محمود شاه الثاني قصره ذاك ليحمله آية ترف  
وموطن نعيم ، فناء الورد منبسج من نافوراته ،  
وغيد الفرس يفتش رخام الأرض في حجراته ،  
وشمورهن للاستحمام مرسله محمولة ، وأقدامهن  
الناعمة عارية مبلولة ، تبث في الماء ، فتطلق  
حناجرهن بالغناء ، ويرددن أصوات فارس على  
ألحان القيثارة . ثم صوح جمال القصر وذهب غزه ،

كنت قافلاً وقريباً من رحلتنا في بوجا عند ما  
لقينا الرجل في القطار . ولقد طالعنا من ملبسه  
ومسلكه ما جعلنا نراه بادیء الرأي مسلماً من أهل  
الأقاليم العليا . ثم راعتنا منه جهره منطلق ، وعذوبة  
حديث . فقد كان واسع فنون القول ، متشعب  
أطراف الكلام . وكنا قبل ناعمي البال لانعلم أن قوى  
خفية تعمل ؛ وأن الروس قد أصبحوا منا قارب  
قوسين ؛ وأن سياسة الإنجليز تنطوي على أسرار ،  
وتدور على عمنى ؛ وأن الخلاف بين الزعماء القوميين  
قد بلغ منتهاه ، وأشرف على مدها . ولكن صاحبنا  
الجديد قال وهو يتسم ابتساماً مأكرة : « إن في  
السما والأرض لأحدنا أجل عما تذكره الصحف » .  
وإذ كنا قبل ما كفين على ديارنا لا نفاوقها فقد  
دهشنا لحديث الرجل ؛ كان يطرق الموضوع السائر  
فيخلطه بالعلم ، ثم يعلق على الكتب المقدسة ، ثم  
يردد رباعيات لشاعر فارسي . وكان قريباً رجلاً  
من المتصوفة ، فاعتقد اعتقاداً لا يخالجه شك أن  
صاحبنا مزود بقوة مغناطيسية خفية من لدن جرم  
في السماء ! فكان إذا سمع تأفهاً من القول تسقطه  
شفتا الرجل العجيب ابتسم معدداً ، وألقى السمع  
جذلاً . ويخيل إلي أن الرجل لاحظ منه إعجاباً ،  
فطرب له وارتاح .

وفي الساعة العاشرة مساء بلغنا المحطة حيث يجب

وقد نحد الهواء وهمد فما تحس نفخة ربح ولا نفخة نسيم ، وتحمل برائحة قابضة نفثها شجيرات توابل تنمو على التل المصاقب . وعند ما غابت الشمس وراء التل انسدل على مسرح النهار ستار طويل . وتعجلت التلال المهدقة ظلمة المساء فأجهزت على الشمس ، وابتلعت فترة الغروب حينما يشعشع الليل أضواء النهار . فخطرت لي أن أذهب راكباً في زهرة . وبينما أنا موشك على الهوض إذا بوقع خطوات على الدرج ورأني ، فالتفت فلم أجد أحداً ، فمزوت ما سمعت إلى وهم خداع وخيال غرار . وجلست وما كنت أفعل حتى تخيلت جمعاً كبيراً يهبط الدرج ، فأخذتني رجة من سرور ، وهزة من خوف . ولئن لم تبصر عيناى أحداً فقد خيل لي أني رأيت سرباً من عذارى كواكب يهبطن الدرج ليستحمن في السوستا . تلك الأمسية من أمسيات الصيف . وما كنت تسمع في السهل أو النهر أو القصر صوتاً يبدد السكون ، أو نامة تخفف الرهبة ، ولكن أذني نقلت لي في وضوح ضحكات العذارى ، مرحلة سعيدة . وحينما ذهبن إلى النهر يتطاردن لاعبات كنتُ أسمع هديراً كهدير ارتطام ينبوع بمائة شلال . ولكنهن لم ينتهين لوجودي ولعلهن لم يريني كما قصر عنهن بصرى . وكانت صفحة النهر ساكنة هادئة ، ولكنني شعرت كأنما حركتها أيد كثيرة ، توسوس فيها الأساوس ، ويأتلق فيها الذهب . ثم ضحك فداغن موحياً عاشقاً فما خلاهن إلا لوج عاشق . فتقاذفن برشاش الماء فرحات ، وضربن الموج بأرجلهن الصغيرة فانطلق في الهواء حبات من لؤلؤ ، فارتحف قلبي بهجاء ، وخيل لي أني أستطيع بشحد الحس أن أسمع كل ما يقبل ، فما سمعت إلا زفرقة العصافير في الدغل القريب . وخيل لي أن سترتاً من مائتين وخمسين عاماً قد قام من دوني ، فوددت لو رفعت منه ركناً ،

فلا ماء الورد ينبس من نافوراته ، ولا الصوت الرخيم يرن في جنباته ، ولا الأقدام البيض تنبه بمرمرى أرضه وحجراته ، صار لجباة الضرائب مستقراً ومقاماً ، وأولئك رجال حرموا دل النساء فهم في وحشة سادرون .

ولقد طالسا حذرتي الحاج « كريم خان » من أن أتخذ في ذلك القصر مقامى . فقد قال لي : « إن شئت ففض هناك يومك ، ولكن إياك أن تبقى فيه ليلاً ! » فضحكت منه بنفس لاهية وقلب جرى . ورضي الخلم أن يعلوا هناك نهراً على ألا يبيتوا فيه ليلاً ، فوافقهم دون مناقشة . فان للبيت اسماً يبعث الرهبة حتى في قلوب اللصوص ، فلا يجروون أن يقربوه متى حماء الليل بدرعه

ولقد جئمت على صدرى أول الأمر وحشة القصر المهجور ، فكنت أحب البقاء خارجه ، وأغرق نفسي في العمل أطول مدة أستطيع ؛ فإذا أتت في المساء كنت منهوكة مكدوداً ، فأنطرح على الفراش فتجمع عيني وتنام .

ولكن قبل أن ينقضي على ذلك أسبوع بدأ السكان يربني من سحره بهجاء ، حتى ليلتاث على الوصف ويجزني الأمر فما أعرف كيف أستطيع حمل الناس على التصديق . ولكنني شعرت كأنما كان البيت كأنما حياً يتنصنر دون شعور ، ويخدرني بأفراز عجيب من مبدئه ؛ ولعل البيت بدأ عمله منذ وطلته قدامى أول مرة ، ولكنني أذكر جيداً ذلك اليوم الذي عرفت فيه ما هو بسيله .

كنت في بواكير الصيف ، وكانت السوق راكدة فلم يكن لي ما أعمله ؛ وقبيل الغروب كنت جالساً على كرسي مريح على ضفة المساء قرب سهل النهر ، وكان السوستا قد أجفل ، فأنحسر إلى أسفل ، فامتد على الضفة المقابلة كثيب من الرمل يشع بأضواء المساء . والحصباء تحت المياه الضحلة براقعة ملتزمة ،

ولما كُضاً المصاييح . فما كدت أدفع الباب حتى  
ابشدرني لجب وضوضاء ، كأن أقواماً يتدافعون  
مسرعين ، ومهرعون إلى الأبواب والنوافذ الدهاليز  
والشرفات والحجر ، ويستبقون إليها هارين  
ولكني لم أر أحداً ، فوقفت مأخوذاً بالمشهد وما  
وقد قف شعر رأسي من نشوة مجنونة ، وسطعت في  
أنفي رائحة المطور والأدهان وقفت في ذلك الهو  
العريض المنزل ، والظلام يكتنفي ، وصفوف الأعمدة  
القديمة تحدد في . فتنبعث صوت نافورات تسفع بألمها  
رخام الأرض ، ولحناً غريباً يعزفه القيثارة ، وخشخشة  
حلي ، ووسوسة خلاخيل ، وزنين أجراس تعد الزمن ،  
واصفاف البلور في علائق الثريات ، وتفريد البلابل  
من أقفاص في الدهاليز ، ولقلقة اللقائ في الحدائق .  
نفلقت أصواتها حولي موسيقى غير أرضية

ثم أدى بي الأمر إلى الاعتقاد بأن هذه الرؤى  
التي لا تمس ولا تبلغها يد ولا تنسب لأرض إنما هي  
الحقيقة الفريدة في هذا العالم ، وليس ما عداها إلا  
حلم . فلقد كنت أذكر أن اسمي سرجوت بن طيب  
الذكر فلان ، وأني أتقاضى مرتباً قدره أربع مائة  
وخمسون جنياً ، جزاء وظيفتي جامع لضرائب القطن ،  
وأني أركب كل يوم إلى مقر عملي في عربة صغيرة ،  
وسترة قصيرة ، وقبعة عريضة ، فلا أرى كل ذلك  
إلا وهما عجباً يبعث على السخرية ، فأنفجر ضاحكاً  
في صوت أجس ، وأنا واقف وسط الهو العظيم  
وفي تلك اللحظة يدخل خادمي ويسده  
مصباح مضاء من الكيروسين . ولست أدري إن  
كان يحسني مجنوناً ، ولكني كنت أفي إلى عقلي  
وأثوب إلى رشادي ، فأومن أنني حقاً سرجوت بن  
طيب الذكر فلان ، ومهما قال الشعراء إن على الأرض  
أو خارجها أصفاً تتجسس فيها نافورات لا تبصرها  
العين ، وتعزف أصابع غير مرئية على أوتار لا تسمعها  
الأذن ، مهما قالوا فأنا ولا ريباً أجمع ضرائب القطن

فأختلس النظر مرتدياً . ولكن الجمع ظل خفياً  
عن عيني ، يشمله الظلام فلا أراه . ثم هبت عصفه  
ريح فاجئة فأزاحت كابوس الليل ، وجذبت صفحة  
النهر ، فتلوى كشعر حورية . وانبعثت من الغابة  
المظلمة همهمة فكأنها أفقت من حلم أسحم ...

فليكن ما رأيت حقيقة ، أو فليكن حلماً ، أو  
فليكن سراياً التمع من وراء مائتين وخمسين عاماً ،  
ثم خبا في مثل ومضة البرق ، أو لمحة البصر . ولكن  
هاتيك الكائنات السحرية التي أدلفت من حولي ،  
تخطو بلا جسد ، وتضحك بلا صوت ، ثم ألفت  
بنفسها في النهر لم تنصهر أثوابها التضاحية بالساء  
عند ما همت بذهوب . بل حملها الريح على أجنحتها ،  
كأنها غير الزهر طوحت به أنفاس الربيع . فأفعمني  
خوف محجب ، وخشيت أن تكون عروس الشعر  
قد عابثني ، فرأت وحدتي ، فاحتوتني ... وكأنما  
أنتني الساحرة لتحطم في شيطاناً قهراً يتعيش من  
جمع ضرائب القطن ! فاعتبرت أن أهني نفسي  
عشاء طيباً ، فالعمدة الفارغة موطن كل داء عياء .  
فبمنت في طلب الطاهي ، فأمرته بإعداد عشاء فاخر .  
وفي اليوم التالي بدا لي الأمر كله خيالاً عجيباً

فتبعت فرحاً وركبت إلى عملي . وكان على أن  
أكتب تقريراً ذلك اليوم ، فتأهبت لعود متأخر .  
فلما أذنت الشمس بالغيب إذا في أجد نفسي مسوقاً  
إلى البيت لعله لا أدرها . وإنما كنت أشعر « أنهم »  
جميعاً في انتظارى ، فلا يلبق أن أتأخر أكثر مما  
تأخرت . فمقت والتقرير لم يتم ، ثم تبعت وشرعت  
أطوى الطريق الكتيب بربتي حتى شارفت القصر  
الواسع المنزل ، الرابض في سفوح الهضاب

وكان سلم الطابق الأول يؤدي إلى جهو فسيح  
شيد سقفه على ثلاث أقواس منقوشة ، يحملها ثلاثة  
صفوف من أعمدة ضخمة ، والسقف متصل أثنيته ،  
رازح تحت ثقل وحدته . وكان الهاز قد آذن بزوال

على من دنيا الخيال ، كأنها نفحة العطر يجعلها نسيم  
الرياح . وكأنما كنت أسير في دروب بغداد النائمة  
والليل مظهر بهم ، ميمما شطر مجتمع تحفه الزايا .  
وأخيراً توقفت قائدتى الحسناء قبالة ستر أزرق  
عميق الزرقة ، ثم كأنى بها أشارت إلى شئ أسفله .  
وما كان هناك من أحد ، ولكن جدد الدم في قلبي  
من فزع ورهبة ، فقد خيل إلى أنى أبصرت على  
الأرض بين طيات الستر عبداً خصياً ، لا يسأ حلة  
من حرير مشجر ، وساقاه ممدودتان قدامه ،  
والسيف مسلول على نغذه . فشت صاحبتي تسترق  
الخطي ، ورفعت من الستر ركناً ، فلمحت غرفة  
فرشت بأبسطة فارسية ، فيها سرير توسدته غادة  
لم أر منها إلا قدمين يديتي التكوين ، في كوث  
مذهب عجيب الصنعة ، تطلان من منامة سابعة  
فضفاضة زعفرانية اللون ، وتستريحان على بساط من  
خمل برتقالي الصبغ ، وإلى جانبها طبق بلورى يتأهب  
لاستقبال زائر قريب ، بما فيه من تفاح ويرتال  
وعنب وكثيرى وسكرية مذهبة ، وهفوف حوالى  
شذا بخور عطر فكان ينبعث عبقى ، ويرين على حواسي  
وتقدمت والقلب واجف والطرف طارف لا تخفى  
أقدام الحصى ، فهب منزعوراً فسقط السيف من على  
نغذه فرن على رخام الأرض . فصرخت مرتمباً فإذا  
أنا قاعد على الفراش أنصب عرقاً ، والهلل يبدو  
شاحباً ، وقد كسفه ضوء النهار ، كليل أشرف  
عليه الفجر ، ولم يهجع منه الطرف ولا نام . وها هو  
على المتوه يصبح صبيحة كل صباح : « مكانك !  
مكانك ! إنك لنى ضلال ! إنك لنى ضلال ! »  
ويطوى بقدميه وحشة الطريق .

وكذاك ولّى حلم ليلة ، ولكن بقي ألف حلم ،  
وتنافرت أبهى واليالى ، في الصباح كنت أذهب  
إلى عملى مبهوكا مكدوداً ، لاعتنا سحر الليل وبرقه  
الخلب ، فإذا أقبل المساء خلعت برودة النهار ،

من سوق باريش ، وتدر على مهنتى أربعائة وخمسين  
جنيهاً في العام . ثم أنحكت مما كنت أسبح فيه من  
وهم وضلال ، وأجلس إلى متنصدق الصغيرة فأقرأ  
الصحف على ضوء مصباح الكيروسين ، ثم أفرغ  
من صيفى ، وأتم عشائى ، وآوى إلى مضجعي في  
غرفة صغيرة جانبية ، وأنظر من النافذة فإذا نجمة وضيفة  
تطالعنى من فوق نلال ( آفالى ) ، تحرق من ملاين  
الأميال إلى السيد الجامع ، راقداً في فراشه الصغير  
التواضع ... وأفكر في ذلك وأطيل التفكير ، فيملأنى  
التفكير سرورا ، فلا أدري كيف أغفلت عيني وراى  
النوم على جفونى ، بل أهب فأقعد متفزعاً ، ولكنى  
لا أسمع صوتاً ولا أرى أحداً ، لاشئ إلا أن النجم  
خبا ، وضوء القمر الباكى يتسلل من النافذة المفتوحة  
كأنه خجلان من اندفاعه ، خزيان لتطفله ... !

لم أبصر أحداً ولكنى أحسست كأن يداً رفيقة  
تدفعنى ، فلما صحت لم تنبس بكلمة ، بل أومأت  
إلى بأصابعها الخمس الحلاة بالظلمات أن اتبعني واحذر  
واتد . فانهضت لا أحدث صوتاً ، ولم يكن في القصر  
سواى ، فكنت فريداً فى أجنحته العتيقة ، نجياً  
لأصواته النائمة ، وأصدائه الحاملة . ولكننى كنت  
أخشى مع كل خطوة أن أوقظ أحداً . وكانت أغلب  
غرف القصر على الدوام مغلقة لا أطرقها أبداً .  
فاكتمت أنفاسى ، وتبعث قائدتى التى لا أراها ،  
لا أدري الآن إلى أين ... ! لله ما أحلك الظلام ،  
وما أطول الطريق ، وما أبعد المدى ... ! ولكنى  
جزت من حجرات عليها مسحة الجلال ، ومررت  
بزنازين فيها خشوع الرهبة ، واتخذت من الظلام  
جلايب سودا ! لم أك أرى دليلتى القاتنة ، ولكنى  
أبصرها بعين خيالى ، عربية عنواء لها ذراعان قويتان  
لامتنان كالمرمر ، تدومان بين طيات كمها الفضفاض  
وقد ضربت على وجهها خماراً رقيقاً ، وتمنطقت خنجرأ  
ملوياً . نغيل إلى أن ليلة من ألف ليلة قد أقبلت

فيأية بالحبور والسعادة ، ثم تلاشت على تحوم  
الغروب ! فلم يعد عن البقاء حيض ولا متحول .  
وفي اليوم التالي أقيمت — قانطرا — بقعتي وسترقي  
فلما أذن النهار ونشر السكون ذوائبه الطاخية ،  
سمعت في هداة الليل ولولة مكتومة تشق المرائر ،  
وكأنها صادرة من تحت الفراش ، من تحت أرض  
الحجرة ، من تحت أحجار ذلك القصر العظيم ،  
من أعماق هوة دامية ، من أغوار جدث أسحم !  
وسمعت صوتاً يستغيث : « أواه ! ألقذني ! تحط  
أبواب الوهم ، وجز طرقات النوم العميق ، والحلم  
العقيم ! خذني إلى جانبك على صهوة جوادك ، ثم  
ضمني إلى قلبك ، وطرني فوق البرق والحزون ،  
واطو الناب والهر ، وجز رجاء البعد ! خذني إلى  
علاك الماضي ، وشمسك الصباحية ، وهوائك الطلق »  
وجأفة في تلك اللحظة صاح ماهر على المجنون :  
« مكانا ! مكانا ! إنك لني ضلالا ! إنك لني  
ضلالا ! » ففتحت عيني على ضوء فيض فيغمرني ،  
وإذا بنجادي قد أقبل بمخالباني ، والظاهي ينظر  
أوامري ! فقلت : « كلا ! لن أبقي هنا بعد الآن »  
وحزمت في ذلك اليوم حقائي ، وتحولت إلى مقر  
عملي ، فاقسم كريم خان ابتسامة طفيفة ، فاحتسمت  
غنيظاً ولكني لم أنس بكلمة ، وأهمكت في العمل .  
فلما أقبل الليل شت مني الفكر وشرعت كأني  
كنت ضربت موعداً لأبدي أن أوفيه ، وبدت لي  
مراجعة ضرائب القطن شيئاً تأفياً لا غناء فيه ، ثم  
خلت الحاضر وهما ، والسعي في سبيل العيش ضلالاً  
وجرياً وراء عرض نأفه . فألقيت القلم وطويت  
الدفاتر ، وركبت عربتي الصغيرة . ولاحظت أنها  
توقفت من تلقاء نفسها أمام بوابة القصر الرخامي ،  
وكان الشفق يكلل جبين الأرض ، فغشت الخطي  
صاعداً الدرج ثم داخلها الحجرية . وكان رن عليها

وقتعت بقلنسوة من نخل أحمر، وارتدبت منامة فضفاضة وسدأرا موشى، وقفطانا سابغا ههنا فافا. فاذا أخذت زينى جلست على كرمى وانكأت على حشايا، واستبدلت بلفافب التبغ «نارجيلة» ملوأة ملوها ماء الورد، فكأتى أناهب لاستقبال عشيقه موموقة، وإن البيان ليقرر عن وصف ما تكشفت لي عنه ظلمة الليل من عجائب وخوارق

وبين موج الحلم الجميل ، وشذا الزهر العاطر ،  
ورنين الفيثار الطرب ، وهفافة النسيم العرف ،  
كان الطرف يسنع فليح غادة وضاءة ، هي تلك التي  
رأيتها قبل في منامة زعفرانية اللون ، وأبصرت  
منها قدمين بيضاوين ناعمتين ، في كوثر موشى  
بالذهب ، مَلَوِيّ مقدمه ؛ وكانت تمتنطق بنطاق  
من ذهب ، وتتقبع بقلنسوة حمراء تنوس حافتها على  
خد في بياض السوسن ، وجبين في صفاء الثلج .  
ولقد والله أخذت بلي . فكنكت أطاردها من حجرة  
إلى حجرة ، وأنا تأثرها من ردهة إلى ردهة ، وأتقفاها  
من بهو إلى بهو ، في منمنمات خلقها الخيال ،  
ومنعرجات أوغلت في ابتداعها الأحلام ، فكأني أهيئ  
في الأرض السفلى ، أو أضرب في طرقات الحجم !  
فأحس في أريج الجو قبيلات هائمة ، وبسات حائمة ،  
ورنوبات حائلة ، وتذليلا وعناقاً ، وقلبا خفاقا ، وهمساً  
في الأذن ! ثم تطوق جسدي أفعى عجيبة وتلف  
حوريّاتها حولي ، فأفقد الحس وأدروح في نوم عميق  
و ذات مساء أزمعت الخروج على صهوة جوادى  
ولم أنسج لتوسل أو رجاء ، ولكن أى توسل ؟ وأى  
رجاء ؟ وكانت على الشجب قبعتي وسترتي ، فبينما  
أنا موشك أن أنتزعهما هب إعصار فاجيء يحمل  
برمال السوستا ، وهشيم الأوراق الدابلة الساقطة  
على تلال آفالى ، فأطاحهما ودار بهما دورات عديدة  
فلجلحت فمكة مرحة مُرسنة ، تمازت وارتفعت

لم يبقه عن الحيء جنونه ، فصار يأتى كل صباح ويحوم حوله مفتوناً بسحر المارد الرمى ، فاندفعت إليه لا أبالي بالزوبعة الثائرة والمطر المهمل ، ولم يجب الرجل ، بل نحاني عن طريقه ، وظل يحوم صائحاً صيحته المجنونة ، فكانه طائر يرفرف مستحوراً حول أنياب تعبان ، فعدوت إلى مكتبي وسط المطر المنهمر ، فكأنى مجنون ذاهب العقل مسلوب الرشاد . وسألت كريم خان : « خبرني ما معنى كل هذا ؟ » فقال : إن جدران هذا القصر ضمت عواطف كبتت ، وزوات كتمت ، وشعلا من اللذة ثارت والتهت ؛ فتصاعدت منه دعوات ولعنات من قلوب مكومة ، وآمال محطمة ، فصبرت كل حجر منه جوعان ظمآن ، فكانه غول جائع يتبلع كل من يدنو منه . فلم يستطع إلا فلات من أنياب هذا القصر كل من أقام فيه ثلاث ليال متتابة ، إلا ماهر على الذى دفع قلبه ثمناً لنجاته . فسألت : « أما من خلاص ؟ » فأجاب الرجل المعجوز : « هناك طريق واحد نجس ، ولكنه صعب وعمر ، وسأرشدك إليه ، ولكنى سأسمعك قبلاً قصة عذراء فارسية عاشت فى ذلك القصر الفخيم ، وإنها لقصة لم تعرف الأرض ألحم منها » وفى تلك اللحظة تناقل السافرة أن القطار قد أقبل . هكذا سرى ما ؟ وطفقنا ترتب أممتنا بجليين ، وبينما كان القطار يفرز زفيره وهو داخل المحطة ، رأينا رجلاً انجليزياً يطل من نافذة فى الدرجة الأولى ويحاول أن يقرأ اسم المحطة . وما كاد يلمح صاحبنا حتى ناداه وجاه وأخذه فى رفقته . وكانت تذكارنا للدرجة الثانية ، فلم نعرف الرجل ولا خاتمة قصته . فقلت : « من الواضح أن الرجل ظن فينا البلادة والسذاجة فابتعدنا هزأً ومهابة ، فالقصة خيال من مبدئها إلى منتهىها »

شكرى محمد عباد

صمت عميق ، وقد ساد الظلام غرف القصر فبدت غاضبة معرضة . وامتلاً قلبي ندماً ولكنى لم أر أحداً أفضى إليه بسر قوادى ، أو أسأله الغفو والمغفرة ؛ نجست فى ظلمة القصر موزع الفكر مشئت الدهن ووددت لو كان لى قيثارة فأضرب على أوتاره ، وأزجى منه الألحان إلى غادتي المجهولة : « أيتها النار ! إن الفراشة الضالة التى أرادت لتبتعد عنك قد عادت لترى بهائك ، فاعقرى فانما هى مرة واحدة ، والهى جناحيها يجنوتك ! » ونجاة سقطت دمعان فأنحدرتا على جبينى ، وحلقت على تلال آفالى سحب سوداء ، والأحراج الكثيفة تنتظر ، ومياه السوسنا القاعة ترتقب فى قلق وسكون خفيف . ثم مادت الأرض ، ومار الماء واهترت السماء ، وهبت فى الغابة المهجورة عاصفة نائرة ، ففرقت أبواب القصر

وكان الخدم كلهم فى مكتب عملي ، فلم يبق منهم أحد فيضى الصاييح ، وكانت السحب منعقدة والقصر ممتحفاً ، فأحسست فى الظلام الدامس امرأة منبطحة على وجهها فوق سجادة تحت الفراش ، تشد بأصابع يائسة شعرها الطويل اللتناثر ، وقد تسائل الدم على جبينها الوضاء ؛ وهى آنا تضحك فحككت قاسية ، وآونة تصرخ صرخات مدوية

ولم تنقطع الريح طوال الليل ولا أخذت تلك الصيحة الأليمة ، فطفت أهم فى الظلام من حجرة إلى حجرة ، وقد سمر الهم قلبي ، وأظلم الحزن نفسى من أوساى ولا أحد يجننى ؟ ومن هى تلك التى جن جنونها من عذاب وألم ؟ ومنذ متى جثم على قلبها ذلك الحزن القيم ؟

وصاح الرجل المعتوه : « مكانك ! مكانك ! إنك لنى ضلال ! إنك لنى ضلال ! » فاذا النور قد انبثق ، والفجر قد بزغ ، وماهر على يطوف بالقصر يصيح صيحة فى ذلك الطقس الملبين ، وخطر لى أنه ربما كان قد عاش فى ذلك القصر أيضاً ، ثم

شعرك أثناء حديثك  
مى ، ومن حيث أن  
الظلام سيحول بينك  
وبين رؤية وجهي فلن  
ترتأى من شيء . أنا  
أعتقد أن لديك شيئاً  
تقياً يجهد قلبك

سيليزيت — ليس

هذا الشيء فوق قلبي ،

وإنما هو فوق أنا ،

ولا أستطيع أن أقول : أين هو ؟ إنه يمكن أن يكون

فوق روحي ، وإنه لشيءٌ ثقيل ، وهو يلهم الفهم ،

وإن كنت لأدري ما هو موضوع ذلك الفهم غير

أني أدرج تحت هذا الثقل

ميلياندر — لقد تغيرت كثيراً ياسيليزيت ،

وأنا أيضاً لدى كلام أريد أن أتحدث به إليك ، أنا

لم أعد أرى وجهك السابق ، وأما زهرتا وجنتيك فلم

تعودا تتمشان تحت قبلاقي كما كانت الحال قبل الآن

إذ كنت تضحكين كلما قبلتك

سيليزيت — فيما مضى كنت أنتحك في أغلب

الأحيان ، أما الآن فأنا أكثر سعادة

ميلياندر — لا أدري أحقاً ما تقولين أم غير حق

ياسيليزيت ، إذ قد يحدث أحياناً أن تشعر الزوج

بالسعادة بينما يكون القلب قد وصل إلى أقصى حدود

الاحتمال ، ولكن فندع كل هذا ولنقول لى قبل

كل شيء : ما الذى يعذبك هذا المساء ؟

سيليزيت — هو أن أجلافيين سترحل

ميلياندر — أجلافيين ؟ هل قالت لك ذلك ؟

سيليزيت — نعم

# أجلافيين وسيليزيت

## رواية تمثيلية في خمسة فصول

للأستاذ البهيكى موريى مارتىك

بقلم الدكتور محمد عبد

## الفصل الثالث

### المنظر الأول

يقع هذا المنظر في حديقة القصر بين « ميلياندر »

و « سيليزيت »

سيليزيت — عفواً يا ميلياندر ، فأنت تريد أن

تكون منفرداً ، وأنا دائماً مبعث من مباعث أحزانك ،

ولكننى سأصرف حالا . أنا خارجة الآن من غرفة

« أجلافيين » إنها نائمة وقد قبلها فوق شفتيها

وبالرغم من أن النجوم تسطع فوق سريرها فإنها لم

تستيقظ . أنا لن أعوفك وقتاً طويلاً وسندهب معاً

لنوقظها بعد قليل ، لأنها تبكى في حلمها ، وأنا لم

أجرؤ على إيقاظها وحدى ، ولكننى أريد أن أتحدث

إليك عن شيء ، ولا أدري أمحة أنا فيه أم مخطئة ؟

كما أتى لا أدري أخيراً ذلك الشيء أم شر ؟ ولا أريد

أن أسأل عنه « أجلافيين » ولكننى أسألك الصفع

عنى إذا كنت خاطئة

ميلياندر — ماذا حدث ياسيليزيت ؟ تعالى هنا ،

تعالى على هذا المقعد واجلسى على ركبتي ، لأدأب



ولكن من حيث إنك استطلعت أن تقول ما قلته الآن ، فأنت لم تعودى فى حاجة إلى أن تفهم شيئاً جديراً ، وإنما أنا وحدى الذى لم أكن أفهم .

سيليزيت — لا لا يا ميلياندرى المسكين . إن خيرتك هى التى تتكلم الآن . إننى أعرف ما الذى يبنى أن يكون ، ومع ذلك فأنا لن أستطيع أن أكون مثلكم .

ميلياندر — أنا لم أعد أعرفك يا سيليزيت كأننى لم أكن قد رأيته قبل الآن . إننى لم أكن أفهمك ، لست أدري من أية سماء أنت تنزلين عند ما تتكلمين بهذا الأسلوب ؟ .

سيليزيت — إننى أنزل من أجلافين يا ميلياندر . ميلياندر — إننا جميعاً نزل من أجلافين يا طفلى إذ أننا منذ عرفنا أجلافين لم يمد لدينا منبع مشتغى لإطفاء غلثنا إلا منبع الجمل ، ولكن هل تظنين أنه يوجد فرق كبير بين روحك وروح أجلافين ؟ . سيليزيت — نعم أنا أظن أنه يوجد بين روحينا فرق عظيم .

ميلياندر — أنا لا أظن ذلك ، ولا سبباً حيناً كنت ألمح ما كان يجتجى فى نفسك وراء ضحكات تشبه ضحكات الطفولة البريئة . إن الإنسان يتجه عادة إلى الأرواح التى تعرف كيف تظهر نفسها ، على حين يجب عليه أن يعرف جيداً أن الأرواح التى لا تظهر نفسها قد لا تقل نبلا عن الأولى ، بل يمكن أن تفوقها فى السمو ما دامت هى واثقة من نفسها . سيليزيت — لا لا ، مهما أعمل فسيكون على نوعاً من العبث ، إنه ليس مماثلاً لعمل أجلافين من جميع الوجوه يا ميلياندر ، وحيناً أعمل شيئاً تجهه فأنا أكون قد حاولت أن أقله فيه أجلافين .

ميلياندر — متى ذلك ؟ ولماذا ترتحل ؟

سيليزيت — هى لم تنبئنى بالسبب ، ولكنها تؤكد أنها سترتحل ما دامت تعتقد أن هذا هو الشيء الذى يبنى عمله ، ولهذا أنا أسألك نفسى : أليس الأفضل أن أكون أنا الذى يجب على أن أرتحل ؟ . ميلياندر — أنت ؟ ماذا حدث ؟ .

سيليزيت — لم يحدث شيء ، وإنى أرجوك — إذا لم ترد أن تبكيها بدون سبب — ألا تتحدث إليها بذلك . ولكن رأيت يا ميلياندر أننى فكرت فى كل هذا حيناً كنتما معا ، وأنا كنت بجانب جدتي . عند ما كنتما تمودان من الزهرة سمعنا صرير بطين ، كان كل من براكما على هذه الحال يصمت بالرغم منه ، أما أنا فقد كنت أقول لنفسى فى أغلب الأحيان : إننى لست إلا شيئاً صغيراً ضئيلاً غير قيم باصطحابكما ، ولكنكما كنتما دائماً خيرين نحوي بدرجة لم أتنبأها إلا فيما بعد ، وفى أكثر الأحيان كنتما ترغبان فى أن أرافقكما ، لأننى كنت حزينة ، وحيناً كنت أصطحبكما كنتما تظهران أكثر غبطة من المتاد ، ولكن روحيكما لم تكونا تحتفظان بسعادتهما ، وكنت بينكما أجنية فارة ، ومع ذلك فليست هذه غلطتكما ولا غلطتى أنا أيضاً . أنا أعرف جيداً أننى لا أستطيع أن أفهم كل ذلك .

ميلياندر — يا عزيزتى سيليزيت الحيرة ، إن أجلافين محقة فيما تقوله عنك ، وإننى لم أكن أعرف أنك نقية إلى هذا الحد ، ولكن ما الذى تظنين أنك لم تفهميه ؟ هل تظنين أن هناك شيئاً نفهمه نحن ، وأنت لا تفهمينه ؟ أنا أسف يا سيليزيتى المسكينة ، فالفرق بين الأشياء ضئيل إلى حد أن الإنسان لا يستطيع أن يمل لماذا هو يجب أو ينفى ؟

ميلياندر — سيليزيت . . . .

لك نفس الكلام يا سيليزيت ، لا يقول الانسان ما يريد بالضبط ، وحينما يريد أن يتحدث إلى من يحبه ، فإنه لا يزيد على أنه يجيب عن أسئلة نفسي لا تسمعها الأذن ، وهذه الأسئلة النفسية لا تشابه فيها بينها ، ولذلك تختلف أحاديثنا دون أن نعلم ذلك أو أن نفهمه ، غير أن أسئلتك النفسية المشتملة على براءة الطفولة لا تقل جلالاً عن أسئلة أجلافيين وإن كان النوعان ليسا من منبوع واحد ، ولهذا ينبغي ألا تحزني ، كما ينبغي ألا توجد الفجوة بين الأرواح .

سيليزيت — أوه يا ميلياندر أنا لم أقل هذا الكلام لتؤنّبك ، فهل فهمته كذلك ؟ أنا لم أعد كما كنت سابقاً ولن أقدم في المستقبل تأنيباً إلى أحد . أنا لا أعرف ما الذي غيرني هكذا . ولو أن قائلاً قال لي منذ زمن : إنني سأكون سعيدة بصيرورتي أكثر حزناً أو أنني سأضع شفتي فوق شفتي تلك التي تحبها لما صدقت من ذلك شيئاً ، ومع ذلك فأنا أفصله .

ميلياندر — أنا لا أدرى ما الذي تحبّه السماء للرجل الذي تحوطه بمثل هذه الظروف .

سيليزيت — أنا لست إلا شيئاً ضئيلاً ، ولكنني أريد أن أكون خيراً مما أنا الآن ، وأريد أن أكون محبوبة ، وأن يبي من يحبني كما تبي أنت حين تعجب بها .

ميلياندر — عمن تتكلمين ؟

سيليزيت — أنا أتكلّم عن التي أنت تفكر فيها بدون شك كلما تكون صامتاً .

ميلياندر — حيناً أكون بجانبك فأتما فيها أفكر ، وحيناً أكون بجانبها فأتما بك أحلم .

سيليزيت — لقد رأيت جيداً أن الحالة ليست واحدة ، وأن السموع التي تذرّفها عليّ ليست هي السموع التي تسكبها عليها ، وأن هذه الأخيرة تحي من أمكنة أبعد من أمكنة الشفقة التي تحي منها السموع المسكوبة عليّ ، ولأني أعرف أنها منبعثة عن أسباب غير قابلة للنسيان . وحينما تقول لي : إنك تحبني ، لكي أكون أقل حزناً لن تستطيع ألبنة أن تقول لي ما تقوله لأجلافيين .

ميلياندر — أنا لا أدرى ما إذا كنت أقول

هل تعتقدين أنني لا أحدث إليك الآن كما لو كنت أحدث إلى أجلافيين ؟ وهل تظنين أنه يمكن أن يتحدث أحد إلى أي كائن بشيء آخر غير ما أحدث به إليك ؟ . أوه ياسيليزيت المسكينة ! لو أن ملكاً نزل من السماء بين ذراعي ليأخذ مكانك لما فتحت له قلبي بنفس البساطة والعمق اللذين أفتح بهما قلبي لك . ولم يبق مما ينبغي أن أقوله لك بعد الذي قلته إلا ما يقال في هذه الحياة الدنيا . فلنتنظر ياسيليزيت فإما أن نرحل أجلافيين أولاً نرحل ، إذ هي وحدها التي تعرف ذلك ، وهي لا تفضل فيما تعمل ، ولكن سواء أمكثت أم ارحلت ، فإنها عرفت كيف تكشف لي عن كنزك وكيف تغلفني أن أحبك بطريقة لم أكن أعرف قبل ذلك سلوكها ، وعلى أي حال من الأحوال ياسيليزيت إذا كان هناك أحد ينبغي أن يظل يبيك فليس هو أياك ، وفوق ذلك ، هل تظنين أننا نصير سعيدين لو ارحلت أنت يا طفلي ؟ وهل تظنين أن سعادة تؤسس على ألم كائن صغير تقي وديع مثلك تكون سعادة طويلة الأجل أو جديرة بنا ؟ وهل تظنين أنني أستطيع أن أقبل أجلافيين أو أنها تستطيع أن تحبني إذا قبل أحداً هذه

أجلافين - آه .

ميلاندر - إنها احتفظت لنا بجمرة دموعها  
أجلافين - أنت ترى جيداً أنها مادامت  
لا تتكلم فإن هذه الأشياء الصغيرة ستتكلم نيابة  
عنها لتقول لي : إن الوقت قد أزف . دع لي هذا  
التدليل ... أيها البرهان الصغير : إن من لا يفهمك  
يجب أن يكون ميتاً .

ميلاندر - يناديه محاولاً تقبيلها .

أجلافين - لا تقبلي اليوم وأحبها جيداً  
يا ميلاندر .

ميلاندر - أنا لا أدري ماذا أعتقد . يخيل  
إليّ أحياناً أنني أحبها كما أحبك ، وأحياناً أخرى  
أكثر منك ، لأنها أبعد منك عني ، وأكثر  
غموضاً أمام فهمي ؛ ثم حيناً أراك ينمحي كل ماحولها  
فلا أعود ألحها ، ومع ذلك ، فلو أنني فقدتها إلى  
الأبد ، فاني سوف لا أستطيع أن أطاقتك بدون  
حزن .

أجلافين - أنا أعرف جيداً أنك تحبها ،  
ولأجل ذلك ينبغي أن أرحل .

ميلاندر - أنا لا أحبها إلا فيك ، وإذا  
ارحلت فلن أحبها بعد الآن .

أجلافين - أنا أعرف جيداً أنك تحبها  
وأعرف ذلك إلى حد أنني لا أستطيع أن أمنع  
نفسى من أن أشتهى أحياناً مثل هذا الحب الذى  
تمنحه ليها . ينبغي ألا تظن أنني كاملة من جميع  
الوجوه . إذا كانت سيليزيت لم تعد كما كانت فى  
الماضى فأنا أيضاً قد تغيرت بمقامى بينكم . لقد جئت  
إلى هنا ، وأنا أكثر حكمة مما ينبغي أن أكون .  
لقد كنت مقتنعة ، بأن الجمال لا ينبغي له أن

السعادة المؤسسة على شقائقك ؟ نحن نتحاب جداً  
يفوق شخصيتنا سمواً . ومنذ زمن لم يمد يمكننا أن  
نحبك دون أن نراك . تعالى إلي وأعطيني شفيتك .  
أنا أهلك قبله روحية هذا المساء ياسيليزيت . تعالى  
فأنا أظن أن الساعة الثانية عشرة تدق الآن . هلمى  
بنا لنرى هل أحلام أجلافين لازال تبكى فى نومها ؟

### المنظر الثانى

( يقع هذا المنظر فى أحد أجنحة القصر بين أجلافين  
وميلاندر اللذين يدخلان فجأة )

أجلافين - هل تسمع صوت هذا الباب الذى  
يفلق ؟

ميلاندر - نعم .

أجلافين - إنها سيليزيت وقد سمعتنا وأرادت  
أن تتركنا وحدنا .

ميلاندر - لقد قالت لي إنها ستصعد فوق  
البرج فى هذا الصباح ، لأنها علمت أن طائرًا عجيبًا  
قد وفد إليه .

أجلافين - إننى متأكد أنها كانت هنا ،  
وأن كل شيء فى الغرفة يلوح عليه أنه ينتظر عودتها .  
أنظر هذه الأدوات الصغيرة التى تستعملها فى الحياة  
والنسيج ، فأما لازال موضوعه فى النافذة مع  
الخيوط الحريرية : القضية والاهبية ومع الأحجار  
التي ترصع بها ملابسها .

ميلاندر - وها هو خاتمها الذى كتب عليه  
اسمنا ، وها هى بنفسجتها ، وها هو منديلها . قال  
ذلك ثم تناول التدليل دهشاً حينما وجده مبللاً .

أجلافين - ماذا حدث ؟

ميلاندر - ماذا ؟ إليها التدليل : خذى هذا  
التدليل وانظري كيف هو .

أو أفكر فيه ، ولا بما كانت تقوله هي أو تفكر فيه أجلائين — حينما جئت إلى هذا القصر كنت أعتقد أن كل شيء ممكن ، وأن أحداً لن يتألم ، ولكنني اليوم أرى أن الحياة لا تريد أن تخضع لمشروعاتنا الجميلة ، وإنني أعرف في نفس الوقت أنني إذا بقيت إلى جانبك وكان هذا البقاء مؤلماً لأحد فإني لن أكون جديراً بك . وإذا أنت أفرزت ذلك ، فلن تكون جديراً بي ولن يكون حبنا إذ ذاك شبيهاً بحبنا الحاضر .

ميلياندر — قد يكون هذا حقاً ، ولكن ألا نكون مصيبين لو أننا فعلنا ذلك ؟

أجلائين — إن الصواب في مثل هذا الموقف شيء بآفه . وإنني أعتقد أنه ينبغي للإنسان أن يظل طول حياته مخطئاً فإن ذلك خير له من أن ييكن المخطئ . أنا أعرف كذلك كل ما ينبغي أن يقال ، ولكن لماذا يقال لنا ذلك مادامنا نعرف جيداً أنه لا يستطيع أن يغير شيئاً من تلك الحقائق العميقة التي لا تصني إلى معسول الكلمات ؟ يجب ألا نستطيع إلا إلى ذلك الداعي الذي يدعونا دون أن يؤلف جملات . إن الذي يقتاد حياتنا بالرغم من ألقاظنا وأفاننا إنما هو بساطة الأشياء ، وإن الإنسان يتخضع دائماً كلما أراد مقاومة البساطة . من يدرى لأي سبب تلاقينا في هذا الوقت التأخر عن الأوان ؟ ومن يجرؤ على القول بأن القدر الذي فعل هذا ليس هو منتهى الحكمة الإلهية . . . . . إننا عاقلان في هذه اللحظة يا ميلياندر المسكين إلى حد أن من يسمنا تتكلم في هذه الآونة لا يتردد في أن يقول : إنها يتحaban حبا فاتراً ، وإنهما يجعلان الحب الحقيقي جهلاً تاماً ، وما ذلك إلا لأننا قد تحايينا حباً أعلى

يشغل باللموع التي تذرف بسببه ، وقد كنت أظن أن الخبرة لا مرشد لها إلا الحكمة ، ولكنني الآن أعترف أن الخبرة لا ينبغي أن تكون حكيمة دائماً وأن الأفضل لها أن تكون إنسانية ومجنونة . لقد كنت أعتقد أنني أجمل النساء . والآن أنا أعترف أن أصغر الكائنات قد تساويني في الجمال ، وإن كانت لا تعرف ذلك . أنا حين أنظر إلى سيليزيت أسائل نفسي في كل لحظة : أليس كل ما تتخبط فيه روحها البريئة أعظم وأطهر ألف مرة من جميع ما يمكن أن أفعله أنا ؟ إنها جميلة إلى درجة تعجز كل تعبير ، وليس عليها لا اكتشاف جمالها إلا أن تتحنى قليلاً ، فإنها إن فعلت وجدت في قلبها كنزاً عظيماً ، فإذا عثرت على هذا الكنز ، أفاضته على من يحوطونها دون علم منها كأنها عبياء صغيرة تملأ يديها بالجواهر ثم توزعها وهي لا تدري ماذا توزع .

ميلياندر — إن هذا الأمر عجيب . حينما تتحدثين إلي عنها فأنا أنت وحدك التي أعجب بها والتي أحبها أكثر من ذي قبل ، وأنه لا يستطيع شيء في العالم أن يحول بينك وبين الإلتصاف بجميع هذه المحامد التي أفضتها عليها ولو أن لها تدخل في الأمر لما استطعت أن أحبها كما أحبك .

أجلائين — إن هذا هو ظلم الحب . فلو أنك أثبتت على أخيك ، لعرفت أنك الذي صرت أكثر جمالا . إنني أريد أن أعاقبك وأن أبكي يا ميلياندر . إنه من المستحيل إذاً أن يسو المحبان عن حبهما ميلياندر — أنا أظن أن ذلك مستحيل . وقد رأيت بهذا بنفسى آتفا حينما كنت أتحدث إلى سيليزيت ، لأنني حينما كنت أتحدث إليها كنت أشتت أن الحب لا يريد أن يتصل بما كنت أقوله

من أن يفكر فيه المحبون العاديون .  
ميلاندر — إنني أحبك يا أجلافني ، وإن

### المنظر الثالث

( يقع هذا المنظر في أسفل أحد الأبراج القديمة العالية بين أجلافين وميلاندر )

أجلافين — لقد رأيتها هذا الصباح فوق البرج وحوها عدد من الطيور البحرية تصيح بأصوات عالية . إنها تصعد فوق هذا البرج بدون انقطاع منذ يومين أو ثلاثة أيام ولا أدري ما هو الأثر الذي يحدثه ذلك العمل في نفسي . إنها تظهر في نفس الوقت أكثر قلقاً وأقل حزناً ، وكأنما هناك شيء يجيز في داخل هذا القلب الصغير العميق .

ميلاندر — تخيل إلي أنها أخذت تبسم من جديد لحياتها القديمة الشبيهة بحياة الطفولة التي كانت تحياها قبل حضورك إلى هنا . ألم تلحظي أنها أخذت تغنى وتشمس ؟ إنها تسير بأماناً كما لو كان هناك نور غير منتظر يضئ لها الطريق . ألا ينبغي أن تترك الحديث الآن في أمر رحيلك إلى أن تسترد هدوءها وأن تثبت في نفسها هذا التطور الجديد ؟ .

أجلافين — لا ، أنا أريد أن أعلن لها رحيلي اليوم .

ميلاندر — ولكن كيف ستعلمين لها ذلك وألا تخشين أن هذه الطفلة التي اقتربت كثيراً من قلبينا والتي لم تمد تحياً إلا فيك — تتألم من رحيلك كما تتألمين أنت لو أنك رأيت كأنما اسمي منك بضحي بحظه في الحياة في سبيل حظك الذي هو أدنى منه ؟  
أجلافين — ليس لنا الحق في أن نزن أو نقرر حظوظ الآخرين ، ولكنني أيضاً فكرت فيما ينبغي أن أقوله لها . في أول الأمر فكرت في أن أكذب

الحب الذي من هذا النوع هو أرق أنواع الحب  
أجلافين — إنني أحبك يا ميلاندرى ، وإن هذا الحب يعد الخالد حقاً .

ميلاندر — والآن قد فكرت فيما ستكون عليه حياتنا حيناً يفترق كل منا عن الآخر ولا يبقى لنا من هذا الحب إلا تذكّار صغير يظل يضؤل مع الزمن شأن كل الله كريات التي تغيبها الأيام . ماذا سأعمل أنا هنا ؟ وماذا ستمعلمين أنت هناك في العام المقبل ؟ لاشك أناس تنسب الأيام والشهور بمدأذرعنا في الفراغ عبثاً وبدون فائدة . من المؤسف أنني لا أريد أن أبكي مع أن أقل تفكير في حالتنا هذه يدعونا إلى أن نتعانق حتى تنفطر قلوبنا . عبثاً نحاول أن نتغن أنفسنا بأن حبنا سيظل كما هو رغم الستين والثمانين والبحار التي ستفصل بيننا . إنه يوجد في حياتنا كثير من الأوقات التي لا نستطيع فيها أحل الله كريات أن تعزى المحبين عن الفراق الطويل الذي .

أجلافين — أنا أعرف جيداً أن القول بأن الحب مع الفراق يظل كما هو لا يعزى إلا لفظياً نحسب ، إذا بقينا معاً فسمادتنا ستكون أمراً ممكناً ، وإذا افترقنا فشقاؤنا سيكون شيئاً محققاً ، ومع ذلك فنحن الاثنان نشمر أن ما سافله أنا ، وهو الرحيل فهو ما ينبغي أن يفعل ، سبكي منه وقتاً طويلاً ، وأنا سأبكي إلا الأبد ، لأنه لا يكفي المرء أن يفكر في أنه قام بعمل نبيل لكي يحول بين عينيه وبين سكب الدموع ، ومع ذلك ، فينبغي لأولئك الذين استطاعوا أن يحبوا ما لم يستطع غيرهم حبه أن يحتملوا مالا

سيليزيت — إن ذلك هو منشأ عذابي ، فأنا أشتي أن أحيط أحداً بها علماً ، لأنني لا أعرف شيئاً وحدي ، ولكنني إذا أخبرت بها أحداً صارت أقل جلالاً من ذي قبل .

أجلافين — أنا لا أدري ما عسى أن تكون هذه الفكرة ، ولكن يجيل إلى أن أية فكرة تريد جلالاً كذا زاد الإعجاب بها .

سيليزيت — وما هي ذي سيليزيت الضعيرة أيضاً لديها سر تعرف كيف تحتفظ به ، ولكن ما ذا كنت تعملين في مثل موقعي هذا لو أنك كنت سيليزيت الصغيرة ثم رأيت أجلافين الأكثر منك جلالاً تقبل زواجك ؟

أجلافين — أنا أعتقد أنني في مثل هذا الموقف كنت أحاول أن أكون سعيدة كما لو أن أحداً حل إلى منزلي نوراً جديداً ؛ وكنت أجهد في أن أحب تلك السيدة كما تحبيني الآن يا سيليزيت

سيليزيت — أما كنت تصيرين غيرة ؟  
أجلافين — أنا لا أدري فقد يكون من الممكن أن تمر بي لحظات أحس فيها بالغيرة ، ولكنني لو وقع لي شيء من ذلك لما تعدى أعماق نفسي ولا جتهدت في أن أكون سعيدة .

سيليزيت — لقد أوشكت أن أكون سعيدة يا أجلافين .

أجلافين — لا ينبغي أن تشعرني دقيقة واحدة بعد الآن أنك شقية يا سيليزيت .

سيليزيت — لو أنني كنت متأكدة من أن فكرتي حسنة لأصبحت في منتهى السعادة .

أجلافين — لماذا لا تكون فكرة حسنة ما دامت ستصبرك سعيدة ؟

عليها حتى لا تتألم . لا تبسم يا ميلياندر . حقاً إنني لست امرأة عادية ، ولهذا أنت تتصور أنني لا أكذب ، ولكنك تقالي في هذا ، فأنا أملك فن الكذب وأعرف كيفية إخواني النساء كيف أكذب كلما أعلن الحب أن الكذب أمر ضروري ، لقد كان في نيتي أن أقول لها : إنني لم أعد أحبك وإنني كنت مخدوعة فيك ، وإنك أنت أيضاً لم تعد صحتي إلى غير ذلك مما ينقصني في عينيها ، ويجعلني غير قبيحة باحترامها ، وبالتالي يبدد أسفها علي ؛ أردت كل هذا ، ولكنني شعرت أمام عينيها الواسعتين الطاهرتين أنه من المستحيل علي أن أقول لها ذلك مادام يخالف الحقيقة . استمع : إنني أسمها تفتي وهي نازلة على سلم البرج . انصرف أنت ودعني أتحدث إليها وحدي ، لأنها تقول لي ما لا تستطيع أن تقوله لك ؛ ثم إن الحقيقة لا تنزل من سماها أجل ما تكون إلا حين تستطيع أن تأخذ مكانها بين كائنين اثنين .

( يخرج ميلياندر ويسمع صوت سيليزيت وهي تقرب من أجلافين شيئاً فثباتاً مترعة بأشودة حزينة ينتهي آخر مقطع منها بهذه الكلمة : لاني أرى الموت لا يزال ينتظر ! )

أجلافين — أوه يا سيليزيت ما أوسع عينيك ! وما أكثر نورها في هذا الصباح !

سيليزيت — هذا لأن لدي اليوم فكرة جميلة يا أجلافين .

أجلافين — ينبغي بها يا سيليزيت ، لأن الانسان لا ينبغي له أن يخفي الفكرة الجميلة التي تسعد الناس جميعاً .

سيليزيت — لا أستطيع حتى الآن أن أنبئك بها .  
أجلافين — حديثي عنها مع ذلك فقد أستطيع أن أساعدك في تنفيذها .

سيليزيت — ماهو إذا ؟ كأنك أنت أيضاً لا تجربين أن تقولي لي ما عندك ، أيمكن أن يكون مماثلاً لامعدي ؟

أجلافين — وما هو الذي عندك ؟  
سيليزيت — لاشئ ، لاشئ ، أنا أثرت ، ولكن قولي حالا : ما الذي عندك ؟

أجلافين — إن ذلك يحزنك ، ومع ذلك فقد كان ينبغي أن يسعدك .  
سيليزيت — أنا لن أبكي بعد الآن أبداً ، بعد الآن يا أجلافين .

أجلافين — ماهذا ؟ إنك تقولين ذلك الكلام وعلى وجهك مسحة بخيل إلى أنها غريبة .

سيليزيت — لكن لا ، لكن لا . أنا لن أبكي بعد الآن ، وهذا هو كل شيء . أليس ذلك طبيعياً ؟

أجلافين — دعيني أنظر في عينيك .  
سيليزيت — انظري انظري ؟ ماذا ترى ؟

أجلافين — عيناً أؤكد الناس أن أرواحنا تظهر من خلال أعيننا ، إذ الحقيقة هي أنه كلما نظر أحد إلى العينين خيل إليه أن الروح تفر من أمام نظراته ، وحيناً أغمس نظراتي في ماء عينيك التقي بخيل إلي أن هاتين العينين هما اللتان تسألانني فالتلتي : ماذا تقرئين فينا بدل أن تجاوبا علي سؤال لا أستطيع أن أوجهه إليهما .

سيليزيت — ماذا عندك فتبتئين به ؟ .  
أجلافين — تعالي بين ذراعي ياسيليزيت الصغيرة التي كدت أحرمها من أعز مالهيا .

سيليزيت — أأنت حزينة يا أجلافين ؟  
أجلافين — لا ، أنا لست حزينة ، لأنك ستكونين سعيدة .

سيليزيت — إن من الصعب على أن أعرف ذلك ، وإنني وحيدة .

أجلافين — ولكن لماذا لا تتحدثين بها إلي وأنا واثقة من أنني أستطيع مساعدتك .

سيليزيت — نعم نعم أنت ستساعديني ولكنني أريد أن تفعل ذلك دون أن تعرفه .

أجلافين — أنت إذا تريدين أن تخفي عني شيئاً  
سيليزيت — سأخفي عنك شيئاً ، ولكنني أخفيه ، لكي أظهره عند ما يصير جد جميل .

أجلافين — متى سيصير ذلك الشيء جميلاً ؟  
سيليزيت — عند ما سأعرف ، عند ما سأعرف

ستجبانني أنا الاثنان جداً أقوى من جبك الحاضر  
أجلافين — وهل يمكن الإنسان أن يحب

أكثر من هذا الحب يا سيليزيت ؟  
سيليزيت — كم أنا أشتهي أن أعرف ما ذا كنت

ستعملين لو أنك في موقعي ؟  
أجلافين — إنني مستعدة لأن أقول لك ذلك

سيليزيت — أما أنا ، فلو أنني قلت لك ما سأفعله لما كنت حالتك بعد القول مماثلة لحالتك قبله ولأبيت أن تنبئين بالحقيقة .

أجلافين — ألم أقل الحق دائماً ؟  
سيليزيت — بلى ، أنا أعرف جيداً أنك تقولين

الحق ، ولكنك في هذا الموقف كنت لا تستطيعين أن تقولي الحق .

أجلافين — أنت عجيبة في هذا الصباح ، ويجب أن تحدرى من أن تكوني بخدوة .

سيليزيت — لا ، لا ، تعالي أقبلك يا أجلافين ، إذ بقدر ما أقبلك أكون واثقة من أنني لا أخدع  
أجلافين — عندي ما سأقوله لك .

أننى أحبك وأحب ميلاندر، وميلاندر يحبني ويجبك أنت أيضاً، وأنت تحبيننا نحن الاثنين، ومع ذلك فلا نستطيع أن نحيا سعداء، لأن الساعة التي يستطيع فيها بنو الانسان أن يحيا هذه الحياة لم تحن بعد. والآن أنا أرتحل راجية إليك أن تقبلي هذا الرحيل بمثل القلب الذي أنا أقدمه به. فإذا قبّلت ذلك ياسيليزيت فانك ستعلمين عملاً لا يقل جمالاً عما أعمله وتضحين تضحية قد تكون أكبر من تضحيتي مادام من المفهوم أن الشخص المختص هو أكثر سعادة من الشخص القدم إليه هذا الاخلاص. ألا يحيل إليك عند ما تاتي كل منا بنفسها بين ذراعي الأخرى، وعند ما ننفس في وسط الحقيقة البسيطة — أننا نلص شيئاً أعظم منا؟

سيليزيت — لا ترحلي غداً

أجلافين — لماذا لا ينبغي أن أرحل غداً مادام الرحيل واجباً؟

سيليزيت — أنا أسألك ألا ترحلي قبل أن أقول لك ما وعدتك به

أجلافين — وهل ستقولين ذلك عما قريب؟

سيليزيت — نعم الآن قد صرت متأكدة من ذلك. وهل ميلاندر يعرف ما اعترفته؟

أجلافين — نعم

سيليزيت — أنا لم أعد حزينة يا أجلافين

أجلافين — ماذا كنت تفعلين لو أننى أرحلت دون أن أبتك بشي؟

سيليزيت — كنت ألحق بك وأعيدك إلى

هنا ثانية

أجلافين — وإذا كنت لم تجدني؟

سيليزيت — كنت أبحث عنك طول حياتي

(٧)

سيليزيت — إن في عينيك قطرات من الدموع أريد أن أجفها.

أجلافين — لا تشغلي بهذا، وأنت إذا بكيت فسأولى بتجفيف دموعك قبل أن أنشغل بدموعي. والآن لتجلس هنا على عتبة البرج كاجلسنا في ذلك المساء الذي تحدثنا فيه للمرة الأولى. أذكرين المساء الذي كنا فيه على حافة خزان المياه؟ لقد مضى على ذلك أكثر من شهر وجدت اثناءه أشياء وانعدمت أشياء وأصبحت أرواحنا أبعد نظراً من ذي قبل. أعطيتني شفتيك ياسيليزيت فلن نفوز بلحظات أخرى تشبه هذه اللحظة، لأنني سأرحل غداً، وكل ما نعمله في اللحظة الأخيرة يظهر أمام قلبينا البائسين أكثر جدية وإحملاً من كل ما حدث أولاً.

سيليزيت — أسترحلين غداً؟

أجلافين — نعم غداً ياسيليزيت، وهذا ما كنت أريد أن أقوله لك. لقد أردت في أول الأمر أن أخفي عنك ذلك وأن أكذب عليك لكي أؤخر أملك بعض الشيء، ولكني أراك جميلة وأحبك حباً عالياً يستطيع ألا يحول بينك وبين ألم يتركك منا. وفوق ذلك، فإذا عاش أشخاص ثلاثة أشهر تحت ظلال الحقيقة كما عشنا تبدلت حلهم وأصبح الجو الذي يعيشون تحته غير قابل لكل ما يخالف الحقيقة، ولأجل هذا أنا أعلن لك أنني سأرحل غداً، لكي تصيري سعيدة، وإنني أقول لك هذا الآن لتعلمي أنني أنا لم أكثيراً من ارتحال على هذه الصورة فتتالي بدورك، وهذا الألم هو نصيبك من التضحية، لأن كلا منا نحن الثلاثة يضحي بنصيب في سبيل شيء لا يعرف اسمه، ولكنه فوق قوته. ولكن أليس غريباً ياسيليزيت



تكونى مثلى جاهلة ثم عرفت بعد ذلك . أنا لا أدري  
لماذا أنا أشتغى أن أرحل أو أموت لأجلكما .  
أنا سعيدة وأريد أن أموت لأن أكون أكثر سعادة  
أجلافين - إنه من الخطر أن يفكر الانسان  
في الموت عندما يكون سعيداً . هل ينبغي لى أن  
أعترف بما هو فى نفسى ؟ إن الخوف قد اعترانى  
مرة ، إذ تخيلت أن الفكرة التى تتحدثين عنها هي ..

سيليزيت - نعم ...  
أجلافين - ... لقد خشيت أن تكون هذه  
الفكرة ...

سيليزيت - لا تخافى يا أجلافين فلن تكون  
هذه الفكرة إلا فكرة فتاة صغيرة  
أجلافين - نعم لو وجدت لكنت فكرة قلب  
صغير أعمى لا يستطيع أن يبرهن على الحب إلا بالموت .  
ينبغي على العكس أن يعيش الانسان إذا كان يحب ،  
إذ بقدر ما يجب يجب أن يحيا ؛ ثم أنا أعرف جيداً  
أنك تحبيننا كثيراً حتى تفعل بنفسك هذه الفعلة .  
وحيثما يفكر الانسان تفكيراً صحيحاً ، يتضح له أنه  
لا يوجد لحاب الشقاء لكائنين طريقة أقسى من إيجاد  
موت بري بينهما

سيليزيت - هل تريد أن أعترف لك أنا  
أيضاً بشئ ؟ يا أجلافين ؟

أجلافين - ينبغي أن تعترفى بكل شئ كما  
اعترفت لك بكل ما عندى ياسيليزيت الصغيرة . إنه  
لا يوجد بين الكائنين المؤلفين شئ أجمل من ألا  
يخفى كل عن صاحبه أية فكرة ولو خلف زهرة .

سيليزيت - لقد فكرت فى ذلك حيناً .  
أجلافين - أفكرت فى الموت ؟  
سيليزيت - نعم فكرت فى ذلك منذ وقت

أجلافين - أنا أخشى أنك ترحلين قبلى ،  
وأن تكون هذه الفكرة هى التى كنت تتحدثين  
عنها آنفاً

سيليزيت - كانت تكون فكرة سيئة ، أما  
الآن فلى فكرة سعيدة

أجلافين - لكن الآن سوف لا ترحلين  
سيليزيت - لا لا يا أجلافينى ، أنا ان أعادر  
هذا القصر

أجلافين - أمن أعماق نفسك تعدينى بهذا ؟  
سيليزيت - إنه من أعماق نفسى وأقسم لك  
عليه بسعادتى الأبدية يا أجلافين

أجلافين - أنا لا أدري ما إذا كان الأفضل  
هو عدم مجيئى من أول الأمر إلى هذا القصر  
سيليزيت - لو أنك لم تجيئى إلى هنا لما كنت  
أنا شقية ولا سعيدة ، بل لما كنت شيئاً مطلقاً  
أجلافين - من يدري إذا كان إيقاف النائمين  
من الأمور المسموح بها لاسيما إذا كان نومهم طاهراً  
وليداً ؟

سيليزيت - ينبغي أن يكون ذلك مسموحاً به  
مادام أولئك النائمون لم يعودوا يرغبون فى النوم .  
قبل أن تجيئى إلينا كنت أقبل ميلاندر كأنى عمياء  
صغيرة وكنت لا أعرف أننى كذلك . ولكن هل  
من جريئى أن أكون صغيرة ؟ أما الآن فأنا فى حالة  
أخرى ، إنه كان نائماً هذه الليلة بينما كنت ساهرة  
أنظر إليه وكنت أبله دون أن أستيقظ ، وفى نفس  
الوقت كنت أنظر إلى النجوم من خلال النوافذ  
ترصع صفحة السماء الزرقاء كأنها قد أرادت أن تتخذ  
لها من روى سماء تسطع فيها . أوه يا أجلافين أنت  
لا تعرفين ذلك لأنك لم تجرى بهذه الظروف إذ لم

أن أحداً يصير إليها ، وقد شعرت بأن حياتي تأتمة حول شفتي تحاول الخروج بلا عودة ، وهذه هي المرة الأولى التي أحسست فيها بطعم الحياة والموت معاً في في . لقد فتحت النافذة وصحت بك وقتنا طويلاً لأحذرك ، ولكنك لم تفهمي أو لم تسمعي . لا ينبغي أن تحوي حول الخط السيء الخطر . ماذا كنت تعملين فوق البرج ؟ هاهي المرة الثالثة التي أراك فيها هناك . يجبل إلى أنك كنت تحركين الأحجار بيديك . ماذا كان هناك ؟ إنه كان يلوح عليك أنك تبحثين في الفراغ عن شيء مفقود

سيليزيت — كنت أبحث في الواقع عن شيء . ولكن لا تترأعي فليس هناك ما يدعو إلى الخوف . البرج التيق متين وسيظل شامخاً وقتاً طويلاً بعد موتنا جميعاً . لماذا نبحث عليه ؟ إنه إلى الآن لم يسه إلى أحد . أنا أعرف أكثر من غيري أن أحجار البرج لا تتحرك ، وأنت مادمت لم تبه فلا تعرفين ما يقع بعيداً عنك . لقد وصل إلينا منذ خمسة أوسيتة أيام طائر مجهول ، وهو لا يزال يطير حول البرج دون أن يحس بالثعب ، له جناحان أخضران خضرة غريبة مشربة بصفرة لا يمكن شرحها ؛ ثم إن في هذا الطائر شيئاً أكثر غموضاً من الأول وهو أنه يكبر في كل يوم ، وأن أحداً لم يستطع أن يقول لي من أي الجهات هو يجيء . أنا أعتقد أنه عتس في جحر من الحائط عند نفس المكان الذي رأيته منجنية عليه .

أجلافين — هل ذلك المفتاح الكبير المذهب الذي تعبتين به هو مفتاح البرج ؟ وهل تتكلمين بأعطائي إياه ؟ .

سيليزيت — أعطيك إياه ؟ وما تضمنين به ؟

مضى ، ولكنني عدت فقلت في نفسي ماتقولينه أنت الآن ، وبناء على ذلك وجدت شيئاً آخر .

أجلافين — وماذا وجدت ؟

سيليزيت — إنه شيء آخر تماماً وإنه في جانب الحياة ، غير أن الساعة الملائمة لإيضاحه لك لم يجيء بعد ، وسترين . . . . . أنا أقبلك . . . . . أنا لا أدري ماذا عندي ؟ كأن روعي — كما قيل — ثمة في جسمي ؟ ثم إنى عرفت أخيراً ماذا كنت تعملين لو كنت في موقفي . ( فالتا هذا وخرجتا متاهتين )

## الفصل الرابع المنظر الأول

( يتم هذا المنظر في طيف من أطناف أحد أجنحة القصر المطلة على البحر بين أجلافين وسيليزيت )

أجلافين — الشمس تشرق على البحر ، هل ترين ذلك السرور الهادئ العميق الذي يفيض على الأمواج ؟ إن هذا اليوم سيكون من أجل الأيام يا سيليزيت ، وأنت أيضاً ما أجملك الآن ! بل إن جلالك ليتضاعف مع إشراق فجر كل يوم . ألا تقولين لي ما الذي جعلك تتطورين هكذا حتى أخذت بنصيبك منه قبل أن أرتحل ؟ أهو روحك الثمالة بالطهر والبراءة ؟ أو هل دعوت إليها لأعرفه ؟ أو هل هو شيء لأعهد لك به ؟

سيليزيت — نعم أنا أعتقد أنني أحب أكثر من ذي قبل .

أجلافين — لقد جئت لمقابلتك لأنني رأيتك من نافذة غرفتي . ولقد روعني إذ ذاك منظرُك وأنت منجنية فوق الحائط الأبل للسقوط من البرج حتى ظننت أنني أرى أحجاره تضطرب فامتقع لوني وتجمد الدم في أعصابي إلى درجة لم أكن أتصور

الذى كان يظن أنه فقد وستصعد إلى أعلى البرج دون أن يعلم بصعودنا أحد ، وسأمسك الطائر الأخضر

إيسالين — وهل ستعطيني إياه حالا ؟  
سيليزيت — سأعطيك إياه إذا لم تحدث أحداً  
عن صعودنا . احذرى فسأوقظ جدتنا . هل تلوح  
على ملامح الشقاء يا إيسالين ؟

إيسالين — ماذا ينبغي أن أقوله لكي تصبري  
سميدة يا أختي ؟

سيليزيت — يجب عليك أن تتبينى بالحقيقة ،  
إذ ينبغي ألا تصور الجدة أنني شقية . إنه أحياناً حينما  
يكون الانسان سعيداً يتخدع الناس ويظنون أنه  
كان يبكي . ألا يرى على وجهي أنني كنت أبكي ؟  
إيسالين — انتظري حتى أراك بدقة يا أختي .

سيليزيت — ألا يرى على شيء ؟  
إيسالين — إنحني قليلاً يا أختي ، لأنه لا يعرف  
بالضبط متى تبكين ، إذ أنت تبكين دائماً بكاء صامتاً  
سيليزيت — لكن أنا لم أبك مطلقاً . أعتقد  
أنه قد دخل في عيني رمد أو شيء غير مرئي ، فإذا  
سألك في المستقبل سائل عني وقال لك : ماذا فعلت ؟

وماذا قالت ؟ وهل كانت متممة أو حزينة ؟ فلا تجاوبى  
بإدفاع على هذه الأسئلة عندما ترين الذين يحوطونك  
مرورين أو متحمقين أو محزونين ، ولكنك ينبغي أن  
تلاحظي أنني كنت دائماً مسرورة ، لأن ذلك شيء  
واضح ، فأنا أتسم على ممر اللحظات وإذا كان الأمر  
كذلك فلا ينبغي أن تخفى الحقيقة . والآن ، لكنك  
عاقلتين ، فأنا سأقرب من الجدة . آه كم تلوح على  
وجهها أمارات الوحدة والهجران !

(ثم تناديهام مقبلة إياهما : جدتي ، أنا التي أناديك  
يا جدتي كم هي مستغرقة في نوم عميق ! جدتي :  
إنني جئت لأودعك )

أجلافين — أريد أن أحفظه معي إلى ساعة  
الرحيل .

سيليزيت — ولماذا هذا يا أجلافين ؟  
أجلافين — لأعرف ذلك بالضبط . لاتصعدي  
إلى قمة البرج إلا بعد رحيلي ولا تشغلي بعد الآن  
بالطائر ذي الجناحين الأخضرين ، إذ قد رأيت رؤيا  
مزعجة مر فيها ذكر هذا الطائر

سيليزيت — ها هو ذا المفتاح . أنا لأأمسك به  
لأنه ثقيل .

أجلافين — إنه لثقل في الواقع .  
سيليزيت — قبلني فقد أثلثك .  
أجلافين — لا ، إلى هنا أنت لم تؤلى أحداً .  
إن عينيك مغروقتان بالدموع .

سيليزيت — إن ذلك جافى من تحديق إلى  
الشمس أثناء كنت أقبلك . أنا أريد أن أرى ميلياندر .  
قال لي : إنه سيستيقظ مبكراً . إلى اللقاء يا أجلافين .  
أجلافين — ببطء : إلى اللقاء يا سيليزيت .  
( على أثر إجماع سيليزيت وقت أجلافين وحدها وتأملت  
في الفتاح لحظة ثم قذفت به إلى البحر وخرجت من الطنف  
بدورها ) .

## المنظر الثاني

( يقع هذا المنظر في أحد أجنحة القصر حيث ترى  
« ميليجران » الجدة المعجزة نائمة وتشاهد سيليزيت وأختها  
« إيسالين » تدخلان عليها ) .

يقع هذا المنظر في أحد أجنحة القصر حيث  
ترى « ميليجران » الجدة المعجزة نائمة وتشاهد  
سيليزيت وأختها « إيسالين » تدخلان عليها .  
سيليزيت — سنبداً قبل كل شيء بمعاينة جدتنا  
التي سوف لا يعانقها أحد بعد زحيلنا ، ومع ذلك  
فهي في حاجة إلى المناق مثل غيرها ، ولكنك لاتقولى  
شيئاً . قد أخذت أجلافين مفتاح البرج ، لأنها  
كانت تخشى من تركه معي ، ولكنني سأجد المفتاح

الذي ينبعث دائماً من النابذة قد أخفى كأنه ينبعث من ظلال حطب تلهمه النار ، وأن الشمس تلوح عليها ملامح أسد مزعج يريد أن يلتهم السماء . قبلنى يا سيليزيت ، لأن قبلاك هي كل ما بقى لنا من ندى الفجر الرطيب .

سيليزيت — لا ، ليس عندي وقت ، لأن بوراني من ينتظري الآن وستقبلني هذا المساء .

ميلياندر — ماذا عندك يا سيليزيت ؟

سيليزيت — آه هو شئ بسيط وسيمر سريعاً .

ميلياندر — ماذا تقولين ؟

سيليزيت — لا شيء . قبلني سريعاً .  
( فاك هذا وقبلته بعنف )

ميلياندر — لقد جرحت في شفتي .

سيليزيت — ماذا ؟

ميلياندر — الدم يقطر من شفتي قليلاً ، أستاذك الصغيرة الجميلة جرحتني جرحاً بسيطاً يا سيليزيت .

سيليزيت — أوه ، إنني لذتية صغيرة . أأنت متألم يا ميلياندر ؟

ميلياندر — بالعكس ، لا شيء . انتهى كل شيء .

سيليزيت — أوه ، إنني لذتية صغيرة . . . كم الساعة ؟

ميلياندر — إنها تقترب من الظهر .

سيليزيت — الظهر ؟ أوه ليس عندي وقت .

إنهم ينتظرونني . وداعاً يا ميلياندر .

ميلياندر — سيليزيت ، سيليزيت أين تذهبن ؟  
( ولكن سيليزيت تبعد بسرعة وهي تنفخ بذاك الأنشودة الخفيفة التي مرت بك آنفاً بينما ميلياندر ينظر إليها وهي مبتعدة ثم يخرج بدوره )

( البقية في العدد القادم )  
محمد غريب

ميليجران — أوه هو أنت يا سيليزيت ؟  
سيليزيت — نعم يا جدتي . أنا جئت أقبلك مع إيسالين الصغيرة قبل أن تذهب للزفة في الأرياف  
ميليجران — أين تذهبان ؟

سيليزيت — لم أعرف بعد . ولكننا نريد أن نذهب إلى أبعد من المعتاد ، ولن نعود قبل المساء .

أعندك كل ما يلزمك يا جدتي ؟ إن أجلائين ستعني بك بدلي . أتريد أن أنظم المساند قبل أن أخرج ؟

إنه لا يوجد أحد يعرف كيف يرفك<sup>(١)</sup> دون أن يؤلك إلا أنا وحدي ، ولكن أجلائين ستعلم ذلك على مر الأيام . إنها خيرة وستعلم ذلك حالا إذا مكنتها

منه ، أتريد أن أدعوها لك الآن ؟

ميليجران — لا ، لا ، أنا سأنام إلى أن تعودى .

سيليزيت — وداعاً يا جدتي وداعاً .

ميليجران — إلى اللقاء يا سيليزيت وعودى قبل أن يدخل الليل .

( تخرج سيليزيت قاضية على إيسالين الصغيرة )

### المنظر الثالث

( يحدث هذا المنظر في أحد دهايز القصر حيث يلتقي ميلياندر بسيليزيت وأختها )

ميلياندر — أين تذهبين مسرعة إلى هذا الحد يا سيليزيت ؟

سيليزيت — لا أذهب إلى مكان معين يا ميلياندر وإنما نبعث عن مأوى من الشمس .

ميلياندر — حقاً يحيل إلينا أن الأحجار اليوم تنصهر في بواق الحوائط من قوة الشمس ، وأن البحر قد صار بحيرة من النار ، وأن الهواء الرطيب

(١) يلاحظ أن الجدة العجوز كانت مثبولة ، وأن سيليزيت هي التي كانت تعني بها

يلوح لي أنها تتحاشى تناول ما وقع ، وما كنت أنا لأعود إلى البحث فيه . ومع ذلك فقد كان ما بيننا شيء من الاحتراس بالرغم من أننا عدنا إلى ما كنا نعودناه من علاقات الجوار . فكان في عدم تقيدنا شيء من الكلفة . وكأننا كنا نسرُّ إلى نفسنا : « لقد كانت الحال على هذا النوال من قبل فلنستمر عليه »

وكانت تمنحي ثقها كأنها تعيد إليَّ حرمتي فأرى في صنعها شيئاً ترتاح نفسي إليه . غير أن أحاديثنا تولاها شيء من البرود لأن عينينا كانتا تتناحيان خلسة فلا يبقى وراء الحديث ما يتكلف الفكر اكتشافه . وقد كان كل منا يحاول من قبل أن ينقد بحديثه ما يحاول في خاطر الآخر فأصبحنا ولا تقدير لكل منا يتجسس به ما تنطوي عليه الكلمات وما تضمه العواطف . وقد كانت تعاملني بكل لطف فأحاذر لطفها ، وكنت أذهب متمشياً معها في الحديقة ولكنني انقطعت عن مرافقتها إلى الخارج فلم يعد لنا أن نجتاز الغابات والوديان معاً . وعندما كنت أفرد بها كانت تفتح البياض وتشد ؛ غير أن صوتها لم يعد يثير في قلبي من الشباب ما يستخفه ليدفع بأعين كأنه هتفة الأعمال .

ولما كنت أخرج من بينها مودعاً كانت تمد يدها إليّ ؛ وحين أقبض على أمانها أحسن أن لا حياة فيها . فلقد كان في إرتياحنا كثير من المجالدة ، وفي كلامنا كثير من التفكير ، ويسود كل ذلك كثير من الأسى المسكوت .

لقد كنا نشعر بأن ما بيننا ثالث هو حي لها ، وما كنت لأبديه بأية إشارة مني ، غير أن وجهي كان يرم عنه . وفقدت مرحي وقوتي وما كان على خدي من نصارة العافية . وما مضى شهر على حتى تبدل حال ولم يبق من شبه بيني وبين من كنته

من أعماق النفوس

استغفرت في العصور

لأفريد موسى

بقلم الأستاذ فليكس فنارس

## الجزء الثالث

### الفصل التاسع

وأرسلت لي مدام يارسون في المساء كتاباً موجهاً إلى ر. د. في استراسبورغ ، وما مضت ثلاثة أسابيع حتى كنت قد قمت بالمهمة وعدت من سفرى . وما كنت انقطعت عن التفكير فيها أثناء غيابي فعلمت أن لأمل لي في نسيانها يوماً . غير أنني كنت مصمماً على الاحتفاظ بصمتي أمامها ، لأن ما أقدمت عليه من المجازفة وما تلاها من خطر فقدى لها وما تحملت من الآلام في موقعي ، كل ذلك كان يصدني عن التعرض مرة أخرى لهذه الأخطار ، وما كان احتراي لها ليدع مجالاً لارتياي بإخلاصها ، وما خطر لي قط أن إقدامي على مبارحة البلاد كان تصنماً ، ولذلك كنت على ثقة من أن أول كلمة غرام أنقوّه بها ستكون سبباً لا يصادها الباب في وجهي . ولما لقيتها رأيته شاحبة متيرة وكانت بسمتها كأنها ترتني ارتقاء على شفتيها الممتعتين .

وقالت لي إنها كانت مريضة ولم يدر بيننا أى حديث عما جرى . وكان

لقد أرسلك الله ملاك أنوار رفعني من اللجة المظلمة  
فا رسالتك لإسبيل الخير، ومن يدري إذا حكم علي  
بالابتعاد عنك إلى أية المهادي تطرحني أحراني يوماً  
اختبرته من الحياة في أوائل صباي وما سيفعل بي  
تضجري وملالي .

وكان لهذه الفكرة التي أعير عنها باخلاص  
شديد التأثير على امرأة لها مثل هذه التقوى ومثل  
هذه الروح المضطربة في عقيدتها .

وكنتم أستمع يوماً للذهاب إليها فاذا بالباب  
يقرع وبمركاندون يدخل علي وهو الكاهن الذي  
كنت رأيته من قبل في حديثها . فبادرنى باعتذارات  
أثقل من شخصيته عن إقدامه على زيارتي دون سابق  
معرفة . فقلت له إنني أعرفه وأعرف عمه كاهن القرية  
وسألته عما يريد .

فظهرت عليه الحيرة وبدأ يقلب عينيه يمينا وشمالاً  
ويداعب الأوراق الموجودة على الخوان أمامه كمن  
يفتش على ما سيقول ، وأخيراً وفق إلى القول إن  
مدام ييارسون مريضة وإنها كلفتها أن ييلغني عدم  
إمكانها مقابلتي في ذلك اليوم .

فقلت : أمر مريضة هي ؟ وكيف ذلك وقد فارقتها  
أمس في ساعة متأخرة وهي على أحسن حال .  
وانحني الكاهن مسلماً فاستوقفته قائلاً : هب  
أنها مريضة فهل من موجب لإرسال من ييلغني  
ذلك ؟ وهل ييلها بعيد عني لتقصّد توفير العناء  
بوصولي إليه ؟

وبقي صامتاً وبقيت مستغرباً فقلت له أخيراً :  
— لا بأس بأسأراها غداً فتعلمني على خلية الأمر  
وعاد إلى حيرته فقال إن مدام ييارسون قد  
عهدت إليه أيضاً بإبلاغني أنها جد مريضة ولا  
يمكنها أن تستقبلني إلى أسبوع .

غير أنني كنت لا أزال أذكر كرهى للعالم  
ونفورى من العودة إليه . فكنت أحاول جهدى  
أن أقنع مدام ييارسون بأنها تحسن صنعاً بإرجاعى  
إليها . وكنتم أصور لها أحياناً ما مر من أيامي بأقيم  
الألوان ، ملحقاً لها بأني سألجأ إلى عزلة خير منها  
الفناء إذا ما اضطرت يوماً إلى الافتراق عنها ؛ وكنتم  
أقول إنني أكره المجتمع فيؤيد قولى ما كنت سرده  
لها تفصيلاً من وقائع حياتي . وكنتم أحياناً أظهار  
بمرح كاذب لا يصدقه قلبي كأنني أريد أن تعلم أنها  
أفقدتني من أظف المصائب . وكنتم كلما ذهبت  
لزيارتها لا أغفل عن تكرار شكرى لها لأنتمكن  
بذلك من العودة إليها في المساء وفي صباح اليوم  
التالى ، فكنت أقول إن جميع آمالى ومطامحى  
محصورة في الحديقة الصغيرة التى تقطنين ، فليس لى  
أن أحيأ إلا حيث الهواء الذى تستنشقين .

وما كانت آلامى لتعزب عن شعورها فأراها  
لا تستطيع مقاومة إشفاقها على ما أبدى من مجادة  
وحزم ، فكانت كل حركاتها وسكناتها أمانى تم عن  
ليتها ، فأنها كانت تشهد المراك القام بين جنبى  
فتبدو غفورة باطاعتي لها ؛ غير أن شجوب وجهي  
كان يثير في قلبها ما انطوى عليه من إشفاق المرصات  
فكانت تبدو أمانى في بعض الأحيان مضطربة إلى  
حد الدلال فتقول بلهجة مداعبة : — لن أكون  
هنا غداً . أو تعين يوماً نعتنى الحضور فيه . وإذا  
كانت ترى مستغرباً في الحزن تلطف قائلة : لا أعلم ؛  
على كل حال تعال . أو تزيد في رقتها وتذهب لتشيعنى  
حتى الحاجز فترودى بنظرة تترقب المذوبة في حزنها .  
وكنتم أقول لها : تنى أن العناية قادتنى إليك ؟  
ولو أنني ما عرفتلك لكنت عدت إلى ضلالتى .

— عرقته من الخادمة . فهاهو السبب ياترى فى

إيصاها الباب دونى وفى إرسالك يمثل هذه المهمة إلى ؟ ورأى مكرانسون أحد الفلاحين ماراً بنا فناداه باسمه قائلاً له : لى مكن كلام فانتظر .

وتقدم الفلاح نحونا وكان ذلك ما نرجوه الكاهن لعلهم بأثنى لن أعادى فى الحديث أمام ثالث ؟ وهكذا اضطررتى إلى سحب قبضتى عن ساعده ولكننى دفعته بشدة حتى أنه تراجع فجأة واصطدم ظهره بشجرة وقته السقوط . فحرق الأرم وذهب دون أن يفوه بكلمة .

ومضى الأسبوع على وأنا على أحر من الجمر ، أذهب كل يوم إلى باب مدام ييارسون فأراه موصداً بوجهى ، وتلفتيت أخيراً منها كتاباً تقول فيه إن تكرر زيارتى لها قد أصبح موضوع قال وقيل فى البلد ، فهي لذلك ترجو أن أقل من عدد هذه الزيارات . وكان كتابها مقصوراً على ذلك فهي لم تأت على ذكر مرضها ولا على ذكر مكرانسون .

وكدت لا أصدق أن الكتاب منها لأول وهلة لما أعلمه من أخلاقها وعدم مبالاتها بكلام قال وقيل وترفعها عن إخضاع ضميرها لغيرها ، ولكننى اضطررت أخيراً إلى إرسال كتاب أقول لها فيه إننى لا أجد بداً من إجابة نداء قلبى والخنوع ، وما كانت عباراتى إلا أنتم عن مرارة لم يسعنى كتابها ولم أذهب لزيارتها فى اليوم الذى سمحت لى فيه بالقدوم إليها لأنبت لها أننى لم أخدع بخبر مرضها وما كنت لأعرف السبب الذى دعاها إلى اقضائى عنها ، فذهب بى الحزن كل مذهب حتى سئمت الحياة ، وخطر لى أن أتحرك منها فكنت أمضى طوال الأيام فى الغاب حتى مرت ذات يوم صدفه حيث كنت

وانحنى مسلماً وولى .

ولم يكن من رب عندى فى أث وراء هذه الزيارة سراً . إن مدام ييارسون تريد ألا أقابلها لسبب لا أعرفه ، فهل كان مكرانسون يقوم بهذه المهمة من تلقاء نفسه ؟

ومضى النهار وتبعه الليل فبهتت مبكراً وقصدت بيت مدام ييارسون فوجدت الخادمة أمام الباب ، وإذا استوضحتها الأمر قالت إن سيدتها مريضة وحاولت عبثاً أن أجبرها إلى الاعتراف حتى تنفجها شيئاً من المال فلزمت الصمت ولم تبش بشئ .

وفى عودتى إلى القرية صادفت مكرانسون على المتنزه وحوله تلامذة همه فدعوتهم إلى كلمة أقولها له على انفراد ، ومشيت فتبعنى إلى اليدان ، وهنالك رأيته متردداً حائراً لا أعلم ما أقول له لا تترع منه سره . وأخيراً قلت : أرجوك يا سيدى أن تعلم لى الحقيقة عما أخبرتنى به أمس : أهى مريضة أم إن هنالك أمراً آخر ؟ فأنت تعلم أن لى فى هذه الجهات طبيب يعتمد ، وفوق ذلك فإن لى أسباباً أخرى لها أهميتها تدعونى إلى الوقوف على حلية الأمر فصمد الرجل بوجهى لا يحول عما قاله أولاً ، وأضاف إلى ذلك قوله إنها هى دعتهم إليها وكلفته إبلاغى ما أعلنه لى . وكنت وصلت وإيها لى مريضاً عند مدخل الشارع وضقت ذرعاً بهذا الرجل المتصلب فقبضت على ساعديه فجأة فذعروا قال : تريد إرغائى بالقوة ؟ — لا ولكننى أريد أن تتكلم .

— إننى لا أخاف أحداً وقد قلت ما يجب أن أقوله .

— لقد قلت ما يجب لا ما تعلم . إن مدام ييارسون ليست مريضة .

— وكيف عرفت ذلك ؟

خرجت من مسكني شعرت باستيلاء الحزن علي . وكنت لا أعلم ما مقصد هذه المرأة من عاداتها إلي ما سلبتني إياه من معاملة ، وأرى في عملها شيئاً من القسوة لأنها إذا كانت لا تزال علي حالها ولا حب في قلبها فأية تسلية كانت تطلبها من محبدي مجادتي وهي تعلم أنني أهواها .

وتسلطت هذه الفكرة علي فبدلتني بتديلا ، وما وضعت راحتي تحت رجلها لأساعدها علي اعتلاء صهوة جوادها حتى شعرت بخفقان شديد في قلبي وما عرفت أكان هذا القلب يمتلج شهوة أم غضبا . وكنت أقول في نفسي : « إذا كانت هذه المرأة أصليت بدائي فلم هذا التجني ؟ وإذا كانت سليمة فلم هذا الدلال ؟ »

وهكذا هم الرجال . ولا حظت هي لأول وهلة أنني أرمقها شزرا وأن في سبائي تنبرا . وانتحيت الجهة الثانية من الطريق وسرت لا أنطق بكلمة . وكنا نقطع السهل فأراها هادئة تدير لحاظها نحوي من حين إلى آخر لتتأكد أنني ما أزال أتبناها . ولكننا ما بدأنا نصعد الجبل متوغلين بين الأشجار وما بدأت خوافر فرسينا تقرع الصخور حتى رأيتها ترتعش فجأة . وتوقفت حتى أصبحت علي مقربة منها . فانطلقت بسرعة وأنا أتبناها حتى وصلنا إلى المنحدر فاضطرت إلى تخفيف السير ، وعندئذ اقتربت حتى حاذيتها وكنا كالنار المطرقين فشعرت بأن الزمن قد حان فقلت :

— هل أتبتك شكواي يا بريحيث ؟ وهل أزعجك مني أنني بسند أن عدت إلي مشاهدتك لا أرجع من مسكنك إلي مسكني مرة دون أن أسأل نفسي ما إذا كانت لم تزل بعيدة عن الموت ؟ لقد قضيت شهرين وأنا أذوق الأمرين وأأكتبكم ما أعانيه (٨)

فرأفتي علي أسوأ حال وما جسرت علي طلب الايضاح منها إلا تليحاً فلم تجب بصراحة ، وهكذا أكرهتني علي ألا أحاول تناول الموضوع مرة أخرى .

وكنت أهد الأيام التي تقصلي عنها حتي إذا جاء ميعد الزيارة هرعت إليها وأنا مصمم علي الانطراح أمام قدميها لأشرح لها حالي وما وصلت إليه من اليأس آملا إثارة إغفائها ، ولكنني كنت أذكر ما فعلت أولا ويتمثل أمامي رجلها وقبوتها فيستولي علي الدعر وأحاذر فقدتها وكنت أفضل الموت علي هذا البلاد .

وهكذا كان مقصداً علي أن أتجنب ولا أنففس بالشكوى فاطال بي الحال حتي تهدمت قواي ، وكنت أحس بوهن ركبتي عن حملي إلي بيتها لأنني كنت أشعر بأن ليس فيه غير ما يستدرف دمي ؛ وما عدت مرة من زيارتها إلا لأطلق عنان مدامي كأنني أبارحها كيلا أراها بعد .

أما هي فكانت تخاطبني بلهجة لم أعهد لها فيها من البرود فتسألني رأيي في مبارحتها البلاد ولا تتردد في أن تقول لي إنها أصبحت تشتهي الرحيل . فأقف واجماً أمام هذه المحادثة وأنا أقرب إلي الموت مني إلي الحياة . وما كانت تعود لحظة إلي حالتها الطبيعية حتي أراها ترتد فجأة الي تصنع البرود القتال . وخائني الجلد يوماً فتساقطت دموعي أمامها وشكوت بالرغم مني فرأيت الاصفراء يعلو وجهها . ولما وقفت علي بابها مودعاً قالت : إنني سأذهب غداً إلي سان لوس « وهي قرية علي مسافة غير بعيدة » وبما أنني أفضل الذهاب راكبة فاحضر غداً علي فرسك لمرافقتي إذا لم يكن لديك ما ينعمنك .

وحضرت في الميعاد المضروب مبكراً ، وكنت قصيت الليل متقلباً علي مهاد السرور ولكنني عندما



سببا لفقداني إليك . لقد كفاني غرامي دموعاً وآلاماً  
وقد طال الأمد علىّ وأنا أكرم جبا جنوبيا يرى  
أحشائي ، وقد بلغت بك القسوة ...

ورأيها تتحفز للوثوب من صهوة جوادها  
تقدمت والتقيتها بذراعي ملصقاً شفقي بشفتيها .  
وعلا وجهها الاصفرار فأطبقت جفونها فسقط  
الزمام من يدها وارتمت على الأرض .

وحسنت : يا لله ! إنها تحبني  
وكانت قد بادلتني قبلي فسارعت إلى رفعها عن  
المرج فتفتحت عينها ومشى الارتعاش فيها يهزها  
هزاً فدفعت يدي عنها وانهمرت دموعها فهبت  
تطلب الفرار .

وكنت لا أزال واقفاً جنب الطريق أنظر إليها  
وهي أجل من الضحى وقد استندت إلى جذع شجرة  
وانحل شعرها متساقطاً على كتفيها وبداها ترتجفان  
وقد علا الاحمرار وجهها كأنه الأرجوان تلتصع عليه  
لألئ الدموع .

وصاحت : لا تقترب مني . لا تتقدم خطوة  
واحدة نحوي .

فقلت : لا تخافي يا حبيتي ! إذا كنت أسأت  
إليك فأترني في عقابك . لقد تولاى نائر الألم لحظة  
فانفلى في ما تشائين ولك أن تدعيني الآن ، كما لك  
إرسالى إلى أية جهة تريدن ، فأنا أعرف الآن أنك  
تحبيني يا ربّيت فأنت في هذا المكان تتمتعين بأمان  
لا يشتمع به الملوك في قصورهم النخبة .

ونظرت إلي عندئذ بعينيها الدامستين فرأيت  
سعادة الحياة تشرق ، فتقدمت إليها وجثوت أمامها  
وما يحب الحب الجم من بوسه أن يتذكر  
الكلمات التي أعلنت بها من يهوى أنها تهواه .  
فبكس فارس

من هذا الحب الذي يرتي حشاشي ويقتلي ، وأنت  
سلبية كأنك لا تعلمين بحالي . إرفي رأسك قليلاً  
وانظري إلى . أفي حاجة أنت لأشك ما أتى من  
الأوصاب وما تفعلين للبال أقضها باكياً على نفسي  
لقد مررت يوماً في هذا الباب المروع فرأيت  
شقيماً موحماً أسند جبينه إلى راحتيه ؟ أها نظرت  
إلى رشاش دمه فوق هذه الأعشاب ؟ انظري إلى  
وإلى هذه الجبال أها خطر لك أنني أهواك وقد  
عرفت بتولهي هذه الصخور وهذه الأرجاء المقفرة  
وكلها شهود غرامي .

لماذا أتيت في أمام شهودي عليك ؟ أها كفالك  
ما أحمل من بلاء ؟

أيجنوني الجلد الآن ؟ أها ترين أنني ذهبت إلى  
أبعد مدى في طاعتك ؟

إلى أي التجارب تعرضيني ؟ بل أي تعذيب  
تعدني لي على جناية لا أعرفها ؟ ماذا أتيت تفعلين  
هنا إذا كنت لا تحبيني ؟

فصاحت : فلنذهب من هنا . أرجعني من حيث  
أتيت .

فقبضت على زمام فرسها قائلاً : لالن نعود ،  
لأنني بحث بما أضمر ، فأذا رجعنا فقدتك إلى الأبد ؛  
وهذا ما لا أجهله وأنا أعرف مقدماً ما يستقويلنه  
لي عندما ندخل بيتك . لقد أردت ابتلاء صبري  
وتجديد آلاحي ولعلك قصدت بذلك إيلاء نفسك  
حق طردى . لقد أتبعك هذا العاشق الحزين ، يتحمل  
آلامه كأنما أمره كارهاً حتى الممالة كأس احتقارك .

وكنت تعلمين أنني إذا ما انقردت بك أمام هذا  
الغاب في هذه العزلة التي نشأ فيها غرامي ونما لن  
أتمكن من التغلب على نفسي ، فأردت أن تعرضي  
نفسك للاهانة . اصني إلي بإسديتي وليكن ما أقوله



## الأوديسيوس

لهوميروس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

### مقدمة الفصل الهامس

« أجبر أوديسيوس إلى الدار الآخرة ( هينز ) لبقى تيريزاس الكاهن الطيحي ك يعرف له عن عودته إلى بلاده . فبعد أن ضي لآله الموتى وزوجة وجزر الفارين للأشباح الهائمة في دار الفناء أقبل إليه تيريزاس فأخبره بما سعى إليه ، ثم رأى شيخ أمه فكلما وقد أخبرته بما تم في بيته من أحداث وطمأنته على وفاة زوجته بنلوب وعدم خضوعها لما أراد العشاق قسرهما عليه وحديثه عن ابنه تلك وما أخذ نفسه به من صيانة ممتلكات أبيه ثم أنبأته عن والده الرجل الشيخ الذي اعتزل الدنيا في ركن سحيق من قوله ياكيا على أوديسيوس . وقد لقي أوديسيوس طائفة من عتباري اليونان وأزواجها اللاتي توفين في غفارة الشباب ونضارة العمر فكلتلهن وروين له قصصه . وهو يسرد فيما على طائفة أخرى من مشاهداته في هينز »

### أوديسيوس يروي قصته (٢)

وسكت أوديسيوس ، وصمت الجمع المحتشد في الركعة الملكية فكان على رؤوسهم الطير من

روعة ما حدث ، حتى نهضت أربنا الملكة ، ذات الدراعين العاجيتين ، فقالت : « أيها الفياشيون . كيف أنتم وهذا المهاجر النبيل الذي زاده الآلهة بسطة في العقل والجسم ، وأضفت عليه هذا البهاء وذلك الرواء ؟ إنه ضيفي ، بيد أنكم تشركوني في ضيافته والاحتراف به ، تخليق بكم ألا تسرحوه على عجل كما يجب ، بل حرى بكم أن تستبقوه أياماً حتى تخلعوا عليه ، وتقدموا له أطرف الهدايا وأعز الهوى ، وتُقيثوا عليه مما حبتكم السماء ، فكلكم غنى جم الغنى ، ترى واسع الثراء » . وتكلم البطل إخنيوس ، أكبر أمراء فياشيا وأتلامهذكراً فقال : « إن مليكتكم ذات المجد والكبرياء يا أصدقاء ، لا تبدى رغبة غصب ، بل هي تصدر عن إرادة عالية وأمر سني ، فخبذا لو أصحتم وصدعتم ... على أن كل شيء هو رهين بمشيئة الملك ، فليز إذن رأي . » وقال الملك : « إنى أوافق على مارأت الملكة ، زهرة فياشيا سيدة البحار ليقب الضيف إلى غد إذن ، برغم ما يحجوه من الشوق إلى بلاده ، حتى أسيخ عليه ، وأدير أمر عودته التي يُعنى بها الجميع » . وكانما صادف مقال الملك هوى في فتواد أوديسيوس فبهض وقال : « ألكينوس ! يا ملك فياشيا العظيم ! بوى لو بقيت هنا عاماً بأكمله ليم الملك نعمته على ، وليدير أمر عودتي سالماً إلى أرض الوطن ... فما أجمل أن أعود بالطايا والهدايا والنعم ، لأملأ عيون مواطني ، ولأكسب احترامهم وأنال محبتهم بمد طول النأي وفدح البعاد »

فأجابها الملك : « لله ما أروع ما حدثت يا أوديسيوس ! وكأنا تحدثت بلسان ساحر علم بهرج القصص ويوشى الأخبار ، وروق ويزوق ، في زكاته وفطانه وحذق وترتيب ؟! أبداً ما حملت هذه

الأرض. ألب منك ولا ألبق في رواية وتحديث؛ وأبدأ تسأكت الموسيقى والنغم الحلو من لسان كسانك القرب الحبيب؛ ولكن ماذا عندك من أخبار الأبطال الأغريق، الصيد الصناديد، اللدادة المذاويد؟ حدث يا أوديسيوس! قل، قص علينا أخبارهم؛ أرايت أحداً ممن شهد معك وقائع طروادة؟ إن الليل ما يزال في غفوان يا صاح، وما بأعيننا من سنة فتأوى إلى فراشنا في مثل تلك الساعة؛ هلم فحدثنا، فبنا من حديثك شف، وكلنا إليه شوق، ولو حدثت حتى مطلع الفجر، إن لم ينل منك وصب أو يميك ملال»

وقال أوديسيوس: «بورك سيد فياشيا الملك ألكيتوس؛ ما يزال في الوقت متسع للحديث وللنوم معاً، وإن شئت حدثتك طائفة من الأحاديث عن أبطال الأغريق سواء منهم من توى تحت أسوار طروادة ومن أفلت من الموت ثمة فترصده الناياف أرض وطنه، صبيهاً من كف زوجة الأثيم الزنيم! إليك إذن... وجيهاً هفت رسفونيه - ربة هيدز - بأشباح العذارى وأرواح الحسان فتكبيكين وأثنين عني إلى ظلمات دار القضاء، بدا لي طيف أجا ممنون - بن أريوس - ومن حوله كوكبة من أشباح الذين قتلوا معه في داره بيد إيجستوس... أهرع إلى الدماء فرشفت منها رشفات، ثم نهض فعرقي، وكأنا شاعت فيه رعدة من الدهشة والذعر، وتحدرت دموعه الحار السخينة فوق خديه، ثم مد لي ذراعيه يود لو عاتقني، ولكن... وأأسفاه! وهل يعاقب الشيخ إنسياً؟! وقال مني الحزن فيكيت لهذا المنظر الفادح الأليم، وقلت أكله في

(١) ملق فلاناً وملق له تودد.

(٢) أخاوين وخون وأخوة جمع خوان.

السكين ، الذى قتلتنى الفادرة قبل أن أتولد منه  
 نظرة ! اسمع يا أوديسيوس ، إسمع إلى ، إلى ساقى  
 عليك من كنوز خبرتى وتجاربى ، عليك بالمركب  
 أوبتك إلى وطنك . واستعن على رحلتك بالكنان  
 لأنه لا ثقة فى امرأة بعد اليوم <sup>(١)</sup> . ولكن اصدفنى  
 بربك ، أين يأوى ولدى الآن ؟ هل يقيم فى بيلىوس ؟  
 أم يشوى فى أرخومينوس ؟ أم هو يستندى بذرى  
 جدته ، أمى الحبيبة ، فى قصرها المنيف بأسبرطة ؟  
 إنه ما يزال حياً يرزق ، ولم يأو بعد إلى دار الظلال  
 هيدز . « واعتذرت إليه أنى لا أعلم إذا كان حياً  
 يرزق أو أنه غدا من أشباح هيدز ، وظللتنا نتحدث  
 شجون الحديث ، ونذرف الدموع على كل ذكرى  
 حتى وافى شبح أخيل البطل ، ابن جليوس العتيذ ،  
 وفى إثره شبح زوجه بتركائوس العظيم ، وبقرعة  
 منه طيف أنيلوخوس يتدهدى مع طيف البطل  
 المنوار أياكس الذى امتاز ببسطة الجسم وجبروت  
 المظهر على الجميع ما عدا بيليدس وحده . وعرفنى  
 شبح العذراء الكبير لإيسيدس <sup>(٢)</sup> فقال مخاطبني فى  
 خفة وظرف : « أوديسيوس يا رجل الدهاء والحدع  
 أى تدير ليست فيه تدابيرك الماضية وحيلك السواف  
 شيئاً ما ، أنى بك إلى هذه الدار أضيف أنت ؟ أم  
 هو طيشك وقلة مبالاةك جملاك تضرب فى دياجير  
 هيدز ؟ هيدز الزهية بيت الأرواح والظلال  
 والأشباح ؟ » ووجهت الجواب عن تساؤله إلى أخيل  
 فقلت : « أخيل ! يا ابن بيلوس العظيم ، يا أشجع أبناء  
 أخايا قاطبة ، لقد سمعت إلى هنا لألقى الكاهن الطيبى  
 (١) وهكذا عاد فاستسك برأيه فى النساء حتى فى بنلوب  
 (٢) قد يكون أخيل .

فأتت هذا المنكر ، وارتكبت إثم قتل زوجها  
 ورفيق صباها ! !

لقد حسبت حين عدت أدراجى أننى سأقابل  
 بالأهل وبالسهل ، من أبنائى وأهلى وحاشيتى ،  
 ولكنها ... الفاجرة الفادرة ، التى بزت بفجورها  
 كل صنوف الفجور ، قد سحبت على نفسها أذيال العار  
 والخزى ، بل هي قد سحبت أذيال العار والخزى على  
 كل أنثى لم تر النور بعد ، وعلى كل الصالحات  
 الطيبات من بنات جنسها .

وسكت أجامتون ، فقلت بدورى : « يا سماء ! !  
 ما أقسى ما قضت يد زيوس على بيت أتريوس ، منذ  
 البدء ! كله من الأثنى ! ! الأثنى دائماً ! لقد قتلنا فى  
 غير رحمة ولا رفق من أجل هيلين <sup>(١)</sup> ؛ وتدير لك  
 كلتمسترا تلك الفعلة بينما أنت نازح بعيد عن  
 ديارك ! ! »

قال : « من أجل ذلك أوصيك ألا تلين  
 عريكتك لامرأة قط ، وألا تجعلها موضع شرك  
 ومحل ثقتك ، بل إن أسررت لها بشيء ، نقيض  
 عنها أشياء ، هذا وإن تكن زوجك وفية خالصة  
 لك ، لا يخشى عليك منها رهق ، ولا تغدر كهذا  
 القدر ، لأنها ابنة إيكاربوس وحسب ذات الحصافة  
 واللب ، لقد غادرناها ولما نزل عروسا يوم غادرناها  
 إلى اليوم ، وعلى صدرها الوفى ولدى الحبيب ، الذى  
 شب ليحصل اسمك ، ويعلم فى الخافقين ذكرك ،  
 والذى ينتظرك لفنان ليضمك إلى صدره يوم تعود  
 إلى إيثاكا ... وإليك إلى إيثاكا لعائد ، وبذا قضت  
 الآلهة ... أما أنا فإنا أسفنا على أوردست ، ولدى  
 (١) التى فر بها باريس وكانت سبباً فى حروب طراودة

الحاشدة من أخايا ؛ ولقد كنا نجتمع للشورى <sup>(١)</sup> تحت أسوار إليوم فما كان يتكلم إلا لالماً ، وما كان ينطق عن الهوى إذا فعل ، وإذا استنقنا نسطور . . . وأنا . . . فما كان أحد ينهض إلى مقامه أو يقارن به من جميع الأبطال الأغريق . . . وكنا نكر حول طروادة ونفر ، فما أعرف أن أحداً كان أجراً منه كراً ولا أحذق قرأ . . . ولقد جندل من أبناء طروادة الصناديد أقراناً وفرساناً حتى ما أستطيع سرد أسمائهم جميعاً ، بيد أنني أذكر فيمن أذكر منهم يوريبولوس بن تلفوس البطل الذي أغرى على خوض غمار الحرب في صفوف الطرواديين بمارشا ( بريم ) نساء وعذاراه ، فإزالوا به حتى خاضها هو وجنوده السيتيون . . . الله ما كان أجل وما كان أروع ! ! أبداً مارأيت زعيماً ولا سيد قوم ، باستثناء ممنون ، أبهى منه ولا أسمى جلالاً ؛ وما أنس لا أنس يوم حصان إليوس الخشي ، يوم قتلت أنتخير الصناديد المزاييد من أبناء هيلاس ليكونوا معي داخله ، وكنت على أن أظل عند بابي السرى لأرى في فتحه أو إغلاقه ما أرى . . . لا أنسى ما كان من هلع أبطالنا وذعرهم وذهاب نفوسهم وتحدردموعهم من هذه المهمة رعباً وفراً ؛ أما ولدي ، فيأما كان أشجع ، ويأما كان أربط جأشاً ! ! إن عبدة واحدة لم تسرق من عيني ، بل إنه كان يمتحنني ويحرص جد الحرص على أن أختاره ، حتى إذا فعلت تقدم متبخترًا بجر رجليه الظلمي ، وينقل صدره بنار الانتقام يودلو يصنها على طروادة وأبنائها جميعاً ! ! وما إن فتحت طروادة

(١) يحسن بالقارئ أن يذكر أن أخيل قتل قبل

سقوط طروادة .

وعز ، وتجميلك الناس كأحد آلهتهم ، وما أنت تحكم هنا وتنهي وتأمر على جميع هؤلاء الموق ، فما أجدر بك ألا تأمسي لأنك مت هذه المبرة في الدار الأولى » وأجابني على الفور : « أودسيوس إذا الذي لا تخالني عزاء يخفف من وطأة الموت ! لقد كنت أوترلو أعيش في الدنيا كأحقر الأجزاء الأذلاء ، وأتبلغ بلقات قليلات لاقسم أود الشيخ الفاني ، على أن أقسم هنا مملكا في جميع هذه الأشباح والهاويل ! ! ولكن تعال ؛ هلم خذني عن ولدي الحبيب ، هل وصل ما انقطع من حياتي الحربية ، أم هجر السيف وطلق المعمة ؟ وحدثنني عن أبي إليوس الكريم ، أما يزال يتمتع باحترام الناس وتبجيلهم وجب اليرميدون <sup>(١)</sup> وفدائهم ، أم تجرد من الأبهة وتزل على حكم المشيب والكبر ، والأيام التي أوهمت عظامه ؟ أواه يا أبناء ! ليس لك اليوم أخيل كان ينشر الرعب في جنبات طروادة ؛ أواه لو وسعني أن أعود إليك لحظة ، إذن لقسرت الناس على الخضوع لك ، ولأرغمت كل جبار عصي على تخليقك وذلل العبودية لك بدل الثورة بك ، وقلة الاحتفال بشيخوختك . » وقلت أجيبه : « أنا لا غم لي بما كان من أمر إليوس أيك ، ولكني ذاكر لك ما ترى إلى من أخبار ولديك نيوتلموس لأنني حملته على سفاتي من سكبروس إلى الجيوش تيرزاس ليعرف كيف أصل إلى شطآن إيشا كالصخرية لأنني عييت بالزواجر والواصف في عرض اليم ، فما استطعت أن أصل إلى أخايا أو أن أرسو في بلادى . . . إنني أعبطك يا أخيل من أعماقي ! فلقد عشت في هناء

(١) جنود أخيل في حروب طروادة .

كبير الآلهة ، الذي مايفتك يصب لثنته على جيوش  
 أخايا ، هو الذى قضى عليك الموت . أيها البطل  
 هلم نحوى كما نسمع إلى الكلام الطيب الذى أجهد  
 أن أترسأك به ؛ لتخمد جذوة الفصح على قى نفسك ،  
 ولتخمد ما بيننا من خصام ! « يد أنه ماحرك شفثيه ،  
 بل لوى عنانه وانخرط فى جماهير الأشباح الهامة ،  
 وترك الرغبة الملحة المشتعلة فى صدرى شوقاً إلى  
 تكليمه تنظني رويداً ... فقلت نظرى فى الأرواح  
 القريبة عسى أن أعرف منها أحداً فأحدث اليه ،  
 فلمحت بينها مينوس سليل جوف الأكبر ، وكان  
 يجلس على عرش مرمرد للقضاء بين الموتى ، وفى يمينه  
 صولجانه الذهبى الثمين ، ومن حوله زرفت جموع  
 سكان هيدز ، فمنهم الواقف ومنهم الجالس ، ومنهم  
 المتصب يشرح للقاضى شكواه ، ويثبته بلواه ، بينما  
 قد أهطعت الرؤوس وانجست النفوس ، وتكاسمت  
 الموتى عند البوابات الكبيرة الهائلة تنتظر دورها ...  
 ثم راعنى أن أرى بين تلك الجموع أوريون الجبار  
 يسوق قطعانه التى ذبحها بيديه فى الدار الأولى ،  
 وهو يراعاها على أوراق البرواق ... ورأيت فيمن  
 رأيت تيتوس الجبار ، سليل هذه النبلاء ، وقد كان  
 منبطحاً على الأرض بحيث يشغل فضاء تسعة أذنيه ؛  
 وعلى كل من جنبه أعموان هائل أرقمى يشتدنى  
 بمضغ من كبده الكبير الدامى ، ويتنبه من  
 أحشائه الفلاظ ، جزاء بما حاول أن يستذل لاثونا  
 اللعوب الطروب ، عشقة جوف سيد أولب ، التى  
 فرت من وجهه فى بطائح بيتو الى فرايدس بانوبيوس .  
 ثم رأيت تانتالوس فى ضعف من العذاب ! رأيت  
 يشخط فى عين حثثه من حميم ، وقد غاص فيها الى

علينا ، وأبنا منها بالفنائم والأسلاب والسي نظرت  
 إليه قبل أن يحرق فاجده يشكو رميةً ، ولا  
 ين من جرح ، ولا أثر فى جسمه لخدش مما تصنع  
 الحرب ، وما يثبت فقال مارس . »

وزي أخيل من كثرة ما أنثيت على ولده فراح  
 يتخابل ويدل وسط شجر البرواق<sup>(١)</sup> ... وكانت  
 جموع من أشباح الموتى تملأ الرب ، وقد جلس  
 كل أوهام على وجهه يكي ويشكو به لغير سمع ...  
 وقد رأيت بينهم شبح صديق التيلامونى - أجاكس -  
 وكان يحدجنى فى الفينة بعد الفينة ، ولكنه لم يشأ  
 أن يكلمنى ! آه ! إنه ما يزال ينقم على ما شجر  
 بينى وبينه من نزاع على عدة أخيل ( بعد مقتله ) ،  
 وما كان من طلب زيتيس<sup>(٢)</sup> ألا يلبس دروع ولدها  
 سوى ، ثم ما كان من تأييد ميرفا للأمرؤم فى  
 طلب . لقد كان انتصاراً لي ، كم كنت أوثر ألا  
 يكون ، لأنه كان فى يسدو سبب مقتل أجاكس .  
 العزيز ، أجاكس النوار ، الذى لم يكن فينا من هو  
 أشجع منه إلا أخيل نفسه ... ولقد وجهت اليه  
 ألين الخطاب لأقل من سورة غضبه . فقلت له :  
 « أيها العزيز أجاكس ، يا ابن تيلامون المجيد ، أما  
 تستطيع أن تغضى ، وأنت فى الدار الآخرة ، عما  
 شجر بيننا بسبب هذه العدة المشثومة ؟ لعنتها الآلهة  
 من عدة كُتبت فوقها صحيفة موتك ، فخرنا فيك  
 أشجع فرساننا وأعظم مقاتلنا ! إنا ما نفتأ نبكيك  
 ونشكو رزاًنا فيك ، ونعد قدك كفقداً أخيل  
 نفسه ؛ ولكن لا تترب على أحد قط ، فجوت ،

(١) شجر كان يزرعه اليونانيون على قبور موتاهم  
 ذكره الفيروبادى .

(٢) أم أخيل وهو إحدى عرائس اللا .

عيونها وتدأب في عواء وزئير وتقاثل ونهش، صنعة معجزة لم يقدر على مثلها أحد من قبل ولا من بعد... وما كاد يتبينني حتى عرفني، وظل يقلب في عينيه السادرين، ثم قال لي: «آه يا ابن ليرتيس النبيل ذا المجد ما أنعستك!! ما أظنك إلا معنياً ببعض المجازفات التي كنت أشغف بها في حياتكم الدنيا... ها أنت ترائي هنا، في ظلمات هيدز، عبداً رقيقاً لاله أحقر مني شأنًا وأقل قدراً، لأنني وأنا ابن جوف الأعظم، قد كتب علي أن أشقى هنا لأرسل آلام الحياة ولأواها... أنصدق أنه يأمرني أحياناً أن أسوق كلبه، مع ماني هذا الأمر من سخرية وتحقير؟ ولكني لن أنسى أني جذبته من مملكته هيدز إلى نور الحياة الدنيا بمساعدة أخى هرمز، وبمعونة مبنرقا ذات العينين اللازورديتين»

ثم هام على وجهه في ظلمات مملكة بلوتو... ثم تلبثت أنا مكاني راجياً أن ألقى غير من لقيت من أرواح الأبطال الذين عرفتهم في الدار الأولى، أولئك العطاء ذوي العزة والمجد... وكم وددت أن أرى بيرشوس وثيدوس سليلي الآلهة... بيد أن جوع الموتى الحاشدة التي أقبلت تصرخ قذفت الزعب في قلبي. وخفت أكثر أن ترسل برسفونيه ملكة هيدز، رأس الجرجون من ظلمات هيدز فتفعل بي الأفاميل... فأثرت أن أسرع إلى مركبي، وأمرت الملاحين فأقلعوا، وجلسوا على الظهر، وحملنا تيار سريع عبر البحر المحيط بعد أن أعملنا المجاذيف وقتاً غير طويل.

«يتبع»

دريتي خشيبة

ذقته، والوج يضرب وجهه ويسمعه، وهو مع ذلك يلهث من الظلمة، لا يجد ما يبل به غلته، أو يطفىء جوارحه وصداه! فهو إن حتى رأسه غمره الحلم، وإذا رفع جسمه كزّت الأرض على قدميه بأمر ربها، فهو في عذاب مقيم... والله أشجار الفاكية دانية قلوبها فوق رأسه، من رمان حلو وتقاخ عطري، وتين معسول وزيتون، كلما اشتهى أن يقطف ثمرة وكاد، هبت الرياح عاتية فذهبت النصوص عالية في السحاب... ثم رأيت سيفسوس ذا الأنياب يضني ويشقي ويتعذب؛ يدفع أمامه حجراً جلوداً عظيماً فيجعله في رأس جبل، حتى إذا انتهى إليه فاضت الأرض من تحته بقوة خفية فكانت برثاً عميقة، فيهوى الحجر من عل، فيعود السكين إلى نصيبه عوداً... على بدء، ويتحدر عرقه على جسمه العظيم، ويتبخر من رأسه كل ما ينقذ من بركان... ثم شهدت هرقل الحديدي القوى الجبار... شبحة فقط، لأنه هو قد منح بركة الآلهة وخلودها، فهو أبداً يحضر ولأعما في شفاف الأوبل... شهادته يحضن ابنة جوف الجميلة الفتان، هيب، ذات القدمين الناصعتين، والفتلين الذهبيتين؛ رأيته وأشباح الموتى ترف من حوله صافات كالطير، ثم يقبضن... وراعى أن أراه عابساً كالخا كقطة من الظلام، وقد حملني بينيه في الأرض وفي يديه قوسه وسهامه يوشك أن يرميها، وعلى وسطه حزامه الرائع المموه بالذهب، وقد نقش عليه صور مئات من الدببة والدؤبان والسباع، ينقح الشرر من

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المهدي عمارة محمد رقم ٧)





صاحب المجلة ومديرها  
ورئيس تحريرها المسئول  
احمد حسن الزيات

برل الاشتراك عن مئة

٣٠ في مصر والسودان  
٥٠ في الممالك الأخرى  
١ ثمن العدد الواحد

الادارة

شارع عبد العزيز رقم ٣٦  
العتبة الخضراء - القاهرة  
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

# السرور

مجلة أسبوعية للقصص والروايات

نصدر مؤقلاً في أول كل شهر وفي نصف

العدد الخامس عشر ٢٥ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٦ - ١ سبتمبر سنة ١٩٣٧ السنة الأولى



## فهرس العدد

صفحة	
٩٠٦	نهر ممز باكتيد ... للكاتب الانجليزى ساكى ... بقلم الأستاذ عبد الحميد حدى .
٩١٠	الحيز والزيون ... لأحد كتاب الأتراك النوانغ .. بقلم الأديب عبد اللطيف أحمد .
٩٢٦	فديريكو ... للكاتب الفرنسى بروسبير ميريه . بقلم الدكتور حسن صادق .
٩٣٣	كرد على ... للقصص الروسى بوشكين ... بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار .
٩٣٧	عودة الروح ... للكاتب الفرنسى تيودور دى باغيل . بقلم السيد محمد الغزاوى .
٩٤١	أجلالين وسيلزيت ... رواية تخيلية لوريس ماترنك ... بقلم الدكتور محمد غلاب .
٩٥٣	اعترافات فى مصر ... لألفريد دى موسيه ... بقلم الأستاذ فليكس فارس .
٩٦٠	الأوذنية ... هوميروس ... بقلم الأستاذ دويق خفية .

# الرسالة

مجلة لجمعية الثقافة والفنون

مجلة الآداب الرفيعة والثقافة العالية

تصل الماضي بالحاضر وتربط الشرق بالغرب

على هدى وبصيرة

الرسالة : تعبر باخلاص عن روح النهضة المصرية

الرسالة : تجمع على وحدة الثقافة أبناء البلاد العربية

الرسالة : تصور مظاهر العمق لامة العربية

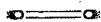
الرسالة : تستجل ظواهر التجديد في الآداب العربية

الرسالة : تحيي في النشء أساليب البلاغة العربية



مجموعة أعدادها ديوان العرب المشترك ، وكتاب الشرق

الجديد . وسجل الأدب الحديث . ودائرة معارف عامة



الاشتراك الداخلي ستون قرشاً ، والخارجي ما يساوي جنبها مصرى ، وللبلاد العربية بخم ٢٠ ٪

لناية ظاهرها تكريم لونا  
بمرتون ، وباطنها أن يرى  
المدعون جلد النمر الذي  
اصطاده يغطي القسم  
الأكبر من أرض الغرفة ،  
وأن يستغرق حديث هذا  
الصيد كل الوقت الذي  
يقضيه الضيوف في هذه

# مَرْمَسِيْنُ بِاَكْلَتِيْدَ

للكاتب الانجليزى ساك  
بقلم الأستاذ عبد الحميد حمدي

الوليمة . كذلك رسمت في رأسها صورة الشبك المصنوع  
من غلب النمر الذي تقدمه هدية لونا بمرتون في  
عيد ميلادها المقبل . وكانت مسز باكلتيد امرأة  
شاذة في عالم مفروض فيه أنه واقع تحت تأثير الجوع  
والحب ، فكانت تتأثر — إلى مدى بعيد — في  
أغراضها وحركاتها بكرهها لونا بمرتون .

وساعدت الظروف مسز باكلتيد ، فقد  
عرضت أن تدفع ألف روية لمن يهيئ لها فرصة  
اصطياد نمر دون التعرض لخطر جدى ودون بذل  
مجهود شاق . وقد اتفق أنب إحدى القرى  
الجاورة كان في مقدورها أن تفخر بأنها اللاتي  
الحبب إلى وحش محترم الأصل اضطره ضعف  
الشيخوخة أن ينصرف عن تحصيل قوته باقتراض  
حيوانات الغاب ، وأن يعود معدته القناعة  
بالحيوانات الصغيرة الأليفة . فركت الألف روية  
الموعود بها غرزة القرويين الرياضية التجارية ،  
فرابطوا ليل نهار على الحدود الخارجية للغابة  
المحلية ليقنوا النمر داخل هذه الحدود ويحولوا  
بينه وبين الخروج منها سعيًا وراء ميدان جديد

كان من أقوى بواعث السرور إلى مسز باكلتيد  
ومن أشهى أمانها أن تصطاد نمرًا ، لا لأن شهوة  
القتل قد استولت فجأة على نفسها ، ولا لأنها  
شعرت بأنها تترك الهند — عند مغادرتها إيها —  
آمن وأهنا مقامًا مما وجدتها عند قدومها إليها  
إذا هي أقصت من عدد وحوشها الضارية بنسبة  
جزء من وحش إلى مليون من السكان ؛ إنما نشأت  
هذه الرغبة للفاجئة اللحة في اقتفاء خطوات ذلك  
الوحش النمرود على أثر ما سمعته عن لونا بمرتون  
التي ركبت منذ عهد قريب طيارة مع أحد الطيارين  
الجزائريين قطعت بها في الجو أحد عشر ميلا ،  
ولم يكن لونا من حديث غير حديث هذه الرحلة  
الجوية الجريئة . وهذا حادث لم يكن لمسز باكلتيد  
بد من أن تكشفه بمحدث من جانبها أشد منه جرأة  
وأدعى إلى الإعجاب بأن تصطاد نمرًا تحمل جلده معها  
عند عودتها ، وبأن تنشر الصحف مجموعة من صورها  
الفوتوغرافية مناسبة هذا الحادث العظيم

ورسمت مسز باكلتيد في رأسها بالفعل صورة  
لمأدبة غداء تأديها في بيتها بشارع كرزون استريت

وقد أجابها مسز باكيتيد :

« كلام فارغ ! فهذا النمر عجوز جداً ولن يستطيع أن يشب إلينا هنا حتى لو أراد ذلك » .

فقال صاحبها :

إذا كان نمرأ عجوزاً فمن رأي أن تحصيل عليه بأرخص من هذا الثمن ، فإن الألف روية مبلغ كبير » .

وكانت مس لوزا ميين متطبعة بطبع أخت لها كبرى شديدة الحرص فيما يتصل بمسائل المال على

العموم دون نظر إلى الجنسية والدين . وكان تدخلها المستمر سبباً في اقتصاد عدد كبير من الرويات

فلا تبذر « بقشيشاً » في بعض فنادق موسكو ، كما كانت الفرنكات والسنتيمات تلتصق بأيديها التصاقاً

طبيعياً في ظروف من شأنها أن تنزعها دون تعب من أيد أقل من أيديها شفقة . وقطع عليها ملاحظتها

على الثمن الذي تشتري به جثة النمر ووجوب تخفيض هذا الثمن ظهور النمر نفسه على المسرح ... على

أن ذلك الحيوان الشيخ المحترم لم يكذب قطرة على الشاة المعتقلة حتى انبطح على الأرض هادئاً ،

لا رغبة في أن يحاط على إخفاء نفسه عن نظرها ، حتى لا تهرب منه ، ولكن حرصاً على أن يرتاح

قليلاً قبل أن يبدأ حملته الهائلة على فريسته

فقال لوزا ميين في صوت عال باللغة الهندوستانية لتسمع رئيس القرية الذي كان غشياً على شجرة

بجواره :

« إنى أعتقد أنه مريض »

فقال مسز باكيتيد :

للصيد . وأخذوا يتركون الأنواع الرخيصة من النعم مهملة عن عمد في دائرة تجوله ليقنع بالبقاء في

حدود هذه الدائرة . وكان أخوف ما يخافونه أن يموت ذلك الوحش بمرض الشيخوخة قبل حلول

الأجل الذي حدده مسز باكيتيد لاصطياده . وكانت النسوة وهن عائدات من أعمالهن في الحقول

يحملن أطفالهن على سواعدهن يكتمن غنائم إذا مررن بالغابة حتى لا يقطع على سارق النعم المحترم

نومه الهادئ المريح .

وأقبلت الليلة التي جعلت أجلاً للصيد . وكانت ليلة مقمرة صافية ، وكان القرويون قد أعدوا

مصطبة مريحة فوق إحدى الأشجار القائمة في نقطة تناسب عملية الصيد ، وعلى هذه المصطبة قمت

مسز باكيتيد ورفيقها المأجورة مس ميين ، وكان القرويون قد عقولوا في المكان المناسب شاة وهبتها

الطبيعة القدرة على الثناء الذي لا ينقطع حتى لو أن نمرأ كان نصف أصم لسمعها دون شك في الليلة

الهائلة . وانتظرت المرأة الرياضية صابرة صبر الكرام مجيء الصيد المشتهي ، وكانت مژودة ببنديقة مجهزة

أدق تجهيز لإصابة المرمى ، كما كانت تحمل معها رزمة من ورق اللعب لقطع الوقت في غير ملل .

وقالت مس ميين :

« أحسبنا معرضتين لشيء من الخطر ؟ »

ولم تكن مس ميين في الواقع قلقة من ناحية الوحش المفترس ، ولكنها كانت ذات طبيعة تأني

أن تؤدي ذرة من العمل فوق القدر الذي أجرت على أدائه .

« ضه ! »

وفي اللحظة نفسها أخذ النمر يسير متخطراً إلى  
فريسته .

فقال مس ميين في شيء من اللغة :

« إذا النمر لم يمس الشاة فليس ما يدعوننا إلى  
أن ندفع عنها . . . »

وكان لهذه الشاة المدة طمعا للنمر ثمن خاص

وهنا دوى في الجوصوت الطلق الناري مسبوقا  
بوميض خاطف للأبصار ، فوثب الوحش الكبير  
مائلاً على أحد جنبه ورقد ساكناً سكون الموت .  
فلم تمض لحظة حتى احتشد حول الفريسة عدد  
كبير من الأهالي التلهفين ، ولم يلبث صياحهم أن حمل  
الخبر السار إلى القرية ، فدفقت الطبول دقة النصر .

وكان لهليل النصر وأغانى الابتهاج صداها الجليل في  
قلب مسز باكتيد . وبدأ لها في الحال أن وليمة الغداء  
في شارع كرزون استربت ستكون أقرب مما قدرت

وكانت لويزا ميين هي التي لفتت الأنظار إلى  
أن الشاة المسكنة تمنى الآلام الموت من أثر إصابها

بطلق ناري بينما لا يوجد في جسم النمر أي أثر  
للمصاصات التي أطلقت من بندقية الصيد الماهرة .

فكان من الواضح أن الطلق الناري قد أصاب  
الحيوان غير المقصود ، وأن الوحش الضاري قد مات  
بهبوط القلب من أثر صوت الطلق المفاجئ ، وقد  
ساعد على ذلك انحلال الشيوخوخة . وقد ارتفعت  
مسز باكتيد ارتياحاً ظاهراً من كشف هذه الحقيقة  
ولكنها على كل حال قد أصبحت مالمكة ترميتاً ، أما  
القرويون الذين كان لعابهم يسيل على الألف روية

فلم يروا بأساً في أن يتفاوضوا عن خرافة اصطلياد  
الوحش . وأما مس ميين فكانت رفيقة مأجورة .  
وعلى ذلك واجهت مسز باكتيد آلات التصوير  
طروية القلب ، وطار صيتها المصور من صفحات  
جريدة « تكساس وسكلي استابشت » إلى ملحوظ  
يوم الاثنين المصور لجريدة « نوفوى فريميا »

أما فيما يتصل بلونا بمبرتون فقد بقيت عدة  
أسابيع آتية النظر إلى أية صحيفة مصورة . وكان  
الخطاب الذي بعث به إلى مسز باكتيد تشكر لها فيه  
إهداءها إليها مشبكاً من غلب النمر مثلاً للانفعالات  
الكتومة ، وقد رفضت في الوقت نفسه حضور  
وليمة الغداء ، فإن هناك حدوداً إذا تخطتها الانفعالات  
الكتومة كان ذلك هو الخطر المحقق

واتقل جلد النمر من شارع كرزون استربت  
إلى « مانور هاوس » حيث فحسه رجال البلدية  
فحصاً قانونياً وأعجبوا به إعجاباً شديداً . ولقد كان  
من عوامل الزهو في نفس مسز باكتيد ذهابها إلى  
حفلة تنكرية في مرقص البلدية في لباس ديانا  
إلهة الصيد . ولقد أبت مع ذلك أن تبيل إلى اقتراح  
كلوفيس المغري عند ما اقترح إقامة مرقص على  
طراز العصور القديمة يلبس فيها الراقصون جلود  
الحيوانات التي اصطادوها حديثاً . ولقد قال  
كلوفيس عندئذ :

« وسأكون في هذه الحال كالطفل الرضيع  
لا أجد ما ألبسه غير جلد أرنب أو أرنبين »  
ثم قال وهو ينظر إلى تقاسيم وجه ديانا نظرة  
خبيثة :

وقد حكم الجميع بأن لوزا قد أبدعت الابداع  
كله في اعداد دارها وتجميلها .

وقررت مسز باكتيد ألا تقامر في رياضة الصيد  
مرة أخرى

وكانت تحبب أصدقاءها إذا سألوها عن السبب  
في ذلك الاحجام بقولها :

« لأن الصيد يتطلب أكلافًا عريضة باهظة ! »

عبد الحميد حمري

« وإن قواى لي شبه قوام ذلك الطفل الروسى  
الراقص »

وبعد أيام قليلة من ليلة الرقص قالت لوزا مين  
تخاطب مسز باكتيد :

« ما أبلغها فكاهاه أن يعرف الجميع حقيقة  
ما حدث ! »

فسألها مسز باكتيد بسرعة :

« ماذا تقصدين بذلك ؟ »

فاجابت مس مين وهي تبسم ابتسامتها المضرة :

« أقصد لو عرفوا كيف أصبت الشاء خطأ  
وأمت النمر خوفًا »

فكانت مسز باكتيد ، وقد تقلبت الألوان على  
وجهها في سرعة مذهشة :

« لن يصدق إنسان ذلك القول »

فكانت مس مين :

« ولكن لونا يجبرون تصدقه في غير تردد »  
فاخضر وجه مسز باكتيد اخضراراً غريباً  
وقالت :

« أظننى على يقين أنك لن تخوينى ؟ »

فأجابت مس مين في لهجة ذات معنى :

« لقد رأيت على مقربة من دور كنج داراً  
خالية لقضاء نهاية الأسبوع وإنى لأحب أن أبتاعها،  
ولكنهم يطلبون ثمنًا خالصًا لها ستائة وثمانين جنيهًا  
وهو مبلغ مناسب لقيمة الدار ولكنى لا أملكه »

وأصبح الأصدقاء جميعًا معجبين بالدار الجميلة  
التي أطلقت عليها مس مين اسم « الأمواج » وهي  
دار صيفية جميلة تحيط بها حديقة غناء تحوى مجموعة  
من الأزهار البديعة .

## في أصول الأدب

لأستاذ احمد حسن الزيات

كتاب جديد فريد في نوعه . يشتمل على أبحاث

تحليلية طريفة في الأدب العربى وتاريخه . منها

تاريخ الأدب وحظ العرب منه . العوامل المؤثرة

في الأدب . أثر الحضارة العربية في العلم والعالم

تاريخ حياة ألف ليلة وليلة وهو أوفى بحث كتب

في هذا الموضوع إلى اليوم . ثم قواعد تفصيلية

للرواية التحليلية الخ الخ . . .

يطلب من إدارة مجلة الرسالة

وثمنه ١٢ قرشا

# الحبزو النبتون

لؤم كتاب لؤم الزايع  
بقلم عبد اللطيف أحمد

- من النادى؟
- أنا يا صابرة .
- فمن أنت ؟
- أنا ناجية

وقبضت صابرة  
على قفازيها براحتها  
وأخذت تمصرهما من  
فوط الحيرة ، ثم  
اتجهت نحو النافذة

منغلة وكررت سائلة :

- أية ناجية تمنين ؟
- بنت سعيد أفندي
- فمن سعيد أفندي هذا ؟
- صراف البندر
- ماذا تقولين ؟
- أجل . أجل . أنا هي

وقفت صابرة بهمة وعينها شاخصتان ، ثم  
أخذت تبحث في تلك الغرفة الأرضية وفي الجراب  
البادى عليها . كان زجاج النوافذ محطاً قد ألصق  
في مكانه أوراق الجرائد ، وكان كل شيء في هذه  
الغرفة يبنى بحقارته عن شظف عيش هذه الشابة

التي عصف الزمن بها

قالت صابرة :

- قولى ربك ماذا تصنعين هنا ؟
- لاشئ
- ما معنى لاشئ ؟
- هذه دارنا
- أتقولين إن هذه داركم ؟
- نعم

كانت فتاة ممشوقة القوام ، عليها ملابس رثة  
باهتة اللون ، وكان شعر رأسها الغزير الجعد مرسلًا  
على كتفها المرمرتين ، فكان الناظر إليها لا يشك في  
أنه يرى المثال التام للفقر والجمال

أطلت من نافذة خدعها العتيق المظلم وهي ساجحة  
في بحر لجي من الأفكار ، وكانت في استغراقها  
وذو لها أشبه بشخص محكوم عليه بالاعدام ينتظر  
جلاده . هتفت هذه الشابة بنته صائحة : يا رباه ! . .  
ولم تلبث أن استجمعت نفسها بسرعة اهتزت لها  
ركبتاها ونهضت واقفة ، ثم أطلت متدلية من النافذة  
وجعلت تنادى :

صابرة ! صابرة !

وما كاد يسمع رنين صوتها حتى وقفت سيدتان  
أنيقتان كأنتا تسيران وأخذت إحداها —  
وهي التي كانت أكثر رشاقة وأطول قدًا —  
تبحث عن مصدر النداء مستغرقة حائرة ؛ ثم  
شخصت بصرها نحو النافذة وقد قطبت حاجبيها  
الأسودين ، وضربت بقفازيها نخذهما التي كانت  
تبدو شبه عارية كسائر تقاطيع جسمها تحت إزارها  
الراهي الشفاف ، ثم سألت :

أجالت صابرة عنها حول الزدهة ، فرأت  
الجديران قد سقط بعض لبناتها ، والسقف قد  
تصدعت أركانها ؛ ثم أدارت وجهها وحدقت في  
ناجية طويلا ، وقالت لصاحبها التي كانت بجانبها :  
— جمال رائع ! أليس كذلك ؟

فأجابت الأخرى بشئ من التكاف :  
— بلى ، هي مثل أعلى للجبال

وكانت صاحبها هذه لا تزيد على صابرة في السن  
إلا شيئا يسيرا ؛ على أنها كانت آنق من صاحبها  
وأكثر تعاطفا ، وكان يسدو على وجهها الشديد  
البياض غرور الجواكسة بأجلى معانيه . وقت  
تنظر من عتبة الزدهة ولم تدخلها كأنها كانت تشعر  
بنغضاضة تمس كبرياءها إذا هي دخلت داراً كهذه  
متهمة حقيرة ...

قالت صابرة بصوت يدل نبرانه على أثر الشفقة  
التي أخذتها على ناجية :

— وأأسفاه عليك يا ناجية ! واحسرتاه !  
أبلت الحال بك إلى هذه الغاية ؟ أين أمك ؟

— ماتت .

— فأبوك ؟

— توفي .

— فأخوك ؟

— لحق بهما .

— وأنت ماذا تصنعين هنا ؟

— هنا دار زوجي .

— تقولين دار زوجك ؟

فاستولى على صابرة وعلى رفيقها الدهش ، وما  
لبثا أن تبادلوا النظر واستغرقتا في الضحك كأنهما  
كانتا تستعلمان إلى مزاح مثير للضحك  
ثم قالت صابرة :

— ناجية ، أيها اللعوب ، الكذوب ، هلا  
فتحت الباب لأرى ؟ فاني لأبث أن أستجلى دواعي  
وجودك هنا ..

ثم تقدمت إلى عتبة ذلك الباب المهدم المشوه  
بما رسم عليه أطفال الحي من صور الطيور  
والحيوانات المختلفة ، فتخطتها بخطوات عجي  
كانت صابرة وناجية صديقتين أيام الطفولة ،  
ولكن ما كادت الحرب تنتهي بالهزيمة حتى أخذ  
أبواهما - وكان أحدهما قاضيا للبندر والآخر صرافا -  
طريق الحرب ، وضلت كل من الأسرتين سبيل الأخرى  
ومضت أعوام ثمانية لم تتقابل الصديقتان في أثنائها  
إلا بهذه المصادفة .

دخلت صابرة الزدهة ، وما إن رأت ماعلى  
صديقتها من الأطوار المزقة حتى صرخت تقول :

— ماذا أرى ..؟؟ أعضكت كلب عقور يا ناجية ؟

وكانت ناجية تنظر إلى صديقتها وإلى مئزرها  
الأتنيق وإلى خاتما الذهبي بقصه الزرجدى الكبير ،

ثم ندير بصرها إلى يدها الأخرى فتراها ممسكة  
بحافظة تقودها الفاخرة ذات القبض الذهبي . ولم

تلبث أن شملها الخجل لما هي عليه ، ثم حركت شففتها  
لتجيب على سؤال صديقتها ، فاستطاعت أن تقول

بعد الجهد :

— إنه الفقير يا عزيزتى ...



— نعم . . .

— وما صناعة زوجك هذا ؟

كان بناءً ولكنه الآن هو جندي في فرقة العمال ،  
هنا في المدينة .

سكنت النسوة الثلاث ملياً . وكانت الشابة  
الباسية تجلس من دعوة هاتين الأنيقتين إلى الجلسوس  
في غرفتها ، ولكن صابرة تظاهرت بالتواضع الذي  
كان الصلف يطل من وراءه ، وقالت وهي تضحك  
على غرار الفتيات المترفات :

— لهفي عليك يا ناجية ! هلم نجلس ولتحدث  
قليلاً .

ثم التفتت إلى صاحبها وقالت :

— ها أنت ذي ترين هذه الشابة ، رأيت قط  
امراة يحاكى جمالها هذا الجمال ؟ برك تكلمي ،  
انظري إلى هذا الشعر الفاحم ، وهذا التجعد  
الطبيعي الذي لا أثر للصنعة فيه . . . آليت عليك  
إلا أنعمت النظر . . .

كانت صاحبها المتواضعة تتظاهر بالاعجاب  
التكلف ، فتبتسم تارة وتضحك أخرى ، وتقول :

— ماذا تريد أن أقول في وجهه سلب  
الشمس ضياءها وجمالها ؟

مرتا بالردهة الضيقة القذرة المظلمة ، ودخلتا  
الغرفة وشاهدتا فيها مدى البؤس الخيم عليها فظلتا  
جانبتين كالجليد ، لفرط ما ألم بهما من الدهشة ،  
ولم تكونا تستطعا أن يجلسا إذ لم تجدأ مكاناً للجلوس ،  
فازدادت ناجية ارتباكاً وخجلاً ووقفت منكسة  
الرأس كثيرة الاطراق . . .

كان في أحد أركان الغرفة فراش عتيق ممزق ،  
وإلى جانة صندوق قذر عليه جرة ماء كبيرة ، يلها  
صحن مليء بالزيتون ، وكانت إلى جانب النافذة التي  
لا ستار عليها خشبة مرتفعة عن الأرض باللين  
الذي وضع تحتها من الجانبين فبدت كأنها مقعد  
للجلوس .

قالت ناجية وهي تشير إلى هذه الخشبة  
— اجلسا عليها فأنها نظيفة .

وجلست السيدتان وأخذت صابرة تحدث  
صديقة طفولتها وراحت الأخرى تجيل نظرها في  
الغرفة المصدعة الأركان وما عليها من مظاهر البؤس  
قالت صابرة :

— تعالى إلى جانبنا .

جلست ناجية بجانبها على تلك الخشبة .

— ما هذا ؟ ماذا جرى لك يا ناجية حتى بليت  
هذه الحال ؟  
— هو كما ترين .

ثم أخذت تسرد حكايتها : كان أبوها قد مرض  
أثناء المهاجرة ولم يكده يمضي على وصوله إلى الأستانة  
شهر واحد حتى قضى نحبه ، فاستأجرت أمها غرفة  
في ( اسكندار ) فأوتا إليها فترة من الزمن هادئتين  
معلمتتين . ولكن المرض لم يلبث أن اهتدى إلى  
تلك الغرفة وأبت ذات الرئة إلا أن لا تحتطف  
أما منها . ولما أصبخت وحيدة لا عائل لها ولا  
موئل أشقت عليها ربة الدار الأرملة فسعت إلى  
رجل أعزب . تعرفه فزوجها منه فلم يجد  
فيه ما يسيئها ؛ وقد مضى على زواجها منه أربع

— أين الآن أبوك يا صابرة ؟  
فأجابت : — إنه في إحدى مدن الأناضول  
لا أعرفها بالذات ...  
— فألم ؟  
— معه .  
نظرت ناجية في عيني صابرة نظرة عميقة ثم  
عن شعور يعجز عن وصفه القلم وقالت :  
— فأنت ؟  
— أنساين عني ؟ إن قصتي طويلة . كنت  
أقترنت بضابط في الجيش ثم افترقتا .  
— والآن مع من تقيمين ؟  
— مع ذوي قرابي .  
لكن ناجية لم تكن تعلم أن لصابرة في مدينة  
استانبول ذوى قرابة أثرياء . ولم تبحث صابرة قط  
ولا أهلها قبل المهاجرة عن مثل هؤلاء الأقرباء .  
سكنت ناجية رغبة منها عن توجيه أسئلة أخرى  
إلى رفيقتها . أما هما فكانتا ترنوان اليها متحمستين  
ماخوذتين ، وكانت تمتد بين آونة وأخرى يد إحداها  
تعبث بشعرها الفاحم الأنيث وترت على كتفها  
وتدلكها . ولم تستطع صابرة أن تملك نفسها عن الميل  
على عنقها الجميل البض تلثمه مرة إثر أخرى ، وناجية  
حائرة واجمة من فرط الخجل . وظلت المرأتان تغلفان  
في العتب على الحظ وقسوته والسخط عليه ، إذ أخنى  
على صاحبة هذا النحر الجميل ، والقد الرشيق ؛  
وأخذتا تذكران من عرفتا من النساء الدميات  
اللائي قدر لهن أن يسعدن بالغي وينعمن بالرفاهية .  
قالت صابرة لصاحبتها :

(٢)

سنتين ، والرجل طيب وديع إلا أنه شديد الفقر .  
كان يكسب قبل الحرب ريالاً من عمله ، ولما جندته  
الحكومة خصصت لها في الشهر ثلاثين قرشاً ، وهو  
يحصل على إجازة مرة أو مرتين في الأسبوع ؛ وربما  
حمل إليها في هذه الأثناء آنية ملأى بالحساء ، وختمت  
حديثها بالشكر لله على ما أفاض عليها من فضله ...  
عندئذ لم تبالك صابرة نفسها من الغيظ وصرخت في  
وجهها قائلة :  
— آحمدن الله على هذه المخطوب وأنت  
ترزحين تحت عبئها ؟  
— نعم وأشكر فضله .  
— ما كنت أحسب أنك بلهاء إلى هذا الحد !  
إنك تأكلين الخبز قفاراً فاذا وافاك الحظ بمجى  
زيتون حمدت الله على هذا وشكرت فضله ! ثم التفتت  
بفتة إلى رفيقتها وقالت :  
— ها أنت ذى تشاهدين يا منيرة : كم لله من  
عباد أصفياء ، وعلى الأصح من مخلوقات أغبياء . ثم  
أخذتا تتأملان في ناجية طويلةا بعيون تشف عن  
شدة الريب . كيف احتمل هذا الجسم الغض الجميل  
هذا العناء والبؤس والجوع ولم ترل فيه هذه  
النضارة الرائعة ؟ وكيف لم تحطم خطوط الزمن كيانه  
وقد انصب عليه من ويلاته ما لا يقوى على احتماله  
أحد من الناس مهما كان قوياً . فأنهما ومعظم  
الفتيات المترفات يأكلن من الأطعمة أشباهها  
ويشربن من الأشرطة أسوغها ، وبرغم هذا كله يسلمن  
من فقر الدم ...  
سألت ناجية متلجلجة خجلة :

كيف ؟ كيف هذا ؟ ...

— إن زوجي يحاول جهده أن يأتي في كل أسبوع بنصف أقة من الزيتون ، وأنا الأخرى أقتصد ما وسعني الاقتصاد .

لم يبدد صدق حديثها ما خسر صابرة وصاحبها من الشك . إذ كيف تصوران وهما تبصران خادماتهما بأنفن أن يأكلن الخبز إذا بات يوماً واحداً ، في حين أنهما تريان الخبز الأسود على الصندوق أمامهما وهو ما تأكل منه ناجية ، ولا ريب أنه قد أصبح على مر الأيام يابساً كالعظم .

هزت منيرة رأسها بمنمة ويسرة وابتسمت ابتسامة تشف عن حيرتها وقالت :

— إنما لدينا عجينة . وهل يستطيع الانسان أن يستسيغ مثل هذا الخبز ما كلاً ؟ أقسم بالله إنني أعطيت مرة خبزاً أجود من هذا لكلينا « بوبى » فأبى أن يأكله وكشر عن أنيابه وكاد أن يهجم علينا وأخذ يبيع بناحاً شديداً حتى ظننا أنه جن .

قالت صابرة وكانت تبدو شديدة التأثر :  
والله ما أنا بتاركتك هنا يا ناجية . هيا انهضي

— إلى أين ؟

— إنا ذاهبتان بك إلى دارنا .

— ماذا تقولين ؟ أيمكن هذا ؟

— ولم لا ؟

— أقبل أن أستاذن زوجي ؟

— دعى هذه البلاهة وهيا . أفتقوم القيامة لو أنك جئت معنا ولبت عندنا بضعة أيام ؟ ألا تستطيعين العودة إلى هنا مرة أخرى ؟ وهل

— إنك تعرفين زينب وعزيرة وبهيجة وخالدة وتذكرين كيف يتمتعن بالسرور والهناء في مجبوحة من العيش مع ما هن عليه من الدمامة والقبح .  
والآن انظري إلى ناجية هذه وما هي فيه من شظف العيش ، ثم احكمي إن طاوحتك نفسك بعدالة الطبيعة . ترين لو قدر أن يرى (فصبح بك) امرأة كصاحبنا هذه فإذا كان يصنع ؟ — كان لا يصدق عينيه — حقاً إنه ما كان يصدق عينيه .

التهب خذاً ناجية من فرط الخجل ، وشاع الحزن في وجهها ، واضطرب صدرها بشئ الآلام حينما تبينت بوضوح اللون الشاسع بين أهبه المائلتين أمام عينها في مطارف المز ، وبين مهانة البؤس الذي شملها في أطوار الليل .

سألت صابرة ناجية قائلة :

— اصدقيني الحديث يا ناجية ، هل أنت حقاً تستطيعين أن تعيشي بالمبلغ الزهيد الذي ذكرته لنا ، أعني الثلاثين قرشاً فقط ؟

— في العام الماضي كنت أخطط لبعض الجنود قصاصهم ، ولا أعلم لماذا انقطعوا هذا العام عن المجيء — يالك من بالسة ! ومع ذلك فاني لا أستطيع أن أطمئن إلى صدق حديثك .

عجيب هذا ولعمري الله ! كيف استطعت ولازلت تستطيعين أن تعيشي بهذا المبلغ اليسير التافه ؟  
— هي العادة التي ألقها بإصديقتي .

— نحن لم نستطع اليوم أن نشترى عصفوراً واحداً من السكاريا بثلاثين قرشاً في حين أنك تؤكدين أنك تزودين بمثل هذا المبلغ شهراً كاملاً !

شموراً بشكده طالعها ومندى هواها ، واستيقنت  
أن هوة الشقاء التي هوت إلى أغوارها أشد  
عمقاً مما كانت تحس به من قبل . وكانت  
كسافر خالى البال لا يشكو بأساً في سفره الفاسع  
ثم شعر بعمد الشقة بفتة ، وتبين أنه ذو أهوال  
ومخاطر . فهتف بها هاتف نفسى : « مالك ترفضين  
هذه الدعوة رفقا ، وتنفضين يديك من إجابتها  
نفضاً ؟ هلا قبلت الدعوة فأصبت من أطايب الطعام  
ونفاثه ؟ » اتابها حتى لا تقاوم ، ولكن هذه  
الحى مستكنة في أعماق النفس لا يقدر أن يشخصها  
الأطباء ولا المنتطسون ، وإنما يستطيع أن يستشفها  
ويعرف كنهها من استبد بهم الوؤس ورزحوا تحت  
وطأته أمدأ طويلاً . . وأخيراً قبلت ناجية الدعوة  
لليلة واحدة . . ولكن ما العمل ؟ وتذكرت  
أن ليس لديها إزار تأثر به فلم تجد بداً من  
الاعتراف بالواقع وقد اعترافا ارتباك وخجل ؟  
فحدقت الصديقتان إحداها في الأخرى حاريتين  
متساثلتين عن حل هذه العقدة . قالت صابرة :

— نأخذ ناجية ونذهب بها إلى (عزيرة)  
فنتستير منها لناجية أغفر ملايسها إذ هما لا تكادان  
تتفاوتان في القدر والقامة .  
أجابت الأخرى :

— أصبت ، وربما نأخذ تلك المجنونة معنا .  
قالت هذا ثم نهضت ، فهضت الأخرى على  
أثرها . ولكن ناجية لم تكن قد ذاق من الصباح  
حتى تلك اللحظة من الطعام شيئاً تسكن به سورة  
الجوع ، كأنها قد عافت ذلك الطعام الذى عندها

يعد خروجاً عن طاعة الزوج أن تأكل وتشرى  
بعض الشيء ، وأن تبدل الهواء ؟ ...

— بالها من جرأة ...

— أقول لك هيا وأقلى عن التردد .

كان عقل ناجية لا يستسيغ أن يهون لها مجرد  
الخروج من كنها دون إذن بعلها ، فكيف بما تشير  
به عليها صابرة وفيه ما فيه من خروج على العرف  
والثقائد ؟ وهل هذا في الامكان ؟ هاتان السيدتان  
أشققتا على ناجية ولا سيما بعد أن عرفتا حقيقة  
حالها وعلتا أن هذه الغرفة لم يدخلها طعام ساخن  
منذ أربع سنين ، فرغبتا في مواساتها وتهوين خطبها .  
وقد كان من حسن الاتفاق أن جاءت اليوم بالركبة  
من « قاضى كوي » وعرجتا على هذا الحى لتبحثا  
فيه عن طاهية بدل التى عندها ، لأنها شرسة  
الطباع ، ميالة إلى النزاع ؛ وأرادتا أن ترتبطا مع  
هذه قبل صرف الأولى والاستغناء عنها فلم تهديا  
إلى مسكنها .

دار الحديث حول الطعام وعددت منيرة  
ووصفت أصناف الطعام والحلوى التى أوصت  
بإعدادها ثم استطردت في الكلام حول المشروبات  
وأنواعها ، ولم تستطع ناجية أن تصدق أذنها حينما  
علت أن صديقة صباها وصاحبتها يحسنين كل  
ليلة من الشبانيا والويسكى ما يتراوح ثمنه بين  
الخمسة والعشرة جنيهات . ولما أخذتا تسهبان  
في حديث الطعام وأنواعه من المشويات والمقلبات  
والفظائر والحلوى خيل إليهما أن معدتها أخذت  
تنخدر ، وكانت كلاهما مهتبتا في الحديث ازدادت

أثناء سير المركبة حول الملاهي، والملابس، والأزياء المستحدثة، وناجية لانكاد تسمع الحوار لأن خيالها كان يشطبها عن الموضوع ويرغمها على الجلوس إلى جانب المائدة التخييلة...

وبينا المتحدثات تقطعان الطريق تارة في الحديث وأخرى في اجتلاء مشهد جمالها إذ لفت نظر السيدة منيرة ساعدا ناجية فتناولت ذراعها وقالت:

— هذه الذراع وهذه اليد لم ينلها التعب والنصب بسوء كأنهما تقسلان كل يوم باللبن. والحق أن وضاعة بشرة يديها وبضاضة ساعديها وبديع انسجام كل أولئك كان خليقاً أن يجلب ألباب الفنانين؛ على أنها ما كانت تقسل بدينها مساء إلا بالاء الذي تحمله من صنوبر الحى وتحتال ما أمكنها على تلافي نقصان الصابون الذى كانت لاتساعدوا حالها على كثرة استعماله.

أمرت صابرة الحوذى بالوقوف أمام دار عظيمة فى زقاق أكثر دوره عتيقة مهتمة، وكانت هذه الدار بينها كأمير ضل سبيله فاضطرته ظروفه الملحة أن يزل ضعيفاً على الصماليك.

سألت صابرة الخادم التى فتحت الباب:

— هل سيدتك بالدار ياماريكة؟

— نعم.

— هيا اصعدى إليها وأخبريها بقدمونا

— تقضى، تقضى

فدخلن الردهة فأخذت الخادم تمدو أمامهن، وبيناهن يصعدن السلم، إذ استقبلتهن امرأة يجيل

وتقرزت منه. ألم يكفها أنها داومت عليه أربعة أعوام؟ هذا إلى أنها الآن قد اتسع خيالها من حديث هاتين المرأتين حول الشواء، والفظير، والحلوى، ولم تجد هذه البائسة، من تلك الفكرة الحمية على خيالها متسماً حتى تفكر فى هذه الضيفة التى أتت دارها بغتة وتساءل كيف أصبحت ثرية. وكانت فكرة الطعام شغلت من ذهنها حيزاً كبيراً إذ صارت تتخيل أنها على كשב من مائدة من فضة نضدت عليها أطباق ذهبية، احتوت كل ما تلفت عليه شهيتها وتحلب له ريقها من كل ما لاد وطاب من ألوان الطعام؛ وأثر خيالها على حواسها بحيث كان يخيل إليها أنه لم يكن بينها وبين تلك الأطايب إلا أن تمد يدها فتناول منها. وبينما هى على هذه الحال إذ نهضت صاحباتها، فاستوت هى الأخرى قائمة واندفعت بتأثير الفرح المبهم الذى استولى عليها نحو الفرش فأخرجت من ثناياها مژراً أسود مرصقاً بلسته وهى تحاول عبثاً إخفاء خجلها، لأن صابرة كانت ترنو إليها وتلفت إلى صديقتهما وتقول:

— بربك تأمل! ألا يخيل لرائيها رغم أنهاها أنها مليكة ذات تاج؟

خرجن من الدار وغادرنها وهن يسرن الخطأ، ولم يكدن يصلن إلى أول الشارع حتى زكن مركبة كانت تنتظر هنالك، وقالت صابرة للحوذى عند ركوبها:

— اذهب بنا إلى «دوغا نجيل»

وجلست ناجية أمام الآخرين ودار الحديث

إلى من يراها لأول مرة أن بها مساً من الجن .  
وقالت وهي تفهقه :

— أية ربح عصفت فألقت بكن إلى هنا ؛ ومن  
أين يا عديمات الوفاء ؟

ثم فتحت ذراعها واحتضنت منيرة أولاً وثنت  
بصابرة قبلتها

— احزرى من أين ؟

— أئى لى أن أعلم ؟ فهل تظن الليلة هنا ؟

— لا

كانت هذه المرأة مفرطة فى تجميل وجهها ،  
وعلى رغم تقدمها فى السن كانت بادية الجمال  
حدقت فى ناجية ثم طبقت عيناها النجلالوين  
المسكنتين وفتحتهما وقالت :

— من تكون هذه الغافية المتشكرة ؟

— هي ليست متشكرة ، إنما هذه ملايها

— لا تمزح

— نحن لا نمزح . ولقد جئنا لناخذ لها من  
عندك ثياباً ومثراً وحذاء ، فهي الليلة ضيفتنا

— تكذبان ، وأقسم أنكما تكذبان

— بل نحن نقسم أنا نقول حقاً

وكانت المرأة ترنو إلى ناجية وقد علا خدما  
الاحمرار ، ولم تستطع أن تقنع نفسها بصحة حديثها  
ثم قالت على غرار الرجال ، وقد رفعت عقيرتها .

— ما أروع هذا الجمال ! ..

فما لبث أن التفتن إليها جميعاً وحدقن فيها .  
فكانت منيرة :

— دعوها تلبس مآدق ورق من حر الملايس ،

وماراق وفاق من الخلل والنفاث ، وعندئذ تبصران  
كيف تكون الروعة

فأخذها النسوة الثلاث إلى حجرة اللباس  
وجعلن يخلعن عنها ثيابها المهلهلة . ولما جردتها من  
ثيابها وأبصرنها عارية اعترتهن دهشة . وطفقت ربه  
الدار تضرب نغزها بيدها وتقول :

— رباه ! ليتنى كنت رجلاً ...

ألبسها غلالة رقيقة من الحرر الأبيض الثمين ،  
ولما أخذت يلبسها الجورب وشاهدن ما تقدمها  
وساقها من الانسجام ولبشرتها من الوضاعة لم  
يستطعن أن يكبحن أنفسهن عن التصايح بالإعجاب  
والإكبار . رجّلن شعرها الفاحم الجميل ورتبته .  
ولم يكدن يتنهين حتى أجلسنها على كرسى هزاز ،  
فأخذن يمتعن أبصارهن بتلك الدمية التى أكلن  
زيتها ، وهن يشعرون بما يشعر به الفنانون حين  
ينظرون مأخوذين بما أبدعته أيديهم وابتكرته  
عقيرتهم من آيات الفن . وكانت ناجية تنسجم  
دون أن تبس بينت شفة ، وهي لا تشك فى  
أن ما تبديه صواحبها من إعجاب وإكبار لجمالها إنما  
كان من قبيل البالائة والغلااة ، ولكنها على رغم  
هذا أرادت أن تبين مدى الصدق فى زعم ،  
فكانت تنظر خلصة وعلى مهل إلى صورتها فى  
المرآة .

دخلت الخادم المدخد وهي تحمل بين يديها حক্ষে  
من الفضة عليها لإريق الشاى وحوله الفناجين ،  
فنهضت وأخذت كل واحدة منهن كرسياً وأحدقن  
بالنضدة وناجية أمامهن ، ثم أشعلن لفائف التبغ

— إنه أعطى ميلوديج ألف جنيه ليلة واحدة

— تلك مسألة أخرى

— ولماذا كانت أخرى؟

— لأنها كانت مسألة عناد

— إذن لو رأها الحاج إبراهيم ماذا يصنع؟

— يبادر إلى شراء القصور والحلى ولكنه

لا يعطى نقوداً

ولما أيقنت ناجة أن المرأة التي يدور حديث

المساومة حولها إنما هي هي، امتلأ قلبها همًا ووجعًا

وراعها ذلك كثيرًا، وعمرتها الرعدة كأنما ذهبت،

فعم قوادها الطعون الحزن، واجترأ قلبها المكروم

الألم. إذن سيقدمها إلى الرجال وربما في تلك

الليلة!

فاستجمعت قواها وهمت بالنهوض لتخلع ثيابها

القشبية وتلبس ملابسها القديمة، وتخرج من تلك

الدار هاربة لا تلوى على شيء. ولم تك تدك تحرك

حتى امتدت لها يد احداها بلقافة تبغ فرفضت،

وألحت الأخرى فأقسمت أنها لن تدخنها، فامتنعن

عن الخلاف، وفي تلك المدة السيرة كان رأياها قد

تغير. وجدت نفسها مطمئنة إلى نفائس حلالها،

وكان الحرير يلبس جلدها لسا لينًا رقيقًا؛ ولانت

لحديث نفسها إذ حدثتها: «ماذا يمكن أن يحدث في

ليلة واحدة؟ فهل تبلغ بهن النذالة حتى يلقين بي من

أول ليلة في أحضان الرجال؟ لا أظن. إذن لأصبرن

الليلة حتى آكل فيها طعامًا ساخنًا، ثم أهرب منهن

غداً ومن كل من يلوذ بهن»

وجعلن يتحدثن؛ على أن حديثهن كله لم يكن يتعدى

موضوع الرجال. واتفق أن ناجة كانت تصني إلى

حديثهن، وهي وإن لم تدرك نوع الصلة التي جمعت

تلك النسوة وأحكمت الوشيجة بينهن، قالت في

نفسها بمنطق المرأة الساذجة: «يلب على ظني أن

هؤلاء النسوة لسن صالحات، لكنهن يتمتعن بكل

مظاهر الأبهة والثرف. لباسهن من حرير،

ومقاعدهن من حرير، حتى البساط الذي يلعب تحت

أقدامهن يبدو من لينه كأنه حرير أيضًا. ترى كيف

تكون مواثهن؟»

كانت تنظر إلى علبة السكر الموضوعة على الصفحة

وتبصرها مطعمة بالذهب الخالص، فيذهب بها الخيال

شقى الذاهب، خيال من لم يتناول صاحبه من الصباح

لقمة سائفة بل ولا غير سائفة. وبينما هي تخلق في

جو من الأحلام بخيلة الصائم طفقت تتجشأ. لاريب

أنها ستأكل هذه الليلة من الأظلمة الساخنة كل

بالة وطاب. وكانت وهي تتجشأ تهتز اهتزازًا.

نفجحت من هذا الذي اعترأها على كره منها، وغلب

على ظنها أنه يتأفى الأدب، فأجهدت نفسها لمنع

تكرره. وبينما هي تبذل الجهد، طرق سمعها حديث

صارة وصاحبها بشكل استرعى أذنيها وأرهقها

كأنهما حديثتا عهد بالسمع

— لاريب أن فصيح بك يعطى هذه الشابة

مائة جنيه ليلة واحدة

فردت (معزز) تقول:

— ما أظن أنه يعطى هذا المبلغ، فإن هذا

الرديد يباهي بالقول ويقاخر، فاذا دعى إلى العمل

يجبن ويتضاءل

الأمامي، ولذا ضيقنا على أنفسهما وأجلستاها في وسط  
 القعد الخلفي بينهما. طفق الجوادان يعدوان كأنهما  
 يسابقان الرياح، وكان يبدو على ناحية أنهما تصني  
 إلى حوارهما؛ على أنها كانت منهما كما يسبحه خيالها  
 من نسيج لا يعدو سدها ولحمه الطعام. وصلت  
 المركبة إلى « حيدر باشا » وجعلت تجري من  
 الأفريز الذي على ساحل البحر وناحية تنظر جوارها  
 بعينين زائفتين لا تبصران شيئاً. لم تشاهد « قاضي  
 كوي » قط، ولما كانت عيناها اعتادت أن تشهدا في  
 غدوها ورواحها دورا سكارا الضيقة المهدمة وأزقتها  
 الموحلة، فقد أذهلتها من هذا الحى دوره الشاحنة،  
 وأبشيت الباذخة، وأرصفته المهدمة، وأرضه العبدية؛  
 وخيل إليها أنها حلت بأرض أجنبية. وأبصرت  
 في أثناء سير المركبة رجالاً في غاية الأناقة كانوا يطلون  
 رؤوسهم اجلالاً لأن بداخلها، ولم تلبث المركبة أن  
 وقفت أمام ميدان فسيح.

وكان الناظر من خلال هذه الأشجار يرى بحراً  
 خضياً لا يحده البصر. ومما لفت نظر ناحية في هذا  
 المنزه اختلاط الرجال والنساء اختلاط الأسرة  
 الواحدة، يتزهون، ويركضون، ويقهقهون.  
 وبينما هم تسرح نظرهما حولها إذا بصوت صارة همس  
 إلى أحد، فالتفتت فأبصرتها تكلم شاباً أصفر اللون  
 حليق الشاربين، أنيق الهندام، كان يقول:

— أقسمت عليك إلا قلت من هذه

وكانت صارة تجيب على سؤاله بإبتسامة دلال:

— إنني لا أعرفها، فأنها ركبت مركبتنا على  
 جهلنا حقيقة أمرها.

وبينما يتحدث إلى نفسها، كانت معدتها  
 تجب وجيب القلب، ولم يعد يستريح سمعها شيء من  
 حديثهم إذ سبغ خيالها في ذكريات الأطعمة التي  
 طالما أكلت منها قبل المهاجرة، وأمسّت تتلف  
 عليها فلو أنها خرجت مثرمة منهن وهربت  
 مغاضبة فإذا تستطيع أن تأكل في غدغها؟  
 وما لبثت أن تمثل أمام عينيها إناء الفخار الأخضر،  
 وبدأ لها ما بداخله من الجيوب السوداء، فتقرزت  
 وانتفضت انتفاضة العصفور بالله القطر. رفعت  
 رأسها وهي تتمم: « مهما كانت الحال فأنها ستلبث  
 البلية بين هؤلاء النسوة » ثم قالت: « لأجل الطعام.

نعم لأجل الطعام » ولم ترد أن يخطر ببالها شرفها  
 الذي كان معرضاً لأعظم خطر في حياتها. هذا  
 على أن منيرة وصبرة أخذتا يتديان لها ما انطوت  
 عليه عزمتهما، ولم تحفيا عليها الغرض من جلبها،  
 إذ كانتا تقولان إنهما سيقدمانها إلى بعض البكوات  
 وهما مطمئنتان إلى أنها ستسلب منهم ألبابهم بجوارها  
 الساحر. وأخذت (معزز) تمجن على المبادرة قائلة:  
 — عجبان واركبن المركبة حتى تدركن ركب

باخرة الساعة الرابعة عند خروجهم منها، وتزهرن  
 في حديقة « مودا » فأنكن ولا ريب ستصادفن  
 أناساً ممن يرغبون فيكن وترغب فيهم.

فما لبث أن نهضن وانثرن، وقبل أن يغادرن  
 الدار قبلت صابرة ومنيرة السيدة معزز قبلات حارة  
 ذات أنفاس طويلة، ودارت هي الأخرى قبلت  
 ناحية، ثم شيعتهن جميعاً حتى الباب. في هذه المرة  
 لم تشأ السيدتان أن تستوي ناحية كما سبق على القعد



— صابرة لاتما كسيتي . إن عائتي في جزيرة  
الأمراء وليس في القصر من أحد ، وإن هذه الفرصة  
لن تسنح لي مرة أخرى . دعيني أتمتع في ظلها  
الوارف يعودها الريان ، ولا رب أني سأعد هذا  
الصنيع منك منة كبرى ويداً لاتنسى . وكأنا يتكلمان  
بهمس ، ولكن ناجية على الرغم من دقات قلبها ،  
كانت تسمعها دون أن يفوتها من حديثهما شيء .  
— فان أسديت إليك هذه اليد فباذا تكافئني

— ماذا ترومين ؟

— أنا لا أخصص

— أعطيك الآن خمسين جنياً

— مهلا ، مهلا ، فلست بها أهلاً

— ثمانين جنياً

— هيهات ، هيهات ، قل لي بربك أنت في

سوق المزاد ؟ إذن خير لك أن ترفع القيمة قرشاً  
قرشاً ...

— هل تترضين أيضاً إذا ما قدمت إليك مائة

وخمسين جنياً ؟

— أنعم النظر يا عزيزي في هذا الجمال الذي

تتفاذب نحوه القلوب وتشرب إليه النفوس ، وتأمل  
بأى جوهرة كريمة ستتمتع ، وبأى لؤلؤة يقيمة  
ستحتل ، واذا كر ميلويج تلك المرأة التي قاتت  
الأربعين وتضحيتهن لها بما عز وهان . هلا صنت

خرمة الجمال ؟ اصعد ، اصعد .

— مائتين .

— وما ذا ستعطي لها ؟

— لا شأن لك في هذا

أرهفت ناحية أذنها ولم تكذب تصوب طرفها  
إلى الشاب حتى أغمض عينيه وأدار وجهه صوب  
منيرة وعجب لأمر هذه الشابة التي صعدته بنظرة  
واحدة منها ، ودعش لما تبديه في أطوارها من وقار  
وما يتجلى في نظراتها إليه من عدم اكتراث به ،  
كأنها لم تسمع عنه شيئاً ولم تشاهده قط .

— بربك يا صابرة من هذه ؟

— هاهي ذى أمالك كما ترى ، إنسانة !

— عجيب والله ! كأنك تخشين أن تقولي إنها

ملاك .

— نعم إنها ملك .

— أبوسل إليك يا صابرة بكل عزيز لديك .

— أن تقدميني إليها .

— أى حملي الوديع ! هي لا تحدث الرجال ولا

تستأنس بهم

— آليت عليك بربك

— إذن تعال إلينا الليلة

— إن حفلاتك يا صابرة لا بد لها من اللو

الماصف الأهوج ولا تخلو من الزحام ، وأنا جئت

بآخر باخرة متعباً وقد تمعشت ، ولا تجهلين أنني

لا أستطيع أن أحتسي شيئاً بعد الطعام ، فإذا

جئت فساكون بينكم متفرجاً غسب

— حسن ! فهل والبث بيننا متفرجاً

— لست ممن يعيشون بدقائق حياتهم ويضيعونها سدى

— ويحك ! أتريد أن تأخذ هذه المحورية

وتذهب بها كيلا تكون سيادتك عابثاً ؟ ما أروع

ذكاءك ؟ ؟

— لا بل يجب أن تقول .

— أقسم يا صابرة أنني لم أر طيلة حياتي امرأة لها مثل هذه الروعة . ربما آخذها خليلي أو خليلتي — أخساً ! إنك منذ ثلاث سنين تنني كل من تشاهدها بالخالة ! أنسيت أنك استغفلتني بالقاء مثل هذه الأمنية في روحي ؟

— لكن هذه لا تقاس بنفيرا فأنها أجل من كل جميلة .

كانت المساومة ولا ريب تدور حولها فضاقت الأرض في عينها بما رحبت ، وخطر لها مرة أخرى أن تقفز من المركبة وتهرب ، ولكن إلى أين ؟ إنها لا تستطيع أن تذهب وهي وشيكة السقوط على الأرض مغشياً عليها من الجوع . فذكرت دارها ، ولكن هذه لم تردها إلا اضطراباً شاف عن يأس شديد . وما لبثت أن عاودتها روائح الأطعمة الزكية فطفقت تتجعد . كان صديق صابرة الشاب دعاهن إلى التزهة والتمس من منيرة ألا ترفض فترن من المركبة . واثنت صابرة التي تقدمت بضع خطوات على عقها بسرعة غريبة وقالت :

— صديقة الطفولة السيدة ناجية

وقالت لناحية :

— فصيح بك الشاب الذي عكف على إتلاف ثروة أبيه وبذلها في أودية الهوى بأرجحية وسماحة ، وأخذت تضحك حتى بدت تواجدها وتقوس ظهرها . وابتسمت ناجية ابتسامة منقبضة من فرط حيرتها

جرفهن الزحام في تياره ، وكن أثناء سيرهن حط أنظار الفتيات والفتيان . وبينما الجوع قد بلغ من ناحية حد جعلها تشعر بمغص وتصور شديد ، وقد خيل إليها أنها ترى قطعاً سوداء تتطارر أمام عينيها من فرط الاعياء ، كانت الشمس أخذت تنيب وراء الأشجار . فقالت صابرة :

— لنعد أدر اجنا ، فاني شعرت بالنيب وأخشى أن يكون المدعوون لمأدبة الليلة قد حضروا وأخذوا في انتظارنا

قالت منيرة :

— أياي معنى فصيح بك أيضاً ؟

— وجهي القول إليه . أظن أنه لا يريد المحي . فأجاب فصيح بك :

ألتس المعنرة فاني لا أستطيع المحي .

قالت صابرة :

— فصيح بك ! إن داري ستكون الليلة

خاصة بالمدعوين وناحية لا عهد لها مثل هذا الزحام والضجيج فهلا أخذتها عندك هذه الليلة ؟

— إنني أعد هذا منها مكرمة . وحذا لو تنازلت

بتشريف داري

لم تستطع ناجية أن تجيب واكتفت بإبتسامة مصطنعة وحدثتها نفسها بأنها إن ذهبت مع صابرة فلا بد أن مجال الطرب والرقص والسمير كل هذا سيسترق من الوقت ما يتجاوز ثلثي الليل ثم ياشرون الطعام ، هذا على أن الليل قد حل ولا سبيل إلى الفرار من يد هذه الطائفة لو أرادت

وقفز منها فصيح بسرعة ومد لها يده :

— تفضلي !

ومشيا بضع خطوات ثم وقفا أمام باب حديدي وكان يبدو للناظر من داخله المظلم طريق صفت على جانبيه الأشجار ، وفي نهايته شبح قصر . أخذ فصيح ينادي بصوت عال :

— آدم ! آدم !

أجابه من الداخل صوت رجل يبدو من لهجته أنه ألباني :

— نعم يا سيدي .

— أسرع وأشعل مصابيح البهو .

وكان يبدو من زى هذا الرجل الطويل الذي ظهر أمامهما أنه بستانى القصر :

التفت فصيح إلى ناجية وقال لها :

— ليس في الدار من أحد غير هذا البستانى

فأرجو أن تأخذني نصيبك من الحرية دون خجل .

— سأفعل ...

صعدا ، وكانت المصابيح أشعلت وبدا البهو

رائعاً بما احتواه من الأثاث والرياش الثمينة ، ولم

تكذب ناجية تبصر هذه العظمة حتى أخذتها الدهشة

وكادت تنسبها للجوع والآلام ، إذ كانت الطناقص

والأبسطة النادرة والرسوم البديعة التي تملت بها

الجدران والستائر الغالية من أنفاس ما اجتلتها الأنظار ؛

وكان فصيح بجانبها قد أصبح بلبلا غريداً لا يكاد

يسكت ولا ينفك يعطرها وإبلا من أحاديثه التي لم

تفهم منها شيئاً ، وتحدث إليها عن الحب الأزلى ،

والزواج ، وعن ثمرة الهناء من رفاء وبنين وعدد لها

ذلك . أما الشاب فلا ريب أن داره خالية من الزوار ،

وإن ذهبت فلا تلبث أن تجلس إلى المائدة وتشبع

بطعام ثم تتمحّل الأعداء وتحتال حتى يتنفس الصبح ؛

وعند الصباح يحمّد القوم السرى . فالأرجح إذن

هو أن تختار التدهاب مع هذا الشاب ... وعندها

انصرفت صابرة ومنيرة وأسرع الشاب وتأبط

ذراع ناجية وأركبها المركبة ، وطفق يثنى على جمالها

النادر وحسنها الرائع ، ويغالى في إطرائه ويحاول

بأنواع المنازلات العجيبة أن يثير فيها رغبة الحديث ،

ولكن ناجية كانت في شغل شاغل عنه وعن

منازلاته ، إذ كانت تفكر في المائدة التي ستجلس

اليها عما قريب . إن رب دار يجود للمرأة التي قدّمها

لغسب بما تبين من الجنهات لا عجب أن تجمع مائدة

أغنى الأطعمة وأطيب الأغذية .

ينتهي مستترفة في مثل هذه الخيالات والمركبة

تركض في أمّ شوارع الحى ، كان الشاب أيضاً

يتأمل محاسنها التي زادها استغراقها في أحلامها

حسناً على حسن . وما لبث أن قال :

— برك يا سيدي فيم تفكرين ؟ هل

تشكين أمّا ؟

— لا يا سيدي .

— إذن غم هذا الاستغراق في الفكر ؟

— لا شيء .

وأوشكت أن ترجوه إذا ما بلنا الدار ألا يلبث

لحظة واحدة قبل أن يجلسا إلى المائدة . ولكنها لم

تستطع أن تكتشفه بما في نفسها . وما إن وقفت المركبة

حتى اهترت ناجية كمن استيقظ من نوم عميق ،

— نحن الآن يا سيدي في منتصف الليل ،  
ولا يوجد حانوت مفتوح

— لاتصعد رأسي بثرثرتك ، بل ابذل جهدك  
واعمل المستحيل حتى تجد طعاماً ، ولا تتسككاً في  
إحضاره إلى غرفة الطعام . . . . .

— أسرع ! أسرع ! ولا تنبس بكلمة .  
— ياسيدي ! ماذا أستطيع أن أصنع وكل  
الحوائث موصدة ؟

— قلت لاتنبس بكلمة . أفأنت تتعمد عصيان  
أوامري ؟ هيا أسرع وأحضر طعاماً .

فلما ذهب الألباني التفت فصيح إلى ناحية  
وقبض على يمينها البيضاء ، وطلق بطبع عليها  
قبيلات الاستعطاف ، ويقول بخنان يوشك أن  
يسيل رقة :

— أرجوك العفو يا قرة عيني ، فوالله لأتلافين  
هذا الأمر غداً .

— لقد شرد لبي وطار صوابي حين وقع  
بصري عليك فأنسيت كل شيء فاصفحي عني .  
— عفواً ياسيدي !

— حقاً إني كنت عديم التدقيق بل مغفلاً .  
— العفو !

طرق سمعها وقع أقدام الخادم ، وكان قد دخل  
البهو ، فما كانت تصني إلى حديث الشاب إلا قليلاً .  
جاء الخادم وقال من خارج الباب :

— قد أعد الطعام ياسيدي  
ههنا ، وتقدمها الشاب حتى يبلغ بها إلى غرفة

أنواع التمتع والسعادة التي سيجنيهاها : استرسل في  
مثل هذا الحديث حتى فاجأها بقوله :

— هلم يا عزيزتي نصعد إلى فوق  
فسأله ناجية وقد كان ذهنها غاصاً بذكريات  
الأطعمة :

— إلى أين !  
— إلى غرفة نومنا  
فقالت في ذعر : — « ولكن ... »  
— ماذا يا روعي ؟

فاستطاعت أن تقول بشق النفس :  
— لو أكلنا شيئاً سيراً !  
فسرخ فصيح وقال :

— الله ! لا ريب أني مغفل ، بل حمار ، ولكن  
لي بعض العذر بما لك الذي أذهلي عن هذا الأمر .  
إني أنوسل إليك راجياً العفو عني . لقد أفرطت في  
تناول الطعام قبل عودتي في « سرکه جي » حتى لم  
يخطر لي الطعام ببال . فاسمح لي أن أعد شيئاً .  
ونهض ثم خطا نحو النافذة فأطل منها ورفع عقيرته  
بنادي :

— آدم ! آدم !  
— نعم !

— أسرع فأتنا بشيء من الطعام .  
أرهفت ناجية أذنها عند ذكر الطعام وسمعت  
الخادم يقول :

— ماذا أصنع يا سيدي ؟  
— اصنع ما يمكنك صنعه وأحضر طعاماً .

فنهضت ناجية ، وقالت :

— ليس بي شئ

وأخذت تمشي نحو الباب . فهم فصيح ليعنهما  
فصرخت في وجهه ، وجعلت تمدح فيه بمحبة  
حقق وبغض شديد . وقالت :

— أرجو أن تتركني وإلا أسأت إليك .

ثم أشاحت عنه ممتعة . وكانت عينها  
الجليلتان قد جحظتا حتى كادتَا تخرجان من محجرهما  
فتجنبها الشاب ولبت فاعراً فاه مدهوشاً وهو  
يصورها تسرع الخطا حتى خرجت من الباب .

ولما سمع وقع أقدامها على حصا الحديقة ،  
جعل يقول في نفسه :

— ما أعجب هذه المرأة ! إنها لنز . إنها ولاريب  
مصابة بالهستيريا .

انطلقت ناجية هائمة على وجهها ، راكبة رأسها  
تندو في عرض الفضاء ، يحيطها الظلام الدامس ،  
ولماذا لا تمدو وقد أوشكت الليلة أن تضحي بشرفها  
من أجل أكلة طعام واحدة . وهما هي ذى تلج تلك  
الدور الشائخة وترتاد هذه الحدائق النناء ، وتتناول  
بيدها أواني الذهب والفضة ، ثم لم يكن نصيبها من  
هذه الدخائر والسكنوز التي جوتها غرفة الطعام ،  
إلا الزيتون الأسود والخبز الأسود ! ظلت تتغلغل  
في أحشاء الظلام ، ولم تيك بعد ، كأن قلبها قد  
تجمد ، ولا ريب في أنه تجمد ، إذ أحسّت بقلبه في  
صدرها . ولم تزل على حالها تلك ، تمدو ما وسمها  
العدو ، تجر وراءها ذبول القنوط واليأس من طريق

الطعام الواسعة المؤتممة على أنغر طراز وأشار إليها  
يقول :

— تفضلي ياسيدتي

فدخلت ، وكان حول المائدة كرسيان متقابلان  
وضع أمام أحدهما صحيفة واحدة ، فأجلسها هذا على  
الكرسي ، لكنها لم تكدر ترى مافي الصحيفة حتى  
انقضت انتفاضة الدهشة ، وعلا وجهها شحوب  
خفيف ، كأنها أبصرت فيها شيئاً لا يقوى الانسان  
على احتمال رؤيته . وصرخت بأعلى صوتها

— يا الله !

فما كانت الصحيفة تحتوى إلا زيتونا ، وما كان  
بجانبه شئ غير ذلك الخبز الأسود الذي اعتادت  
أكله منذ أربع سنين !

أسندت ذراعها على المائدة ، وغطت رأسها ،  
وافضت عينها بالدموع ، وكان إجهاشها ونشيجها  
يفصحان عن القنوط واليأس ، ونبئت أن يدرش  
خالات التأثر والألم . ولم يستطع فصيح أن يدرك  
من هذا الانفعال المفاجئ شيئاً ، لأنه كان ينظر إلى  
جيدها الشفاف الذي بدا واضحاً لدى انكبابها على  
المائدة ، فأعماه عن رؤية الزيتون والخبز الأسودين  
الذين لم يجد الخادم سواهما في المنزل

اشدت بناحية الحال وتجهم وجهها ، وتوترت  
أعصاب صدغها ، وزاد ضغط فكها . ولم يكن  
فصيح قد استرجع رشده الذي أفقده إياه هذا التغير  
المفاجئ فأخذ يقول :

— ماذا دهالك يا حبيبتى ؟ ماذا بك يا إنسانة عني ؟

ويثقل عليها جسمها الخفيف ، فتهن عن احتمالها ،  
فتغيب عن هذا الوجود ، وتسقط مغشياً عليها  
.....  
تحس ناجية أنها في حلم ، وأن صوتاً مبهماً خفيفاً  
يهمس في أذنها ، ثم يدنو منها وكأنه كان يتاجها  
عن بعد ، ثم يزداد ويشدد فتفتيق بمض الاقامة  
وتعرف أنه صوت الموج .

تدور بعينها صوب البحر ، فيلوح لها من  
عرضه ضوء النارة كأنه الكوكب الدرى ، فتشعر  
— وهي شاخصة إليه — كأنه يبعد إلى قلبها حب  
الحياة رويداً رويداً .

عبد اللطيف أحمد

إلى آخر دون أن تعرف مذهبها ، ومستقرها ، حتى  
وجدت نفسها في مكان طرق سمها فيه صوت أمواج  
البحر ، فجاءت تمشي صوب الصوت فأبصرت ظلاً  
بارزاً يمتد إلى البحر فأخذت تمشي فوقه ، واسترسلت  
في المشى حتى أحست بريح قارسة ، وكانت قد  
بلغت غاية هذا الظل الممدود ، فوقفت ، وطفقت  
تنظر إلى البحر ملياً ، ثم أطبقت جفניה ، وأخذت  
تفكر . أرجعت البصر كرة أخرى فأطالت النظر  
في البحر ... نعم ! لا مندوحة لها عن إلقاء نفسها في  
أعماق هذا البحر ، فإنها حتى لو فازت بدخول  
الجنة ، فلا ريب أن البؤس سيرز لها هنالك أيضاً  
ويراوحها بالأشجان والآلام ، وسيقبض عليها من

تلايبيها ، فلن يترك خناقها ، فلماذا  
إذن تطمع في الحياة ؟ ...

ولكن ها هي ذى قد ضعفت  
نجاه لسا اتابها من نصب وإعياء ،  
فهي تحاول المشى فلا تستطيع التقدم  
خطوة .

وهي تحس بسحابة الغشية تدنو  
من عينيها ولا تلبث حتى تحيط بها ،  
فتكتب حولها الدنيا ويزداد الظلام .  
وهي تحس إحساساً عنيفاً أن  
العدة تطارد قواها ، فتتهقر هذه  
من أطرافها إلى ناحية قلبها الذي  
اختبل .  
وهنا يشتد الضيق في صدرها ،

وَسَلَّمَ خُضَيْرٌ

١٠٥٧  
١٠٥٧



١٠٥٧  
١٠٥٧

بريشة ذهب عيار ١٤  
مضمون ٣ سنوات

سَتَعْلَهُ الْحَيَّ كَوَمَانًا لَشَرْقِيَّة  
مَكْتَبَةِ دَرْطِيَّة خُضَيْرٍ بِشَا عِبْدَ الْمَرْبُورِيَّة

# فَدِيرِيَجُو

للكاتب الفرنسي برودير ميرمييه  
بقلم الدكتور حسن صادق

عاش في هذه الحقبة  
ثلاث سنين كان في أثنائها  
يخرج إلى الصيد نهراً  
ويلب الورق ليلا مع فلاح  
يزرع له الحديقة الصغيرة  
على أن يأخذ نصف غلتها  
أجرأ له .

وفي أحد الأيام ، عاد  
إلى البيت مبتهجاً لأنه وفق في الصيد إلى درجة لم  
يعهدها من قبل . وما أن استقر به المقام حتى  
طرق السيخ ، ومعه اثنا عشر رسولاً عليه باه  
وسأله الضيافة .

سرت بنفس فديريجو عبقة من السرور حين  
رأى ضيوفاً يطرقون بابه في يوم أصاب فيه صيداً  
كثيراً ، وأدخل الضيوف في بشر وإيناس وأعد  
لهم كل ما عنده من ألوان الطعام ، ثم رجا منهم أن  
يلتمسوا له المذرة إذا رأوا فيه العجز عن أن  
يعاملهم كما يتطلب قدرهم لأن الزيارة جاءت على غير  
انتظار .

نظر إليه السيخ الذي يعرف دون ريب  
القرض الذي يقصد إليه من زيارته ، وغفر له هذا  
الشعاع البسيط من الزهو في سبيل إظهار ميله  
الشديد إلى إكرام ضيوفه ، ثم قال له : « سنكتفي  
بما عندك ، فربا بعداء العشاء لأننا في وقت متأخر » .  
ثم أشار بيده إلى القديس بطرس وقال : « وهذا  
جائع إلى أقصى درجات الجوع »

أسرع فديريجو إلى إجابة هذا الطلب ، وأراد

زعموا أنه كان بإحدى المدن الإيطالية رجل  
يسمى فديريجو ، وسيم الطلعة رائع القصات بديع  
التكون ، إلى أدب جم وحديث عذب وحلم  
مستطاب . ولكنه كان ماجناً مستهتراً يألف  
الرجس والفجور . كان كلفاً بالنساء مولعاً باليسر  
لا يطبق الصبر عنه . ولم يكن يؤدي قط ( فريضة  
الاعتراف ) أو يذهب إلى الكنيسة إلا ليبحث فيها  
عن فرص تعبد له سيل الخطيئة .

شاه له الحظ أن يرمح في اليسر أموال اثني  
عشر شاباً من أسر كريمة ، وأن يضرب عليهم ذل  
الفاقة وظلم الخراب ، فاضطروا إلى الاندماج في  
سلك الجندي المأجورة ، وماتوا وهم يحاربون القواد  
المأجورين الذين يستخدمهم الملك ، محرومين من  
الاعتراف والطقوس الدينية الأخيرة .

دارت الأيام دورتها وخسر فديريجو كل مازبح  
ثم جميع ما يملك ، فأنحدرت عنه النعمة ولم يبق له  
إلا بيت عتيق قائم في مكان هادي خلف بعض  
التلال ، فذهب إلى هذا البيت وفي صحبته الاكتئاب  
والحسرة ليعترل الاجتماع ويخفي نؤسه عن الناس .

وفي صباح اليوم التالى اجتمعت الجماعة المقدسة في الردهة فقال المسيح لفدريجو: «نشكر لك استقبالك الجميل وزيد أن نجازيك عليه أحسن الجزاء، فتمنّ علينا ثلاثة أشياء نستجب لك، لأننا قد منحنا كل قوة في السماء وعلى سطح الأرض وفي مستقر الأرواح»

فلما سمع ذلك فدريجو، أخرج من حيبه الورق الذى يحمله معه دائماً وقال: «أيها النقيذ العظيم، أريد أن أريح في كل مرة ألب فيها بهذا الورق» فأجابه المسيح في هدوء: «لك ما تريد» وكان بطرس الرسول جالساً إلى جانب فدريجو فقال له بصوت خافت: «كيف تطلب هذا أيها الخاطئء التمس؟! ينبغي أن تسأله السلام لروحك وأن يغفر لك ذنوبك وخطاياك» فأجاب فدريجو مطمئن النفس: «إني لا أشغل بالي كثيراً بسلام روحي» فقال المسيح: «لك عندى شيثان آخران تسألني إليهما»

— سيدى بما أنك كريم إلى هذا الحد فاني أرجو منك إذا شئت وتفضلت شيئاً يسيراً خلاصته أن أي شخص يتسلق شجرة البرتقال التي تظلل بابي وتمتد فروعها إلى نافذتي، لا يستطيع النزول إلا بإذني ومشيتي.

فأجابه المسيح إلى ما طلب. وفي تلك اللحظة ضرب بطرس الرسول فدريجو على مرقفه ضربة قوية وقال مغمغماً: «أيها الخاطئء الشقي، ألا تخاف عذاب جهنم الذى تقودك إليه خطاياك؟! ألم يفت الوقت بعد، وفي استطاعتك أن تسأله مكاناً

أن يقدم إلى ضيوفه شيئاً آخر فضلاً عن صيده، فأمر الفلاح أن يذبح الحدى الذي يملكه وأن يشويه على السفود.

ولما هيء الطعام وجلس الضيوف إلى المائدة شعر فدريجو بأسف، لأن نبيذه لم يكن جيداً إلى درجة ترضيه، فقال للمسيح: «سيدى، بودي لو يكون النبيذ أجود من هذا، ولكنى أقدمه إليكم كما هو بقلب خالص»

لم يتكلم المسيح ولكنه ذاق النبيذ وقال «كيف تقول؟! وم تشكو؟! نبيذك بلغ الناية في الجودة. وإني أسأل الرأى هذا الرجل» وأشار بأصبعه إلى بطرس الرسول.

ذاق-بطرس النبيذ واستمراء وأعلن أنه حلو جيد، ثم طلب من مضيفه راجياً أن يشرب معه فأقر فدريجو رأى بطرس بإيماءة من رأسه، وقد أخذ قوله وقول المسيح على سبيل المجاملة والأدب؛ ثم تناول جرعة، فعراه الدهش الشديد، لأنه وجد أن النبيذ ألد طعماً من كل نبيذ ذاقه في حياته، حتى أيام كان يملك الثروة الضخمة، وينفسي أغفر المشارب. فعرف من هذه المعجزة أن «النقيذ» في بيته، فقبض من مكانه في إجلال وخشوع كأنما هو غير حدير بأن يأكل مع هذه الجماعة للقدسة.

ولكن المسيح أمره بالجلوس فأطاعه في احترام وفير. وبعد انتهاء العشاء، انسحب المسيح ورسله إلى الحجرات التي أعدت لهم، وبقى فدريجو مع الفلاح يلعب الورق كمادة ويشرب ما تبقى من النبيذ.



من السامعين أن فدريجو قد أصاب ثروة في بلاد أجنبية على حساب مقامين أقل مهارة منه ، وشعروا بالرغبة الشديدة في الحصول على هذه الثروة الجديدة في أقرب وقت مستطاع .

وأراد بعضهم أن يجره في الحال إلى اللعب ، ولكن فدريجو رجا منهم أن يرجثوا اللعب إلى المساء وانتقل بالجماعة إلى هو كبير مدت فيه موائد الطعام والشراب بأمره ، فوقع ذلك من نفوسهم موقفاً حسناً ونال جميل إعجابهم .

كان هذا الغداء أكثر بشراً من عشاء الرسل . وقدم فدريجو إلى رفاقه أجود أنواع النبيذ وأشهى صنوف الطعام . وقبل مجيء هؤلاء الرفاق كان فدريجو قد حصل على ورق يتائل الذي معه تماماً حتى يستطيع عند الحاجة أن يحله محل الآخر وأن يخسر مرة في كل ثلاث مرات أو أربع فلا يمر بأذهان رفاقه أية خليعة من الشك في اللعب . وكان يحمل الورق الأول في جيبه الأيمن ويحمل الآخر في جيبه الأيسر .

ولما انتهى الغداء اجتمعوا حول منضدة خضراء وضع عليها فدريجو الورق العادي ، وحدد زمناً للعب ومبلغاً معقولاً من المال . وأراد أن يشعر بلذة اللعب ، وأن يعرف مبلغ قوته ومهارته ، فلب الدوزين الأولين في حرص شديد ، ولكنه خسر وشعر في دخيلته بألم وحسرة ، ثم طلب للجميع نبيذاً واتهنز فرصة انهماك الراجحين في احتساء الشراب نخب ربحهم الماضي والمستقبل ؛ وأخفى باحدى يديه الورق العادي ووضع في مكانه سيده

في جنة الخلد . فأجاب فدريجو : « ليس هذا بالأمر الذي يتطلب المحلة » ثم ابتعد عن القديس بطرس حتى لا يضايقه بملاحظاته .

وطلب المسيح من مضيفه أن يسأله الأمانة الثالثة ، فقال فدريجو : « أريد أن أخلق يجلس على هذا المقعد المجاور للموقد لا يستطيع أن ينهض إلا بإذني ومشيتي » . فاستجاب المسيح لهذا الطلب وغادر البيت هو ورسله .

وما إن اجتاز آخرهم عتبة الباب حتى أراد فدريجو أن يجرب فضيلة الورق ، فاستدعى الفلاح ولعب معه دوراً دون أن يلقى باله إلى اللعب ، فربح ؛ ثم لعب عدة مرات حتى ثبت لديه أن أمنيته قد تحققت .

غادر بيته وذهب إلى المدينة ، واستأجر أجمل جناح في أنخم الفنادق . وانتشر خبر وصوله في سرعة عجيبة ، فتقاطر عليه رفاقه الأقدمون في اللعب والمجون وقالوا : « كنا نعتقد أننا لن نراك أبداً لأن بعض الناس قالوا في صيغة اليقين إنك زهدت في مسرات الحياة وأصبحت ناسكاً ! » فأجاب فدريجو وعلى شفتيه ابتسامة غامضة : « وهم على حق » فسأله أحد رفاقه : « إذن كيف كنت تقضي وقتك أثناء الأعيام الثلاثة التي لم يرك فيها أحد ؟ » فأجاب فدريجو بلهجة الورع : « في الصلاة يا أصدقاء الأعزاء ، وهذا هو ذا كتاب الصلاة » ثم أخرج من جيبه الورق الذي يحرص عليه الحرص كله .

أثار هذا الجواب ضحكاً عالياً واعتقد كل فرد

كل يوم أنحر أنواع النبيذ وأبدع ألوان الطعام ،  
واشتهر قصره بأنه معهد المسرات .

وبعد عام قضاه فدريجو في لعب لا يشبه إلى  
الشك فيه ، عزم على أن يجعل انتقامه كاملاً فظليماً  
من جميع كبار الأغنياء في البلد ، ثم استبدل بالجزء  
الأكبر من ذهبه أحجاراً كريمة ، ودعا هؤلاء  
الأغنياء إلى حفلة شائقة منقطعة النظير ، وأعان أنه  
سيجلب إليها أعظم الفنايين والمغنين ، وأنها ستحتف  
بمقامرة جسيمة هائلة ، فحضر بعضهم ومعه كل  
ما يملك من الذهب ، والبعض الآخر اقترض المال  
الكثير من اليهود . وفي تلك الليلة ربح فدريجو كل  
هذا المال وسافر به بعد انصراف المدعوين

ومنذ ذلك الوقت اتخذ لنفسه قاعدة لا يحميد  
عنها ، وهي ألا يلعب بالورق المبارك إلا مع اللاعبين  
ذوى النية السيئة ، لأنه يستطيع بمهارته أن يلعب  
مع الآخرين بالورق المادي . زار مدناً كثيرة مقامراً  
في كل مكان رابحاً في كل موطن ، وكان يشتري  
من كل بلد ما ينتجه من البدائع . ورغم ذلك لم  
ينس قط ضراعه الإثني عشر شاباً ، وكانت هذه  
الذكرى الأليمة تكدر عليه صفو حياته وتبئيل ياله  
في كل حين .

ولما ضاق ذرعها بعزم ذات يوم على أن يتقدم  
أو يهلك معهم ، فرحل إلى جهنم تنفيذاً لغرضه  
ويده عصا وعلى ظهره حقيبة ، ولم يصحب غير كلبته  
المريزة عليه (مارشسلا) .

بلغ صقلية وتسلق جبل (جيبيل) ثم هبط من  
فوهة البركان إلى جوفه ، وظل يتعمق في المهبوط  
إلى مسافة تماثل ارتفاع الجبل حتى أشرف على فناء  
(٤)

الأخرى الورق المبارك . وفي الدور الثالث لم يعط  
فدريجو أقل الثغرات للعب ، واستطاع أن يلاحظ  
الآخرين فوجدهم يقشون في لعبهم ويسرقون .  
وهذه المعرفة المبالغتة بثت في نفسه سروراً كبيراً  
وجملته يعتقد أنه يستطيع أن يحصل على ما في  
جيبوهم وهو هادئ الضمير ، لأن خرابه الماضي  
كان منشؤه غشهم لا حسن لعبهم أو ضخامة ثروتهم .  
وفي تلك اللحظة جالت بخاطره ذكرى ثروته الماضية  
وذكرى الإثني عشر شاباً الذين أقام يسره على عسرهم  
وخراجهم ، وأمن بأنهم كانوا أشرف اللاعبين الذين  
صادفهم في حياته ، وندم للمرة الأولى على النجاح  
الذي أحرزه عليهم . ثم حلت في وجهه سحابة  
قاتمة حمل أشعة الفرح ، وتهد تهدة عميقة وهو  
يربح الدور الثالث .

انصل هذا الدور بأدوار ربح أخرى لفدريجو  
واستطاع في ذلك الساء أن يجمع مبلغاً وفيراً من  
المال دفع منه ثمن الغداء الفاخر وأجر جناحه في  
الفندق شهراً كاملاً . وكان هذا كل ما يريد في ذلك  
اليوم . وأصاب الكدر الشديد وفاقه ، ولكنهم  
وعده قبل أن يغادروا الفندق بالعودة إليه في  
اليوم التالي .

وفي الأيام التالية عرف فدريجو كيف يخسر  
ويربح في اللحظات اللامعة ، فجمع في وقت قصير  
ثروة هائلة دون أن يشك أحد فيه أو يدرك سبب  
ربحه الحقيقي . ثم غادر الفندق ليعيش في قصر كبير  
اشتراه ، كان يقيم فيه من حين إلى آخر أبهج  
الحفلات وأنغمها . وأصبحت أوجل النساء يتشاجن  
في سبيل نظرة من نظراته ؛ وكان يقدم للزائرين في

قد انتشرت الآن في هذا المكان « وهو في الواقع كان يبحث عن وسيلة للخلاص من فدريجو . فلما اجتاز هذا الباب ومعه حقيقته وعصاه ، صاح خازن النار أن أغلقوا الباب خلفه . عاد فدريجو إلى بيته القديم المنعزل ، وعزم على قضاء بقية عمره فيه . وبعد عودته بيضعة أشهر ، وضعت كلبته مارشسلا عدداً كبيراً من الشياطين غريبة التكوين ، فألقاها جميعاً في الماء .

وبعد اقضاء ثلاثين عاماً ( وقد بلغ فدريجو السبعين من عمره ) جاءه الموت ، وأنذره وطلب إليه أن يعد ضميره لأن ساعته قد حانت . فقال له فدريجو المحتضر :

— إني على أتم استعداد ، ولكن قبل أن تختطف روحي أيها الموت ، أرجو أن تعطيني برقالة من هذه الشجرة التي تظلل بابي . حقق لي هذا الرجاء فأمرت راضياً بمتناً

— إذا لم يوزك غير هذا ، فأنا لا أرفض تحقيق رجائك

ثم تسلق الشجرة ليقطف برقالة . وحين أراد النزول عجز لأن فدريجو أراد له هذا المعجز . فصاح الموت :

— آه ! لقد خدعتني يا فدريجو ! إني الآن في قبضة يدك وتحت سلطانك . رد إلي الحرية أعدك بمشرة أعوام تقضيها في الحياة

— عشرة أعوام ! ما أشد بخلك يا عزيزي ! إذا أردت النزول يا صديقي وجب عليك أن تكون أكثر سخاء من ذلك

— أهب لك عشرين عاماً

كبير يؤدي إلى باب الجحيم .

وكان يحرس هذا الفناء كلب ذورؤوس ثلاثة فاجتازه فدريجو دون مشقة . وبينما كان الكلب يغازل مارشسلا ويتألفها ، قرع فدريجو الباب ، فلما فتح سأله بليتون خازن النار :

— من أنت ؟

— المقامر فدريجو

— وماذا تريد ؟

— بليتون ، إذا كنت تقدر أن أول وأمر مقامر على سطح الأرض يكون جديراً بأن يلعب معك ، فإني أقترح عليك ما يأتي : نلعب عدداً من الأدوار كما تشاء ، فإذا خسرتُ دوراً واحداً كان لك روحي ملكاً حلالاً تضيفه إلى الأرواح الأخرى التي تعمرك دولتك . وإذا ربحتُ كان لي الحق في اختيار روح من رعاياك في كل مرة أحله معي

— لك حكمك

وطلب ورقاً للعب فقال فدريجو في لهفة : « هاهو ذا الورق » وأخرج من حبيه الورق المبارك وشرطاً بلبان .

ربح فدريجو الدور الأول وطلب من بليتون روح ( ستفاند جاني ) أحد الإثني عشر الذين يريد إلقاءهم ، فأجيب إلى طلبه في الحال . وضع هذا الروح في الحقبة ثم ربح دوراً ثانياً وثالثاً إلى الدور الثاني عشر ، وفي كل مرة كان يتسلم الروح الذي يريد ويضعه في الحقبة .

ولما تم له ما أراد ، عرض على بليتون أن يواصل اللعب ، فأجابه وقد أخفى تدمره : « بكل سرور ، ولكن لنخرج قليلاً لأنني لا أدرى أية راحة كربهة

ثم تبسم في سحرته

فقال الموت وقد تملكه الغضب من تبجح

فدريجو: «إذن ليس لديك إلا دقيقة واحدة بحياتها»

وحاول النهوض من مقعده . فقال فدريجو « ربه !

أعرف بالتجربة أنك شديد الدقة في عملك ، ولكن

أنتنض على يعض أعوام أخرى ؟ »

احتاج الموت وبذل جهداً كبيراً في النهوض

وقال : « بعض أعوام ياشق ! » فأجاب فدريجو

« نعم . وثق بأنني لا أبالغ في طلبي هذه المرة . أريد

أربعين عاماً فقط للشوط الثالث »

أدرك الموت أنه عاجز عن النهوض ، كما كان

عاجزاً حين تسلق شجرة البرتقال ، وأن الذي

يمجزه قوة غير طبيعية . ولكنه في غضبه وهياجه

لم يشأ أن يجيب فدريجو إلى ما طلب

فلما رأى فدريجو عناده ، قال له : «أعرب وسيلة

تذهب بمنادك » ثم ألقى في النار ثلاث قطع من

الخشب فاشتعلت بعد لحظات وملأت النار جوانب

الموقد . ولم يلبث الموت أن شعر بالحرارة الشديدة

تكاثر تحرق جلده فصاح قائلاً : « الزحمة ! الزحمة !

أعدك بأربعين عاماً ! »

ولما نطق بهذه الكلمات ، أشار له فدريجو أن

ينفض من مكانه ففر هارباً وحرارة النار تكوى

ضلوعه

مضت الأربعون عاماً فماد الموت إلى فدريجو ،

وقد كان في انتظاره وإلى جانبه الحقيقة . فقال الموت

« حانت ساعتك . فلا تحاول الإفلات مني بلا

جدوى... ولكن ماذا تريد أن تفعل بهذه الحقيقة ؟ »

— أنهزأ بي ؟

— أعطيك ثلاثين

— لم تصل بعد إلى الثلاث

— أريد إذن أن تعيش قرناً ؟ !

— نعم يا صديقي

— أنت هازل يا فدريجو لا تعرف الاعتدال

— ماذا تريد ؟ أحب الحياة

— إذن اتفقتنا على مائة عام مدام الظرف يحتم

الوصول إلى هذه النتيجة

وبعد هذا الاتفاق استطاع الموت أن ينجو بنفسه .

وما إن غادر البيت حتى نهض فدريجو في صحة كاملة

وبدأ حياة جديدة في قوة شاب وتجربة شيخ .

واستمر في إرضاء شهواته وعلى الأخص الجسدية

منها دون أن يفعل إلا قليلاً من الخير كلما سنحت

له الفرصة ، دون أن يفكر في سلام روحه ، أي

عاش كما كان يعيش في أيامه الأولى

مضت المائة عام وجاءه الموت ووجده طريق

الفراش فقال له : « هل أنت على استعداد ؟ »

فأجاب فدريجو : « نعم . لقد أرسلت في طلب قسيس

يتقبل اعترافي . اجلس على هذا المقعد قليلاً . إنني

لا أنتظر غير إنجاز الطقوس الدينية الأخيرة ثم

اندفع معك نحو الخلود »

جلس الموت على المقعد شفقة على فدريجو

واتنظر ساعة كاملة ولم يحضر القسيس . ولما سئم

الجلوس قال :

— أيها الشيخ ، ألم تجد من الوقت في الزمن

الطويل السابق ما تنظم فيه رحيلك ؟

— أقسم لك أنني كنت لاهياً عن ذلك

بعمل آخر

دخول الجنة، سأحمل إلى المسيح خبر حضورك  
وسنرى ما يقول »

ولما عرف المسيح الخير، خرج إلى باب الجنة  
ووجد فديريجو واقفاً على العتبة ومعه الحقيية، في  
كل عين منها ستة أرواح، فاستدر هذا النظر شفقتة  
وقال: « أذن لك يا فديريجو في الدخول، ولكن  
ضميري لا يسمح بدخول الاثني عشر روحاً التي  
تطالب بها جهنم »

فقال فديريجو: « كيف ذلك؟ ألم أستقبلك في  
بيتتي ومعك اثنا عشر شخصاً وأكرمتكم ما استطعت  
إلى الاكرام سيلاً؟! »

سكت المسيح هنيئاً ثم قال: « لا سبيل إلى  
رفض ما يطلب هذا الرجل. إذن ادخل مادمت قد  
استطعت الوصول إلينا ».

مس صادق

— إنهم تشتمل على أرواح الاثني عشر شاباً  
الذين أخذتهم من الجحيم في الزمن السالف  
... ليدخلوها معك

وأخذ فديريجو من شعره وانطلق به في الهواء  
نحو الجنوب، وتغلغل بفريسته في هوات جبل (جبل)  
حتى بلغ باب جهنم وطرق الباب ثلاث مرات،  
فقال بليتون:

— من الطارق؟

— جئتكم بفديريجو المقامر.

فصاح خازن النار وقد تذكر في الحال الاثني  
عشر روحاً التي خسرها: « لا تفتحوا! إن هذا  
الحديث إذا دخل مملكتي خربها! »

غمل الموت فريسته مكرهاً إلى باب « المظهر »  
ولكن ملاكه الحارس أبى أن يقبله لأنه في حالة  
الخطيئة الكبرى.

أسف الموت جد الأسف لإفلات فريسته من  
جهنم والمظهر وعرف أنه مضطر إلى حملها إلى الجنة  
فلما رأى القديس بطرس فديريجو قال له:  
« أتجرؤ على المجيء في الحالة التي أراك عليها؟ ألا  
تعرف أن السماء مثقلة في وجوه أمثالك؟! ما هذا؟  
إنك لست جديراً حتى بالمظهر وتريد مكاناً في  
الجنة؟! »

فأجاب فديريجو: « هل استقبلتك بمثل هذه  
الشدة حين طرقت بابي أنت والسيد المسيح ورفاقتك  
منذ مائة وخمسين عاماً؟! »

فقال بطرس الرسول في لهجة التأنيب المشوبة  
بالرفة والحنان: « جبل قولك هذا، ولكنني  
لا أستطيع أن أخذ على عاتقي أمر الإذن لك في

## رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرئتين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

المن ١٢ قرشاً

وبعد الموقعة  
التي أفضى فيها زهرة  
الشباب اليوناني  
أشار عليه يورداكي  
ألبيني بالتخلف .  
وتولى هو مكانه .  
وهرب أيسلانتى إلى  
حدود النمسا ثم  
أرسل لعناته إلى

## كرد على

### للقصص الروسى برشكين بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار

الشعب الذى كان يقوده واصفاً رجاله بأنهم خونة  
جبناء أسافل  
ولكن هؤلاء الموصوفين بالخيانة والجنون هلكوا  
تحت أسوار معبد سيكوا أو على ضفاف نهر بروث  
وهم يدافعون دفاع السميت جيشاً يربو عدده على  
عشرة أمثال عددهم

وكان كرد على فى فرقة جورج كاتنا كوزن  
الذى يصح أن يقال عنه ما قيل عن إيسلانتى  
وفى الليلة التى حدثت فيها موقعة أسكولانا  
استأذن كاتنا كوزن السلطات الرسمية ، وتخلف  
عن فرقته منضماً إلى جيشنا فبقت فرقته بنير قائد ،  
ولكن كرد على وسفيا نوس وكاتنا جون وغيرهم  
لم يكونوا بحاجة إلى قائد

ولم توصف موقعة أسكولانا على ما يظهر  
بالوصف الذى تستحقه فتخيل سبعة رجل من  
الألبان واليونان والبلغار وحشالات كل  
الأجناس وليس فيهم من يعرف شيئاً عن فنون  
الحرب ... تخيل هؤلاء أمام خمسة عشر ألف

« كرد على » بلغارى غولاه . وهذا اللقب فى  
اللغة التركية يطلق على ذوى الجرأة والقوة ، ولا أعرف  
ما هو أصل الاسم الذى يتسمى به بطل هذه القصة  
فقد أطلق عليه لقب « كرد على » وعرف به وأصبح  
شخصية مخوفة مرعبة فى أنحاء « مولدافيا » لكثرة  
ما تركه من العدوان

ولما أعلن اسكندر أيسلانتى الثورة وأخذ فى  
حشد المتطوعة جمع له كرد على أصحابه القدامى من  
قطاع الطرق ومن على شاكلتهم . وكان هؤلاء  
لا يدركون حقيقة السبب فى نشوب الثورة فقد  
كان مثبها يبنى من ورائها تحرير اليونان .  
ولكنهم كانوا يرون فى الحصول على الثروة من  
أسلاب الأتراك أو أهل مولدافيا سبباً كافياً لنشوب  
أية ثورة

وكان اسكندر أيسلانتى شجاعاً ، ولكن لم  
يتوافر لديه من الصفات ما يكتفى لتنفيذ المهمة التى  
أضطلع بها ، فلم يستطع السيطرة على رجاله الذين لم  
يكونوا يحترمونه ولم يكونوا يثقون به

مولدافيا من الثوار إلا سبأته ألباني تشردوا في أنحاء  
بساريا . ومع أنهم كانوا لا يكادون يحصلون على  
القوت فأنهم كانوا شاكرين حماية روسيا . وكانوا  
يرون جلوساً في المقاهي الصغيرة في بساريا التركية  
الروسية وعلى أفواههم أقذاح القهوة . وقد  
أخذت الرثاة تبدو على أكسيتهم الملونة وأحذيتهم  
الحمراء . ولكن طرايشتهم الحمراء الطوية ذات  
الزر الطويل كانت لا تزال ماثلة إلى أحد الجانبين .  
وكانت الخناجر والمسدسات لا تزال على مناطقهم ،  
ولكن أحداً لم يشك فيهم ، فقد كان من الحال  
أن يتصور إنسان أن هؤلاء المساكين بقية من  
ثوار مولدافيا زملاء كرد على وأن كرد على نفسه  
كان بينهم

على أن الباشا التركي علم بهذه الحقيقة وطلب  
إلى السلطات الروسية عملاً بالمهادت أن تسلمهم  
إليه فاعتقلهم ولم ينكر كرد على شخصيته ولم ينكر  
ماضيه وقال :

« ولكنني منذ عبرت نهر بروث على أثر  
الموقعة لم أمد يدي على أي إنسان ، وقد يكون  
الأتراك وأهل مولدافيا محقين في عداوتهم إياي لأنني  
كنت أقطع الطريق عليهم ، ولكنني ضيف على  
الروس فلماذا يسلموني إلى أعدائي ؟ »

وبعد هذا القول لزم الصمت وانتظر في هدأة  
ما تقضى به الأقدار في شأنه . ولم يطل أمد انتظاره  
فإن السلطات لا تنظر إلى قطاع الطرق نظرة العطف  
التي يلقيها عليهم الكتاب والشعراء لا نصرافهم

فارس من فرسان الجيش التركي العظيم  
عسكرت هذه الفرقة أمام نهر بروث وأمامها  
مدفعا قل في الفرقة من يعرف كيف يستعملان .  
وكان بود الأتراك أن يبدأوا بإطلاق النار ولكنهم  
في تشبث وعناد أرادوا أن تكون نحن البادئين  
وكان قائداً بحمد الله لم يسمع قط صوت  
رصاصة تطلق ، فلما بدأ الجيشان بإطلاق الرصاص  
في الهواء نفر سمعه ، ونفذ صبره ، وتقدم جيشنا  
متوعداً الجيش التركي بسبابته ثم ارتبك فلم يعرف  
ماذا يفعل . ثم بدله أن يجري يجري على شاطئ  
النهر وجري وراءه جيشه . وفي أثره كتلة الجيش  
التركي .

وكان هذا القائد الذي هدد جيش الترك  
بأصبعه يدعى خوتشفسكي ولا أعرف ماذا صار  
إليه أمره

وفي اليوم التالي هاجم الأتراك جيش الثوار .  
وعلى خلاف عادة الترك لم يستعملوا المدافع ، بل  
استعملوا السلاح الأبيض ، فكنت ترى الرمح في  
يد كل جندي . ولم يكن الأتراك قد استعملوا  
الرمح من قبل ، وكانت رماحهم روسية سلبوها  
من جنودنا في موقعة سابقة . جرح كرد على في  
تلك الموقعة ، وقتل سفياوسى . وكان كاتناجوني  
عظيم الجسم فأصابته حربة في بطنه فاستل سيفه  
باحدى يديه ، وقتل نفسه حتى لا يموت بسلاح  
العدو .

وبانتهاء هذه الموقعة تم النصر للأتراك . وخلت

الباشا فحكم باعدامه ، ولكنه أرجأ موعد التنفيذ إلى يوم عيد . وحجز المحكوم عليه في السجن إلى أن يحين الموعد .

وتولى حراسته في السجن سبعة أتراك هم في صميم أنفسهم لا يختلفون شيئاً عن كرد على لأنهم قطاع طريق مثله . ولذلك كانوا يحترمونه ويصغون في دهشة ولذة إلى ما يقصه عليهم من الأحاديث

ونشأت بين السجنين وبين حراسه مودة وصداقة . وفي يوم من الأيام قال لهم كرد على : « أيها الاخوان ! إن ساعتى قريبة وليس يستطيع إنسان أن يفر مما قدر عليه ، فسأترككم ولكي أريد أن أترك لكم أثراً تذكرونى به »

أرهب الأتراك أذانهم ليسمعوا ، واستمر كرد على يقول : « أيها الاخوان ! منذ ثلاثة أعوام كنت من قطاع الطريق في منسرخ ميخالاكلي . ودفنا بالقرب من هذه المدينة آتية مملوءة بالمال . ثم منفتحة ظروف الثروة والحرب عن أن نستردها وسأدلكم عليها فهي لكم »

كاد الأتراك أن يفقدوا حواسهم ، وكان السؤال الوحيد الذى يخطر ببال كل منهم هو كيف يستطيع الوصول إلى مكان هذه الآتية . ورأوا أنهم لا يستطيعون ذلك إلا بإرشاد السجنين نفسهم . فلما أقبل الليل ، فكوا الحديد عن يديه ورجليه وربطوه بحبل ثم أطلقوه وساروا خلفه خارجين من المدينة

قادم من مكان إلى مكان فمشوا مسافة طويلة .

إلى الجانب الرواى من حياتهم . ومن أجل ذلك سبق كرد على مكبلاً بالحديد إلى السجن فكان يبدو من النظر إلى وجهه أنه ابن الثلاثين . وقد كان طويل القامة عريض الكتفين عظيم القوة عليه علامات الخشونة ، وفي نظرائه زهو وهذأة . ودخل غرفته في السجن موظف تركي أحمر الوجه أشيب الشعر يرتدى ثوباً عسكرياً قد سقطت منه ثلاثة أزرار . وفي وجهه كتلة حمراء من اللحم مثقوبة تقوم في ذلك الوجه مقام الأنف . وكان في يده أوراق أخذ يتلوها وهو بين حين وحين ينظر إلى كرد على وهو يصنى إليه باهتمام .

وبعد أن فرغ الموظف من القراءة طوى الأوراق وصاح في خشونة بأن يحمل السجنين إلى مدينة جاسى ، فالتفت كرد على إلى الموظف وتمتم في صوت يهدج ، وقد تساقطت من عينيه العبرات وتغير شكله تغيراً عظيماً ؟ وعرفته رعشة جعلت لأصفاده وأغلاله رنيناً أزعج الموظف فتقهقر ثم صعد السجنين بالأمر فاستسلم للجنود الذين حملوه إلى عربة جرت به في الطريق .

قال موظف صغير لذلك الموظف العسكري : « ما الذى قاله لك كرد على ؟ » فأجاب وهو يتسهم : « لقد طلب إلى أن أعني بزوجته وابنة اللذين يعيشان غير بعيد في مدينة كيلىا وهي من قرى بلغاريا فإنه يخشى أن تؤذيها الجماهير بسببه فإن الجماهير حمقاء .

ووصل كرد على إلى مدينة جاسى فحوكم أمام



إلى ما يطلب ؟ نحن سبعة ؟ فلنحلّ وثاقه ولنعطه خنجراً .

وأخيراً وقف أمام صخرة عظيمة . وقال : هنا تحت هذه

وما أغرب الشعور الذى شعر به عند ذلك ! لقد تناول الخنجر وأخذ يحفر . وفي أثناء عمله أغمد الخنجر فى صدر أحدهم وتركه فى صدره واختطف من منطقة المصاب مسدسين

وقفا الأثرى يتدبرون . ولما استقر رأيهم أخرج أربعة منهم الخناجر ، وأخذوا يحفرون بها حول الصخرة . وبقي ثلاثة منهم فى الحراسة . وجلس كرد علي فوق الصخرة ينظر ويتربّس ؛ ثم قال بعد

وما يزال كرد علي إلى اليوم يقطع الطريق

مدة : ألم تجدوها ؟ فقالوا : كلا

بالقرب من جاسى ، وقد كتب منذ أيام إلى حاكم المدينة يطلب إليه أن يترك فى مكان عينه خمسة آلاف ليقى ، متوعداً بأنه إن لم يرسلها فهو ميت لا محالة وقد أرسل إليه هذا المبلغ

فأظهر أنه فقد صبره وقال : من أي نوع من الناس أنتم حتى حفر الأرض لا تستطيعونه ؟ إننى كنت أفرغ من عمليكم هذا فى دقيقتين . حلوا وثاقى وأعطوني خنجراً

وهذا هو كرد علي عبد اللطيف النشار

فكر الأثرى ثم قالوا : أى ضرر فى إجابته

علمكم المصرى يرفرف على

النيل و كوثر

فهما رمزا بلادكم

سافروا عليهما تجدوا راحتكم المنشودة

غرف فاخرة .. طعام شهى .. خدمة كاملة

اتصلوا بشركة مصر للسياحة

شارع ابراهيم باشا رقم ٤٩

# عَوَاكِدُ الْفَرَسِ

للكاتب الفرنسي يودور دي بانفيل  
بقلم السيد محمد العزاوي

الوسادة الحائلة .  
وكثيراً ما كانت الجدة  
تمسك الصندوق  
ساعات طويلاً ، كأنها  
تريد أن تنتهي من  
أمره إلى حل ، وتتخذ  
خيال ما فيه قراراً .  
ودعيتها سكرة الموت

قبل أن تقرر مصيره أو تتخلص منه  
واستشعرت السيدة دافراي قلقاً يساورها عند ما  
عثرت يداها الباحثتان على الصندوق الصغير .  
وقررت أول الأمر أن تحرقه — أمانة منها  
وإخلاصاً — دون أن تعرف ما فيه من أسرار .  
ولكنها لم تفعل ذلك خشية أن تضيع — بحرقه —  
أداء واجب عليها أدائه ، أو وصية لا بد منها .  
وهكذا فتحت الصندوق وألقت ملياً برسائل جمة ؛  
لا تحمل العنوان على الأغلفة كما هي الطريقة الجديدة ،  
ولكن تحمله على شرائح من ورق رفيع . وقد  
علمت — بعد أن بصرت بأول خطاب — أنها  
ليست رسائل جدتها مدام دي برييل ، ولكنها  
رسائل أم جدتها — السيدة إيودكسي ترين . وقد  
رأت هورتنس تلك الجدة المتيدة . فلما لم تحت  
إلا أخيراً في سنة ١٨٧٢ . ولها من العمر خمسة  
وثمانون عاماً .

على أنها تستطيع أن ترى خيالها كل حين إن  
أرادت ، فأمرتها بمحفظ لها بصورة رسمها البارون  
جروس ، في مبة شبابها ووفرة صباها . وقد كان عن  
طريق غريزة ركبت فينا ، نشعر بها ولا نستطيع  
أن نكفيها ، أن رأيت هورتنس دافراي بينها وبين

(٥)

استكلت السيدة هورتنس دافراي في ١٨٨٢  
ربيعاً المشرين ، وليس في قولي « السيدة » تجانفاً  
منى ولا ميئناً . فقد كانت هورتنس زوجة ؛ بل  
أرملة بأسة لا ولد لها يسهر عليها ولا قريب يؤويها  
إلا جدتها « مدام دي برييل » . . استقدمتها تلك  
الجدة لتشارها العيش في مسكنها بشارع ليل .  
وكانت هورتنس تنشق — بقرب جدتها — آخر  
نسبات العيشة العائلية الهادئة تهب عليها في وقي  
وهدهو . قد مضى الآن حولان كاملان على وفاة  
جدتها الطيبة التي ماتت حزينة قلقة على مصير  
حفيدة إذ تتركها وحيدة في غياهب الفقر وأمواج  
الحياة . . إنها عُمِّرت ثمانين عاماً رأت فيها من تحب  
يتزوجون ، ومن تعرف برحلون ، ولم يبق منهم  
أحد تمهد إليه بحفيدتها البائسة .

ولما أحست مدام دي برييل بأجلها يقترب ، رتبت  
أمرها في شهرها الأخير ، كي لا تقلق بال حفيدة .  
ولقد غالت الجدة في ذلك ، فكانت ترمي أوراقاً كثيرة في  
النار وتحفظ الأخرى . وكانت الجدة تحفظ — طوال  
مرضها — بصندوق صغير في دولابها الكبير .  
وكانت تضع مفتاحه في خيط من الحرير تحت

صورة المجدبة - التي صورت من ثلاثة وخمسين عاماً خلون - شهباً قوياً . بل لشكاد - إذ تنظر إليها - ترى وجهها في مرآة صافية !

ذلك بأن الطبيعة يحلو لها في فترات مختلفة وفي أسرار خاصة ، أن تعيد خلق وجوه درست وتوت بالتراب من أمد بعيد . . . تعيد خلقها كما كانت ؛ كأنها مثال يأخذ عدة أشكال من قالب واحد . ولكن المرء يسأل نفسه في تلك الأحوال : إلى أي حد يبلغ الشبه ؟ أيقصر على الوجه والخلقة ؟ أم يسيطر على الأفكار والمشاعر ؟ أم ينفذ إلى سواد الفؤاد ؟ . . . تلك مشكلة من مشا كل العلم الحديث يرمينا بها فتفتح أمامنا آفاقاً واسعة غير ذات بر ولا حدود . . .

وقبل أن نقرأ السيدة دافراي أولى الرسائل لمحت سكة كبيرة تندرج في الصندوق بجوار جداره الرقيق . فالتقطتها ، وتفقدتها ، فإذا بها رسم ملازم شاب ، من ضباط الدولة الأولى ، ذي شعر وحف جعد ، وعينين يلعب فيهما بريق الشهامة ويأس الشيب . وجهه قسمتها ندبة جرح طولى إلى قسمين عريضين . يتبسط أكرمها من حاجبه الأيمن إلى مبتدئ الشعر بوسط الحيا . وجهته عامة جبهة شجاع جصور . وأدمنت هورتنس النظر في الصورة ، فغذها بريق العينين ، وقتنها سحر الجلال ، وأخضعها بأس الهوى ؛ فاستشعرت في قلبها آلافاً من المشاعر المتضاربة المركبة ، آلافاً من خوف وأخرى من سرور ، إنها تحب ؛ ولكن ولها من تحب ؛ ففتى مرت على وفاته حقب وأعوام ، وتوالت على قبره أحداث ورجام ؛ فتى دالت دولته ، وراحت صولته ؛ وقدر لها ألا تراه على الأرض حياً ؛ . . . ولكن كثير ما لعبت الجذوة التي تلهبها بالحقائق والأفكار ؛

وكثيراً ما كانت الحقيقة شيئاً مستحيلاً ، فليس ضرورة أن يكون الشيء ممكناً حتى نقول بأنه حقيقة وإنه لمن الضلال البعيد أن نقول بأن هورتنس قد نجّأها الحب بفتة ، ولسكنها كانت تنسج في قلبها بحب قديم ، له آلامه وآماله ، ولسبب ماخذ وانظافاً بل نزع من القلب والدهن انزعاً . ولكنه استمر نجاة ، وقفز إلى ذهنها وقلبها معاً يعذب هذا بالذكريات ، ويكوي ذاك بالشوق والألم وتفقدت الرسائل فإذا بماضاء واحدة تذيّلها جميعاً . وقرأتها في شغف وجنون . ثم كانت لاني عن القراءة والإعادة كأنها محبومة . ولم يكن عسيراً أن يجمع المرء خيوط القصة التي أجمت تلك الرسائل تزوجت جدتها السيدة إودكسي تيرن من أحد متهمدي الجيوش . وكان كهلاً أنانياً ، أفسدته الخلاعة ، وأضواه المجون . وقد مكنتها منه زوجها من الاتصال بضباط الجيش . فهام بحبها ملازم شاب من جنده نابليون ، يدعى بول فيراديير وجرفها تيار هواه . فلم تستطع أن تقاوم أو تنشب . فسأيرت التيار في هواه وإخلاص . فكان جيلاً أن ترى عاشقين شفهما الهوى وبرحهما الغرام يتعاطيان كؤوس الوصل مترعة هنية ، وينهلان من منبع الحب الخالص ، فيحلمان بسعادة خالدة ، ونعيم مقيم . غير أنهما - طوال الوقت - يشمران بأجنحة الموت السوداء تصفق فوقهما كأجنحة الخفاش الأعمش ، وبأنسان بمسوح الردى الطخياء تهدهدها بالبعيد والحداد .

ونزعان ما تبددت الأحلام ، وحلت المخاوف ؛ لقد فرق الدهر المشتت بينهما أيام « أوستلتر » وإيتنا وإيلو ؛ أيام فريدلند ووجرام . . . وكانا قليلا ما يلتقيان - في تلك الأعوام العصيبة - لحظات

توجد المستحيل ! ولم تكتف بذلك بل وهبت نفسها  
لفرنديير هذا دون أن تفكر لحظة أنه مات منذ أمد  
بعيد ، في تيه المجد ونجاة النصر البين . واعتقدت  
أنه يوماً موافها ، وأنها ملاقيته بعد أمد قريب  
أو بعيد ، وأنها مسلمة عليه ومصغية لحدِيثه الجنون ،  
ولم يخامرها في يقينها هذا شك ، ولا وجدت على  
عقيدتها غباراً ... رأت فأجبت فأغرمت فتعذبت  
ثم راحت تنتظر الحبيب بثقة واطمئنان !

لورأى النائم المعجزات في حلمه لما استغرب ،  
لأن النفس تكون متطرفة من الواقع ونظمه ،  
والحقيقة وأشراطها . وكذلك لم تستغرب هورتس  
دافراي — حينما كانت ترور مدام دي سيمور —

أن تعلن الخادم قدوم السيد پول فرانديير !  
رأته يدخل ؛ هو بعينه الذي أحبت وتحب :  
پول فرانديير ! پول فرانديير بشعره الوحف المجدد ،  
وعينه السوداوين ؛ ثم نبذة الجرح في جبهته  
العريضة ... لم يكن هناك فرق سوى أنه يرتدى  
زى ملازم من مدفعية الفوج الافريقى الأول ...  
كلا ! لم تعجب مدام دافراي إذ تراه ، فقد كانت  
تنتظره بصبر واطمئنان . على أن قلبها غاص في خنايا  
صدرها البض ، وراح يحطم ضلوعها بحفقه الشديد ،  
وودت أن لم تكن بين ذلك الجمع من الرجال المثاقين  
وتلك الثلة من النساء ذوات الأساور والحلي ، فتقفز  
كالنزال إليه ، ثم تتيب في أحناء صدره الرحيب  
قائلة « هأنا ذى » !

وانحنى فرانديير لعمته مدام دي سيمور . ثم  
برى هورتس نجاة ، فيهب ؛ لاعرفانديه ولا تكرر ؛  
وغاض لونه وأصفر وجهه ، واستطاع بعد لأى أن  
يعتمد على الحائط ويجر قدمه الواهنة إلى مخدع كان  
لحسن الحظ خالياً ، فتخاذل وارتجى على بساطه

معدودات . ولكن فرانديير كان يختلس ما بين  
واقعتين أو ما بين نصرين فيسطر لها — وهواشعث  
أعبر — آيات الحب والهيام . وبينها وقدة الشوق  
وجنوة الهوى . يسطر لها رسالات مترعة أسمى  
وعذاباً ، تقرأها الآن حفيدتها الصغرى بين دمع  
وأكف وقلب خافق ؛ بين صدر يعلو ويهبط كاللوح ؛  
وأنفاس حرى تذهب وتجيء . كان من أجل  
لايودكسى — كما كان من أجل نابليون — أن  
خاض فرانديير المارك الدامية ، وشرق في البلاد  
وغرب ، وقاسى كثيراً واصطبر . كان يريد أن ينصر  
الماهل حتى النفس الأخير ، وأن يكسب لايودكسى  
عروشاً نفياً .

ومات في تلك الأثناء زوجها . وحن فرانديير  
الأمل ، وحن إليها ففكر في الرجوع إلى الوطن .  
وبينا الأمل ينمو ويوطد الحذور ، والشوق يستعر  
والقلب خفاف ، إذا به يقع في الميدان يتسحط في دمه  
المفرم ، وإذا برصاصة تخترق صدره الماشق وتسكت  
قلبه الخافق . فتوى في حزون سمولتسك الباردة  
وحيداً ، لا قلب يخفق له ، ولا دمع يترقق في  
الحاجر أسمى عليه . ونهى فرنديير زميل ائتمنه  
على سر قلبه وذات صدره . وكان خطاب الزميل مع  
الرسائل الأخرى في الصندوق الصغير .

ما في هذا الأمر من شيء غريب . ولكن  
الغريب حقاً أن يترامى لهورتس دافراي أن  
التوسلات والذكريات التي حفلت بها الرسائل ، وأن  
الجوى والهيام كل ذلك لها هي من دون جدتها  
لايودكسى تيرين . واندمعت روحها الظامئة ناشدة  
ذلك الحب ، تاركة وراءها الحقيقة ونواميسها ؛  
وحلقت بالنرام في الخيال خافلة عن الواقع ونظمه ،  
وتماذت في ذلك فاستباح لنفسها أن تخلق المعلوم وأن

من أمرى شيئاً . وكنت أعلل نفسي أنى ملاقيها  
في جنان الرحمن حيث لا تعجز اللقيا ... ولم يكن  
خيالى يستبيح لنفسه — وهو الشرود الجرح —  
أن يتصورها حية في عصرنا هذا . فهو إن صورها  
يصورها نائمة بجبال بين الورود والزهور في جدها  
الماطر . فيطير لبي شعاعا ، وتسرق نفسي هياماً  
وحيا ! ...

— هذا حسن ! ولكنك لم تحدث لي من أمر  
الصورة ذكرأ . كيف تناهت إليك ؟

— ذاك أمر بسيط ! فقد كانت لدى أبى  
— في مكتبته — مكتباً مهجوراً . طلبته منه كي  
أستدكر عليه فأعطانيه ولم يعمل . وقال لى إنه من  
مخلفات — سمي — عمه الأكبر پول فراندير .  
كان ملازماً في جيش الدولة الأولى . ومات في  
سمولنسك في السابع عشر من أغسطس سنة ١٨١٢ .  
وكانت مفاتيح المكتب ضائعة فاضطرت إلى كسر  
أغلاقه ، وفي أحد أدراجها الخفية عثرت بىداى  
المجدودتان بتلك الصورة المقدسة ، ولقد عشقتها من  
ذلك الحين .

— حقاً إن في ذلك الحادث جانباً كبيراً من  
الغموض والابهام ، وعلى أية حال فانت شاب طليق  
وهى فتاة حرة . فلا مانع بفصلكما من الحب  
ومحرمكما الزواج .

ولكن الأمانى كانت سراباً . فقد أدرك كل من  
پول وهورتنس صاحبه ، فتذاكرا اليهود وجددا  
الغرام ، فتعا بمحنة الحب لأمد قصير . ولكن پول  
ذهب في فوجه إلى « تونكين » وهناك مات —  
كجده — برصاصة شقت الصدر وباتت في القواد ...  
أي بؤس وعذاب ! ...

« شين الكوم » سير محمد العزاوى

التمين . وذهشت مدام سيمور من سلوكه الناشز  
عن العرف والتقليد ، فتعقبته إلى حيث تداعى يثن  
أنثياً . ودخلت المخدع ساعة رانت عليه صفرة الموت  
وغاب عن الوجود

واستدعت عتمته طبيباً مشهوراً من أضيافها .  
ولكنها أحست — بفرزة المرأة — أن هناك سرأ  
لا يحسن أن تُفصّل غُلفه لأحد غريب . فجثت  
على الليل تلك رأسه وصديغه ، وتنشقه بعضاً من  
ملج قوى مفين . ثم رفعت رأسه براحتها واضعة  
تحتها وسادة من حرر غال

ولما أن أفاق ونأب إليه الوعي ، دس يده في حبيب  
صداره وأخرجها تحمل رسماً على ورق قديم ، حمه  
قبالات والهة ، فأراه عتمته ، ثم صاح في فرح المجنون  
وطرفه غريق في السمع المتهون : « أي بلانش !  
بلانش ! إنها تحيا ! » فأجابته عتمته : بلانش ! بالطبع !  
إن هورتنس دافراى تحيا ، وهى فوق ذلك صديقتى .  
ولكن قل لى لم تدخل في زى الدولة الأولى ؟ على  
أنك لم ترها مرة واحدة ! فما معنى تلك النوبة التى  
انتابتك من لحظة ؟ فقال فراندير :

— إنى لم أرها إلا الآن ولكن روحى هامت  
بها من زمن بعيد ، وأوسعتها حباً وعشقاً . وقد  
استقر حبها بين جوانحى وفؤادى ، وسرى بين لحمى  
وعظمى . لم يفارقنى ذلك الرسم منذ خُصص إلى  
وتناهى من ثلاثة أعوام خلون . واصططحيت في  
الفتح والحروب ، في التفق والتخادق ؛ فكان  
رسول السلام إلى قلبى الموله الجازع إذا ما اشتد  
الزأل وحى الوطيس ؛ وكان بشير الحصانة إذا  
مارتن على الرؤوس الموت ليختار على أى يقع .  
كان فيض الأمل ونبع الحياة ؛ كان كل هذا برغم  
ما كنت أعلم عن موت صاحبته . ولكنى لا أملك

# أجلائين وسيليزيت

رواية تشيلية في خمسة فصول

للأستاذ البليجي موريس مارتلك

بقلم الدكتور محمد غلاب

هنا . إنه على حافة  
الجزان ، ذلك المكان  
الذي أيقظت فيه  
« أجلائين » أنفاً  
إيسالين -  
شقيقتي ، انظري من  
هنا ، إنني أرى  
البتاني الذي لا يزال  
يفرس زهوراً حول  
القصر

تمة الفصل الرابع

## المنظر الرابع

( يقع هذا المنظر فوق قمة البرج حيث ترى  
« سيليزيت » وأختها « إيسالين » الصغيرة )

سيليزيت - هانحن أولاء فوق قمة البرج  
يا إيسالين ، وفي هذه الآونة يجب أن نعرف ما ينبغي  
عمله ... أوه ما أكثر النور في السماء وعلى الأرض  
وفوق سطح البحر ! ثم لماذا هذا اليوم هو أكثر  
جمالاً من جميع الأيام الأخرى ؟

إيسالين - أين هو ذلك الطائر الأخضر ؟

سيليزيت - إنه هنا ، ولكنه لم يَر بعد ،  
وسننتحى بعد قليل على الحائط ، ولكن انظري  
هنا قبل كل شيء ، إننا نرى كل القصور والحدائق  
والقنات . إن جميع الزهور قد تفتحت على شواطئ  
الجداول ، أوه ! ما أبعد خضرة الأعشاب في هذا  
الصباح ... ! إنني لا أجده « أجلائين » ... ولكن

هل ترين هناك « ميليندر » إنه ينتظرها ... اخفضي  
قامتك ، فلنختبي ، إذ لا ينبغي أن يكشف وجودنا

سيليزيت - إنك ستريها تكبر وتتفتح  
يا إيسالين وستقطفيها لأجلي<sup>(١)</sup> ... تعالى تعالى ،  
أنا لم أعد أستطيع النظر إلى ذلك ، فلننظر من هذه  
الجهة الأخرى التي لا يرى منها إلا البحر الأكثر  
بعداً عنا من القصر ... إن البحر لجليل أيضاً ! إن  
الإنسان لا يستطيع أن يجد فيه مكاناً جزيئاً في هذا  
الصباح ، إنه قد بلغ من الخسرة والعمق إلى حد أن  
الإنسان لا يجد الشجاعة الكافية ... ثم إن كل  
ما يمكن أن يحدث لا يستطيع أن يحول بينه وبين  
ابتسامته هذه إلى المساء . هل ترين هذه الموجة  
الصغيرة التي تنكسر على الشاطئ ؟ أنا لا أستطيع ،  
أنا لا أستطيع ، قلت لك : إن الزهور والبحر يمتلئان  
من عمله . لا أستطيع أن أفعل ذلك أثناء النهار  
إيسالين - هذه هي الطيور البحرية يا أختي ،  
إنه يوجد منها آلاف مؤلفة

سيليزيت - إنها تخبئ معاً من الجانب الآخر

(١) عبر المؤلف هنا بحجة تدع القاري يفهم أن سيليزيت  
تقصد أن أختها ستطف الزهور لتضعها على قبرها دون أن  
تصرح بهذا حتى لاتنبه الفتاة الصغيرة إلى ما تري إليه شقيقها

والدتي ولم تبسم لى فى اللحظة الأخيرة ، فانى لا أزال أتمثل أمامى أنها لم تبسم لى كأن كل أيام الحياة لا يعتبر منها إلا هذه اللحظة الأخيرة . ثم ما ذا قلت لها عن أخلافين ؟ إننى لم أعد أذكر .. ينبغى أن أرى جدتي ثانية ، أما الآخرون فانا أفعل كل هذا لأجل سعادتهم ، فينبغى ألا يعلموا شيئاً . لكن هي منفردة ، وليس لأجلها أنى صعدت فوق البرج أو أنى سأزل من فوقه . أنت تفهمين أنه من غير الممكن أن أتركها هكذا . تعالى تعالى ، سنقاتها عنافاً أكثر قوة من قبل .

### المنظر الخامس

(يقع هذا المنظر فى أحد أجنحة القصر حيث توجد الجدة العجوز نائمة وترى « سيليزيت » و « إيسالين » داخلتين عندها )

سيليزيت موقظة « ميليجران » : جدتي .. ميليجران — ها أنت فى النهاية قد عدت بعد أن انتظرتك طويلاً .

سيليزيت — اصفحى عني أيتها الجدة ، فانا أعتقد أننى لم أكن وديعة حين فارتكت منذ زمن ميليجران — بلى ، لقد كنت جد وديعة ، ما ذا حدث ؟ يخيل لى أنك مضطربة .

سيليزيت — أنا لست مضطربة يا جدتي، ولكننى كنت محتاجة لأن أقول لك : إنى أحبك .

ميليجران — أنا أعرف ذلك يا سيليزيت ، ولقد برهنت لى عليه أكثر من مرة فى حياتك ، وأنا لم أرتب قط فى هذا الحب .

سيليزيت — نعم يا جدتي ، ولكننى لم أكن أعرف ذلك حتى الآن .

ميليجران — اقتربنى منى أكثر من ذلك

البحر كأنما تحمل معها أخباراً جديدة ...  
إيسالين — لا لا ، إنها تحمل أسماً كيا يا أختى ، وإن صغارهن تصيح فى أحجار حواط البرج ، إن مناقير تستوى مع أجسامهن فى الطول . هل ترين ذلك الطائر الكبير الذى يحمل ثمان البحر ؟ انظري إنها قد انتهت من أكله . ... ..  
... ..

سيليزيت — ماذا قلت لجدتي يا إيسالين ؟

إيسالين — لماذا تبكين يا أختى ؟

سيليزيت — أنا لا أبكى ، وإنما أفكر ...

أنا أفكر ... هل قبلت جدتي قبل أن أنصرف ؟

إيسالين — نعم أنت قبلتها ساعة انصرافك

سيليزيت — كم مرة ؟

إيسالين — مرة واحدة يا أختى ، لأننا كنا معجبتين

سيليزيت — أنا أعتقد أننى لم أكن وديعة معها

إيسالين — لقد كنا على عجل يا أختى

سيليزيت — لا لا ، أنا لا أستطيع أن أفعل

هكذا ، إنما ستكون وحيدة ، وإنها سوف

لا تذكر إلا شيئاً واحداً ، وهو أننى لم أكن وديعة

ألا ترين أنه حين يرتحل الانسان ولم يكن ساعة

رحيله أكثر وداعة منه قبل الرحيل ، فإن من حوله

يظنون أنه لم يعد يجهم ؟ ولكن العكس هو الذى

ينبغى أن يمتد فى مثل هذا الموقف ، لأن الانسان

الذى يفرط فى الحب هو الذى يخشى أن يكون

وديماً . حقاً إن هذا الحب الذى يأتى أن يكون وديماً

فى اللحظة الأخيرة هو مخطيء ، لأن من يحوطونه

لو عاشوا بعده ألف سنة لما تذكروا من كلامه إلا

الكلمة الأخيرة . ولقد رأيت أنا نفسى حينما توفيت

أقول : إنني كنت سعيدة ما دمت أنت لم تتقاري  
الزل الذي أحيا فيه .

سيليزيت - لا ينبغي أن تتعلق السعادة بهذا  
يا جدي . أ كنت تصبرين شقية لو لم أكن أعيش  
معك ؟

ميليجران - ستستطيعين أن تكوني سعيدة  
حين لم أصبح موجودة باطلتي ، لأنه سيتبقى لك  
بعدى أشياء كثيرة .

سيليزيت - إذا فقدتني فستكون لديك أجلايين  
ميليجران - إنهم لم تنم قط على ركبتي ياسيليزيت  
سيليزيت - أحبها بالرغم من ذلك يا جدي .

ميليجران - أنا أحبها مادمت تحبها باطلتي  
سيليزيت - يجب أن أحبها على الأخص لأنها  
هي التي صيرتني سعيدة . إنها جميلة أنها الجدة

إلى حد أنني منذ عرفتها من قلبي وأنا أعيش إلى  
جانها ، وعيناي دائماً مبتلتان بالدموع .

ميليجران - إن يدك بحرقة الآن يا سيليزيت !  
سيليزيت - هذا لأنني مُفرطة في السعادة  
أيها الجدة . هل ألتك أحياناً ؟

ميليجران - أنا لا أذكر ألبته شيئاً من ذلك  
باطلتي .

سيليزيت - بلى ، بلى ، لا بد أنك تتذكرين ،  
لأن الانسان لا ينسى من أن يؤلم من يحبه أحياناً ،  
لكن ينبغي أن تقول لي : متى قدمت إليك أكبر  
الألام ؟

ميليجران - أنت لم تقدي إلى إلا قليلاً من  
الألم كلما كنت تبكين ، وحيناً كنت تبكين لم تكن  
هذه غلطتك ، وهذا هو كل ما ذكره .

سيليزيت - أنت ابن تربي باكية بعد الآن  
أيها الجدة .

باطلتي ، لأنك تعرفين أنني لا أستطيع أن أعانق  
من أحب ما دامت ذراعي السكيتان لا تطيعاني .  
أنت تظهرين لي غريبة هذا اليوم . ألم تكوني تعرفين  
إلى الآن أنك تحبينني ؟

سيليزيت - بلى ، أنا كنت أعرفه كما  
يعرف الانسان أحياناً دون أن يعرف ، ثم يعود  
فيقول في نفسه : إنه لم يكن خيراً ، وإنه كان يمكنه  
أن يفعل أكثر من ذلك ، وإنه لم يجب كما كان  
ينبغي أن يجب ، ثم هو بعد ذلك يريد أن يستأنف  
قبل أن يمضي الوقت وتضيع الفرصة . أنا ليس لي  
أب ولا أم يا جدي ، ولولا وجودك لما عرفت كيف  
تكون الأم . أنت لم تهجري قط سيليزيتك الصغيرة .  
ولقد كان يسعدني أن أعرف إلى من أتجه حينما  
تنزل في عادية من عدايت الشقاء .

ميليجران - لكن لا .. لكن لا ياسيليزيت بل  
أنت التي لم تهجري . لقد كانت تلوح عليك علامم  
الجد المرير بعد ظهر اليوم ، ومع ذلك ، فأنا لا أظن  
أنا حزينة .

سيليزيت - لقد كنت دائماً سعيدة ، والآن  
أنا أعرف ما يمكن أن تكون السعادة .

ميليجران - أو لم تفقدوها على الأقل ؟  
سيليزيت - بالعكس ، أنا أعتقد أنني وجدت .  
وأنت يا جدي أ كنت سعيدة أيضاً ؟

ميليجران - متى ذلك يا سيليزيت ؟  
سيليزيت - في الزمن يا جدي .

ميليجران - عن أي زمن تتكلمين يا طفلتي ؟  
سيليزيت - أنا أتكلم عن زمن الحياة يا جدي  
ميليجران - لقد مررت في أيام سيئة كجميع

الذين يعيشون فوق الأرض ، ولكنني أستطيع أن



ولكن الجمال يبق ، وهناك قوم آخرون سعاد .

ميليجران — من قال لك ذلك يا طفلي ؟

سيليزيت — إن أجلائين هي التي قالت لي كل ذلك أيها الجدة .

ميليجران — ما أشد لعمان عينيك ياسيليزيت ! أنا أعتقد أنك تبكين يا طفلي .

سيليزيت — لا لا ، أنا لا أبكي ، وإذا بكيت قليلا فأنما من السرور أبكي .

ميليجران — قبليني ياسيليزيت ، قبليني بقوة وامكثي بالقرب مني .

إيسالين — أيها الأخت أنا أريد أن أعاقها أيضا  
سيليزيت ، مبعدة إيسالين يديها : لا لا إيسالين  
دعيني أعاقها وحدي اليوم ، سيأتي بما قرب اليوم  
الذي تماقنيها فيه بدورك منفردة ... وداعا أيها  
الجدة وداعا

ميليجران — سيليزيت ! ماذا حدث ؟ أين  
تذهبين ؟

سيليزيت — وداعا أيها الجدة وداعا

ميليجران — سيليزيت ، امكثي هنا ، أنا  
لا أريد ، أنا لا أريد مطلقا أن تنصرفي

( قالت هذه الجملة وهي تحاول في جهد شديد  
أن تمد ذراعها في الفضاء )

أنا لا أستطيع ، أنا لا أستطيع ؛ وأنت ترين  
ذلك جيدا ياسيليزيت

سيليزيت — وأنا أيضا لا أستطيع أيها الجدة .  
وداعا نامي في سلام هذه الليلة ولا تحلي أحلاما  
مزعجة . وداعا أيها الجدة وداعا .

( قالت ذلك وخرجت بسرعة ، ويدها قابضة على يد  
أختها الصغيرة )

ميليجران — إعرني جيدا ياسيليزيت أنت  
السعادة تندو وتروح بين أفراد بني الانسان أشبه  
شيء براقص الساعة ، ولهذا ينبغي أن يؤجل الانسان  
بكاءه إلى آخر وقت ممكن .

سيليزيت — أنت محقة يا جدتي ، وحينما تعود  
إليكم السعادة ، أنت وهما ستجمعيهما ذات مساء  
حولك وستقصين عليهما قصة حفيدة ...

ميليجران — ماذا تقولين ياسيليزيت ؟ ؟

سيليزيت — لاشيء ، لاشيء أيها الجدة ، إنني  
كنت أفكر في الوقت الذي كنت فيه صغيرة جدا  
ميليجران — وأنا أيضا أفكر في ذلك الوقت  
يا بنيتي ، إنني لم أكن إذ ذاك مريضة ، وكنت  
أستطيع أن أمهلك فوق ذراعي أو أن أتبعك ، وقد  
كنت تذهبين ويحيين وتضحكين في القاعات  
وتفتحين الأبواب مسأحة بصوت مزعج قائلة : « إنها  
تقرب ، إنها تقرب ، إنها هنا » ولم يكن أحدي يعرف  
عمن كنت تتكلمين بهذا الانزعاج ، بل إنك أنت  
نفسك لم تكوني تعلمين ، ولقد كنت أنا أجاريك في  
هذا وأتبعك مخترة العهذ إلى الحديقة ، ولكن كل  
ذلك كان شيئا ناهما ولم يكن له غاية معينة ، ولكن  
المهم أننا كنا نتفاهم ونبتسم طيلة اليوم ، وهكذا  
بفصلك أنت عدت فأصبحت أمّا مرة ثانية بعد أن  
فقدت جالي . وأنت ستعرفين يوما أن النساء لا يتعين  
أبداً من أن يكن أمهات ، وأنهن يهززن الموت  
نفسه إذا جاء لينام في حجورهن ، ولكن كل  
شيء يمر قليلا قليلا ، والطفلات الصغيرات يصرن  
كبيرات .

سيليزيت — أنا أعرف ذلك يا جدتي ، والآلام  
أيضا تمر وتذهب وتعود أكثر كبرا عما ذهبت ،

سيليزيت — وشفتاك أيضاً ، وفوق ذلك فإن  
فيهما قوة عجيبه .  
أجلافين — إنك تظهرين لي منيرة الليلة كأنك  
مضباح صغير يا سيليزيت .

سيليزيت — ألم ترى جدتي ؟  
أجلافين — لا ، هل ينبغي أن أراها ؟  
سيليزيت — لا لا ، إن هذا عبث ، لأنها نائمة  
في هذه اللحظة ، هل أنت ذاهبة الآن لتقابل ميلباندا ؟  
أجلافين — نعم ، وأنت يا سيليزيت ؟

سيليزيت — حينما ترينه قبله بالنيابة عني .  
أنا سعيدة بأن أفكر في أنه سيقبلك أنت حينما لا  
أوجد أنا . ولكن ألا ترين أن إيسالين يعوزها  
الصبر وأنها تجذبني من يدي ؟ وداعاً يا أجلافين !  
ستريني في المستقبل .

( قالت هذا وخرجت مع أختها إيسالين وأخذت  
تبتعد مترنمة بتلك الأنشودة الجزينة السابقة التي طالما  
رددت فيها اسم الموت ثم انقطع الترنم فجأة وخرجت  
أجلافين بدورها . )

### المنظر السابع

( يحدث هذا المنظر فوق قمة البرج حيث تتواجد سيليزيت  
وإيسالين تدخان )  
سيليزيت — والآن هي الساعة يا إيساليني  
الصغيرة ، وأنا لن أنزل بعد ذلك لأتسلم لها مرة  
أخرى . إن الطقس بارد الليلة فوق قمة البرج ،  
وإن ريح الشمال هي التي جعلت موج البحر يلمع  
الآن هكذا . لم يعد الانسان يرى الزهور ولا يسمع  
أصوات الناس ، وكل شيء صار الآن أكثر حزناً  
منه في هذا الصباح .

إيسالين — والطائر ، أين هو أبها الأخت ؟

( ٦ )

ميليجران — سيليزيت ! ..... سيليزيت !  
ثم أخذت تبكي بكاء خافتاً في وسط الظلمة  
الحالكة التي جعلت تم وتشمل كل شيء ) .

### المنظر السادس

( يقع هذا المنظر في أحد دهايز العصر حيث كانت  
سيليزيت مارة مع شقيقتها الصغيرة ثم لحت أجلافين قادمة  
نحوها حاولت أن تخفي . ولكنها لم تنجح في هذه المحاولة  
لقد لحتها أجلافين فاقتربت منها قائلة : هل هو أنت يا سيليزيت ؟  
لماذا أنت تختفين ؟ )

سيليزيت — أنا لا أدري بالضبط لماذا أنا أختبي .  
لعل ظننت أنك تريد أن تكوني منفردة .

أجلافين — أين كنت ذاهبة ؟ ها هي ذي  
إيسالين الصغيرة تنظر إلى نظارات تدل على أنها تخفي  
شيئاً ، لا بد أنك قد تأمرتها على شيء .

سيليزيت — نعم لقد أعطيت وعداً يجب عليَّ  
أن أتمسك به .

أجلافين — إلى أين أنت تقودين سيليزيت  
يا إيسالين ؟

( ولكن إيسالين لم تجب على هذا السؤال )  
أجلافين مستمرة : ألا تريد أن تقول لي  
ذلك ؟ وإذا جعلت أقبلك حتى تنبئين فماذا أنت فاعلة ؟  
سيليزيت — أوه ! إنها بدأت تعرف كيف تحتفظ  
بالسر كأنها شخص كبير .

أجلافين — أنت تظهرين لي الآن متممة ولا  
أدري ذلك مسبب عن ظلمة النساء أو عن شيء آخر ؟  
سيليزيت — أنا أشتغي أن أقبلك يا أجلافين .  
( قالت هذا ثم تماقتا )

أجلافين — إن شفتيك غضبان وعذبتان في  
هذا النساء .

إيسالين - أنا لا أريد أن تبكي أيها الأخت .  
 سيليزيت - لكن أنا لا أبكي يا إيساليني  
 الصغيرة، وهذا على الأخص هو الذى ينبغي ألا تتخليه؛  
 إنما من الإفراط فى الابتسام تظهر على ملامح البكاء .  
 إيسالين - ولكن لماذا عينك كأنهما تبكيان ؟  
 سيليزيت - أنا لا أستطيع أن أعرف ما فعله  
 عيناي ، ولكن احفظي جيدا ما يأتى : إذا قلت  
 لأحد إننى كنت أظهر حزينة فستعاقبين زماناً طويلاً  
 إيسالين - ولماذا ؟

سيليزيت - لأسباب ستعلمينها يوماً ما ، ثم  
 لا ينبغي أن توجهى إلى هذه الأسئلة فأتى لست  
 إلا شيئاً صغيراً لا يستطيع أن يفهم ما يفهمه  
 الآخرون ؛ وأنا أيضاً فى مثل سنك لم أكن أفهم  
 بل وبعد ذلك بوقت طويل ، فإذا رأيتى أفعل هذا  
 أوداك ، فليس ما تريسه هو الأكثر أهمية . هل  
 ترين يا إيساليني الصغيرة ؟ . أنا لا أستطيع أن  
 أحدث به . ومع ذلك فساكون فى حاجة إلى أن  
 أقوله لأحد ، لأنه من الحزن أن يفرد الانسان  
 بمعرفة مثل هذا .

إيسالين - لم يعد الانسان يرى الشمس تقريباً  
 أيها الأخت .

سيليزيت - انتظري ، انتظري أيضاً يا إيساليني  
 الصغيرة ، لأن شيئاً آخر يقترب بقدر ما تبعد  
 الشمس ، وبقدر ما يقترب هذا الشيء تنكشف  
 أماني الحياة بشكل أوضح ، أنا لم أعد أعرف إذا  
 كنت أحسنت العمل بإحضارك معى إلى قمة هذا البرج  
 ومع ذلك فقد كان ينبغي أن يحضر أحد إلى هنا ،  
 لأنه يوجد من الناس من يشتهي أن يعرف كل شيء .  
 وإن كانوا لا يصيرون سعداء إلا بأن يجعلوا هذا .

سيليزيت - ينبغي الانتظار حتى تهبط الشمس فى  
 عمق البحر وتموت جميع الأضواء فى الأفق ، لأن الطائر  
 يخشى النور ، ولأنه هو والشمس لم يتلاقيا قبل الآن  
 إيسالين - وإذا وجدت النجوم أيها الأخت ؟  
 سيليزيت - وإذا وجدت النجوم ؟ ولكن  
 النجوم لم تظهر بعد فى السماء ، وإن كانت مستعدة  
 لأن تنقها عما قريب ؛ ولهذا ينبغي الإسراع لأنه  
 حينما تظهر النجوم يكون ذلك أكثر رعباً  
 وإزعاجاً .

إيسالين - أنا أشعر كثيراً بالبرد أيها الأخت .  
 سيليزيت - لنجلس هنا إلى جانب الحائط  
 الذى سيحمينا من الهواء إلى أن ينطفى آخر خط  
 أحمر فوق سطح البحر . أترين كيف تنغمس الشمس  
 فى الماء ببطء ؟ . عند ما تقرب سأذهب لأرى .  
 دعبنى أفسك فى إزارى الأبيض الذى لم أعد  
 محتاجة إليه .

إيسالين - أنت تقبلينى بعنف أيها الأخت .  
 سيليزيت - هذا لأننى فى غاية السعادة  
 يا إيسالين . أنا لم أكن قط أكثر سعادة منى الآن ؛  
 ولكن انظري إلى جيداً . ألت الآن أكثر جلالاً  
 منى فى الماضى ؟ . أنا أبتسم ، أنا أبتسم وأشعر بذلك .  
 وأنت ؟ ألا تبسمن لى ؟ .

إيسالين - لا ، أنت تشكلمين سريعاً جداً  
 أيها الأخت .

سيليزيت - هل أنتمكم سريعاً ؟ .

إيسالين - نعم ، وفوق ذلك فأنت تمزقين  
 الزهور .

سيليزيت - أية زهور ؟ آه ، هذه ؟ لقد  
 نسيت أنها زهورك .

بعد الآن . قفى ، تعالى ، إجلسى فى هذه الزاوية  
ودعيني أربط طرف إزارى على صدرك ، لأن الهواء  
أسمى بارداً ..... هل أنت أحببتى حقاً ؟ لكن  
لا لا ، لا تجيبى على هذا السؤال فأنا أعرف الجواب  
جيداً . أنا أريد أن أضع هنا أربعة أحجار ضخمة ،  
لأحول بينك وبين الاقتراب من الفتحة التى سأبنى  
عليها . إذا أنت لا ترفنى ، فلا تخافى ، لأنى  
سأكون قد نزلت من جهة أخرى ..... لا تنتظرينى  
حينئذ وانزلى وحدك من السلم الحجرى ، وعلى الأخص  
لا تقتربنى من الحائط لترى ماذا أفعل ، وإذا فلت  
ذلك فلن ترى شيئاً وستعاقبن . أنا سأنتظرك تحت  
البرج ..... قبلينى يا إيسالين وقولى لجدتنا .....  
إيسالين — ماذا يبنى أن أقول لها أيتها الأخت ؟  
سيليزيت — لا شيء لاشيء ، لقد كنت أعقد  
أنى نسيت شيئاً .  
( قالت هذا وتقدمت نحو الحائط المتهدم بجانب  
البحر ثم انحنت عليه قائلة : أوه ، إن البحر يظهر  
بارداً وعميقاً ! )  
إيسالين — أيتها الأخت ؟  
سيليزيت — إنه هنا ، أنا أراه ، لا تتحركى  
من مكانك .

إيسالين — أين هو ؟  
سيليزيت — انتظرى انتظرى ..... يجب أن  
أخفى أكثر من ذلك ..... يا إيسالين !  
يا إيسالين ! إن الأحجار تضطرب ! إنى  
أهوى ! ..... أوه .....  
( لم تسكدهى هذه الكلمات حتى انحلع جانب  
من الحائط وسقط معها إلى أسفل البرج فسرع له  
ضجيج ممتزج بصوت ضعيف مؤلف من ألم وخوف

وفى الوقت الحاضر أيتها الأخت الصغيرة أنت لا تحفظين  
كل ما أقوله لك . نعم ولكن سيجى اليوم الذى  
ستفهمين فيه كل شيء وسترين كل ما لارينه الآن  
أثناء عرضه عليك . وإذ ذاك ستصيرين حزينة ولن  
تستطيعى أن تنسى ما ستلحه عينك المسكينتان  
عما قريب . ومع ذلك أفلا ينبغي أن ترى دون أن  
تفهمى حتى لا يفهم الآخرون ؟ ولكنك لن تستطيعى  
أن تمنى نفسك من البكاء حينما ستكبرين وقد  
يشغل هذا المنظر حياتك ، ولذلك أنا أسألك أن  
تصفى عني اليوم دون أن تفهمى ما سيؤلك عند  
ما تفهمينه جيداً فى المستقبل  
إيسالين — إن قطمان الحيوانات تعود من  
الحقول أيتها الأخت .

سيليزيت — وغداً ستعود القطمان أيضاً .  
إيسالين — نعم أيتها الأخت .  
سيليزيت — وغداً ستغنى الطيور أيضاً .  
إيسالين — نعم أيتها الأخت .  
سيليزيت — وغداً ستفتح الزهور أيضاً .  
إيسالين — نعم نعم أيتها الأخت .  
سيليزيت — لماذا يبنى أن يكون الأصغر هو  
الذى .....  
إيسالين — لم يبق إلا الخط الصغير الأحمر  
أيتها الأخت .  
سيليزيت — أنت محقة ، لقد جاء الوقت .....  
إنما أنت التى تدفينينى ، وكذلك النجوم بعوزها  
الصبر . وداعاً يا إيسالينى ! إنى لسميدة جداً جداً .  
إيسالين — وأنا أيضاً أيتها الأخت أسرعى ،  
فان النجوم ستظهر .  
سيليزيت — لا تخافى يا إيسالين إنهم لن يرونى

وخزني ثم تلا ذلك سكون طويل عميق) .  
إيسالين، صائحة : أيتها الأخت ... أين أنت؟؟  
إنني خائفة أيتها الأخت ... !!  
(ثم أخذت تبكي وحدها فوق قمة البرج)

## الفصل الخامس

### المنظر الاول

( يحدث هذا المنظر في أحد دهاليز القصر حيث يتواجد  
« ميلاندر » و « أجلافين » داخلين )

ميلاندر — إنها الآن نائمة ، وإن كل توسلاتي  
إلى الطبيب ذهبت عبثاً ، إذ لم أستطع أن أنزع من  
فه كلمة أمل واحدة ، وهو قد غادر القصر . إنها  
سقطت على ربوة من الرمال كأن هواء البحر قد  
جمعا هذا المساء إلى جانب البرج ، كأنما فعل ذلك  
خصيصاً ليستقبلها في وداعة ولين . هناك قد  
وجدتها الخدم في نفس الوقت الذي كنت تظنن فيه  
أنك ستذهبن للملاقاتها عند طريق القرية . لم يظهر  
بها أي جرح ، وكأن جسمها الصغير لم يحس أي شيء ،  
ولا يرى عليها شيء غير عادي إلا ما ينساب من  
السماء من بين شفتيها . وحينما فتحت عينيها ابتسمت  
لي دون أن تنبس بيث شفقة .

أجلافين — لكن إيسالين ماذا قالت ؟ قد قيل  
لي إنها كانت معها .

ميلاندر — لقد سألتها . إنهم وجدوها فوق قمة  
البرج تضطرب هليماً وزداً . إنها تردد باكية أن  
الحائط قد انفتح بينا كانت سيليزيت متجنبة لتقبض  
على طائر كان يمر في تلك اللحظة ... حينما قابلتها بعد  
ظهر اليوم في هذا الدهليز نفسه ، بل وبين هذين  
العمودين كانت تظهر لي أقل حزناً من ذي قبل .

آه ! . أليست هذه الجملة نفسها هي التي تدبنا نحن  
الاثنين وتأتي علينا السئولية ؟ ... والآل كل ما قالت  
لنا من كلمات ، وكل ما قامت به أماننا من أفعال  
يصعد من جديد إلى نفسى في شكل ارتباب وحشي  
خفيف سينتهي بتحطيم حياتي ... إن الحب لا يقل  
قسوة عن البغض ... أنا لم أعد أصدق ، أنا لم أعد  
أصدق ! ... إن كل آلامي قد تحولت إلى تفرز ...  
إنني أبصق على الجمال الذي يجلب الشقاء ... أنا  
أبصق على العقل الذي يريد أن يكون قياً أكثر  
من اللازم . أنا أبصق على الحظ الذي لا يريد أن يلين  
أو يتسامح في شيء ... أنا أبصق على الكلمات التي  
لا تتحدح إلا الجانب الحيواني في الإنسان ... أنا  
أبصق على الحياة التي لا تريد أن تستمع إلى الحياة ،  
أو على الآخرة التي لا تريد أن تستمع إلى الإثارة .  
أجلافين — ميلاندر ... ..

ميلاندر ، في جفاف وقسوة : ماذا تريد مني؟؟  
أجلافين — تعال تعال ، أنا أريد أن أراها لأن  
هذا غير ممكن ... ينبغي أن أعرف ... إنها لم تعمل  
ذلك بإرادتها ، لأنها لا تستطيع أن تفعل ذلك ،  
وإلا لكانت إذاً ... ..

ميلاندر — إذاً ، ماذا ؟ .

أجلافين — ينبغي أن أعرف ... تعال تعال ...  
لا أهمية للوسيلة التي يجب أن أعرف بها ... لا بد  
أن تكون قد تأملت كثيراً حتى تصل إلى درجة  
الاتساح ! . أنا لن أعرف ذلك ، ولن أستطيع أن  
أعرفه أبداً .

( نطقت بهذه الجملة ثم جذبت ميلاندر بفتة  
إلى حجرة سيليزيت )

## المنظر الثاني والآخر

(يقع هذا المنظر في حجرة سيليزيت المحضرة المطروحة على سرير الموت حيث يشاهد ميلاندر وأجلافين يدخلان . سيليزيت محاولة التهوش من سررها في ضعف شديد وهي تقول : هل هو أنت يا أجلافين ؟ هل هو أنت يا ميلاندر ؟ ..... لقد كنت أنتظركما لكي أسعد بمرآكما .

ميلاندر يلقي بنفسه على السرير باكياً ، متجنباً وهو يصيح : ياسيليزيت ياسيليزيت )

سيليزيت — ماذا عندكما ؟ إنكما تبيكيان .

أجلافين — سيليزيت ، سيليزيت ماذا فعلت ؟ إنني لتسعة .

سيليزيت — ماذا حدث يا أجلافين ؟ إنك تظهرين لي قلقاً ، هل أنا فعلت ماصيرك بأثمة ؟ .

أجلافين — لا لا ياسيليزيت المسكينة ، لست أنت التي تسليين من الناس سماعتهم ، وإنما أنا التي أجذب الناس نحو الموت ، أنا التي لم أعمل ما كان يجب عمله .

سيليزيت — أنا لا أفهم هذا . ماذا حدث ؟ أجلافين — لقد كان يجب علي أن أعرف

ذلك ، بل أنا أظن أنني عرفته بالفعل يوم كنت أتحدث اليك عنه . ها أئذنى أسمع منذ أكثر من

أسبوع صوتاً يصيح من غير انقطاع في داخل قلبي مردهداً صدى هذا الحادث ، ولكني لم أعرف ماذا

أعمل ولم أستطع الحصول على شيء ، على حين أن أقل الجمل في هذا الموقف كانت تستطيع أن تنجى

حياة ذلك الكائن الذي لم يكن يطلب إلا أن يحيا ، وإن أصغر الناس شأنًا كان يمكنه أن يجد بسهولة

تلك الجمل التي تحفظ الحياة .

سيليزيت — ولكن ماذا كنت تعرفين إذا ؟ أجلافين — حينما تحدثت إلى عن الفكرة التي

كانت عندك منذ أيام ، بل وفي هذا الصباح ، بل

وبعد ظهر اليوم أيضاً كان يجب علي أن أغمس يدي في أعماق روحك ، لأبحث فيها عن الموت الذي

كنت أمثله حياً في داخل نفسك . كان ينبغي أن أستعين بالحب لأنزع من نفسك الاعتراف ،

ولكنني لم أعرف شيئاً . ولقد كنت أنظر دون أن أرى بالرغم من كل ما أرى ، ولكن أنفه فتاة

من بنات هذه القرية كانت تستطيع أن تجد من القلب ما تنجى به حياتنا جميعاً ، وبالأحرى ، إنها

كانت تستطيع أن تفعل خيراً مما فعلته أنا في هذا الموقف . أنا إما أن أكون سافلة إلى درجة لا يمكن

التعبير عنها ؛ وإما أن أكون عمياء إلى حد لا يدرك مداه . ! إنني في هذا الموقف قد قررت من الحقيقة

للمرة الأولى في حياتي كما تقرأ الأطفال . أنا لم أعد أجروء على أن أسأل نفسي . اصفحي عني ياسيليزيت

لأنني لن أكون سعيدة بعد الآن .

سيليزيت — أنا أوكد لك أنني لا أفهم هذا . أجلافين — لا تهربي من الحقيقة بدورك ،

فقد رأيت ماذا يحدث للإنسان حيناً لا يطيع ما يسمعه في أعماق نفسه .

سيليزيت — ماذا سمعت إذا في أعماق نفسك ؟ أجلافين — لقد كنت أسمع نهراً وليلاً أنك

تبحثين عن الموت .

سيليزيت — أنا لم أبحث عنه يا أجلافين ، وإنما هو الذي دفعني دون أن أذهب للملاقاة .

أجلافين — إن الموت كان مشفقاً علينا جميعاً ، ولهذا أنت ترين أنه لم يبحث عنك ما دام قد فر

منك حينما كنت تتعقبينه .

سيليزيت — لا لا يا أجلافيني ، إنه بكل بساطة

ينتظر حتى تكوني أكثر سعادة .  
أجلافين — إذاً فسيتنظر زمناً طويلاً ياسيليزيت  
المسكينة .

سيليزيت — استمعي إلى : إنني لجد مسرورة  
من مجيئك إلى على الفور ، لأنني أحس أنني لن أبقى  
متعلقة وقتاً طويلاً ، إذ لدى الآن شيء يحدث في  
عيني اضطراباً خفيفاً ، لكن ما سأقوله بعد قليل ،  
أنا نفسي لا أعرفه ، لأن من يحضرون — كما  
تدريين جيداً — لهم أفكار غريبة ... لقد رأيت  
في الماضي من يموتون ، والآن هذا دوري ، وعلى  
ذلك ، فلا تلتفتي إلى ما سأقوله عما قريب ولا تعيبي  
به ألبتة ، أما الآن فأنا أعرف ما أقول ، وهو وجده  
الذي يجب عليك أن تسمعي به . أنا أظن أنك  
مرتاباة يا أجلافين .

سيليزيت — عن أي هدوء تتكلمين يا أجلافين ؟  
أجلافين — أنا أنتكلم عن هدوء شديد الحزن  
وشديد العمق !

سيليزيت — ولكن كيف يمكن أن أستطيع  
أنا متحكم هدوءاً عميقاً ؟ أنا لأأري في نفسي الموطن  
الذي أستطيع منه الحصول على هذا الهدوء ، فكيف  
أمنح مالم أحصل عليه ؟

أجلافين — ينبغي أن أقول لنا بكل بساطة  
إنك أردت أن تموت ، لتسعدينا .

سيليزيت — كنت أشتغي أن أقوله لك ،  
ولكن هذا مستحيل ما دام غير حقيقي . هل  
تعتقدن أن الانسان يكذب هكذا في ساعة موته ؟  
أجلافين — أنا أرحوك ياسيليزيت ألا تفكرين  
في موتك ... عند ما أقبلك هكذا ، فأنا أنزل لك  
عن حياتي كلها ، وليس من الممكن أن يموت  
الانسان ما دامت روح أخرى تنفسم في أنفاس  
حياته . يا إلهي ... ماذا ينبغي عمله لوقف روحك  
عن الخروج ؟ .. لو أن الموت كان هنا لفهمت أنك  
قد تكذبتين ، ولكنه بعيد عنا ، وإن الحياة هي  
التي تريد الحقيقة ، حقيقة حبك الجميل ، لأجل أن  
تصيري محبوبة أكثر مما كنت . لا أقول : لا ؛

أجلافين — واجري قلباه ! إنها يقينيات  
لا شكوك .

سيليزيت — أظن أن ...

أجلافين — نعم ...

سيليزيت — أظن أنني لم أسقط بارادتي ؟  
أجلافين — أنا متأكدة من ذلك ياسيليزيت  
سيليزيت — يقال إن الانسان لا يستطيع  
أن يكذب إذا حضره الموت ، ولأجل هذا أردت  
أن أثبتك بالحقيقة .

أجلافين — أنا أعرف أنك تحبيننا الحب الذي  
يشجعك على أن تقول لنا الحقيقة .

سيليزيت — لقد هويت دون أن أريد ذلك ...  
هل هو أنت الذي تنتحب هكذا يا ميلاندر ؟ .

أجلافين — استمعي إلى يدورك يا سيليزيت ،  
أنت تدريين أننا نعلم الحقيقة ، وإذا كنت أسألك في

سيليزيت - لا لا لم يقف بي أحد (١) ...  
 أجلافين - إن كلمة واحدة تكفي لإضاعة  
 الحياة، وإنني أسألك راحة أن تنطق بهذه الكلمة.  
 قولها لي بصوت منخفض إذا أردت أو أشيرى  
 بعينيك؟ وميلاندر نفسه لن يعرفها.  
 ميلاندر - إن أجلافين بحجة ياسيليزيت فانا  
 أطلب ذلك أيضاً.  
 سيليزيت - لقد هويت وأنا أنحى ...  
 أجلافين - لقد سألتني كثيراً عما كنت  
 سأفعله لو أني في موقفك

سيليزيت - لقد هويت وأنا أنحى  
 أجلافين - ألا تعرفين لماذا أنا أسأل هكذا؟  
 سيليزيت - أجلافين ا ...  
 أجلافين - سيليزيت ماذا حدث؟ أنت  
 تتقمصين! أتألمين أكثر من ذي قبل؟  
 سيليزيت - لا، أنا أتألم من قرط السرور ...  
 أوه كم أنت فتحة يا ميلاندر!  
 ميلاندر - سيليزيت ...

سيليزيت - لانيك هكذا يا ميلاندرى المسكين،  
 إنما الآن فقط يتحاب الناس ولا داعي للدموع،  
 وسرى بعد قليل أنى سأبسم لك حيناً أصير جثة  
 هامدة، ولن تستطيعوا إذ ذاك أن تصدقوا أنى ميتة  
 مما تراه على وجهي من السعادة، وأنا لا أنهم  
 كيف أنى - مع صغر شأني إلى هذا الحد -  
 أستطيع أن أجذب في قلبي فردوساً عظيماً إلى هذه  
 الدرجة؟ ولهذا أنا أخشى أحياناً أن أرتحل جاملة

(١) يقصد المؤلف بقذفها إياها من فوق البرج أيها هي  
 التي تسببت لها في الانتحار.

لاتهزي رأسك، لأنك تعرفين أن الإنسان  
 لا يتخضع حيناً يتحدث بهذه اللمحة.

سيليزيت - ومع ذلك فأنت تتخذهين يا أجلافين  
 أجلافين - إذاً، فسنظل نبقى وكل منا بينها  
 وبين صاحبها بعد ألف مرحلة ما دمت لا تتفاهم.  
 سيليزيت - ولماذا لا تصدقين الحقيقة؟  
 أجلافين - لأنه لا توجد كلمة واحدة ولا فعل  
 واحد مما حولنا يؤيد عكس ما أذهب إليه ولو عند  
 أصغر طفل.

سيليزيت - وما هو ذلك الذي حولنا؟  
 أجلافين - لماذا كنت ذاهبة لتودعي  
 جدتك؟

سيليزيت - لكن أنا كنت أودعها في كل  
 مرة أخرج فيها.

أجلافين - لماذا ... ولماذا كل شيء  
 ياسيليزيت؟! ليس من الشقاء أن يوجه الإنسان  
 مثل هذه الأسئلة عند ما يفتق الموت العميون لاسمياً  
 وأنى أعرف جيداً أن الحقيقة هنا تحت يدي وعلى  
 مقدار إصبعين من قلبي؟.

سيليزيت - أنا كنت أظن أنى سميدة،  
 ولكنك ستحزنيين إذا ارتبت فيما أقول. ماذا  
 ينبغي أن أعمل، لكي لاتشكى؟.

أجلافين - لا توجد إلا الحقيقة ياسيليزيت.  
 سيليزيت - لكن أية حقيقة أنت تريد  
 إذاً يا أجلافين؟.

أجلافين - إنما أنا التي قذفت بك من فوق  
 البرج دون أن أعرف.



مي جميع السعادة التي أحس بها دون أن أترك  
 شيئاً لمن سيقون بعدى  
 ماذا ؟ أتبكيين أنت أيضاً يا أجلافين ؟  
 أجلافين — إنحنينا السلام العميق ياسيليزيت  
 سيليزيت — أنا أرد إليك السلام الذي منحتني  
 إياه يا أجلافين  
 أجلافين — أنت تستطعين منحه ، ولكنك  
 لا تفعلين  
 سيليزيت — إن ما لدى هومع ذلك عظيم جداً  
 أجلافين ، يا كية : لو كان القدر نفسه ضدك  
 لكان خاطئاً يا سيليزيت  
 سيليزيت ، هاذية بصوت متغير : جدتي كانت  
 تقول لي : لماذا أنت ترهّلين ؟ لماذا ترهّلين يا طفليتي ؟  
 — إنني أرتحل بسبب الفتح الذي وجدته يا جدتي  
 أجلافين — سيليزيت ! .....  
 سيليزيت ، مستفينة : إيسالين ..... ماذا أنا  
 قلت ؟ قولي لي : ماذا قلت ؟ ليس هذا حقاً ....  
 لقد تكلمت بذلك ونهتلك إليه  
 أجلافين — لا شيء ، لا شيء ، أنت لم تقولي  
 شيئاً ، لا تعذبي نفسك ياسيليزيت المسكينة  
 سيليزيت — لقد نهتلك إلى أن كل ما يمكن  
 أن أقوله عما قريب سوف لا يكون صحيحاً . ينبغي  
 الصفع عني ، لأن روحي ضعفت . هل أنا تكلمت  
 عن جدتي ؟  
 أجلافين — نعم  
 سيليزيت — نعم أنا كنت أريد أن أقول لك :  
 ينبغي أن تهضبا دون أن تلسي ذراعها ... لقد كنت  
 أريد أن أعلمك هذا ، ولكن الوقت لم يرد ، أوه  
 إحدري يا أجلافين  
 أجلافين — ماذا ياسيليزيت ؟  
 سيليزيت — لا شيء ، لا شيء ، هذا سيمر ،  
 لقد كنت أظن أنني لن أقول الحقيقة  
 أجلافين — أنا لن أطلبها بعد الآن ياسيليزيت  
 سيليزيت — عندما أقول لك غير الحقيقة ،  
 ضعي يدك على فمي ، عذبي بذلك ، أنا أرجوك  
 أجلافين — أنا أعذك بذلك ياسيليزيت  
 سيليزيت ، إلى ميلياندر : إن لدى شيئاً أريد أن  
 أقوله لها يا ميلياندر  
 ( لم يكده ميلياندر يسمع هذا حتى يبتعد في  
 سكون )  
 سيليزيت — إنه حزين ، إنه حزين ، ستقولين  
 له ذلك يوماً في المستقبل حينما يحمل النسيان حمل  
 الذكريات ... ضعي يدك على شفتي يا أجلافين إنني  
 أتألم بخفاء  
 أجلافين — قولي لي ، قولي لي ياسيليزيت .  
 سيليزيت — لقد نسيت كل ما كان ينبغي أن  
 يقال ... لم يكن ذلك هو الحقيقة وإنما الكذب  
 هو الذي كان يصعد إلى فمي ... ضعي يدك في نفس  
 الوقت على عيني يا أجلافين . ينبغي أن تغلقهما  
 كما فتحتهما .  
 أجلافين — سيليزيت ! ...  
 سيليزيت في ضعف شديد : إنني ... إنني  
 هويت وأنا أتحني ...  
 ( ثم ماتت )  
 أجلافين ، صارخة موهلة : ميلياندر ميلياندر ..  
 ميلياندر يتكبد منتحجاً فوق جثة سيليزيت  
 صائحاً : سيليزيت ، سيليزيت !  
 « انتهت »  
 محمد غنم

لنقف فجأة مستترفة في التفكير ثم تعود إلى معاملتي  
كأنني طفل تداعبه فلا تلبث حتى تغرورق عيناها  
بالدموع فتجهد خيالها لتخترع كلمة أو حركة ملاطفة  
تعمل بها حالها وتبمد بعد ذلك عنى متتخية مقعداً  
للتسليم عليه-تفكيرها .

أفي العالم مشهد أجمل من هذا المشهد ؟ وكنت  
كلما التقينا تحت ظلال الشجر أهتف بها قائلاً :  
— إن الله نفسه ليس مما تثيرين بي من  
حب لك .

وما كنت مع هذا لأتمكن من إخفاء ما تفعل  
بي أشواق وما أغنى من مغالبة شهواني .  
وكنت عندها ذات ليلة فقلت لها إنه بلقي أنى

خسرت دعوى هامة لها شأنها في أعمال  
فقال : أختبرني بمثل هذا وأنت ضاحك ؟  
فقلت : لقد أعلن أحد شعراء الفرس أن من تحبه  
حسانه لا ينال منه القدر .

فأطرقت ولم تحب ، وحاولت أن تظهر بظهور  
السرور أكثر من عادتها ذلك النساء ؛ وجلست  
إلى عمتها ألب باليس فكانت هي تداعبني وتعمل على  
نكايتي متتقدة ضروب ألماني ، وراحت ضدى حتى  
خسرت كل ما كان معي من المال .

وعند ما انسحبت الجوز إلى غرفتها خرجت  
برجيت إلى الشرفة فلاحظت بها ، وهنالك ثلثنا  
الصمت أمام ذلك الليل الرائع وقد جنح القمر إلى مغربه  
ولعت النجوم في قبته ، وقد اكفهرت آفاقه الزرقاء ،  
وسكن النسيم عن الأشجار فالأح لها ألود ، فبقى  
الجو بمطر الأزهار .

وكانت مسنقة ذراعها إلى منكأ الشرفة متطلعة  
إلى السماء ، فأنحيت إلى جنبها أتغرس في ملامحها  
(٧)

من أعماق النفوس

استغراب فتى العَصْرِ

لأفريدي موسى  
بقلم الأستاذ فليكس فارس

## الجزء الثالث

### الفصل العاشر

لو أننى كنت صائغاً وأردت أن أقدم عقداً من  
الؤلؤ مما اكنزت لما كان يبلغ سرورى أشده إلا إذا  
أنا قلادته بيدي للمهدي إليه ، ولو كنت أنا من يتقبل  
المهية لكنت أفضل الموت على أن أترعها انتراعاً  
من مقدمها

ولكم رأيت من الناس من يسارعون إلى وصال  
من يشقون من النساء ، أما أنا فكنت أسير على عكس  
هذه الطريقة مدفوعاً إلى اختيارها بداهة لا تملأ  
وقصداً فإن المرأة التي تحب قليلا وتقاوم لم يبلغ  
الحب منها مداه ، أما التي يملكها الهيام فإنها لا تقاوم  
إلا لشعورها بدم تكامل الحب في قلب مرادها .  
وازدادت ثقة بدم ييارسون بي وما كنت  
أعهد بها مثل هذا الاستسلام من قبل أن تعترف  
لي بحبها . وما كان ما أبدى لها من احترام إلا لثير  
فيها سروراً شديداً تظهر أماراته على وجهها الصبوح  
فكانه زهرة تنور من انتعاش فؤادها ، وكانت  
تذهب بعض الأحيان بسرورها إلى الرح صاحب

روح الوجود، وأنت الشعلة المقدسة قضت الطبيعة  
على نفسها إمدادها بالوقود في هيكلك الله فلا يحبو  
لها نور

أنت محور الوجود أيها الحب وبك قوام كل  
موجود، وما تنفخ روح الفناء عليك إلالتفى . إننى  
لا أعجب أن يدنس اسمك من جهلوك إذ حسبوا  
أنهم عابثون لأنهم فتحوا عيونهم على الحياة ، وأنت  
عندما تمر بتابعين أخلصا لك تجمعهما بقبلة وتأسر  
أجفانهما بالانسداد على أحداقهما كيلا يبصرا  
بالسعادة على هذه الغبراء

ولكن أنت يا من زارك وأنت لنا ، أيها  
السمات المتراميات على الشفاء، أيها اللسمات الحائرة ،  
أيها المناغة الأولى المترددة على شفة الحبيبة ، أحررة  
أنت من سلطان الله بأكثر من سائر ما في الوجود ؟  
وهل أنت إلا ملاك يرف في مأوى عاشقين لينزع  
النوم من أجفانهما فينتبها من السمات الذى ألقاه  
الله عليهما ؟

أي بنات نشوة الهوى .. لكم أنتم عزيزات على  
قلب أمكن . أنت أيها التجوى بين عاشقين تلمسين  
أوائل الأسرار بالسمات المرتجفة متملصة على مهل  
من عفافها وبالنظرات الجائعة ترسم على صفحات  
القلب أوائل الخطوط النامضة لصورة المحبوب  
أيها الملكة العظمى القائمة على الفتح المبين ،  
إن في أرجائك وتحت أعلامك ينشأ العاشقون  
وأنت أيها التاج الذي يعصب رأس الحيين بالغبطة  
والحبور فيلقون من تحتها أول نظرة على الوجود  
فينجل لهم من خلال عاطفتهم الثائرة ؛ وأنت أيها  
الخطوات الأولى يسير بها العاشق إلى قرب من  
يهوى ، من يقدر على تناولك ببيانه ؟ وأية كلمات

فجذبت عيناى إلى هدف عينيها في العلاء ، وشعرنا  
كلانا بنشوة من عبق الأزهار ونحن نشيع بأبصارنا  
آخر ما أبقى القمر على الأفق من نوره الباهت وهو  
يتوارى وراء كتل غلب الكسنا السوداء .

وتذكرت اليوم الذي شخصت فيه إلى هذا  
الأفق الواسع الباهر حين قبض اليأس على مشاعري  
فلم أجد فيه غير الفراغ ، فارتعشت وأنا أراه الآن ولا  
فراغ في أية ناحية فيه . وخيل إلى أنني أسمع نشيد  
الحمد يرتفع من قلبي ، وأن غرامنا يتعالى مع هذا  
النشيد إلى عرش الله .

وطوقت محبوبتي بذراعى فأدارت وجهها نحوى  
على مهل وقد أنهمرت من عينيها الدموع فالتوى  
خصرها وارتمت بشفتيها النورتين على فمي وتوارى  
أماننا الوجود ...

## الفصل الحادى عشر

من له أن يصف ما في صمتك من معان أيها  
الملك الناصر خناحين أبدأ على ليالى اللذات . أيها  
القبلة تتساقى الشفاء بها الرضاب السكر كأساً تندفق  
على كأس ، لأنك خالدة كبداً الوجود

يا لنشوة الغرام ، وأنت حافظة كل كائن وصلة  
جميع الكائنات ! بأى بيان تناولك من تجمشوا وصفك ؟  
لقد دعوك عاطفة زائلة وأنت الداعية المبدعة ، فقالوا  
إنك الناعة خاطفة أنارت وشيكا أيهم الدارات .  
قالوا إنك كلمة أقصر من لفظة الحياة على شفاء المدنفين ،  
بل هتفة حيوان يهزه الشبق ويعجب لقصر بقاءه  
ناظراً إلى شمع المصباح الأبدى نظرة إلى شرارة  
تتقدح من حصة

لا عجب إذا دنس الناس اسمك أيها الحب وأنت

وبدأت تعرض علي ما بدلت من زى شعرها  
 مجارة لدوق ، وتشير إلى إطار أسود ترعته غن  
 الجدار لأنني رأيته قائماً عرجناً ، وإلى ما وصلت من  
 الأزهار في جوانب الغرفة ، وأخذت تسرد علي ما فعلت  
 إذ كانت تشهد غداً في مؤكدة لي أنها أرادت ضراباً  
 مبارحة البلاد هرباً من غرامها ، ولجأت إلى كل حيلة  
 تقيا مني ، واستشارت عمها وصر كاسون والكاهن ،  
 وأنها كانت حلفت أن تموت ولا تستسلم ، وعادت  
 تذكر من كلامي ولفتاني ماجل كل هذا الحذر هباء .  
 وكانت ترفق كل قسم من اعتراضاتها بقيلة تلقيها علي  
 وجهي . وكنت أبديت استحساناً لبعض ما في غرضها  
 من التحف فأصرت علي إعطائي إياها لأضيق علي  
 رف غرقتي ، وطلبت مني أن أضع لها منها جاكساً تسير  
 عليه في حياتها اليومية لأن ما يسهلها في الحياة إنما هو  
 رضاي فما تبعاً بأقوال الناس ؛ وصرحت لي بأنها إذا  
 كانت فيها مضى تعللت بالقليل والقال ، فما كان ذلك  
 إلا بقصد إيمادي عنها ؛ أما الآن فهي تقسم أذنها  
 عن كل صخب ولا تسمع إلا لهاتف قلبها يحذو بها  
 إلى التمتع بالسعادة ، إذ أنها بلغت الثلاثين وما يتسع العمر  
 لها مجالاً طويلاً للتمتع بحبي لها . كانت تقول هذا ثم  
 تسألني : هل ستحبني طويلاً ؟ أصادقة هذه الكلمات  
 العذبة التي أسكرتني بها ؟  
 وتعود عاتبة علي لتأخرى في الحضور إليها ،  
 وتنتقد العطر الذي يفوح مني فتراه حيناً قريباً وآونة  
 ضيقاً ؛ ثم تقول إنها ألقت الحفين عن رجلها لأدري  
 أن يياضهما يياضى يياض يديها ؛ ثم تستدرك قائلة  
 إنها ليست جميلة وتنمي لو أن لها أضعاف هذا الجمال ،  
 وقد كانت علي مثل ما تمنني وهي في الخامسة عشرة  
 من سنينها

بشرية تصل إلى تصور أضعف لمساتك ؟  
 إن من خرج في صبيحة بليلة بنض إهابه من  
 باب سرى تدفع مزلاجيه يد محبوبة ، فثنى بخطواته  
 الحائرة إلى حيث لا يدري فاجتاز مجتمع الناس  
 ولم يسمع صوت صديق يناديه واتجه إلى مكان منعزل  
 ضاحكاً باكياً دون أن يعلم ما يضحكه وما يبكيه  
 ومسح وجهه بكفه مستنشقا آثار ما عبق عليه من  
 عبير ؛ ونسي فجأة جميع ما أتاه على الأرض إلى ذلك  
 الحين ، إن من وجه خطابه إلى الأشجار النائمة على  
 جانب طريقه وما يرفرف عليها من أطياف ثم رأى  
 نفسه بين الناس مضيقاً رشده في جوهره فجأ شاكراً  
 ربه علي ما أنعم عليه ، لما شق له أن يموت غير متذمر  
 من القضاء لأنه امتلك المرأة التي يهبها

## الجزء الرابع

### الفصل الأول

على أن أقص الآن ما آل إليه غرامي وما طرأ  
 علي نفسي من تغيير وأنا عاجز عن تعليه ، ولكنها  
 الحقيقة آليت ألا أكتبها  
 وما كان مضى علي استسلام مدام ييارسون لي  
 أكثر من يومين ، وكنت خرجت من الحمام في  
 الساعة الحادية عشرة ليلا وسرت أجتاز المتزده قاصداً  
 بيتها وقد استولى علي المرح حتى جعلني أقفر علي  
 الطريق قفزاً ويداي ممدودتان نحو السماء  
 ووجدت بريجيت واقفة علي قبة السلم مسندة  
 ذراعها إلى عارضته وأمامها شجرة تتقد وقد كانت في  
 انتظاري ، فلما لحتني حتى سادعت إلى لقيائي ، وما  
 مضت لحظة حتى كنتا في غرقها وقد أوصدنا الباب علينا

إلى الأنعام فأمرمر راحتي على جبيني كأني أحاول طرد ما يحيم على عيني من ضباب ، فسكنت أضرب الأرض بقدي وأهز كنتي كأني أوقع على ما يساورني من جنون . وجلست أحبراً على وسادة على الأرض فهرعت بريجيت إلى وأنا أنازع تفكيري فيما يحتاجه من لبدات الظنون فقلت لها :

— الحق أنك ماهرة في الكذب . أنت واضعة هذه الأنعام ؟ أبثل هذه السهولة تكذابين ؟ فنظرت إلى باستغراب متسائلة عما يدور في خلدي وهي لاتصدق أن بي من الجنون ما يدفع بي تقربهما على مثل هذا المجون البريء . وكانت تعلم تفاهة السبب في كدري فزاد هذا الكدر أهمية في تقديرها . ولأجل لها أنني أردت مقابلة مجونها بمثلها ، ولكنها رأت على جبيني من الشحوب مامنهما من الأخذ بهذا الافتراض فانفجرت شفتاها وانحنت فوق وقد خانتها القوى فقالت :

— يا لله ! أهذا ممكن ؟

لقد تنسم أيها القارئ وأنت تطالع هذه الصفحة ولكنني أنا كاتبها لا أزال أرتش منها حتى الآن .

إن المصائب ما للأمراض من أعراض تدل عليها ، ولا شيء أشد خطراً في البحر من نقطة سوداء تلوح على أفقه .

ولما طلع الفجر وضعت بريجيت في وسط الغرفة خواناً صغيراً أعدت عليه طعام العشاء أو بالحري فطور الصباح ، لأن المصافير كانت بدأت بالزقزقة في الحديقة وأسراب النحل بدأت بالطنين . وما كنت أرفع الكأس إلى فني قبل أن ترطب مرشفه بشفتيها

وكانت تسكلم وهي تخطر في الغرفة يطير بها الرح ويشعل خديها الغرام فكأنها لم تكن تعلم ما يجب أن تقول وأن تفعل لتهب روحها وجسدها وكل ما لها

وكنت مستلقياً على المقعد أستمع إلى أفوالها فأشعر عند كل عبارة من عباراتها أن ساعة سوداء من ساعات حياتي الماضية تنفصل عني ، فكنت أطلع إلى كوكب السعادة يطل من الأفق علي وكأني شجرة جرى في أعراقها نبع الحياة فهي تنفض أوراقها الجافة لتكتسي خضرة جديدة

وجلست إلى البيانو وقالت إنها ستعزف مقطوعة « ستراويلا » وكانت ولا أزال أحب الموسيقى الخالصة ، وكانت أسمعني هذه القطعة من قبل فهزت أوتار قلبي

وبعد أن أتمت عزفها التفت إلي وقالت : إن هذه القطعة من تأليفي أنا

— أنت واضعة هذه الأنعام ؟

— أجل وكنت أوهمتك أنها من موضوعات « ستراويلا » لأعلم رأيك فيها ، وما تعودت أن أوقع على البيانو الأنعام التي أتوصل أحياناً إلى تأليفها ، وقد أردت هذه المرة أن أعرف مبلغ نجاحي ، وقد جاء انخداك مؤيداً حسن ظني

بالإنسان وما فيه من غرائب !

إن هذه الحيلة البريئة التي تخطر لولده يريد مفاجأة معلمه نشرت أمام عيني غماماً ؛ ولحظت هي أن سحتني تغيرت فسألتي فأخفيت عنها ما بي وزجرتها أن تكرر المزف

وبدأت أخطر ذهاباً وإياباً في الغرفة وأنا أستمع

لا تقرأ هذا . فرميت الكتاب إلى الخوان قائلاً : لك الحق . فما كنت أعلم ما أقول ، فقالت — وقد لاحظت امتعاضى — أتواجه هذا أيضاً كأنه جد ؟ خذ الكتاب فاني أريد أن تقرأ . فقلت : لنضرب صفحاً عن هذا فما عساني أجد بما يثير اهتمامي في هذا الكتاب ؟ إن أسرارك تعنيك أنت يا عزيزتى .

وبقي الكتاب على الخوان ؛ غير أن عيني كانتا منصبتين عليه . وسمعت فجأة صوتاً يهيس في أذني ؛ ولاح لي أنني أرى وجه ديجنه في قساوته وعلى شفثته ابتسامته المتجمدة في صقيعها .

قتساءت عما أتى بفعل ديجنه هنا ، كأنني رأيته متصباً أمامي حقيقة لا خيالاً . وقد ظهر لي كما رأيته ذات ليلة وقد انحى جبينه أمام شعاع مصباحي واندفع يلقى بصوته الأجهش دستور العاشقين

وكنت لأزال ملقاً أبصارى على الكتاب وقد ترددت على حافظتي بعض كلمات مبهمه لا أذكر أن سمعتها ، فقبضت على فؤادي وسمعت أن روح الشك الحائمة حول رأسي قد قطرت سمها الزعاف في غروقي وتساعدت أبخرة هذا البسم إلى دماغي فأورثني دوار السكر القاتل .

أى سر تخفيه بريجيت عني ؟ وكنت أعلم أن ليس على إلا أن أمد يدي لأفتح الكتاب ، ولكننى ما كنت أعرف أين يجب أن أفتحه لأصادف الصفحة التى وقعت أنظارى عليها .

وقد كنت فضلاً عن ذلك أرى كبريائى تحول دون رجوعى إلى فتح الكتاب . ولكن هل الكبرياء وحدها كانت السبب في امتناعي عن اقتحامه ؟

واخترق نور الضحى الستائر المغوفة فاستقر على ماني وجهها من بهاء ، وما على جفونها من استرخاء ، وسمعت بالنفاس فألفت رأسها على كتفي تقبل عنقي متمتعة بلمحات هيائها .

وغلبت على شكوكي أمام هذا الاستسلام تحسبتي تخلفت من أشباحها المزعجة فطلبت المغو عن لحظة نار فيها جنوني قائلاً بكل إخلاص : يؤلنى أن أكون وجهت إليك التقرير فقد ظلمتك من أجل مزاح برى . غير أنني أطلب إليك إذا كنت تحبيني ألا تكذبي على حتى في أتعق الأمور فلا شئ أطلع لدى من الكذب وما لي طاقة باحتاله .

وانظرت على سررها تطلب الوسن فأردت البقاء إلى جنبها إلى أن تنام ، ورأيت جفنيها ينسدلان على جمال عينيها ، ولاحظت ابتسامه المزعج على شفثتها فأحببت ملقاً على وجهها قبلة الوداع ؛ وخرجت مراتح القلب أعلل النفس بالتمتع يسعادنى دون أن أعكر صفوها .

وفي اليوم الثانی قالت لي بريجيت دون أن تقصد : إن لدى كتاباً أدون فيه مذكراتي وما بين لي من خواطر ، وسأعطيك هذا الكتاب لتقرأ فيه ما كتبت في الأيام الأولى التى تعرف فيها إليك .

وقرأنا سوياً ما يتعلق بي وأضفنا إليه ما عني لنا من سائحات ، وأخذت بعد ذلك أقلب الصفحات بحركة آلية فاذا بنظري يقع على عبارة كتبت بأحرف كبيرة فقرأت بعض كلمات ليس فيها ما يسترعى الاهتمام حتى إذا تجاوزتها استوقفتني بريجيت قائلة :

واجتاحني حزن شديد ففتفت في نفسي قائلة : هل الماضي هو طيف يبعث من الفناء ؟ فيا لله لشتقوني ! هل سأقف عاجزاً عن الشعور بالحب فيما بعد؟ واجتاز خاطري فجأة جميع ما كنت رددته من أمثال احتقار النساء والهزؤ بهن أيام كنت ضارباً في بيداء الفحشاء . ومن الغرائب انني في ذلك الزمن كنت أردد هذه المأثورات مباهياً بها دون أن أعتقد بصحتها . فأصبحت الآن أعتقد أنها تصور حقيقة ما يقع الآن أو على الأقل ما يقع فيما مضى وكانت مضت أربعة أشهر على تعرفي بمدام ييارسون دون أن أعرف شيئاً عن حياتها الماضية ودون أن أسألها شيئاً عنها . فكنت مستسلماً لحبا بثقة عمياء فأجد لذة في تمنعي بالصمت تجاهها وتجاه كل من يتعلق بها . وما كالت في طبعي أن تساورها الشكوك وتحكمها النيرة ، لذلك كنت أشد استغراباً من برجيته لما تجلى لي من غيره وشكوك . وما كنت يوماً في سابق غرامي أو معاملي للناس رجل محاذرة وسواس ، بل كنت مقدماً أذهب في طريق صريحاً لأحاذر شيئاً ولا أظن السوء في شيء ، ولولا أنني رأيت بعيني حياة عشيقتي لما كان خطر يبالى أنها تخدعني . وقد كان ديجته وهو ياتي على مواعظه بضحك من مذاحتي ورائي أسهل الناس انخداعاً ؛ وما كانت وقائع حياتي كلها إلا دليلاً على سلامة طوبىي وبعدي عن كل وسواس . لذلك شعرت وأنا أأحدج كتاب مذكرات برجيته بنين الازتياب أن شخصية غريبة مثلت في ذاتي ، وأن تفكيرى يتمرر على هذا الحافظ وقد

أرعبني الهدف الذي رأيته يدفعني إليه فكأنني وجدت نفسي فجأة تجاه ما كنت أحسبه قد توارى في من أوجاع تحملتها ، ومن ذكري مخادعات شهدتها ، ومن دواء كان أقطع من العلة في نتائجها ، ومن أقوال رددتها الأصحاب على مسامعي ، ومن انطباعات ألقاها عليّ المجتمع الذي مررت بفجائعه ، ومن مقاسد أدركتها استنتاجاً بنافذ بصيرتي ، وأخيراً تجاه الفحشاء واحتقار الحب والافراط في كل شيء . وهكذا بينما كنت أوئل الرجوع إلى الأمل والحياة هبت من نفسي هذه القوى الكامنة نائرة تقبض على عنق لتصبح بي قائلة : أنا لم أزل هنا ومددت يدي ففتحت الكتاب ثم طويته ورميته إلى الخوان . وكانت برجيته شاخصة إلي وليس في لحاظها ما يدل على عزة جرمية أو بادرة غضب ، بل كان بها ما ينم عن اضطراب أم تنظر إلى طفل مريض ؟ وقالت وهي تطوفني بذراعاها : أحسب أن لدى أسراراً ؟ قلت : لا ، إنني لا أظن شيئاً وليس بي إلا اعتقاد واحد وهو أنك جميلة وأنني أود أن أموت وأنا غارق في بحار حبك وعدت إلى مسكني . ولما جلست لأتناول طعامي قلت لخادمي لاريف : من هي مدام ييارسون ؟ فالتفت إلي والدعش باد على عمياء ، قلت : إنك في هذه البلاد منذ سنوات عديدة ، ولا ريب في أنك تعرفها أكثر مني . فإذا يقول أهل القرية عنها ياترى؟ وماذا كانت حياتها قبل أن عرفتها؟ ومن هم الأشخاص الذين ترددوا عليها ؟ فقال لاريف : والله ياسيدي إنني ما رأيته يوماً تغفل إلا ما تغفل في هذه الأيام ، فهي تذهب إلى الزهرة في الوادي ، وتلعب بالورق مع عمته

فرأيت أنه يتقدم نحوي قائلاً :  
لقد أظهرت نحوي ذلك اليوم من الغضب مالا  
يمكن لثلي أن يذكره حاقداً . فأننا أقدم إليك الآن  
اعتذارى لا ضطراري إلى القيام بحزمة مكبرة فكنت  
مشوشاً في الأمر على غير مناسبة .  
فأجبتته متلفظاً ظاناً أنه سيذهب عني ولكنه  
تابع مسيره إلى جنبي .

فبدأت أردد في ذهني اسم الدالانس قائلاً في  
نفسى إن لا زيف لم يقل لي عنه إلا ما يمكن لخادم  
أن يسرد تقلاً عن خادمة أو عن مزارعين ، وأنا أريد  
شاهداً يكون رأى هذا الرجل عند مدام يارسون .  
وتحكت هذه الفكرة في دماغى فقررت أن أفاع بها  
ماركسون .

فليكن فارس

« يتبع »

## تاريخ الأدب العربي

لـمـؤـتـاـز اـصـمـد هـسـن الـزـيـاـت

الطبعة السادسة

في حوالى ٥٠٠ صفحة من القطع المتوسط  
يعرض تاريخ الأدب العربي منذ نشأته إلى اليوم  
في صورة قوية تحليلية رائعة  
ثمّة عشرون قرشاً ويطلب من إدارة الرسالة  
ومن لجنة التأليف ومن سائر المكاتب

وتقوم بأعمال البر محسنة إلى الفقراء . ويدعوها  
القرويون بريجيت الوردية ، وما سمعت قط كلمة سوء  
عنها ؛ فكل ما يقال أنها تتجول في المزارع وحدها  
نهاراً وليلاً لغاية حميدة ، فهي رسول العناية في هذه  
البلاد . أما معاشرها فهما الكاهن والسيو دالانس  
وذلك أثناء العطلة

— ومن هو دالانس هذا ؟

— هو صاحب القصر القائم وراء الجبل وهو

لا يزور هذه الأرجاء إلا للصيد

— أهو شاب ؟

— نعم ياسيدى

— أيتنه وبين مدام يارسون صلة قرابة ؟

— لا بل كان صديقاً لزوجها

— أمتد زمن طويل مات زوجها ؟

— في عيد جميع القديسين يكون قد مر خمس

سنوات على وفاته ، وقد كان رجلاً طيب الخلال

— وهل سمعت أن السيو دالانس يتجنب إليها ؟

— والله ياسيدى ... قال هذا وسكت متردداً

تكم

— قال الناس هذا وما قالوه ... أما أنا فإ

رأيت شيئاً

— قلت لي أولاً إن أحداً في القرية لم يقل

شيئاً عن مدام يارسون

— لم يقل أحد شيئاً ، وكنت أعتقد أن سيدى

عارف بالأمر

— وأخيراً هل تكلم أحد عن هذا ؟

— أجل ، أظن أن الناس تكلموا

نهضت عن المائدة وسرت إلى التبرزة فوجدت

مراكسون هناك وحسبت أنه سيتحاشى ملاقاتى



له الكاهن الطيبي تيريزاس عن المصاعب التي لا بد من  
تحملها قبل أن يصل إلى بلاده — وقد عرف له  
الكاهن ثم لى أمه وكلها فأخبرته عما صنع عشاق  
زوجها بلوب بقصره وما كان من ولده نليك — ثم  
كلم أشباح طائفة كبيرة من عذارى اليونان وأبطال  
الحرب الطروادية أمثال أخيل وأجاس وأجاممنون  
— وعاد أدراجها إلى جزيرة سيرس — وهو هنا  
يتم قصته »



## الأوديسيّة

لهومروس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

### أوديسيوس يتم قصته

١ - السرىات المغنيات

٢ - سكيللا الهولة

« وآلآن ، وقد احتملنا العباب ذو الشَّبَج  
وذرعنا اليم المتراي ، وعمتنا نضرب في موج كالجبال ،  
فقد وصلنا بعد لأى إلى جزيرة إيايا المرجانية حيث  
ترجع أودورا ابنة الفجر الوردية وتلمب ، وحيث  
مطلع الشمس وراء البحر المضطرب . . . وألقينا  
مراسينا ، وتلبثنا فوق رمال الشاطئ بَرَقب انبلاج  
الفجر ، حتى إذا لاحت تباشيره أرسلت طائفة من  
رجالى إلى قصر سيرس فأحضروا جثان إليفور  
( الذى خبر من السطح فدق عنقه ) ، ثم إننا بكينا  
عليه أحر البكاء ، وجعنا له من الحطب والحشب  
ماوسعنا ، وطرحناه وسط الكومة التي صنعتها  
من هذا الوقود ، وطرحناه معه سلاحه ، وأقننا إلى  
جانبه مجدافه العظيم ؛ ثم أدينا له الشعائر الجنائزية  
التي أرويناها بأزكى دموعنا ، وأشعلنا النيران بعد  
إذ أقننا له نَصْبًا جليلا ، تحية وذكرى . ولم تعلم  
بعودتنا سيرس ؛ بيد أنها مع ذاك أقبلت في ررب  
من وصيفاتها الحسان الأتراب يتهادين نحونا ،  
حاملات دنانا من أكرم الجز . . . ووقفت بيننا  
العروس الهيفاء ، ثم قالت : « وبحكم أبها الأشقياء

### ملزمة قصة أوديسيوس

« لما وضعت حرب طروادة أوزارها أفلح أوديسيوس  
— بطل الأوديسة — ببقته قبل أن يقدم القرابين  
للآهة فقضت عليه أن يبقى طويلا في عرض البحر  
— وقد أغار في طريقه على مدينة إزماروس ولكن  
أهلها كروا عليه فأخرجوه ورجاله من مدينتهم — ثم  
مر بأرض اللوتوفاجى وهم قوم يأكلون اللوتس العجيب  
الذى ينسى آكله كل ماضيه ولا يقل حين يأكله أن  
يعود إلى وطنه — وقد أكل بعض رجاله من هذا  
الثمر ولم يرضوا مناداة الجزيرة حتى ذهب إليهم وأعادهم  
إلى سفنه بالقوة — ثم أرسوا على جزيرة السكالة ، وهم  
مخلوقات عجيبه ولسكنهم عين واحدة ، وقد حبسهم  
أخذها في كهفه وراح يتناولهم طائفة بعد طائفة حتى دبر  
أوديسيوس حيلة سمل بها عينه وفر بيقفترجالة من وجهه  
— وأرسوا بعد ذلك بجزيرة عروس البحر سيرس التي  
سحرت بعض رجاله فأضجعوا خازير إلا واحدا فر  
ليخبر أوديسيوس الذى لى هرمز رسول الساء فنصحه  
وزوده بعشبة لا يسحر حاملها يسحر ساحر . وقد  
استطاع أوديسيوس قهر سيرس فأعاد رجاله إلى صورم  
ونزلوا في ضباقتها جميعا بعد أن أقسمت أغلظ الأقسام  
ألا تلحق بهم أذى — وقد نصحت لأوديسيوس أن  
ينهب في رحلة إلى الدار الآخرة — هيدز — ليرمى

يخطر السيرينات بين شجر البوراق مهديات  
فوق السندس الحلو الجميل... فأوصيك أن تفرغ  
في أذان رجالك من سائل الشمع قبيل أن تبلغ  
أرضهن ، فانهن بذلك لاسمعون شدهن ولا  
يسحرون بفتنهن . أما أنت ، فلك أن تنصت إلى  
ذاك الفناء إن شئت ؛ بيد أنه ينبغي أن يشد رجالك  
وثاقك في قلع سفينةك شداً قوياً محكاً ، فيرطون  
ذراعيك وسأليك بأمراس وأحبال ، حتى لا يسبيك  
ما يُشف أذنيك من غناء وشده فلا ترضى إلا أن  
تتوى بأرض السيرينات ؛ فإذا اشتد بك الوجد  
من سحر ما تسمع وطلبت إلى رجالك أن يخلعوا عنك  
ثوبك أن يزيدوا في رباطك ويحكوا وثاقك أضفاف  
ما فعلوا بك من قبل ... فإذا جُزِمت تلك الجزيرة  
وغابت مناظرها عن أبصاركم ، فلرجالكم أن يطلقوا  
سراحك ... على أن لا أذري أي السبل ينبغي أن  
تسلكوا بعد هذا ، فهناك طريقان أحلاهما مر ،  
وأيسرها عناء وضر ، وإنى وأصف لك كليهما ،  
وأدع لك كلاك أن يختار لك ... إنكم بالغون في  
سبيلكم إلى صخور هائلة تآتت في البحر ، تتكسر  
فوقها أواذيه ، وترطم بحلاميها أمواجه ، وتدافعه  
على أحياها أمفسترت (زوجة نيقون) الجبار .  
وقد أطلق الآلهة على هذه الصخور اسم (إراتيك)  
وهي قلال موحشة لا يستطيع مخلوق أن  
يقرب منها ، ولا يجسر الطير أن يهبط فيها ، بل  
طير أبيتا جوف نفسه الذي يحمل إليه غذاءه  
الإلهي المقدس ، لم يجاز مرة خط فيها يستجم  
من سفر ، لما يعلم من أنها مهلكة رَلَقَة . ولم  
ترسُ عندها سفينة قط إلا ارتطمت فوق توأمها  
وهوت إلى القاع بمن حلت ، أو ابتلعها العواصف  
(٨)

كيف حلاً لكم أن تموتوا مرتين بينما يموت جميع  
الناس مرة واحدة ؟ ولكن تعالوا ، هلموا إلى  
طعامكم ، ونحسبوا من هذه الخمر لتقضوا يومكم  
فوق رمال هذا الشاطئ في شراب وآكال ، فإنكم  
ضاربون في ظلمات ذاك البحر فجتر غد . وإنى  
متبشكم عما يروعكم في طريقكم عسى ألا تصل بكم .  
ويأما أكثر ما تتجشمون من أهوال في البر والبحر  
ولبنا دعوة الربة المضاي ، فأقبلنا على طعام شهى وشراب  
رَوِي طيبة يومنا ، حتى إذا توارت ذكاء بالحجاب ،  
وشملنا ظلام الليل ، تطرح رجالى فوق الرمال الناعمة ،  
ثم انتحيت أنا وسيرس ناحية ، وجلست قبالتها ،  
وراحت هي تحدثني وتقول : « أما وقد أوشكت  
متابعك أن تنتهي ، فاصغ إلى ؛ إفقه ما أقوله لك  
وتدبره ، فهو وحى يوحى إليك من السماء ينفعك  
إذا جد بك الجد ، وأزفت حولك الآفة ... ستصل  
أول ما تصل في رحلتك عبر هذا البحر إلى جزيرة  
السيرينات الشديات اللاتي يسحرن بفتنهن  
القلوب ، ويغلبن بحرسهن الأبواب ، ويطيبن<sup>(١)</sup> كل  
من أوصله سوء حظه إلى جزيرتهن بحلو تطريهن  
وجميل شدهن حتى ليلصق بأرضهن وينسى آله  
وأوطانه ، ولا يخطر في باله أن يعود إلى بلاده . لهنأ  
بلقاء زوجة الحبيسة وأولاده الأعزاء ، بل يجمد  
مكانه من الشاطئ حيث يكون بمسمع من السيرينات  
وتكون عن يمينه وشماله رفات الضحايا الكثيرين  
الذين عرجوا من قبل ليشنفوا آذانهم بفناء أولئك  
الندارى فجعدوا مثله ، وذهلوا عن أنفسهم حتى  
ذووا ، وذبلوا وضربوا ، وحق بهم الفناء بينما

(١) لإطفي القوم فلانا خالوه وقتلوه

فهي تنقض كالصاعقة على السفينة المارة ، وتلتقم بأفواها الستة الجائعة ستة من بحارتها مرة واحدة تقضمهم قضا... وتلقاء هذه الهضبة ، هضبة أخرى على مري سهم يا أوديسيوس ، وقد كُتبت فوقها تينة برة كبيرة ذات أفنان وعساليج حانبات فوق الماء ، وتحتها عين خاريديس الجملة التي يفيض فيها ماء البحر كله ثم تعود فتجمعه ثلاث مرات في اليوم. ويثك أوديسيوس ! خذوا حذركم ! فوالله إنكم إن دنوتم منها فإنها تبتلعكم ، ولا يستطيع نبتون نفسه بعد ذلك أن ينجحكم . وإنى أرى أن تدنوا من الصخرة الأولى فتلتقم سكيلا ستة منكم ، فهو خير لكم من أن تفرقوا جميعاً » وسكتت سيرس ، وقالت أسألها : « بحق الآلهة عليك يارية أن تُجربى : أما أستطيع أن أنقذ رجالى المساكين من سكيلا إذا نجونا من خاريديس ؟ » فقالت تيمينى : « أيها التمس ، أما تفتأ نحن إلى مجازفات الحرب وجوخ غمار الوغى ؟ إنه لا سلطان للآلهة نفسها على سكيلا ، وهي ليست مخلوقاً مما يجوز عليه الفناء ، بل هي غول سرمدى شديد المراس ، شكنس شديد الشراسة ، لا يغالب أحداً إلا غلبه ؛ فأطلق سفينتك للريح ، ولد منها بالفرار . وإياك أن تفكر في التسليح لها ، فهي لا بد ملتقمة ستة من رجالكم إذا حاولت مدافعها فإنك منهم ! فإذا بددت فاضرع إلى كرافيس ، أم هذه الهولة التي هي إلى الأبد طاعون للبشر ، أن ترد كيد ابنتها عنكم فلا تبتمكم في سبيلكم ولا تلتقم منكم أكثر مما فعلت . . . وإنكم بالنون ( تريناشيا ) بعد هذا حيث ترمى الربتان الحسناتوان : لميتيا وفيتوزا ابنتا هيريون من عروس الماء نيرا ،

الروح فغابت حيث لا يدري أحد . ولا يعرف أحد سفينة جازت ممالك هذه الصخور إلا السفينة ( آرجو ) التي حاطها جونو <sup>(١)</sup> برعايتها رحمة بجاسون وحناناً من لدن سيدة الأوبل ، حين أقلت من جزيرة إيايا ؟ وروقام تلك الصخور هضبتان شاختان شاهقتان ، تمثل إحداها صنما هولة ضخما يضرب في السماء بروقه وتراكم فوقه منذ الأزل تقال السحاب التي لا يذيبها خريف ولا صيف ، لأن الشمس لم تنشر عليها أشعتها قط .. ولو أن أحداً من العالمين له عشرون يداً وعشرون رجلاً ما استطاع أن يرق عليها أبداً ، لأنها لمساء ناعمة كأنها صقلها يدا مثال صنّاع . . . وإن في سنده الثرى لكهفاً سحيقاً قعره ثمة باسم إربوس <sup>(٢)</sup> ، وإنى لأحذرك أن تقترب منه حين تجوز به يا أوديسيوس ، بل كن بنجوة منه ، بعيداً بقدر ما تستطيع ، أو على الأقل على مري سهم مراش من سفينتك إلى وصيده ؛ ذلك لأنه مأوى سكيلا الخفية التي تدوى بصوتها وعواثها ، ويفرق الناس والآلهة من وجهها المكتم القبيح ؛ وحسبك أن تعلم أن لها اثنتي عشرة قدماً كلها أمامية ، وأن لها ستة أعناق طوال ينتهي كل منها برأس كبير فظليع ، سلج بثلاثة صفوف من أنياب حداد أصنمها ثابت ، وحشوها سم زافع . وهي تريض في غور كهفها السحيق ، بينا أروسها بارزة من فوهة الكهف تبحث في الماء عن الدلافن وكلاب البحر ودواب الماء وجميع حيوان مملكة امقترت . . . وليس يجسر بحار أن يفضر بأنه نجا مرة من شرها

(١) هي حيرا زوج زيوس كبير الآلهة .

(٢) إله الظلام الذي تزوج من أمه ( ليله )

قطعاناً أيهما السبعة التي يشمل كل منها خمسين  
شاة ذوات صوف ناعم كالثلج . . . وكل هذه  
الشاء يرعى ثمة باسم رب الشمس العظيم . فإذا  
كنتم حقاً تشوقون لبلادكم ، وتتحرقون شوقاً  
إليها ، فاحذروا أن تصيبوا تلك القطعان بسوء ،  
فإنكم إن فعلتم غرقت بكم سفينتكم وذهب رجالكم  
أبديداً . أما أنت ، فتنجو بعد كل شيء وبعد نضال  
وأهوال ، فنصل إلى بلادك مولوماً محسوراً ! »  
ونفَسَ الصبح الندى الرخي فذهبت تليختر  
وتجمر أذيالها إلى قصرها اللئيف ، وذهبت أنا إلى  
الشاطئ فأيقظت رجالي وأمرتهم بفروا السفينة  
حتى استوت في الماء ، ورفعت مراسيها ، ثم جلس  
كل إلى مقدمه ، وأعملوا أيديهم في مجاذيفهم  
فتدافعت الفلك في البحر ، وما هي إلا لحظة حتى  
أرسلت سيرس ، الزية المقدسة ، نسبا رخاء كان  
خير رفيق لنا ، إذ كفنا عناء التجديف ، فطرحننا  
في المركب ، واشتدت الريح في غير عصف فأسرعت  
بنادرنا . . . ثم كلك رجالي وفي قلبي وجيب  
قلقت : « أيها الأصدقاء تمالوا أحدثكم عما تنبأت  
به سيرس لنا في رحلتنا هذه ، فانه سيان إن أفلتنا  
من العذاب أو تردنا فيه ؟ بل أردت أن أطلعكم  
على ما خباها المقادير لنا لتأخذوا حذركم ، وتبرموا  
أمركم ، ويكون كل على نفسه وكيلاً . لقد حذرني  
أن يستمع أحدكم إلى غناء السيرينات الشاديات  
وحلو تطريهن ، وأجازت لي وحدي أن أصني  
إلهن ؛ بيد أنها أوصني أن أخبركم أن تشدوا  
وثاق بامتن الأمراس في سارية السفينة فلا تطلقوا  
سراحي حتى تبعد عن جزيرتين . وكلما رجوتكم  
أن تحلوا عني شددتم وثاقي أكثر فأكثر ( هذا

كل لسان »  
« ألقى في جزيرتنا مراسيك يا غر النوفان »  
« تلبث عندنا أيها العزيز وشنف أذنيك »  
بأغانينا »

« فما من أجد جاز بجزيرتنا حتى عرج يترود  
من هذا الفناء »

« ثم يقلع أسعد ما يكون ، وأظن ما يكون »  
« ذلك ونحن نعلم من أنباء ما أصابك كل شيء »  
« ما خضت من معمان طروادة ، وما  
أصابتك الآلهة من مصيبة ، وما لقي قومك في كل  
مكان »

« تعال تعال ... هلم نحدثك فنعندنا علم كل شيء » .

وهكذا شرع المذاري يسكن إرناهن الجليل في قلبي ، وكأنما كن ينثن فيه السحر فيصني ويصني وتلح عليه الرغبة في الإصغاء ، ورحت أنا أضرع إلى قومي أن يفكوا قيودي ويطلقوا سراحي ويخلوا بي وبين أولئك السيرينات المطربات ، فلم يسمعوها لإشاراتي ولم يستجيبوا لتوسلاتي ، بل هب يوريلوخوس وبرميديس فضاغفوا أغلالى وشدوا على جنابى ... ثم بعدنا ... وظلنا نعد ونعد ، حتى إذا كنا حيث لا يصل إلينا من شدوا السيرينات شيء ، نهض رجالى فأزالوا ما كنت قد جعلته في أذانهم من الشمع ، ثم عمدوا إلي فأطلقوا سراحي ... وما كادوا يفعلون حتى أبصرت في ظلام البعد موجاً كالجلال كأنه ظلمات بعضها فوق بعض ، ودخاناً كثيفاً ينمقد في الجو ، ثم إذا بي أسمع رعداً قاصفاً يصم الأذان ! وقد ذهل رجالى عن أنفسهم ، وطارت المجاديف من أيديهم فلم تبد شجدهم نفعا ، ووقفت السفينة كأنها الأرجوحة على أروس الموج ؛ وذهبت أنا أشجعهم رجالاً فرجلاً : « أيها الرفاق ! ها نحن تلقى أولى عقباتنا ، وهى ليست على كل حال أشد هولاً من مصيبتنا يوم حبسنا السيكلوب في كهفه السحيق ، وكيف احتلت لفرارنا من وجهه ؛ وسياأتى يوم نذكر تلك الشدة المفاجئة بمثل القبطة التى نذكر بها الشدائد السوائف ... هلموا إذن ، اثبتوا فى أما كنكم ، واصمدوا لهذا اللج المصطب ، واضربوا فيه فى جلد وصبر ، عسى أن يكلاًكم خوف ربكم فيجئكم منه . وأنت أيها الزبان أضغ إلى ، إنك تقبض على ناسية الحال ، فتحاش أن تقترب من

هذا الدخان وتلك الأمواج الثائرة ... إبتعد ما استطعت عنها ، وخذ سبيل هذه الصخرة ، ذلك أدنى ألا تقذف بنا فى حمأة الخطر ... » وظلت أُنْفَخ فيهم روح الصبر حتى فادوا إلى أمرهم فاستقتلوا فى مجاهدة الأمواج استقتالاً ... وتسلمت أنا بكل ما استطعت من عدة ، وجعلت فى يدي رحمين طويلين ، ووقفت أقرب سكيلا الهولة من بعد ، ولم أجسر أن أذكر كلمة عنها لرفاقى حتى لا تفرغ أفئدتهم فرقاً فيهربوا من علمهم ويكتظوا فى بطن السفينة تخافة أن يمسهم منها أذى ... وشرعنا نعبر البوغاز ، ... ولشدا ما أزعجنى أن أرى سكيلا ترمقنا وتلمظ ، وقد انتصبت كاللوت على الشاطئ القريب ، ثم أرى فى الوقت نفسه خاربديس على الشاطئ الآخر تخرج فى حلقها الرحب الفظيع عباب الماء ثم تجبه ، فكأنما تقذف من جوفها ماء فائراً يعلو فى الجو كالجليح ، ثم ينهمر وبه فى كل فج ، وتعود فيغيب البحر فى بلعومها ، ثم تقذفه ، وهكذا دواليك ... بالروع ، وباللفزع الأكبر ! تالله لقد كنا ننظر ما تبدى خاربديس وما تعيد فى جزع وفى هلع ، بينما كانت سكيلا تتوثب وتتوثب ، ثم ترسل أروسها الستة فتلتهم ستة من رجالنا كانوا وا أسفاه أشجعهم جميعاً ، وكان قلبى يتمزق حين راحوا يهتفون بى ، وينادونى باسمى وأنا كالذى أسقط فى يديه ، ما استطيع شيئاً فأصنعه ، بل أنظر إلى أذرعهم وأرجلهم تتقلب فى الهواء وهم يصيحون ويعولون ، وأنا ساكن داخل أقلب كفى ولا أفعل شيئاً آخر ! واحزنناه ! ما كان أشبه سكيلا التوحشة بصائد السمك الذى أطعم سناره وأرسلها من فوق صخرة تداعب السمكة المسكينة ،

أفرغ حتى انتصب يوريلوخوس رد على في جفوة وضيق : « أوديسوس ، أيها القاسي الطاغية ، أما أوهنت كل تلك الشدائد جلدك ؟ أخلق أنت من حديد فا ترق وما تلين ؟ أتأبى على رجالك الموهوبين المكشوفين أن يرسوا بهذه الجزيرة الفيحاء المشبعة ليربغوا مما بها من آلاء ، وليطعموا من خيرها الكثير ؟ أنصرفنا عنها بنزقك وقلة بصرك لنخبط طول الليل في هذا البحر الأجاج خبط عشواء مع ما تكون الريح عليه حينئذ من شدة وعنف ؟ خبرنا أيها الأحمق ما ذا نصنع إذا عصفت بنا نكباء من الجنوب تحطم فلكتنا ولا ينجيننا من بطشها حتى الآلهة ؟ أليس الأفضل لنا أن نرسو في هذه الجزيرة فنفقي بها ليلنا ، حتى إذا انفلق الإصباح أقلمنا منها على هدى ؟ ! »

وحجده الملاحون ما قال ، فدار في خطي أن لا بد مما ليس منه بد ، وأن لا بد من وقوع القارعة الكبرى بنا ، فقلت في كلمات بائسات : « لا خير يا يوريلوخوس ! وليس بي من بأس أن أخضع لما تري الجماعة ؛ ولكن تعالوا جميعاً فأعطوني موثقم ألا نذبجوا شاة ولا تجزروا نعمة مما هنا من هذه القطفان ، مهما ألح عليكم السَّغيبُ ، وأضواكم الجوع ... بل يكون حسبكم ما ملتم من آكال من عند سيرس »

وأقسموا أغلظ الأقسام أن يفعلوا ، ثم عموا بالفلك في جون هاديء ترتفع في وسطه نافورة رائحة ؛ فأرسوا نعمة ، وتدفعوا إلى الشاطئ ، وراحوا يعنون وجبة النساء ؛ بيد أنهم سرعان

حتى إذا حان الحين جذبها إلى عل ترنخ هنا وهناك . هكذا كانت هذه اللسنة التي جذبت إلى كهفها أشجع رجالنا وراحت تقات بهم بين الصراخ والبكاء ، وبين التوجع والأنين ، وكلهم يعد إلى ذراعيه مستنجداً مستغيثاً في قنوط وبأس ! ! أبداً ما وقعت عيناي في مشارق البحار ومناربها ، بل في جميع غاطراتي ، على منظر أبث للأسي ، وأمض للنفس ، وأجرح للفؤاد ، من ذلك المنظر الرهيب ! وما كدنا نفلت من سكيللا وخاريديس بعد تلك الفاجعة حتى اقتربنا من أرض الشمس ، حيث ترعى قطعان هيريون<sup>(١)</sup> الجلية الكثيرة ذات الفراء الناصعة ... ولقد كنت أسمع نغائها ورغاءها إذ أنا على ظهر سفيتي في عرض البحر . وسرعان ما ذكرت ما قاله لي الكاهن الطيب الأعمى ، تيرذياس في هيدز ، عن هذه القطعان ، ثم ما أُنذرتني به سيرس سيدة إيليا من وجوب الابتعاد عن هذه الجزيرة التي كانت منذ الأبد غواية للبشر ، حتى قت في رجالى فجعلت أحذرهم وأقول : « أيها الرفاق اسمعوا ؛ هذه هي جزيرة الشمس الهائلة التي حذرنا تيرذياس الكاهن الطيب من الرسو بها أو الاقتراب منها . وكذلك حذرتني منها سيرس ربة إيليا ، فإن كل ما لقينا من أهوال ليس شيئاً إلى المول الذي يحيق بنا إذا حللنا بها . فاسمعوا نصحي وسيروا بنا نذرع هذا البحر نسلم من شر مستطير ، وبلاء لا يجبرنا منه مجر » وكانوا يصغون إلى في حيرة وذهول ، وما كدت

(١) في بعض المصادر أن الشمس غير هيريون ، وفي بعضها أنها هو ، وفي بعضها أنه أحد سواس عربتها

مخرجاً ... وبينما أجوب الجزيرة إذا بي أبعد كثيراً عن رفاقي، فبدأ لي أن أسكن إلي منطف دافء هادئ على سيف البحر، فأغسل<sup>(١)</sup> يدي بما علق بهما من قدر، ثم جلست أصلي للآلهة، وأدعوها واحداً بعد واحد أن تهني لنا من شدتنا مرفقاً، ولكنها جميعاً - وأسفاه - أصمت أذانيها عن دعائي، ثم أرسلت علي طائفاً من الكرى ... فتمت نوماً عميقاً ... بينما كان يوريلوخوس التمس يوسوس إلى رفاقه فيقول: « أيها الأصدقاء! أنا أخوكم في البلاء فاسمعوا وعوا. ليس أشتع من الموت إلى النفس، ولكن الموت جوعاً هو أشنع أنوان المنايا التي يرتجف منها الإنسان ... هلموا ... لنذبح من هذه الشاة والنعم، ولنضح للآلهة أضخم ثيران الشمس، ولننذر أن نبي للرب البارك هيريون هيكلاً عظيماً حالماً نصل سالمين إلى إيشاكا، ولننذر أيضاً أن نجعل في الهيكل من الطرف والتحف ما يرضى الآلهة ويكفر عن سيئتنا. أما إذا آثر أن يفرق فلكننا ونضافرت معه جميع الآلهة على ذلك، لأننا لحقنا أذى بعدد من قطعانه، فاني أول من يجاهر بقبول الموت مرة واحدة في أعماق هذا الهم، على أن أموت هذا الموت البطيء جوعاً! » وزين لهم ما قال، فاستاقوا أسمن ما في القطعان التي كانت ترعى العشب قريباً منهم، ثم أطعموها أنضر أوراق الشجيرات الباسقة إذ فرغ كل ما لديهم من الشيعر، ثم

مانحوا مستغبتهم حين تذكروا إخوانهم الذين غلبهم سكيلا، وراحت تفتدى بهم أمام كمفها السحيق فأخذوا ليكونهم ويذرفون عليهم دموعهم حتى غلبهم الناس، فناموا ... وفي المزيغ الثالث من الليل، حين عبرت النجوم فكانت في كبد السماء، ساق چوف رب السحاب الثقال ريحا جابت البر والبحر، وغمرت بها ماء منهم، ثم عقد في الكون ظلمات فوق ظلمات يتدجى بعضها في بعض ... ثم أشرقت أورورا الوردية، فبهضنا من مراقبنا، وسحبنا الفلك إلى غار كان لبعض عرائس البحر يرقصن به أو يستروحن فيه؛ وما كاد ثملنا يجتمع ثمة حتى بهضت في رجالنا أقول: « أيها الرفاق إننا ما ينقصنا غذاء، وما بنا من حاجة إلى أكل، فمنا من ذلك الشيء الكثير، فإياكم وأن تمسوا هذه القطعان بأذى؛ وحسبكم أن تعلموا أنها ملك خالص لربة الشمس التي تراكم أيما كنتم » وهكذا أيقظت في نفوسهم النخوة. ثم إنا لبثنا في تلك الجزيرة شهراً ما نزم عنها وما كان لنا إلى غيرها متحول؛ ذلك لأن الدبور<sup>(١)</sup> ظلت تهب من الجنوب في صرامة وشدة، فإذا هدت، لم تهدأ إلا لتهب ريح شرقية أشد منها عنفاً. لم يمسا قطعان الجزيرة الساعمة بأذى مادام لم يتفد ما كان معهم من طعام. فلما تناقصت ميزتهم راحوا يتلمسون صيد البر والبحر، أما أنا فكنكت أجوس خلال الجزيرة عني أن ألقى إليهما أضرع إليه فيجعل لنا من أمرنا

(١) كان غسل الذين كالوضوء عندنا شرطاً لا تصح

الصلاة اليونانية بدون

(١) ريح الجنوب ضد الصبا

صَلُّوا لِلْآلِهَةِ ، وَجَزَرُوا الْحَيَوَانَاتِ الْبَائِسَةَ ثُمَّ  
 سَلَخُوهَا ، وَفَصَلُّوا الْأَنْخَازَ وَالشَّجَمَ ، وَقَذَفُوا بِهَا  
 إِلَى النَّارِ تَقْدِمَةً لِلْآلِهَةِ وَقَرِيَانًا . . . وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُمْ  
 خَمْرٌ لِيَتَمَوْا بِهَا الشُّعَائِرَ الْقَدْسِيَّةَ ، فَقَذَفُوا فِي النَّارِ  
 بَدَلًا مِنْهَا مَاءً قَرَحًا . . . وَجَلَسُوا بَعْدَ هَذَا يَبْعُدُونَ  
 سُوءَهُمْ مِنَ الْحَوَايَا <sup>(١)</sup> وَالْكَبِدَ وَمَا إِلَى ذَلِكَ جَمًّا فِي  
 جُوفِ الْبَهِيمِ ؛ حَتَّى إِذَا طَعَمُوا مِلءَ بَطُونِهِمْ انْطَرَحُوا  
 فِي مَرَاقِدِهِمْ يَبْنُو اسْتِغْيَظَ لُجَّةً مِنْ سِبَاطِي وَنَهَضَتْ  
 لِأَنْطَلِقَ فِي طَرِيقِ صَوْبِهِمْ . وَمَا كُنْتُ أَشْرَفُ عَلَيْهِمْ  
 حَتَّى مَلَأَ خِيَاشِمِي قَتَارَ <sup>(٢)</sup> مَا فَعَلُوا ، فَوَجَّهْتُ وَجْهِي  
 شَدِيدًا ؛ ثُمَّ أَجْبَشْتُ ، ثُمَّ اسْتَخَرْتُ فِي بَكَاءٍ طَوِيلٍ  
 وَضَرَعْتُ إِلَى الْآلِهَةِ وَظَلَلْتُ أَقُولُ : « أَهْكَذَا يَا رَبَّ  
 السَّمَاءِ تَلْقَوْنَ عَلَى ذَلِكَ الطَّائِفِ مِنَ الْكُرَى فَيَفْعَلُ  
 أَحِبَّائِي مَا فَعَلُوا إِذْ أَنَا أَعْطُ فِي نَوْمٍ عَمِيقٍ ؟ » .  
 وَطَارَتْ لَيْتِي بِالْخَبَرِ الْمُشْتَوِّمِ إِلَى إِلَهِ الشَّمْسِ قَتَارَ نَأْثَرِهِ  
 وَطَفَقَ يَصْخَبُ وَيَهْتَفُ بِالْآلِهَةِ وَيَقُولُ : « يَا جُوفُ  
 الْعُلَى ، وَأَنْتَ يَا آلِهَةُ السَّمَوَاتِ ! إِنِّي أَرَى لِمَا فَعَلَ  
 السُّفَهَاءُ مِنْ رِجَالِ أَوْدِسْيُوسَ . لَقَدْ اجْتَرَأُوا فَجَزَرُوا  
 مِنْ نَعْمِي وَشَأْنِي الَّتِي هِيَ بَهْجَتِي وَأَنْسَى وَالتَّتِي أَرْمَقَهَا  
 أَبَدًا مِنْ عِلْيَاءِ السَّمَاءِ ؛ فَإِنَّ لَمْ تَنْتَقِمْ لِي فَوْعَزَتِي  
 لِأَهْبِطَنَّ بِشَمْسِي إِلَى هَيْدَرِ قَائِرِ آفَاقِهَا ، وَأَضْفِي  
 أَنْوَاءِي عَلَى الْأَشْيَاحِ ثَمَّةً (وَأَدْعُ هَذَا الْعَالَمَ الْمَشْرِقَ  
 الْجَمِيلَ يَضْرِبُ فِي دِيَابِرٍ مِثْلَهَا دِيَابِرٍ .  
 وَأُجَابِهِ رَبُّ السَّحَابِ الثَّقَالِ فَقَالَ : « يَا إِلَهَ الشَّمْسِ

(١) الأُمَاءُ .

(٢) رِيحُ السَّوَاءِ .

(١) إِلَهَ الصَّبَا .





سكيللا الهائلة طافياً هناك ! إذن ما استطاع لإقناذي رب الأرباب نفسه من محالها وأنيابها !! ثم بقيت هكذا تسعة أيام ليلاليا . . . يصرعني البحر وأصرعه ، ويناضلني الموج وأناضله ، حتى رثت الآلهة الخالي فساقنتي في العاشر إلى أوجيجيا ، جزيرة عروس الماء كليسيو ، فرسوت ثمة في ليلة ليلاء ، مظلة طخياء . . . وقد نالني من كرم العروس وجيمل معروفها ما رد إلى قواي ، وأنا باني عما لقيت من شقوة وأرزاء . . .

ولكن لم هذا ؟ لقد نعمت قصتي مع كليسيو من قبل ، إذ رويتها للملك ولزوجه أمس ، وإني لأكره الحديث للماد »

( تحت قصة أوديسيوس )

( يتبع ) دبرني فنبته



### تصحيح

نأسف ونعتذر لأن أربعة أسطر في صفحة ٩٠٢ من العدد الماضي وهي التي في أول العمود الأيمن وضعت مكان أربعة الأسطر التي في آخره فاختل السياق وضاع المعنى . وتصحيحها بالطبع أن تنقل الأسطر الأربعة التي في آخر العمود إلى أوله ، وتنقل الأربعة التي أوله إلى آخره ، فيتصل الكلام

وطفونا على سطح البحر الغاضب بلا أدنى أمل في أي شيء بله العودة إلى بلادنا . . . ولقد كنت أقرب حطام الفلك يطفو معنا وينوص ، حتى عن لي أن أعلق بالهرايب القريب مني ، فطويت عليه قطعة من الشراع الممزق وجعلته لي ثمأماً لصقت به ، بينا نامت الشمال لسوء حظي ، وأخذت الجنوب تهب في عنفوان وبأس ، وتدفعني بقسوة وقوة حتى خيل لي أنها ستنتهي بي إلى عين خاربيديس الحثة . . . باللول ! لقد مضى على ليل أيل ليل . . . حتى إذا أشرقت ذكاء ، رأيته وبالأسف عند صخرة سكيللا ، وعلى مسافة من عين خاربيديس . والحسن حظي كانت اللينة قد ابتلعت كل مياه الشاطئ . . . ثم دفعتني موجة من الأعماق فاستطعت أن أعلق بأحد أغصان التينة الهائلة النامية فوق صخرتها ، فبقيت لاصقاً به كالخفاش لا يمكنني أن أهبط أو أن أنسلق لعظم ما كانت الأغصان تبتعد من الأرض وتعتمد من حولي ، ولأنها كانت تعرش من فوق خاربيديس ، حتى كنت أرتعد من فزع واهلج عندما كنت أبصر تحتي فأرى العين الحثة الملونة تبتلع الموجة إثر الموجة ؛ ثم رأيت الهرايب وقطعة الشراع التي كنت عالقاً بهما ينفذان نحوهما ويكوثان تحتي فطربت ولو أن هذا جاء متأخراً حتى رجع قلبي ووهنت قواي ؛ وغمرني شعور الذي انفردت أزمته ، وكشفت عنه غمته ، فهويت إلى الماء ، وتعلقت بهما بقصبتين مستميتين . . . ويلاه على !! أواه ! لو لحتني

» طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المهدي عمارة محمد رقم ٧ «



صاحب المجلة ومديرها  
ورئيس تحريرها المسئول  
احمد حسن الزيات

بدل الاشتراك عن سنة

٣٠ في مصر والسودان  
٥٠ في الممالك الأخرى  
١ عن العدد الواحد

الادارة

شارع عبد العزيز رقم ٣٦  
المنية الخضراء - القاهرة  
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

# المروية

مجلة أسبوعية للقصص والدينا

نصدر مؤقثاً في أول كل شهر وفي نصف

العدد السادس عشر ١٠ رجب سنة ١٣٥٦ - ١٦ سبتمبر سنة ١٩٣٧ السنة الأولى

من أحسن القصص



## فهرس العدد



صفحة	
٩٧٠	على الجديدة .....
٩٧٤	قصة بلا نهاية .....
٩٨٢	المرض المتبادل .....
٩٨٧	جبات .....
٩٩٣	فاوست .....
١٠٠١	على الباغي تدور الدوائر .....
١٠١٣	لأنها أمي .....
١٠١٧	اللعاب القضي .....
١٠٢٣	اعترافات في العصر .....
	أقصصة مصرية .....
	للكاتب الروسي أنطون تشيخوف ..
	أقصصة مصرية .....
	للقصصي الفرنسي دي موباسان ...
	للكاتب الروسي تشيخوف ...
	مترجمة عن الانجليزية ...
	أقصصة مصرية .....
	للقصصية الألمانية فيكي باوم ...
	لألفريد دي موسيه .....
	بقلم الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني
	بقلم الأستاذ عبد الحميد حمدي ...
	بقلم الأديب نجيب محفوظ ...
	بقلم السيد محمد الزاوي ...
	بقلم الأستاذ كامل محمود حبيب ...
	بقلم الأديب أميل فرج ...
	بقلم الأستاذ محمود خيرت ...
	بقلم الأديب أحمد فتحي مرسى ...
	بقلم الأستاذ فليكس فارس ...

لا لالا... لا تخافى

لن أصنع شيئاً من  
هذا »

فصت وهي تلتفت

إليه وتهز إصبعها  
محدرة منذرة . ودفع

يده فى جيبه بحكم

العادة ثم أخرجها فارغة فتهد ونهض إلى الباب  
وهو مطرق ، فقد كان هذا خامس يوم لم يدخن فيه  
سيجارة ولم يشرب فنجان قهوة . وخرج يستأنف  
البحث عن عمل ، وأكبر ظنه أنه سيرجع كما يرجع  
كل يوم بالخبيثة المرة وإن كان لم يترك باباً إلا طرقة .  
ولو كان معه شيء من المال لغامر به فى تجارة ما .  
ولكن دخله كان قليلا وكان يكتمها بفضل تدبير  
زوجته وحسن تصرفها

وإنه لماض وعينه على الدكاكين والمكاتب وإذا  
بسيارة نغمة تقف بجانبه ويناديه سائقها وصاحبها ،  
فالتفت فإذا صديق له ، فدعاه إلى الركوب فركب  
وهو يحمد الله فقد كانت قدماء قد ورمنا قليلا من  
كثرة المشى . وسأله الصديق : « كيف حالك  
يا بى أحمد ؟ »

فقال أحمد « بخير والله الحمد »

فعاد يسأل : « لست أراك فى هذه الأيام فأين  
تختفى ؟ وماذا تصنع بنفسك ؟ »

فهرب أحمد من الجواب وقال : « لا شيء . . .  
كالعادة »

وبلغا بيت الصديق وكان شقة صغيرة فى حى  
جديد زاخر بالناس ودخلا ، والصديق ينظر إلى  
أحمد من طرف خفى ، ويتأمله ويميل عينه فى ثيابه ،

# عَلَى الْحَدِيدَةِ

## لِلأَسْتَاذِ اِبْرَاهِيمَ عَبْدُ الْقَادِرِ الْمَازَنِى

« كيف تطبخ ؟ »

فرفع عينه إليها فلم يرمح إلى نظرتها وهيئة  
وجها ، وآثر السلامة فعاذ بالتجاهل وقال « إيه ؟ »  
فصاحت به وهي متكئة على المائدة بيد ، ويدها  
الأخرى فى خصرها : « ألم تسمع ؟ إني أسألك كيف  
تطبخ وقد قطعت الشركة عنا الماء ؟ »

فقال وهو يتكلم التهور من الأسر : « آه . .  
صحيح . . ألا يمكن أن نستغنى عن الحساء غدا ؟ »  
قالت : « لا تمزح ! . . إني أتكلم جادة »

فقال : « هل هناك أمل كبير فى الطبخ حتى  
ترجى نفسك إلى هذا الحد ؟ »

قالت : « وغداً يقطع عنا تيار الكهرباء أيضاً »  
فقال : « هذا أهون . . على كل حال . . يعزينا  
أن الانسان لا يمكن أن يجد فى الدنيا كل ما يشتهي »  
فقالت وهي تهتم بأن تمضي عنه : « هذه الفلسفة

لن ترد إلينا الماء ولن تعيننا على احتمال هذا الكرب »  
فقال : « اسمى . . سأذهب وأملأ لك بعض  
الجرار واللواعين من الجيران »

فارتدت إليه وعينها تقبح شرراً وصاحت به :  
« إياك أن تفعل . . الجيران ؟ أتريد أن يعرفوا  
ما نحن فيه من الضيق ؟ والله إن فعلت هذا . . »  
فقال بسرعة : « لا لالا . . إنما كان خاطراً . . »

وفرغاً من الطعام فاضطجع أحمد في كرسيه ،  
وقد امتناً ورضى عن الدنيا ، فناولته جميل سحابة  
فأشعلها وراح يدخن مسروراً ، فدار رأسه وزلغ  
بصره ، كما هي المادة إذا انقطع المرء عن التدخين  
وقتاً ثم عاد إليه . ولح جميل ذلك فنهز رأسه أسفاً ،  
وعز عليه ماصراً إليه أمر صديقه . وكان يعرف في  
أجد الآباء والعفة فاتفق أن يصارجه بشيء أو أن يلح  
عليه بالأسئلة لكلا يجرح إحساسه .

وقال جميل : « والأآن .. ما قولك ؟ .. هل  
تريد أن تذهب إلى مكان معين فأحملك إليه ؟ »  
فقال أحمد وقد شعر أن ليس في وسعه بعد  
هذه الأكلة الهينة أن يجني قديمه بالشيء بحثاً عن  
عمل : « لا . سأرجع إلى البيت »

\*\*\*

وعاد إلى بيته يشي الهويني ، وفي قلبه سكينه ؛  
وامتدت يده إلى حبيبه — عفواً لأعمداً — فأحس  
شيئاً صلباً فيه ، فدهش وأخرجه فإذا هو علبة  
سجائر ! « فوقف مكانه ، وقد قصد حبيبه عرقاً ،  
فقد كبر في ظنه أن يده لا بد أن تكون قد امتدت  
إلى هذه العلبة وتناولتها ودستها في حبيبه وهو غير  
مدرك لما يصنع ! فوا خجلناه ! وماذا عسى أن يقول  
جميل حين يفقد علبته ؟ لن تأخذ حيرة في الاهتداء  
إلى الذي أخذها ومضى بها ، فما كان معه في البيت  
سواه ، وهذه الخادمة الصبية التي لا يعقل أن تكون  
من المدخنتات ؛ وهبها كانت منهن فان جيلها ما كان  
يحتفظ بها لو أن يدها كانت طويلة ؛ ثم إن العهد  
بها قديم ، فلا وجه للاشتباه فيها . ولا نكران أن  
جميلاً كريماً عظيم المروءة ، ولكنه ليس من الكرم  
أن يكون المرء غرض اللصوص ؛ ولو أنه طلب منه  
العلبة لما تردد في تركها له ، فلا داعي للسطو ، ولكن  
كيف فعل هذا ؟ إنه لا يذكر أنه خطر له أن يأخذ  
العلبة ، بل لا يذكر أنه غنى بأن ينظر إليها ، وكل

وإن كان لا عيب فيها إلا أنها غير مكوية ، وصفت  
جميل — فقد كان هذا اسمه — فأقبلت خادمة شابة  
فقال لها : « إني ميت من الجوع ... فهات لي بسرعة  
شيئاً يؤكل »

وكان لا يكف عن التحدث في وجه أحمد فقد  
راعه اصفراره ثم سأله :

« هل كنت مريضاً ؟ »

فقال أحمد وهو يتكلم الاستخفاف : « لا ..

أبداً .. تمب بس »

فسأله : « العمل كثير ؟ .. »

فزل لسان أحمد وقال وهو يضحك : « لا كثير  
ولا قليل » وأراد أن يتدارك الأمر فقال : « شيء  
بسيط على كل حال »

ففتن جميل إلى الحقيقة كلها وأدرك أن هذا  
اصفرار الجوع

وأعد الطعام فجلسا إلى المائدة ، ولم يكن جميل  
يموت من الجوع كما قال لخادمتيه فجعل همه أن  
يتكلم ، وأن يحث أحمد على الأكل ؛ وأقبل أحمد  
على الطعام في أول الأمر متفتفاً يتناول بقدر ولكن  
الطبيعة غلبته ، فما ذاق طعاماً حسناً كهذا منذ  
أسبوعين ، فلم يعد يبالي أن يتكلف أو يتظاهر  
بالزهد . وكان ربما تذكر زوجته وهو يلتهم اللقم  
فيتننى لو استطاع أن يحمل إليها بعض ما أمامه من  
الألوان . ولكن كيف يصنع ذلك ؛ ويحدث نفسه  
أنها لو كانت خرجت معه لكانت الآن تأكل بلا  
حرج أو خجل . ولم يخطر لأحمد أن جيلها عرف  
حقيقة حاله . نعم زل لسانه بما يفيد أنه لا عمل له  
الآن ولكن هذا ليس معناه أنه هو وزوجته لا يكادان  
يجدان الكفاف وأنهما يستعينان على العيش برهن  
أشياء مما في البيت حتى لم يبق إلا الفرش والأوعية  
والأدوات التي لا يستغنى عنها ولا يجيء رهنها بشيء .  
وهذا كله لا يعرفه — ولا يمكن أن يعرفه — جميل

إنه سيرجع أدرأجه لعله يمشي على الظرف حيث سقط  
ولا يحتاج أن تقول إنه لم يجد شيئاً !

\*\*\*

ومضى بزمان انقطع في خلالها تيار الكهرباء،  
وازدادت الحالة سوءاً، وكان شر ما فيها وأشق على  
الزوجة أن لا ماء في البيت، وأن الالتجاء إلى  
جار أو غيره يقضي إلى الفضيحة وهتك السر؛ ولم  
تكن تدري أن ما تحرص على كتمان معروف، وأن  
الحيران لا يفلطون بشيء كغفطهم به، وأن هذا أمتع  
ما تدور عليه أحاديثهم في مجالسهم وسهراتهم، وكانوا  
ينصفونها ويحمدون منها تغفها وتجلدها وتسترها،  
ولكنها هي كانت لا تعرف هذا، ولا بمنها إلا أن  
من الواجب أن تستر هذه الخلة حتى تنفخ الأزمة  
وتتفتح أبواب الرزق. وكانت تنفق ما تحصل عليه  
من رهن أشياءها على الطعام، وكان الأمر يحتاج  
إلى التقدير الشديد، والحساب الدقيق، لقلة ما تأخذه  
من المراهي الذي كان يعطيا القروش وكأنه يسكها  
من جلده. وقد نفذ ما يسعها رهنه، ولم يبق إلا  
الآنث وما إليه؛ وكان الجزع ينتابها حين تفكر في  
أنها ستضطر أن تخرج هذه الأشياء فيراها الحيران  
ويعلمون إلى أين تذهب؟؟ وإذا طالت بطلاة أحمد  
أسابيع أخرى فلن يصبح من اليسور الاحتيال  
لتدبير أجرة البيت، وحينئذ ماذا يكون المصير، ولا  
ضبر لأحد على مفلس؟؟

ودخل الليل والرجل وامرأته جالسان، ساهمين  
لا يتكلمان، وإذا يباب الشقة يذوق دقاً عتيقاً، فذعرا  
وتبادلا نظرات الاستغراب. ومن يرى يكون الطارق  
في هذا الوقت؟؟ وماذا يعني؟؟ وماذا عسى أن  
يقدم إله إن كان زائر؟

وتوالى الدق وتعالى، فنهض أحمد وهو يقول لامرأته:  
« ما العمل؟ ليس عندنا نور... ولا جاز ولا  
شمع... لا حول ولا قوة إلا بالله »

مايم كره أنه كان قهر العين جداً وهو يمدخن السيجارة  
بعد أن زال عنه الدوار، حتى الدوار الذي اعتراه لم  
يكن يخلو من لذة

والآن ماذا يصنع؟ لم يتردد أحمد في أن الواجب  
هو أن يحفظ السجائر ليردها إلى جميل متى سنحت  
له فرصة يزوره فيها، وعليه أن يجعل بذلك ليحو  
من نفس جميل ما عسى أن يكون قد دار فيها،  
وبذلك يصبح الأمر مدعاة للضحك

وبلغ البيت وهو مبهم الغمز على ذلك، فألقي  
زوجته جالسة إلى المائدة وفي يدها قلم، وأمامها ورقة  
عليها أرقام شتى، فضحك وهو يقول:  
« ما أغرب أن يغري المفلسون بالحساب !!  
أم تراك وجدت رزقاً يا امرأة؟ »

فقلت وهي متجهمة: « أقصد... أين أوراق  
الرهن؟ »

فسألت: « ما حاجتك إليها؟ »  
قالت: « سبحان الله! أريد أن أعرف حساب  
البيت على وجه الدقة »

قال: « أي بيت؟؟ ما بقي من البيت لنا، أم  
ما انتقل إلى ذلك المراهي؟ »  
قالت: « هات بس! »

فدس يده في جيبه فأخرج علبة السجائر، ثم  
دسها مرة أخرى ليخرج الظرف الذي يحفظ فيه  
أوراق الرهن، فلم يجد شيئاً! فبهت واصفر وجهه  
وزاغت عيناه؛ ورأت منه ذلك فسألته: « مالك؟ »  
قال: « مالي؟ ضاع الورق! »

قالت: « ياخبر أسود! ضاعت أشياءي كلها،  
ومصوغاتي جميعاً! »

فنهض أحمد، وجعل ينفذ جيوبه واحدًا واحدًا  
بلا فائدة، فاحبط على كرسيه وقد أيقن أن الظرف وقع  
منه حيناً أخرج علبة السجائر، وأخبرها بذلك، وقال

زوجته ذاهلة مرتبكة ، وكان كل شيء قد أعد ،  
فاستقبلها الجمع بالتحية والبشر ، وأجلسوها في  
الصدر ، وجلسوا هم كيفما اتفق ، وبدأ الأكل .

\*\*\*

ولكل شيء آخر .  
نهض الخمسة ، عن كراسيهم ، وودعوا أحد  
وزوجته ، وانصرفوا بمثل الضجة المرحلة التي دخلوا  
بها ، وأغلق الباب ، فوقف الرجل وامرأته ينظران  
إلى المائدة التي تركها القوم مثقلة بما يكفي المبر  
الاقتصاد بضعة أيام .

وشرع أحمد يرد الكرسي إلى مواضعها على  
حين كانت زوجته ترفع الطعام وإذا به يرى ظرفاً  
على كرسي فتناوله بيد مرعشة وفتحه فقرأ فيه :  
« غزالك إخوانك ، وكروا عليك هذه الكبرة  
الباغنة لأنك أخفيت عنهم أمرك ، وحرمتهم أن  
يؤدوا لك بعض الواجب . ولا خير فيمن لا يعرف  
صديقه إلا في حال يسره واستغناؤه ؛ وليس ذنبك  
أنك تبطلت أياماً أو أسابيع فال كل امرئ بحريته  
لذلك ، والدنيا مثل الخيارة ... »

غداً تستطيع أن تقابل مدير مصنع الزجاج ...  
ليسل اليك العمل الذي استطعنا أن نجده لك على عجل ،  
وهذه دفعة على الحساب ، تردها متى وكيف شئت .  
وسيعود الماء والنور غداً ...

رئيس الرابطة : جيل  
فسالت السموع على خدى أحمد ودفع بالكتاب  
إلى زوجته ، في صمت ، وهم بالخروج فوقت عنه على  
ربطة صغيرة في زاوية ، فوقف يتأملها هنيهة ثم مد يده  
إليها وفكها فإذا فيها كل ما كان مرموئاً عند المرائي !  
في هذه اللحظة فقط أدرك أنه لم يسرق  
( سجنار ) ولم يفقد أوزاق الرهن ...  
أبراهيم عبد القادر المازني

ولم تستطع المرأة أن تبقى لتواجه القادم ، كأنها  
من كان ، ولو كان أباهاً أو أخاه ، فقد كانت تكتم  
الأمر حتى عن أهلها ، فهربت إلى غرفة النوم ،  
وتركت أحمد يفتح الباب ويتصرف كما يلهمه الله .

وفتح أحمد الباب محاذراً وأطل بوجهه ليرى  
من القادم وإذا به يبصر جيلاً وأربعة من جماعته  
— وهم جميعاً يعرفون أحمد — فارتد عن الباب  
مضطرباً ، وقد دار بنفسه أن هؤلاء آخر من كان  
يطبق أن يعرفوا حاله فانهم من أهل الثراء ، ثم إنهم  
خمسة فماذا يصنع ؟

وألمه الله أن يقول لجيل « جميل بك ؟ تفضل !  
ولكن أرجو أن تازموا السكنية ! السمت متعبة  
وراقدة ؟ تفضلوا ... نيتكم ، ولكن في سكون من  
فضلكم ... واعذروني إذا لم أقدم لكم قهوة أو  
شيئاً ، فإني لا أعرف كيف أصنعها ... ولا مؤاخذه ؟  
تفضلوا ... أهلاً وسهلاً »

وارتاح وخلصت أنفاسه بعد أن قال ذلك ،  
وأحس أنه استطاع أن ينجو من الفضيحة ، وأنه  
ستر الحال على خير وجه وأبعثه على الرضى  
ولكن أصحابه لم يلزموا السكنية ، ولم يحرصوا  
على راحة الربيعة الزعومة ، فقد كانوا أعرف  
بالحقيقة من أن يصدقوا ذلك ، فدخلوا يفتنون ،  
ووقف جيل في وسط « الصالة » يقول :

« أيها الاتباع المخلصون ... ضموا مامعكم ،  
وربوا السفرة ! » والتفت إلى أحمد وقال :  
« تفضل بدعوة السيدة الكريمة فقد جئنا متطفلين  
لنتعشى على مائدتها ... ولن يطيب لنا طعام بغيرها »  
وكان الأربعة قد شرعوا يمدون المائدة  
ويخرجون الأطباق ويضعونها عليها ، ويفكون  
الربطات التي يحملونها بعد أن أوقدوا شموعاً جاءوا  
بها معهم ، فخرج أحمد والدمع يترقق في عينيه وعاد



# قصة بالإنجليزية

للكاتب الروسي نطون تشيخوف  
بقلم الأستاذ عبد الحميد حمدي

وجدت الباب الداخلي  
غير موصد ، ففتحته  
ومررت إلى المدخل  
فلم أرى بصيص من  
الضوء ، فقد كان  
الظلام حالكا . وفي  
ذلك الظلام شمت  
رائحة بخور يملأ الجو .

وبينا أتحسس طريق للخروج من المدخل صدمت  
كوعى بشئ مصنوع من الحديد ، وتعثرت في  
الظلام بمائدة لم أتبين نوعها فكادت تسقط على  
الأرض . واهتديت آخر الأمر إلى الباب المغني  
بقاش من الصوف الخشن ، فاجتزته إلى ردهة  
صغيرة

وما أكتب الساعة قصة خيالية ؛ وأبعد  
ما أفكر فيه هو إثارة مخاوف القارئ ، ولكن  
الصورة التي وقع عليها نظري وقد تخطيت عتبة  
الباب ، صورة شبحية لاستطيع غير يد الموت  
رسما . فلقد كان في مواجهتي مباشرة باب يؤدي  
إلى غرفة انتظار صغيرة . وكان في الغرفة ثلاث  
شععات من النوع الرخيص موضوعة في صف  
واحد ، تاق ضوءاً ضئيلاً على الجدران المغطاة  
بورق رصاصي باهت اللون . وفي وسط الغرفة  
مائدتان وضع عليهما نعش . على جانب رأسه شععتان  
لا يكاد يكفي ضوءهما لإظهار معالم وجه أصفر قائم  
نصف مفتوح الفم مدبب الأنف . وقد لفت الخفة  
بقاش من الموسلين في غير نظام ، من الرأس إلى  
أطراف القدمين ، وقد برزت من بين هذا الكفن  
يدان منفراتان جامدتان قابضتان على صليبين

منذ سنوات عديدة ، وفي الساعة الثانية صباحا  
اندفعت طاهيتي إلى مكتبي — على غير انتظار —  
باهتة اللون مضطربة ، وخبرتني أن السيدة ميمونية  
العجوز ، مالكة البيت المجاور لبيتني جالسة في المطبخ.  
وقالت الطاهية وهي تلهث :

« وهي ترجو ياسيدي أن تذهب إليها ، فقد  
أصاب السوء زريل دارها ... فقد أطلق على نفسه  
الرصا ، أو هو قد شقن نفسه »  
قلت :

« وماذا أستطيع أن أفعل .. فلتذهب إلى الطبيب  
أو إلى البوليس ! »  
قالت الطاهية :

« وكيف تستطيع هي أن تبحث عن طبيب !  
إنها لا تقدر على التنفس إلا في غناء وجهه ، ولقد  
نجمت منكشة تحت الموقد .. فهي هالمة لا تملك  
أعضائها .. فنن الإحسان أن تذهب إليها ياسيدي »  
فارتديت معطفي وقبعتي وقصدت إلى بيت السيدة  
ميمونية . وكان الباب الخارجي الذي أتجهت إليه  
مفتوحاً ، فوقفت بجواره لحظة متردداً فيما أفعل ،  
ثم تخطيت عتبه داخلاً إلى فناءه غير باحث عن  
جرس البواب .. وفي الظلام تحت السقيفة المتهمة

في عينيه الكبيرتين اللتين رفعهما نحو صورة  
معجزة الوصف من الفزع والألم والتوسل ؛ وكان  
الرق المتحدر من جبينه ، والمعنى البادي على وجهه ،  
وارتجاف يديه اللتين انكأ عليهما ، وتنفسه الثقيل ،  
وأسنانه المتقلصة ؛ كان ذلك كله ناطقاً بأنه يعاني من  
الألم ما لا تحتمله القوة البشرية . ورأيت المسدس  
ماقي على مقربة منه وسط بركة من الدم

فلما انطلقاً عود الثقب سمعت صوتاً خافتاً يناديني :  
« لا تذهب ، وستجد شعبة فوق المائدة »  
فأشعلت الشمعة ووقفت وسط الغرفة لأدري  
ما أنا فاعل بعد . وقتت أنظر إلى الرجل الجالس على  
الأرض وقد خيل إلى أنني رأيته من قبل .  
وقال الرجل هامساً : الألم فوق ما أحتمل ...  
وليس بي من القوة ما يمكنني من إطلاق الرصاص  
على نفسي مرة أخرى . وهذا يحجز في الإرادة غير  
مفهوم ... »

فطرحت معطاني عن كتفي وانحنيت على الرجل  
الجريح أعني بأمره ... خملتة كالطفل بين ساعدي  
وأرقدته على الصفة المغطاة بالجلد الأمريكي ، وخلصت  
عنه ملايسه في عناية ورفق ، وقد ارتجف برداً  
عند ما عريضته . ولكن الجرح الذي رأيته لم يكن  
ليتفق مع رصفته ولا مع الذي بدا على وجهه من  
معاني الألم . فقد كان جرحاً صغيراً ، وقد صرت  
الرصاصه بين الضلعين الخامس والسادس في الجانب  
الأيسر فلم ترد على أن قطعت الجلد واللحم ، وقد  
وجدت الرصاصه نفسها مستقرّة في طبقات بطانة  
سترة بالقرب من الجيب الخلفي . فوقفت الزئيف  
بحير ما استطلعت من الوسائل ، واصطنعت له زيادة  
وقية من قماش إحدى الوسائد ومنشفة ومنديلين

الشمع . وكانت أركان الغرفة الصغيرة المظلمة  
القابضة للنفس ، والأياقين القابعة وراء النمش ،  
والنمش نفسه ، وفي الجلة كل شيء في الغرفة ،  
غير بصيص الضوء الخفيف ، كان ساكناً سكوت  
الموت ، كأنها القبر

فقلت في نفسي وقد ألتجئ هذه الصورة غير  
المنتظرة من صور الموت :

« ما أعجب هذا ! ولماذا هذه العجلة ؟ إن  
زئيل هذه الدار لم يكذب ينتهي — على ما علمت — من  
شئ نفسه أو من إطلاق الرصاص عليها . . وهذا  
نعشه قد أعد بالفعل ! »

والثفت حولي فرأيت إلى الشمال باباً نصفه من  
الزجاج ، ورأيت إلى اليمين مشجياً مانكاً على عليه  
معطف رث من الفراء  
وسمعت أنين إنسان يقول :

« الماء ... »

وجاء الأثنين من جهة الشمال من وراء الباب  
الزجاجي ، ففتحت ذلك الباب ودخلت إلى الغرفة  
الصغيرة ذات النافذة الوحيدة التي تسرب من خلالها  
ضوء خفيف منبعث من مصباح الطريق  
فقلت متسائلاً :

« أيوجد أحد هنا ؟ »

ودون انتظار للجواب أشعلت عوداً من الثقاب  
وهاك ما رأيته على ضوءه : رأيت رجلاً جالساً عند  
قدمي فوق الأرض الملوحة بالدماء . ولو أن  
خطوطي كانت أوسع لو طأه قدمي ؛ وكانت ساقاه  
مدودتين إلى الأمام وكفاه تضغطان الأرض ، بإذلاً  
بهذه الحركة جهده لرفع وجهه الجليل وقد غطاء  
شحوب وسط لحيته حالكة السواد ؛ وقد قرأت

« ما أشدّ الرّيح ! وما أقسى صفيها ! »

فقلت :

« نعم إنها شديدة . . . والآن يخيّل إلى أني أعرفك » ألم يكن لك دور في المرسية الخاصة التي مثلت بدار الجنرال لوهاشيف في السنة الماضية ؟  
ففتح عينيّه وسأل متعجلاً :

« وماذا في هذا ؟ »

وكأنما قد غشت عينيّه سحابة قاتمة

فقلت :

— « إني على التحقيق قيد رأيك هناك .

أليس اسمك فاسيليف ؟ »

— « إذا صحّ ذلك فأذا وراءه ؟ إنه لن يحسن

من حالى أن تعرفني »

— « لا ولكنه مجرد سؤال »

وأطبق فاسيليف عينيّه ، وكأنما هو قد امتعض

فأدار وجهه إلى ظهر الصفة . وقال متمناً :

« لست أفهم معنى لهفتك . ولكلّ تسألني بعد

ذلك عن السبب الذي دفعني إلى الانتحار ! »

وقبل أن تعضي دقيقة واحدة أدار وجهه إلى

مرة أخرى وفتح عينيّه وقال في لهجة باكية :

« أرجو أن تغفر لي لهجتي . ولكنك ستعرفني

على أنني مصيب ! فليس من الكرم أن تسأل يحكموما

عليه كيف دخل السجن ، ولا أن تسأل متتجراً لماذا

أطلق الرصاص على نفسه . . . نعم ليس ذلك من

الكرم ولا من الرقة . . . أن يشفي الإنسان لهفته

البليدة على حساب أعصاب إنسان آخر ! »

فقلت للرجل متطعناً :

« ليس هناك ما ندعوك لأن تثير أعصابك ...

فلم يخطر لي قط أن أسألك عن تصرفاتك »

وقدّمت له قدحاً من الماء ثم غطيته بمعطف الفرو الملقى على الشجوب ، ولم ينبس أحداً بكلمة واحدة في أثناء هذه العملية . فقد مضيت في عملي بينما هو راقد لا يتحرك ينظر إليّ بعينين مسبتين كأنما هو يشعر بالجلج من فشله في الانتحار ومن التعب الذي سببه لي .

ولما انتهيت من تضميد جرحه قلت له :

« والآن أرجو أن تسكن في مكانك فلا تتحرك ،

حتى أذهب إلى الصيدلية فأحضر بعض الشيء »

فأمسكت بكفي وفتح عينيّه الواسعتين وقال :

« ليس ثمت ما يدعو إلى ذهابك »

وقرأت في عيني الرجل معاني الفزع ، ولقد

كان خائفاً من ذهابي ، ثم عاد يقول :

« نعم ليس هناك ما يدعو إلى ذهابك ، فابق

هنا خمس دقائق أخرى . . أو عشرأ . . إذا لم

يكن في ذلك ما يضايقك . أرجو يا سيدي أن تبقى

إلى جانبي »

وكان وهو يرجوني يرتجف وأسنانه تصطك .

فأحببته إلى ما أراد وجلس على حافة الصفة . ومرت

عشر دقائق في سكون تام ، فقد جلست صامتاً أنظر

حولى إلى الغرفة التي جاء بي القدر إليها على غير

انتظار . فياله من منظر يرم عن الفقر للدق ! فهذا

الرجل ذو الوجه النسائي الجميل واللحية الكثة المني

بها ، لم يكن حوله من المتاع ما يمكن أن يحسده عليه

أفقر العمال : صفة مظاة بالجلد الأمريكي الممزق ،

وكرسی رخيص قدر ، ومائدة مظاة بقطع من

الورق ، ولوحة قديمة معلقة على الجدار . . . هذا

هو كل ما رأيت . أماجو الغرفة فكان رطباً قابضاً

وقال الجرحى وعيناه مغمضتان :

الموت . أما الآن وقد أشعلت الشمعة وأنت جالس إلى جاني فاني لا أنكر حتى في ساعة الموت ، فلتفسر لي هذا التغير إذا استطعت ! هل تحسنت أحوالي ؟ أم هل بعث امرأتي من الموت فاتتفتضت ناهضة من نعشها الذي ترقد فيه على بضع خطوات من هذا المكان ؟ أم ترى هو تأثير الضوء في نفسي وحضور شخص غريب إلى جاني ؟ »  
فأجبت لجرد أن أقول شيئاً :

« لا شك في أن للضوء تأثيراً ؛ وتأثيره في التركيب المعنوي للانسان ... »  
فقاطعتي بقوله :

« إننا نعلم بتأثير الضوء ... ولكنك تعلم أن هناك أناساً ينتحرون على ضوء الشموع . ! وإنه ليكون من الشائن حقاً لأبطال رواياتك أن يستطيع شيء تافه كالشمعة تغيير مجرى مآسهم مثل هذا التغير المفاجئ ... وربما أمكن تفسير كل هذا السخف ، ولكن لسنا نحن الذين نستطيع تفسيره ؛ ومن العيب أن يسأل الانسان أسئلة ما ، أو أن يقدم معلومات ما فيما لا يفهمه ... »

قلت :

« عفواً ... ولكنني أستطيع ، مما يبدو على وجهك ، أن أحكم بأنك في هذه الساعة ... تستطيع ما تقول »

فاجعل فاسيليف وقال :

« نعم هذا جائر جداً ! فإني بطبيعتي « أبله مغرور » ! فيحسن أن تفسر لي ذلك إن كنت واثقاً بقوتك في قراءة الوجوه ! فمن نصف ساعة أطلقت

( ٢ )

« لقد أوشكت أن تسألني ... وهذا ما يعمله الناس دائماً ، ولو أنه ليس هناك من فائدة في السؤال . على انني لو أخبرتك لما صدقت أو لما فهمت ... ويجب أن أعترف انني أنا نفسي لا أفهم من الأمر شيئاً ... هناك عبارات تستعمل في إدارة البوليس وفي الصحف مثل قولهم : « الفشل في الحب » و « الفقر المدقع » ولكن الأسباب غير معروفة ... غير معروفة لي أنا وغير معروفة لك أو لإدارات الصحف حيث يتبحرون بأن يكتبوا « يوميات منتحر » والله وحده هو الذي يعرف حالة نفس الانسان الذي يقتل نفسه ، ولكن الناس لا يعرفون شيئاً من ذلك »

فقلت :

« كل هذا حسن ، ولكنك في حالك هذه يجب أن تازم السكون فلا تتكلم »  
ولكن لم يكن من اليسور أن أمنع جريحي من الكلام ، فقد أسند رأسه إلى كفه ، ومضى في الحديث بلهجة أستاذ عظيم فقال :

« لن يستطيع الانسان أبداً أن يفهم العوامل النفسية التي تحمل المنتحر على ارتكاب جريمته ! وكيف يستطيع الانسان أن يتكلم عن الأسباب ؟ فقد يدفعني اليوم سبب من الأسباب إلى اختطاف مسدس وإطلاقه على نفسي ، بينما هذا السبب نفسه لا يحتملني غداً على التضحية ببيضة فاسدة ، فالأمر كله متعلق في الغالب بالحالة الخاصة التي يكون عليها الانسان في اللحظة العينة ... ولأضرب المثل بنفسي ؛ فمن نصف ساعة مضت كنت أرغب رغبة ملحة في

« أليس ذلك مما يدعو إلى الانتحار ؟ يا لله  
مما يرى الانسان وما يسمع ! ولو كان من  
الميسور أن نطبق هذا المرح على قواعد الموسيقى  
لأمكن كما يقول هملت :  
« أن نلعن الجاهل وأن نغمر حواس البصر  
والسمع بأسباب المتع »

وما كان أجدرني عندئذ بأن أفهم هذا النوع  
من الموسيقى ! وكما كنت أستطيع أن أشعر بما  
فيه من جمال ! ولكن قل لي في أى ساعة نحن ؟  
قلت :

« نحن الآن في الساعة الثانية والدقيقة  
الخامسة والخمسين »  
قال :

« إذن لا يزال الصباح بعيداً . وفي الصباح  
تشيع الجنازة . وقد وضع لها برنامج لطيف ! وسيتبع  
الانسان النعش وسط الوخل والمطر . ولا يرى في  
طريقه غير النساء اللبدة بالنيوم وغير المناظر الكريمة  
وفتيان الدير والحانات النائية والوعول النافرة . . .  
وتفرق سراويل الانسان في الطين إلى الركب . . .  
والشوارع التي لا نهاية لها . . . وعمر الوقت في بطء  
كأنه الأبدية . . . والرجال الغلاظ القلوب . . .  
وفي وسط الأحجار نجد حجراً . . . »  
وصمت لحظة ثم قال فجأة :

« هل مضى عليك وقت طويل منذ رأيت  
الجنرال لوهانثشيف لآخر مرة ؟ »

« لم أره منذ الصيف »  
« إنه مغرم بالتفكير ، ولكنه عجز عن مثيل الجسم »

الخاص على نفسي . . . وفي هذه الساعة تراني  
أصطنع ما أقول . . . فسر لي هذا إن استطعت . . .  
نطق فاسيليف بهذه الكلمات الأخيرة في صوت  
خافت متداع ، فقد أنهكه التعب ، ثم رقد صامتاً .  
ومررت فترة سكوت . فتدققت النظر في وجهه ، وقد  
علته صفرة الموت ، وبدأ لي كأنما شعلة الحياة قد  
انطفأت في نفسه ، وأن مظاهر الألم الذي أحس به  
الرجل « الأبله الغرور » كانت هي وجدها التي  
أظهرته في صورة من لا يزال حياً . . . وكان من  
المؤلم أن ينظر الانسان إلى هذا الوجه . . . ولكن  
ما هو شأن فاسيليف نفسه الذي مازال يحتفظ من  
القوة ما يمكنه من الجدل ، ومن الاصطناع إن لم  
أكن مخطئاً ؟ »

ورفع الفتى نفسه فجأة على مرفقه وقال :

« أنت هنا . . . أما زلت إلى جانبي ؟ يا لله ! أصغ  
إلى هذا ! »

فأصغيت وكان المطر ينهمر على النافذة المظلمة  
ولا ينقطع لحظة واحدة ، وكانت الريح تهب عنيفة  
مولولة ، ولقد سمعت السيدة ميمونية تقرأ في الغرفة  
المجاورة هذه الكلمات في صوت خافت متعب :  
« وسأكون أشد بياضاً من الثلج وستسمع  
أذناي نغمات السرور والفرح »

ولم تكن نبرات السيدة ميمونية لترتفع أو  
تنخفض فهي تقرأ هذه الكلمات الجافة على وتيرة  
واحدة مملة

وأدار فاسيليف عينيه الجارحين نحوى وقال  
هامساً :

رأسك أنفي في العام الماضي لم أكن أعرف ما أفعل  
بنفسي من فرط السعادة . والآن هأنذا أمام  
عينيك ... »

وغاص رأس فاسيليف في الوسادة وصحك  
ثم مضى يقول :

« ليس من الممكن أن يتصور الانسان ما هو  
أشد من هذا التغير حماقة وسخفاً . فالفصل الأول  
يحتوي على : الربيع والحب وشهر العسل ، شهر  
العسل حقاً . والفصل الثاني : البحث عن عمل  
ومكتب الزهون والشحوب والصيدلية . . والفصول  
غداً في الأحوال في الطريق إلى المقبرة »

ثم صحك مرة أخرى . فشمرت بضيق شديد  
وصممت على الخروج من ذلك المكان . فقلت :

« أرجوك ثانية أن ترقد هادئاً وسأذهب إلى  
الصيدلية » .

فلم يجبني ، فارتديت معطفي وخرجت من  
الغرفة ، وعند اجتيازي للمر فظرت إلى النعش  
والسيدة ميمونية تقرأ عليه . وحدثت النظر عتياً  
فلم أتمكن من أن أعترف في وجه زينا الأصفر  
القائم ذلك الوجه الفتان المملوء حياة ، الذي رأيت في  
اجتماع دار الجنرال لوهاتشيف

فقلت في نفسي :

« طريق الانتقال . . »

وعلى هذا غادرت البيت غير ناس أن آخذ  
المسدس معي ، وذهبت إلى الصيدلية . ولكن  
كان يجب ألا أذهب ، فقد وجدت ، بعد عودتي  
فاسيليف راقداً فوق الضفة في حال إغماء ، وقد

ظريف . أو ما زلت تكتب القصص ؟ »

« نعم أكتب قليلاً »

فقال الرجل :

« آه ! أنذكر كيف كنت أمرح كالآخرق

الأنبله ، كالحمار الجامح في تلك القطع التمثيلية عند  
ما كنت أتودد إلى زينا ؟ لقد كان ذلك سخفاً مني  
ولكنه كان جيلاً ، وكان فكها . . . وإن مجرد  
ذكره لتبت أنفاساً من الربيع .. والآن ! ما أقسى  
تغير المنظر ! هاك موضوعاً تكتب فيه ! ولكن  
لأنحاول أن تكتب « يوميات منتر » فهذا فضلاً  
عن خشوته تقليد لشيء سابق . فلستخرج من  
هذا الموضوع شيئاً اجتماعياً فكها »

فقلت :

« أراك مرة أخرى . . . تصطنع ما تقول ،

فليس في موقفك هذا شيء فكها »

فاستوى فاسيليف جالساً وقد ترقرق الدمع  
في عينيه ، وبدأ على وجهه الباهت معنى الحزن العميق  
وارتجف فكها وهو يقول :

« ليس فيه شيء مضحك ؟ تقول ليس فيه

شيء مضحك ؟ »

ثم توقفت لحظة عن الكلام وعاد يقول :

« إنك تضحك من غش الكتبة النشاشين

والزواج الخائبات ، ولكنك لن تجد كاتباً غشاشاً

ولا زوجة خادعة قد غشا إنساناً بمثل ما غشني القدر !

لقد خدعت بما لم ينجح بمثله قط أحد المودعين

أموالهم المصارف أو أحد الأزواج الغفلين ! فلتأمل

إلى أي حد قد خدعني الحظ ! فلقد شهدت بعيني

وبرى السيدات كيف تنفي الفتيات الرقيات أغاني الحب ، والسيدات يضحكن بما يريهن ، وهو أيضاً يضحك ممتعاً نفسه بما يحيط به من مظاهر السرور وإنى لأدعوه للحضور إلى غرفة مكنتي ، فيبدو عليه أثر الامتناع لحرماته ذلك الاجتماع الهنيء ، ويقبل على فيقف أمامي وقفة الرجل الذي ليس لديه من الوقت ما يضعه في حضرتي . وإنى لأعطيه هذه القصة وأسأله أن يقرأها . وإذ كان دائماً يتفضل بالخصوع لسلطاني فانه يتهد تهاد القارئ الكسول ويجلس على كرسي كبير ثم يبدأ القراءة . فلا يلبث أن يقول وهو يتنسم :

« نيا لذلك كله .. بالها من أهوال ! »

ولكنه كلما أمعن في القراءة ازداد وجهه تجمهاً ، وأخيراً تحت تأثير الله كريات الموجة يصفر لونه اصفراراً مروعاً ، وبهم واقفاً ويستمر في القراءة وهو واقف ، حتى إذا انتهى من القراءة خطر في الترفة من ركن إلى ركن .

وإنى لأسأله :

« كيف تنتهي هذه القصة ؟ »

فيقول متسائلاً بدوره :

« كيف تنتهي ؟ ... »

ثم ينظر إلى الترفة ، وإلى ، وإلى نفسه ... فيرى رداءه الجديد المصنوع على أحدث طراز ، ويسمع ضحكات السيدات في الترفة المجاورة .. يرتجى على أحد الكراسي ويبدأ يضحك كضحك في تلك الليلة ثم يقول : « ألم أكن على حق غنبد ما قلت لك إن الأمر كله عبث ؟ يا الله ! لقد كان علي أن أحل أفعالاً تقصم ظهر القليل ، والشيطان يعلم مبلغ ما قاسيت من ألم .. وليس في الوجود من إنسان كان يستطيع أن يحتمل

انزعجت الضجادات بعنف عن الجرح فانتفح وسال منه الدم من جديد ، وقد أشرق الصباح قبل أن أتتمكن من إفاقة الجريح ورد الصواب إليه ، وكان يهذي في أحلامه ، مرتجفاً ينظر في أرجاء الغرفة بعينين لا تبصران ، حتى أقبل النهار وسمعا صوت القسيس يتلو الصلاة مسرعاً على رأس الميتة

ولما ملئت غرفة فاسيليف بالمعجائر وفتيات الدير ونقل النعش من مكانه وحمل إلى الفناء الخارجي نصحت للفتى بأن يلزم البيت ، ولكنه لم يستمع إلى نصحي على الرغم من ظلمة الجو وانهمار المطر وما يمانى هو من ألم . وسار وراء النعش عارى الرأس صامتا طوال الطريق إلى المقبرة ، ولم يكن ليستطيع نقل قدم عن قدم إلا بجهد شديد ، وكان ما بين فترة وأخرى يضطج جنبه الجريح بكف عصبية متقلصة ؛ وكان للمعنى المادى على وجهه يدل على فقدان الشعور . ولم يتحدث ، غير مرة واحدة عندما يقظته من سباته بسؤال تافه ، أن حول نظره عن الأرض والسور الداكن ، فرأيت في عينيه لحظة برق الغضب الحزين وقرأ على لوحة الارشاد كلمات :

« مل إلى النمين » مكتوبة خطأ من ناحية الهجاء

فقال :

« يا لهم من جهلة أميين ، فليأخذهم الشيطان ! »

ولقد سمعته من المقبرة إلى البيت

\*\*\*

مضى عام واحد على هذه الليلة ، ولم يكد فاسيليف يبلى العليلين اللتين غاص بهما في الوحل وراء نعش امرأته

وفي هذه اللحظة التي أختتم فيها هذه القصة يجلس فاسيليف في غرفة استقبالي يعزف على البيانو

عند ما كان ينظر إلى النافذة المظلمة . وإلى لأراه وهو يلبس دوره العادي في تشيل المحدث الذي اللبى ، مستعداً لأن يعرض أمامي نظرياته البليدة كخطرية « تحويل المادة » وأذكر في الوقت نفسه جلسته في وسط بقع الدماء رافعاً إلى عيفيه الذابلتين المتوسلتين .  
واني لأسأل نفسي في صوت عال :

« كيف تنتهي هذه القصة ؟ »

فيصفر فاسيليف ويسوى رباط رقبته ويسير متجهاً إلى غرفة الاستقبال فأنظر إليه محمقاً . ولسبب ما آسف على ما شهدت من آلامه الماضية ، آسف على كل ما شعرت به أنا نفسي نحو ذلك الرجل في تلك الليلة الفظيعة الهائلة وأنه ليخيل إلى كأني قد فقدت شيئاً ...  
عبد الحميد محمدى

من الآلام فوق ما احتملت فيما أظن ، فأين هي آثار ذلك كله ؟ إن الأمر يدعو إلى الدهشة . لقد كدت أظن أن الأثر الذى تركه الآلام القاسية في نفس الإنسان لا يمكن أن يمضى وتطمس معالته وأنه لابد باق أبداً . ومع ذلك أرى هذا الأثر يلى بأسهل مما يلى النملان الرخيصتان ، ولم يبق منه شيء ولو تافهاً ضئيلاً ، حتى ليخيل إلى أننى لم أتألم قط في ذلك الحين ، بل لكأننى كنت أرقص رقصة المازوركا . إن كل ما في الوجود زائل ، وهذا الزوال نفسه عبث باطل ، وإنه ليدان واسع للرواى الاجتهامى ! فلتضع لقصتك ، يا صديقى ، خاتمة فكهة !

وهنا وصل إلى سعى صوت السيدات الفلقات يتنادى على بطل قصتى :

« يتور نيكولا يفتش ، ألا تأتى في الحال ؟ »

فيجيب الرجل « للفرور الأبله » وهو يسوى رباط رقبته :

« في هذه الدقيقة »

ثم يتم حديثه مئ فيقول :

« إن كل شيء عبث يدعو إلى الأسف يا صديقى . نعم عبث يدعو إلى الأسف ، ولكن ماذا يستطيع الإنسان أن يفعل ؟ إن كل شيء زائل ، وإنى لأشكر — على كل حال — لأننا الطبيعة عملها في تحويل المادة . ولو أننا احتفظنا بذكرى موجهة لما يتناها من آلام الإنسان ومن جميع الأحوال التى لابد أن يقاسمها كل واحد منا ، ولو أن كل هذه الأمور كانت باقية أبدية لقضيتنا نحن الفانين الساكنين أسوأ الأوقات في هذه الحياة الزائلة »

وإنى لأنظر إلى وجهه الباسم فاذا كرم ما كانت تغيب به عيناه منذ عام من معانى اليأس والفرع

## تاريخ الأدب العربى

لأستاذ أحمد حسن الزيات

الطبعة السادسة

في حوالى ٥٠٠ صفحة من القطع المتوسط

يعرض تاريخ الأدب العربى منذ نشأته إلى اليوم

في صورة قوية تحليلية رائعة

منه عشرون قرشاً ويطلب من إدارة الرسالة

ومن لجنة التأليف ومن سائر المكاتب



# المرض المتبادل

أقصوصة مصرية  
بقلم الأديب نجيب محفوظ

وصاحت به: «مرض  
سرتي ... ؟»  
«نعم ياسيدي ..  
إني أعني ما أقول،  
ولكن هدي روعك  
والمكي زمام نفسك  
حتى لا يجر هذه  
الكارثة وراءها

كوارث أخرى أشد إيلاماً .. أقلت إنك متزوجة .. ؟»  
فأحنت رأسها أن نعم وهي لا تدري؛ فاستطرد.  
الطبيب قائلاً :-

«وأسفاه ، إن الشهوات تعمى الرجال حتى  
التزوجين منهم! ومهما يكن من شيء فالواجب يحتم  
عليك أن تجاهي زوجك بالحققة ، وقد كانت  
الواجب عليه أن يصونك من عواقب مغامرته . أما  
وقد وقع المخطور فلا يحيد من تنبيهه واصطحابه  
إلى .. وإلا ذهبت محاولة علاجاك سدى ...»

ولكن خرجت من المرأة صرخة مبجوحة وقالت  
بسرعة وهي تلهث :-

« كلا ... كلا ... لا يمكن أن يكون ذلك ...  
بادر إلى علاجي ودع أمر زوجي ...  
« ولكن ... »

« بالله لا تجادلي ... لا ينبغي أن يعلم زوجي من  
الأمر شيئاً .. أد وأجيبك وسينتهي الأمر إلى خير  
حال إن شاء الله ... »

فاستولت الدهشة على الطبيب وأنعم النظر في  
الوجه القلق الذي طغت الآلام نفسه على آلام  
جوارحه ، فطالع فيه الملح والرعب والام ... بالهول!  
أمكن أن يكون ما لم يقع له في حسابان أبداً ...

فرغ الطبيب من الكشف على الزائر الخامس  
في صباح ذلك اليوم ، ولبث ينتظر الرضى السادس ،  
فدخلت سيدة مقنعة رشيقة القائمة وسفرت عن  
وجه غاب جماله البهي خلف تجمعات الألم كوردة  
بيضاء سفا عليها عجاج الحسین ، وقد بادرت هاتفة :  
« الفوت أيها الطبيب ! »  
فدنا منها وعلى وجهه ابتسامة تبث الطمأنينة  
وسألها :-

« ما بك ياسيدي ؟ ... »  
فارتحت على مقعد بين يديه وراحت تروي له  
قصة ذلك المرض الويل الذي فجأها لدى الصباح  
فاضطرها إلى أن تقصد إليه دون أن تترث  
لحين أوبة زوجها من الوزارة . واستمع الطبيب إليها  
في دهشة وحيرة وهو يحاول عبثاً أن يوفق بين  
ما يروى له ، وبين هيئة السيدة المتزوجة التي تنطق  
بالحكمة والصون

ثم أدى واجبه الدقيق بعناية فثبت لديه  
ما كان منه في ريب واكتمهر وجهه وهو يقول :-  
« سيدتي ... إنه لأمر مؤثر ... لقد أصبت  
بمرض خبيث ... بمرض سرتي ... »

فانتفضت المرأة قائمة وجهت عينها من الملح  
والدعر ، وقد ضاع ألها البرح في تيار الخوف الجديد

ثم إن زوجي رجل مستقيم يصعب على صكة الحقيقة  
المروعة ... فدع الأمور تجري على مشيئة الله ...  
فلعل الله حفظه من الأذى؟ وعسى أن يجعل من بكاء  
عسر يسرا»

وساد سكون عميق مؤلم ... وكأن المرأة  
تذكرت شيئاً فجاء فنظرت إلى الطبيب جزمة وسألته:  
«سيدى ... هل يبقى هذا سرّاً مكتوماً؟»  
«طبيعاً ... طبعاً ... اطمئني إلى كل الاطمئنان،  
فصدر الطبيب مقبرة للأسرار لا تنبش أبداً»

فتنهدت من قلب مقروح وقالت: —  
«إذا فلنبداً من الساعة ... وسأوالى الحضور  
إلى هنا كل صباح إلا يوم الجمعة ... ولا تنظر ما قدر لي»  
ولما انتهى من عمله وهمت بالخروج استمهلها  
لحظة وجلس إلى مكتبته وسألهما: —

«ما اسم السيدة ...؟»  
فبدا على وجهها الرعب وسألت: —  
«ولم هذا ...؟» فقال يطمئنها: —  
«لا تخافى ولا تحزنى ... إنها تقاليد متبعة ...  
أنظري إلى هذا الدفتر تجديه مزدجماً بأسماء الرضى  
وعناوينهم ... لا تخشى شيئاً واذ كرى أئى طبيب  
لا أكثر ولا أقل ...»

فقالته وهى تنهد: —  
«حرم محمد عباس أفندى مهندس بوزارة  
الأشغال»

\*\*\*

وفى صباح اليوم الثانى جاءت السيدة وقد قالت  
للطبيب إن ما يبدو على وجه زوجها من الهدوء  
والصحة ينمى الأمل المحتضر فى صدرها  
فلما أن كان الساء دخل على الطبيب زائر جديد

أمكن أن تكون هى الجانية على نفسها، وربما على  
زوجها أيضاً ...؟

وما من شك فى أن الزوج مهدد بخطر عظيم،  
إن لم يكن أدركه بالفعل فهو على وشك أن يدركه،  
وزعماً وقع فى متناول الأذى أطفال أرباء يحبون ...  
فما العمل؟ وكيف يتأتى له أن ينقذ هذه النفوس  
مما يوشك أن يحيق بها من غير أن يهتك ستر  
هذه المرأة الآثمة الهلعة المثالة ...؟

وأحاط به هم التبليل والحيرة حتى ضاق صدره  
لحدث نفسه: لماذا أزعج بنفسى فى شئون الناس  
وآلامهم ...؟ إني طبيب وما ينبغي لى أن أجاوز حدود  
مهنتى ... وبين يدي امرأة ملوثة فلاأشعر فى معالجتها  
والأمر من بعد ذلك لله ...

واطمأنت نفسه إلى هذا الرأى وهم بمباشرة عمله،  
ولكن سرعان ما عاودته أفكاره وقصرته نفسه على  
مراجعة التفكير فى أمر هذه الأسرة المهددة فرأى  
أن يتخذ طريقاً وسطاً فقال: —

«سيدتى ... ينبغي أن تعلمى أن زوجك فى  
خطر عظيم ... وأن إخفاءك الأمر حيناً لن يمنع  
الحقيقة من الظهور»

فاختلجت عيناهما كالأثيق المترجرج وقالت: —  
«كم يقتضى العلاج من الزمن ...؟»  
«أسبوعين على أقل تقدير ومع أكبر عناية»  
«أواه ... إنه الدمار»

«فاصابة زوجك محتومة ...»  
«من الميسور أن أدعى توقعك الزواج هذه الفترة  
وأن أباعد ما بينى وبينه حتى أبرأ»  
«فإن كان السيف قد سبق العذل ...؟»  
«أواه يا سيدى ... لا يمكن أن أتحرر مختارة

على حياتهما الزوجية...؟ وأين ياترى المرأة الآن...؟  
وكيف قرعتها الفضيحة وكيف تتجرع عواقبها...؟  
ليته يعرف كل شيء...

أما الآن فما عليه إلا أن يؤدي واجبه . وخطا  
بالفعل نحو الحجرة الداخلية ولكنه سمع المهندس  
يقول له بلهجة حزينة :  
« إني أخشى يادكتور أن تعقب هذا المرض  
مأساة أثيمة »

فسأله وهو ما زال شارد اللب :  
« وله ؟ »

« لأننى زوج ... ورب أسرة »  
فقطب الطبيب جيبه وبدت عليه آيات الدهشة  
وفهم الرجل دهشته على غير حقيقتها فقال :  
« هكذا ترى أنه ليس المزاج فقط هم الذين  
يأثمون ... »

« أتعنى أن زوجك مهددة ... ؟ »  
« طيبى يادكتور ... إن موقفي غاية فى  
الحرج ... والذى يضاعف لى الآلام أنها سيدة طيبة  
لا تستحق أن تجزى هذا الجزاء السيء ... فما  
العمل ... ؟ »

ياغبيا ! . لقد وضع ورج الخفاء كلا الزوجين  
آثم ، وكل منهما ينتجى باللائمة على نفسه . وكاد  
يستسلم لتيار أفساره لولا أن سمع الرجل يلح عليه  
فى السؤال ويكرر قائلا :  
« ما العمل ياسيدى الطبيب ... »

فقال له :  
« بالحكمة تستطيع أن تصرف الأمور المعقدة  
إلى خير العواقب ، نحاول أن تصحبها إلى من غير  
أن تثير شكوكها »

فى اللإثنين ، ملتحق القسما ، طويل القامة ، تسم  
وجهه آيات الدكاء والجسارة فحيا الطبيب قائلا :

« مساء الخير »

« مساء الخير »

فضحك ضحكة جهد نفسه أن تكون مرحلة  
طبيعية ولكنها لم تستطع أن تخفى القلق المساور  
لنفسه وقال :  
« أصبت يادكتور »

« بعه ... ؟ »

« بالذى يصاب به من يقصدونك »

« وأسفاه ! »

« أنأسف حقًا يادكتور ... أيرضيك أن  
يزدجر الناس عن الهوى وأن تخسر جمهور المتردين  
عليك ... ؟ »

« لا أظنك قد جئت إلى هنا لتتلفس ...  
اتبعني إلى هذه الحجرة ... ولكن انتظر لحظة ،  
أرجو أن تملى على الاسم الكريم »

محمد عباس ... أنا جارك يادكتور ... وإن  
شئت أن تعرف صناعى فأنا مهندس بوزارة الأشغال  
باللغاظة ! كادت تقل من بين شفتيه آهة

دهشة وانزعاج ، وهم أن يرفع رأسه عن الدفتر  
بحالة عصبية ثم عما يضطرب فى صدره ، ولكنه  
ذكر مخرج الموقف واشتاله على ما يهدد بالويل ، فصر  
بأسنانه وأحنى رأسه حتى كاد يمس الصفحة  
المبسوطة أمامه ليخفى معالم وجهه عن القاعد تجاهه  
إذن هذا هو الزوج المنكوب ، وقد أصيب بما  
كانت تشفق زوجه عليه وعليها منه ... ترى كيف  
كان وقع البلاء على نفسيهما ... ؟ كيف اكتشف  
المرض وكيف تحس مصدره ... ؟ وماذا جر ذلك

« يا يؤس هذه الدنيا ... »

فهر الطيب كتنفيه استهانة وقال : —

« كثيراً ما أسمع هجاء مريضاً يصب على رأس الدنيا ولكني أعتقد أن الانسان هو الخالق الأول لهذه الآلام التي يتخلص من تمتها ويلقيها على عاتق الدنيا ... »

« كما تشاء ... أعلم ياسيدي الطيب أني في الفترة القصيرة التي تفتيتها عنك أحدثت في حياتي حدثاً هائلاً ، فقد فصل الطلاق بيني وبين زوجي وحرمني نور أطفالي حيناً سأخاله دهرأً مديداً ... »

بالقول ... ترى ما الذي حدث ... ؟ وكيف حدث ... ؟ فان قلبه يهمس له بفجواه ولكنه لا يندري تفاصيله ولا يستطيع أن يرحم بما قلب منطلق الحوادث وجعل عالمها ساقطاً ...

واستولت عليه الدهشة وباتت عيناه تلحان بالسؤال بأفصح مما يبين اللسان .. فقال المهندس : —

« إليك قصتي بكل إيجاز : غادرتك ليلة

الأمس وقد صدقت نيتي على دعوة زوجي إلى زيارتك كي يطمن قلبي ، ولكي كنت مضطرباً

لا أدري كيف أبدأ باقتراح الأمر عليها ولا علم لي ، إن أنا اقترحت بما أبره به ، فأتخذت مكاناً على

مقربة منها بادي الهم والفكر ، وللحال لاحظت طواريء الهم والاضطراب ترحف عليها زحفاً ،

فظننته صدى لاضطرابي وهي واستجابة لها ، وتلبثت أنتظر أن تبدأ بسؤالي عما يساورني فلم

تفعل ، فصقت بالأمر ضيقاً استغفني إلى طرح هذا السؤال ( ألا تشكين من شيء ... ألا تحسين

(٣)

فبدت على وجه الرجل الحيرة وقال وهو ذاهل عن نفسه : —  
« أحاول »

وحدث الطيب نفسه بعد أن غاب المهندس عن ناظره : ان الله يريد الخير بهذه المرأة ... وكان الأمور تسير وفق مشيئتها ، فسيأتى بها إلى وأكشف عليها وأعلنه باصابتها فيوقن في نفسه أنها ضحيته دون سواء ، ويبرأ أن علي يدى ويعود الرجل بزوجته رافقاً يديه حمداً لله وطلباً لنفراة وهو يجهل أن بزوجته فرطت في حقه أضعاف ما فرط في حقها ... فيا لرحمة الله ...

ولكن أليس من الظلم أن يغشى الله بستره خبيثة هذه المرأة الآثمة ... ؟  
فيالحكمة الله ...

\*\*\*

وحان موعد مجيء المرأة ولم يحضر فترجع لى الطيب يبعثها مع زوجها عند المساء ، ولكن المهندس أتى وحده وكان يادي التغير منكفي الوجه ، مصغراً اللون ، منطفئ البصر كأنه تقدم في الكبر أعواماً فتوقع الطيب مفاجأة وبلاء وسأله : —

« ما بك ... ؟ »

فهر رأسه يحزن وقال : —

« ماذا تحدثس ... ؟ »

« لملك راودتها على الجوى فأبت وعصت ... »

« كان يهون ... »

« آه إذا قد انفضح أمرك ولم تقن تمثيل

دورك ... ولت جزاءك على يديها ... »

فنها الرجل لحظة ثم قال بصوت تقطعه حشرة اليأس : —

خيئتي ... أنا الجانية على نفسي وعليك ... أنا  
أعرف أنك تعلم ذلك ولكنني أستحلفك بالله ألا  
تمسني ... طلقني ولكن لا تمسني ... ) ثم ارتعت  
بين قديمي منمى عليها

مامنى هذا ... لقد تسابقت الظنون إلى قلبي ،  
وانصبت الشكوك في عقلي ، واكتظ بها رأسي  
فانصهر من الحرارة والالتهاب ، وخت أن شعر رأسي  
يقف ويتصلب كشمع القنفذ .

إن المرأة لتهبط الرجل وتنقل كاهله وهي تؤمن  
بأنها لم تتجاوز بعض حقوقها ، أما إذا اعترفت بأنها  
جانية وسألت الرحمة ووقعت مشيئاً عليها فإن يكون  
ذلك إلا لأمر واحد .

يا عجيباً ... فقد ذهبت جانباً آتماً فإذا بي مجئ  
عليه . رحمت أ كفر عن ذنبي فإذا بي ضحية نعمة !  
ما ذا يمكن أن يفعل رجل في مكانى ؟

نعم لقد قارفت من الذنب ما قارفت ، وسقطت  
في الهاوية التي ابتلعها ، فهل من المستطاع أن أسدل  
ستاراً كثيفاً على تاريخ الانتم كه ؟ وأن أحمّل عقاب  
الله الصارم في صبر ، وأروض نفسي على الغفو  
والصفاء ... ؟

إنه حل روائي قد يستحسنه غيري وبمغلف  
عليه نقر غير قليل من الناس . أما أنا فقد انسقت مع  
طبيعتي وأصخت إلى صوت الغضب في قلبي ، فهويت  
بالطلاق على رابطة الزوجية : تغرب بيتي وانترعت  
الحضانة مني أطفالاً أعزّة كانوا نور حياتي المشرق ؛  
فسبحان الله أعدل الحاكمين ... »

يجب محفوظ

بلأم ما ... ؟ ) غلقت في وجهي بعينين هالعتين  
وقالت باضطراب : ( كلا ... كلا ... والحمد لله )  
فما كنت نفسي وقت كاذباً ( لاحظ عليك  
هذه الأيام بعض الاصرار والتغير وقد رأيت  
أن أقترح عليك زيارة طبيب ... فما رأيك ... ؟ )  
فردت بمجدة وبلهجة من يتحسس لدفع خطر مروع :  
( كلا ... كلا ... أنت واعم ولا لزوم لذلك ألبتة ..  
إنني أذكره الأطباء ويهيج وسواسي الاستماع  
لنصائحهم )

فطال طلابي وطال رفضها ، فالحجت عليها فأصرت ،  
فرجوت وتوسلت ففندت وازدادت تشبثاً ؛ وعبثاً  
حاولت أن أنبها عن رأيها حتى دهشت لاصرارها  
وضقت صدىً بها وبنفسي فاهتاجني المرض  
والغضب وصحت بها بجنون جعلني استهتر بكل  
شيء : ( يجب أن تعني إلى ... تعالى مي إلى الطبيب  
لأنني مصاب وأريد أن أعرف ... ) ولم أتم كلامي  
لأنها انتفضت قائمة متصلة كالأفعى المتوثبة للاقتراس  
وجحظت عيناها ولم تتمالك نفسها فسرت في جسدها  
رعشة شديدة فأدهشني ذلك وسألت نفسي :  
مالها ... ؟ ؛ وسمعت أن أعود الكلام في ملاطفة  
مصطنعة ولكنها قطعت على الطريق بهزة رأس  
عصية ما زالت تكرر ما بعنف جنوني حتى  
تلبست صورتها هيئة غريبة تنذر بالويل ؛ فأزدادت  
في الحيرة وسألتها : ( ما الذي يربك ؟ لم تحشين  
الطبيب ؟ ) فصاحت بصوت ملتبس لا تكاد تميز نبراته :  
( الرحمة ... الرحمة ... ) ولكن عاودني الغضب بحالة  
لم تأذن للرحمة أن تأوي إلى مستقرها في قلبي ،  
نفظوت نحوها أهدر غاضباً ساخطاً فصرخت :  
( محمد ... الرحمة ... الرحمة ... لقد كشف الله

## جَبَّانٌ

للقصصى الفرنسى دى موباسان  
بقلم السيد محمد العزاوى

وفى إحدى الأماسى  
اصطحب صديقتين إلى  
مسرحة واصطحب  
معهما زوجيهما. وبعد  
أن انتهى التمثيل  
دعاهم إلى مشرب  
«تورتونى» ليتناولوا  
بعض مرطبات.

ولم يلبثوا فى المشرب  
إلا قليلاً حتى أخذ أحد الجلساء يحدق فى  
وجه إحدى ضيفتيه بوقاحةٍ وشره. وبدأ على وجه  
النادة قلق واضطراب فغضت من بصرها، ونادت  
زوجها :

— إن هذا الرجل ليحدق فى وجهى . وإنى  
أجهله ، فهل تعرفه ؟  
فصعد الزوج الناقل فيه نظرةً وأجابه . ثم قال :  
« كلا . فأنا لم أره يوماً . »

فقال الزوج باسمةٍ بخيرة :

— ليس هذا بجميل ، فهو يكاد يلهمنى ويفسند  
على ما أكل

فهز الزوج كتفيه ثم قال :

— إن كان علينا أن نهم بمن تلقى من الأراذل  
فسوف لانسر ولا نهذاً ، لا تراعى ولا تلقى له بالاً ...  
ولكن سنبول لم يستطع على هذا صبراً ، فما  
يهون عليه أن يضايقه دخيل غريب وما اعتاد  
أن ترى إهانة فى وجهه عمداً وإصراراً ، إن الغريب  
يضايقه هو لا هي لأنه الضيف ، إذن فالإهانة تلحقه  
دون سواء . فوثب إلى الرجل قائلاً :

— أيها السيد ! إنك تحدق فيهما بعين لا تدرك

كان المجتمع يكنّيه « بسنبول الجليل » . أما  
اسمه فكان الفيكونت جوتتران جوزيف دى سنبول  
وقد يسر له غناه ويتمه أن يعيش عيشةً ساحكةً  
راضية ... كان له أسلوب وشخصية . ذله فى اللسان  
طلاقة توهم الناس بأنه على حظ من التوفيق عظيم .  
كانت له عزة وأنفة ، ووداعة يوحى بها طرفه العف ؛  
وجرأة يتم بها شاربه الصغير . وداعته تكلف بها  
النساء ، وتمشق حسنة الفيد الحسان .

كانت « الأبهاء » تجذب فى طلبه ، والراقصات  
الغيد يقفون أثره ، وتنشدنه أنى يجلس أو يرقص .  
فكان بذلك شير على شفاء الرجال بسمة طالما ترغف  
عليها حين يمر بهم فتى جميل وسيم ، وبأفئدتهم  
تهماً بملائق عدة ، لا تليق إلا بأعزب مثله على  
مثل حظه من غنى وجمال . كان يحيا باسمًا حرّاً  
يضحي بنعيم وغبطة ، ويمسى فى بلهنية وخلق بال ؛  
وكان فوق ذلك مبارزاً جباراً طوق الآفاق سمه ؛  
يحارب بكل سلاح ، وبخاصة السدس ، فهو به  
أشد على الغريم وأعتى . وكثيراً ما قال « إن كان  
لا بد من الزوال فإنى أخو الرصاص ، لأنى به على  
خصمى قوى ممكن »

لظنوق معني ، وإني لا أطيق عليك صبراً ، فلفظ  
من شراحتك ، وأغضض من بصرك !

فما لبث الأجنبي أن قال :

— ألا فاذهب إلى الشيطان !

فزعجر الفيكونت :

— حذار أيها السيد ! وإلا فأنت دافعي إلى أن  
أتعدى حدود الأدب

ولم يجب السيد إلا بكلمة هازلة ماجنة ، ردد  
المشرب صداها ، وجعلت كل فرد يشب وثوباً ،  
فاستدار من ولاهما ظهره ، وشرأت رؤوس النازلين  
واستوقفت ثلاثة خدم ، ثم جعلت سيدتين تبتان عن  
متكأيهما كأنما لوليان واثبان

وأعقب ذاك سكون عميق ، شقه صوت حاد ،  
إذ صفع الفيكونت الرجل يلفه دعوة المبارزة ...  
وتدخل الناس في الأمر ، وتبادل الطرفان بطاقتين  
وما عاد الفيكونت إلى بيته حتى جد في ذرع  
الأرض جيفة وذهايا . لم يكن يفكر في أمر على حدة  
لأنه كان مضطرباً ... ولكن ثمة فكرة كانت تحوم  
على ذهنه وهي « المبارزة ! المبارزة » ولم تثر الفكرة  
شيئاً في نفسه ، فقد ألفها وأحبها . حقاً إنه عمل  
ما حق أن يعمل ؟ وقد ظهر بما يجب أن يظهر به  
فيكونت عظيم . سوف يتحدث الناس عنه ،  
ويؤيدون سلوكه وفعله ، ثم يلقونه فرحين مهينين ...  
وصاح محذراً نفسه ككل من ضاق صدره ، وشغل  
ذهنه بأمره :

— أي وحش كان الرجل !

ثم جلس وطفق يقدر ويفكر ... إذن لا بد له  
من اختيار وكيلين مع الصباح ، فمن يختار ؟ ومن  
ينبغي ؟ لقد فكر في أصدقائه الذين ينعمون بين الناس  
بسِمع كريم . فاصطفي من بينهم « بوردين » القائد  
والركيز دي لاتوار نوار . لقد اتفق قائداً وشريفاً .  
إن هذا العظيم ! ولسوف تقع أسماءهما في الصحف موقعاً  
ما أبجله وأحسنه ... وأحس بأنه طائر ، فشرب  
من الماء شرب الهيم ؛ ثم تابع الدرع والتفكير ...  
وأنس من نفسه بطشاً وقوة . فلأنه تماظم واشتط  
كأن يبيدي رغبته في إبلاغ الأمر نهايته ، وطلب  
شروطاً صارمة قاسية ؛ أو يصير على زوال عنيف ،  
إذن لتخاذل غريمه ولرد البطاقة ثم اعتذر

واختطف البطاقة — بعد أن جذاها من جيبه  
ورماها على النضد — فقرأها مثلما قرأها في المشرب  
أول مرة ، وكما قرأها في العربة حين العودة مرة  
أخرى ؛ ومثلما قرأها على ضوء كل مصباح منير :  
« جورج لاميل ، ٥١ شارع مونسي »

وعاد يمتحن الحروف ؛ لقد تراءت له غريبة  
غامضة في ثناياها معنى مبهم أجوف ! جورج لاميل !  
من هو ؟ وماهي حرفته ؟ وما كان يعني من التحديق  
في البادة ؟ وأعاد سنيول تعجبه « أي وحش ! »  
إنه الآن يقف جامداً كالصنم لا تسمع له نامة ،  
ولا يحتلج له عضل ، وعيناه مثبتتان على البطاقة ...  
إنه يفكر ... ويمكن من قياده غضب جموح ، وفاق  
عظيم .. أي جنون قد أتاه وأى فعل قدمه ؟ ويمكن  
منه كره للبطاقة وصاحبها ، فأمسك بمذبة ماضية وقد

لم يقفز قلبه هالماً من أى صوت ينبعث ؟ حتى من صوت الساعة إذا حان دقها ... كانت حالة سيئة بائسة ... وبدأ يحاور نفسه في ذلك الأمر : أتحب أن بي خوفاً وفرعاً ؟ كلا ! إنه ليس بخائف ولا يخلع القلب . فما عهده بقلبه إلا شجاعاً لا يخاف ولا يوجل ولكن ماله يحس بقلق مغير ؟ أيمكن أن يخاف المرء رغماً عنه وقهراً ؟

ويمكن هذا الشك من نفسه ، وانصب هذا الريب في قلبه . ماذا يحدث لو غلبته على أمره قوة قاهرة أشد منه صلاية ومراساً ؟ نعم ماذا يحدث ؟ لا مناص له من النزال ولا محيص ، ذلك بأنه هو الذى رغب النزال وأكده . لنفرض أن يده ترددت فاهتزت . أو لنفرض أنه راح في نوبة إغماء . أى يؤس إذن وأى شقاء ! أى ذكر يطيح وأى مجد يزول !

ولجت به إحدى الفكر أن يرى وجهه في المرأة فلماها ، ووقف لدى المرأة ثم أضاء الصباح ، فلننكر خياله ؛ إذ يرى شخصاً غريباً لا عهد له به ، أشعث الشعر مرتعد الشفاه . أصفر الوجه كثير الغضون وطرقته وهو أمام المرأة — فجاءه — فكرة عصفت به عصف الريح العاتية :

— ربما كنت قتيلاً في مثل هذا الوقت من بعد غد ! واختلج قلبه لذلك حيناً وجفل ... — ماذا ؟ ربما كنت في مثل الساعة من بعد غد قتيلاً ! ! ذلك الخيال ! خيالي الذى أرى ... مثلاً بين يدي ... بعد حين لا يكون ! ! أأقف هنا —

بها البطاقة في صميم الذى تحمل ، كأنما هو يطمئن غربياً إذن فلا بد لي أخيراً من نزال ؟ ! أأختار الرصاص أم السيف ؟

إذن فقد اعتبر نفسه الطرف المهان . إنه يخاطر إذا ما اختار السيف . ولكنه موثق بانسحاب غربته إن كان الرصاص . إن مبارزة بالسيف قلما كانت شافية حاسمة . إذ في مقدور المتنازلين أن يتحاشيا الطعنات القاتلة بشيء من حذر وسرعة ، ولكن الرصاص كان على الفريقين بلاء . فهو رهان بالحياة والأمان جميعاً . فغالب أو مغلوب ، وإن كنت الثانى فبئست الوكسة وسوء المآب ، أو الأول فم نصر وغفار

— لا تكن حازماً جباراً ، كي يخاف ويخشى . ولكنه ارتجف إذ سمع صوتاً من حوله . فالتفت عن يمين ويسار . لقد استشرخ خوفاً وهلمأً . فاجترع كوباً من ماء ؛ وطفق يخلع رداءه متأهباً للنوم . ووثب إلى السرير ، فأطفأ المصباح ، فأغمض أعفانه ، وراح في فكر عميق — إن لدى طول الدد أرتب فيه شأني فلا تم الآن حتى أصبح قوياً نشيطاً

وأنس البقاء بين طوايا الفراش الوثير . ولكنه ما استطاع أن يهجع قليلاً أو كثيراً ، إذ كان يئنق ويتقلب ، فينام على ظهره فترة ، ويتقلب إلى عطفه الأيمن ؛ فلا يلبث إلا رد الطرف حتى يفرغ إلى الأيسر . ولج به العطش فقام يشرب . وإذ ذاك طرقته فكرة متعبة : — أيمكن أن أكون خائفاً ؟



بقطة وحياة ، وأرسل إلى الفيكونت التمس قبساً من أمل ... أهو مجنون حتى يبيع للخوف أن ينصب في قلبه ويفسد عليه نفسه وهو بعد لا يدري هل قابل وكيلاه وكيلي جورج لامليل فكتب عليهما القتال ، أم يجد الله له من كل ذلك مخرجاً ؟

وأخيراً قام ، فارتدى ثيابه ، فترك الدار بزم جديد وكثيراً ما ردد في نفسه أثناء سيره :

— عليّ أن أكون حازماً ... حازماً جهد الحزم : لأثبتن إني على البلاء قوى مكين ...

وجاءه وكيلاه ، فلما سلما جلسا يبحثان الشروط فقال القائد :

— أتود أن يكون الزوال صارماً ؟

— صارماً جباراً

— وما زلت تصر على الرصاص ؟

— نعم !

— أئدعنا ترتب لك باق الأمر ؟

فأجابه الفيكونت في صوت جاف خفيض :

— عشرون خطوة ... إطلاق الرصاص لادي

الإشارة ... رفع التبراع بدلا من خضفه ... تبادل الطلقات حتى يجرح أحدهما جرحاً بليفاً ...

— شروط جيدة ... وإنك لمن خير الرماة ؛ وإنك لمن حظ عظيم .

ولما افتقروا عاد سنيول إلى بيته مرة أخرى : وكانت حاله تزداد سوءاً كل حين . فقد كان يستشعر رعدة تتمشى في ساقيه وزنديه وفي صدره . ولم يكن يستريح إلى جلوس أو رقاد . وكان يدير لسانه في شذقيه من حين لآخر ثم يمر به سريماً

أمام المرآة — موقناً بجائى ووجودى وبعد أربع وعشرين ساعة أكون منطرحاً على الفراش قتيلاً ؟ جثة باردة لاهية في ولا حراك ؟ ! وتبقى عيناى مسبلتين أبداً لا تنفرجان ترى الدنيا ومهجتها ! ؟

والثفت إلى السرير ، وتصور نفسه وهو على الفراش مسجى ، يضمه السرير وتحضنه الأغطية . ثم عاود النظر في المرآة . فآلني خديته يفوران كما غارت خدود الموتى ، وبديه معروفتين لالتبثان على حال وشعر حينذاك بخوف من السرير شديد .

ود لو لم ير السرير من قبل أو يذق به طعم الكرى . ثم دخل حجرة التدخين كيلا يبصره وأشعل لنفسه سيجاراً دون وعى منه ، وجد في ذرع البساط مزاراً . لقد كان بارد الأعطاف مختل القوى ، فسار نحو الجرس ليوقظ خادمه ولكنه امتنع في نصف المسافة قائلاً :

— سيدرك خوفك ذلك الخادم

ولم يقرع الجرس ، بل أضرم نفسه النار بيده وكانت يده ترتجف إذ هي تلبس الأشياء جميعاً ، كم عصفت برأسه العواصف ؛ وتلونت أفكاره الوجلى بلون الحزن والسواد ، بل رانت على فؤاده غشية كأنها غشية الخمور ... وكان يسائل نفسه بلا انقطاع :

— والآن ماذا أفعل ؟ والآن ماذا أفعل ؟

وارتمت لذلك فرائضه ، وارتجكت مفاصله فانتفض وعدا نحو النافذة فأزاح عنها الستار والحجب . لقد تنفس الفجر ، وأشرق يوم جميل صائف ... كانت السماء الدامية تعكس على الأفق والمنازل ولونها الذهبي فتكسب الجو جمالاً ورقة وأرسلت ذكاء فوجاً من نورها يحضن الكون ، ويهبه فيضاً من

ولما جئته السكون مرة أخرى ظن أنه  
مجنون ... وأخيراً جلس إلى مكتبه يحط بعض  
الرسائل ، وادكر فهم يحط وصية فلم يزد على قوله :  
« ألا إن تلك رغبتى ... » حتى قفز عن المكتب  
مؤمناً بأنه لا يقوى على ربط فكرتين معاً ، ولا  
يستطيع تقرير شيء مهما صغر ، أو الاجابة على  
سؤال مهما قل

إذن فلانماصل له من النزال . لقد أنحى اجتنابه  
قوت يده ... إنه يريد النزال مصراً عليه ، ولكنه  
يعلم بأنه على رغم جهود ذهنه وعزم إرادته لن يستطيع أن  
يحتفظ بقواه الكاملة ؛ أو حتى بقواه التي تحمله إلى  
حومة النزال ... وحاول أن يتصور المباراة وكيف  
يدخلها فيؤدها فيخرج منها . أخرج جريماً طريحاً  
أم يخرج سلماً غفوراً ؟ ... وكانت أسنانه تصطك  
من حين لآخر ... وأراد القراءة فأمسك بقانون  
شاتو فيلار المدني ولكنه عاده يأسئال نفسه :

— أغشى غريبي حبلات النزال كثيراً ؟ وهل  
هو معروف ؟ ومن أى الطبقات هو ؟ من لى بكل هذا ؟  
وادكر إذ ذاك كتاب البارون دي فوكس عن  
مشاهير الرماة . أتى به وتصفحه ورقة ورقة ولم يكن  
به اسم ذلك الجورج لاميل . على أنه لو لم يكن من  
خير الرماة لما قبل الشروط القاسية ، ووافق على  
السلاح الخطر . وكان يقرب المكتب فأخرج من  
درجه مسدسه الكبير ، ورفع يده كمن يسدده إلى  
هدف بعيد ، ولكنه كان يرتجف من فرعه لأخص  
قدمه . لو استمر على تلك الحال لخسر الدنيا والآخرة  
فلا هو متصور ولا هو خال ! وقال فى نفسه : « إن  
هذا مستحيل ! لا أستطيع النزال » وأمسك  
بالسدس بفحصه ويخذه ... حديق ملياً فى فوهته  
العميقة تلك التي تقذف الموت الأحمق لمن يريد ومن

على شفتيه ليزيل ما علاهما من زيد الخوف والوجل  
وقد حاول أن يطر فلم يستسغ طعماً . وسنح  
له أن يشرب ليجدد قواه الخائرة ، فاجترع ستة  
من الأكواب الصغيرة بعضها يكسع بعضاً فأنس  
الدفع فى جسمه وصفت روحه

— هذا حسن ! لقد عثرت على الطريق !  
ولكنه أفرغ الزجاج فيما يقرب من الساعة ،  
وحاله لا تهنأ ولم يقربها قوار ، وأحس برغبة جامحة  
تليج عليه أن يتمرغ فى الأرض ويعضها ثم ييكى !!

وطوى الليل النهار  
ودق وكيلاه الجرس ، وكانت دقة الجرس  
هذه كفيلة بأن تثبته على السرير هلوعاً جزوعاً  
لا يستطيع حراكاً ولا قولاً ، فلم يقدر على السلام  
ولا التحية ، بل لم يجرؤ ، خشية أن يعرفوا من درجة  
الصوت حاله ، وقال القائد :

— لقد تم كل شيء حسب تريد وترتضي فقد  
كان غريمك يقول بأنه الطرف المهان  
ولكن سرعان ما أقنع عن هذا ورضى الشروط  
القاسية ! ووكيلاه رجلا من رجال الجيش

— شكراً لكما  
واعتذر المركز قائلاً : « أسمح لنا بالخروج  
لنرتب الأمور الباقية ، فلا يزال أماننا أن تأتى بطبيب .  
فأنت تعلم أن الرصاص ليس من الأمور الهينة ، وأن  
نبحث عن حومة النزال متوخين فيها القرب من  
البيوت البامرة ، ليتسنى لنا نقل الجريح لو دعت الحال »  
ونجح الفيكوكنت فى أن يقول مرة أخرى :

« شكراً لكما »  
وعاد القائد يسأله :  
— أنت على ما تحب من الهدوء ؟  
— نعم ! أشكرك !  
وانسحب الرجلان على الأثر

فقد فاز فوزاً عظيماً . وإلا فقد ضاع ضياعاً مبيتاً .  
ذلك بأن الهزؤ يلاحقه ، والنوادي تلفظه ، والمحافل  
ترفضه ، والنوادي تبغضه ... كان يحس بكل ذلك ،  
ولكنه لم يكن يملك لنفسه من غريبتها شيئاً . ومع  
ذلك فقد كان نبيلاً شجاعاً لأنه يريد النزال ويطلبه .  
لقد كان نبيلاً شجاعاً لأنه ...

لم تكن تلك الفكرة التي استولت على ذهنه  
لتتكمل ... ففغر فاه ، وصوب بفوهة السلاح إلى فيه ،  
ثم ضغط على الزناد فغمر قتيلاً يتشحط في الدماء القانية  
وأمرع خادمه إليه حين سمع الدوى فألفاه لدى  
الباب قتيلاً ، وألقى الدم قد سال منه على ورقة فوق  
النضد . لقد كانت بيضاء كتب بأعلاها :  
« ألا إن تلك رغبتى ... »

سيد محمد العزاوي

لا يريد ... وازدحت حينذاك رأسه الأفكار ...  
فكر في عاره إذا غلب على أمره فهو جريح أوقتل ...  
فكر في لفظ النوادي وهمس الصحاب وغمز الميون .  
وفي سخرية الصالونات ... وفي بساط الهزء إيماءة  
الرؤوس ... وطفق يصور ما سوف يحسر على قوله  
الجناء ... وما سوف تكتبه الصحف ... وما سوف  
تقوله النيد الحسن ...

وظل محققاً في فوهة السلاح مدة . ثم دفع  
« سلم الأمان » إلى الأمام استعداداً للعمل ، ولم يكن  
يرى ضرورة لحشوه ؛ فقد كان موقناً بأن ما به من  
الوصاص يكفي  
وأحس بفرح مضطرب يغمره ويغمر فؤاده  
الرديد ...

حقاً إنه لو أفلح في فرض الرهبة على قلب الغريم

عليكم المصري يرفرف على

النيل و كوثر

فهما رمزا بلادكم

سافروا عليهما تجدوا راحتكم المنشودة

غرف فاخرة .. طعام شهى .. خدمة كاملة

اتصلوا بشركة مصر للسياحة

شارع ابراهيم باشا رقم ٤٩

# فاوست

ملكات الروى تشيركوف  
بقلم الأستاذ كامل محمود جيب

يلتهمه في شراة ونهم؛  
ثم يذلف إلى حجرة  
المطالمة. فيستلق على  
أريكة هناك ويذهب في  
سبات عميق ينفذ غطيطا  
يزعج الأطفال ويثبث  
في نفوسهم الرعب؛  
وكانت الريبة تتخذ  
من هذا الصوت البكر

أداة تخيف بها الأطفال وتضطرم أن يركنوا إلى  
الهدوء والسكون إن هم صاحوا أو تشاجروا،  
فتقول لهم: «أقستمون صوت اللب النائم في  
الحجرة ساعره بكم إن لم تمسكوا...» ويهب الرجل  
في الثامنة فيصبح بصوته الأجنس: «لماذا لم  
توقظوني؟» فتجيب الزوجة في خضوع: «لقد فعلنا  
مرات ومرات فما زدت على أن قلت: نعم، نعم، نعم»  
ثم هو يجلس إلى نضد يقرأ صحيفته وزوجته كرتينا  
بأفولتنا تصب الشاي، وأما ماريا بيتروفنا في الناحية  
الأخرى من النضد تداعب طفلا، وقد هدأ السكان  
إلا من بعض أواخر يقذف بها الرجل في وجه زوجته  
السكينة... ثم ينطلق إلى الندي يلعب الورق فلا يعود  
إلا في الثانية بعد نصف الليل، وقد نام الجميع سوى  
حماته ماريا تنتظره لدى الباب فتحيه تحية جافة تشيع  
في جنباتها أنات الألم والحزن...

ما كانت الزوجة تنتظر زوجها، وما كانت  
تألم لقطيطة، ولا تأسى على غيبته، أما الحماة فكانت  
لا تستطيع أن تكتم بعض ما يؤلمها من شذوذ الرجل  
وقسوته فتندفع إلى الزوجة تُسر إليها بحديث تنفّس به  
عن نفسها: «حقاً، إنه زوج ظريف؛ إن كل

(٤)

استيقظ كل من في الدار وإيفان منها لوقتش في  
فراشه لا يجيد القوة على النهوض، فيتكى على وسادة  
ينفث دخان سجائره وفي نفسه القلق والاضطراب  
لأنه لا يشعر بالرضا ولا يحس في نفسه بالقناعة؛  
فهو قد برم بحياة تدفعه دائماً إلى أن يسرع في كل  
ما يعمل صباحاً: في ارتداء ملابسه وترتيب شعره  
وتناول طعام الإفطار؛ ليطير إلى عمله في المصرف...  
لقد سمع إيفان - وهو في مكانه - زوجته  
تأمر ابنه: «إذهب فأيقظ أباك!» واندفع الطفل  
إلى أبيه: «أبي، ألا زلت نائماً؟» فأجاب الأب  
في غلظة وجفاء: «لا، لا، لا!»

وعلى المائدة جلس إيفان وقد غمره الكسل  
والفتور، وأثقلته أفكار سوداء تضطرب في خياله  
فما استطاع أن يقول شيئاً ولا أن ينظر إلى أحد؛  
فراحت المرأة ترمقه في أسى وحسرة وهي تقول  
لنفسها: «لعله خسر كل مانعه في الندي فهو  
لا يجيد مالا!»

لقد دأب إيفان على أن ينطلق إلى عمله في  
العاشرة من كل صباح ويعود في الرابعة مساءً، وقد  
أنهكه العمل وأضناه الجوع، فيجلس إلى غداائه

وجها من سمات الألم والحياة ...

ثم ... ثم ينتهي العشاء ومن بعده الشاي وينسل الزائرون لا يخلفون من ورائهم إلا سحب الدخان منعقدة في سماء الحجره وإلا صحاف الطعام وفناجين الشاي وزجاجات الخمر فارغة متناثرة هنا وهناك ، وإلا بقايا الدخان ملقاة في نواحي المكان ؛

ثم يسود الدار سكون عميق وكزينا على كرسي في ركن تحس في مفاصلها ألم الاجهاد والتعب ؛ وأما تجول في أرجاء الحجرات فتفتح النوافذ وتلتقط بقايا السجائر من أصص الرع ، غصبي مغيلة : «أما كان يقنعهم أن أنثر (الطقاطيق) على الناضد فينصرفون عنها إلى الأصص ؟ » ثم تندفع تنظم ما تشمت ؛ وإيفان يضطرب بين الحجرات وقد أمضه ما رأى وهو يقول في غضب : « لقد نامت الدواب على نهر الفولجا ، أما نحن ... » ثم يستلقي على فراشه ينظر زوجته في قلق ... ويناديه في قسوة ، فما يسمع سوى عويل طفل يرتفع في الناحية الأخرى وزوجته تهدده ، وخين ينفذ صبره يجذب النطاء وينطوي إلى نفسه وقد أثار وجوه إلى الحائط ...

وكانوا هم يخرجون إلى دار أحد أصدقائهم مرة أو مرتين في الشهر ليشهدوا مثل هذه الضوضاء ومثل هذا الاضطراب ...

\*\*\*

ومرت الأيام جرداء ممحلة ، فبدت الحياة في عيني كزينا جافة قاسية لا لذة فيها ولا متعة ؛ مظلمة لا نور فيها ولا سلاوة ؛ وسلط عليها الليل والضيق فأنطوت على شعور غريب فيه الضجر والقلق . ماذا

مارتسمتين به منه هو قصصه المعلق على الشجب ؛  
فصرخ الزوجة في وجهها في غضب وغيط :  
« لا يا أمه ، هذا هو دأب كل زوج ... ! » ثم  
تدلف إلى حجره الاستقبال وهي تترنم :  
من وراء الأفق أرض جميلة ...

\*\*\*

اعتاد إيفان وزوجته وأما أن يستقبلوا الزائرين مرتين كل شهر ؛ وهم جماعة قضوا أعمارهم في مناصب الحكومة ، في هدوء الدواوين ، وخمود الوظيفة ؛ لم تصقلهم الحياة ولا حنكتهم التجارب فقيم النبأ وفهم الركود ... فكانوا يجلسون إلى إيفان وزوجته يتحدثون عن حياتهم التزلية ، وعن أطفالهم ، ثم عن الجو ؛ ومازيا تمد الشاي والرني والكحك ... ثم يتدافون - وقد شربوا الشاي - إلى المائدة الخضراء يلعبون الورق ويدخنون ربنا تمهي الزوجة وأما طعام العشاء ، والحمود يستولي عليهم رويداً رويداً ... ثم ينطلقون جميعاً إلى الطعام والشراب في صخب ولجب ، وقد استخفهم الطرب ، ودب فيهم النشاط والمرح ، فيجلس إليهم إيفان يقص قصة زواجه من كزينا وقد عبث برأسه الخمر « لقد أحب كل منا صاحبه حباً يكاد ينشق له القلب وأنا ما أزال - حتى الساعة - أذكر لقاءنا في حديثهم الجميلة في ضوء القمر ، فجلس ساعات في كني هناك ، وقد نامت عين الرقيب والواشي . لقد كان قلبي يدق دقات عنيفة متوالية ... » وكزينا على خطوة منه يتصاعد دم الخجل إلى وجنتها وتنتير إليه بطرف العين أن أمسك ، وهو يفضي لا بعنيه ما يبدو على

ولا يعنى بأمرها ؛ ثم زوجة تنفر من زوجها وتضيق به ذرعاً ، وهي لا تستطيع أن تجهز ببعض ما يتسمر في قلبها فتكتمه على مريض . أما الحب ؟ أما السعادة في الحب والزواج فخيالات لفتها الأيام لتنتشر مكانها ما تكابد في دار زوجها من هم وتكد ... واصطرت في نفنها خواطر مؤلمة كادت تصيف بعقلها ، غير أن شيئاً بدأ في الظلام يقترب منها رويداً رويداً يجذبها من أختلتها ... إنه هو إيفان مياها لوقش في قبضه الأبيض جاء يلقي بنفسه على كرسي إلى جانبها ، وراح يتنأب ويقول : « لقد أكلت طعاماً شهيماً ونمت نوماً هادئاً ، ولكن فيم تفكرين ؟ » قالت : « لا شيء ... لقد كنت أفكر ... إن هذه الحياة جافة يا إيفان ! » قال : « أفيكون لك ثلاثة أطفال ثم ترعين أن حياتك جافة ؟ » قالت : « إنها مملّة لأنّها على نمط واحد ! » فقال الرجل بغيظ وهو يلوح بيده في الفضاء كأنما ينحي عنه شيئاً يريد أن يلمص به : « أفتعيشين عمرك مضطربة ككثيرة ؟ » ثم انطوى وخلفها إلى أحرارها تبسم في حسرة ثم تنزوها نزوات الألم فتجهش إلى البكاء ...

وصاح إيفان - بعد حين - « ما هذا ... ؟ » ثم نادى زوجته يطلب ماء ، غير أن الحلة اندفعت إليه وفي قلبها شهوة الانتقام وهي تصيح : « ما هذا ؟ ما ذا صنعت ؟ ما ذا صنعت ؟ » قال : « لا شيء ، إنني لا أستطيع أن أفهم ابنتك ولا ما تريد ! » قالت وهي تضطرب : « ما ذا ؟ ما ذا صنعت ، ما ذا قلت ؟ » قال : « لا شيء ، إنها

تستطيع أن تفعل وهي في سجن من دارها وسجن من أولادها ؟ أفتستطيع أن تجدهم مبركاً مما هي فيه ؟ وترقرق العبرات في عينيها ...

واستشعرت الأسي والألم في نفسها حين بدا لها أن سجنها يكاد يضمها بين جدرانها فيقصقض عظامها ويفرى جلدها . إنها ترى الناس يندون ويروحوون في نشاط ومرح ، فيهم الأناقة والدكاء والخلفة ؛ أما هي ... أما هي فقد استولى عليها القتور والغول ، وبدا عليها التشعث والغباء من طول ما اعترلت الناس

وجلست الزوجة إلى الشباك وخیالها يحلق في مناهات لا يجد الهداية ... وارتدت إليها ذكريات الطفولة الجميلة ، وأيامها الباسمة ، وحياتها المشرقة ؛ حين كانت ترى العالم كله يضطرب في قلبها وتضطرب معه آمال كبار تتراءى لها من وراء الأفق فيها السعادة ... سعادة الحب تنقسم في رضا واطمئنان ، وهي تنتظر المستقبل الجليل .

ولكن ... ولكن ها هي الحقيقة مرة لداعة ، إن العالم كله الذي عاش في قلبها سنين لم يبق منه سوى شارع ضيق قذر قصير ، في أحد طرفيه دكان البدال وهم له مديونون ، وفي الطرف الآخر الدار حيث تقوى هي أيامها لا تجد إلا الأطفال وصراخ الأطفال ، وعويل الأطفال ، وإلا عملها في الدار ، والإجماعة من العجائز يلعبون الورق بين الحين والحين في ضجة وضوضاء وإلا الزوج المنيد يشاكس زوجته ويذلها في غلظة وفظاظة ، لا يبرع حقها

تحدثه في لطف وهي تشير إلى المائدة : « ها هو طعامك » فما أجاب الرجل ، وما ألحت المرأة ... وأخذ إيشان يطوف مايطوف في حجرات الدار كأنها يريد أن يشعر كل من في الدار أنه السيد الأحمر ؛ وبعد لأي دلف إلى حجرة المطالعة ليستلقي على أريكته هناك ، وأرادت ماريا أن ينزل عن رأيه فلا ينام في حجرة المطالعة فلم تفلح ...

وكان السكب (نورما) يطمئن إلى إيشان ويهفو نحوه ، لأنه كان محبوبه بطفه وحناه ؛ والآن — حين رأى سيده يدخل حجرة المطالعة وحين سمع ما كان بينه وبين ماريا — انطلق إليه في هدوء يداعبه كأنه يريد أن ينزع عنه بعض ما أحزنه ؛ وراح هو يداعب كلبه في مرح ونشاط ، ونادت ماريا من خارج الحجرة : « نورما ، نورما ! » ولكن السكب لم يأبه ؛ وتردد الصوت : « نورما ، نورما ! » ففرع إيشان عن مكانه وأغلق الباب في شدة وعنف فأسكت الحماة عن النداء ، وذهبت في انكسار إلى فراشها وهي تحدث نفسها : « أفيئام مع السكب ؟ هذه هي ثالثة الأثافي ! »

\*\*\*

لقد كانت حياة ضنكاً ، فيها الاضطراب والقلق ، وفيها القسوة والشفقة ، تشتد قسوتها في العشرين من الشهر حين يتقاضى إيفان مرتبه الشهرى ويجلس بحسب ديونه وهي تربو على مرتبه ، وهو يرى مصيئته في امرأتين قيّد هو بهما وهما تسعيان للحرية ولا تصلحان لتدبير شئون الدار ؛ ثم يقبل صفحات دفتاره وهو يقول : « لاضير ، إنهما يريدان

انفجرت ضاحكة على حين بقتة ثم راحت تبكي ! » قالت : « لا ، أنا لا أصدق ، هذا عبث ، لا بد أن تكون سَجَرَحَتها ! » قال الرجل في حدة : « لقد قلت إن شيئاً لم يكن ... ! » ثم انطلق ... انطلق إلى الندى يلعب الورق ...

وزاغ بصر المرأة فراحت تذرع الأرض وهي تضطرب وفي نفسها الغيظ والغضب ، ثم جلست إلى ابنتها تحدثها : « لقد تخاصمتما ، فلماذا ؟ ماذا فرط منه ؟ » قالت الزوجة : « لا ، لا شيء ! » قالت الأم : « لعله استهنك وأغضبك ! » قالت الزوجة : « لا » قالت الأم وقد هدأت من ثورتها فبدأ الحنان في رنات صوتها : « يا عزيزتي لا تكتمى عني شيئاً ، أنا أعرف أنه أثنى ، فلا تثيري غضبه » قالت الزوجة ومن عينها تتدفق الدمعرات : « حقاً ، حقاً ! ثم إنه غبي ! » وثارت نائرة الأم فقالت في شدة : « إن امرأته تحدثت عن زوجها هذا الحديث فما بعده سوى الشر المستطير ! » وراحت تدفع عن الزوج في لباقة ودلافة : « إن زوجاً يبد إيشان لم يخلق بعد . أفلا تعتبرين بسواك ؟ إن زوجة كاييتا لينا السكنينة تحمل أثقائها وأثقال زوجها في صبر وصمت ، ثم هي لا تسب زوجها ولا تحقره . إن بعض ما أنت فيه هو السعادة يا ابنتي ... ! » غير أنها لم تغفر بكلمة واحدة فأنطوت على مهما تنتظر الزوج ...

\*\*\*

وعاد إيشان يددق الباب في عنف ، فقالت ماريا لنفسها وهي تفتح الباب : « لعله سكران ! » ثم قالت

منذ سنوات تسع ثم يتركها في سجنها ليذهب هو إلى الندي

\*\*\*

وظهرت رواية (فاوست) على مسرح المدينة . فانطلق إيفان إلى المسرح بحجز له وزوجته كرسيين ، واربد يقول وهو ياتي بالتذكريتين على المنضدة وعلى وجهه سمات الغضب : « سذهب الليلة إلى الملهى ، لنرى (فاوست) ! وصرخت الزوجة في جور وقد تدفق دم الشباب في وجنتها : « فاوست ، فاوست ! » وانطلقت كزينا ترتدى ملابسها وتصفف شعرها وإيفان ينظر إليها ويتنقد كل ما تعمل . إنه يريد لها جملة جذابة يفخر بها وبجمالها ، وكانت هي أيضاً تريد أن تبدو أمام الناس خلاصة آسرة ثم ... ثم انطلقا جنباً إلى جنب صامتين لا يشعران بالرح ولا السرور ، وذراعاً في ذراع ويود كل منهما لو سحب ذراعاً من ذراع صاحبه ...

ودلفا معاً إلى بهو السرح والموسيقى تعزف الألحان الأولى وإيفان يعشى الخيلاء وإلى جانبه كزينا مطاطة ذاهلة كأنها تساق إلى القصة ... وأطلقت الأنوار ، ورفعت الأستار ، وبدأ فاوست في ملابس رمادية وقبعة كبيرة ولحية بيضاء طويلة ، يعنى :

عبثاً ، عبثاً ما أحاول أن أعثر عليه بطول السهر والكد

وكزينا في مكانها جامدة لا تحركها الأغاني وتسحبها الموسيقى ، ثم بدا ميفستوفليس أحمر فانياً يتهلب ، يعلن أنه يستطيع أن يأتي بكل شيء حتى

الحرية « فتجيب الزوجة : « وماذا بين الحرية وبين هذا ؟ » فيقول هو : « إن الشيطان يعرف لماذا يعلمونكن الجغرافيا والجبر والحساب وحساب المثلثات والمهندسة : ماذا يفيد كل هذا وأنت لا تستطعن أن تنظمن حياة رجل ؟ لكنك تعلمن هذه العلوم لتطالبين بالحرية في إصرار وإلحاح ! » فتقول ماريا : « إننا ولا ريب نستطيع أن نوازن بين دخلك وحاجتنا إن أنت اطلأنت إلى الدار فلم تذهب إلى الندي » فيقول هو : « وأنى إذن أجد المال ؟ أفأزيفه ؟ » وهكذا يتنازعون بينهم أمراً ، ويؤنب أحدهم الآخر ثم يستشعرون جميعاً الخوف والعار في حديثهم ، ثم ... ثم تمر الأيام والأيام يستولى على نفس الزوجة ويبد فيها الفتور والكسل فيمنحها من عينيها بريق القبلة والسرور ، وتبدو وهي في حركاتها واهنة ضعيفة كأنها في تسعها وهزالها عجوز شطاء تدب إلى القبر وهي ما تزال في أيام الصبا على المرء أن يسمى جهده إلى الراحة والاستجمام بعد العمل المضني ، ليبدأ عملاً جديداً في قوة وفتوة . وكان إيفان يرى الاستجمام في كؤوس من الخمر تدهله عن متاعبه حيناً ثم هو يقول : « يجب أن يطرح الإنسان عن نفسه بعض ما يثقلها ليجد النشاط والقوة » أما كزينا فكانت لا ترى الراحة إلا في الملهى وقد حرمتها زماناً ، فهي دائماً تطلب إلى زوجها أن يصحبها إليه فينطوى عنها وهو يذكرها بزيارتها للأوبرا في سانت بطرسبرج حين كانا عروسين



اطمأنت هي إلى ما ترى فنفضت عنها ما مضى وما  
يخزنها ، ونسيت الغضب والنهك والدين و...  
وما ران على حياتها من ألم وضيق ، فبدت روحها  
صافية طروباً ، وأندمل جرح في قلبها نكاته الحياة  
المرّة التي تعيشها

وفي الفصل الثالث طارت خواطر كزينا  
بعيداً عما حولها إلى ضوء القمر ، إلى الحديقة  
القنّاء ، إلى أيام الحب والسعادة ... السعادة التي  
راحت تنمو في خيالها رويداً رويداً حتى غمرتها  
إلا غلالة صفيقة من حزن ؛ وهي ترى مرعريت  
الجميلة الجذابة في غداؤها الذهبية اللامعة تجثو عند  
قدمي حبيبها الشاب فاوست تستعطفه في سداجة  
وصفاء ؟ ثم سارت إلى جانبه تحت ضوء القمر الجميل  
وفي نفسها الخوف والأمل وهي تقف أغاني الطرب  
تنأجج بها الكواكب اللامعة ، وتنفث أمامها  
أسرار سعادتها ، والليل هادي والحديقة ناعسة ،  
وزنات صوتها العذب الساحر تشق طريقها إلى  
النساء كأنها تسبيجات عابد يبهج في غسق الليل  
لقد ملست فتاة المبرح كل قلب فأثارت الشجون  
وهزت أفئدة الذين خاتهم السعادة فألقت بينهم في  
قراره البؤس ، فوجم الجميع وبدأ السكان هادئاً ...  
واضطربت كزينا حين رأت مرعريت تمثل دوراً  
مثله هي حين تغلغل في قلبها حب إيفان

ورن في جنبات البهو صوت ميفستوفليس  
يضحك في تهكم « ها ، ها ، ها ! » وفي صوته  
القسوة والخشونة ، ورأى كزينا أن يجذبها هذا  
الصوت الأجش من أحلامها فبدت منيطة منقطة

الشباب والمال . وتراءى إلى كزينا اليوم العشرين  
من الشهر وما فيه من عراك وشجار ، ودوى في  
مسمعيها صوت إيفان : « الحرية ، الحرية ! » وحين  
ارتدت إلى ما يمثل أمامها كان فاوست قد خلع  
لحيته وملابسه ليبدو شاباً أنيقاً جذاباً يتسم  
وينفى :

أبها الشباب ، هات مرحك اللانهاى ...  
ثم هو ينفذ في نشوة وطرب ، والزوجة  
جالسة تأسى على شبابها المفقود ، ثم زفرت زفرة  
عميقة وهي ترمق زوجها وقد مال رأسه في صلف ،  
وعلى وجهه الخليق الساعم وشاربه الفتول سمات  
الجد والحزم

وانتهى الفصل الأول مغرماً معاً إلى القصف  
وإيفان يزعمه أن يرى شعر زوجته لم يرب كما يريد  
هو ، وأن يخيّل إليه أن وجهها ليس طرباً ناعماً  
كوجوه النساء حوله ، وأن عينيها قد انطفأ ما كان  
ينبعث منها من أشعة آسرة ؟ ثم هي فاترة خاملة  
والنساء من حوله يرحن في خفة وطرب

ورجماً في صمت وكل يعيش في عاله هو ،  
لا يبينه ما يضطرب في نفس صاحبه ، وكانت  
الألوان الكهربائية تعكس على ثياب السيدات  
فزيد البهو رونقاً وجلالاً ، والمكان يبعث بأصوات  
الناس ، وكزينا ترى فيما حولها أسباب حزنها  
وألمها ، فلم ترفع بصرها لترى في البهو أشياء  
حرمها زماناً ، ولكنها انطوت على آلام في نفسها  
مبرحة وإلى جانبها زوجها لا يسرى عنها بعض  
ما يضطرب في خيالها . وحين ابتدأ الفصل الثاني

الحياة تنعكس كاللوكانت في مرآة» ثم انحنى يهيس في أذن زوجته في رقة ولفظ: «أفند كرين... هناك في الحديقة!»

وشاع الخجل في وجه الزوجة حين ذكرت كرينيا وإيفان حبيبين يتلاقيان على ميعاد في حديقة الدار ثم همست في أذن زوجها: «كأنه حلم!» وجاء صديق يجهيما: «كيف حالكما؟» فأجابه الزوج: «إننا لا نجد ما يحزننا، فالحمد لله! وأنت؟» قال الصديق: «لا بأس، شكراً لك، إنى أرى كرينيا تبدو أنيقة جميلة» فلأها الضرور والكبرياء ثم قالت: «عجيب أن أسمع منك هذا وأنا أرى أنني أفقد جمالي رويداً رويداً وإيفان بصره في زوجته وهو يتحدث نفسه: «حقاً إنها جميلة جذابة». ثم قال في كبرياء ولفظ: «إن فوق مكتبي رسماً لها حين كنا خطيبين أفرأيت؟ لقد كانت أجمل من مرغريت!»

وفي الفصل الأخير اضطربت في رأس إيفان خواطر: لقد تراءى له أن زوجته ستلقى ما لقيت مرغريت فتدفقت الشفقة والرحمة في قلبه... لقد كان هو فاوست في وقت ما وكانت هي مرغريت. أما الآن، أما الآن...

\*\*\*

الدار وهي تبدو في عينيه سجنًا مظلمًا؛ والأرض الحجرية؛ والقش المتراكم فوق السقف؛ والرائحة المسكينة التي تلمس القسوة والفظاظة في زوجها فتخضع وتستكين وهي لا تستطيع أن ترد عن نفسها بعض ما يضرها؛ ثم الساضي الجليل وقد

وإلى جانبها زوجها إيفان يقول في هدوء: «لا بأس، لا بأس!» وألقت السيدة على زوجها نظرة خافتة ثم أرسلت أنه عميقة حين تراءى لها أن الرجل الجالس إلى جانبها كان هو فاوست حين كانت هي مرغريت... ثم جاءت الغلظة الأخيرة... الزواج... لقد تزوجت منه لتشيد صرح سعادتها فهدمت حياتها وهنأها ودوى هتاف الاستحسان حين أسدلت الأستار ثم رفعت مرة أخرى فاذا فاوست ومرغريت وميستوفليس يدا في يد يتساقون للجمع الحاشد؛ ثم هم يبدون من رأس كرينيا أخيلة كانت قد سيطرت عليها حين خيل إليها أن ما ترى حقيقة لا مرية فيها

ونادت كرينيا زوجها: «تعال، يا فانيا!» ثم انطلقا إلى المقصف يشربان الشاي ويأكلان البرتقال، وقال إيفان وهو يقدم إلى زوجته برتقالة: «أنا ظمآن!» وأحس هو أن قلبه قد نفّض عنه ما علق به من بغض وكرهية فقال: «أهذه البرتقالة حامضة؟» قالت الزوجة في رقة: «لا، إنها جميلة حلوة!» وأكلت الزوجة البرتقالة وهي ترقب الرجال حولها وتحدث نفسها: «ليس فيهم من يشبه زوجي، كلهم يذهبون إلى الندي، ولكن زوجي خيرهم» ثم قالت لزوجها: «كيف وجدت مرغريت، يا فانيا؟» قال: «لا بأس، ولكن ألفا فوستر تفوقها» قالت: «أفسمعت أمّا؟» قال: «أفلا تذكرين؟ لقد سمعناها سوياً في سانت بطرسبرج» قالت: «لقد كان ذلك منذ أمد بعيد» قال: «طبعاً، لقد رأيتهما مراراً، وأستطيع أن أراها مراراً كثيرة، إن

فقال : « إنك تشبهين مرغريت في سجنها »  
وغيضت كرينيا من بصرها وقد ابتسم قلبها لأن  
صدى صوت أيام الشباب الجيلة رن في أرجائه ؛ ثم  
راح يودعها وهو يقبلها : « نعمت بنوم هادئ  
يا مرغريت » فقالت هي في حياء : « حرسك  
المنابة الإلهية يا فلوست ! »

وانطلق إيثان إلى حجرة نومه ليخلع ملابسه  
في بطة وتلكأ وهو ينفى :

لکم السعادة یامن تعيشون فی رضى وقناعة ... !

لائل محمود مبيب

- (١) خالتي وقصص أخرى
- (٢) وكيل البريد وقصص أخرى
- مجموعتان من أقاصيص رابندرانات طاغور
- ترجمته عبد اللطيف النشار
- (٣) جنة فرعون وقصائد أخرى
- (٤) نار موسى وقصائد أخرى
- ديوانان من شعر عبد اللطيف النشار
- (٥) الاسكندر

رواية تاريخية عن حياة الفاتح الكبير

ترجمته عبد اللطيف النشار

ثمان هذه الكتب الخمسة عشرة قروش

بما في ذلك أجرة البريد

وتطلب بالبريد من صاحبها بعنوانه :

١٨ شارع الایمادیة بمحرم بك بالاسكندرية

أترعت أيامه باللذات والسعادة ؛ كل أولئك ارتد  
في خيال إيثان فجأة فإن أنة كادت تنقطع لها  
نياط قلبه ، ثم نظر إلى زوجته فرأها واجدة  
حزينة والعبرات تدرق في محاجرها فأله ما رأى  
واستقر في نفسه أنه هو الجاني . وعادت إليه أول  
ذكريات جبه حين جلس إلى التي أحب يترنم وقد  
نشر الظلام مسوحه على الحديقة في وسط هذا العالم  
الصاحب ...

ومن حولها البلابل تسجع والسماء صافية  
وغادرا للملحى وما يحسان أن حملاً ثقيلاً قد  
انحط عن قلبهما فماداً حبيبين كما كانا منذ سنوات  
وسنوات ... وطارا إلى الدار وإيثان يطوق زوجته  
بذراعه كأنه يخشى أن يفقدها ، وهي تحق وجهها  
في فراء معظفها وعيناها تلعبان من بين الفراء  
الكثيف والقبعة البيضاء الكبيرة ... واندفع  
يجول في أنحاء الدار مزحاً مسروراً وهو ينفى :  
دعيني أهدق في هذا الوجه الذي أمانى ...  
فقالت ماريا : « كل ثم هدق كيف شئت ! »  
وجلس الثلاثة يتناولون الشاي ويتحدثون في  
هدوء واطمئنان وإيثان يستشعر في نفسه السرور  
واللذة ، ويهدق في زوجته وقد أبدلت ثياباً بنباب  
فببت في صورة ملائكية رائحة جذابة ... ثم  
انطلقت إلى أولادها تنظر إليهم - وهم نيام - في  
حنان وشفقة وقد خيل إليها أن هؤلاء هم الملائكة  
الصغار الذين حلوا روح مرغريت إلى جنة الخلد .  
ودلف إليها إيثان فبدا له أنه يقف بإزاء فتاة الأولى  
حين كان قلبه يتمنى أن تكون له ... له وحده ،

# عَلَى النَّاسِ نَدْوَرُ الدَّوَارِ

مترجمة عن الإنجليزية  
بقلم الأديب أميل فنج

دافيد فوستر وحيد  
هذا الرجل النبيل ...  
فكان يمر كل يوم منذ  
التحق بمصنع آيسه  
ليجني ويبش في  
وجهي دون سائر  
الموظفين فزاد ذلك في  
تعلقي بعمل وإخلاصي  
له ...

ما هذا ... ؟ ! المستر فوستر يموت بعد التحاق  
ابنه بالمصنع بستين ... ! الرجل المعاصي ذو الأعصاب  
القولاذية والعينين البراقين الصريحين يخفي فجأة  
ولم نعد نراه يطوف بعالمه المخلصين فيملأ نفوسهم  
أمنًا وهدوءًا واستقرارًا ، ولم نعد نسمع صوته  
يتجاوب في فضاء المصنع صداة في رنة مترنة حنون ،  
ولم نعد نراه يتفادنا وترعنا في حنان وعطف  
عجيبين ... مات فتولى والده منصبه وسارت السفينة  
تحمّل ركابها كما كانت ... وأخذت الطارق تطرق  
طرقاتها التقليدية المتكررة ... فقد أقل نجم وسرعان  
ما أشرق نجم ... ولكنه كان قاسيًا عنيدًا ...

وفي سبتمبر من السنة التالية تزوجت فتاة  
أحلامى : ماري جاكسون وكانت تشتغل في  
المصنع بجانبى . وكانت ماري ولا تزال أجل فتاة  
في العالم في نظري ، ولم يكن وجهها جميلًا فحسب ، بل  
حباها الله نفسًا كريمة وقلبًا كبيرًا ... فتبادلتنا ثقة  
خالصة وحبًا جمًّا جعلانا في أقصى درجات السعادة  
والهناء ... واشترينا منزلًا أنيقًا ببنينا بخيالنا قبل  
أن نشتره فيضار فردوس غرامتنا ومهد أحلامنا ،  
وكانت حديقته الغناء مسرحًا يلهو فوقه طفلنا العزيز  
(٥)

ذكريات ... ذكريات بعيدة تداعب خيالي  
الآن كما تداعب يد طبيب ماهر جرحًا قارب الشفاء  
فتؤله ألمًا محتملًا مقبولا ...

هأنذا أرى نفسي يافعًا يسى في طرأة سنه  
لكسب عيشه فيصبح عاملًا في مصنع كبير يحوى  
أغلب شبان المدينة ... وكان لتردى على مدرسة  
ليلية لأتمل مسك الدفاتر الفضل في رضا المستر فوستر  
صاحب المصنع على ، وبذلك فتح أمامي باب الرقي حتى  
بلغت درجة رئيس قسم من أقسامه الكبيرة . لقد  
كان صاحب المصنع رجلًا عصاميًا عطوفًا فشملى  
بعطفه ، وكلائي بمنايته ، فكنت به معجبًا وله غلصًا ،  
وكان بي غفورًا ولى أبًا حنونًا ...

لن أنسى هذا الرجل ماحيت ، لأنه استطاع  
بلطفه وحنانه ووجهه العجيب لعمله أن يطبع في  
نقوس موظفيه وخاصة في نفسي ذكرى لا تمحى ...  
فكان الرجل النبيل العطوف في حياته ، والشخص  
القدس الخالد في مماته ...

كنت سعيدًا مقتبطًا بهذا المنصب الكبير  
الذى أسند إلي وبفضله صرت من رجال  
المدينة البارزين ؛ وكان من أسباب سرورى وجود

الصدقة المتينة تنشأ بين طفلين ذكر وأنثى .  
وقد كان من الطبيعي أن نرى بيتر في الرابعة عشرة  
من عمره السعيد لا يفارق أديث إلا في وقت  
الذاكرة والنوم . أي فخر كان يملأني عند ما أرى  
الصدقة تزداد متانة بين الطفلين ؛ إنها أمنيته ...  
إنها سعادتي ... إنها حلى اللذيذ ... ولكن  
الدهشة كادت تصرعني في عصر يوم من أيام  
الصيف الهادئة عند ما فاجأني دافيد بزيارة في مكتبي  
وقال بعد عبارات الجمالة المألوفة :

— ألا تعلم يا هيرن أن ولدك يركب العربة  
مع ابنتي أديث في ذهابها وإيابها من المدرسة كل  
يوم ... ؟

فابتسمت وأجبت بهدوء :

— أجل ... لقد عرفت ذلك منذ بضع سنين  
— لا أرى أن هذا من اللائق المستحسن ...

خير لك أن تمنع ولدك من الركوب مع ابنتي  
ويدون انتظار لجواب ... خرج مسرعاً من  
غرفتي وبقيت أنا ذاهلاً بضع دقائق أفكر في لاشيء ،  
لقد دعت الفتاة بيتر لمراقبتها من تلقاء نفسها فما سر  
هذا الامتناع ؟ ... لا بد أن يكون دافيد فوستر  
مخطئاً ظالماً ... لقد صار كل من الطفلين للآخر  
ضرورة من ضرورات الحياة ...

وعند ما أخبرت ماري بما جرى أجابني في  
هدوء ورزاة :

— هذه هي غريزة الأبوة ... لا شيء سوى  
أن أبا أراد أن يحمي ابنته الوحيدة  
فأجبتها نازلاً :

— كلا كلا ...  
ولكنها ابتسمت ابتسامة رزينة وقالت :

بيتر فيملاًها مرححاً وحياءً فما أسعدني بالحياة بين  
هذين الطفلين الحبيين ...

ولم يكذب بيتر العزيز يبلغ من العمر سنتين حتى  
تزوج دافيد فتاة جميلة مريحة وهي ابنة أحد أترابه  
جنوب إنجلترا . وكانت تبث في الجو حولها لونا  
جياً من الصراحة والألفة . فتصادقت هي وماري ؛  
وكانت أحب الساعات إلى هذه السيدة الكريمة تلك  
الساعة التي تداعب فيها طفلنا الحبيب ، لأنها كانت  
لا تمنى شيئاً في الحياة إلا أن يرزقها الله طفلاً  
جياً ... وهكذا نالت أمنيته وولدت طفلة جميلة  
ظريفة سمها — أديث — وكانت فرة عين والديها  
ومعقد آمالهما ...

ومررت السنون متتابعة وأقبلت علينا الحياة  
بوجهها الضاحك الصبوح ، واستطعنا في هذه المدة  
أن ندخر مبلغاً لا بأس به ليكون لنا عوناً على تعليم  
ولدنا بيتر ... وكنت في ذلك الوقت راغباً في أن  
أصير أباً لأطفال كثيرين ولكن الله شاء أن يجعل  
بيتر زهرتنا الوحيدة فقصرنا جهودنا على أن نوفر  
له السعادة والسيادة ... وشب بيتر صديقاً جميلاً رأيت  
من خلال عينيه الصافيتين معاني الرجولة النبيلة  
والأخلاق الممتدة . وكذلك نشأت أديث ابنة  
دافيد فوستر حلوة جميلة كأماً واعتادت الفتاة أن  
تذهب إلى مدرسة للبنات بجانب مدرسة بيتر —  
فكانت تمر في طريقها بمنزلنا فتجينا تحية رقيقة  
ثم تمضي . وما مضت مدة طويلة حتى أصرت  
أديث على أن يصحبها بيتر في عربتها كل صباح  
ويرجع برقعها كل مساء ... وهكذا كان ...  
وكنت أنا وماري نراقب صداقة الطفلين بسرور  
ونؤمل ما يؤمله كل أب وأم عند ما يريان تلك

الرقباء ... وقد أخبرت زوجتي بهذا الحادث  
ولكننا كسائر الآباء بنشدون الخير لأولادهم، فابتسمت  
مارى وأيقنت في هذه اللحظة أن حرمان أدبث من  
مرافقة بيتر كما تحب شجعها على مرافقته سرّاً بين  
الغابات وفي الخلوّات ... وعلى كل فقد تركنا الأمور  
تسير كما يشاء الله ...

\*\*\*

وفي الليلة التالية فوجئت بزيارة دافيد لملزى .  
وما كادت مارى ترى العلامات الغامضة التي ارتسمت  
على وجهه وبريق الحق يشع من عينيه القاسيتين  
حتى توقعت شرّاً .

وواجهنى دافيد بوجهه المتجهّم قائلاً :  
— ألا تلم يا هيرين أن ابنك رأى الناس يخرج  
مع ابنتى في كثير من المناسبات إلى الغابات ويخلو  
بها ... قد تكون يا عزيزى علاقتها مجرد صداقة  
بين فتى وفتاة ، ولكن الصداقة في مثل سنهما لا تحمد  
عواقبها .

عند ذلك أجبته باقتضاب :

وبعد ؟ !

— يجب أن يتعمد بيتر عن أدبث لأنى أخاف  
عليها ككلمات الحب التي تعد في مثل هذه السن  
المبكرة جرعة .

لم أجد شيئاً أقوله في هذه اللحظة ، ومع ذلك  
تمتت قائلاً :

— سأمنع بيتر من الاختلاط بابنتك يا ماستر  
فoster ؛ وعلى كل حال سيرحل أبى عما قريب  
للالتحاق بكلية الطب . وفي خلال السنوات الست  
المقبلة لا يتمكن بيتر من رؤية ابنتك ...  
فأجابني الرجل ورنه الفرح هزّ كيانه :

— بلى يا عزيزى إنه السلوك الوحيد الذى ينبغي  
لأب مثل دافيد أن يسلكه

— ولكن كيف تستطيعين منع بيتر ؟ ... كيف  
تخبرينه عند ما يبحى ؟ ...

ولما جاء بيتر في الساعة الثامنة مساءً بعد أن  
اتقنى من واجباته قالت له أمه :

— هناك شيء مهم أريد أن أفشى به اليك  
يا عزيزى بيتر

— ماذا يا أماء ؟

— مسألة ركوبك العربية مع إدبث يا بيتر ...  
إننى أراها يا عزيزى أنانية منك لأنك تركب كل يوم  
معه في حين أن هناك أطفالاً في سنّها يودون  
الركوب معها كذلك

— سوف لا أركب معها ثانية يا أماء ، لأنى  
أرغب في التأخر في المدرسة بعد انصرافها لأمارس  
بعض الألعاب الرياضية وهي لا تمهلى حتى ألعب ، بل  
تظل تصرخ في الخارج حتى أترك ألباى وأذهب معها .  
سوف لا أرافقها مرة ثانية ...

— ما أطيب قلبك يا بيتر ...

وكذلك أمر دافيد ابنته أن تمتنع من دعوة  
بيتر للركوب ... وقد امتثلت أمره بعد عصيان  
وتحرد شديدين .

وفي سن السابعة عشرة ترك ولدى المدرسة  
وعزم على دراسة الطب ... وما كان أشوقى إلى أن  
أرى ابني العزيز طبيباً شهيراً فأكون بذلك قد  
حققت أعزّ أمانى في الحياة .

ولم يكن غريباً أن أرى بيتر الشاب المراهق  
وآدبث الفتاة الناهد يسيران جنباً إلى جنب في  
إحدى الغابات للزهة والتجوى بعيداً عن أعين

إن العالم جميل ساحر في عينيك وعيني أدبت ...  
 كلا كما في شبابكما النض الجليل يرسم صوراً فائنة  
 للمستقبل الزاهر ... أجل يا بوتر، قد تكون الأحلام  
 رائمة يا ولدي ولكنها تكون أروع وأدهش لو  
 تشبعت بالحقيقة ... إنني أرجو يا ولدي العزيز  
 أن تستمر ذكرياتك عن أدبت عزيزة محبوبة كما  
 كانت لأنها ستحفظك نقياً ... صادقاً ... شريفاً  
 في معمة الحياة وزوايج الشباب ... احتفظ  
 بذكرياتك ... واجعلها تميزتك المقدسة في إبان  
 نضالك في الكلية ... وبعد ذلك عندما تبلغ أمنتك  
 وتصير أدبت امرأة ناضجة ستعرفان قيمة هذه  
 الذكريات ... وتعرفان أنها السلاح الماضي الذي  
 حاربته به حادثات الدهر ونواب الزمان ... ولدي  
 ...

ثم ضمته إلى أحضانها وراحت قبله بحنان  
 وعطف ... وأخيراً قال :

— سوف لا أراها يا أماء ... سأحرم نفسي  
 لقاءها ...

وعندما تركنا لينام شعرت بالفخر يلمس قلبي  
 في غدوبة وليونة لأن بوتر أصبح رجلاً نبيلاً ... فما  
 أسعدني بك يا ولدي ! ليباركك الله وليبارك رجولتك

\*\*\*

وبعد شهر قضاء المستر دافيد في الأجازة خارج  
 المصنع ، وفي يوم رجوعه إلى المدينة من مصيفه  
 استدعاني إلى مكتبه الخاص ، وبعد التحية البادية  
 خاطبني قائلاً :

— إنني أريد أن أدلي اليك بشيء يا هيرين .  
 وقبل ذلك هل لي أن أسألك عما إذا كنت سميداً  
 في وظيفتك في هذا المصنع ...

— هذا حسن ... هذا جميل يا صديقي ... إنني  
 أشكر لك فضلك ...

ثم انصرف الأب بعد أن اطأ أن على مستقبل  
 ابنته كجندی غادر ميدان القتال منتصراً مزهواً ...  
 أي انتصار أيها الرجل القاسي ... !؟ أنفخر  
 أنك حرمت ابنتك الحب وقيدتها بقيد ، وضنت على  
 ابني أن يتنوق السعادة ؟ أنت مخطئ ... بل مجرم ...  
 وفي هذه الليلة الثقيلة الحزينة أفضيت إلى بوتر  
 بما جرى بيني وبين المستر فوستر ورجوته أن يكف  
 عن لقاء ابنته .

ظل بوتر صامئاً يفكر ... ثم نظر إلى الأرض  
 نظرة شاردة وقال كأنه يخاطب نفسه :

— لقد أحببت أدبت يا أبي أكثر من أي  
 فتاة في العالم ... فهي ... فتاة عجيبة ، لقد رغبت في  
 أن أكون طبيباً شهيراً في يوم ما ، وقد عزمت على  
 انتظاري حتى أسجل اسمي بين الأطباء بحروف من  
 جد ومجد ...

ومرت فترة صمت قصيرة قطعها ماري قائلة :

— حقاً إنها فتاة عجيبة ، فهي من النوع الذي  
 يولد الحرارة والاقدام في نفوس الشباب ...

— هو كذلك يا أماء ... كنا أصدقاء ، وكنا  
 عازمين على أن نظل أصدقاء حتى ...

ثم أطرق المسكين حزناً ولكن أمه قالت  
 بسرعة :

— حتى تصير طبيباً شهيراً  
 فأوما بوتر موافقاً ثم طوق أمه بذراغيه وقال  
 لها متسائلاً :

— لقد فهمت يا أماء ! لقد فهمت ... ؟  
 — أجل يا ولدي العزيز ... لقد فهمت ...

— فأجبتته مندهشاً :

لماذا ... ؟! ... أجل يا سيدي فالمصنع منبع

رزقي الوحيد فهو كل شيء لي في العالم ... ولن أنسى سعادتي التي وجدتها بين جدرانها

— أوظفه بمصنعتك ... ؟! ... ولا يدخل

هذا حسن ... والآن لنعالج متاعبنا . رجلاً أمام رجل ... لقد أصرت ابنتي على حب ولدك ، وقد رفضت أن تتعهد بالامتناع عن لقاءه

— إنني أعنى ما قلت ... وسيرث ابنك منصبك .

ولكن ألا ترى أيها الصديق أنها حماسة الشباب التهور ؟ ...

— لا ... لا أظن ذلك ، فأديت فتاة رزينة

عاقلة وخاصة في مثل هذا الأمر ، وقد كانت في خلال زهنتنا الطويلة تبسم وتتكلم معي بصعوبة شديدة ، وكما حدثتها أجابتنى بأنه ليس من حق أن أنكر

— تريدني أن أعني بمستقبل ولدي من أجل

عليها حقها في حب الرجل الذي اختارته

— إن ابني لم يكشفها مطلقاً بحبه

— أجل يا صديقي ... فعلى اعتبار العلاقة للآن مجرد صداقة عذرة ، ولكنها عزمت على أن تتزوج

— حب صبياني يتلاشى كما تتلاشى سحابة الصيف ...

بمجرد حصوله على أجازة الطب . سأكل بك بصراحة

— ست سنين يا سيدي كافية لأن تزعم أعني الحب

يا هيرن ... ابنك شاب ذكي طموح وهي تحب هذا النوع من الرجال ... ولكن مركزك أقل من

— من قلب المرأة إذا جفاها حينها

مركزى في المدينة ... فحال أن يتزوج

— إن كلمة أعني قاسية يا صديقي ... لأنك

— ولكن آمالها آمال أطفال يا مستر دافيد ستزول بمجرد أن تكبر أدب وتفهّم العالم على حقيقته

— قد صرت من رجالات المدينة المتقدمين بفضل منصبك هذا ، فلماذا لا يخلقك ابنك ؟

— أنت مخطئ يا سيدي ... لقد عزمت على إرسال أدب إلى مدرسة داخلية لتكون بعيدة عن

— فأجبتته بيرود :

ولذلك ... ومع ذلك أرجو أن تعمل أنت شيئاً من جانبك ....

— إذا كان حقاً ما تقول ، وسيتمتع ابني بهذه

فأجبتته دون أن أتوقع ما سيحدث :

— المسكنة السامية فلماذا لا توافق على زواجهما ؟ ...

— بكل سرور يا سيدي ...

— فأجبتني ببطء شديد :

— لأن مركزى في المدينة يخالف مركزك

— فنظرت إليه باشفاق عليه رائياً له وقتل :

— وهل يعبأ الحب بالفوارق الاجتماعية ؟ ...

— وهل تظن يا سيدي أنك قادر على أن تسلمهما الحب

مضى شاباً وكبراً . ١٩٠

— فأجبتني بصوت قاس صلب ...

٢٠١٧-١١-١٤



— ولماذا تنتظر للند...؟ لك أن تعثرني مستقبلاً من الآن... سيذهب ولدى إلى الكلية..

ولأول مرة في حياة هذا الرجل القاسي الجار رأيته يحد عن جادة الصواب ويخرج عن حد اللياقة إذ قال لي بانفعال :

— إنك رجل غر مغفل لأنك لا تدري من أين يأتيك خبزك ...

عند ذلك لم أستطع أن أحتمل... فرميته بنظرة قاسية متكبرة ، ثم مضيت خارجاً من غرفته ساعياً كالآلة الضاء إلى مكنتي حيث شعرت بالتعب والضعف يستوليان على أعصابي وبرغبة ملحة في البكاء... واستولت على الأفكار السود فقلت في نفسي

الرجل الذى طوقني بعطفه وإحسانه شاباً ورعاً يحنانه ورضاء رجلاً يطردني ولده الآن ! كأن ذلك التاريخ الجميل وتلك الذكريات المذبة لم تستطع أن تحمله على أن يحترم شيخوختي ويذكر صادق خدماتي لأبيه ...

ولم يكن من السهل على رجل مثلي مضى أمام مكتبه أجمل أيام شبابه ورجولته أن يترك ذلك المكتب العزيز إلى الأبد... وقد كانت الساعة السادسة مساءً عند ما خرجت حزناً تاركا ورأى جمال الشباب ومرتع الرجولة... وسعيت ببطء قاتل نحو منزلي لأخبر زوجتي السكنينة بهذا الخبر الفظيع ...

وقضيتا مدة طويلة في ترتيب المستقبل الصالح لبيتر العزيز... وكانت النقود التي ادخرناها طيلة

سأريق دمي في سبيل الحيلولة دون هذا الزواج

عند ذلك تصاعد الدم حاراً إلى رأسي وامتلاً قلبي بالنميط ولكني استطعت أن أمك نفسي وأحتفظ بصوقي راقماً هادئاً كما كان قلت :

— مستر دافيد ... إنني أحب الرفعة لولدى كما تحب السعادة لابنتك... إن مستقبله هو رسالتى في الحياة فلا بد أن أؤيدها بأمانة وإخلاص... لقد أراد أن يصير طبيباً فرأيت سعادتي وسعادته في اختياره المهنة التي أرادها... فالطب هو مهنته التي خلق لها ولن يتجح إلا بممارستها، فجعله في وظيفتي وهو يريد خدمة المجتمع جريئة هائلة... نحال ياسيندى أن أقرفها ...

عند ذلك نفث دافيد دخان سيجارته بشراهة ثم قال ...

— إذن أنت ترفض أن تدخل ابنتك مصني.. أليس كذلك؟... لعلك خلتي مغفلاً متهوراً عند ما طلبت منك هذا الطلب

— متهور...؟ أجل، فطلب مثل هذا يستند إلى حب صنياني تأفه هو عين التهور والقسوة... — حسن... ولكني مازلت متمسكاً بمطلبي وتستطيع أن تشاور زوجتك وتجبرني عما استقر عليه رأيك ...

— لا حاجة لي بمشاورة زوجتي... فإنها سترفض طلبك كما رفضت

— على كل حال... دعني أعرف قرارك في الند، وإذا كان الرفض فأرجو أن ألقى معه استفتائك فأجيبته بهدوء قاتل :

نهضت الأم الحنون مهرولة إلى غرفة ولدها ،  
ولا رجعت بعد نصف ساعة رأيت جفניה مخصلتين  
بالدموع

— لقد لقي بيتر إديث في الطريق ولما لم يكلمها  
كلما وعدنا ... أسمعته كلاماً جارحاً وقالت له إن  
جبه لم يعد يساوى شيئاً لديها ...  
فأجبتها باستغراب :

— لقد تحدثنا عن الحب ؟ ... !

— أجل .. لقد بكى المسكين في أحضاني .. وإنها  
لأول مرة أراد فيها بيكي منذ سنين ... لقد بكى  
لأن الفتاة احتقرته وآلمته ... ولذلك أخبرته أنه في  
حل من وعده ... وله أن يقابلها في الند ويشرح  
لها كل شيء ... ولكنه رفض ...

لم أجد شيئاً أقوله في هذا الوقت ، ولكن  
مارى استطردت تقول بصوتها الحزين :

— لا بد أن يكون دافيد فوستر مستريحاً  
الآن ... لقد حقق الشقي غرضه على ألقاض ذنبك  
القلبين الشاين ... وسيذهب بيتر إلى كلية الطب  
واللوعة ترافقه لأن الفتاة التي أحبها احتقرته ...  
وكم كنت أتمنى من صميم قلبي أن ترافق بيتر في  
سفره ذكرياته العزبة وخبه الطاهر الشريف ليقابل  
حياة الاغتراب بقلب محصن ونفس جزلة ...

ثم قالت أخيراً بصوت منكسر :

— قد يظن المسكين أننا حرمانه متعة الحب  
فيرميننا بالقسوة

فأجبتها بلهفة وحزن :

— ألا يمكن يا مارى أن تخبري أدبتي بالحقيقة

هذه المدة كافية بأن تبلغ بولدنا المكابة التي تصبو  
إليها نفسه ...

وفي الصباح سألتى بيتر ... لماذا لم أذهب إلى  
المصنع الكالدة ؟ فأجبتني بأن خلافاً بسيطاً  
حدث بيني وبين المستر دافيد استقلت على أثره من  
وظيفتي .

لم يصدقني ولدى فكرر السؤال على مارى  
فأجبتني نفس الاحابة بدون اكتراث ... ثم  
ابتسمت فأبتسم بيتر وقال :

— إذا كنتم أنتم أصحاب الشأن لا تهتم  
فلماذا تهتم أنا ؟ ... إنني أستطيع أن أرى إديث  
الآن ... إذا أردت ...

— لا يا بيتر ... لن تراها ... إن الرجل  
لا يجنحس بوعده ...

— كما تريد يا أبى ... لن أراها ...

ثم خرج بعد أن شملنا بنظرة حنون ملأت قلوبنا  
راحة وسكينة وجعلتنا نثق بالمستقبل الذي كان منذ  
لحظة مظلمة كرمها

وبعد خروجه استطاعت مارى أن تقنعني أن  
نحل بيتر من وعد لا مبرر له الآن فقد امتنع عن  
رؤية إديث لأنك كنت موظفاً عند والدها، ولكنك  
الآن حر طليق ، فمن الحرام أن يتقيد شاب في مثل  
سنه ببقيد تقبل على قلبه الشاب ... ثم اتفقتنا على  
إخباره بذلك القرار عند رجوعه

ولكن ... ولكن ما كاد بيتر يلج باب المنزل  
في عصر هذا اليوم ... ولم يكذبنا بوجهه  
النقبض الحزين وعينيه الباكيتين الشاكيتين  
حتى أدركنا أن هناك أمراً محزناً قد وقع لولدنا  
الحبيب .

ما احتملت ... اليوم الذى ذهبت فيه إلى المحطة  
لأستقبل بيتر العزيز يحمل لقبه الساحر «دكتور»  
وقد استقر رأينا على أن يلتحق بيتر بمستشفى

في الجنوب ليكمل تدريبه ، في عصر يوم  
أقبل الدكتور كرولي طبيب العائلة وقال إنه يود أن  
يلحق بيتر بمستشفى مدينتنا الذى بناه والد دافيد  
منذ زمن بعيد ... وفيه ثلاثة أطباء حطمتهم السن  
العالية ولا يقوون على مشاق السفر ليلا لإسعاف  
المرضى ... حينئذ قالت ماري ويريقي الإعجاب والزهو  
يشع من عينيها :

— إنني أريدك بجانبني يا بيتر العزيز ...

فأجابها بصوت منخفض حنون :

— سأبقى بجانبك يا أماه .. سأعمل بالمستشفى .

وفي خلال سنة اشتهر الدكتور بيتر شهرة  
مستفيضة .. وأصبح طبيب جميع العائلات المحترمة  
في المدينة وخاصة في الحالات الخطيرة المستعصية .  
ومما هو جدير بالذكر أن بيتر لم يتحدث أدب  
في خلال السنتين اللتين قضاهما في المستشفى كما  
أنه لم يذكر اسمها أمامه إلا مرتين ... وفي كل  
مرة كانت تغشى عينيه سحابة من الحزن الدفين .  
وأظنه كان عالما أنها سافرت منذ أن حل بالمدينة  
في رحلة طويلة لتكون بعيدة عنه ... وكان أبواها  
هما اللذين دبرا ذلك ...

\*\*\*

لا أدري أية دهشة استولت علينا أنا وماري  
في عصر ذلك اليوم الجميل من أيام الربيع الهادئة  
حينما دخل علينا النزل دافيد فوستر وهو يتسم  
ابنسامته البغضية القاتلة ... ويقول من غير مقدمة :

حتى تصافى القلوب وترجع المياه إلى مجاريها  
— لقد فلت الوقت ... وأريد الآن أن تفكر  
في مستقبله لا في حبه ..

وفي الغد رأيت بيتر شاحب الوجه ... ذابل  
العينين ... حزين النفس من جراء ما قاساه البارحة  
فظل طيلة اليوم مفكراً صامتاً ...

\*\*\*

ومرت السنين متتابعة متشابهة ... نال بيتر  
في خلالها أجازه الطب ... وأنا لم أرحج إلى مصنعي  
القديم ، ودافيد فوستر لم يسأل عني وكأنه لم يعرفني  
لقد قاسيت كثيراً في بادئ الأمر حتى التحقت  
بمصنع للأثاث ... وكان مررتي ضئيلا إذا قورن  
بذلك الرتب الذي كنت أتناضاه من مصنعي القديم ..  
ولكنني استطعت أن أعيش به مسترخياً قانماً حراً  
بعيداً عن سطوة ذلك الرجل الكريه ... فتعلم ابني  
كما أراد وحقق آماله وآمالنا ...

وبينا كان بيتر يسمى في تلك السنين نحو المجد  
والنجاح ... كانت رفيقة صباه أدب تسمى نحو الزهو  
والهو ... فاندجحت في حياة صاحبة ماجنة ...

كانت لا تذهب إلى الكنيسة ... لأنه من  
المسير أن توفى فتاة لعوب بين رغبات الجسد  
الجامعة ... ونداءات النفس الصالحة ... لقد هجرها  
بيتر ومضى يسمى لمستقبله ومجده يقوده صوت الضمير  
اليقظان فراح تثار لجها وتنتقم لنفسها من ظلم  
التسوة القاهرة ... فكبرته والدها وأصبحت  
لا تكلمه إلا قليلا

وبعد مضي ست سنوات أقبل اليوم الذي  
ضجيت من أجله ما ضجيت . واحتملت في سبيله

إلى جحيم... ثم استمر يقول:  
— لقد ذهبت زوجتي لتزور إديث لأنها أبت  
أن ترجع إلى المنزل... وهناك وجدت الأم طفلها  
السكينة تحجل أن ترجع إلى المدينة لأنها...  
قارت أن تصير... أما... أما...  
فتمتعت في حشرة قاتلة:  
— أما... أما...!

فأجابني بإمالة حزينة  
— من أجل هذا أتيك... لقد عادت زوجتي  
بأديث اليوم إلى منزلنا وهناك قصت الشقية قصتها  
الحزينة على أمها... حياة صاخبة... ووعود كاذبة  
وعلاقات آتمة  
— ولكن ماذا أستطيع أن أساعدك به  
يا سيدي...

لقد تردد وبدا له أن يتراجع لأن رأيت في  
عيذه بقية من كبرياء... ومع ذلك خضع وقال:  
— تستطيع يا سيدي أن تحمل ولدك على استئجار  
فنه في إقناذ ابنتي من العار  
— معنى عملية إجهاض؟...

لم أستطع في هذه اللحظة أن أعاك نفسي.  
ترأت في حياة الفقر التي عشتها بفضل ظم  
هذا الرجل الدليل الواقف أمامي الآن... لقد علمني  
حياة الحرمان... وأسأني في أعز شيء لدى...  
وعلى ذلك أجبته بخشونة:

— لن أسأل ولدي ذلك... لماذا أتيت الآن  
لدليل تطلب ممونة الرجل الذي طعنته في الصميم...؟  
لقد فصلتني من وظيفتي التي أفنيت فيها شباني  
وكهولتي... وأردتني على أن أحرر ولدي متعة العلم  
(٦)

— لم تكن زيارتي منتظرة بلا شك...  
— فأجبت ببرد وبطء:  
— أجل... لم أكن أظن أني سأراك ثانية  
فأطرق الرجل إظرافه حزينة ثم قال:  
— لقد أيقنت أني أخطأت... وجئت إليك  
الآن أقر خطيئتي وأسألك المونة من أجل ابنتي  
إديث...  
— معونتي؟... بأى طريقة يمكن أن  
أساعد ابنتك؟

— لم أصلح أن أكون أباً... لقد أحببت  
أن تصير إديث زهرة يانعة في المجتمع لتتزوج رجلاً  
شهيراً ذا مكانة. وكان هذا هو أمل وحلي...  
ولكنها نبذتني وكرهتني منذ أن حرمتها لقاء ولدك.  
لقد أبت أن تتزوج... وفضلت أن تسير في الطريق  
التي رسمها لها خيالها المكدود المتعب... صارت  
الفتاة تسمع لتلك الأصوات الغريبة الغائنة في هس  
عاشق حبيب، فأنجذعت السكينة بجملو الحديث وروعة  
الهمهمات الخافتة... وترأت لها أضواء المدينة  
متلاثلة صارخة منادية... فلبت الشقية النداء...

لم أستطع، وهو يقول هذه الكلمات في حماسة  
ومراودة كأنها قطعة رثاء يلقيها، إلا أن أظل صامتاً  
ناظراً إليه في بلادة... لم أفهم ما قال... ولم أفقه  
ما ذا عني... غير أني أدركت أنني أمام رجل  
محطم ذليل... كسرت قلبه فكرة خاطئة...  
ذهبت شخصيتها فتاة بريئة طاهرة... فراح يتلوى من  
الألم والندم... لم يستطع السكين أن يخفي شيئاً  
فراح يرسل نفاثاته المسمومة في جو الحجر الحزين  
فكانت كلماته كالنصال الجادة تتناثر في الفضاء فتحوه

— إنني أقدم هذه الذكريات بأدافيد فوستر ...  
وإنني لمستعد أن أساعدك في كل عمل شريف  
ولكنك تطلب مني أن أمالك على عمل دني  
فقال بعد أن رماني بنظرة ذليلة كبيرة:  
— سأذهب إلى ابنك نفسه وأقدم إليه أجراً  
يكفيه أكثر حياته ...

— تستطيع أن تجده ياسيدي في المستشفى  
وجاء دق جرس التلفون فتناولت الساعة وإذا  
بصوت يتر بصل إلى من خلال الأسلاك الدقيقة  
متهديجاً ... مضطرباً:  
— هالو... بابا... إنني أعتذر عن العشاء  
في هذا المساء لأنني ذاهب إلى منزل دافيد فوستر  
فإن ابنته إديث على وشك أن تموت

وسمعت ولدى يضع الساعة ولكن لم ألتفت  
القوة لأضعها ... وكان دافيد فوستر يمشي في الغرفة  
بخطوات بطيئة تبه منكبساً رأسه في حزن عميق  
فناديته ...

— دافيد... دافيد فوستر... انتظر...  
انتظر دقيقة...

التفت المسكين بسرعة ونظر إلى نظارة متسائلة...  
متوسلة... فشمعت في هذه اللحظة أن الرجل  
قد تحطمت كبرياؤه وقطع قلبه وتقدم عشرين سنة  
فيدا شيخاً حزيباً ذليلاً... وأمام هذا النظر  
وهذه الشيخوخة التمسعة... تسدت عيناى  
بالموع ثم قلت:

— لقد قال لي ولدى الآن أن زوجتك استعدته  
بالتلفون فأجابني بالكآبة:

— استدعي إلى منزلي... آه... ألم تمت

وسعادة الحياة... ثم تريدني الآن على أن أقد اسم  
ابنتك وسمة أسرتك... كلا... فلن يدنس ولدى  
مهنته الشريفة...

عند ذلك قام كنمر مفترس محبوس في قفص  
ضيق مرصع، ثم وأجهى واقتربت عيناه من عيني  
وراح يحلن فيهما بشراة غريبة ثم قال:

— هل تعني ماذا يعني رفضك هذا...؟ أإذا  
أعدتلك إلى وظيفتك تحمل ولدك على أداء ما طلبته  
منك؟...

— كلا... وإن ما يدهشني الآن أنك أتيت  
إلى أنا... لماذا لم تذهب إلى طبيب آخر...

— لقد ظننت أنني أجد المساعدة منك أنت  
— إنك لا تقدر خطورة سؤالك هذا...

إنك تريد أن تجعل ولدى يدنس شرف مهنته...  
إن الأطباء لم يحلقوا ليحطمو الحياة بل لينقذوها  
عند ذلك دنا الرجل مني حتى التصق بي ونظر  
إلى نظرة ذليلة ثم قال:

— أنسيت ما صنعه أبي لك...؟ ربما أكون  
قد علمتك بقسوة وأنا أأعترف بأنني كنت مخطئاً  
وقاسياً، ولكن أبي قد استخدمك صيباً وصادقك  
رجلاً فاستطعت بفضل معونته ومحبته أن تشتري  
منزل الذي تسكنه... وتعلم ابنك المهنة التي أرادها  
هل نسيت هذا؟... هل أستطيع ياسيدي أن أقدم  
إليك بطلي باسم تلك الذكريات الميزة التي ربطتك  
بوالدي برابط مقدس جليل... ما ذا كان لك أبي؟  
وماذا فعلت من أجله...؟

ونظرت إليه بصمت حزين... ثم قلت بصوت  
منخفض تشويه ارتماشة خفيفة:

دافيد فوستر بصوت مبجوح كصوت نضال خاد  
يجري على شيء صلب قاس:

— إديث ... إديث

فأجابته المرأة الشجاعة بصوت أرادت أن تجعله  
قويًا حاسمًا فكانت منها كذبة هائلة لأنها لم تستطع  
المقاومة فقالت:

— لقد ... ماتت ابنتك منذ ساعة كما قال

بيتر ... لقد انتحرت

عندئذ نظر إليها زوجها بيلادة وبلاهة كمن  
لا يدرك حقيقة موقفه وقال:

— ماتت؟ كيف؟ أريد أن أراها ... أريد

أن أرى ابنتي الصغيرة العزيزة، أريد ...

فأجابته زوجته بخنان:

— نستطيع أن نراها بعد برهة قصيرة إذا فدي.

إن بيتر معها في الغرفة ... لقد ماتت وصورة لاصقة  
بصدرها ...

— أجل ... بيتر هيرن ... لقد ذهبت إديث

بحبه إلى السماء ...

ما هذا ... ما هذا الشقاء الذي حاق بهذين

الراسين الأشيبين؟ لقد شرعت بالدموع تهمر على

خدي فرأيت من خلالها دافيد فوستر يقف ذاها

كرجل ضعيف تحت تأثير منوم مغناطيسي ... حينئذ

قالت الأم الحزينة:

— يجب أن ندع بيتر يتناول حبيبته الصغيرة

الليتة بين ذراعيه برهة قصيرة ...

فانفجر دافيد من الحزن والحلق وأراد أن يقول

شيئًا ولكن زوجته أسكتته بنظرة صارمة حازمة

ثم قالت:

إديث؟ ... أخبرني ... لقد قالت إنها ستنتحر ...  
أخبرني بربك ... أخبرني ...

فأجبت ببطء:

— لا أعرف سوى أن بيتر في طريقه إلى  
منزلكم ...

عند ذلك تطرح المسكين على مقعد بجانبه ثم  
راح يتمتم في همس حزين:

— ابنتي الصغيرة ... ابنتي الصغيرة ...

لقد عزمت على أن تفارقنا للأبد ... للأبد ...

— دعني أوصلك إلى منزلك ... ربما تكون في

حالة خير مما نظن ... إن كان هناك أمل في شفائها

فبيتر سينقذها حتمًا ...

فأجابني كرجل نائم تحت تأثير حلم هائل:

— سينقذها بيتر ...

وقد ساعدته على الزول وأركبته العربية ...

وفي أثناء الطريق راح يتمتم في حشرجة مخيفة ...

« سينقذها بيتر »

وعند ما بلغنا المنزل ... شعرنا بجو من

الكتابة يكاد يخنقنا ... شعور مبهم لا ندري كنهه

ولكنه يحقق حين رأينا الخدم واقفين بوجوم

وحزن ... بعضهم ذاهل وبعضهم يبكي

لا أدري كيف قادت الرجل المحطم إلى داخل

منزله ...؟ ولكنني أقفمت حين رأيت زوجته جالسة

ككيوان عاجز كسير حرم أطفاله قسراً ...

ولكنها حين رأتنا وقفت بكبرياء عجبية ...

وكجندی في ميدان الحرب لا يجيد بدأ من إبداء

شجاعته وإلا هلك، وقفت تراجعتنا بوجهها الأصفر

المريل وعينها الباكيتين ... عند ذلك همس

شابة تحتاج إلى مال أو ملابس ... روح معذبة  
مظلومة تنشد الراحة والهناء ... كذلك كان زوج  
هذه السيدة قد اعتزل العالم وأصبح زاهداً فيه ...  
يتردد بين عمله ومنزله ... وقد عرف أخيراً أنه  
هو المحسن العظيم الذي بنى جناحاً آخر للمستشفى  
وأهـ الكـريم الذي لا يرد سائلاً، ولا ينجب راحياً ...  
يساعد اليتيم، وينصف المظلوم، ويعاون الأراذل  
على العيش، ويساعد الفقراء على الزواج  
يرجو بذلك أن يكفر عن ذنب اقترعه.. إذ سلب  
ابنته الحب والحياة ... وسلب ابني الراحة والسعادة  
يريد أن يكفر ... أجل يكفر ... ليلبلغ سلام  
النفـس وما هو بباله  
رباه ! في أي حال نحن أسعد ... ؟  
أفي الحب ؟ ... أم في الاحسان ؟ ... أم  
في الموت ؟ ...

أبيل فرج

## رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرئتين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

الثنى ١٢ قرشاً

— إن الله معهما الآن يا دافيد ... وسنعلم بئر  
أن ابنتي قد أحبتني ... وأن روحها نقية طاهرة ..  
لأنها أحبتني ...

ونجلس دافيد فوستر بجانب الأم الحزينة وأسند  
رأسه فوق صدرها كطفل تب متهدم ينشد الراحة  
بين أحضان أمه الحنون، ثم دفن وجهه في صدرها  
وراح يهتز كريحشة في مهب الرياح ... ثم بكى ...

وفي هذه اللحظة خرج بئر من الحجرة أصفر  
الوجه، ساهم المينين، غائب الحواس، كأنه  
إنسان صناعي يسير بقوة أجنبية عنه ... ودون أن  
يدري تقدم نحو السيدة فوستر ففتحت المسكينة له  
ذراعها فاستقر بينهما ... وهو يهيم بصوت أبح:  
— أشكر لك يا سيدتي عطفك على هذه الليلة ..

فأحابتها المسكينة :

— ليباركك الله يا ولدي العزيز ...

كنت أود أن أحبك كولدي ... كنت أود ..

فلم أقو على احتمال هذا المنظر ولا على سماع هذا  
الكلام، فخرجت وكأني أخرج من قبر مظلم، ثم  
لحق بي بئر وقال وهو يتسهم ابتسامة باكية متجلدة :  
— سأذهب للمستشفى الآن ... وسألحق بك

إلى المنزل ... إلى اللقاء يا ولدي ...

\*\*\*

ودار الفلك دوراته المنتظمة المتعاقبة وما زال  
ولدي في المستشفى لا يبرحه

وقد خيط في رأسه الشيب ولم يتجاوز الخامسة  
والثلاثين من عمره .. وقلماء مجده مشغولاً بغير مهنته ..

ويستطيع كل زائر أن يرى سيدة جميلة وقورة  
ترود المستشفى كل يوم ترجو من الدكتور بئر أن  
يقول لها إذا كان في الناس من يحتاج لشيء ... أم

# إنها أمي

## للاستاذ محمود خيبر

سرير بلد كان الباجا

وصه ٣ طراز لويس

الرابع عشر كان مخصصا

لنوم البارون دى ...

وعند ذلك يتبارى

الراغبون فيه . فتسمع

تحاورهم في الزائدة : خمسة

جنيات ... ونصف ... سبعة ... ونصف ... عشرة

وعندئذ يصبح العامل في أسف :

عشرة جنيات بس ! مين قال حداشتر ... راح

تبيع ... راح يكسب ... الأولونه . الأثرية .

مبروك عليك يفتدى

أما أنا فكنت في شاغل عن هذه الحركة بمداعبة

البيضاء ، أحدها فتسكت ، وأسنطقها فلا تجيب .

وقد خطر لي أن أغريها بقطعة من السكر من مقهى

قريب بيبي وبين صاحبه صلة ، ولكسبها مع ذلك لزم

صمتها بالرغم من إلحاحي ؛ وكأن صبرها فرغ فرفقت

في وجهي عينيها المستدترتين الصنيرتين ثم فتحت

مقارها الأصفر صائحة في غضب : لا . لا . لا . وعند

ذلك أقبل الدلال وتقلها إلى مائدة في وسط المكان

فأخذ الحاضرون يتدافعون حولها ثم طرحها في

المزاد ، حتى إذا وقف عند سبعة جنيات صاحت

البيضاء من داخل القفص وهي تقول : ( ثمانية )

فضحك الناس إلا واحداً من بينهم كان يُسمع له

أنين وبكاء ، وكان رجلاً قصير القامة ذابل العينين

فأخذ يقول وقد اخضلت لحيته البيضاء بالدموع :

إنها لتساوي أضعاف ذلك لأنها تعرف أربع لغات ،

وكانت أنيسى في غيبة زوجتي وأولادى بأتينا ، ولولا

هذه الحرب القائمة لما غرمت على اللحاق بهم ولا

كنت أجد صالة البيوع هاجمة ، يخيل إلى

وأنا أسراً في ماشيتها المتلوية بسبب تكدس محتوياتها

أنها خالية من القائمين عليها . ومديرها منزور في

ركن مظلم وقد أرخاه الكسل وغلبه النعاس ،

وكذلك عماله ، لوقوف حركة البيع والشراء بسبب

دخول فصل الصيف

أما المكان فكان مكتظاً بمختلف المعروضات ،

فهنا أثاث قديم ولكنه من طراز لويس الخامس

عشر أو السادس عشر ، وهناك في بعض الأركان

تماثيل من الجص والطين المحترق والبرنز استوقفتني

من بينها تمثال من الرمر لقادة عربية تنامي جسمها

في الحسن ودقة النسب ، وعلى كتفها دراعة يمتد

طرفها فيغطي أحد نهديها وأعلى نغديها وهي من

نفس الرمر ، ولكنك مع ذلك تكاد تلمح من خلالها

محاسن هذا الجسم الفتان الناعم . وفي مكان آخر

قفص أسلاكه من النحاس به بيضاء لاتنطق ولا

تتحرك كأنها من بعض التماثيل الخ . الخ

ولكن الصالة في ذلك اليوم كانت متوج بالناس

وبأيديهم بيان مطبوع يقفون منه على ما سيتناولوه

المزاد ، وكان المدير وعماله يتنقلون في أرجاء الصالة

سوقد امتلأوا نشاطاً وحركة ، حتى إذا مادنا الموعد

ودق الجرس أخذ الدلال يصيح بصوت عال :



لطيف من السرور والنشوة

وكان يتنازعني عندئذ عاملان قويان اترج فيهما سلطان الفن بسلطان الماطفة ، لأن الطريقة التي اتبعها المصور فيها حديثة يطلقون عليها اسم Impressionisme أي رصد الأثر اللحظي الذي تشعر به النفس . والمصور على أساس هذه الطريقة يقذف بألوانه فوق لوحه قذفا لكي لا يتبدد الأثر الذي تكون النفس قد شعرت به في لحظات تأملها . ولذلك لا تجد نفسك أمام لوحة مستوية مصقولة بل أمام ما يشبه أطواذاً وأغواراً من ألوان متججرة لو أنك مررت عليها بأصابعك لتفرزت نفسك عند لمسها . ولكنك إذا نظرت إليها من بعيد هالك ما يتجلى فيها من جمال الطبيعة الحى تسحرك سحراً وتفتنك فتوناً . على أن نفسى أخذت بعد ذلك تتحدرد في اتجاه آخر وأنا أتساءل عن حقيقة هذين الشخصين : أكانا أخوين ؟ أم كانا زوجين ؟ لأن الذى صورهما شخص واحد ( ج . موستاكيس ) ولما بين الصورتين من الوحدة في الوضع والاتفات والقياس والإطار . كما أن الصالة اشترطت أن لا يتابع إحداهما دون الأخرى؛ ثم إنى لمحت فوق جمال المرأة وسوها البادين من خلال شيخوختها وفوق ما يشه وجه الرجل من دلائل القوة والنبيل أنه يحمل معطفاً من معاطف الجندية لا يرتديه إلا ذو مقام فيها . وعندئذ يذهب خاطري إلى أنهما كرميا المنبت ، وكانا في بسطة من العيش فلما كثر لهما الحظ سلكا سبيل ذلك نفر الذى يقره البؤس وتقنيه الشيخوخة بما تحمل معها من أجسام مترهلة ووجوه مضطربة مما يسعى إليه الفنانون في دراساتهم ، ولذلك دفعت بهما الحاجة إلى الوقوف أمامهم كإدراج

اضطورت إلى التفريط في هذا الطير الذى يحبني وأعبده . ثم يعود إلى البكاء

أما في هذه المرة فقد كان المروض صورتين زيتيتين لرأسى رجل وأمرأة طاعنين في السن ، وما كانت مساحة كل منهما تتجاوز عشرين سنتيمتراً في عشرة

أخذ النادى يصيح : الثمن الأسامى جنينان لكل صورة . والمزاد عليهما معاً . ولكن الناس أعرضوا عنهما مع ما كانتا عليه من دقة الصنع وروعة الفن ، وأخيراً أعادها إلى حيث كانتا وأخذ في إشهار المزاد عن معروضات أخرى

لقد كانت هاتان الصورتان آيتين من آيات الفن الحديث ومع ذلك غفل الناس عن التفكير في اقتنائهما وما كان المزاد ليرسو فيهما بأكثر من بضعة جنيهات ولكنهم أحجموا ولهم العذر ، وما كانت النفوس في مصر قد استمدت وقتئذ لفهم مثل هذه الآثار وتقديرها والشفف بها ؛ ولو أننى كنت في ذلك اليوم أملك أكثر من جنيهين كانا كل ما ميلى لترددت لحظة في الظفر بهما لأننى بالرغم من اشتغالي بالهاماة كنت أيضاً مولماً بالتصوير أتانى فيه درساً على الرحوم ياولو فورشيلا أستاذ مدرسة الفنون الجميلة . بل إننى كنت أيضاً أكثر من الاطلاع على بعض مجالات هذا الفن وعلى بضعة من الكتب الموضوعة فيه ومنها أجرومية شارل بلان التى هى بالنسبة للفنون الجميلة أشبه بمقدمة ابن خلدون بالنسبة لتاريخ العمران ، ولذلك كانت نفسى مهيأة إلى حد ما لإدراك ماهاتين الصورتين من القيمة الفنية حتى أننى بعد أن أعادها النادى إلى مكانهما لبثت أنظر إليهما في خشوع وأنا يفمرنى سبال

وينتصر لها ولذلك أخذت تبيع نفسها هذه المرة لتضع كبريائي وجهي الصفحة الأخيرة . ولكن كم كانت دهشتها حين رآته على غير رأيتها لوأن مادفته ليس بالكثير في جانب هذه اللوحة القيمة . وعند ذلك خيل إليها أنه إنما يمزح أو أنه مثل مجنون ؛ ثم أرادت أن تثبت أمره فقالت له : إذن خذها باليمن الذي دفعه زوجي فيها فقال : بل إنني أدفع فيها عشرين جنباً لو أنه يرضى . أما أنا فرفضت ، وأما هي فخرجت مضطربة .

والواقع أنني ما كنت لأقبل فيها ثمناً ما مهما كان مع أنها ما كانت إلا قطعة بسيطة من القماش في إطار قديم لاتساوى معه بضعة قروش . ولكن القيمة في الفن التي كساها ، واليد الموهوبة الماهرة التي أخرجه عليها . والفنان ، الذي وهو يصور نموذجيه ، تجرد عن كل شيء إلا عن التفكير فهما فامترجت نفسه بنفسهما حتى لتلمس في هذه الخرفة البالية وفي أختها خفقات قلبه ، وحرارة أنفاسه ، وهيامه بفنه ، وتلاشيه فيه . فاهي إلا وحى أرسلته خواطره ، وأبدعته ألوانه الخاضعة وأصابه الحياة . وإنذن فكيف أفرط فيها ولا أكون ضئيلاً كل الضن بها ؟ إن البخل ليكثر الدينار للهيه ، ولكن الفنان أو المولع بالفن يحتفظ به للنقش البديع الذي على وجهيه . وقد يكون هذا النقش على قطعة من الحديد لا تساوى شيئاً ولكنه لا يزل عنها ولو عُوض فيها سبيكة من الذهب الخالص .

كنت سعيداً كل السعادة بهذه الصورة لا أخرج إلا إذا عرجت على غرفة مكتبي لأملأ عيني منها ولا أعود حتى أسرع نحوها لأطمئن عليها . أما زوجتي فما عادت تكلمني في شأنها ولكن أثر

وكثيراً ما كنت أصر على تلك الصلاة فأجد الصورتين في مكانهما وأساوم صاحبهما فهما أو في أحدهما فيأتي ، وأخيراً قبل أن يأخذ في واحدة منهما ثلاثة جنبات ، فاخترت المرأة وحملها إلى منزلي وأنا أشعر بأنني أعمل كثرأ .

كنت في ذلك اليوم أشعر بالسعادة تهبط على من جميع النواحي وأحس وأنا أعلقها على أحد جدران مكتبي بحيث تقع عيني دائماً عليها أنني ظفرت بأسمى تحفة من تحف الفن . نعم إن زوجتي حين أبصرتها كادت تستلقي على ظهرها من الضحك ، وهي تدهش لأنني قد دفعت فيها ذلك الثمن مع أنها لاتساوى في نظرها قرشاً . ولكنني كنت في شغل عنها بما يفوق به ذلك الوجه الغبير وتلك البشرة المتجمدة من عيبز الجلال والإبداع مما زاد في ثورتها ، فجمت حولي أولادها وهي تقول : أنظروا ماذا جاء به أبوك اليوم ! ومن الغريب أنه كثير الإعجاب بها ويقول لها من أجل الصور التي رآها ! وعند ذلك ينفجرون بالضحك ويصيحون : إيه إيه ! دى جميلة ، دى زي ستنا المعجزة اللي ماتت . مش كده ياماما . وعند ذلك تشمخ بأنفها كأنها قد تم لها الانتصار على وأنا في نفسي أشحك عليها وعلى هذا الجهل الذي غمرها حتى طاب لها الاستنجاد بهؤلاء الصغار .

وباليتها ! اكتفت بذلك فقد أخذت تروي قصتي هذه لكل من يجتمع بين من السيدات سواء في دارنا أو في دورهن في أيام زيارتها لمن حتى غلم من يعرفونا يجبر تلك الصورة وحتى أقبل أحدهم ليזורني وليرى بيمينه ذلك الأثر الذي أقام كل هذه الضحكة ، وكانت زوجتي حاضرة مجلسنا وهي تحدث نفسها بأن هذا الزائر سوف ينصفها

الدار حتى ناولنى خادى كتاباً قال إن رجلاً تركه  
وسيعود

سيدى المحترم

لم يسبق لي أن حظيت بمعرفتك . ولكن سرّاً  
ألياً هو الذى جعلنى أقصدك وأطمع في عونك  
وأنت محام تنصر الحق ويفيض قلبك بالرحمة . في  
سنة ١٨٩٨ كنت أنهباً لامتحان السنة النهائية  
للفنون الجميلة بمدرسة أتنيا . وكان من بين اللوحات  
التي يجب أن أقدم بها صورتان لشخصين مما يعبر  
عنه بالمحاولة ( Etude ) فرأيت أن تكونا صورتى  
أبى وأبى الشيخين . ولما نجحت حجزوا تلك اللوحات  
إلا صورتيهما فقد احتفظت بهما لمزنتهما على . ولما  
قامت الحرب العالمية الأخيرة وقف عملى وضاعت  
يدى فاضطرت إلى بيعهما وأنا أبكى . ولكنى  
وقد تنبأ لى سبيل العمل رأيت من الواجب أن  
أستعيد هذين الأثرين الذين أفرغت فيهما مواهبى  
وحبى . وقد عثرت على إحداها أسس فقط بأحدى  
صالات البيع وعلمت أن الأخرى عندك . . . فهل  
تحول بينها وبينى ؟ إنها أسمى . . .

ج . موستانا كيس

وما كدت أنتهى من تلاوة هذا الكتاب حتى  
سرى عنى وخف عبء الهمة الذى كان يضغط على  
صدرى ؛ وكان الرجل قد أقبل فسبقته إلى غرفة  
مكتبى وأخذت الصورة من مكانها وأنا أقول لها  
فى نفسى : هاأنذا أبر بوعدى فأردك لا إلى زوجك  
فحسب ، بل إلى حظيرة ولدك أيضاً . ثم ناولته إياها  
فشكرنى بلسان مضطرب ثم طبع على خدى قبلة  
شعرت أنها هى التى طبعتها .

محمود مبرمت

( القاهرة )

الحزن كان بادياً على وجهها وعلى حركاتها . ولعلها  
الفيرة التى أحدثت ذلك والنساء يغرن حتى من  
صورة ، وحتى من صورة لامرأة عجوز

على أن هذه السعادة لم تدم طويلاً . فلقد كنت  
ذات ليلة مستغرقاً فى النظر إليها فانتقل خاطرى فجأة  
إلى صالة البيوع وإلى الصورة الأخرى التى بها .  
وعند ذلك غمرنى حزن خفى وشملى ذهول مشوش  
وخيل لى أن الصورتين إن هما إلا لروحان قربت بينهما  
تلك الصالة فكأنتا سميدتين بهذا القرب ، أما وقد  
فرقت بينهما فقد هدمت بعملى هذا تلك السعادة .  
وعند ذلك رفعت بصرى إليها فهالنى ما صورته لى  
وهى وكأن الحزن ريج الإططار رجاً ويهز الصورة  
التي بين أعواده هزاً عنيفاً ، كما خيل لى أن شعرها  
الستجائى تحول إلى بياض ناعم ، وأن السطور  
الأربعة التى ارتسمت على جبينها أصبحت مضاعفة  
وأن تينك العينين الداليتين اللتين كان يشع منهما  
النور واللطف والسكون أصبحتا أكثر ذوبلاً ،  
وأنبثق منهما شعاعان ضعيفان يحملان فى ذراتهما  
كل معانى الظلمة والأسى والاضطراب . وعند ذلك  
اتجه خاطرى إلى صورة ذلك الجندى الحبيس فى  
ظلام تلك الصالة ، فكاد يغمى على لما صار إليه وقد  
فعل فيه البعد ما فعل بأخته أو زوجه ، حتى أننى لما  
أصبح الصباح عقدت العزم على اقتناء تلك الصورة  
وأنا أقول لأختها فى نفسى : إن تحزننى فسيكون لى  
جانبك بيد قليل ، ولكن صاحب الصالة أفهمنى أنها  
بيعت من يوم ، وأنه لا يعرف أين يقيم ذلك الذى  
اشتراها . فعدت ، وقد توارت خواطرى وبططوت  
خطواتى وثقل همى ، ولكنى ما كدت أجتاز عتبة

# الشَّعْلَبُ الْفَضِيُّ

لِلْقَصَصِيَّةِ الْأَلْمَانِيَّةِ فَيْكِي باوم  
بقلم الأديب إجمد فتحي مرسى

الخفق، عميق الوجيب،  
ملء شفافه أمل التحلي  
بذلك الفراء الجليل...  
وكانت تدعوه في  
أحلامها «ثعلبي الفضى»  
وفي كل صباح من  
أصبح العمل في الساعة  
التاسعة والدقيقة الثالثة

تأتي مايل على ثعلبها نظرة  
التزور والوداع ثم تنطلق  
في سبيلها إلى محل عملها  
في شركة «بارسون»  
ماتون «حتى تصل إليه  
قبل وصول «السيدة  
بلاكني» مساعده المدير...  
وتهرول مايل في طريقها  
حتى تصل إليه أخيراً  
واهية لهي وقد أعياها  
السهر، وجهدها العجلة..  
ولكنها تجد نفسها — على  
الرغم من ذلك — وصلت  
مستأنية متأخرة عن موعد  
وصول السيدة بلاكني

التي تسارقها النظر الشرر خلال ساعات العمل...  
ومايل — إلى جانب ما تقدم — عادة في ربيعها  
العشرين جميلة القصبات... ولكن هذا لا يكفي...  
فهناك جوع زاخرة من الفتيات قد تمحشدن في  
الطرق وكاهن جيالات رائبات... فما الذي مازها  
منهن؟ نعم! لقد مازها منهن لوز عينيها وشعرها...  
(٧)



ربما كان في طوق  
«مايل» أن تحصل على  
الثعلب الفضى لو تسلفت  
النظر قليلاً إلى الأمام قبل  
أن ينبت لها خرس العقل  
الذي بذلت في سبيله كل  
ما فيدها...

وكان الثعلب الفضى  
معروضاً في واجهة أحد  
محال الفراء في شارع  
واردر، وكان من عادة  
مايل أن تتلبث أمامه  
برهة من كل صباح،  
تسبح البصر في أطرافه  
وأعطافه، وقلبها عجلان

ولفت فيكي باوم في فينا في ٢٤ إبريل سنة ١٨٨٨  
وكانت في مبدأ حياتها تعزف على الود Harp في أحد  
مسارح فينا... وكان للموسيقى ولصحتها الوثيقة بالمرح  
أثر بين في حياتها القصصية حتى يرى مقتصص أثرها الأدبي  
أن معظم أعمالها الأدبية التي سبقت قصتها «الفندق الكبير»  
تصف الحياة المسرحية وصفاً دقيقاً رائعاً... وقد بلغت  
أوج مجدها الأدبي بعد قصة «الفندق الكبير». وهي تعد  
الآن من أكبر كتابات القصة في العصر الحديث «فتحي»

وفي ذات صباح من أصباح الخريف الضاحية أقبلت السيدة بلا كني تَرْفُ في خطرتها، وقد تطوق عنقها بثلج فضي جميل كان هدية المدير إليها في عيد ميلادها الخمسين .

وكان هذا هو اليوم الذي قرّ فيه عزم مايل على شراء ثعلبها الفضي الذي عقدت أسبابها به هذه الشهور الطويلة ... فبدأت تقتصد في مالها

وأخذت مايل تقضي أمسياتها في التزل عازقة عما خلاه وقد ارتسمت في مقتلها صورة السيدة بلا كني وقد التمع فراؤها الفضي على كتفيها وتوهجت عيناه الدقيقتان من بين طوايا الشعر الغزير وما أكلت مايل اثني عشر جنبها حتى دهاها مادهاها من زرس العقل ... وأنت أعلم بما ينتاب الانسان في مثل هذه الحال ... يتولاه الألم، ثم يرح به، ثم لا يستطيع مضيقاً ولا حركة، ثم يفحصه الطبيب، ثم يستريه يوماً ثانياً ثم يوماً ثالثاً، ثم ينتهي الأمر بنخلع الضرس . ثم يعطيه الطبيب بطاقة صغيرة عليها الأجر .

إلى هنا لم يبق مع مايل إلا سبعة جنبها، نفلت إلى نفسها جزيئة يائسة ... وأقبلت عليها صديقتها ليليان . تسرى وترفه عنها ... وكانت ليليان فتاة في مثل سن مايل تعمل في أحد محال التجميل، وكانت على النقيض من مايل فتاة فارعة جميلة مرحلة — من هؤلاء الفتيات الباسحات اللاتي يجتذبن قلوب الرجال من النظرة الأولى — وكان جمالها يقوم على التشنع والتطرية إلى حد ما ... فوجه ناصع البياض، وأظفار شديدة الحمرة، وشعر مُنسَّق مُصَفَّق ... الخ ...

ولعل من العجيب أن تجمع الصداقة بين هاتين

فإنك إذا ما تثبتت إليها الطرف راكمتها التواء شعرها الجلل وعينها الصافيتين عند لون واحد هو اللون البني الضارب إلى الذهب هذا عن مايل ...

أما عن ثعلبها الفضي ... فقد كان لين الحاشية كمخمل الديباج، ناصع اللون كروائع الشيب، وله من الفضة وهجتها والتماها، وكان عندما رائته مايل للمرة الأولى — متوسطاً للواجهة وقد نقش عليه منه « أربعون جنباً » ثم عصفت به عواصف السوق فالتبذت به أحد أركان الواجهة وقد نقش عليه « ثلاثة وثلاثون » جنباً

وظل الثعلب مرقوماً بذلك الثمن ثلاثة شهور دون أن يتقدم أحد لاشترائه ... ثم تخفّض فجأة إلى « ثلاثين جنباً » ثم أقبلت طلائع الصيف فهبط إلى عشرين ... وأصبحت فرصة ثمينة لمن ينهزها .

ورأته مايل فكأنما تنزل عليها الفراء من السماء ... إن عشرين جنباً مبلغ ليس بالهين ولكنه أيضاً ليس ممتنعاً عليها كل الامتناع ... ومضت تقاول نفسها وقد استبدت بها جنون الحصول عليه، وخيل لها أن كل ماحوالها من النساء حاليات المعطف بالفراء وهي وحدها العاطلة

فها هنا قربنا أصحاب الشركة الثلاث تبادلاً على أعطافهن الثعالب الفضية وتوشى حل الخريف المنفضرة ... وها هنا زائرات الشركة تنوس على أكتافهن ذبول الثعالب وتتثنى في هيئة ورفق ... وها هنا ثلاث عاملات من زميلاتنا يتخطرن في ندال وقد ترين بالفراء الجليل ... نعم ... إن ثعالبهن صغيرة وقصيرة ولكنها ثعالب فضية أيضاً ...

فتبلمقته وعادت إلى ماييل قائلة :

— لو استطعنا أن نشارك معاً في شرائه ؟

وسقطت هذه الكلمات العذبة الطلة على قلب ماييل سقوط الندى على الزهر فندت أطرافه ، وأثلجت شغافه ... فقالت مرهدة :

— لو استطعنا أن نشارك معاً في شرائه ؟  
ولكن لمن يكون الثعلب ؟

— لنا على السواء

وطربت ماييل لهذه الفكرة وصحبت ليليان فاشترتا الثعلب القضى ... وأصبح ملكهما على السواء ... تطوَّق به ماييل اليوم ... وتأخذه ليليان غداً ... ثم ماييل بعد غد ... وهكذا ...

والواقع أن ليليان كانت سخية من جانبها عازفة بعض الشيء عن الثعلب ... فكثيراً ما كانت تلمسه منها ماييل في غير وقتها فلا تمنع قائلة ...

— خذيه يا عزيزتى ... فسأرتدي اليوم قرأى الأخضر .

\*\*\*

ولبت هذا النظام معمولاً به بينهما في رقة من الجانبين ، وصفاً القليلين من اليوم السادس عشر من نوفمبر عند ما ابتاعتا الثعلب إلى ذلك الاثنين من إبريل عند ما ظهر الرجل في القصة

ففي صباح يوم من إبريل ربح النسيم ، أقبلت سيارة رمادية أنيقة إلى « صالون السيدة هيلين » للتجميل وبهبط منها شاب يرمي شطر المديرة وسألها عن السيدة هاريس ... وأرسلت المديرة ليليان للسؤال عنها داخل الصالون ، وبعد بزهة أقبلت ليليان تقول : إن العاملة تقوم لها بعملية تجميع الشعر

الفتاتين على ما فيهما من تباين الأهواء والمنازع ... ولكن لا عجب في ذلك فقد جمعهما منزل واحد وألفهما سن واحدة ، وضمهما أجر متقارب ... فكانت ماييل تشغل جانباً من قلب ليليان ، وكانت ليليان تشغل جانباً من قلب ماييل ... قالت ليليان : — يجب عليك أن تحصلي على المال من طريق غير الاقتصاد .

— فهل تسمحين يا عزيزتى أن تصنى لي الطريق إلى ذلك ؟

— إنني مقدمة على شراء ورقة نصيب ... فهلا تقاسمتاها .

وكانت ليليان طموحة مفاخرة في أمثال هذه النواحي وكثيراً ما كان يواتها الجد فترج ... فقأجبت ماييل :

— إذا كان الأمر كذلك فسأبتاع بدورى ورقة أخرى .

ولا مجال الحديث أقول إنهما ابتاعتا ورقتين ربحت إحداها اثني عشر جنيهًا .

وقد يبدو لأول وهلة أن ماييل غمرها الفرح بالربح ولكنها كانت على النقيض من ذلك حزينة يائسة لأن نصيبها لا يقوم بابتلاع الثعلب القضى ... فقالت ليليان :

خفضي عليك يا عزيزتى ... إنني أخشى عليك أن تمسك مواس الجنون من جراء ذلك الثعلب اللعين .

— إنني أود أن تراه أولاً يا ليليان

وانصاعت « ليليان » للرجاء وذهبت — في طريقها إلى محل عملها — فألقت عليه نظرة خاطفة

ولها ربما تستغرق نصف ساعة ... فقال الشاب  
في خفوت :

— سأعود ثانية

وقبل أن تضم ليليان شفتيها بمد تلك البسمة  
التي شيعته بها اخفى الشاب وسيارته ... وعاد  
الشاب بعد ثلث ساعة وجلس ينتظر مع ليليان التي  
علمت منه أن السيدة هاريس ليست زوجته وليست  
أخته وإنما هي والدته وأنه يسكن معها في «توينبريدج»  
وأنه يشغل مهندساً في المدينة .

وكان جيمس شاباً رقيق الشاب لدن المعاطف  
فارغ القامة لطيف الدخول ، لا يستطيع أحد أن  
يفرق بينه وبين بسمته اللطيفة الواحدة ...

وانتهت السيدة هاريس من عملية التوجيه ،  
وخرجت تمبق أردانها بالأنسام العاطرة ، وشعرها  
الرمادي مموج ، مصفف ، مطر ، وصحبت ولدها  
إلى السيارة فانطلقت بهما إلى «لوينبريدج» ...  
ولم ينس جيمس هذه المرة أن يشيع ليليان باتسامة  
عذبة جميلة ...

\*\*\*

وعادت السيارة الرمادية إلى الصالون مرة أخرى  
خلال ذلك الأسبوع ثم مرة ثانية ثم ثالثة ... ثم  
كانت صداقة بين جيمس وليليان ... ودعاها جيمس  
بعد ذلك للعشاء معه ... وطربت ليليان لهذه الدعوى  
وقبل أن تتخطج شفتاها بالقبول ذكرت ماييل فقالت :  
— بكل سرور ... إذا أمكنني أن أصطحب  
صديقة لي

وقبل جيمس ذلك فرحاً ... ثم قال في ابتسام :  
ولكن متى يكون ذلك ...

السبت ؟

ولكنه كان يقضي السبت والأحد دائماً في  
«توينبريدج» مع والدته ... فقال :

— وماذا عن «الاثنين» ؟

— الاثنين ؟ ... حسن ... إلى اللقاء

وكان ذلك يوم الخميس ... وكان يوم ماييل  
للتحلي بالثعلب وستأخذه منها ليليان صباح الجمعة ،  
ثم ماييل السبت ، ثم ليليان الأحد ، ثم ... آه إنه  
لماييل يوم الاثنين

وفي صباح الأحد دخلت ليليان على ماييل في  
مطرفها الياباني الموشى :

— أأنت في حاجة اليوم إلى الفراء يا عزيزتي ؟

— كلا ... فلن أعادر الغرفة اليوم

وفي المساء قبيل موعد النوم بقليل أقبلت  
ليليان تقول لماييل في بسمه جميلة :

— آه ... لقد نسيت أننا مدعوتان للعشاء غداً

— مدعوتان ؟ ... ولكن من دعانا ؟

— جيمس

— ومن جيمس هذا ؟

— سترينه ... شاب لطيف

— ولكن كيف يدعوني جيمس هذا وأنا ...  
فقاطعتها باسمه :

— رأيت من الأفضل أن نذهب معاً

— أيجبك هذا الشاب ؟ ...

— بلوح لي ذلك

— وأنت ؟ أيجيبته ؟

— ربما ... قالتها في ضحكة عالية مرنة

— ولكنك حشيتي يا عزيزتي ... من هو ذلك

وصمتت ماييل وأخذت طريقها إلى الحمام فأوصدت خلفها الباب ثم نظرت في المرأة ، وقد تكفأ لونها ، واستندت عيناها من التأثير ...

وأقبل جيمس أخيراً وكانت ماييل تلوح في ثوبها البسيط جميلة رائعة ، وقد نبت الذموع وجنتها ووردت طرف أنفها ... أما ليليان فكانت ترتدي ثوباً أجبر مزينة بالريش ، وعلى كتفها الأيسر يتوس الثعلب الفضي ، وعلى الأيمن طاقة صغيرة من الزهور وعلى جديها سمط منضد من اللؤلؤ ... وركبوا جميعاً السيارة ، فبعق جوها بأعطار ليليان ... وانطلقت في طريقها إلى المطعم حيث كان جيمس ينتظر قدوم صديق له فاختار منضدة قريبة من المدخل حتى يلحظ قدومه ...

ورأت ليليان أن تمر بجمع حفيل كهذا دون أن تلفت لحاظ من حولها ... وبهزة خفية من كتفها سقط الثعلب الفضي على الأرض فتثنى جيمس والنقطة ثم انهض واقفاً وأعادته إلى كتفها وهو حاق مغنيط ، فقد كان لا يجب أن يلت إليه الأنظار ... وجلست ليليان تتحدث وتحدث وتسهب وتستفيض ومايل معقودة اللسان صامته ... وأخذ جيمس اللال من الحديث ، فطلق يسارق ماييل النظر ... ونظر جيمس فإذا يدها على المنضدة ... فجعل يقارن بين هذه الكف الطلية الأطفار التي يفوح من أعملها المطر ... وبين هذه الكف الرخصة ، الرقيقة الأمل ، الوردية الأطفار دون طلاء ...

وجأة ... ودون أن يدرك جيمس حقيقة ما يفعل رفع تلك الكف الجميلة إلى فمه وطبع عليها

الشاب ؟ ... أهو جميل ؟ ... وماذا يعمل ؟ ... وأين نقاله ؟ ... وأي ثوب ارتدى ؟ وأغرقتها ماييل في فيض من هذه الأسئلة ... فأجابها ليليان :

— ستين ... إنه سيمر علينا غداً في سيارته عمي مساء يا عزيزتي وخرجت ليليان تتخطر في مشيتها بعد أن حملت الثعلب الفضي ... ولم تظن ماييل أول الأمر إلى ذلك ، ولكنها ذكرت أخيراً أن يوم الاثنين من نصيبها ... وفي مساء الاثنين بين السادسة والسابعة والنصف هبت العاصفة ، وأبتدأ الشجار ... إذ نهبت ماييل ليليان إلى أن الثعلب من نصيبها ذلك اليوم ... ولكن ليليان أصرت على أنه من نصيبها هي الأخرى وقالت :

— إنني لم أتطوق به البارحة — هذا لا يعنيني ... ولكنه كان يومك. فقالت ليليان محتمدة : — لقد دفعت نصف عنقه ... أو لم أفعل ؟ .. ولم أستعمله إلا زهاء ربع المدة ، لقد كنت سخية فيه معك أكثر مما ينبغي وزت هذه الكلمات على ماييل كالسم الودجي ، حقاً لقد كان معها الثعلب أكثر المدة ... فقالت في استخذاء :

— ولكن كيف أحبك ؟ وليس لدى إلا ثوبي الأزرق القديم .. ؟ أما أنت فلديك الكثير ويمكنك أن ترتدي ثوبك الأخضر الجديد ولكن ليليان لم تعرفها الثقات ... وطفقت تنزير أمام المرأة



دعاهها جيمس لزيارته في « تونبريدج » لترى والدته فأجابت بالموافقة .

والظاهر أن السيارة الرمادية الجميلة جالت عدة جولات قبل وصولها إلى المنزل ... لأن ماييل وجدت ليليان قد وصلت قبلها وأوصدت عليها باب غرفتها ... ..

من يعلم ؟ ... ربما لو أزيغت ماييل تلك الليلة وتطلوكت بالثعلب الفضي لتبدل الموقف وصار غير ماهو عليه الآن ... ونظرت ماييل .. فاذا الثعلب الفضي ملق على سريره ينظر إليها بعينه الوهاجتين في دهاء ومكر ... كما لو كان حياً .

فهي

« اسكندرية »

## في أصول الأدب

للوستاذ احمد حسن الزيات

كتاب جديد فريد في نوعه . يشتمل على أبحاث تحليلية طريفة في الأدب العربي وتاريخه . منها تاريخ الأدب وحظ العرب منه . العوامل المؤثرة في الأدب . أثر الحضارة العربية في العلم والعالم . تاريخ حياة ألف ليلة وليلة وهو أوفى بحث كتب في هذا الموضوع إلى اليوم . ثم قواعد تفصيلية للرواية التمثيلية الخ الخ ...

يطلب من إدارة مجلة الرسالة

ومثمه ١٢ قرشا

قبل هادئة ... ثم أعادها إلى ماييل كما لو كان يعيد شيئاً ثميناً يخشى عليه التلف

\*\*\*

وأقبل صديق جيمس أخيراً وهو شاب في مقتبل العمر ، وعندما قدم جيمس إليه صديقيته تبذرت له ثلاثة أمور جديدة ، أولها أن اسم ماييل ينتهي بكلمة « سوتون » . وثانيها أنه يذكر ذلك الاسم منذ أيام دراسته في « اكسفورد » وهو اسم صديق له يدعى « ريتشارد سوتون » . وثالثها أن صديقه ريتشارد سوتون أخو صديقه ماييل سوتون ...

وجلس جيمس يفكر في تلك الفتاة الصغيرة الجميلة التي تجالده الحياة وتستدفع الفقر يديها ليتربى أخوها الأكبر في « اكسفورد » ... إنه ليعمل جليل حقاً ... وإن مثل تلك الفتاة لجديرة بالاكبار والاحلال ...

وعزفت الموسيقى وبدأ الرقص ، فرقص جيمس مع ماييل أولاً ثم مع ليليان ، ثم مع ماييل ثانياً ... ثم جلسوا جميعاً ، وجلس ليليان ترسل النكات الفارغة الواحدة تلو الأخرى ... وجلست ماييل تجاه جيمس بوجهها الباسم الحالم ، وعيناها وشعرها تفيض ذهباً ... ..

ورتب جيمس الأمور على أن يصحب صديقه ليليان إلى المنزل ، وأن يصطحب هو ماييل في سيارته على أن تتولى القيادة ذراعاه اليمنى ، لأن الذراع اليسرى لا يمكنها أن تفاد تلك المعاطف اللدنة وقبل أن تهبط ماييل من السيارة أمام المنزل

عندها ؟ ولعل لديك الآن أسباباً أجعلها تدفع بك إلى الاستسلام عنه ، أما أنا فكل ما بوسى أن أقول عن هذا الرجل هو أنه كريم المحند ومن أهل الصلاح والبر ، وقد كان مثلك يا سيدي يزور مدام ييارسون بلا كلفة وهو صاحب أملاك واسعة ومضياف في بيته ، وكان مثلك يعزف أجمل القطع الموسيقية عندها وما أعلم أنه قصر في شيء من واجباته في سبيل الإحسان ، فقد كان أثناء وجوده في هذه البلاد يرافق مدام ييارسون في رحلاتها كما ترافقها أنت يا سيدي ، ولأسرة هذا السيد سمعة طيبة في باريس ؛ وكنت كل مرة أزور فيها مدام ييارسون أصادفه عندها ، والمعروف عنه أنه حسن السيرة والأخلاق

وما أعنى بالصدافة التي ذكرتها إلا الصداقة الشريفة اللاتقة بأمثال هذا الرجل . وأظن أنه لا يأتي إلى هذه الأرجاء إلا للصيد . وقد كان صديقاً لزوج الأرملة ، ويقال إن دالانس ذو ثروة كبيرة وأنه جد كريم ، أما أنا فأكاد لا أعرفه إلا بما سمعت عنه .

يمثل هذه العبارات المشوشة كان هذا الجلاد الثقيل يجهز على . ونظرت إليه وهو يتكلم . وقد استولى الخجل على فها قدرت أن أوجه إليه أي سؤال كما عجزت عن وضع حد لثرثرته فذهب في أقواله ، وقد أوردت مثالا منها ، إلى أبعد حد من النجاسة والاعتياب دافعاً بنصلي التمرج إلى قلبي حتى إذا اخترقته إلى أقصاه تولى عني ، فها تمكنت من إمساكه ، فذهب وكأنه لم يقل لي شيئا .

وبقيت وحدي على طريق المنزه أقرب الظلام ينسدل على تلك الأرجاء وأنا أتردد بين عاطفي الغضب والأسى إذ لم يكن بوسى أن أعتقد في ضلال هذه الثقة العمياء التي استسلمت لها في حني لبريحيات فذقت منها مثل هذه اللذة الصافية ، وكنت أرى في



## من أعماق النفوس

لألفريد دي موسيه  
بقلم الأستاذ فليكس فانس

### الجزء الرابع الفصل الأول

وما تمكنت أن أعرف يوماً حقيقة خلق مراكسون وفطرته من المراوعة أو السذاجة ، غير أنني ما ارتبت قط في أنه يضمير لي البغضاء ويعمل على نكايي ماوسمه . أما مدام ييارسون فكانت تليل هذا الرجل قسطاً مما تبذل من مودة لعمه الكاهن وهو جدير بالاحترام . وتملك مراكسون شيء من التروير لالتفات مدام ييارسون إليه فأصبح غيوراً ، وبعض الناس لا يملكون أنفسهم من الالتفات للكلمة عطف أو لابتسامه تبذل لهم من شفة تقتر عن نور الجلال

ما طرحت أول سؤال على مراكسون حتى بذث عليه من دلائل الدهشة ما بدا على خادى لازيف وما كنت أنا أقل اندهاشاً منهما مما أفعل ، ولكن من من الناس يدرك ما في أغوار نفسه ؟ ... وعرفت من أول جواب أوردته مراكسون أنه نفذ إلى قصدي وقرر ألا يرضيني إذ قال :

— أنت تعرف مدام ييارسون منذ زمن طويل وتروورها بلا كلفة فكيف لم تصادف السيود دالانس

ولا ريب قد علقت في شرك غاوية وأنا مغمض  
العينين أحسب أن في قلبها حباً وهياماً . فما على أن  
أفعل الآن وليس أمامي سوى هذا الكاهن الذي  
يتذرع بالابهام تجاهي وإذا أنا لجأت إلى عمه فلا  
بد أن يكون أشد تكهما منه ؟

من سينقذني من هذه الورطة ؟ من سيمزق  
ستار الريب فتتجلي الحقيقة لعيني ؟

بهذا كانت تخاطبني غبري ، فتسبني كل ماذرفت  
من دموع وما تحملت من أوصاب ، فأصبحت وما  
مر يومان بعد على استسلام بريجيت لي اضطرب  
لتوصلي إلى التمتع بها وما كنت في هذا إلا كسائر  
التشككين ، أضرب صفحاً عن العواطف والأفكار  
لأصارع الوقائع نفسها مقدماً على تشریح من أهوى  
كأنها جثة لا روح فيها

وكانت تجول هذه الأفكار في دماغي ورجلاي  
تقوداني إلى مسكن بريجيت ، ولما اجتزت الحاجز  
الحديدي لاح لي نور من نافذة المطبخ وخطر لي  
أن أستجوب الخادمة فأجهت نحوها وأنا أتلس  
بعض القطع الفضية في جيبى ، غير أنني ماوصلت  
إلى العتبة حتى وقفت واجماً . وكانت هذه الخادمة  
امرأة مسنة ناحلة حفر العمر في وجهها أثلاماً  
وأصبح ظهرها مقوساً لغرط ما المنحني ، ونظرت إليها  
فاذا هي تعمل في غسل الأواني على مصب قدر وفي  
يدها شمة ترتجف أشعثها وحولها أوعية الطبخ  
والصحنون وبقايا طعام يحدج كلب دخل ورأي  
متجسماً خجولاً . وكانت تفوح من الجدران  
الرطبة رائحة تمفن تملأ المكان ، وما لحت الخادمة  
وجودي حتى ابتسمت إبتسامة معنوية لأنها كانت  
رأفتي منسلاً من غرفة مملتها عند الفجر ، فارتمشت

اندفاً نحو هذه المحبوبة اندفاعاً شلت مقاومتي  
أمامه دليلاً كافياً على أنها أهل لتعلق بها ، لذلك  
كان يصعب على التصديق بأن هذه الأشهر الأربعة  
الطالفة بالعادة لم تكن إلا أحلاماً

وتساءلت فجأة في سريري عما إذا كانت هذه  
المرأة مخلصه عند مظهرت في مظهر التمتع في حين  
أما استسلمت بعد ذلك بسرعة وقد كفت كلة  
واحدة لتبديد مقاومتها . ولاح لي أن من شغلتي  
لم تكن إلا واحدة من نبات الدلال المغريات أو أن  
الدلال وسيلة كل امرأة تريد أن تتبع غريزة  
الدفاع أسوة بكل أنثى

أما باحت بريجيت بغرامها من تلقاء نفسها في  
حين اعتقدت أنها أفلتت إلى الأبد من يدي ؟  
أما رضيت في أول يوم عرفتها فيه أن تستند  
إلى ذراعي قبل أن تعرف من أنا بشيء من الخفة  
كان على أن أتنبه له لتنبه ربيتي

إذا كان هذا الدعو دالانس قد توصل إلى  
امتلاكها فالأرجح أنه لم يزل يتمتع بها حتى الآن ،  
فان من هذه العلاقات مالا بداية لها ولا انتهاء في  
المجتمع ، فإذا ما التقي عاشقان قديمان استسلما لما  
تموداه ، وإذا افترقا نسي أحدهما الآخر  
إذا كان هذا الرجل يأتي إلى هذه الأرجاء في  
كل موسم صيف فأنها ستجتمع به عند قدميه وقد  
لا تقطع علاقتها بي

من هي عمه هذه المرأة ياترى ؟ وما معنى هذه  
الحياة السرية المستترة وراء أعمال البر والاحسان ؟  
ألا تكون هذه المرأة وعمتها من مشعوذات  
المجتمع تتوسلان إلى اكتساب المقام السامى بهذا  
البيت الصغير والتظاهر بالدعابة والحكمة ؟ إنني

ومشت أمانى إلى الغرفة وجلست على مقعد لا تصل إليه أشعة القمر، وكنت أنا أشعر بشدة ما ألقيت من كلمات وقد امتلأ فؤادى مرارة من معانيها القاسية .

وذعر الطفل فبدأ ينادى بريجيت وينظر إليها من بعيد بعين ملؤها الحزن، وما لبث حتى سكبت عن مناغاه واستغرق في النوم على مقعده، وهكذا حكمنا الصمت نحن الثلاثة وممرت غمامة على القمر حجبت أبوابه .

وبعد هنية دخلت خادمة تحمل مصباحاً لتأخذ الطفل من مرقده، فوقفت وبريجيت في آن واحد ورأيتها تربط على قلبها راحتها وتوهي إلى الأرض أمام السرير فهرعت إليها مدهوراً وكانت لم تزل محتفظة بوعيا فرجتى ألا أدعو أحداً وقالت إنها تصاب أحياناً بالخفقان منذ صباحها دون أن يكون من هذه الثوبات التي لم تجد لها علاجاً أقل خطر على حياتها؛ وجثوت بقرعها، ففتحت في ذراعها فألقيت رأسى على كتفها، وعندئذ قالت لى: إننى أشفق عليك يا صديق . فهمست فى أذنها: يا لشقاوى ويا لجنونى . ولكننى لا أستطيع كتمان أمر تضمره سرىرى .

من هو يا ترى السيو دالانس الذى يقطن الجبل ويأتى لزيارتك أحياناً؟ ولاحت دلائل الاستغراب على وجهها عند سماعها هذا الاسم فقالت: دالانس هو صديق لزوجى

وحدثنى كأنها تريد الاستفهام عن سبب سؤالى وقد امتنع لونها فعضضت شفتى باستنائي وقلت فى نفسى: إذا كانت ترمى إلى محاذعنى فقد أسأت التصرف بإعلان ما أضمرت

ومضت بريجيت متفائلة تتمشى فى الغرفة

والاستمثاراز يملأ نفسى مما أتيت أطلب فى هذا المكان من أمر يشبه حقايره . فوليت الأدبار هارباً من هذه المرأة ومن غيرتى كأن الروائح الكريهة المنتشرة هنالك خارجة من قلبي

وكانت بريجيت أمام النافذة تنسى أزهارها وبقرعها طفل إحدى جاراتها جالساً بين المساند اللينة وقد أمسك بكها وهو يسرد لها حديثاً طويلاً لا يفهم وقه محشو بالخلوى، فتقدمت وقبلت الطفل على خديه كأننى أستميد لنفسى بعض الطهارة منها

فاستقبلتنى بريجيت بشيء من الحذر لأنها رأت شخصها منطبعاً فى عيني وقد غشيتها الشكوك وكنت من جهتى أحاذر أن أتقى بنظراتها لأننى كلما أمنت فى جامها ومظاهر اخلاصها أذهب إلى القول بأن هذه المرأة شيطان رجيم إذا هى لم تكن ملكاً كريماً . وكنت أستميد فى ذهنى كلمات مركانسون لأقابل بينها وبين ملامح عشيقى وإشراق وجهها الرائع فأقول فى نفسى « إنها لبديعة الحسن ولكنها جد خطيرة إذا هى أتقنت الخاتلة ولسوف تجد خصماً عنيداً يقاالتها بمثل سلاحها »

وبعد أن صمت طويلاً قلت لها: قبل أن أجيء إليك تلقيت كتاباً من صديق يسألنى نصيحة فى أمره وهو شاب ساذج يقول إنه اكتشف أن المرأة التى تستسلم له تستسلم أيضاً لعاشق آخر — وبماذا أجيبته ؟

— ألقيت عليه سؤالين وهما: أهي جميلة؟ وهل أنت تحبها؟ فإن كنت عاشقاً لها فاركبها، وإن كانت جميلة ولست ولوعاً بها فاحفظ بها وتبع بحماها، ولك أن تسرحها حين تشاء إذ ما الفرق بينها وبين سواها؟ وما سمعت بريجيت كلانى حتى ابتعدت عن الطفل

مفجعة ألقت بي إلى الهاوية ، فأنا منذ سنة لأرى من الحياة إلا الشرورها . ويعلم الله أنني ما كنت ، حتى صدمني هذا الاختبار ، لأعتقد بإمكان استسلامي إلى النيرة وهي أظن ما يمثلها الإنسان من أدوار الحياة . ليشهد الله أنني أهواك وليس لسواك أن يشفيني من علل أيامي الماضية وما عرفت فيها من النساء إلا من خدعتني وكن قاصرات عن إدراك الحب . لقد عشت فيما مضى كما شئت وفي قلبي من التذكريات ما لا قبل لي بمحوها . فما الذنب ذنبي إذا كانت أضعف التهم وأبعدنا عن التصديق تفرع من هذا القلب أوتاراً لم تزل تهتز بآلامها وهي مبيأة لقبول أية ضربة لتستنطق الأوجاع .

لقد ذكر هذا المساء أمانى اسم رجل لا أعرفه ولا علم لي بوجوده وقيل لي إن شائعات لا ظائل تحتها دارت حولك وحوله وأنا الآن لا أسألك شيئاً عن هذا الأمر الذي آلمني لأنني ارتكبت فيه ذنباً لا يفتقر وأنت معترفاً به أمامك ، وبدلاً من قبول ما تعرضنيته على سألتي بهذه الأوراق إلى النار بحقك لا تحاولي تبرير نفسك لثلاث أسأل أمام نفسي . لا تنزلي في المقاب وما لي من ذنب غير خيعة وآلام .

وهل لي أن أرتاب فيك وأنت على هذا البهاء وعلى هذا الاخلاص ؟ فإن لفظة واحدة منك تحبل من الإفصاح ما لا يمكن أن أستجلى بنفسى لتثبت هيأى . آه لو تعلمين بما ابتلي من الفجائع والأكاذيب هذا القبي المائل أمامك الآن ! لو تعلمين كيف عامله الناس وكيف هزأوا به وبخبر صفاته ، ولم يجهدوا لتعليمه كل ما يقود إلى الشكوك والنيرة واليأس . وأسفاه أيتها الحبيبة ! إنك لا تعرفين من هو هذا

كستروحة بمروحتها وقد تهدجت أنفاسها ، وشعرت بأنني رميتها بتسهي فخكها الصمت وتلاقت نظراتنا وفيها برود وفيها شيء من الداء . وتوجهت إلى مكتبتي وفتحت الدرج وأخرجت منه لفافة أوراق مربوطة بشريط من حرير فألقيتها إلي دون أن تفوه بكلمة .

وبقيت ذاهلاً عنها وعن رزمة الأوراق التي ألقيتها إلي إذ كنت مستغرقاً كمن طرح حجراً في هاوية وصمد يتنصت إلى دويه

ولاحث لأول مرة أمانى أمارة الكبرياء الجريحة على وجه بريجت وقد محت عنه سطور الاضطراب والاشفاق فشعرت أنني منها تجاه شخص غريب . وقالت اقرأ هذا

فقدت نحوها ماداً يدي فكررت قولها : اقرأ هذا — بلهجة باردة .

وشعرت وأنا أقبض على الأوراق أن شكوكي قد زالت فاعتقدت ببراءة بريجت ورأيتي ظالماً مخترق الندم قلبه .

وقالت : أنت تذكرني بأن علي أن أسرد تاريخ حياتي ، اصنع إلي لأقص عليك . وبعد ذلك افتح أدراج مكتبتي لتقرأ كل ما فيها من رسائل كتبته أنا وكتبته سوى .

وجلست مشيرة إلي بالجلوس ورأيتها تتجدد لتبدأ بمحادثتها وقد علت وجهها صفرة الموت وتشنج عنقها فتهدج صوتها .

فصحت بها : بريجت ... بريجت . أستحلفك ألا تشكلى ويشهد الله أنني ما خلقت على ما ترين وما كنت من قبل لا متشككاً ولا متحدياً . لقد ضللى الناس وأفسدوا قلبي ، لقد مهت بي غيره

## الفصل الثاني

إن للماشقين شيئاً من الركون والأسن يطفو  
عليه مريح كله مرارة وألم ، وما حالهم هذه إلا نتيجة  
حياة تتحكم فيها شاردات الأهواء لا حاجة الأجساد  
فما جسد الفاسق إلا مطية تفكيره الجروح وما تقيه  
الارادة وقوة الشباب منبة التفريط إلا إلى حين ،  
لأن الطبيعة انتقامها البساس الخفي وإذا انتهت القوة  
يوماً لاستعادة ما هدر منها فإنها تجد الارادة المشلولة  
ترصدها لتدفع بها من جديد إلى التفريط

إن الفاسق الذي أفلت زمام التمتع من يده  
لا يجد غير ابتسامة الازدراء يقابل بها كل ما كان  
يشير شهواته فهو يقتحم ملاذه بثورة الأعصاب  
لا برصاة القوة . وما يتولى الفاسق على ما يجب  
إلا عنوة واغتصاباً ، وقد أصبحت حياته ملتهبة بمجومة  
فيلجأ إلى السكر وإحياء الليالي في المواخير ليرتفع  
بأعضائه النبوكة إلى مستوى اللذات

إن مثل هذا الرجل يحس في أيام ضجره وتراخيه  
بالحال السحيق بين قوته وشهواته بأكثر مما يشعر به  
أي رجل آخر ، وإذا ما أراد مقاومة ما حوله من  
مغريات فإنه يلجأ إلى الكبرياء مستمداً منها الاعتقاد  
الوهمي بأنه يزدري هذه المغريات ولا يأبه لها

وهكذا لا يني الفاسق متقلداً على ولائم حياته وقد  
قبض الفرور على عنقه ليجره جراً بين سمار شهواته  
وكرته حتى يدفعه إلى هادية الفناء . وبالرغم من أنني  
كنت أفلت من زمرة الفاسقين فإن جسدي تذكر  
نجاهة أنه كان محشوراً بينهم ، وما كنت لأشعر بمثل  
هذا الانبعاث من قبل ، حين اجتاحتني الحزن الشديد  
لوفاة والدي ثم جاء الحب المبرح يشغلني فأرند الملل

الذي تعشيقه . لا توجهي إلى اللوم والتفريع بل  
تجلدى وأشفق على إذ لا بد لي من أن أنسى وجود  
كل كائن على الأرض إلا أياك فإن أياي مازق من  
الآلام يجب علي اجتيازها وما كنت أتوقع أن أراها  
معرضة على سبيل تتحدى قوى المجدالة والنضال .  
إنني ما عرفت ما في ماضي إلا منذ ضمنتك بين  
ذراعي إذ شعرت وأنا أضع قبلاقي على شفتيك بما  
على شفتي من أوصار . المعونة يا بريحتي ؟ إنني أُلجا  
إليك فساعديني بحق ربك على الحياة فإن ربك قد  
خلقني خيراً مما ترينني الآن .

وفتحت بريحتي معصمها وضمتني إليها طالبة  
منى اطلاعها على الواقع التي أدت بي إلى هذا  
الموقف ، فاسردت لها إلا ما قاله لاريف لأنني جيت  
عن الافرار لها بأني استنطقت مركاتون . وعادت  
فأكرهني على سماع إرضاحها فقالت : إن دالانس  
أحبها ولكنها رأته ما هو عليه من خفة وتقلب  
فأعلنت له أنها لا تقصد الزواج ورجته ألا يعود إلى  
ذكر عواطفه تخضع لارادتها ، ومنذ ذلك الحين  
أصبحت زيارته نادرة حتى انقطع عنها .

قالت هذا وسحبت من الرزمة كتاباً عرضته  
على وهو يحمل تاريخاً حقيقاً فما ملكت وجهي  
من الإحمرار إذ رأيت فيه إثبات ما أعلنته من  
الحواث

وأكدت لي أنها تعفو عني غير أنها فرضت  
على كعقاب أن أوافيها بلا إبطاء بكل ما يدعوا إلى  
تبين شكوكي فيما بعد وتبادلنا العهد بقبله ، وعند  
مبارحتها عند انبثاق الفجر كنا نسينا أن في الوجود  
رجلاً يدعى دالانس .

وأُنزل به أوجع الالهات وهي تنظر بصبر إلى في  
ولما نزل مرطباً بقلبتها يتدفق تحميراً وجنوناً  
وكنّت في الأيام التي يجتاحني فيها مثل هذه  
النوب أندفع إلى ذكر ما قضيته في أيام الفحشاء في  
باريس فأصورها كأنها خير حياة ، فأقول لبريجيت :  
ما أنت إلا قاتلة متعمدة ، وهل لك أن تعرفي ما هي  
هذه الحياة فليس في الناس خير ممن لا تأنلهم الهموم  
إذ يمارسون الحب دون أن يعتقدوا به  
فكأنني كنت أعلن لها بصراحة أنني لا أعتقد  
بالحب أنا أيضاً

وتقول لي بريجيت عندئذ : إذا كان الأمر على  
ما تقول فما عليك إلا أن تعلمني مأزيك به ، وللي  
لست أقل جلاً من معشوقتك اللواتي تأسف  
لفراقهن . وإذا رأيت أنني محرومة من المعرفة التي  
كن يبدئها لتسليتك على طريقة خاصة فأنا مستعدة  
لاقتباسها . لكن معاملتك لي كأنك لا تجني ودعي  
أحبك دون أن أعلن لك حبي . فما أنا أقل عبادة في  
هيكل الحب مني في هيكل الصلاة . قل لي ما يجب  
أن أفعل لتؤمن بما أقول

وأراها بعد ذلك تقف إلى مرآتها لترتدي في  
رائحة النهار ملابس السهرات والمراقص متظاهرة  
بالتدليل — وما هي من بنات الدلال — محاولة  
تقليدي فتضحك وتطفر في الغرفة قائلة : أتراني  
على ذوقك الآن ؟ وأية خلية من خيلياتك أشبه ؟  
أفأني من الجمال ما يكفي لاتعاقك بإمكان الاعتقاد  
بالحب ؟ . أفأنا لوح على دلائل من لا يبالون بالحياة ؟  
وإذا بي أرى الأزهار المسكلة ضائراً شعرها المعقوص  
ترنجم وهي مولية ظهرها لاختفاء تصنعها فأنطرح  
على قدميها قائلاً :

عني وأنا في عزائي وما بهم المنفرد إن دار به الفرح  
أو ساورة الأحران

إن « الزنك » لا يدفع بالشر الكامن فيه إلا  
إذا احتك « بالنحاس » التي وقد جاءت قبلات  
بريجيت كهذا النحاس تقدح ما كن في أعماق قواذي  
فكنّت وأنا أواجهها استجلي حقيقتي فأعرف نفسي  
وقد كنّت أصبح أحياناً وأنا شاعر بحالة جد  
غريبة في تفكيري فأحسني قضيت ليلي في ولية  
ترك بي طعامها وشرابها ما أنهلك قواي فتتبعني  
أضعف المؤثرات الخارجية وكل الأشياء التي أعرفها  
واعتدت النظر إليها تورثي الملل والنفور ، فإذا  
تكلمت سخرت بأقوال الناس وبخواطري نفسها  
فكنّت أستأق على مقعد ، مستسلماً للكسل ، معارضاً  
في تنفيذ ما قرراه من تزه ، مستعيداً ما كنّت قلته  
فيما مضى لحبيبتني من كلمات التودد والاختلاص ، مفسداً  
بذلك تذكاري أيام الهناء

وكانت بريجيت تنظر إلي حزينة وتقول : بالله  
دع هذا بأوكتاف ، إذا كنّت تضمر شخصيتين  
مختلفتين أفأبوسعك أن تدع الشخصية الطيبة وشأنها  
عندما تبين فيك الشخصية الشريرة

وما كانت معارضة بريجيت لضاللي إلا لتزيدني  
استغراقاً في مرضي المزعج ، وما أغرب طبيعة الانسان  
التألم فهو يرى أبداً إلى إبلام من يهوى . وهل من  
داء أفضح من داء العجز عن التحكم في الذات  
وما أشد ما يحتمل المرأة إذ ترى الرجل الذي  
ضمت إلى صدرها ينقلب هازئاً بلا مبرر بأفدس  
ما في ليالي الهناء من أسرار . وكانت بريجيت تتجلد  
فلا تهرب مني بل تبقى إلى جنبي منحنية على قطعة  
تطرّها وأنا ذاهب بمجازلي القاسية أنال من الحب

ذلك المتقلب المنتقل من الجفاء والاستهتار إلى العطف والولاء، ومن الكبرياء والقسوة إلى الندم والخضوع وكان وجهه ديجته الذي تجلى أمامي أولاً كأنه يندفوني بما سأفعل لا يدارح توحي فأناجيه في أيام شكوكي وبرود هياي، ولستم قلت في نفسى بعد توجيه التفرع إلى برجيبت مشهوراً جافاً: لو أن ديجته مكاني للذهب إلى أبعد من هذا.

وكنت إذا ما نهيت للذهاب إلى بيت برجيبت أنظر إلى وجهي في المرآة وأنا أضع قبعتي على رأسي فأقول: — أى شرفي هذا؟ أنا لى خطيئة استسلمت إلى فاسق فعلتها أن ترضى به.

وكنت أصل إليها والابتسام على شفتي فأستلقي على مقعد متراخياً عن قصد لأنظر إليها تقدم بحوى بعينها الواسعتين وقد ملأها الاضطراب فاقبض على راحتيها الصغيرتين لأذهب تأنهاً في أحلامي أيمكن لأى بيان أن يأتى باسم لشيء لا اسم له؟ فهل أصف نفسى بطيئة القلب أم بسوء النية. أحرماً كان ما أفعله أم جنوناً؟ ما يفيد التبرير؟ فإلى السبيل المخطوط

وكان لنا جارة تدعى مدام دانيال، عليها مسحة من الجلال وفيها شيء من الدلال وهي فقيرة تحاول الظهور بمظهر الثنى، وكانت تأتى لزيارتنا وتلبس الميسر مضاربة معنا بمبالغ كبيرة فإذا خسرت صعب الأمر عليها فلجأت إلى الانشاد بصوت ليس فيه شيء من الجلال. وقد كانت هذه المرأة التى اضطرتها المقادير لتضيق حياتها في هذه الغابة الضائعة بين الجبال طامئة إلى السرور والملاذ، فما كانت تتكلم إلا عن باريس حيث تذهب لتضيق ثلاثة أيام كل سنة وكانت تدعى أنها تتبع الأزياء الحديثة فتساعد بها برجيبت بآرائها

— كفاك تقليداً إنك لتذهبين بعيداً في محاكاة من لم يتورع فى عن ذكرهن أمامك. اتزعى هذه الأزهار، وإخلي هذا الثوب، ولنفسك هذا الزح بدمة صادقة، دعيني أنسى... إننى الولد الآبى فقد كفاني ما أتمثل من ماضى حياتى

غير أن هذا الندم نفسه كان جافاً إذ يبين لها ما لأشباح الماضي من رسوم متغلغلة في سريقتى. وما كان ما أبديها من اشتزاز إلا ليعلم لها الدنس المروء في الصور التى كانت تحاول تقليدها لإرضائى وكنت أجيء إلى بيت برجيبت وقلبي طافح سروراً وأنا أقسم أن أنسى بين ذراعيها آلام أيامى الماضيات، فأجشأ أمامها مبدياً كل دلائل الاحترام وأزحف خاشعاً إلى سريرها كأننى أدنو من هيكل الصلاة ماداً إليها ذراعى والدموع تنهمر في عيني، غير أننى كنت أراها عند ذلك تنفوه بكلمة أو تخلع ثوبها بحركة لها طابع خاص فيتنصب أمامى فجأة خيال غائبة تفوهت بمثل هذه الكلمة أو أتت بمثل هذه الحركة وهي تتجه إلى سريرتى

بالك من روح مخلصه؟ وبالعذاب الذى تحمله عند ما كنت أفتح ذراعى لضمك إلى صدرى فتسقطان — كأن لاهية فيهما — على كنتفك الناعمين، وعند ما كانت تنطبق شفتاك على شفتي فأحس بأن نظرات الهيام في عيني وهى شعاع من نور الله تتراجع عن هدفها كأنها سهام هبت الريح عليها فلوتهما في انطلاقتها

أواه يا برجيبت! لكم انهمرت لآلى في أحداقك عند ما كنت تسقين براحتك ذلك الحب الحزين الشغوف من معين أرفع بر وأصدق إحسان وتوالت الأيام ما كدر منها وما صفا وأنا فيها



إذا هي تخلصت من فكرة الأزياء التي كانت تثير حماقتها، فأقدمت على عمل سداه الاخلاص ولجته الحماقة إذ انتهزت فرصة اختلاطها ببريجيت في زهرة لتقول وهي تماقها، إنها لاحظت ميلاً منى للتجيب إليها وإنني أسمعها بعض كلمات لا مجال للإرتياب في مقصدي منها وأضافت إلى ذلك قولها إنها عارفة بأنني عاشق لأمرأة أخرى وأنها تفضل الموت على إتيانها امرأة يهدم سعادة صديقة لها .

وقد رأت بريجيت أن تشكر مدام دانيال على صراحتها فذهبت هذه مرآحة الضمير غير أنها لم تنقطع عن إرسال خطاتها إلى ترديد في نكايتي وبعد أن بارحنا مدام دانيال عند المساء أخبرني بريجيت بلهجة قاسية عما جرى في التمره بينها وبين هذه المرأة . وطلبت إلي أن أوفر عليها تحمل مثل هذه الالهة فيما بعد قالة : إنني لا أعلق كبير أهمية على مثل هذه المهازل ولا أصدقها غير أنني أرى من الفضول إذا كنت تحبني أن تدع امرأة أخرى تشعر بأن محبتك لا تحتفظ بمستواها كل يوم . فأجبتها ضاحكا : أيمكن أن يكون لهذا الأمر شأن عندك ؟ أفأ ترين أنني لا أقصد سوى الهزل لتحضية الوقت ؟ فقالت : أهواء ياصدقي إن من البلية أن يرى الانسان ضرورة لتحضية وقته .

وبعد أيام عرضت على بريجيت أن نذهب إلى قاعة الحكومة لمشاهدة مدام دانيال في رقصها فقبلت على مضض وبينما كانت تردى أثوابها قرب الموعد بدأت أوجه إليها اللوم لأنها تحلت عن مرحها القديم فقلت لها ، وأنا لا أجهل حالها : مالك يا بريجيت لقد أصبح القلوب مستحكما في ملاعك فإذا دام الحال على هذا النوال فلا بد من أن يسود الحزن

وهي تبسم شفقة عليها . وكان زوج هذه المرأة موظفاً في دائرة تسجيل الأملاك فيذهب بها أيام الأعياد إلى مركز الناحية لترقص بكل ما في قلبها من شوق مع ضباط الفصيلة في قاعة الحكومة . وكانت تعود من هذه المراقص وقد وهنت قواها وازداد زيق عينيها فتهرع إلينا لتخبرنا بما صادفت من نجاح وبما تأثرت من أشجان . أما ما تبقى لها من الوقت فكانت تقضيه بمطالمة الروايات غير ملفتة إلى شيء من مشاغل بيتها .

وكننت كلما التقيت بهذه المرأة أسخر بها لفرابة حياتها ، ولكم قاطعتها في حديثها عن المراقص لأسأله عن زوجها ووالده وهي تكره الأول لأنه زوجها والثاني لأنه من زمرة الفلاحين كما تقول . وهكذا لم يحل أي اجتماع لنا بها دون أن ينشأ بيننا خلاف شديد .

وخطر لي في أيامي السوداء أن أحجب إلى هذه المرأة نكاية ببريجيت فأقول لهذه : أفأ ترين أن مدام دانيال تفهم معنى الحياة فهي ناعمة البال مرحة وأراها خير معشوقة يتنناها الرجال .

وهكذا كنت أبدأ بالثناء على هذه المرأة فأصفت ثورتها بسهولة البيان ودعواها العريضة بميل بديهي إلى التمتع بالحياة وأرى أن لا ذنب عليها إذا كانت فقيرة ما دامت تعترف بهذا الفقر إلى أن أقول أخيراً إنها لا تسبغ مواعظ الناس ولا تبدل المواعظ لهم . ثم أطلب من بريجيت أن تتخذ هذه المرأة مثالا تتخذني به مدعياً أن هذا النوع من النساء يوافق ذوق .

ولاحظت مدام دانيال أن في نظرات بريجيت بعض الأسى ، وكانت هذه المرأة طيبة القلب مخلصه

معاملتي ولا يسعها إلا الاعتقاد بزوال حيي ، ثم أعلنت لي بصراحة أنها أصبحت لا تطيق هذه الحياة وقد عزمت على الابتغاء لأية وسيلة تنقذها من أطوارى الشاذة ومعاملتي الباردة . ورأت الدموع تنسكب من عينيها بغزارة فكادت أجثو أمامها لأطلب

عفوها ، غير أنها استمرت على إرسال تقريرها متبوهة بكلمات ذهبت إلى كبرائى فخرحتها ونار نارى فأجبتها بكلمات من طراز كلماتها حتى أخذت مناقشتنا شكل جدال لاهوادة فيه . فقلت لها : إن من المستغرب ألا يكون عندها من الثقة ما يميز لي إثبات أبسط الأمور فلا بد إذ أن يكون هنالك سبب آخر غير السبب الذي تمسك به لأنها تعلم أنني لا أبالي بدمام دانيال فليس تقريرها لي إلا الاستبداد بعينه ؛ ومع ذلك فإذا كانت متمعة من هذه الحياة في وسعها أن تضع حداً لها بالفراق .

فقلت : « ليكن ما تقول لأنك تنكرت لغيري منذ بذلت لك نفسي ، فقد لعبت دورك بمهارة لا أفتأ بحبك لي ؛ وما قد أتيتك هذا الدور فلا تجحد من الأعمال إلا ما تسمى به إلي . لقد ارتببت في إخلاصي لكلمة واحدة مررت على أذنك ولاحق لي بتحصيل نفسي ما توجهه من إهانة إليها . لقد تبدلت فما أت الرجل الذي أحبت

— إنني لا أجهل نوع الآلام وأراها ستجدد لكل خطوة في حياتي وسوف لا يطول الأمر حتى أحرم حق التكلم مع أى مخلوق سواك فانت تظاهرين باحتمال سوء العاملة لتجيزي لنفسك توجيه التفرغ إلي وما تشكين استبدادى إلا طلباً لاستبدادى .. أما وقد أصبحت أشوش عليك

ساعات انفرادنا . لقد عرفتك من قبل أكثر مرحة وحرية وصراحة . وليس مما يوجب افتخارى أن أكون أنا حلة هذا الانقلاب الطارىء على أخلاقك ، ومع ذلك فأننى أتوسم فيك خلال أهل الزهد فكأنك خلقت لسكنى الدير

وكان ذلك اليوم يوم أحد فاستقلنا عربة وسرنا ، حتى إذا وصلنا إلى المنزه رأيت بريجيت رهطاً من صديقاتها بنات الحقول سائرات إلى مرقص أشجار اليزفون ، ونضارة الشباب تدفق من وجوههن فاستوقفت عربتها وحيث الفتيات ، وإذا استأنفنا السير أطلت من نافذة العربة مشيعة بأنظارها رهط الصبايا ، كأنها تشوق إلى المرقص القديم ، وإذا توارين عتاً رأيتها ترفع منديلها إلى عينيها وصلنا إلى مرقص الحكومة فرأينا مدام دانيال تظفر فرحاً وجوراً ، فبدأت بالرقص معها وكررت ذلك بصورة تسترعى الانتباه ، وكنت لها عبارات الإعجاب فكانت تجيب على مجاملتي بثلها . وكانت بريجيت تتبعها بأنظارها أنى سرنا . ويصعب على أن أصف ما شعرت به في ذلك الحين ، إذ تمازج سرورى بألى لما تجلى لي على سياء بريجيت من غيرة فكان هذه الغيرة كانت تحفزني إلى التماذى في إضرامها

وتوقفت بعد عودتنا أن تلجأ بريجيت إلى لوي ولكنها بقيت مغممة في جودها وصمتها في اليوم التالى وما بعده ، فكانت تستقبلني بقبلتها المعتادة ثم تجلس وكل مناستغرق في نفسه فلا تبادل الكلام إلا قليلا . وفي اليوم الثالث عيل صبر بريجيت فاندفعت بها جنى بعينها المرافقة : إنها لا تجد ما تبرز به

— نحن طفلان يا أوكثاف ، ياصديقي ، وما كان  
لعرأكنا من سبب ولا معنى ، ولولم تأت إلى لذهبت  
اليك في هذا الليل . اغفر لي فالذنب ذنبي أنا . إن  
مدام دانيال ستأتي غداً لتناول الغداء فلك أن تفتح  
سبيلاً لندى عما تسميه استبداداً في معاملتي . إن  
سماعدي متوقفة على حبك لي فلننس ما مضى  
ولنحتفظ بسعادتنا  
( يتبع )  
فيلكس فارس

### لجنة التأليف والترجمة والنشر

## سيرة السيد عمر مكرم

لمؤلفها الأستاذ محمد فرير أبو حيدر

سيرة جليلة من سير الزعامة الشعبية وصفحة  
رائعة من صحف الجهاد القوي خلال القرن  
الثامن عشر حتى فاتحة عهد محمد علي عند  
ما اجتمعت كلمة الشعب على اختيار ملكه المحبوب  
جد الأسرة الملكية الكريمة  
والكتاب مزين بالصورة التاريخية .  
ثمنه عشرة قروش عدا أجرة البريد  
ويطلب من اللجنة بشارع الكرداسي رقم ٩  
ومن المكاتب الشهيرة

حياتك فاستعدي السكينة لها . إنك لن تريني  
بعد الآن  
وافترقنا على غضب ؛ وصر النهار دون أن أراها  
وفي اليوم التالي شمرت عند انتصاف الليل بحزن  
لم أجد لاحماله سبيلاً فذرفت الدموع سخينة  
وأخذت ألوم تقني وألنمها قائلاً : إن من الجنون  
الطبيب أن أعذب أشرف النساء وأطيهن قلباً . ثم  
نهضت راكضاً إلى بيتها لانظر عند قدميها  
دخلت الحديقة وإذا رأيت النور من نافذة  
غرفتها ساورتني الشكوك فيها فقلت : إنها  
لا تنتظرن في مثل هذه الساعة ومن يدرى ما تفعل ؟  
لقد تركتها أس غارقة بدموعها ولعلني أراها الآن  
مشغولة بالفناء غير مبالية بي وغير شاعرة بوجودي ،  
بل لعلها تردي أنوارها وتجمل وجهها كتلك  
المرأة ... لأدخلن إذن مجسساً فأطلع على الحقيقة  
وتقدمت على حذر وكان باب غرفتها مفتوحاً  
فتمكنت من مشاهدتها دون أن تراني  
وكانت جالسة إلى خوان تكتب في مجلد  
المذكرات التي كانت مبعث ارتياحي بها . وكان في  
يدها اليسرى علبة صغيرة من الخشب الأبيض  
تنظر إليها من آن إلى آن بارتماش عصبي ظاهراً  
ولا أدري أية روح مرهوعة كانت تسود هذه الغرفة  
في جوها الهاديء ، وكانت رفوف المكتب مفتوحة  
وقد صفت عليها رزم الأوراق كأنها ربت في برهة  
وحيزة .  
ودقت الباب فهضت وأقفلت أدراج المكتب  
وأوتت إلى والابتسام يغلو فيها قائلة :





# الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

مجلة الآداب الرفيعة والثقافة العالية

تصل الماضي بالحاضر وتربط الشرق بالغرب

على هدى وبصيرة

الرسالة : تعبر بإخلاص عن روح النهضة المصرية

الرسالة : تجمع على وحدة الثقافة أبناء البلاد العربية

الرسالة : تصور مظاهر العبقرية للامة العربية

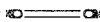
الرسالة : تسجل ظواهر التجديد في الآداب العربية

الرسالة : تحيي في النشء أساليب البلاغة العربية



بمجموعة أعدادها ديوان العرب المشترك ، وكتاب الشرق

الجديد ، وسجل الأدب الحديث ، ودائرة معارف عامة



الاشتراك الداخلي ستون قرشاً ، والخارجي ما يساوي جنبها مصرياً ، وللبلاد العربية بخم ٢٠ ٪



صاحب المجلة ومديرها  
ورئيس تحريرها المسئول  
احمد حسن الزيات

برل الاشرافك عن سنة

٣٠ في مصر والسودان  
٥٠ في الممالك الأخرى  
١ عن العدد الواحد

الادارة

شارع عبد العزيز رقم ٣٦  
العتبة الخضراء — القاهرة  
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

# الحرورية

مجلة أسبوعية للفن والفكر والسياسة

نصدر مؤقثاً في أول كل شهر وفي نصف

السنة الأولى

العدد السابع عشر ٢٥ رجب سنة ١٣٥٦ — أول أكتوبر سنة ١٩٣٧



## فهرس العدد

صفحة		
١٠٣٤	لو عرف الشباب .....	أقصصة مصرية .....
١٠٤١	الدم .....	للكتاب الفرنسي إميل زولا .....
١٠٤٦	سباق الحصاد .....	للكتاب الانجليزى ليام أوفلاهترى .....
١٠٥٢	روز .....	أقصصة مصرية .....
١٠٥٧	سالوما .....	للكتاب الانجليزى أوسكار وايلد .....
١٠٧٩	الباتمة الصغيرة .....	للكتاب البامعركى هاتز أندرسون .....
١٠٨١	اعتراقات فنى العصر .....	لألفريد دى موسيه .....
١٠٨٨	الأوذبة .....	لهوميروس .....
		بقلم الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى .....
		بقلم الأستاذ محمود خيرت .....
		بقلم الأستاذ عبد الحميد حدى .....
		بقلم الأديب يوسف فهمى .....
		بقلم الدكتور حسن صادق .....
		بقلم الأديب شكرى محمد عباد .....
		بقلم الأستاذ فليكس فارس .....
		بقلم الأستاذ درينى خشبه .....



وقال لها عصر يوم  
وهي تقدم له القهوة  
وتدنى منه «طاولة»  
صغيرة عليها «منفضة»  
للسجائر: «حليمة..  
اسمى يابقي ... أنا  
منتظر. رقية ..»  
فقال مستفسرة:

# لَوْ عَرَفْنَا لَشَبَابًا

دُرُوسًا زَابِرْهِيمَ عَبْدَ الْغَارِ الْمَارْفِي

« رقية ؟ .. »  
قال : « رقية ... نعم ... بنت المرحومة الست  
خديجة .. ستقيم عندنا إلى .. »  
ثم كما تمارى أن التحديد عسير فتركها هذا وقال :  
« أظن من السهل عليك إعداد الغرفة الجتوية  
لها ... هه ؟ »  
قالت : « سهل طبعا ... لكن بنت صغيرة ... ؟  
يمكن تمبكي »

فقال محاولا أن يزيل دواي القلق الذي يساورها :  
« بنت صغيرة ؟ ... هذه بنت عشر ... اشابه ! »  
فلم ترد حليمة على أن قالت : « طيب »  
وجاءت الفتاة بمد قليل مع رسول من قوم أمها  
يحمل لها أشياءها القليلة، وكان وجهها أصفر متبهما  
وعظام وجهها بارزة ، ونظرتها سامة ، فقبلت يد  
الشيخ فتناول وجهها بين كفيه العروقتين وقبل  
جبينها وأجلسها إلى جانبه ، وشرع يمدحها ويلطفها  
حتى أنست به وهشت له ، ثم تركها لحليمة تعني بها  
ومضت الأيام ووجدت رقية في الشيخ سليم  
عوضاً عما فقدت ، وزالت الفضاضة التي كانت تجدها  
في أول الأمر وصارت حين تقول له : « ياعمى »  
تشعر أنه معها حقاً وصدقا ، وتفتح لها قلبه الكبير

كان أبوها تاجراً حسن الحال ، وأقبلت عليه  
الدنيا فأقبل على تجارته بوسمها ولكن بلا تدبر ، وعلى  
المال ينفقه بلا حساب ؛ وأغرى بالفار فأفنى به  
الأمر إلى الخراب الوحى ، فتجدد وراح ينشد العمل  
في متجر ، ولكن سيرته في أيام النعمة خوفت منه  
التجار وزهدتهم في استخدامه ، فلم يبق له إلا  
الاحتيايل على صفقات قليلة يوقته الله إلى عقدها  
ويخرج منها « بمعمولة » ضئيلة لا تغنى . وكان في  
أثناء ذلك يبيع حلى زوجته ، ثم أثاث بيته ؛ فلما  
أتى على هذا وذاك ولم يبق إلا الموت جوعاً شرب  
خمرأ رخيصة في ساعة يأس وأنى بنفسه في النبل  
وترك امرأته وبنته — وكانت في الثامنة من عمرها —  
تميشان أو تخونان . فأما الأم فقضت نحبها بمده  
بشهور ، وأما الفتاة فسمع بخطبها رجل طيب كان  
يعرف قومها فأقنمهم بأن يدعوهم يتيانها ويأنس بها  
ويستعين بها على ضعف الشيخوخة ، وكان هو أيضاً  
تاجراً ، فلما ارتفعت به السن قنع بما أفاد وصنى تجارته ؛  
وكانت زوجته قد ماتت من غير أن تعقب نسلا ، فأخذ  
فقيرة من قربانته لتدبير أمر بيته ، وكانت امرأة صالحة  
فرعته وجعلت له من نفسها خادماً وأماً واختاً  
ووصية أيضاً

قالت: «آه»

قال: «إن شاء الله»

وخطر للشيخ وهو راقد على سريره في تلك الليلة أن رقية مسكينة، وأنها مستوحشة في هذا البيت الكبير الذي ليس فيه إلا هو وحليمة والخادم الكهل الذي يقضى الحاجات، وأن رغبته في التعلم من مظاهر إحسانها بالوحشة، وأن الواجب ... ولكننا نسبق الحوادث

وجاءت المعلمة وبدأت الدروس فشغلت بها رقية عن كثير مما ينقص على حليمة، ولكن الشيخ لم يفتنع بهذا ولم يرفيه الكفاية وإن كان لم يفتنه أن حليمة أصبحت أقل شكوى وتذمراً من رقية. وكانت عادة الشيخ أن يخرج إلى صلاة الفجر في مسجد سيدنا الحسين ثم يشرب الشاي في إحدى القهوةات الكثيرة المشهورة بصنعه هناك، ولا يعود إلا في الضحى فيتناول شيئاً يسيراً من الطعام ويرتاح قليلاً ثم يعود فيخرج ويمر بأخوانه التجار في دكاكينهم ولا يرجع إلا وقت الغداء؛ وإذا خرج في العصر فقلما كان يعود إلا بعد صلاة العشاء (الحسين) وقال ليلة وما جالسنا إلى الطعام: «أظن راقية أنك تستوحشين هنا ...»

فقالت: «كيف تقول يا عمي؟»

قال: «الوحدة ... ليس لك أنيس من سنك ... والبيت واسع كبير كالربيع ... وليس فيه إلا نحن والمغاريت»

وسره كلامه فضحك فقالت: «بسم الله الرحمن الرحيم ... قل لي يا عمي ... هل في البيت مغاريت؟» قال وهو يتسم: «هل تخافين المغاريت؟» فأجابت بسؤال: «ألا تخاف أنت؟»

وأثرلها منه في جبهته، وذاق في شيوخه المالية ما حُرّمه طول حياته من حلاوة الأبوة ونعمة البنوة البارة، فقد صارت رقية هي التي تعني به وتمد له حاجته وتسهر على راحته وتبقى إلى جانبه حتى يصرفها إلى مرقدها بعد أن يدعو لها ويمسح شعرها ويقبلها

ولكن حليمة لم ترض عن رقية، وكان رأيها فيها أنها فتاة عنيدة وأن أباها أفسدها بالتدليل وأن الشيخ سليم يزيدنا فساداً بإسرافه في إظهار التعلق بها والحنو عليها، وكان يسوؤها على الخصوص أن لسان رقية حاد، وأنها لا تفعل إلا ما يطيب لها؛ وكانت حليمة صريحة فلم تكن تكتم رقية سوء رأيها فيها، أو تتقن أن تذمرها بمستقبل أسود «كالخبر» وكثيراً ما كانت تقول لها إن الشيخ يسيء إليها بهذا التدليل

وكان هذا الكلام وأشباهه يهيج رقية في أول الأمر ويطلق لسانها بما يخطر لها ساعة الغضب، ولكن ترى نفسها كان خصماً فلم يخل كلام حليمة من أثر، فقالت ذات ليلة لعمها وهي جالسة على ذراع كرسيه: «عمي»

فرفع إليها وجهه المغضن وسألها: «نعم؟» قالت وهي تداعب شعر لحية: «إنك تفسدني بالتدليل. لماذا لا تربيني كما يربني؟»

فدهش الرجل وقال: «من وضع في رأسك الصغير هذا الكلام؟ حليمة الطابع»

قالت: «هي على حق ... شف ... لي هنا نحو سنة ... وقد نسيت ما تعلمته في المدرسة»

قال: «آه! صحيح ... الحق معك ... صحيح ... هل تريد أن تتعلمي حقيقة؟»

ينبغي لها أن تنسى هذا — فليس من حقها أن تكره وتحب . وما شأنها على كل حال ؟ وإذا كانت لا تراح إلى محمود هذا فإن في وسعها أن تتجنبه ، وأن تتق لقاءه بلا عناء . غير أنها — لسبب ما — كان يستغلها عليه ما ترى من بلاده وجوده وبطء حركته ، وأن وجهه لا ينطلق قط . وقد سمعت أنه حفظ شيئاً من القرآن وأنه قضى بمدرسة ابتدائية بضعة سنوات فهو ليس جاهلاً كأكثر الفلاحين .. فإلهه ؟ .. ما خطبه ؟

وكانت ربما لقيته في بعض جولاتها في الحديقة فيضيق صدرها ببهايمته ، ولا تملك إلا أن تصيح به : « يا شيخ اتلحج شوية ! » فينظر إليها ممتعضاً ولا يزيد على أن يقول لها — حين يقول شيئاً — « وانت مالكة ؟ » ويستأنف ما كان فيه غير عابئ بها أو مكترث لها فكأنها غير موجودة . وكان الشيخ يلاحظ حبها للحديقة فقال لها يوماً : « لعلك مسرورة »

فطوقته بذراعيها وقبلته ، فاستغرب الشيخ إحساسه بذراعيها وتنبه إلى أن هزالها قد زال ، وأن وجهها قد امتلأ ، وأن ذراعيها صارتا بصيتين ، وأنها — ولم يمض عليها عنده إلا عام وبضع عام — قد طالت قامتها وعلا نديها على صدرها .. بالاختصار أصبحت شابة ... لا يمكن أن يخطر لأحد أنها في الثانية عشرة من عمرها فقط ...

وقال لها وهو ينحني ذراعيها عن عنقه برفق : « كيف وجدت محموداً ؟ »

فعمست وسألته : « هل تحبه ؟ »

فقال كأنها أراد أن يلخص لها موقفه منه في أوجز عبارة : « أمه بنت خالتي »

قال : « الله هو الحافظ ... لقد خطر لي شيء ... أريد أن أدفن في بلدي »

فصاحته وقد خفق قلبها : « أعوذ بالله ! لماذا تقول هذا الكلام ؟ »

قال : « يا بنتي الموت حق ... دعي هذا ... قريننا جميلة ... لي فيها أرض ودار لا بأس بها ، والحياة هناك أشرح للصدر وأنس للقلب . ناس كثيرون ... أهل ومعارف ... لا يمل الإنسان ... والمناظر جميلة ... الحاصل ... سنذهب إلى البلدة وترك هذا البيت الوحش ... مادام أن أبقى في مصر ؟ »

قلت : « أصرك يا عمي »

قال : « ألا يسرك ؟ يمكننا أن نعود إذا لم تراحى هناك ... الأمر سهل »

وبعد أيام من هذا الحديث حملها معه إلى البلدة وترك حليمه والخادم الكهل ليرسلا أثاث البيت ويلبغا بهما

ولم يبلغ الشيخ فقد كانت القرية جميلة والدار رحيمة تقوم في وسط بستان نمر وزهر ، ولكن العناية بالزهر كانت ضئيلة فلم يكن هناك إلا بضعة أعواد من الورد ؛ أما الأشجار فكانت كثيرة وكان نمرها وفيراً ، فطاب المقام لرقية ، ووجدت في الحديقة الواسعة ملهى ومرتماً . وكان فتى من أقرباء الشيخ في السابعة عشرة من عمره هو الذي يتعهد الحديقة ، وكان مبيتة في الدار أيضاً ولكن في إحدى الغرف الضخمة . ولم تكن رقية تراح إلى هذا الفتى ولكنه كان قريب الشيخ ، وكانت تدرك أنه لا يلد للحديقة من رجل يتعهدا ، فإذا كان عمها قد آثر أن يكل هذا إلى قريب له فهو على حق ، والأقربون أولى بالمعروف . وهي أجنبية — ولا

من يدري ؟ ... لعلهما حينئذ يتحولان إلى ...  
ولكن من يدري ؟ . من يدري ؟ . على كل حال  
هذا خير من قرب يثير بينهما حرباً ...

غير أن الأقدار لم تتمكن من إمضاء عزمه ، فقد  
أصابه برد ثقيل وطانة على جسمه المتهمم فأحس  
الرجل بدنو الأجل ؛ ودعا إليه رقيه ، وأدناها منه  
على سريره ، وقال : « قلت لك يا زقية إني كنت  
أحياناً أحلم بأشياء ... وأخشى أن أكون قد  
أسأت من حيث قدرت أن أحسن . ولست أحب  
أن ألقى الله بضمير مثقل بهذه التبعة . نعم كان  
يسرنى أن أوفق بينك وبين محمود ... هو أيضاً  
ليس له غيري ، ولكني لا أحب أن تشعري أن  
عليك أن تفعل شيئاً لا لسبب إلا ظنك أن هذا  
يرضيني . إن حياتك أمامك فامضي بها ما تشائين .  
كنت أحب أن يطول عمري حتى تكبري فأتركك  
مطمئناً ولكنه لا راد لقضاء الله ... وقد تركت  
لك أكثر مما أملك واحتضنت فلن ينزعك أحد .  
وتركت له مافيه الكفاية ، فأحرص على مرضاة الله  
ثم مرضاة وجدانك ، ولا تجعلي بالك إلى ما تظنين  
أنه يرضيني ... هذا ما أردت أن أقوله لك ... »

فلم تستطع أن تقول شيئاً فقد أزهمت دموعها  
وخنقها البكاء

وبعد يومين ذهب الشيخ الكريم في سبيل  
من غير ...

وظهر أنه وقف ماله فترك لها نصف الأرض  
ولحمود النصف الآخر . أما الدار التي في القرية  
والبيت الكبير في مصر ففعلهما فيها شريكين بحيث  
لا يستطيع أحدهما أن يتحدث فيهما شيئاً — كأنها  
ما كان — إلا باتفاقهما على ذلك ؛ وآثرها على الفتى

فأدهشته بقولها : « هل كنت تحب بنت  
خالتي ؟ »

فقال : « أ ... أ ... أحبها ؟ .. آه بالطبع ..  
بنت خالتي ... طبعاً »

قالت : « لا أعنى هذا »  
فزاد عجبها منها وأراد أن يغير الموضوع فسألها :  
« ما رأيك في محمود ؟ »

فجالت : « بإيجاز بليد ... »  
فسألها بلهجة الشفق : « هل قلت له هذا ؟ »  
فضحكت وقالت : « لا تخف ... هو أيضاً  
لا يكتفي رأيه في »

فهز الشيخ رأسه أسفاً وأطرق قليلاً ولكنها  
ردته إليها بقولها :

« قل لي يا عمي ... لماذا تسألني عن محمود ؟ »  
فنظر إلى عينيها الواسعتين العميقتين قبل أن  
يجيب وكأنما رأى أن لاخير في الف والمغالطة مع  
هذه الفتاة فقال : « لا شيء ... ولكني رجل  
كبير وأحياناً أحلم بأشياء ... كله بيد الله .. قوي  
هائي في حصيرة الصلاة »

فجاءته بها فوقف ورفع يديه إلى أذنيه وكانت  
هي عند الباب فقالت له وهي تهم بالخروج :

« اذكر يا عمي أنه هو أيضاً لا يحبني »  
فما استطاع الشيخ أن يتوجه بقلبه في صلاة  
إلى الله وحده إلا بهجد

\*\*\*

وخطر للشيخ بعد مدة أن الأولى أن يبعد  
محموداً عن الحديقة ، وأن يكل إليه عملاً آخر في  
الغيط ، فإن البعد رحمة في بعض الأحيان ؛ وأخلق  
بهما إذا قل لغاؤهما أن يفتر بينهما هذا العداة ؛ ثم

ومضت الأيام وكرت الأعوام والفتى في بلده  
والفتاة في البيت الكبير بمصر ومعها حليلة والخدام  
الكهل ، والوصى الأمين يرعاها ويحذب عليها ولا  
يفعل أمر محمود . وكان ذكر محمود لا يرد على لسان  
الشيخ سعيد إلا في الندرة القليلة ، فسأله يوماً :  
« ما أخبار البلد ؟ »

فقال : « أنا خائف على محمود »

فقطبت وقالت : « ماله ؟ »

قال : « شديد على الناس ... أصبح أعداؤه  
كثيرين »

فاستزادته مستفسرة ، فقال لها : « إن الفلاحين  
يهملون أحياناً فيشتد عليهم ويقسوه بهم وبعمالهم  
بالمنف . وقد سرق أحدهم أخيراً كيسين من القطن  
فضبطه وضربه حتى كاد يمته... وأمثال هذا يحدث  
كثيراً ... وهم يخافونه ولكنهم يكرهونه وأخشى  
أن يتربصوا به »

فلم تقل شيئاً ، ولكنها بعد أسبوع سألت  
الشيخ سعيد : « هل أستطيع أن أزور البلدة ؟ »  
قال : « طبعاً ... ما المانع ؟ »

فالت : « ربما استاء محمود ... هو مراتح من  
وجودى كل هذا الزمن »  
قال : « ولكنه لا يستطيع أن يمترض على  
وجودك »

فقلت : « ليست المسألة مسألة اعتراض »  
قال : « ماذا إذن ؟ »

فهزت كتفها وقالت : « لا أدري »  
وسافرت بعد أيام ومعها حليلة التي انقلبت  
تحبها كأنها بنتها . وكان محمود في النيط ، فلما علم  
بموجودها خف إليها ورحب بها ، فاستغربت وقالت  
له : « لقد صرت ظريفاً »

بيت صغير آخر تحته دكانان . وجعل النظارة لتاجر  
من أصدقائه ، ولكل منهما على نصيبه بعده  
وبعد الأربعين خفت الفتاة والفتى إلى مصر  
إجابة لدعوة الشيخ سعيد ناظر الوقف . وقد قابل  
كلاهما على حدة

وقالت الفتاة بعد أن سلطت وجلست : « لست  
أنهم شرط عى فيما يتعلق بالبيتين »

قال : « الأمر سهل ... إذا أردت مثلاً أن  
تسدى شباكاً فلا يجوز لك هذا إلا بموافقة محمود .  
وإذا أراد محمود أن يفتح باباً أو يبيض جداراً فلا  
يكون له هذا إلا باذنك وموافقتك »

فقلت : « ولكن لماذا ربطنا على هذا النحو ؟  
إن الاتفاق بيننا مستحيل »

فابتسم الشيخ سعيد وقال : « لا حل لهذا  
الإشكال الذى أورتكما إياه إلا الزواج »

فصاحت الفتاة مستنكرة : « أتزوج محمود ؟  
أعوذ بالله ... مستحيل »

قال وهو لا يزال يتسم : « حل آخر ... وطنى  
نفسك على التنازل له فى المستقبل »

فقلت : « أتنازل له ؟ ولا فى المنام »  
قال : « إذن لا حيلة إلا الصبر »

ودخل عليه محمود بعدها فسأل بعد كلام :  
« ما العمل فى حل هذا الإشكال الفظيع ؟ »

فقال الرجل : « أحسن حل أن تزوجها »  
فقال الفتى : « يا سائر يارب ! »

فقال مقترحاً : « تنازل لها إذن »  
فصاح الفتى : « أتنازل لها ؟ لها عى ؟ هذا شئ

لا يكون »  
قال : « صبراً إذن يا بنى »

فهاج الناس وماجوا، واشتد اللفظ، وسمع صوت يقول: «أوع يا أحد! حاسب» وارتفع صوت محمود يصيح: «ترفع العصا علي يا كلب يا ابن... أنا أقتلك»

ولكن الرجال دخلوا بين المتنازكين وردوا بعضهم عن بعض وحملوا محموداً إلى الدار وأغلقوا وراء الباب، فصعد إلى فوق ولم يكده يصير إلى مكان فيه نور حتى وقف ينظر إلى يديه مستغرباً. وكانت رقية واقفة أمامه فسأته: «مالك؟ هل أصابك شيء؟»

قال: «لا... ولكن هذه السكين؟ كيف صارت في يدي؟ لم يكن معي شيء؟» فابتسمت رقية وقالت: «ألم تضربه بها؟» فسألها متعجباً: «أضربه؟ أضرب من؟» قالت: «الرجل الذي رفع عليك العصا» فقال وهو لا يزال يتعجب: «أضربه بالسكين؟» قالت: «لقد وضعتها في يدك لهذا الغرض» فصاح وهو مذهول: «أنت وضعت السكين في يدي؟»

قالت: «بالطبع... من كنت تظنه فعل ذلك غيري؟ لقد زلت وخفت أن يراني الرجال فأطفت المصباح؛ ولما رأيت أن الأمر متفاقم خفت، وكان الشيخ سعيد قد أخبرني أن الفلاحين يكرهونك لأنك شديد عليهم، فخرت وجئت بالسكين وتسللت في الظلام ووضعتها في يدك... لم يرني أحد في الظلام... ظنوني على الأرجح رجلاً منهم»

فقعد محمود ولم يستطع أن يقول شيئاً، ووطأ سمته، فهزته رقية وسأته: «مالك؟» فقال: «مالي؟ الحمد لله على كل حال... لو كان هناك نور

فضحك وقال: «لقد كبرنا يازقية... كنا أطفالاً»

فكانت ضاحكة: «أحسبنا ما زلنا أطفالاً» فقال وهو مطروق: «حملنا الهم قبل الأوان علنا... الحمد لله على السلامة... يا أهلاً وسهلاً» وتبادلا الأخبار عن البيت الذي في مصر والدار التي في القرية فقال لها: إنه محتاج إلى مخازن وليس هناك مكان يتخذة مخزناً إلا الجانب القبلي من الدار، يهدم ذلك الجانب كله ويبني من جديد فيصلح به البيت من فوق وتقوم المخازن المطلوبة، فاعترضت على هذا بشدة وقالت: إن هذا الجانب فيه الغرفة التي كان ينام فيها عمها فيجب أن تبقى كما هي، وقالت: إن الذي يحتاج إلى عمارة هو بيت مصر... واسع جداً بلا ضرورة ولا يتفنع به أحد، فيحسن أن يشعر البيت شطرين، واحداً يبق لسكنائها والآخر يؤجر. فاعترض الفتى وقال: إن هذا يفسد البيت. فقالت: إن الأمر على كل حال للشيخ سعيد وستقنعه بذلك ومتى اقتنع الشيخ سعيد فإن الأمر يكون له. ولم يستطيعا الاتفاق ولا التفاهم وإن كان الأمر كما قالت للشيخ سعيد فشكل خلاف عبث. وقام محمود مغضباً يائساً من إمكان الوفاق مع هذه الفتاة العنيدة. وجاء الليل واجتمع محمود في الساحة أمام الدار بالفلاحين يحدّثهم في شؤون الأرض ويحاسبهم ويتلقى منهم أخبار ما فعلوا في يومهم، وكان لا يزال متأثراً بخلافه مع رقية فخرج عن طوره مع أحد الرجال وتفاقم الأمر، فقام محمود وضرب الرجل واجتمع الخلق عليهما وعلت الأصوات، وكانت الليلة مظلمة حالكة السواد ولا ضوء هناك إلا ضوء مصباح غاز في ردهة في الدار، فانطلق المصباح فجأة

قالت : « صحيح ... ولكن ... لا أريد الآن »

قال : « لأنني اعترضت ؟ »

قالت : « آه »

قال : « أظن أن رأيك أصوب »

فصاحت وهي فرحة : « صحيح ؟ »

قال : « بالطبع ... كل ما يرضيك افعليه ... »

وهل لي غيرك ؟ »

قالت : « ولا أنا »

يقال : « الرحوم كان حكيمًا »

فقالت : « عي ... أوه جذا »

قال : « كان غرضه ... »

فلم تهمله وقالت مقاطعة : « كان مدهشًا ... »

عرف كيف يحتال علينا بعد وفاته »

فسألها : « ما قولك في تحقيق رغبته ؟ »

فأطرقت حياءً ؛ ففكر عليها السؤال فقالت :

« أسأل عني الشيخ سعيد »

\*\*\*

ولم تكن سن الزواج لها حد في تلك الأيام

ففرح الشيخ سعيد بتحقيق أمل صديقه

ابراهيم عبر القادر المازني

## رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرئين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

المن ١٢ قرشاً

ورأوا السكين ؟ نهايته ... حصل خير »

وقالت وهي مضطربة : « هل أخطأت ؟ قل لي

الحق ... لقد كنت خائفة عليك »

فنهض وهو يتسم وقال : « حصل خير .

حصل خير ... ربنا ستر »

\*\*\*

ولما أرادت أن تمود إلى القاهرة رافقها إلى

المحلة ، وهناك تركا حليلة مع الأشياء وراحا يتمشيان

في انتظار القطار وقال لها في بعض حديثهما :

« حكاية السكين هذه ... ماذا أعراكَ بها ؟ »

قالت : « كنت خائفة عليك من الفلاحين ؟ »

قال : « مدهش ! »

قالت : « هل كنت تظن أني سأتركهم

يقتلونك وأنا أنفج ؟ »

قال : « لم أكن أتصور أن تخاف علي ... »

مدهش ! »

قالت : « ما هو المدهش ؟ »

قال : « سأسافر معك ... أريد أن أقابل عني

الشيخ سعيد »

قالت : « من أجل الخازن ؟ »

قال : « ليه ... حاجات كثيرة »

قالت : « اسمع ... مسألة الخازن في محلها ...

افعل ما تريد »

قال : « ولكن الأمر بيد الشيخ سعيد »

قالت : « نعم ولكنه لا يخالفني »

فأطرق ، وبهد برهة سألها بلهجة المتردد : « بيت

مصر ... هل صحيح أن لك رغبة في قسمته ؟ »

قالت : « هذه فكرة ... بالطبع لا أستطيع

الآن »

قال : « لماذا ؟ الشيخ سعيد لا يخالف لك رغبة »

# الدمع

للكاتب الفرنسي أميل زولا  
بقلم الأستاذ محمود خيرت

الهول الذي ينظرهم في  
النداء فأخذوا يمتثلون  
بتلك الساعات القليلة  
التي جاد بها عليهم حسن  
الحظ غافلين عن ظلام  
الليل وظلام الموت  
وأجنتها التي تحلق  
فوق هذا الميدان قهز  
سكوت الفضاء

ولما انتهوا من

طعامهم تأقت نفس أحدهم إلى الغناء واسمه «جنوص»،  
ولكن نبرات صوته كانت تمزق غشاء الهواء القائم  
الحزين، وكانت أغنيته إذا خرجت من شفثيه امتزجت  
بالصدى فكانت كتنهد عميق. وعند ذلك شق  
حجاب الظلام صرخة مزججة دوت في الفضاء  
فاضطرب حتى أنه كلف رقيقه «إلبرج» ليذهب  
ويرى فلعل إحدى تلك الجثث عادت إليها الحياة.  
وهكذا ابتعد إلبرج على ضوء مشعل أخذه معه  
ورفاقه يشيعونه بعبونهم لحظة على قدر ما يسمح به  
امتداد الضوء فأبصروا به وقد انحنى من بعيد يسأل  
الموتى ويفتش بينهم بطرف سيفه ثم اختفى

وبينما هم سكوت صاح جنوص زميله الثاني  
«كبيريان» أن يذهب في أثره خوفاً عليه من الدئاب  
وهكذا اختفى هذا أيضاً في الظلام  
أما جنوص وفيلم فبعد أن طال بهما الانتظار  
ارتديا معطفيهما واستسلما للنوم إلى جانب تلك النار  
وقد شارفت على الانطفاء. وما كادا يغمضان  
أجفانهما حتى سمعا تلك الصرخة من جديد وكأها  
تمر من فوق رأسيهما حتى أن فيلم انتصب فزعاً  
(٢)

ها أنت ذى لازلت بين أشعة الشمس وأرج  
الأزهار. ألم تسأى هذا الربيع المستمر يا نينون؟  
دعيني إذن أغمض جفنيك الناعستين على تلك القصة  
الكثيرة الهول، فإن النفس متى ملّت طول النشوة  
قد تسكن إلى صوت الأهوال

— ١ —

في اليوم الذي انتصر فيه الجند أخذ أربعة  
منهم مقاعدهم عند ركن من ميدان القتال وقد التف  
من حولهم الظلام وهم يتناولون طعامهم بين جثث  
الموتى

وكانت ألسنة اللب التي يشوون طعامهم عليه  
تنعكس أشعتها على وجوههم وترسل من خلفهم  
ظلالاً ضخمة إلى مسافات بعيدة حتى أن سيوفهم  
كانت تتألق من وقت لآخر تحت شرارات تلك النار،  
وحتى أن الناظر كان يلحس في قلب الظلام جثث  
القتلى وهي نائمة جاحظة العيون

أما رفاقنا فكانوا فرحين بضحكهم في جوف  
الليل غير شاعرين بتلك العيون المحلقة فيهم. ولعل  
لهم عذراً من هول ما رأوا في يومهم الدابر، ومن



فأخذ يتسع مجراه حتى استحال إلى جدول ثم إلى نهير ثم إلى سيل يسمع له وهو يجري صوت أصم وقد أخذ يقذف على جانبيه زبداً أجراً، وأخيراً استحال إلى نهر واسع يكسح أمامه هذه الجثث ولكن كيف خرج كل هذا الدم الغزير من جروح أولئك الموتى حتى غمرهم؟ وعلى كل حال فقد اضطر جنوص إلى التراجع أمام تلك اللجة الصاخبة وقد غاب عن نظره الشاطئ البعيد، كأنما تلك المسافة المترامية الأطراف قد استحالت إلى بحيرة واسعة، حتى خطر له أن يفر لولأنه وجد نفسه نجاة عند كرم من الصخور وأمواج الدم ترتطم بفخذه، وكأنما الأشلاء التي يجرفها التيار أمامه تلغنه كلها أصبحت به في طريقها، وكأن كل جرح من جراحها لم يزد به ويسخر من رعبه. أما البحر الزاخر فكان يعلو ويعلو حتى بلغ صدره، وعندئذ استجمع مافي نفسه من قوة وأخذ يتعلق بالفجوات التي بين الصخور حتى غاص إلى كتفيه والقمر الحزين الباهت ينظر كيف يتلع هذا البحر أشعته كلها انعكست فيه، وكأن ظلمته ودويه يخرجان من فوهة هوة سحيقة

— ٢ —

ولما بزغ الفجر عاد البرج فأيقظ جنوص وكان قد ضل السيل في الأحراج فقلبه النوم أيضاً عند شجرة حيث رأى من غريب المشاهد ما كانت صورها لا تزال عالقة بذهنه

قال: رأيت كأن العالم لا يزال في طفولته والسماء تتسم والأرض بكر تنبت فيها السنبلة وتنمو، حتى أن شجرة البلوط العالية عندنا لا تمد بجانها شيئاً. والأشجار الباسقة تملأ الفضاء بأوراقها العريضة التي لا يحصها عد؛ والحياة تجري صافية في شرايين

وأجبه إلى تلك الجهة التي اختفى عندها رفيقاه وهكذا لبث جنوص وحده وقد أخذ شبخ الخوف يتمثل لعينيه كلما وقع بصره على تلك الهوة السوداء التي كانت تدوى بمحسرة الموتى. وعندئذ أتى في النار بعض الحشائش اليابسة لمل اشتعالها بيد شيئاً من ذلك الرعب الذي تملكه

ولقد أخذت السنة اللهب ترتفع أخيراً حراء كالدم فاضأت الأرض على مسافة مستدرة واسعة كان يخيل إليه أن حشائشها أخذت ترقص من فوها، وكان أصابع خفية كانت تحرك جثث القتلى على أن القمر أخذ بعد ذلك يظهر قرصه عند الأفق فتبدد أشعته الضئيلة مخاوف تلك الأهوال التي كان الليل يخفيها في جوفه. وكانت الصحراء جرداء خالية إلا من بعض أشلاء منطرحه تحت أكفان من النور

أما جنوص الذي كان العرق يتصبب من جسمه فقد فكر في الصعود فوق رابية هناك وهو يسأل نفسه: لم أشباح أولئك الموتى لا تنتصب من مكانها وقد أخذت تحملق فيه. وهكذا أخذ جودها أيضاً يرسل إلى قلبه عوامل الرعب فأغمض عينيه. وبينما هو في مكانه جامد شعر بحرارة تدب في قدمه اليسرى فألقى ليتبين أمرها ولكنه رأى سلسالا رقيقاً من الدم يعلو وينحدر بين الحصى، ولجربانه خبر ناعم لطيف

وكان هذا السلسال يخرج من الظلام ويتلوى تحت أشعة القمر ليمود ثانية إلى الظلام، فكان كالثمان المطبخ يقع سود تتابع كالحلقات بمنجة وبلا انتهاء. وعندئذ تراجع إلى خلفه وقد تمردت أحفائه فلم يستطع إطباقها من هول ما رأى. أما السلسال

تداعب كل سنبلة تقع عليها عنه ، وهو بين لحظة وأخرى يلتفت إلى زميله وعلى شفقيه ابتسامة صافية لم تكن غير ابتسامة أخ  
أما زميله فكان صامتا يرسل إليه وجهه المكفهر نظرات حارة ملؤها الحقد ، وهو يتعثر كلما أسرع من خلفه كأنه يقتني أثر فريسة فرت منه

وعندئذ قطع فرعا من شجرة أخذ يسوى منه هراوة أخفاها تحت ثوبه ، ثم اندفع وراء صديقه الذي وقف ينتظره وقد أخذ يقبله عند ما اقترب منه كما يقبل الانسان صديقا جميعا طالت غيبته عنه

وهكذا عادا إلى سيرهما وقد أذنت الشمس بالغبس ، والفتى مسرع وهو يصير من بعيد خطا لطيفا أصفر عند سفح الجبل لم يكن غير تحية النساء ترسلها الشمس للطبيعة . أما صاحبه فظنه يتهرب منه ، حتى إذا التفت إليه وعلى طرف لسانه كلمة حلوة أراد أن يستر غرضه بها كانت الهراوة على وجه ذلك الفتى المسكين فهشمته

ولقد صادفت أول نقطة من دمه بعض الجشائش فنفضتها عنها إلى الأرض مُرَاعَةً فامتصتها هذه وهي لا تقل ارتياحا منها ؛ وقد خرج من بين أحشائها أنين مؤلم يحمل إلى السماء صوت سخطها ومقتها حيث طفع الرمل ذلك الشراب القاتل على صورة زبد خالطه دم

وما كاد القتييل يصرخ من ألم الضربة حتى تشتت الخلائق هولا ، وأخذت تهيم على وجوهها في الأرض ، وأقويأوها في مفارق الطرق يصرعون الضعفاء منهم . وعندئذ أيقنت أن الكون قد بدأ فيه نذير الاضطراب والانهلال

وهكذا استعرضت عيناى مناظر هذا الاعتداء المطرر ، فكان الباشق يهوى على القبرة ، وهذه على

الكون ؛ والماء عذب غزير حتى إذا أخذت الأشجار كفايتها منه سال بين أحشاء الصخور وكانت الآفاق تمتد ساكنة متشعبة ، والطبيعة كالطفل يجثو عند الصباح ليحمد الله على نعمة النور وتعجده هي أيضا بأريج الأزهار وتوريد الأطياف  
كنت أراها زاهية خضبة تفيض بخيراتهما من غير ما نصب ، والأشجار ذات الثمر تنمو وحدها ، وسنابل القمح تكسو جوانب الطريق كما يكسوها الآن الشوك . وكنت أستنشق الهواء فلا أشعر بأن عرق ابن آدم أخذ يتصبب فيمتزج بأنفاس السماء ، لأن الله كان يهين كل أسباب الحياة لخليقته

كان الانسان كالطير يعيش مما تخرجه له الطبيعة فيأكل من ثمارها ، ويرتوى من أنهارها ، وينام إذا دجى الليل تحت أشجارها حامدا الله ؛ وقد عافت عيناى مرأى الدم ، فظل طاهرا ، ورفته طهارته فوق جميع المخلوقات

نعم كان الوثائم سائدا بين الناس ، والسلام خافقة رايته في كل مكان ؛ حتى أن الطيور ما كانت لتحرك أجنتها فزعا من خوف ، ولا كان البني يدفع أحدا إلى الانجاء للغابات والأحراج ، كل له خصه من حرارة الشمس ، والجميع أسرة واحدة شريعته المحبة ولقد خيل إلى وأنا أمشي بين الناس أنني أصبحت أظهر وأقوى مما أنا عليه الآن ؛ وكان صدرى يستنشق طويلا نسيم تلك السماء البليل بعد أن كان يستنشق نسيم جونا الفاسد ، فأشعر بنشوة الطفل وهو يصعد رويدا رويدا في الفضاء

وبينا هذه الأحلام تهزنى انتقل خاطرى إلى غابة فوقع بصري على رجلين يقطعان طريقا ضيقا تماقت من فوقه غصون الأشجار ؛ وكان أصغرهما متقدما على رفيقه ووجهه يفيض بالاطمئنان ، ونظراته

تنظران إلى روحها وهي تصعد حاملة معها مهجتها ،  
وتلك تتجرع كأس الموت على صدر رفيقها مطوقة  
عنقه بذراعيها تودعه الوداع الأبدي

وكذلك كنت أرى من بين الناس من سئموا  
الحياة ومالوها فودعوها لعل أرواحهم تذوق طعم  
النعم في عالم آخر

أينا كنت أذهب كل أنثى أقدام الملوك<sup>(١)</sup>  
مرسوماً محفوراً على ذلك البلاط القاني ... ففهم  
من كان يمشي على دم أخيه ، ومنهم من كان يسير على  
دم شعبه ، فتترك أقدامهم من خلفها أحرقاً ناطقة :  
هنا مر ملك !

أما القساوسة فكانوا يخفون السيوف في مطاوي  
أثوابهم الكهنوتية وأصواتهم تملن الحروب باسم  
الإنسانية وباسم الله  
كان العالم كله مثلاً بخمرة البطش ، يضرب كل  
منهم أخاه بسيف ذي حدين ، والأرض عطشى تكرر  
من الدم ولا تروى

— ٤ —

وعند ذلك صاح جنوص لقد هلت تبشير  
الصباح ، ولكن طرق آذانهم صوت بوق بعيد  
لم يكن غير أمر المتفرقين من الجند بالاجتماع تحت  
علمهم ، فنهض الثلاثة حاملين أسلحتهم ثم ابتعدوا وهم  
يرسلون إلى موقعهم نظرة وداع أخيرة . غير أنهم  
لحوا رفيقهم الباقي مقبلاً وقدماء مغترتان بالتراب  
فاستوقفهم يقص عليهم ما رآه :

قال : إني أجهل من أين أتيت لأنني كنت أعدو  
عدواً وكان الأشجار لجزعا تمعدو مثلي حتى غلب  
على سلطان النوم فتمت حيث رأيت نفسي فوق تل  
منفرد وقد كادت قدماي تحترقان من حرارة الشمس

(١) أي الظالمين منهم

التيابية ، والندابة على جروح القتلى ؛ فلم يترك الفرع  
أحدًا من الدودة إلى الأسد كأنما قد استحات  
الخليقة إلى عقرب أخذت تمص ذنبها بفمها فغابت  
في ظلمة الفناء

وعلى أثر ذلك انتابت الطبيعة هزة طويلة كسرت  
خط ذلك الأفق الصافي ، وشوهدت جمالي الشفق بما  
اعترضه من السحب الحمراء

وكذلك البحار أخذت تضطرب بين قصيف  
الأمواج وهزم الرياح من خلال الأشجار . وقد  
التوت سيقانها وأخذت تنفض عنها كل سنة حلة  
أوراقها

— ٣ —

وما كاد البرج ينتهي من حديثه حتى ظهر  
كبيريان وهو يقول : لست أدري إذا كان ما سأقصه  
عليكم حلاً أو حقيقة ، لأن ما رأيت في نومي يكاد  
يكون حقيقة ، ولأن الحقيقة من بعده تكاد  
تكون حلاً .

رأيت كأنني في طريق يشق المسكونة على جانبيه  
المدن والأهم تقطعه مثلي ، وهو مكسو بيلاط أسود  
انفقد فوقه دم كانت قدماي تنزلان من فوقه  
أما الناس فقد كان الآباء منهم يقتلون بناتهم  
ليكون من دمائهن قربان لله ، فكانت تلك الرؤوس  
الفنية الجليلة تحترق تحت مداهم وقد هرب لونها على  
أثر هذه القيلة التي كانت شفة الموت تضمها عند  
أعناقهن

وفي مكان آخر كان المذارى يصنّ عفافهن  
بالتجارة جاعلات من القبور الكفن ليكودن  
وعلى مسافة من هذا المكان كنت أرى  
المشيقات تفيض أرواحهن تحت قبيلات المحبين ، هذه  
تنوح ثم تسقط جثة هامدة عند الشاطئ وعيناها

هأنذى أنوح على ثوبى اللطخ فأن أجد أخاك  
أيها المسيح ليفتح لي طرف ثوبه فأحتسب فيه ؟ ومن ذا  
الذي يغسل بعد الآن ريشي الذى صبغه دمك ؟  
وكأن المصلوب كان يستمع لتوايح تلك الحمامة  
وربح الموت تمحرك جفنيه ، وسكراته تلوى شفتيه ؛  
غير أن نظراته اتجهت فجأة إليها كأنها توجه لها لطيف  
العتاب . ثم صرخ صرخة مالت عندها رأسه إلى  
صدره فذعرت الحمامة وفرت ، وقد اغبر وجه السماء  
واهتزت الأرض ، ثم أخذت تعتمد حتى اختفت  
في ثوب الظلام

أما أنا فأخذت أعدو وقد بزغ الفجر واستيقظت  
الطبيعة باسمة من خلال ضباب الصباح ، وقد اختفت  
زوايح الليل فعاد للسماء صفاؤها ، وعادت للأشجار  
نضرتها ؛ ولكن الطريق كانت لا تزال تكسو  
جانبيها الأشواك ، ولا تزال ساكنة في غيوها  
الزواحف التي كانت تقف في طريق سبرى بالأسس .  
نعم إن دم المسيح جرى في شرايين الأرض القديمة  
من غير أن تعود إليها نضرتها الأولى  
على أن البوق كان لا يزال يسمع صوته من  
بعيد فصاح جنوس في رفاقه قائلاً :

« ألم تشعروا يا أولادى بقسوة هذه المهنة ؟  
لقد أزعجتكم تلك الأشباح في نومكم كما أزعجتني  
مثلكم ساعات طويلة . إن لي الآن ثلاثين سنة لم  
أفضها في غير قتل بني جنسى حتى سئمت نفسى .  
وإننى أعرف أن هنالك أراضى واسعة في حاجة إلى  
سواعد ومحاريث ، فهلا ترون أن تتلوق بمد ذلك  
طعم الخبز الذى يخرج من كدنا ؟ »

وعند ذلك صاحوا جميعاً : نعم  
ثم أخذوا يهثئون حفرة يدفعون فيها سلاحيهم  
وبعد أن اغتسلوا في النهر اختفوا بين ثنايا الطريق

« المترجم »

محمود خيرت

وبينا أنا أثب من صخرة إلى أخرى لحيت رجلا  
صاعداً نحوى وعلى رأسه تاج من الشوك . وعلى  
كتفيه مطبق ثقيل . والمرتق يتصبب من وجهه في  
حرارة الدم . وكانت حرارة الشمس قد أثرت في قدى  
فأخذت في الصمود حيث أنتظره تحت كل شجرة  
فوق رأس التل ، حتى إذا اقترب منى وجدته يحمل  
صليلاً ففرحت إذ لم أجده ملكاً  
ولكن جنوداً كانت تجرد في أثره وهم يهدونه  
بمحاربههم ، حتى إذا ما أدركوه صلبوه فوق تلك الشجرة  
ودمعه تسيل وعلى شفتيه ابتسامة صفراء تم عن  
مبلغ ما حل به من الحزن

هالتي هذا الشهيد ولكنني رأيت الرجل عظيماً  
في موته فتأكد لي أنه غير ملك . ولذلك أشققت  
عليه وأنا أصبح بهم : اطعنوه في قلبه حتى لا يطول  
عذابه . وعندئذ وقفت حمامة على الصليب وأخذت  
تنوح ونبرات صوتها تصل إلى سمعي فتصورها لي  
عذراء لم تملك نفسها من البكاء وكأنها تقول :  
« ما لي أرى الدم قد صبغ اللبيب والفضاء  
والأشجار ؟ وما لساقى تفوصان من تحتي في الرمل  
القاني ؟ وما لجناحي حين لسا هذه الأغصان صبغتهما  
الحمرة ؟ »

لقد صادفت في طريق رجلاً صالحاً فتبعته حتى  
إذا اغتسلت في التبع خرجت وثوبى طاهر تقى  
ولذلك كنت أقول لريشى : قر عيناً فانك فوق كتي  
هذا الرجل لن يحمل همك . ولن تدنسك آثام . أما  
اليوم فقد أصبح نشيدى :

نوحى يا حمامة وأبكي ثوبك الذى لطحه دم من  
اتخذت حماك بين يديه . إنه جاء ليصون لك بياض  
ثوبك ولكنه تحت حكم أولئك القساء بلل ريشك

بندى جروحه

وقاد الرجال من  
طرف الحقل إلى الطرف  
الآخر فأراهم كيف  
قسمه إلى ثلاثة أقسام  
متساوية ، وكيف وضع  
خطوطاً تبين معالم كل  
قسم من هذه الأقسام  
وصاح الرجل في

# سَبَاقُ الْحَصَادِ

لِلْكَاتِبِ الْأَنْجَلِيِّ لِيَامِ أَوْفَلَاهِرْتِي  
بِقَلَمِ الْأَسْنَانِ ذِعْبِ الْحَمِيدِ مُحَمَّدٍ

نشوة أشبه بنشوة تلميذ المدرسة :  
« لا يمكن أن يكون هناك ما هو أعدل من  
هذا ، وعندما أطلق النار من مسدسي سيداً الجميع  
العمل في لحظة واحدة ، والزوج الذي يسبق في حصده  
شقته يحصل مئى على ورقة من ذات الخمسة الجنيهات  
وهز الفلاحون رؤوسهم ونظروا إلى الشيخ  
ما كدارا . نظرة الجدل على الرغم من أن كل واحد منهم  
كان يعتقد في نفسه سفة ذلك الشيخ الذي ينفق  
خمسة جنيهات على حصده حقل يمكن حصده بجنيهين  
لا أكثر ؛ على أنهم لم يكونوا مع ذلك أقل من  
ما كدارا نفسه اهتماماً ولهفة ، فإن الثلاثة المتفوقين  
بين الحاصدين في جزيرة انفيرارا كلها قد تقدموا  
إلى هذه المسابقة ، وكانوا في هذه اللحظة واقفين  
عند رأس الحقل كل في شقته مستمدين للمعل ، وكان  
كل منهم مستصباً وزوجه لتحزم ما يقطع من  
الشعر وتربطه ولتقدم له الطعام أيضاً

أما اختيار الشقة التي يعمل فيها كل منهم  
فكان عن طريق الاقتراع إذ سحب ثلاثهم ورقة  
ملفوفة من قبعة ما كدارا ، حتى إذا عرف كل  
شقته وقف على رأسها منتظراً إشارة البدء في العمل ؛  
وعلى أن الشمس لم تكن بعد قد بعثت بحرارتها إلى

لم يطلع الفجر إلا وقد تجمع الحاصدون في حقل  
الشعر ، ذلك الحقل الكبير القائم الروايا الذي يملكه  
جيمس ما كدارا المهندس المتقاعد . وابتدى الحقل  
من منحدر أحد التلال ثم يهبط في ميل خفيف  
حتى ينتهي إلى طريق الشاطئ النطى بالرمال يحيط  
به سور غير مرتفع من الحجر تدلت عليه رؤوس  
عبدان الشعر الصفراء متكاثفة تغلظه فلا يكاد يظهر  
لأحجاره من أثر ، يحيط بعضها بمصفاً تحدثت خفيفاً  
خفيفاً كلما هبت عليها نبات الصباح .

وكان ما كدارا نفسه — وهو شيخ أبيض  
الشعر — واقفاً خارج السور في سراويله الرمادية  
يلوح بعصاه متحدثاً إلى نفر قليل من الناس اجتمعوا  
جوله في هذه الساعة المبكرة من النهار مدفوعين  
بحب الاستطلاع ، وكانت أمارات الاهتمام بادية على  
وجهه المشرب بالحرارة وهو يتحدثهم في صوت مرتفع  
يقول :

« لقد مسخته يوم أمس على أدق الوسائل ؛  
وأقسم بشرى أن ليس هناك من فارق ولو بوصة واحدة  
بين مساحات الأقسام الثلاثة . وانظروا لقد رسمت  
خطوطاً على طول الحقل حتى لا يضل أحدهم طريقه  
فلتقدموا لتروا بأعينكم »

إلى امرأته في لهجة جدية خافتة ، وكان رجلاً كبير  
 الهامة غليظ الأطراف والعنق ، أسود الشعر شرب  
 الصلع في مقدم رأسه ، وكانت جبهته شديدة  
 البياض وخدها شديدي الاحمرار ؛ وكان كثير  
 التقطيل يحرك حاجبيه السوداءين ، وكانت امرأته  
 ماري قصيرة القامة نحيفة ، شاحبة الوجنتين ، تبرز  
 أسنانها العليا إلى الخارج قليلا على شفتها السفلى  
 ووقف على رأس الشقة اليمنى « بات كونسيدن »  
 وامرأته « كابت » ، وكانت « كابت » كبيرة الهامة  
 مقتولة المضل ، مرقشة الوجه ، نبت على شفتها  
 العليا شاربان يسترعيان النظر ؛ شعرها غزير  
 يضرب لونه إلى الصفرة القاتمة وقد تركته مرسلا  
 غير ممشط ، وكانت تتحدث إلى زوجها في صوت  
 عال فيه خشونة صوت الرجال ، يتميزه نغمة تنبئ  
 عن طيب الخلق والوداعة . وكان زوجها على العكس  
 منها رجلاً قصير القامة ، ضئيل الجسم ، بدأت  
 التجاعيد ترسم على وجهه ولما يبلغ الأربعين بعد .  
 وكان وجهه في وقت ما مشرباً بالحمرة الداكنة ،  
 أما الآن فقد بدأ يعلوه الشحوب ، وقد فقد  
 أغلب ثناياه ، وكان في هذه اللحظة واقفاً في غير  
 اكتراث يتسم لا كدارا ، وكانت ضالة جسمه  
 ونحوه يخفيان ما ركب في ذلك الجسم من قوة ،  
 ثم هن ما كدارا عضاه ، ورفع ساغده وأطلق النار  
 من مسدسه فبدأ سباق الحصاد ؛ وبحركة واحدة  
 ركب الرجال الثلاثة على ركبهم اليمنى كما يركب الجنود  
 ساعة المران على إطلاق النار ، وفي نفس هذه الحركة  
 أطبقت كفوفهم اليسرى على حزم من عيدان الشير  
 وارتفعت مناجل الحصد في الهواء ، ثم سمعت أصوات  
 قطع تشبه الأصوات التي يحدتها أكل البقر الجامعة

الأرض ونسيم البحر كان لا يزال ندياً رطباً ، فان  
 الرجال الثلاثة قد خلعوا أردتهم إلا الأقصصة  
 المفتوحة الصدر ، وقد طلوا أكامهم ورفعوها إلى  
 مافوق المرافق ، وكانت الأقصصة مصنوعة من  
 الصوف الرمادي ، وقد تمتطقوا بأحرمة من الصوف  
 منسوجة باليد ؛ أما سراويلهم فكانت من قماش  
 أبيض تدخل نهاياتها تحت جوارب طويلة من  
 الصوف محلاة رؤوسها بمختلف الألوان ، وقد  
 اتعلوا ناعلاً خفيفة من شأنها أن تقي أقدامهم  
 وتسهل عملهم ؛ وكان ثلاثهم عارى الرؤوس ، أما  
 نساؤهم فقد ارتدين سترات حمراء وربطن حول  
 رؤوسهن شيلاناً صغيرة

وكانت الشقة اليسرى من نصيب ميخائيل  
 جيل وزوجته سوزان . وكان ميخائيل رجلاً طويل  
 القامة صلب المود قوى البنية ، أشقر شعر الرأس ،  
 أنفى الأنف ، يحرك في استمرار فكك الأسفل إلى  
 الأمام وإلى الوراء ؛ وكانت عيناه الزرقاوان  
 الصنيرتان محذقتين باستمرار إلى الأرض ، حتى  
 لانكاد أهدابه البيضاء الطويلة تلمس عظمتي وجنتيه  
 كما لو كان ناعماً ، وقد وقف جامداً يحمل في يده  
 اليمنى متجمل الحصاد مسكاً حزامه باليسرى ، وكان  
 يرفع أهدابه ما بين فترة وأخرى مصغياً يتوقع  
 انطلاق المسدس ؛ وكانت امرأته تكاد تدانيه طولاً  
 ولكنها كانت بدينة حمرة الوجه ، وكانت امرأة  
 صموتاً وقفت في هذه اللحظة تفكر في طفلها الذي  
 لم يتجاوز الشهر الثامن من عمره وقد تركته في  
 البيت في عناية أمها

وكانت الشقة الوسطى من نصيب جنوي  
 بودكن ، وقد وقف متكئاً مفرسخاً يتحدث

عضلات وجهها في تقطب جدى أشبه بالرجل التهامك  
في حل مسألة كبيرة الخطر

ويأتى بعد «بودكن» كونسيدن وامرأته ،  
وقد أبدى هذا الرجل الضئيل الجسم ، بعد أن انهك  
في العمل ، قوة مدهشة وخفة في الحركة تشبه خفة  
الجديان . وعندما كان ساعدها التحيفان الطويلان  
يعملان في قطع الشعر كانت العضلات تبرز فوق  
ظهره كسلسلة من اللوالب المضغوطة . وكان كلا  
اعتمد على ركبته اليمنى ليتقدم إلى الأمام في خط  
الحصاد ينفرج فمه عن صوت أشبه بالآتين المقطوع ؛  
وكانت امرأته التي غمر العرق جبينها تتحرك في أعقابها  
يحزم ما يقطع وتشجعه على العمل ضاحكة مزاحة  
بصوتها المرتفع ككادته الخارج من أعماق قلبها

وكان آخر الثلاثة ميخائيل جيل وامرأته . وقد  
بدأ ميخائيل عملية الحصاد في حركة متأنية مترة  
كآلة ميكانيكية تبدأ حركتها بقوة دفع خفيف .  
وقد مضى في عمله في خطوات متساوية لا يغيرها  
أبداً ولا يرفع رأسه مطلقاً ليرى إلى أين وصل منافسائه ؛  
وكانت يدها الطويلتان تتحركان في سكون فلا يسمع  
لحركاتها صوت غير صوت احتكاك أسنان المنجل  
لسيقان الشعر . ولم ينظر وراءه قط ليرى إذا كان  
قد حصد ما يكفي لجمعة واحدة ، حتى يبدأ في الجمعة  
الثانية ، فقد كان مقدراً جميع حركاته من قبل تقديراً  
صحيحاً ، فهي حركات ثابتة متأللة دقيقة غاية في الدقة  
وحتى تنفسه كان شيئاً بحركاته هادئاً لا يخرج إلا  
من أنفه كتنفس النائم السليم من الأمراض . وكانت  
امرأته تسير وراءه في مثل هدوءه يحزم الحصادات في  
نأن وكثير من العناية لا يبدو عليها أي أثر للانفعال  
أو الاجهاد

وإذ تقدم النهار أقبل الناس من كل ناحية

الحشيش المبكر في الربيع . ثم إذا بثلاث حزم  
صغيرة ملفوفة من الشعر تاتي على الأرض النداء  
بجوار السور ، وراء كل ساق مثنية من سوق الحاصدين  
الثلاثة حزمة منها ؛ وكانت النسوة الثلاث ينتظرن  
في لهفة عصبية الحصدة الأولى ، فهذه الحصدة قد  
تكون بشيراً بالنصر أو نذيراً بالهزيمة ؛ وتكونت  
حزمة واثنان وثلاث وأربع ... وكان جوني بودكن  
ينط كالجواد النائر ملقياً بالحزم التي يقطعها في غير  
توقف . ولم يلبث أن رفع منجله عالياً قفل عليه  
صائحاً في صوت عال صيحة الانتصار يقول : «الحصدة  
الأولى !» فأطبقت امرأته بكلمات يديها ، وبدأت عملية  
الحزم في سرعة ومهارة تدعوان إلى الدهشة والإعجاب ،  
وكانما كانت أصابعها الطويلة في أثناء هذه العملية  
تلمب بإير التطرير . ولم يتوقف الحاصدان الآخران  
وزوجاهما لينظروا ما حدث ، فقد اتعنى الحاصدون  
الثلاثة من قطع حصدهم الأولى ، وأهمكت زوجاتهم  
راكعات على ركبتين في عملية الحزم .

واستمر بودكن في الحركة العنيفة التي بدأ بها ،  
فلم يمض إلا قليل من الوقت حتى كان قد تقدم  
منافسيه بمسافة غير قصيرة ؛ وكانت ضرباته في قطع  
سيقان الشعر غير منتظمة فكان يترك وراءه بقايا  
هي أثر لعدم انتظام الضربات ، ولكن السرعة التي  
كان يعمل بها والقوة التي بدت في حركاته أدهشتا  
المراقبين أكبر الدهش ، فكانت يدها تعملان  
بالمنجل عمل الجبارة ، وكان جسمه الكبير يتحرك  
في قوة ، فكان في حركته أشبه بفيل يذب وسط  
إحدى الغابات . ولكن المشاهدين كانوا يرون في  
حركات أطرافه التي لا تهدأ توازناً لا يتخلو من الجمال ؛  
وكانت امرأته من وراءه تحزم في استمرار ما يحصد  
في سرعة تدعو كذلك إلى الإعجاب ، وقد تجملت

فأحضرت وعاء مملوء بالشاي البارد وفطيرة كبيرة من الدقيق الأبيض فقطعتها قطعاً كبيرة وغطت كل قطعة منها بطبقة كثيفة من الزبد ، وقد أعربت إلي جانب ذلك أربع بيضات مسلوقة . ولم يكن لبودكن وامرأته أطفال ، لهذا كان في مقدورهما أن يمشيا في شيء من السعة ، أو على الأقل كانا أرفه حالاً من أمثاله من الفلاحين ، فما وقع نظر بودكن على الطعام حتى ألقى بمنجله وأقبل يأكل في شمه فازدرد في لحظة ثلاث بيضات بينا امرأته التي لم تكن لتقل عنه جوعاً أكلت الراية ؛ ثم أقبل بودكن على الفطيرة الحملة بالزبد والشاي البارد يتلهم الجميع بمثل السرعة التي كان يحصد بها النبات . ولم يحتج الزوجان لأكثر من دقيقتين وثلاثه أرباع الدقيقة لالتهام كل هذه الكمية الكبيرة من الطعام والشراب . وكان الدكتور جلاغر الواقف على الشاطئ بين المراقبين يحسب الوقت مدفوعاً إلى ذلك بحب الاستطلاع ، وما انتهى الزوجان من الأكل حتى عادا يحصدان بمثل العنف الذي كانا يميلان به من قبل

وكان كونسيدن قد تساوى ببودكن في اللحظة التي استأنف فيها هذا عملية الحصد ، وبندل أن يجلس كونسيدن وامرأته للطعام تناولاه على عادة مألوفة بين فلاحي انفيرارا في مثل هذه المواقع ، فكانت كابت تطعم زوجها في أثناء عمله بقطع من فطير الشوفان المدهون بالزبد ، وكانت من فترة لأخرى تناوله وعاء الشاي فيشرب منه قليلاً ، وبهذه الوسيلة كان عند انتهائه من الأكل لا يزال في مستوى بودكن ، وقد أعجب المشاهدون بما رأوه من حماسه وتنبأوا له بالنفوز

ولم يهتم أحد من المشاهدين بجيل وامرأته فلم

ليرقبوا حركات الحاصدين . وارتفعت الشمس في كبد السماء ، واشتدت الحرارة ، وانقطع الهواء ، وجمدت سيقان الشعير فلم تعد تتحرك كما كانت تتحرك في أول النهار بعمل نسيم الصباح ، بل وقفت منتصبية ثابتة أشبه بزجاج من الذهب تحمل أسنة من الفضة البيضاء . وكان قسم كبير من الشعير قد حصد نازكاً مكانه فراغا يزداد اتساعاً ما بين لحظة وأخرى ، وقد انتشرت فيه نقط خضراء هي نبات بعض البذور التي اختلطت بنبور الشعير عند زرعها ؛ وكان المشاهدون يتحدث بعضهم إلى بعض في أصوات مرتفعة ، ولكن ارتفاعها لم يكن لينعطي على صوت النازل الحاصدة

وقيل أن ينتصف النهار بقليل كان بودكن قد انتهى من حصد نصف شقته ، وكان صاحب الحقل قد وضع قطعة من الحجر على الخط الفاصل بين النصفين ، فما وصل بودكن إلى هذا الحجر حتى رفعه بيده عالياً وصاح :

« هذا هو الدليل على أنه لم يولد بعد في جزيرة انفيرارا رجل في مهارة جوني بودكن »

فأجاب المشاهدون الواقفون وراء السور على هذا التفاخر بصيحات التهليل . ولكن كابت كونسيدن حملت حزمة من الشعير فقهرتها في الهواء وقالت بصوتها الخشن وفي لمجتها النكاهية للمهودة :

« إننا لا نزال في طليعة النهار يا بودكن الناعم اللحم . »

فارتفعت في الجوشحات السامعين لهذه الفكاهة . ولكن بودكن لم يكن له يجب ، فلم يكن حاد الذكاء حاضر البدنية ليقابل هذه الدعاية بمثلها . أما جيل وامرأته فلم يلتفتا إلى ما حدث ، ولم يرفعا أصيهما عن عملهما وكانت امرأة بودكن أول من أعد طعام الغداء



المشاهدين يتراهنون على من سيكون الفائز . ولم تكن اللمحة إلى هذه اللحظة قد بلغت حدها ، فقد كان الجميع واثقين من فوز بودكن الذي كان يتقدم منافسيه بمسافة طويلة . ولكن هذا التفوق لم يلبث أن تهدده الخطر ، فعلى الرغم من تقدمه على جيل إلى مدى بعيد كان التعب قد أخذ منه وقد بدت عليه آثاره واضحة ، وكان من أظلمها خطأ ضربات منجله ما بين فترة وأخرى ، إذ كان سته يضرب الأرض فيخرقها ، وكان جسمه كله يتصبب عرقاً ، وشرع ينظر وراءه إلى جيل متضابقاً من صيحات المشاهدين وتهليلهم

وقبل الساعة الرابعة بقليل سقط كونسيدن فجأة مجهوراً خملوه إلى ما وراء السور ، وأحاط به فريق من المشاهدين . وسقاه مستر روبرتسون القسيس قليلاً من النبيذ أعاد إليه شعوره لحاول أن يعود إلى العمل ولكنه لم يستطع النهوض . فقالت إمرأته غاضبة :

« ابن حيت أنت فقد قضى عليك . وسأستأنف أنا العمل »

وشمرت المرأة ساعديها ثم حملت المنجل واندفعت إلى الحقل صائحة وشرعت تحصد في قوة وعنف . وصاح ما كدارا :

« مرحى ! مرحى ! »

ثم وجه كلامه للدكتور جالاغر ، وقد لمس كتفه :

« سأعطي المرأة جائزة خاصة يا جالاغر ، فهي بعد من النسل الإيلندي .. وإنك لتفهم ما أعني .. إنها من النسل النشط ! »

ولكن اهتمام المشاهدين انصرف كله إلى المعركة بين بودكن وجيل . فقد نأر بودكن ثورة هائلة فبدلت مجهوداً رائعاً ، واستطاع أن يتقدم قدماً جديداً

بكن في حركاتهما ما يسترعى النظر أو يثير اللمحة ؛ على أن هذين الزوجين لم يقطعا عملهما لياً كلا ، وكانا يقتربان في انتظام من منافسهما ؛ وعلى الرغم من أنهما كانا لا يزالان متأخرين قليلاً عن مستوي هؤلاء ، كان يبدو عليهما النشاط الهادىء ، فكانا في هذه الساعة من النهار مثلهما عند ابتداء السباق لا يبدو عليهما أى أثر للتعب أو الاجهاد ، بينما مظاهر التعب قد أخذت تبدو على بودكن الذى أثقله الطعام البسم ، وفى حين بدأ على كونسيدن أنه قد أخذ ينق من قواه الاحتياطية . وإذ وصل جيل إلى الحجر المميز لحظ النصف من شقته وضع منجله فى هدوء وطلب من امرأته أن تحضر الطعام فأحضرتة من جانب السور وكان مكوناً من خبز الشوفان المدهون بالزبد الخفيف ، وزجاجة مملوءة باللبن الطازج وشيء من دقيق الشوفان فى قاع الزجاجه ، وأكل الزوجان طعامهما على مهل ثم استراحا فترة من الوقت . فلما رأى المشاهدون ذلك بدأوا يتهكمون عليهما ، ولكنهما لم يعبأ بهذا التهكم ولم يلقيا إليه بالا . حتى إذا صرحت عشرون دقيقة عادا يستأنفان عملهما ، فارتفعت فى الجو عبارات السخرية وصاح شيخ عجوز :

« إنك تلوت اسمي يا ميخائيل »

فصاح ميخائيل جيل :

« لا عليك يا أبى فان السباق لم ينته بعد »

ثم تقل على يده وأمسك بمنجله من جديد ثم بدت على المشاهدين آثار الدهشة البالغة فقد رأوا جيل وامرأته يستأنفان عملهما بنشاط حم وسرعة هائلة ؛ وكانت حركاتهما منتظمة آلية كما كانت من قبل ولكنهما الآن كانا يعملان بضعف السرعة التى عمل بها فى أول النهار ، فالتفت صيحات الاستهزاء إلى هتاف الإعجاب ، وأخذ السادة من

يشرب حتى بلغت حواسه ، وأثقل الناس رأسه ، وأصبحت حركاته لا شعورية ، فكان يرى أمامه الجدار الذي ينتهي عنده السباق ويجهدي الوصول إليه ، وشرع يتحدث نفسه ، ووصل بالفعل إلى الجدار في إحدى نهايتي خط الحصاد ، ولم يكن عليه إلا أن يحصد الشعير على طول الجدار وينتهي الأمر . وما هي إلا ثلاث حصدات ثم ... ثم يصبح أهر حاصد في أنفيرا ... ويحصل على الورقة ذات الخمسة جنبات ...

وما وصل في حديثه لنفسه إلى هذا الحد حتى اخترقت صياحه أذنيه صيحة الهليل والاعجاب بتوى في الجو :

« لقد فاز جيل »

فسقط بودكن على الأرض ين أنين الموجع  
المقهور عبد الحميد محمدي

وكان جسمه الثقيل يتحرك يمنة ويسرة وإلى الراء في خط الحصاد ، فكأنما كان ينتزع عيدان الشعير بفعل سحر . وكان كلما انتهى من حصدة تناولها امرأته فخرمتها . ولكن عند ما وقف بودكن في الساعة الخامسة ونظر إلى الراء رأى جيل لا يزال يتقدم في اطراد منتظم خفيف . وأحس بودكن فجأة أن متاعب اليوم كله قد استولت عليه في هذه اللحظة أحس بادى الأمر بعبث شديد ، فأرسل امرأته لتحضر له من جوار السور وعاء الشاي الاحتياطي ، فلما عادت به شرب به شره شديد . وكان كلما شرب ازداد شعوراً بالعبث . فصاح به أصدقاؤه من المشاهدين محذرين ، ولكنه جن بالعبث ، فلم يمد يده شيئاً ، فاستمر يشرب ، وكان قد أصبح على بضعة خطوات من خط الفوز ، فنظر إليه ذاهكاً وهو يلوح بمنجمله في الهواء ، ثم عاد

## إحياء أثر أدبي نفيس

وفق الأساتذة خليل محمود عساكر ومحمد عبده غزام ونظير الاسلام الهندى في الحصول على مخطوط قيم نادر بمكتبة الفاتح الأستاذة فاشتغلوا بتحقيقه وضبطه والتعليق عليه وعمل فهارس مستوفاة له ثم طبعوه على نفقة (اللجنة التأليف والترجمة والنشر) طبعة علمية متقنة في شكل أنيق مع مقدمة تحليلية متممة للأستاذ الجليل أحمد أمين . والكتاب في الدفاع عن شاعر من غول الشعراء كثرت فيه الآراء واختلف النقاد في مذهبه وتقدير شعره . ومؤلفه أديب ممتاز ثقة فبا برويه ذلك الكتاب هو : أخبار أبي تمام لأبي بكر الصولى وهو مطبوع على ورق جيد ويقع في ٣٤٠ صفحة من القطع الكبير وثمنه ١٨ قرشاً عاداً أجرة البريد ويطلب من اللجنة ومن المكاتب الشهيرة

(١) خالتي وقصص أخرى

(٢) وكيل البريد وقصص أخرى

مجموعتان من أقاصيص رابندرات طاغور

ترجمته عبد اللطيف النشار

(٣) جنة فرعون وقصائد أخرى

(٤) نار موسى وقصائد أخرى

ديوانان من شعر عبد اللطيف النشار

(٥) الاسكندر

رواية تاريخية عن حياة الفاتح الكبير

ترجمته عبد اللطيف النشار

تمن هذه الكتب الخمسة عشرة قروش بما في ذلك أجرة البريد وتطلب بالبريد من صاحبها بعنوانه :  
١٨ شارع الإيعادية بمحرم بك بالإسكندرية

بالكنجي بجانب خيمة  
أسرة مذكور العربية  
الخالصة

ولم يكن الدهر  
وتقتل لآل مذكور  
عبوساً ، فالسحب في  
كل عام مطرة ، والشمر  
وفير ، والشاء والنياق  
منتجة غزيرة ألبانها ،

والحياة رعدة مندقة يزيد في هنائها صفاء السماء في  
الصفيف وجفاف الجو في الشتاء  
وكانت « منديّة » إحدى زوجات مذكور  
الأربع على وشك الوضع حين شيدت أسرة بسكوالي  
بجانب خيمتها أول منزل أقيم في تلك الجهة ؛ فلما  
وضعت منية طفلها أوحث إليها امرأة بسكوالي أن  
تدعوها « روز » قبلت ، وكان الاسم أول طغيان  
للمدينة الظالمة على قدسية مابنته الطبيعة بيدها الظاهرة  
وجاءت « روز » آية في الجمال تجمع كل مافي معنى  
الوردة من حسن وبهاء ؛ فالوجه لطيف اللامع وسيم ،  
والجسم متنسق الأعضاء غض ، والبشرة بيضاء فضيرة  
وذهبت الأيام بأثار الحرب المشؤومة إلا ما أوغلت  
من مدينة في بقاع مريوط الشاسعة وتركت من تعاليم  
الحضارة الفاسدة في نفوس سكانها

فالحيام الآن مضروبة في نقطة الكنجي حول  
مساكن من الخرسانة المسلحة خططت أبداع تخطيط  
تحفها الفرندات وتحيط بها الحدائق التي تروى بما  
تزخره أحدث المحركات الزيتية والهوائية من مياه الآبار  
وكأنت تلك الحيام وهي قائمة حول هذه  
المساكن التي تخرج بضوضاء السرعة الآلية ومرح  
أهل الحاضرة المتكلف المزوج بكثير من الرياء

# روز

## بقلم الأديب يوسف فهمي

كان اسمها روز . وعجيب أن تسمى روز ابنة البادية !  
وأعجب من هذا أن أهلها كانوا يجولون معنى  
هذا الاسم وقت ميلادها . فهم أصدقاء الطبيعة  
الساخرة يعرفون للزهور أسماءها وللأعشاب أنواعها ؛  
ولم تكن إلى ذلك الوقت قد آذنت حاسة سمعهم  
تلك الكلمات الأجمعية التي يستعملها في عربيتهم  
غير الناطقين بالضاد . فكانوا يعرفون أن ملكة  
الزهور هي الوردة ، وكانوا يجولون تماماً أن كلمة  
« روز » هي اسم هذه الزهرة العطرية عند الفريجية  
ولكن هي الحرب العالمية التي تغفل أثرها إلى  
نفوس أهل الدعة والسكنية ، عشاق الجمال الخالص  
من كل تصنع ، رقاء الشمس في بكورها وأصيلها  
وشفقها ، والقمر في هلاله وبدره

نعم هي الحرب الضروس التي قضت ظروفها  
السيئة أن يبطأ بنو التاميز أرض مريوط حاملين  
إليها سجون مدنيتهم ومدنيت أتباعهم ، أولئك  
النفر من مرتقة الأمم الغربية الأخرى الذين كانوا  
يلازمون الجيوش في تغلاتهم لينغموا من بيع  
سلعهم أكبر الفائدة

وهكذا أراد القدر أن يعسكر البريطانيون بالعامة  
وأن تتخذ أسرة بسكوالي الإيطالية المرتقة مسكنها

فضلات الوليمة إلى مَنِيَّةٍ ففتلقاها المسكينة فرحة  
وتحملها إلى أولادها وهي تحمد الله أن من علمهم  
بقوت يومهم في سعة

وكثيراً ما كانت «روز» تجمّع عن مشاركة  
إخوتها في تناول تلك الفضلات وكانت أمها تعرف  
سبب إحجامها — فسكوالى الشاب أكثر عطفاً  
عليها من أبيه على «مَنِيَّة» فهو لا يرضى أن  
يراهما تأكل من فضلات طعامه ، وقد شاركته  
اللمب طفلاً وشاطره المرح والانتهاج بنظر الطبيعة  
مراهاقاً ، وهي لا تأل جهداً في إرضائه وخدمته ،  
وقد صار شاباً ترفه من عواطفه الرعاية والزلي  
فاذا ما جلس إلى المائدة ورأى في حديث  
المجتمعين حولها ما يشغلهم عنه ، اختلس اللحظة  
ونهب إلى حجرة الطبخ ليتحف رفيقة طفولته  
بنصيب من لذيذ الطعام فتأخذه شاكرة وتنتجى ناحية  
وراء المنزل لتلهمه بشغف بعيدة عن أعين الرقباء  
ولم يكن عطف بسكوالى الشاب قاصراً على  
إطعامها قدر استطاعته ، بل كان يتعدى ذلك في بعض  
الأحيان فيقلب حنواً شديداً يتجلى في مظاهر  
التدليل التي كان يحيطها بها — فكم من مرة مسح  
على كفتها وهي في معزل تقوم بعملها المنزلي ، وقال  
لها في لطف جم : « أنت جميلة ياروز ! وحرام أن  
يضيع هذا الجمال وسط الصحراء »

وكانت روز تصني إلى هذه الكلمات العذبة وهي  
مطاطئة الرأس فتحمر وجنتاها من خفر ، وتمتليء  
نفسها عجباً وزهواً — وكيف لا تفعم هذه النفس  
البريئة الصافية بالخلاء وهما هو ذا ربيب المدينة  
والجاء ، يرد على مسمعا عبارات الاطراء في لهجة  
نعم عن صدق وإيمان قوين . هو أدري بتقدير  
جمال النساء لأنه يرى من أنواعهن المختلفة في  
شئ الأزياء ما يجعله دقيق التقدير صادق الحكم .  
فهي إذن جميلة وجديرة بأن تكون من ربات تلك

والاستهتار تنكس هامتها ذلاً وخضوعاً بعد أن  
كانت في فضاء الله الحر عالية الرأس عزيزة الجانب  
ولقد شاء نحس الطالع أن تمن هذه الخيام في  
ذلفا وأن يخضع ساكنوها لسلطان المدينة القاهرة  
تحت ضغط الفاقة ، فالسحب نادرة المطر منذ خمس  
سنوات ، وما أشق أهل البادية إذا شح القطر وحرمت  
حياضهم من ري الديم المحسنة

ولم ينج مدكور على رغم سعة العيش التي كان  
يتمتع بها من مخالب البؤس . فلا شعير يكسح حول  
خيامه ، ولا أعشاب تكسو التلال البعيدة فتشبع  
قطعانه . وتوالى عليه التكبكات عابن متوالين قتلته  
الحزن وأودى تاركاً من ورائه نسوة لا عائل  
لهن ، وعدداً كبيراً من الثدية لا يجدون من  
القوت إلا الكفاف

وآل إلى مَنِيَّة وأولادها مما تبقى من مال  
زوجها شاة وثافة وجل وما يجمعهما من متاع قليل  
ولم تشأ أسرة بسكوالى — وقد احتمت في  
جوار هذه الخيمة إذ كان المزيرف فوقها —  
أن تتخلى عن حمايتها في أطم محنتها لجعل ربهما من  
مَنِيَّة حارسة لمصبغه وما حوله من أراض وأورق  
شجرها وطاب ثمرها أثناء إقامته بالأسكندرية ،  
وخادماً تقوم بنظافة المنزل وتعاون ربه في الطهي  
أثناء راحته بمروط

وكانت روز تاون أمها في كل هذه الأمور ، فإذا  
لجأت أسرة بسكوالى إلى مصيفها في نوحى السبت  
والأحد من كل أسبوع كمادتها أخذت في تنظيف  
الحجر وإعداد الأسرة وغسل أدوات الطبخ وحمل  
الماء المذب من صهرج المحطة وإعداد المائدة في  
أوقات تناول الطعام

فاذا انتهى أفراد الأسرة وضيفهم من تناول  
الطعام وأفرغوا من زجاجات الخمر الممتعة ما أفرغوا  
أمر بسكوالى وهو في نشوته ومرحه أن تعطي

وقوة ساعديه ما يعادل محاسن شبان الحضرة ؟ أو لا ألقى منه عطفًا وحنانًا يوازن عطف بسكوالي وحنانه ؟ أو ليس أبوه سيد عشيرة « أولاد علي » وعميدها المحترم ؟ فإذا أبني من الدنيا أكثر من أن أكون له زوجة ؟ « وفي الواقع كل هذه الصفات وهذه الميزات تجتمع في حبيبه عبد الكريم ؛ ففيه الجمال البدوي البهيج ، وفي أسرته كرم المحتد والسيادة بين عشائر مريوط العربية .

فأبوه الحاج عبد الكريم يحكم الأسر في الخصومة إلى سيد رايه وعده ، ويلجأ الغريب إلى خيامه فيجد من كرم الضيافة ما يجعله يلجج بفضلها . — ورث عن آبائه جنتين يتعاون أبناؤه الثلاثة على ريهما من بئر رومانية فتؤتي كل منها محصولها وفيرًا : تينًا وزيتونًا وعنبًا . وكلما حان وقت قطاف التمار راح حبيبه وأخواه يبيعون جزءًا منها في قرى الكنجه والعامرية والهوارية ، وتولى الحاج عبد الكريم بيع الباقي إلى تجار الفاكهة ممن تعودوا شراء غلاله . أما الغنم فيرسلها إلى مراعي البحيرة حتى إذا جاء عيد شتم النسيم أو عيد الأشحى ساقها أحد أبنائه إلى الاسكندرية فيريح منها كثيرًا

وكانت أمينته الملحة أن يرى قبل موته خيمة حبيبه — ابنه الأصغر — مضروبة الأطناب بجانب خيمتي أخويه يرفرف فوقها الهناء الزوجي بمخاضه . واستغل حبيبه هذه الرغبة في نفسه فتعجل الحوادث وجعل أخاه الأكبر يفتاح أبوابًا يمكن قلبه لروز من الود الصادق ، فوافق على هذا الاختيار ، ولا سيما أن الرحوم مذكور كان من أخلص أصدقائه ومنذ ذلك الحين أخذ حبيبه يهيئ الظروف المناسبة لعقد الخطبة بقراءة الفاتحة في حفل من الشهود ، فذهب إلى منسيه ورجاها الموافقة على الزواج من ابنتها فوافقت مقتبضة ؛ وحدد لعقد الخطبة موعداً ضربه فهورت إلى صديقها « ناجية »

للقصور التي كثيراً ما وصف لها بسكوالي الشاب داخلها وما تضم من أثاث فاخر وزينة كان يصور لها تلك القصور تصويراً رائعاً خلاباً فإذا عجزت عن إدراك دقائق التمييز بالنسبة لأحد أجزائها اتخذ من حجر نصيفهم مثلاً مصغراً فيقول لها : « أرايت قاعة الاستقبال وما بها من رياش ؟ إنها لا تذكر بجانب قاعات الاستقبال في قصور الأغنياء وليس بين نسائهم من تضارعت حسنات ونضارة كل هذه التأثيرات من إطرأ ووصف وإغراء كانت تتغلغل رويداً رويداً في نفسها المطمئنة فتجعلها فريسة الاضطراب ، وتهيج في قرار عقلها الباطن عوامل الطموح إلى الجاه والرغبة في التمتع بمظاهر الحياة وحب الوصول إلى مكانة تتفق وما حبها الطبيعية من جمال ؛ وتحت هذه التأثيرات أصبحت « روز » — وهي ابنة الصحراء القاننة من العيش بالكفاف ، ومن المتاع بأقل من الضروري — ترى في فضاء مريوط سجنًا ضيقاً ، وفي الخيمة التي أبصرت فيها الحياة مأوى حقيراً لا يليق بمحسنة مثلها إلا أن هذا الغرور لم يكن قد استولى بعد على كل إرادتها الناشئة ؛ فكانت كلما رجع بسكوالي الشاب إلى المدينة تأت إلى حقيقة أمرها ، وطردت الأوهام الباطلة من مخيلتها ، فتعود إليها انقسامها الحلوة ومرحها الساذج ، وتتاق « حبيبه عبد الكريم » خطبها اللده بيشاشة تزيل من نفسه الكآبة واليأس من جها

وفي بعض الأحيان كانت تذهب في النظر إلى الحياة نظرة فلسفية رصينة إلى أبعد من هذا الحد ، فتأخذ في تأنيب نفسها على طموحها الأهوج ونفورها من حبيبه كلما أراد التقرب إليها ، فتتساءل في دهشة : « لم أحاول التخلص منه وهو شاب جميل الطلة طيب القلب غني ؟ أو ليس في سحر عينيه الواسعتين ، وبشرته النحاسية اللطيفة ، وقامته العالية

التي أخذت شناعتها تتجلى لها أثناء رحلتها بالسيارة ،  
ولكن الأمر قد وقع ولم يمد ندمها ليغنيا قتيلا .  
فقد تركت الصحراء وهي تعلم أن الرجوع إليها  
مستحيل إذا الموت المؤكد دونه

ولم تأل العجز جهداً في تهدئة روحها ، فجلت  
تساعد بسكوالى في رطانتها المشوهة على تصور  
المستقبل أمامها باهرا . ولكن الصدمة كانت قوية  
في نفسها فلم تع من عباراتها إلا حديثاً مهماً مملاً .  
ولما كابدته من إجهاد عقلي شاق ، وعناء جسدى  
شديد ، رحتما تركها وحيدة ؛ وما أن أغلقا عليها  
باب الحجر حتى ارتمت على سريرها وأجهشت في  
البكاء ، ثم تلب عليها النعاس فنامت ، وكان نومها  
منقطعاً تتخلله الأحلام المزعجة

وفي الصباح الباكر حمل إليها بسكوالى ما ابتاعه  
لها بالأمس من أحدث الملابس الأفريقية نطاً .  
فلبست منها ونظرت إلى نفسها في المرآة فاعدها غرورها  
وطموحها وابتسمت ، وكانت ابتسامتها أولى علامات  
الرضا بطورها الجديد في حياة الجون

نم لقد بدأت « روز » منذ تلك الآونة تبيع  
نفسها إلى شيطان الهوى فجرها إلى وهددة البعارة  
وهي صاغرة مستسلمة

فلم يمض زمن طويل حتى كانت لبسكوالى خلية  
تماقره الحجر ، وتضاجعها إلى أما كن الفسق . وما  
هي إلا أشهر بعد ذلك حتى نبذها خليلها فراح ترمي  
في أحضان كل فاجر

ودخل اليأس من الحياة قلبها فأدمنت على  
تناول المخدرات ، وبذل الشقاء من نفسها فصار  
شرسة فظة ، ومحت الموموم وسوموم الحجر أكثر  
ملاحم الجمل من محياها ، فبذت آثار الدمامة عليها  
واضحمة ، ورضيت أن يدعوها طلابها بغير اسمها  
فأصبحت تدعى « وزة الغربية »  
ولم يقف بها شقاؤها عند هذا الحد من التعاسة

وطلبت إليها أن ينوب زوجها آدم عن والد روز  
في الاجتماع له من الأفضلية بحق الجوار قبلت  
وقبل الزوج شاكرًا

وفي عصر اليوم المحدد كانت خيمة مَنبِية  
وما جاورها من الخيام في عيد ومرح ، فلبست النساء  
زيتن وبدت « روز » بينهن في أجمل ما لديها من  
الملابس كالوردة الفضة وسط الروض الزاهر ، والتحف  
الرجال بمشاملهم الحربية والصوفية وحلوا بندقياتهم  
وساروا في موكب يحفه الوقار نحو خيام « أولاد  
على » يتقدمهم آدم

وكان الحاج عبد الكريم وشيوخ أسرته  
وأخصاؤه ينتظرونهم عند منتصف الطريق ، فلما  
اقتربوا منهم أفرغوا بندقياتهم في الهواء لتحييتهم  
فردوا عليهم التحية بملثما ، واجتمع الفريقان وكان  
سلام وكان كلام إلى أن دخلوا الخيمة

ولما استراحوا قليلا وضعت أمامهم أطباق الثريد  
فأصابوا منها ما اشتها ، ثم دارت عليهم كؤوس  
الشاي فشربوها حتى قلبها الجميع علامة على الاكتفاء .  
وعندها تربع الحاج عبد الكريم بعد اكائه ففعل  
الكل مثله ورفع بالكفين فرفعوا ، وقرئت الفاتحة  
وقع كل ذلك في غيبة بسكوالى الشاب ، فلما علم  
به ثارت ثأثرته وصمم على الالتجاء إلى كل سبل  
الإغراء لمنع هذا الزواج . فاستعمل للوصول إلى  
غاياته كل ما أوتي من ذكاء ودهاء ، وأخيراً أفلح في  
تنفيذ ما عزم عليه

فأحى إلا أيام قلائل بعد حفلة الخطبة حتى  
كانت فكرة الفرار قد اختمرت في رأس روز ، وفي  
ذات ليلة ابتعدت عن خيمتها ولم تعد إليها

اختطفها بسكوالى في سيارته وعهد بها إلى  
ميجوز أفريقية تؤجر حجراً مفروشة في حي وجيه  
من أحياء الاسكندرية . فدخلت الحجر التي أعدت  
لها وهي وجلة مرتمدة الفرائص نادمة على فعلتها

الكآبة على نفسه؟ وربما قدر له أن يراها أثناء تجواله  
وماذا يكون موقفها منه تأثير هذا الوقت  
الرهيب على شعوره؟ إنه لحزين مبجل الوجدان يمتنى  
لو تبعده الظروف عن لقاءها في قرارة نفسه أن  
يراهما ويمتع النظر ولو برهة قصيرة بهييج يحياها  
واقضت أيام ثلاثة وهو فريسة لهذه الخواطر  
المتناقضة تتنازعها رغبتان ملحتان: الفرار من الوقوف  
أمامها، والبحث عنها. إلى أن كان اليوم الأول من العيد  
فبينما هو يجمع العدد القليل الباقي من النعم في  
ناحية من ميدان المحطة لمح امرأة تجلس على مقعد  
قريب من مقاعد الحديقة وتأتي بمركات غير عادية  
تقطع رأسها وتلوح بذراعها في الهواء، ثم تطلع  
قبعتها البالية عن رأسها وتميدها بمنف وهي تكيل  
الشتائم لأناس مجهولين في لهجة بدوية

وتبين حبيده في وضوح النهار وجه هذه  
المتوهة البائسة في ثيابها الأفريقية المرقعة فاذا به  
أمام فانتته المفقودة، فعمدت الدهشة لسانه هنيهة  
ثم صاح متوجهاً:

— روز! إلى هذا الحد أوصلك الشقاء؟

فرفعت روز عينيها الشاردين وتفرست في  
وجهه طويلاً ثم طفقت تقهقه قائلة:

— روز! روز! لا تدعوني بهذا الاسم البتض  
فانا «وزة الغريبة»

ثم انقطع ضحكها فجأة ومدت يدها بحركة آلية  
وقبضت على جرابه الجلدي المزركش بخيوط الفضة  
وطلبت منه في تضرع قائلة: — اسمعني بنشقة!  
— نشقة ماذا؟ — نشقة كوكابين...

فلم يقو حبيده على تحمل المصاب أكثر من ذلك  
فجرى كالمجنون نحو غنمه وهش عليها بعصاه في غضب  
وترك الميدان هارباً

بومف. فرهمي

عضو جماعة نشر الثقافة بالإسكندرية

بل بلغ بها القمة فأوصلها إلى السجن مرات لتلاق  
بين جدرانها أظغم ما يمكن أن تتحملة المرأة من يؤس  
ومنضت الأيام وذهب ألم بذكاها وطمست  
السموم البيضاء حافظتها وتصورها، فأصبحت بلهاء  
تقطع الشوارع في زهول طول النهار، فاذا ما أسدل  
الليل حجابها فاذا أحد السوق لتفاسمه طعامه الحقيق  
وليريق في مقابل ذلك بعض ما أبتت أيام الشؤم  
في وجها من ماء الحياء

\*\*\*

واقترب عبد الأضحى فأمر الحاج عبد الكريم  
ابنه حبيده أن يذهب إلى الاسكندرية ليبيع غنمه  
مع أخيه الأكبر، فدخلها وهو متقبض الصدر  
برغم شوقه القوي إلى رؤيتها، فهو وإن كان قد وجد  
في زوجه المخلصة بعض العزاء عن حبه الضائع، وفي  
صادق ودعا بعض السوة لقلبه المكسوم، إلا أن  
شبح «روز» لا يزال يعاوده فيمكر عليه صفو  
عيشه الآتية بعد الأخرى — وهو وإن كان  
يمحتر هذه المرأة الفاسدة الخلق التي لم ترع لجه  
الطاهر ذمة ولا لشرف أسرته حرمة،  
لا يزال يهواها، ولا يزال قلبه يخفق عند ذكر  
اسمها. فكمن من ليلة مقمرة هام فيها على وجهه  
يقطع المسافات الشاسعة مبتعداً عن مضارب الخيام  
ليخلو لنفسه وليستعيد الذكريات الماضية والأحلام  
الذليذة التي كانت تملئ نفسه بحلو الأمان فيتمثل  
حبيبة قلبه وكأنها ما برحت تسير إلى جانبه تبادل  
الترام وتردد على مسامعه في لهجة التوكيد عبارات  
الفرح بمشاركتها الحياة، ثم يشوب إلى رشده فيلمعها  
ويقفل راجعاً إلى خيمته كئيب النفس كسلف البال  
وها هو ذا الآن محبوب المدينة التي تغم أرجاؤها  
هذه المخلوقة التي يمتزج حبا في قلبه بما طغى البض  
والازدراء — فكيف إذن لا يتقبض صدره وتستولى

— غلام هيرودية —

أنظر إلى القبر ! ما  
أعربه الليلة ! تخيل لي  
أنه امرأة خارجة من  
القبر... إنه أشبه شيء  
بامرأة ميتة . كأنني به  
يسبح عن موتي

السوري الشاب —

نعم . القبر الليلة ما أعربه !  
إنه كأمرأة صغيرة على

وجهها نقاب رقيق أصفر اللون ، ولها قدمان من  
فضة ، إنه كأمرأة لها قدمان كيمائتين صغيرتين  
ناصعتي البياض ... كأنني به يرقص  
غلام هيرودية — إنه كأمرأة ميتة . أنظر إليه  
كيف يسير في ببطء شديد !  
( يسمع ضوضاء في ردة الولايم )

الجندی الأول — ما هذه الجلبة الشديدة ؟ من  
هؤلاء الذين يصيحون كأنهم الدناب العاوية ؟  
الجندی الثاني — إنهم اليهود وهم يتحدثون  
ضوضاء في كل مجلس ، ويتجادلون في دينهم أبتأخلوا  
الجندی الأول — ولماذا يتجادلون في دينهم ؟  
الجندی الثاني — لا أدري . هذا طبعهم الذي  
يضعهم في كل موطن ، فالفريسيون منهم يؤمنون

بوجود الملائكة ، والصدوقيون ( نسبة إلى صدوق ،  
رجل يهودي عاش في القرن الثالث قبل المسيح وأسس  
مذهباً ) دينياً عرف باسمه ) ينكرون وجودها

الجندی الأول — الجدلان في مثل هذه الأشياء  
لغو وسخف

السوري الشاب — ما أجل الأميرة سالوما  
هذا النساء !

# سَالُومَا

مأساة في فصل واحد

للكاتب الانجليزى أوسكار وايلد  
بقتل الدكتور حسن صادق

شخصيات

- ( ١ ) هيرودس أمير يهودية من أعمال فلسطين
- ( ٢ ) يوحنا المعمدان ، النبي
- ( ٣ ) السوري الشاب ، رئيس الحرس
- ( ٤ ) تيجالان ، شاب روماني
- ( ٥ ) نوبى
- ( ٦ ) الجندی الأول
- ( ٧ ) الجندی الثاني
- ( ٨ ) غلام هيرودية
- ( ٩ ) عبد
- ( ١٠ ) نعان ، الجلاد
- ( ١١ ) يهود وأشخاص من الناصرة
- ( ١٢ ) كبا دوس ( رجل من بلد بآسيا الصغرى )
- ( ١٣ ) صدوق ( نسبة إلى رجل سياتى ذكره )
- ( ١٤ ) هيرودية ، زوج هيرودس
- ( ١٥ ) سالوما ، بنت هيرودية من زوجها الأول
- ( ١٦ ) جند وعبيد وإماء

المشهد

( شرف Terrace كبير في قصر هيرودس في نهايته  
باب يؤدي إلى ردهة الحلات والولايم ، وفي الجهة اليسرى  
سلم كبير ، وفي نهايتها صهريج عتيق يحيط به جدار من  
الشيبة الأخضر ، وعند حاجر الصهريج عدد من الجند متكئين  
عليه بمراقبتهم ... القمر بازغ )

السوري الشاب — ما أجل الأميرة سالوما

هذا المساء !



التوبى — آلهة بلادى يحبون الدم ويكفون به ،  
ونحن نقدم إليهم قرايين من الفتيان والبنات  
مرتين فى كل عام : مائة عذراء ، ونصف هذا العدد  
من الشبان فى كل مرة . ولكن يظهر أننا لا نقدم  
إليهم من الدم ما يطفىء غلظتهم لأنهم رغم ما نفعل  
يشتمون فى قسوتهم علينا إلى حد بعيد

الكابادوسى — بلادى خالية من الآلهة فى  
الوقت الحاضر ، لأن الرومان قد طردوهم منها .  
ومن الناس من يقول إنهم لجأوا إلى الجبال ، ولكنى  
لا أعتقد ذلك . لقد قضيت ثلاث ليال فى الجبال  
أبحث عنهم بحثاً دقيقاً ولكنى لم أجدهم ، ثم ناديتهم  
بأسمائهم فلم أسمع جواباً على نداءى . والرأى عندى  
أنهم قضوا بنحيم جميعاً

الجندي الأول — اليهود يعبدون إلهاً لا تراه  
العيون

الكابادوسى — لا أستطيع أن أفهم ذلك  
الجندي الأول — خلاصة القول أنهم لا يؤمنون  
إلا بما لا يرى

الكابادوسى — فى إيمانهم سخف كبير  
صوت يوحنا — سيأتى من بعدى آخر أكثر  
قدرة منى . إنى لست جديراً حتى بأن أحل سيور  
نعاله حين يأتى . ستخضر الأرض الجرداء وتردهر ،  
وترى عيون المعى ضوء النهار ، وتسمع أذان الصم  
تختلف الأصوات ... سيضع الوليد الجديد يده على  
بيوت التنين ويقود السباع من أعناقها  
الجندي الثانى — مره بالسكوت . إنه يقول  
دائماً هراء

الجندي الأول — ولكنه رجل طيب القلب ،  
نقى السريرة ، وذريع الخلق ؛ كل يوم أعطيه يأكل  
وهو يقدم إلى الشكر دائماً

غلام هيرودية — إنك تطيل النظر إليها وتلهمها  
بمبيناك ! لا يجوز أن تحدد فى الناس بهذه الطريقة  
المذكورة ... قد تقع بنا ملمة !

السورى الشاب — إنها فاتنة فى هذا المساء  
رائحة

الجندي الأول — الأمير مكتئب  
الجندي الثانى — نعم يبدو عليه الاكتئاب  
الجندي الأول — إنه ينظر إلى شيء  
الجندي الثانى — إنه ينظر إلى شخص  
الجندي الأول — إلى من ؟  
الجندي الثانى — لا أدرى

السورى الشاب — ما أشد اصفرار الأميرة !  
لم أرها قط متمتعة اللون إلى هذا الحد ! كأنها  
انعكاس وردة بيضاء إلى مرآة من الفضة !

غلام هيرودية — كف عن النظر إليها . إنك  
تحدد فيها كثيراً !

الجندي الأول — ملأت هيرودية كأس الأمير  
الكابادوسى — أهى الملكة هيرودية تلك التى  
تلبس قلنسوة سوداء مرصعة باللازلىء ، وقد نشرت  
على شعرها مسحوقاً أزرق ؟

الجندي الأول — نعم ، إنها هيرودية زوج الأمير  
الجندي الثانى — الأمير مولع بالتنبذ ، ولديه  
منه أنواع ثلاثة ! الأول من جزيرة ساموتراس ،  
أرجوانى اللون كعباءة قيصر

الكابادوسى — لم أر قط قيصر  
الجندي الثانى — والثانى من مدينة قبرص ،  
أصفر اللون كالذهب

الكابادوسى — أحب الذهب كثيراً  
الجندي الثانى — والثالث من صقلية أحمر  
اللون كالدم

الجندي الثاني — كلا . لقد مكث في هذا  
الصهرج شقيق الأمير الأكبر وزوج الملكة هيرودية  
اثنى عشرة سنة سجيناً ولم يمت ، فاضطر الأمير في  
النهاية إلى خنقه

الكابا دوسي — خنقه ؟ من ذا الذي جرؤ  
على هذا العمل ؟

الجندي الثاني — ( مشيراً إلى الجلاء وهو عبد ضخم )  
هذا الرجل ، نعمان

الكابا دوسي — ألم يشعر بالخوف ؟  
الجندي الثاني — كلا ، لأن الأمير أرسل  
إليه الخاتم

الكابا دوسي — أي خاتم ؟  
الجندي الثاني — خاتم الموت ، ومن أجل هذا  
لم يشعر بخوف  
الكابا دوسي — ومع ذلك فإن من الفطاعة  
حنق ملك

الجندي الأول — لماذا ؟ ليس للملوك إلا غنى  
واحدة كغيرهم من الناس  
الكابا دوسي — يخيل إلي أن ذلك عمل يشع  
رهيب

السوري الشاب — نهضت الأميرة وغادرت  
المائدة وعلى وجهها سمة الضجر . آه ! إنها تسير إلى  
هذه الناحية . نعم إنها مقبلة علينا . ما أشد اصفرارها !  
لم أرها قط مصفرة إلى هذا الحد !

غلام هيرودية — لا تنتظر إليها ، أرجو ألا  
تحقق فيها

السوري الشاب — إنها كالليمامة التي ضلت ...  
إنها كزهرة نرجس يتلاعب بها الهواء ... ما أشبهها  
بزهرة من فضة !

الكابا دوسي — من عسى أن يكون ؟

الجندي الأول — إنه نبي

الكابا دوسي — ما اسمه ؟

الجندي الأول — يوحنا العمدان

الكابا دوسي — من أين جاء ؟

الجندي الأول — من الصحراء ... غذاؤه

فيها الجراد والعسل البري . وكان يستر جسده بوبر  
الابل ويحمل في وسطه خزاماً من الجلاء ؟ وكانت  
هيئته رهيبية موحشة ، ولكن عدداً كبيراً من  
الناس كان يتبعه ... كان له فضلاً عن ذلك أتباع  
وتلاميذ

الكابا دوسي — عن أي شيء يتكلم ؟

الجندي الأول — لم نعرف قط . وفي بعض

الأحيان ينطق بكلام مزعج مخيف ، ولكن من  
الاستحيل إدراكه

الكابا دوسي — هل من الجائر رؤيته ؟

الجندي الأول — كلا . هذا أمر لا يبيحه الأمير

السوري الشاب — أخفت الأميرة وجهها

خلف مروحتها . يداها الصغيرتان البيضاوان

تتحركان كيهاتين تطيران نحو عشمها ... إنها

كفراشتين ناصبتى البياض .. ما أشبههما بفراشتين  
بيضاوين !

غلام هيرودية — مالك ولهذا ؟ ! لماذا تنظر

إليها ؟ ينبغي أن تقلع عن النظر إليها ... قد تجمعج  
بنا ملمة !

الكابا دوسي — ( مشيراً إلى الصهرج ) أي سجن

عجيب !

الجندي الثاني — أنه صهرج عتيق

الكابا دوسي — صهرج عتيق ؟ ! إنه ردي

وبيل ، مافى ذلك شك

صوت يوحنا — لقد أتى السيد ! أتى « ابن الإنسان » فاختبأ القنطورس (أي السطور نصفه آدمي ونصفه الآخر حيوان) في الأنهار، وغادرتها نبات الماء ووقدت تحت الشجر في الغابات  
سالوما — من هذا الذي تطلق صارخا بهذه الكلمات ؟

الجندي الثاني — إنه النبي أيها الأميرة.  
سالوما — آه ! النبي... أهو الذي يخافه الأمير؟  
الجندي الثاني — هذا أمر لا نعرفه... إنه النبي يوحنا

السوري الشاب — أتريدن أن أطلب لك هودجك أيها الأميرة؟ الجو جميل في الحديقة  
سالوما — إنه يقول عن أي أشياء فظيعة، أليس كذلك؟

الجندي الثاني — إننا لانفهم مايقول يامولاني  
سالوما — إنه ربما بأشنع الأقوال  
عبد — الأمير يامولاني يطلب منك راجباً أن تعودى إلى الوليمة

سالوما — لن أجيب هذا الرجاء  
السوري الشاب — عفواً أيها الأميرة...  
قد يقع خطب إذا أصررت على رفض العودة

سلوما — هل النبي شيخ كبير؟  
السوري الشاب — أيها الأميرة، يحسن أن تعودى... أسألك الإذن في أن أحبك إلى هناك  
سالوما — النبي... هل هو شيخ كبير؟  
الجندي الأول — كلا. إنه في زهرة العمر وميعة الصبا

الجندي الثاني — هذا أمر مجهول. يقول بعض الناس إنه إلياس النبي

(تدخل سالوما)

سالوما — لن أتبق. لا أستطيع البقاء. لماذا ينظر إلى الأمير دائماً بعيني أرعن فاجر تحت هدين مضطربين؟ غريب أن ينظر إليّ زوج أمي بهذه العين! لا أدري ماذا تعنى نظره هذه... في الواقع نعم. أعرف معناها ومرهاها.

السوري الشاب — أتركت الوليمة أيها الأميرة؟  
سالوما — الهواء هنا متعش ما أجله! آه! هنا أنفاس بيد ضيق! في الردهة يهود من أورشليم يقتتلون جدالاً في شأن طقوسهم السخيفة، وبرابرة يشربون بلا انقطاع ويقون بالنبيذ على أرض الردهة، ويونانيون من أهل أزمير قدموها عيونهم وزينوا خدودهم بالأصباغ وجددوا شعورهم وجعلوها جدائل متفرقة، ومصريون يستلعمون الصمت والرزانة السامية، على أصابعهم وثم وعلى أجسامهم عباءات سمر، ورومانيون تصحبهم خشونتهم وجود نسيهم. وكلماتهم الحافة الغليظة! آه! لشدما أكره الرومان! إنهم من حثالة الناس ويتخذون لأنفسهم هيئة العظاء!

السوري الشاب — أتريدن الجلوس أيها الأميرة؟

غلام هيرودية — لماذا تخاطبها؟ لماذا تتحدث فيها ببنيك؟ أوه! سيقع خطب لا محالة

سالوما — ما أجل أن يرى الإنسان القمر! إنه يشبه الدرهم الأخاذ. كأنني به زهرة صغيرة من الفضة... القمر بارد قى الأزار... أعتقد تمام الاعتقاد أنه كالفتاة العذراء، له جالها وطهرها. نعم إنه عذراء لم تدنس نفسها ولم تستسلم قط للرجال كالزبات الأخريات

عن ذلك فانتا لسنا نحن الدين يبنني أن يوجهي

إليهم طلبك

سالوما — ( تنظر إلى السورى الشاب ) آه ..

غلام هيرودية — أوه ! أى شئ سيحدث ؟

إني مستيقن بأن مصيبة ستحدث

سالوما — ( تدنو من السورى الشاب ) ستفعل

ذلك من أجل ، أليس كذلك ؟ ستفعله فى سبيل .

أنسيت أنى أحسن معاملتك فى كل حين ؟ إذن

ستفعل ما أطلب إرضاء لى . أريد فقط أن أراه ،

هذا النبى العجيب . لقد كثر الكلام عنه ، وسمعت

الأمير يتحدث فى شأنه جملة مرات ، وأظن أنه

يخافه ويخشاه ... أوقن بأن الأمير يخشاه . هل

يخافه أنت أيضاً ؟

السورى الشاب — كلا أيتها الأميرة . إني

لا أخاف أحداً . ولكن الأمير يحرم تحركاً قاطعاً

رفع غطاء هذا الصهريج .

سالوما — ستفعل ما أريد ، وغدا حين أحتاج

يهودجى باب بائى الأصنام ، سأدع زهرة صغيرة

تسقط من يدي على الأرض ، زهرة صغيرة خضراء

بانعة ، هي لك

السورى الشاب — أيتها الأميرة ، لا أستطيع ،

لا أستطيع .

سالوما — ( باسمة ) ستفعل ذلك فى سبيل .

أنت مستيقن بأنك فاعل ذلك من أجل ، وغدا

حين أسير يهودجى على جسر مشترى الأجنام

سأهدى إليك نظرة خلال الستائر الرقيقة . وقد

أقسم لك أيها الشاب . أنظر إلى ... آه ! أنت

مستيقن بأنك فاعل ما أطلب . تعرف ذلك جيداً ،

أليس كذلك ؟ ... أما أنا فاني أعرف جيداً

سالوما — ومن هو إلياس ؟

الجندي الثاني — نبي قديم من أنبياء هذه البلاد

عبد — أى جواب أحمله إلى الأمير يامولاني ؟

صوت يوحنا — ضربت عليك اللثة يا أرض

فلسطين ، فلن تمتد أبداً . لأن عصا الذى ضربك

قد كسرت ومخطمت . سيخرج من سلالة الثعبان

صل ، وما يولد منه سيلتهم الطير

سالوما — ما أعرب هذا الصوت ! إن شوقاً

ملحاً يدفعني إلى مخاطبته

الجندي الأول — أخشى أن يكون هذا مستجيلاً

أيتها الأميرة . الأمير لا يريد أن يكلمه أحد ، متى

إنه حظو على الكاهن الأكبر التحدث إليه

سالوما — أريد أن أكلمه

الجندي الأول — مستحيل أيتها الأميرة

سالوما — أريد ذلك

السورى الشاب — يجمل بك أيتها الأميرة

أن تعودى إلى الوثنية

سالوما — أخرج النبى

الجندي الأول — لا يجوز

سالوما — ( تدنو من الصهريج وتنظر إلى داخله )

سجن ما أظله ! إنه لفظيع ، كما أعتقد ، أن يقيم

الانسان فى قفب جاكك الظلمة مثل هذا ... إنه

كالتقبر ... ( إلى الجندي ) ألم يصل إلى سمك ما قلت ؟

أخرجوه ، أريد أن أراه

الجندي الثاني — أسألك ضارعا أيتها الأميرة

ألا تطلبي إلينا ذلك

سالوما — إنكم تبطلون فى إنفاذ أمرى

الجندي الأول — أيتها الأميرة ، حياتنا ملك

لك ، ولكننا لا نستطيع إنفاذ ما تطالبين ... وفضلا

تنهض من فراش فجورها ، فراش وطء المحرمات  
حتى تستطيع أن تسمع صوت الذى يهيم طريق  
السيد ، وحتى تندم على خطاياها وتكفر عن جرائمها  
إنها لن تكفر أبداً ، وستظل غارقة فى الألم  
والفواحش ، ولكن قولوا لها رغم ذلك أن تأتى  
لأن السيد يحمل فى يده ميزانه .

سالوما — هذا فطيع ... فطيع .  
السورى الشاب — أتوسل إليك أن تغادري  
هذا المكان ..

سالوما — العيان على الأخص مخوفتان ،  
ما أظلمهما ! كأنهما ثقبان أسودان تركتهما  
مشاعل على دياحة بيضاء إنهما كالكهوف السوداء  
التي تسكنها الأفاعي ، كهوف مصر السوداء التي  
تجد منها الأفاعي ملجأ وملاذا ، ما أشبههما يبحيرات  
سوداء ، قد بمت فيها الاضطراب أقمار عجبية  
مستبهمة ! أظن أنه سيتكلم بعد ذلك ؟

السورى الشاب — غادري هذا المكان أيها  
الأميرة ، رجائي إليك أن تعلمي عن البقاء هنا  
سالوما — ما أشد هزاله ! إنه كتمثال نحيل  
من العاج ... كأنى به خيال من الفضة . أعتقد أنه  
فى طهره كالقمر . ما أشبهه بشعاع من الفضة ؟ لابد  
أن يكون جسده شديد البرودة كالعاج ... أريد  
أن أراه من كثب .

السورى الشاب — أيها الأميرة ! أيها الأميرة  
يوحنا — من هذه المرأة التي تنظر إلى ؟ لا أريد  
أن توجه إلى بصرها ... لماذا تحرق فيّ بعينيها  
الذهبيتين بين جفونها الموجه بلون الذهب ؟ إلى  
لا أعرف من هي ، ولا أريد أن أعرف ، قولوا لها  
أن تذهب ، فليست هي التي أريد أن أكلها .

السورى الشاب — ( يشير إلى جندى ثالث )  
أخرج النبي ... الأميرة سالوما تريد أن تراه  
سالوما — آه !

غلام يهودية — أوه ! ما أعرب شكل القمر !  
كأنه يد ميتة تحاول أن تنطى نفسها بكفن !

السورى الشاب — عليه سمة الغرابة . كأنى به  
أميرة صغيرة ، لها عيتان من عنبر ... إنه ينقسم  
خلال السحب الرقيقة كأمية صغيرة

( يخرج النبي من الصبرج . تنظر إليه سالوما وتراجع )  
يوحنا — أين ذلك الذى امتلأت كأسه بكبائر  
الاثم حتى فهقت ؟ أين ذلك الذى سيموت ذات  
يوم أمام الشعب فى توب فضى ؟ قولوا له أن يأتى  
حتى يستطيع أن يسمع صوت الذى صرخ فى  
الصبحارى وفى قصور الملوك

سالوما — من يعنى بقوله ؟  
السورى الشاب — لا يستطيع إنسان أن  
يعرف أيها الأميرة

يوحنا — أين تلك التي رأت على الجدران  
صور كلدانين ملونة فاستقادت لشهوة عينيها ،  
وأرسلت إلى بلادهم الرسل والسفراء ؟

سالوما — إنه فى شأن أى  
السورى الشاب — كلا

سالوما — بلى ، انه عن أى يتكلم  
يوحنا — أين تلك التي استسلمت لرؤساء الجند  
الأشوريين الذين فى أوساطهم حمائل للسيف بهيجة  
وفوق رؤوسهم تيجان ذات ألوان متباينة ؟ أين تلك  
التي استسلمت لشبان من المصريين أقوياء الأجسام  
يلبسون ثياباً من كتان محلاة بالزمرد ويحملون  
دروعاً من ذهب وخوداً من فضة ؟ قولوا لها أن

العرب ليست في مثل بياض جسمك ... لا الورود  
في حديقة ملك العرب ولا أقدام الفجر التي ترقص  
على أوراق الشجر ، ولا صدر القمر حين يرقد على  
سطح البحر ... لا شيء في العالم يماثل جسمك في  
بياضه ... دعني أُلسه

يوحنا — إلى الوراء يا بنت بابل ! إن الشر  
لم يدخل العالم إلا بواسطة المرأة . لا تكلميني . لا أريد  
أن أسمع إلى قولك ... إنى لا أنست إلا لأقوال السيد  
سلوما — جسمك بشع . إنه كجسم المريض  
بالجنون . إنه كجدار من الجص صرت به الصلال  
والأفاعي ... كجدار من الجص اتخذت منه العقارب  
أحجارا . إنه كقبر أبيض الجدران زاهر بأشياء  
عفنة كريهة ... جسمك بغيض ما أبشعه ! شعرك  
هو الذي يستهويني يا يوحنا ... شعرك كعناقيد من  
عنب ، كعناقيد من عنب أسود فيها جمال وفيها سحر  
مستبد ... إنه كشجار الأرز اللبنانية الكبيرة التي  
تبسط ظلها على السباع والصوص الذين يرتدون  
الاختباء أثناء النهار ... الليالي الطويلة السوداء  
المحرومة من القمر ، ليست في سواد شعرك ...  
السكون المقيم في الغابات لا يماثل في سواده شعرك ...  
ليس في العالم شيء في مثل سواد شعرك ... دعني  
أُلسه ...

يوحنا — إلى الوراء يا بنت سلوم ! لا تلمسيني !  
لا يجوز أن يدنس معبد السيد  
سلوما — شعرك بشع . إنه منطى بالوحل  
والتراب ، كأنه إكليل من الشوك وضع على جبينك  
كأنه ذنب حية سوداء يهتز حول عنقك . إنى  
لأحب شعرك ... ثورك هو الذي يستهويني ويملك  
على حسي يا يوحنا . ثورك كشريط قرمزي على برج

سلوما — إنى سلوما بنت هيرودية ، أميرة  
يهودية .

يوحنا — إلى الوراء يا بنت بابل ! لا تقتربي من  
اختاره السيد . لقد ملأت أمك أرض الكروم  
بالأنعام ، وبلغت صرخة خطاياها آذان السماء  
سلوما — تكلم يا يوحنا ، فإن صوتك أغلنى  
السورى الشاب — مولاتى ! مولاتى ! مولاتى  
سلوما — تكلم ... تكلم يا يوحنا وحدثنى  
عما يبنى أن أقبل .

يوحنا — لا تقتربي منى يا بنت سدوم ولكن  
ضى على وجهك حجابا وعلى رأسك ترابا ثم اذهبي  
إلى الصحراء واجمعي فيها عن « ابن الانسان »  
( أى المسيح عليه السلام )

سلوما — من عساه يكون ابن الانسان ؟ أهو  
جميل مثلك يا يوحنا ؟

يوحنا — إلى الوراء ! إلى الوراء ! إنى أسمع  
في القصر ملاك الموت يضرب بجناحيه الهواء  
السورى الشاب — أيها الأميرة ، أتوسل  
إليك أن تعودى إلى الوثنية

يوحنا — يا ملاك الله ماذا تفعل هنا بسلامك  
الرهيب ؟ عمن تبحث في هذا القصر الملوث ؟ ...  
لم تحن بعد ساعة ذلك الذى سيموت في ثياب فضية  
سلوما — يوحنا !

يوحنا — من المتكلم ؟

سلوما — يوحنا ! إنى لشغوفة بجسمك !  
جسمك أبيض كزنبقة المرج لم يقر بها بشر . إنه  
أيض كالثلوج التى تستطيب الرقاد فوق الجبال ،  
كالثلوج التى تهبط على جبال يهودية ثم تسقط في  
الأودية على مهل ناصعة ... الورود في حديقة ملك

صغيرة من العطر وأقراطاً من الفضة ، والآن أراه  
أبأي قتيلًا آه ! ألم يتبأ بوقوع مصيبة ؟ ! ولقد  
توقعت حدوثها أيضًا ! عرفت أن القمر كان يبحث  
عن ميت ، ولكنني لم أدرك أنه كان يبحث عن  
السوري الشاب . آه ! لماذا لم أخفه عن القمر ؟ لو  
أخفيت في كهف لعجز القمر عن أن يراه !

الجندي الأول — أيها الأميرة ، لقد قتل  
رئيس الحرس الشاب نفسه منذ لحظة

سالوما — دعني أقبل ثورك ياوحنا  
يوحنا — ألم تشعرى بالخوف يا بنت هيرودية ؟  
ألم أقل إنى سمعت فى القصر ملاك الموت يضرب  
بجناحيه الهواء ؟ ألم يأت الملاك كما قلت ؟

سالوما — دعني أقبل ثورك  
يوحنا — يا بنت الزنا والفجور ، ليس فى  
الوجود إلا رجل واحد يستطيع إنقاذك ، وهو

الذي حدثتك عنه . إذعني وجدي فى البحث عنه .  
لأنه فى بحر الجليل على ظهر فلك يتحدث إلى  
تلاميذه . إركبى على ساحل البحر وارفعى صوتك  
منادية باسمه . وحين يلبى نداءك ، كما يفعل مع جميع  
الذين ينادونه ، اسجدي عند قدميه واضرعى إليه  
أن يغفر لك خطاياك

سالوما — دعني أقبل ثورك  
يوحنا — عليك اللعنة يا بنت أم تستحل  
المحرمات ... عليك اللعنة !

سالوما — سأقبل ثورك ياوحنا  
يوحنا — لا أريد أن أراك . لن أنظر إليك .  
إنك ملعونة ، ملعونة ياسالوما !

( يعود إلى الصهريج )  
سالوما — لأقبلن ثورك ياوحنا ... لأقبلنه

عن العاج . إنه كحية رمان شقت بسكين من العاج .  
الجملار الذى بنيت يانغا فى حادثات « تير » الفناء  
أشد حمرة من الورد ولكن له ليلابغ فى لونه ثورك .  
الصرخات الحمراء ، صرخات الطبول التى تعلن قدوم  
الملوك وتبعت الرعب فى قلوب الأعداء ، أقل حمرة  
من ثورك . إنه أشد حمرة من أقدام الذين يهرسون  
النبذ فى الماصر . إنه أكثر حمرة من أرجل الحمام  
الذى يسكن المابد وتغذيه القس . إنه أكثر حمرة  
من أقدام الإنسان العائد من غابة موحشة بعد أن  
قتل فيها أسدًا ورأى غورًا فى لون الذهب . ثورك  
كفصن من المرجان يحده الصيادون فى غبش البحر  
ويحفظونه هدية للملوك ! انه كقفوس ملك الفرس ،  
عليه نقوش قرمزية وله قرنان من المرجان فى  
طرفيه ... لاشئ فى الدنيا يبلغ فى حمرة ثورك ...  
دعني أقبله

يوحنا — كلا يا بنت بابل يا بنت سدوم ! لن  
يحصل ذلك أبدًا !

سالوما — سأقبل ثورك ياوحنا ... سأقبله  
السورى الشاب — أيها الأميرة ، بإطاعة من  
الزهر ، يا بائمة الحيام ، لا تنظري إلى هذا الرجل !  
لا تقولى له مثل هذه الأشياء ! يؤلمنى سماعها جد  
الألم ! أيها الأميرة ، أيها الأميرة ، لا تنطقى بمثل  
هذه الأشياء

سالوما — سأقبل ثورك ياوحنا  
السورى الشاب — آه !  
( يقبل نفسه وينسقط على الأرض بين سالوما ويوحنا )

غلام هيرودية — قتل السورى الشاب نفسه !  
قضى على نفسه رئيس الحرس الشاب ! سفع دمه  
الرجل الذى كان لى صديقًا ! لقد أهديت إليه علة

كاسرة لعبت برأسها الحجر؟ انه يشبه امرأة محتاجة  
الحس مضطربة الأعصاب، أليس كذلك؟  
هيرودية - كلا. القمر يشبه القمر، هذا  
كل شيء... فلندخل... ليس لديك من عمل هنا.  
هيروس - سابق. يا غلام، ضع بعضاً من  
الطنافس هنا، وأشعل المشاعل ثم أحضر الموائد  
العاجية والفضية. الهواء هنا عذب جميل،  
وسأشرب نبيذاً مرة أخرى مع ضيوفى لأن سفراء  
قيصر يستحقون كل حفاوة وإجلال  
هيرودية - ليس من أجلهم تريد البقاء في  
هذا المكان

هيروس - نعم الهواء عذب جميل. تعالي  
يا هيرودية، قالت ضيوفنا في انتظارنا... آه!  
انزلت قدماى! انزلت على الدم! هذا نذير شر!  
نذير شر مستطير! لماذا أجد هنا دماً؟ وهذه الجثة؟  
لن هي؟ أنظفون أنى كملك مصر التى لا يقيم وليمة  
من غير أن يمرض جثة على ضيوفه؟ تكلموا، من  
عساه يكون صاحب هذه الجثة؟ لا أريد أن أراها  
الجندى الأول - إنه رئيسنا يا مولاي الشاب  
السورى الذى رفعته إلى هذه اللكابة منذ ثلاثة  
أيام فقط.

هيروس - لم يصدر عنى أى أمر بقتله.  
الجندى الثانى - قتل نفسه يا مولاي  
هيروس - لماذا؟ قد جعلته رئيساً!  
الجندى الثانى - لا ندرى يا مولاي. ولكنه  
سفك دمه بيده.

هيروس - هذا عمل يبدو غريباً. كنت  
أظن أن حكام الرومان فقط هم الذين يقتلون أنفسهم  
بأيديهم، أليس كذلك يا تيجالان لأن الحكام في  
روما يقتلون أنفسهم؟

(٥)

الجندى الأول - ينبغي نقل الجثة إلى مكان  
آخر. الأمير لا يجب أن يرى الجثث... لا يجب  
أن يرى إلا جثث الذين يقتلهم بيده  
غلام هيرودية - كان لي أخاً وأغز على من  
أخ. لقد أعطيتهم علبه صغيرة تشتمل على أنواع من  
العطر، وخاتماً من عقيق كان يحمله دائماً في  
أصبعه... كنا نستريح في المساء على شاطئ  
النهر بين أشجار اللوز، وكان يحدثنى كثيراً عن  
بلاده في صوت منخفض كعادته في كل حين. آه!  
رنين صوته كان يشبه صوت الناي، وكان شديد  
الكاف أيضاً باطالة النظر إلى صورته في صفحة  
النهر، وكثيراً ما أخذت عليه هذا الكاف

الجندى الثانى - أنت محق. ينبغي إخفاء  
الجثة حتى لا يراها الأمير  
الجندى الأول - لن يأتي الأمير... لن  
يخرج إلى الشرف... في نفسه من التبي خوف  
شديد

( يدخل هيروس وهيرودية وجميع أفراد البطانة )  
هيروس - أين سالوما؟ أين الأميرة؟ لماذا  
لم تعد إلى الوليمة كما طلبت منها؟ آه! ها هي ذى!  
هيرودية - ينبغي ألا تنظر إليها. إنك تحرق  
فيها دائماً!

هيروس - ما أغرب شكل القمر هذا  
النساء! ألا ترين أنه غريب إلى حد بعيد؟ لكأنه  
امرأة مضطربة الأعصاب تبحث عن عشاق في كل  
مكان! إنه غار أيضاً لا يستره شيء. السحب تحاول  
أن تلقى عليه من نفسها رداء، ولكنه يرفض ويأبى  
وهو يهتز خلال السحب كاسرة أخذتها نشوة الحجر...  
أعتقد أنه يبحث عن عشاق... ألا ترين أنه يهتز



هيرودية — لا أسمع شيئاً .  
 هيروودس — لم أعد أسمع ، ولكني سمعته .  
 كان صوت الهواء من غير شك . لقد سكوت ...  
 ولكن لا ... إني أسمع مرة أخرى ... ألا تسمعين ؟  
 إنه حقاً صوت أجنحة تضرب الهواء  
 هيرودية — أقول لك لا حقيقة لما تتوهم .  
 أنت مريض . فلندخل

هيروودس — لست مريضاً . ابتك هي  
 المريضة ... عليها سمة المرض . لم أرها قط مصفرة  
 إلى هذا الحد

هيرودية — قلت لك لا تنظر إليها  
 هيروودس — صبروا النبيذ ( يحضر الخدم نبيذاً )  
 سالوما ، تعالى واشربي ممي قليلا من النبيذ . عندي  
 نبيذ عذب لنبيذ العظم ، أرسله إلى قيصر نفسه .  
 اغمسي في الكأس شفتيك الصنيرتين القرمزيتين  
 ثم دعيني أفرغها في جوفى حتى الثمالة

سالوما — ليس بي ظمأ أيها الأمير  
 هيروودس — أنتسمين كيف ترد علي ابتك ؟  
 هيرودية — أجد أنها على حق . لماذا تنظر  
 إليها دائماً ؟

هيروودس — أحضروا ألوان الفاكهة  
 ( يحضر الخدم الفاكهة ) تعالى كلي ممي فاكهة ، من أحب  
 الأشياء إلى نفسي أن أرى في الفاكهة أثر أسنانك  
 الصغيرة . أقضى جزءاً صغيراً من هذه الفاكهة ،  
 وما يبقى منها سألتهمه التهاماً

سالوما — لا أشعر بالجوع أيها الأمير  
 هيروودس — ( إلى هيرودية ) انظري كيف ربيت  
 ابتك !

هيرودية — ابنتي وأنا من سلالة ملكية . أما

تيجالان — بعضهم يفعل ذلك ، وهم الرواقيون  
 إنهم قوم فيهم غلظة وخشونة ، إلى شنوذ وسخف  
 كبير ... إني لأجدهم ذوى سخف شديد .  
 هيروودس — وأنا أيضاً ، من السخف أن يقتل  
 الانسان نفسه .

تيجالان — الناس في روما يسخرون منهم  
 ويضحكون ، وقد وضع الإمبراطور في شأنهم شعراً  
 لاذع الحكم يرويه الناس في كل مكان .

هيروودس — آه ! وضع في شأنهم شعراً لاذع  
 الحكم ؟ قيصر رجل عظيم يستدر غاية الإعجاب .  
 إنه قادر على كل شيء ... غريب أن يقتل السورى  
 الشاب نفسه . ما أشد أسنى ! نعم ، أسف لموته جدد  
 الأسف ، لأنه كان جميلاً ... كان بديع التكوين  
 رائع القسامة . وكان له عينان ناعستان كبيرتان  
 وأذكر أني رأيته ينظر إلى سالوما بطرف ناعس كبير ،  
 حقاً إني أجد أنه أطال إليها النظر .

هيرودية — من الناس غيره من يطيلون إليها  
 النظر .

هيروودس — كان أبوه ملكاً فطرده من بلاده  
 وكانت أمه ملكة فجعلت منها يا هيرودية جارية ذليلة  
 وكذلك كان بيننا كضيف . ومن أجل هذا جعلته  
 رئيساً للحرس . أسف لموته جد الأسف ... ولكن  
 لماذا تركتم الجثة في هذا المكان ؟ ينبغي نقلها إلى  
 جهة أخرى . لا أريد أن أراها ... أحملوها ...  
 ( تحمل الجثة ) الجو بارد هنا ، والرياح شديدة . ألا  
 ترين أن المكان كثير الرياح ؟

هيرودية — كلا ليس في المكان رياح .

هيروودس — بل ، الحق ما أقول ... أسمع في  
 الجو صوتاً كصفق أجنحة ، كصفق أجنحة هائلة  
 ألا تسمعين ؟

يهودى — هذا أمر مستحيل لا يثبت عليه العقل من بعد إلياس النبي ، لم ير الله أجد . إنه آخر إنسان رأى الله . في وقتنا هذا لا يظهر الله نفسه ، إنه يستخفى ، ومن أجل ذلك تتوالى على البلاد المصائب والملمات

يهودى آخر — فى الواقع لا يدري أحد رأى النبي إلياس الله حقاً أم لا ؟ . إنه على الأرجح رأى ظل الله فقط

يهودى ثالث — الله لا يستخفى مطلقاً . إنه يظهر نفسه دائماً فى كل شيء . الله فى الشر وفى الخير على السواء

يهودى رابع — ينبغي ألا تقول ذلك . هذه فكرة شديدة الخطر ، فكرة جاءت من مدارس الاسكندرية حيث تعلم الفلسفة الاغريقية ... والاغريق قوم ذوو رقة ، حتى إنهم يعرضون عن الختان وينفرون منه

يهودى خامس — الإنسان عاجز عن أن يعرف كيف يعمل الله ويدبر لأن أساليبه شديدة العموض قد يكون ما نسميه شراً هو الخير ، وما نسميه خيراً هو الشر . لا يستطيع الانسان أن يعرف شيئاً ؛ ومن الضروري الذى لا مفر منه أن تخضع لكل شيء . الله قوى إلى أبعد حد ، وهو يحطم الضعفاء والأقوياء فى وقت واحد . إنه لا يهتم لأحد مطلقاً اليهودى الأول — هذه حقيقة لا ريب فيها . الله جبار . إنه يسحق الضعفاء والأقوياء كما يسحق القمح بين شقي الرمح ، ولكن هذا الرجل لم ير الله ؛ لم يره أحد من بعد إلياس النبي

هيرودية — أطلب إليهم أن يكفوا عن الحديث ؛ إنهم يغمزون على الملل

أنت فإن جدك كان يرعى الإبل ! وكان فضلاً عن ذلك لصاً كما تعلم !

هيرودس — تكذبن !

هيرودية — تعرف جيداً أنى قلت الحقيقة

هيرودس — سالوما ، تعالى واجلسى على مقربة منى . سأعطيك عرش أمك

سالوما — لست متعبة أيها الأمير

هيرودية — إنك ترى جيداً رأيها فيك

هيرودس — أحضروا ... ماذا أريد ؟ لأدري آه ! أذكر ...

صوت يوحنا — حان الوقت ! يقول السيد لتدفع ماتنبات به . هاهوذا اليوم الذى تكلمت عنه هيرودية — أسكتوه . لا أريد أن أسمع صوته .

هذا الرجل يقذفني دائماً بالسباب

هيرودس — لم يقل شيئاً ضدك . إنه نبي عظيم هيرودية — لا أؤمن بالأنبياء . هل يستطيع

إنسان أن يعلم الغيب ؟ هذا أمر لا يعلمه أحد . إنه يكيل الشتم لى فى كل حين ، ولكنى أعتقد أنك تخافه ... أعرف جيداً أنه يبعث فى نفسك الخوف هيرودس — إنى لا أخافه ولا أخاف أحداً

فى الحياة

هيرودية — بلى إنك تخافه . وإذا كنت لا تخافه فلماذا لا نسله لليهود الذى مضى عليهم ستة أشهر وهم يلحون فى طلبه منك ؟

يهودى — فى الحق يامولاي ، يحسن أن تسلمه إلينا

هيرودس — كف عن الكلام فى هذا الموضوع فقد أعطيتك جوابى قبل الآن ، وهو لا يتغير ، لا أريد أن أسلمه إليكم . إنه رجل رأى الله

هيروودس — ولكنى سمعت بعض الناس  
يقولون إن يوحنا نفسه هو نبيكم إلياس  
يهودى — هذا لا يمكن أن يكون . لقد مضى  
على إلياس النبي أكثر من ثلثمائة سنة  
هيروودس — بعض الناس يقولون إنه إلياس  
النبي ...

في كل مكان

هيرودية — أوه ! أوه ! المعجزات ! إنى لا  
أؤمن بالمعجزات . لقد رأيت منها أكثر مما ينبغي !  
( إلى غلامها ) مروحتى يا غلام

الناصرى — هذا الرجل يأتى بالمعجزات  
الحقيقية ، فهو مثلاً قد أحال الماء إلى نبيذ في عرس  
أقيم بمدينة صغيرة من مدن الجليل . وقد حمل إلى  
هذا الخير قوم رأوا بأعينهم ما حدث في ذلك العرس  
ثم رأى أيضاً مرضيين بالخدم جالسين أمام باب  
« كفر ناحوم » فلمسهما بيده فزال عنهما المرض  
ناصرى آخر — كلا ، الشخصان اللذان  
شفاها في كفر ناحوم لم يكونا مرضيين بالخدم ،  
ولكنهما كانا ضريرين

الناصرى الأول — أخطأت الصواب . كانا  
مجنونين ، وقد رد البصر أيضاً على كثير من العمى ،  
ورؤى على جبل يتحدث إلى ملائكة

صدوق — ليس للملائكة وجود  
فريسي — الملائكة كائنة ، ولكن لا أعتقد  
أن هذا الرجل يتحدث إليها  
الناصرى الأول — رآه كثير من السابلة  
يتحدث إلى ملائكة

صدوق — ليس إلى ملائكة  
هيرودية — ما أشد ضيق هؤلاء الناس ! إنهم

هيروودس — ولكنى سمعت بعض الناس  
يقولون إن يوحنا نفسه هو نبيكم إلياس  
يهودى — هذا لا يمكن أن يكون . لقد مضى  
على إلياس النبي أكثر من ثلثمائة سنة  
هيروودس — بعض الناس يقولون إنه إلياس  
النبي ...

ناصرى — ( نسبة إلى الناصرة ) أعتقد أنه  
إلياس النبي .  
يهودى — كلا

صوت يوحنا — جاء اليوم ، يوم السيد ، وإنى  
لأسمع فوق الجبال وقع قدمي من سيكون منقذ العالم  
هيروودس — ما معنى هذا ؟ منقذ العالم ؟  
تيجالان — هذا لقب يتخذه قيصر لنفسه  
هيروودس — ولكن قيصر لن يأتى إلى يهودية .  
تسلت بالأسر رسائل من روما ، وليس فيها ما يدل  
على عزه قيصر . وأنت يا تيجالان لقد كنت في  
روما ومكثت بها الشتاء كله ، ألم تسمع شيئاً عن  
هذا الأمر ؟

تيجالان — حقاً لم أسمع شيئاً إلا الأمير . إنى  
أفسر اللقب فقط ، إنه أحد ألقاب قيصر  
هيروودس — إنه لا يستطيع المجيء . قيصر  
مصاب بداء الثقرس ، ويقال إن له ساق فيل نتيجة  
المرض ، فكيف يقوى على السفر ؟ يضاف إلى هذا  
السبب أسباب أخرى مانها أعباء الدولة وسياساتها  
والغفوف أن من يغادر روما ويتنهب عنها يفقدها .  
لن يأتى قيصر ولكنه صاحب الأمر على كل حال ،  
سيأتى إذا شاء ، ولكن يئلب على ظني أنه لن يأتى  
الناصرى — ليس عن قيصر تكلم النبي ، أيها  
الأمير

إلى قادم من أورشليم ، ولم يسمع عنه حديث منذ شهرين .

هيروودس — الخلاصة أن هذا الجدال ليس بنى شأن . ولكن ينبغي العثور على هذا الرجل وإخباره من قبل أني أحرم عليه إحياء الموتى . إحالة الماء إلى نبيذ وشفاء المجنومين والعلمى ، هذه أمور يستطيع أن يقوم بها إذا شاء . وفي الحق أن شفاء المجنومين عمل كله خير ، ولكن لا أسمح له أن يحيى الموتى ... فليطع أن تعود الموتى إلى الحياة !

صوت يوحنا — المستهرة اللثة ! آه ! البنى آه ! بنت بابل ذات العينين الذهبيتين والجفون المموهة بلون الذهب ! هذا ما يقول السيد . أثيروا عليها عدداً كبيراً من الناس . فليرجعها الشعب بالأحجار هيروودية — أسكتوه !

صوت يوحنا — فليطعن رأساً الخند بسيوفهم وليسحقوها تحت النعال .

هيروودية — هذه بذاعة لا تحتمل ! صوت يوحنا — كذلك سأخو من الأرض الجرائم ، وستعلم النساء جميعاً ألا تحاكي آثام هذه المرأة .

هيروودية — أسمع أنت إلى ما يقذفني به ؟ وهل تركه يسب زوجك ؟

هيروودس — ولكنه لم ينطق باسمك .

هيروودية — وما قيمة ذلك ؟ إنك تعرف جيداً أن سبابه موجه إلى ، وأنا زوجك أليس كذلك ؟ هيروودس — أنت زوجي يا هيروودية العزيزة ، وقد بدأت سلسلة حياتك بأن كنت زوج أخى هيروودية — أنت الذي أقتلعتني من بين ذراعيه اقتلاعاً .

أغبياء كالبهايم ! لا فرق بينهم وبين الأنعام ! ( إلى غلامها ) أين مروحي ؟ ( يطبقها الغلام الروح ) أنت ذاهل تحم ، وهذا لا يجوز . الخالون مرضى يا غلام ( نظيره بالروح في رفق ) الناصري الآخر — وهناك أيضاً معجزة فتاة يروس

الناصرى الأول — نعم هذه حقيقة لا يمكن إنكارها

هيروودية — الجند يستبد هؤلاء الناس ! لقد أطالوا النظر إلى القمر . قل لهم أن يكفوا عن الثروة هيروودس — وما هي معجزة فتاة يروس ؟

الناصرى الأول — كانت ميتة فأحيها هيروودس — هل يحيى الموتى ؟ الناصرى الأول — نعم أيها الأمير ، إنه يحيى الموتى .

هيروودس — لا أريد أن يفعل ذلك . أحرم عليه هذا العمل . لا أسمح لأحد أن يحيى الموتى . ينبغي البحث عن هذا الرجل وإخباره أني لا أسمح له أن يحيى الموتى . أين هو الآن ؟ الناصري الآخر — إنه في كل مكان أيها الأمير ولكن من السبب العثور عليه .

الناصرى الأول — يقال إنه الآن في السامرة يهودى — من الجلي أنه ليس بالمسيح إذا كان في السامرة ، لا يمكن أن يأتي المسيح للسامريين لأن عليهم اللعنة ، إنهم لا يهدون إلى المعبد القرايين الناصري الآخر — غادر السامرة منذ أيام ، واعتقادى الشخصى أنه الآن في ربض من أرياض أورشليم . الناصرى الأول — كلا . إنه ليس حيث تقول

هيرودس — ربما يكون تملًا بخمر الله  
 هيرودية — ما نوع خمر الله هذا ؟ من أى  
 كرم استخرجت ؟ فى أى معصرة توجد ؟  
 هيرودس — ( نظره عالى سالوما لا يفارحها )  
 تيجالان ، حينما كنت فى روما أخيراً ألم يتحدث  
 إليك الامبراطور فى شأن ... ؟  
 تيجالان — فى أى شأن أيها الأمير ؟  
 هيرودس — فى أى شأن ؟ آه ! لقد وجهت  
 إليك سؤالاً ... أليس كذلك ؟ نسيت ما كنت  
 أريد معرفته

هيرودية — ما تزال تنظر إلى ابنتى . لا يجوز  
 أن تنظر إليها . سبق أن قلت لك ذلك  
 هيرودس — إنك لا تقولين شيئاً آخر  
 هيرودية — وأكرر ما أقول  
 هيرودس — وإصلاح المعبد الذى كثر الحديث  
 عنه ؟ هل فى التبة إنقاذ شيء ؟ يقال إن برقع الحراب  
 قد فقد ، أليس كذلك ؟  
 هيرودية — أنت الذى أخذه . مالى أراك ذاهلاً  
 مضطرباً فى سبيل الحديث ؟! ألا أريد البقاء هنا ...  
 هلم ندخل

هيرودس — سالوما أرقصى أمام عيني إرضاء لى  
 هيرودية — لا أريد أن رقص ابنتى  
 سالوما — لا أشعر بأقل ميل إلى الرقص أيها  
 الأمير

هيرودس — سالوما يا بنت هيرودية ، أرقصى  
 لإرضاء لى  
 هيرودية — دعها ولا تكدر هدوءها  
 هيرودس — آسرك أن رقصى يا سالوما  
 سالوما — لن أرقص أيها الأمير

هيرودس — فى الحق أنى كنت الأقوى ...  
 ولكن دعينا من هذا الموضوع ، لا أريد أن أطرقة  
 ومن أجله نطق النبي بكلمات هائلة ، وقد تحدث  
 من أجله مصيبة . فلتجنب الحديث فى هذا الشأن  
 باهرودية النبيلة ، لقد نسيتنا ضيوفاً ، صبي لى التبيذ  
 يا أعز الناس على . املئى الأقداح الكبيرة الفضية  
 والزجاجية بالتبيذ . سأشرب نخب قيصر وصحته .  
 هنا فئة من الرومان ، ويبنى أن نشرب نخب صحة  
 قيصر .

الجميع — قيصر ! قيصر !  
 هيرودس — إنك لا تلاحظين مبلغ اصفرار ابتنتك  
 هيرودية — وما ذا يهيك ؟  
 هيرودس — لم أرها قط مصفرة إلى هذا الحد  
 هيرودية — ينبغي ألا تنظر إليها  
 صوت يوحنا — فى ذلك اليوم ، ستصبح  
 الشمس سوداء ككيس من شعر فاحم ، والقمر  
 أحمر كالدم ، وستسقط نجوم السماء على الأرض كما  
 يسقط الثين الأخضر من الشجرة ، ويملك الرب  
 قلوب الملوك

هيرودية — آه ! آه ! ما أشد شوقى إلى رؤية  
 ذلك اليوم الذى يتحدث عنه ، حين يصبح القمر  
 كالدم وتسقط النجوم على الأرض كالطين الأخضر !  
 هذا النبي يتكلم كرجل مثل ... ولكنى لا أستطيع  
 احتمال صوته . إنى أكره صوته وأمقته . مره  
 بالسكوت

هيرودس — كلا . إنى لم أفهم ما قال ، ولكن  
 ربما يكون قوله كاشفاً عن الغيب  
 هيرودية — لا أؤمن بهذا الهراء الذى يسمونه  
 كشفاً عن الغيب . إنه يتكلم كرجل لعبت بعقله الخمر

هيرودية - ( ضاحكة ) أ رأيت كيف تطيعك ؟ !  
 هيروودس - وماذا يهمني إن رقصت أو رفضت ؟  
 هذا أمر لا قيمة له عندي . إني سعيد في هذا المساء ..  
 سعيد إلى حد كبير ... لم أكن قط سعيداً إلى مثل  
 هذه الدرجة

الجندي الأول - يبدو الاكتاب على الأمير  
 ألا ترى أنه غير مبتهج ؟

الجندي الثاني - عليه أمارات المهم والالاكتاب  
 هيروودس - ولماذا لا أكون سعيداً ؟ قيصر ،  
 وهو سيد العالم ، سيد كل شيء ، ينجي كثيراً .  
 وقد أرسل إليّ في الأيام الأخيرة هدايا عظيمة القيمة  
 ووعدني فضلاً عن ذلك بأن يدعو إلى روما ملك  
 كابادوس عدوي الألد . ربما يصبه في روما .  
 قيصر يستطيع أن يفعل كل ما يريد . إنه سيد العالم  
 بلا جدال . من هذا ترون أن لي الحق في أن أكون  
 سعيداً . لا شيء في العالم يستطيع أن يكدر سروري  
 أو يفسد عليّ أبتهاجي

صوت يوحنا - سيكون جالساً على عرشه في  
 ثياب أرجوانية وقرمزية ، وسيحمل في يده إناء  
 من ذهب مملوء بضروب تجديفه . سيضربه ملاك  
 السيد ، وسيكون للديدان طعاما

هيرودية - أتممت لما يقول عنك ؟ يقول  
 إنك ستكون طعاماً للديدان

الجندي الأول - نعم إنه يكتب  
 هيروودس - سالوما ، سالوما ، أرقصي أمام  
 عيني . أضرع إليك أن ترقصي . إني حزين هذا  
 المساء . نعم حزين جداً هذا المساء . لما وطئت هذا  
 المكان انزلت قدماي في الدم ، وهذا نذير شر .  
 وصمت ، وأما واثق بأن سمعت في الجو صفق أجنحة  
 هائلة ، لا أدري ما معنى ما سمعت ... إني حزين هذا  
 المساء ، ومن أجل ذلك أريد أن ترقصي أمام عيني

هيروودس - لم يتكلم عني . إنه لا ينطق بشيء  
 ضدي ألبتة . إنه يعني بقوله ملك كابادوس عدوي ،  
 وهو الذي سيكون طعاماً للديدان ، ولست أنا أمير  
 يهودية . لم يقل النبي شيئاً ضدي قط ، سوى أنني  
 أخطأت بالزواج من امرأة أخى . ربما يكون على  
 حق . والحقيقة التي لا تقبل الشك أنك عاقر

على النقيض من ذلك شديد الحرارة . أختنق من شدة الحر . صبي على يدي ماء . أعطني ثلجاً آكله ، حلّ عباتي . أسرعى ، أسرعى ، حلّ عباتي ... كلا ، دعها كما هي . إنه تاجي الذي يؤلمني ، تاج الورد هذا . لكأن هذه الورد قد خلقت من نار . إنها أحرقت جبيني ( ينزع التاج من رأسه ويلقيه على اللادة ) آه ! الآن أنتفس . ما أشد حمرة هذه الورد ! كأنها تقط من الدم على غطاء اللادة الأبيض . ليس هذا شيئاً مذكوراً . يبنى ألا يرى الانسان رموزاً في كل شيء يقع عليه بصره حتى لا تكون الحياة مستحيلة الاحتمال . الأفضل أن يقال إن تقط الدم جميلة كالورد . أفضل كثيراً أن يقال ذلك . ولكن دعونا من هذا الموضوع ... الآن ، إني سميد إلى أقصى حد . لي الحق في أن أكون سميداً أليس كذلك ؟ سترقص ابتك إرضاء لي . سترقصين لي يا سالوما ، أفي ذلك شك ؟ لقد وعدت بأن ترقصي لي

هيرودية — لا أريد أن ترقص

سالوما — سأرقص لك أيها الأمير

هيرودس — أسمعني إلى قول ابتك ؟ سترقص لي . أنت على صواب يا سالوما في إجابة طلبي والرقص أمام عيني . وفي نهاية الرقص لاتنسى أن تسأليني كل ما تنصبو إليه نفسك . كل ما ترغبن فيه ، سأعطيك إياه ، ولو كان نصف ملكي . لقد أقسمت ، أليس كذلك ؟

سالوما — أقسمت إلى أيها الأمير

هيرودس — ولم أخلف قط وعدي . لست من هؤلاء الذين ينتفضون كلهم ويخلون بيهودهم . لا أعرف كيف أكذب . إني عبد كلتي ، وهي كلمة

أرخصي لإرضاء لي . سالوما ، أضرع إليك . إذا رقصت لي ، فإن في استطاعتك أن تسأليني كل ما ترغب فيه نفسك ، وسأعطيك كل ما تطلبن ، ولو كان نصف ملكي

سالوما — ( تنهض ) ستعطيني كل ما أطلب أيها الأمير ؟

هيرودية — لا ترقصي يا ابنتي

هيرودس — كل شيء ، ولو طلبت نصف ملكي

سالوما — أقسم أيها الأمير ؟

هيرودس — أقسم يا سالوما

هيرودية — يا ابنتي لا ترقصي

سالوما — بأي شيء أقسم أيها الأمير ؟

هيرودس — بحياتي وتاجي وألعتي ، سأعطيك كل ما تطلبن ولو كان نصف ملكي ، إذا رقصت لي أوه ! سالوما ! سالوما ! أسعديني بالرقص أمام عيني سالوما — لقد أقسمت أيها الأمير

هيرودس — أقسمت يا سالوما

سالوما — كل ما أطلب ولو كان نصف ملكك ؟

هيرودية — لا ترقصي يا ابنتي

هيرودس — ولو كان نصف ملكي . ستكونين

ملكة رائدة الجمال خلافة للنظر إذا عرك أن تطلبي نصف ملكي . ألا ترين يا هيرودية أنها تكون رائدة الجمال إذا غدت ملكة ؟ آه ! الجو بارد هنا ! الجو شديد البرودة ، وأسمع ... لماذا أسمع في الجو صفق أجنحة ؟ أوه ! يخيل لي أن طائراً هائلاً أسود اللون يحلق فوق الشرف ! لماذا لا أستطيع رؤية هذا الطائر ؟ صفق جناحيه رهيب خفيف ، والهواء الذي يأتي من جناحيه رهيب مزعج . إنه هواء بارد ... ولكن لا ... ليس الجو بارداً ، بل هو

كان على حق للمرة الأولى في حياته . ملوك الأرض  
يستولون عليهم الرعب ... يحسن أن ندخل . أنت  
مريض ، وسيقال لأهل روما إنك مجنون ...  
هلم ندخل

صوت يوحنا — من هذا المنحدر من عيساف  
ابن إسحق القادم من بصرى ( بلد بالعام كانت تحت  
حكم الرومان ) في ثوبه الأرجواني ، الشرق الطلعة في  
جبل ثيايه ؟ من هذا الذي يعيش في قوة هائلة أخاذه ؟  
لماذا ثيابك ذات ألوان قرمزية ؟

هيرودية — هلم ندخل . صوت هذا الرجل  
يهيج أعصابي ويبتع الضيق في صدري . لا أريد  
أن ترقص ابنتي وهو يصرخ على هذه الصورة ، لا  
أريد أن ترقص ابنتي وأنت تنظر إليها هكذا  
هيرودس — لا تهضي يا زوجي ، يا مليكتي ،  
فلن يكون لأصراك أية ثمرة . لن أرحم مكانى حتى  
ترقص ابنتك . أرقصي يا سالوما ، أسعديني بالرقص  
كما وعدت

هيرودية — لا ترقصي يا ابنتي

سالوما — إليك الرقص أيها الأمير

( ترقص سالوما رقة البراقع السبعة )

هيرودس — آه ! رقص نغم رائع ! إنك ترين  
أن ابنتك قد رقصت لي . اقترني يا سالوما ! اقترني  
حتى أستطيع أن أعطيك أجراً ما فعلت . إني كرم  
مع الراقصات إلى حد كبير . وسأعطيكم من الأجر  
ما يرضيك . سأعطيكم كل ماتطلين . ماذا تريدن ؟  
تكلمى

سالوما — ( راحة ) أريد أن يقدم إليّ الآن

في طست من الفضة ...

هيرودس — ( ضاحكاً ) في طست من الفضة ؟

(٦)

ملك . ملك كبادوس يكذب دائماً ، ولكنه ليس  
ملكاً حقاً . إنه جبان ضعيف الخلق ، ودليلي على  
ما أقول أن لي عنده مالا لا يريد أن يرى منه  
ذمته ، ولم يقف عند هذا الحد ، بل آمن في الصفاقة  
وأهان سفرائي ونطق بأقوال جارحة مريرة . ولكن  
قيصر سيصلبه في روما حين يذهب إليها الجبان .  
إني واثق بأنه سيصلبه ... إيه ! سالوما ، أفي انتظار  
شيء أنت ؟

سالوما — أنتظر جواردي يحضرني إلى الطبيب  
والبراقع السبعة ، ويخملن نعلي ( الجوارى يحضرن  
الطب والبراقع السبعة ويخملن نعلي سالوما )

هيرودس — آه ! سترقصين عارية القديمين ؟  
هذا حسن ، جميل . ستكون قدماك كيامتين ناصعتي  
البياض . إنهما أشبه شيء بزهريتين صغيرتين ناصعتي  
البياض ترقصان على غصن شجرة ... آه ! لا ...  
سترقص على الدم على الأرض دم . لا أريد أن  
ترقص في الدم . إنها لو فعلت لكان ذلك نذير  
شر وشؤم

هيرودية — وماذا يهمك من رقصها على الدم ؟  
لقد سرت أنت فيه ولوثت به نعليك

هيرودس — وماذا عليّ من ذلك ؟ آه !  
أنظري إلى القمر ! لقد صار أحمر كالدم ، آه ! النبي  
تنبأ بذلك . قال إن القمر سيصير أحمر كالدم ، أليس  
كذلك ؟ لقد سمعتم إلى قوله جميعاً . صار القمر أحمر  
كالدم ، ألا ترونه ؟

هيرودية — أراه جيداً ، والنجوم تسقط كالطين  
الأخضر ، أليس كذلك ؟ والشمس ستندو سوداء  
ككيس من شعر فاحم ، وملوك الأرض يستولون  
عليهم الرعب . هذا ظاهر واضح على الأقل . النبي



هيرودس — أسكتني إلى لا أوجه إليك الحديث  
هيرودية — ابنتي على حق في طلب رأس هذا  
الرجل . إنه قذفي بالسباب وزماني بأبشع الأقوال  
لا تنزلي عن طلبك يا ابنتي . لقد أقسم أمام  
الحاضرين جميعاً

هيرودس — أسكتني . كفى عن مخاطبتي ...  
أصني إلي ياسالوما ، ينبغي أن يتغلب العقل على الهوى  
أليس كذلك ؟ أفزعي إلى العقل فذلك أجدى عليك .  
إني لم أقس عليك قط ولم يد مني إساءة تأخذنيها  
علي . لقد أحبتك في كل حين ... وربما ذهبت في  
حبك إلى حد الغلو والاغراق ، ومن أجل هذا  
أرجو أن تعمدل عما طلبت . إن ماتطلين بشع تخيف .  
وفي الحق أني لا أعتقد أنك جادة في طلبك . رأس  
إنسان مقطوع ، هذا شيء دميم ، أليس كذلك ؟  
هذا شيء لا يجوز أن تراه عذراء . أي سرور يبعثه  
في نفسك هذا المنظر الفظيع ؟ إنه لا يبعث في  
النفس غير التقرز والاكتئاب . كلا ، كلا ، إنك  
لا تريدن ذلك ... أصني إلى لحظة . عندى زمردة ،  
زمردة كبيرة مستديرة أرسلها إلى أقرب القربين  
إلي قيصر . إذا نظرت خلال هذه الزمردة استطعت  
أن تشاهدى أشياء تقع على مسافة هائلة . قيصر  
نفسه يحمل زمردة تماثلها تماماً حين يذهب إلى  
الفرق ( أي السرك ) ولكن زمردتي أكبر .  
أعرف جيداً أنها أكبر . إنها أكبر زمردة في  
العالم . إنك تريدنها أليس كذلك ؟ أعطيك إياها  
فاطليها مني .

سالوما — أطلب رأس يوحنا

نعم في طست من الفضة دون شك . إنها فاتنة خلافة  
أليس كذلك ؟ ما الذي تريدن أن يقدم إليك في  
طست من الفضة يا عزيزتي الجميلة سالوما ، يا أجل  
فنيات يهودية ؟ تكلمي . مهما يكن الشيء الذي  
تطلبين ، فاني أعطيك إياه . كنوزي بين يديك وهي  
ملك لك . ماذا تطلبين يا سالوما ؟

سالوما — ( تنصب على قدميها ) رأس يوحنا

هيرودية — آه ! قول صائب يا ابنتي

هيرودس — لا . لا

هيرودية — أحسن ما يقال يا ابنتي

هيرودس — كلا ، كلا ياسالوما . إنك لاتطلبين  
ذلك . لاتستمي إلى قول أمك . إنها تقدم إليك  
دأماً الرأي الموعج والنصح السيء . لا تعيرى قولها  
التفاناً .

سالوما — إني لا أتبع نصيح أي ، ولكني  
أطلب رأس يوحنا في طست من الفضة تحقيقاً لسرة  
نفسي . لقد أقسمت يا هيرودس . لا تنس أنك  
أقسمت

هيرودس — أعرف ذلك . أقسمت باللهتي .  
أعرف ذلك جيداً ، ولكني أضرع إليك يا سالوما  
أن تطلبي مني شيئاً آخر غير الذي طلبت . اطلبي  
مني نصف ملكي أمنتحك إياه . ولكن لا تسأليني  
ما طلبت

سالوما — أسألك رأس يوحنا

هيرودس — كلا ، كلا ، لا أريد

سالوما — لقد أقسمت أمها الأمير

هيرودية — نعم أقسمت أمام الحاضرين جميعاً

وليع القسم مسامعهم

الجمال مثل هذه . سأعطيك خمسين طاووساً منها ،  
فكيف ترين ؟ ستبتعك أيا سرت ، وستكونين بيننا  
كالقمر وسط سحابة كبيرة بيضاء ... سأعطيك  
كل ما أملك منها . ليس عندى إلا مائة ، وليس فى  
العالم ملك يملك طواويس مثل التى عندى ، ولكنى  
سأعطيك إياها جميعاً . وينبئ فى مقابل هذا أن  
تحلى من كفى وتعدلى عما طلبت  
( يفرغ كأس النبيذ فى جوفه )

سالوما — أعطنى رأس يوحنا

هيرودية — أحسنت القول يا ابنتى ! أما أنت  
فانك شديد السخف بطواويسك

هيرودس — أسكتى ، إنك تصرخين دائماً .  
تصرخين كحيوان مفترس . لا يجوز أن تصرخى  
هكذا . صوتك يبعث فى نفسى الملل . ربما يكون  
هذا الرجل مرسلًا من قبل الله . أعتقد أنه مرسل  
من قبل الله . إنه لرجل طاهر مقدس . لقد لبسه  
الله بأصبعه ، ووضع فى فمه كلمات خفيفة هائلة . الله  
دائماً معه ، فى القصر وفى الصحراء على السواء ...  
هذا ممكن على الأقل . لا نستطيع أن نجزم ، ولكن  
ليس بمستحيل أن يكون الله معه يحبه ويشد أزره .  
ومن أجل ذلك قد تحدث مصيبة إذا مات هذا  
الرجل ... ألم يقل إنه فى اليوم الذى سيموت فيه  
ستنقص مصيبة على أحد من الناس ؟ قد لا تعيب  
غير شخصى . أذكرى أنى أنزلت على الدم حين  
دخلت الشرف ، ثم سمعت صفق أجنحة فى الهواء .  
حدثان يندران بالشر من غير شك ... هيه ! سالوما  
إنك لا تريدن أن تصيبي مصيبة ، أليس كذلك ؟  
أوه ! استمعي ؟

هيرودس — أنت لاهية عني لا تسمعين لقولى  
أوه ! دعينى أتكلم يا سالوما  
سالوما — رأس يوحنا

هيرودس — كلا ، كلا ، إنك لا تريدن ذلك .  
تقصدين بطلبك هذا إلى إيلايى ليس غير ، لأنى  
أطلت إليك النظر هذا المساء . إيه ! نعم نظرت إليك  
المساء كله ... جالك بعث فى الاضطراب ... جالك  
غمز على الاضطراب الشديد ، وقد حدثت فيك  
أكثر مما ينبغى ، ولكنى لن أعود إلى مثل هذا  
العمل . ينبغى ألا ينظر الانسان إلى الأشياء ولا إلى  
الأشخاص ... لا يجوز النظر إلا فى المرايا لأنها  
لا تظهر لنا إلا الأقمعة ... أوه ! على بشيد ! الظأ  
يستبدى فى ... سالوما ، سالوما ، فلنكن صديقين ...  
تفهمنى قولى ... ماذا كنت أريد أن أقول ؟ فى أى  
شأن كنا ؟ أه ! أذكر الآن ! ... سالوما ، كلا ،  
اقتربى أكثر من ذلك . أخشى ألا يصل صوتى إلى  
سمعك ... سالوما ، تعرفين طواويس البيضاء الجميلة  
التي تخرج فى الحديقة بين الآس البرى وأشجار السرو  
الكبيرة ، مناقيرها ذهبية والحلب الذى تأكله ذهبي  
أيضاً ، وأرجلها فى لون الأرجوان . إذا صرخت  
هطلت الأمطار ، وإذا تبحرت وعقدت ذيلها على  
شكل مروحة بزغ القمر ؛ وهى تسير اثنتين اثنتين  
بين أشجار السرو والآس البرى الأسود ، ولكل  
طاير منها عبد يقوم بشأنه . وفى بعض الأحيان  
تطير خلال الشجر ، وفى أحيان أخرى ترقد على  
العشب وخول البحيرة . ليس فى العالم طير لها مثل  
سحرها ، ليس فى العالم ملك يملك طيراً بحجية مثل  
هذه . أعتقد أن قيصر نفسه لا يملك طيراً رائعة

٢٠ سالوما - أعطني رأس يوحنا

هيرودس - أترين أنك لاتصنين إليّ ؟ !  
ولكن تلقى الهدوء . أنظري إليّ ، إني هادىء إلي  
أقصى حد . أصنى إليّ ، عندى حلى غنابة هنا لم  
يرها أحد ، وأملك نفسها لم يقع عليها بصرها قط ،  
حلى عجيبه تدهش العقل وتبهز النظر . عندى عقد  
من اللؤلؤ ذو أربعة صفوف ، من يرى هذه الآلىء  
يخيل إليه أنها أقمار قد سلكت فى أشعة من فضة .  
لكأنها خمسون قرأ فى أسر خيط من ذهب ، وقد  
حملته فى مضى ملكة على صدرها الماجى . أما أنت  
فانك حين تضعينه على صدرك ستكوفين جميلة  
رائمة كلكتة . عندى نوعان من جوهر عجيب ،  
أحدهما أسود اللون كالنبيذ ، والآخر أحر اللون  
كالنبيذ إذا مزج بالماء . عندى أحجار كريمة من  
الزبرجد الأصفر كميون النور ، ومن الزبرجد  
الوردي كميون الحام ، ومن الزبرجد الأخضر  
كميون القلط ، عندى أحجار لبنية تضىء دائماً  
بشعلة باردة لا أثر للحرارة فيها ، وأحجار لبنية  
أخرى تخزن الأفكار وتخفى الظلمات . عندى  
كثير من أحجار الجزع Onyx تشبه إنسان عين  
امرأة ميتة . عندى أحجار زيد القمر Selenites  
تتغير حين يتغير القمر وتصور صفراء مبهوتة حين  
ترى الشمس . عندى صفر (١) كبير الحجم  
كالبيض ، وأزرق اللون كالأزهار الزرقاء ، البحر  
يموج فى داخله والقمر لا يبرك البتة زرقة أمواجه .  
عندى أنواع كثيرة من الزبرجد والياقوت  
والحجر الجنائى والأخيلدونيا ، وسأعطيك كل

(١) ياقوت أزرق

هذا لا أنقص منه شيئاً ، وسأضيف إليه أشياء  
أخرى . أذكر الآن أن ملك الهند أرسل إليّ منذ  
أربعة أيام مراوح مصنوعة من ريش البغاء ،  
وأرسل إليّ ملك نوميديا ثوباً مصنوعاً من ريش  
النعام . عندى امرأة من البلور لا يجوز للنساء أن  
تراها ، والفتيان أنفسهن لا يجوز أن يروها إلا بعد  
أن يضربوا على ظهورهم بالمصى والقضبان . وعندى  
فى خزانة من الصدف ثلاثة أحجار من الفيروز  
عجيبة فتانة ، إذا وضعها الإنسان على جبينه استطاع  
أن يتصور أشياء لا وجود لها ، وإذا حملها فى يده  
استطاع أن يضرب المقم على النساء . إنها كنوز  
نفيسة لا تقدر بثمن . وليس هذا كل شيء . عندى  
فى خزانة من الأنبوس قذحان من عنبر كتفاحتين  
من ذهب ، إذا صب فيها عدو سما ، صاراً  
كتفاحتين من فضة . وعندى فى خزانة مرصعة  
بالعنبر نعال مرصعة بالزجاج . عندى عباءات ثمينة  
وأساور محلاة بالياقوت واليشم Gade من صنع  
مدينة الفرات ... تكلمى ، ماذا تريدن ياسالوما ؟  
أفصحى عما ترغبين فيه حتى أعطيك إياه . سأعطيك  
كل ما تطلبين إلا شيئاً واحداً . سأعطيك كل  
ما أملك إلا حياة واحدة . سأعطيك عبادة الكاهن  
الأكبر . سأعطيك برقع المحراب

اليهود - أوه ! أوه !

سالوما - أعطنى رأس يوحنا

هيرودس - ( يبور فى قمعه ) لكن لهما مطلب  
حقاً إنها بنت أمها !

( الجندي الأول يقترب . يهودية تأخذ من يد الأمير  
خاتم الموت فيتناولها الجندي ويحمله سريماً إلى  
الجلاد . الجلاد يندو عليه الفزع )

فاكهة ناضجة . نعم سأقبل ثورك يا يوحنا . قلت لك  
إني سأقبله أليس كذلك؟ إذن سأقبله الآن ...  
ولكن لماذا لا تنظر إلي يا يوحنا ، عيناك الجبارتان  
الخفيتان اللتان كانتا مليئتين بالغضب والازدراء ،  
أراها الآن منفلتتين ، ولماذا أراها مغمضتين؟ افتح  
عينيك ، ارفع جفنيك يا يوحنا . لماذا لا تنظر إلي؟ هل  
أبث فيك الخوف فلا تريد أن تنظر إلي؟ ...  
ولسانك الذي كان كشمبان أحمر ينفث السم ...  
لأنه ساكن لا يتحرك هذه الحية الحمراء التي رمتني  
بسمها : لا تقول الآن شيئاً ، هذا غريب ، أليس  
كذلك؟ كيف حدث أن الحية الحمراء لم تعد  
تتحرك ...؟ لم تشأ أن أبدو منك وألسك  
لقد رفضت ودي يا يوحنا وكنت لي الأقوال الشائنة  
وعاملتي كسبتهرة ، كبنى ، أنا سالوما بنت هيرودية  
أميرة يهودية ، ها أناذى يا يوحنا ما أزال على قيد الحياة  
أما أنت فانك ميت ورأسك في حوزتي وملك لي ،  
وفي استطاعتي أن أفعل به ما أشاء ؛ في استطاعتي  
أن ألقيه للكلاب ولطير الهواء ، فتشه الكلاب  
وتلهم طير الهواء . آه : يا يوحنا ، يا يوحنا ، أنت الرجل  
الوحيد الذي أحببته ... كنت جباراً يا يوحنا ...  
جسمك كان عموداً من العاج على قاعدة من الفضة  
كان حديقة تخرج بالجمام وأزهار السوسن الفضة .  
كان برجاً من الفضة مزديناً بقوام من العاج .  
ليس في العالم جسم في مثل بياض جسمك . ليس  
في العالم شيء مماثل لشعرك في سواده . ليس في العالم  
كله شيء يضارع ثورك في حمرة . كان صوتك مبحرة  
ينتشر منها عبر غريب ، وحين كنت أنظر إليك ،

من ذا الذي أخذ خاتمي؟ كان في يدي المني  
خاتم . من ذا الذي شرب نبيذى؟ كان في قدحى  
نبيذ ... أوه ! ستحدث مصيبة من غير شك  
(الجلاد ينزل إلى الصهريج) آه ! لماذا أعطيت كلتي  
وقطعت على نفسي عهداً؟ يجب على الملوك  
ألا يمدوا أو يقطعوا على أنفسهم عهداً . فظيع إذا  
أخلفوا ولم يوفوا ، وفظيع أيضاً إذا بوا بوعدهم ..  
هيرودية — أجد أن ابنتي قد أحضنت صنما  
هيرودس — ستحدث مصيبة من غير شك  
سالوما — (تنحى على الصهريج وتنصت) لا أسمع  
صوتاً . لماذا لا يصرخ هذا الرجل؟ آه ! لو حاول  
أحد أن يقتلني لصرخت وقاومت ... اضرب  
اضرب يا نعان . إني لا أسمع شيئاً في الصهريج  
سكون رهيب ! سقط على الأرض شيء . سمعت  
شيئاً يسقط ... إنه سيف الجلاد . استولى الخوف  
على هذا العبد ، ينبغي إرسال جند (ترى غلام هيرودية  
تخطله) تعال هنا . قل للجند أن ينزلوا إلى الصهريج  
ويحضروا لي ما طلبته ، ما وعدنى به الأمير ، ما هو  
ملكى (الغلام يتراجع مذعوراً ، تخطب سالوما الجند)  
أيها الجند ، انزلوا إلى الصهريج وحيثوني برأس ذلك  
الرجل (الجند يتراجعون) أيها الأمير ، أيها الأمير ،  
مر جنودك أن يأتوني برأس يوحنا (بكيرة سوداء  
يد الجلاد تخرج من الصهريج حاملة رأس يوحنا على رمح من  
الفضة . تتناول سالوما الرأس . هيرودس يجني وجهه بعباهته  
هيرودية تنقسم وتهز مروحتها . الناضريان يركمان ويصرعان  
في الصلاة) . آه ! لم تشأ أن تدعني أجبل ثورك يا يوحنا  
إذن سأقبله الآن . سأعضه بأسناني كما يعض الإنسان

سوداء تمر بوجه القمر وتحبه تماماً . المرح يفره  
ظلام دامس ويشرع الأمير في الصمود على السلم الكبير  
صوت سالوما — آه ! لقد قبلت ثورك يا يوحنا  
كان على شفتيك طعم حريف لاذع . أكان هذا  
طعم الدم ؟ ربما كان طعم الحب . يقال إن للحب  
طعماً لاذعاً ... ولكن ماذا يهم ؟ لقد قبلت ثورك  
يا يوحنا

( يسقط على سالوما شعاع من ضوء القمر وينيرها )  
هيروودس — ( يلتفت إلى الخلف ويرى سالوما )  
اقتلوا هذه المرأة !

( الجند يتقضون على سالوما بنت هيروودية أميرة يهودية ،  
ويحرقونها بسلاحهم )  
( تحت )  
عربها  
حسن صادق

## تاريخ الأدب العربي

لأستاذ أحمد حسن الزيات

الطبعة السادسة

في حوالي ٥٠٠ صفحة من القطع المتوسط  
يعرض تاريخ الأدب العربي منذ نشأته إلى اليوم  
في صورة قوية تحليلية رائعة

ثمة عشرون قرشاً . ويطلب من إدارة الرسالة .

ومن لجنة التأليف ومن سائر المكاتب

كنت أسمع موسيقى عجيبة ! آه ! لماذا لم تنظر إلى يوحنا ؟  
خلف يديك وسبابك وشتائك ، أخفيت وجهك .  
لقد وضعت على عينك عصاية ذلك الذي يريد أن يرى  
ألمة . إذن رأيت ربك يا يوحنا ، أما أنا ، فانك لم ترى .  
قط . لو رأيتني لأحببتني كالأبنك يا يوحنا وأحببتك .  
أوه ! لشد ما أحببتك وما أزال أحبك يا يوحنا .  
لا أحب سواك ... إني متعلقة إلى جمالك ، متلهفة  
على جسمك ، ولن يهدد رغبتي نبيذ أو فاكهة .  
ماذا أفعل الآن يا يوحنا ؟ لا الأنهار ولا البحار  
تستطيع أن تغطي غلة هواي . كنت أميرة فازدريتني ،  
وكنت عبداً فقضيت على نضرتي ، وكنت على ظهر  
فلأت عروقي بالنار ... آه ! آه ! لماذا لم تنظر إليّ  
يا يوحنا ؟ لو نظرت إليّ لأحببتني . أعرف جيداً  
أنك لو نظرت إليّ لأحببتني ، وأن لغز الحب أكبر  
من لغز الموت . لا ينبغي النظر إلا إلى الحب .

هيروودس — إنها وحش بشع . ابتك وحش  
مفترس . إن ما فعلته لجريمة كبرى من غير شك .  
أعتقد أن ما فعلته جريمة ضد الله مجهول

هيروودية — أفرعمل ابنتي وأريد البقاء هنا الآن  
هيروودس — ( وهو ينهض ) آه ! الزوجة الآئمة  
التي تسكن المرأة التي تفر المحرمات ! هيا  
لا أريد البقاء في هذا المكان ... ستحدث مصيبة  
لاجملة ... ماناس ، أساكار ، أوزياس ، أطفنوا  
المشاعل حتى لا أرى الأشياء ولا تراني . أطفنوا  
المشاعل . إحجبوا القمر وانثروا على النجوم غطاء  
هلم نخفي . في قصرنا يا هيروودية فقد بدأت أشعر  
بالخوف

( السبيد يطفنون المشاعل . النجوم تخفى . سحابة كبيرة

كانت تقضض  
من البرد وترتعد من  
الجوع ، وتسير  
متحاملة على نفسها  
تجر قدميها جرأ...  
كانت صورة من  
التماسة تلك الفتاة  
المسكينة ! وقد تنطلي

# البائع الصغير

## للكاتب الدانركي هانز أندرسون بقلم شكرى محمد عباد

بالثلج شعرها الأصفر المسترسل الجميل ، وتذلت منه  
خصلات ناست على جيدها الأبيض الناصع . ولكن  
تلك الفكرة لم تكن لتطيف بذهنها إذ ذاك ، فقد  
كان النور يشع من النوافذ ، ورأته الأوز المشوي  
تفوح في الفضاء مؤذنة بميلاد عام جديد . فالتفت  
ركنتاً مزويماً فجثت على ركبتيها ، وتقبعت في  
مكانها ، والبرد يسرى في أعضائها قارساً للذاعا .  
ولكنها لم تكن لتجرو على الذهاب إلى منزلها ، وما  
باعت من ثيابها شيئاً ، فعصا الأب ترتقب ، وسقف  
البيت مهدم خالٍ تهب به الريح ، ويصفر فيه الهواء  
كان البرد يخدر يديها الصغيرتين ، فتفكر في  
عود من الثقب تأخذه من الحزمة ، فتشعله في  
الحائط ، فتدف يديها على لحيه . وما تمالك أن  
فلت فضاء العود بلبس ساطع كنور الشمعة ،  
نفيل للفتاة أنها جالسة بإزاء موقد ذى ألوان ، له  
قاعدة من نحاس وغطاء من نحاس لامع . ما أجل  
النار تبتت الدفء في الأطراف ، والظلمة في  
النفس ! ولكن اللب الضئيل لم يلبث إلا قليلاً حتى  
خبأ . فتبخر في الهواء موقدها النحاسي اللامع ،

كان البرد يشتد ، والثلج يهمل ، والظلام  
يحلوك ، والليل يسدف لينبلج عن صبح عام جديد .  
وكانت تضرب في بهمة الليل وصبابة القرفانة حائرة  
الرأس طارية القدمين : كانت تنمل خفين عندما  
غادرت منزلها ، ولكنهما كانتا واسعتين فقد كانتا  
قبل لأصا . وبينما هي تمر الطريق أمام عربتين  
مسرعتين أصاحت خفيها . فأما الأولى فلم تجد لها أثراً ،  
وأما الأخرى فقد خطفها طفل وجرى . فراحت الطفلة  
تجوب الطرقات وقد تعرت قدميها ، واحمرتا من  
برد وازرقتا . وكانت تحمل في جيب ثوبها العتيق  
حزماً من الثقاب ، وفي يسراها حزماً ، وقد أدبر  
النهار وما باعت منها شيئاً ، ولا حصلت ليومها  
قلماً

بعد هانز كرستيان أندرسون عميد الأدب الدانركي بغير  
منازع . وقد ذهب سمعته فيما وراء وطنه . واشتهر بين  
كتاب الغرب قصصاً له مذهب خاص في القصة . وكثير من  
القاصين يحذف « الحرافة Faery Story » من القصة . إلا  
ما كتب أندرسون ، وقليلون غيره ، في هذا الباب .  
« والبائعة الصغيرة » على الرغم من قصرها قطعة رائعة من  
الأدب ، ومثال دقيق من فن ذلك الأدب .

وطارت بها في عالم من البهاء والسرور ، وحلقت  
بها في السموات العلى ، وحملتها من الأرض إلى  
حيث لا يرد ولا جوع  
غير أن الطفلة كانت تجلس في ركنها ، مستندة  
إلى الحائط وقد احمرت وجنتاها ، وانفجرت  
شفقتها عن ابتسامة سميكة ، هناك كانت ترقد  
أيسها القر ، وقد احترقت علة من ثقابها ، فقال  
الناس : « لقد أردت أن تدق نفسك » وما علم الناس  
أى جمال رأيت ، ولا بأى احتفال حملت إلى السماء  
ليلة العيد ...

سكّرى محمد عياد  
كلية الآداب

## في أصول الأدب

للاستاذ احمد حسن الزيات

كتاب جديد فريد في نوعه . يشتمل على أبحاث  
تحليلية طريفة في الأدب العربي وتاريخه . منها  
تاريخ الأدب وحظ العرب منه . العوامل  
المؤثرة في الأدب . أثر الحضارة العربية في العلم  
والعالم . تاريخ حياة ألف ليلة وليلة وهو أوفى  
بحث كتب في هذا الموضوع إلى اليوم . ثم  
قواعد تفصيلية للرواية التمثيلية الخ الخ ...

يطلب من إدارة مجلة الرسالة

وثمنه ١٢ قرشا

ولم يبق يديها سوى رماد العود المحترق . فأشعلت  
عوداً ثانياً ، فالتب فوقه نوره على الحائط ، فصيرته  
كقنّاعٍ يشفّ استطاعت أن ترى الحجرة من  
خلاله . رأت مائدة بسط عليها قماش أبيض صفت  
عليه آنية المشاء ، وتوسطته أوزة مشوية يفوح  
منها بخار له نكهة وطيب ، وبالأجوفها تفاح وبرتقال  
محفف . ثم باللعج ! لقد قفزت الأوزة من الطبق  
ونهدت على أرض الحجرة ثم أقبلت على الطفلة وفي  
صدرها شوكة وسكين ! ثم انطلق العود فلم تبصر  
الفتاة إلا حائطاً رطباً سيكاً بارداً ، فأشعلت عوداً آخر  
فاذا هي جالسة تحت شجرة جميلة من أشجار عيد  
البلاد تشتمل على أوراقها آلاف من الشموع ، فتعبر  
بنورها صوراً ملونة جذابة كذلك التي كانت تراها في  
الكتيبات ، فمدت الفتاة يديها نحوها فانطلق العود ،  
وارتفعت أنوار عيد العالم ، فرأتها الفتاة نجوماً  
في السماء ، سقط أحدها فرسم خطاً طويلاً من  
النار ، ففكرت الفتاة الصغيرة : الآن أحد يموت .  
فكذلك علمتها جدتها المعجزة التي درجت إلى  
القبر وما كان للطفلة غيرها يحبها ويرعاها . وأشعلت  
الفتاة في الحائط عوداً جديداً ، فسطع الضوء مرة  
أخرى ، فتمثلت لها جدتها تشع نوراً وحناناً .  
فصاحت الطفلة : « جدته ! خذيني معك ! سوف  
تذهين إذا ما أخيا نور القنّاب . وبزول طيفك  
الحبيب مثلما ذوت النار الدافئة ، والأوزة الشبيهة ،  
وشجرة عيد الميلاد » . وأقبلت على القنّاب تشمله  
كيلاً تنهب جدتها ، فتلتهب بنور أسطع من  
الشمس ومحاها . وتمثلت لها جدتها أبهى مما كانت  
وأجل ، ثم أقبلت الحدة على الطفلة فاحتضنتها ،

بتمرد شيبتي على وتطلها إلى ما مضى آسفة على  
مرحها وحرثها .

وكنا عند ما تمشي على مهل في الغاب على  
ضوء القمر لشعر كلانا بالوحشة تتلغل في أحشائنا  
فتنظر برجييت إلى وفي عينها كثير من الاشفاق ،  
وتتجه إلى صخرة مرتفعة تطل على واد مقفر حيث  
نستعرض الساعات تمر بنا بطيئة فأحس بعيني  
خيلتي وقد غشاهما الأسي تقوران في عيني نأفذين  
إلى قلبي ثم ردما عني لتسرحها على صفحة السماء  
ومسالك الوادي فتقول :

— إنني أشفق عليك يا ببي فأنت لا تحبني .

وكانت الصخرة تبعد مسافة مرحلتين عن القرية .  
فنضطر إلى قطع أربعة مراحل ذهاباً وإياباً . وما كانت  
برجييت تخاف السير في الليل فكنا نجعل جيبنا عند  
الساعة الحادية عشرة لنعود منها عند بزوغ الفجر .  
وكانت في هذه الرحلات ترتدي سترة زرقاء وسروال  
رجل قاتلة إن أثوابها العادية لا تليق لثل هذه  
المغامرات بين الأشواك . وكانت تقدمني على الطريق  
الرملي بخطوات ثابتة فأرى فيها ليونة الأنوثة  
تشدها أقدام الطفولة ، فما أنما لك نفسي من الوقوف  
في كل فترة لأنظر إليها معجباً وهي مندفة في سيرها  
كأنها مقدمة على القيام بواجب تفرضه عقيدة  
مقدسة .

وكانت وهي مندفة إلى الأمام منشدة بأعلى  
صوتها كالجندي المهاجم تقف بغتة لتعود أدراجها  
إلى مدغدة وجهي بقبلايتها .

وفي عودتنا كانت تشكك على ساعدي فلا  
تركض ولا تقف بل تتأجج بببارات رقيقة تسرها  
إلى بصوت خافت كأنها تحاذر أن يسمعا أحد ونحن

(٧)

من أعماق النفوس



أعترف في العصور

لأفريد موسى

بسلم الأستاذ فليكس فانس

الجزء الرابع

الفصل الثالث

وشرنا عند صلحنا بما لم نشعر بمثله في  
خصلتنا ؛ ولأح لي أن بريجت تضمر أمراً لم أدرك  
كنهه أولاً ، ثم رأيت الاضطراب يستقر في نفسي  
ويكسر عليها صفوها ، فكنت كلما مررت بي الأيام  
ينجل في ويتفوق على مقاومتي عنصران من الشقاء  
أورثنني إياها ضلالات ماضى : أحدها غيرة  
ثائرة تندفق لوما وتحقيراً ، وثانيها نوع من المرح  
القاسي والخفة المصطنعة أذهب بها إلى أهانة كل  
عزيز علي ، فكنت وأنا أستسلم تارة إلى الفيرة وطوراً  
إلى المرح الساخر أعامل بريجت كأنها خلية خائفة  
أو كأنها امرأة مستأجرة ، فما لبثت حتى تولاهما من  
الآسي ما جلل حياتنا بالسواد . ومن الغرائب أنني  
كنت أعامل من سيادة الحزن علينا وأنا لا أجهل  
مصدره ولا أقوى على انكار جنايتي فيه

كنت في ريمان العمر ميالا إلى السرور فتقل  
علي أن أفرد كل يوم بأمرأة أكبر مني سناً تتألم  
ويترأد تحولها وأمارات الجد على وجهها فأحس



إنشادها ، ولكنها ما رأت الكوكب يتعالى حتى  
خفت صوتها وأصبحت نبراتها حزينة هادئة فارتجت  
على كتفي وطوقني بذراعها قائلة :

لا تظن أن حقيقة قلبك خافية عليّ فإنا  
بلائتك على ما تحملي من عذاب ، وما أنت بالذنب  
إذا خانتك قواك فعجزت عن نسيان حياتك الماضية .  
لقد أحببتني بكل إخلاص ؛ ولن أسف ، ولو قتلتني  
حبك ، على استسلامي إليك . لقد ظننت أنك  
ستبعت حيا بين ذراعيّ قتلا من أوردتك الهلاك  
من النساء

ولقد تلقيت بالابتسام ما اعترفت لي به من  
اختبارك الحياة وأنت تسرد مامراً عليك متباهياً  
كالأطفال في غرورهم لأنني اعتقدت أن إرداق  
ستكفي لهديتك ، وأن قبلة واحدة على شفقتك  
ستجذب إليهما ما نوى من قلبك . لقد اعتقدت  
أنت أيضاً اعتقادي فضلتنا كلانا

إن في قلبك جرحاً يعمد على الشفاء فقد نالت  
المرأة التي خدعتك ما لم أنه أنا من حبك ، وها إن  
حيي المسكين لا يقوى على محو صورتها من تذكرك  
وإذا كان إخلاصك لك لا يجديك نفعا الآن فما  
ذلك إلا لأن هذه المرأة قد ذهبت في خيانتها إلى  
أقصى ما تبلغ قسوة الخائنات . ومن يتدري ما فعلت  
الأخريات من بنات الشقاء حتى تفنن السم في أزهار  
شبابك ؟ إلى أية درجة بلغت الملاذ التي ابتغتها منهن  
حتى تطلب مني الآن أن أتشبه بهن ؟ وإنهن براودن  
تذكرك وأنت بالقرب مني ، وذلك أشد ما أهاسيه  
منكم يا بني . إنني أفضل أن أراك مستبداً في ثورة غضبك  
فترى بوجهي ما يمكن لك أن تتصوره بي من سيئات  
وهية منتقماً لنفسك مما جتته عليك خليلتك الأولى

نمشي منفرد في الأماكن المقفرة ، ولا أذكر أن  
كلمة واحدة من هذه الأحاديث شذت عن دوائر  
الحب والولاء .

وسلكنا في إحدى الليالي مسلكاً نحو الصخرة  
اقترضناه في الغاب غير السلك الطروق ، فذهبت  
بريحيت أمامي تخط السبيل وعلى رأسها قبعة صغيرة  
من القטיפه تنفر من تحتها غداثر شعرها الأشقر ،  
فخيل إلى أنها ليست امرأة بل غلاماً يافعاً يقترح  
الصعاب . ولكم سبقها في تسلق الصخور فعلقت  
بنتوانها مستنجدة بي وقد عجزت عن الارتقاء ،  
فكنت أرجع إليها لأخذها بين ذراعي قائلاً :  
أنت ياسيدي من أبناء الجبال ، لك القوة والرشاقة ،  
ولكني لا أرى بداً من حملك بالرغم من عصاك  
الثقيلة وخذائك الصفح :

وصلنا إلى محجتنا وقد تهدجت أنفاسنا وكنت  
شاداً حقوىً بطق تتدلى منه قربة ، وإذ طلبت  
بريحيت مني هذه القربة ، تبينت أنها سقطت مني مع  
زناد كنا نقدحه لإزالة معالم الطريق وقراءة لوحاتها  
حذراً من الضلال ، وكثيراً ما كنا نضل فانتسق  
الأعمدة وأقذح الزناد ساراً فأمكن من قراءة  
ما كتب في أعلاها

وقالت بريحيت : علينا أن نخفي الليل هنا فقد  
أضغنا الزباد وأنا متعبة من طول السير ؛ غير أن  
هذه الصخرة قاسية فلنلق عليها من الأوراق اليابسة  
ما يحولها إلى فراش وثير

كانت هذه الليلة من أروع الليالي سكوتاً وجلاءً  
وقد زادها روعة ظهور القمر من ورائنا فعلقت  
بريحيت أنظارها عليه وهو يتملص على مهل من سواد  
الأشجار المكللة أعلى الارية ، وانطلقت توجه إليه

إلى والد خطيبى الذى كان يدعوني دائماً يا ابنتى ،  
وكان قد اشتهر في البلد أمر زواجي قريباً بانه فأصبح  
هذا يتمتع بأوسع حرية في معاشرتي

وكان الشاب — ولا فائدة لك من معرفة  
اسمه — عشييراً لصباى فاقبلت مودة الطفولة بيننا  
إلى محبة . وكان ينهز فرصة انفرادنا ليدكرني بما  
سنلاق من سعادة بعد الزواج ويشكو تباريح الا انتظار .  
وكان يكبرني بسنة ؛ وله صديق من عشاء السوء  
ينقاد اليه ، فقرر أن يخدع أباه وينكث بعهده بعد  
إيقاعي في فخاخته ، وهكذا استغل جهلي وعبث  
بطفولتي

ودعانا والده ذات صباح ليلقنا أمام أفراد أسرته  
أن يوم زواجنا قد تعين . وما أسدل الليل ستاره  
حتى لقيني في الحديقة وأدفع يشرح هواه قائلاً :  
إنه بعد نفسه زوجاً لى ما دام يوم العقد قد تعين ؛  
وإنه في الواقع زوجي أمام الله منذ كان طفلاً ؛ واستعان  
على شقتي وجهلي فاستسلمت له قبل أن يعقد له علي ؛  
غير أنه هجر بيت أبيه بعد هذا الحادث بثمانية أيام  
هارباً مع امرأة كان صديقه قديماً له ، وأرسل إلينا  
كتاباً يقول فيه إنه مسافر إلى ألمانيا ، واخفى عنا  
منذ ذلك الحين

هذه هي قصتي وقد عرفها زوجي كما عرفتها  
أنت الآن . لقد عزت نفسي علي فعاهدتها في وحيدي  
ألا أعرضها مرة أخرى للشقاء . لقد نكثت بهذا  
المعهد عند ما رأيتك فنسيت عهدي ولكنني ما نسيت  
أوجاعي . إن كلينا مريض يا أوكتاف ؛ فليعالج أحدهما  
الأخر بلين وثقوة . أفلا ترى أنني أنا أيضاً أعزف  
ما هي ذكريات الماضي ؟  
ولكنكم تروغني هذه الذكريات وأنت قريب

على أن أراك ذاهباً في مرضك القبيح وعلى وجهك  
إمارات المتهتك السهزي منطبقة على سحتك  
كأنها قناع يحول بين شفتيك وشفتي

لم تحملني مثل هذا يا أوكتاف ؟ ولم هذه الأيام  
التي تتناول فيها الحب بأحقر بيان هازماً حتى بأعذب  
ما في استسلامنا من ملذات ؟ ما فعلت بأعصابك  
الحساسة يا ترى هذه الحياة التي خضت عباها حتى  
تركت على شفتيك هذه اللعنات مخفق بينهما حتى  
الآن ؟ إنك تقذفها مرعاً لأن قلبك طيب كريم ،  
ولأن حمزة الخجل تلو جبينك فما تنفوه به ، فأنت  
ولا شك متألم في حبك لى إذ تشاهد ما تحملني  
من عذاب

إنني أعرفك الآن ، ولكنني يوم رأيتك لأول  
مرة على مثل هذه الحال ملكني رعب يصعب على  
وصفه لأنني حسبتك مخادعاً يتظاهر بحب لا يشعر به  
وحقق يا صديقي ، لقد فكرت في اقتحام العدم  
في ذلك اليوم ، ومررت على ليلة هي أشد ليالي روعاً  
وبأساً ...

أنت تجهل حياتي ولا تعلم أن اختباراتي في  
الحياة لم تكن أقل مرارة من اختبارائك . وبلاهِ ! إن  
الحياة مزيرة لا يستعذبها إلا من يجهلها  
لست يا أوكتاف الرجل الأول الذى أحببت فإن  
في قلبي حدثاً مشؤوماً أريد أن تعرفه

كان أبى قرر وأنا طفلة بعد أن يزوجني من ابن  
وحيد لأحد أصدقاءه القدماء . وكان هذا الصديق  
صاحب أملاك مجاورة لأملنا كنا ، وكانت الأسرتان  
على اتصال دائم ؛ ومات أبى ، وكانت أمى قد ماتت  
قبله بزمان طويل ، وهكذا بقيت تحت رحمة عمى التي  
تعرفها ، واضطرت عمى إلى التنيب مدة فأسلمتني

ولعت السماء فوق رؤوسنا بكل كواكبها ، فقلت  
لبريجيت : —

أفأنا تذكر هذه الآفاق النيرة بأول استسلام ؟  
إنني أشكر الله لأننا لم نعد منذ ذلك الليل إلى  
تلك الصخرة فبقيت هيكلا طاهراً تمر وحدها  
بمخيلتي مجللة بالبياض بين أشباح حياتي

### الفصل الرابع

ومررت ذات ليلة بساحة القرية فلمحت رجلين  
يتجادلان وسمعت أحدهما يقول بصوت بلغ أذني :  
إنه يعاملها معاملة سيئة .

فقال الآخر : الذنب ذنبها ؛ فما كان أغناها عن  
اختيار مثل هذا الرجل الذي لم يمارس حياته سوى  
بنات المواخير ؛ أما وقد جنت هذا الجنون فلتتحمل  
نتائجها .

وتقدمت في الظلام لأبين من هما التكاليف  
ولأنتم من استماع تمة الحديث ؛ غير أنني لحظا  
اقترابي فابتعدا .

ذهبت إلى مسكن بريجيت فرأيتها جد مضطربة  
لمرض جديد انتاب عمتها ، فما زاد حديثنا على بعض  
كلمات ، وما تسنى لي أن أراها بعد ذلك ، بل عرفت  
أنها استقدمت طبيباً من باريس . ومضى أسبوع  
فاذا هي تدعوني إليها لتقول لي إنها فقدت بموت  
عمتها آخر قريب لها ، وأنها أصبحت وحيدة في العالم ،  
وستضطر إلى مفارقة القرية .

فقلت لها : وأنا أألت شيئاً معدوداً في نظرك ؟  
فقال : أنت عارف بحبي لك كما أنني أنا أعتقد  
بحبك لي في كثير من الأحيان . ولكن أنى لي أن  
أعتمد عليك وما أنا إلا خليلتك دون أن تكون أنت

منى ؛ غير أنني أشد شجاعة منك ، ولملأني أنفوق  
عليك بالحزم لأن الآلى كانت أشد من آلامك .  
لقد كانت حياتي ساكنة هادئة في هذه القرية قبل  
قدومك ؛ وكنت وعدت نفسي بالأبد من حالها ؛  
وهذا ما يجعل هذه النفس شديدة الشكيمة على .  
ولكن ما يهمني كل هذا ، فأنا لك . أفأقلت لي في  
أوقات الصفاء : إن العناية قد عهدت إلى بالسهر  
عليك كما تسهر الأم على ابنها فما أنا خليلتك كل  
يوم ، فأنا أكثر الأيام أمك لأنني أريد أن أكون  
أمّاً لك . إنني لا أرى فيك العاشق عند مآثره في  
بالتنذيب ، بل ولداً مريضاً يساوره الحذر أو يستخفه  
الطرب فابذل جهدي لداوائه وشفائه . طامحة إلى  
استعادة الرجل الذي أحب وأريد أن أحب إلى الأبد  
ورفعت عينها إلى السماء قائلة :

ليعزني الله بهذه القوة وهو السميع المحيب  
لدعاء الأمهات والعاشقات فأتمكن من إتمام هذا  
الواجب ولو هلك في سبيله ، حتى ولو أصبحت  
معزة نفسي المتمردة وقلبي المنكسر وكل حياتي ...  
وشرقت بدمعها فاختنقت الكلمات في صدرها  
وإذا هي جاتية على الصخر وقد شكت أنامل  
يديها وهزها الهواء كما يهز عاشقات الشجر حولنا  
بالها من مخلوقة تجلها العظمة في ضعفها وهي  
تتوسل إلى الله من أجل حبها

ورفعتني إلى صدرى قائلاً لها : —

أي صديقتي الوحيدة ! يا خليلتي ويا أختي !  
توسل إلى الله من أجل أيضاً ليهني قوة أحبك بها  
قدر استحقاقك . اطلبي لي الحياة ليتنسل قلبي  
بدموعك فيصبح قرباناً لادنس فيه تقسمه أمام الله  
واستقبلنا على الصخر وصاد الصمت حولنا

مقعدى خالياً في مرقص الأحـد .

كيف يقع هذا ؟ إنى أجهل السبب ولعلك تجهله أنت أيضاً ، وعلى كل يجب أن أسافر فقد خيل صبرى فى هذا الموقف بمد أن مر الموت على مسكنى وأصبحت وحيدة أمام هذه الغرفة المهجورة .

أواه يا صديقي ! لا تتخل عني .

واستخرطت في البكاء ؛ وتظلمت فإذا في أرض الغرفة صندوق السفر وجميع ما يدل على الاستعداد له . فأنضج لي أن يرحبني كانت قد عزمت على الرحيل وحدها على أثر موت عمتها دون أن أعلم نجاتها القوى . ورأيت على وجهها دلائل الخور وأدركت صراحة هذا الموقف الذى زججتها أنا فيه ، فما كفى ما تحتمل من المذاب حتى زاد عليه تحقير الناس لها ؛ وما كان الرجل الوحيد الذى يجب أن تستند إليه وتتعزى به إلا منشأ أشد اضطرابها وأفظع ما فى عذابها .

ومثلت سياقى أمانى ففجئت من نفسي إذ رأيت ما فعلت فى مدى ثلاثة أشهر بتلك الوعود والأمانى . كنت أحسب أن فى قلبى كنزاً فما استخرجت الأيام منه إلا مرارة التسلين وأشباح أحلام وشقاء المرأة التى أعيندها .

لأول مرة فى حياتى شعرت أنى أحابه ذات الحقيقة وجهها لوجه . وما كانت يرحبني توجه إلى أقل ملامة بل كانت تريد أن تتوارى عن عياني فتخونها قواها وتقف متأبهة لمصارعة أحزانها . وخطر لي فجأة أن من واجبي أن أتوارى لألقدها من مصائبها بإقفاها منى .

نهضت متوجهاً إلى غرفة يرحبني جلست على

خلى . وآسفاً ! لكن شكسبير قد عبلك عندما قال : « اصطنع لنفسك رداء من التسيج المتزوج لأن قلبك شبيه باليشب يشع بالآلآء الألوان » أما أنا فهالك ثوبى وقد ثبت فيه لونه الأسود إلى زمن طويل — لك أن تبارحى هذا البلد فأنا وراءك أو أنتحر .

وانظرت حائثاً أمامها :

— أواه يا يرحبني ! لقد حسبت أنك أصبحت وحيدة فى العالم عندما ماتت عمتك . إن فكرتك هذه لأشد عقاب يمكنك أن تنزليه بي ، فما شعرت قط كما أشعر الآن بمسكنة حبي لك . أنكرى هذه الفكرة على نفسك فإنها تقتلني وإن كنت أستحقها . أفلا أكون فى حياتك شيئاً معدوداً إلا لإلحاق الضرر بك وتذيقك ؟

— إننى أجهل من هم الناس الذين يترصدون لنا ، فقد شاعت عنا فى القرية شائعات لها غرائبها فقال البعض : إننى أقضى على نفسي لتساهلي وجنوني . وقال آخرون : إنك رجل فاس يكن فيك الخطر على . فلا أدري كيف نفذ الناس إلى أقصى سرائرنا فاكشفوا جميع ما ظننته متجلياً لى وحدى من قلبك فى معاملى وما نشأ عن هذا القلب من تكرر الخلاف بيننا ، حتى إن عمتي نفسها فاتحتني بالأمر وكانت مطلعة على حالنا منذ مدة طويلة ولم تقل شيئاً ومن يدري ؟ لعل هذه الأشاعات هجت فى الفضاء عليها .

وقد لاحظت برود صديقاتى أو ابتادهن عني كلما صادقتهن فى المنزه . بل إن الفلاحات أنفسهن اللواتى أحببني كثيراً يهززن اكتافهن عندما يرين

لأرب في أنك ستدفع بها إلى النير لأن محبتك  
محقة قاتلة  
لقد سلطت على هذه المرأة هائجات أعصارك  
وهي المطالبة بتسكين ثأرها فإذا ما تبعها فأنت  
لاشك قاتلها

كن على حذر يا هذا ، فإن ملاك عاشقتك يتصد  
وقد أتى ضربة الموت على هذا المسكن ليطرد منه  
هذه الأهواء الجامحة في مهب العار . وها هوذا يُلهم  
بريجيت الفراق ؛ ولعل مايسر به إليها هو آخر نجواه  
احذر أيها القاتل ، أيها الجلاد فإنك تجاه  
حياة وتجاه موت

بهذا كنت أخاطب نفسي عندما حانت مني  
التفاته فأريت على المقعد ثوباً مخططاً طوى وأعد  
ليدرج في الصندوق ؛ وكان هذا الثوب قد شهد  
يوماً من أسعد أيامنا فأمررت يدي عليه ولسته  
قائلاً : أبوسى أن أفارقك أيها الرداء الصغير ؟ أفتريد  
أن تتخلى عني فتذهب وحك ؟

لا ، إننى لا أقوى على ترك بريجيت ؛ فإذا فعلت  
في مثل هذه الظروف كنت غادراً لثما . لقد ماتت  
عمتها ، وهما هي وحيدة تصدها سعايات عدو مجهول ؛  
ولعل هذا العدو مركانسون بعينه . فقد يكون  
تحدث إلى الناس عن مقابلي له واستفهاى عن  
دالانس مستنجباً من غيبي ما جعله أساساً لا شاعانه .  
ما هذا الرجل إلا حية رقطاء تقطر سمها الزاعق على  
زهري . فعلى أولاً أن أعاقبه ثم أتحوّل إلى رد  
ما سببته لبريجيت من إضرار

ما أشد حماقي ! فأنى أفكر في التخلي عنها في  
حين يجب على أن أكفر عن ذنوبي نحوها  
فأعوضها سعادة وجباً عما ذرفت من دموع

صندوقها مستنداً رأسي بيدي وأنا مضعع الحواس  
أنظر إلى ما حولي من رزم ثم لزل مفتوحة ومن  
أثواب مبعثرة على الرياش ؛ وما كانت قطعة من القطن  
غريبة عني وفي كل ما لمس جبيني شيء من قلبي .  
وذهبت أحاسب نفسي على ما سببت من شرور  
فانتصب أمامي خيال بريجيت عندما رأيتها لأول  
مرة تحت أغصان اليزفون وجديها الناصع البياض  
يراكض وراءها . وناجيت نفسي قائلاً : — بأى  
حق تجرأت على الدخول إلى هنا لتسلط على هذه  
المرأة ؟ من أجاز أن يتعذب الآخرون من أجلك ؟  
إنك تقف أمام مرآتك وتسرح شعرك لتذهب  
بمحمولك تنلس السعادة قرب خلية يحيط بها الشقاء  
فترتمي على المساند التي ركمت عليها موجهة إلى الله  
توسلاتها من أجلك ومن أجلها فتأخذ راحتها  
لتندغدغها ضاحكة ولما تزال في رجة الصلاة

إنك لئو مهارة لاشغال جذوة الخيال في رأس  
متألم فتندفع إلى الترتة محمواً بفراماك كأنك حمام  
يخرج محلق العينين من موقف دفاعه عن فضية  
خاسرة ، فما أنت إلا الولد الأبق يتلاعب بالآلم ويتسلى  
بالعذاب فيجولك أن ترتكب جرعة القتل في  
جلس أسر بوخزات الأبر

بأية كلمة ستقف أمام إلهك الحي عندما  
تكمل عملاً ؟

إلى أين مصير المرأة التي تهواك ؟  
إلى أية هاوية تنزلق بهذه المرأة التي تستند إليك ؟  
بأي وجه ستقف أمام الشمس عند ما تدرج  
بيديك في اللحد عاشقتك الناحلة الشقية كما أدرجت  
هي آخر سند لها في الحياة ؟

محالاً للتقولين للدعاء بصحة إشاعتهم

إننى سابق ولا أبالي

وعدت إلى بريجيت بعد مرور نصف ساعة  
غيرت في أثنائها رأي ثلاث مرات فأقمتها بالعودة  
عما قررت بعد أن أخبرتها بما فعلته عندما غبت عنها،  
وما توصلت إلى إقناعها إلا بشئ النفس، وهكذا  
اتفقنا على أن نحترق أقوال الناس فلا نغير شيئاً من  
حياتنا. وأقسمت لها أن غراي سيعزمها قسلاً  
به جميع أحزانها، فتظاهرت بعودة الأمل إليها  
وأكدت لها أن هذه الحوادث قد جلت في موقعي  
منها وأبانت لإسأتى، ووعدها بتطهير نفسي من  
جميع ما رسب في قلبي من جرائم أيام الماضيات فلن  
تتعذب بعد الآن من كبريائي وجوح عواطفى  
وطوقتي بذراعيها وهى تخضع خزيئة صابرة  
لخطرة من خطرات اهوائى كنت أحسبها أنا ومضة  
من القل هدتى سواء السبيل

فليكس فابرس

« يتبع »

## توفيق الحكيم

### يوميات نائب في الأرياف

« هاكم صورتنا في المرآة  
فلنصلح من شأننا قليلاً  
إن أردنا لكياننا بقاء »

طبع بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

ويطلب من المكاتب الشهيرة

وتمنه ١٥ قرشاً

أما أنا سندها الوحيد في العالم بل صديقها  
الأوحد وسلاحها الذى تبقى به هجيات الدهر؟ فلي  
أن اتبعها أين ذهبت فأحيتها بجسدى وأعزيتها عن  
حبها واستسلامها لى

ودخلت إلى الغرفة التى بقيت بريجيت فيها  
وحدها وقلت لها أن تنتظرني في ساعة ريثماً أعود  
فسألني: إلى أين أنت ذاهب؟ فقلت: انتظرينى.  
لاندهي بدوني واذكرى كلمات راعول: « إلى أية  
جهة ذهبت سيكون شعبك شعباً لى وسيكون الهك  
إلهي فأموت حيث تموتين وأدفن حيث تدفين »

وخرجت مسرعاً قاصداً مراكنسون فقيل لى  
إنه خرج من بيته. وجلست أنتظر عودته أمام  
مكتبه الأسود القذر؛ وطال انتظارى فمادونى تذكر  
مبارزتي لأجل عشيقى الأولى فقلت لنفسي: لقد  
أصبت بطلقة عيار نارى جئنت وسخر الناس بى  
فاذا أنيت أفمل هنا الآن؟ ولنى يقبل هذا الكاهن  
الزول إلى ساحة المبارزة؛ فاذا ما تحدثته أجابنى أن  
ثوبه يمنعه من سماع أقوالى. وهكذا يفتح أمامه مجال  
التوغل فى أحداثه وإشاعته على أثر هذه المقابلة

وعلى كل فاية أهمية لهذه الإشاعات وهى تدور  
على معاملتى لها وعلى عذابها؟ فهل تعنى هذه الأمور  
أحداً سوانا؟ إن خير وسيلة فى مثل هذه الحالة  
إنما هى عدم البالالة. وهل يوسع أحد أن يمنع القليل  
والقال فى القرى ويرد هجيات العجائز عن امرأة  
تتخذ لها عشيقاً؟

يقولون إننى أعامل بريجيت معاملة سيئة فاعلى  
إلا لإثبات عكس الأمر بالى هى أحسن لا بالجر  
والمكابرة. إن تعرضى للمجادلة مع مراكنسون  
وقصدنى منادرة القرية لى مستدعيات السخرية  
يجب أن أبقي حيث أنا لأننى إذا تواريت أفتح

الساحرة سيرس التي مسخت بعض رجالة إلى خنازير وما كان من احتياله حتى ردتهم إلى صورهم ، ثم قس رحلته إلى هينز — الدار الآخرة — وذكر من لقي هناك من أبطال الاغريق الذين قتلوا في طروادة وكيف كلم شبح أمه وأرواح الغدازي اليونانيات ... ثم عاد إلى سيرس وأبحر من عندها مرة أخرى ليصل إلى بلاده ، وما لقي من الهول في طريقه بالصنرتين الموحشتين سكيلا — الهولة التي أكلت ستة من رجالة — وخارديس التي تبلغ البحر وتلفظه — وما كان من رسوه بأرض الشمس واعتداء أصحابه على قطعتها — الأمر الذي أغضب رب الشمس وكان سبباً في غرق سفينة أوديسيوس وموت جميع أصحابه وكيف نجح من هذا الفرق إلى جزيرة كليسيو « وفي تلك الظروف كان أسراء إيثاكا قد طعموا في زوجة أوديسيوس لجأها الفتان فحاصروا بيتها لتختار من بينهم بعلها ولثوا هناك أعواماً يرفقون من خير البطل ثم ذهب تلك إنه الحبيب ليسأل الملوك عن والده فلم أنه حبيس كليسيو المذكورة — وروع المشاق لما علموا بسر تلك فتربصوا له ليتأله في الطريق »



## الأوديسية

لهوميروس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

مقدمة الفصل السابق

### أوديسيوس يصل إلى إيثاكا

وفرغ أوديسيوس من حديثه ، وجلس القوم

في الردهة ذات الطللك مسبوهم مشدوهمين من

روعة ما حدث ، ومن غريب ما روى ، حتى تكلم

الملك فقال : « أوديسيوس ، يا أيها العزيز ، صف باللك

وطاب حالك ، واستذريت من ذرى هذه القبة

التيما بركن ركن ، فلن ينالك أذى بعد اليوم ،

ولن تقدر عليك الرياح الملوغ في رحلتك الآمنة إلى

بلادك ، وإن يكن مثلك لا يبالي الحدثن ، ولا يابه

لصروف الزمان ، بعد إذ رضع لبانها ، وتقلب طويلا

في أعضائها ... وإنه والله ليس أحب إلينا من أن

تقيم آخر الدهر عندنا فتتجسس ماشئت من أكرم

هذه الخمر ، وتشفت أذنك بما يغني مطربنا الحبيب

الإلهي ؛ وإلا ، فذلك صندوقك العزيز وفيه أذخار

» عاد أبطال اليونان إلى بلادهم بعد انتهاء حروب طروادة إلا أوديسيوس ملك إيثاكا فقد ضلت به الفلك في البحر اللحي لأنه لم يفرق الفرائين للأله قبل إبحاره فوقف له نيتيون رب البحار بالمرصاد وأعرق سفته وسبح البطل حتى كان في جزيرة كليسيو عروس الماء التي هوته وأولت به واحتجزته عندها سنين عدة حتى تحركت الشفقة في قلب مينرفا ربة الحكمة فسألت أباهما كبير الآلهة أن يأمر بإطلاق سراح أوديسيوس ففعل وأبحر البطل على رمت من عند كليسيو — ولحه نيتيون عدوه الأله فأعرق رمته ، ولكنه سبح هذه المرة أيضاً حتى كان في شاطئ شيما ملكة الفياشين ، وهناك لقيته ابنة الملك ألكينوس فأخذته إلى بيت أبيها الذي أكرم شواها وأقام له حفلا كبيرا أبدى فيه أوديسيوس من ضروب الشجاعة ما بهر الفياشين وخبأ أباهم ، ولما عرفوا أنه أوديسيوس سأله أن يقص عليهم ما عنده من قصص فأخذ يسرد قصته العجيبة الرائعة فذكر قيامه من طروادة وغزوه لإزماروس ورسوه في جزيرة اللوتوفاني — أكلة اللوتس — ونزوله في أرض السكالب وكيف حبسهم السيكلوب في كهفه ثم نجاتهم منه بعد أن أكل منهم عدداً وفيراً ، ثم نزلهم بجزيرة

جربانها الوثيد ، فهو دائماً يربق منها يعني ذلك  
الزارع الشقي الجوعان الذي أجهدته طول النسب  
في حرث حقله ، فلق بصره بالشمس يتمنى لو هبطت  
نخلة في المغرب ليلوى أعنه بهاؤه إلى كوخه ، ويلبغ  
هناك بقليات ! وما كادت تتوارى بالحجاب حتى  
وجه الخطاب لزعماء الفياشين في شخص الملك ،  
فقال : « مولاي الملك الجليل ألكينوس ! يا غر  
شيرا وعماد الفياشين ! حبذا لو أدبت الصلاة  
الخرية يا مولاي وتفضلت فأذنت لي في وداعكم ،  
مادمت قد أعددت لي الهدايا والهي ، والأبطال  
الصناديد من رجالكم الملاحين ... وإني لأضرع إلى  
الآلهة أن تراني في رحلي في اليم ، وأن أصل إلى  
بلادي فألقى فيها آلي وعشيرتي سائلين ، كما أسأل  
أرباب الأوب أن ترعاهم وأن تقرأ أعينكم جميعاً  
بذويكم ، وأن تقي عليهم من نعماتها ، وتحفظ بلادكم  
من غديات الزمان وملقات الحذيان » وسر الجميع  
من مقائمه فتهتفوا له ، ورجوا الملك أن يأذن له في  
السفر ، فالتفت ألكينوس إلى مشيره وقال : « هلم  
يا بنسوتون فادهق الزق واجمل الخمر إلى جميع أضيقتنا  
ليرقوها خالصة لوجه سيدي الأوب ، كي تتأذن  
لأوديسيوس بالرحيل إلى دياره » ولبي المشير ،  
وأخذ كل كأسه ، ولم ينتظر أوديسيوس حتى يصل  
الندمان إلى الملكة الملهجة الوقور ، بل هب مسرعاً  
وقدم إليها كأسه الهائلة ، وقال : « وداعاً يا مولاي  
الملكة أحر الرعاع ! وداعاً إلى آخر العمر ! ولكن  
عمرأ موفوراً تخفّرجاً تقرن فيه بمولاي الملك  
والسادة التجب أنباتك المحبوبين وشعبك الأمين »  
وحسباً وسبياً ، ثم أهرع إلى الرفأ ومشير الملك  
يسمي بين يديه ، وثلاث من وصفات الملكة يهادبن  
( ٨ )

الهدايا وأعزّ الله ، من مطارف الديباج ، ويمكنون  
الذهب الوهاج ... ولكن على رسلك ، هلموا يا معاشر  
الفياشين فليحضر كل منكم للنازح الكريم  
طرفة من أتر الطرف ، وتحفة من أجل التحف ،  
ولتكن ركيزة من الذهب وأصيصاً صغيراً للزهر ؛  
وليساهم الشعب في هذا ، ذلك أدنى ألا تطيقوا  
منها (١) »

وصادفت مقالة الملك هوي في قلوب السادة  
زعماء الفياشين ؛ ثم نهضوا فغرقوا إلى منازلهم  
يلتمسون الراحة ، وينعمون بطلب النوم ؛ ونضرت  
أورورا ابنة الفجر خبيث البشرق بأفواف الورد  
فهب الزعماء العظام من مراقدهم ، وبادروا إلى السفينة  
بهديايم التي وصف الملك . وقد كان ألكينوس  
نفسه ينتظرهم ثمة ؛ وكان يتناول كل هدية بيده  
فيضعها موضعها الأمين تحت مقاعد المجدفين حتى  
تكون بنجوة من ضرر يصيبها ، أو أذى يلحق بها ،  
حين يكون الملاحون مشغولين فياهم بسبيله من عمل  
البحر ومصارعة الموج ... حتى إذا أسلموا تذكاراتهم  
عادوا مع الملك إلى قصره المنيف لولية الوداع الفاخرة  
وقد قرب إلى جوف الكبير المتعال رب الأرباب  
ورب السحاب الثقيل ، بشور جسد عظيم ؛ وأعد  
من تغذيه شواء شهي أقبل عليه القوم يأكلون  
ورغوون (٢) ، بينما يسكب في آذانهم غناؤه  
ديمودوكوس مطربهم الحنق الحبيب . وكان  
أوديسيوس يرنو بطرفة الشقاق إلى الشمس يود من  
أعماقه لو عجّت إلى خدرها ، وكان يضجره منها

(١) في الأصل : يقول الملك إنه سيكلف الشعب بعض  
الضرائب لسداد الخن ولا تدري كيف يسبغ ملك أن يقول  
ذلك . (٢) يندسون اللقمة



تفى إثره؛ أما أولاهن فكانت تحمل الثوب الديباجي<sup>١</sup> الموثني؛ وأما الثانية فكانت تحمل الصندوق الثمين ذا الأذخار؛ وحملت الثالثة مثنوَةً حافلةً من أشهى الأكال وأطيب الشراب... حتى إذا كن عند السفينة، سلكن ماحجان للملاحين الشجعان واثنين من حيث أقبلن... واشتغل بعض البحارة بإعداد فراش وثير في قرة خلفية من أجل أوديسيوس... الذي أوى إلى منامته واستغرق ثمة في سبات لذيذ، بينما كان الملاحون دائرين في فك الحبال ورفع المرساة من صندوق الشاطئ<sup>٢</sup>، حتى إذا انتهوا توزعوا إلى مجاديفهم وأعملوا فيها أيديهم، فهمت الفلك واحتواها الماء، وأهملت تشق الأمواج، واتخذت سبيلها في البحر سرباً... هذا بينما كان النائم البريء قد استسلم لطائف من الكرى يشبه طائف النون

وعمره الله هل رأيت أربعمًا من صافنات الجياد تبارى في حلبة، وقد أذن المؤذن فاندفعت نهب الرحب، وأرسلت في الهواء أعرافها؟ لقد كانت السفينة تتوابع على أعراف الموج مثلها، والعباب الرّاخر يصطخب من ورائها، واللجة من بعد اللجة تجيش وتضطرب تحتها، كأنما تتحدى اليم في ظائفة وثبات، أو تسابق في الجو البواشق البرزة!! وكيف لا، وقد حملت رجلاً لا كالأبطال، وبطلان بطل الأبطال، وحكمياً ربّاً<sup>(١)</sup> للآلهة في المسكرات وعظيم الفعّال، وقرناً ليس كمثل قرن في يوم كريمة أو نزال لم يقبض من قبل هذه الغفوة الناعمة التي باعدت بينه وبين ما يجثم من آلام وأحزان وأشجان...

(١) الترب بالكسر اللدة أو المشبه

(١) في نسخة أنهم حملوه بفراشه

يحييه : « هلم يا أخى قاصع ما بذلك ، وافعل فعملتك التى رسمت ، وليكن ذلك حيناً يقتربون من مدينتهم حتى يرى أهل شيرا ما يحل بسفينةهم لتكون لهم آية ! » . وانطلق منزل الأعماق فى أثر الفياشين حتى إذا كانوا قاب قوسين من الشاطئ أرسل يده تحت فلكهم فضر بها ضربة هائلة أرسلتها فى الهواء وهوت بها إلى اللج ، ثم تركت مكانها جيلاً عالياً أشم ، ولوى عبانها إلى أرجاء ملكة الربح

ووقف الفياشيون — ملوك البحار — على شاطئ البحر مسبوهم دهنين يسأل بعضهم بعضاً : من ذا الذى أرسى هذا الجبل المائل مكان سفينتهم تلقاء المدينة حتى ليحجبها عن أنظار السفن النارية فى اليم ؟ والتفت الملك وكان واقعاً بينهم فقال : « يا للآلهة ! لقد ذكرت نبوءة قديمة قصها على والدى فيما غر من الزمان ... فلقد ذكر لى أن شعبنا المجيد مأذون له من نبتيون أن نحمل الناس من كل فج ، من ضل سبيله منهم إلى بلادهم مهما تناهت . وقد ذكر أيضاً أن سفينة من سفننا بعد إذ ترد من رحلة لها إلى بلد رجل غريب نازح ، ستغرق فى اليم ويغرق مكانها جبل عظيم شاهق يحجب شيرا عن البحر ... وهما قد تحققت النبوءة ، فها هو قرب الإله البحار نبتيون بائى عشر مجلاً جسداً تكون أعظم محولنا وأعلاها قيمة ، عسى أن يرث لنا فيكشف عنا هذه النعمة ولا يحول بين البحر وبين مدينتنا بهذا الطود الكبير الراسى . وتفرغ زعماء الفياشين ، ويأبدروا إلى عهولهم فجزروها باسم نبتيون ، وتكبكبوا حول مذبحه فصاوا له ، وسبحوا بذكره ... أما أوديسيوس فقد ذهب من تومه وهو لا يدرى أين هو ؟ ومع أنه كان ينام أنه التوم فوق شاطئ بلاده ، فإنه لم يرقها

إلا إليه الأعظم الأبدى ، أبداً ما أحسبى أنال نصيبى من التقديس والتبجيل بين الآلهة منذ اليوم ، مادام شعب فياشيا لم يأمهوا أن يحقرنى أو يبالوا بى ، فقد كنت عولت على ابتلاء أوديسيوس بأروع صنوف البلايا قبل أن تطلأ قدمه أرض بلاده ، ولم يكن فى تصميمى أن أحول بينه وبين العودة إليها لأنك كنت قد وعدت بتمهيد السبيل لهذه العودة ، ولكمهم حملوه على فلكهم غاراً فى أحلى المنام ، ثم حملوه على الشاطئ الإيثاكي بما معه من المطايا والأذخار ، وطرف النحاس ، وتحف النضار ، ومطارف الديباج ، وما حل من كنوز لم يكن يحمل شيئاً منها حتى لو عاد بنصيه من أسلاب طروادة ! وأأسفاه ! وأأسفاه ! » وقال يحييه رب السحاب الثقال : « ماذا تقول يا منزل الشيطان والخلجان ، يا ذا المسكوت والجبروت ، يا أيها العظيم نبتيون ! لا عليك يا أخى ! لا عليك ، فإنه لن تحمرك الآلهة ولن تستخف بك ! فإذا استخف بك ملاً ضعيف من بنى الموتى — عبادنا البشر — فما يضيرك ؟ أليس فى يديك ألف فرصة للبطلش بهم والانتقام منهم ؟ اربع عليك يا نبتيون ، فصل ملاذك ، فإنك لست عبداً لأحد » قال نبتيون : « جوف يارب السحاب إنه ليس أحب إلى من أن أبطلش بهم كما أشرت ، ولكنى لا أحشى إلا تحديك لى دائماً بنير حق ، وإنى أرجو أن أعصف بسفينتهم فى دأمانى الهجى حتى لا يحملوا ضارباً فى البر والبحر مثل أوديسيوس مرة أخرى ، وإنى مقف آثارهم الآن ، فضارب فلكهم اللعين ، فساخره فى الحال إلى طود عظيم ينهض بروقه أمام مدينتهم حتى ليحجبها عن كل سارب فى البحر فلا يراها أحد أبداً ! » فقال جوف

لنقيم لي يا رب الأرباب من هؤلاء الخونة المبطلين ،  
ولكن ... يجدر بي قبل كل شيء أن أحصى أذخاري  
لأرى هل سلبني منها هؤلاء المصوص شيئا ؟ » ثم  
راح يحصر كنوزه ، فما وجد شيئا منها ناقصا أو  
غير موجود ، وزاد ذلك في أشجانه ، فأخذ يندب  
حظه ، ويبكي على ما تقي من زمانه ، وينشج نشيجا  
مؤلما لهذه الهجرة الظالمة عن أوطانه وجعل روح  
يفقدو على سيف البحر المضطرب ، وحيدا معنى ،  
ويرسل دموعه وزفراته حتى بدت له آخر الأمور  
ميرقا في صورة راع صغير غض الأهاب عيب الثياب  
جميل الحياء ، كأبناء الملوك ، ملتصقا حول عنقه ومن  
فوق صدره بشغيف <sup>(١)</sup> صفيق طوى حولها طيتين  
وفي قدميه نعلان متواضعتان ، وفي قبضته حربة ناعمة  
لامعة ... وكانت مفاجأة سارة فوجئ بها أوديسوس  
نظما خطوات عاجلة إلى الشاب وراح يسأله :  
« مرحبا أيها القرائق الجليل ! لقد كنت أول إنسي  
ألقاه هنا ، فبحق هذا عليك أنت تهميني وتحمي  
أذخاري هذه ، وألا تلحق بأينا أذى ! إني أتوسل  
إليك كما لو كنت أتوسل إلى أحد الآلهة أن تصدقني  
فيا أسألك عنه : أية بلاد هذه ؟ وأى قوم يعيشون  
فيها ؟ أي جزيرة أهلة ، أم حدود من بلاد مترامية ؟  
أخبرني بأربابك أيها الفتى . »

وقالت ميرقا ذات العينين الزبرجدين تيمية :  
« أيها الغريب اللاجئ كم أنت ساذج ! كيف تسأل  
عن هذه البلاد كأنك لست من أهلها ؟ إنها بلاد  
ذات ذكر في المشرق والمغرب ، ومنها وإليها  
تصدر الركبان إلى كل فج ، ثم هي ليست يهماء  
مجهولة ، بل هي جنة مأهولة ، زاخرة بالخيرات

(١) الثوب الرقيق

لطول ما شغلت به النوى ولأن ميرقا الكريمة ،  
سليمة جوف العظم ، كانت قد ألفت حوله ظلالا  
تحبه عن أمين المارة خافة أن يعرفه أحد منهم قبل  
أن تلقنه من حكمتها ما هو ضروري له في حالته  
هذه ... كأنما أرادت ألا يستبينه أحد من مواطنيه  
ولا من أصدقائه وذويه حتى يبطش البطشة الكبرى  
بالعاقب الفساق الذين استباحوا عرضه واستحلوا  
بغير الحق زاده وخيره ، وعمرؤا كالشياطين داره ..  
لذلك موته ميرقا كل شيء في عيني أوديسوس  
فالطرق مستقيمة مستطيلة ، والموانئ رجة مترامية ،  
والجبال ذاهبة في السماء ، والدوح باسق يطاول الجوزاء  
وكل شيء ليس كأى شيء مما عهده البطل في بلاده ..  
ووقف يقبل عينيه في المشاهد المحدقة به ، ثم نهده من  
أعماقه ، وبسط كفيه إلى السماء ، وضرب بهما في  
برم على نغديه ، وأنشأ يقول : « يلاه على وأنت  
ويل ! أي شعب من الشعوب يقيم بهذه الأرض  
تري ؟ أأجلاف ظلمة هم ، أم أظهار أخيار يجتبنون  
للآلهة ؟ ليت شعري ! أين أخيه هذه الكنوز  
والأحراز ؟ وى ! بل أين أذهب أنا ؟ لعمري لقد  
كنت أوثر ألا أثال شيئا منها من هؤلاء الفياشين  
على أن أكون قد حلت بأرض ذى نخوة وذى  
نخبة من ملوك الأرض غير هذا الملك ألكينوس ،  
فكان يرسلني أسنا سالما إلى بلادى . ماذا أصنع ياربى ؟  
أأترك هذه الثروة الطائلة هنا ؟ أأدعها فريسة حلالا  
لغزى من الناس ، وأهم في هذه البطحاء على وجهي  
وأأسفاه ! أهكذا يغزى الفياشيون فيلقونى في  
شاطئ غير شاطئ بلادى ، وقد وعدوا أن يهبطوا  
بي مرقا إنا كالأمين ؟ اللهم يا جوف العظم ، يامن  
إليه يجار أبناء السبيل والمهاجرون والمساكين ؛

برحى فأرديته ، وكان معه زميل له شرير فذبحته ، واستمعت عليهما بدحى الليل ودُجَّته ؛ ثم هربت تحت أستار الظلام بأحزازى إلى الشاطئ ، بحيث حملتى سفينة فيأشيه رجوت ملاحها أن يبحروا فى إلى شاطئ يلبا ، أو إلى مرفأ إيليس ... لكنهم وأسفاه اضطروا إلى الإرساء هنا لأن ريحا عاصفاً قسرتهم على ذلك ، فوصلنا هنا رغمتا فى جنح الليل البهيم ، ولقينا عناء عظيما فى النزول بالرفأ الأمين ؛ ومع شدة حاجتهم إلى الطعام ، فإنهم لم يستأنوا ، بل تركونى وحدى ، وأبحروا على عجل ، بعد إذ نحت على الشاطئ من الإعياء ، وبعد إذ حملوا إلى هنا متاعى ... وهم الآن فى طريقهم إلى سيدونيا ... وهأنذا وحدى هنا ، لا أعرف أبان أذهب ، ولا أين أمضى !!

وسكت أوديسيوس .. ولكن الراعى الشاب الجميل أخذ يتحول فى فتون وسحر إلى صورة خلافة أخرى ... لقد أصبح امرأة حسناء هنيئة ... وهما هى ذى .. تلك المرأة الحسنة الهيفاء .. تبدو فى صورة مينرفا — ربة الحكمة — التى اقتربت من البطل فى تبسم وظرف ، وأخذت تبث بلحيته الكثة الشعث فى دلال وسخريه ، وراحت بدورها تجيبه : « مرحى أوديسيوس ... مرحى مرحى !! ما أحسب أن أخذاً — حتى من الآلهة — يفوفك فى مكرك وبراعة حيلتك يا ابن ليريس !! أما أن أن تقلع عن مراوغاتك التى حذقتها مذ كنت يافعا وعن توشية الأحاديث الملققة التى حذقتها واشتهرت بها فى العالمين ؟! ولكن ... تعال ... ليدع كلانا ما يحاول أن يزوق به كلامه ، فكلانا بارع فى ذلك صناع ... أنت بنصاحتك . ودقة فهمك وطريف

موفورة البركات ، ففيها أنضر سهول القمح ، وأبهج عرائش الكروم ، وأخشب المراعى الخضصر الحافاة بقطعان النعم والشاء ؛ تسقى من ماء معين ، وأنهار وعيون ... هذه يارجل إيثاكا ... إيثاكا المباركة ، التى استطلت شهرتها ، واستطار ذكرها حتى ملا الحافقين ، وجاوز طروادة ذات المجد ، التى لاتبعد شطآنها من آخايا »

وشاع البشر فى نفس أوديسيوس لما سمع الراعى الجميل يؤكد فى لهجة قاطمة أن هذه البلاد هى إيثاكا الموعودة ، وهز السرور أعطافه لما رأى من زهو الشاب واختباره بها ... بيد أنه مع ذاك راح يتجاهل ، ويسدى عدم معرفته لهذه البلاد ، ويحاول أن يخدع الفتى عن نفسه ، وما يخدع إلا نفسه هو ... قال : « أجل ... لقد سمعت عن إيثاكا فى أقاصى البحار ... والناس يعرفونها حتى فى كريت التى وصلت منها اليوم بتادى هذا ، ناركا فيها أبناى وذوى رحى ، فارا بنفسى من الفعلة المائلة التى فعلت ... يا ويح لى !! لقد قتلت العداء المزوف أرسيللو بن أيدومين العظيم ، الذى لم يكن يباريه فى سرعة عدوه أحد . لقد حدثته نفسه أن يسلبنى ماغنمت من كنوز طروادة وأسلابها وما حصلت عليها إلا بعد قتال شديد وظلّى حرب ، وركوب أهوال فى ذاك الميم ... وذاك لأنى آبيت أن أقاتل تحت لوائه ، أولواء سيده ومولاه ، بل قدت فيلقا من الجند فظفرت واتصرت ، فكبر عليه هذا ، وحفظها لى ، وأنصر فى نفسه الغدر ، فلما عدنا أدراجنا إلى أرض الوطن ، حاول أن يسرقنى كنوزى ، فاقصده <sup>(١)</sup>

« أوليتني الشجاعة ، وكنت دائماً دليلى ورائدى ... ولكن ... أصدقيني بأبيك يا ابنة جوف ، هل وصلت حقاً إلى إيشاكا ؟ أم أنا في صقع سحيق عنها وإنما أنت تسخرين مني وتبسين بي ؟ أصدقيني بأبيك يا ربة ، هل هذه بلادى العززة إيشاكا ؟ هل هي حقاً ؟ » وقالت ذات العينين الزرجديتين تحببه : « دائماً حذر يا أوديسيوس ، وإلى الأبد يملأ الوسواس صدرك ، برغم ما أوتيت من حكمة وتبيان ورجاحة فكر وسلامة جنان ! بيد أنك معذور يا صاح ، إذ أى رجل لا يتشوف لرؤية زوجته وأبنائه ولا يتحرق شوقاً للقيام ، بعد هذا النوي الطويل ، والبعد الممض ، والأحوال الجسام الحجة ؟ غير أنه أفضل لك ألا تعلم شيئاً ولا تسأل عن شيء حتى تلمس بنفسك مقدار ما تكنه لك من الحب ، تلك الزوجة الوفية المخلصة التي ذهب شبابه عليك حشرات ، والتي ذرفت دموعها من أجلك آتاء الليل وأطراف النهار طوال تلك السنين الباكية الحزينة الموحشة .. إني لم أتركك يا أوديسيوس كما تظن ، بل كنت أعلم أنك راجع دون ماريب إلى بلادك ، وإن فقدت كل رجالك ورفاق سفرك الطويل الشاق ... غير أنني أشفت أن أثير حقن نبتيون ، عمي وأخو أبي ، الذي يحز الأذى في قلبه من فعلتك التي فعلت بعين ابنه السيكلوب ... ولكن هم ... إلى ساقطع شكك باليقين ، وسأدلك على علامتك تؤكد لك أنك في إيشاكا ... فهذه هي ميناء فورسيز حكيم البحار ، وها هي الزينة الكبرى عند رأس الرفأ وعلى مقربة منها ذلك الكهف المقدس الإلهي الذي تأوى إليه عهائس البحر العروفة باسم النباد ، وقد

حلتك بين الناس ؛ وأنا بحكمتي وقوة يديرى بين الآلهة ... وما أحسبك تجهل ميرزا ابنة جوف الأكبر ، التي كانت رائدك ورفيقك في كل ما حاق بك من مكروه ... فلقد كنت أقذف الشجاعة في قلبك في مواقف شدتك . كما كنت أثير الحمية في أفئدة الفياشين الذين وصلوا بك إلى هنا وهأنذا طويت إليك فداقد الرب لأخلو ساعة بك ، ولأن لي حديث نصح معك ، بوى أن أمحضك إياه ... وقبل هذا ينبغي أن تخيئ كنوزك التي أسبغت عليك بمشورتى ... ثم إني محدثك عما يتحقق من أرزاء ، وما يدبر لك من كوارث تحت سقف بيتك ، ونصيحتي أن تحتمل ما يصيبك أول الأمر بقلب جليد وصبر ثابت وطيد ، واحذر أن يعلم أحد ، رجلاً كان أو امرأة — بوصولك إلى إيشاكا وحيداً شريداً لا حول لك ، كما وصلت ، بل اصمت كلما حاول أحد أن يتعرفك ، واحتمل الأذى كلما مدت به يد إليك . » وقال أوديسيوس ، وقد أسقط في يديه : « لله درك يا ربة ! ما أروعك في تغشية العيون وتضليل الأبصار ، والتشكّل في أى صورة شئت ! بيد أنك برغم ذلك حليلة رحيمة كعمهى بك دائماً ألا كم نصرت أبطال أخايا اللذاويد ، وأظفرتهم بأعدائهم في ميدان طروادة ... ولكني لن أنسى منذ أقبل أسطولنا من ميناء تلك المدينة ، بعد سقوطها في أيدينا أنك لم تطهرى لنا قط ، ولم تبادرى مرة إلى إيقادى من إحدى الرزايا التي كانت تحيق بي والتي كنت أحتملها بقلب حديد ، وصبر شديد ، حتى رمت الآلهة لحالي فجعلت لي منها خرجاً وأقذتني إلى برفياشيا ، حيث أثرت في صدرى النخوة ،

بالعود، ويزخرفون لها الأمانى، ويسألون لها كلمة  
الفسق، وهى ما ترداد إليك إلا تحرقاً، وما ترقاً  
دموعها من أجلك، فتحتال لهم، وتعد هذا وتوشى  
المنى لذلك، معللة نفسها بعودتك لتسحقهم جميعاً!«  
واستعبر أوديسيوس قليلاً وقال: «أوه! كأن  
القضاء الذي أسكت نامة أجا ممنون يكاد يبحى فى  
أنا الآخر فى صميم دارى! ولكن.. وى! أصرع  
إليك أيها الرب أن تسمى على وتنصحنى وتلقيننى  
كيف أنار من هؤلاء الطنأة؛ وأنوسل إليك أن تقذف  
فى قلبى الشجاعة كما قذفها فيه تحت أسوار طروادة،  
فإنى بعونك أدوخ اللتين من أعدائى، مادامت يذلفون  
يدى، فإنى مستأمل شأقهم جميعاً» قالت مينرفا:  
«اطمئن بأوديسيوس، فساكون معك وإن لم يمتد  
إلى طرفك حتى تغتالمهم أجمعين، وحتى تطلع رؤوس  
أكثرهم على أرض قصرك... ولكن تعال،  
ألق باللك إلى، إنى سأغير من صورتك، وأحور من  
شكلك حتى لا يعرفك منهم أحد؛ فهاتان الوفرتان<sup>(١)</sup>  
تستطيلان حتى تغطيا كنفيك وحتى تتصلا بالملة<sup>(٢)</sup>  
وسأدرك بدثار مرقع رث يثير القفز فى نفوسهم  
فلا يمدون أبصارهم إليك، وسأحدث أوزاماً حول  
عينيك تريد فى تنكرك، حتى ليحسب من يرى  
إليك من أعدائك أنك وأهلك بعض المساكين  
الذين لا يقتاون يضربون فى الأرض... على أنه  
ينبى أن تلق راعيك الأمين (إييومابوس) الرجل  
الوفى الذى ما يزال يخلص لك، ويبنى لابنك، ويؤثر

طالما كنت تجزر القرايين والأضاحى باسمهن عند وصيدهن،  
وهاك جبل نيريتوس وأولئك غلبه الشجر...»  
ثم رقت ربة الحكمة الفشاوة عن عينيه فعرف ذياره  
ولم ينكر شيئاً منها، وهكذا شاءت العتابة أن يشهد  
البطل المكدود ببلاده الحبيبة مرة أخرى، وهكذا  
خر أوديسيوس جاثياً يقبل ترى الأرض المقدسة،  
ثم رفع يديه يصلى لعرائس الماء كسابق دأبه:  
«يا عرائس البحر يا بنات جوف الأعظم، لقد قنطت  
قبل هذا من أن أراكن، فهانذا أعود إليك بالف  
نذر وألف تحية وسلام... لكن القرايين الغوالى  
إذا مدت أختكن — مينرفا الحكيمة — فى أبهى  
وباركت رجولة ولدى ومعد أحلاى»

وقالت ابنة جوف تؤيده: «تشجع بأوديسيوس  
لا طائل لهذه الوسواس التى تعذبك! هلم! البدار  
البدار! لنخبي<sup>٣</sup> هذه الكنوز فى أغوار ذاك الكهف  
السحيق لتكون فى مأمن من عبث عابث، ثم هلم  
أدبر الأمر معك» وانطلقت الربة فى ظلمات الكهف  
تتكشفه بينما حمل أوديسيوس أذخاره فوضعهما حيث  
أشارت مينرفا، ثم حلت يديهما الجبارتين صخرأ  
عظيماً فأحكمت به غلق المدخل الريب. وجلسا عند  
أصل زيتونة باسقة، وشرعا يرسمان الخطط ويحكان  
التدبير لهلاك العشاق الفساق الماميد، فقالت  
مينرفا: «أوديسيوس، يا ابن ليرتيس المجيد، هلم  
فاحمل فكرك الآن فى الوسيلة التى تبديد بها أعدائك  
الذين لا يستحقون، أولئك العشاق الذين استبدوا  
بأسرتك طوال أعوام ثلاثة، واستباحوا حاك،  
وتكالبوا حول زوجتك كل هذه السنين بغرونها

(١ - ٢) الوفرة ما بلغ شحمة الأذن من الشعر واللة  
ما ألم بالثكب منه

المرقع الرث ، وهامى ذى تحدث الأورام حول عينيه  
وتروده بمزق قفزة قد علق بها التراب والسخام (١)  
وها كها تصني عليه بعد ذلك جلد ظبي قديم غليظ  
وتدفع إليه بمكازة طويلة يتوكأ عليها ، وعنده بمزود (٢)  
تدلت منه أوشية قبيحة ، وأحيط بسيور من جلد  
عتيق ...

واقترعا ... فهو إلى حيث يلقي راعيه ... وهى  
إلى حيث تاقى تلياك فى مملكة ليسديمون .

« ينعم »  
دربى ضربه  
(١) الفهم أو ما يعرف بالعامية بالهاب (٢) خرج

بأصنى وده زوجك ... فاذهب إذن إلى جُبيل  
كودا كس المظل على نبع أربنوزا ، تجد قطمانك  
ترعى العشب الحلوثة ، وتسقى من السلسيل المجاور ؛  
وتجد راعيك الشيخ يتشوف إلى رؤيتك ، فحيه  
واجلس إليه ، وأسأله عن كل مأتى أن تعرف من  
أنباء بيتك وأهلك وعقارك ، وتلبث معه حتى أعود  
إليك بانيك من أسرطة ... انبك تلياك الذى ذهب  
يذرع الرحب سائلا عنك ، متحسسا أخبارك حيث  
حل ضيفا كريما على الملك منالوس ، الذى أرسله  
إلى ليسديمون ليرى هل ما يزال أبوه حيا يرزق ؟  
قال أوديسوس : « وأسأله عليك يا ولدى !! ولم  
أتبها الربة المحيطة بكل شئ لم تخبره أننى جى أرزق  
وأنتى لا بد عائد إليه ، فكنت كفته بلاء الرحلة  
فى تيه البحر ، بينا هؤلاء الكلاب يستنزفون ثروته  
وماله ؟ » فقالت نجيحة : « لا تأس على ولدك هكذا  
يا أوديسوس ؛ لقد أرسلته أنا ثمة يشد الشرق  
وينشر ذكره بين الناس ... إنه لا يلقى عنتا هناك ،  
بل هو ينعم بالراعية فى قصر أتريدس ! واعلم أن  
فريقا من عشاق بلنوب يتربصون به ، ويترصونه  
فى طريقه ابتغاء أن يقتلوه قبل أن يبلغ أرض  
الوطن ... ولكن لا ... خاب فألمهم ... إنهم لن  
يمسوه بأذى حتى تكون الأرض قد رويت من  
دمائهم ، وغيبوا جميعا فى بطونها ؛ أولئك السفلة  
الذين يستحلون زادك وعتادك الآن » . ثم مسسته  
بعضاها السحرية فبدت عليه بدوات الكبر ؛ فهذا  
جلده قد تغضن ، وهاتان وفرتاه ولته قد استطالت  
حتى بلغ شعرها قدميه ، وهامى ذى تضفى عليه الدثار

### لجنة التأليف والترجمة والنشر

## سيرة السيد عمر مكرم

لمؤلفها الأستاذ محمد فريد أبو مبرر

سيرة جليلة من سير الزعامة الشعبية وصفحة  
رائعة من مخف الجهاد القومى خلال القرن  
الثامن عشر حتى فاتحة عهد محمد على عند  
ما اجتمعت كلمة الشعب على اختيار ملكه المحبوب  
جد الأسرة الملكية الكريمة

والكتاب مزين بالصورة التاريخية

ثمنه عشرة قروش عدا أجرة البريد

ويطلب من اللجنة بشارع الكرداسى رقم ٩

ومن المكاتب الشهيرة

طُبعت بمطبعة الرسالة بشارع المهدي عمارة محمد رقم ٧







# الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلم والفنون

مجلة الآداب الرفيعة والثقافة العالية

تصل الماضي بالحاضر وتربط الشرق بالغرب

على مدى وبصيرة

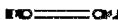
الرسالة : تعبر بإخلاص عن روح النهضة المصرية

الرسالة : تجمع على وحدة الثقافة أبناء البلاد العربية

الرسالة : تصور مظاهر العبقرية للامة العربية

الرسالة : تسجل ظواهر التجديد في الآداب العربية

الرسالة : تحيي في النشء أساليب البلاغة العربية



بمجموعة أعدادها ديوان العرب المشترك ، وكتاب الشرق

الجديد ، وسجل الآداب الحديث ، ودائرة معارف عامة



الاشتراك المباحل ستون قرشاً ، والخارجى ما يساوى جنبها مصرى ، وللبلاد العربية بخم ٢٠ ٪



صاحب المجلة ومديرها  
ورئيس تحريرها المسئول  
أحمد حسن الزيات

برل انشترالك عن سنة  
٣٠ في مصر والسودان  
٥٠ في الممالك الأخرى  
١ عن العدد الواحد

الادارة  
شارع عبد العزيز رقم ٣٦  
العتة الخضراء — القاهرة  
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

# المجلة

مجلة أسبوعية للفن والفكر والتاريخ

نصدر مؤقثاً في أول كل شهر وفي نصفه

العدد الثامن عشر ١١ شعبان سنة ١٣٥٦ — ١٦ أكتوبر سنة ١٩٣٧ السنة الأولى



## فهرس العدد

صفحة			
١٠٩٨	الطفل	أقصصة مصرية ..	بقلم الأستاذ محمود خيرت
١١٠٦	أم إمام	أقصصة مصرية ..	بقلم الأستاذ غفرى أبو السعود
١١١٦	السهم الرابع	للكاتب الروسى أنطون تشيكوف	بقلم السيد جورج سلسقى
١١٢٢	الحظ	أقصصة مصرية ..	بقلم الأدب نجيب محفوظ
١١٢٨	الراكبون إلى البحر	للكاتب الأيرلندى جورج ملتون سنج	بقلم الأدب شكرى محمد عياد
١١٣٤	الملك الشاب	للكاتب الانكليزى أوسكار وايلد	بقلم الأدب بشير الصريقى
١١٤٢	لأت تهمل النار يصعب عليك إطفائها	للقصصى الروسى الكونت ليوتولتسوى	بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار
١١٤٨	اعترافات فى مصر	لألفريد دى موسيه	بقلم الأستاذ فليكس فارس
١١٥٣	الأوذيسة	لهوميروس	بقلم الأستاذ درسى خفيا

# الطَّلَكُ

## لِلْأَسْتَاذِ مُحَمَّدٍ خَيْرْت

ولو أنك رجعت  
الفهري إلى النصف الثاني  
من القرن الثامن عشر  
لأريت رجلاً مقوساً  
حطمه الكبير وبيضت  
لثته أحداث الزمن  
معروف باسم « الشيخ  
حسن » اعتاد كل ليلة  
قبل الفجر أن يسلك

رويداً رويداً ذلك الطريق الصاعد وهو يرتكز في  
خطواته على قدميه ارتكازاً كأنه يحاول بضعفهما  
أن يرسم في تراب الطريق صورة من حمل السنين  
التي أثقلت ظهره

من عساه أن يكون هذا الشيخ البائس ؟ وما  
الذي يدفع به كل ليلية وهو من الضعف بحيث  
لا تستطيع أن تجعله ساقه إلى ذلك البرج وكأنه  
في خشوعه مُقبلٌ على محراب ؟

طلل من بني الانسان كان لا تهدأ نفسه إلا إذا  
سى إلى زيارة الطلل الصامت وقد كان قسيمه في  
أحلام الشباب كما كان قسيمه في نحوس الأيام !

\*\*\*

في ذلك المهد كانت هذه المنطقة آهلة بالسكان  
عامرة بالحركة يقوم فوق ربوتها قصر منيف على  
الطراز البيزنطي العربي، له من جهة ذلك الطريق  
مدخل ذو باب نغم ضخيم من خشب السنديان  
رُكزت فيه مسامير غليظة هي ومقبض سماعته من  
النحاس الأحمر . وكانت له في جهاته الأربع  
(مشرقيات) وشيقة على مثال (مشرية) ذلك البرج ،  
كلها من خشب القرو التركي المخروط الضيق الميون  
نما يساعد على استرواج الهواء الهادي واستقبال  
النور اللطيف

وكانت جدرانها من الداخل مكسوة بالقاشاني

على الشاطئ الشرقي من النيل عند ساحل (أتر  
النبي) لسان بارز في النهر يترك إلى يمينه مرفأً متوسطاً  
على شكل نصف دائرة ، يبدأ عند ركنه الجنوبي  
من جهة الشاطئ هذا اللسان الذي يأخذ في الصعود  
حتى ينتهي إلى رهوة مرتفعة يقوم على مسافة من  
حافتها بناء مهديم لم تبق البالي منه غير زاوية تمتد  
أحد ضلعيها في اتجاه ذلك الطريق الصاعد ، والثاني  
في اتجاه مجرى النهر . ويقوم عند ملتقى هذين الجدارين  
جانب من برج عال متصدع فوق شرفة مستديرة  
أشبه بمظلة من خشب قديم متفحم . وبأسفل هذه  
الشرفة (مشرية) كوجه بارز يعلوه فتحتان أفقيتان  
كالعينين كما كر السنين زجاجها بطلاقة من خضرة  
مفترق ، بحيث إذا نظرت بعد منتصف النهار إلى هذا  
البرج وقد انمكست أشعة الشمس عليه وعلى زجاجه  
خُيِّل إليك وأنت في وسط النهر أنه شبح قائم في  
أعلى تلك الربوة يمدح في القضاء بعينين تتنثر من  
خجوتيهما شرارات خضر . وأما إذا نظرت إليه في  
ليلة يطرح القمر على فضاءها شبكة من نور وسنان  
ضئيل تمثل لك كأنه راهب أشعث في جلبابه  
الأسود اتصب فوق تلك الربوة وهو ينظر في سكون  
الليل إلى أمواج النهر تتدافع من تحتها ولها قصف  
متقطع كأنات الحزن تخرج من جوف الماء تمزق  
صمت ذلك السكون

من الصميد ومن الوجه البحرى حيث ترسو عند هذا المرفأ وخدام السفن في حركة لا تنقطع يبحرون من هنا ومن هناك لطفى الشراع ولتفرغ المحمول وتقله إلى مخازنه ، وهم يجنازون ذلك الطريق الصاعدة رويداً رويداً في جلبة من الغناء والتهليل

\*\*\*

في مسهل القرن السادس عشر كل على « حلب » حاكم من الممالك اسمه خير بك لم يغفل السلطان سليم حين وفد إلى مصر عن المساعدة التي قدمها إليه وهو يمدد سرّاً باليرة والمال فعمد على القاهرة بعد أن تم الأمر في مصر على يد الغنابيين . فغير بك هذا هو أمل هذه الأسرة والجد الأول لمحمد بك نصر الدين خير ذلك التاجر الذي جئنا على ذكره

وكان لمحمد بك هذا أخ أكبر منه سنّاً قُتل غيلة في بعض الليالى فتعهد ولده حسن في هذه الدار بالرعاية والتربية مع ابنته نادر كُمل (أى الورد النادر) وكانت هذه الفتاة بتيمة من أمها ، ولم يكن لأبها سواها ، فكانت محبة إليه عزيزة عليه لا يصبر على فراقها ، ويتحاشى أسباب الأساء إليها أو الغلظة في معاملتها إلى حد أنه لم يفكر يوماً في التزوج بعد أمها حتى لا يجزئها أو يجرح شعورها . وهكذا نشأت هي وابن عمها الذى أصبح فيما بعد ساعد أبها الأيمن في تجارتها ، على الألفة والحب

وكان كلاهما على قسط وافر من الوسامة وجانب كبير من حسن التقدير وسلامة النوق ؛ وقد تجانست ميولها واتحدت غايتها فكان من ذلك وحدة شفافة متألقة تجمل من زواجهما جنة وارفة الظلال ملؤها النعم والسعادة

وكانت لا تنتظر إلا بعينه ، ولا تنصت إلا بسمعه ، ولا يخفق قلبها إلا له وبه ، حتى أنه كان إذا رحل في

المختلف الألوان الجليل النقوش . وسقوفه زينها زخارف عربية غائرة وبازرة بديعة التنسيق ، بعضها مذهون بألوان يتحكم فيها اللازورد ، وبعضها مموه بالذهب الهادى اللعان . وكان يتدل منها ثريات مثمثة الأشلاع معلق في زواياها قناديل مخروطية من زجاج أخضر يتخلله عروق على هيئة أوراق الشجر جميلة الشكل . وبأركان الحجرات أوان من الفخار المحترق الكسو بطبقته من المينا أو من النحاس المنقوش المكفّت بالفضة أعدت للزهور أما البسط ومختلف الطنافس والرياش والتحف فلا حاجة إلى محاولة وصفها لأن كل وصف يتناولها لا يسمو مهما بلغ من دقة التعبير إلى الإلزام بحقيقة جمالها ودقتها ؛ ويكفى أنها كانت آية من آيات الصناعة ودليلاً ناطقاً بميسرة صاحب الدار وسلامة ذوقه ولا تنس إيوان القصر وهو بطبيعة الحال يشغل الطابق السفلى على ارتفاع متر من مسطح الأرض ، ويصعد الزائر إليه بثلاث درجات عريضة عند طرف كل منها أخصص من الزهر

ويرتكز سقف الإيوان في جانبي هذه الدرجات على أربعة عمد أسطوانية من الرخام تيجانها على هيئة نواقيس تربط أبدانها بهذه العمود تُطلق من النحاس ، وقد توسط أرض الإيوان المزينة بالفسيفساء نافورة رشقية من الرمرر يحيط بها أوان أثرية بها زهور جميلة . وعلى كل حال فقد أعد هذا الإيوان لزوار الدار يقطعون فيه سهراتهم مع صاحبها بين مجامير الطيب وأكواب الشراب وعلى أصوات المنين وأنغام البغ والطنبور والنأى

أما النهر حول هذا القصر فكان بين وقت وآخر يموج بالسفن الشراعية الكبيرة المعدة لنقل الأخشاب والحبوب مما يتجر به صاحبه تيجىء بها

اكتشف دليلاً جديداً على توثقته، وليس لحسن خبر  
منها ولا لها خير منه وهورييه وابن أخيه والمشرف  
على إدارة شؤونه

وكانت هي أيضاً لا تجهل نواياه هذه نحوها  
ونحو هذا الذي كانت لا تشعر بالسعادة إلا إلى جنبه  
وفي ظل الزواج منه، ولكنها مع ذلك كانت تفرّ  
من هذا الزواج فلا تلتجئ لابن عمها به ولا تتعجّله  
فيه، بل لقد كانت كلما حاول استدراجها إلى الكلام  
في أمره أفسدت عليه محاولته وأسرت فقيرت  
مجرى حديثه عنه، ولكن في أسلوب لين مستطاب  
لا يشعر عنده بأنها تقصده إلى ذلك

وفي الواقع أنه لَينَ الغريب أن يجد الجائع  
سبيله إلى الطعام ثم تواف نفسه أن تمتد يده إليه،  
وإذا سألته في ذلك انتقلت خواطره فجأة إلى عالم  
آخر، وكذلك كانت نادر كل إذا خاطبها حسن في  
شأن الزواج ظهر عليها الاضطراب وصبغ وجنتها  
الخجل ثم انتقلت فوراً إلى هذا العالم وقد دبّ في  
نفسها شعور مبهم جعلها تعتقد أنها لن تبلغ أمنيتها  
من هذا الزواج مع أن كل ظواهر الحياة في تلك  
الدار كانت لا تدل على أن هناك عقبة ما في سبيله.

وهكذا كانت إذا همّمت بتكليف حبيبها به وقف  
لسانها في فمها وأحست كأن يداً خفيفة جبارة  
تسترجمها وتحول بينها وبين النفوذ إلى غرضها  
أما هذا الشعور فقد خلط خواطرها على أثر  
ليلة رأت في حلمها أن أمها سقطت في النهر وكانت  
تتوسل إليها وتستصرخها فالتفت بنفسها فيه، ولكن  
التيار كان شديداً فغلبها وجرحها معها

ولقد نشأت نادر كل نشأة صالحة تحفظ  
كثيراً من آيات الكتاب وتحجّص على الصلوات  
فما ذهب ظنها إلى أن ما رآته كان من قبيل أضغاث  
الأحلام، بل لقد استقرّ في ذهنها أن روح

شأن من شؤون التجارة انسدل على وجهها قناع  
فأكم من الحزن، وأحست فراغاً موحشاً تضطرب  
له خواطرها وأحلامها. فتازم (مشرية) ذلك البرج  
وترسل نظراتها إلى قبة السماء الصافية لا لتتفقد  
نجومها ولكن لتظفر في خيالها بذلك الكوكب  
الأنيس الغائب عنها

وكانت رحلته تمت أحياناً إلى أسبوعين، وقد  
تنتهى في أقل من ذلك تيمناً بعد النواحي التي تحمل  
السفن عروض التجارة منها فكانت تقدر على وجه  
تقريب ذلك اليوم السعيد الذي يعود فيه. وعند  
ذلك تلزم نافذة البرج ترقب منها أشباح السفن النائية  
وما كانت لتخفي عليها لعلامات فيها تميزها عن  
غيرها، حتى إذا ما هلت غمر السرور نفسها ورد  
إليها بشاشتها والسفن تهتز سارياتها كأنها نشوى،  
ونجفق شراعها فوق الماء كأنها مناديل النازحين  
يلوحون بها من بعيد إشارة إلى العودة واقترب  
ساعة اللقاء. ولَمْ لا والسفن والدور والآث وكل  
ما يتصل بالإنسان تثبت فيه ريحنا، وتسكنه ذرات  
خفية من خواطرنا وأحلامنا وأنفاسنا وأرواحنا،  
فتصبح كأنها مَنّا نحس بحسبنا وتشعر بشعورنا؟  
للدور أرواحٌ تحين لأهلها

وتطوف من خلال الحواجز حوماً  
وضاءة بهم الزمان فانم  
زحواً تنقشها الظلام وخياً  
وهكذا تظل (نادر كل) نشوى بهذا القرب حتى  
إذا دنت السفن من الرقّاء ورفع حسن بصره إلى  
(المشرية) يحببها بغمرة من حاجبيه اندفعت إلى رأس  
السلم تستقبله وتطبع على فمه قبة حارة يقيب  
صوابهما عندها

وما كان يخاف على أيها ما توثق بينهما من  
علائق هذا الحب، بل إنه كان يشعر بالبطء كما

عنه شيئاً من خصائصها حتى كأنه جالها عند كتاب مفتوح . وقد أدركت نادركل قلقة . هذا فأرادت أن تضع حداً لعذابها ، وكانت الفرصة مواتية وقد أقبل عليها وهي لا تزال إلى جانب تلك النافذة .  
ومما يحسن ذكره هنا أنه كان لأبيها في تجارته شريك اسمه « احمد أغا » وهو رجل في الستين من عمره قصير القامة يدين الجسم شارب الزفير يكاد لطوله يصل إلى أذنيه ، وأنفه كبير مموح كفتار النسر ؛ أما شفتاه ففيلطتان تفرجان عن أسنان صفر نحمر فيها السوس ؛ وأما حاجباه فكثيفان يُظلمان عينين لا يدري الناظر إذا كانتا غائرتين أو جاحظتين ، ولكنهما كانتا تبرزان كلما تَوَّبت إلى غرض من الأغراض ، وتغوران إذا فكر في تدبير أمر من الأمور .

ولقد قضى هذا الرجل حياته تاجراً ؛ وكان يخيل إلى يحرص كل الحرص على الذهب لأنه في عينه الغلة التي لا تتأثر بأحداث الزمان . ولذلك كان في نوبة عن التفكير في الزواج أو الانصراف إلى غيره من أسباب اللهو . ولكنه وقد أثرى واجتمع لديه من سيد المادان آلاف الدنانير فكر في الترفيه عن نفسه ، فكان لا يحلوه السهر إلا عند شريكه ، فوقع نظره مرة على نادركل وأدرك ما هي عليه من الملاحاة التي جرت في ذلك العهد مجرى المثل والناس يطلقون عليها اسم « جمال نادركل » أي جمال الورد النادر ولذلك افتتن بها وتوله فيها . وكثيراً ما كان يطلبها من أبيها والحاضرون من المحسبين عليه يساعدونه في ذلك وهو صامت ممسك عن الجواب فيكتفي احمد أغا بذلك وفي هذا الصمت دليل الرضى وما كان حسن يحضر مجلس عمه ، لأن الأدب التركي ينفر من ذلك ، ولأنه في غير قلبه الإصلاح

أما قلقة عليها منزعجة لها ، وأنها لم تكن غير تلك القوة الخفية التي تجذبها وتستوقفها والأرواح مكشوفة عنها الحجب فهي ترى في هذا الزواج ما لا تراه عينها التي غشيت عليها كثافة المادة وملاً فراغها زخرف الحياة . وقد يكون لهذا الحلم أيضاً مجرد معنى التنبؤ بأن هذا الزواج لن يتم ؛ وعلى كل حال فقد كانت من تلك الليلية وهي تحت سلطان هذا الحلم لا تفارق نافذة البرج ترسل إلى النهر نظرات زائفة حزينة كأنها تفتش في لججه عن مكان تلك الأم التي كانت تستجد بها

وكان يخيل إليها تارة أن سطح الماء أخذ يرتفع كأنه تحت تأثير مد قوي ، حتى إذا اقترب من وجهها وهو يلمع كالمرآة أبصرت فيه عيني أمها وقد أخذتا تسمان وتقتران ثم تختطان ، فإذا ما استحالتا إلى عين واحدة كهوة وأسمه سحيفة أجمدت روحها إليها وغاصت في ظلامها

وتارة كانت ترى الماء ينخفض رويداً رويداً ثم يحف فيكشف لها قاع الوادي وقد تبعثرت فيه جثث لفتيات قاتلات ما زلن حافظات لنضرتهم حاليات بعقودهن الملونة وأقراطهن الذهبية ، وعلى شفاهن ابتسامات ، وفي عيونهن استقرار وهود ؛ وعند ذلك يذهب خاطرها سريعاً إلى أنهن من عرائس النيل اللاتي كان القدماء يزفونهن كل عام إليه

وكانت هذه الخواطر لا تفارقها حتى في الليالي القمرية والبدري في كبد الباء يصب على سطح النهر المرتجف رذاذاً ناعماً من النور فيستحيل إلى قطع مبعثرة متألفة من ماس متحرك . على أن حسن لم يخف عليه أمرها ولا يحاولاتها ، ولكنه كان في حيرة ، وهي بالرغم من ذلك تصفيه حبها ولا تكتم



أشهد الله عليها وهي أنني لن أكون في حياتي يوماً  
ما لنفرك .

وعند ذلك طرق سمعها نشيد بعض الملاحين  
فأطلت من النافذة بينما هو في مكانه ذاهل مفكر ،  
ثم التفتت إليه كالظبية تقول : ما أسعد هؤلاء الناس  
يقضون حياتهم بين الماء والسماء ويستنشقون من  
عليل النسيم ما صفا من عواصف الأكدار !

ومرة أخرى صعد إليها بينما باقتراب يوم  
الاحتفال بوفاء النيل فتهلت على وجهها بشاشة  
خالطها حزن ، ولكنها سرعان ما حالت بينه وبين  
الشعور به سائلة في استنكار :

— ولم هذا الاحتفال والنيل في هذا العام  
شحيح ؟

— إنها عادة يا نادر

— ولكن قصد بها تكريم النيل إذا ما جاد  
بفيضانه حتى قالوا كما قلت أنت الآن : « الاحتفال  
بوفاء النيل » فهل حتى مع عدم وفائه يكون استمرار  
هذه المادة مما لا بأس به ؟

وعند ذلك أرتج عليه ووقع في حيرة وقد  
فوجئ بهذا الاعتراض الذي لا رد عليه ولا حيلة  
فيه ، ولكنها هونت عليه موقفه قائلة :

— وإذا كانت ظواهر الحال تدل على أنه  
لا يبشر هذه السنة بفيضان فلم لا يهينون له عروساً  
كذلك التي كانوا يزفونها إليه من قديم ؟

وعند ذلك انفجر حسن في ضحكة طويلة منقطعة  
وهو يقول : هي أن القوم على استعداد لإحياء  
تلك العادة من جديد فمن هي التي ترضى الآن بأن  
تكون تلك العروس ؟ فصاحت : أنا... أنا ، فما أهى  
هذا اليوم الذي أنال فيه هذا المجد ، ويقام لي فيه

لا يقضى مثل هذه المجالس . على أنه سمع ذات ليلة  
أحمد أغا يلح على عمه في قبول زواجه من نادر ،  
فاضطرب خاطره واشتغل بالله وكاد يمسك بطرف  
الخيط من سر استخفافها بالزواج

— دائماً إلى جانب هذه النافذة يا نادر ؟

— ولم لا وأنا أطل منها على هذا النهر الصافي  
والنسيم يداعب سطحه بأملها الخفية الناعمة ، والشمس  
تنسج له من خيوطها الذهبية هذه الحلة التموّجة  
البديمة ، وهذه السفن بشرعها البيضاء تمخر فيه  
كأنها أوز عائمات ؟

— ولم لا تطلين من نافذتي عيني هاتين فكنت  
ترين ما أعدته لك قبلي مما يسمو على كل هذه  
المشاهد ؟ إنك تجدين فيه عراباً أعدته لعبادة هذا  
الحسن فيه ، وتجدين جوانبه يغمرها نور غير هذا  
النور لأنه معنى من معاني حبك ؛ ولكنك تجدين  
أيضاً إلى جانب كل هذا ركنًا مظلمًا خصصته  
لشقاؤى ومدامي ، وأنا لا أجد معنى للحياة إلا بك  
وفي ظل رضاك

— وما الذي لمست في يدك إلى هذا  
الركن الذي لم يكن إلا من صنع خيالك . لقد أدركت  
أن أفهم إذن أنك لا تزال تجهل ما أحفظه لك في  
نفسى من الإعجاب والتقدير

— والحب ؟

— والحب يا حسن

— ولكن لسانك وحده هو الذي جرى  
بهذه الكلمة

— بل قلبي الذي أرسل بها إليه ليخملها إليك

— إذن لم تتحولين ؟

— اسمع يا قبلة أملى وخذها مني كلمة صريحة

وقد بدأوا بالفعل يمسكون عن الوفاء بها نقداً أو عيناً  
فراى من الحكمة لهذه الاعتبارات كلها ألا يتردد  
في قبول رجاى شريكه لأنه غنى ، ولأنه رجل الساعى  
فى تلك الأوقات العصية . وهكذا عقد له عليها  
بصفته ولى أمرها ، ثم اختلى بها ليقفها على مسئلة  
وهو واثق - بعد بيان كل تلك العوامل السيئة -  
من راحة عقلها وطاعتها

— أراك لا تحيين يا نادر

— وما الفائدة وقد وقع المحذور ؟

— وهل إذا وضعت نفسى فى إحدى كفتى  
الميزان وكان ابن عمك فى الكفة الأخرى رجسته  
على ؟ ...

— كلا . ولكن الذى كان يوضع فى الكفة  
المقابلة لكفته إنما هو ذلك الصهر الجديد لأنت ؛  
إنه هو الذى بعثى إليه ييماً كأننى من بعض السلع  
أو من سقط التاع . أو نسيت يا أبى أنه هو الذى  
قتل من قبل أخاك ؟

— إشاعة لم تلبث أن تبددت كالذخاى

— وهل ثمة ذخاى بغير نار ؟ إنه هو وحده  
الذى قضى على عمى ، وهذا أنت تحكمه من القضاء  
على ولده ومن القضاء على أيضاً . وقد أقدمت على  
ذلك وأنت هادى قرير البال ، لأن ابنتك البريئة  
المظلومة لم يعد لها حساب ولو شيئاً فى إحدى  
هاتين الكفتين

— نادر ...

— ويا ليتك حين فعلت فى ما هم سيدنا ابراهيم  
أن يفعله بولده ، كنت مثله فى حسن القصد وما أراد  
إلا وجهه ربه ؛ أما أنت فأردت إلا وجه هذا المعبود  
الذى انصرف إليه الناس من دون الله ... المال ...

مثل ذلك المهرجان ويشير إلى الناس عنده من جميع  
النواحى وهم يتهايمسون : تلك هى العروس ، تلك هى  
عروس النيل

وما كانت اللحظة متسعة ليفعل هول هذه  
الخطاير فقله فيه لأنها كانت تنفض كالقصبه وقد  
تصبب جبينها عرفاً ثم سقطت فوق الوسادة التى  
إلى جانبها متشياً عليها

\*\*\*

ولقد كان هذا الحادث وما سبقه من الأحداث  
كافياً ليضع حسن يده على الحلقة المفقودة من موقف  
ابنة عمه معه . إنها تحبه وتبغىه ولا شك فى ذلك ،  
ولكن هناك إلى جانب هذا الحب حائلان تحاشت  
الإشارة إليه فى أحاديثها ، وإلا فلم حين ضيق عليها  
الحصار بصدد هذا الزواج ولم تر وسيلة هذه المرة  
إلى الإفلات منه تختطه إلى ذكر غيره فقالت :  
« لن أكون فى حياتى يوماً ما لغيرك » لأنه لو لم يكن  
هناك شخص تأك يزاحم فيها لما أشارت فى وعداها  
إليه ولقالت له فى صراحة : « نى يا ابن عمى أنك لي  
وأنى لك فلا مانع عندي من هذا الزواج » ولذلك  
أيقن بأن مطعم ذلك الشريك وصل إلى علمها من  
طريق آخر

ولقد كان أبوها هو نفسه الذى باح لها به لأنه  
من زمن غير قصير لاحظ بواذر الخطر على الحالة  
الاقتصادية فى الوجهين البحرى والقبلى وقد ازدادت  
هذه الحالة سوءاً بسبب قلة الفيضان كما شاع أن  
الجراد أخذ أيضاً يتحفز للهجوم على الصعيد وقد  
لا يلبث أن ينتقل بعد ذلك إلى الوجه البحرى مما ينذر  
بقحط مروع يعم جميع البلاد  
ولقد كانت كل أموال الشركة فى أيدي الناس

من الطبول أو الآواني النحاسية أو غيرها، وهم يصيحون: الجراد الجراد، ثم يهللون ويكبرون ومن كان ينظر يومئذ إلى السماء - وهي تكاد تشتعل من الحر - كان يرى سحباً مقبلاً من بعيد، وكان نحاسي اللون مندجاً بعضه في بعض وهو ينوح كالريح العاتية إذا صادمتها في انطلاقتها غابة كثيفة وما كان هذا السحاب إلا ذلك الجراد متأسكاً بأجنحته الصلبة المنبسطة - وبالرغم من ذلك الصراخ والهليل وقرع الآواني والطبول - فإنه كان يتقدم دائماً نحو هذه المنطقة، وقد أرسل من تحته على السهل وعلى سطح النهر ظلاً متحركاً فسيحاً...

ولما أن ساءمت تلك الكتلة الرؤوس أخذت أطرافها في الضمور شيئاً فشيئاً تاركة فيها بينها فراغاً متقطعاً حتى أصبحت كأنها موشاة بخيوط تتدل منها على هيئة ذوائب. وعند ذلك أخذت تنفصل عنها وحدات كالرذاذ الذي تظفره السحب، وقد بدأ يتحدد شكلها وتظهر للعين حرمتها، ثم أعقب ذلك تهتك الكتلة كلها وانهارها كوابل خشن له صوت أجش مدوّ؛ فكانت الحقول على مرعى الأنظار منطاة ببطيخة كثيفة من هذا الجراد. وعند ذلك بدأ الاقتتال وقد علا صياح مخلط مزيج ودوت فرقعة وهرس؛ وكانما الناس يملأهم وقوسهم يتصارعون مع تلك الأرض المتحركة المأمجة.

على أن الدور لم تسلم من هذا الضيف الثقيل أيضاً، فقد كان ينساب إلى داخلها من أبوابها ونوافذها ومداخلها، وقد أخذ يتعلق بمجاول الأسفار، أو يختبئ في قماشها وهو يقرضها وهشما بينا طوائف منه تثب بين أركان الغرف وترحف فوق الجدران وقد امتد ظلها إلى جانبها تاركة فوقها صورة مزججة خفيفة.

الحال الذي أصبح في عينيك كل شيء. بل باليتك أنت الذي همت بذبحي يديك، فكنت لك نعم الفداء وأنا راضية أضع قبلي على حد مديتك قبل أن تمتد إلى عنق. إنك نسيت كل ذلك وتركنتي إلى هذا الغليظ العاتي تدفن شبابي عند شيخوخته القاسية. والآن - بعد أن قضى الأمر - فليكن ما أردت؛ ولكنني سأعرف كيف أختار القبر الذي أوسد في تراه هذا الشباب

- أنت؟

- نعم

- وكيف؟

- هذا شأني

- ابنتي...

- أنا الآن زوجة أحمد أغا...

وعند ذلك اندفعت إلى غرفتها وأغلقت بابها من دونها. أما هو فخلوه إلى حجرة نومه بين حى وميت

\*\*\*

وكانت الأخبار ترد من شتى البلدان منذرة بسوء الحال لوقوف حركة الأخذ والعطاء، وعجز التجار عن الدفع، وللمتهدين عن تسليم ما في ذمهم من أعلاق التجارة؛ فلم ير محمد بك إلا أن يقوم ابن أخيه في الحال يطوف بالتمالين معه لإقناذ ما يمكن تحصيله من الحقوق، ولذلك كانت رحلته في هذه المرة طويلة شاقة.

على أنه ما كاد يمضي على سفره يومان - وكان ذلك في وقت الضحى - حتى اشتحال هدوء المنطقة وما جاورها إلى حركة مدوية، وقد ارتفعت الأصوات، وانفجر الصراخ، وهرع الناس ينقرون بكل ما يصادفهم من عصي وقضبان على ما يقع تحت أيديهم

بساطاً وردي اللون تتخلله شرارات حمر كأنها  
فصوص الياقوت . وكانت الريح قد أخذت تشتد  
مقبلة من الشمال ، وقد كاد يمتحي قرص الشمس  
خلف الأفق ، والأمواج يطحن بعضها فوق بعض  
وهي ترتطم بالشاطئ تحت نافذة البرج

في تلك الساعة الرهيبة شعرت نادر بوقع أقدام  
ثقيلة تقترب مقبلة من جانب السلم ، فالتفت لترى  
ذلك القادم فإذا به أحمد أغا ، والنضب ينطق في  
وجهه ، والشرر ينبثق من عينيه ؛ وكان على غير  
عادته يحمل في حزامه الغليظ غداره وخنجره برز  
طرفه فوق سرواله العنابي فأيقنت أنها عند ساعها  
الأخيرة مع هذا الرجل الذي جعل أبوها منه لها  
جلاداً لا زوجاً

ولم يمض على حوارهما أكثر من دقائق حتى  
استل خنجره من غمده وانقض عليها كالنمر الجائع  
في تلك اللحظة الفاصلة بين الحياة والموت أو بين  
الشقاء والراحة طاف بخاطرها ذلك الحلم القديم  
وأما تناجيبها وتستنصرخها ، فاندفعت من نافذة  
البرج نحو النهر

وعند ذلك أسرع خلفها من نافذة قريبة منه  
تطل على الرفأ ، وكان سباحاً ماهراً ، ولكنه  
صادف في هبوطه مساراً غليظاً في حافة زورق مثبت  
في الشاطئ فنفذ في غمه ، فذهب غير مأسوف عليه  
وكانت النار قد انصلت بأخشاب الحانوت وزاد  
هبوبها اشتداد الرياح ، فالتوت نحو القصر بحيث  
لم تمض ساعات حتى استحال إلى شعلة هائلة كأنها  
خارجة من فوهة بركان

وهكذا لم يبق من هذا القصر الذي كان زينة  
القصور إلا هذا الطلل القائم يندبه حسن ويكيه  
محمود خيمرت (الفاخرة)

وعند ذلك أيقن محمد بك باستحالة الهوض من  
هذه العثرة التي قضت على ثروته وآماله . وكان لا يزال  
مريضاً على أثر تلك الحادثة التي تقدم ذكرها ؛ فكانت  
هذه الصدمة الجديدة القاضية على حياته ، وقد احتقن  
وجهه وعسر تنفسه ، ثم سقط في نوم ثقيل لم يفق  
بعد منه ...

أما أحمد أغا فكان فارس الميدان يصول ويجول  
في الدار بحكم الشركة وبحكم المصاهرة . وكانت  
نادر كل - وهي في ثوب حدادها - تفكر في أمر  
هذا الزوج العاتي معها وفي غيبة حسن عنها ، ولكنها  
كانت لا يزال أمامها شهر حتى تنقضي مدة الأربعين  
التي تنتهي بها أيام الحداد ؛ وقد يعود حسن في  
خلال ذلك فتدبر معه أمر الخلاص من هذا الرجل ،  
ولكن حسناً لم يعد ؛ وأخذ أحمد أغا يلح عليها  
ويستعجلها ، وهي تسوف وتتأمل المآذير لهذا  
التسويق

وفي عصر يوم من الأيام كان في حانوت الخشب  
القائم على حافة الرفأ من الجهة القابلة للدار ويده  
مقبض النارجيلة ينفث دخانها منه في الهواء ، وهو  
يفكر في أمر تلك الفتاة الحرون ، ويحسب كيف  
- وهو القوى البطش القوى السلطان - تنبله  
على أمره ، وتضع نيتيه وبين ساعة العمر التي ينتظرها  
سداً من تلك الأسباب والمآذير ؟

وعند ذلك ثارت ثائرة وضعد الدم إلى وجهه  
فنبذ النارجيلة بعيداً ، ونهض مسرعاً نحو الدار غير  
شاعر بأن حركته هذه قلبت النارجيلة ، وبمرت  
قطع فخما المتهبة فوق أرض الحانوت

\*\*\*

في تلك اللحظة كانت نادر كل عند النافذة  
والشمس تؤذن بالغب ، وقد مدت على سطح الماء

ومنهما فانفجرت الفتاة  
غيظاً تقول : « نفقش  
عليه فين دلوقة والمخاليق  
ناعمة ؟ انت انهيتي  
والا إيه ؟ »

فلما يئست منها  
صبيحة صمدت إلى  
السطح ، وكان ضوء  
القمر يغمره ويغمر  
ماعليه من أحمال الحطب

## أَقْصِيْوْصِيَّةٌ مِّصْرِيَّةٌ لِلْأُسْتَاذِ فَخْرِي أَبُو السَّعُوْدِ

و ( كِزَان ) الدرة وأقراص ( الحِلَّة ) ، ويمتد إلى آخر  
البلدة . وكان يقوم في وسط البلدة منذ ثا الجامع القبلي  
وجامع العملة البحري وتترامى من بُعد أشجار  
السرو والنخيل ، وأحدرت صبيحة عدداً من  
الدرجات ومشت إلى الباب وفتحت قليلاً قليلاً .  
فلما تأكدت من انقطاع الرجل خرجت تتلفت يمنة  
ويسرة ، ثم دلفت إلى الطريق الواسع وكان يسير  
محاذاً فضاء كبيراً تمتد فيه البدار ، وما تزال النوارج  
قائمة فيها كالأشباح القابعة وسط المحصول وتسلك  
بجانب الحيطان متضائلة ملهمة ثيابها لا يبدونها إلا عين  
أو عينان حتى صارت على مقربة من دكان قائم بجانب  
جيزة ضخمة ، تبسط أمامه بركة واسعة تتلأأ  
كالفضة في ضوء القمر الصافي ، ووقفت صبيحة على  
مدى تستمع إلى حديث القوم التجمعين أمام الدكان  
لعلها تميز صوت ابنها ، فقد كان من عاداته أن يسهر  
هناك ، ولكن لم يطل بها الوقوف حتى لمها القوم ،  
واتصب أحدهم قائماً فسطع ضوء القمر على مقدمة  
ليده وفوهة يندقيته المذلة خلف كتفه ، وصاح :  
« مين اللي هناك ده ؟ » فارتدت صبيحة على أعقابها  
مسرعة إلى الدار ، ولكن الخفير أرتاب في أمرها  
ولاحقها أمراً بالوقوف مهدداً بإطلاق النار ، فلما

كان القمر يري شعاعه من طاقة في الدار على  
جسم مضطجع بين الجلوس والرقود ، مشتمل  
بجلايب سوداء ، ومضى هزيع من الليل وقامت  
جلبة بين الأوز في حظيرته ، فالتفت صبيحة من  
غفلتها بين النوم واليقظة ، بين أحلام النوم الخفيفة  
وهواجس اليقظة المؤلمة ، ورفعت الثوب عن وجهها  
فدا جيلداً فاتناً أبيض مملياً ، وإن كان الهم والقلق  
مرتسمين في عينيها ، وقامت إلى جانب من الترفة  
مظلم قليلاً ، وكانت تستطيع أن ترى من بعد أن  
الفرش الذي أعدته هناك كان ما يزال كما أعدته  
لم يس ، ولكنها لم تقتنع حتى تحسسته بيدها  
فوجدته خالياً

وتهدت وأتمجت إلى جانب آخر من الحجرة ،  
فعمرت بجسم متمدد فأهوت إليه تهزه قائلة :  
« مبروكة ، بت يا مبروكة ، احصي يا بت أخوك لسه  
ما جاش » ، فالتفت الفتاة بمض اللبثاء وقالت :  
« طب وأنا مالي ؟ حا عمل له إيه ؟ » ومشت صبيحة  
إلى رف غائر في الحائط فاستخرجت منه حبراً بها  
الرفية القديمة العهد ، فالتفت بها وعادت تلق  
مبروكة التي كانت قد انقلبت إلى جانبها الآخر وراحت  
نومها ، قالت : « قومي يا بت نوسيني ، قومي نفقش عليه »

أدر كها كشفت عن عينيها قليلاً ونظرت إليه  
فارتد الرجل التهمري وقال: «سا الخير يا أم  
إمام» فسأله هل رأى إماماً؟ فأجابه بالنفي،  
فتركته وأسرت عائدة، ووقف الرجل يتأملها  
ملها وهي تتعبد عنه، ثم عاد إلى رفاقه وهو يتحرق  
أسى على أن لم يطل حديثه معها أكثر مما كان،  
وجعل يصف لأصحابه سحر عينيها وفتنة منظرها  
وتأثير كلماتها ويبدئ ويبيد في ذلك، وقد أثار  
وصفه لهفة القوم فاستراحوه، وراح كل منهم يصف  
كيف رآها مرة وكيف سحره جمالها، ولا غرو  
فقد كانت صبيحة مازال تحتفظ بجانب وافر من ملاحتها  
جسم ووفرة عقل وشجاعة قلب، وما تزال تذكر  
كيف كان في صفه يتحمل من الآلام ويؤدي من  
المهمات ما ينكل عنه أخوه، فهو يوم طعنا ضد  
الجدري تحمل مضاع الحجام بمنتهى الثبات بينما ملأ  
أخوه الدار صياحاً، وهو كان يطوع بالخروج  
ليلاً لشراء التبغ لأبيه حين يفترق أخوه من  
مجاورة عتبة الباب، وهي لا تنسى كيف أرسلهما  
يوماً إلى السوق الأسبوعية وعهدت بالنقود إلى جابر  
لكبره، فعادوا وقد غبن جابر في الصفقة، ولما أزداد  
أن يعطيهما بقية النقود اتضح أنه قد فقد الكيس  
في عودته، فأرسلت إماماً إلى السوق مرة أخرى  
فأعاد إلى الجزار لحمه اللين، وفي عودته عثر على  
الكيس على قارة الطريق، وكان من حسن الحظ  
أن لم يره أحد من المارة في ذلك اليوم المزدحم  
وازدادت صبيحة تعلقاً بصغيرها لما مات أخوه  
وصار إمام وحيداً، وقد واطب أبوه على إرساله إلى  
مكتب القرية حيث حفظ جانباً كبيراً من القرآن  
الكريم، وكان خاله العمدة يستطيع الاستماع إلى  
تلاوته، ولما على بزم أبيه على قطعه عن المكتب  
واستلحاقه في عمل المزرعة، أسف وهم أن يشير على  
زوج أخته بأن يكمل تعليم ابنه، ولكنه كان يعرف

أدر كها كشفت عن عينيها قليلاً ونظرت إليه  
فارتد الرجل التهمري وقال: «سا الخير يا أم  
إمام» فسأله هل رأى إماماً؟ فأجابه بالنفي،  
فتركته وأسرت عائدة، ووقف الرجل يتأملها  
ملها وهي تتعبد عنه، ثم عاد إلى رفاقه وهو يتحرق  
أسى على أن لم يطل حديثه معها أكثر مما كان،  
وجعل يصف لأصحابه سحر عينيها وفتنة منظرها  
وتأثير كلماتها ويبدئ ويبيد في ذلك، وقد أثار  
وصفه لهفة القوم فاستراحوه، وراح كل منهم يصف  
كيف رآها مرة وكيف سحره جمالها، ولا غرو  
فقد كانت صبيحة مازال تحتفظ بجانب وافر من ملاحتها

\*\*\*

ولدت صبيحة في بيت عز، فقد كان أبوها  
عمدة القرية ثم خلفه أخوها بعد موته، فنشأت  
مذلة ناعمة، وعرفت بالجمال البارع من صغرها،  
وجيلت روحها على الروح والحبور، فكانت قرة  
عين أهلها ومتعة نفس من رآها، وكان السرور  
والضحك يتبعانها حيث ذهبت، تبسم لكل من  
رأت وتدابع كل من عزفت؛ على أنها ما كادت  
تبلغ العاشرة حتى خيف عليها من الحاسدين والأشرار  
فأسدل عليها الحجاب الذي هو مزة بنات الأعيان  
في الريف، ولكن الحجاب لم يتغلب على الحبور  
الركب في طبعها، فكانت تنتم كل فرصة في أطراف  
الليل والنهار لمجالسة أربابها ومفاكة قريباتها  
وتكاثر خاطبوها لما كان يملأ القرية كلها من  
حديث جمالها ولطفها، ثم فاز بها مزارع غني كان  
أبوها القاني في حاجة إلى معوته ليتخلص من بعض  
ديونه، وكان ذلك الزوج، على ثقاه واستقامته، شكس  
الطباع غيوس الوجه صارم العادات، لقيت صبيحة  
المرخة المطراب في معاشرته عناء، وكبحت ميولها  
كبجاً، وبدأ الوجوم وشرود الدهن يملآن عمل  
مرحها وسرعة بديتها؛ وكانت أحياناً تنفيق بأفماله

والحرية والتسليم، وكان وهو يتقلب في فراش الداخلية الناعم يتوق إلى الانسطجاع على قبة الفرن، وإلى الاستيقاظ صباحاً مع الطيور المزدردة والأشعة التوهجة، فإذا دنا موعد إحدى العطلات راح بعد الأيام عدا وعاد إلى أهله مسرعاً فثقلته أمه بذراعيها مفتوحتين وتضمه ضمّاً طويلاً تشفي قلبها وتدفئ صدرها بقربه وكان يقضى العطلة في بهجة مستمرة، يقضى النهار في الحقول يساعد أباه ويقلد الفلاحين في كل ما يفعلون، يسوق الماشية ويركب النورج ويمزق الأرض، ويدبر البدالة لرى الزرع، ويضطلع معهم ساعة القياولة تحت ظل الشجر، ويؤاكلهم ويستمتع بأغانهم وينصت إلى حكاياتهم، وهم أشد منه جواراً بوجوده بينهم، وأشوق إلى الاستماع إليه. كان يفيطهم على حياة الطبيعة والحرية التي يحبوها، ويود لو يستبدل الفأس والمقطف بالقلم والكتاب، وهم يغبطونه على حياة الراحة والدعة والنظافة والتنوير التي يحياها ويتمنون لو استبدلوا بحياة الكد المستمر حتى إذا ما قاربت العطلة نهايتها بدأ يعاوده الهم وينكسف باله؛ وتبدأ أمه في الخبز والطهي والشراء والحزم والربط، مُعدّ له زاداً وفيراً من طيبات الريف ينتظره زملائه بفارغ الصبر، وتودعه وبودعها وعبرتهما تجري، وتظل أياماً بعد ذهابه حزينه القلب دامية العين، وينظر أياماً بعد عودته إلى المدرسة وابتداء الدراسة كثيباً أسفاً على دنيا السعادة والحبور التي خلفها وراءه، مشتاقاً إلى العودة إليها، مستغفلاً كل علم، مستزداً كل معلم، نافراً من حجة زملائه التائرة، ميالاً إلى العزلة، حتى يتضاءل صدى الريف في ذاكرته شيئاً فشيئاً، وينغم في الجوى المدرسي من جديد

وإنه ليلب في الفناء مع زملائه يوماً إذ دعاه ضابط المدرسة وسلمه رقية، ففضها وقرأها فإذا هي تنمى إليه والده، تخف سريعاً إلى قريته فوجد

نفسية الرجل، كان يعلم أنه يتعمد مخالفة إشارته كبرياء وخشية أن يقال إنه ينفاد لأرائه ويأتمر بأوامره لكونه العمدة

وكان للعمدة صديق متعلم من أهل المركز يزوره بين حين وآخر، وكان يحب إماماً حب العمدة إياه ولا ينسى أن يتحفه بهدية كلما جاء، وقد ذكر للعمدة لصديقه هتماماً ما اعترمه أو ما فقهه فعلم الشيخ إبراهيم، من قطع إمام عن المسكب وتشغيلة في الزراعة، فنهض هام اقتدى إلى أبي الولد في حقله، وكان هذا الأخير يجله ويحبه لعطفه على ابنه، وبعد أن لاطف هتمام الغلام ودفع إليه هديته المتأخرة، قال لأبيه مترقفاً في الخطاب: «ابنك ده خسارة في الغيط يا شيخ إبراهيم، ابنك ده ح يتيق باشا انشاء الله، تماال يا امام باشا!»، فوقع قوله من نفس الرجل موقعاً حسناً، وزقت أساوره طرباً وقال: «انت تشوف كده يا حضرة الافندي؟» قال: «امال؟ باذن الله يمكن مصر تتحرر على يديه!»

وكان الغلام يعلم أن هتماماً يتحدث امتداداً كبيراً فأطرق خجلاً وإن لم يدر معنى كلمة «تتحرر» هذه وحار في تفسيرها، وظنها مشتقة من «الحر» ولم يدر أي علاقة له بمصر، وإنما ظن أنهم يريدون إرساله إلى مصر القاهرة للتلم، وظل بعد ذلك كلما رأى هتماماً يذكر كلمة «تتحرر» هذه، ويهمهم أن يسأل عن معناها، ولكنه يثنى خجلاً، واشترى له أبوه كل ما يلزم، وتوالى همام إدخاله المدرسة الابتدائية بالمركز، وانتزع من حضن أمه انتزاعاً، ولم تكن لترضى بمفارقه لولا سرامة والده التي لا تقبل اعتراضاً، ولولا لقب الباشوية المنتظر

وغاب إمام عن أمه شهوراً، وكان لا يعود إلى القرية إلا في عطلات العيد ونصف السنة والصيف وكان رغم تفوقه المستمر على زملائه بمقت قيود التعليم ويحمن إلى العودة إلى القرية، إلى الحقول والترع

وعودته إلى القرية ، وكان في كل مرة يخرج لأمه عذراً مختلفاً ، من ادعاء العطلة أو التظاهر بالاجتراف فلا تفلظ عليه بل تسرها رؤيته على كل حال كان امام قد دخل في سن المراقبة الذي تتميز فيه طبائع الناشئ تنميراً كبيراً وتبديل نظره إلى الحياة ، وكان قد نما جسمه وامتدت قامته وصار شديد العناية بمظهره ، وكان في تلك المرحلة الخطيرة من حياته في حاجة إلى يد حازمة تلزمه جادة الصواب ، وكان خاله يعلم ذلك ولكن كل جهوده ذهبت هباء أمام حنان الأم الجاهلة المفرط ، وانهى العام الدراسي بسقوط امام في امتحان الشهادة الابتدائية ، وعلم بسقوطه وهو في القرية فأعلن أنه لا يريد مواودة الدراسة ، وأصر على البقاء في القرية لإدارة أملاكه التي ورثها عن أبيه

وضرب بنصائح خاله وبفضبه عرض الحائط وتولى بنفسه تأجير الأرض وأشرف على بعضها بنفسه ، وبذل في ذلك كل جهده ، وأقبل على العمل بحبه التماسل لأعمال الفلاحة ، وساعده تنوره الذي اكتسبه من الدراسة بحيث نجح في أعماله في السنة الأولى نجاحاً طار له لب أمه فرحاً وطال عنقها تبها ، وكان حديث أهل القرية ، وفرح له العمدة ذاته وازدهى وزال ما كان بينه وبين ابن أخته من فجاء ، وصار امام محبوب القرية ومكان الاحترام من شيوخها وموضع الحبة من شبانها ، ومطمح أبصار قتياتها ، وما لبث أن صار له من أولئك أصحاب ومن هؤلاء صاحبات

غير أن من صفات الشباب غير المحرب الترجيح بين الطرفين ، والتراوح بين التقصين ، فأعقب النجاح الذي أصابه امام في عامه الأول دماراً شديداً في عامه الثاني ، فقد اندفع في طريق الاسراف والتبذير ، وباع في شراء فاخر الثياب وأنيق الأثاث وزاد فأولم الولائم وذاق الخمر وأدمن السهر وغفل

معالم المآثم قد قامت حول داره ، ودخل إلى أمه فقامت إليه تضمه وسط عيراتها المتدفقة ، وكانت قد أبست ثياب الحداد السوداء وشدت على رأسها منديلاً أسود بدافيه وجهها الأبيض شديد الفتنة ، وكانت هي التي أصرت على استدعاء امام بينما كان خاله العمدة يرى ألا يزيج الغلام بهذا الخبر فجأة ولا يقطع عن دروسه في غير جدوى ، ولكن عاطفة أمه التي آثارها هذا المصاب المفاجئ لم يكن يبردها إلا أن تعمزى برؤية ابنها امام وضمه إلى صدرها ملياً استمر المآثم أياماً وتوافد إليه المزون من أطراف البلدان المجاورة ، ثم انقضت معالم الحداد وصرا أسبوع وتلاه آخر ، وإمام وأمّه يواظبان على زيارة قبر والده والتصدق على الفقراء عنده وتلاوة القرآن ، وتولى العمدة النظر في شأن الأملاك التي تركها المتوفى ، وترك امام إليه أمر إدارتها وتأجيرها لمن يشاء ، إذ لم يكن امام إلى ذلك الوقت إلا حدثاً لا يهتم إلا بمتعات الحياة الرُّوحية ، ولا يلتفت إلى المادة ولا يحفل بالسال ، واستمر القمام بالريف واستراحت أمه إلى وجوده بجانبها ، وكانت رؤيته بقوامه المعتدل وزيه الحضري تملأ نفسها غبطة وتعمزها غن فقدان بلعها ، وهي التي لم تلق من بلعها في حياته ما تطمح إليه أنوثتها من عطف ورعاية حتى لمح العمدة ابن أخته يوماً يساير بعض الفتيان من سنه ، فمجب من استمرار إقامته في القرية ، وفي عصر ذلك اليوم زار أخته في دارها وألح عليها وعلى امام في ضرورة عودته إلى مدرسته ، وكان امام يهاب خاله ويستحي منه فلم يسهه إلا الإذعان على كرمه ، بيد أن العطلة الصيفية مالبثت أن حلت وعاد امام إلى القرية كعادته ، ولم يرجع إلى مدرسته في مستهل العام الدراسي إلا بعد إلحاف خاله الذي دفع له المصاريف وأعد له كل شيء ، ولكن تكرر بعد ذلك انقطاعه عن المدرسة



عن الميرى وشرة» ، قال : « مش انت ياولية الى عازره الوصاية على ابنك قبل ما يفترك القدانين ؟ »  
 قالت : « يفتركهم يفتركهم فدهاء ، وصاية على مين ياخويا خلا الشر ؟ ذابقي ماشاء الله طول وعرض .  
 الى ما حجرنا عليه وهو عيل ح نحجر عليه بعد ما بقى أطول منك ؟ »

بهت الرجل لهذا التناقض السريع الذى لا يقدر على مثله إلا النساء ، ولا يكاد يتصوره الرجال ، وكان رغم إخلاصه لأخته وابنها وحرصه على مصالحهما ، يتوقع بعض الفع من وراء إدارة أملاكهما الواسعة وأحس الآن أن خوف أخته من انتفاعه بالأرض هو سبب تغييرها رأيا ، وغاظه تنبهها إلى نيته ، وهاجها ارتياها في ذمته ، فقام غاضبا وهو يقول :  
 « أما انت يا صبيحة زديتها لحد ما خليني الواحد مش عاوز يبص ف وشك ! ليه ما قلتيش كده قبل ما اسى واحق ؟ أودى وشي فين دلوقت من الناس الى اترجيتهم ؟ معلش ، النوبة الحالية ابقى تف ف وشي إذا كنت اتحسر لك في حاجة والا أعتب باب دارك حتى »

وكان أخوها لا يزور بيتها في حياة زوجها لما كان بين الرجلين من تدابر ، فلما مات الشيخ ابراهيم أصبح العمدة يتردد على صبيحة من حين إلى آخر يؤانسها وينظر في حاجاتها ، أما بعد ذلك اليوم فإنه برّ بقسمه ولم يدخل بيتها بعد ذلك ، ولا يدخل في شؤونها التى سارت من سي إلى أسوأ - فإن إماما تمادى في غيه ، وأتى التبذير والشراب وزياراته للقاهرة على فدادين أياه واحدا فوحدا ، فلم ينقض عامان حتى تلاشت تركه أياه التى تركها باسمه ولم يكتب قيراطا واحدا منها باسم زوجها ، والتفت الشاب إلى حلى أمه يسرقها تارة ويحتال عليها فيها طورا وينتصبها لإياها حينما ، حتى أملت الأسرة وصارت في شر حال ، وتقلصت عن المار ظلال النعماء ،

هن شؤونه ، وكانت أمه تنصحه نصحا ضعيفا يفرى بالتمادي ، وتمانه ممانه أنثوية تحرض على المناد والاسترسال ، وكان التعليم الذى ظفر به وحبره - أنه قد رفع عقليتها عن عقليتها درجات ، وزاد قوة إرادته على إرادتها أضعافا ، وأصبح ينظر إليها من عسل نظرة بمازجها الرئاء والازدراء

وما راعها إلا أن علمت ذات يوم أن ابنها قد باع فدانا وقبض عنه منذ أسابيع ، فهرعت إلى أخيها تستنجده ، فأشبهها تعنيفا على أن لم تستمع إليه من بادى الأمر ، وأكد لها أن ابنها لن يفلح إلا أن يعود إلى دراسته ويثابر على ما أعد له وعرض عليها أن يتولى الوصاية عليه ويميده بالرغم منه إلى المدرسة ، ويتولى عنهما إدارة أملاكهما حتى يشب الفتى فيسلمها إليه ، فارتاحت إلى ذلك الحل وشكرت أخاها ودعت له خير دواء ، وقصد العمدة من غده إلى المركز واتخذ الإجراءات التهديدية وقابل بعض أصحابه ليساعده على إنهاء العمل بالسرعة المنشودة ؛ بيد أن الخبر تسرب إلى إمام ، فتودد إلى أمه وقدم إليها ما بقى في يده من عن الفدان الذى باعه ، وأعلن توبته عن كل ما لا يرضها وأكد لها أنه سيجر أصحابه الذين لا زهم في أيامه الأخيرة ويعود إلى الاستقامة التى كانت سبب نجاحه الباهر في عامه الأول ، وخيل الفتى لأمه أن غرض خاله إنما هو الانتفاع بالتصرف في أملاك أياه ، ثم وضع يده عليها نهائيا

وجاء العمدة بعد أيام يزور أخته ويشرح لها ما اتخذ من خطوات ، وطلب إليها أن تستمد في النقد لتراقفه إلى المركز للشهادة وإتمام كل شيء ، فقالت : « أنا مش رايحه ولا جاية ، ح تقعد تجر جرنى فين ؟ » قال : « ما فيش جر جرّه ولا غيره ، دى كلة وارد غطاها ، عشان شغل الميرى كده » قالت : « وأنا إيش زفتى على شغل الميرى ؟ خلي بيده »

وجابوه صدى ضعيف من المؤذن الآخر على الجامع القبل: «حي على الصلاة! حي على الفلاح!»، ومنهضت أم إمام من جلسها، وودت أن تستطيع الصلاة، فستسفر لابنها وتسال الله أن يهديه، ولم توستل إلى زوجها في حياته أن يعلمها الصلاة، فكان يسخر منها ويقول: «ما بقاش إلا النسوان كان رح يصلاوا؟! بكره يعملوك إمامة جامع والامأذونة!»، وإذ حُرمت المسكينة هذه الوسيلة للاتصال بخالقها، لم تجد أمامها إلا الرُّق والتعاويذ والبخور والنذور، وقد أفنقت على هذه الأساليب السحرية — قصد هداية ابنها — كل ما استطاعت أن تخفيه عنه من دراهم

وخفقت أقدام الناس في الطريق مسرعين إلى الجامع، فلم تر أم إمام بدا من الارتداد عن الباب بعد أن قضت الليل في عناء ولم تقفّر بطائل، وإذا شاب طويل القامة حسن النزة بلبس (كوفية) بيضاء وحول كتفيه عباءة ثميثة وفي يده (بارودة) ذات (ماسورتين) يندفع إلى الباب، وقبل أن تراه أم إمام على الضوء الضئيل الذي كان مضيئاً من شمع القمر الغارب وشعاع الفجر المستهل، دفع إمام الباب بيده القوية فخطها الباب في جهتها، فلما تنبه إلى وجودها صرخ في وجهها: «خبر إيه ياويله؟! انت برضك ما مبرألي هنا زي أم قويق؟! أنا غرضي أفرغ البارودة دى في بطنك في يوم من ذات الأيام!»، ودخل بخطى رحبة قوية، ودخلت وراءه مهرولة ويدها على رأسها وهي تقول: «الحمد لله ياخويا اللى جيت بالسلامة! ألف حمد! دانا كان على نافوخي كابوس وطار، أجهز لك لقمة ياخويا ما كلها؟»، قال: «جاكي سم ف بطنك! غورى عن وشي بلاش دوشة أنا عاوز أستريح شوية، وإلاك انت والا النجر بتوعك اللى بيبجوا هنا يدوشوني أقوم أقطع اصداغكم!»، ومشى إلى فراشه الذى كان ينتظره طول الليل، وعلق البارودة على الحائط، وأخرج

وارتدت كالحقة حقيرة المحتويات، فارغة الخطيرة إلا من بعض دجاجات وأوزات ولما أعيت إماماً الحيل في الحصول على النقود أبحر بالمخدرات فرج منها أموالاً طائلة، وكانت له في تجارتها مغامرات كثيرة، واستهدف لأخطار لم يُنجه منها إلا ذكاه حيناً، وإغضاء خاله حيناً آخر، ثم تمادى في الفتك فصار يسطو على الدور ويسرق النافلين؛ ثم أسرف فصار يؤجر نفسه لمن يريد ليقول من يطلب إليه قتله فظفر عشرات الدنانير وكانت مواهبه الجسمية والعقلية المشهود له بها منذ الصغر خير موان له على اجتراح آثامه، وصارت له في القرية رهبة محوطة بالأجرام، بعد أن كانت له هبة محفوفة بالمعاف والإحباب، ولم يعد أحد يمرح على الوقوف في طريقه، مخافة لظلماته القوية نهراً: أو نار بندقيته في غلس الظلام

\*\*\*

عادت أم إمام بعد ععادتها القصيرة مع الخفير الذى برز لها من دكان متولى إلى دارها، ولكن الفزع كان مستولياً على نفسها، والرحلة القصيرة ونسيم الليل المنعش قد نهب أعصابها، فلم تحس حاجة إلى النوم، وإنما وقفت برهة وراء الباب الموارب ترقب الطريق، ثم تبعت فجلست في مكانها وعيناها شاختان إلى الخارج، ونسيم الليل البارد يضرب حديقها وأنفها فتفرورق عيناها بالدموع، وطال بها الجلوس ومال القمر إلى الأفق وسخت لونه، ثم تعالى أذان الفجر من المئذنة البحرية يشق أجواز الفضاء فيزيد السكون خشوعاً ورهبة، وانتهت أم إمام على صوت المؤذن الصارخ، فإذا هي كانت قد غلبها الناس في موضعها، وقد حلت أكثر من مرة أن إماماً قد عاد وأنها عانتبه على طول تقيمه، وكانت مرة تراه نادماً بعد ما بالافراع، ومرة تراه صاحباً يسكتها ويتهدها وتتابع الأذان: «الله أكبر! الله أكبر! الله أكبر!»،

الرزق من وجوهه الحلال ، والرخص بالقليل المبروك  
عن الكثير المحفوف بالمالهك ، ولكنها كانت تحشى  
سورة غضبه إذا تقدمت إليه بثل ذلك المقال ،  
فجلست تحدث نفسها أمام الموقد بما تود أن تحدثه  
وتقول : « ارجع بق يا ابني يا حبيبي ! ليه بس  
الشقاوة دي يا ابني الله يجازي اللي علموك الشقاوة !  
حرام عليك دانا عيني ماقت بتدوق النوم ، طول  
الليل وأنا قاعدة على العتبة زى الكلبة ! »

وحانت منها التفاتة فإذا إمام واقف وراءها  
بقامته المديدة مطرق نحوها في فهم ، وكان قد  
سمع طرفاً من حديثها مع الفتاة وزل السلم قبل أن  
تحس به أمه ، فلما رآه أجهلت وفتلت في صدرها  
قال : « خير إله يا وليه ؟ انت بتسخرق ؟ »  
قالت : « بسم الله الرحمن الرحيم ! طربتي يا إمام  
يا ابني ؟ أنا بجهز لك لقمة أهوه ، احنا بقينا الظاهر »  
قال : « دقي في شوية ميه استحمي على ما أوصل  
لحد دكان متولى وارجع ، وحضري على هدى عشان  
رايح مصر ، وهمت أن تسكلم وتطلب منه ألا يذهب ،  
وهمت أن تبقيه ولكنه تركها بمخطواته المديدة وخرج  
ولم يكده يصل إلى دكان متولى ويطلب تعميره ،  
حتى أنه خفي يطلبه لموافاة العمدة في الدوار ، وفي  
الدوار وجد ضابطاً وبعض الجنود في انتظاره ورأى  
بعض زملائه من الأشقياء مناولي الأيدي ، ورأى  
العمدة جالساً يرمقه بنظرة يتطار منها الشرر ولكنه لم  
يخف ولم يتلعثم ، وأنكر الاشتراك في جريمة البارحة  
أو في غيرها ، رغم اعتراف الآخرين بعد أن جهوا  
بالشهود وصب عليهم الضابط بسوط عذابه ، وأراد الضابط  
أن يامله معاملة الآخرين ، فطاول على قدميه يريد  
أن يصفعه ، ولكن إماماً دفع يده في هدوء وقال :  
« خليك في أدبك يا أفندي ولا تمدس إيدك عليّ »  
ودهش الضابط إذ رأى نفسه هذه المرة أمام  
شخص متملم يحترم نفسه ويأبى أن يضرب ضرب

من جنبه صرة مفعمة وضنها تحت وسادته ،  
وتنهدت أمه وهي تراقبه ، وخلع حذاءه وجلبابه ،  
وجر الحاف على جسمه واستغرق في النوم  
وبدأت خيوط الصباح البيضاء تنتشر في كل  
مكان ، وراحت العصافير تسقسق على عيدان الفطن  
الجافة فوق الدار ، ومشت أم إمام إلى ابنتها مبروكة  
وأيقظتها في رفق ، وأمرتها أن تأخذ (القطف) وتلحق  
بزميلاتها ، فقد كانت صواحبها قد وعدنها بالمرور  
بها صباحاً لينهين سويا إلى السوق الأسبوعية ،  
وخشيت أم إمام أن يزيع ابنها دقن بالباب ولنظهن .  
وغسلت مبروكة وجهها في عجلة وصمت وعبوس ،  
وخرجت دون أن تتحدث أخاها أو يحادثها ، ولما  
كانا يتقابلان أو يتحادثان ، بل كان بينهما حفاء  
ووحشة ، وكانت مبروكة تتق شره بمجانبته

وظلت أم إمام تروح في الدار ونجي وتصد  
وتهبط ، تنجز أعمال الدار ، وهي التي لم تعد معظم  
حياتها أن تمد يدها إلى خيس الأعمال التي تراوها  
الآن ، حتى اعتدل ميزان النهار ، وجاءت بنت  
جارتها تستعير منها المنخل ، وشرعت تقص لأم إمام  
قصة طويلة فطلبت إليها هذه أن تخفض صوتها ،  
وأخبرتها الفتاة أنها قد عادت من السوق حيث  
سمعت الناس يتحدثون بمقتل شيخ البلدة المجاورة  
على يد عصابة من الأشقياء سرقوا معظم ما وصلت  
إليه أيديهم من أمواله ومتاعه ، فذق قلب أم إمام  
كماداتها لدى سماعها خبر جريمة أبيه كانت ، مخافة أن  
تكون لابنها يد فيها ، حتى لقد صارت إذا حدثها  
محدث في أمر جريمة اقترفت تحس كأنه يتهم ابنها أو  
يتهمها هي بإرتكابها وتهم بالفاع عن نفسها وعن ابنها  
وسجلت إلى الموقد توقده بميدان من الحطب  
(وقال الدرر) ، وتروح على اللب بذيل جلبابها وتنفض  
فيه بفمها ، وفكرها سارح في الأوهام والمخاوف ،  
وودت أن تنصح ابنها بالافلاخ عن غيه وابتغاء

الاشقياء أمامهم ، وظل العمدة في المركز طول النهار فلم يحد إلا في المساء ، ودخل داره وسار إلى السلم ليصعد إلى غرفته وما فوق همه ولا بعد غضبه غضب ، كان على حالة لا يداينه فيها ولا يكلمه أحد انتقاء شره ، ولكن أخواته الجمجمات في فناء الدار وفيهن أم إمام هبتن دفعة واحدة حين رأيته ، وقد قضين اليوم في مريض وانتظار وتجرع إلى أخبار إمام ، وتقدماتن اليه وفي طليعتن زوجه التي قالت وهي تمد يدها متذلة : « والهي يا غدي ! » وعند ذلك انفجر سخط الرجل فركلها مبيداً وصاح فهين : « إخرسي يا سره إنني وهيه بلاش دجل نسوان ! سودتوا وشنا قدام الخلق ، جاكروا أرف في تريتكوا ! ياريت يا يدي وأنا كنت اطلع المشقة بنفسي ! »

\*\*\*

وتناولت أدوار القضية وانتقلت من المركز إلى القاهرة ، وأم إمام في لوعة وتكد لا يهدأ ، تمد الأيام وترقب صدور الحكم كما يرقب الوراق من البراءة ، وقد تضعضع جسمها في الحول الذي مضى على ذهاب ابنها ، وذوى جالها ، وغاض ما بقي من بشرها ، وكان قد تقدم إليها الخاطبون بمددمات زوجها فردتهم جميعاً احتفاظاً بشرفها فإن معاودة الزواج لا تليق بالحرائر في ذلك المجتمع ، لا سيما إذا كان لهن أبناء ؟ وأخيراً أتتها نياً الحكم وهو السجن خمسة عشر عاماً ، فطلعت خديها وقالت : « يا ضنايا يا عقل امك يا ابني كده خالك يريك الرمية دي يا ابني ! » قالت ابنتها مبروكة : « وخاله ذنبه ليه ؟ خاله قال لك خليه في مدرسته كان زمانه اتعلم وبني واحد أفندي بشرح القلب زي ابن الحاج سرحان ! » وكان الحاج سرحان هذا هو شيخ البلد ، وكان ابنه مطمع فؤاد مبروكة التي كبرت ولم تتزوج بعد أن تدهورت أسرتهما هذا التدهور ، أما العمدة الذي اتهمته أخته بري ابنها فلعله كان لا يقل عنها كدماً .

(٢)

اليهائم ، وفيما هو يفكر تقدم إليه شيخ البلد وهمس في أذنه أن الشاب ابن أخت العمدة ، فبدا الأسف على وجه الضابط ، ونظر إلى العمدة الذي كان مطرقاً صامتاً ، ولم ير الضابط حاجة إلى إطالة الموقف إزاء ثبوت الأدلة ، واستأذن العمدة في تفتيش دار إمام وعرض عليه العمدة أن رافقه ، ولكن الضابط أعفاه من هذا العمل المؤلم ، وكأنه كان يعلم يمين العمدة ألا يزور دار أخته أبداً أدفأت أم إمام الماء كما أمرها ، ولكنه لم يحد وطال غيابها وعاودها القلق ، فقد كانت حياة المسكينة سلسلة متعبة من الهواجس والخاوف ، وإنها لذلك إذ دخل إمام تخفق قلبها ونظرت إليه نظرة البشر والأسف والاستعطاف المترجئة التي اعتادت أن تستقبله بها ، ولكن ما راعها إلا دخول الضابط وجندي وخفير في أثره ، وطلب منها أن تخل الطريق ، فتقهقرت أمامه مذعورة ، ثم صاحت وهي تنكش في بعض الأركان ، وتخفي وجهها بطرف وشاحها : « كده يا إمام مش قلت لك أرجع كده جه كلام الأم في محله والا لا ؟ تستاهل ! والله بركة ! لاجل تعرف وتجرع ! »

وسرعان ما خرج الجميع ثانية وقد حمل الجندي بتدقية إمام ورضاصه وصرة النقود التي كانت في ثيابه ، وما عثروا به من نقود صبيحة المسكينة ، ولم يلبث غضبها الذي ثار على ابنها أن تلاشى ، إذ رأيته يخرج أمامها وسط الجنود أغزل صامتاً ، فدقت على صدرها وقالت : « يا رومي يا ابني ! يا عقلي يا خويا ! واخديني على فين يا ابني ؟ سايني ورايح فين يا امام ؟ » وهمت أن تخرج جارية وراء القوم ، ولكن خفياً كان قد تخلف بالباب بإشارة العمدة أو إشارة الضابط لينبهما من الخروج ، وكان هو الخفير الذي قابله في ضوء القمر ، فذابت نفسه حسرة لما رأى في وجهها الجليل من أمارات الجزع والوله ، وذهب المحقون وفهم العمدة إلى المركز يسوقون

بينها وبينه إلا خمسون يوماً، وكانت دائبة تربي  
 الدجاج والأوز وتناجر فيها في كل سوق أسبوعية،  
 وتجمع لها الحشائش من شطوط الترع وأطراف  
 الحقول، وتقتري علي نفسها وتدخر لإمام  
 وعملت من سجين عائد أن زيارة ابنها ممكنة،  
 فها هي إلا أن مشت إلى موسى زوج ابنتها التوفاة  
 تسأله أن يرافقها في تلك الزيارة، فأبى وتعل بكثرة  
 العمل، ثم رضى على شرط ألا ترافقه وأن يأتيها هو  
 بأخباره، فاحتفت بصنع أنواع المأكولات وحملها  
 الرجل على حماره ومضى حتى جاوز القرية المجاورة وقد  
 اشتد هيج الظهيرة وخلت السكك من المارة، وإذا  
 هو يحس إنساناً يتبعه، فالتفت فإذا أم امام سائرة  
 وراءه ممسكة بذيل الحمار تتجهد في ملاحقته، فقال  
 الرجل: «بسم الله من الشيطان! أنت طلعتي منين  
 يا شيخه؟» وألح عليها في الرجوع فلم يفلح، واضطر  
 إلى قبول الأمر الواقع، وانطلقا حتى بلغا السجن  
 وسمح لأهل المساجين بالمرور أمام سياج حديدي  
 يطل المسجونون من خلفه، ولا يسمح باتصال  
 الحديث بين الفريقين أكثر من دقائق معدودة، ولم  
 يكن إمام متعوداً أن يزوره أحد ولا كان ينتظر أحداً  
 ولكنه كان واقفاً بين المساجين يتفرج على ما يجري  
 بينهم وبين أقربائهم، وإذا هو يلع موسى نجاة  
 فتداه مبتسماً محمياً، ورأته أمه على ضعف بصرها  
 طويلاً يفرح الرجال الآخرين عظيم الشارين يدل  
 منظره على العتو والاعتداد بالنفس، فلوحت له بيدها  
 صائحة يقول ضاح بين لفظ الآخرين: «الحمد لله على  
 سلامتك يا إمام! إن شاء الله ترجع بالسلامة يا ابني!»  
 ولم يكد إمام بلحها ويميزها رغم شديد تغيرها  
 في أعوام سجنه، حتى اقتبضت أسأريه وأطبق فيه  
 بعد ابتسام وصاح في موسى: «أنت جاب دي هنا  
 ليه؟ روح يا سخي!» ودار وابتعد عنهما وغاب في  
 داخل السجن قبل أن يستطيع موسى أن يفتح فيه

لذلك الحادث، لا حزننا على إمام ولكن أسمى على ما  
 أصاب شرف أسرته وشرفه من مهانة، وقد أصيب  
 منذ ذلك اليوم بفالج كان يلزمه الفراش من حين إلى  
 آخر، وكان الحاج سرحان يقوم عنه بأعمال القرية  
 الرسمية، ويتمنى موته من يوم لأخر كي يحل محله  
 نهائياً، وتم له ماتني، فمات العمدة كمداً وكان ابنه  
 ما يزال قاصراً، فانتقلت العمودية إلى أسرة سرحان  
 وبذلك اجتمعت المصائب على أم امام المسكينة:  
 فقدت ابنها وضاعت ثروتها ومات ذووها واحداً  
 بعد واحد، وذوى عودها وانحني، وتقدم إلى  
 مبروكه غاطب هو مريض أحد أصدقاء إمام قبلته  
 على مضض خافة ألا يجد سواء من بعده، وأقامت  
 أم امام وحدها في الدار، وقد تحولت تلك الزهرة  
 الياضنة التي زفت إلى الشيخ إبراهيم منذ نحو ثلاثين  
 عاماً عجوزاً شحطاً يقديك منظرها وتشتم من ابتسامها  
 إن هي ابتسمت كما تشتم من عبوسها، وما لبثت  
 ابنها بعد سنوات من الحياة الزوجية المنقصة أن  
 ماتت وفقدت أم امام آخر قريب، ولم تعد هي نفسها  
 إلا ميتة على ظهر الأرض، لا حديث لها إلا حديث  
 الحزن والحلم والتحصن على مافات، ولا تنتقل من ماتم  
 إلا إلى ماتم، ولا يطيب لها إلا البكاء والاشتكاء  
 وزيارة المقابر، وهي التي كانت في مقبل عمرها لا  
 تعرف إلا الضحك ولا تألف إلا الطرب

على أن أمل أم امام في الحياة مازال قوياً كما مال  
 أنفصر الشباب وأسعد الفتيات، يتمثل ذلك الأمل  
 في إمام، ويتجمع حديثها حول إمام، ويتطرق كل  
 موضوع تطرقه معها إلى إمام، فإذا قال لها قائل إن  
 نحن القدرة ارتفع، قالت إنه لم يرتفع هكذا منذ ذهب  
 إمام، وإذا سألتها سائل ألها مأزب في الحج قالت إنها  
 ستفعل متى عاد إمام. فبينما كان إمام بسوء مسلكه  
 في السجن وتمديه على السجنائين يطيل مدة مقامه فيه  
 كانت أمه تقصر هذه الدة في وهما، حتى لم يعد

وخرج هام من عندها مطرقة مبهوما يرم طرف شاربه الأبيض ، وقد هاله ما آل إليه حال أخت صديقه التي كانت من قبل مضرب الثل في الجبال واليسار ، وأخيراً رفع رأسه وقال للفتى : لقد أذبل الجهل والهم والفقر هذه المرأة قبل أوأنها ، كأضاع الجهل والاهمال مواهب ابنها هدرأ ، وإن من ظلم القدر أن يحظى أمثالنا من متوسطى الدكاء بنعمة التعليم ويتمتعوا بجزاياه ، على حين يحطئه أمثال ذلك الشاب الذي كنت أتوقع له مستقبلاً حافلاً لم يبق على عودة إمام إلا خمسون يوماً : ذلك ما كانت أم إمام تبحث نفسها به وهي سائرة على الطريق الزراعية ، تحمل على رأسها قفة قمح تريد أن تطحنه في ( وابور الخواجة ) ، وكانت قد ابتذلت حجابها منذ زمان وصارت تسير حافية ، وضعف سمعها وبصرها كثيراً ، وأنها لتتحدث نفسها بالفطائر التي ستخبزها لإمام من ذلك القمح ، إذ دهمتها إحدى السيارات التي بدأت تنتشر إذ ذاك في الأرياف ، فبطحتها أرضاً وبعثرت قصها بينما ويساراً ، ومُحلت المرأة إلى مستشفى البندر فاقدة للطق وبُلع الخبر القرية على لسان بعض المارين الذين شهدوا الحادث ، فأسرع موسى زوج ابنتها إلى المستشفى ، واستعادت المرأة وعيها برهة ، فقال موسى : « شد حيلك يا أم إمام ! » فتمتمت كأنها ترجع صدى قوله : « إمام ! » وكان ذلك آخر ما لفظته وأطبقت عينيها إلى الأبد ، وختمت حياتها الحافلة بالسناء وكتان الآلام ، وتجنشم القلق والخوف والاصطبار ، ومدارة الأحداث وإنكار الدات ، وطول الكد والنسي والتعلق بالآمال ، وعاد موسى يبحثها إلى دارها العتيقة ، وتكفل بتشييعها إلى قبرها ، ولاحظ أهل القرية أنه استعاد يساره بعد فاقة وعسر ، واشترى قطعة أرض راح يزرعها بهمة واجتهاد فخرى أبر السعور

بكلمة ، فالتفت إلى المرأة وقال : « عاجبك كده ؟ ! » أما هي فكانت تجفف دموع سرور وأسف معاً جرت على خدها الجمعد ، وقالت بصوت يقطعه البكاء : « على رأى اللى قال : قلبى على ابنى انظره ، وابنى قلبه عليه حجر ! » وتركها كولات تحت رحمة السجانين ، وعادت أم إمام منشرة الصدر قريرة العين ، تخبر كل من تراه أنها رأت إماماً وأنه عائد بعد خمسين يوماً وكان هام افندى قد نقل من وظيفته في المركز إلى بلد قاص منذ سنين طويلة ، ولم يشهد تلك التطورات المؤسية التي اختلفت على إمام وأمه منذ غادره غلاماً نجيباً في المدرسة ، ولعله لو كان حاضراً لكان له تأثير محمود في سير الحوادث ، والآن جاء لزيارة صديقه العمدة ففوجئ بخبر موته منذ سنين ، ولم يقابله إلا ابنه الفتى ، وروّع بأخبار الحوادث سالفة الذكر ، على أنه اختار خبر ما في حقيقته من زجاجات المرنى والشهد والمطور ، وعلب الجلولى والصابون ، وطلب من ابن صديقه أن يصحبه إلى دار عمته ليهدى إليها كل ذلك برأبها وبذكرى الأيام السالفة وعارض الفتى في إهداء كل هاتيك التحف الثمينة إلى تلك المعجوز ، وقال لهم افندى إنها لن تقدرها حق قدرها ، وهل يعرف الخمر طعم الخنزيريل ؟ ولكن هماماً أسر ، وفي الطريق اقتنع الفتى من تلك الهدايا كل ما استطاع أن يدسه في جيبه ولم يدُر الحديث بين هام وبين المعجوز إلا حول إمام طبعاً وحول عودته القرينة ، وأخبرته إخبار الوائى أنه لم يبق على عودة إمام إلا خمسون يوماً ، كانت تقول ذلك لحادثها وفي وهما أنها خمسة أيام أو خمس ساعات ، ولم تمس شيئاً من هدايا هام بل احتفظت بها جميعاً لإمام ، يأكل منها ويطيب يوم عرسه ، وخيأتها مع ثروتها التي كان يتحدث بها أهل القرية من أبناء الجيل الجديد ، إذ كان كثيرون يتقدون أن أم إمام تخبى في دارها التهمة كنزاً ثميناً

# السهم السراج

للكاتب الروسى أنطون تشيكوف  
بقلم السيد جويج ساستي

الطالع فيرمخ في التصيب،  
ولم يكن ليعتبر هذا  
النوع من الأمل إلا  
ضرباً من الهم الباطل،  
وهو لو كان في ساعة  
غير هذه الساعة لما  
أغار قاعة السحب  
اهتمامه قط . أما وقد

كان في فترة فراغ ، وكانت الصحيفة بين يديه ،  
فلا بأس إن هو راجعها ؟ ومن يدري ؟ فقد  
يسهو الدهر مرة في المعمر عن الرواية به ، وقد  
يسم القدر بسمه واحدة في الحياة ، وقد يكون  
هذه المرة من أولى الخط ، فلير إذن ولتتبع عيناه  
جدول الأرقام من أعلاه إلى أسفله واضعاً سبائته  
تحت كل رقم حتى لا يفوته التدقيق  
يا للسعد !

لقد برز الرقم ٩٤٩٩ في السطر الثاني من  
الجدول ، ولقد خيل إليه أن أرقامه ترقص أمام  
ناظره ساخرة من ارتياحه وشكّه ، هازئة به  
وبضعف يقينه وثقته ؛ فأخذته النشوة واستحوز  
عليه السرور ؛ ولقد ترك الجريدة تسقط من يديه  
على زكّيته دون أن يتحقق صحة ما قرأ ، ودون أن  
يدقق فيها إذا كان الرقم الذي ذكرته له وزجه مغلوطة  
فيه ؛ فقد أحسّ بطراوة منشفة تلج لها صدره ،  
وبنشوة مثيرة عذبة انتشيت لها وطرب  
وتتمت شفتاه بصوت خفيض :

— ماشا ! الرقم ٩٤٩٩ مدرج في الأرقام  
الراجعة

لم يكن ( إشان ديمتريش ) ميسوراً في حياته  
ولا معسوراً ، ولا كان ربّ ثراء يعيش منه في  
نعيم ، ولا أخافقه يشكو العوز والفقر ؛ وإنما  
كان يحيا حياة رضى هائلة براتب سنويّ قدره  
ألف ومائتا روبل . ولم يكن طموحاً بعيد الأحلام  
بل كان قائماً بحظه من دنياه راضياً بقسمته منها  
ولقد كان جالساً بعد العشاء على الأريكة يتصفح  
جريدته ويطلع أبناءها عند ما قالت له زوجته وهي  
ترفع الساطع عن المائدة :

— لقد فاتني أن أقرأ الجريدة اليوم ، فانظر  
يا إشان فلفل الأرقام الراجعة منشورة بها فأجابها :  
— إنها منشورة ، ولكن ألم يذهب عن بالك  
أن تدفع بدل الضمان يا ماشا قبل ميعاد السحب ؟  
ثم انظري ، ألم تفقديه ؟ !

— لا ألم أفقده ، ولقد سددت قيمة الضمان  
يوم الثلاثاء المنصرم

— مارقم السهم الذي تحملين ؟  
— رقم السباق ٩٤٩٩ ورقم السهم ٢٦  
— حسن ، سنرى ، ٩٤٩٩ و ٢٦

لم يكن إشان يعتقد أن المرء قد يؤاتيه حسن

— دقيقة واحدة فقط ، أستمحين ؟ إن لدينا من الوقت متسعاً نبتل فيه بالاختناق ، وبجابه الحقيقة المرة إن كنا غدوعين ، فلم لا نتم بهذه اللذة الساحقة ؟ وصمت لحظة ثم استطرد : وقد تكون أبدية ، فمن يدري ؟

إن الرقم في أعلى الجدول وفي السطر الثاني  
قيمة الربح إذن خمسة وسبعون ألفاً من الروبلات  
وليس هذا بالمبلغ القليل ، أجل إنه ثروة !

وألقى على الجريدة نظرة فاحصة كأنما شاء أن  
يعلم إن كان الرقم ٢٦ موجوداً فيها أم غير موجود ،  
إلا أنه لم يلبث أن استرجعها دون أن يجلو حقيقة  
الأمر ، فلقد عثر عليه أن يفقد هذه اللذة التي لم  
يشعر في حياته بمثلها . وما هي إلا لحظة حتى  
تابع القول :

هيه يا ماشا ، اصني إلي . أية سعادة تلك التي  
ستفمرنا بفيضها الساحر إن كنا قد ربحتنا حقاً ؟  
فضحكت وفحك معها ثم راحا معاً يتأملان  
طويلاً في صمت وهدهو . فاحتمال أقبال السعادة  
عليهما بوجهها التائق الضاحي بليلهما وألقاهما في  
قلق واضطراب ، فذهلا عن نفسيهما واستسلما  
للخيال الممتع حتى لم تعد الدنيا ليهما إلا صفحة  
بيضاء خط عليها بأحرف بارزة كبيرة العددان ٩٤٩٩  
و ٧٥٠٠٠

ونهض إيفان من جلسته وجريده في يده  
وراح يتخطر بقامته المشوقة وقد بدت على  
حياء دلائل التفكير العميق ولم يلبث أن وقف  
وقال :

وحدثت زوجه في حياء ، فأدركت من أمار  
الدهشة والذهول البادية عليه أنه جاد في قوله ،  
فسرت الدهشة إليها أيضاً وعراها هي الأخرى  
الذهول ، فسألته وقد امتنع لونها وتركت السباط  
المطوى يسقط على المائدة :

— ال ٩٤٩٩ ؟

— نعم يا ماشا ، ال ٩٤٩٩

— ورقم السهم أيضاً يا إيفان ؟

وكأنما كان إيفان في غيبوبة فائاق ، وتذكر  
أن ٩٤٩٩ لم يكن ال رقم السباق وأن عليه أن يرى  
رقم السهم كذلك ، فتمتم : — آه ! نعم علينا أن  
نرى رقم السهم أيضاً فلتراجع الجدول إذن ،  
ولكن... لحظة من فضلك يا ماشا ، حسنا لدة الآن  
وجود رقم السباق في جدول الربح ، أتعلمين ؟ !

قال ذلك وهو ينظر إلى قرينته ، وقد تجلت  
على ثغره بسمة عريضة بلهاء كأنه طفل غرير أراه  
أحد الناس شيئاً يهر النظر

وبسمت امرأته كذلك ، فلقد كان الأمر لها  
كما كان له لذيذاً عذباً ، وإن كانت لم تتيقن بعد  
من معرفة رقم السهم المجدود

وهزتها الأحلام وهدهدتها الأمانى ، أحلام  
وأمان ممكنة التحقيق ، فيا للذة المسكرة !

وقال إيفان بعد صمت طويل :

— لقد ظهر رقم السباق فمن المحتمل إذن أن  
نكون قد ربحتنا . إنه محض احتمال ، إلا أنه مستحب  
وكأنما عيل صبر زوجته اللجوج فقالت له :  
— حسن : لقد آن لك أن تنظر الآن ؟



صحا الجو وأعلت النسيم ، وعلى مقربة منه ولداه الصغيران يلعبان معاً على الرمال ويحفران فيها حفراً صغيرة يملأنها بالماء ، أو يلهوان في أرجاء الحديقة الفيحاء ويلتقطان منها بعض الحشرات من بين الحشائش المحضلة الندية

على هذه الصور الفاتنة غفا إيفان على مهل غير آبه لشيء ولا عابئ بأحد ، وقد شعر من صميم فؤاده بلذة ما بعدها لذة ، وأحس أنه يستطيع أن يفعل ما يحول له ويطيب ، فهو إذن لن يذهب إلى مكتبه لاغداً ولا بعد غد ، ويرى ليصده عنه النعاس إذا أخذ بما قد أجفانه أن يتعهد أصص الورود والرياحين ، أو أن يتجول في قلب النابة اللقاء يقش في حناياها عن الذي يجب ، أو أن يقف على ضفة النهر ينهم بمراى البؤساء وهم بتصيدون الأسماك

هذا في الصباح ؛ أما في المساء ، عند ما تلم الشمس ذوائها النورانية من حواشي الأفق فلا أشهى لديه من الاستحمام في النهر ، وإنه ليرى نفسه وقد دلف إليه متأبطاً منشفته فا يكاد يصل حتى يزع ثيابه عنه بتؤدة وبطء ثم يدغدغ صدره المارى بكلماته ما يشاء له أن يفعل . وبعدئذ يلقى بنفسه في الماء حيث ترتج الأسماك الصغيرة وتهتز ، وحيث تتموج الحشائش المائية وتنايل مع هبات النسيم الرخي ، فيستجم ساعة أو بعض ساعة متنعماً وحده دون الناس أجمعين ، ثم لا يرى بداً من أن يستجم قليلاً وأن يتناول أثناء فترة استراحته شيئاً من الزبدة مع الشاي والكعك ، وما إن ينتهي من

— أجل يا ماشا ، أي سرور سيفغرنا إن كنا قد ربحنا حقاً ، وأية حياة جديدة تلك التي سنحياها ، وأي انقلاب سيتناول شؤوننا كافة ؟ إن السهم لك وحدك لا يتنازع فيه منازع ولكن حبذا لو كان لي ؟ إذا لكنت اشترت قبل كل شيء عقاراً بخمسة وعشرين ألفاً ، ولبذلت عشرة آلاف لشراء أثاث جديد لمنزلنا ، ولوفاء ما لي من دين قليل ، وللسياحة في بلاد الله الواسعة ؛ وأما الأربعمائة ألفاً الباقية فأضفها في المصرف

فأجابته امرأته وقد جلست ويدها على ركبته : — أحسنت يا زوجي العزيز ، فالمقار لا بد من شرائه ، على أن يكون في آحاء (تولا) . أو في أرباض (الأورول) فنحن لاعملك منزلاً تقضى فيه فصل الصيف القاطط ، والمقار عدا ذلك ستندر علينا أرضه الخيرات

وتراكت في مخيلته اللوحات والصور ، وكل واحدة أفن من الأخرى وأعلق بالقلب ، وتخيل نفسه فيها جميعاً يأكل من الأطعمة أشهاها وأمنائها ؛ ويميش على هواء أرغد عيش وأترفه ، معافى الجسم ، قوي البنية ، مزراح الضمير ، قدير البال

وتخيل نفسه وقد أخذته الحر الشديد ، غير أنه ماشكا ولا نريم ، فالمرطبات أمامه والمبردات المنعشة رهن إشارة ، وهو إذ تناول منها ما شاء يرى أن يستاقى على ظهره على الرمل المنشور فوق ضفة الجدول الرقراق أو في الحديقة الوارفة الفيتانة ، وقد

واستولى عليه النعاس غطى وجهه بجريدته وأسلم  
إلى الكرى الهادئ المطمئن بعد أن يكون قد جاء  
من فك له أضرار صدرته وخلع نعليه

وهكذا مضى إيفان في تصوراتيه ، وانتقل به  
خياله من الخريف الحزين إلى الشتاء المتجيب الباكى  
فاذا به يرى السماء ممطرة أبداً لا ينقطع لها معين ،  
ولا ينضب لها ميزاب ، والأشجار ممرأة من كساها  
الحالية النضرة ترتش أمام صفعات الرياح القفرة الباردة ،  
والدواجن في المزرعة قد لجأت إلى أوكانها من رذاذ  
الطر المهمر خائفة حزينة ، والناس قد أووا إلى  
منازلهم فلامتنزه يؤم ولا حديقة تقصد ، ويرى نفسه  
هو قد اضطرت له الطبيعة النضى أن يبق في المنزل  
كسواه ، فيذرع الترفة بخطواته الترتة ذهاباً وإياباً  
طول النهار ، وأن يتطلع بين الفينة والأخرى بقلق  
وسجور لا حد لها خلال النوافذ الزجاجية التي خددها  
الطر إلى حين

وهنا وقف إيفان فجأة كأنما انقطع تيار خياله  
الجامح وقال :

أندرين يا ماشيا ! إني سأعتربك

ثم صمت لحظة تخيل فيها نفسه يتنعم بلذة المحجرة  
في أواخر الخريف وهو ينتقل كالطائر من بلد إلى  
بلد زائراً فرنسا فإيطاليا فالهند ؛ وإنها لرحلة ممتعة  
شائقة ما في ذلك ريب

— وأنا أيضاً سأعتربك يا إيفان « قالت امرأته  
بنبرة جازمة ثم استطردت :

أما حان أن تنظر رقم السهم ؟

— دقيقة واحدة إذا تفضلت ، أرجو أن تنتظري

هذا حتى يكون قد آن أوان التنزه في هدأة المساء  
الرائق ، أو التسلل بلعب الورق مع الصاحب والجيران  
كان إيفان يسبح من خياله الرحب في بحر  
لجني عندما قالت له امرأته وقد كانت في غمرة  
الأحلام مثله :

— أجل إننا لنحسن صنعا بشراء عقار يا إيفان .  
قالت هذا وصمتت وعينها عالقان بالهدف البعيد  
فا يشك رائبها ساعته أن الأحلام تسكرها  
هي الأخرى  
وكأنما لم يسمع إيفان ما قالت فما التفت إليها لأنه  
كان لم يزل يتخيل

وإنه ليرى نفسه في الخريف ، والخريف فصل  
حبيب إلى فؤاده ، فهذه السماء مربدة الأفق مكفهرة  
الأديم ، وهذه الأمسيات كالحة بأسرة ، والتنزه في  
هذه الفترة من الزمن متعة . فها هو ذا يخرج إلى  
الحديقة وقد عبث بأزهارها أيدى الرياح الهوج ؛  
وها هي ذى أوراقها الصفراء مبعثرة ها هنا وها هنا  
كأنها الضحايا أو أشلاء الشهداء في معترك الشرف  
فما تمشي قليلا حتى تنفضه النسبات ؛ وما إن تسرى  
البرودة في عروقه وتشمس في مفاصله حتى يهرع  
عائداً إلى منزله فيتناول كأساً من ( الفودكا ) يدفي  
بها أحشاءه ويتلصظ لقمة أو لقمتين من الخيار  
اللكبوس مع الشمرة أو الفطر الأحمر ثم يجرع  
كأساً أخرى . . .

وهنا يعدو ولداه عائدتين من البستان ومعهما قليل  
من اللفت والجزر تث منه رائحة الأرض الرطبة

ويستلقي بعدئذ على الأريكة ويطلّع على مهل  
جريدة مصورة ، حتى إذا خدرت أعصاب عينيه

السنين، وتفوح منها - فوق هذه الميوب - رائحة المطبخ الذى قلما تفارقة؛ فى حين أنه هو ما يزال فى إبان الصبا وشرح الشباب أليق ما يكون بالزواج ثانية من خير فتاة

وقال إيثان فى نفسه : إن هذا لمن سفاسف القول ولا طائل لى فيه ؛ وإن هذه حقيقة لا أجدها ولا أنكرها ، ولكن لماذا تريد هذه الملمونة أن تغترب ؟ وماذا تفهم من السياحة والأسفار من تكون ( نابل ) و ( كلين ) لديها سواء ؟!

إنى لأشعر منذ الآن أنه لن يكون لها من عمل إلا مضايقتى وإرهاقى ، وإنى سأكون تحت حكمها لا أعصى لها أمراً . وإنى عدا ذلك ، أدرى الناس بها فى كيفية الاحتفاظ بالدرام والحرص عليها ؛ ففى ستمضها - شأن أكثر النساء - فى صناديق من حديد وراء عشرات الأقفال المحكمة ، وستخبئها عني وتحصى على الفلس الواحد ، فى حين أنها ستكون سمحة الكف جوادة مع أهلها وذوى قراها

وهنا تذكر إيفان أهل زوجته وأنسياءها ، وكيف أنهم سيفدون إلى دارها متى علموا بالربح يستجدونها فى الحاح التسولين وهم يتسمنون بعذوبة ورقة ؛ والله أعلم أى لثوم تخفى تلك البنات ، وأى رياء ؟!

يا لهم من ذرية سافلة دينية ، ومن نسل لا خير فيه ، إذا أعطوا الخفو فى طلب الزيد ، وإن رُدوا نشطت ألسنتهم تغتاب وتقدح ما شاء لها الإغتياب والقدح ، وتمتوا لراحمهم كل أذية وبلاء . وتمثل له أهله ، فإذا به يراهم صفيق الوجوه فى

وراح يتهاذى فى الغرفة مفكراً ، وقد سهم وجهه وقطب أسأريه ، ويتساءل عما إذا كانت امرأته تعنى حقاً ما تقول وأنها ستغترب معه !

غير له وأجدى عليه أن يسافر بمفرده من دونها ، أو برقة غايات رعنات وإن لم يكن للرفقة من بد ، غايات خفيفات لا هم عندهن ولا غم ولا يعشن إلا للساعة التى هن فيها ؛ أما السفر مع امرأة لا تفكر طول الطريق إلا فى أولادها ولا تسكلم إلا عنهم متأوهة تارة متدللة أخرى ، تحاسبه على كل بادرة ، فهذا ما يكرهه ويمجتهبه

وتتمثل له زوجه فى عربة القطار المكتظة بالرمز والسلال والطرود تتأوه ولا يدري أحد لماذا ، وتشكو الصداع لداع ولغير داع ، وتتذمر من كثرة النفقات ، وتبتر من غلاء الحاجات ، وترغم فى الحطاط أن يهرع ليلتاع لها « سنودوتشا » وليأتها بالاء ، لأن حضرتها لا تريد أن تتناول غداءها فى الطعم ليهظ الأسماك ، وهذا ما لا يرغب فيه . إذن خير لها وله أن تبقى فى منزلها لا تزحج وإن تطلق له حريته ، فالسياحة لم يخلق لها الشحيح الضنين ، وما عسى يستطيع البخيل أن يرى من متع يا ترى ؟؟

ثم إنها عدا ذلك كله سستلازم غرقها فى الفندق الذى سينزلان فيه

وستحفظ به حيالها لا يفارقها وهذا ما لا طاقة له به ولا قدرة له على احتماله

وأثنى على امرأته نظرة فاحصة عجيلى ، فإذا به يراها لأول مرة فى حياته ، قبيجة المنظر ، دميمة الوجه ؛ قد دهمتها بوادر الكبر ، وظهر عليها أثر

فاحتدم غيظه واشتد حنقه ؟ وسرعان ما فتح الصحيفة وألقى على الصفحة الرابعة منها نظرة خاطفة وأعلن لها ، حيا في مناوأتها فقط ، بصوت الفاتر الفخور :

« السباق ٩٤٩٩ والرقم ٤٦ لا ٢٦ » وصمت

على مضض

لقد شاء أن يثير حفيظتها ، وأن يحنقها فتم له ما أراد ، إلا أنه تأثر هو كذلك واستاء . فالأحلام الذهبية تلاشت واضمحلت ، وهوت قصور الأمانى إلى الخضيب هوبا ، فتمثل المنزل لها حالكا قائما حقيرا ، وظهر لها أن العشاء الذى فرغا من تناوله منذ حين لم يكن لذيذا شيئا ، ولقد شعرا معا بوطأته على معدتيهما

وترأت لها هذه الأمسية طويلة ما تنتهى ، ومملة غاية الملل !

فيا للأجواء المربدة القاتمة وإن لم يكن بها اربداد ولا قتام !

ومشى إيثان محتاج الأعصاب تأثر النفس وتخطى الدوحة بخطى المسرع المجلان وصوته الحائق يجلجل في أرجائها ، فتجاوب منه الأصداء : — ما هذا ؟ لا أدري ما أدعوه ورني ؟ فأبنا أمش لا أر إلا قصاصات الأذواق ، وأتمتر بالأشياء المبعثرة هنا وهناك ، وفي كل زاوية بل في كل موضع لاتقع العين إلا على فتات الخبز وقشور البيض ، أمريلة هذا أم منزل ؟؟

يجب أن أتأني عن هذا الجو الموبوء وأن أهرب هذا المحيط الملون ، سأذهب ، وإيحملني الشيطان ، فأشقى نفسي على أول شجرة أقع عليها في سبيلي . سحره مروع ملست

حين أنه كان — لساعة خلت — يرى تلك الوجوه ذاتها تفيض بالدواعي وتأتلق بالحياء والبشر فتتم : « بالحشرات ! »

لقد بدت له وجوه أحب الناس لديه وأدناهم إليه بغيفة مكروهة ، وغلى صدره بالحنق عليهم جميعا ، وتمنى على الله في سره لو لم يوجدوا وتدنى سروره ، فلقد شابه السكر ، وعمرت جسمه رعشة استمزاز من أولئك الأهل المرائين المسترين تحت ألف نقاب ، ومن تلك الزوجة المقترة حتى على نفسها التي لا تدرك المال لذة إلا بكنزه في صناديق من حديد وراء ألف قفل

وتوارت البسمة التي كانت تعلو عيها منذ حين فكحلت منه الأسارير وأصبح لا ينظر إلى زوجته إلا شزرا . وهي ، هي كذلك اتابها منه ما اتابها منها ، فبدا لها بغيضا ممقوتا وهو الذى كان بالأمس مطمح كمالها ومحط أمانها ، فراحت ترمقه بكثير من الحقد ؛ فان لها هي كما له أحلام مذهبة الخواشي ، ولها آراء تعجب بها هي على الأقل إن لم يعجب بها سواها ، ولها خطوط ومشروعات كلها رائمة جميلة ، ولم لا ؟ أليكون زوجها المأفون هذا خيرا منها ؟ لا وألف لا ! ولها لتعلم العلم اليقين فياذا يفكر زوجها ، وماذا يترأى له ، ولها أدري الناس به وأخبرهم بطباعه . إنه سيكون أول من يمد رجليه على ظهرها وأول من يتسلط على حسابها هي ، ولقد كانت بنظراتها - التي تعنى أنه من الجليل أن يحلم المرء على كيس سواء - تنطق بماعى لسانها عن بيانه . ولقد فهم الزوج معنى تلك النظرات الشزراء وأدرك ما يجول بخاطرهما عنه ، وقرأ في تلك اللامح المغضنة ما أبدته صفات القلب الحفود ،

الحرمان في الحسرة  
وردتها الحسرة إلى  
الحرمان

ينحدر هذا  
الشاب من أسرة ريفية  
فقيرة عميدها مزراع  
بسيط ، فكان منتحى  
حظه من التعليم شهادة

# الحِطَّة

## أَقْصُوصَةٌ مِصْرِيَّةٌ بِقَلَمِ الْأَدِيبِ نَجِيبٍ مَحْفُوظٍ

الكفاءة ، وقد حسب أبوه نفسه من المجاهدين الصابرين أن بلغ به هذه المرتبة من التعلم ، فمضى إلى توظيفه بضمعة جنينيات ، وكان فرحه بذلك عظيماً ، كما كان ألم الشاب بليغاً ؟ أما الأب فقد فخر أهل قريته بابنه « البري » وعقب نفسه على الجنية الذي أجراه الشاب عليه ، وأما الشاب فكان يجتهداً طموحاً شديد الحساسية ، يطمع في المراكز العالية ويتحرق على نعيم الدنيا الذي يرى آثاره المفرية في السيارات المارقة والمارات الشاهقة واليالي الساهرة ، فسخط وحقد وحمل الدهر والناس ونظام الكون ما يعاني من شدة ويؤس وحرمان وقفر . وإن حق لأبيه أن يياهي به المالين وهو قابع في قريته فقد كان يتروى خجلاً من قفاهته وهو يسير في القاهرة الصاخبة كمنكبة على وريقة شجرة باسقة في غابة شجراء تأوى إليها الأسود والأفيال . يعمل من الصباح إلى المساء بغادر المصلحة مضمحل القوى خائر المزجة ، مهن النفس ، فذر الجسم ، فترعى على فراشه أسفاً قاتلاً وهو يتنى على الله ألا يطلع عليه الصباح إلا وهو في قبر يريحه من العالم وتبه وصالة أمه فيه

بدا على وجه محمد أفندى الحلو الهيؤ للتوثب والناصرة فدى يده في جيبه وأخرج ريالاً ثم دخل بأقدام ثابتة إلى مكتب جمعية المواساة وتردد لحظة يقبظ ناظره في أوراق النصب المكسدة ونفسه حيرى وقبلة خافى لا يدري ما ينبغي أن يأخذ وما ينبغي أن يدع ، وكأنه آثر أن يلقى عن عاتق اختياره التبعة فطلب من موظف المكتب - وهو ينقده الريال - ان يختار له ورقة

واليانصيب مغامرة خفيفة تجذب الناس على اختلاف طبقاتهم ، فيشارك فيه بعض الأغنياء للتلهية ومداومة الملل وإيقاظ المواطن التي ران عليها الشعب والسقم ، ويساهم فيه آخرون منهم طلباً للزبد وإشباعاً لفرزة التملك التي لا تعرف الشعب ؛ أما أغلبية مريديه فن الفقراء المالمين الذين يرون في ورقته « باسبورت » ينقلهم إلى عالم عبادة المصارف وشعاره الترف وآياته زينات الدنيا من النساء والمشاهد والاسفار والمأككل والشارب . ومن اطلع على وجه محمد أفندى وهو يدفن ورقة اليانصيب في محفظته فرأى عينيه المالحنتين وسمع تهتة الحارة وهو يدعوقاً : يارب ! - لا يشك في أنه من هذه الجماعة الأخيرة التي أوقمها

— إن ما سمعت لهو دون الحقيقة بكثير ، فلم  
ييق لهم من متاع الدنيا سوى الاسم القديم ، وهم  
يطعمون في أن يشتروا به أموال عمك الطائفة ؛  
وكاد عمك يلين لهم لولا أن أنبرت له غاضباً وقلت له :  
خذ حذرَكَ من هؤلاء الطغاة الماكرين واذكر  
أيام كانوا ينظرون إلينا نظرة المؤمنين إلى الكافر ،  
وهمست في أذنه : إن الآخرين أولى بالعرف ، وذكرته  
أن له ابن أخ موطناً محترماً فعاود فكره ثم قبل ...

— ماذا قبل ؟ ..

— فقهره الأب حتى بانت نواجذه الصفر  
وقال :

— قبل أن يزوجك من ابنته ... ابنة عمك  
خضرا ، مطمئناً إلى أن يدأ غريبة لن تسلبه أمواله ..  
وصمت الرجل برهة وهو ينظر إلى ابنه ثم عاد إلى  
السلام فقال : —

— الحق أقول ... لقد طمعت في خضرا منذ  
زمن بعيد وتمنيت على الله أن يجعلها من قسمتك  
ونصيبك ولكي ترددت كثيراً أن أفاتح أخي في  
هذا الموضوع . نعم هوشيق وقد نشأتنا معاً بنين  
يحتوينا الفقر والبؤس ، ولولا الهجرة التي ارتضاها  
لنفسه والأعمال التي خاضها لبق فقيراً مثلي ، ولكنه  
الآن من كبار أغنياء قريتنا ، فازلت متردداً خائفاً ،  
أفكر في الأمر وأراجع نفسي فيه وأهم وأنكش  
وأفزع عن شفتي مجازفاً بالكلام ثم أصفهما من الخوف  
لاشداً بالصمت ، حتى تقدم عبد الحفيظ فنك تقدمه  
عقدة لساني فنكلمت وظفرت ... والآن ما عليك  
إلا أن تسافر معي اليوم أو الغد .

— ولم هذه السرعة ... ؟

ولم تكن هذه أول مرة يشتري فيها ورقة  
الباذنصب ، فكلم من مرة اشترى وكلم من مرات  
خسر ، وكلم ذهب ينير وجهه الأمل وآب تلتوى  
شفته من اليأس ، وكلم نام تسعده أحلام الأمانى  
وصحالى حسرة وخيبة ، وكانت أهون الخسائر المادية  
مما يدفعه ثمناً للورقة غير هينة على مثله بل كبيرة  
فادحة ، ولكنه لم ينش له عزيم ولم تقتر له حمة  
ولم يول عنه أمل

وذهب كعادته إلى مسكنه أو بالأحرى إلى  
حجرته ووضع الورقة في ظرف ووضع الظرف تحت  
رزمة من الظروف والخطابات ، ثم قيد رقم الورقة في  
مذكرته وانتظر على اللذة الوحيدة التي تجدها نفسه  
لذة أحلام الأمانى . وبعد أيام فوجئ بمقدم أبيه  
وقد أوجس قلبه خيفة أن يكون مجيئه لحاجة ، وكان  
صفر اليدين إلا من الضروري ولكن الرجل بادره  
قائلاً وهو لا يبالك عواطفه :

— أبشر ... لقد أنتم لك الحظ على يدى ...

— كيف ... ؟

— قالها بغير توقع عظيم للفرح لأنه يعلم أن  
والده يحسب ما هو غارق فيه من بؤس نيميا وسؤدا  
ينبط عليهما . واستمر الرجل قائلاً : —

— أنعرف أسرة الحمار ... ؟

— طبعاً أذكرهم فقد نشأت مع أحد أبنائهم  
عبد الحفيظ وطوبت في صحبته عهد الصبا

— أحسنت فهو من أعنى ... لأنه تقدم في  
الأسبوع الفائت إلى عمك طالباً يد ابنته ولعلك  
لا تعلم أن أسرة الحمار هوت إلى دمار الإفلاس والبوار

— سمعت شيئاً من هذا ؟

هذه هي زوجه المقبلة أو هي السم الذي وضعته  
 الأقدار في دسم المال وقدمته إليه  
 وتذكر أمراً فأسرع إلى ورقة اليانصيب وألقى  
 عليها نظرة فاحصة فوجد أن موعد السحب في شهر  
 أكتوبر وهو ما يزال في يوليو فما من سبيل إلى  
 التسويف إلى أن يتأكد من حظها ، فهي غنيمة من  
 الجنون رفضها ، وهي مصيبة من المستحيل دفعها  
 وسافر في صحبة أبيه وعقد على الفتاة بين الزاغريد  
 والأفراح ولبت لديهم يوماً ثم قفل راجعاً إلى القاهرة ،  
 وكانت تمنع على وجهه كآبة مدهمة وتغضب قلبه  
 بالمرحض ، إذ وفر في نفسه أنه باع نفسه بيع العبيد  
 أو بذلها بذل البنايا ، وأن تلك الفتاة « النشاز » قيدته  
 في قدمها ككلب مهين ، فياله من فوز كالحسران  
 وأخذ أهون منه الاعطاء ! وكان أمامه عام كامل على  
 أقل تقدير تجهز فيه الفتاة على حساب والدها  
 وحده لأنهم كانوا يعملون علم اليقين أنه لو ترك الأمر  
 إلى قدرته ما فتح بيت الزوجية ولا في منحدرات  
 الشيخوخة ، فتعزى بهذا العام بعض العزاء وكانت  
 تكتئب نفسه كلما انفرط من عقد أيامه واحد ،  
 ولكنه لم يردأ من المحافظة على الظاهر . فالتصلت  
 الرسائل بينه وبين عمه وكانت في طلاوتها الظاهرة  
 رسائل زوج مجدود يترقب بفارغ الصبر يومه  
 الموعد .

أما الذي كان سعيداً حقاً فهو والده ، وقد  
 أحجز له شقيقه الثرى العطاء ليسيروا في الظاهر  
 اللائق ، فذاقت نفسه المحرومة النعيم على كبر  
 وأنفوس في الرفاهية وامتلاء بالبطنة فسار في الأرض  
 مختللاً غموراً يكاد يهتف بالناس أن انظروا وسبحوا  
 واحسدوا

— خير البر عاجله ... وإلى أريد أن أقطع  
 الطريق على أبناء الحمار ... ولا تنس أن نبأ خطبتك  
 لابنة عمك ذاع بين أهل القرية ، فيهمنى أن أعجل  
 بعقد الزواج أو يقولون إن عمها قطع خطبتها وولى عنها  
 — عقد الزواج ... !

— نعم هذا هين ... وأما الدخلة فعلى مهل ..  
 هيا ولا يثنك التقدير فإن عمك علم بحالي وحالك  
 وسنكتب مهرأ صورياً فلا تخش شيئاً .

هل يستطيع أنت يقول لا فيرفض أفدنة  
 وعمارات وأموالاً لا يحيط بها الحسبان ؟

أما ابنة عمه فأعوذ بالله من شر ما خلق ... هي  
 كتلة من اللحم المتفخخ ، تضيق في تهمله قسبات  
 الوجه ومعالم الجسم ، فهي لا يعرف لها خصر من  
 ردف من صدر ، جميعاً كتلة واحدة كأنما صبت  
 في برميل نبيذ ، وما يرى من عينيها فشقان ضيقان  
 كأنما يسلط عليهما شمع شمس لا ينيب ، وما يبرز  
 من أنفها فانتفاخة قصيرة كأنها دمل في إبان الخطر ؛  
 وهي إلى ذلك ثقيلة الظل ، مظلمة الروح ، شديدة  
 الغباء ؛ وإنه ليذكر أنه داعبها مرة فخطبها قائلاً :  
 « يا أبله خضراً » على طريقة أهل المدن فغابت عنها  
 الدعابة واصفر وجهها وذهبت إلى أمها غاضبة تشكو  
 إليها تهكم ابن عمها وسوء أدبه إذ جعل يخطبها  
 بما يخطب به الأخت الكبرى وعبثاً حاول أن  
 يهدئ خاطرها وأن يصرف عنها الموجهة

والأدهى من هذا كله أن أهلها لا يمترون  
 بعيب لها ، فهي لديهم لؤلؤة مبرأة من الميوب ، ولا  
 تفتأ أنها ترمقها في الحبيثة والذهاب بعين الحب  
 والاحباب ، وما تنفك تحرق حولها البخور دفناً للسوء  
 وفقاً لعين الحسود

وسماء، هذا يعني، وذاك يطلب «الحلاوة»، وذلك يشكو الحظ الذي خاله في رقم أو رقمين، حتى رئيس القلم خاطب محمداً بلهجة رقيقة لأول مرة، بل حدثت معجزة فابتم له وسأله :-

— علام غرمت ..؟

— لا أدري ياسيدي

— أنصحك ألا تستقبل من وظيفتك ...

فالمعلم أبهج مافي الحياة، وهو زخر تدخره اللغات

— أشكرك ياسيدي

فالها ثم سار يترخ كالكمل وقد طلب منه الرئيس أن يكتب طلباً باجزة يوم أو يومين ووعده أن يوافق عليه فلم يسمع له؛ ونهب زميل إلى أنه لم يترك ثمن الفول فلم يلتفت إليه وسار يترخ لأن السعادة التي وزعها الله على قلوب البشر هرعته إلى قلبه في تلك اللحظة كما تهرع حيوية الجسم إلى أحد أعضائه حين اشتداد نشاطه

ومر في طريقه بمكتب المواصفة فساءه إن يجده مغلقاً، ولكن قيل له إنه يعلق يابه يوم الأحد، فضايق بذلك وقصد تواراً إلى حجرته بل إلى رزمة الظروف بل إلى الظرف الأخير منها وقرأ ورقة اليانصيب مثنى وثلاث حتى اطمان قلبه فردها إلى المجموعة وجلس يستريح ويتأمل بمئينين يضيئها نور الظفر، أركان حجرته الكثيفة وأثاثها البالي الحزين وعروق سقفها البارزة كأوداج المختنق ثم تكلم بصوت عال قائلاً :-

الآن أهجرك إلى غير رجعة، فوداعاً أيها القرآن والصراير. أتمنى لك حظاً سعيداً وساكناً جديداً أجدي مما كنت وأتفع إلا أن ذكرى سوداء اغتصبت فجأة سعادته

ولم يلبث الرجل أن أخذ على ابنه الوثائق أن يفسح له وأمه مكاناً رحيماً في بيته المنتظر وأن يصون شيخوخته عن ذل الحاجة وكدح السعي فوعده خيراً وهو كظيم، ولم يكن يجده على والده لأنه لم يضطره إلى شيء ولم يرد له إلا الخير، ولكن كان إذا من عليه أو تنجزه ما وعدحق عليه ثم حنق وفي صباح يوم الأحد من شهر أكتوبر كان محمد جالساً إلى مكتبه في المصلحة، وأمامه الملفات لا تكاد تظهر منه إلا قمة رأسه، وعلى كرسي إلى جانبه وضعت صينية عليها طبق الفول المدمس والزعفران والفوط الجراء، وكان إلى جانبه زميل يقرأ جريدة الصباح ويعلق على الحوادث والرجال بما يشاء هواه وتفكيره، ولم يلبث أن اشتغله صمت طارئ، ثم أسرع بفتح درجه وأخرج ورقة صغيرة أنعم النظر فيها ملياً، وتردد ناظره بينها وبين صفحة الجريدة المفتوحة أمامه ثم قام إلى محمد وصاح في وجهه بأنفعال جنوني :

« رحمت ... »

وكأنما حملت هذه الكلمة البسيطة إلى نفس محمد كل مانفع به نفس صاحبه فاتفق قائماً كأنه حرر فجأة من قوة جاذبية الأرض وصاح « حقاً إنه اليوم يعلن اليانصيب ... كم تنسى المموم ... »

— أرني رقمك لأننا كد ...

— ها هو ذا ...

— هو بعينه ؟

وانتشر الخبر في المصلحة وتحدث به كل لسان، واتسعت له كل عينين، وانفجرت لوفقه كل شفيتين، واوادت الحجرة بمجمع خفير من مراجعين وكتبة



— تعالى أيها الحبيبة التي ستجبل لي من كل

حسنا عاشقة وحبيبة

ولكنه وجده فارغاً... آه لقد تذكر أنه وضع  
الظرف السعيد فوق الظروف لا تحتها ، فأخذ  
الفوقاني وفتحها ولكنه وجده أيضاً فارغاً...  
فتصلب جسده وارتعشت يده وخفق قلبه خفقة  
الدعر والوجل ، ولعبت يده في الظروف فتفتشها  
فرجع من كل بحنية مريرة ورعب عظيم ،  
وقتش الدرج كله وقلبه رأساً على عقب ، وبحث  
في الثياب والجيوب جميعاً والفراش وأركان الحجر  
بل نظر إلى السقف متحيراً... ودار في الحجر وهو  
يهتف كالدرويش في حلقة الذكر: «الله... الله...»  
هل فرت الورقة فراراً؟... هل لبست «طافية  
الاخفاء»؟...

ولكن خطر له خاطر سريع... ألا يجوز أن  
يكون قد وضع خطابه إلى عمه وورقة الطلاق في  
الظرف المشتمل على ورقة اليا نصيب وأرسل الجميع  
إلى عمه؟...

وأسفاه! هذا هو الفرض الوحيد الممكن  
ولطم خديه ، وشد شعر رأسه وقرع رأسه  
في عمد السرير ، حتى كاد يشرف على التهلكة ؛  
وانتهى به الجنون إلى حالة يموت فيها التدبر ،  
فارتدى ثيابه سريعاً وخف إلى المحطة ، وكان بينه  
وبين قيام القطار انتظار نصف ساعة ، فهرع إلى  
السيارة العمومية التي أسرعته به في طريقها إلى بها  
وكان جزعاً ذاهب الحلم ، فتقل عليه طول  
الوقت ، واشتد به الانتظار ، وطفق يقوم ويقعد  
وينظر في ساعته ويهوله ما تدل عليه من الزمن فيسأل  
جاره وجار جاره

فتجههم وجهه ، وانقبض قلبه وصاح غاضباً : —

«أواه! خضراً زوجتي...!»

فلا مفر من الحقيقة المرة التي توشك أن تبتلعه  
بنشوته كما يتلع القبر الحسنا في ريمان الشباب  
وميمة الصبا ، فليت اطلع على التيب من قبل...  
ولكن هيات أن يدع حزناً في الوجود ينقص  
عليه صفوه ، ولن يكون غنياً إذا لم ينهل من مورد  
السعادة كل شهي. ويتق صفحة وجوده من لوثات  
الألم والشفاء ، وما هي إلا لحظة حتى ابتدعه عقله الحل  
الموفق فهرع إلى المائدة وكتب إلى عمه الرسالة التالية:  
«عما المحترم :

أرسل إليكم مع خطابي هذا وثيقة الطلاق من  
ابنتكم كما هو مقدور ، وإنها لكبيرة ولكني فكرت  
في أمرى طويلاً فلم أرعها محيداً ، فهو تصميم نهائي  
لا رجعة فيه وأرجو الله أن يلهكم الصبر وأن ينزل  
في قلبكم الرحمة فتتغفروا لي »

وطالعه مرات ، وقد بدا له جافاً ، ولكنه لم  
يحاول تخفيف لهجته بل ود لو آتته الشجاعة فجعله  
أشد قسوة وأبقى للجاملة ، وأخذ ظرفاً دسه فيه  
وكتب عليه عنوان عمه وخرج لا يولي على شيء  
ينقش عن المأذون ، ولم يهدأ له قلب حتى سلمه إلى  
صندوق البريد ونام ليلته سعيداً مراتج البال...

\*\*\*

وفتح عينيه عند استيقاظه فشاهد نور  
الصباح ينسكب من كوة الحجر كأنه صدر حسنا  
تنفجر عنه غداثر شعر حالك السواد ، فقام كأنه يولد  
من جديد في عالم جديد ، ودلف إلى رزمة الظروف  
وأخذ آخرها وهو يقول :

ولا أبوك ... أهذه هي الورقة التي جئت من أجلها؟  
خذها إرباباً بارباً ... إذهب ... أغرب عن وجهي»  
وجرى الشاب نحوه يحاول منعه من تخزيق  
المرأة الراجحة ، فلطمه لطمه أشد من الأولى ،  
فأمسك أبوه بيده وهو يبكي ، وجذبه خارجاً وهو  
يصيح به مثلاً :

« ماذا فعلت يا محمد ؟.. ماذا فعلت ؟.. »

وكان اليأس قد بلغ به انتهاء فأفلت من يد أبيه  
وجرى شطر الطريق المؤدى إلى النيل ، فارتاب  
أبوه وجرى خلفه وهو يناديه ، ولكن ضاع نداءه  
في الهواء ، لأن محمداً لم يكن يسمع شيئاً ، فلم يلتفت  
إلى والده ولا إلى نداءه ، وماله هو ونداء أبيه ..؟  
بل ماله ونداء الدنيا جميعاً وهو لم يعد من أهلها ...  
فجيب محفوظ

حتى أراد الله أن تنتهي الرحلة ، فجري جرياً  
إلى دار عمه

وكان وصوله عقب وصول خطابه ب زمن قليل ،  
فوجد البيت هائجاً مأججاً ، وصوت عمه يدوي  
فيقتحم حجراته وأفنيته ، ورأى والده المسكين مائلاً  
بين يدي الرجل الغاضب ، منكس الدفن ، كبير  
الفؤاد ، يتلقى سبابه ووعيده في خضوع وذلة ورهبة  
وأحدث دخول الشاب دهشة شديدة غير  
متوقعة ، فساد صمت وخيم سكوت ، فنظر إليه أبوه  
ومد إليه يديه كأنما يقول له : ماذا فعلت ... ماذا  
فعلت ... أما عمه فقد حلق في وجهه يتعجب من  
جسارته ومن الباعث الذي حدها إلى الظهور ، ونسى  
الشاب كل شيء فقال بصوت مبسوح : —

— ورقة ليا نصيب ...

فظل الضمت غمياً ثقيلاً غليظاً ، فماد الشاب  
إلى التوسل بصوته الباكي وقد لمح خطابه في شمال عمه :  
— ارحمني ... أعطني الورقة ولك ما تشاء ...  
فأفاق الرجل من وقع المفاجأة وتنبه إلى الشاب  
الواقف أمامه الذي أزعج طمأنينته ولوث شرفه ،  
فتقدم منه خطوات ولطمه على وجهه لطمه شديدة  
تركت وراءها آثاراً حمراء وزرقاء ؛ وبدا على محمد  
أنه لم يشعر بوقع اللطمه وإن ترح قليلاً من شدتها  
فاستطرد ذاهلاً :

« الورقة ... »

فانفجر عمه مغيضاً محتقاً قائلاً :

« أهكذا يشر فيك الجيل يا خيس ؟ ... أهكذا  
ترد الصنع بالثمن ... وافضحتاه ... واخزيه ...  
ستجعلني أخوكم للشامتين والحاسدين ، وهذا جزاء  
من تأخذ راحة بالأبداء ... أغرب عن وجهي  
يا جرم ، ولا ترني صورتك بعد الآن ... لا أنت

(١) خالتي وقصص أخرى

(٢) وكيل البريد وقصص أخرى

مجموعتان من أقاصيص رابندرانات طاغور

ترجمته عبد اللطيف التار

(٣) جنة فرعون وقصائد أخرى

(٤) نار موسى وقصائد أخرى

ديوانان من شعر عبد اللطيف التشار

(٥) الاسكندر

رواية تاريخية عن حياة الفاتح الكبير

ترجمته عبد اللطيف التشار

من هذه الكتب الخمسة عشرة قروش بما في ذلك  
أجرة البريد وتطلب بالبريد من ضاحها بمنوانه :

١٨ شارع الإيبادية بمحرم بك بالإسكندرية

كاثلين — إنها  
ترقد؛ كان الله في عونها.  
ولعل عينها قد هجمتا  
لو كان للنوم إليهما من  
سبيل

(تدخل نورا في هدوء  
وتبرز صرة من الثياب  
من تحت وشاحها)  
كاثلين (تدير مغزلهما  
سريعة) — ماذا يبدك؟

نورا — صرة أعطانها القسيس الشاب. إنها  
قيص وجوب لرجل غريق في دونيجال (كاثلين  
توقف مجلته فجأة، وتشخص متصنة) وعلينا أن نتعرفهما  
إن كانا من ثياب ميخائيل، فبعد قليل نذهب إلى  
البحر نتفرس في أمواجه

كاثلين — وكيف تكون تلك ثياب ميخائيل  
يا نورا؟ أنى له أن يقطع شمالاً ذلك الطريق الطويل؟  
نورا — لقد ذكر القسيس أنه لمع فيها مشابه  
من ثياب ميخائيل ثم قال: فإن كانت كذلك فنجربها  
أن الله قد قبضه إليه وأنه مات ميتة طاهرة، وإلا  
فلا تذكر أحداً كما لها شيئاً فتموت أسمى ولوعة  
(تهب عصفة ريح فيفتح الباب الذي أهلت نورا نصف إقبال)  
كاثلين (تنظر إلى الخارج في قلق) — وهل  
سألته هل يمنع بارثلي من أن يذهب اليوم بالجدي إلى  
سوق جالواي؟

نورا — لقد قال: إنى إن امنعه، ولا تخشين  
شيئاً. إنها لتقوم الليل حتى نصفه داعية ذاكرة  
مبهتلة، والله القدير لن يتركها معوزة بغير بيتين  
كاثلين — أأنا البحر حول الصخور البيضاء، نورا؟  
نورا — نصف ثورة... الله يرحمنا ورعانا في  
القرب زجيرة وإرعاد؛ وعند ما هب الريح تزداد الحال  
بسوءاً (تذهب بإصمرة إلى المنضدة) أفاضطرها الآن؟

# الكبون إلى البحر

مسرّجة رائعة في فصل واحد

للكاتب الأيرلندي جورج ملتون سنج  
بقلم الأديب شكري محمد عياد

«جون ملتون سنج» كاتب أيرلندي كبير. ولد على  
مقربة من دبلن سنة ١٨٧١، وتخرج في كلية ترينيتي عام  
١٨٩٢، فطُبق نجوب ربوع فرنسا وألمانيا بقيارته،  
ومحاول الارتزاق عن طريق الصحافة الأدبية. ثم عاد إلى  
أيرلندا عام ١٨٩٨ وعاش بين فلاحها بسبع سنين،  
فأزهرت عقريته على ربي الوطن وقطاعه، بعد أن كادت  
تنوي بين جدران باريس. ثم اضطلعت فواه فأودى به  
الطاعون عام ١٩٠٩، وقد بدأ بحبه يتلأأ ويخطف  
الأبصار، وعلى الرغم من ميته المبكرة وتراثه الأدبي القليل  
فانه ما زال يعد محمد للسرحد الأيرلندي ونجبه الاعم،  
وأعظم كاتب مسرّج إنجليزي بعد شكسبير

ومسرحيات سنج مستمدة كلها من حياة الفلاحين  
الأيرلنديين وصائدي السمك في جزائر آران، «والرايون  
إلى البحر» أعظم مسرحياته، وقد بالغ بعض النقاد فيرفعها  
فوق أروع معجزات شكسبير؛ ففيها وصف دقيق لسلطة  
الطبيعة على كفاف الإنسان وتحليل رائع لنفسية أم سلبها البحر  
أهلها وبنينا. وجو المسرحية الصوفي الانساني يرفعها إلى أعلى  
مرباب «الواقعية السامية» Transcendental Realism  
كما يسميها النقاد الأميريكي «جرات أوفرتون»

## شخصيات القصة

موريا: امرأة عجوز. بارثلي: ولدها. كاثلين  
ونورا: بنتاها، وصغراهما نورا. رجال ونساء  
(النظر: مطبخ كوخ فيه شباك وجلود ومغزل، وقد  
استندت إلى الحائط ألواح جديدة من الخشب. كاثلين — وهي  
فئة في نحو الصميرين — تفرغ من مجن كمسكة وتضعها  
في إناء على النار، ثم تمتص بينها، وتصرع في إدارة مغزلهما)  
نورا (في صوت غضبي) — أين هي؟

معلق على منشارنا زاء الخشب الأبيض  
 نورا (تناوله حيلًا) — أهو ذاك يابارتلي ؟  
 موريا — خير لك أن تدع الجبل معلقًا إلى  
 الأخشاب يابارتلي (بارتلي يأخذ الجبل) فلسوف  
 نحتاج إليه إن عثرنا على ميخائيل صباح الغد أو بعد  
 غد أو في أى يوم طوال هذا الأسبوع . ولسوف  
 نواريه في تابوت عميق يزحمه الله  
 بارتلي — سوف أرسن به فرسى . ولا بد أن  
 أسرع الآن ، فلن يبحر بعد هذا المركب  
 مركب مدى أسبوعين أو أكثر . ولقد سمعهم يقولون  
 إن السوق نافقة وإن الجياد تباع فيها بيعًا حسنًا  
 موريا — ولسوف يبحرنا قولهم إن عثرنا على  
 الجثة ولم نجد رجلًا يصنع الناوروس ، بعد أن بذت  
 ثمنًا عاليًا في شراء أخشاب لن نجد خيرًا منها في  
 كوتارنا . (تنظر إلى ألواح الخشب)  
 بارتلي — وكيف تطفو الجثة وقد راقبنا البحر  
 تسعة أيام فما رأينا شيئًا ، والريح تهب آتًا من الغرب  
 وآتة من الجنوب ؟  
 موريا — إن كنا لم نجد ههنا فإن الريح تغير البحر ، وإن  
 بإزاء القمر نجمًا عاليًا ، وإنه لشرق لألاء . وما جدوى  
 مائة جواد أو ألف جواد وقد فقدت ابنك من يدلي ؟  
 بارتلي (يرسن فرسه) — راقى الغلال كل يوم  
 يا كاتلين لثلاثًا كلها الخراف . وإذا عن لك من  
 يشتري البطة مقسطًا فيبيعه إياها . لسوف تشق  
 علينا الحياة وليس فينا إلا رجل واحد  
 موريا — ولسوف يضيق بنا الفئش عند  
 ما يبتلعك البحر كما ابتلع الآخرين . وكيف أعيش  
 أنا وبتناي وأنا امرأة عجوز تنتظري القبور ؟  
 (بارتلي يلقى الرسن ويخلع سترته النيفة ويرتدى  
 أخرى جديدة من نفس الفئش)  
 بارتلي (مخاطبًا نورا) — هل أقبل الغلّك إلى الرمي ؟  
 (٥)

كاتلين — قد تصحو فتنبئنا  
 نورا (تذهب إلى الباب الداخلي وتنصت) — إنها  
 تنقلب على فراشها ، وفي دقيقة تأتي  
 كاتلين — ناوليني السلم أخبئها في خزانة الوقود  
 فلا تعلم من أمرها شيئًا . حتى إذا كان اللد خرجت  
 ترى إن كان الشرق قد أتى به طافيا على الأمواج  
 (تستمان السلم إلى زاوية اللخنة ، وتصعد كاتلين  
 بضع خطوات ثم تخفي الصرة في خزانة الوقود . تأتي  
 موريا من الغرفة الداخلية)  
 موريا (تنظر إلى كاتلين وتساءلها منذمرة) — أفليس  
 عندك من الوقود ما يكفي ليوم وليلة ؟  
 كاتلين — تلك كمكة أنضجها على النار .  
 (تلقى بحزمة وقود من الخزانة) وسيحتاج إليها بارتلي  
 إذا كان اللد وذهب إلى كوتارنا  
 (تور تنطق الوقود وتحيط به الاناء)  
 موريا (تجلس على كرسي إلى النار) — لن يذهب  
 اليوم والريح تعصف من الجنوب من الغرب . لن  
 يذهب اليوم ولسوف يمنعه القسيس بلا ريب  
 نورا — لن يمنعه القسيس يا أماء . ولقد سمعت  
 إيمون سيمون وستيفن فيتي وكولم ستون يقولون  
 إنه سوف يذهب  
 موريا — وأين هو ؟  
 نورا — ذهب يرى لمل مركبًا آخر يبحر في  
 هذا الأسبوع ، وما إخاله إلا آتيا بعد قليل . فقد ظهر  
 اللد عند الرأس الأخضر وأقلت الغلّك من الشرق  
 كاتلين — إني أسمع صوت عابري تردد بين الصخور  
 العظفي  
 نورا (تنظر إلى الخارج) — إنه لقادم بهذا السر إلىنا .  
 بارتلي (يسخل ويسرح النظر في الحجرة ، ثم يتكلم  
 في نبرة حزينة هادئة) — أين الجليل الجديد يا كاتلين ؟  
 ذلك الذي اشتريته من كوتارنا ؟  
 كاتلين (هابطة) — ناوليه إياه يا نورا . إنه

سوف تربته فيذهب سوء فألك، وتقولين له : رعاك  
الله يا بني ! فبهذا بالله

موريا (تناول الخبز) — أفأستطيع إدراكه ؟

كاتلين — إذا أسرع الآن

موريا (تقف مترخلة) — لم أعد أستطيع السير  
إلا بمشقة

كاتلين (ترمقها بنظرات قلقة) — ناوليها النصا

يانورا، لئلا تنزلق قدمها فتهشمها الصخور

نورا — أى عصا ؟

كاتلين — تلك التي أحضرها ميخائيل من كونغاريا

موريا (تأخذ العصا التي تناولها يانورا) — فى

أرض الله العامرة يموت الكبار ويخلفون لأبنائهم

ما يملكون ؟ وفى هذه الأرض العامرة يموت الأبناء

ويخلفون أشياءهم للمعجزة الطاعنين

(تخرج فى بطء . تنجس نورا شطر النمل)

كاتلين — على رسلك يانورا . لقد أهلهما الحزن

فماذا تجدسين . ماذا تفعل ؟

نورا — هل وارتها الشجيرة ؟

كاتلين (تنظر إلى الخارج) — لقد ذهبت الآن .

أسرعى فليس يعلم إلا الله أيان تعود

نورا (تأخذ الصرة من الخزانة) — لقد وعد

القسيس الشاب أن يأتى غدا . وقد ذهب إليه ،

إن كانت تلك حقا كياب ميخائيل

كاتلين (تأخذ الصرة) — هل خبرك كيف وجدت ؟

نورا (هابطة) — لقد قال : كان رجلا نبجدا

يخمر قبل أن تصيح الديكة ، فمتر بالحقبة مجداف

أحدها ، وهما ماران بصخور الشمال السوداء

كاتلين (تحاول حل الصرة) — ناوليني السكين

يانورا ، لقد زادت ملوحة الماء فى شدة الحيط .

واسودت عقده فما تستطيعين حلها فى أسبوع

نورا (تناولها سكتيا) — لقد سمعت أن الصخور

السوداء على بعد قصى من دونيچال

نورا (تنظر إلى الخارج) — لقد مر بالرأس

الأخضر ثم أرخى قلاعاه

بارتلى (تناول حافظه ومطابه) — سوف أذهب

إلى الرفأ فى نصف ساعة ، وبعد يومين أعود أو

بعد ثلاثة ، أو بعد أربعة إن عابثتنا الريح

موريا (تنجس إلى النار ثم تطرح الوشاح على رأسها) —

أفليس من ظلم الرجل ألا يصيخ إلى مقال امرأة

عجوز تضن به على البحر ؟

كاتلين — فى البحر حياة لشاب يريد أن يعيش ؟

ومن يلقى السمع إلى كلام امرأة عجوز لا تفتأ تردده

فى كل حين ؟

بارتلى (يقبض على الرسن) — على أن أذهب

الآن سريعا . سوف اعلى صهوة الجواد الأحمر ويعدو

المهر الرمادى ورأى .. فى رعاية الله .. (يخرج)

موريا (صاحبة وهو بالباب) — لقد خرج الآن .

لن نراه رجحنا الله ... لقد خرج الآن ... وفى مهمة

الليل يسلمني البحر أولادى أجمعين ...!

كاتلين — لم ألتباركته وإن لم تلتفت إليك وهو

بالباب ؟ أما كفا نأحر نأحى تشبيعه بكلام مجزن مشثوم ؟

(موريا تتناول (اللاشة) وتجمع النار وهى شاردة لا تنتظر

فيما حولها)

نورا (تلتفت إليها) — إنك تبعدين الوقود عن

الكهكة .

كاتلين (صاحبة) — فليغفر لنا الله يانورا ! لقد

نسيتنا كمكته ! (تقدم إلى النار)

نورا — ولسوف يهلك الجوع إذ يبحر حتى

خمة الليل بغير زاد ، وما طعم شيئا مذ طلعت الشمس

كاتلين (ترفع الكهكة من على النار) — سوف

يهلك الجوع بغير شك . لقد غفلنا عن ذلك ؟ وحقين

أن ينقل أهل بيت امرأة عجوز لا ينقطع لها حديث

(موريا تبدل فى مقعدها . كاتلين تقطع شطرا من

الخبز وتلقه فى مرفة من قماش . ثم تحاطب موريا :)

فلتذهبي الآن إلى البئر فأعطيه هذه عند ما يمر بك .

يانورا ... إني لأسمع صوتاً خافتاً في الطريق  
نورا ( تنظر إلى الخارج ) — إنها كذلك

يا كاتلين . إنها مقبلة إلى الباب

كاتلين — خبيثي هذه الأشياء قبل أن تأتي  
ولعلها قد سكنت بعد إذ بارتك بارتي . ولا تخبريها  
مما تعلمين شيئاً طوال غيبته على البحر .

نورا ( تعاون كاتلين في حزم الثياب ) — سوف  
نضعها في هذا الركن ( تحبثانها في ثقب في ركن المدخنة  
تعود كاتلين إلى منزلها ) — أفتظنني رائثة بخبيثي ؟

كاتلين — اجلسي ظهركِ إلى الباب يخطئك النور  
( نورا تجلس في ركن المدخنة وظهرها إلى الباب .  
تدخل موريا في بضع شديد دون أن تنظر إلى نورا ، ثم تجلس  
على كرسيها إلى الطرف الآخر من النار ، وما زالت اللقافة  
في يدها . تتبادل الفتاتان النظرات ، ثم تشير نورا إلى الخبز )  
كاتلين ( بعد أن تدير منزلها برهة ) — ألم تعطيه  
اللقافة يا أماء ؟

موريا — ( تولول ولو لضعيفة دون أن تنظر فيها حولها )  
كاتلين — هل رأيته راكباً ؟

موريا — ( لا تزال تولول )

كاتلين — ( في شيء من الضيق ) — سأحك  
الله ! أفليس أجدى أن ترفعي صوتك وتخبريني بما  
رأيت ، ثم لتبكي ما شئت ؟ إني أسألك : أرايت بارتي ؟  
موريا ( في صوت خافت ) — اليوم برح في المم

وانصدح قلبي

كاتلين ( في صبر نافذ ) — أرايت بارتي ؟  
موريا — لقد رأيت أهول ما رأيت عينان  
كاتلين ( تغي عجلتها وتنظر إلى الخارج )  
ساعحك الله ! إني أراه راكباً جواده بإزاء الرأس  
الأخضر ، والمهر الرمادي يعدو خلفه

موريا ( تهب من جلستها ، فيسقط الوشاح عن رأسها  
وينحصر عن شعرها الأشيب الأشعث ، وتكر في صوت مرتعب )  
— والمهر الرمادي يعدو خلفه !

كاتلين ( مقبلة إلى النار ) — ما بك ؟

كاتلين ( تعجد الحيط ) — إنها كذلك . ومنذ  
برهة كان هنا الرجل الذي إبعنا هذه السكن ، ولقد  
قال إنها على مسيرة سبعة أيام من دونيجال  
نورا — وفي كم من الزمن تبلغها حجة طافية ؟  
كاتلين ( تحمل الخزمة وتأخذ منها جورباً ومزقة من  
قيص . التفتان تنظران إليهما في انقباض شديد ثم تهمس  
كاتلين : ) رحمتا الله يانورا ! أفليس من العسير أن  
نحكم إن كانت تلك حقاً ثياب ميخائيل ؟

نورا — سأتي بقيمصه من على السمار فتري إن  
كان هذا من عين القماش . ( تنظرين الثياب المتلفعة في ركن  
السكوخ ) ليس القمص هنا يا كاتلين . فأين هو إذن ؟  
كاتلين — ما أظن إلا أن أختانا قد ارتداه في  
الصباح ، فقد كان الملح يثقل قمصه ( تشير إلى الركن )  
لديك مزقة من قيص فهايتها . ( تحضرها نورا فتفاران  
بين التويين ) إنه من عين القماش يانورا . ولكنه قد  
يكون قيص رجل آخر ، فهذا الضنف كثير في  
حوانيت جالواي

نورا ( بعد أن تتناول الجورب وتدعو عينه ) — إنه  
ميخائيل يا كاتلين ! إنه ميخائيل رحمه الله ! وماذا  
تقول أمنا حين نسمع القصة وقد أبحر بارتي ؟ !  
كاتلين ( تأخذ الجورب ) — إنه جورب غفل بغير رسم  
نورا — إنه ثاني جوارب ثلاثة صنعتها ، وفيه  
ستون عيناً أقصتها عيوناً أربعا .

كاتلين ( تدعو العين ) — إنها كذلك يانورا !  
آه يا أختاه ! ما أمر على القلب وما أوجع أن طوح  
به الزوج إلى الشمال القصي حيث لا يندبه أحد إلا  
عجائر البحر الكثيفة السوداء !

نورا ( ترتج ثم تمتصن الثياب ) — ما أمر على  
القلب وما أوجع أن طاح الموت يبحار قوى شديد  
فلم يبق منه إلا مزقة من قيص وجوزب غير موسوم !  
كاتلين ( بعد برهة ) — خبريني إن كانت قادمة

ولكنهم ذهبوا جميعاً ... فأودت الريح الكبرى  
بولدى ستيفن وشون ، وطوحت بهما إلى الغم الذهبي  
ثم ولجأ هذا الباب فوق لوح من الخشب ( تصمت برهة  
وتغفل الفتاتان كأنهما سمعتا حفيفاً بالباب الموارب خلفهما . )  
نورا ( في هس ) — هل سمعت يا كاثلين ؟ هل  
سمعت صوتاً من الشمال الشرقي ؟

كاثلين ( في هس ) — إني أسمع لجياً وصباحاً  
بإزاء الساحل

موريا ( مستتلة لا تسمع شيئاً ) — وفي خيمة الليل  
قد قد ناشيموس وأبأه وجده ، ثم أشرقت الشمس على  
غير أثر خلفه ... واقبلت ياتش قارب ففرق ؟  
وكنت جالسة هنا وبارتلي نائم على ركبتى — وكان  
ما يزال طفلاً — فرأيت امرأتين قتلتا نساء فأربعة  
رجال يدخلون ويسرعون الصليب على صدورهم  
ساهمين ؟ فرميت بصري إلى الخارج فرأيت رجالاً  
مقتلين وراءهم يحملون شيئاً في شطر قلع أحر يقطر ماء  
فيرسم في الطريق أترا ... وكان يوماً جافاً يا نورا ! ...  
( تصبت مرة أخرى ويدها ممدودتان إلى الباب . يفتح ببطء  
وتحوز بالوصيد بجائر يرسم على صدورهن الصليب ثم يخطون  
إلى مقدمة المسرح حائيات الظهور وعلى رؤوسهن خمرء )  
موريا ( نصف حلة غطائية كاثلين ) — أيا نش ؟  
أم ميخائيل ؟ أم أي شيء أرى ؟

كاثلين — لقد عثروا على ميخائيل في الشمال القصي  
فكيف نلقاه هنا ؟

موريا — تلك قوة الشباب يا كاثلين ... ومن  
أدراهم أن ميخائيل هو من عثروا عليه ؟ إن رجالاً  
تتطاول به الريح وتتقاذفه الأمواج تسعة أيام لكالرمم  
الطامس لا تعرفه عينا إنسان ؟ حتى أمه لو رآه  
لما علمت أى رجل في إهابه

كاثلين — بل يا أماء إنه ميخائيل ! لقد بعثوا  
إلينا من الشمال القصي رمزاً من ثيابه

موريا ( تتكلم في ببطء شديد ) — لقد رأيت أهول  
مارأت عيتان منذ أبصر ( برايد دارا ) الرجل الميت  
والطفل بين ذراعيه  
كاثلين ونورا — أواه !

( تنبعاث قرب النثر بإزاء المرأة )

نورا — خبرينا ماذا رأيت !

موريا — ذهبت إلى البئر ، ثم وقفت أخافت بالصلاة ،  
حتى أقبل بارتلي راكباً جواده الأحمر ، والمهر الرمادي  
وراءه ( ترفع يديها كأنها تتخفى عن عينيها شيئاً ) الله يرهبنا يا نورا !  
كاثلين — ماذا رأيت ؟

موريا — رأيت ميخائيل بعينه

كاثلين ( في هدوء ) — كلأيا أماء ليس ميخائيل  
من رأيت . فلقد وجدت جثته في الشمال القصي .  
ولقد مات موة طاهرة رحمه الله .

موريا ( في شيء من التحدى ) — لقد رأيت اليوم  
بعدو مهطلاً بجواده . وكان السابق بارتلي ، بجواده  
الأحمر . فأردت أن أقول له : الله براك ، فعصاني  
لساني ، واختفت السككات في حلقى ؛ وقال بارتلي :  
في حراسة الله ، فلم أستطع أن أجيبه ؛ ثم صرخت  
ونظرت إلى المهر الرمادي يعتليه ميخائيل وقد  
أرذى ثيابه تشبیه وانتمل خفيين جديدين

كاثلين ( مولوة ) — اليوم مخطئنا ! اليوم  
مخطئنا ولا ريب !

نورا — ألم يقل القسيس الشاب إن الله لن  
يتركها معوزة بغير بنين ؟

موريا ( في صوت خفيض جلى ) — إن مثل بارتلي  
لا يعلم عن البحر إلا قليلاً ، ولسوف تفقده الآن .  
استقدا إبعون فجهروا من هذه الأخشاب البيضاء  
ناووساً حسناً . فلن أعيش من بعدهم طويلاً . لقد  
كان لي بعل وكان لي حمٌّ وكان لي في هذا البيت  
سنة أبناء — ستة رجال أقوياء كانت ولادتهم على  
عسيرة — عثرت على بعضهم ولم أعر على البعض ،

اصنع أنت وإعوني وناووسا ولدنا خشب أبيض جميل ،  
اشترته — كان الله في عونها — ! طاعة أن سنجد  
ميخائيل . وسأعطيك كمنك طازجة تا كلاتها إبان حكمك  
الرجل المعجوز ( ينظر إلى الأخشاب ) — وهل  
لديك مسامير !

كاثلين — كلايا كولم ، فإننا لم نفكر في هذا الأمر...  
رجل آخر — عجيب ! ألا تفكر في المسامير ،  
وقد رأيت النواويس كلها كيف تصنع !

كاثلين — لقد أوقرتنا السنون ونأنت بما حملت  
( موريا تهف في بطء مرة أخرى ، ثم تبسط ثياب  
ميخائيل بجانب الجنة ، وترشها بما يق من الماء المقدس )  
نورا ( في هس غطابة كاثلين ) — لقد هدا روعها  
الآن وسكنت . وبوم مات ميخائيل كانت تبدو  
مولولة بين البيت والبئر ... لقد كان ميخائيل أحب  
إليها ... من كان يظن هذا ؟

كاثلين ( في بطء وجلاء ) — إن امرأة عجوزاً  
لتمل أى شيء تفعل ... لقد غيرت تسعة أيام تصرخ  
وتولول وتملأ البيت حزناً

موريا ( ترد الزجاج الفارغة أسفل المائدة ، ثم تضع  
كلتا يديها على قدمي بارثي ) — لقد ذهبوا الآن جميعاً  
واتتهى كل شيء . رحم الله بارثي وميخائيل وشيغوس  
وباتش وستيفن وشون ( تغطي هامتها ) ورحمى الله  
يانورا ! ورحم الله كل من لا يزال حياً على ظهر  
هذه الأرض !

( تمصت ويعلو عويل النساء ، ثم يغت ويصاهل )  
موريا ( مستتلة ) — لقد مات ميخائيل في  
الشمال القصي مبتة طاهرة ، وسيوفي بارثي في ناووس  
جميل من الأخشاب البيضاء ، ثم يوارى في تابوت عميق ؛  
فقيم نأمل بعد ؟ لن يخلد على الأرض مخلوق فليلنا  
أن نرضى ( تترك مرة أخرى ، ويسدل الستار رويداً )  
ترجمة بشكى محمد عياد  
كلية الآداب

( تقدم إلى موريا قيس ميخائيل وجوريه ؟ موريا تهف  
في بطء فتأخذها بين يديها . نورا تنظر إلى الخارج )  
نورا — إنهم يحملون بين أيديهم شيئاً ، والماء  
يقطر فيخلف على الصخور الكبيرة أترا  
كاثلين ( في هس غطابة المعجوز التي قدمت ) — أبارثي ؟  
إحدى النسوة — إنه هو رحمه الله

( امرأتان صغيرتان تجران المائدة . الرجال يدخلون  
حاملين جثة بارثي على لوح من الخشب ، وقد تنطت بشطر  
من قلع ثم يسجنونها على المائدة )

كاثلين ( غطابة النساء ) — وكيف غرق ؟  
إحدى النسوة — ألقاه المهر الرمادي إلى البحر  
ففسلناه على أمواج الصخور البيضاء

( تقدم موريا إلى المائدة ثم تترك عند رأسها النساء يولولن  
في صوت خافت ، وتبائين في بطء ؟ كاثلين ونورا يركبان  
عند الطرف الآخر من المائدة . الرجال يركون قرب الباب )  
موريا ( ترفع رأسها ثم تتكلم كأنها لا تبصر من  
حولها ) — لقد ذهبوا الآن جميعاً ، ولم يعد البحر  
قادراً على أن ينال معنى شيئاً . لم يبق ما يجعلني أقوم  
الليل داعية حين تعصف الرياح في الجنوب ، أو حين  
تتلاطم الأمواج في الشرق ، أو حين تتلاطم الأمواج  
في الغرب ، أو حين تختلط أصداؤها في أذني . لن  
أذهب إلى سامهان لأنى بالماء المقدس ، وحين تمول  
النسوة لن أهتم لحال البحر . ناوليني الماء المقدس يانورا  
فما زالت منه بقية في القنينة  
نورا — ( تناولها إياه )

موريا ( تسقط ثياب ميخائيل عند قدمي بارثي وترش  
عليه الماء المقدس ) — ما كان ذاك لأنى لم أدع لك الله  
القدير يابارثي ، ولا لأنى لم أبهل إلى ريك في حفنة  
الليل حتى ليهم عليك قولي ؛ ولكنى الآن قد  
أشرفت على الراحة إذ أنام في لياني سامهان ؛ وإنها  
الراحة لو وجدنا حفنة من دقيق بلبيل وسمكة مريجة  
نأكلها ( تترك ثانية وترسم الصليب على صدرها وتهمس بالصلاة )  
كاثلين ( غطابة رجلاً عجوزاً ) — حين تشرق الشمس



الناس في حقيقة ذلك  
الشخص فبعضهم يقول  
إنه شاب غريب يعزف  
على القيثارة أوقع الأميرة  
في شرك جماله، وآخرون  
يتحدثون عنه أنه فنان  
رفيع النسب جاء من  
« رميني » واختفى فجأة

# الملك والشبح

للكاتب الانكليزي أوسكار وايلد  
مترجمة بقلم الأديب بشر الشويقي

من المدينة تاركا عمله في الكنيسة قبل أن ينتهي .  
وقد سرق هذا الطفل من جنب والدته أثناء رقادها  
قبل أن يبلغ سبعة أيام من عمره ومُعهد بتريته إلى  
قروي يعيش هو وزوجته في طرف غاية تبعد عن المدينة  
مسير يوم ، وماتت والدته الفتاة البيضاء ، فأشاع  
بعضهم أنها ماتت من الحزن ، وقال أطباء البلاط ماتت  
من الحما ، وقال آخرون لا بل ماتت منتحرة بأن  
تجربت في ساعة من ساعات ضعفها كأسا من النبيذ  
المعتق مزجت به كمية من السم الايطالي الزعاف ؛  
ويذكرون أنه في الوقت الذي وقف فيه الرسول  
الأمين بالطفل أمام كوخ المآز وطرق بابه الغليظ ،  
كانت جثة الأميرة تنزل في قبر قد شق في أرض  
صحراوية خارج أسوار المدينة . ويقال إن جثة أخرى  
كانت ملقاة في هذا القبر هي جثة شاب خلأب  
الجمال أجبن الملامح قد شد وثاقه بحبل متين وأُخِن  
صدره بالجراح الجراء

يمثل هذه القصة كان يهامس الناس ، ولكن  
من الثابت أن الملك الشيخ قد أرسل في طلب  
السلام وهو على فراش الموت وأقره بمحضور  
مجلس الوزراء وليا لعهده ؛ وقد يكون الدافع له  
إلى هذه البرّة رغبته في التكفير عن جرمته

هي آخر ليلة تسبق اليوم المعين لتتويج الملك  
الشاب وكان يجلس وحيدا في غرفته الفاخرة ، بعد  
أن خرج من حضرته رجال بلاطه جميعهم مقبلين  
الأرض بين يديه تبعاً لعادات ذلك الزمن ، عائدين  
إلى قاعة القصر الكبرى ليتلقوا آخر درس في  
المعايشة من أستاذ التشريفات . لقد كان بينهم من  
لا يزال محتفظاً ببعض أخلاقه الفطرية ، ومما يؤسف  
له حقاً أن مثل هذه الأخلاق تعد في البلاط من  
أكبر الكبار

لم بأسف الغلام لرحيلهم — أقول الغلام لأنه  
كان غلاماً حقيقة لم يتجاوز السادسة عشرة من  
عمره — بل استلقى على الوسائد الناعمة متنفساً  
الصعداء وقد كان وهو مضطجع على فراشه ينظر  
بعمية المستوحشتين وفيه مفتوح أشبه مايكون باله  
الأحراج الأسمر أو بحيوانات الغابة الصغار إذا  
ما وقعت في فخاخ الصيادين

والواقع أن الصيادين هم الذين عثروا عليه صدفة  
وهو يجزى عارى الساقين وراء قطيع المآز الفقير  
الذي رباه وكان عنده بمنزلة ولده

كان الطفل ابن وحيدة الملك الشيخ ، ولدته  
على أثر اقتران سري برجل من العامة ، وقد اختلف

فوجده راكماً في خشوع حقيق أمام صورة كبيرة قد أحضرت من البندقية منذ لحظات ؛ وأنه اعتقد مرة فلم يعرف أحد مكانه ، وأخيراً وبعد تفتيش واسع النطاق وجدوه في غرفة صغيرة تقع في أحد أبراج القصر الشمالية محذقاً في ذهول بتمثال « أدونيس » ؛ وتذهب القصة إلى أنه قد شوهد يضغط بشفتيه على جبين تمثال قديم كان قد اكتشف في قاع نهر أثناء اشتغال العمال ببناء جسر حجري ، وإلى أنه أمضى ليلة بطولها وهو يتأمل في منظر انعكاس ضوء القمر على تمثال « أبديميون » الفضي

كان يفتنه كل ماهو مثير ونادر فيرسل التجار بعضهم إلى مصر ليقبضوا له عن هذا النوع الأخصر من اللازورد الذي لا يوجد إلا في قبور الملوك ، والذي يقال إن فيه خواص السحر ؛ ويرسل البعض الآخر إلى فارس من أجل الأبسطة الحريرية والخزف المدهون ؛ ويرسل آخرون إلى الهند ليقبضوا له شقوقاً ودمالج وعاجاً ملوناً ومينا أزرق وأحجار وشم وطيالس من الصوف الناعم

ولكن الذي شغل باله أكثر من كل شيء هو الثوب الذي سيرتيبه في حفلة تتويجه وقد نسج بخيوط من ذهب ، ثم التاج المرصع بالجواهر الوهاجة ، والصولجان ذو الحلقات الماسية المنتظمة صفاً صفاً . لارب أنه كان يفكر تلك الليلة في هذه القطع الجليلة وهو مضطجع على أريكته الفاخرة مراقباً حطب الصنوبر وهو يحترق في الموقد

ولقد حُيِّل إليه في تلك اللحظة أنه عند مذبح الكنيسة في حلة الملك الجليلة . وإتسامة الطفل قد

الفضيلة أو مجرد الحرص منه على إبقاء الملك في سلطته وقد أظهر التلام منذ أن اعترف به أنه قوى الشعور بالجمال ؛ وقد كان لشموه هذا أعظم الأثر في حياته ، فهو لا الذين ألقوا بخدمته ليكونوا رهن إشارته كثيراً ما يتحدثوا عن صرخة الاغتباط التي تكسرت على شفتيه وعن الفرح الأكبر الذي استولى عليه حين رأى الثوب الناعم والجواهر الثمينة تقدم إليه ليستعوض بها عن ثوبه الجلدي الخشن وفروته النملضة

ولكنه فقد مع الأيام حرية الحياة في الغابة ؛ وكان كثيراً ما يشكو من حفلات البلاط المضجرة التي كانت تستغرق كل يوم شطراً كبيراً من النهار ؛ غير أنه وجد في القصر العجيب الذي أصبح الآن سيده ، عالماً جديداً يصلح ميداناً لنشاطه ، حتى إذا سئحت له فرصة للتخلص من مجلس الدولة أو من قاعة العرش ، جرى هابطاً السلم الرخامي الكبير وأخذ يطوف الغرف غرفة غرفة ويتنقل في الممرات ممرأ ممرأ كالذي يبحث عنه يجد في الجمال مسكناً لألامه أو مجدداً لقواه . وكان يرافقه أحياناً في رحلات الاكتشاف هذه على حد تعبيره وصفاء البلاط الظرفاء بأردبيتهم الفضفاضة وأشرطتهم الزاهية الخفاقة ؛ غير أنه كان يفضل الوحدة في غالب الأحيان ، مدركاً بسليقته البقطة أن أسرار الفن إنما تدرك في السر أحسن إدراك ، وإن الجمال كالحكمة إنما يجب من المابد العزلة

وفي هذا الدور تناقل الناس عنه بعض القصص : ذكروا أن حاكم المدينة الضخم دخل عليه يوماً ريلاني بين يديه خطاباً في مصالح سكان المدينة

والنساء التحيلات يجلسن إلى مناضد الحياطة . وكان الهواء فاسداً قتيلاً ، والكان قد امتلأ برائحة خبيثة والجدران تزد بالروطية

تقدم الملك الشاب نحو أحد الحاكّة ووقف إلى جانبه فنظر إليه الحائك غاضباً وقال :

— لماذا تراقبني ؟ أنت جاسوس أرسلك معلمنا للتجسس علينا ؟

فسأله الملك الشاب : ومن هو معلمك ؟

أجاب الحائك بمرارة : إنه رجل مثلي ، وفي الحق لا يوجد بيننا من فارق إلا أنه يريدني أجل الثياب وأنا أردتني أحرقها ، وأنتى مريض من الجوع وهو مريض من التخمة

قال الملك الشاب : إن رحمة الله واسعة وما أنتم بعبيد

أجاب الحائك : في الحرب يستعبد القوى الضعيف ، وفي السلم يستعبد الغنى الفقير . يجب أن نشغل لنعيش . إننا نكدح لهم طول النهار وهم يكسبون الذهب في خزائهم ، وأطفالنا يذوون قبل الأوان . إننا ننصر العنب ويشرب غيرنا الخمر ؛

ومحصداً القمح ويوثنا فارغة منته ، إننا مضطرون وإن كانت العين لا ترى أصفادنا ؛ وإننا عبيد وإن كان الناس يدعوننا أحرارا

— وهل هذا هو حال الجميع ؟

أجاب الحائك : إنه حال الجميع ، حال الشبان وحال الشيوخ ؛ حال النساء وحال الرجال ؛ حال الأطفال الصغار وحال الطاعنين في السن ؛ لقد أقتض التجار ظهرا ، ومن شقائنا أننا مضطرون أن نخضع لأوامرهم . يمر بنا القسيس راكباً جواده

ارتفعت على شفتيه فأضاءت عينيه السوداوين بنور بهيج . وها هوذا ينهض من مقعده ويتكىء على بناء المدخنة القوس ويدبر عينيه في الغرفة الباهتة الضوء ، وكان يستطيع أن يرى في الخارج قباب الكنائس الضخمة تلوح كالفقاع فوق المنازل المظلمة ، والحراس المتعبين يسرون في الطريق المغطى بالسحاب إلى جانب النهر صاعدين هابطين ، والغندليب ينفي في حديقة بعيدة ، وعير الياشين يفوح من النافذة المفتوحة

لقد رفع خصل شعره الفاحم عن جبهته وتناول القيثارة وترك أصابعه تمثت بأوتاره فدمعت أجفانه المثقلة وسرى في جسمه فتور غريب

إنه لم يشعر بمثل هذا الشوق من قبل ، ولا بمثل هذا الفرح الشامل ، ولا بمثل غموض هذه الأشياء الجميلة وسحرها . وحيناً دقت ساعة البرج مؤذنة بانتصاف الليل لمس جرساً فأذا بوصفائه النيد الأمايد يدخلون عليه وينزعون عنه ثيابه ويشترتون الأزهار على وسادته ، ويعد قليل ينادرون الترفة فيسلم جفنيه للرقاد

\*\*\*

وقد رأى في رقاده هذه الرؤيا :

وجد نفسه واقفاً في حجرة واطئة طويلة في وسط الدوي المتصاعد من حركة الأنوال البكثيرة ، وضوء الصباح الضعيف يطل على الغرفة من النوافذ المشبكة بقضبان الحديد فيجمله يرى أشباح النساء قد انحوا فوق أنوالهم ، والأطفال قد جثموا بأجسادهم الهزيلة الرقيقة على القاعد المتقاطعة وقد قرص الجوع وجوههم ، وأرجف البؤس أيديهم الصغيرة

هب نسيم عليل من الشاطئ فغطى ظهر المركب والشرع الكبير بنيرة حمراء زاهية . وعندما أقنوا المرساة وطلوا الشرع ادفع الزوج إلى السفينة وأحضروا سلماً طويلاً مصنوعاً من جبال قد أُنْتُكِلَ بالحديد فرماها الريان في البحر بعد أن ثبت طرفها بدعامتين في المركب ، وحينئذ أمسك الزوج بأصغر العبيد سناً فزغوا عنه قيوده وحشوا أنفه وأذنيه بالشمع وشدوا حجراً كبيراً إلى صدره فذب على السلم تمباً واختفى في البحر

وبعد قليل خرج من الماء والتصق بالسلم وهو يلهث ، يحمل لؤلؤة في اليد اليمنى فتناولها منه الزوج ودفعوا به إلى الوراء

كان يفوص العبد في الماء ويخرج ، ثم يفوص ويخرج ، وفي كل مرة كان يحمل معه جوهرة رائعة فيتناولها منه الريان السفينة ، وبعد أن رزنها يضمها في محفظة من جلد أذرق

لقد حاول الملك الشاب أن يتكلم ، ولكن لسانه التصق بسقف حلقه وأبت شفتاه أن تتحركا . لفظ الزوج متنازعين على خيط خرز أبيض ، وخام مركبان حول المركب ، وأخيراً خرج الفائص لآخر مرة يحمل جوهرة أضوأ من نجمة الصباح ولكن وجهه كان أزرق زرقه عجيبة وحين ارتقى على ظهر المركب أخذ الدم يتدفق من أذنيه وأنفه . لقد تحبظ لحظة ثم سكن سكوت الموت . فhez الزوج أكتافهم وقذفوا بالجسم إلى البحر ، وأبسم الريان من بعيد وحيناً وصل إليهم تناول الجوهرة ونظر فيها ثم أدناها من جيبه وانحنى (٦)

لاعياً بمسبحته ولا أحد يهتم بنا ، زحف الفقر بعينيهِ الجائعتين في أزقتها التي لا ترى الشمس ، تبعه الجريمة بوجهها البشع ، يوقظنا البؤس في الصباح ويجلس الدلممنا في المساء ، ولكن مالك ولهذا ؟ إنك لست واحداً منا ، إن وجهك يطفح بالبشر

وأشاح بوجهه عن الملك الشاب وأخذ يرى الوشيمة وسط النول ، فرأى الملك أن الخيوط التي شدت إلى النول من ذهب ، فاستولى عليه جزع عظيم وقال للحائك :

— وأى ثوب هذا الذي تحبكه !

أجاب الحائك : إنه الثوب الذي سرتديه الملك يوم تتويجه . ولكن أنت ما صلتك بهذا ؟

فصرخ الملك الشاب صرخة أيقظته من رقاده فإذا به لا يزال في غرفته الخاصة ، وإذا به يرى خلال النافذة القمر الملون معلقاً في الفضاء

\*\*\*

ولكن الرقاد غلبه مرة ثانية فرأى هذه الرؤيا : وجد نفسه ممدداً على ظهر مركب ضخم يسيره مائة عبد بمجاديفهم وقد جلس إلى جانبه على بساط الريان المركب وكان أسود كالأنبوس على رأسه عمامة من الحرير قرمزية اللون ، وتدلّى من شحمته أذنيه الليليتين حلققتان كبيرتان من الفضة ، ويحمل في يديه مزاناً من العاج . وكان العبيد عراة الأجسام إلا من جلود بالية ، قد شد وثاق كل واحد منهم إلى جاره تلفصهم حرارة الشمس وتمتحن أجسادهم سياط الزوج . لقد بسطوا سواعدهم المنحنية ودفعوا المجاديف الثقيلة خلال الماء ، وأخيراً وصلوا إلى خليج صغير فوقوا يسبرون غوره ، وفي تلك الأثناء

قال الطمع : بل لا أعطيك شيئاً ، وخبا يده  
في ثوبه الفضفاض

فابتسم الموت وتناول كأساً ثم غمرها في مجرى  
الماء ففرجت من الكأس البرداء<sup>(١)</sup> تسير بين الجمع  
الحاشد يتبعها ضباب بارد ، وتركض إلى جانبها  
حشرات الماء ، فوقع ثلث الخلق أمواتاً

وحينما شاهد الطمع أن ثلث الناس قد ماتوا  
أخذ يضرب صدره ويكي ، ضرب صدره العاري  
وصاح بأعلى صوته : لقد ذبحت ثلث خدي . أغرب  
عن هذا المكان . إن الحرب مستعرة في جبال  
التتر ، وملوك كلا الطرفين المتقاتلين يدعونك . لقد  
ذبح الأفغان الثور الأسود وهم في طريقهم إلى المعركة ؛  
فما الذي يجب لك الإقامة في وادي هذا ، أغرب  
من هنا ولا تمد مرة ثانية

أجاب الموت : لا أذهب مالم تعطني حبة القمح  
ولكن الطمع قبض يده ، وشد على أسنانه  
وتتم : لن أعطيك شيئاً

فابتسم الموت وتناول حجراً أسود ورماه في الغابة  
فاذا بالحي تخرج من شجرة برية ضخمة في ثوب  
من اللب ، وسارت بين الجمع الحاشد لا تلمس  
أحداً إلا صرخته

فارتد الطمع وحثا على رأسه التراب صائحاً :  
إنك قاس ، إنك قاس ؛ يوجد جماعة في مدن الهند  
ذات الأسوار ، وقد جفت آبار سمرقند ، وهاجم  
الجراد مصر من الصحراء ، والنيل لم يمد فيفيض على

قائماً : إنها تليق بصولجان الملك ، وأشار إلى الزوج  
أن يسحبوا الفائض . حينما سمع الملك الشاب ذلك  
صرخ صرخة عظيمة أبقتله من رقاده فأبصر من  
خلال النافذة أصابع الفجر الشبهاء الطويلة ممسكة  
بالنجوم الزاوية

\*\*\*

ولكن الرقاد غلبه مرة ثالثة فأبصر هذه الرؤيا :  
لقد ألقى نفسه تاهماً في غابة كثيفة تنفع فيها الأفاعي  
وتطير البغاوات البيضاء من غصن إلى غصن ،  
وتتمدد السلاحف الهائلة راقدة على الوحل الملتهب ،  
وكانت الأشجار مكتسية بالفردة والفلواويس

وقد ظل يسير حتى وصل إلى نهاية الغابة ،  
وهناك أبصر كتلاً عظيمة من الرجال يكدحون  
في مجرى نهر جاف ؛ لقد تجمعوا كالمثل عند هاتيك  
الصخور ، يحفر بعضهم في الأرض ، ويفلق بعضهم  
الصخور بالفؤوس الضخمة ، ويستأسل آخرون  
الصبار من جذوره ؛ كانوا يجرون من هنا لهنالك  
بنادى بعضهم بعضاً وليس فيهم الكسلان

وكان يراقبهم الموت والطمع من ظلعة كهف  
قال للموت : إنني متمب ؛ أعطني ثلث الرجال  
ودعني أذهب

ولكن الطمع هز رأسه وأجاب : إنهم خدي  
قال الموت : ماذا تحمل في يدك ؟

أجاب الطمع : ثلاث حبات من القمح ،  
ولكن مالك ولهذا ؟

صاح الموت : أعطني حبة منها لأغرسها في  
حديقتي ، حبة واحدة ثم أذهب بعيداً

فنظر الملك في الثوب والتاج والصولجان فأخذ يبجلها ولم يكن يحظر على ياله أنها يمكن أن تكون بمثل هذا البهاء ، ولكنه تذكر رؤاه فقال لحاشيته : أبعدها عني ! سوف لا أرتديها

فشدته رجال البلاط وابتسم بعضهم حسبا أنه يمازحهم

ولكنه عاد يقول في زرانة : خذوا هذه الأشياء واخفوها عني ، لا أرتديها وإن كان اليوم يوم تنويحي ، لأن ثوبي هذا قد نسج بأيدي الألم البيضاء على نول الأحزان . إن الدم في قلب الياقوتة ، والموت في قلب المؤلوة ، ثم قص عليهم الرؤيا التي شاهدها

فلما سمعها رجال البلاط أخذ ينظر بعضهم إلى بعض ويتهايمسون قائلين : في الحق إنه لجنون ! فهل الحلم إلا الحلم ؟ وهل الرؤيا إلا الرؤيا ؟ إن هي إلا أضغاث أحلام لا تستأهل الاهتمام ؛ وما علينا أن نفعل في سبيل هؤلاء الذين يكدهون من أجلتنا ؟ هل يجب ألا يأكل الإنسان الخبز حتى يري الزارع ؟ أو ألا يشرب الخمر حتى يكلم العاصر ؟

وقال كبير الأمناء يخاطب الملك : مولاي صاحب الجلالة ، أتوسل إليك أن تبعد عنك هذه الأفكار السود ، وترتدى هذا الثوب الجميل ، وتضع على رأسك هذا التاج البهي ، إذ كيف يستطيع الشعب أن يعرف أنك الملك إذا لم تظهر له في حلة الملك ؟

فنظر إليه الملك الشاب وسأله : أحقا ما تقول ؟ أتحببهم أنهم لا يعرفوني إذا لم أرتد حلة الملك ؟

شططانه بالخيرات ؛ إذ ذهب من هنا إلى هؤلاء الذين هم في حاجة إليك وأترك لي خدي

فأجاب الموت : لا أذهب مالم تعطيني حبة القمح أجاب الطمع : إن أعطيك شيئا

فابتسم الموت ثانية وصفر من خلال أصابعه فجاءت امرأة تطير في الهواء قد كتب على جبينها : « الطاعون » يحف بها سرب هزيل من العقبان ، فنطت الوادي بأجنحتها ولم يبق أحد على قيد الحياة وعندها اختفى الطمع في الغابة وهو يصرخ ، ووثب الموت على جواده الأحمر وأطلق له العنان فجرى به يسابق الرياح

وبكى الملك الشاب وقال كمن يخاطب نفسه : ليت شمري ! من كان هؤلاء الناس وعم كانوا يبحثون ؟ أجاب رجل كان يقف وراءه : عن ياقوت لتاج الملك فذعر الملك الشاب والتفت حوله فأبصر رجلا في ثياب الحجاج يحمل في يده امرأة فضية ؛ فشجب لونه وقال : لتاج أي ملك ؟

فأجاب الحاج : إذا نظرت في هذه المرأة فإنك تراه

فلما نظر في المرأة وأبصر فيها وجهه هو صرخ صرخة عظيمة واستيقظ ، فإذا بنور الشمس اللامع ينساب في الترفة ، وطيور الحديقة تغنى وهي على الأغصان

\*\*\*

ودخل عليه كبير الأمناء وأعظم رجال الدولة ققبلوا الأرض بين يديه ، وأحضر له وصفاؤه الثوب المصنوع من ذهب ووضعوا التاج والصولجان أمامه ،

والوصيف الصغير يجرى إلى جانبه  
وابتسم الشعب وقال : إنه لك مجنون هذا  
الذى يسير ممتطياً جواده ! وأخذوا يسخرون منه .  
فشد عنان جواده ووقف يخاطب الشعب بقوله :  
ولكننى أنا الملك ، وقص عليهم أحلامه الثلاثة .  
فتقدم إليه رجل من وسط الناس وقال يخاطبه فى  
مرارة : إن فى طفيان الأغنياء حياتنا ، وأبهة  
الملك تعلمنا الشئ الكثير ، وأخطاؤه تعطينا خزناً ،  
والغربان وحدها هى التى تمدنا بالعون . أنتستطيع  
أنت أن تقول للمشتري اشتر بكذا وللبائع بيع بهذا  
الثمن ؟ أنا لا أظن ذلك ، إذن فارجع إلى قصرك  
وارتد حلتك الجميلة المزعومة بالألأى فإأحسبك  
تستطيع أن تفعل شيئاً من أجلنا

فاغروقت عينا الملك الشاب بالدموع ولكنه  
لكز جواده فسار به بين همسات الشعب ، أما الوصيف  
الصغير فقد داخله الخوف فتركه

وحينما وصل إلى باب « الكاتدرائية » الكبير  
أشهر عليه الجنود بلباطهم وقالوا : ماذا تفعل هنا ؟  
لا يدخل من هذا الباب إلا الملك

فقال لهم : وقد علت وجهه أمارات الغضب :  
أنا الملك ، ودفع بلباطهم عنه ودخل

وحينما شاهده الأسقف المعجوز يدخل فى ثياب  
الراعى نهض عن أريكته مستغرباً وتقدم نحوه وقال  
له : أين حلة الملك يا ولدى ؟ بأى تاج سأتوجك  
وأى صولجان سأضع فى يدك ؟ إن هذا اليوم هو يوم  
فرح لك لا يوم مهانة

قال الملك الشاب : أيمكن أن يرتدى الفرح  
ماحا كته يد الحزن . وقص عليه أحلامه الثلاثة . وحينما

فصاح كبير الأمناء : إنهم سوف لا يعرفونك  
يا مولاي

فأجاب : كنت أحسب أنه يوجد بين الرجال  
من يرتدى مثل ثياب الملك ، ولكن قد يكون الأمر  
كما تقول ، غير أنى لن أرتدى هذا الثوب ، ولن  
أتوج بهذا التاج ، وسأغادر هذا القصر كما جئته  
ثم أمرهم أن ينادروه جميعهم إلا وصيفاً كان  
أصغر منه بعام احتفظ به كرفيق وخدام . وبعد أن  
اغتسل بماء قراح فتح صندوقاً كبيراً أخرج منه الرسوم  
وأخرج منه الثوب الجلدى والفروة اللظيلة التى كان  
يلبسها وهو يرمى على جانب التل قطع الماعز ، فارتداها  
وتناول فى يده هراوة المَعاز الضخمة ، ففتح الوصيف  
الصغير عينيه الكبيرتين الزرقاوين استغرباً وقال له  
وهو يتشم : إني أرى ثوبك يا مولاي وصولجانك  
ولكن أين هو تاجك ؟

فقصف الملك الشاب غصناً من شجرة العسلوج  
البرية التى كانت تسلق على الشرفة فتناه وجعل منه  
دائرة ووضع على رأسه وأجاب الوصيف : هذا  
هو تاجي

وخرج فى هذا الزى من حجرته إلى القاعة  
الكبرى حيث كان فى انتظاره النبلاء المطام ،  
فضحك منه بعضهم وصاح به آخرون : مولانا  
إن الشعب ينتظر ملكه وأنت ترى نفسك له شحاذاً  
وقال جماعة منهم وقد استشاطهم الغضب : إنه  
يجب المار لدولتنا ، وإنه لا يليق أن يكون سيدنا .  
ولكنه لم يجههم بكلمة واحدة بل استمر فى سيره  
وهبط السلم الرخامي وخرج من الأبواب البرزية  
وأمضى صهوة جواده وأبجم نحوه الكتندراثة

سمعا الأسقف قطب حاجبيه وقال :

— أي ولى ! إنني رجل عجوز في آخر أيامي ؛  
وأنا أعلم أن آثاماً كثيرة تركت في هذا العالم  
الواسع : ينزل قطاع الطرق المئات من الجبال ويخطفون  
الأطفال الصغار ، ويبيعونهم إلى تجار الرقيق ، ويحطم  
الأسود يترصون القوافل ليثبوا على الجمال ، ويقضم  
الثعالب الكرمة التمددة على التلال ، ويخرب قرصان  
البحر السواحل ، ويحرقون مراكب الصيادين ،  
ويتجول الشحاذون في المدينة يأكلون طعامهم مع  
الكلاب . فهل تستطيع أنت أن تحول دون ذلك ؟  
أستطيع أن تجلس الشحاذ في بلاطك ؟ هل ينفذ  
الأسد أوامرك ؟ وهل يطيعك الخنزير البري ؟ أليس  
الذي خلق الأسي أحكم منك ؟ إنني لا أوافقك على  
هذا الذي صنعت . بل أطلب إليك أن تركب وتعود  
إلى قصرك وتبسط أساري وجهك ، وترتدي  
الكسوة التي تليق بالملك . إن متاع هذا العالم أثقل  
من أن يحتملها رجل واحد ، وأحزان العالم أعظم  
من أن يطيحها قلب واحد

قال الملك الشاب : أأنت تقول مثل ذلك ،  
وتقوله في هذا البيت ؟

وانصرف عن الأسقف متسلقاً درج المذبح إلى  
أن وقف أمام تمثال المسيح الذي كان يحمل في يديه  
الكأسين الذهبيتين : كأس العشاء الرباني ، وفيه  
الخر الصفراء ، وكأس الزيت المقدس ، فركع أمام  
التمثال والشموع الكبيرة تتألق إلى جانب المزار  
المرصع باللآلئ ، والبخور المحترق يتصاعد إلى القبة  
أكليل صغيرة ، فأحني رأسه يصلي ، وانسل  
القساوسة بقبعاتهم الخشنة من المذبح

ولجأة سمع صوت جلبة آتية من الشارع ثم  
دخل النبلاء وقد ترتبوا بإشاراتهم الخفاقة وارتدوا  
دروعهم الفولاذية اللامعة ، وأشهبوا سيوفهم  
وكانوا يصيحون : أين صاحب الأحلام هذا ؟ أين  
هذا الملك الذي تربا بزي الشحاذ ؟ هذا الغلام الذي  
جلب لدولتنا العار ، سنذبحه ولا ريب لأنه لا يصلح  
حاكماً علينا . أما الملك الشاب فقد أحنى رأسه وصلى ؛  
ولما انتهى من صلاته نهض والفت إلى من حوله يرمقهم  
بنظرة حزينة . عندها سلك إليه نور الشمس من  
خلال النافذة وغمره ، ونسجت أشعة الشمس حوله  
نوباً حريراً شفافاً هو أجل من الثوب الذي نسج  
له من ذهب ، ونور غضن العسولج الليث فاكتسى  
فلاً أنواراً من اللآلئ ، وفشت العصا الخفاقة  
فاكتست وروداً أكثر احمراراً من الياقوت

وقب هنالك في حلة الملك ، وقد استولى  
على المكان مجد الله ، وخيل للجميع أن القديسين  
يهمون للحركة وهم في حفرهم ذات النقوش  
وقف في حلة الملك الجميلة فعزف الأرغن  
أنغامه الشجية ، ودوت الطبول ، وأخذ الصبية  
يفنون ؛ أما الشعب فقد ركع في خشوع ، وأعمد  
النبلاء سيوفهم وأقسموا للملك الشاب بيمين الطاعة ،  
وشحب لون الأسقف وارتجفت يده وركع يصيح  
أمام الملك : لقد توجك من هو أعظم مني

ونزل الملك الشاب عن المذبح المرتفع ، ثم سار  
إلى قصره وسط الشعب المحتشد فغنت لوجهه  
الأبصار وكان أشبه بوجه ملاك

« شرق الأردن » بشير الصمري



وقد كانت الأسرتان

في عهد «جوري» والد  
جيريل وعهد والد إيفان  
على صلات حسنة؛ فأذا  
احتاج النساء في أحد  
المتزلين إلى غرابال أو مثل  
ذلك، أو احتاج الرجال  
إلى فأس أو ما أشبهه،

بادر أحد المتزلين إلى استعارته ما يريد من جاره .  
وكذلك إذا رعت بقرة ما يملكه أحد الفريقين في  
أرض الفريق الآخر كان كافياً أن يعالج الأمر  
بالرجاء إليها أن تمنع الماشية من اجتياز حدود الأرض  
التي أعدت لها . أما الضن بما يطلب ، وأما اغتيال  
حاجات الجار فأمران لم يعرفا في العهد الأول بين  
أهل المتزلين المتجاورين . فلما مات كبير الأسرتين  
نشأ الخلاف وكان مداره حول صفائر تافهة

كان لزوجته ابن إيفان دجاجة تبيض في الحديقة ؛  
وفي أحد الأيام أزعج الأطفال هذه الدجاجة على  
ما يظهر فطارت إلى الحديقة الأخرى وألقت  
بيضتها هناك ؛ وذهبت زوج الابن كما دتها فلم يجد  
البيضة ، وسألت حماتها وإخوة زوجها فقالوا إنهم  
لم يأخذوا شيئاً . وزاد أصغر الأبناء واسمه «نارا»  
على ذلك أن الدجاجة لا بد أن تكون قد ألقت  
بيضتها في منزل الجيران لأنه سمع الصيحة من هذه الناحية  
وأطلت فرأت الدجاجة في حديقة الجيران  
تهبي مع ديك مبيتاً لها في تلك الحديقة ، فسألت  
الجارة وكانت إذ ذاك واقفة بالحديقة : أليست هذه  
دجاجةنا؟ فقالت : نعم . وطلبت إليها منعهما عن تحطيط  
السور بين المتزلين

## إنجيل النصارى صعب علينا لطفاً وها

للقصصى الروسى الكونت ليون تولستوى  
بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار

كان في إحدى القرى الروسية فلاح يدعى  
«إيفان سترا تشيا كوف» وهو من أقوى الفلاحين  
جسماً وأسعدهم حالاً . وكان له ثلاثة أبناء : أما أحدهم  
فتزوج ، وأما الثانى فقد عقدت خطبته تمهيداً  
للزواج ، وأما الثالث فلم يشغله شغل عن نفسه ومعراته  
وكانت زوجته إيفان عاقلة سالحة الإدارة . وزوجة  
ابنه مسالمة صبورة على العمل ، فعاشت هذه الأسرة في  
وثام ولم يكن ليملو فيها صوت غير صوت الأب  
عند ما تعوزه نوبة الربو

وكان إيفان يملك في جملة ما يملكه ثلاث مهابرى  
ولكل منها فصيل . وملك أيضاً خمسة عشر رأساً  
من الماشية وبقرة ومجملها . وكانت المرأتان تقضيان  
ساعات النهار في صنع الأحذية للأسرة وفي خياطة  
الثياب والمساعدة في أعمال الحقل . ويقضى الرجال  
هذه الساعات في أعمالهم الزراعية . وإذا ما قل نتاج  
الأرض في عام من الأعوام اعتاضوا عن النقص  
ببيع شئ من المواشى ، وبذلك سارت شئون  
الأسرة على خير ما ربحي

لكنه لسوء الحظ كان يقيم بالمتزل المجاور رجل  
اسمه «جيريل شروى» أو جيريل الأعرج وكانت  
بينه وبين إيفان عداوة شديدة

قيس القرية لا يكف عن غظلهما ودعوتهما إلى الصلح، لكن أحدا لم يصغ إلى دعوة من هذا القبيل قال القيس: «إنكما تبديان تحافة عظيمة إذ تأذنان لهذه الخصومة بالاستمرار، وكيفيكا أن تتذكرا أن سبها بيضة. إن خسارة بيضة ليست بالشئ الذي يؤسف له. ومع أنكما تلحقان في ذكر المداواة فلا يزال أمامكما مجال للصلح والتفاهم فليذهب كل منكما إلى الآخر طالبا صفحه، نازلا عن حقه إن كان يحسب أن له حقا؛ وليس يبق الحق كما هو إذا استبقاه المرء في نفسه، ولكنه يزيد وينمو على مر الزمن

لم يصغ الفريقان إليه لاعتبارها إياه غير عالم بتفاصيل الخصومة، ولأنه رجل اعتاد أن يتكلم عن السلم سواء كان له موضع أم لم يكن وكان إيفان يقول لأصحابه: «لإنه لم ينتف لحية جاره، ولكن ذلك الجار تنف لحية نفسه، وهو الذي مزق قيصي... الخ»

وتبدلت القضايا بين الفريقين في المحاكم، وفي الوقت نفسه فقدت قطعة جديدة من عربة جبريل وأتهم نساء جبريل أبناء إيفان بسرقتها، فنشأت في المحاكم قضية أخرى؛ وبمرور الزمن كان كل من الجارين يتهم الآخر بتهمة جديدة، وتعلم نساؤهما هذه الطريقة، حتى شئت القرية وملت من شجارها وتقاضىهما

وكان أكبر أمل في نفس إيفان وجبريل أن يسجن خصمه أو يحكم عليه بالترامة، وزادت حياة كل منهما مرارة. وكنا قد لاحظ أن الكلاب إذ تضرب على المشاجرة تريد في مشاجرتها حدة، وكذلك المتخاصمون من الناس يزيدون لدا في

قالت: «لم تضع دجاجتنا بيضا في حديثكم؟» فكان الجواب: «لا علم لنا بشئ من ذلك، وعندنا بحمد الله من البيض ما فيه الكفاية. وهل تحسبننا نأخذ ما هو ملك الجار؟ كلا يا جارتى كلا»

غضبت الصغيرة من هذا الجواب وقالت كلمة كان الأولى ألا تقولها، فردت عليها الجارة بكلمتين من نفس النوع، واشتدت الهجة وساءت، وخرجت زوجة إيفان فاشتركت في هذه الحركة السكلامية، ثم خرجت زوجة جبريل فأرت جارتها حدة لسانها؛ وبحول الحديث العنيف إلى خجة، فصارت كل منهن تصيح بأعلى صوتها؛ وانقلبت الحاجة إلى كلمات من هذا النوع: «أنت كذا... وأنت كذا... أنت لصة... وأصايبك الطاعون... أنت ألفت غربالي يوم استمرت... ردى إلى الذي عندك...»

والثقت الجسم بعد هذا السباب فتمزقت الثياب، ووصل جبريل في هذه اللحظة إلى الميدان، فتولى الدفاع عن زوجته؛ وجاء إيفان وابناه وانضموا إلى الجانب الآخر؛ وكان إيفان قويا ولم يقصر في إظهار قوته؛ وجاء الفلاحون من المنازل المجاورة ليفرقوا بين المتشاجرين، ولكن لم يصلوا إلا بعد أن جرد إيفان جاره من لحيته

وجمع جبريل شعره المتوف وذهب إلى محكمة الإقليم وهو يصيح: «إنني لم أرب لحيتي هذا العمر لكي ينتفها إيفان»

ولم يفت زوجة جبريل أن تذكر جارتها بأن إيفان سيسجن أو ينف إلى سيرا من أجل جريرته هذه كانت هذه بداية العلاقات السيئة بين الجيران، واستمرت الخصومات منذ ذلك اليوم؛ وكان

وسمع إيفان هذا الجواب فناد إلى القاضي واستشهد بالجنود ، واستدعى القاضي الخصمين وقال : « لقد كانت جريمة مفرية منك يا جبريل أن تضرب امرأة وهي حلي . ومهما يكن في نفسك من النفيظ على جيرانك فليس في الدنيا ما يبرر هذه الجريمة . ولكن إذا اعترفت بالخطأ واعتذرت عنه واصطلحت مع خصمك فأني سألتني هذه العقوبة

وهنا تدخل كاتب المحكمة فقال إن المادة ١١٧ من قانون العقوبات لا تميز إلقاء العقوبة بعد صدور الحكم ، وإن كان الصلح يمحو أثر الجريمة قبل النطق به لكن القاضي لم يلتفت إلى ملاحظة الكاتب وقال : « يكفي ! أسكت فإن هذه المادة تتعلق بنا لا بك ونحن نراقب الله قبل مراقبة القانون ، وقد أمر الله بالصلح بين الخصوم »

وحاول القاضي أن يقع الطرفين بالصلح ولكنه لم ينجح لأن جبريل أصر على عدم الصلح مع أنه هو الذي ستنزل به العقوبة ، وكان جوابه : « أنا رجل ليس بيني وبين الخمسين غير عام واحد ولي ابن متزوج ولم أضرب قط منذ كنت طفلاً فمعد ما يأتي هذا السافل ليقاضيني ويستصدر ضدي حكماً بالجلد لا أستطيع أن أطلب الصفح منه ولننزل في العقوبة التي أرادها لي ولكنني سأجعلها يندم عليها . وهنا خافه صوته ولم يستطع أن يزيد بل التفت وخرج من قاعة الجلسة راغباً إيقاع العقاب بنفسه وكان بين مكان المحكمة وبين منزل إيفان عشرة فراسخ . ولذلك لم يصل إيفان إلى منزله إلا في ساعة متأخرة ، وفي أثناء غيبته أعاد النساء الماشية من المرحى إلى الحظيرة .

الخصومة إذا عنتهما الناس عليها ، لأن أحدهم يعرف أن سبب هذا التنيف هو تحدي خصمه إياه ، كما يعرف الكلب أن سبب الضربة التي نالته من يد سيده هي العضة التي نالته من الكلب الآخر وكذلك كلما حكم على أحدهما بالفراشة أو بالسجين زادت عداوته وزاد عزمه على الانتقام واستمرت الحال على ذلك ستة أعوام لم تتغير في خلالها نصيحة القسيس وموعظته فكان لا يزال يقول : « أترك هذه الخصومة فما تليق بين جار وجار فإن عداوتكم تريد ما زدتما تمهداً لها »

وظل الجاران لا يصنيان إليه وفي بداية العام السابع حضرت زوجة ابن إيفان عرساً حضره جبريل وشتمت عليه فيه بأنه سرق جواداً ، وكان جبريل سكران في هذا العرس فضربها ضربة عنيفة ألزمتها الفراش أسبوعاً لأنها كانت حلي . وشر إيفان من هذا الحادث سروراً عظيماً لأنه أتاح له الفرصة في رفع قضية جديدة وهو يقول في نفسه إنه في هذه المرة سيتخلص من جاره نهائياً بنفيه إلى سيريا

لكن زوجة الابن شفيت ولم تهجم ، فخرن إيفان على أن القضية لم تقبل جناية وعجزى نفسه بأن محكمة الجنح قد تحكم على الجاني بعقوبة مخزبة ، فرشا كلا من كاتب المحكمة وحاجها بنصف جالون من الاشرية ليقترحا على القاضي عقوبة الجلد في هذه الخصومة

وصدر الحكم بالجلد على قارعة الطريق العام فأصبح وجه جبريل عند سماعه شديد الشحوب ، وكان تعليقاً عليه بعد خروجه من قاعة الجلسة إنه وإن تكن العقوبة شديدة فهو يأمل أن يذيق خصمه عقوبة أشد منها

يضرب فيضرب فيرد الضربة ضعفين ويتلقاها أربعة أضما؟ كلا يا بني فهذه ليست التربية الصالحة . لقد كان يتمتع كل هذا لو أن الخطأ طلب الصفح . لكن لماذا تسمعي وتسكتي ؟ ألا ترى وجهة الحق ؟ فيا أقول ؟

لم يجبه إيفان ، وعاد القسيس إلى السعال ثم استأنف حديثه فقال : « انظر إلى العلاقة بيننا وبين الأتراك ، وانظر هل تحسنت العلاقات بعد موقعة بلقنا ؟ وهل كسبنا أو كسب الأتراك شيئاً بسبب هذه الموقعة ؟ إنك وأبناءك أقوياء كالنصور ، وأنتم أغنياء ومع ذلك لا تلتنون لذة الذئ ، ولا عزة القوة ؛ وقد كان عليكم أن تقضوا الوقت الذي تقضونه في المحاكم بالزرعة أو في الباز ، وأن تقضوا ساعات المشاجرة في سمر وفي حديث . أتخبرني لماذا لم تحصدوا فتحكم إلى الآن مع أن كل جيرانكم قد حصدوا وفتحهم ؟ » ظل إيفان ملازماً للصمت ، واستمر القسيس يقول : « أصغ إلى يا بني . اركب جوادك الآن وعد إلى المحكمة فاصفح عن خصمك ، واطلب الغاء الحكم ، وادع خصمك إلى منزلك فأولم له ولحمة . إن غداً عبد العذراء فاتمهز فرصة للتقرب إليها إلى ابنها تنهد إيفان وقال في نفسه : « لاشك في أن القسيس مصيب ، ولا شك في أن امتناعي عن المصالحة يرجع إلى جهلي بالطريقة المؤدية إليها وكأن القسيس أدرك ما جال بخاطر إيفان في هذه اللحظة فقال : « لا تتأخرا بإيفان فان النار إن أهملتها صعب عليك إطفائها »

وكان يريد أن يزيد فأقبل نساء أسرة إيفان فرحات بمبهجات بالحكم الذي علمن بصدوره ضد جارهن . وقد انتهزن هذه الفرصة فبدأن مشاجرة

وقبل وصوله إلى منزله جلس في ظل شجرة يستعرض حادث اليوم ويتخيل حاله هو نفسه لو أنه كان في مكان جبريل . وفي هذا الحين سمع سعال القسيس بجانبه ، وظل كلا الرجلين يسعل مدة ما ، وأخيراً قال القسيس : « هل أصدرت المحكمة حكماً ؟ »

فقال إيفان : « نعم وقد حكمت بعشرين جلدة على جبريل » فهز القسيس رأسه وقال : « آذيت نفسك يا إيفان أكثر مما آذيت ، وأي فائدة تستفيدها أنت بعد أن يجلد ؟ »

قال إيفان : « أودعه فلا يعود إلى ارتكاب جرائمه » فقال القسيس : « أية جرائم هذه ؟ ألسنت ترتكب مثلها وشرأ منها ؟ »

قال إيفان : « لكنني إنما أريد زجره وقد كاد يقتل زوجة ابني وتهديد بأن يحرق مزرعتي فلماذا أذعن له ؟ »

فتنهذ القسيس وقال : « إن البغض يا بني قد أعماك ؛ أنت ترى خطايا الغير ولكنك لا ترى خطاياك ؛ وأنت تقول إن جبريل قد آذاك فهل يمكن أن تقع خصومة بين اثنين ويكون ماثراهما جانباً واحداً ؟ أنت ترى أخطاءه ولكنك لا ترى أخطاء نفسك . ألم تنتف لحيتي ؟ لقد كانت العلاقات حسنة بين أباك وبينه ، وكانا يتبادلان المصالح ؛ ولقد حضرت بعض المواقف الحزبية وأرى أنك وخصمك أشد عداوة من فريق الجنود في موقعة « بلقنا » وليس هذا أسلوباً للحياة . إنك أب ورئيس أسرة ، فأى درس هذا تلقته أبناءك ؟ لقد رأيت اليوم ابنك « تارا » يهزأ بعمته « أرينا » ولم تصنع أمه سوى أنها ضحكته منه . فهل تريد تربيته على هذه القاعدة :

رجلاً أعرج ينظر إليه ويجرى فراراً منه  
صاح إيفان : « لن تستطيع الفرار مني »  
وجرى فأمسك يذيل ستره ، ولكن تلك القطعة  
من القماش انفصلت عن الثوب وفر الأعرج وصاح  
إيفان بالخفراء أن يسفوه

هرب جبريل وجد إيفان في اللحاق به فلما  
أعياه وقف . وفي هذه اللحظة سمع صوت فرقة  
شديد والتفت فرأى البناء كله أصبح لهوياً من النار ،  
وامتدت الظل والشعب إلى منزله فرجع يديه في يأس  
إلى السماء وصاح بالجيران ، ولكن صوته خافه وهو  
أشد ما يكون رغبة في موالة النداء . وأراد الجري  
نخاته قدماه وعجز عن الاستمرار على الوقوف فوقع ،  
وبعد قليل ازدحم السكان بالجيران ، ولكنهم لم يفعلوا  
شيئاً . وانتقلت النار من الاصطبل إلى منزل إيفان ،  
ثم انتقلت بسرعة إلى منزل جبريل ثم إلى سائر منازل  
القرية . واستمر الحريق طول الليل ؛ وكان أهل  
القرية يتعاونون على إطفائه في غير منزلي الجارين  
المتخاصمين . وتولى إيفان وحده إطفاء النار في منزله  
بعد أن خرج كل أهله منه وكانوا يحاولون منعه  
ولكنه لم يكف حتى تظار شعر لحيته المحترق وحتى  
احترقت يده . وكان أبنائه يتنادونه وهو لا يصفي  
فأيقنوا أنه جن من الحزن

وأقبل الصباح وليس لازل إيفان أثر . وجاء  
القسيس يسأل إيفان : « ألم يصدق قولي يا بني ؟ »

من الذي أحرق القرية ؟  
فقال إيفان : « لقد رأيته بعيني رأسي يحرق  
الاصطبل »

قال القسيس : « انني يا بني لن أعيش طويلاً  
وأريد إصلاح بينكما قبل أن أموت فن منكبا  
المنذ ؟ »

خماق إيفان في وجه القسيس ولم يقل شيئاً

جديدة مع أسرة جبريل . وقلن إن زوجة ابن  
جبريل تهدد بمخاطبة النائب العام وعرضها عليه  
هذه القضية بمخاضها بل تهددت أيضاً بأن تكتب  
رسالة إلى القيصر نفسه . وعند ما سمع إيفان هذه  
الكلمات حمد قلبه وقرر عزمه السالف على الصلح

\*\*\*

وفي الصباح سمع صوت جبريل وهو عائد إلى  
المزل . وكان جبريل يصيح : « سأذهب وإياه إلى  
الديطان . لا بد من قتله ! »

لكن جبريل لم يقل أكثر من ذلك فاعتاظ  
إيفان لا لأن هذه الكلمات قليلة عنه ولكن لأن  
أكثر منها لم يقل . وكانت زوجة إيفان في هذا  
الوقت تعد العشاء . ولكن « تارا » لم يكن  
موجوداً بالمنزل . ودعت المرأة زوجها للمشاء ،  
ولكنه ظل منتظراً عودة ابنه الأصغر وقد صرمت  
بخطره كلمة كان جبريل قد قالها وهي أنه يريد أن  
يحرق إيفان ويحرق أبنائه

وكانت الرياح إذ ذاك تهب عنيفة ، وكان الظلام  
شديداً في الطرقات ، وتأخرت عودة ابنه فخرج  
إيفان للبحث عنه

وفي المزرعة رأى شيئاً يتحرك ثم يختفي وراء  
شجرة ولم يميز الشبح لشدة الظلام . وذهب إلى  
حيث رآه فلم يجد شيئاً . وتحسس وأرهف أذنيه  
ليسمع ولكنه لم يمس وجود شيء

وترك المزرعة إلى الاصطبل فرأى وميضاً يسطع  
على حين فجأة ثم يختفي ، ورأى رجلاً من الجهة التي  
صدر منها الضوء وأحس في قلبه خفقاناً كرفرفة  
العصفور بمخاضه . وأسرع ليمسك بذلك الشبح  
فرأى وميضاً آخر من نفس الناحية . وما هي إلا  
لحظات حتى علت الألاهب ورأى إيفان حريقاً  
مضطرباً على حين فجأة ، ورأى في مثل ضوء النهار

جرية جبريل. ودهش جبريل من امتناع خصمه القديم عن التبليغ ضده. وبدأ شعوره الجديد نحوه بالخوف منه، ثم ألف منه طباعاً غير التي اعتادها، ثم امتنعت الخصومة لامتناع الاستمرار على أسبابها. واقتدى نساء الأسرتين برجلهما وحدث كل أسرة بناء منزلها وتجددت الباني المحترقة واستمر إيفان وجبريل جارين وصاروا صديقين

ولم ينس إيفان نصيحة القسيس بأن النار يجب البدء في إطفائها وهي شرار، فكان كلما أساء إليه أحد لم يضع الوقت في محاولة ضبطه متلبساً بجريئته بل يبدأ بإطفاء الشرارة اللوقة ولم يفت إيفان، على تقدم السن، أن يبدأ حياة جديدة، وأن تكون سعيدة بالغفو والتسامح عبر النظيف النشار

فقال القسيس: «تكلم قبل أن يصدر الله كلمته فيك، من منك المذنب؟»

اندفع إيفان في البكاء وقال: «أنا المذنب يا أبي» ثم جثا على ركبتيه وقال: «اعف عني يا أبي فاني خاطيء جرم»

قال القسيس: «عفا الله عنك يا بني» فاشتدت نوبة البكاء وقال: «ولكن يا أبي لا أعرف كيف نعيش بعد حدوث الذي حدث»

قال القسيس: «ستعيش وستدرك ما فقدته من ثروة إن أخلصت لله بعد يومك وسأعطي السبي» ثم انقسم وقال: «انظر يا إيفان، لا تقل من الذي بدأ بإيقاد النار فإن الله جدير بأن يعفو عن الخطائين بادئين أو معقبين» وأجرت الحكومة التحقيق فلم يبلغ إيفان عن

## مواعيد الشتاء لخطوط شركة مصر للطيران

ابتداء من ١٦ أكتوبر سنة ١٩٣٧ { من مصر إلى بغداد عن طريق فلسطين كل أربعاء وسبت  
من بغداد إلى مصر عن طريق فلسطين كل خميس وأحد

ابتداء من ١٧ ديسمبر سنة ١٩٣٧ { من القاهرة إلى أسبوط والأقصر وأسوان كل اثنين وجمعة  
من أسوان إلى الأقصر وأسبوط والقاهرة كل ثلاثة وجمعة

أما الخطوط الأخرى الآتية فلي حالها:

من القاهرة إلى الأسكندرية ثلاث رحلات يومياً ذهاباً وإياباً  
من القاهرة إلى بورسعيد رحلتان يومياً ذهاباً وإياباً  
من الأسكندرية إلى بورسعيد رحلتان يومياً ذهاباً وإياباً  
( رأساً والأخرى عن طريق القاهرة )

من الأسكندرية أو بورسعيد أو القاهرة إلى أسبوط رحلة يومياً ذهاباً وإياباً  
من الأسكندرية أو بورسعيد أو القاهرة إلى فلسطين وسوريا رحلة يومياً ذهاباً وإياباً

— أليس هذا الإكليل الذى تفتنين أوراقه  
إكليل لقبك القديم ؟

فعلا وجهها الاصفرار وأجابت سلبا  
فصحت بها : أقسم بحياتي إنه هو بعينه ، فأعطاني  
بقاياها ...

وجعت الوريقات اليابسة فوضعتها على الهيكل  
ووقفت أنظر خاشعا إليها كأنها رفات . فقالت : هب  
أنه لإكليل لقي ، أتما ترى أنني أحسنت عملا بترعه  
عن هذا الجدار حيث علق منذ زمان مديد ؟ أية قيمة  
للمنذر البالي ؟ إن بريجيت سيدة الورد قد ماتت عن  
هذا العالم فاهي خير من إكليلها المنقرط البالي

وخرجت فسمعت شهقة بكائها وصرير الباب  
يقفل وراءها ، فإذا بي منفرد في المصلى أنهارى  
جائجا معمولا

وعند ما لحقت بها رأيتها جالسة إلى المائدة  
تنتظرنى لتناول الطعام ، فأخذت مكانى وسكت كل  
منا عما كان يحول في ضميره

### الفصل السادس

وما كذب الواقع ظنى بمركانسون إذ تأكدت  
أنه لم يتوزع عن التحدث أمام سكان القصور المجاورة  
وأمام أهل القرية عن مقابلاتي له واستفساري عن أمر  
دالانس ، فاستمر ما نتم عليه اضطرابي من شكوك  
ولا يحجل أحد ما في البلدان الصغيرة من سهولة  
انتشار النخبة فإنها تتطاي من فم إلى فم صائرة إلى  
أعرب المبالغات ، وما ألفت وبريجيت من جور هذا  
النظام ، فأصبحتنا وكل منا شاعر بأنه أخرج موقف  
الآخر ، لأن محاولتها مفادرة القرية كانت قد اصطدمت  
بضعفها ، وشدة إلحاحي عليها أكرهتها على البقاء ،



## اعترافى فى العصر

لألفريد موسى  
بقلم الأستاذ فيليكس فانس

### الجزء الرابع الفصل الخامس

ودخلت يوما إلى مسكن بريجيت فرأيت باب  
الغرفة الصغيرة التى كانت تدعوها المصلى مفتوحا ،  
وما كان في هذه الغرفة إلا مصلى من الخشب وهيكل  
يملوه صليب حوله عدد من الزاهر ؟ وكانت السجف  
بيضاء كالجدران الناصعة كالثلج ، تلك كانت خلوة  
بريجيت وقد أصبحت منذ اتصلت حياتها بحياتي  
لا تنقطع إليها إلا نادرا

ونظرت إلى الداخل فإذا بريجيت جالسة على  
الأرض بين ما تثرث من الأزهار ، وقد قبضت على  
إكليل صغير ذوت أوراقه وهى تفرطها بين أناملها  
وسألتها عما تفعل ، فارتعشت ونهضت قائلة :  
لا شيء ، هى لعبة أطفال ، فهذا إكليل ورد قديم  
جف في هذا المصلى ، وقد أتيت لأستبدل هذه  
الأزهار ...

وكانت تتكلم بصوت مر جف وتكاد تهوى  
على الأرض  
وتذكرت ما سمعته عن تلقيب بريجيت بالوردية ،  
فسألها :

يورث إعجابهم في حياتها الماضية تكاويل تظهر الشر فيها، فأصبحوا هزأون ببرها بالفقراء وتجوّلوا في الجبال لنداواتهم . وهكذا كانت تدور الأحداث عن بريجيت كأنها إباحية تعرض لأوخم العواقب

وكنّت قد صارت بريجيت بأنني أرى، الإغضاء عن كل هذه التخرصات إذ أردت التظاهر بعدم المبالاة بها في حين أنها كانت تهتفي وتبيل أفكارى وكنّت أذهب في بعض الأحيان متجولا في الضواحي أنسقط من الإشاعات ما يمكنني الاستناد إليه للوم بريجيت ومناقشتها الحساب . وعبثاً كنّت أرهف السمع لأنتقط من الهمس في المجتمعات ما يقع غلتي إذ كان الناس لا يدأون بنهشي إلا بعد أن أتوا رى ، كنّت أعود إلى بريجيت لأقول لها إنه لا أهمية لهذه التخرصات التي تصل إلينا ، فليذهب الناس مذاهبهم فينا فما أنا بالقيم لاعتيابهم وإفكهم وزناً

وما كنّت وأنا أتبع هذه الخطة إلا موالياً للناهشين من عرض خليلتي إذ كان على وأنا موردها هذه الموارد الخطرة أن أهم للأمر وأنها مفتانة

وما طال الزمن حتى عدت عن ذلك إلى اللهاجة قفقت لحبيبتى : — إن الناس يقولون كثيراً بشأن تجوّلك في البالي فهل أنت واثقة من أنهم يفترون ؟ أفلم يقع لك أى حادث على طرق هذه الجبال وفي مناورها ؟ أفأنا اتفق لك أن عدت في النسق مستندة إلى ذراع مجهول كما استندت إلى ذراعى ؟ أضحج أنه لم يكن لك من مقصد غير الاحسان في اقتحامك ظلمات هذا الهيكل الجلل بالاحضار ؟ لأول مرة هاجت فيها بريجيت بمثل هذا

غير أنني كنّت أنا المسؤول أمامها لتعهدى ألا أشوش سكينتها بغيرتى أو بطيشى ؛ ولهذا كانت كل بادرة قاسية منى نكولاً ، وكل لفظة حزينة منها ملامة مبررة ...

وأحسّت بريجيت في أول الأمر بلذة في عزلتها وتمكنها من الانفراد في أية ساعة دون محاذرة وتحوط ولعلها كانت تتظاهر بالاعتباط لتثبت لى أن غرامها أعزّ عليها من سمعتها وأنها نادمة على ما أبدته من الاهتمام بأقوال المرجفين . وهكذا سرنا في حياتنا لا نلوي على شيء من فضول الناس متمتعين بلاء حريتنا في اتباع أهوائنا

وكنّت أذهب إلى بيتها عند ساعة الإفطار وإذا خرجت فلا أخرج إلا بصحبتها ، فأقضي النهار معها حتى العشاء وعند ما يحين ميعاد انصرافى بعد السمر كنّا نتعلل بأسباب عديدة للبقاء معاً وتتخذ احتياطات جد ناهية لإخفاء بقائى في غرفها ليلا .

وعلى هذا النمط أقننا دون انفصال مخادعين أنفسنا بأن لا أحد يلاحظنا

وقت بعدى برهة من الزمان فدارت عواطف بريجيت ولم تعكر جوّاً غمامة ، تلك أيام سعيدة هائلة وليس في مثل هذه اللحظات من الدهر ما يستدعى وصفاً وبياناً

وذهبت الإشاعات في القرية وضواحيها تعلن أن بريجيت تسأكن علناً فاسقاً باريسياً يعاملها أسوأ معاملة فيمضيان أوقاتهما بالتقاطع والتواصل ؛ وتوقع الكل أسوأ العواقب لهذه الحياة

وانقلب ما كان يقال من الثناء لبريجيت من قبل لوماً وتقريماً حتى ذهب الناس إلى تأويل ما كان



ودام الحال بيننا على هذا النوال ستة أشهر لم  
أقطع فيها عن اللوم والتفريع وقد تحملت بريجيت  
أثناءها من الاهانات ما لا يفعله إلا فاسق بيني تنقضاء  
أجرًا عن ثمنه بها

وكنت كلما اقتحمت هذه المشاكسات ملهبا  
أفكارى ومقطعًا قلبي بالانتهام والسخرية أراجع  
عنها وقد بلغ الهيام بي أشده فأقف أمام خليتي وقفة  
الوثنى أمام صنمه

كنت أوجه أشد الاهانات إليها ، ولا يمر  
ربع ساعة حتى أجنو عند قدميها . فإذا ما انتهت  
من التفريع بدأت بالاستغفار ، وإذا خرجت من  
التحكم لجأت إلى ذرف الدموع ؛ وتتملنى سعادى  
فأطير فرحًا ، وتثور أغصانى فأقلب إلى العنف  
لا أدرى ما يجب أن أقول أو أفعل للتكفير عما  
أخطأت به ، فأهرع إلى بريجيت لأضمد إلى صدرى  
طالبًا منها أن تكرر مائة مرة قولها إنها تجبى  
وتنفض عن إساءتى ، واعدًا بالتعويض عما بدر منى  
مقسماً بأننى سألهب دماغى بفديفة إذا أنا عدت إلى  
إهانتها

وكانت الثورة فى عواطلي تمتد الليل بطوله فلا  
أقطع عن الكلام والبكاء والانفراج على أقدامها  
وارتشاف كأس الغرام غلاً من ثماتها حتى إذا بزغ  
الفجر أجدنى متهدماً فاستسلم للسكرى وأنهمض بعد  
الصباح وعلى شفتى بسمه الساخر الذى لا يؤمن بشئ  
وكانت بريجيت فى مثل هذه الليالي المشتعلة بنار  
الم لذات تناسى شخصيتى الجائرة فلا تنظر منى إلا  
إلى الرجل المائل بين ذراعيها ؛ وإذا ما خطر لى أن

الكلام ، أرسلت إلى نظرة هزت مشاعري ولن  
أأسأها ما حيت . ولكننى قلت فى نفسى إذا أنا  
تعرضت للدفاع عن هذه المرأة فإنها ستفعل بى  
ما فعلته خليتي الأولى فتعرضنى لهزه الناس وسخريتهم  
فأجنى الغرم عما غنمت وعما غنم الآخرون .

إن السافة لجد قصيرة بين الشك والانكار ،  
وما أقرب المتفلسفين إلى اللحدن . قلت لبريجيت  
إننى أرتاب بسلوكمها الماضى ، فأرأيتنى مدفوعاً إلى  
الارتياب حقيقة ، وما طال الزمن حتى أسلمنى هذا  
الشك إلى اليقين فتصورت أن بريجيت تحوننى فى  
حين أننى لم أكن أبارحها ساعة واحدة ، وعمدت  
أخيراً إلى التنيب عنها من حين إلى حين مقتنعاً نفسى  
أننى أحاول تجربتها وما كنت أقصد بذلك إلا إطلاق  
العنان لشكوكى ثم أعود بعد تنقيب لأقول لها إننى  
برئت من غيرتى فأصبحت أهزأ بوساوسى القديمة ،  
وما كان معنى ذلك سوى اضمحلال غيرتى لوهنى  
طراً على هيأى

وكننت من قبل أحفظ لنفسى بما ألاحظه من  
خلها فأصبحت أجد لذة فى إبداء ما بين خطاطرى  
فأقول لها مثلاً : إن ثوبك هذا جد حسن ، وقد  
كان لا جدى صويحبائى مثله شكلاً ولوناً . فإذا  
جلسنا إلى المائدة أدعوها إلى الانشاد قائلاً : إن  
خليتي القديمة كانت ترسل صوتها بعد الطعام أفلا  
يجدر بك التشبه بها ؟ وإذا أرادت العزف على البيانو  
أبدرها بقولى : أروك أن تسمعين ألحان الرقصة  
التي كانت منتشرة فى الشتاء المنصرم فإنها تذكرنى  
بأوقات المرح والسرور

ولكن هذه العاصفة تدخل الحزن إلى نفسى بالرغم  
منى فعلينا أن نتحدأها

وقت إلى الأثرأ أضيء كل شعوعها فغمرت  
الغرفة الصغيرة بالألوان المتدفقة وكان فى الموقد نار  
مشبوبة تملأ المكان حرارة وتريدها نوزاً

وتساءلت عما يمكن لنا أن نفعل إلى أن يمين  
وقت العشاء فتذكرت أيام الراقع فى باريس  
ومرت فى تخليق عربات الساخر تتلاقى على جاداتها  
الكبرى وخبيج الجماهير يتعالى وهم يخرجون من  
المسارح ، ومثلت أمامى مشاهد الرقص الخلاعى  
والأثواب المخططة والكؤوس تتدفق خمراً فانفض  
قلبي بكل ذكريات شبابه وبكل عنفوانها . فصحت  
يريجيت :

— هيا بنا نتذكر وإن لم يكن أمامنا سوانا  
وإن لم يكن لدينا ما يبق بالغرض من أثواب فانا  
تندبرها

وأخرجنا من الخزانة ثوبين أردية وأخرمة  
وأزاهر صناعية وبريجيت تدرع - كعادتها - الريح  
الصور ، وأرادت أن تعصب رأسى بيدها ثم أخذنا  
من صندوق صغير قديم قد يكون من متروكات  
عمتها أصباغاً وأدهاناً فدهنا بها وجهينا حتى  
تتذكر كل منا لعين الآخر . ومرت ساعات السمر  
نحيها بالفناء وبالقيايم بعديد منصورناه من حركات  
الجنون حتى مضى نصف الليل وحان وقت تناول  
الطعام

وكانت الخزائن لم تزل مفتوحة بعد أن قلنا  
ما فيها . ولما جلست إلى المائدة جانت منى التفاتة إلى

أكرر طلب العفو منها تجيبنى بقولها : أفأ تعلم  
أننى غافرة لك ؟ وكانت الخى التى تناكناى تلهب دمه  
فلكم أعلنت لى ، ووجهها ممتنع شهوة وهياناً ، أنها  
راضية لى على ماأنا عليه ، وأن فى ثأرات عواصنى  
تنفس حياتها فسماعدها كامنة فىأ أؤديه ثمناً لتعذيبى  
لها ، وأنها لن تشكو أية شكوى مادام فى قلبى شرارة  
من نار الغرام . ثم تقول : لاريب فى أننى سألاقى  
الموت فى هذه الحياة ، ولكننى أرجو أن تلقاه أنت  
أيضاً فيها ، ولهذا أشعر بالذة تغمرنى من كل  
ما توجهه إلى من إهانة أو تدرفه من دموع ، فعلى  
السعادة التى حفرت قبرى فيها

ومرت الأيام يستفحل بكرورها دأى فأصبحت  
ثأراً ، إذا ماحكنتى نوبة المجنون صحتها حتى شديدة  
تهزنى فجأة فلا تغادرنى إلى وقد تصب العرق من جميع  
أعضائى المرتعشة . وقد كان يكفينى أن يقع بي  
حادث ليس فى الحسبان أو أشاهد مايبير دهشتى  
حتى تسودنى رجفة يرتاع لها كل من رانى .  
وكنمت ' بريجيت ' شكواها فىم عنها شحوبها وما  
بدأت مرة بالاساءة إليها بعد هذا إلا خرجت من  
أمامى دون أن تفوه بينت شفة لاجئة إلى غرقها  
توصد بابها عليها

إننى أحمد الله لأننى مارفت يوماً يندى على  
بريجيت حتى فى أشد هياجى وقد كنت أفضل الموت  
على هذه الفعلة النكراء

واشدت العاصفة ذات ليلة وأنا وبريجيت  
نصنى إلى ثقرات الأمطار على زجاج النوافذ للقفلة  
والجمللة بالسجف قفلت لها : إننى أشعر بانسباط

دعيني أتفادى جريمة القتل فأذهب في هذا الليل دون  
ان أطلبك بعفو ربه الله إذا أنت أقدمت على منحه.  
لم يبق لي ما أرجوه إلا قبلتك الأخيرة

وانحنيت طامعاً قبلي على جبينها، فهفت بصوت  
مختنق: لم يحن الوقت بعد. ولكنني أقيتها على  
المقعد وانطلقت راكضاً إلى منزلي، وما مضت ثلاث  
ساعات حتى كنت على أهبة الرحيل وقد وقفت العربية  
أمام بابي

وكان المطر لا يزال يساقط مدراراً فصعدت  
إلى العربية متسلماً، وما ارتيمت على المقعد حتى شعرت  
بذراعين يطوقان عنق ويغم يزفر بالأنين على شفطي  
هي بريجيت أنت تكن لي لترحل معي، فحاولت  
عبيثاً إقناعها بالدول مما نوت حتى أنني وعدتها أن  
أعود إليها عند ما أكون نسيت ما أوقعت بها من  
ضرر مؤكداً لها أنني إذا بقيت لن يكون غذائي إلا  
كأسمنا، فكأثها - وهي تمسك بي وأنا على  
حالي - تصمم على جعلي مجرماً قاتلاً. توسلت  
وبذلت الوعود معززة بالأقسام، وذهبت حتى إلى  
التهديد فما أجدي كل ذلك فتيلاً؛ إذ كانت ترد كل  
محاولاتي بمجواب واحد قائلة:

— أنت راحل فأنا معك. لهجر هذه البلاد  
تاركين ماضيتنا فيها. لقد امتنع علينا العيش هنا  
فلنذهب إلى حيث نشاء. إن الأرض لن تقص علينا  
بزاوية تموت فيها... لنهنا في هذه الحياة فتجد في  
سعادتك وأخذ فيك سعادتي

ضممتها وضممتها حتى شعرت أن قلبي ينحطم  
عليها وصحمت بالسائق: هيا بنا، وسار الجوادان  
يقطعان الأرض ونحن متماثلان  
« يتبع »  
فيلكس فارس

أفرمها مني فرأيت على أحد رفوفها السجل الذي  
أثبتت على ذكره وهو سمير بريجيت في أغلب أوقاتها  
فقلت لها: أليس هذا مجموعة من خواطرك؟ فهل  
لي أن ألقى نظرة عليه؟

وعند ما فتحت هذا السجل تحفزت بريجيت  
لمنعي عن القراءة، ولكنني كنت رأيت بأوله هذه  
الكلمات: (هذه هي وصيتي) فقلبت الصفحة فإذا  
أمامي ما دوت به بخط متناسق يمين عن الهدوء من وصف  
دقيق لما احتملته من تعذيب لها منذ استسلمت إلى،  
وقد أعلنت إصرارها على احتمال كل معاملة سيئة  
منى ما دمت أحيا، وعلى اقتحام الموت إذا تخلت  
عنها. واستغرقت في تتبع ما كتبه يوماً عن  
تضحية حياتها وما فقدت وما كانت ترجو فإذا بها  
تصف شعورها بالدهشة حتى بين ذراعي، وتذكر  
الحوائل التي تتزايد مع الأيام بينما وما أعملها به من  
قسوة وجفاء لقاء حبها وإخلاصها

دونت كل هذا فأبدت امتعاضاً أو زفرت  
بشكوى بل حاولت جهداً تبرز معاملتي والمدافعة  
عني، وأخيراً تناولت بوصيتها ما يتعلق بورثتها  
معلنة أنها ستجرح السم لوضع حد لحياتها بمحض  
اختيارها طالبة ألا تكون مذكراتها سبباً لاتخاذ أي  
إجراء ضدي، وأنهت كل هذا بقولها:  
صلاوا من أجله !!!

ووجدت في الخزانة نفسها التي أخذت سجل  
الذكرات منها علبة صغيرة تحوي مسحوقاً ناعماً  
ضارباً إلى الزرقة شبيهاً باللح

وسألت بريجيت عن هذا المسحوق وأنا أرفع  
العلبة إلى في فصرت وارتمت على فقلت لها: سأخذ  
هذه العلبة وأتوارى عنك فيقودك السلوان إلى الحياة



## الأول ليس به لهو مبروس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

مع الراعى ...

وسلك سبيله في طريق وعمر مخفوف بالأشجار  
الباسقة إلى مأوى صديقه الراعى الشيخ الأمين ،  
فوجده جالساً وحده في مدخل الحظيرة الشاسعة  
القائمة وسط المرج المشوش النضير . ولقد سورها  
يومايوس ، إذ سيده غائب في أقصى الأرض ، بسور  
عظيم ضخ من حجارة قوية تحميها من عجز قريب  
وجمل على السور فروعاً من قتاد وشوك وجنوعاً  
من سنديان ، حتى صارت أمنع من عقاب الجو ...  
كل ذلك دون أن يساعده أحد ... ثم قسمها  
إثني عشر ذراعاً<sup>(١)</sup> جعل في كل منها تحسين خنزيرة  
كنازاً ... أما ذكوان الخنازير فقد تركها سائبة  
في الخارج ليرسل منها إلى العشاق المعاميد ما يآكلون

(١) الزرب : الزربية للغم

منه وما يزيغون ... وقد بقى منها بعد تلك الأعوام  
الطوال ستون وثلاثمائة . وربص لدى الباب كلاب  
أربعة كسباع البرية ، تلحظ الحظيرة بأعين كالجر ؛  
وجلس الراعى يعمل لنفسه نعلًا من جلد ثور مذبوغ  
بينما انطلق خدمه ومعاونوه الأربعة يعملون ويدأبون  
هنا وهناك . وكان رابعهم على وشك أن يترك  
الحظائر إلى المدينة ، حاملاً لحم خنزير حنيد يذهب  
به برغمه إلى العشاق الفساق . ولحت الكلاب  
أوديسيوس فأهرعت إليه ، وظلت تعوى وتنبسح ،  
وترغى وتريد ، وأوشكت أن تنفك به ، لولا أن هب  
يومايوس فكسر شرتها بما رماها به من الحجارة ،  
ولولا أن ترك أوديسيوس عكازه يسقط من يده لأن  
الكلاب لا ينيظها إلا أن يمسك لها أحد عكازاً ...  
قال الراعى : « أيها اللاجئ المجوز سلت ! خطوة  
واحدة ، وكانت هذه الكلاب قد مرققت إرباً ،  
وكانت لحقت في سبة لا تبيد ! ألا كم ترسل على  
الآلهة من كروب ! وكم ترمي به من آلام ! أنا ،  
هذا المجوز الهالك ، الذي أمضى الحزن ، وشقني  
الأمسى من أجل سيدي ومولاي ! هاأنذا أستمع  
قطمانه وأرعاه لينغم بها غيرة ، بينما هو نازح غريب  
يحبوب الآفاق ويشتهي كسرة يتبلغ بها ، إن كان  
ما زال حياً يرزق ! أوه ! تعال أيها الصديق ، هلم  
اتبعني إلى داري أطعمك ما تيسر ، وأسقك كفايتك  
من الخمر ، وتعبرني بعدها من أنت ، ومن أين أقيمت  
وماذا وراءك ! » وانطلقا ، وقدم إليه الراعى الكريم  
حشيشته التي كان يجلس عليها ، والتي اتخذها من  
جلد غز حشاه بالقش ؛ فشكره أوديسيوس ودعاه  
بما يحب وبكل ما تصبو إليه نفسه . فقال الراعى

الجرار ، وَخَوَّت الدار ، وَضَوَّل الزرع وَجف  
الضرع ! ! أبدأ ما ملك أحد مثل ما ملك مولاي !  
لقد كانت ثروته تصمدل ما يملك عشرة أو عشرون  
أميراً ؛ وما أزال أذكر ما ملكته يداه اثني عشر  
قطيعاً من الأنعام كانت ترعى العشب في مروج  
الشاطئ<sup>(١)</sup> ، المقابل ، وكثيراً من قطعان الأغنام  
وأرعال<sup>(٢)</sup> الخنازير وأسراب الماعز ، عليها أجراء  
وخدم ورعاة لا يحصون ، ورجال مخلصون يزعمون  
في حقوله الشاسعة ويحصدون ، ورجال يجلبون من  
قططانه كل كنز للذبح ... أما أنا ... فقد عهدت إليّ  
بهذه الأرعال التي ترى ، أطعمها وأعني بها ، و ...  
وأسفاه ! وأرسل إلى العشاق كل يوم بخيارها »

وصمت الراعي بينما كان أوديسيوس يصفي وباتهم  
طعامه ويفكر ألف فكرة ، ويدبر ألف تدبير  
لسحق هؤلاء العشاق المفاليك . حتى إذا انتهى ،  
قدم إليه يومايوس كأسه دهاقاً ، فتقبلها وشرب  
ما فيها وقال : « ترى ما ذا كان اسم سيدك أيها  
الصديق ؟ لا بد أنه كان مشهوراً ذا ذكر ، لما  
وصفت من واسع ثرائه وسمو جاهه وبسطة ملكه .

لقد قلت إنه ذهب إلى طروادة مع أجاممنون ، فهل  
تفضل فتذكر لي اسمه عسى أن أقص عليك من  
أخباره ؟ لقد ذهبت أنا الآخر شمة ، وسأفرت في  
بلادشتي ، وعال ألا أعرف المظاء الذين جاهدوا  
مع أجاممنون . » فأجابه الراعي : « وأسفاه أيها  
الأخ المجوز ! أبداً لا تنطلي الأنباء الملققة عن

بهيجه : « أيها الصديق ، ليس أمقت إلى من أن  
أؤدو لاحقاً إلى داري وإن يكن أرث منك حالا ،  
لأن أبناء السبيل جميعاً هم ضيوف زيوس رب الأرباب  
وأنا مع ذاك أعتذر إليك إذا لحظت أن زادي قليل  
وأن حالي رقيقة فلقد مضى زمن العز والعيش الواسع  
المفرج وأصبحنا نعانى القلْبَ والقفاة والعيش التكدر  
تحت إمرة هؤلاء الرؤساء الأصاغر . آه يا مولاي  
يا زين الحياة وفؤدب الناس أين أنت ؟ أين أيامك  
وخيرك الوفير ؟ ليتها دامت ، وليتك ظلت فمشتنا في  
كفكف ... وليت هيلين وكل من في بيت هيلين  
فداؤك ... هيلين التي قتلت سادات هيلاس<sup>(٣)</sup>

الذين أبحروا مع أجاممنون لينيلوه النصر في ميدان  
طروادة ! » . ثم لم دثاره وذهب إلى الزرب الأول  
لجاء بخنزيرتين سميتين قتلتهما وذبجهما وسلخ  
جلديهما ، وجعلهما لاربا لاربا ؛ ثم أشعل ناراً عظيمة  
فسوّى على جمرها السفايف الثقلة باللحم ، وجاء  
بالشواء فوضعه أمام أوديسيوس ، ثم نثر عليه من  
الذيق ، وأحضر زق الحمر ، وجلس قبالة وقال :  
« هلم يا ضيفي العزيز فكل وارو ... لا تؤاخذني  
إذا رأيت الشواء لا سميت ولا حينداً ، فكل سمين  
وحنيدا يذبح أولاً فأولاً ويرسل إلى العشاق السفلة  
الذين لا يرفعون في الآلهة إلا ولا ذمة ، ولا يخافون  
سباء ولا بشرا ... يا الله من هؤلاء الفجرة ... ألا  
يلمون شعثم وينيرون بخيلهم ورجلهم على بلد قاص  
فيتنهبوا بأسلاب الغزو وسخط الآلهة ؟ أم تراهم  
أوحى إليهم بموت مولاي فهم ههنا قائمون ما يرفعون  
ولزاده آكلون ومن خمره شاربون ، حتى فرغت

(١) لعله شاطئ آسيا

(٢) جمع رغيل وجمع على رعال وأراعيل وهو في الأصل  
للخيل والبقر

(٣) اليونان وتسمى آفيا أيضا

ومولاي على زوجه أو ولده ؛ فكم من جواب آفاق  
 مثلك ، محتاج إلى لغات أو سروال ، قد لقي الزوجة  
 المسكينة فلفق لها قصصاً مكذوباً عن رجلها ثم دلت  
 الأيالم على كذبه وزخرفه ، والزوجة في كل ما تسمع  
 تدرف الدموع وتصدد الآهات كأحسن ما تصنع  
 زوجة وفية من أجل زوجها الذي قضى في بلد بعيد .  
 وأكبر ظنى أنك تطمع في كساء تخلمه عليك هذه  
 الزوجة للفثوة الرعوم ، فأربع عليك ، فالرجل قد  
 قضى ، وليس بعيداً أن تكون كلاب البرية وسباعها  
 قد اغتنت به ، أو أنه قد غرق فأكله السمك ،  
 ولفقت عظامه على سيف البحر لتندروها الرياح ،  
 تاركاً وراءه قلوباً تأسى عليه ، أحزنها عليه قلى .  
 تالله ما وددت أن أرى أبوى اللذين غادرتهما منذ  
 أحقاب كما أنتشف اليوم إلى رؤيته هذا الرجل ...  
 آه يا أوديسيوس ! أين أنت ... إنك مهما شطت  
 النوى وشحطت الدار فلن أبرح أذكرك وأصبح  
 باسمك وأوقرك ، بما أحسنت إلى وعنتيت بشأى ،  
 يا من فراقك عندى آلم لى من فراق أعز إخوتي  
 وأشقائى !»

وحجده أوديسيوس وقال : « أيها الصديق  
 لم تياس من عودة مولاك هكذا ؟ ولم يشارك  
 الشك في أن رجوعه محتوم لا ريب فيه ؟ إذن فأننا  
 أقسم لك قسماً لا أحث فيه أنه عائد لا محالة ،  
 ومعاذ الآلهة أن أقسم وأؤكد الأيمان لأنال  
 القميص الذي ذكرت أو الدثار الذي أنا في شدة  
 الحاجة إليه ، بل ليق القميص والدثار حتى يتحقق  
 قسمى وتبر يمينى فأتسلمها منك ، فإني أمقت  
 الكاذب الخائن في يمينه كما أمقت أبواب الجحيم ،

والله على ما أقول وكيل ... إطمئن إذن يا صاح ،  
 وثق أن أوديسيوس لا بد عائد هذه السنة إلى إيثاكا  
 بل ربما عاد هذا الشهر ، ولن يعضى شهر آخر حتى  
 يكون قد ثار لغرضه من أعدائه وبطش بهم جميعاً ...  
 أولئك الفجرة الأشرار الذين جسروا على استباحة  
 سماء ، وإهانة زوجه ، وعدم المبالاة بولده !»  
 وسخر الراعى وقال : « أهكذا تقسم وتؤكد القسم  
 يا صاح ؟ أبداً لن تنال الزهان أبداً ، فقد أودى  
 أوديسيوس ولن يعود بمد ... هلم هلم تمحس  
 كأسك الروية ودع هذا الحديث فإنه يحزننى ويشير  
 شجونى ... خلّ قسمك ، وليقدم أوديسيوس في  
 خيالك أو في الحقيقة ، فأننا وزوجه وأبوه وولده ...  
 كننا نشتعى ذلك ، وتمناه على الآلهة ... يا ويحك  
 يا تلياك الحبيب ! لقد كنت أرقص طرباً كلما رأيتك  
 تثبت كما نبت أبوك ، وتشب على الفضائل التي شب  
 عليها ! أين أنت ؟ لقد ذهبت إلى ملك ييلوس  
 تتجسس أخبار أليك ، وهامم العشاق يترصدونك  
 ويربصون بك ليقناتوك في الطريق . ألا طاشت  
 أحلامهم ، وجماك جوف الأعظم من مكرهم ،  
 وحفظك ليت أرسسياس يا أعز الناس ... ؛  
 ولكن تعال أيها الضيف الكريم ... قل لى بربك  
 واصدقنى في كل ما تقول : من أنت ، ومن أين  
 أقبلت ، وفيم قدمت ؟ وما بلدك ؟ وأين يقيم أبواك ؟  
 وأى سفينة حملتك إلى شاطئنا ؟ فلمرى إنك لن  
 تدعى أنك وصلت إلينا سائراً على قدميك !»  
 فقال أوديسيوس بيمينه : « سأقص عليك من  
 أنباءى التي لا يأتيتها الباطل ما لو لبثت عندك عاماً بين  
 هذه الحجر وذاك الطعام ، بينما يكذب الآخرون من

عواهنه ، فلقد قدت إلى طروادة تسعة جيوش ظفرت بقيالقتها قبل هذه الحرب الضروس الأخيرة بينها وبين هيلاس ... ولقد حزت الثراء الجم والغني الوافر من جراء هذه الحروب ، فأصبحت بين شعب كريت المفضل المبيجل ... ثم كانت الحرب الأخيرة التي قتل بسببها مئآت من السادة الصناديد من رجال الإغريق ، فاختروني أنا وصاحبي إيدومين قائدین للأساطيل ... ثم حاربنا حول طروادة تسع سنين حافلات مُثْقَلات ، وفي العاشرة سقطت المدينة في أيدينا ، وعدنا أدرابنا نطوي النيم لا ندرى ماذا خبأت لنا المقادير ؛ ومن ثمة بدأ جوف يرسل صيكا من الرزايا فوق رأسي ، حتى إذا وصلت إلى كريت سالما لم ألبث طويلا هناك ، ولم أمتع النفس بالأهل والوطن إلا شهرا واحدا ؛ ثم أقلمت في نجبة من رفاق بأسطولنا إلى مصر بعد أن أولت لهم وقربت القرابين . وقد أرسلت العناية لنا رجلا جرت بسفنتنا رخاء ، كأنما أبحرنا مع تيار نهر لا جبار ولا عنيد ، ولم يحدث لأبي من جوارينا سوء حتى بلغنا شطآن مصر في اليوم الخامس ، واتخذت سفنتنا سبيلها في النيل عجيكا ... ثم حدث ما لم أود أن يحدث ، إذ سطا رجالي بعد خلفي في الرأى وشجار بينهم عنيف على حقول الفلاحين فاستاقوا أنعامهم وسبوا نساءهم ، واسترقوا أطفالهم ثم ذبحوا رجالهم ... بيد أنهم لم يسلموا مع ذاك من شر المصريين ! إذ استيقظت المدينة على صراخ الجرحى وأنين القتلى وتصويت النساء فأقبل أهلها كالجراد ، بين فارس وراجل ، وكل يحمل السيف

أجلنا ويجهدون ، مافرت من قصها عليك ... كفى أبناء باكية وآلام متصلة ، شادت السماء أن أقاسمها ، وأن أجزع غصصها ... إذن أنا ابن كاستور هيلاسيد أحد سراء كريت ، من سرّيته المحبوبة التي كان يعزها كزوجي . ولم يكن أبي يفرق بيني وبين إخوتي من زوجي ، بل كان يولينا حبه على السواء ، وكان الناس ييجلونه كأحد أكتهم لثرائه الواسع ، وحسبه الضخم ، ولأعماله الناجحة ؛ فلما مات انقسم أبناؤه كل مارك ، وكان نصيبي منزلا متواضعا ، ومالا كثيرا ، وزوجة غنية ذات مال وجمال . ولم يحاول إخوتي أن يدعوني أو يأكلوا ترابي ، لما كنت عليه من كريم الخصال وحميد الفعل ، وجمال النظر ووسامة الظهر — لا كما تراني الآن — وأأسفا على مفات من نضارة الشباب ! نال الله أن نستطيع ، ولن نستطيع أحد ، أن يحسد كم شقيت وكم بليت ، وكم من الآلام والضنك وأوضار الحياة تحملت ؟ فلقد كنت لا أرهب الردى ، وكنت دائما أخوض خبار المباح في حى مارس ومينرفا فأشك قلوب الأعدى وأبهر القادة والزعماء بجلائل الأعمال ... ولم يكن من دأبي أن أشغل نفسي بأكلاف البيوت ومشاكل الحياة الماشية الدنيا ، التي هي بالاحداث والنلمان أولى ، بل كنت مشغوكا أبدا بركوب البحار وخوض غمار الوحى ، وملاعبة الأسته ، وما إلى ذلك مما جعلته السماء غراما وفرحا لى ، وضراما وفرعا في فؤاد سوى — والناس كما تعلم فيما يشقون مذاهب ... ولست أرسل القبول على

الملاحون جميعاً ! ... وأكرمى الله العلى اللطيف  
 فبعث إلى بقلع السفينة الأكبر فتعلقت به ، ولبثت  
 الصبّا تقذف في نحو الجنوب أياماً تسعة ، وفي  
 ظلام الليلة العاشرة ، دفعتني على شطآن تسربويل  
 حيث أكرم مثنواى ملكها العظيم البطل فيدون ،  
 وعُني بشأني . وذلك أن ولده رأى طريقاً على  
 الشاطئ أكاد أموت من البرد والجوع ، فخلى  
 إلى قصر الملك حيث ردت إلى الحياة وأعطيت  
 دناراً وصداراً ، وخصصت لي غرفة فسيحة ذات  
 أرائك ... وهناك سمعت عن مولاك النازح ، البطل  
 أوديسيوس ، ورأيت به بغيري رأسي وقد ذكر لي عن  
 فضل الملك وإكرامه مثنواى ، ما برهت عليه أعماله ؛  
 ثم أراني أوديسيوس كنوزه من الذهب والنحاس  
 وطرف الحديد التي جمعها في أسفاره ، والتي تكني  
 للنفقة على أسرته عشرة أحقاب ... وكان الملك يحفظها  
 له في غرف كثيرة في قصره إعزازاً له وتكريماً ؛  
 وذكر لي أنه ذهب إلى دونا الناعمة بين أخضبان  
 الحور والسنديان ليستوحى كاهن جوفاً أكبر إذا  
 كان خيراً له أن يذهب إلى بلاده متكرراً ، أو في  
 صورته الصريحة الحقيقة بعد هذا الغياب الطويل  
 عن أهله . وقد أكد لي الملك أن المركب الذي  
 سيحمل أوديسيوس إلى بلاده — إيثاكا — معد  
 في المرفأ — ولولا أنني أبحرت قبله لشهدته ببيني  
 يركب الفلك ، ذلك أن فلكا آخر للملاحين من جزيرة  
 دليسيوم كان راسياً في الميناء ، فأمرهم الملك أن  
 يحمولوني معهم ويذهبوا بي بأقصى ما يمكنهم من  
 السرعة إلى الملك أكاستوس . ولكنهم — أو أسفاه

البنار أو الرمح السموري ، فأعملوا فينا ضرباً وقتيلاً  
 واستنقذوا السبي كله ، وشفوا حرد صدورهم منا ..  
 أما أنا ... فيا ليتني قتلت فيمن قتل واسترحت من  
 هذه الدنيا التي جرعتهى ضعف هذه الآلام بعد !  
 لقد كنت أشهد رجالي يهونون إلى الأرض ، وأعلم  
 أن جوفاً قد أنزل هذا البلاء بهم جزاء لهم وفاقاً ؛  
 فلما رأيت أنني لا محالة شارب بالكأس التي شرب  
 بها وفاقي ، ألقيت سيني ، وجريت أعزل من السلاح  
 إلى حيث الملك الكريم ، فركمت بين يديه ، وقبلت  
 الأرض إجلالاً له ، وبكيت ماشاء جوفاً أن أبكي ،  
 ثم سألته العفو والمغفرة ، فرق لي ، ورثي لحالي ،  
 وأمرني فأخذت في جملة خدمه وخوله إلى المدينة .  
 وقد رام رجاله أن يقصدوني برماحهم لولا أن  
 صدمهم مخافة من الله الذي آمن اللائذين به المستذرين  
 بظله . ثم لبثت في أهل مصر سبع سنين هائتاً  
 سعيداً محبوباً من الجميع . وحدث في السنة الثامنة  
 أن قدم إلى المدينة رجل فينقي جواب آفاق ، ما زال  
 بي حتى أفتعنى بالفرار معه إلى بلاده ، وأغراني بأن  
 له ضياعاً وأملأك ومالا ، ففعلت ، ولبثت معه حولاً  
 بأفلكه ، ثم حدث أن كلني بعد هذا الحول في رحلة  
 لا أعرف إلى أين ، كانت أكبر الظن للسطو  
 والقرصنة ، أو على الأقل ، لأباع في بلد قصي بيع  
 الرقيق ، فينتفع بتمنى ... ورحلنا ... ولكن عاصفة  
 جبارة هبت علينا ، وتلاعبت بنا ؛ وعبست السماء ،  
 وكالج الدماء<sup>(١)</sup> ، وتعد من تحتنا الماء ، ثم أرسل  
 جوفاً صواعقه على السفينة فقصمها ... وغرق .



غرياء مثلك ، يروون لي القصص ، ويلقون  
الأحاديث عن مولاي ، فبعضهم يكيه ويتحسر  
عليه ، وبعضهم يوشى الأكاذيب ليفنم بعض الردف  
وينال بعض العطاء ، حين أقدمه للملكة الحزينة  
الكاسفة ، ينوب ! ولمعمرى ما انظلت على يوماً  
أحاديثهم ، ولا خدعت مرة بما رَوَوْا وزوقوا !  
أفتحسبني أصدق ما زخرفت أنت الآخر عن أوبة  
مولاي مثقلاً بأجمال الذهب من كريت ، وإهما أننى  
بهذا أبلغ فى إكرامك ، وأحرص على التلطف  
بك ؟ لم تصنع هذا أيها الرقيق بعد أن ترفت بك  
الآلهة ، وهدتك إلى شاطئنا ؟ أما والله إنى إنما  
أكرمتك جبال جوفى ورهبة من بطشه ، ولا جاش  
فى صدرى من الشقة عليك والثناء لك ، والتألم من  
أجلك . « وقال أوديسيوس بحبيبه : « لشد ما أوتيت  
قلبا أفعته الوساسوس ، ونفساً ساورها الشكوك  
أيها الشيخ ! هبنا أبناء ملفقة ، فإعني التى  
أقسمتها لك إذن ؟ تعال ! هلم تقاسم ألبنة  
تكون آلهة الأوبل عليها شهداء ، إنه إن أب  
مولاك إلى بيتك هذا فى أقرب ما تظن من  
الزمان ، فيكون لي عليك صدر ودثار أصلح بهما  
شأنى حين أعود أدرأجى إلى دليشيوم ... فإن لم  
يؤب كما عاهدتك فتجتمع أنت ورجالك وعمالك  
وتقدفوا بي من رأس قلعة عالية سامقة يخشى  
أحقر الأفاقين أن يتربع عليها » وأجابه راعى  
الخنازير : جميل والله أيها الغريب اللامحى ! تكون  
ضيقى ، وتؤاكلنى وأؤاكلك على مائدتى ، وتطمئن  
إلى ، وتأتحنى ، ثم أقذف بك من حالى ؟ جميل والله

تألبوا على فى عرض البحر ، وتأمرؤا بي ، وزعوا  
صكاري ، ونضوادنارى ، ثم أنهرؤا فرصة المد فأرسوا  
فى شاطئ إيثاكا ، بعد أن لبسوا تلك البزة القبيحة  
الخلقة التى ترى . ولكى لا أقاوم أدنى مقاومة  
ربطوا ذراعى وساقى وشدوا وثاقى فى السارية فلم  
أبد حراكاً ... بيد أن الآلهة رأفت بي وحلت وثاقى  
فقدت نفسى فى الماء وسبحت إلى الشاطئ حيث  
وجدتهم يمدون عشاءهم ويلتهمونه سراعاً ... وقد  
اختبأت فى الأدغال الكثيفة فلم يرونى ... وهالهم  
ألا يجدونى حيث شدوا وثاقى ، فذهبوا يبحثون عني  
حتى إذا لم يقفوا لي على أثر ، ألقوا عجولين ، ونجاني  
الله منهم ، وساقنى إلى الرجل الصالح الطيب الذى  
وصل حياتي وأكرم مثنوى ... « تقسم يومايوس  
وقال : « والله لقد أثرت فى فؤادى مقاتلك أيها الضيف  
الكريم ، وأشجاني ما لقيت من أهوال ! ولكنك كما  
يدونى لم تكن جاداً فيما رويت من أبناء أوديسيوس  
فلم أيها الأخ وعليك من سب النبل ومخايل الفضل  
ما عليك ، تلفق مثل هذه الترهات المضحكات ؟ أما  
والله إنه إن يكن قد نجا من الموت فى ساحة طروادة  
بما ألب عليه من سخط الآلهة أجمعين ، فأكبر  
ظنى أنه قد غدا جزر السباع وكل نسر قشع ...  
وأأسفاه عليه ! ألا ليت قتل فى سبيل بلاده فى  
حرب عوان يحمي فى وغاها بيضة الوطن ! إذن ليكاه  
جميع الإغريق ، ولا جمعت هيلاس كلها تنافس  
فى صنع لبنات قبره ، وتخلد ذكره ، ولا وُورث ولده  
المجد والخلود ! هأنذا يا صاح ثاو فى هذا المكان ،  
لاصق بذلك البيت العتيق ، يفد على كل آفة

ويسلب، له الملك، لا شريك له». ثم أخذوا صلاتهم  
الحرية فهراقوا المدامة للأمة، وكذلك صنع  
أوديسيوس؛ وكهم ميسولوس — مولى يومايوس  
وخادمه الذي اشتراه بماله — فوزع الخبز، وليث  
يخدم ويسقي، ويحجي ويروح، حتى إذا فرغوا  
نظف المائدة وأعاد كل شيء إلى مكانه؛ وانصرف  
القوم إلى مضاجعهم ليناموا ليلة ليلاء ممطرة  
شديدة القر، عظيمة البرد؛ ونام أوديسيوس قريباً  
من مضيقه، ولم يكن عليه من الغطاء ما يقيه  
هول القرس<sup>(١)</sup> فلفق هذا الحديث للراعي الشيخ  
ولن نام معه من عماله: «لله ما تصنع خرمك بالألباب  
يا قوم! لقد أوشكت أهدى وانتفض وأملأ شدق  
بالضحك... ولولا هذا القرق لمت فرقت، ولكي  
محدثكم حديثاً من أحاديث الشباب فيه هذيان وفيه  
ثرثرة، وفيه من حيا سلافكم ما فيه. ألا ما أحلى  
أيام الشباب وما أروعها لو رجعت! إن لها لصدى  
في نفسى يتردد، وإنى ما عشت لن أنسى تلك الليلة  
الفارسة الشانية التي قضيتها في صدر الشباب وريمان  
الصبي مع صديقي أوديسيوس ومثالا يوس في كمين  
تحت أسوار طروادة، في مستنقع آسن ذى قصب...  
ترب من عدونا فرصة نظفنا به وتنصرنا  
عليه، مقتنعين في الحديد والزرذ، صابرين لما  
يصفنا به يوريس<sup>(٢)</sup> من ربح غاية وبرد،  
ويسفنا به من قرو برد، حتى انعدم الصقيع على  
دروعنا، وكنت أنا أجد ويمجد الدم في عروق؛  
لأنى وأسفاه استهنت أول الأمر بما أذرت به الحال

هذا؟ وتضيع صلواتي ونسكى لدى جوف الملى  
سه! هلم هلم، العشاء بإصاح! لقد آن وقت  
العشاء... البدار قبل أن يدهمنا عملاً نألفه فيزحون  
السائدة ولا تجد لك مكاناً بينهم»

وهكذا تشقق الحديث بين الرجلين؛ ثم وصلت  
رجال الخنازير وأهرعت إلى حظائرهما حيث ارتفع  
قباعهما<sup>(١)</sup> وعلت ضوضاؤها... وهتف الراعي بأحد  
غلمانة فأمره أن يحضر واحداً من أمتهم لعشاء  
الضيف ولعشاء الرعاة... «... أفأنا نستحق واحداً  
منها مما تلهم بطون غيرنا الذين ينعمون بثمار كدنا  
ونصبنا؟»

وجيء بخنزير جسد، وأججت النيران واطد  
الجر، وصلى يومايوس للأمة، ودعا لمولاه بالخير،  
وتنمى له المود أحمد المود، ثم أهوى بشاطوره على  
عنق الحيوان فخر يتلبط في دمه؛ وسلخوه بعد  
ذلك، وهم به يومايوس ققطعه، ووضع إرب اللحم  
على صينج الشحم، وتثر من الدقيق على كل ذلك،  
ووضع الجميع في الجمر، وكلما نضج شيء وضعه  
الغلمان على المائدة، حتى إذا فرغوا تولى الراعي  
المعجوز توزيع الأنصبة، فجعل لابن ميا<sup>(٢)</sup> سبعة  
أسهم، ولمرأى الماء سهماً واحداً؛ وجعل لكل  
من عماله نصيبه بعد أن اتحف أوديسيوس بأجزل  
الأنصبة جميعاً، ثم كان يمده بعد ذلك بإمدادات  
جمة! إنما ألهج لسانه له بالشكر وعليه بالثناء...  
ورد عليه الراعي في أدب وافر: «إن الله هو مانح  
كل شيء يرم من يشاء ويذل من يشاء، ويعطى

(١) القرس البرد الشديد جداً  
(٢) ربح الغلال الصبا

(١) الضيق بالضم صوت الخنازير  
(٢) هرمز

شيئاً كثيراً من فراء الغنم وجلد الماعز فجعله ركاماً بالقرب من المدفاً ، ثم جعل عليها ظهارة<sup>(١)</sup> من الصوف ، فصلحت بذلك أن تكون لأوديسيوس وسادة وثيرة ليس بها من بأس ، نام فيها فاستراح والتحف بفراء آخر ، وبات ليلته والابهاج ينمر نفسه لما رأى من حرص راعيه على ذكراه ، وحنينه للقياء ، وعنايته بقطعانه ... أما الراعي العجوز الشيخ ، فكأنما أثرت فيه مقالة أوديسيوس فهب فألقى عليه سلاحه ، وأضنى على كاهله دروعه ، بعد أن خلع معطفه ، وأترز بجلد عنز ، ثم أجلس بازيه الباشق على كتفه الضعيف ، وحمل حربه التي يذود بها الناس والسباع عن رعاله ، وانطلق في الغراء ، حيث جلس على صخرة مشرفة على السهل ، وذلك ليحرس القطيع النائم ... غير عابئ بقرس الرمح ولا وحشة الليلة الليلاء ...

دميني هُشْبَه

» يتبع »

(١) ظهارة الفراش ونعته مايفرش عليه كالملاءة

## رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرئتين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

الثنى ١٢ قرشاً

من هذا السال ، نخرجت في عدتي وسلاحي ، ولم ألبس معطى ولم اتنع ريطى<sup>(١)</sup> ، يئبنا قد احترز رفاقي فتدثروا بكل ثقل ... وخفت أن أصبر لهذا البرد فتكون القاضية ، فهتفت بأخي أوديسيوس : « أدركني يا ابن ليرتس النبيل فقد أشفيت على الهلاك من ذلك الزمهرير ! أدركني بأربابك فاني قد استخففت بالفصل الذي نحن فيه فلم أحضر معطفاً ويكاد يقتلني البرد ومهرؤني الضعيف » . وأسكنتي أوديسيوس خشية أن يسمنا أحد فلا تفلت من الموت ، وقال لرفاقه : « أيها الاخوان ! رأيتم رؤيا وبودي لو يذهب أحد إلى أجامنتون فيطلب لنا مدداً فلقد بعدنا عن الأساطيل ، ولسنا هنا بجير لما ترون من قتلنا ! » ، وانبرى لها أندريمون ، فخلع معطفه وأطلق ساقيه للريح ... وأشار أوديسيوس الخليل إلى ، فلبست المعطف واستدفأت به ، وحدثت الآلهة « أغليس فيكم أيها الأجاويد رجل رشيد ، فينزل لي عن معطفه أتق به هذا البرد الشديد وأنا في مثل سنى وأنتم في ميعه شبابكم ؟ ألا تفعلون ؟ لتكن لكم هذه اليد على تفضلاً أو تادباً ! » وقال يوماوس يبيحه : « لا عليك يا صيفنا العزيز ... إنك لن تشكو برداً ولا قصيراً عندنا ... وليس لدى كل منا إلا دناره وصداره ومعطفه ، وليس لدينا منها كثير نباحي به ، وسوف يعود تلياك بن سيدنا ومولانا فيخلع عليك من الملابس ما يسرك ويهيجك ؛ ولكن رويداً فسأكفيك عادية القر برغم هذا ... وبرغم ما غمزت في حديثك ولزمت ! » . ثم نهض فجيع

(١) الرطة تشبه الكوفية

« طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المهدي عمارة عظيم رقم ٧ »



صاحب المجلة ومديرها  
ورئيس تحريرها المسئول  
احمد حسن الزيات

برل الاشتراك عن سنة  
٣٠ في مصر والسودان  
٥٠ في الممالك الأخرى  
١ عن العدد الواحد

الادارة  
شارع عبد العزيز رقم ٣٦  
العتبة الخضراء - القاهرة  
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

# المجلة

مجلة الأسبوعية للقصص والروايات

تصدر مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصف

العدد التاسع عشر ٢٧ شعبان سنة ١٣٥٦ — أول نوفمبر سنة ١٩٣٧ السنة الأولى



## فهرس العدد

صفحة	
١١٦٢	الطيار الذهبي في قصر يوسف للكاتبة الايطالية ماتيلدا سيراو ... بقلم الأستاذ محمد لطفي جمعة ...
١١٧٤	غادة البحر ... مشهد من مسرحية الكاتب الروسي ايسن ... بقلم الأستاذ خليل هندادى ...
١١٧٧	الفرقة الزرقاء ... للكاتب الفرنسي بروسير مريميه . ... بقلم الأستاذ كامل محمود حبيب ...
١١٨٢	ذو النمد ... للكاتب الروسي أنطون تشيكوف . ... بقلم الأستاذ جورج سلسق ...
١١٩٣	فتشتر يوقيفاني ... عن كتاب الأطفال الممتازين . ... بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار ..
١١٩٦	سحابة ... أفصوصة موضوعة ... بقلم الأستاذ أديب عباسى ...
١٢٠١	كورنى فاسيليف ... للفيلسوف الروسى تولستوى . ... بقلم الأديب أحمد فتحى مرسى ...
١٢٠٩	اعترافات فتى مصر . ... لألفريد دى موسيه ... بقلم الأستاذ فليكس فارس ...
١٢١٨	الأوذنية ... لهوميروس ... بقلم الأستاذ درينى خشبة ...

# الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

مجلة الآداب الرفيعة والثقافة العالية  
تصل الماضي بالحاضر وتربط الشرق بالغرب  
على مدى وبصيرة

الرسالة : تعبر باخلاص عن روح النهضة المصرية  
الرسالة : تجمع على وحدة الثقافة أبناء البلاد العربية  
الرسالة : تصور مظاهر العبقرية للامة العربية  
الرسالة : تسجل ظواهر التجديد في الآداب العربية  
الرسالة : تحيي في النشء أساليب البلاغة العربية



بمجموعة أعدادها ديوان العرب المشترك ، وكتاب الشرق  
الجديد ، وسجل الادب الحديث ، ودائرة معارف عامة



الاشتراك المداخل ستون قرشاً ، والمخارج ما يساوي جنباً مصرياً ، والبلاد العربية بمجموع ٢٠ ٪

أسرار الفن والجمال التي  
ازدهرت في عصر  
يوسف فنقلت معانيها  
الخفية والظاهرة،  
وأفرغت نحر النعمة  
والفنون الحديثة في  
قوالها القديمة الثابتة.  
وإن تحليل ذلك لهنّ

## الطيار الذهبى في قصر يوسف

للكاتبة الإيطالية ماتيلدا سيراو  
بقتل الأستاذ محمد لطفي جعفر

على من يعلم أن عقل مستر  
« ستينج يرد » العالم الأثرى  
الشهير الذى شاد القصر ورفع دعائمه  
وأنفق في ذلك معظم ما كان يملك،  
وقضى ثلاثة أرباع حياته في المدرس  
والبحث والتنقيب والتحقيق حتى  
وصل إلى الصورة الأخيرة التي  
نسق عليها القصر، فتضاfer  
هو وعقل شارلوت على إيجاد  
تلك المعجزة الفنية التي بنيت من  
حجر وصخر ومرمر وبلور  
فكانت إلى وصف الصوغ أقرب،  
حتى يخيل إلى الرائي أنه يتبع نظره  
بجوهره يتيمة فذة يرى أضواءها

ماتيلدا سيراو Mathilde Seraw  
من شهرات القصصيات الإطاليات .  
في أوائل هذا القرن عاشت ووضعت  
كتبها في مدينة نابولي بأسلوب  
متكرر جذاب، وقد نقلت بضع قصص  
من تأليفها إلى اللغات الأوروبية؛ وقد  
زارت مصر قبل الحرب ووضعت  
قصة خلافة تربط بين الماضي والحاضر  
وتجيم الشرق والغرب وجملت بعض  
مناظرها في ظلال الآثار المصرية  
الحائلة وبطها جيو فاني دي نافي طيار  
إيطالي ومنشورته لادى شارلوت  
الانجليزية النبيلة . وقد شادت هذه  
اللاذى الكسونة لقاء حبيبها قصرأ  
وصفته المؤلفة بالقصر اليوسني إشارة  
إلى ما فعلت امرأة العزيز ... وقد  
وقعت في ذلك القصر حوادث جسام  
صاغتها المؤلفة القديمة أجل صياغة  
وأفرقتها في أبعد القوال

### وصف القصر كأنك تراه

بدأ الشيخ العربي يروى لي  
قصة قصر يوسف في ظلال  
العمد الشاهقة عند معبد رمسيوم :  
« كان السائر على شاطئ  
النيل بمقربة من « الدير البحرى  
الذى شادته الملكة المسترجلة  
حتشبسوت ترى بناء صغيراً  
يكاد يكون لجلاله كالأمير التختي ،  
يبدل مظهره البرى على البساطة  
والتواضع ، وتنطوى حقيقته على  
العظمة والفخامة .... فالقصر  
الصغير الجليل لا يرى من ظاهره  
ما يبدل على ما انطوى عليه من

وهو فيها ، وبأخذ يصيره تألؤها وهو محيط به ،  
ويشع حوله فيرى كالحلم أنه يتقلب في فراش من  
الخز والديباج في مقصورة من الماس الضئى بذاته  
لدائه ...

كان الزائر يمر بالدخل الكبير للقصر بين  
عمودين من المرمم الناصع البياض منيعين لا معين  
جلب معدنهما النفيس من الصحراء البرية ، وإلى

المفاخر والحاسن وآيات الفن وضروب الجمال ودلائل  
حسن التدقيق ومهارة الصانعين ولباقة لادى شارلوت  
التي جعلت من هذا البناء الأثرى متحفاً للجمال الحى  
ومصدراً لوحى الفنون التي تجلت في غرفه . وأول ما  
يستمرى نظر الرائي جلال الشخصية التي أشرقت  
على إعدادها وتأنيته وتسبيقه ؛ وإن الزائر ليحار  
خيال القدرة الجبارة التي تمكنت من إدراك أدق

جنب كل منها تمثال لأسد رايبض منحوت من الجرايت القاتم ، وقد جملا رمزاً للحراسة والحماية واليقظة ، كما جعل على رأس كل عمود تمثال لنسر بهم بالتحليق وقد نشر جناحيه وخفض رأسه وحقق بعينه ؛ وكان هذان النسران أجمل رمز لفن جيوفاني ، المهندس الطيار . وإنها لمصادفة عجيبة فرحت بها لادى شارلوت فرحاً جماً ، فلو أنفقت وزنها ذهباً ما استطاعت تقدير الفكر الذى أوحى إلى الممار وضعمها ، فكأنه رأى بعين الخيال ذلك الرجل السعيد الذى سوف ينزل بالقصر ويكون قلب مالكته ملكاً له

فأذا ما عبر الداخل عتبة ذلك البهو الفخم المuros في أسفله بالأسود وفي قمته بالنسور أخذت عينه وراء كل أسد لبضعة أقدام من أذناها التى أفعت عليها بتمثالين لعملاقين من الرنوج كأنهما واقفان لحراسة ما وراء المدخل وإضاءة سبيل الزائر الذى توسط بستان القصر . وإنه لمن المهندسين المماريين من تشرف نفوسهم على المستقبل فيلمح أحدهم من بوارق الإلهام ما يقتضي تمام الفن أن يوحى إليه ليخرج العمل الكامل . فإن الفنان قد وضع في يد كل منها مصباحاً على شكل رأس امرأة قبض الزنجي بأمانه على ضافئها ، وتشمع من رأسيهما حزمتان من النور الأزرق ، فإذا تحرى الناظر مصدر الضوء وجده خارجاً من أعين المرأتين فكان لذلك في نفسه رهبة أى رهبة . فإذا فرغ عيجه لهذا النظر أخذ بصره بحوض يضاوى الشكل من الرمر

الناصع البياض وعلى رأس كل طرف من أطرافه تمثال بديع لفتاة كاملة الخلق مشوقة القدر ناعسة الطرف قبضت على ثديها يديها فتفجرت منهما المياه كما يتفجر لبن الرضع في فم طفلها المحبوب ؛ والماء التدفق على هذه الصورة العجيبة ينصب في الحوض راسماً في طريقه قوساً جميلاً لا يسمع له صوت لدى خروجه ، وزبده بهجة ورواء سقوط أشعة زرقاء هادئة مسلطة من مدخل البهو على تلك الينابيع الأربعة المتدفقة من أقدام الفتاتين . فإذا ما أشبع الناظر نفسه بالنظر إلى الحوض والتافورة والفتاتين صعد بضع درجات من سلم واسع الأرجاء مصنوع من الجرايت الوردى زينت أطرافها بآيات خزفية ملونة تتدلى منها أغصان الأسرجوس ، كأنها شعور خضراء لرأس خفي . وكان الباب الداخلى مستطلياً وعلى جانبيه مرآة من المعدن يتبين فيها الناظر صورته واضحة جلية ، وعلى حافة كل مرآة تمثال من خشب الجوز التركى لظبي فاتن راقد في اطمئنان يربو بعينه النجلاوين المصنوعتين من الصدف والعقيق الأسود إلى الناظر في المرآة

ثم يستأنز الداخل على بهو فسيح قد صفت على جوانبه مقاعد من القسيفاء على صور تمثل الصيد والقنص . أما أرض البهو فكانت من القسيفاء ، تمثل بحيرة عظيمة تسبح فيها أمهات شتى الألوان والأشكال والحركات ، تتخللها أصداف وأحياء مائية أخرى كقنديل الماء والأخطبوط ؛ وفي وسط الصورة الزائفة الحسن



الشروق والغروب . فإذا ما أتمجه الداخل صوب الشمال بدأ بغرفة مثالثة الشكل جعلها ربة القصر للقراءة والعبادة . ففي رأس المثلث معبد صغير تقف إليه كلما شعرت بالحاجة إلى الاتجاه إلى ربها . ولم يكن جيوفاني بأقل حاجة منها إلى أوقات يقضيها في ذلك الركن الركين ذا كراً سيده العذراء ومولاه المسيح . وإن نعجب لشيء عجبنا للاختلاف بين عقيدته الكاثوليكية وعقيدتها البروتسية وقد جمع الحب بين الروحين ، وسوى بين المذهبين ، وأزال الفروق كما أجرى في عروقهما دماء جديدة للحياة التي تتدفق في الشرايين ؛ والهجة تدخل القلب فتعشقه ، والأكمال تنهض بالنفس الحزينة فتقوّمها ، دأب الحب الناشئ في قلبين متعطشين إليه . وقد حوت هذه المكتبة طائفة من أنفس الكتب القديمة والحديثة ولا سيما مؤلفات توماس هاردي ودانوزو . ومن فرائد المؤلفات التي احتوتها وعد الأزواج المازوني ؛ وكان جيوفاني يطيل قراءته لاعتقاده أنه يبني الأبطال ، فقد بنى روسيني روسي حتى إنه ليحتفل في كل عام بتاريخ صدور

وأحضرت لادى شارلوت كتباً في فن الطيران لتدخل السرور على قلب حبيبها إذا فاجأته بها . وينتهي رأس « مثل المكتبة والمبدع » إلى باب صغير يؤدي إلى خدع الرقاد ، وقد جعل هذا الخدع على هيئة بناء سداسي كأنه إحدى خلايا النحل . ولا غرو في ذلك فإن الماشقين طالما تبادلوا فيها للذة الحب ، وهي أحلى من الشهد . ولا عجب فإن

حوت عظيم فاغر فاه كأنما يريد أن يتلع مايدنو منه من صيد البحر ، وركبت في رأسه عينان من الباقوت الأحمر . أما زرقة الماء التي تملأها الفسيفساء فكانت مصنوعة من شظايا رقيقة من « أزرق البحر » الفائق الجمال

وكانت جدران البهو مزودة بتساوير تمثل صيد البر ، فن طراد بين كلاب سالوقية وغزلان مشردة ويزاة تعلق فوق رؤوس طباء لتمود إلى صاحبها بالغبية الباردة ، إلى مناظر صيد الطيور في برك المياه وسط الحشائش الخضراء ؛ فكان يخيل إلى الجالس في البهو أنه يتمتع بصيد البر والبحر ، حتى إذا ماداه رب الدار إلى الدخول رأى أمامه وخلفه وعن يمينه وشماله أبواباً تؤدي إلى مختلف الغرف ؛ فمن يمينه غرفة الجلوس التي جعلها الماريّ بياضوية على شكل حوض البستان وهي تؤدي إلى باب من الحديد اللصقول لعرفة الطعام التي جعلت مستديرة على شكل المائدة ، وبينهما حجرة مستطيلة لاتسع لأكثر من خوان الشراب وحوله مقعدان ، وفي جدرانها يتنايع من الفضة إذا حركها الساق سكبت ألواناً من الحجر المتيقة التي أوصت بها لادى شارلوت في مصانع إيقوسه وشمبانيا وكروم توسكانيا وأفنيون ؛ وقد صنعت تلك البنايع بحيث تتصل بخزائن صغيرة تملأ وتستنزف وتتلج من وراء الجدار . ولقاعة الشراب نافذتان تطل إحداهما على حديقة القصر ، والأخرى على منظر من ضفاف النيل ، بحيث يرى المظل الشمس والقمر لدى

الحق أن الذين صوروا زليخا صوراً بارزة وأخرى غير بارزة ، وصوراً ذات ألوان وأخرى ساذجة ، لم يستطيعوا أن يجدوا ما يتفوقون به على صنع الذين صوروا لادى شارلوت . وبما يدل طوراً على التكاء وتارة على الهوس السكسوي أن لادى شارلوت اتخذت من جيوفاني يوسف آخر ، فجعلت في تصاوره بجانب صورها في ملابس نفيسة من قبيص إلى جلباب ، ومن قفطان إلى عباءة ، وكل ما اتخذته نبي العفة لباساً خلطته شارلوت على حبيها بريشة الرسام ...

وكانت تلك التصاور تزين مخدع النوم ومجلس الشراب وخلوة الحمام . أما غرفة الطعام فكانت مقاعدها من خشب « الأبنوس » المزركب بالمعاج وأسلالك الفضة ؛ وكانت جذرائها مزدانة بتصاور يوسف وزليخا يتفكهان ويشان رائحة الأزهار من باقات صفت ليهما على الخوان ، وصورة أخرى أضاقها لادى شارلوت تمثل عقائل المدينة . وهن يقطن أيديهن !!

وكان السرير في غرفة النوم واطناً رجباً وثيراً يشمر الراقدة عليه بأنه قد أسلم جسمه إلى فراش بكاد لرقته ونومته وطراوته وليوته يكون أحضان محبوب مشتاق ، وقد حشيت الوسائد والخشايا بأعطر الریش وأغلاء ، وغلفت الوسائد وما إليها بالحرير الأزرق ، وجعلت للسرير ستور من المخمل « الجزائرى » (١)

(١) هولون المبدأ الذي يملو النحاس ، وسط بين الأخضر والأزرق

شارلوت تصلح ملكة ، ولا يصلح جيوفاني إلا لخلفتها ، وقد جاءها طائراً كما تحلق ذكور النحل في أفق السماء في أثر الملكة يوم الغزل الشهود . فما أغرب المصادفة التي أوحت إلى المهندس بناء تلك الغرفة على تلك الصورة !

وينتهى أحد أضلاع هذه الخلية الانسانية المسولة بغرفة الزينة التي جعلت على شكل عمارة رصراً إلى أن التي تتحلل فيها « درة » تربت في أصداف غالية ؛ وينتهى أحد الأضلاع المقابلة بمخلوة الحمام ، وقد تقننت لادى شارلوت في تنسيقها وتزيينها بأحواض من المرمر الملون ومواسير من المعدن الأبيض ومرآة من الفضة المصقولة ، وجعلت في أركان الحمام رفوفاً من المعاج ذات تعليلات وحالات من المرجان حملتها بأدوات الزينة النادرة المثال ؛ وكانت مرصعات القيشاني الفيروزية تعكس على الحوائط ألواناً بهجة

ولما كان مستر سترينج يبرد قد زين غرفة النوم بتصاور شتى لامرأة العزيز في مختلف الأوضاع ، فتارة ناهضة من فراشها ، وطوراً راقدة وقد أتمدنت رأسها إلى معصمها ، فقد صورها في إحدى اللوحات في موقف المنتظر المتلهف تقرب موعد يوسف ، وفي أخرى صورة تجمعهما في فراش واحد جعلتها زليخا في غيبة يوسف لتفاجئته بها في اليوم الموعد ، وفي الساعة التي كان لها ما بعدها ! وقد شاعت لادى شارلوت أن تجعل لنفسها من زليخا قدوة فلم تترك وضعا من أوضاعها إلا وقلدها فيه بتصويرها . وفي

أجل شيء في الكون، والبحر أبهى الألوان  
وكلاهما أزرق؟ ثم بعد فإن أولى الهدايا وأعزها  
عندى كانت ذات لون أزرق فتغافل بها وصار هذا  
اللون شعارنا؟ وزادني به تعلقاً أن حبيبي يفضلته على  
مأعده من الألوان. وفي عرفنا أن الدم الذي  
يجرى في عروق ملوكنا أزرق اللون!

### العاشقان بين نارين

لم يكن تدمير القصر اليوسفي الذي استقبلت فيه  
لادي شارلوت محبوبها جيوفاني دي نافا المهندس  
الاطاللي الطيار وليد المصادفة، بل حدث ذلك  
التدمير بالنار نتيجة تدمير سابق بعيد الغور

فإن لادي شارلوت التي أنفقت في تنسيق القصر  
وتزيينه وتأنيته وتجميله وتصوير جدرانها وتلوينها  
ما أنفقت من مال وصبر، ولا سياً قاعة الرقاد التي  
جعلتها آية من آيات الابداع ومعجزة من معجزات  
الفن المصري القديم، وجمعت لها ما جمعت من  
أدوات الزينة وثمين الرياش، وطرزت حواشيها  
بأنواع الخمل والسندس، وفرشت أركانها بالدرابي  
المبشوة، وجملت أطرافها بالطنافس الغالية، وحلت  
حوائطها بالتصاوير البارزة التي تمثل مناظر العشق  
وأوضاع الغرام إلى جانب مجالس الشراب ومواقف  
الغزل، كانت تظن أنها أعدت ليالي حظوتها  
بمحبوبها مالا عين رأت ولا أذن سمعت؟ وحسبت  
أن الدهر قد صفا لها وهادئها، وأن الأيام عاهدتها  
على الهناء وكفت عن التدر بها. ولكن لادي  
شارلوت فطنت إلى شيء وغابت عنها أشياء ونسيت

وكان سقف تلك الغرفة شفافاً بحيث يرى الراقص  
فيها قبة السماء كما لو كان يقرب الأفلاك وهو لا  
يشكاف مجهوداً قل أو كثر. فكان لبزوغ القمر  
وتألقه في كبد السماء روعة في نفس من يرى أشعته  
الفضية تنسكب انسكاب الفدير على الغرفة ومن فيها  
فتنمرها بسيلال فضي ينعكس ضياؤه الأبهى على  
زرقة الرياش فيكون لذلك منظر من أبدع المناظر  
وأبهجها وأقنها

أما غرفة الزينة التي أبدع الصناع زخرفها فقد  
جمعت بين الفن القديم والفن الحديث فوضعت في  
صدرها منضدة من المرمر المرقق صفت عليه أوعية  
من المرمر الرقيق تحوى أطيب الطهور وأروعها،  
ومختلف الأدهان والمكاحل وأدوات تنسيق الأظافر  
وتطريتها، وألوان ذهبية وياقوتية لتخضيب البنان،  
وأدوات لتصفيف الشعر وترجيله وما يحتاج إليه  
النساء من أسباب التحلي والترين، كما حوت صواناً  
كبيراً للشباب صنع إطاره من خشب القرو، وركبت  
ألواحاً وجوانبه من البور المزدوج بحيث لا تحتاج  
صاحبه للتنقيب عن الثياب في ظلام الأخشاب.  
وقد جعلت في خزائن من خشب عطري علباوات  
من الفضة المبطنه بالطبقة الزرقاء لصيانة جواهرها  
ومصوغاتها ومعظمها من الدراري القيمة والآلء  
النادرة؛ وكان للياقوت الأزرق والفيروز والبرجد  
أكبر نصيب من فصوص الأقراط والحواتم

وكان اللون الأزرق سائداً في كل مكان. وطالما  
سبغت لادي شارلوت في ذلك فأجابت: أليست السماء

الذين جعل إحداها وشادة لرأسها والأخرى وقاية لصدرها ، دأب كل عاشق بمحضين معشوقته فهو يريحها ويحرص عليها ، يريحها كما تريح الرضخ الحنون طفلها ، ويحرصها من خطر موهوم ، فكأنه يخشى أن تفلت منه في الظلام وهي به جذلاصة.. ولكنه لم يجرؤ على تحطى مدخل النرفة الزرقاء لئلا يخالف بذلك رغبتها فسمع همسا ، فعاد أذراجه ووضع يده على مسدسه الذى كان لا يفرط في محبته مطيعا في ذلك نصيحة والده رينا لذي دي دافا :

« عليك يا بُنى ثلاث تدرأ بها الأخطار : الهندسة والأسن والسلاح ، فالأولى للرزق والثانية للاعتراب والثالثة تلقى بها الرجال »

وقد انقسم جيو فاني انقسامه أليمة عند ما قبض على مسدسه ، وتذكر حكمة أبيه وقال في نفسه : « هانذا أنفذ وصيتك يا أبتاه ! لقد حذرتني من ثلاث ثلاث : من الفقر بالعلم ، ومن الغربة بحفظ اللغات ، ومن لقاء الرجال بالسلاح . ولكنك لم تحذرنى من المرأة التى قد تكون سبيبا في كل أولئك »

ولم يكده ينتهي من هذا الخطر العجيب الذى مر بهذه بأسرع مما يبرق السهم وأمضى ، حتى سمع صوت رجل يتكلم غاطبا لادى شارلوت ، فكادت دقات قلبه تقف فجأة لارعبا من الخطر ، ولكن إشفاقا على محبوبته التى خيل إليه أنها فى برائن الهلاك . فرفع جيو فاني ذلك الستار بأطراف أنامله ، فرأى رجلا فى صورة أعيان السكسون ،

أن من سره زمن ساءه أزمان ، وأن الدهر قل ما يهادن بغير استعداد لمواقع أخرى قد تكون أشد من الأولى وأقوى ، يمد لها ليصلي الخندوعين بأمنه بنار محرقة من جحيه . وإنها لفي ظلال الهناء ترشف كؤوس الحب مترعة ، فى الليلة الرابعة من ليالى غرامها الخالدة وقد أسدل الظلام زوائيه على سريرها ، وهى تنأجى جيو فاني ، تناوله أشهى القبل وتبادل أرق الحديث وأطيبه ، ولسان حاله يقول :

تبت فؤادك فى الظلام خريدة

تسقى الضجيع يبارد بسام

وإذا بها تسمع فى النرفة اللامضة وقع أقدام خافت ؟ وكانت مرهفة السمع شديدة اليقظة حتى فى سكرات النرام فهضت وحاول جيو فاني النهوض ليتبعها ، إلى غرفة الزينة التى اختارت لها اللون الأزرق وهو اللون المحبوب منها المفضل ليهما على سائر الألوان . وكانت اللادى تلبس للنوم قميصا من الحرير الأزرق وحول عنقها ذلك العقد الذى تلمع حباته المجموعة من الياقوت الأزرق ، ويتدل على عنقها البلورى وكنتفها الفضيتين شعرها الناعم القسطنطينى فاجتازت النرفة بخطوات مسرعة وأزاحت بيدها الستار الذى يسدل فيفصل بين الغرفتين ، فيسمع جيو فاني من وراءه وسوسة الحلى وخبر الماء الدافئ ويشم رائحة المطر . وبقي جيو فاني فى الفراش برهة فى حال غريبة من اللذة والخوف عليها ، وفى انتظار عودتها إلى ذراعيه

« إن وجود لادى شارلوت برنهارت حفيذة دوق مالبرو وسليمانية الورد البيضاء، صاحبة العفة ودية التقوى وتاج الصون في هذه البقعة المقدسة لمن أجل الاشارات إلى هطول البركات ووفور الخيرات، ولكن التقاليد صريحة في وجوب إقصاء الذين يلحقهم الدنس وتمسهم شوائب الرجس، لا فرق في هذا بين العبد والأمير، فأستحلفك يا بنت برنهارت باسم القوة السابوية التي تستمدن منها وجودك الداني لتقول لي الصدق فيما أنا سألك عنه: أأنت طاهرة أم ملوثة بأدناس... العاشقين؟

قال هذا ووقف تجاه النيلة يحدّث فيها بصره، كأنه يريد أن تصل نظراته إلى أعماق نفسها، فأحفظها القول وغازها وكسر بالها، فتبدل شحوبها بحمرة شديدة وغلى دما في عروقها، وأسرع نبضها تبعا لخفقان قلبها، وطقق نهداها الرمانيان (الذنان لم يخضعا لقانون التضخم والمهبوط بفضل حمالة من الحرير الأزرق مصنوعة حسب آخر أزياء باريس) طفق هذان النهران يصعدان ويهبطان استنكارا لكلام تأتي أن تقبله من إنسان كائنا من كان، واستنكارا لماملة لالتقي بكرامتها. واستقر في خلاها أن بعض أعدائها در لها مكيدة للوضع من مكانتها، فصوروا لها رجلا على صورة والدها (لورد رينفا نونكل أوف درومدرى أند كولو سترم) ليوهموها بتقص الأرواح واقتفائهم أثرها لينقصوا عليها حياتها وحبها، فوطنت النفس على مفاجأة الشيخ بما لم يكن في حسابها من الشجاعة

يشبه شيوخ السيناتو في رومة القديمة ولوردات الانجليز في لندن الحديثة، وقد بدا في أشعة مشكاة صغيرة نضى ظلام الغرفة في ثياب تشبه ثياب النسك، وله وجه ورأس أشبه الأشياء برأس اللادى ووجهها، وقد نلت على صدره لحية لم يستن جيوفانى لوها على حقيقته. وكان الرجل على خلاف المألوف في الانجليز، أميل إلى السمن منه إلى النحافة؛ وكان يتكلم بصوت خافت ولكنه صوت الرجل الوديع العالم الذي لم يتعود الصخب، ولكنه صوت من إذا قال فعل، وإذا أراد نفذت إرادته؛ وكان أثناء كلامه يدلغ إلى اللادى ثم يعود الفقيرى، فإذا دلف حرك رجليه على هيئة قوس من دائرة يتوهمها ويرسمها بساقيه إذا خطا. ثم يحدق بالنسيلة الانجليزية بعينين ضيقتين ولكنهما براقتان. وكانت اللادى تنصت في رعب تحاول إخفاءه وراء ثوب شفاف من الهدوء. فلم يجد جيوفانى سبيلا لاستعمال سندسه حيال هذا الشيخ الجليل الثابت الجنان، ولا سيما بعد أن سمع كلامه بالانجليزية بالغة الوضوح نقية اللمجة، فأصغى جيوفانى في حال بين اللذة والقلق إلى كلامه متنفلا بحديثه اللتين مدتهما الرهبة، من وجه محبوبته الشاحب إلى وجه الشيخ اللهب. كان وجه شارلوت شاحبا ولكنه كان ثابت التقاطيع فلم يمرها ما يمر والخائفين من رعشة أو اهتزاز أو تقلص في العضلات. وكان الشيخ يتكلم كما لو كان على وصيته الأخيرة قبل ذهابه إلى ساحة القتال. قال الشيخ بصوت باقي على رفته في النفس الروح:

السؤال . قال : إذا جابت والدك المائل أمامك فأنتما تجاوبين الأرواح ولا أزيد ، وإلى لأسرك أن تبرحى يا شارلوت — يياريس . روز . بلانش . تيريز — أن تبرحى هذه البقعة المقدسة التي لوتنها أقدار الأحياء قبل أن تندلع النيران في أركانها ، وتنقض جدرانها ، وتندك حوائطه ، وتتحطم تحفه ، وتغفر مغانيه ، وتهدم دعامه ، وتحترق أشجاره وأعشابه ، فيصير أخضره يا بسا ، وباسمه عابسا

لقد كان في مقدورنا أن نزل بك ما نزل دون إنذار كما تحطر السماء بلا إبراق وإرعاد ، ولكن بقية باقية من الشفقة ألهمتنا هذا التحذير لئلا نستهملين نبأه بعد حين ! فارتفعت لادى شارلوت لهذا الكلام وقالت : هأنذا ماضية في سبيلي ؛ ثم دنت من الباب فإذا بها تبصر جيوفاني واقفاً مهوئاً مناعاً ، لأن ما سمعه من قولها ليس من الهنات الهيئات ، إذ كان يعلم أن لادى شارلوت تؤمن بخلود الأرواح وبسطة نفوذها وقوة بطشها ، وتيقن بأن لبعضها غلبة وقهراً تنعزل لها جباه الجبارة ؛ فغشى جيوفاني أن تكون محبوبته قد خرقت بثبات جأشها وقوة حجتها سياج هذه القوة النامضة ، فوضعت من قدر الروح المثلل أمامها في نظر من سمع هذا الحوار بينها وبينه من خاصة الأرواح المتصلة بالعالم الأرضي ، والتي لم ترتب في مشاركتها في استطلاع هذا النظر اللبلى العجيب

هل كان جيوفاني حالماً ، أم كان بقطاً ؟ هل كان هازئاً ساخراً ، أم مؤمناً جاداً ؟ ولكنه أيقن ( ٢ )

ورسوخ القدم والقول المنفزع ثم أنشأت تتكلم فقالت :

— ليس من عادة الشرفاء أن يخاطبوا من لا تربطهم بهم علاقة ما — دع عنك أواصر المعرفة الوثيقة — بمثل ماتكلمت به أيها السيد المحترم ، فضلاً عن أن يدخلوا البيوت من غير أبوابها ، أو يغشوا المراقف في مثل هذه الساعة من الليل ... أو الصباح ! فان لم تكن أنت ياسيدي قد سمعت صياح اللديك فقد سمعته أنا وملأت نفسي بعد أذني بجميل نغمه ... غدق الشيخ فيها بين الأرهاب والتهديد ، وتردد وجهه تربداً تغيرت به بهجته ، وتكررت بشاشته ، فأمسكت لادى شارلوت عن الكلام بعد أن ظن جيوفاني أن الغلبة لها ، إلا أن هبة منظره لم ترعها ، فتجلدت له وأظهرت من ضروب الاستخفاف بتهديده وإرعاده ما جعله يكبر عليه أن يرى لادى شارلوت لا تقيم له وزناً ولا تبرحى له حرمة ؛ واحتدمت في نفسه نار النفيظ واتفتحت بسببه عروق جبهته حتى بدا لونها اللازوردى من خلال بشرته الصافية الأديم ؛ إلا أن الشيخ أو الشيخ رأى أن يكظم هذا النفيظ ويأخذ بالأناة في الأمر ، فأعاد السؤال الأول في صيغة لطيفة الدياجة ظاهرة المعنى فقال :

« أعيد عليك سؤال الأرواح التي أنا بتنى عنها في يمتها هذه : هل جئت إلى هنا تبين التطهر من البنس ، أم أنك طاهرة ؟ فأجابت بصوت جهير : سأجوبك على هذا

وبذلت جهوداً جبارة في رومه ، وفي لندن ، وفي  
فيرتزة ، وفي برمنجهام ، حتى حولت تيار المودة  
بينهما من الصداقة إلى المحبة ، ومن التلذذ بالحديث  
العذب والمجلس الأنيق في الثوب الفاخر الناعم إلى  
الحب العميق والعشق الساحر . ولم يهدئ من روعه  
علمه بأن لادى شارلوت تكبره بسنتين فعلى في حدود  
الأربعين وهو ما زال في السابعة بعد الثلاثين ، كما  
أنها بحكم نشأتها وتعليمها ومحيطها ومستواها تفوقه  
في الخبرة والتجارب ؛ ولعلها أدركت منه خطراً  
وأسرع إدراكاً وأحضر بديهة وأوسع اطلاعاً ، فكم  
مملكة زارت ، وكم رجل خطير عرفت وعاشرت ،  
وكم كتاب قرأت ، وكم معضلة عرضت لها خللت ،  
دع عنك ما ركز في طبيعتها من السكر الحسن ...

والسواء ! !

كان جيوفاني رجل حق وصدق ، سليم الفطرة  
طيب القلب ، أنفرض عليه الكيد والخداع ؛ وكان  
نابغاً في عمله يتقنه ويميز فيه حتى يبدع معاصره  
وقرناءه ، ولكنه كان يئلب لشارلوت إذا لاعبها  
الشطرنج أو نازلها في ميدان التنيس أو سكواش  
راكيتس ، كان يفوقها في النطق وتفوقه في السفسة  
والدعاية ، وقد عاشرها على حذر إلى أن استبان  
إخلاصها ووفاءها . والمرأة إذا أحببت أخلصت  
ووفت ، وكلتا الخلتين رهيبتان بحبها ؛ فإذا مات الحب  
نضب معين الفضائل التي كان الحب ينفذها وينمئها ،  
أما الرجل فلا يفسيه غروب شمس حبه شيئاً  
من مكارم أخلاقه التي كان يفرح بها محبوبته  
لمهد الغرام . ولعل شعوره بانتهاء الحب وباحلال  
الرابطة الوثيقة التي كانت بينه وبين « أنتي » من  
جنسه ينبه فيه عواطف الشفقة والحنان والرحمة ،

أنه في محو وفي يقظة لأنه رأى تومى له إيماء أدرك  
معناها ، وكان المهندس الايطالى ( شنور جيوفاني  
كما كانت تدعوه صديقه في أوقات دعائها ) يحلق  
بفكره ساعته في جو الخيال ، فأنهت الإيماء من  
غفلته ، فأخذ يرشق اللادى شارلوت بنظرات تشف  
عماق فؤاده من الهيام والخوف عليها . فأيقن الشيخ  
أن بين الاثنين سرّاً لا يفسره إلا ارتباط قلبيهما  
برباط الحب الوثيق ، فارتعد غيظاً وصوت باللادى  
شارلوت أن تنف وأنها تصنى إليه ، ففعلت ناطرة  
إليه بعين المستفهم عن سبب استرجاعها إيها وهي  
ماضية في طريقها إلى مخرج من حضرته كما أمرها  
وطالما سأل جيوفاني نفسه بعد ذلك هل كانت  
تنوى المود إلى أخضانه في فراشها ، أم تنوى تغيير  
قيص الليل ثياب النهار لتغادر ذلك القصر الذي  
وصفه الشيخ الانجليزى بأنه « بقعة مقدسة » ؟  
وطالما علل نفسه بسؤالها بعد جوازها تلك العقبة  
وتخطيها هذه المحنة التي قصر أمدها وطال ألمها .  
ولكن الفرصة لم تسح له لياق على محبته هذا  
السؤال ، دأب العشاق الذين يشغلون بحبهم عن  
أنفسهم وعن غير أنفسهم

قلت : ظل الشيخ حينما انكفأت اللادى  
شارلوت إلى غرفتها يشيها بنظره فينصر بها فقال :  
« أنت تظاهرين الأرواح بالمدواة والتعمد ! »  
وللتبادر إلى الفهم أنه لم يكن ذلك هذه النواية ويترك  
في هذه العاية إلا حليف لك هو الآن برأى منا  
ونسمع ، ونظر صوب جيوفاني فارتعدت فرائسه  
وخارت قواه ، لا جنناً ولا وهناً ولكن رهبة من  
هبة الشيخ الوقور . ولم ينفعه علمه بأن لادى  
شارلوت هي التي أحبته واستغفرت واستدرجته

« لهذا أنذرك أيها العقيلة (وهنا قال جيوفاي عجباً لهؤلاء الأنجليز ، حتى أشباحهم لا تنسى آداب الحديث في أخرج المواقف) الجامعة في الضلالة بأن الأرواح لا تتجاوز عن ذنبك إلا إذا رجعت إليهم بحسن التوبة » ثم صعد نظره في جيوفاي وأوماً إليه بسبابته قائلاً ، ولكنه قبل أن يتمكن من النطق بحرف واحد بادره جيوفاي بكلمة فاطمة :

« أيها الشيخ الجليل أو الشيخ المضيء أرواح الخالة ، وسامعني إذا لم أعرف كنهك لأخطبك باسمك وألقابك ، دع عنك بالله تأنيبي واهدنا أولاً إلى مقر الآنسة دولي برنهارت ، فهي التي يسبها جثثاً إلى هذا المكان ، وزحنا إلى تلك البقعة التي تصفها بالقداسة ، فأنت تعلم أنها مفقودة وأن أمها جاءت تبحث عنها ؛ فإن كنت جدها وهي حفيدتك فأنت أولى الناس بالارشاد إلى مستقرها .

### الفتاة المفقودة

وقد كان سؤال جيوفاي في صميم العاطفة ، وصدى للوعة الأم التي قصدت إلى ضفاف النيل لتبحث عن عشيقها ففقدت ابنتها . وكان جيوفاي يلتمس عذر الطيران في السماء الصافية بحجة البحث عن المذراء الغائبة

فمنذ ما جبه جيوفاي الشيخ الجليل أو شيخ لورد كولوسترم ، والد لادى شارلوت بالسؤال عن (دولي) مستقرها ومثواها ولمح له من طرف خفي أن الاستدلال على الفتاة المفقودة خير من الظهور للأمر في سماء والد هلميت ، وتقريعهما قبيل الفجر على أمور لم تعرف كنهها ولم تقف على مدى خطأها فيها ؛ وطن جيوفاي أنه بهذا التوجيه الكيس قد صدّ تيار

ولو أنت المرأة التي كان يحبها أمهله ولم تمرق عواطفه بغيرتها وغيظها رأته منه فوق ما عودها من الرأفة والشفقة ، ولكن المرأة ، ولا سيما إذا كانت ذكية الفؤاد ذات حساسية ، تجمل من القطيعة مسألة نفسانية ذات علاقة بالكرامة ، فلا تقبل من « قطيعها » من الأيدي ما كان يسدى إليها سابقاً ، وتفضل أن تجوع وتعري على أن تتلقى معروفه وجماله ، على أنها في ذلك لا تتبع إلا خطة ثابتة في نفسها ، إذ يندر أن تلقى بالاحسان من كانت تحب ، بل فتترلى لقاءه وقد تنسرك له ، ولا ينفع معها التذكير والتفكير ، ولايهما أن تعود بمخاطرها إلى ما كان بينهما من أيام الهناء وليالي القرب الأدنى . ويخطئ من يلومها أو يحقد عليها ، فعذرها تعلقها بحريتها وبغضها الخنوع لسلطان رجل كان بالأسس سيدها بحكم الحب ، وخلعت اليوم نيرة رغبة أوسمرغمة ، فهي تنتظر أن تأتي سواء وتعلق به وبجبه فهي تعد قلبها للإيجار أو للبيع فتفعل ما يفعل المالك عند « خلو » داره من ساكن من غسل ومسح ورش وكس وتبيض وتلوين وتعليق لوحة للإيجار ... ولا تقل المرأة « الخالصة » عن المالك غيرة على استثمار « البيت الخالي » ، فإن طاف بالسكان الجديد حسناً ومِعْظاً ومبالغة في قيمة الدار وزينة الغرف وجمال الوضع وتنسيق البهو وحسن الشرفات فهي الأخرى لا تنفي في إظهار حماسها الظاهرة والخفية بشقئ الوسائل حتى تقنع الراغب أو المرغوب فيه بالسكنى

كل هذه الخواطر مرّت بذهن جيوفاي في تلك اللحظة الرهيبة وهو يصغي إلى صوت الشيخ وهو يكمل حديثه :



نفسه بما عزاه الشيخ إليه ، وخشيت أن تسبق منه كلمة تخشى عاقبتها أو ترل قدمه في عثرة يعسر عليه النهوض منها ، فتقدمت نحو الشيخ وابستدرته بقولها :

إنني وحدي الجانية على نفسي بما تممته من الدخول في هذه المآزق ولا يد لك هذا البريء الذي من كل ذنب ، الطاهر النفس من كل عيب ، فيما اجترحته من الأخطاء

فقال الشيخ : أنتين لتبرئته وأنت تعلمين مقدار مشاركتي في غلطك ؟

قالت : كلا بل إنه أكثر من نصحي أن أتجنب الخطأ فلم تبلغني عقلة ، وزجرتني فلم يعمل الزجر في نفسي ، فأقلني من عثرتي وامح مابي من الدنس الذي أصابني

والذي يعرف أخلاق لادى شارلوت يعلم علم اليقين أنها لم تكن جادة في قولها ، وإنما كانت تمالئ الشيخ لتنقذ محبوبها من قوارع كله وزواج تأنيبه وتعنيفه ، ولتكتسب وقتاً تتبادل فيه وحبها المشورة والفتوى لملهما يقفان على حقيقة هذا الشيخ : أهو جُزء من مكيدة مدبرة أم ظاهرة روحية عميقة السر غامضة المعنى ؟

ولم تم اللادى شارلوت هذه الكلمة حتى تبهم وجه الشيخ وأريد وقال لها : معاً تبطن من المكر والحيلة تحط به فوراً ، وما أراك إلا منتحلة تلك المذلة حتى ينجو صاحبك من سخطي

قال هذا ثم توارى عن الأنظار . أما جيوفاني فكان لا يزال مشرد الفكر وقد لبث في مكانه كمن أخذته الصيحة حتى طرق سمعه رنين الطبل النحاسي المؤذن بصلاة الصباح كما هي تقاليد البصر التي رسمتها

الغضب في نفس الشيخ الغيور على طهر كرمته ... ولكن جيوفاني أخطأ في الحساب ، فلم يكن في نفس الشيخ منفذ للرضا أو تأدية واجب لحفيده قبل أن ينقذ روح أمها من الحميم الخيالي الذي توهما سائرة إليه بغير مرور بالأعراف ...

فان جيوفاني لم يلبث أن أتى السؤال الخاص بدولي حتى أجابه الشيخ :

إن صبح في عرفك أن تمثل دور المشفق على حفيدي ، فلم يصح بعد في شرعة الحق أن أقلب عرافاً أو منجاً ، لأن دولي لم يخطئها أحد طمعاً في جمالها كما حسبت ، بل عقاباً وقتياً لأمها على انحرافها عن محبة الصواب وعدوها ولو إلى حين عن جادة الاستقامة ، والتستر ، خصوصاً التستر الفروض على كل سكسوني وسكسونية . أما أنت أيها المهندس الذي تهادى في البهتان وخضع لوساوس ابليس فميتاً تطمح إلى استدرار غيوت الكارم الروحانية والفوز بالغفرة العليا ، فقد أصررت على المغالاة في حب اللادى ونكثت عهد الزواج ، وحنثت في الايمان ، ومع أن آلهة قومك قد أجزلت لك المواهب وأغدقت عليك العطاء من ذكاء متوقد ، وخطر سريع ، وإقدام نادر المثال ، فسوف نأقبك بالحرمان من عشقك ونفريق بينك وبين تلك التي تدعوها مبيودتك ونوردك موارد الحميم ... على الأقل ، تلك الحميم التي اصطنعها جدك الأعلى ... دانتي الجيبرى ... وأما هذا القصر وهذه الرياش والمخادع الفاخرة فستعلم نبأها بعد حين

فالتفت لادى شارلوت إلى جيوفاني وكان واقفاً تجاهها: فرأته ساكن الجأش مطمئن النفس . وقد أخذ يتقدم نحوها بقدم ثابتة ففهم أنه يعني تربة

أبهاؤه وغرفة ما علم ، وإن لم يقف على تفصيل وصفه  
 فقد وقمت لنا صور زيتية وأخرى شمسية تمثل معالمه  
 وأطلاله ، كما وقفنا على نبد وجيزة وأخرى مسهبية في  
 وصفه دونت ببعض صحف التاريخ الحديث وروايات  
 أسفار السائحين الذين سمعوا إليه وساعدتم الخط بدخوله  
 والتنقل بين غرفه قبل أن تمتلكه لادى شارلوت  
 لتستقبل فيه حبيبها جيوفاني . فاستخلصنا من تلك  
 المصادر وصفاً صادقاً وإن يكن غير بالغ نشاطاً و  
 حقيقته فما راء كمن قرأ أو سمع  
 « كان السائر على شاطئ النيل بمقبرة من الدير  
 البحري الذي شادته الملكة المسترجلة جاتشبسوت  
 يرى بناءً صغيراً يكاد يكون كالأمير التخنفي »  
 محمد لطفي جمعة

لادى شارلوت منذ احتلتها هي وصاحبها ... صلاة  
 الصباح ولكنها لم تكن صلاة الصباح بل كان إنذار  
 اللهب الذي اندلع في ناحيات القصر في لحظة واحدة ،  
 وصغير النار التي اشتعلت في الأثاث والرياش ، وتحقيق  
 الوعيد الذي جاء على لسان الشيخ الذي قال إن النار  
 المحرقة تظهر كل شيء حتى القلوب التي في الصدور !

\*\*\*

وكان الشيخ العربي يقص قصته الخلافة ونفسي  
 ساجدة في عالم الأحلام ، فكنت أغمض عيني لأتحيل  
 الحقيقة التي يرويها . فإذا ما فتحت عيني رأيته في  
 مجلسه وسمعتة يقول :  
 « أما القصر الذي طالما قرأ القاري اسمه ،  
 وعلم من أنباء الحوادث التي جرت بها الأقدار في

## الكستور المصرى هدية الموسم

حديث المجالس . والأوساط التجارية . ناعم الملمس . متين المحبر  
 ثابت الصبغة . متعدد النقوش . معتدل السعر

## مصنع شركة مصر للغزل والنسيج بالمحلة الكبرى

أكبر وأحسن مجموعة يخرجها مصنع الشركة بالمحلة الكبرى خصيصاً

لشركة بيع المصنوعات المصرية وفروعها

أليدا — (متضرعة)

لا تطلب إلى الرحيل !

لا تنفري هكذا !

( يسمع من بعد قرع

نافوس السفينة )

الغريب — هذه

القرعة الأولى . الآن

يجب أن تقولى : نعم

أولا

# غَاةُ الْبَحْرِ

مَسْرَحِيَّةٌ لِلْكَاتِبِ الْعَالِمِ الزَّوْجِي أَبْسِن  
بِقَلَمِ الْأُسْتَاذِ خَلِيلِ هِنْدَاوِي

أليدا — (بأسطة ذراعها) أأقرر مصير حياتي

كلها ؟

الغريب — نعم : تقرر ألا يرد ؛ بعد نصف

ساعة يجيء متأخراً لا نفع وراءه

أليدا — (ناظرة إليه) ولماذا تمسك بي هذا

التمسك الثابت ؟

الغريب — ألا تشعرين مثلي بأن واحداً يخص

الأخر

أليدا — أبسبب الوعد ؟

الغريب — الوعد لا تقيد أحداً ، لا رجلا

ولا امرأة ، فإذا تمسكت بك بقوة فذلك لأنني

لا أستطيع أن أعمل غير هذا .

أليدا — (باضطراب وإرتباك) ولماذا لم تجيء

بأكراً ؟

فانجيل — أليدا ...

أليدا — (ذاهلة) آه ! إن الذي ينوي

ويذهل النفس ويدفع بها نحو المجهول ، هو هذا :

البحر

( يخطف الغريب سياج الحديقة )

أليدا — (عادية وراء فانجيل) ما ذا تحمل ؟

ماذا تريد ؟

## مشهد منها

« أليدا هي امرأة الطبيب (فانجيل) تبدو عليها غلايل  
السادة . كانت في فتوتها خطيبة ربات سفينة من  
سفن القتل . ولكنه غاة توارى ونسيت « أليدا »  
وتزوجت « فانجيل » ولكن الريان ظهر وأنى  
(أليدا) يطلب إليها أن تفي بوعدها . فعزها اضطراب  
وأدركت أن حياتها الحاضرة قائمة على الكذب .  
فطلبت إلى « فانجيل » أن يفصل عنها لكي ينسى  
لأنها أن تخار بعل حريتها أحدها . وهذا المشهد يمثل  
« الريان » قادماً ليلقي الجواب النهائي »

( يصل الرجل الغريب من الفيلد ويقف على  
الطريق خارج سياج الحديقة )

الغريب — (مسلاً) عي مساء ، هأنذا قد

جئت بأليدا !

أليدا — أجل ! دقت الساعة الآن

الغريب — وهل أنت متأهبة للرحيل ؟

فانجيل — ولكنك ترى أنها لم تأهب له

الغريب — إنني قلق ، لا بسبب رداء سفرها ،

ولا لأنها أعدت أمتعتها أو لم تعد ، فإن عندي كل

ما يجب في الأسفار . وقد أعددت لها حجرة خاصة ..

(لأليدا) إنني أسألك هل تأهبت للحاق بي بمحض

إرادتك !

فانجيل — (متأثلاً) إنني أراه جيداً يا أليدا...  
إنك تفرين مني شيئاً فشيئاً. إن رغبة اللاهية والمثل  
الأعلى الذي لا يتحقق سينتهيان بإلقاء نفسك في  
أطواء الليل العميق

أليدا — نعم نعم ! أحس أن أجنحة سوداء  
صامتة تتحقق فوق

فانجيل — لا ينبغي أن تصل إلى هناك . ليس  
لك إلا سلام واحد . لذلك فسخت زواجنا .  
فاختاري طريقك بلء حريتك

أليدا — (تنظر لحظة بهمة عميقة) أحقاً  
ما تقول ؟ أصدقاً ما تذكر ؟ أأنت تقرر هذان قلبك ؟  
فانجيل — أجل ! من كل قلبي الباس المروق  
أليدا — ألك قدرة عليه ؟ أستطيعه ؟  
فانجيل — أجل ! أستطيعه ... أقدر عليه

بسبب حبي إياك

أليدا — (بصوت منخفض مرتمش) ألي مثل  
هذا المكان في قلبك ؟

فانجيل — ألم نمش معاً مدة أعوام ؟  
أليدا — (ضامة يدها) وأنا التي لم أفهم أليداً  
هذا الرجل

فانجيل — كانت أفكارك من قبل منارة لأفكارك  
الآن . وقد انطلقت من نفسك ومن نفسي . لأن  
حياتك الحقيقية تستطيع أن تجد طريقها الحقيقي  
وتسلكه . الآن تقدرين أن تختاري بكل حرية

أليدا — (أخذت رأسها بيديها وناظرة إلى فانجيل)  
بكل حرية ! ... وبكل رغبتى وإرادتى ! ... أى  
تغير هذا ؟

( يقرع ناقوس السيفينة ثانية )

الغريب — أو تسمعين يا أليدا ! هذه القرعة

الغريب — أليدا ... إننى أنظره ، إننى أسمعها ،  
هو كما حدثتني عنه ...

بلى على الرغم من كل شيء سأكون أنا الذي  
يقع اختيارك عليه

فانجيل — ( ذاهباً نحوه ) ليس لامرأتى أى  
اختيار ... أنا هنا لست بالرجل الذى اختارته فحسب ،  
ولمّا أنا رجلاً وراعياً . أجل ! أنا رجلاً وراعياً !  
فاذا لم تنصرف حالاً إلى غير رجعة لا تدرك أى  
مازق تسقط فيه

أليدا — فانجيل ! فانجيل ! ماذا تريد أن تفعل ؟  
الغريب — نعم ! ماذا تفعل ؟

فانجيل — أقبض عليك كعجرب ... الآن  
قبل أن تعود إلى البحر . إننى أعلم من قتل  
( سجونيكيان )

أليدا — أوه ! فانجيل . كيف تستطيع ؟  
الغريب — ذلك ما كنت أتظّره ، ( ساحباً مسدسه  
من جيبه ) وقد تجهزت لهذا الغرض

أليدا — ( طارحة نفسها أمام فانجيل ) لا لا ...  
لا تقتله ، أقتلنى أنا

الغريب — لا أنت ولا هو . كونى هادئة .  
هذا لا ينفع أحداً غيري يعيش ويموت رجلاً حراً

أليدا — ( بذمول ) فانجيل ! دعنى أكلك  
أمامه ... إنك تريد وتقدر على حبسنى في هذا المكان

لأنك تملك على القوة والوسيلة الشرعية ، ولكن  
نفسى وأفكارى ... وكل أهوائى ، وكل رغائى المتوقدة  
لا تستطيع أن تقيد بها ولأن تجددها . إنها كلها تفتش

عن ذلك السر وتبعه ، عن ذلك المجهول الكبير  
الذى خلقت من أجله ، والذى أغلقت أفقه وحجبته عني

فانجيل — بدأت الآن أفهمك ... أفكارك وعواطفك هي كالأناز ورموز . والذى يجذبك نحو البحر ، الذى يجذبك نحو هذا ... نحو هذا الشيء الغريب ، هو حاجتك إلى الحرية التى تيقظ فيك وتنمو فى نفسك

أليدا — لا أعلم ! ولكنك كنت طبيبى الماهر . جرؤت على أن تستعمل العلاج الحقيقى والوسيلة الناجعة التى أتقذتنى

فانجيل — نعم ... نحن الأطباء قد ننضحى فى المهالك الكبيرة بالكل من أجل الكل . وهكذا تبقى لى يا أليدا

أليدا — نعم يا حبيبى ! يا فانجيل الأمين ! الآن أنا لك ، الآن أقدر على ذلك ، لأننى عدتُ إليك بكل حرية ، كأنى كائن ضامنٌ ما يعمل منيل فنندارى

### الحكم فى مباراة الأقصوصة

اجتمعت لجنة التحكيم فى مباراة الأقصوصة التى اقترحتها مجلة الرواية وجعلت للفائز فيها جائزة قدرها خمسة عشر جنيتها ، يوم الأحد الماضى مؤلفة من حضرات الأساتذة : محمد فريد أبو حديد ، توفيق الحكيم ، إبراهيم عبد القادر المازنى ، محمود تيمور ، ثم صاحب هذه المجلة ، ونظرت فيما تجمع من الأقاصيص المتسابقة ، ثم قررت النظام الذى تتبعه فى قراءتها وغضها . وستجتمع مرات أخرى متوالية حتى يصدر حكمها فنشره فى الرواية والرسالة وبعض الصحف .

الأولى المنذرة بالرحيل . تعالى ...

أليدا — (تنظف إليه وتنظره وتقول بصوت متهدج) لن أتبعك بعد اليوم

الغريب — ألا تريد أن تتبعينى ؟ أليدا — (مقتربة من فانجيل) إننى لن أتركك

بعد حديثك هذا ! فانجيل — أليدا ... أليدا ...

الغريب — هل انتهى كل شئ ؟ أليدا — نعم انتهى كل شئ إلى الأبد

الغريب — إننى أرى ... إن هنا شيئاً هو أشد وأقوى من إرادتى

أليدا — ليس لإرادتك سلطان على . أنت عندى الآن رجل هالك عاد من البحر ، وسيعود إليه . أصبحت لا أخشاك أبداً . ولن تستطيع إغوائى بعد

الغريب — وداعاً أيها السيدة ! (ينطح السياج) على أنك لن تكونى فى حياتى إلا ذكرى : ذكرى شخص غريب . ( يخرج من الصهال )

فانجيل — (ناظراً إليه) أليدا ! أليدا ! إن نفسك كالبحر . لها من البحر مده وجزره . من أين دخل على نفسك هذا التنير ؟

أليدا — أنك لا تفهم أن التنير قد صار ، بل يجب أن يصير بقوة منذ تركت لي حرية العمل

فانجيل — وهذا المثل الأعلى ! وهذا المجهول الخفى الذى يجذبك نحوه ؟

أليدا — أنه لا يجذبني ولا يروعنى . اننى أملك القدرة على التأمل فيه ، والحرية فى تقليبه على وجوهه والاحاطة به . ولذلك استطعت أن أنكره وأجحد

يحبك عنى ! » فقالت  
الفتاة: « لاشير، فلنتخذ  
مكاناً هادئاً فى القطار  
قبل أن يتدفق إليه  
الناس.. » ثم جذبته  
وهى تقول: « إن واحداً  
لا يستطيع أن يتعرفنا  
الآن . أنا الآن مع  
كلارا وزوجها فى

# الخرفنا لى زرقاء

للكاتب الفرنسى بروسير ميرييه  
بقلم الأستاذ كامل محمود حبيب

طريقنا إلى الريف — كما يظن الجميع — وسأعود  
عند ظهر الغد ؟ أفهمت ؟ إنه لن يتطرق إلينا الشك  
أبداً ، ثم ... ثم إذا سئلنا عن أسمائنا فى الفندق ؟  
قال الفتى : « السيد دورو والسيدة زوجه » قالت :  
« لا ، لا ، لقد كان هذا اسم حذاء هناك ! » قال :  
« السيد ديموند والسيدة زوجه » قالت : « لا بأس ،  
لا بأس ! »

ودق الجرس ، بعد أن أصابا مكاناً خالياً كأنهما  
كان مهيأ لهما بحفاة ، فصاحا معاً « إننا الآن فى  
خلوة ! » غير أن السرور الذى أقم قلبهما حين  
وجدتا نفسيهما وحيدتين لم يستقر إلا ريثما يفزع  
رجل فى المجلس من سنى عمره فى ملابس سوداء  
قائمة تبدو عليه سمات الحزن والجذو وأثر النعمة وهو  
يدلف إليهما فى هدوء ويأبى بنفسه فى زاوية بازأتهما..  
وانطلق القطار . وانتجى الشاب وصاحته ناحية  
ثم راحا يتهايمسان باللغة الإنجليزية فى حذر . فظهر  
إليهما الرجل برهة ثم قال فى لسان إنجليزية فصيح :  
« سيدى ، إن كان لديك من الحديث ما تشفق أن  
أسمعه فلا تقله بالإنجليزية . لأننى إنجليزية النشأة  
والزنى ، ولشيد ما يؤلنى أن أزعجك أو أقطع عليك  
حديثك ، ولكن بالرغم منى ما فعلت ، فى العربة  
( ٢ )

أخذ الفتى يذرع فناء المحطة مقبلاً مدبراً تبدو  
عليه سمات الاضطراب والقلق ، وهو يجهد أن يخفى  
معالم وجهه ، فهو قد أرخى طرف قبضته على جبهته ،  
ووضع نظارة زرقاء على عينيه ، ولف حول عنقه  
منديلاً كبيراً ، وفى يمانه منديل يرفعه إلى أنفه بين  
الحين والحين ، وقد جعل فى يسراه حقيبة صغيرة فيها  
بعض متاعه ... وهو ينطلق إلى باب المحطة بين الفتية  
والفتية يستطلع خبراً ، ثم ينقلب فى لهفة يحدق فى  
الساعة الكبرى ... لم يكن القطار ليبرح إلا بعد  
ساعة ، ولكنه كان يخشى أمراً .

وابتدا السّفَر يفد زُمرأ زُمرأ والفتى يفزع  
لرأىهم ويمس كأن قلبه ينتزع ؛ ثم هو يشعر بالردة  
تسرى فى مفاصله ، والكلال يسير عليه ، فرقا وخوفاً  
وانتظر فطال به الانتظار ... ثم طلعت عليه  
فتاة فى لباس أسود ونقاب أسود كثيف ينطى  
معارفها ، وخطواتها تبدى عن بعض جمالها وشبابها  
وفى يمانها حقيبة من الجلد صغيرة . وتلاقيا ...  
ولبثا حيناً صامتتين ، بذأ فى يد ، وعليهما أثر الإعياء  
والهر ، ثم اندفعت الفتاة تحده : « ليو ! ما كنت  
لأستطيع أن أثبتك وأنت فى نظارتك هذه ! »  
قال ليو : « وأنا ، لقد كدت أنكرك وهذا النقاب

كأنه لغة الهوى الصامتة . وفي الحق لقد سمى الفتى جهده زماناً ليظفر بالتي أحب ، غير أن عوائق جمة حالت بينه وبين أن يكون زوجها لها  
وبلغ القطار (ن ...) قفزز الرجل الإنجليزي مسرعاً إلى الرصيف وخلف ليو يساعد فتاته . ووثب فتى إنجليزي من العربة الثانية واشتد في إثر الرجل الإنجليزي وهو ينادي : « أى عمى ، أى عمى ! » فأجابه الرجل في قسوة وغلظة : « دعنى وحيداً ! » فصاح به الشاب : « لا تبذر في غراس اليأس ! » فالتفت إليه المم ثم أتى بحقيقته عند قدمي ليو وهو يقول : « أرجو أن تحفظ متاعى ! » ثم سحب الشاب إليه يجره إلى ناحيته ، وانطلق يحدنه في رفق ثم ناوله بعض الأوراق المالية فاندفع الشاب لايولى على شيء ...

\*\*\*

وتلاقى الجميع — بعد حين — في فندق القرية ، وجبا صاحب الفندق ليو وصاحبه بنجر الترفات عطفاً منه على الفتاة — عادة تمودها الفرنسيون فما يحيدون عنها ، تنهي عن بعض ما فهم من أدب وظرف — ودخلا معاً الغرفة الزرقاء ، وقد لبس بها هذا الاسم منذ سنوات وسنوات لأن كرسيين كبيرين على جانبي المدفأة قد كسيا بالخمطل الأزرق ... ودخلا الغرفة فألقيا فيها — سوى الكرسيين — سريراً من خشب الجوز ، وستائر من قماش دى ألوان جميلة ، ووجدوا جدران الغرفة مغطاة بورق جميل زين برسوم مختلفة وصور أنيقة ، امتدت إليها أيدي الزلاء بالعث حيناً وبالتشويه حيناً آخر ، فطمست كثيراً من رواها وبهجتها  
وحامت خامات الفندق حول الفتاة ، يبدن

الأخرى رجل يضيق بمرآة صدرى لأننى أستشعر فيه اليهودية ، ثم إنى قد وطنت نفسى على ألا أسافر مع رجل واحد في عربة واحدة ! » ثم توسد حقيقته وهو يقول : « سأنام ، وإن لم أستطع فسأقرأ » وحاول الرجل عبثاً أن ينام ، فأخذ يفتش عن كتاب في حقيقته ، وحين فتحها بدا ما فيها من تشمت واضطراب ؛ وأعجز الرجل أن يجد كتابه ونظارته دون أن يلقى ببعض ما في الحقيبة جانباً ؛ ثم تناول من بين متاعه حزمة ضخمة من الأوراق المالية الإنجليزية وهزها أمام الشاب وهو يقول : « أفأستطيع أن أستبدل بهذه ورقاً فرنسياً في (ن ...) ؟ » قال الشاب : « قد تستطيع ، فهذه قرية في الطريق إلى إنجلترا ! »

واضطرب الشاب لأنه هو سيبط هذه القرية في حجة فتاته ليختلسا من الدهر فترة نعيم يتدوكان فيها لذة الهوى المحض ، ويرشقان من رحيق الحياة قطرة صافية حاوة ، ثم لا تمتد يده إلى الثمرة المحرمة ؛ ثم هو أوجس في نفسه خيفة من هذا الرجل الغريب فما في (ن ...) سوى فندق واحد صغير . لقد اختلف ليو إلى هذه القرية صبرات وصرات وأعجبه ما فيها من جمال وهدوء ، وجذبه إليها ما رأى من روعة وجلال ، فانطلق إليها هو وفتاته يستمتعان بجمال الطبيعة وسعادة الحب . والآن ... الآن حين يحبهما هذا الفريق الثقيل اضطرب الشاب وفزع وسلبته خواطره بعض ما يستشعر في نفسه من لذة وطرب ...

ما يزال القطار في طريقه والرجل الإنجليزي منكب على كتابه ، وقد شغله عن كل ما حوله ، والحييان يتحدثان حديث القلب في صوت خافت

فانطلق إلى صاحب الفندق يوحى إليه بأمر، وانطلق هذا إلى الجند يتلطف في الحديث ويطلب إليهم أن يزعموا عنهم بعض خبيجهم لأن عروساً مريضاً تسكن الحجرة المجاورة؛ ودوت الأصوات في أرجاء المكان: «يجب أن تأق لنشرب نخب صحتها!» لشد ما أزعج ليو أن يسمع أصواتهم المنكرة تعلو طالبة أمراً. وتراءى له أنهم سيندفعون في غير هودة ولا لين يستلبونه من فتاته وهو وحده لا يستطيع أن يكسر شرهم ولا أن يغلهم على أمرهم... ولكن صوتاً أجش ارتفع من أقصى المكان يأمر الجميع بالصمت في صرامة وشدة، فأطاعوا، واطمأن ليو وصاحبه وزاحا يتحدثان حديث الهوى

\*\*\*

وأخذ الجند يتصدعون — عند نصف الليل — وهم يصيحون لدى باب الغرفة الزرقاء: «عنى مساء أيها العروس الجميلة!» وخرج على أثرهم الرجل الإنجليزي ينادى: «زجاجة أخرى، أيها النادل!» ثم ألقى السكون سجوفه على الفندق، فأطل ليو وصاحبه من النافذة يستمتعان بالليل الهادئ والجميل ويستروحان نسباه الندية، وأبصارها شاخصة إلى أشعة القمر المنبثة بين أشجار الحديقة تكسها رونقاً وبهاء... وخيل إلى ليو أنه يرى ابن أخ الرجل الإنجليزي يضرب في أنحاء الحديقة حين رأى رجلاً يسير الهوينى مطرق الرأس يدخن سيجارة في هدوء ثم ارتدا يريدان النوم...

\*\*\*

وجلسا يتحدثان والشمعة بازأهما على الدفأة يضطرب ضوءها ويخبو رويداً رويداً، ثم جذبهما

جهدهن في إرضائها والعناية بها، وليو في المطهي يطلب المشاء. وتراى إلى مسمعه أن فرسان الفرقة الثالثة سيتناولون غداً في حجرة الطعام الكبرى فارتاع واشتد به الأسى إذ يعلم أنهم لن يخففوا من هرجهم وخبيجهم حتى نصف الليل، وصاحب الفندق يهدى من دوعه ويقسم أنهم على جانب من الأدب والحياء...

وراع الفتى أن يجد حجرة بين حجرة الطعام الكبرى وحجرة الرجل الإنجليزي الذى أزعجه مرهراً منذ حين... ثم رأى الإنجليزي يتصنى الخمر ويحدث في ساء الحجرة في صمت وذحول. ستلمب الخمر برءوس الجند من ناحية، وستمت بلب الرجل من ناحية أخرى، وهو بينهما لا يطمئن ولا يهدأ. واضطربت الأفكار في رأسه وتبلبل خاطره حين رأى في حجرة أبواباً ثلاثة: واحداً بينه وبين المظم، والثانى بينه وبين حجرة الرجل الإنجليزي، والثالث إلى الممشى. ماذا يفعل وقد قذفت به يد القدر إلى حيث لا يستقر وهو يريد الخلوة والهدوء؟ لقد أوتق رتاج باين وجلس إلى فتاته...

واستشعر الفتى اللذة والسعادة وهو إلى جانب فتاته يناجيهما ويثبها بعض ما يختلج في فؤاده في غير حذر ولا خوف. أفيستطيع الفتى أن يقول لنفسه: «أنا سعيد الآن!» وإذا قالها، أفيرى ما يضره له القيب وقد نظر إليهما الشيطان اللعين بعينين فيها السخرية والهرؤ، وهما يتناولان طعامهما في دعة وطمانينة، ومن حولهما صخب الجند ولجهم؟ ويل للإنسان من الشيطان! فهو دائماً يمزج رحيق السعادة بصاب الأسى والألم! وأراد الشاب أن يجد لفتاته الراحة والهدوء



السائل ؛ فقد قلبه دقات عنيفة ، وأراد أن يرح مكانه ليرى ... ولكنه لا يستطيع أن يفرغ فتاته وهي قد ألقت برأسها على كتفه

\*\*\*

لقد هم ليو أنت يندفع إلى حجرة الرجل الإنجليزي حين سمع الصوت لأول مرة ، ثم حين خشية أن يصبح فريسة لجنون القاتل ، ثم رفع يده يريد أن يضغط على الجرس يذنه صاحب الفندق إلى الخطر ، غير أنه سحبا في رفق حين تراءى له أنه سيزج بنفسه وفتاته بين أيدي الشرطة والنيابة .. والمحكمة يسألونه : من أنت ومن تكون هذه الفتاة ؟ ويلحون في السؤال ... فتكون الفضيحة . وماذا يضيره إن هو أغضى ليق على نفسه وعلى فتاته ؟ وتعلقت عينا الفتى بالشفطة والسائل الأحمر ، وذهل عن نفسه حيناً ثم بدت أول ساعة من النهار خفيفة مروعة فيها القضيحة والمار . ثم أضاء له بصيص من نور الأمل ، فقال لنفسه بجدتها : « لا بد أن نبرح عند الفجر قبل أن يكشف عن الأمر » واطمان إلى الفكرة ثم أخذ يبحث عن ميعاد أول قطار يفادر ( ن ... ) في الصباح الباكر ، فأقرعه أن يكون أول قطار هو قطار الساعة الثامنة صباحا . أفيطمئن هو إلى أن واحداً لن يدخل حجرة الرجل الإنجليزي قبل الثانية ؟

وأراد أن يتعمد قليلاً عن فتاته لينشر الأمر أمام عينيّه في خلوة أو شبه خلوة ، فسحب ذراعه في رفق ولكن الفتاة استيقظت . وارتفعت أن وجدت صاحبها يرتجف وقد جمد الدم في عروقه ، وردت أطرافه ، فقالت وهي تضمه إليها في شفق : « ماذا ، ماذا كان ؟ » قال في صوت خافت مضطرب

عن أخيلتهما أن سما كأن جسما ثقيلًا ينهد في حجرة الرجل الإنجليزي ، وكأن النضد ينقلب ... ثم سما آهة عميقة وأنيثاً ووعيداً . وسيطر الفزع على الحبيين ، ولكن الفتى راح يخفف عن فتاته بعض ما أخافها قائلاً : « لعل هذا الإنجليزي يحلم ! » غير أن الملع كاد يعضف بما بقي فيه من شجاعة حين خيل إليه أن باب حجرة الرجل الإنجليزي يصر صرياً خافتاً ، وأن رجلاً ينسل في حذر خشية أن يشمر به أحد ، فهمس في أذن صاحبتة : « ما هذا الفندق ؟ » قالت الفتاة في هدوء : « آه ، إنه كالفرديوس » ثم ألقت برأسها على كتفه وهي تقول : « آه ، إن الناس يغالبني فلا أستطيع دفعه ! » ثم راحت في سبات عميق ...

واستولى على ليو الأرق ، وفي خياله الرجل الإنجليزي ملقى على الأرض وأوداجه تشخب دماً ، وابن أخيه يقذف بالسكين إلى جانبه ثم يفر هارباً .. واستقرت الفكرة في خاطره فاستطاع دفعها .. وى كأن الشاب الإنجليزي تسلق الجدار إلى حيث عمه ليسفك دمه ويستلبه ماله ، ثم يتسلل في هذه الليل وسكونه ؛ بالشناعة الأثم ، والجرأة الأثم ! وتناهيت الفتى الأفكار السود فأقضت مضجعه وسلبته طمأنينته وهو إلى جانب فتاته النائمة . لقد أراد أن يتذوق حلاوة الرضا ، وأن يرى نور السعادة التي اقتقدتها دهرًا من عمره ؛ غير أن القدر شاء أن يقضى ليلته قلقاً ما يستقر ولا يهدأ ... وتعلق بصره بالباب التي بينه وبين الرجل الإنجليزي فراحه أن يرى سائلاً أحمر يتسرب في بطء من فرجة في أسفل الباب ، وأن يرى شظية ينعكس عليها ضوء الشمعة فتبدو لامعة وهاجة وسط هذا

روح الأسمى واليأس كأنها تشيعهما إلى النهاية ...  
وألم الفتى على صاحبه أن تتناول قدحاً من القهوة  
واللبن فامتعت عليه لأن الخوف كان قد سلبها  
كل ما تشتهي النفس

وهبط ليو إلى الطابق الأسفل في نظارة الزرقاء  
وإلى جانبه فتاة في ثيابها الأسود؛ ثم انطلقا معاً إلى  
صاحب الفندق ليدعها إليه أجر الغرفة ثم يسرعا  
إلى المحطة . وراح صاحب الفندق يتحدث الشاب

حديث الجند وحديث الرجل الإنجليزي ، فأطنب  
وأفاض ، وليو يتحامل على نفسه من أثر الإعياء  
والجهد ، والفتاة من خلفه تكاد تسقط من شدة  
التعب والأين ؛ ورأى صاحب الفندق ما يبدو على  
وجه الفتى من شحوب فقال : استريحاً في الوقت  
متسع . إن القطار لا يصل قبل الثامنة ، وكثيراً  
ما يتأخر ؛ « جلسا ويودعوا لو طارا إلى المحطة فراراً  
من المصيبة التي تنتظرهما في الطابق الأعلى

وفي هذه اللحظة دخلت الخادم وهي تنادي :  
« هات ماء ساخناً لشاي الرجل الإنجليزي وقطعة  
من الاسفنج أيضاً لأنه حطم زجاجة الخمر فلوثت  
أرض الغرفة وملأها ريحاً خبيثة . »

واهتزت الشابة طرباً ، وأبتسم الشاب ، وتبادلا  
نظرات فيها الدهشة والذهول ، وكذا بين شفتيهما  
ضحكات تكاد تنفجر قوة عاصفة ، ثم أمسك الفتى  
بذراع صاحبه وانطلقا معاً إلى الغرفة الزرقاء وهو  
يقول لصاحب الفندق : « لن نسافر قبل الثانية بعد  
الظهر ، هي لنا غداء شهياً نتناوله في غرفتنا »  
فلملم محمود مريب

« لاشئ » ، غير أنى سمعت هزة عنيفة في الحجرة  
المجاورة ! « ثم سحب نفسه من بين ذراعيهما في  
رفق ليضع كرسيه بإزاء الباب يخفى به السائل  
والشظية عن عيني الفتاة ؛ ثم فتح الباب في رفق برقب  
الممشى وباب حجرة الرجل الإنجليزي في حذر ،  
ثم طنّ في مسمعيه صوت خطوات ثقيلة مترنة تنبئ  
عن جندي يرق درج السلم ، فارتد يحدث فتاة  
حديث خياله ...

ما يزال الخطر جاثماً على خطوات منهما ... !  
واستخرطت الفتاة في البكاء تذرف الدمع أسى  
وحسرة على ماخبأ لها القدر في ليلة أراد أن  
يقضيها عند محراب الهوى ينعمان بهمس القلب  
ووسوسة القبل في منأى عن الواشي والرقب ،  
وينشقان فيها نسبات السعادة وقد ضنت عليهما بها  
الألم حيناً من الدهر . إن بينهما وبين السجن  
الساعات القليلة الباقية من الليل فعبا في عيني القانون  
مذنبان يتضرعان بحجة الجريمة ؛ وراح كل واحد  
يودع صاحبه وداعاً حاراً وقلبه يتفطر لوعة ، وكبدته  
ينشق عن يأس وكبد ، وهما ينتظران النهاية ...  
النهاية الأليمة

وانتفضا معاً من شدة الدرع حين سمعا خطوات  
أول إنسان يجتاز الممشى . لقد ابتدأ الناس يهبون  
من مراقدهم عند السادسة ... كيف يجلسان هنا ...  
في هذه الحجرة طول هذه المدة ... ! إن القطار لا يصل  
إلا عند الثامنة ! هاهم أولاء الخدم ترن نضحهم  
في ردهة الفندق ، وإغلامات ينفين ، والجند  
بروحوح ويحيثون بصفرون صغيراً أننامهم متضاربة .  
إن هذه الأصوات تصك أذان الرقيقين فتنتف فيهما

# ذو الغمَلِك

لِلْكَاتِبِ الرُّوسِيِّ أَنْطُون تَشِيكُوفْ  
بِقَلَمِ الْأَدِيبِ السَّيِّدِ جُورْجِ سَلَسْتِ

من نشوز؟ وإلها لم  
تبرح القرية قط فعلى  
لم تر المدينة إذن ولا  
أبصرت القطار،  
وإنها منذ عشر  
سنوات حتى الآن لم  
تخرج من منزلها إلا  
لبسًا، وأما نهارها

فتقضيه جالسة حيال الموقد ...

إلا أن بوركين لم يدهشه الحديث عن «مافرا»  
هذه ولم يجد في أطوارها ما يستحق الاستغراب  
فقال مقاطعاً صديقه :

— وماذا ترى في الأمر من غرابة؟! إن حب  
العزلة من طبيعة الكثيرين، وإن بعض الناس  
كالسراطين لا ترغب عن التنسك بديلاً، أو كالحلازين  
تستطيب أبدأ التخبؤ في أجحارها!

ولماذا التيسط في الديول والحواشي وعندي من  
جوهر الأمر ما يعني عنها جميعاً؟

فلئن كانت «مافرا» قد شامتك أطوارها فاذا  
عساك تقول فيمن بزها في غرابة الأطوار بمراحل،  
وفاقها في شذوذها فوق ما تستطيع أن تتخيل؟!  
فبالأس القريب قضى زميلي ييبليكيوف محبه  
فوارى التراب بموته فذاً من أفذاذ الخلق الناشئ  
والطبع القريب. ولقد كان رحمه الله عليه حياً إلى  
أبعد حدود الحياء، ولا إخال إلا أنك سمعت الناس  
يتحدثون عنه، فاسمه ملء الأفواه، وذكره ملء  
الأسباع؛ وشهرته هذه لم تكن لعلو كعبه في العلوم  
والآداب فحسب، بل لقراءة أطواره، وشذوذ

كان البيطري «إشان» والأستاذ «بوركين»  
عائدين من القنص عندما دهمهما الليل في ذلك السهل  
الفسيح الأفيح فلم يريا بداً من أن يلتجئا إلى هرى  
من أهراء القرية القديمة القائمة في أقصى البلاد  
لقضاء ليلتهما فيه

وإشان كان يقطن في ضاحية المدينة وقد ذهب  
للصيد ترويحاً لنفسه وتشيطاً لبنيته، وأما الأستاذ  
بوركين فقد كان يصطاف كل عام عند صديقه  
الكونت ب. ويتصرف في تلك الناحية على هواه  
كما يتصرف في منزله بين أهله ومحببه

ولم يجد النوم إلى عيونهما سبيلاً، فجلس إشان  
وهو كهل نازل الجسم حيال الباب النمرور بأراد  
القمر وأضوائه يذخن غليونه على مهل، واستلق  
بوركين في الداخل على أكوام المشيم يرى ولا يرى  
وتجاذبا أطراف الحديث، وحديث الوحدة  
طويل ما ينتهي، وقص كل منهما على رفيقه قصصاً  
شقى فيها الشائق المتع وفيها التافه الملل؛ وتحدث  
إشان فيها تحدث عن امرأة تدعى «مافرا» وقال  
عنها إنها حازمة نشيطة، وإنها ليست بالحمقاء ولا  
الساذجة على ما في عاداتها من شذوذ وفي أخلاقها

ومطلته ومعطفه التي كان يلوذ بها جميعاً تهرباً من حقيقة الحياة  
وما أكثر ما كان يردد هذه العبارة المألوفة بصوت رقيق عذب :

« - باليونانية من لغة جميلة رنانة الألفاظ :  
ثم كان يطبق عينيه ويرفع سبابته ويردف عبارته هذه بلفظة ( انثروبوت )<sup>(١)</sup>  
والأتكني من ذلك كله أنه كان يحاول وهو الذي أن يلد من تودد ذهنه ، كأنما كان يرض على فكره أن يظل طليقاً ، وبأي إلا أن يحمل له حجاباً سقيقاً ! وما أشد ما كانت الفرص الدراسية ممقوتة لديه ! فقد كان لا يراها إلا مدعاة لإثارة الشك والارتياح ، وما أكثر ما كانت يشك صاحبنا ويرتاب ! وكان يحس إحساساً قوياً أن الفرص مغلفة بقموض لا يأنس إليه فكره وإبهام لا يرتاح إليه ضميره

وحتى الرخص كانت بغيضة لديه ، وعندما كان يُرخص لأحد ما في المدينة بإنشاء مسرح للتمثيل أو يؤذن له بتأسيس دار للطالعة أو فتح ردهة لهُو كان يهز رأسه الصغير ويقول بصوت خفيض : « إن هذا حسن ما في ذلك رب ؛ وإن في هذا العمل لمنتهى السكال ولكن على ألا يقع ما نحاذره ونحشاه ! »

ثم إن نقض العهود والتفك بالعود والمخالفات على شتى أنواعها ، سواء أكانت متعلقة به أم بسواه كانت تبليه باضطراب الخاطر وإحلال القوى . ولقد كان يسوءه أن يتأخر أحد زملائه الأساتذة عن تأدية فرض من فروض الدين ،

(١) لفظة يونانية معناها رجل

عاداته . فقد كان لا يخرج من منزله إلا لابساً معطفه وحاملاً مظلته ومتعللاً « كوتشوكه » الوافي سواء لديه أكان الطقس ممطراً أم جفافاً ، وسيان عنده بسمت الشتاء وهش الأفق أم تجمهاً واربداً منهما الأديم

ولا تسل يا صديق عن تعلقه بالأغطية وشغفه بالاغمد ! فقد كان لمظلته غلافها ، ولساعته واقية من الجلد الأشهب ، ولوساه الصغير الذي لا يفارقه غمد يحفظها فيه ، ولكل شيء عنده غطاؤه حتى كان يخيل لمارفيه أن لوجهه كذلك وشاحاً يقيه عليه أو ستاراً يحجب وراءه

وقد كان يضع على عينيه نظارتين كشيقتين ويرتدى تحت معطفه صدره من الصوف ، ويضع في أذنيه قطناً ، وبأي كلما ركب عربة إلا أن يُنشر غطاؤها ويبسط

والخلاصة أنه كان يتجنب الناس ما أمكنه الأمر ويبني عنهم ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ، فرغبته في الانزواء ملحّة قاهرة ، وكان يود لو يستطيع أن يتخذ لنفسه غمداً يقيه من الموارض الطارئة والمؤثرات الخارجية

فالحقيقة كانت ترهقه ، والاحساس بالوجود يرمضه ، والكائنات تثير مخاوفه وتقض عليه مضجعه وتجعله في قلق دائم وحزن مقيم

فلقد كان يكره الحاضر ويحتويه ، ويمتدح الماضي ويطره ؛ وكان غير الموجود حبيباً إلى قلبه والوجود بغيضاً لديه ، ولم يكن ليجد فيه إلا ما يزيد هلمه ويكثر مخاوفه

واللغات القديمة التي كان يدرسها ويتصب على آدابها ويتضلع في فنونها كانت له « ككوتشوكه »

نظف البلوى وسؤل الصاب ، ولكن هناك  
 لنكد الطالع وسوئه ما هو ألم للنفس وأنكى  
 فقد كان رحمه الله يأبى إلا أن يزورنا في  
 منازلنا على كرهه للزيارات وبغضه لها ، وبأبى إلا  
 أن يفتحنا بطلعته المشؤومة في دورنا كأنما لم يكن  
 يكفيه طول ما يكتبنا بها أثناء ساعات التدريس ،  
 لأنه كان يعتقد أن زيارة الزملاء فرض لا مناص له  
 من إداته ، وواجب لا بد من القيام به لمن يشاء أن  
 يحتفظ بالعلاقات الودية وصلات الاخوة به .  
 وكان يبقى جالساً صامتاً لا يتكلم ، إلا إذا أكره  
 على الكلام أو اضطر إليه اضطراراً ، ويظل يحدث  
 في شيء ما لا يحيد عنه نظره كأنما جاء للتأمل  
 والصمت الطويل ، ويبقى كذلك ساعة أو ساعتين  
 ثم يذهب لشأنه ويمضي لطيبته !

قلت لك إننا كنا نحن زملاءه نجاربه في رأيه  
 وننادى إحساسه وشعوره كثيراً ؟ وكان رئيس  
 المدرسة نفسه يجاربه في رأيه كذلك ويداريه مثلنا  
 لقد كنا جميعاً من أولى التفكير الحر ، التفكير  
 العميق البعيد الفور ، مثقفين الثقيف العالي على  
 أيدي ( ثورغنغف ) و ( تشدرين ) وأضرابهما من  
 كبار الكتاب والفلاسفة ، إلا أن الذى كان يهز  
 المدرسة منا هزاً ، ويقمها دون سواء ويقعدها ،  
 هو هذا الذى لم يكن ليتخطى قط عن معطفه ومظلاته  
 « وكوتشوك » الواقى . ماذا قلت ؟ المدرسة ؟ !  
 إن المدرسة ليست بالتي تذكر ، فقد كان هذا القزم  
 المهجين يسيطر حتى على المدينة بأسرها ، فكثيراً  
 ما استنكفت سيداتنا من تمثيل الروايات على مسرح  
 المدينة كما تهن كل سبت من أجله ، وحتى كاهن  
 الرعية كان يتجنب أن يفطر أثناء الصوم ، أو يلعب

وبحره أن تسرى شائمة هزؤ عن أحد الطلبة ،  
 ويؤسفه أن يلتقى أحد ياحدى الناظرات عائدة  
 متأخرة مساء برفقة أحد الضباط . ولشد ما كان  
 يتأثر من هذه الشؤون وأمثالها إذا قُدر لها أن  
 تحدث ، ويتم شفتاه ترتجفان حقاً : « على ألا  
 يقع ما نحاذره ونخشاه ! »

أما في الاجتماعات الهذبية العامة فقد كان  
 كعادته يهقنا جميعاً بتحفظه واحتراسه ، بريته  
 وحذره ، بتصورات أقل ما يقال فيها أنها تصورات  
 ( رجل ردى غمد ! ) . وإن قيل له إن الطلبة كانوا  
 يسئون التصرف ولا يحسنون السلوك ، أو أنهم  
 يضحجون في صفوفهم ويصخبون كان يردّد عبارة  
 المأثورة :

« آه ! على ألا يتصل الخبر بالادارة وعلى ألا  
 يحدث شيء ، وإنما لو طرد ( بتروف ) من الصف  
 الثاني أو ( ايكودوف ) من الصف الرابع لكان  
 أحسن »

وبعد فإذا نظن بإصديق بمن كان لا يفتأ يتأوه  
 من غير سبب ويشكو من غير داع ؟ ومن تحسب  
 من الناس كان عالة علينا جميعاً ، ومن كان  
 وجهه الصغير الشاحب شؤماً على رايه ؟ وكنا مع  
 ذلك كله ندعن جميعاً لإرادته ولا نعصى له رغبة  
 ولا أمراً !!

وما قولك في أن الأساتذة كانوا يمنحون  
 بتروف وايكودوف أسوأ العلامات في دروسهما  
 مناداة لشموره ، وأن هذين التليذين قد طُرِدا  
 أخيراً من المدرسة من غير جريرة ولا ذنب نزولاً  
 عند رغبته وإكراماً لحاظه  
 وبإيت هذا كل مافى الأمر بإصديقي ، إذن

وهزة الباب ، يخشى أن يدهم اللصوص منزله ، وأن يروّعه بسلاحهم ، يخشى من خادمه الطاعن في السن (أفاناسي) أن يزحف إليه ويذبحه . كما إذا غفا واستسلمت مقاتلته للكرى جاشت بمخيلته الأحلام تروعه وتخيفه ، وكثيراً ما كان يفتق من سبانه مضطرباً مذعوراً . وهكذا كان يقضى المسكين لياليه التي كان

يراهها على قصرها طويلة ما تنتهي إلا بشق النفس ؛ حتى إذا حانت الساعة السابعة مشى إلى المدرسة مسرع الخطى عجلان لا يولّى على شيء ، شاحب اللون ، مضطرب الفكر ، قلق الروح ، حزين النفس ، مكمد الأسارير ، لا تلوسياه بسمه ولا بشره وكان يقول لي كلما رأى التلاميذة يصيحون في صفوفهم ويصيحون : « إن هذا لحيف ! » وكنت أعلم العلم اليقين أن هذه المباراة التي كانت في ظاهرها تبني خبيث الطلبة وصخبهم لم تكن في جوهرها إلا شكاة نفسة المذنبّة التي عبر بها عما كان يشربه من ضنك وعنت .

ثم أتستطيع أن تتصور ، والحالة كما وصفت ، أن أستاذ اليونانية هذا الذي أحدثك عنه ، أن هذا (الرجل ذا النمذ) كان على وشك الزواج وأهبطه ؟ فالتفت إيفان بمحركة عصبية سريعة وقال : — « أجدّاً ما تقول أم مزاحاً يا هذا ؟ » — نعم مهما يكن في الأمر من عجب ، فإن الحقيقة ما أقول ، وإن صاحبنا كان على أهبة الزواج حقاً وهالك جلية الأمر :

عن السيد « كفالنكو ميخائيل سافتش » أستاذاً جديداً للتاريخ والجغرافيا في مدرستنا ووصل إلينا حضريه مصحوباً بأخته «فارقا» وكفالنكو (٤)

بالورق أمامه ؛ وهكذا ظل الناس جميعاً خلال العشر أو الخس عشرة سنة التي قضاها بيتنا يرهبونه ويخشونه في كل شيء

وهنا سئل إيفان ليقطع على بوركين حديثه ، ثم أشعل غليونه يعود ثقاب وحجج القمر بنظرة طويلة ثم قال وهو يحط كلماته مطّاً :

« عجبت والله من هذا الذي تحدثني عنه يا صاح ، رجال من ذوى النظر الثاقب والرأى الحصيف ، رجال تتفقوا بثقافة ثورغنتف وتشدرين وأمثالهما من قادة الفكر والرأى يخضعون هذا الخضوع المهين ، ويتحملون هذا الدلّ الشائن ، ويقبلون هذا كله دون أن يتبرموا ؟ ! »

تابع بوركين حديثه : كان « وبينليكوف » يقطن في البناية التي أقطنها أنا ، وكنا على سطح درج واحد ، منزلي أمام منزله وبابه تجاه بابي ، وكثيراً ما كنا نتلاقى ، فنن الطيبين إذن ، وأنا جاره وزميله ، أن أكون أدري الناس بحياته الخاصة ، فمنده من الأفاقص والزواج والأطفال وكل ماله صلة بالحمية والأمن والتفتيد والحصر والتخضير والتنعم مالا يحصى ؛ فلقد كان كثير الخوف والحذر ، تربعه في الليل أقل حركة ، وتفزعاه أخف نأمة ، فلا ينام إلا وقد خبا رأسه تحت لحافه غير عابئ بالدفء الذي يرهقه ، ولا يبار أنفاسه الزوافر الذي يكاد يخنقه ، في حين تكون فيه الريح عاصفة مدوية ، ويكون صاحبنا الجزع الرعيد يرتجف تحت غطاءه ؛ فلقد كان هذا الذي يخشاه الناس في نهاره يخشى كل شيء في ليله ، يخشى أن يتحدث ما يذهب بقلبه ويظهر بلبه ، يخشى عصف الريح بالدخنة ودوى الصوت

فألقت عليه نظرة عطف وابتسمت ، وراقته  
بسمها فراح ينظر إلى شعرها الناعم المسترسل ،  
ووجهها الوسيم الصبوح ، وشعرها الباسم المفتوح ،  
وخصرها الدقيق ، وقدها الرشيق نظرات كلها  
إعجاب وإفتنان

وكأنما علت أى هوى صادفته فى نفسه قالت  
إليه وحتت عليه وراحت تحبسه بدل ونفرا عما تملكه  
من عقار وعما تنتجها الزرعة التى تملكها فى  
(جاديائش) - حيث تسكن والدتها - من خضار  
ويقول وجوب ، وعما يحفل به بستانها الثرى من  
أشجار مثمرة وجنى شهى

واسترحى اثنيان حديثا لا سيبا وليس فينا  
جميعا من كان يحسب أن يبيليكوف يستطيع أن  
يلفت نظر غادة بطلته أو يتحدث  
وأوحى لنا مرأتهما خاطرة فذة كانت امرأة  
الرئيس أسبقنا إلى تبيانها فتمتعت :

« جميل والله أن نغذله عليها ، فهي فتاة تحطت  
عثة الثلاثين وهو قد تجاوز الأربعين وإخال أنها  
تقبله عريسا » وصمته . ولم يتصد أحد منا للبحث  
فى هذا الموضوع الشائك مع قرينة الرئيس ؛  
ولئن يكن قد خطر فى بالنا تزويجه فليس معنى ذلك  
أن نبحت الأمر جديا ، ولكننا يعلم حق العلم رأى  
صاحبنا فى النساء والزواج ؛ وكيف تريد أن تخوض  
فى هذا البحث ولم يكن ليدور فى خلد أحد منا أن  
رجلا لا يرتدى إلا ثياب الشتاء فى إبان الصيف  
ويتحصن لدى نومه خوفا من طواريء وهمة ،  
يستطيع أن يحب ويهوى

وكيف تريد أن نبحت فى أمر زواجه وليس  
فيها جميعا من يعتقد أن هذا القزم الجبان أهل للزواج ؟

هذا على حداثة سنه طويل التجاد أسمر البشرة أحش  
الصوت ، إذا تكلم حسبت صوته خارجا من « برمبل »  
لا من حجرة . أما أخته فارتكبا فكانت فى الثلاثين  
من عمرها هيفاء ممشوقة القوام بجلاء الميتين وطفاء  
الأهداب وردية الخدين دقيقة الملاحظة فطنة إلى حد  
بعيد ، مرححة كثيرة الصخب ، تنفى من غير ملل  
أغاني شعبية ، وتقهقهة بين الغينة والغينة قهقهة  
عالية مدوية

وكانت المعرفة الأولى التى توفقت فيها صلات  
الود بين الأستاذ الجديد وأخته وبيننا فى حفلة ساهرة  
راقصة أقامها الرئيس فى عيده

ومن عباب ذلك المحيط المترمت الرصين ، ووسط  
الأساتذة الجفأة الملولين الذين كانوا كأنما اضطروا  
للبقاء هناك اضطرابا ، انبثقت لنا أفروديت جديدة  
ساحرة فالتأتأت المكان الذى كان لولاها فارغا ما فى  
ذلك رب ؛ فكانت تارة تضحك ويدها على خصرتها  
تضخات ساحرة فائقة ، وطورا تغنى وهي ترقص بخفة  
وازنان بصوت رقيق عذب أغاني عاطفية جميلة  
مسكرة ، وكانت أبلغ أغانيها فى نفوسنا أثر أغنية :  
« الريح تعصف » وأشدّها تلاعبا بالمواطف تلك  
القصيدة الباكية التى أنشدتها من قلب محروق ،  
وسكنت فيها من المدوبة والسحر ما شاء لها الصوت  
الجميل والفن الرفيع ، فأسكرتنا بها جميعا بما فينا  
« يبيليكوف » وربما كانت هي المرة الأولى التى ظهر  
فيها أمامنا طلق الحيا باسم الثغر

وجلس حيا لها ، وقال لها وهو يتسم بصوت  
حلول جهده أن يجعله ناعما لطيفا :

- « إن اللغة الروسية تذكرنا بمنذوبتها  
وجرس ألفاظها باللغة اليونانية القديمة ! »

والانتخاب قد تصرّم وفات ، وأن زمن الفتوة  
الذى كانت فيه تشمخ بأنفها على طالبي يدها من  
الشباب قد انقضى ؛ أضف إلى هذا رغبته الملحة  
في النجاة من هذا الجحيم الذى تعيش فيه مع أخيه .  
فلقد كانا يتنازعان لأفقه الأمور ويتشاجران دون  
ما سبب ، ويختلفان على لاشئ . فالطباع لم تكن  
متألّفة ، والأخلاق لم تكن متجانسة . وهكذا كانا  
أبداءً في نفور ، وحياة كهذه كانت تقلقها وترمضها ،  
وكان كل ماتأمل أن يكون لها منزل خاص تنعم  
فيه مع زوج رضى الخلق ، ومن حق من كانت  
في عمرها أن تكون لها هذه الأحلام والأمانى  
لهذه الأسباب التى أبنتها كنا نفتقد أنها  
تقبل ببسليكون زوجاً وإن لم تر فيه ما تفضله به  
على سواه

وكان يشوقه أن يراها وأن يجتمع بها من حين  
إلى حين إلا أنه كان في زيارته لها كما كان في  
زيارته لنا ، ما إن يأخذ مكانه حتى يعتره الوجوم  
فيبقى صامتاً لا ينس ببنت شفة

وملت فارنكا هذه الحلة المستهجنة فيه فراحت  
تداويناها بالهش له والبش في وجهه ، وكثيراً  
ما كانت تنفي له أغنية « الرمح تصف » أو سواها  
من الأغاني التى يستسيفها ويستعذبها . أو تجلس  
بالقرب منه تنظر إليه بينيها التجالين السوداوين  
نظرات صافية إن خلت من حب ما خلت من عطف  
ولكنه ما زال كما كان ؛ وما برح — على ما يضطرم  
في نفسه من ميول وأهواء ، وبالرغم من هذا التشجيع  
الذى يلاقيه والأنس الذى تغمره به — فابراً حبيباً ،  
ذلك لأنه كان يهيب إبداء ما يكنه قلبه لها من

ولقد خيّل إلينا للوهلة الأولى أن قرينة  
الرئيس هازلة فيما تقول فإذا بنا نراها جادة كل الجدة ؛  
على أن هذا لم يحل قط دون اعتبارنا كل قول  
في هذا الصدد هراء في هراء وكل بحث فيه من  
باب التندر كما كثر الأحاديث التى تتداولها الألسن  
في مثل هذه الحفلات الساهرة ترجية للوقت ودفعاً  
للسأم .

وانقضت الحفلة وبود صاحبنا ألا تنقضى ،  
وانفرط عقد الحضور وبوده أن يبقى منتظماً حتى  
الصبح . فلقد أحس للمرة الأولى في حياته بنشوة  
علوية لم يسبق له أن شعر بثقلها قط ؛ وأستطيع أن  
أؤكد لك يا صديقي أنه لم يم ليته تلك ، وأنه قضاه  
وهو بعيد في ذاكرته ما دار بين فارنكا وبينه من  
حديث ، ويتصور كيف كانت تبسم له وتدل عليه .  
ولم يخف علينا هذا الميل الذى بدأ يشعر به ولا فائنا  
إدراك الرغبة التى تتأجج في حناياه للاجتماع بالفتاة ،  
فكان أن تطلعت امرأة المراقب ودعته هو وفارنكا  
لحضور رواية تمثّل على مسرح المدينة قبلاً الدعوة  
بسروور ، وكانت هي في ثوبها الزاهر الأنيق ووجهها  
الطافح بشراً وإيناساً فاتنة أخاذة . وأما هو فقد  
جلس حالماً متجمعا كأنما قد سحب من منزله  
بالكثيفة<sup>(١)</sup> سحبا . ولم يمض ربح من الزمن يسير  
حتى أفت أنما حفلة زاهية زاهرة ودعوت إليها زولاً  
على الخاح السيدات صاحبات وقتاه . وهكذا بدأت  
الأمور في سيرها الطبيعي . والذى كان يبدو لنا أن الفتاة  
لنمارض في الزواج من ببسليكون فيما لو عرضناه  
عليها ، لأنها تعلم العلم اليقين أن وقت الخيار

(١) الكثيفة ما تدعوها العامة كلابة



نحن في غنى عن زجهما فيه ؟

ومضت الأيام تترى ، كان في خلالها يتردد على منزل كفالنكو فيبقى أثناء زيارته - شأنه فيها مضى - جامداً لا يتحرك . وقد كنا نحسب أن الحب كفيل بتقويم ما فيه من أوجع ، وأن الهوى سيطلق روحه من إسار الأسى والسكاكة ، فإذا بالأمر على النقيض مما كنا نأمل ، وأصبحنا لا نراه إلا ساهماً مطرقاً حزيباً ، وإذا بحسمة أبداً في نحول كأنما كان يزداد يوماً بعد يوم إيماناً في الثلاثي طلى غمده الصفيق

وكان يأتي إلى في بعض الأحيان يحدثنى عن الحياة العائلية وعن فارنكا كفالنكو ؛ ولقد قال لي مرة وهو ينسجم في حياء بسمه حائرة مرتبكة : إنها - أى فارنكا - تروقه وتنجبه وإنه يعلم أن كل شخص سيترج يوماً ما ، ولكن أمر الزواج خطير ، ولقد وافاه بسرعة غريبة دون أن يتخذ له أعبته ودون أن يفكر فيه التفكير الشامل الوافي ، ثم سألتني قائلاً :

- ألا ترى مثلي أن عليّ أن أفكر لأجل مستقبلتي ؟ فأجبت : تفكر في ماذا يا عزيزي ؟ تزوج وينقضى الأمر

قال : لا ، إن الزواج لأشد خطورة مما تظن ؛ وعلىّ أن أفكر في الواجبات المقبلة وفي التبعة التي ستلقى على عاتقك لا أقع فيما أحاذره وأخشاه . وهذا ما يقلقني ويعضني وينني عن جفني الكرى . فلقد بت لا أنام إلا لاساما

إن لها كما لأخيها أسلوباً في إدراك الأمور مضحكا . ثم إنها حاضرة الفؤاد حادة الطبع ، وأخشي أن تكون حياتي معها كحياتها مع أخيها شجاراً دائماً وزراعاً ما ينقضى

أحاسيس ويرى في مطارحة أحاديث الوجد نوعاً من التهتك والنزل الأثيم ؟ غير أن أثرابه ومعارفه ذكوراً وإناتاً كانوا كلما اجتمعوا به يلقون في روعه أنه خطيء فيما يذهب إليه ، وأن الحب سنة الله في خلاقه وما في الهوى المشروع إثم ولا حرج ، وأن الزواج خير له وأجدي عليه ، وأنه وقد عدا سني الشباب وتحطى زمن الصبا لم يبق له من الحياة كلها إلا أن ترف إليه تلك التي يصبو إليها ويهفو ؛ وأنها هي - - والحق يقال - حسنة تجمع إلى الحسن والجمال خير اللطال وأطيب الخصال ، وأنها مغرية شاققة مريحة تجلو عن القلب المعنى همه وأساه ، وأنها إلى ذلك كله ابنة مستشار في الدولة ولها من الأطلان والمقتنيات بائنة لا بأس بها ...

كان لمباراتنا في نفسه ما نرجو من بنينا ، ولكلماتنا في ذهنه ما نأمل من تأثير ، فقرر فعلاً أن عليه أن يتأمل

وهكذا يا صديقي انقلب المزاج جداً - - وكمن جد جره اللعب - وأهدت إليه فارنكا رسمها الجيب قبله شاكرًا متمناً وأطمره ، ووضعه على منضدته يتأمل فيه كلما خلا إلى نفسه .

- كان عليكم إذن وقد أقنعتموه بالزواج ، أن تقنعوه كذلك بضرورة تغيير ما هجن من عاداته فينهج نهجاً عادلاً صائباً دون أن يستهدف لسخرية الناس وهزئهم

- أعترف لك يا إيشان أن هذا الأمر عسير حقاً . وما إخال أنه كان باستطاعتنا نحن أوفى قدرة سوانا أن يجادله في هذا الشأن دون أن يلحق بنا سخطه وغضبه . ولماذا ناتي بأنفسنا في مأزق حرج

« ما له عندى حتى يأتى إلى منزلى ؟ قل له بالله عليك إنى أكرهه ، وإننى لا أريد أن أبصر له فى بيتى وجهاً بعد اليوم »

ولهذا كئنا تتحاشى القول أمامه إنه سيكون صهره العتيد ! بل كئنا تتحاشى ذكر اسمه أمامه . ولما قالت له امرأة المراقب فى ساعة من ساعات اللهو البرى إنه قد حان له أن يزوج أخته من رجل جدد وقور يحترمه الناس ويحلو به ، امتعض وامتنع لونه وتجهمت أساريره ودمدم (١) :

« إن هذا لا يعتبى . وما نعودت يا سيدى أن أبحث فيما لا يتعلق بى ، ولا أحب أن أزج نفسى فى شؤون سواى ... »  
والآن أسخى لما حدث :

لا أدرى أى ماجن دغابة رسم صورة بيلييكوف (بكونتشوك) وسرواله المرفوع ومظله المفتوحة وفارنكا تتأبط ذراعه ، وكتب تحت الرسم : « الأتروبوس » العاشق

وكان الرسام موقفاً فى رسمه إلى حد بعيد .

ولا ريب فى أنه قضى وقتاً طويلاً فيه حتى استطاع أن ييمت إلى كل أستاذ بنسخة منه . وقد تاقى بيلييكوف نسخته كذلك ، ولا تسل عما كان له فى نفسه من أثر بليخ

وكان اليوم التالي الموعد المضروب لاصطحاب التلامذة للتنزه ؛ فخرجنا أنا وبيلييكوف من منزلنا معاً ، وكانت أمائر الإعياء والقلق بادية على حياه الشاحب الهزيل بأجلى مظاهرها . فابتدرى قبل أن أحياه بهذه العبارة القنضية التى هى فى حقيقتها

(١) ديمتم فلان على فلان : كله مغضباً

وهكذا كان يزن الأمور ويحصها ويحسب للمستقبل العتيد ألف حساب . والغريب أنه كان يتنزه — مع ذلك كله — هو والأنسة فارنكا كل مساء تقريباً ، ظناً منه أن ذلك واجب يتحتم عليه القيام به ولا مندوحة له عنه

ويجب ألا أنسى أن أقول لك إن كوفالنكو استسجج بيلييكوف وكرهه للهولة الأولى التى وقت فيها عليه عينه ، وكان يأنف حتى من ذكر اسمه . وكثيراً ما كان يقول لنا عندما كان يذكر اسمه فى أحاديثنا عسراً : « أنا لا أفهم كيف نستطيعون أن تحتملوا هذا المأفون الواشى فيما بينكم ولا كيف تقدرتون أن تمشيوا هنا فى هذا الجو الخفاف ؟ تدعون أنكم سادة وأنكم أساتذة وإن أنتم إلا طلاب رتب وهواة مناصب ، تمشون فى خنوع من مداراة هذا الدعي اللثيم . واستحوالى أن أقول لكم إنه ما هذا بمعهد علمى وإنما هو مجمع متدينين موبوء ! »

لا يازملأى الكرام ، لن أبقي معكم إلا ردحاً من الزمن يسيراً وأعتزل بعده منصبى عندكم وأعود إلى مزبعتى أنقف الأمين فيها وألهو — كلما سحت لي الفرصة — بالصيد ، وأعيش حراً طليقاً بعيداً عن المداجاة والرياء والتزلف ؛ سأناهى عنكم عما قريب وأما أنتم فسابقون هنا مع يهودا الخائن ، ألا ليته يموت ! »

ولا أزال أذكر يا صديقى ساعة جاء إلى فى ثورة نفسانية هائلة كان بها أشبه بالأسد الطعين منه بالرجل الزين . وقال وهو يضحك تارة ضحكاً هادئاً متزناً ، وطوراً ضحكاً موجماً كثيفاً :

ترك الصف منذ أن زاول مهنة التدريس حتى تلك الساعة — ومضى إلى بيته

وعند الأصيل لبس ثيابه الشتوية مع أن الطقس كان دافئاً كأيام الصيف ، وذهب يبطء زيارة كوفالنسكو ، وكانت فارنكا قد خرجت من المنزل وبقي أخوها وحده فيه

« أرجو منك أن تتفضل وتجلس » هكذا قال كوفالنسكو ببرودة ظاهرة وقد قطب جبينه ، وكان قد أفاق من رقاده منذ بضع دقائق ، إذ كانت عادته أن ينام بعد الغداء ، وكان على أسوأ ما يكون خلقاً ومزاجاً

واستهل بيلييكوف حديثه بعد عشر دقائق قضاها في الصمت والتأمل فقال :

« ماجئت إليك لأتقي عن قلبي بعض اعباء الهم القادح الذي يرهقه ويضنيه فحسب ، بل لا كشف لك عن رأيي فيك الذي أرجو ألا تحمله مني على غير محل النصيح والارشاد ، فأنت لاتزال في مطلع الصبا وإما أنا فكهمل ، وأنت حديث العهد بالاستاذية ، وأما أنا فأستاذ منذ خمس عشرة سنة ، فخرى في إذن أن أكون أبعد منك نظراً وأوسع إدراكاً ، وقد كنت ولم أزل منذ أن بدأت أشعر بمعنى الوجود حتى الساعة مثال اللياقة والأدب في شؤوني كافة »

وظل كوفالنسكو جالساً بوجهه الباسر الكالح صامتاً لا يبحر ، وانتظر بيلييكوف قليلاً ثم استأنف حديثه الهادي بصوت لا يسته تبرات الحزن :

« ولقد رأيتك أمس ممتطياً دراجة ، وركوب الدراجات من شأن الأولاد ، وإن هذه الهبة لا يليق بمهذب الشنيبة ومثقفا أن يلهو بها

شكوى صارخة لما كان يمانيه من ألم نفساني مرهق : — ألا ما أردأ الناس وأخبثهم !

عبارة كان لها في نفسي صداها البعيد فاستدرت رأئي له وشفقت عليه ورحنا نتمشى الهوينى في صمت ... — فلنسر في الطليعة !

نداء رنّ في مسامعنا رنين البوق ، فالتفتنا فإذا بنا نرى ، أو تدرى من ؟ ! كوفالنسكو ممتطياً دراجته ووراء أخيه على دراجتها أيضاً ، وقد صاحبت به ، وهي تلهث إعباء ، ليتابع تسياره ؛ واندفع كلاهما كالسهم الماروق

وأدبرت طرفي إلى رفيق ، فإذا بي أراه قد تمسّر في مكانه ، ووقف مشدوها فاعر الفم جاحظ العينين كأنه التمثل المنحوت ، ولم يلبث أن قال في بأس : هلا تلطفت فأسمعتني ؟ ! ما هذا الذي أرى ؟ أغشاة على خاطري يا ترى أم غشاة على خاطري ؟ قلت : لا لهذه ولا تلك ؟ هوّن عليك ، فما في الأمر ما ينافي الأدب ، وليرحنا على هواهما فا هذا بضائرها . فقال وقد أدهشته رزائقي وهدوئي :

أأنت تقول هذا القول ؟ أيجدر بالأساذنة أم يليق بالآسنان أن يمتطوا الدراجات في عرض الشوارع ؟

ولم يشأ أن أناقشه في الأمر أو أناظره فيه ، وآثر أن يعود من حيث أتى ، موزّع الفكر مضطرب الجنان

وفي الغد كان لا يزال شديد التأثر ، وكان يفرك يديه بعضهما ببعض وهو يرتجف كمن عرته البرداء ، ولم يطل به الوقت حتى أحس أنه لم يعد يستطيع البقاء ، فترك صفة — ولم يسبق له أن

— ولماذا يا سيدي ؟

— أو يحتاج هذا إلى إيضاح بإسبائيل وعهدي بك ذكي الفؤاد ؟ لكن ركب الأستاذ الدراجة فابق للولاد إذ أن يغفلوا إلا أن يحشوا على رؤوسهم ؟ ثم ...  
— ثم ماذا ؟

ثم إنني لم أصدق عيني عند ما رأيت أختك ورائك على دراجتها ، وليس أقبح من أن يرى المرء آنسة أو امرأة على ذلك الشكل المريب —  
والخلاصة ؟ ماذا تبغني ؟

— لا أبتغي إلا أن ألقت نظرك إلى تجنب ما يشين سمعتك . فأتت حدث والمستقبل أمامك ، عليك أن تسلك سبيل الرشاد كما ينبغي للرجل الحكيم العاقل أن يفعل . فأتت تنزه كثيراً في الشوارع ، وتحمل معك في غدواتك وروحانك كتباً الله أعلم ما تكون ، وتلبس حلاً هي أدنى إلى التأنق الأرعن منها إلى اللباس المحتشم ؛ وجاءت الدراجة ثالثة الأتافي ... « فاحمر وجه كوفالينكو غضباً وصاح به :

— أما أن نمطى الدراجة أنا وأختي فهذا لا يعني أحداً سوانا ، وإنني لأتلقى بمن يتعرض لشؤني أو لشؤون عائلتي في جهنم ! والآن إليك عني أيها المافون . أغرب من أممي فامتدودت ، وأنا الشريف ، أن أخاطب رجلاً مثلك . أغرب عن وجهي فأنا أمقت الواشين وأجتوبهم

فقام بيليكوف مضطرباً ولبس معطفه والتأثر بهزهزاً ، فقد كانت تلك هي المرة الأولى التي أهين فيها في حياته ، وسمع كلاماً جارحاً مأساً بكرامته ، وقال وهو يفتح الباب ليخرج :

« لك أن تقول ما تشاء ، ولكن أرى من واجبي أن أذكرك قبل أن أبارح منزلك . فربما يكون قد سمع حوارنا أحد من الناس ، وخوفاً كتم أن ينقله إلى المراقب العام مشوهاً أرى أن أنقله إليه بنفسه دون تحريف »

فاحتدم كوفالينكو غضباً وصاح به :

« تنقل الأحاديث أيها الواشي اللعين ؟ » وتقدم منه فأمسك من الوراق بنقه وقال : « إذهب واقل هذا إلى المراقب أيضاً » ودفعه وهو يركله برجله على قفاه فراح يتدهور من أعلى الدرج حتى أسفله وقام المسكين مرضوض الجسم يتلسف في وجهه وذراعيه مواضع الألم

لأنه في اللحظة التي كان يتدحرج فيها على المبتات كانت فارنكا وسيدتان أخريان قد وصلن فوقفن مما يراقبته ، وكان هذا وحده عليه شراً من كل أمر سواه ، وكان خيراً في نظره أن يدق عنقه وتكسر ساقاه من أن يكون أضحوكة في عين من بهوي . والآن ستدري المدينة بأسرها بأمره وسيقتل الخير بالمراقب العام ، وقد يرسمونه في أوضاع ساخرة شتى — فباتكد الطالع — وهم إن فعلوا فسيقتدم إلى

الإدارة بالاستقالة من منصبه من غير بد وعند ما نهض عرفته فارنكا ولم تتالك لا رأيت سحنته النقبضة المضحكة ومطفه المسخ الضمين<sup>(١)</sup> أن أرسلتها ضحكة رن صداها في البناء كله

وهذه القهقهة الساخرة قلبت أحلامه رأساً على عقب وطوحت بهنائه المزعوم ، فأسودت الدنيا في عينيه وأحلولت مرأته ، فلم يعد يسمع ولم يعد يرى . وما بلغ منزله حتى هرع عوا إلى رسم فارنكا

ألا تتبع إلا ذوقه ولا تمنى إلا على هواه حتى في يومه الأخير . وأحسب أنني في غنى عن إعلامك يا إيشان أن فارنكا كانت الوحيدة التي مشت في جنازه خاشعة مطرقة بكل ما في الخشوع والإطراق من معنى ، وأنها ذرفت عندما واروا جثاته الثرى بصع قطرات من دمعها السخين . وأما نحن الآخرين فقد عدنا من دفنه ولا أكتمك وعلى وجوهنا أمارت الحزن ، لا أسي عليه ، بل لأننا كنا نأبى أن تظهر على وجوهنا دلائل السرور ؛ وموت رجل كيبيليكوف مسرة لقلوب من نكبوا بطلعة المشؤومة إبان حياته لقد دفناه ، ولكن كم وكم بقي علينا أن ندفن من أمثاله ؟ إن الأرض ملأى بنظرائه ، وإننا عند ما نعيش في بؤس فإنما نعيش في ( غمد ) ، وعند ما نحيا في محيط ضيق خائق ، أو عند ما نقضي حياتنا من غير جدوى ولا نفع ، أو نسف في القول ولا نسمع إلا كل لئو لا طائل فيه ، أو نزجي أوقات الفراغ في لعب الترد أو الورق ، فإنما نعيش في ( غمد ) أليس كذلك ؟

— بلى يا صديقي ، ولكن أن نسمع الكذب ولا نسمعه قائلة ، وأن نرى الواشى ونجمله الاجلال كله ، وأن نحتمل الأدل الشائن ، ونرضى ونحن الأباة بالهون ، وندارى من لا يستحق أن نسمعه ، من أجل رتبة لا قيمة لها ومنصب لا أهمية له ، فما لا يشرفنا . وللموت عندى خير من مثل هذه الحياة وأعذب — هذا أمر آخر يا إيفان ، والآن فلنم ودخل الأستاذ فاستلق على المشيم ، ولم يلبث بعد بضعة دقائق أن غفا ، وأما إيفان فقد خرج وجلس حيال الباب يدخن غليونه

موريج سلسكي

فانترعه من إطاره ومزقه تنفقا وألقى به في النار ، ثم خلع عنه ثيابه ورفد في سريره محرورج الجسم منهوك القوى ولم يقم منه بعد ذاك

وبعد مضي ثلاثة أيام أتى إلى طاهيه « أفاناسي » يستشيرني في استخدام الطبيب لأن سيده على ما يرى مذبذب عليل ، فلم أر بدا من عيادته ، وقد وجدته نائما وراء كلته ، منطى بالحافه حتى الرأس ؛ وطرحته عليه بمض الأسئلة فلم يكن ليرد إلا بلا أو بنعم ؛ وكان « أفاناسي » الطاهي يروح ويحيي حيال السرير مكتئب النفس محزون الفؤاد

وكانت حالته تزداد سوءا يوما بعد يوم ، وقلما اغتمضت عيناه في لياليه السود لطوارق أوهامه ومروعات أحلامه ؛ وبعد شهر ذاق خلاله هذا البائس المحزون من صنوف الألم وضروب العذاب ما صهر جسده الواهي وأذاب جسمه النهوك ، وقع القدر ونفذ المحذور وأسلم صاحبنا الروح

أما هيأته وهو مسجى في نعشه فقد كانت تنم عن العذوبة والطاينة كأنما كانت تنبئ عن السرور الذي شمله بوضعه أخيرا في « غمده » ونبلوغه الهدف الذي طالما حن له ، وليليه المأرب الذي طالما سعى إليه

وسرنا — الأستاذة والطلبة — جميعا وراء نعشه في موكب مهيب . وأبت السماء في ذلك اليوم إلا مشارطتنا ما كنا فيه من أسى على التقيد الراحل فأريد أذيعها واكفهر ، ولم تلبث أن بكت بدمعها الهاطل المدرار

وهكذا اضطررنا أن نرتدى معاطفنا ونحمل مظلاتنا وننتقل « كوتشو كنا » الواقي كأنما آثرنا

في يوم من أيام سنة  
١٦٣٨ دخل مدينة  
فلورنسا، وهي إذ ذاك  
عاصمة دوقية توسكانيا،  
سبي في الثانية عشرة  
من العمر يحمل على  
ظهره صرة معلقة في  
عصاً موضوعة على  
كتفه وكان في جيب

هذا الصبي عدد قليل من الدراهم .

قال أبو هذا الصبي مخاطباً إياه قبل مجيئه إلى  
فلورنسا : « لقد كبرت يابني وأصبح في وسعك أن  
تعول نفسك ، ولم يعد في وسي أن أعولك . ولست  
أزودك بأعلى من نصيحتي إليك بتقوى الله ؛ فإن اتبعت  
هذه النصيحة لم تفقد في أي وقت من الأوقات من  
عند إليك يد المعونة »

قال الأب ذلك وبكى ونفخ ابنه بدمعته  
هي التي كانت معه حين دخل عاصمة الدوقية ،  
وقد حرص الصبي على الاقتصاد فوضع حذاءه  
في الصرة التي حملها على عصاه ومشى حافياً ،  
ولما وصل إلى شاطئ الأرنو استحم في مائه  
وجلس يرفأ ثيابه عند الشاطئ ثم غسلها وأستأنف  
السير

ولم يكن فيفياني قد تعلم حرفة ما ، بل لم يكن  
لديه أي استعداد لتعلم أية حرفة . ولقد كان يحسن  
القراءة والكتابة ويعرف الحساب إلى حد ما ؛  
وكان يعرف اللغة العبرية وهي التي كان الكتاب  
(٥)

مرقص التاريخ

## فلش نير يوقيقيا في

مترجمة عن كتاب "الاطفال المنزليون"  
بقلم الأستاذ عبيد اللطيف النشار

قد كتب الدهر من وقائمه  
أجل مجموعة من السير  
يذهب مألوفها وأفنفها  
في زبد للحياة مندثر  
ويخلد النادر الغريب من الـ  
واقع لا المزدرى من الخبر  
إن زال حب الغريب من وسط  
فليس فيه مجال مبتكر  
غرابية في الجمال ندرته  
أبقته في نادر من الصور  
كانت حياة وكان صاحبها  
لم يبق غير الغريب في الصور  
ماض من الممرات صاحبها  
ماذا تبى من حوادث العمر  
أروعها مظهرها وأحفلها  
بكل ما كان غير منتظر  
والشر كالخبر رائع الخبر  
فالشر في الخير بين الأثر

والشر والخير في اجتماعها  
خوف جزوع وزهد منتصر  
قصة نيرون إن تكن رويت  
فظلم نيرون غير محقر  
أحقر ما توصف النفوس به  
صبر فتوح وقنع مصطب  
المترجم ( )

قبل الصبي وأخذ الصباح فصار يعرض على الأطفال لأول مرة ما يشبه النوع المعروف في مصر باسم « صندوق الدنيا » وإن كان أدق صنعاً منه ، فقال فيفياني مبتلأً وأفراً من المال

وفي يوم مطير هرب الأطفال من المطر إلى البيوت ؛ وكان فيفياني واقفاً ومعه فانوسه السحري ؛ وفي الناحية الأخرى من الطريق رجل مختبئ تحت شرفة لكثرة المطر ، فقال له فيفياني : « أيها السيد إذا لم تأت لتشاهد فانوس السحري فأني لن أستطيع العشاء هذه الليلة »

وكان هذا الرجل هو جاليليو العظيم أكبر عالم في جيله ، فأخذته الرأفة ووقف يشاهد صندوق الدنيا لإرضاء للصبي المسكين . ثم أخذ يسأله عن قصته فرواها له : وقد أهتم جاليليو بقصته أيما اهتمام فقادته إلى منزله وتبناه وعلمه فأصبح فيفياني من أكبر العلماء في القرن السابع عشر

وزادت شهرة فيفياني بعد تفضوجه فأدر عليه المال أصرأ بيت مديسي ، ومنحه لويس الرابع عشر معاشاً ضخماً ، وضمه المجمع العلمي الفرنسي إلى عضويته . وكان من بين أصدقاء فيفياني فرديريك الثاني غراندوق توسكانيا ، وقد استعان به في علاقاته الدبلوماسية عدة مرات ، كان يرسله فيها سفيراً إلى ملوك أوروبا

ومات فيفياني في الثانية والثمانين ، بعد أن ألف عدة كتب في الهندسة

« عن الانكليزية من كتاب الأطفال المتأخرين »

عبر اللطيف الشار

القدس يقرأ بها في ذلك العهد في إيطاليا قبل ترجمته إلى اللغة الإيطالية

وكان قنيس القرية قد ترجم لفيفياني مضموراً واحداً من مزامير داود فاستحثه ذلك على أن يترجم كل المزامير إلى لغته

كان هذا كل استعداده ، وهو يبحث عن عمل في فلورنسا ، فطاف بالخوانيت لينظر هل من حرفة يستطيع احترافها فلم يجد ما يلائمه . ولكنه وجد في أحد الخوانيت ما استقر دهشته — وجد فانوساً سحرياً ، فدخل في الخانوت لالكي يطلب عملاً ولكن ليطلب إلى صاحبه أن يرشده إلى كيفية صنع هذا الفانوس

وكانت المصاييح السحرية نادرة في ذلك الحين . وقد كان الرجل ظريفاً ، فلم يأب أن يفهمه سر هذا الصباح . وقام برع الطفل أنه يستطيع أن يعيش بالطواف بين القرى والمدن ومعه الفانوس السحري يعرضه بالأجر التافه على الأطفال

وعند مامعه من النقود وسأل صاحب الخانوت : أليس يكفي هذا القدر من المال ثمتاً للفانوس ؟ فأجابه : « لا . ولن تستطيع شراء مثله بعشرة أضعاف هذا الثمن . ولكن لماذا تريد ؟ »

فلما قص عليه الصبي قصته قال : إنني لن أبيعك هذا الفانوس ، ولكني أؤجره لك لما يبدو لي من أنك شريف . فهل تمدني بالشرف أن تمر عليّ في كل أسبوع مرة وتجبرني بالحقيقة كم رحمت . ولك عليّ ألا أطلبك بالأجر إلا بنسبة ربحك ؟ »

اسير و  
يستعمل  
تفخيرة  
في التراب الزور

حاداً على الخبيث التي تجسّس لها كذا وأصبحت ملاك كثر من بال لغفولاً . وأولهم محمد بن  
 وطاس زوجاع بالدم والرباب في الزور . وضعف شرب الخمر في الظلم ونزول دم من الدلف  
 وضاعف عافان آخرى . فذا كمال ههنا لوصاعه الوقت بل الطوبى لمن سارع بالأسير .  
 فنه الأسير . وعند ظهر أول الزواجر في وسط هيند دلف سيرة الرض . وقد كان  
 أن الأسير . فظهر بالي أعزهم العالم . إليه العلي لاله أن الأسير . فضا  
 طبعي لفساد الرضلي يدور وغير أسير . ولحقاً في البزائم وديار الخبيث فبضع دقات  
 وحقق الزم وبزك الصفا شئ على سمته وأمره اعلم التي منها الإنسان لنا دومي

[illegible]

انسیر و  
یوقف اللم  
فی ۵ دقائق

الوكلاء: ج. پ. شيريدان وشركاه  
القاهرة ٢٣ شارع المذابيخ  
الإسكندرية ٩ مزارع فخرسون بيلشا

١٠	أوراق	٢	فربس	مخمس	مطويات
٢٧	فربس	١	مخمس	مطويات	مطويات

۱۰ خنبر و  
ولا تخف





# سحابة

## للأستاذ أديب عباسي

تدني الناس منه وتقربهم  
إليه ولكن في غير  
ابتدال ولا خفة، وتبرز  
في الدروس ولكن في  
غير إجهاد ولا مشقة،  
واكتمال في التكوين  
الجسمي ولكن في

غير نعومة الأنوثة ولا طراوتها. ومن هنا فقد نفّض  
جميع الشبان أيديهم (والأصح قلبيهم) من فريدة  
لما رأوها تنجذب انجذاباً قوياً في ناحية صادق،  
وتدنو منه ثم تصير معه في دائرة محكمة من الحب  
الصحيح والمواهب النادرة والرجولة الكاملة؛ وما  
كان يدور لأحد بخلد أن يتخطى هذا السور، بله  
تخطيطه، ليصل إلى حيث استقر قلب الفتاة وزحزحه  
عن موضع ارتكازه.

\*\*\*

واقضت سنو الدراسة وخرج صادق يمارس  
مهنة الطب بعد أن نال شهادته بامتياز وتفوق  
عظيمين. وخرجت فريدة أيضاً في العام نفسه  
لتمارس التعليم في إحدى مدارس الأناث العالية؛  
ولم يكن ذلك من حاجة مادية إلى التعليم وإنما  
استعداداً لعهد الأمومة الذي من أول واجباته معرفة  
الصغار معرفة اختبار لا معرفة كتب ومحاضرات  
ومضى شطر من العام وصادق وفريدة يقتنمان  
كل فرصة للقاء، يروحان على عواطفهما، ويبدآن  
المدّة للمستقبل البعيد الذي ينتظرهما، مستقبل الحياة  
الزوجية السعيدة والبنين الصالحين؛ وانهما إلى  
مرحلة الاستعداد الأخيرة فأعلنا المعارف والأصدقاء  
خطبتهما التي تلاها الزواج بعد أسبوع، ولم يشذ

بقول شوبهور على طريقته في التشاؤم والتقطيب  
على وجه الحياة: إن معظم الروائيين يقفون  
بروايتهم عند عتبة الزواج لا يتعدونها، كأن ما بقي  
من الحياة لا قيمة له ولا خطر في تقديرهم، أو  
كأن ما يملكون علم الخبرة واليقين من انتهاء أحلام  
الحب والسعادة قبل الزواج إلى توافه العيش وتحويل  
الاعتقاد بعده يجعلهم يقفون عند ذلك الحد من رواية  
الحب، حتى لا يشوهوا الصورة التي دأبوا على تصويرها  
قوة ساحرة جهد طاقمهم.

وعلى صدق ما يقرر شوبهور هنا وعلى عظم الفارق  
بين حياة الرؤى والأحلام قبل الزواج، وحياة الجد  
والكلفة بعده، فأنا مثبتون في هذه الأقصوصة  
صورة من حياة زوجين بعد عهد الزواج لا قبله.  
وليس هذا لأن الزوجين اللذين رسم لهما هذه  
الصورة مثلاً دور الحب الأول تمثيلاً عاجزاً لا يستحق  
جهد الرسم ولا عناء التصوير، إنما نهمله لأنه كان  
طبيعياً لم ير شيئاً من فضول الاستغراب في الناس،  
كما لم ير عواطف الحسد ولا مزاحمة الطامعين التي  
تكون السبب الأول غالباً في تعقيد الصورة وإكسابها  
تشويق الطرافة وإثارة المفاجأة. فصادق كان بين  
طلاب الصفوف العليا في الجامعة مثال الشباب النبيل  
والرجولة القوية والمواهب النادرة: أخلاق وطباع

الموت ووجوم الفناء، وحيناً أمام أضيء الآلام وأشد الأوجاع وآلم الزفرات . ألا يكفيه كل هذا البلاد حتى أحمله أعباء البيت وأقاله لأنصرف إلى الرينة والزيارات وقتل الوقت في ثرثرة المجالس وبطالة الاجتماع ؟ ... وفوق هذا ما فتئت فريدة تهيب له كلما آب من عمله جواً روحياً من ذاتها وبما يحيط بها ، يبعث إلى نفسه الراح والروح ، وينفض عن شعوره وأعصابه ما علق بها من انتباض ، وخالطها من ارتماض . تلقاه متشوّقة مشرقة ، وتقضي الوقت بين يديه موقدة الحس مشبوبة العاطفة ، وتودعه هيفاً واحفة ، كأنه ذاهب في سفر بعيد أو لخطر أكيد . وهكذا مرت الأيام ترى وحياة هذين الزوجين مثال أعلى ومثل مضروب لحناء الزوجية في السر والاعلان . وقد زاد في هناء الزوجين ووثق بينهما النجاح الباهر الذي نجحه صادق حتى تخطت شهرته المحيط الضيق الذي يعمل فيه ، وغدا مثابة الزمى والمرضى في مختلف القرى والمدن المحيطة .

هذا وقد تعرف صادق بحكم عمله إلى أسر كثيرة ، وتوثقت عربي الألفة والصدافة بينه وبين عدد كبير منها ، فكثرت دعوات هذه الأسر إليه ولزوجته في المناسبات العديدة التي تقتضيها الحياة المصرية . وكانت فريدة أول الأمر جدمتبطة لهذا الطور الجديد من حياتها ، وأقول جديد لأنها نشأت في أسرة محافظة ، ثم تسلمتها المدرسة بمجدها وأوامرها ونواهيها العديدة ، ثم انتهت إلى التعليم وهو يضع من القيود ويفرض من الواجبات على المعلمة مالا يبق لها معه مطمح ولا سبيل لهذه الحياة الاجتماعية الحافلة

إلا أنه ما علم أن أخذت فريدة تعني بهذه

صادق وفريدة عن التقليد الحديث هنا ، فقد قام الأهل والأصدقاء بدعوتهم في إحدى أمسيات الربيع المبكر إلى السفينة التي أقلتهما إلى أحد الأقطار المجاورة بقضيان شهر المسك كأنها ما تقضي فترة من العمر

وعاد الزوجان عند نهاية الشهر ، هو لتابعة عمله ، وهي للقيام بواجبات الزواج والبيت . ولا حاجة إلى القول بأن صادقاً كان إلى هذا الوقت قد اكتسب نفة العائلات العديدة وأصبح مثابة المرضى وموضع الأمل في الشفاء والسلامة . وقد ساعده على ذلك العلم الوثيق والإحاطة الشاملة والمتابعة الشديدة لكل جديد في عالم الطب ، لعله أن الطبيب الذي يغفل مسامرة مستحدثات الطب يُضحي شيئاً عتيقاً في وقت قصير . هذا إلى الشخصية الحسنة والأخلاق الموزونة والثقة بالنفس في غير اعتداد ، والفهم السريع والادراك الصحيح للأزمات النفسية التي تنتاب المرضى والمعتلين ، إلى إشراق قوى في الوجه والنفس يبعث في النفوس أملاً قوياً في الشفاء ورغبة أكيدة في الحياة

أما فريدة فقد غدا معها توفير الراحة الفكرية والحسية لصادق ، ليصفو ذهنه وينصرف إلى عمله الدقيق أخلى ما يكون بالاً ، وأهدأ ما يكون فكراً ، وأشد ما يكون انصرافاً عن توافه الضرورات المنزلية والحاجات البيتية المربكة . وكانت تقول : ألا يكفيه هذا البناء الوصول والجهد الضني والزيارات المفاجئة تستلته من أحضاني أو من بين يدي ليلاً أو نهراً ، وتعرضه للفتح الحر أو فصح القر ، إلى ما يرهق التصور ويرمض الاحساس من العيش البائس بين آلام الناس وأحزانهم ، حيناً في غمرة

مخالطة الناس ورضيت بالوحدة والاتقطاع عما سواها؟ كلا ! كلا ! والدليل أنني لا زلت أرتاح لزيارة صومجياتي وجاراتي، وأنتي مائتت أزوهن وأسزيرهن وأجد الأنس والنظفة في ذلك . إذا ما هو وكيف أفسره ... ؟ ... ؟ يا الله ! يمكن أن يكون ذلك هو السبب ؟! أكاد أعرف ! أكاد أكشف الحقيقة المرة ... لقد شاهدتهن في الحفلة الراقصة منذ أسبوعين يتسابقن للرقص معه ، ورأيتن يُقِئنه بعبون لا يخفى فيها الإعجاب إن لم يكن ما هو فوق الإعجاب ! ثم ألم تتدح جميلة وسعد ذوقه ولطفه في أذني ؟ وتلك الشقراء معورة العينين شهوانية اللحاظ كم أمنت على سمته وأناقته « التي لا ترتفع إلى حدود التماثل الهندسي والسبعث البوذى كما ترى في بعض الحنايت من عباد الزى والأناقة »

ووقفت فريدة عند هذا الحد من التساؤل والتظلي خشية أن يجرفها تيار الشعور إلى نقطة الخطر في مجارى الشعور حيث تتركز الخطاوط والهواجس وتحتشد في نقطة واحدة لا تحول عنها ولا تريم . وعادت تقول : وما شأنه هو إذا كان سمته أو ذوقه أو أناقته أو أى عنصر من عناصر شخصيته مثار الإعجاب ومبعث التقدير أو خلافهما في نفوس الأوانس والسيدات ؟ أليس هو لى وحدى دون سوائى ؟ أليس يمود فى المساء من عمله المرقى فيزول في لحظة كل ما ازدخم على جبينه من تقطيب الجد وكفهرار العمل ، ويمودنى فى الصباح وبوده ألا يودعنى ؟ ألم يقل لى منذ حين إنه لا يشعر بأنه يحيا على متن الحياة إلا فى البيت ، وأنه خارج البيت كأنما يحيا على هامش الحياة وخفاف الشعور ؟ هكذا حلت فريدة الموقف وعرفت أنها

الاجتماعات بعض الضيق ، وأخذ يرين عليها شيء من الانقباض والحرج كلك دعت إلى اجتماع من هذه الاجتماعات ، بل لقد تطور الانقباض والحرج إلى مقت وكراهية شديدين . على أن فريدة كانت من قوة الإرادة ورهافة الحس والتحرز بحيث لم يند عن لسانها كلمة أو تبدر منها بادرة تشي بما أخذ يستقر في نفسها من مرارة وكره لهذه الاجتماعات حتى لا تؤذى شعور الزوج وهى الحربصة جد الحرص على أن تبقى جو البيت الروحي والحسى خنة بقي إليها من عناء المهنة وأوصاب العمل

وكانت هذه الحال تقضى إلى أوخم العواقب لو استمرت هذه العقدة النفيسة في نفس فريدة وانحدرت إلى معمل العقل الباطن ليحولها سماً زافاً يسمم الروح وي تلف الأعصاب ، ولو كانت فريدة عادية الذكاء غير شديدة التفتن والفحص لكل بادرة من بوادر النفس وكل هاجسة من هواجس الشعور ، فلقد لاحظت هذا الطور الجديد من الشعور تنتهي إليه من غير إرادة ولا عزم منها ، ولاحظت كذلك أن نضارتها أخذت تخبف يبطء ولكنه أكيد ، وأن الألق والبريق اللذين ينبعثان من عينيها انبعثا غريباً أخذ مكانهما كدرة واضحة واغبرار ، وأن تينك الوجنتين الورديتين أخذ لونهما ينصل ويحول ، وأن الشفتين الرجائنتين حل محلها خطان أبيضان في حمرة خفيفة توشك أن تزول . وهالها مارأت ، ووجهت تفكر وتحلل ؟ ولو كان لهجس الشعور صوت مسموع لسمعته حينئذ تقول :

لم كل هذا ؟ ! إننى أشعر بسرور خفى ولكنه أكيد كلما مضى الأسبوع ولم تكن دعوات ولا اجتماعات ولا زيارات . يمكن أنى مللت حقيقة

إهمالاً تكاد تبين فيه القصد، وأن رأته يخلق ذقنه يوماً ويتركها يوماً آخر بدل الخلافة اليومية التي اعتادها. وقد نبهته يوماً إلى ذلك فأجاب: إن الخلافة بكل صباح صيرت جلدة وجعي حساسة كل الحساسية، فأنا أعمد إلى إطالة فترة الخلافة لأريحها

وأخيراً زال كل شك من نفسها فيما انتهت إليه من أمر صادق حيناً رأت شعر رأسه يتدلى وراء أذنيه بشكل ظاهر، فاغرورقت عيناها، ودلفت إليه وجلست حذاءه، كف تمرُّ على سحتته، وأخرى تمثت بشعر رأسه، وخاطبته بصوت فيه الألم والسرور:

وأخيراً يا صادق، ألا تنوى أن تدعو الحلاق ليسوي هذا الشعر الذي أخذ يتدلى وراء أذنك بشكل ظاهر؟ هل أدركك ذهول الفلاسفة أو اعتقادهم أنه ليس ثمة فكر عميق بدون لحية كثة وشعر مهدل طويل؟ هذه اللحية البشائكة تكاد تترك خدوشاً في وجعي كلما أمررت سحتتي على سحتتك

— أما لحيتي فقد فسرت لك لماذا أحلقها يوماً وأتركها آخر. وأما شعر رأسي فأؤثر أن أتخلى الزمن الذي كنت أعيشه للحلاقة لأنجو بعض النجاة من أخطار الحلاقين وما يمرضون المرء له من أسباب العدوى والإصابة. وقد فاتني أن أذكر لك أنه جاعني في الأسبوع الفائت شاب يطلق على وجهه مرض خبيث، وبعد البحث علمت أن حلاقه آتخفه بهذا المرض بموساه أو يده القذرة. ألا تبص الله الحلاقين! إهم وسيلة أكيدة لنقل الأمراض! — اسمع يا صادق! غداً عيد ميلادك وسوف يكون عندينا صنوف من الناس، ولن أطيق أن أراك

وساوس الغيرة في غير مبرر؛ أخذت تهش وتهيش في صدرها « ولكن أليس هذا كالذي يستلحق في الفراش ويذهب ينّ ويتوجع توجع المريض المدنف لا شيء إلا لعلامة أن في الهواء الذي يستنشقه جراثيم المرض وأسباب الإصابة!؟ »

ولكن المنطق شيء والعاطفة شيء آخر. فإن فريدة — بالرغم من تحليلها هذه العاطفة الطارئة تحليلًا صحيحًا، وبالرغم من زوال الشيء الكثير من أسباب القلق وعدم الاطمئنان — ظلت تشعر بالراحة وانفراج الشعور كلما مضى اليوم أو الأسبوع دون أن يُدعوا إلى اجتماع أو يُضطر إلى إقامة اجتماع في منزلها. وتمتّت لو تزول هذه الاجتماعات زوالاً نسبياً أو مطلقاً فيزول معظم السبب فيما تخشى وتخاذر ولا تخطئ فريدة كأن رغبتها في هذا الشأن استجيت، فقد رأت صادقاً يعتذر لأصدقائه عن كثير من هذه الاجتماعات بحجة العمل الكثير والزيارات الطبية المفاجئة؛ وقل تبعاً لذلك دعوتها الأصدقاء والمعارف إلى منزلها. وقد حملته فريدة أولاً محل الأمر المعارض الذي لا يلبث أن يزول، ولكنها لاحظت استمراراً من صادق على الأعراض عن معظم هذه الدعوات، فأخذت تسائل نفسها: أيمن أن يكون قد فطن إلى ما في نفسي فاستجاب له استجابة الزوج الوفي الكريم؟ وهل كثير على صادق أن ينفذ إلى علة قلبي وشعوري، وهو الذي لا تخفى عليه خافية من أمري؟ الحق لولا أنني لا أحتفظ في صدري بصورة غير صورته لأرعدت كلما أطل في عيني أو تفرس في وجعي

وزادها يقيناً بأن صادقاً عرف خبيثة أمرها فأخذ يحاربها على ما في نفسها أن رأته يهمل هندا منه

— أوه ! أغتفر ماذا يا فريدة ؟ أغتفر لك أن  
شحب لونك ، وزالت نضارتك ، وشح نومك  
وأوشكت أن تذوي ذوى الزهرة فى مهب الريح  
اللاخفة لما خيل إليك أننى صائر إلى غيرك ؟ ثم  
أية متعة من متى لا أتخلى عنها فى سبيل أن تعود  
إليك نضارتك ويثوب إليك بشرى واستقرارك ،  
كما لاحظتها تعود بعد زوال مذلتي استجابتنا  
للدعوات والاجتماعات

\*\*\*

ومن ذلك الحين عادت الزيارات إلى الاتصال ،  
وعادت ألبسة صادق إلى أنافتها وانديجامها ، وعادت  
فريدة لا يقلقها أن تسمع الثناء والاعجاب بصديق  
يصبان فى أذنيها ؛ فلقد وثقت بأنه لها وحدها دون  
سواها ، بل لقد أصبح الاعجاب بصديق فى أية ناحية  
من نواحي شخصيته يسرها ويطربها . ذلك أنها  
وثقت بأن صادقاً جزء منها ومكمل لها حقاً ؛ وإذن  
فالثناء عليه والاعجاب به لها فيها حصّة

أريب عباسي

## رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرئين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

النم ١٢ قرشاً

بهذه التدقن أو هذا الرأس ، فأما أن تقوم تدعو  
الحلاق الآن أو ...

— أو ماذا ؟

— أو أنى أتى بالقص والمشط ، أنا

— بالله أسرعى يا فريدة ! إنه لتدبير والله !  
سوف نوفر القروش التى تدفعها لذلك الثمار .  
وفوق ما توفرين من دراهمى سوف أكون آمناً على  
نفسى بين يديك . وفرق بين أن يمر ذلك الحلاق  
القذر يديه على وجهى وعنق ، وبين أن تمرى هاتين  
اليدين النظيفتين على رأسى ووجهى .. لماذا تكتئين ؟  
هل أتى بالقص والمشط أنا ؟

لا تتجاهل يا صادق ! فأنت أدق حساً وأوعى  
شعوراً من أن يجوز عليك طور من أطوارى . هيا  
نسدل ستاراً على هذه الهزلة التى أوشكت بمحافتي  
أن أصيرها مأساة

وطوقته فريدة بذراعيها وأنهالت قبله وتقبله  
حيثما وقع فيها من وجهه ورأسه ، والدموع تسفح  
على وجنتيها ، والكلمات تقطعها أنفاسها المتهدّجة  
وصدرها الذى أخذ يعلو ويهبط بسرعة وشدة .

ولم يستطع صادق عند هذه الثورة النفسية إلا  
أن يستجيب لها ويرد لفريدة قبلة قبله ، وهو فى خلال  
ذلك يناديها ، مالك ؟ أجننت ؟ لاشك قد جننت !  
لقد خفقتى وكتمت أنفاسى ! خلى عنى ! أننى وحده  
لا يكفى للتنفس !

وتجيبه : نعم جننت ؟ وآتية امرأة لا تبين ! إذ  
يكون لها مثلك ؟ لقد جزت الامتحان يا صادق .  
لقد جزيته . اغتفر لى غيرى الحقاء التى صدّتك عن  
محافل الأُنس ، وألبستك ما لا يتلاءم وذوقك وكادت  
تبدّلك فيلسوفاً بلحية مرخاة وشعر مرسل

# كورنى فاسيليف

للفيلسوف الروسى تولستوى  
بقلم الأديب أحمد فتحى مرسى

وشيجة القرابة وأصرة  
المودة

وباع كورنى آخر  
رأس من ماشيته وهو  
حمل صغير ، بعد أن  
اقتصد زهاء ثلاثة آلاف  
روبل . ووصل إلى سمه  
أن ريفياً في الجيرة يبيع

أرضه بثمان زهيد ، فذهب  
يتقصد أرضه ، ويتسقط خبره ،  
إلى أن وقع عليه في بلدة قريبة ،  
فعاد إلى بلده بعد الصفقة ، وبمجد  
السوم ، ويعود بالثمن  
وعند ما بلغ كورنى المحطة ،  
وكانت في جهة قضية عن البلدة ،  
كان الصباح قد لألأت حواشيه ،  
وكان الجو مغشى بالسحب الجلون ،  
والجليد يساقط على الأرض في  
هيئة ولطف ... وما غادر كورنى  
القطار حتى التقي بالعم (كازما) ،  
وهو رجل رقيق الحال ، حقوق  
النفس ، يفتاب الناس ويختاتهم ،  
ويطوى في نفسه الحسد والحقد  
على الموسرين ، وخاصة كورنى ،

بعد ليون تولستوى في مقدمة كتاب  
روسيا الحديثة ... وتعد كتاباته  
الأناجيل الأولى للثورة الأخيرة ..  
ولد في سنة ١٨٢٨ وتنفذ ثقافة  
فرنسية ثم بدأ كتاباته بتصور حال  
الفلاحين البائسة وقد نظم الحكم  
فبرع في هذه الناحية ، ولنا يرى متابع  
أثره الأدبي أن جل مؤلفاته في هذه  
الناحية

وقد نزل تولستوى في أواخر أيامه  
عن ممتلكاته للفلاحين مما أكسبه  
عطف هذه الطبقة عليه ، وتعلقها به .  
وقد ماز تولستوى عن غيره من  
أكتاب روسيا الحديثة النهج الواقعي  
الذي أنهجه لنفسه (Realism) غالف  
بذلك من سببه أمثال پوشكين  
و « جوجول » وكذلك مازهم  
دقة تصويره لحال الفلاح وسيايس  
الغارى ذلك جلياً في هذه القصة  
وقد اختلف تولستوى في أواخر أيامه  
وتوفى سنة ١٩١٠

فتحي

لم يكن كورنى فاسيليف  
قد فصل بعد من ريعه الرابع  
والخمس عند ما عاد إلى الريف  
للمرة الأخيرة ؛ ولم يكن الشيب  
قد وسم خصلات الجفلة المسبلة  
فحسب - بسعته الفراء ، بل جازها  
إلى عذاريه فستهما مواسمه ،  
ولاحت بهما رواعيه ... وكان  
أملس الوجه ، رشيق التركيب ،  
رحيب ما بين المنكبين ؛ تلوح  
على وجهه رفاهة المدنية وعيشة  
الحضر

ومنذ عشرين حولاً خلت  
تجور كورنى من ربة الجندية  
وتلحق التجارة ؛ ولكن ما تلبث  
أن غشي نفسه الملل ، فأخذ يربى

الماشية ترحى كلا الضفاف وعشب المروج .

وكان كورنى يقيم « بجاني » في منزل تالذ  
الطراز ، مهتم الشرف ، ومن حوله أم عجوز في  
منزب حياتها ، وزوجة شابة في ريمان صباحا ،  
وطفل وطفلة لم يتخطيا الهد ، ويتم فتى تربطه به

وكان يدعو « كورناشكا »  
وكان للعم كازما عربة قديمة يجرها زوج من  
الحيل الهزال الضامرة ، يثنى مقادتها كل يوم إلى  
المحطة ، عله يعود من الركب برجل أو اثنين ...  
وبهذا كان يقيم أوده ... ابتدره كورنى قائلاً :

لها جان صنبر على رجوع البصر، فأمر كورنى العم  
كازما أن يقف عنده حتى يستريحاً قليلاً ويريحاً  
الجياد اللاعبة... فجذب كازما عنان الخيل، ومضت  
المجلات تتأفلق في دوراتها حتى همدت حركتها.  
فهبط العم كازما يمرس أطرافه في رخاوة وكسل،  
ومضى يرتب المقاعد، وينسق الرصائع، وينظم  
أعنة الخيل

وقال كورنى:

— هل لك فى كأس من الخمر أيها العم كازما؟

— لك الشكر يا سيدى

وجلسا يعبان الجام تلو الجام حتى أفضت الخمر  
إلى مكنى أسرار كازما فضى يفيض ويسترسل فى  
الحديث قائلاً:

إننى آسف لك أيها السيد كورنى... كثيرأ  
والله ما صددت الألسن عن التشدد بك والخوض  
فيك قائلاً للناس: «وماقدمه بعيد؛ وسترون كيف  
يفار على شرفه»

وكان كورنى يسمع إليه وهو متكئ اللون،  
متفزع القلب؛ وأخيراً قال فى خفوت:

— ألا تريد أن تسقى الجياد؟ إن كنت لا  
تود فدعنا نرجل

ومضت العربية ترف فى خطرتها، وتصل ما انقطع  
من الطريق... وأخيراً بلغ كورنى البلدة عند ما  
ضربت الشمس جبين الأفق الغربى... فنادر  
العربة، وهو ثائر الخاطر مجلان الخطو، وما وبخ الباب  
حتى قابله أفتستنى بنفسه لحياه تحية فارة ثم صعد  
الدرج فى تراخ وهينة

وقابلته زوجته فى نهاية الدرج مرحبة باهمة،  
وقادته إلى غرفته حيث لحقت به والدته وهى عجوز رقيقة

— ألا تنقلنى معك إلى البلدة أيها العم كازما؟

— نظير روييل إذا قبلت

— أظن أن فى سبعين كوبك الكفاية

فثنى الرجل هامته موافقاً وهو يسارقه النظر  
الشزر، فصعد كورنى فتطرح على المقعد الخلقى  
للعربة، وهو لاغب وهنان، ثم قال:

— حسن... يمكنك أن تسير الآن

فانطلقت بهما العربية فى طريق رصف ظليل،  
وغشى عليهما الصمت برهة؛ وأخيراً قال كورنى:

— وكيف حال البلدة أيها العم كازما؟

— على خير حال يا سيدى... اللهم إلا...  
فقاطعه قائلاً:

— اللهم إلا ماذا؟ أماتت العجوز؟

— كلا يا سيدى... إنها فى عافية صحيحة...

وكذلك زوجتك الحسنة... ولم يحدث شئ سوى  
أنها استخدمت عملاً جديداً يدعى «أفتستنى»

وأرسل العم كازما ضحكة مرنة زلت على كورنى  
كالمحى. فمتد ما بنى كورنى بمارفا، كانت  
الألسن تتقول بذلك الاسم السالف بجانب اسمها..  
واسترسل كازما يقول:

— هكذا تسير الحياة... إن أحداً لا يمكنه

أن يحذ من حرية المرأة

— هكذا يقولون...

ثم قال كورنى حائداً بمجرى الحديث:

— إن جوادك الكيت قد لحقه الكبر...  
وكذلك الأشهب

— لا بدع فى ذلك يا سيدى... فهما كبسيداها

على شفا القبر

وبعد أن طوت المركبة زهاء نصف الطريق لاح

— إقتيني ... لا أذكر ... منذ أسبوعين  
أو ثلاثة أسابيع  
— أتعيشين معه ؟  
فانهضت واقفة ، وقد تفرّج وجهها ، وتكفا  
لونها :  
— أعيش مع إقتيني !.. ما هذه الأفكار أيها  
الرجل ؟ من قال لك ذلك ؟ من روى لك الكذب ؟  
— إنني أسألك : أهذا صحيح أم لا ؟  
« قلها وقد اريد وجهه »  
— دع عنك هذه الأراجيف .. أأخلم لك الحذاء ؟  
— إنني أعيد السؤال على سميك .. أهذا ...  
فقاطعته :  
— أهذه هي التحية التي تحملها الى ... من  
أخبرك بهذا الكذب ؟  
— ما الذي كنت تقولين له عند ما لمحتكما وأنا  
أدعو العم كازما ؟  
— ما الذي قلته ... قلته أن يغتر غطاء الطوان  
— خبريني الحق ... وإلا قتلتك  
وأخذته الغضب فجذبها من شعرها بقوة ألتها  
— إنك لا تبني سوى الشجار ... يا الهي  
كيف أخلص من تلك الحياة ؟  
— كيف تخلصين من هذه الحياة ... ؟ قلها  
وقد احتدم غضبه المتوقد  
— أجل . لماذا تنازرين بالألقاب ... وترميني  
برميّاتك الباطلة ؟ ماذا أفيد من حياة كهذه ... ؟  
ولم يدعها تم كلامها بل انقض عليها يوسعها  
صفعاً وركلاً ، وهو كلما أغرق في ضربها أغرق  
في حنقه وبقته عليها ، وهي بين ذراعيه  
تخطط كالطائر في القفص ، تلقى لكانه يديها ،

البدن سوداء العنيتين ، فرحبت به بامسة جذلة ، ثم  
جلست تناقله الحديث وتجاذبه القول ، وهو نأثر  
شارد لا يناقشها القول ولا يراجعها العبارة .. ولجأة  
تذكر العم كازما في الخارج ، فابتدر الباب ، وما كاد  
يجذب مصراعه حتى لمح زوجته وأقتيني يتها مسان  
فرهما دون أن يثنى إليهما الطرف وخرج فدعا  
كازما ليتناول معه الشاي قلبى دعوته  
وجلس على المائدة كورنى صامتاً معقود اللسان  
الهم إلا كلمة قصيرة يحكي بها ضيفه ، وبسمة عارضة  
يختطفها من شفتيه  
وانفضت المائدة وانصرف كازما ، وعاد كورنى  
حزيناً واهياً ، فاستلقى على مقعد طويل ، ووسد رأسه  
كفيه ، وهو نأثر النفس ، موزع المخاطر ... وكانت  
تطرق أذنيه الفينة بعد الفينة تفتّح وتلتق ، وأخيراً  
ظهرت زوجته بالباب قائلة :  
— يلوح لي أنك تعب ... فلم لا تستريح ؟  
ثم جمعت شطر الفراش فأضجعت ابنتها ... وصعد  
الدم في وجه كورنى وقد ذكر قول كازما « وما  
مقدم كورنى يميم ؛ وسترون كيف يغار على شرفه »  
وجاش الغضب في صدره ، وانشعبت به الأفكار ...  
وأخيراً رفع وجهه إلى زوجته وكانت مستغرقة في  
صلاتها صادقة عما حولها  
ثم قامت بعد برهة فثنت على طفلها في رفق  
ولين قائلة لزوجها :  
— إن « أجاشا » نائمة ... لقد أسبل الكرى  
جنيتها وهي بين ذراعى  
— ... ..  
ثم سألتها بعد برهة :  
أيعمل إقتيني هنا منذ طويل ؟



— ٢ —

سبعة عشر حولاً تقضت

وكان الوقت خريفاً وشس الطفل الغاربة تلمع  
مطارفها المنصّرة المذهبة عن المروج ، وقطيع  
السيد أندريف في طريق العودة وهو ينقر الطريق  
بأظلاله تفرات منتظمة رتيبة تثير فوقه من  
النقع مايلبد الجو ويغشي على الميون .. وكان يمشي  
القطيع في المقدمة شيخ واهن أشيب الشعر تنوس  
خصلاته النزار على عطفه ، وعلى متنه حقيبة  
عتيقة ؛ وكان القطيع قد جازء إلى النصف فبدت  
راعيته الحسنة تحت الخطى في جنباته منتقلة  
من جانب لجانب إلى أن بلغت ذلك الشيخ خيته في  
محلة وسألته في عطف : لملك غريب عن الناحية  
ياسيدى ... وأظنك في حاجة إلي مكان تقضى فيه  
الليل ... فلا تصد غير دارنا ... الثالثة من أقصى  
البلدة ، وهناك كنتى وهى عجوز مثلك وستفلك  
بكل ترحيب

— الثالثة من أقصى البلدة ؟ أظنها دار

« زينوفيف »

— ومن أين عرفت ؟

— لقد كنت هناك

وأسرعت الفتاة إلى مؤخرة القطيع تستحث

حلاً صغيراً ذا ثلاثة أرجل ليلحق برفقته

أما الرجل الشيخ فقد كان كورنى فاسيليف ،  
وأما الراعية الحسنة فكانت ابنته أجاشا التى كسر  
ذراعها من سبعة عشر عاماً وكانت قد تزوجت في

قرية صغيرة تبعد عن « جاني » قرابة أربعة أميال

وتحول كورنى من ذلك الرجل ذى الحول

والطول والثراء ، إلى ذلك الرجل ذى الاطوار البالية

رستدفع ذراعها بذراعها ... وبين ذلك تيقظت  
الطفلة على الجلبة وهرعت إلى أمها ، فجاحت به  
نوازى غضبه فرمها ورمها في أقصى الترفة بكل  
ما وسعت قواه ، فأخذت الطفلة تصيح لحظة  
أو لحظتين ، ثم تخافت بكاؤها وخذت أنفاسها  
وأقبلت والدته المجوز تستطلع جلية الأمر وقد  
تهدل شعرها الرمادى الجثل ، وهرعت إلى الطفلة  
دون أن تتالم الخبر من كورنى وحملها بين ذراعها ،  
وكان كورنى جامداً في مكانه ينتفس في قتل ، وقد  
جهده الصراخ ، وهذ من قواه ، وصاحت المجوز :  
— أنظر ماذا أنزلت بالطفلة ... لقد كسرت  
ذراعها

لكن لم يبد على كورنى أنه فهم شيئاً ، واستدار  
على عقبه وخرج من الحجرة حتى بلغ ساحة الدار ،  
وكان الظلام غاشياً على الكون ، والجديد يساقط  
فينوب على وجهه المتقد ، وطفق يأكل ما علق  
بالسياج من الجليد كأنه يطق به لاهب حناياه وضارم  
قلبه ... وكانت الريح ترد إليه من جهة المنزل أصداء  
بكاء الطفلة فيخيل إليه أنها صادرة من أفق ناء عنه  
وأخيراً هب كورنى من مجلسه ودخل غرفته  
فأسرج ثم أخذ يرتدى ثيابه . فلما فرغ منها انتقل  
إلى الترفة الأخرى ، فأبقت النلام اليتيم ليسرج  
له الفرس

وكان الفجر قد أفصح عند ما امتطى كورنى  
صهوة فرسه ومضى في الطريق الذى جاء منه أمس  
في صحبة كازما

وبلغ كورنى المحطة قبل تحرك القطار بوضع  
دقائق ، فارتدى لاجئاً على مقعد العربية ، ثم صفر  
القطار وتحرك ، ثم غاب ... فغاب معه كورنى

وأهزجته وتولته الأمانة في سيره وسراه ، حتى بلغ في أسبوعين المكان الذي قابل فيه ابنته دون أن يتعرف عليها

— ٣ —

وفعل الشيخ كما قالت له الفتاة فمضى إلى المنزل وسأل أهله عما إذا كان هناك ما يحول دون قضاء سواد ليله في ضيافتهم فرحبوا به وأزفوه على الرحب والسعة ... وقالت له ربة البيت العجوز :

— إنك وشيك أن تتجمد أيها الشيخ ...  
فها هو ذاك الموعد أمامك

ورحب به زوج أجاشا الشاب وكان يسرج المصباح في ركن الغرفة ؛ وطفق الشيخ يخلع ثيابه المنداة ليحفظها ، وبعد برهة أقبلت أجاشا فسألت عن الشيخ قائلة :

— أورد عليكم شيخ غريب ؟  
— ها هو ذا

وكان كورني جالساً قبالة المدفأة يمسح أطرافه المرضوضة وييسط أتمله فوق النار . ولما حل موعد الشاي دعوه فلي ، وجلس على طرف المقعد ، وأخذوا يتساجلون الحديث عن الجو والزراعة والقمع الذي استأنوا في حصاده لجفاف الجو

وخرج كورني من صمته قائلاً : إنه مر في طريقه بكثير من المزارع البكرة الحصاد ... والتفت فجأة إلى الفتاة قائلاً :

— ماذا أصاب ذراعك ... لماذا لا تحر كينها؟  
فتوت عنها ربة البيت الجواب قائلة :

— إنها كسرت ولم ترل وليدة في المهد  
— ولكن لماذا ؟

— كان والدها رجلاً من أثرياء جاني يدعى

والأعصاب الواهية ، والجسم المازل الوهنان ، وهو كلما أمعن في السقم أمعن في التثب والتيقن أن زوجته هي التي جرت عليه ذلك المذاب الأليم القيم ففي ذلك المساء الذي نشب فيه الخلاف بينه وبين زوجته وخرج هائماً على وجهه مرّ في طريقه بذلك الرين صاحب الأرض المبيعة ، فلم منه أنه تم بيعها لآخر ، فقصده إلى موسكو وهناك استباه الشراب وأصباها ، فثلث يعاقر الخمر ليل نهار حتى علقته وعلقها ... ثم ابتاع قطعاً من الغنم ولكنه هلك عن آخره ، وأتبعه بآخر ولكن جده تعثر به هذه المرة أيضاً ، فلم يبق في يده من الثلاثة الآلاف روبيل إلا خمسة وعشرون

وتلس كورني طريق العمل فاشتغل كاتباً في مزرعة ، ولكن الخمر استلبت عقله فلم تدعه في عمله طويلاً ... وانتقلت به الحال من سي إلى أسوأ ... فاشتغل راعياً ولكن طالع المائر لزمه هنا أيضاً فتفق القطيع عن آخره لداء اتنا به ... ولم يكن لكورني ذنب في ذلك ولكن صاحب القطيع جمع به الفضب فطرده من عمله هو والكاتب

وأخذ كورني يطوف بالبلاد بائناً متجولاً حتى اتايتته حمى مستعصية وهي لها جسمه ووهنت أطرافه ، وليس ثمة معين له أو مقييل في غربته ... فقر به العزم أن يصل السير إلى موطنه عسى أن يكون الموت قد أودى زوجته فيعيس بجانب ولده ما تبقى من العمر . ومضى يقول لنفسه :

— عليها قضت نحبها الآن ... فإن لم تكن فسأمضي لأخبرها ما ذا جرت عليّ من البلا .  
والهوان

واشتدت عليه الحمى في الطريق فأضوته

— ٤ —

وأفصح فجر اليوم التالي عن صباح مائع من  
أصباح الخريف تفيق كورنى وجمع متاعه وعم شطر  
الباب فلحقت به ربة البيت قائلة فى دهش :

— أما تنتظر الإفطار ؟

— يحفظك الله ... يجب أن أذهب الآن

— إذن لاتنس أن تمر علينا فى طريق عودتك  
فتقم شاكراً ثم مضي فى سبيله إلى بلدته ،  
وكانت عواصف الخريف قد تهبّت من غفلة ،  
وهبت من رقتها ، فقصفت بأسماله ، وغشّت على  
عينيه ؛ ولكنه كان يعلم الطريق جيداً ، فأخذ يتبعه  
دوحة بعد دوحة ، ونهجاً تلون بهج ، وأخيراً بلغ  
البلدة فإذا كل شىء فيها كما هو العهد به ، إلا  
القليل من مبانيها التى خر من عمده ، وتداعى  
من أواسيه

وأدناه السير إلى داره ، فإذا بها على حالها لم  
يعتبها إلى ... وعلى حين اقترابها منها فُتح الباب  
فجأة ، وخرجت منها فرس صغيرة فى قرابة الثالثة  
من عمرها فأدرك كورنى فرسه التى شيعته إلى  
المحلة فى سفره ، فقال محدثاً نفسه :

— لا بد أن تكون تلك ابنتها ... ففيها من

أما شبه فى صدرها الرحيب وقوائمها الدقاق ...  
وكان يتولى مقادة الخيل إلى شملها غلام أسود  
العينين هازل الجسم

— إنه حفيدى ولا شك ففيه من ولدى عينا

السوداوان

وأخذ كورنى يصعد الدرج فى هواده وتؤدة  
حتى بلغ الدرجة التى جلس عليها ليلة أن برح  
البلدة ، وإذا ذاك طرق أذنيه صوت امرأة تصيح :

كورنى فاسيليف ، كان فى عيش رغد مع زوجته  
ولكنهما اشتجرا ذات يوم ... فجنى على طفلتهما  
المسكينة ...

وارتجفت يد كورنى بكوبة الشاى فأراق نصفها

قبل أن تصل يده إلى المنضدة ليضعها

— ولكن لماذا فعل ذلك ؟

— من يعلم ؟ كثيراً ما تدور الإشاعات الباطلة  
حولنا نحن النساء ... يقال إن سبب الخلاف أنها  
استخدمت عاملاً جديداً من بلدتنا هذه ، وقد  
مات بعد ذلك بستين قلائل ... وسأل كورنى  
فى ذهول :

— مات ؟!

— منذ أمد طويل ... لقد كانت العائلة فى

خفض من العيش عند ما كان عائلاً حياً

— أمات هو أيضاً ؟

— ترجع ذلك ... فقد اختفى من زهاء خمسة  
عشر عاماً . فقاطعتها أبحاث :

— أظن أن عهد اختفائه أبعد من ذلك ...  
فقد أخبرتنى والدتى أنه اختفى ولم أزل فى الرضاع  
فقال كورنى :

— أأنت ناقة عليه لأنه كسر ذراعاً ؟

— وكيف أقم عليه ... ؟ إنه أبى قبل كل

شئى ... أصاب لك قليلاً من الشاى ؟

ولكن كورنى كان مستغرقاً فى صمته تتابع  
أنفاسه . فسألته :

— ماذا طرأ عليك أيها الشيخ ؟

— لاشئ ... يحفظك الله

وقام الشيخ يتحامل على نفسه ، ويتساند إلى  
الحائط حتى بلغ الموقد فجلس بجاهه صامتاً

— لحظة أيها الشيخ ... ثم ارتد إلى المنزل وتلبث كورنى فى مكانه مثنى العنق ، مستنداً إلى الحائط ، مهدل الجسم ، وقد خفت وجبهه وعادوه الضعف ... وخرج إليه بعد برة شاب بلوح فى بحياه الدلة ... عرف فيه ذلك اليتيم الذي كان يكفله ... وتقدم إليه الشاب يضع لقيات جافة ، فأخذها كورنى من يديه وهو يعالج حبس دموعه التي نذت وجهه

واستدار كورنى وأخذ ينزل من الدرج ماصداً ، وهو يتكفأ ويساقط فى خطاه ... ومضى فى سبيله حزيناً واهناً

وتلبثت مارفا تسارقه النظر من خلف زجاج النافذة حتى غاب فى منعطف الطريق ... وعطفها الذكريات إلى الماضي فذكرت كورنى الشاب الذي ودعا وودته ... إنها ما كان لها أن تلتاق فى هذا الجفاء بعد غيبة طويلة ... وتشعبت بها الأفكار وتناثرت عليها فضت تنفضها عنها بالتلوي بالمثل

— ٥ —

وبلغ كورنى دار ابنته بعد لأي وجهه فقالت له :  
— إنك لم تذهب بعيداً ياسيدي  
— لم أستطع .. فقد وهنت قواى .. سأرجع أدرأجى .. أيمكننى أن أقضى الليل هنا ؟  
— بكل سرور

وقضى كورنى ليلته فى صراع الحنى ، ساهداً الجفن ، نأبى الضجع ، حتى وضع النهار وغداً كل إلى عمله ، ونظر فإذا أجاشا تمد الحن على غير بعيد منه فنادها فى عطف فأجابت :

— لحظة واحدة ياسيدي ... أنريد شيئاً ؟  
ولكنه لم يجب ، وأثقلت إليه ، وكان متطحاً على ظهره ، فقال دون أن يرفع إليها الطرف

ومن هذا الشحاذ التجزئ على الصمود إلى الدار دون أن يسأل ؟ وعرف فى الصوت صوت امرأته ... ونظر فإذا على مرمى طرفه امرأة ضامرة عجوز ... وكان كورنى يتوقع أن يرى امرأته فيما كانت عليه من جمال وزهره ، فإذا به حيال امرأة قد خدش وجهها ظفر الزمان .. وصاحت المرأة :  
— لاشئ عندنا ... يمكنك أن تأكل النافذة

إذا شئت

— إننى لم أقدم لأسألك شيئاً  
— ما الذى تريده إذن ؟  
وتوقفت فجأة عن الحديث وتبدى فى وجهها كأنها عرفته

— إن هناك كثيراً من السالكين أمثالك ...  
يحومون حول القرية كل صباح فاذهب ... اذهب !  
وتداعت أطراف كورنى فتساند إلى الحائط وقد بهت لونه ووجف قلبه وقال فى خفوت :

— مارفا ... لم يبق لنا من الحياة إلا شطر قليل  
— أرجوك أن تذهب ... اذهب  
— أليس عندك مزيد من القول ؟  
— كلا ... ليس عندى مزيد ... فاذهب لشأنك

ويخطئ ويؤدة تدافعت إلى الخلف وغلقت عليها الباب ، وفى هذه اللحظة ارتفع صوت رجل من الداخل يقول :

— لماذا تطردين الشيخ ؟

ورز من الباب شاب فارغ القامة ، مستقيم المود أسود العينين ... كان يلوح كأنه كورنى من أربعين حولاً ... ولم يكن ذلك الشاب إلا ولده « فيدكا » الذي خلفه من سبعة عشر عاماً وليداً فى المهد ... قال الشاب :

فأطفاأت الشمعة ، ونشرت على وجهه غطاء أبيض

\*\*\*

وقضت « مارفا » الليل لا يغمض لها جفن ولا يقر بها مضجع . فلما انحسر الليل عن جبين النهار تأزرت وخرجت تبحث عن ذلك الغريب ، فلما بلغ منها السعي ، علمت أنه آوى إلى منزل « أندريف » فيممت شطره ومضت تقول لنفسها في الطريق فليصفح كل منا عن الآخر ، وليقض ما بقى من العمر في جوار ولده

ولما تدانث مارفا من المنزل رأت جمعا من الناس قد تحشد على الباب وهم يتخافتون بينهم أن كورنى فاسيليف ، ذلك الرجل الثرى الذى غادر القرية من سبعة عشر عاما ، يسلم أنفاسه فقيرا فى منزل ابنته وأقبلت مارفا على المنزل ، فأفسح القوم لها الطريق ولكنها لم تكذب تنوسط الدار ، حتى وقع نظرها على جثمان كورنى ممددا جامداً إنها وردت مستأنية مبطشة لتسأله الصفع أترى صفح عنها ... وخفضت نظرها إلى وجهه تتلمس فى قلبه جواب سؤالها ... ولكن وجهه كان أملس لا يماسك عليه إيجاب ولا سلب الفاهرة .

« ففى »

— أجالسا ... لقد حانت منيتى ... فبحق السماء أسألك الصفع عني

— صفح الله عنك يا سيدى ... ولكنك لم تفعل ما يستوجب الصفع فاستدمع الشيخ ثم قال — بل هناك ما يستوجب ذلك ... إذ هي إلى والدتك ... وقولى لها ... وقولى لها ... إن ذلك ...

الغريب ... إن ذلك ... الغريب وأخذ الشيخ ينشج ، فقالت ابنته : — إذن لقد ذهبت إلى دارنا أمس — أجل ... قولى لها ... واستجمع الشيخ ما تشتت من قواه ، ثم قال :

— إن ذلك الغريب قد أتى يستودعك الله وأخذ الشيخ يبحث فى جيوبه بيده الراحفة فسأله :

— عم تبحث يا سيدى ؟ ولكنه كان مستمرا أواجبا فلم يجب ... وأخرج من جيبه بطاقة صفراء صغيرة قدمها إليها قائلا : — أعطها هذه إذا سألت عن ذلك الغريب ... إنها بطاقة الجندية ...

ثم غارت عينا الشيخ ، واصفار وجهه ، وهمس إليها قائلا : — أعطيني شمعة

فتناول قطعة من الشمع وأوقدتها وأعطها للشيخ وهي تكاد تسقط من التأثر ... ثم ذهبت لتحفظ البطاقة

... وعادت أجالسا فإذا الشيخ جامد في مكانه وقد جمدت عيناه ، وتصلب عوده ، وبيست يده على الشمعة فتأده ... ولكنه كان قد أسلم الروح ...

سكتان جلدندان  
الموجز في الحيات

هما خير كتابين يعلمانك الفرنسية بنفسك

يباعان بجميع المكتبات من كل مناهل

بعد ، وكنتا نطيلس التردد متلهسين في الحيرة لذة  
جديدة ونحن مكبان على الرسوم يصدم جنبي جنبها  
ويطوق ذراعي خصرها ، فلتسألني وأسألها عن مكان  
عزلتنا ، وعما سنفعل في حياتنا الجديدة

بأى بيان أوضح ما كان يخالجي من ندم على  
ما فات عند ما كنت أرفع رأسي مبتاملاً في هذا  
الوجه الشاحب الحامل آثار الآلام الماضية ، وقد  
أثارته ابتسامة الأمل . وكنت أنصت إلى كلماتها العذبة  
تصور ما ستكون عليه فأتمنى أن أريق دمي فداء لها  
أى أحلام المني ! لعلك أصدق سعادة تتمتع بها  
في هذه الحياة

ومضت سبعة أيام ونحن نفقش عن مأوى لنا  
وتتجول في المدينة لا يتباع ما نحتاجه لتزيينه ؛ وفي  
اليوم الثامن طرق بابنا شاب لا أعرفه يحمل رسائل  
لبريجيت ، وبعد أن قابلها وانصرف رأيتها حزينة  
واهية القوى ، وما عرفت عن هذه المقابلة سوى أن  
الرسائل واردة من المدينة التي كنت تبعت بريجيت  
إليها لأمل لها غراي حيث يقطن أقرباؤها

وأعدنا في زمن وجيز كل ما احتجنا إليه ،  
فأصبحت مأخوذاً بفكرة الرحيل ، وقد تولاني منها  
تمثل منع كل راحة عني ، فكنت أنهض من فراشي  
مبكراً وأدخل إلى غرفة بريجيت ماشياً على رؤوس  
أصابعي متحاشياً إيقاظها لأجثو أمام سريرها ، حتى  
إذا أفاقت رأيتني شاخساً إليها ، وقد بللت أجفاني  
الدموع ؛ وما كنت أدري أية وسيلة اتخذ لأثبت  
لهذا إخلاصي في ندامتي ؛ فتجاوزت حدود الأعمال  
الجنونية التي لامستها في غراي الأول ، وأصبحت  
أستوحى غراي الجامح كل عمل يتجه إلى الشطط  
والإفراط ؛ فتحول عشقي إلى نوع من العبادة ،

من أعماق النفوس



استأفان في العصر

لألفريد روميه

بقلم الأستاذ فليكس فارس

## الجزء الخامس

### الفصل الأول

قدمنا إلى باريس مصممين على الرحيل منها إلى  
سفر بعيد . فأقننا في منزل خاص لنبدأ ما نحتاج  
إليه ، وكأن تصميمنا على مغادرة فرنسا بذل كل  
شيء في نظرنا فداد إلينا الفرح والأمل والثقة مرة  
واحدة ، وتبدد الحزن من حولنا ، وقضت فكرة  
الاتقال القريب على كل مشاكسة وجدال

واستغرقنا في أحلام سعادتنا وأصبحت لا أنقطع  
عن ترديد أغلظ الأقسام بأنني لن أتحول عن حبي  
ما عشت موجهاً كل عنايتي إلى إنساء خيلتي كل  
ما حملتها من شقاء وأوصاب . وما اكتفت بريجيت  
بأن تأتي عفوفاً ، بل أظهرت أنها لا تردد في تضحية  
كل ما عزز للحاق بي ؛ وهكذا رأيتني مدفوعاً  
بدافع الإنصاف إلى مبادلتها إخلاصها بثلث ، فتغلب  
حبي لبريجيت وإعجابي بها على ما بقلبي من جامع  
الزعات

وانحنت يوماً على (الخريطة) مفتشة عن مكان  
تتوارى فيه ، وما كان وقع اختيارنا على مكان موافق

إخلاصى ، وأن سفاء نيتى قد نشأ من مجالستها وصبرها  
فما وسعها إنكار الملول والعله لا ريب فيها  
وكانت الحوائج ومجموعات الصور والأقسام  
والكتب والرزق تملأ الغرفة وقد نشرت عليها  
الخريطة التى استولت على كل جوارحنا . وكنت  
أذهب وأجىء فى هذه الغرفة لأقف أمام بريجت  
وأنطرح على أقدامها فتصفى بالكسل وتقول إنها  
لا تجددأ من القيام لوحدها بالأعمال جميعها ما دمت  
أنا لا أنفع لشيء .

وبينا كانت ترتب الحفائب وتقفلهما كان الحديث  
لا ينقطع بيننا عما تنويه لسفرنا ، فكنا نقول إن  
سيليسيا على بعدها معتدلة الجو فى فصل الشتاء .  
إن جنوا جد رائمة بما وراءها من جبال وما فيها  
من حدائق أنبسط الاخضرار على أعراشها ولكنها  
مكتظة بالناس ، يملأها الصخب ، ويقلفها الضجيج ؛  
وإذا مرَّ فى أسواقها ثلاثة رجال فلا بد أن يكون  
فيهم راهب وجندى . إن فلورنسا حزينة ولا تزال  
معرضاً لحياة القرون الوسطى فكيف نحتمل مشاهدة  
نوافذها المحترقة وجدرانها القذرة ؟

أما روما فما شأننا بها وما نحن من السائحين  
الذين يتوقون إلى الفرائب أو يطلبون العلم ؟  
أنا يجدر بنا أن نذهب إلى ضفاف اليرين ؟  
ولكننا لن نصل إليها إلا بعد انقضاء الموسم ،  
ويصعب على الانسان أن يقيم فى الأماكن المهجورة  
أما أسبانيا فحزبتها مستمرة وعلى مزمارها أن  
يعيش فيها كما يكون فى ساحة حرب فيتوقع مصادفة  
كل شيء ما عدا الراحة

لنذهب إذن إلى سويسرا مقصد العدد الفقير  
وإن لم ترق لبعض الناس ، فهناك يتجلى أروع

فكنت كلما دنوت منها أنسى أننى مالكتها منذ ستة  
أشهر ، ويخيل إلى أننى أراها لأول مرة فأكدلا  
أجسر على لس أدرانها وحى من حلمها من فظاظتى  
مالا ليحتمل . فإذا تكلمت ارتعشت كأننى أسمع  
دوتها لأول مرة ، ويدفعنى الهوس إلى الارتقاء على  
أقدامها منتحباً ، أو إلى الاستغراق فى الضحك دون  
ما سبب . وكنت إذا ما تذكرت معاملتى الماضية  
أشعر بالتمتزاز وأود لو أن على وجه الأرض هيكلاً  
للحب أذهب إليه فأعتمد فى مأه المقدس ، وأردنى  
مسوحه فلا أدخلها إلى الأبد

ومثلت لخبالي اللوحة التى رسم فيها تيتان مشهد  
الحوارى توما يلبس بأصبعه جرح المسيح فرأيتنى  
أشبه هذا الحوارى إذا صح وجه الشبه بين حب  
الانسان وإيمانه به ! إن فى ملاح توما وهو يسير  
الجرح ما يصعب تحديده من عاطفة تتراوح بين  
الشك والإيمان فتلوح لك كلمة التجديف الحائرة  
كأنها تدب على شفتى الحوارى ، وقد ارتفعت  
منها كلمة الصلاة ، فلا تعلم أجاهد هو أم رسول ؟  
ولا تدري إذا كان بلغ فى ندمه ما بلغه من كفره .  
ولعل هذا الحوارى نفسه لم يدرك كما لم يدرك الرسام  
ولم يدرك الناظر إلى الرسم هذا السر الغامض الذى  
ترف عليه من المختص ابتسامه كأنها النماذج الندي  
تحت شعاع الرحمة والحنان

وما كنت أقف أمام بريجت إلا مثل وقفة  
الحوارى توما ، وقد حكمتى الصمت وتولتني الدهشة  
فأرتجف فرقا خشية أن يكون ما تبدل من حالى  
قد دفع بسريرتها إلى الارتياح بى ، ولكن بما مررت  
عابنا خمسة عشر يوماً حتى نفذت بصيرة بريجت إلى  
ما يدور فى خلدى فأيقنت أنها استنبتت بإخلاصها

أشكر الله لأنك لا تزالين تحبينني ، فإذا ما عدت يوماً إلى القرية التي رأيتك تحت أشجارها فتطلي ملياً إلى ذلك المسكن الفقير ، إنك لو أجدت فيه كفيفاً يتوه في أرجائه ، ذلك هو الرجل الذي دخل إليك من باب هذا المسكن فبقى فيه ، لأن الرجل الذي خرج معك منه إنما هو رجل آخر .

وكان جين بريجت يشع بنور الحب ، وتلفت إلى السماء قائلة : أصبح أنى لك وأنا سنتعد عن هذا العالم الذي أهرمك في شرح شبابك . إنك ستعرف ما هو الحب فتنتجلى أمامي حقيقة نفسك ؛ وإذا وهنت محبتك لي يوماً أبان يستقر بي الرجال فإنك لن تملص من تبتك ضميرك لأننى أكون قتت بالهمة التي قدرت على ؛ فإذا ماتت على أجد في السماء إليها أوجه إليه شكرى على ما أولانى من نعمته .

إن هذه الكلمات لم تزل تصدو في جوانب تذكاري فتملأني حزناً وروعة .

وأخيراً قررنا أن نساغر إلى « جنيف » فنختار لنا مسكناً هادئاً على منحدر جبال « الألب » فبدأت بريجت تذكر البحيرة الجميلة فأحسننى أنشئ النساء التي تمعد زرداً على سطحها حاملة عطور أزهار الوادى ، فكنا نشاهد بعين الخيال « لوزان » و « فيفى » و « أوربان » ووراءها قم الجبل الوردى الذي يفصلها عن سهول « لومباردى » الواسعة ، فكأننا كنا نسمع في هذه الأماكن هتاف السكينة ومحسات أرواح المزة تدعونا إليها لا غشاق حياتنا فيها

وعند ما كان يحين المساء وأدبرت على أنامل

ما خلق الله من الألوان : هنالك زرقة السماء وخضرة السهول وبياض القمم العالية

وصاحت بريجت : هيا بنا ! لنظر كغردن في الأجواء ، ولقيم في ذهننا أننا لم نلتق إلا منذ أمس الدابر في أحد الرافض فأعجبت بك وأعجبت بى . وسوف نقص على بعد أن نبتعد أميلاً أنك في القرى الصغيرة عشقت امرأة تدعى مدام بيارسون فلا أصدق شيئاً مما ستسرد عنها إذ لا أريد أن تسر إلى بما وقع بينك وبين امرأة هجرتها لتبني . وسوف أقول لك أنا أيضاً إنني منذ أمد غير بعيد أحببت رجلاً ذا أخلاق سيئة حملت الشقاء من محبته فتسمعي كلمات الاشفاق وتزمنى السكوت ، وهكذا تطوى إلى الأبد تلك الصفحة القديمة

وعند ما كانت بريجت تتكلم بمثل هذا كنت أشعر بمجسج الحريص وارتباعه ، فأضمتها إلى صدرى بساعدين يرتجفان ، وأنا أهتف قائلاً إننى لأعلم ما يوجب ارتعاشى أفرحى أم خوفى ؟ سأحملك إلى بعيد يا بريجت ، لأنك كترى الوحيد فتكونين لي تحت هذه الآفاق الوسيمة . هيا إلى الأمام ولتت ورائى أيام شبابى وتذكراتى فتضمحل معها آلامنا وأوصابتنا

أى خليقتي لقد حوت بصبرك الولد رجلاً فإذا ما تخليت عنى الآن يمتنع على أن أحب بعد

من يدرى ؟ لعل امرأة غيرك كانت ستتولى معالجى لو لم تترضى على . أما الآن فأنت وحدك في العالم المرأة التي يسدها إقفاذى وهلاكى لأننى أحمل على قلبي موسم جميع ما حملت لك إياه من عذاب . لقد كنت عاقاً فعميت بصيرتى وقسوت عليك ، وإننى



عيلة . وأمضيت يوماً كاملاً في التوسل إليها ذاهباً في ظنوني كل مذهب حتى عيل صبرى ، فطفرت إلى الشارع تأتها ولا وجهة أقصدها ، حتى إذا وصلت إلى الأوبرا اعترضنى شخص عارضاً على تذكرة دخول فأخذتها منه ودخلت المسرح وأنا لا أعى

جلست مشرد الفكر لا يستريح نظري شيء ، فقد كانت بصيرتي المستغرقة في ذاتها تموء على بصري فتمحو كل مرأى حولى وقد انصبت على فكرة واحدة كلما زدتها إيماناً ازدادت غموضاً وإبهاماً

ما هو هذا الحائل الذى انتصب فجأة على سبيل آمالنا فتعثرت به وتبددت ؟ إذا كان هنالك كارثة من فقد ثروة أو موت صديق فما يدعومثل هذا إلى التكم والاصرار على السكوت . إن بريجيت لم تدخر وسعاً لتحقيق أمانيتها فما يكون هذا السر الذى يذرو سعادتنا هباء ولا يسمعا إعلانه ؟

أصبح أن بريجيت توعد سريرتها دونى ؟ ما الذى يدعوها إلى كتمان أمرها إذا كان لها من حزنها أو ترددتها أو غضبها ما يوجب إرجاء رجليها أو العدول عنه ؟

وما كان قلبى وهو السادر في هواء ليخامرهم زيب في إخلاص بريجيت فاذا لاحظت لى فكرة تستدعى لومها ردها هذا القلب متمرداً بعد أن رأى من ثباتها وولائها ما رأى . وهكذا وجدتني تأتها في وهاد أظلمت آفاقها وخفيت عنى غارجها

ولاح لى على أحد المقاعد المقابلة شاب لم تقرب سبأؤه عن تذكارى ، فحدقت فيه وشروء فكرى يحول دون تحييدي لشخصه وقرن هيئته بأسمه .

بريجيت بأناملى كنا نشعر كلانا بشيء من التسايي يقصر البيان عنه ، وما هو إلا عاطفة كل قلب يستمد للرحيل ، فتنزاعه روعة الابتعاد وآمال ما يتوقع مشاهدته في سفره

إن في فكر الانسان أجنحة خافقة وأوتاراً ناطقة تمثل الألوهية فيه ، فاذا ما استمد للرحيل ينتصب فيه عالم جديد كأنه خلق فيه خلقاً

وما غم حتى ظهرت على بريجيت دلائل الشحوب فأصبحت صامتة تحي دائماً رأسها ، وإذا ما سألتها عما بها تجيب في صوت خافت أنها لا تشعر بشيء . ونهتها يوماً إلى قرب ميعاد السفر فنهضت متخاذلة لتتعمد معدات الرحيل ؛ وأردت أن أشدد عزمها بتأكيدي لها أنها ستاتي السعادة وأنى سأكرس لها حياتي فلجأت إلى ذرف الدموع ، وقبلها فملاً وجهها الشحوب وأعرضت بعينيها عنى تاركة شففتها لشفتي ، وقلت لها إن بوسهها المدبول عن الرحيل فقطبت حاجبيها

ودعوها إلى إعلان ماتنصر مكرراً لها أفساي بأننى سأضحي حياتي لتأمين سعادتها فارتمت على عنق غير أنها لم تلبث حتى دفتني عنها وهي لائى

ودخلت يوماً إلى غرفتها حاملا ورقة السفر بالعربة التى تتجه إلى « زانسون » وإذا اقتربت منها واضمًا هذه الورقة على ركبتيها رفعت ساعديها وصرخت ثم سقطت مغشى عليها على قدي

## الفصل الثانى

وحاولت عبثاً معرفة مادعا بريجيت إلى هذا الانقلاب الفجائى ، فكانت نصر على السكوت وهي

وبعد شخوص مديد عرفت فجأة أنه الشاب الذي  
 حل إلى بريجيت الرسائل من مدينة « ن » حيث  
 يقيم أنساباؤها ، فنهضت مسرعا دون تردد قاصداً  
 مخاطبته ولكنني رأيت أن لا بد لي من اجتياز عبد  
 وفيه من القاعد للوصول إليه فاضطرت إلى الانتظار  
 ريثما ينزل الستار . وخطر لي أن هذا الشاب دون  
 سواء يمكنه أن يرسل نوراً على ظلمات شكوكي  
 لأنه قابل مدام بيارسون مراراً عديدة منذ أيام ،  
 وكنت أراها بعد كل مقابلة معه حزينة قلقة وكانت  
 قابله في صبيحة يوم اعتلالها . وما أطلعتني بريجيت  
 على الرسائل التي وردت إليها فقد يكون هذا الشاب  
 إذن عارفاً بالسبب الذي دعا إلى تأخير رحيلنا وإذا  
 كان لا يعرف هذا السبب فهو على الأقل يعلم  
 ما تضمنت الرسائل . وكنت أرى في اطلاع هذا  
 الشاب على أمورنا ما يجرتني على استجوابه ، لذلك  
 سرني الالتقاء به ، وما أسدل ستار المسرح حتى  
 سارعت إلى اللحاق به في المشي ؛ ولكنه اندفع  
 دون أن أعلم إذا كان رأى أم لا ، وتوارى في إحدى  
 الشرفات فوقفت أنتظر خروجه ربع ساعة حتى  
 إذا فتح الباب رأيته خارجاً فهرعت نحوه رافعاً  
 يدي بالسلام ولكنه بعد أن مشى بضع خطوات  
 متردداً أدار ظهره فجأة وانحدر على أحد السلام  
 واختفى .

وما كانت حركتي لتخفي على هذا الشاب فقد  
 أدرك ولا ريب أنني قصدت مخاطبته ، فهو إذن قد  
 أراد اجتناب هذه المخاطبة ، وما كان له أن ينسى  
 هينتي ، وعب أنه لم يعرفني فليس من المألوف أن يولى

ليس في العالم عذاب أشد على الانسان من  
الارتياب . ولكم تعرضت للعصاف في حياتي لأنني  
ملت إلى الشكوك فاستبقت الحادثات

وعدت إلى المسكين فرأيت بريجيت مشغولة  
 بقراءة هذه الرسائل المشثومة ؛ فقلت لها إنني علت  
 صبراً فلن أطيق بعد الآن بقاء في هذا المأزق الذي  
 يبلبل أفكاري ، وأعلنت لها إصراري على معرفة ما  
 أدى بها إلى هذا التبدل قائلاً : إنها إذا استمرت  
 على الصمت أعتبر صمتها كرفض صريح للرحيل مني  
 بل كأمر تصدره إلى بالافتراق عنها إلى الأبد  
 فافسح بريجيت تجاه هذه الهاجة إلا أن  
 تسلمني — ودلائل الامتناع بادية على عيائها —

إحدى تلك الرسائل ، فإذا أقرباؤها يقولون فيها إن  
 رحيلها سيصعبها بالبار ، إذ لا يجهل أحد ما دعاها  
 إليه ، وأنهم يجدون من واجهم تذكيرها بسوء  
 مصيرها لأنها تعيش مني تكليلاً ، وأن عليها وإن

طاقة لي على السفر وأنا على هذه الحال فلا أتنظر  
إلا الشفاء ، أو على الأقل استعادة بعض القوى  
لأذهب معك إلى جنيف كما تم اتفاقنا

واقترعنا بعد هذه الحادثة وفي قلبي من برودة  
لهجتها من الحزن ما لم أكن لأشعر بمثل لو أنها  
أعلنت أنها لن ترحل معي

وما كانت هذه المرة الأولى التي حاول بها الناس  
بمثل هذه النصائح أن يفرقوا بيننا . غير أن بريجيت  
ما كانت من قبل لتأبه لمثل هذه المحاولات ، لذلك  
صعب عليّ التصديق بأن هذه الرسائل وحدها قد  
أثرت فيها هذا التأثير في حين أن ما انطوت عليه  
من نصائح كانت قد بذلت لها من قبل أيام لم تكن  
بلغنا السعادة التي توصلنا إليها أخيراً . ووقفت  
أحاسب نفسي لأعلم إذا كنت أتيت في باريس أموراً  
توجب إذاتني . ثم تساءلت عما إذا كان السبب في  
هذا الانقلاب ما يطرأ على النساء من ضعف عند  
ما يقررن اقتحام أمر فلا يجسرن على تنفيذه ، أم  
إن هنالك ما يدعو الإباحيون آخر مقاومة للعقائد  
الموروثة ، ولكن بريجيت كانت قد أمضت ثمانية  
أيام . لا تني خلالها عن التكلم عن أحلامها وعن  
حياتها المقبلة بكل صراحة وبكل إخلاص حتى أنها  
أصرت على الرحيل بالرغم مني فلا بد إذن من وجود  
سر في الأمر ، ولكن أين السبيل إلى النفوذ إليه إذا  
كنت لا ألتقي جواباً علي ما أوجهه إلى بريجيت من  
سؤال إلا على شكل لا يتفق والحقيقة ؟ وما كان  
بوسعي أن أكذبها طالباً منها إيراد جوابها  
بشكل آخر

كانت حرة في تصرفها كأرملة أن تحافظ على سمعتها  
وشرف الاسم الذي تحملها ، فإذ هي تبادت في غيها  
فلا عتب لها عليهم وعلى جميع أصدقائها إذا هم قطعوا  
كل علاقة بها . وقد اختتم هؤلاء الأقرباء رسالتهم  
بإسدادها النصيح للرجوع إلى بلادها

آلتني لهجة هذه الرسالة فلاح لي لأول وهلة  
أنها لا تتضمن إلا إهانات وتقريبات . فقلت لبريجيت  
لأربب في أن الشاب الذي حمل إليك هذه الرسائل  
قد كلّف أيضاً بترديد ماورد فيها على مسامعك  
فهل تنكرين أنه يقوم بهذه المهمة ؟

ورجعت إلى الصواب كاسراً من حدة غضبي  
أمام بوادر الحزن التي ظهرت على وجه بريجيت  
وهي تقول : لك أن تفعل ما تشاء إلى أن تقضى عليّ  
إن حظي من الحياة بين يديك وأنت سيد هذه  
الحياة منذ زمان بعيد وبوسعك أن تعدّ ما يحلو لك  
من انتقام تجاه هذه الجهود التي يبذلها أصدقائي  
القدماء بدعوتهم لي إلى سواء السبيل وبمحاولتهم  
إزجاعي إلى حظيرة المجتمع الذي كنت أحترمه من  
قبل والشرف الذي تمرّيت منه . ليس لي ما أقوله  
لك ، ولك إذا شئت أن تملي عليّ جوابي على هذه  
الرسائل فأصنع بأمرك

فقلت لها : إنني لا أطلب سوى معرفة ما مقصدين  
ومن سيصدق بالأمر إنما هو أنا لا أنت ؛ فقولي لي  
أتريدين البقاء أم الرحيل لأعلم إذا كان يجب علي أن  
أرحل وحدي

فاجابت بريجيت : لماذا توجه إلى هذا السؤال ،  
وهل قلت لك إنني غيرت رأيي ؟ إنني مثالة ولا

وثقت من أنني سأتمكن من مقابله فلا يتسنى له  
هذه المرة أن يهرب من ملاقاتي

وما كنت أعرف عنوان مسكنه ، فدخلت على  
بريجيت أطلب هذا العنوان قائلاً : إن الواجب يقضى  
على زيارة من زارنا مرات عديدة ، وما كنت أخبرتها  
شيئاً عن مصادفتي له في المسرح ، فوجدتها مستلقاة  
على سريرها وعلى أجنافها بال السموع ، ومدت يدها  
إلى قائلة : ماذا تريد مني ؟

وكانت نبرات صوتها تندفق مرارةً وحناناً  
وخرجت من غرفها بعد محادثة قصيرة مشبعة  
بالولاء وقد سقط عن قلبي بعض ما يشغل عليه

وعرفت من بريجيت أن الشاب الذي أقصد  
زيارته يدعى سميت ، وأنه ساكن على مقربة منا .  
ولما قرعت بابه ملكني اضطراب شديد ومشيت إليه  
كأنني أقتحم نوراً شديداً ؛ غير أنني ما وقفت أمامه  
حتى جمد دمي في عروقي لأنه كان منظر حراً كبير يجت  
على فراشه ووجهه شاحب كوجهها ، فد إلى يده  
قائلاً ما قالت هي : ما ذا تريد مني ؟

إن في الحياة من غرائب التصادف ما يجبر القول  
قعدت ولم أجب فكأنني استفتت من حلم ،  
وأنا أكرر في سري السؤال الذي وجهه الشاب إلى  
لأنني ما كنت لأعرف ما أتيت أفعل لديه . وهب أن  
هذا الشاب مطلع على أمور تهمني فهل هو مستعد  
لإعلان ما يكتم . لقد حمل الرسائل إلى بريجيت فهو  
لا شك يعرف منسلسها ، ولكن هل هو يعرف عن  
مضمونها أكثر مما أعلمتني بريجيت عليه ؟ وصعب

إنها تعلن لي استعدادها للرحيل ، غير أن اللجة  
التي تتخذها لهذا التصريح تدعوني إلى رفض ما تعلن  
قبوله ، إذ ليس لي أن أرضى بمثل هذه التضحية وقد  
أصبح قبولها في عيني عبارة عن خضوع لأمر واقع  
أو استسلام لقضاء لا بد منه . وقد كنت أعتقد  
من قبل أن بريجيت تطاوع هواها لتبني فاذا هي  
في نظري مكرهة على القيام بما عاهدت عليه ووعدت  
به ، وروغني أن أجمل بين ذراعي هذه المخلوقة  
الشاحبة لأختطفها من أوطانها وأذهب بها إلى أمد  
بيد قد يطول مدي الحياة وما هي بين يدي إلا  
فحمة مستكنة

لقد قالت لي إنها ستفعل كل ما يحولني ، وما  
يحولني أن أكلف التجلد والصبر ما يزيد في آلام  
القائمة الصابرة ، وأسهل على أن أذهب ضارباً في  
مجاهل الأرض وحدي من أن أتحمل النظر أسبوعاً  
واحداً إلى هذا الوجه يفتح بالشحوب سره الدفين  
وبلى ! أبوسى أن أذهب وحدي ناكساً على  
أعقابى بعد أن قطعت بخمسة عشر يوماً أجمل مراحل  
السعادة ؟ أنى لي هذا الإقدام وأنا لا أفكر إلا  
في الوسيلة التي تمكنني من اختطاف بريجيت  
والرحيل بها ؟

ومرّ لي الليل الطويل ولم يمتض لي جفن ،  
حتى إذا لاح الفجر وجدني مصماً على مقابلة  
الشاب الذي رأيته في المسرح ، وما عرفت أكان  
ما يدفعني إلى ذلك حاسة غضب ، أم جاسه فضول ؟  
وما عرفت أيضاً ما أريد من هذا الشاب ، ولكنني

شكر المجتمع لعدم شعوره بها ولاغضائه عن مواهبها  
وكنت تمت عنه أموراً تكفي لتحديد شخصيته  
ومنها أنه كان تولّه بفتاة عاشرها سنة فرضي أهلها  
بتزويجه منها وكاد العقد يتم لولا أن أمه قالت له  
« وأختك من سيزوجها ؟ » ففهم من هذه الكلمة  
أنه إذا تزوج وحول جنى عمله إلى عائلته فإن أخته  
تبقى بلا مهر وتحرّم من الزواج ، فلم يتردد في الندول  
عن زواجه مضحياً غرامه هاجراً ببلده ووجهته  
باريس حيث وجد الوظيفة التي يشغلها الآن . عند  
ما سمعت هذه الأقصوصة في القرية تخمّنت أن أعترف  
إلى بطلها إذ رأيت في هذا الاخلاص من العظمة  
ما يربو على أعجاد أعظم انتصار في معارك الحياة  
وعند ما تقرست في رسم أمه خطرت لي هذه  
الحادثة فحوت أنظاري إليه وسألته عن سنة فادهشني  
إعلانه لي أنه من سني ، في حين أن سيماه كانت تدل  
على أنه أصغر مني . وعند ما دقت الساعة الثامنة  
وقف وأراد أن يخطو إلى الأمام فرأيتني يتأيل مضطرباً ،  
وإذ سأله عما به قال لي إن ساعة ذهابي إلى المكتب  
قد حانت ؟ غير أنه لا يجد في نفسه القوة على السير  
إذ أنه يشعر بنار الحى ويتألم ألماً شديداً ، فقلت  
له : لقد كنت في عافية بالأمس عند ما رأيتك في  
« الأوبرا » فقال : أعترت إليك لأنني ما عرفتك .  
إنني أذهب إلى الأوبرا مراراً ، وأرجو أن أسادفك  
هنالك

وكنت كلما أمعنت الفكر في حالة هذا الشاب  
وأدّرت لحاظي في غرضه ازداد تردد في تناول  
الموضوع الذي كنت أنيت لبعثه إذ لم يبق في

على أن أستنطق مصيفي وأصبحت أحاذر أن يرتاب  
فيما يمر بمخاطري  
وبدأنا الحديث بالجماليات المألوفة فشكرته لقيامه  
بالمهمة التي كلفه إياها أنباء مدام بيارسون وقلت له  
إننا عند ما نبارح فرنسا سنمهد إليه أيضاً ببعض  
الهام . ثم حكمنا الصمت كأن كلا منا لا يدري سبباً  
لوجوده تجاه الآخر

وأدّرت لحاظي إلى ماحولي ككل حائر فرأيت  
في هذه الغرفة وهي في الدور الرابع ما يدل على نزاهة  
ساكنها واجتهاده ، إذ لم يكن فيها سوى عدد من  
الكتب والآلات الموسيقية ورسوم إطاراتها من  
الخشب الأبيض وأوراق منضدة على خوان ومقعد  
قديم وبعض الكراسي ، غير أن جميع هذه الأدوات  
كانت مرتبة نظيفة رباح إليها النظر . ورأيت على  
رف الموقد رسم امرأة مسنة وإذ تقدمت لأعمن فيها  
قال لي إنها أمه

وتذكرت حينذاك أن بريجيت كانت حدثني  
مراراً عن سميت فعدت إلى تخيلتي حوادث عديدة  
عن حياتها لأنها كانت تعرفه منذ طفولته وكانت تراه  
أحياناً في قرية أنسابها ولكنها انقطعت عن زيارة  
هذه القرية إلا مرة واحدة منذ تعرفت إليها ، وهكذا  
عرفت صدفة ما عرفته عن حياة هذا الشاب الذي  
كان يشغل وظيفة صغيرة ليقوم بأودامه وأخته  
منقطعاً عن اللذات من أجلهما ، وبالرغم من براعته  
في الموسيقى لم يقتحم المجال طلباً للنجاح في هذا الفن  
بل اختار حياة السكون مفضلاً لخول الذكر منتماً  
بهذا إلى فئة قليل عديدها في الحياة ترى من واجها

وسألته عن سبب استغرابه فوق وأنى ساعديه  
على كتفي وعيناه جاحظتان وهو يرتعش ، فقبضت  
على يديه مستفسراً عن أله ، فكفف دمه براحة /  
وانسحب يتعب نحو سريره

وحدثت فيه مندحشاً إذ رأيت الحى تهزه هزاً  
فترددت في تركه على هذه الحالة ، وإذ تقدمت إليه  
ردني عنه بمنف ، وما عم أن عاد إليه صوابه فقال لي :  
أعترد إليك . وما كانت حالتى لتسمع لى باستقبالك  
فأرجو أن ترفق بى وتتركى وشأنى ؛ ولن يفوتنى  
عند ما أستعيد قواى أن أذهب اليك لأسديك  
شكري

فليكس نارس

( يتبع )

خاطرى ما كان خامرته من أن هذا الشاب أمكنه  
أن يدخل على ذهن برجيحت ما يلحق الضرر بى ، بل  
رأيت فيه من دلائل الصراحة والجد ما أوقفنى  
موقف الاحترام أمامه ، وما لبثت أن اتخذت أفكارى  
مجرى آخر وأنا أنفوس فى وجه رفيقى وهو يتفرس  
أيضاً في وجهى

لقد كان كل منا فى الواحدة والعشرين من  
سنى حياته ، ولكن الفرق كان كبيراً بينى وبينه فهو  
الشاب المتعود الحياة المنتظمة المتحرك ضمن دائرة  
محدودة ، الذى لا يعرف من الدنيا إلا طريقه بين غرفته  
المنفردة ومكتبه فى إحدى الوزارات مرسلأ إلى  
والدته تتاج الجهود التى لا تعرف قيمتها إلا اليد  
العاملة ، فلا يشكو من أله إلا لأن هذا الألم يحرمه  
يوم عمل ، ولا ينصب فكره إلا إلى تأمين الراحة  
لسواه منذ تحركت للعمل يده . أما أنا فإلى الذى  
فعلته بهذا الزمن الثمين الذى مر بى سراعاً ، هذا  
الزمن الذى يمتص عرق المجاهدين فى الحياة ؟ من  
كان مثلى يعد رجلاً ؟ ومن عرف الحياة أنا أم هذا  
الشاب ؟

إن ما أوردته هنا صفحة مما مر بيننا فى لحظة  
وأنا أحقد فيه وهو يحقد بى

وحدثني بعد ذلك عن سفرنا وعن البلاد التى  
كننا ننوى زيارتها ؛ ثم سألتنى عن ميعاد هذا السفر  
فقلت له : إن مدام بيارسون مريضة طريحة الفراش  
منذ ثلاثة أيام فردد قولى : « ثلاثة أيام » بحركة  
استغراب لم يقو على ردها

(١) خالتي وقصص أخرى

(٢) وكيل البريد وقصص أخرى

مجموعتان من أقاصيص رابندرات طاغور

ترجمته عبد اللطيف النشار

(٣) جنة فرعون وقصائد أخرى

(٤) نار موسى وقصائد أخرى

ديوانان من شعر عبد اللطيف النشار

(٥) الاسكندر

رواية تاريخية عن حياة الفاتح الكبير

ترجمته عبد اللطيف النشار

ثمان هذه الكتب الخمسة عشرة قروش بما فى ذلك  
أجرة البريد وتطلب بالبريد من صاحبا بعنوانه :  
١٨ شارع الإيمادية بحرم بك بالإسكندرية

كريماً على الملك منالايوس ، وحيث وجدته يتقلب على فراش السهد والأرق ، لا يستطيع أن يغمض عينيه من هول ما يفكر في أبيه ... بينا نأم ابن الملك نستور ملء عينيه نوماً هادئاً عميقاً على سرير مقابل لسرير الفتى المحزون

ووقفت الربة عند رأس تلياك وأنشأت تقول له :  
« إلام تظل في مهاجر بك أقصى الأرض هنا نائياً عن وطنك يا تلياخوس ؟ أو هكذا رضيت أن يأكل العشاق الفساق ثرائك ويذهبوا ببناء السماء عليك ، ثم لا تلبث أن تتوب إليهم من تطوافك بالآفاق بقبضة من هواء ، وخيبة من رجاء ! هلم هلم ! سل الملك أن يأذن لك في السفر من فورك فقد ألح جدك وأخوالك على أمك أن تتزوج من

الأمير يورم ، لما اتفق عليه من مهر ضخيم ، وتقدمات وافرة ، أضعاف ما وعد الآخرون ... هذا فضلاً عما يوشك أن يُسلب من القسي العززة عليك من بيتك التي تنقص من هنا لتريد فيها هناك ، فإنه ليس أحب من هذا إلى فؤاد المرأة ، وهي سرعان ما تنسى أطفالها من زوج شبابها ورفيق صباها من أجل زوجها الثاني الذي تود لو تهبه كل شيء . فالبدار البدار إذن ، وعد أدراجك إلى بلادك لتحفظ ثراث أليك ينفعك حين تكون لك زوجة سالحة وذرار أجاب بركة السماء ورعاية الآلهة ... ثم خذ حذرَكَ يا تلياك ، فقد اختبأ زعيم العشاق في ثلق من رجاله بين ساموس وإيثاكا يترصدون بك ويترصدونك ليمتالوك قبل أن

تصل إلى شاطئ الوطن ... وإن فاهم غائب ، ولن يفعلوه حتى يهال تراب الموت عليهم جميعاً ... ألا فارحل يا بني في ظلام الليل ، واجنبُ



## الأوديسيوس

لهوميروس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

### خبرصة الفصل السابع

« انطلق أوديسيوس بعد أن غيرت ميترفا ملامحه ، فخلعه شيخاً هرماً يلب على عكاز غليظ ، ويش تحت ملابس ثقيلة عتيقة ، فأثى بيت رابعه يومايوس الذي لم يعرفه ، وإن يكن قد هشل له ويش ، وأطعمه وأكرم شواه ... وأبدى الراي من الأسف على مولاه ما أتاح الفرصة لأوديسيوس الذي ادعى أن الرجل الذي يذكره يومايوس ربما يصل إلى إيثاكا ذلك الصهر أو الصهر الذي يليه ، لأنه غادره وهو يوشك أن يبحر من عند ملك كريت ومعه كنوز فائقة من الذهب والفضة والتحاس . وأنه يعرفه شخصياً ، وقد اشترك معه في حرب طروادة ... ولكن الراي يقفه ملء شذفيه ولم يصدق حرفاً مما ذكر أوديسيوس ، وعاد أوديسيوس فأقسم أنه غير حائن وأن مولاه عائد فنتهم من أعدائه ومقتلهم جميعاً ، ثم راهن الرجل ... ومع ذاك فلم يزد الراي إلا تكديباً ... وتشقق بينهما الحديث ، وأقبل الليل ، فهب كل إلى مضجعه ... »

### عودة تلياك

ثم رفت ميترفا رقتين أو نحوها ، فكانت في وادي ليسديمون المخصيب حيث حل تلياك ضيفاً

فطوراً يليق بوداع ضيف كريم عزيز مثلك ، لا بد له من إكلّة خافلة تصبر لسفر طويل زيمه . فلو أن سفرك هذا كان خلال هيناس ، وكنت من أجله ستجتاز أرجوس شرقاً لغرب ، إذن لسافرت معك ، ولجزت بك مدائن شتى ، ولأهرع إلينا محال الأقاليم يقدمون إلينا الهدايا والتحف ، من صحاف الذهب وركائر الابرز وكل كأس ثمينة ، ومن كل ذابة مطهمة وجواد كريم « وأجاب تليماك في أسلوب الفظيل الحذر : « مولاي أترى منى لا يوس العظيم ! تالله إنه لاآثر إلى أن أرحل لساعتي ، فلقد تركت ورائي بيتاً لم أدعه في صيانة أحد ، وحطاماً لست آمن عليه أحداً ... وأخشى يامولاي أن أقضى في رحلتي هذه وراء أبي ، فلا أكون قد أبقيت على نفسي ، ولا رعيت تراثه الذي تركه لي » وأمر الملك خدمه فهبوا الخوان ، وزودوه بما بقي من عشاء أمس ، بعد أن أضرم رئيسهم إتيون ناراً أسخن عليها ما يبقّى أن يكون منها حاراً ... وتوجه الملك إلى غرفته ، فلقى فيها زوجه وولده ؛ فتناول كأساً من الذهب الخالص ، ودفع لولده بدلها من الفضة ؛ أما الملكة فهضت إلى خزانها فأحضرت ساجاً<sup>(١)</sup> عملت فيه يدها الصنّاع فزخرفته وزركشته حتى بدا كبناء التعت فيها نجوم ... وعاد ثلاثتهم إلى حيث ينتظرهم تليماك وكله الملك فقال : « ذاك تذكاري إليك يا ابن أوديسيوس حيناً لو تقبلته ؛ وهو كأس تحية من صنع فلكان أهداها إلى البطل فيديم ملك سيدون حين حلت عليه ضيفاً ؛ وهذا وأنا أدعوك أن يكلارك جوف في رحلتك بعين الرعاية ، وأن يكتب

(١) الساج الطيلسان

سفيتك أن تسلك سبيل ساموس ، وابتدأ استطعت عن الجزائر القريبة منها ، وسيرعاك بعض الآلهة ، ويسخر لك ريحاً رخاء تسارع بك إلى بلادك . فإذا بلغت أول الشاطئ الإيثاكي فأنزل إلى البر ، وتسلك الفلك سبيلها إلى المدينة من دونك ، ولتذهب أنت إلى يوليوس راعي قطعانك الذي يحبك فأرسله إلى أمك كي تقر عينها بأوثيك . « وما كادت تفرغ حتى زفت<sup>(١)</sup> إلى الأولوب . وهب تليماك وأيقظ رفيقه من نومه قائلاً : « هلم يزاستروس ! هلم فأسرج الخيل ولنرحل من فوراً ! » وقال له ابن نسطور بحميه : « هلم إلى أين الآن يا صاحبي ؟ كيف نخبط في ظلام هذا الليل الدامس ؟ ألا نصبر حتى تشرق ذكاء ، وحتى يلقاك الملك فيطلع عليك ويحسن وداعك ، لتظل ذكره الحسنه ماثلة إلى الأبد في روعك ؟ » وانبلج الصبح ، فنهض منالايوس الملك من حضن هيلين الدافى ، ويم شطر الغرفة التي نام فيها تليماك ورفيقه . وما كاد تليماك يلمح في غبشة الفجر صورة الملك حتى هب مسرعاً ، وأضفى عليه طيلسانه الفاخر ، وأترز فوقه بمتر آخر ، ثم دلف نحو الباب فلقى الملك ثمة وقال له : « بورك الملك وتعالى جده ! تالله لقد أن أن أعود إلى إيثاكا غيبداً لو أذن الملك بذلك » فقال الملك : « إنا لناستطيع أن نبحزرك إذا كانت رغبتك أن تشد زحلك بإتلياخوس ؛ وإنه ليس أشق علينا أن يقيم ضيف لدينا برغمه ، أو أن نعبج له على الرحيل من عندنا ... بيد أنه يحسن أن تنتظر قليلاً حتى نهيب لك أخفر الهدايا وأعزّ اللّهي ، وحتى نمدها لك في عربتك ؛ وسأمر نداء مائى فيعدون لنا

(١) زف الطائر أسرع في طيرانه وربما بنفسه



فسأل الملك فقال : « ليتفضل الملك فيجذبنا عن هذه العلامة إذا كانت من أجلنا أو من أجل مولانا » ولكن الملك لم يجز جواباً لفرط دهشه . فلما لحظت حيرته هيلين زوجته ، تكلمت فقالت : « أيها الملك اسمعوا وعوا ، فإني أحدثكم كما علمتني الآلهة ... تأله إن هذه لآية ، فكما غلب ذاك النسر أولئك الناس ، وذهب بتلك الأوزة البيضاء ، فهي له ، فكذلك يعود أوديسيوس من تجواله وطويل ترحاله إلى إيثاكا ، فيطش بأعدائه الذين استباحوا عرضه وعشقوا زوجته ، ويخلو له وجه بلوب » وانتفض تلياك من شدة ما أثرت فيه كلمات الملكة فقال : « ألا حبذا لو تم هذا ! اللهم يا جوف الشمال حقق النبوة أعبدك ، واكتب لآبي السلامة أخت لك ، واكتب لي أن أعود إلى بلادى فألقاه ثمة تكن لك صلاة دأمة ، وذكر متصل يا إله السموات ! » ثم حيا الملك ، وألعب الجياد فانطلقت تنهب الرحب ... ولم يزل على سفر طوال يومهما ، حتى بلغا قصر ديوكليس مع مغيب الشمس ، فضيفهما وبأنا ليلتهما عنده ؛ وما كادت أورورا تنضرب جبين الشرق بالورد حتى هبا مسرعين ، وودعا مضيفهما الكريم ، وواصلوا رحلتهما ... وكان ابن نسطور قد أخذ بأعنة الخيل فجعلها تنساب حتى لكأنها كانت تنساب الريح ... ولما بلغا أبواب يابوس قال تلياك لصاحبه وهو يحده : « أنت عذيري يا أعز الأصدقاء إذا سألتك أن تصل بي إلى السفينة من غير أن تتوجه إلى بيتكم للقاء أبيك ، فقد كبير على أن أرفض تركه ، وأستأني بذلك عنده ، في وقت أنا في أشد الحاجة إلى العودة إلى الوطن ... على أنني سأحفظ

لك السلامة والتوفيق » ثم قدم إليه الكأس العظيمة وكذلك فعل ابنه ؛ أما هيلين فقدمت إليه الساج ، وتبسمت عن فم ألد من أخواته ، وقالت له : « وأنا أيضاً أدعو لك يا بني ، وأقدم إليك سدوساً<sup>(١)</sup> من أنفس الدياباج حبذا لو جعلته قسيّة تذخره لك أمك حتى تقدمه بدورك لعروسك ليلة زفافها إليك » وكان لكلماتها في نفسه نشوة ، فأخذ الطيلسان ونأوله ابن نسطور ، الذي عني به ووضع بمكانه من العربية . ثم غموا المائدة الكبرى ، وصبت الماء على أيديهم جارية ذات حسن وأناقَة وظرف ، وأخذوا بعد ذلك في فطورهم ، بينما وقف ابن الملك يدهق الكؤوس ويشرب الخمر ، حتى إذا فرغوا نهض تلياك ورفيقه فسما وودعا ، وركبا العربية الفخمة المثقلة بأثمن الهدايا ؛ وتناول الملك كأساً من الخمر وسار حتى دنا من الخيل ؛ وصحبها صلاة للآلهة من أجل الزاحلين وقال : « لسكا الصحة والضناء أيها الشابان اليافعان . تحياي إلى نسطور أخي الذي كان يرعاني كأحد أبنائه تحت أسوار طروادة » فأجابه تلياك : « لاخبرو أيها الملك ، فنستقص عليه آية كرمك وعظيم سخائك ... وحبذا لو وصلت إلي إيثاكا فلقيت أبي أوديسيوس ثمة ! إذن لقصصت عليه هو الآخر ما غمرتنا به من حفاوة وكرم وعطف ! » وما كاد ينتهي من كلمته حتى بدا عن يمينه نسر عظيم يحمل في مخالبه أوزة كبيرة بيضاء ، وقد خلق في الهواء ، وجرى حوله الخدم والخشم من أهل المدينة ، بيد أن النسر فاتهم جميعاً ... وقد زعج الملأ الواقف لتوديع تلياك ، وبدا الملح في وجه يزيستراتوس ،

(١) هو الساج أيضاً

ذو نخوة ونخيزة فيبق عنده ، فهض يقول : « أيها الراعي يومايوس ... وأنتم أيها الأصقاء الرعاة ... اسمعوا وعوا ... تالله إنى لأخشى أن أرهقكم بضياقتي أو أثقل عليكم بلبثي عندكم طويلا ، فزجائي إذا انقلب الاصباح أن يقودنى أحدكم إلى المدينة لأستجدى وأتكفف ، فلن أعدم فيهم من يفضل على يلفته أو كسرة أو جرعة ماء ... وسوف أعم شطر قصر بنلوط ، وعسى أن أستطيع لقاءها لأبلغها أبناء أودسيوس ، فإذا لم أستطع فلن أعدم عمرك في خدمة العشاق ، لأنى والله المحمود لى من أولياء هرمن رسول السماء ونصير الضعفاء ، ولن أضيق بتكسير الخشب ، أو إضرار الحطب ، أو حمل الكاس والطناس ، أو القيام على الشواء ... أو ما إلى هذا وذلك من عمل الفقراء البائسين » واهتز يومايوس إشفاقا وقال : « أيها الرجل ماذا تقول ؟ أجازف بنفسك فتلقى بها إلى الهلكة وسط هؤلاء الناس ؟ من أنت أيها الفقير حتى تحسبك تقدم الجرح لهم أو تخدمهم ، ولم خدم شباب غير أنتى ، ونداى كالكوأكب نضرةً ومجالاً ... وحشتم يلبسون أحسن الوشى وأنغر الحرير والديباخ ... لتبقى معنا أيها الشيخ فلن نضيق بك ، وحين يعود سيدي تلياك فإنه يكسوك ويسبغ عليك ، ويمنحك مكرماً معزراً أنى شئت . » وشاع البشر فى أعطاف أودسيوس فقال : « شكراً لك يا يومايوس ألف شكر ، وجزاك الله عنى أجزل الخير ، بما كفىنى شر السؤال وذلل الاستجداء ، وليس شراً منهما على نفس أبية قاست الأهوال وما تزال تقاضى ... بيد أن لى مسألة عندك بوى لوجولتها

لك فى أعماقى ذكرى خالدة لا تمحى ، زادتها هذه الرحلة الحزينة مجالاً ، وعقد أواصرها ما بين أوبينا من الود ، وما بيننا من اتفاق السن ، وصفو المودة وجيل الأثاء » وتردد ابن نسطور أول الأمر ، بيد أنه لم يستطع إلا أن يلجى رجبةً تلياك ، فتفى أعنة الخيل إلى الشاطئ حيث كانت تنتظره الفلك ، فنقل فيها متاعه ، ثم ودعه صديقه وعقرت القرابين باسم ميثرقا ، وصلى لها الجميع وسبحوا سبجاً طويلاً ... وإهم لكذلك ، إذا شاب طوال مقتول العضل يتقدم إلى تلياك ، فيخبره أنه قاتل آبقى<sup>(١)</sup> ، وأنه يلوزه به ، وأن اسمه تيوكليمن ، وأنه يرجوه فى أن يسافر معه . فمش له وبش ، وأخذ سلاحه فألقاه فى السفينة ، وأذن له فى الركوب ، وجلس الرجل مع تلياك عند مؤخر السفينة ، فى حين كان الملاحون يهثئون القلاع ، وينشرون الشراع ، ثم أقلت الفلك ، وأرسلت ميثرقا بين يدها سبججاً تدفعا فى رفق ، وتطوى تحتها الماء فى حذب . وكانت الشمس تتوارى بالحجاب ، وكان الليل يلقى سدوله فوق الكون ... وماهى إلا عشية حتى صرت السفينة بغيريا ، ثم باء بليس ، وجوف فى كل ذلك يجرسها ويرعاها

هذا ما كان من أمر تلياخوس الفتى ... أما ما كان من أمر أودسيوس وراعيه ، فقد كانا يلتمان فى هذا الوقت طعامهما ، وماكاد يفرغان من ذلك حتى أحب أودسيوس أن يرى لنفسه إذا كان الراعى قد ضاق به ذرعاً فيطلق من عنده ، أو هو كريم

(١) تضرب صفحاً عن قصة هذا الرجل مؤقلاً لبعدها عن الموضوع

وسيدتي ينلoup إذ لم أر منها عطفًا على ، لأنها في شغل بحالها وسط هؤلاء الأوغاد العاميد ... وهي بالرغم من ذلك تولى خدمتها المقربين منها نصائح غالبية تنفعنا جميعًا ... ثم هي لانتسى أن تنفخ الكثيرين منهم مايفرحون به من الآلاء وأعطيات ، غير مايا كلون ومايشربون . « وكأنا أراد أوديسيوس أن يتهم عليه ويسخر به فسأله عن بلده ووالديه ، وعن القوم الذين أخذوه عنوة ، وفي أي سفينة جاءوا به ، وبكم باعوه لأهل أوديسيوس ، فقال الرجل : « أيها الصديق أعزني أذنك ، وارشف خمر ، أقص عليك قصتي ، فالليل طويل ، وفي جنحه يحلو السمر ، وليس أشهى من أن يروي ذو أشجان لدى أشجان : وأنتم أيها الإخوان ، من كان منكم في حاجة إلى النوم ليصحو مبكرًا فليذهب لينعم بالكري ... ثم أحسبك سمعت أو عرفت جزيرة سيرا التي عند أوريجيا ... إنها جزيرة صغيرة ، لكنها غنية بأغنامها وماشيتها وقمحها وأعنانها ، كما اشتهرت بهوائها اللليل ، ومناخها الجميل ، وصفوها وطيب رايها ... لذلك لا تعرف أبدان أصحابها الأوصاب ، بل يمتصرون حتى يأتيهم أولو (١) فيصممهم بسهماه ، وتمجّل أرواحهم إلى هيدز ، ويقسم أرض الجزيرة أهل مدينتين عظيمتين ، كانتا تخضعان لسيطرة أبي الزعيم العظيم شتريوس أورمنيد ... وحدث أن أُرست في شاطئنا سفينة فينيقية محملة بالطرف والتحف

لي : أما يزال والد أوديسيوس حيًا يرزق ؟ وهل مازال أمه بخير ؟ أم أنهما اليوم من أهل الدار الآخرة ؟ لقد غادرها أوديسيوس يوشكان يطرقان باب هيدز ، فهل عندك من أخبارهما شيء ؟ » . قال الراعي : « وما لي لأصدقك أيها الشيخ ؟ إن ليرتيس — أبا مولاي — مازال على قيد الحياة ... لكنها حياة شاقة أنقصت ظهره ، وأنفدت صبره ، وهو مايفتا يصرع للآلهة أن تخلصه منها بالموت ... إنه قد فقد أحسن آماله حين فقد حاي شيبته الزائد عن شيخوخته ، ولده أوديسيوس ! » وقد جعل له الشقاء موته ، وحياته من بعده ، فهو ما يني ينيكه ، وما ينفك يساقط نفسه حشرات عليه ... أما أمه فقد قضت من أسي وحزن وطول بكاء ، قضاء ما قضى مثله صديق ولا عدو ! إنني حزين عليها يصاح ، بل أنا أفقدتها كأغر من أي لأنها نشأتني صغيراً ، وزعتني كبيراً ، وكانت تحبني كحبة ابنتها ستيمنيا التي تزوجت أحسن زيجة في ساموس من كفء مهرها أحسن مهر وأعلاه ... أبدًا لا أنسى أنهم أنسوا أحسن اللباس ، وأعطوني نملين جديدين ، فرحاً بزواجها ، ثم أرسلوني إلى الخفل ، ولكنهم لم ينقصوا من محبتي ... لقد عاشت مولاتي بعد أوديسيوس ميمشة شقية كلها آلام ، وكنت أواسيها وأعزها ، ولكنها ما انتفعت قط بمزاء ، ولا استروحت إلى سلوة ، حتى ماتت ... وهأنذا أبكيها كلما ذكرتها ، وقل أن أنساها ، على أي أحمد البناء على ما أولتني من خير ، وأسبغت على من نعم ، هي حسبي وحسب الضيف الذي يشاني ... على أي أعذر مولاتي

(١) تضيف بعض النسخ ديانا — وهذه أول مرة نرى فيها أولو يقوم بوظيفة عزرائيل في الأدب اليوناني ، لأنها وظيفة هرمز (مركبوري) خاصة (الترجم).

وللبب الأطفال ، من صناعة الفينيقيين ؟ وحدث أن كان في بيت أبي جارية قسيمة وسيمة ذات حسن وذات دلال ، كانت تقف على سيف البحر لبعض شئون المنزل ، فرآها بعض ملاحى المركب واستطاع أن ينجدها بكلام مسلول ذى طنين وذى رنين ؟ ثم سألها من هي ، ومن أى البلاد أقبلت إلى هذه الجزيرة ... وكان الخبيث يمزج ألفاظه بنظرات الأبالسة ، وغمزات الشياطين ، وابتسامات الغزل ، فاقادت له ، ضعيفة كبنى جنسها إذا نصبت لمن شراك الهوى ، وجذبتهم أحابيل الغرام ، وقد أخبرته العادة أنها من سيدون الشهورة بصناعة الصلب والنحاس ، وأن أباه أرياس الفلاح ، وأن بعض القرصان قد اختطفها حين كانت عائدة أدراجها من حقله ، وباعها لصاحب تلك الجزيرة بأجنس الأثمان ، وقد أغراها الملاح بالعودة معه إلى بلدها على فلسكه ، وبالفرار من حياة الرق والعبودية للقاء الأهل والأحباب والأبوين الثرين الذين مازالان حين يزقان ... فاستحلفته السكينة إذا كان جاداً فيما قال ، غلف لها ، واستقسمته إذا كان أميناً غير ذى غرض أو لبانة ، فأقسم لها ؟ ثم تماعدا على ذلك وقالت له : « والآن فلا يذكر أحد من أمرى معكم شيئاً لأئى من أهل المدينة ، حتى لا يفسدو السر ويعلم به صاحبي ، فيكون في ذلك وبلى ووبالكم وهلاككم وهلاككم .. بل امضوا في بيع بضاعتكم وشراء ما يلزمكم ، ثم إذا عزمتم أن تعلقوا فابعثوا أحدكم إلى قصر صاحب الجزيرة ، فاقى مرضع ابنته ، وهو الآن يجبو ، بل يدرج ، وإلى محضرته مى فانه سينفعكم ، بل تستطيعون بيعه في أحد

(١) بوزن سفينة ولا تشدد ، هي ( البافه أو الكولة )

(٢) الساب والمساب وعاء كبير للزيت أو الخل وهو الرق ولم نجد مرادفاً لكلمة ( برميل ) المعروفة فاستعملناه

صاحب المجلة ومديرها  
ورئيس تحريرها السئول  
احمد حسن الزيات

برل الاشرافك على سنة  
٣٠ في مصر والسودان  
٥٠ في المالك الأخرى  
١ تمن المدد الواحد

الادارة  
شارع عبد العزيز رقم ٣٦  
العتبة الخضراء - القاهرة  
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

# المجلة

مجلة الأسبوعية للقصص والبريق

نصدر مؤقثاً في أول كل شهر وفي نصف

السنة الأولى

١٢ رمضان سنة ١٣٥٦ - ١٥ نوفمبر سنة ١٩٣٧

العدد ٢٠



## فهرس العدد

صفحة	
١٢٢٦	ليلة هائلة ... للكاتب الروسي أنطون تشيكوف . بقلم الأديب السيد جورج سلسق .
١٢٣٢	ساكنو الكهوف ... للكاتب النموي فرديناند فون سار . بقلم الأستاذ كامل محمود حبيب ...
١٢٤٢	الشامة ... لألفريد دي موسيه ... بقلم السيد مظفر البقاعي ...
١٢٦٤	لواء الملح ... أقصوصة موضوعة ... بقلم الأستاذ أديب عباسي ...
١٢٧١	اعترافات فني العصر ... لألفريد دي موسيه ... بقلم الأستاذ نيكس فارس ...
١٢٨٠	الأوديسة ... لهوميروس ... بقلم الأستاذ دريني خشبة ...

الأمين — وقد أمسك في مخالبه حمامة بيضاء ، فظل يُدَوِّم ويرنق حتى إذا كان بين الفلك في البحر وتلك في البر تترخا فيها في الجو ، فتران بالقرب من تلك — وهنا — تكلم تيوكلين فقال : « تالله إنها آية من السماء ياسيدي ، إنك ابن أعظم من في هذه الأرض ، وإن بيتك أعرق بيوتها ، وستظفر كما ظفر أبائك » وشكره تلك ، وتعنى لو صدقت نبوءته ، ثم أوصى به أعظم رجاله وأخلصهم له — كليثوس — فاهتزت أرمية الرجل ، ووعد أن يكون له كسيده (تلك) حتى يؤوب... وسلم تلك — ومضى للقاء يومايوس ثم أقفلت السفينة بمن عليها إلى المدينة  
« ينبع »  
دبرني خضيرة

جوف إلى سيد رحيم ورجل بر ، كفل لك الهناء والحياة الهادئة ... أما أنا ، فما أزال موكلا بفضاء الأرض أذعه ، ويولد ألبسه وآخر أقلعه ... ولما ينما طويلا ، فقد قطع حديثهما جبل الليل ... هذا ما كان من أمرهما ... أما ما كان من أمر تلك ورجاله ، فقد وصل ملاحوه سالمين إلى الشاطئ الاثياكي ، وأرسوا شراعهم ، وريطوا حبالهم في أوتاد المرفأ ، ثم اجتمعوا إلى فطورهم فأكلوا وشربوا... فلما فرغوا أمرهم تلك أن يذهبواهم إلى المدينة ، « ... أما أنا ، فذهاب لبعض شأني في المراعي القريبة وسأعود قبيل الغروب ؛ وفي الغد ، سأسقيكم سلافة الأوبة التي تذهب عنكم وعشاء هذا السفر » ونهض

تيوكلين ( الشاب الآبق ) فاستأذن في الذهاب بالبشرى إلى والدة تلك ، ولكن تلك قال : « كلا يا تيوكلين ، لا أريد أن تعلم أي بقدوى اليوم ، فأبق مع رجالي هؤلاء حتى لا تقع أبصار العشاق التناكيد عليك ؛ وإن شئت فاذهب إلى أحدهم ، يوريماخوس ، فهو أعظمهم قدرا وأنهمم ذكرا ، وهو الذي يحاول جاهدا الزواج من والدة ، والجلوس على عرش أبي ، فأربط حبالك بحباله ... أوأه بأرباب السماء ! حنانك يا جوف ! بعدا لهذا الزواج ، وبعدا لمن يحملون به ! » وما كاد يفرغ من حديثه حتى بدا إلى يمينه بازي باشق — هو من غير ريب رسول أبولو

وَسَلَّمَ خُضَيْرٌ

١٠٥٧

١٤

برليشة ذهب عيكار ١٤

مضمون ٣ سنوات

سَتَعْلَمُ الْحَيَّ كَوْنًا لَشَقِيَّة

مكتبة د. طيبة خضير بشار عبد العزيز بصر

# لَيْلَتُهَا عَلِمْتُ

لِلْكَاتِبِ الرَّؤُوسِيِّ نَظُّونَ تَشْيِكُوفَ  
بِقَلَمِ الْأَدِيبِ السَّيِّدِ جُورْجِ سَلَسِنِي

الأيام ولا تعاقب الليالي  
كان الظلام دامساً  
والهواء بارداً قرأً  
والضباب الكثيف  
يغمر الأرض بجلته  
السوداء القاتمة عند ما  
كنت عائداً إلى غرفتي  
بعد نصف الليل من  
سهرة قضيتها وبعض

الآتراب في مناجاة الأرواح عند صديق لي حميم  
تعمده الله برحمته صباح اليوم

وطريق إلى غرفتي في حي « بقطة القمار »  
موحشة تبتث الرهبة حتى في القلب الجسور ؛  
وقد كان عليّ أن أجتاز منطقات وممرات لا أعدّ  
لها تحت ستار الظلام الدجى

وكانت الأنوار في الشوارع مطفأة على غير  
عادة فما كان يستطيع عابر السبيل مثلي أن يهتدى  
إلا بالتعمية (١) فكنت أسير وتبهد الخطل واجب  
القلب كمن يسير في مآتم . فالسكابة الخرساء كانت  
تسود منى الحواس واليأس القاتل كان يملك منى  
الشاعر . وأفكارى قائمة كأنما أمدها الظلام  
الحالك بسواده

فقد كان تأثير جلسة مناجاة الأرواح شديداً عليّ ،  
وكان صوت ( سينوزا ) الذى وقفنا إلى استدعاء  
روحه ومناجاة ما يزال يرنّ في مسمي ، وعبارته  
الأخيرة التى أذننى فيها بدنو الأجل ونصحنى  
بالتوبة واستغفار الخالق عن مآثمى وخطاياى كانت  
تدوى في أذنى دويّاً يحضّ منى الروح

أجل يأسادة كنت أحسّس طريقى في سبرى  
(١) طلب العلم فى الظلمة باليد من غير أن يصير

— « تريدون منى أن أحدثكم عن أشدّ ليالى  
هولاً ، كأنكم تعلمون أنى قضيت في سنى الصبا  
والشباب ليالى مروهة ، أو كأنكم تحسبون أنّ لي  
مغامرات جنونية تأسر وقائمه القلوب ، وتستحوز  
على الشاعر ، في حين أنى - ولا أنكم - لم أكن  
في يوم من أيام حياتى فارساً ولا مغامراً ، وسجل  
حياتى بإسادة خلوت من روائع البطولة ؛ وليس لى  
من الأحاديث التى ترغبون فيها ما أغفر به وأتيه ،  
إلا أنى لا أرى بداً من أن أزل عند رغبتكم اللحجة  
وإن لم أكن في قصتي ذلك المقدم الذى تروعون  
جزأته ؛ وإن يكن فيها ما لا يزال يهز نفسى ويكتب  
روحى »

وصمت « إيفان بتروفتش » لحظة تدفقت  
عليه فيها خيالات تلك الليلة الليلية التى عانى فيها  
من ضروب الرجل والرب ما يشيب لها رأس الوليد ؛  
ثم قال بلهجة منغللة :

« أعود بك القهقرى إلى ليلة عيد الميلاد من العام  
١٨٨٣ ، إلى تلك الليلة التى ما برحت ماثلة أمام عينيّ  
برغم تقادم العهد ومرار الزمن ، والتى لا أزال حتى  
الساعة أذكر وقائمه كأنها جرت أمس ؛ فإنّ من  
الوقائع يأسادة ما ينطبع في الدهن فلا يححوه كـ

صمغاً لا رحمة فيه ولا عطف . وتعصف في المدفأة  
فيسمع لها أنين كشجرة المحتضر ، فقلت في  
نفسى والبسمة الصطنعة تجبر على ثغرى : إن كان  
على أن أصدق ( سبينوزا ) فإننى وقد نجوت من  
الموت على قاعة الطريق لن أحو منه هنا ، وإننى  
سألاقي وجه ربى في هذه الليلة الثائرة الغضبي ،

وأسلم الروح بين غويل الرياح الهوجاء وبكاء النساء .  
وتخبطت العتبة وأنا أرمس إشارة الصليب على وجهى ،  
ثم أشعلت عدداً من الثقاب ورحت أجوس بنظرانى  
التائهة أحماء الغرفة وإذا بى أرى منظرأ مرضعاً خيفاً

لم أكن أتوقع أن أراه قط ، منظرأ ما إن لمحتة حتى  
انهلع له قلبي من الرعب وقف<sup>(١)</sup> له شعر رأسى ،  
فصرخت بملء فى وألقيت بنفسى من باب غرقتى

كالخبول ورحت أقفز الدرج قفزاً من غير وعى .  
ولا أدرى بإسادة كيف أتى لم أقع . وكيف لم يكسر  
رأسى ويدق عنتى ، وأرجو ألا تسألونى كيف رحى

أركض فى الشوارع تحت وأبل المطر البهمز كضياء  
وأنا الذى كنت أسير فيها قبل بضع دقائق متعشياً  
أتلس سبيلى فيها كالعيمان . ألا ليت الريح اجتاحت

بتيارها عود ثقبانى ، أو لينها أظفائه على الأقل ، إذن  
لما كنت على ما أرجح لمحت شيئاً ولما انهلع قلبي  
وذهب الرعب بصواى . فقد برز لى فى نصف الغرفة

نمش كسنتانى اللون مدّت حواليه قطعة من الديباج  
المزركش بالأستبرق ، وتبدل على غطاءه صليب معلق  
بشريطة وردية من الدمقس الحلى بالشذور

إن فى الوجود أشياء تكفى رائها لحة خاطفة  
حتى تنطبع فى ذهنه بكل دقائقها ، وهذا ما جرى  
لى بإسادة من مرأى ذلك الثابوت . فقد ألمت

بنظرة واحدة بحلى بذلك النظر وحواشيه ، فقد كان

(١) قف الشعر وقف ذمرا

الويد وعلى صدرى كابوس من الممّ جدّ مرهق .  
وكان يحسّل لى أن أرواح الموتى تملأ رحاب الطرق  
وأن جوعها تلحق بى وتقفو أترى . وكنت أحسب  
لدى كل خطوة كنت أخطوها أننى سأجد شيئاً  
من أشباح العالقة واقفاً لى بالرصد ليمسك بى من  
خفائى بيده الحديدية

إن الموت محتوم ولا مفرّ منه ، ولكن النفس  
البشرية يمزّ عليها أن تتلافى حتى ولو كانت من  
الموت على قاب قوسين ، فكيف بى حينذاك وأنا فى  
رطب العود غيسافى الشباب

فقد كنت أسير مرتبداً الفرائس من الخوف  
ولكنى كنت أشجع نفسى وأهيب بها لتخبطى  
السبيل من غير وجل ؟ وكنت أشعر أنى أدفع

بخطائى دفعا ليكون لى من وطئها الثقيل على الأرض  
صدى أنس به فى ذلك الظلام الحالك الرهيب

وأمرت النساء فكانت ضغتنا على إباله  
وصعد إيفان زفرة محرقة ، ثم تناول الكأس  
عن يمينه وجرع قليلاً من الماء ثم تابع :

« إن هذا الخوف الذى كان يسربلى من قبة  
رأسى لى أخص قديمى ، هذا الخوف الذى لا يحدّه  
بيان ولا يلمّ به تبصير ، والذى ما إخالكم تفقهون له

معنى لأنكم - لحسن طالعكم - لم تدوقوه ولم  
تشعروا به لم يكن ليفارقنى قط حتى ولا بعد أن  
صعدت لى غرقتى فى الطابق الرابع من منزل

« ترويوف » مستطار اللب مبلل الثياب

فتحت الباب ودخلت وكان الظلام الدامس  
سائداً ما وائى الحفير

واشتدت العاصفة فافتتحت ميازيب السماء  
كأفواء القرب ، ووجنت الريح فراحت تجار  
بصوتها اللدوى الخفيف ، وتصفع مصاريع الشبابيك



قبل أن يتقاضوا أجرهم من صاحبها المرزأ الفجور  
أو قبل أن ينفعهم على الأقل بمجداً<sup>(١)</sup> ؟

وهكذا صرت في بحر لحي من الظنون والأوهام،  
وأشك على الأمر حتى بت أعتقد أنه أحد اثنين  
لأنك لها : فهو إما جنابة أو أعجوبة ، وإن يكن عصر  
المجائب قد انطوى بعد أن توفي الله السيد المسيح  
ما كنت لأومن بمناجاة الأرواح وأحسب أني  
لن أومن بصحتها ما عشت وإن يكن فيها ما لم أوفق  
إلى إدراكه حتى اليوم . ولكن مصادفة من طراز  
التي وقعت لي تميل حتى بلب الخليج الرزين إلى  
الناحية الروحية الرمزية ، هذا إن لم يجعله يعتنق  
مذهبها ويمتد به بالرغم منه

ولكن مالنا ولهذا الآن ، فلنعد إلى ما كنا  
فيه : فقد ظلت بإسادة أسابق الريح في الشوارع  
الظلمة تحت وابل الأمطار وأنا أحسب لحوق ورعي  
أن الحلة التي نخلت وجودها في نفض منزلي قد  
نفضت عنها الأكفان فهي تلحق بي وتركض ورأى  
حتى بلغت الساحة العامة واهي القوى مضمض الجسم  
مضطرب الروح ، فوقفت لحظة ومعطى البلول تلب  
بأذيله الريح ، وجهي الأصفر الشاحب يلطمه رذاذ  
المطر ، والبرد القارس يهزني حتى العظام . ووقفت  
لحظة أستجمع فيها قواي ، فقد كان على أن أبيت  
في مكان ما فأتقي هول العاصفة ، ولكن أين ؟ أفي  
منزلي ؟ وأنا الذي أخذ الآن والكلال مأخذيهما  
منه هرباً من ذلك النزل المسكون ؟! أنكبت نفسي  
بالتابوت أو بالحلة التي قد تكون فيه مرة أخرى  
وقد هدأت قواي لأتجو منها وأبتعد عن رؤيتهما ؟!  
أأخلو وحدي . بنض ؟! إن هذا ليذهب بالبقية  
الباقية من عقلي . هذا إذا كان قد تبق لي منه شيء

(١) حذيا كدريا : الهدية أو الحلوان « البشيش »

النفس لجسم معتدل القامة ، وثبت لدى من قبضته  
البرزيتين ومن الديباج الجلل به والشرطة الحربية  
الزركشة التي تتدل عليه أنه صنع خاصة لفتاة من  
أهل الفنى واليسار »

وقامت إحدى الحاضرات فرفعت ذؤابة القنديل  
قليلاً ثم عادت إلى مكانها فاستطرد حديثه :  
« ما كان لي أن أخشى لو أني دخلت فرأيت  
كلباً كلباً أو لصاً سارقاً ؛ ولا كان لي أن أتعجب  
لو أني دخلت فوجدت النار تلهب الغرفة بما فيها ،  
أو وجدت الشقف قد تداعى والجدران قد انهارت  
فهذا كله أمر طبيعي معقول لا غرابة فيه ؛ أما أن  
أجد تابوتاً في منزلي ، تابوتاً تمينا لفتاة ذات ثراء في  
غرفة وضيفة لموظف صغير — فما لا يخطر في بالي  
قط ، وهو مما يستدعي الدهشة حقاً ، بل مما يهول  
المرء ويرعبه !

فمن أين هبط هذا التعش ؟ ومن ذا الذي أتى  
به إلى غرفتي الموصدة أثناء غيابي ومفتاحها لا يدرى  
أحد أين أضعه إلا خالص صهي وأتراني ؟ ولكن  
ليس من المنطق في شيء أن يضع قسيمو ودي  
وولائي نمشاً في غرفتي ! أتكون الأرواح قد  
جاءت به إليها ياترى فيكون ( سبينوزا ) إذ ذاك  
غير مخطئ في قوله لي ساعة أنذرني بدنو الأجل ؟!  
بالفجعة إذن ! والهلل ! أتكون ساعتى قد حانت  
وأنا في مطلع الصبا وبسهل الشباب ؟ حنانيك  
الهم وغفرائك !

تلك كانت الأفكار التي ساورت مخيلتي بإسادة .  
ولقد كان لي أن أظن أن التابوت قد أتى به خطأ إلى  
غرفتي أحد موظفي دوائر الجنائر ، فقد يفلط أحدهم  
في الطابق أو يخطئ الباب المقصود ، ولكن  
من منا يجمل أن حاملي التمش لا يغادرون الدار

يغلف روعي ويأس قوي بضغط على صدرى  
وارتطمت قدي وأنا أقدم فى صحن العرفة بشئ  
حسبته للوهلة الأولى أريكه ، فألقيت عليه معطى  
وقمى . وبينما كنت أخول أن أتحذ جلسى عليه  
كان عود الثقاب الذى رحت أشعله قد أنار جوانب  
العرقة ، وما لحث ( أريكى ) هذه على ضوئه الباهت  
حتى أرسلتها صيحة مدوية ملؤها الرعب اهتزت لها  
أرجاء العرفة من غير ريب ، ورحت كالهائم الخبول  
الروح أقفز درجات المنزل قفزاً

فإن ما حسبته أريكه لم يكن إلا نعشاً . أجل  
ياسادة ، لقد أبصرته حقاً ولم تخطف عيناى من رآه  
فقد كان ضعف تابوت غرفتى حجاً ولونه قائماً  
يؤس رائيه ! فن أتى به إلى هناك ولماذا ؟ أكون  
فى الأمر جناية يا ترى ؟ وكيف جرى ذلك فى  
غرفتين غرفة صديقى وغرفتى معاً ؟ ومن لى بمن  
يجلو حقيقة الأمر ، ويطلق على تفاصيل هذا السر  
الغامض المبهم ؟ ! أكون على عيني غشاوة زبني فى  
كل ما أرى مأوى الموت الرهيب ؟ ! أكون جلسة  
مناجاة الأرواح قد أنهكت أعصابى واتابنى من  
جرأتها رداع<sup>(١)</sup> ! ألم استحال مع كل شيء فى  
نظرى تواييت ؟ ! أم أننى قد جُنت ؟ ! »

وما مر ذكر الجنون فى خاطرى حتى وضعت  
رأسى بين يدى ، ورحت أفكر بما تبقى لى من عقل  
وتحتمت شفتاى من غير إرادى :  
« أأكون قد أصبحت مجنوناً ؟ ألا رحماك  
يا الله ! »

وكادت رأسى تنفجر ، وكانت ركبتيانى  
تصطكان من شدة الدرع والبرد معاً ، وجسدى

بل إن هذا ليمتني ما فى ذلك ريب ، ولكن بقاى  
فى الشارع تحت المطر الراكف يقرسنى البرد  
زهريره فما لا أريد ولا طاقة لى على احتماله  
وتذكرت ، وأنا فى غمرة اليأس ، أن لى فى  
« حى الأموات<sup>(٢)</sup> » القريب صديقاً يدعى ( أبوكيف )  
— وهو الذى انتحز منذ عهد قريب بطلق من  
مسدسه كما تملون — فראيت أن ألجأ إليه لأقضى  
ليلتى عنده »

وتناول إيفان منديله ومسح العرق البارد  
المرفض عن عيائه ثم قال بعد أن زفر زفرة حرى :  
« لقد أبى سوء الطالع إلا أن يتكبنى ياسادة بملازمته  
إلأى فى ليلتى تلك . فقد أمت منزل صديقى وكلى  
أمل ببقائه فإذا بي أذهب فلا أجد أحداً . ولم أبدأ  
وقد عولت ألا أرحه إلى مكان آخر ، من أن أتلس  
المفتاح فى الكوة التى اعتاد صديقى أن يجنّبه فيها .  
وقد أحسست لما عثرت يدى عليه بلذة تلج لها  
صدرى ، وتيقنت وأنا أفتح الباب أن الفرج قد  
وفانى بوجهه الباسم الطلق ، وأنى واجد من غير بد  
فى غرفة صديقى الراحة التى عدتها وحرمتم منها  
هزيعين من الليل كاملين ، فدخلت دخول الوائق  
الطمئن وأنا أنضو عنى معطى البتل

كان الظلام الحالك باسطاً أرديته ، وكانت  
الريح تدوى أبدأ يلحها المونس الفاجع ، وفى إحدى  
الروايا جدد يشق هدأة الدجى ببناء مستهجن  
يطلقه على وتيرة واحدة مملّة ، وكانت النواقيس فى  
كنيسة « الكرملين » تعلن للملأ بدقاتها الموزونة  
صلاة السحر ، وكان كل ما فى الطبيعة الثائرة يبعث  
على الرهبة والجلال . وأنا برغم ما كنت بدأت أشعر به  
من الطمأنينة ، كنت أحس فى أعماقى بحزن شديد

ووصل إلى مرتعد الفرائص ، شاحب اللون ،  
مستطار اللب ، زافع النظر ، فأمسك بذراعيّ وسأل  
بصوت أبح :

أهذا أنت يا إيفان ؟ أن تكون أنت إيفان حقاً ؟  
إنك لست شاحب السحنة فحسب ، ولكنك  
— أعني يا إلهي — بطل من أبطال الأساطير  
الروعة أو جن ، أو ميت نفص عنه الأكفان  
وخرج من ضريحه !  
فقلت له :

— وأنت يا أخى مالك مضطرباً قلقاً ؟ وما بال  
وجهك قد تغيرت منه الأسار روتبدلت فيه اللامح ؟  
إنك لتخيف رائيك حقاً يا ( بوغوستوف )

— آه ! دعني بربك يا أخى أستنشق الهواء ،  
وأستشمر الدعة والأطمئنان حيالك ، وإنني جد  
سعيد بمرآك هذا إن كنت حقاً أنت الذي أرى ،  
وإن أنت لم تكن وهماً لحواسي ومشاعري . لك الله  
يا جلسة مناجاة الأرواح من لعينة !

وأطلق من صدره الجهود زفرة ملتهبة ثم قال :  
« لقد قلبت تلك الجلسة أعصابي إلى حد ... آه !  
أرجو ألا تعتبرني مجنوناً يا إيفان ... إلى حد ...  
تأمل يا هذا ... إنني عند ما دخلت المنزل وجدت  
في البهو ... نمشاً ... أجل نمشاً ! »

وكذبت بإسادة أ كذب أذنيّ فيما سمعنا ولم  
استعده حديثه ولو لم أرغب إليه أن يكرر قوله  
لَيَبُثْتُ لى أن ما رآه تابوت حقيقى لأرب فيه  
وجلس على التبة وأجلسني معه وأمسك رأسي  
بكلتا يديه وقال :

« أجل يا إيفان ، لقد رأيت نمشاً ، نمشاً  
حقيقياً » ثم صمت لحظة كأنه راح يستجمع خلاها  
قواه أو شتيت أفكاره ثم استطرده :

كله يرتجف ، والريح الماتية القرّة تحترق برودتها  
عظامي ، والطر يتدفق من ميازيب السماء كالينابيع ؛  
وكنت من غير معطف ولا قبعة ، فمطني وقمعتي  
تركتهما على تابوت غرفة صديق ، ويستحيل علىّ  
أن أعود لأني بهما فالرب قد شلّ أعصابي كلها  
وشدّد الدعر ضعفه على صدري ، وأطبق على  
أضلاحي ، وتصيب العرق البارد من وجهي !  
ما ذا كان علىّ أن أعمل يا سادة ، لقد بتّ  
مجنوناً ، أو نصف مجنون على الأقل ، وفقد عقل  
الراجح توازنه ، وأصبحت مختل الشعور . وغدوت  
عدا ذلك عرضة للبرداء

وكان ربي وربيكم شاء ألا يتخلى عن عبده في  
هذه المرة ، فألهمني في موقف الحرج هذا أن  
ألجأ إلى صديق الحميم الطيب ( بوغوستوف ) الذي لم  
يكن منزله من « حي الأموات » يبعد ، وكان يسكن  
في الطابق العلوي من إحدى بنايات أحد مستشاري  
الدولة ، وكان حضرة صديقي الطيب هذا قد حضر  
مع جلسة مناجاة الأرواح اللعينة ، فهرعت إليه أملاً  
أن ألقى عنده الراحة — ضالتي المنشودة — فإذا  
بأملئ بحبيب ، وإذا بي عنده أنكب برزء جديد تحمّله  
أعصابي الهوكة المضعفة ؛ فقد سمعت وأنا أصعد  
دراج منزله جبلية وضوضاء ، ووطء قدسي مهزول  
راكض ، ولطم أبواب ، وقمعة خفيفة ؛ ثم لم ألبث  
أن سمعت صوتاً شبيهاً بزير الأسد الطمين وصوتاً  
صارخاً :

« إلیّ ، إلیّ ، النجدة ! الفوت ! » ثم رأيت  
بعد ثانية واحدة شخصاً مجللاً بتيابيه السوداء ينحدر  
على البدرج خائفاً مرعاعاً ، فناديتيه وقد عرفت فيه  
صنوى الحبيب :

— بوغوستوف ، ما بك ؟

أنا لست بالحيان ولا الرعيد، وإن الشيطان  
نفسه ليرتب ياصاح إذا عثر على نعش بعد جلسة  
مناجاة أرواح !

ووجدتُ من بيان صديقي الطبيب حافراً لي  
على القول فرحتُ أقص عليه متلعناً تارةً وطوراً  
مبيناً قصة التعشين اللذين نكبتُ برؤيتهما ورجنا  
على الأثر يحدق كلانا في وجه رفيقه تحديقاً الواله  
المشوده وبمرزه <sup>(١)</sup> ليستوثق من وجوده، ثم قال  
الطبيب :

كلانا نحسّ، فلسنا نأمنين إذن، ولا كنا في  
غمرة الأحلام، وليس (تاوئي) ولا (تابوتك)  
من صنع الوهم وعمل الخيال ولكنها الحقيقة الراهنة  
فما العمل الآن بإصديقي ؟

وبقينا ردحاً من الزمن جالسين على العتبة يقرسنا  
البرد، تأهين في عالم الرجم والحدس تساءل عن  
سرّ وضع التوابيت في الغرف الثلاث. وعزمنا  
أخيراً أن نطرح عن نفسيينا عبء الوجـل والرعب،  
وقررنا أن نوقظ الحاجب وأن نستدعيه لندخل  
وإياه غرفة الطبيب. وهكذا قلنا، وقد رأينا لدى  
دخولنا نمشاً مزهيناً بالحرر، مموجاً بماء الذهب

ورسم الحاجب إشارة الصليب

قال الطبيب بصوت راجف الثبرات : « علينا  
الآن أن نعرف إذا كان الشمس مأهولاً أم خالياً »  
وبعد ترددٍ طويل في أَيْنا يُقدم على فتحه،  
انحنى الطبيب نفسه وهو يصّر بأسنانه فرقاً وجزعاً  
ورفع النطاء دفعةً واحدة، وإذا بنا نرى عوضاً عن  
الحلقة التي كنا نترقب أن نراها فيه كتاباً هذا نصه :

(١) مرزه : قرصه بأطراف الأصابع

عزيزي بوغوستوف

إنك تعلم، على ما أظن، أن أحوال عمي المالية  
قد ساءت كثيراً في الآونة الأخيرة، وإنه في هذه  
الأزمة الخالقة غارق في ديونه وأن لا سبيل إلى  
وفائها الآن

وبما أن السلطة ستججز غداً على مقتنياته،  
(وهو كما لا يخفى عليك خير صانعي التوابيت في البلد  
وأحدقهم في مهنته) قررنا نحن أقاربه الأدينين في  
الاجتماع العائلي الذي عقدناه أمس أن ننقذ شرف  
عائلتنا وسمعتنا من النكبة الواقعة، وارتأينا أن نخفي  
أئمن التوابيت وأجلها عند من نمتقد فيهم الاخلاص  
والوفاء

وهأنذا، بناءً على هذا الاعتقاد، أبث إليك  
كما أبث إلى كل أخ يحب كريم تابوتاً للاحتفاظ به  
أسبوعاً على أكثر تقدير معتقداً على ما فيك وفي  
خلص الصحب من كرم ونبل

عبك : ايفان تشيلوستين

وتنفسنا الصعداء بعد قراءة ككل متعب  
مكدود أثنى عن عاقبه عبثاً كان يهمله ويرهن قواه  
هذه هي بإسادة أشأم ليلة عرقها في حياتي  
وقد وجب عليّ بعدها أن أعالج لدى الأطباء ثلاثة  
أشهر متوالية لتهدة أعصابي وإعادتها إلى ما كانت عليه  
أما صديقنا صانع التوابيت فقد نال بشيته وأنفذ  
سمته وهو الآن يدير بنفسه محلاً لتجهيز الموتى يبيع  
فيه رخاماً وتماثيل وغير ذلك مما له علاقة بالتجهيز،  
إلا أن أشغاله لتكد الطالع ليست على ما يرام

ولهذا بإسادة أخضني عند ما أعود كل مساء إلى  
منزلي، أن أجد فيه خيال سريري تتألا من الرخام

الناصع أو نعشاً مزهيناً

مورج سلسي

شمطاء . وهناك في  
تفاريق الغاية بمض  
فتيات فيهن الملاحة  
والظرف والجمال وفيهن  
التبذل والفجور أيضاً ؛  
يجذبهن العمل وتغريهن  
الدريهمات ولكنهن  
شر مستطير على من  
يقع في جبالهن ، فما

له من عقاب سوى العزل . ولقد كنت أقسو عليهن  
أحياناً فما أزيدهن إلا سخرية وتهكاً ؛ ثم هن  
يحدقن فيّ وعلى شفاههن ابتسامات رقيقة خلاصة ،  
فأثني عنهن خيفة التردى فيها هو أدهى وأمر ، وما  
استطاعت واحدة أن تجذبني إليها والوعاية تتجاذبي  
وغير بعيد منا ، على شاطئ النهر إلى جانب  
سوق المدينة ، يعيش جماعة من ذوى اليسار من  
التجار والفلاحين ؛ وهناك مركز الشرطة ؛ وعلى  
جانبى الطريق ، بين العامل والمدينة ، دور بناها  
الكونت لتسكنها الطبقة الوسطى من العمال ، وهم  
ناس فيهم النظافة والنظام ، وفي الناحية الأخرى  
من المدينة أكواخ فقيرة ضمت سفلة القوم  
وأوشابهم ، ومن بينهم رجل يدعى كراتوشويل  
وجدلدة في الحمر فاندفع يشربها فانيدو إلا سكران  
ممتلئ المقل . ثم استلبه الشراب — بعد حين — من  
قوته فما عاد يصلح لعمل . بين يديه زوجة وثلاثة أطفال  
تعضهم الفاقة فاجيدون البلاغ ولا يستطيعون العمل  
فراحوا يستكفون الناس ، وانسلت الأيدي تسرق  
ما تبلغ إليه ، ثم هم ينتظرون من ينزل بهم من الرحل  
في شفق وشوق لينالوا منهم شيئاً وليجمعوا ما بقي

# سَاكِنُو الْكَوْنَتِ

للكتاب النسيوي فرديناند فون سار  
بقتله الأستاذ كامل محمود حبيب

قال مستر برينيت مفتش أعمال الغابة وهو يمبث  
بلحيته البيضاء : « لقد كان ذلك منذ سنوات  
وسنوات وهي في خيالي كأنها ذكرى الأمس  
القريب »

— ١ —

في سنة ١٨٦٥ كنت مساعداً في أعمال غابة  
الكونت (و...) في موراثيا ، وكان رئيسنا رجلاً  
طوى سنى شبابه ، وأصابه النقرس فهو يتكئ دائماً  
على كتي أو على عصاه ، وكنت في بئس الفتاة ،  
شديد القوة أتمشق عملي فلا أتركه إلا إلى دار  
الراصة في القلعة ؛ ولم أكن شاباً بين الشباب  
يستهوئني ما يستهوئهم ويجذبني ما يأسرهم ؛ فما  
طلبت اللذة في الحمر ، ولا وجدت السعادة في قصف  
ولهو . غير أن نفسي هفت نحو أمر ما تصبر عنه ..  
تلك هي رفيقة الصبا وقسيمة الشباب ، وأثني لي أن  
أجدها في هذا القفر الياب ؟ أفستطيع النفس  
الظائمة الوثابة أن تكفكف رغبات تتأجج بين  
طيات الجوارح فتدفعها إلى أمر ... ؟ وبدت دار  
رئيسي — وكنت أسكن معه — جرداء ممحلة  
بعد إذ تروح ابتناه وخلفتنا وراهما أما مجوزاً وأخادماً

نهاره يصيد السمك ، وأنا أجد في عينيه الرقائص وشعره السبط المنسدل على جبينه ما يجذبني إليه فأقذف إليه بقطة من تقود أو بقيا ذبينة فيلتفتها فرحاً مسروراً

وفي صباح يوم من أيام مايو أشرقت شمس وهذا نسيمه ، انطلقت إلى القلعة أقضى وطراً ؛ وحين دنوت من القنطرة رأيت فتاة استلقت على ظهرها إلى جانب النهر على الرمال الدافئة ، لا يسترها سوى قميص قصير ما يكاد يبلغ ركبتيها ، به فروج تبدى عن شيء ونحي شيئاً ؛ وقد انكشف منديلها عن شعر ذهبي سبط جميل تداعبه نسائم النهر الهينة . وحين سمعت وقع أقدامي تقترب منها رويدا نظرت إلى بعينين خضراوين جذابتين . من تكون هذه الفتاة الغتاة التي انطرحت على الأرض في أسماها ؟ لعلها ابنة كراتوشويل ؟

وعند الظهر عدت إلى داري فألقيتها في مكانها لم ترم ، وأحسست كأن نظراتها تحترق شغاف قلبي فأنتفض وقد استشعر أمراً ؛ غير أنني طرت إلى داري خشية أن يقودني قلبي إلى الهاوية

وقصصت ما رأيت من أمر الفتاة وأخبرتها على رئيسي فاحتاج وغضب ، ثم قال «إن هذا جود وإعزاء من القانون . أنت ترك هؤلاء ولا عمل لهم يعيشون في الأرض فساداً ؟ لا بد أن أسوق الأبوين إلى العقاب وأن أدفع بالبناء في غمار العمل » قالت زوجته « وأأسفا ! أفيعيش الأطفال هملاً ، وفيهم الجبال والدكاء ولا سبأ البنت ؟ » صاح الرجل منفيظاً : « ماذا نفعل ؟ وهذا عمدة البلدا يعني بأمرائيه ، فهو يقذف به بين الأنعام ليقتضى عمره هيمية بين البهم ! لا ضير فهو غني ، أما هؤلاء فقراء يعوزهم المال (٢)

من آثارهم . وأذن لهم المغتش بالاحتطاب عطفاً منه وإشفاقاً ، فحسنت حالهم وبدأ عليهم أثر النعمة فبنوا كوخاً كبيراً وزرعوا أمامه بعض الخضر وتندّر عليهم بعض الظرفاء فأطلقوا على الكوخ اسم « فيللا كراتوشويل » . أما زميلي مساعد المغتش فكان يلقبهم بـ (ساكني الكهوف) فلصق بهم الاسم .. وكان أكبر الإخوة طفلاً عليهم سقياً أنهكه الفراغ وأضناه الكسل ، وبدت على الطفلين الصغيرين سمات الشر فأنطلقا يتسولان ويسرقان . وبذت الطفلة أخاها ، فهي تختفي في الدور حين يسدل الليل مسوحوه . ثم تسفل عند الصباح الباكر في خفة إلى دارها وبين ثيابا ملابسها من المتاع ما تستطيع حمله . وفي ذات مرة عثر عليها تحت سرير أحد الموظفين فساقتها إلى الشرطة ؛ غير أن مفرسها حال بينها وبين السجن فعوقبت بالضرب ، ولكن آتت للعصا أن تنزع شرّاً وتفرس خيراً ؟ لا ريب أن أبها وأُمها كانا يدفعانها إلى مهاوى السوء ليستطيع الأب أن ينال بعض ما يتمتع من شراب . وشباً .. ووجدت الابنة — بعد حين — في أخيها معواناً .. ثم قبض عليهما معاً في مخزن . وحكم على الفتاة بالسجن سنة ، أما الطفل فكان صغير السن

تلك هي حياة آل كراتوشويل خلال السنوات الأولى التي قضيتها هناك . ولشد ما آلمني أن تلوث هذه الشذمة الناحية التي أعيش فيها . وكان الصبي يستجدي بنمض عطفي بين الفترة والفترة بأصابه المتبورة . ولقد قيل إنه هو الذي عمد إلى المنجل فبتر به أصابعه فراراً من العمل الذي أرغم عليه ، ولكنه كان قوياً شديداً تبدو عليه علامات الدكاء والفراخ . وكان يختلج إلى النهر فيقتضى شطراً من

جانب الطريق كأنما تنتظر إنساناً وبين يديها بعض زهور بائنة تعبت بها . وحين صرت بأزائها نظرت إلى في حياء وخفر ، فاضطرب قلبي ، غير أنني اندفعت في طريق ... واستطعت أن أراها وأنا في المزرعة ، وأردت أن أزع عن قلبي بعض ما نفتشته في نظراتها الملحة ؛ فتنكبت في المودة طريق الأول ، وسرت

غير بعيد ، فإذا الفتاة تشتد في سيرها تقطع على السبيل ، وتثني عند قدمي أزهارها ، ثم تختفي في أضعاف الغابة ؛ وعادت تكرر عملها مرة ومرة ، وحين اقتربت من باب داري سمعت تحكمتها ترن علي بضع خطوات مني فيها السخريه والهزء

وتبعتني يوماً ويوماً فاشككت في أنها ترصدني . وعند عودتي في اليوم الثالث سألتى الرئيس : « برينيت . أفرأيت ابنة كراوتوشويل ؟ لقد حامت حول الدار كأنها تريد أمراً ... ! » واعتقل لساني فما استطعت أن أحده الحديث ، ثم قلت : « نعم رأيتها على مسافة بعيدة » قال : « وإذا رأيتها ثانية قلبها وسقط إلى الشرطة ، وإن هي حاولت فراراً فارمها بالكلب يحرقها أو اقفذها برصاصة . قلت وأنا أرغم نفسي على الابتسام : « هذا أمر صعب » قال : « لا ، فما أريدها تنسك حوالينا ؟ أو توعددها بأن نمنع أبوابها الاحتطاب فقد يكسر هذا من شوكتها » وشق على أن أكرم في نفسى أشياء . وناداني صوت الضمير فمزمت على أن أقذف بهذه الفتاة الشريفة بعيداً عن الغابة

ولاقيتها — في اليوم التالي — فناديتها : « ها أنت ذه ! » ونظرت إلى في استحياء ، فقلت في غلظة : « أى شيء جاء بك إلى هنا ؟ » وخاب أمليها حين أغلظت لها القول ، فأطردت في ذلة وانكمسار

وتمصرم الغافة ، ولارب أن الفساد يتخر في عظامهم في غير هوانة ولا لين ... » وأخذ الرجل يتحدث عن الأمر في شدة وحماة حتى تفرقنا كل إلى فراشه . ورأيت فيما يرى النائم كأن آل كراوتوشويل يرتكبون الجرائم الوحشية في غير تخرج ولا حياء

— ٢ —

وفي الصباح التالي حملت بندقيتي وناديت كلبي وانطلقنا معاً إلى الغابة . وكانت اليوم من أيام الاحتطاب يتطلب اليقظة والدقة والنباهة ؛ فإن أخلاط الناس يحسرون في الغابة يعيشون بها إن وجدوا منا غفلة أو أنسوا إهمالاً . ورئيس الجرس إلى جاني يتزى نشاطاً وجداً ، وتقاطر الفتيان والفتيات حولي يلتمسون الإذن ثم انطلقت أضرب في أنحاء الغابة ما أهدأ ولا أستقر . وعند الظهر ابتدأ الجمع يتصدع فهمت أريد الذهاب إلى داري فرأيت زوجة كراوتوشويل تدب وتتجامل على نفسها كأنها تنحط من صيب ، وهي تحمل حملاً ثقيلاً من الخشب وأنفاسها تتتابع من البهر والتعب ، والعرق يرفض من جبينها فما ينصب ، ومن خلفها ابنتها تهادى في أمانه وصلف لا تحمل سوى المنجل ، وراغنى أن أرى الفتاة تحتال في سيرها كأنها ابنة أمير ، ثم هي لا تخفف عن أنها المعجوز بعض ما أقفلها . وحينتى الأم بصوت فيه رنات الأسى والجهد ؛ أما الفتاة فانبطلت لا تعزى التفاتة ، وحين جاوزتني نظرت إلى نظرة ذى علق وعلى ثغرها ابتسامة رقيقة خلاية كأنها أحست مني الليل نحوها ؛ فأهمني أن تضطرب الفكرة في خيالها وأنا أأكمتها في نفسى ...

ودلقت في اليوم التالي إلى عملي على حدود الغابة في المزرعة ؛ فإذا الفتاة جالسة على صخرة ناتئة على

الاعياء... ثم تذكرت أنني رأيت منذ مشهور ينبوعاً في هذه الناحية ، فطفت أفشش ... وراعى أن أجد إياه به ماء فاضطرب قلبي وأنا أحديق فيه أريد أن أستشف أمراً ، وفزعت حين سمعت صوت جسم يسقط من بين الأغصان إلى جانبي ، فالتفت فإذا هي ... هي الفتاة ، ابنة كراوتشويل ؟ وراحت ترمعني بنظرات نفاذة وهي تبسم ، اهتز لها قلبي ثم ... ثم نكصت على عقبي وكلي من ورأى بلغ في الإياه حتى روي ثم اندفع في أرى .

ولفت البار ونفسي تنازعني إلى الفتاة ، والرغبة الجامحة تلح علي ، وسيطرت على فكرة ما أستطيع دفعها فسلمتني الراحة والهدوء ، واضطربت الحياة في ناظري ثا أطمئن إلى فراش ولا أتأذى بطعام وساقى العمل إلى الغاية بعد أسبوع ، فرأيت الفتاة في مكانها الذي اعتادت أن تنتظرني فيه ، فسرت في مغاسلي - لدى رؤيتها - رعدة شديدة وحدتني نفسي أن أقول لها ... غير أنني استشعرت العار والفضيحة فانطلقت لألوى على شيء ، وكلي يصيب عندها بذنبه كأنهما صديقان ، ورأيتها تداعبه فتشغله عني ، فتأدبه فلم يأبه ، فقلت في شدة « دعي ! » فقالت في هدوء « أنا لا أستطيع أن أطرده صاحبي ، وهو لا يكم في نفسه ما يكم سيده » قلت : « ماذا ؟ ماذا ؟ » قالت في رقة وهي تدلف إلى « أوه ، لقد لبثت طويلاً هنا أنتظرك » قلت : « أنا ؟ لماذا ؟ » ووقفت الكلمات على شفتها وفي نظراتها الرقة والظفر فنفتت في نفسي الخنايب والمطف ، وفي قلبي السحر والهوى ، فتخاذلت ... واستطعت بعد لآى أن أحدها في غلظة « إنك لا تستحين ، ابتعدني عني ! » فنظرت إلي في خوف

وهي تقول : « أى شيء ... ؟ أغرام علي ؟ » قلت « نعم » قالت : « ولماذا ؟ إن الغاية مفتوحة لكل طارق ! » قلت : « لا ، وإذا كان حقاً ما تقولين فأنت آخر من يستطيع أن يحول في أمحائها » قالت : « ومن ذا يقف في طريقى ؟ » قلت : « أنا » قالت : « أنت ؟ » ثم حدثتني بنظرة فيها الصلف والجحود وفيها الرقة أيضاً ، فاضطربت وتخاذلت ثم ناديت شجاعتي فلبنتي سريعاً فقلت : « أنا لا يعني أن تكونى هنا أو هناك ، ولكن الرئيس أمرنى ... » قالت : « وكيف تنفذ أمر رئيسك ؟ لعلك تريد أن تفرى في كلبك . انظرا ! » ثم ألقت إليه بقطعة خبز فالتفتها وأخذ يحوم حولها . فقالت وهي تبسم في رقة وظرف : « ليس فيه ما في سيده من تجر وعناد . لقد أخذ ما أعطى ! » وابتدأ الحديث يلحس في ناحية حساسة فقلت : « أنا لا أريد أن أندفع معك في الحديث ، ولا أريد أن أقسو عليك ، ولكن اضطرابك في جواب الغاية دون عمل سيضرنا إلى أن نمنع أبويك الاحتطاب » ثم ناديت كلبى وهي من خلتي ترسل ضحكاتها ترن في الفضاء

وتصرمت أيلام لا أراها ، وهفا قلبي نحوها ، قائلي أن تخضع هي لأمرى فتحجب عني ودارت الأيام ، وهبت رياح الصيف الساخنة تنضج القمح ، وانطلقت إلى القلعة - ذات صباح - لأهيمز عملاً ... ثم عدت عند الظهر في الهاجرة ، والشمس تتلهب ، والدنيا سامية ، والريح ساكنة ، وأنا أسير الهوينى ... وتلفى الحر فطبتختني وكلي المواجه ، وغلبننا القيقظ والظلمة ثا أجد ربياً والدار على بعد ساعة منا ، والقنوات بإزائنا ما فيها قطرة ، وما في لسانى ريلة ، وقب أعيان الجهد وأضنانى



قالت في انكسار: «نعم» ثم حيتها وانصرفت  
والعبرات ما تزال تتدفق من عجزها... واطمان  
قلي لأنني استطعت أن أغسل عنها بعض خطاياها..

— ٣ —

وفي مساء هذا اليوم انطلقت إلى المفتش أحده  
حديث الفتاة وأسأله عملاً لها. وعجب هو لحديثي -  
باديء ذي بدء، فخبّرت به بوعدها، فقال: «حقاً،  
لن أقف في سبيلها فأخني عليها جناية أخرى.  
سأجد لها عملاً برغم أني لا أثق بها. إن الإرادة  
يأبى وإن كانت من حديد لا تغلب الطبع وهو قد  
انحدر من الأبوين واختلط بالدم. لقد كان أبواها  
يطلبان العمل في الحين بعد الحين ثم لا يلبثان أن  
يلقيا بالفأس والمكسل جانباً ويندفعان إلى حياة  
التبطل والكسل؛ وأنت تعلم أن أخاها قطاً  
أصابه بالمنجل. هرباً من العمل حين أرغم عليه،  
وأنا أخشي أن تنهج هي نهجه، ولكنني سأجربها  
بعمل...»

وأشرفت - بعد يومين - من عل على الحقول  
والعمال يعزفون أستطلع خبر الفتاة، والسماء صافية  
والنسيم عليل، والناس منشرون هنا وهناك بين  
نبات اللنت، وإلى جانبهم حقول القمح تضطرب  
تحت النسبات اللينة كأنها أمواج من ذهب. وجهدت  
أن أرى الفتاة فعجزت والياس يجحد طريقه إلى نفسي  
رويداً رويداً، ثم أشرفت على شفتي ابتسامة الرضا  
والطمانينة حين رأيتها مجة في عملها وإن لم أر أترأ  
لألى عليها سوى منديل تشيب أحر تداعبه هبات  
النسيم... ثم انقلبت إلى داري فرحاً  
وعند النساء أحسست بالرض يتدفق في جسمي

وفزع ثم تفهقرت حين رأيته أهدى يدي بندقى.  
تفهقرت وعلى وجهها أثر الحب والدهاء ثم قالت  
في استعطاف: «لا، لا تفعل، لا تطلق بندقك  
فتحدث ضوضاء وضجة. أنا ذاهبة ولكن أعطني  
بعض المال فأنا جائعة، وملابسي ممزقة، ثم إنني  
لا أملك حذاء» قالت: «حذاء؟ وماذا يفيدك  
الحذاء أبها الخائنة؟» وأسقطت عليها كلتي الأخيرة  
صاعقة تهذب من كيانهما وتعصف بقوتها، فقالت وهي  
تجامل على نفسها: «لا تنطق بها ثانية، فأنا لم  
أسرق منك شيئاً» وندمت على أن زلّ لساني  
فتنطق بما لا أبتنيه، فاندفعت أرفه عنها بعض  
ما أصابها فقلت في هدوء: «لقد أثرت غضبي؛  
وإذا كنت جائعة عارية فلماذا لا تصيدين بملكك  
مالاً؟» ثم أخذت أحجب العمل إلى نفسها بكلمات  
فيها الرقة والحنان فقالت: «إن إنساناً لا يطمئن إلى،  
وأنت تعلم لماذا...» قالت: «نعم، وسأحدث  
إلى المفتش في أمرك» قالت في شغف: «نعم،  
خذني أنت، إنني أريد أن أعمل تحت رعايتك»  
واقتربت منها وفي يدي حافظلة تقودى «إنك فتاة  
جميلة جذابة فلماذا لا تكونين رفيقة أمينة؟  
ما اسمك؟» قالت: «ماروشكا» قالت: «حسن  
ياماروشكا، والآن أريد أن تضربي لاختوتك  
مثلاً أعلى في الجد والنشاط والاستقامة، فتعولين  
أبويك وقد أقعدهما الكبير. ألم تفكرى في  
الاستقبال ياماروشكا؟» وأثمرت ككأني فأنفجرت  
بأكية، فقلت وأنا أبغى بشمرها: «لا تمزقني يا صديقتي  
واذهبي بعد يومين فأطلبى عملاً، وخذني هذا المال  
فهو كل ما أذخرت فسدى به بعض خلتك» ثم  
وضعت المال في يدها وأنا أقول: «أذهبين؟»

الحين بعد الحين عند القنطرة ؛ وإن رأني تميل عني  
تحدق في ماء القدير . ثم هي قد حال أمرها فأبدلت  
ثياباً بتياب ، وببت نظيفة أنيقة ترف جالاً وبهاء ،  
فيها متعة العين والقلب في وقت معاً ... وقالت لي  
نفسى : أنى لها هذا ؟ لست أدرى

وتصرمت أساييع ، وجاءت أسرة الكونت ،  
وتدفقت — على آثارهم — جماعات من الضيوف ..  
وانطلقت أنا إلى رئيس الحرس أمهي أمراً ...  
فألفت زوجه لدى الباب ترضع طفلها . فأسارت إلى  
الطريق الذى سلكه فذهبت أتقصصه ، ووقفت على  
شرف أستطلع خبر الحارس ، فأفزعنى أن أرى فتى  
وفتاة يستلقيان على الأرض يتماقنان في شغف  
وشوق ؛ واضطرباً أن رأيت أحداً فيهما ، فطلباً مهرباً  
وقد أرخت الفتاة منديلها على وجهها ، وعرفت فيهما  
ماروشكا وابن العمدة ، وهو صبي وسم الطلعة ، في  
المقد الثاني من عمره وفيه التخت والنباء فاضطرب  
قلبي وزلزلت زلزالاً ...

وعدت أدراسي ، غير أنى سمعت الشاب يتنادى :  
« سيدى ، سيدى ! » فأجبت في غلظة وجفاء :  
« ماذا تريد ؟ » . قال في تلثم : « سيدى ، أرجو  
أن تكلم هذا الأمر في نفسك ، وإن لا تكن صفة  
شديدة لأبى ولأخى معاً » ، وسبقني لسألى إلى سؤال  
استشعرت منه الخزي : « ولكن هل تتلاقيان هنا  
كثيراً ؟ » قال : « كل يوم تقريباً » قلت : « وفي  
هذا المكان ؟ » قال : « حيناً هنا وحيناً في مكان  
آخر » قلت : « أو ماراً كما غيرى ؟ » قال : « رأنا  
بعض سكان مقاطعة الأرشيدوق وهم لا يعرفوننا »  
قلت : « والحارس ؟ » قال : « لقد أغلقت فيه ! »

فيحببني عن عملي أياماً ... وانتهى عرق اللفت ...  
ثم تماثلت للشفاء ...

واستحصد الفمخ ، غير أن الكونت ( و... )  
وجاره وصديقه الأرشيدوق كانا قد قدما للصيد  
فشغلت بهما حيناً ، ثم استطعت أن أنطلق إلى الحقل  
عند شروق شمس يوم من أيام يولية . لقد كان الحر  
شديداً والعرق يتصبب من كل فتاة وفتى وهم في عملهم  
مندفعون ومن ورائهم زميل يبعث فيهم النشاط  
والقوة . ووقع بصره على فتادانى : « هم ضاحكاً يارينيت  
أجئت لتري فتاتك ؟ لن تجدها فعلى قد عافت العمل  
بعد يومين » ثم ابتسم في سخرية وسهيم وهو يقول  
« وإذا شاك أن تراها فعلى هناك » وأشار إلى  
راية . حقاً إنها هناك عند الساقية إلى جانب شجرة  
الصمصاف وهى ما تزال في ملابسها الرثة وهيتها  
الزرية ، ثم ابتسم صاحبي مرة أخرى وهو يقول : « لاجرم  
أنه يلزم للإنسان أن يرمقها من بعد ! كيف تقضى  
الفتاة ساعات يومها ؟ ماذا يفرعها عن الطريق المستقيم  
طريق النجاح ؟ إنها جميلة فتاة وعجيب ألا تجذب  
إليها فتى من طبقتها . إنني لا أوقن بطهارة ذيلها  
وعفتها على رغم أنني لم أر لها صديقاً . أفتستحق  
الحب ؟ لو كنت غنياً ، إذن لوفرت لها أسباب الهناء  
والسعادة ؛ ولكن ماذا يفيد وقد صرخ الشيطان  
في عروقه ؟ » وجاءت الآلة بجميع ما حصده  
المناجل فانطلق هو إليها ، وخلفني وكلانه توقيظ في  
نفسى هوى نشرت عليه أستار النسيان ، فدق قلبي  
في عنف واضطربت الأخيلة في رأسي ثم ... ثم  
كبتهم في نفسى ...  
وراحت هي تتسكب طريق فما أراها إلا في

رحيق الغرام ، فجن جنونه فما يستطيع عنها صبراً .  
والآن فأبوه يرقبه عن كثب فما يدعه يغيب عن  
ناظره . ومن الغريب أن الريبة لم تضطرب في خياله  
والناس يرون الفتاة تتأق في ثيابها الناعية وتهادى  
في غرور و صلف ، وما لها من عائل . فأبوها هناك  
سكران ما يفيق . على أن هذا الأمر يחדش كرامتنا  
ياربنيث ، فما يتلاقيان في الغابة إلا تحت سماع الحارس  
وبصره ؛ وما من شك في أن الشاب أخرسه يعض  
ماله فوارها في كمن ، ثم تحقق فراح يذيع الخبر  
طمعاً في مال آخر ... »

ثم ... ثم انطلق كل منا إلى فراشه ، وما لبثت  
أن سمعت نباح السكلاب يشتد ، ثم دق الجرس في  
عنف ، فتطلعت أستطلع الخبر فرأيت بناءين ،  
فاستخبرتهما الأمر فخراني أن نارا في المدينة إلى  
جوار الغابة

واندفع الرئيس من فراشه لدى سماع الخبر وقد  
نسى مرضه وهو يقول : « نار في الغابة ! » ثم انطلق  
إلى ملابسه يرتديها وهو يردد : « نار في الغابة ! كيف ؟  
كيف ؟ » قلت « أظن أنها ليست هناك ، لعلها في  
كوخ الحارس » قال : « هذا صحيح ، لقد أشعلتها  
ابنة كراتوشويل لتثار من الرجل » ثم قال :  
« أسرعوا إلى هناك . سألقى بكم » وألححت عليه \*  
أن يظل في مكانه رحمة منى له ، وخوفاً أن يشور  
به المرض فلا نستطيع السير إلا في ببطء ... ثم  
انطلقت مع الرجلين وفي أيدينا المصابيح ، ووجدنا  
الناس قد تدفقوا إلى النار فأخمدوها فلم تأكل كل سوى  
قليل من قش حول دار الحارس  
وسألت الزوجين الخبر ، فقالت الزوجة في غير

وحققت كلماته رأياً اضطرب في خيالي وخيال رئيسي  
حيناً من الدهر . لقد كان الحارس ذكياً جسوراً  
ونشطاً ، ولم تكن فيه الأمانة لأنه كان سكيراً  
تدفعه العجزة إلى الخيانة والسرقة ، ولكن الكون  
كان يحبوه يعض عطفه لأنه قضى دهره من عمره  
وهو خادمه الأمين ... وحز الأمر في نفسي ...  
وصمت حيناً فقال الشاب : « سأقدم إليك جائزة  
سنية ! » فصرخت في وجهه في غيظ وغضب :  
« نتج ، لن أفشي سرّك إن أنت هجرت هذه  
الناحية ! » ثم طلبت الحارس فوجده قد عاد إلى  
داره ؛ ونازعتني نفسي إلى أن أحدثه حديث الفتى  
والفتاة . فنعني الحبل والحياء ...

— ٤ —

أقعد المرض رئيسي عن أن ينطلق إلى العمل  
أو إلى المدينة أو إلى السوق إلا في الفينة بعد الفينة ،  
فهو يجلس دائماً في الندى يشرب الجمعة ويلعب  
الورق ، وهو حين ينتشى يبيد فرحاً طروباً  
وجاء — ذات ليلة — وعليه أثر المرح فقال  
وهو يجلس إلى جانبي : « أقصمت ؟ لقد دوت إشاعة  
في كل مكان أن قد وقع ابن العمدة في حبائل ابنة  
كراتوشويل » قالت زوجته : « لا تقل هذا ! »  
وهزئت أنا ككتفي كأنني لأعرف شيئاً من أمرهما .  
واستمر الرجل يقول : وعجيب أن يغضب الأب  
ويزجر ويتوعد بعد أن أفلت الأمر من يديه ، فالفتى  
يريد أن يتزوج من فتاته وهو يتهدد من يقف في  
سبيله . قالت الزوجة : « عجباً ، يا لغباء ! » واندفع  
الرجل في حديثه « لقد أغووه ، وفتحت له الفتاة  
ذراعها فدناق لذة الهوى ، وجذبت إليها يرشف من

من ورائه أبوين يشقيان بفقدانه

وقصفت الحمر عود كراتوشويل فقيم أبنائه ،  
وتأيت أمهم ، وحال أمر أكبر أبناء كراتوشويل  
فراح يرعى قطعان الأوز في أمانة ونشاط ، فوثق به  
الناس واطمأنوا إليه ، فأقاموه على قطعاتهم راعياً

وانصرفت سنة وما في الناس من يذكر  
ماروشكا ، ومسحت الأيام ذكرها من قلبي فاطلقت  
إلى ابنة مقاولي أجازبها الهوى ثم خطبتها فزوجتها  
ولشد ما أدهشني أن أرى ماروشكا في ليلة  
ظلماء من ليالي نوفمبر بإزاء القنطرة ؛ وأردت أن  
أجذب نظرها إلى فلتوت عني رأسها ؛ وأحزنتني  
أن أرى السجن يستلها من جالها وروتها

وفي ذات صباح وقع بيننا وبين المال خلاف  
فما استقر الأمر إلا وقد أضتاني التنب وأكدني  
الجهد ، والرئيس في فراشه يشكو مرضاً وزوجه  
إلى جانبه تعني بأمره

وانطلقت عند المساء إلى حجرتي لأطلب الخلعة  
لأحصى الحساب ووقفت حوادث اليوم دون عملي  
في خاطري تبلبل وفي عقلي اضطراب ، فألقيت  
بالقلم جانباً وأخذت أعرب في أرجاء الحجرة وكلي  
إلى جانبي ما يستقر ولا يبدأ . واستطلعت — بعد  
لأى — أن أنكب على عملي ؛ واستلقي الكلب  
على الأرض وقد غلبه النوم . ومضت ساعتان ...

ثم رفعت رأسي أسمع صوت الماصقة الموجهة  
يدوي في أنحاء النابة ؛ وأزعمني أن أسمع صوت  
أجراس ترن متتابعة فتختلط بهزيم الريح فتبني في  
النفس الفزع والرب ، فاندفعت إلى النافذة لئلي  
أرى شيئاً ، ووق قلبي أن رأيت ألسنة النار تتدلع

ترو ولا أناة : « لعل إنساناً أشعل النار ، فسارقتو  
الصيد قد سلط عليهم النفيظ والحقد لما أصابهم به  
زوجي ، وقد يكون ... » ثم أمسكت عن الحديث  
على حين فجأة ، فعي قد التفتت إلى زوجها بثقة  
فأرت كأن شرراً يتطار من محجريه ، وانطلق هو  
في رزاة وتؤدة يقول : « أنا لا أنهم أحداً ، إن  
الليلة قرة ونحن أوقدنا النار يصطلي بها الأطفال  
فلحقت بالقبض وهو قديم بال لا لقيمة له »

وبدأ لي من خلال كلماتها أن ماروشكا بريئة ؛  
غير أن الرئيس أصر على أنها هي الجانية ومن ورائه  
غوغاء الناس يدفعونه ؛ وطار الخبر أن ماروشكا  
أشعلت النار فقبض عليها تسام الخسف

ودفعت الفتاة التهمة عن نفسها في لباقة وحماسة  
فوهت حجة الرئيس ، فسحب المدعي العمومي الدعوة .  
غير أن الجمهور راح يقذفها بهم أخرى منها السرقة  
والتشرد والسفاهة ... أراد المستشارون أن يهدئوا  
من ثورة الناس فساقوها إلى الإصلاحية

ووجد الفتى لفقدائها فالتاث وذهل عن نفسه ،  
وانطلق إلى آل كراتوشويل يقضي نهاره بينهم ،  
ثم انحط في حماة الذيلة لا يرعوى ولا يشوب .  
وأراد أبوه أن يدفعه إلى الجندية ليسلو ، ثم أمسك  
ضناً بوحيدة أن تطحنه الحرب

— ٥ —

ووضعت الحرب أوزارها في سنة ١٨٩٦ فتجلت  
— والحرب مائة مئة مئة — عن حزن أفهم  
القلوب وعصف الأفكار ، وعن عيون مارتوا عبراتها  
تبكي الضحايا ؛ ولقد قذف ابن العمدة بنفسه في  
أوارها عليه يجدها فيها دواء دانه ، فآلمته وخلف

الدار وحدها تكفي ! « قلت في همك : « إنها دار العمدة وهو رجل غني لا يضيره أن يشيد غيرها وإذا آله ذلك — كما تظنين — أفتنتمين منه وقد فقد وحيداً لأجلك ؟ » قالت في استهتار : « وماذا يعني وأنا لم أحبه أبداً ؟ لقد سمعته لأسليه ماله ولأنك أنت أعرضت عني » ثم هبت العاصفة زفرات فانبعثت النار نائرة تتحدم، فضحكت وصاحت فرحة : « هاها ، أفلاترى ، لقد تسمرت النار وامتد اللب إلى البيت المجاور » ثم أخذت الزجاجة تتعيب الحجر ، وهي تقول : « ستشوى جلودهم ... أولئك الذين دفنوا بي إلى العذاب ، ماذا أفأقدم وماذا أصابني ؟ أنا لن أعمل لأثنى أكره العمل ... وإذا أرغمني إنسان عليه فسأنتقم منه في غير هواة ولا لين » ثم راحت ترقص وتدور حولي في سمر وجون ، فأمسكت بها وأنا أقول « أفلا تستطيعين العمل ؟ ستعملين مرغمة » ثم أشرت إلى النار وقلت « إن هذا معناه العمل الشاق سنوات عشر ! » فقالت « العمل الشاق ! العمل الشاق ! أين هو الرجل الذي يستطيع أن يقذف بي إلى العمل الشاق ؟ » قلت « سيعمل الناس الخير ، وإذا وجدت إلى الحرب سبيلاً فسيكثر عليك الشرطة » قالت « أقتظنه ؟ ولكن لماذا لا تقبض أنت علي أو تقتلني برصاصة من بندقتك هذه ؟ » ثم ألقت بنفسها على الأرض وهي تصيح : « اقتلى ، اقتلى ! » ثم هبت واقفة واندفعت إلي قائلة : « لا ، لا تفعل ، بل قبلي ، قبلي ، أفتظن أنه غاب عني ما قاسيت في سبيلي ، نعم ، نعم لقد جئنت بي ، غير أنك خفت أسراً لولاء لضممتني إليك . أفعل الآن .. الآن عند النهاية » ثم تملقت

مرفعة صوب السماء . إنها في المدينة . ووثبت من مكاني وعلى أترى كلي ( ستوب ) أعدو نحو النار . لشد ما غاظني أن أرى اللب يؤج في دار العمدة ! وذهلت عن نفسي حيناً وأنا في وسط الطريق . أفاشدت صوب النار أم أريد أنشر الأمر أمام رئيسي ؟ ثم سمعت حركة عنيفة فوق رأسي ، بين أغصان القجر ، والنار تضيء الغابة فتكشف عن كل ما بها ؛ وتوالت الأمر ، فإذا هي ... هي ماروشكا ، فصحت بها « هل أنت هنا ؟ » قالت : « نعم » قلت : « وماذا تفعلين هنا ؟ » قالت : « أرى ، إنني أنتظر منذ ساعتين لأرى اللب وهو يتسمر » قلت : « أفعلت ... ؟ » قالت : « دون ريب لقد انتهى كل شيء ! » وزرت بي زوات الغضب فقلت « أيها السافلة ! » ثم أمسكت ببندقتي أريد أن أحطم رأسها برصاصة ، ففزعت واضطربت ، ثم قالت : « أفنعل ؟ ولكن لن أخشاك . اقتلى ، اقتلى أنت فهو خير لي » ثم قفزت فإذا هي بإزائي ، ونظرت فإذا زجاجة سحر يسدو بعضها من جيبها ففرت أنها غيلة ، ثم قالت في هدوء : « لماذا لا تقتلني والنار ليست في الغابة ؟ » قلت في رقة : « أنا أعرف ذلك ولكني أرى لهؤلاء الناس » قالت « لا بأس ، لا بأس . لقد أردت أن أجازيهم بما فعلوا ، فلقد كنت في المرة الفائتة بريئة لم أترف ذنباً فدفعوني إلى السجن ظلاماً وعدواناً ، وها أنا ذى أذيقهم وبال أسرم » قلت وأنا أنظر إلى النار : « أيها العابثة ، لقد أحبط الله عملك فالرب قد هدأت وأمنوا هم الخطر » وحدقت فبدا لها صدق قولي فثارت بها ثورة الغضب والحقد فقالت وهي منبغلة حنقة « هذه

واضطراب — حال بينهم وبين أن يسموا صوتي  
وفيه بُحّة من أثر الأثين ورأحة الجرمك ما . وفزع  
الفنّاء أن رأيتي أستمدى عليها الناس فتزاحت  
أعصابها فدفعها عني في قوة ثم أطلقت رصاصتين  
في الهواء ، فطارت هي في أضعاف الغابة  
واضطربت لما كان فناديتها: « ستهربين ولكنهم  
سيعثرون عليك ! » وتفرق رجال البطافي في تنابها  
الغابة يحاولون غيباً

وفي الريح التالي انفرج الثلج عن جثة فتاة  
مشوهة عرف الناس فيها ماروشكا ؛ غير أنني لم  
أرها لأنني كنت قد ذهبت لأعمل في مقاطعة صهر  
الكونت في جنوب سيريا على حدود كرواتيا  
طال محمد حبيب

بي وفارت بين شفقي وشفقتها ، وقد انبعثت من  
بينهما رائحة الخمر الكريهة ، وأنا أحول بينها وبين  
ما تريد . واهض كلبي عليها يمزق ملابسها وهي عنه  
لاهيّة ، ثم اندفعت تقول : « تعال ، تعال إلى الغاية  
إلى الظلام ، إلى الخلوة .. » وجذبتني إليها في شدة  
وعنف وقد عبثت بقوتي رائحة الخمر النبعثة من بين  
شفقتها قوية نفاذة فما استطعت أن أدفعها عن نفسي  
وجاء الخلاص في صوت مجلات آلة البطافي  
تسرع إلى حيث النار . لقد سلكوا هذا الطريق  
لأنه قصير ولكنه كان وعراً ، فراح رجال البطافي  
يستحثون الخيل في أصوات خشنة . وأطمأن قلبي  
فناديت : « يا للرجال ، يا للرجال ! لقد أمسكت  
بالجاني فأعينوني بقوة ! » وحال ما هم فيه من لجب

## لمناسبة فصل الشتاء

معرض عام

بشركة بيع المصنوعات المصرية

وفروعها بالقاهرة وعواصم المديريات

بمجموعة كاملة من المنسوجات الصوفية والحريرية والقطنية

ذات الأذواق السليمة والأسعار المعقولة

زوروا الشركة وفروعها قبل البت في اختيار

ملابس فصل الشتاء

# الشامسة

لألفريد دي موسيه  
بقلم السيد مظفر البقاعي

الضعف سوى قوة  
واحدة وهي كونه عديم  
الرحمة

ففي إحدى المشيات  
وقد جلس أمام النار ومد  
رجليه فوق حافة الموقد  
تملكته السويداء كمادته  
فرفعت المريضة فجأة  
كفها ضاحكة، وكانت

تجبل النظر في رزمة من الرسائل، فسألها الملك عن  
جلية الخبر فأجابته :

« ذلك أني أجد هنا كتاباً لا يدل على رشد  
ولا بصيرة ، بل فيه ما يؤلم ويهيج المطف والشفقة  
فقال الملك : وماذا في ذيله ؟

— ليس فيه اسم قط ، فهو رسالة غرام  
— وماذا في أعلاه ؟

— هنا النكتة . إنه موجه إلى الأنسة دانيول  
ابنة أخي صديقتي السيدة داستراد ؛ ومن الجلي أنه قد  
حشر بين هذه الأوراق لأراه

فقال الملك ثانية : وماذا به ؟

— ولكنني قلت لكم إن فيه غراماً . وهو  
يتكلم عن فوفر ونوفليت فهل تعرف جلاتك هذين  
البلدين ؟ وهل من نبيل فيهما ؟ »

كان الملك يتأذى بمرفقه فرنسا عن ظهر قلب ،  
ويعني بذلك أشرافها . على أن مراسيم بلاطه وقد اطلع  
عليها ودرسها لم تكن مألوقة لديه ، وكذلك أشعرة  
مملكته ، فقلبه بها اللام ؛ أما البقية فلا يعتد بها بل  
يسدل عليها شيئاً من التكبرياء ، ولذلك فإنه بعد أن  
سبح في لجة الأحلام برهة قطب حاجبيه كمن طريقه  
تدكارسيه ، ثم أوماً إلى المريضة : أن تقرأ . وألقي

— ١ —

عند ما أزعجت لويس الخامس عشر المشاجرات  
التي وقعت في عام ١٧٥٦ بين الوزراء وبين البرلمان من  
جرائم ضريبة المائتين أضع أن يحضر الجلسة بنفسه  
ليرفع النواب على الخضوع له ، فاستقال هؤلاء عندئذ  
وقبلت استقالة ستة عشر منهم ثم نفوا . وقد  
قالت السيدة دي عبادور لأحد الرؤساء : « أتستطيعون  
وأتم حفنة من الرجال أن تقاوموا سلطة ملك فرنسا ؟  
ألستم على ضلال ؟ انزع مظف الرأس يا سيدي  
تر مثل ما أرى . »

لم يحمل النفيون وخدم وزر أعمالهم بل شاركهم  
فيه أهولهم وصحبهم . وكانت مراقبة الرسائل تبلى  
الملك فكان يوزع إلى حظيته أن تتلوه كل ما يستثير  
الفضول في البريد عل ذلك يسرى عنه سامه من  
لذاته . ولا مرية أنه بطلا القيام شخصياً بأعمال  
شرطته . السرية كان يتلقى بالآلاف الدسائس التي  
كانت تمر بهذه الصورة أمام عينيه . وكان مصير كل  
شخص ذى وشيعة قريبة كانت أو بعيدة بزعماء  
الأحزاب إلى الهلاك غالباً . فقد كان معلوماً أن  
لويس الخامس عشر مع كل ما فيه من أنواع

ولكن الملك رفضني على صورة لا تزال ذكراها  
لدى مريرة . إذ يجب ألا أعاقب من أجل رأي أبي  
( الذي أود أن يكون خطأ ) ! وإن إخلاصي  
للملك أصدق وأعمق من حتى لك . ولو أسطمت أن  
أجرد سيفي في سبيله لتجلب صدق وإخلاصي . إن  
رفض ظلي أمارني بالنأس ، لأن ابتلائي بمجرمان  
كهذا يتعارض مع المعروف من كرم الملك »

فقال الملك : حقاً إن هذا يهمني

« لو تعلمين كم نحن في اكتئاب ! آه !  
يا صديقتي ، وإها لرسالة نوفليت وكشك قوثير  
وهذه الفياض التي أنتزه فيها وحيداً طول النهار ،  
بقدر حظرت العمل على البستاني البغيض إذ أني  
أمس بمجرفته وكاد يحس الرمل ... حيث لا تزال  
آثار أنامل قدميك الصغيرتين وكمييك الكبيرتين  
الأيضين ظاهرة في المشي ، وبصمات خطاك وهي  
أخف من النسيم لم تمح ؛ وقد تمتك لي قدميك  
تسيران أمامي لدن كنت أتبع طيفك الجميل فكان  
هذا الشبح الفاتح يلمع آناً فآناً كما لو كان متمطياً  
جواواً شارداً

« فهناك وقد كنت أناميك أثناء سيرنا الوئيد  
على طول الحديقة أتيح لي أن أعرفك فأقدرك :  
أدب رائع في نفس ملاك ، وكفاءة للمساكنات في  
لطف الآلهة ، وأفكار تليق بلاييز في حديث ساذج ،  
نحلة أفلاطون على شفاة ديانا . كل ذلك كان يجعلني  
دفتيناً تحت قبة الهيام والعبادة . وكانت الأزهار  
الحبيبة خلال ذلك تنضوع من حولنا ، فكنت وأنا  
منصغ إليك أنشئ عبيرها حيث نحيما ذكراك ؛  
وها هي ذى الآن تحني الرأس وترين الموت ... »  
فقال الملك : إن هذا أسلوب ردي على غرار

بنفسه في الأريكة وهو يقول باسماء : « إيه ! الفاتنة جميلة »  
فصرعت السيدة دي ببادور تتلو بلهجتها التهكمية  
اللطيفة رسالة طويلة مفعمه بمبارات الهيام ، يقول  
الكاتب : « تأمل قليلاً كيف أن الأقدار تجفونني ،  
فقد كان يبدو لي أن كل شيء معد لتنفيذ رغائتي .  
وأنت نفسك يا صديقتي الحنون ألم تجعليني أؤمل  
السعادة ؟ ويجب مع ذلك أن أتجاهلها من أجل  
خطيئة لم أرتكبها ؛ أو ليس من فيض القسوة أن  
أسقط في الهاوية بعد أن سمح لي أن أروني إلى النساء ؟  
ومن ذا الذي يجعل نصب عيني تعيس محكوم  
عليه بالموت كل ما يحبه في الحياة ويجعله يتحسر  
أسفاً عليها ابتغاء أن يتمتع بلذة بربرية ؟ ومع  
هذا فكذلك حظي ؛ ليس لي ملجأ ولا أمل  
سوى القبر لأنني منذ غدت بالنأس وجب عليّ ألا  
أفكر مطلقاً في الزواج بك . وعند ما كان الحظ  
والنفي يسيان لي كان الحصول عليك جملة التي  
وأقصى الآمال ؛ أما اليوم وقد أمسيت فقيراً فاني  
أرتمش إذا ما ظلمت أجتري أن أحلم بذلك . ومنذ  
أنجيت غير قادر على أن أجعلك سعيدة صرت أمتك  
أن يجيبي برغم أني أموت فيك غراماً ... »

فأبستت المركزة لهذه الكلاث الأخيرة ،  
وقال الملك : دونك ياسيدي رجلاً شريفاً . ولكن  
ماذا يمنحه أن يتزوج من صاحبته ؟

— اسمحو لي يا مولاي أن أنم :

« إن هذا الظلم الذي يهكني فاجأني به أفضل  
الملوك . وإنك تعلمين أن أبي كان يطلب لي وظيفة  
ضابط صاحب العلم في الحرس لأن هذه الوظيفة  
ذات أثر في حياتي ، فهي تخولي حق تقديم نفسي  
إليك . وكان الدوق دوويرون قد وعدني بها ،



فصت الركيزة في التلاوة بصوت أكثر خفوتاً:  
« حقاً إننا الجيران الأدنون والأقرباء الأبعدون  
للهاب شوفلان ... »

فقال لويس الخامس عشر مثائباً:  
— هاهي ذي جلية الأمر . هو أيضاً من أقارب  
جماعة المدققين المحاسين ، إن برلاني يستغل رحمتي .  
حقيقة إنه كثير العيال  
— ولكنه قريب أبعد !

— حسن . إن هذه الدنيا لا تنفي فتيلاً في  
نظر هذا الزاهب شوفلان فإنه من الأخلاقيين  
اللتشدين ، غير أنه مع ذلك إبليس رجيم ، ولذلك  
أقبل وعزل . ألقى هذه الرسالة في النار ولا تعود  
إلى الخوض في هذا الموضوع !

— ٢ —

لم تكن الكلمات الأخيرة التي نطق الملك بها  
حكماً بالوت ولكنها حرمان من الحياة . ما ذا  
يستطيع أن يفعل في عام ١٧٥٦ فتى بلا ثروة لا يريد  
الملك أن يصني لشكاته ؟ إن سعى الإنسان للحصول  
على عمل أو محاولته أن يجعل من نفسه فيلسوفاً أو  
شاعراً قد يجدي دون أن يكون له مساعد ، وعندئذ  
يتبين ثقافة مهنته وحقاتها

وما كان هذا الحرمان مما يرغب فيه القارس  
فورقوالدي كتب بمداد من دموعه هذه الرسالة التي هزأ  
بها الملك ، فقد كان حينئذ وحيداً مع أبيه في قصر  
نوفليت القديم وقد أخذ يذرع الغرفة في اكتتاب  
وغضب ثم قال :

— أود الذهاب إلى فرساي

— وما الذي تفعل هناك ؟

— لا أدري ؛ ولكن ما ذا أضنع هنا ؟

جان جاك ، فقيم تقرأني لي ؟  
— لأن جلاتكم أمرتني بذلك حباً في عيون  
الآنسة أنيول الجميلة

— حقاً إنها ذات عينين جميلتين  
« وعند ما أعود من هذه الزهات أجد والذي  
وحيداً في القاعة الكبرى مستنداً على مرفقه قرب  
شمعدان بين تلك الأواني الذهبية الكامدة التي  
تغطي روافدنا النخرة ، فينظر إلى قاذباً وفي النفس  
ألم ، لأن حزني يزيد في جواه ... يا أنيتاني ! في متعني  
هذه القاعة قرب النافذة ما يزال القيثار الذي لعبت  
بها أأمك الطليقة التي مستها شفتاي مرة واحدة  
فتفتحت إذ ذاك فاك لتتشدى أعذب الألحان ...  
وما كانت أنشودتك سوى ابتسامة

« ما أسعد أغاني لولي ورامو ودوني وكثيرات  
غيرها مما لا أدري ؛ نعم نعم أنت تحبينها ، فعمانيها  
في غيبتك وألفاظها صرت على شفتيك

« إنني أنا أيضاً أجلس إلى هذه القيثارة وأحاول  
أن أعرف عليها أحد هذه الأنغام التي تسرك فتبدو  
لي كلها باردة بملولة فأدعها وأصني إليها تموت بينما  
يضيع صداها تحت تلك القبة المحزونة ؛ ويلي أبي  
على نظرة فيراني متباً كثيراً فلا يسمه أن يصنع  
شيئاً لأجل لأن أمراً من أمور الديوان أو الطريق  
أغلق أبوابنا . وماذا عساه أن يصنع في سبيلي وأنا  
الذي — على رغم مافيه من شباب مضطرم ، وعزم  
متقد — لا يطلب إلا أن يتبوا مكاناً في الدنيا ؟ »  
فقال الملك :

— ألا يقال إن هذا الغلام كمن ذهب إلى  
الصيد فقتل طريده وقد كاد أن يقتصها ، فلمن  
تكون ... ؟

لنفسها في أول الأمر ربعا قدره مائة وثمانون ألف ليرة ، وما كان ذلك إلا سخافة لا تمتد شيئا الآن إذ لا يستطاع تصور المبالغ الهائلة التي يقدحها العاهل عليها ، فلا تنقضي من السنة ثلاثة شهور حتى تلتقط سريعا خمسمائة أو ستمائة ألف ليرة . أسس بحجة الملح واليوم بحجة زيادات خازن الاصطبلات . وقد اشترت عبدا مالها من مساكن في كل الدور الملكية : ( لاسل ) و ( كريسى ) و ( أولي ) و ( رامبورون ) و ( مارينى ) و ( سان ريمى ) و ( بلوى ) وكثيرا من الأراضي والقصور في باريز وفونتينبل وفرساي وكومين . كل هذا فضلا عن الثروة السرية المكنوزة في كل بلدان أوروبا ومصارفها خوفا من هجر الملك المتوقع أو موته . ومنذ الذى يدفع هذا كله ؟

— أجهل ذلك ياسيدى ، ولكنه غيرى —  
— بل هو أنت ، وكذلك جميع الناس ، وفرنسا بأسرها ، وهذا الشعب الذى ينضح دما ويتصب عرقا ويصرخ في الطريق شامتا الأوابد . إن البرلمان لا يرغب في هذا ولا يريد ضرائب جديدة ، فعند ما نشبت الحرب قدمنا آخر قلنس من مالنا ولم نفكر في المساومة ، وقد استطاع الملك الظافر أن يمس يمينه بحبة شعلة له بشكل أوضح عند ما أشقى على الموت ، فقد انقطعت الاحتجاجات وسكنت الأحزاب وزالت الأحقاد وجثت فرنسا كلها تبلى من أجله . ونحن إذا كنا ندفع نفقات جنوده وأطبائه بلا حساب فلنسا نريد الانفاق على حظايه وعلينا واجبات أخرى غير إعاشة السيدة دي بيجادور

— لست أدافع عنها ياسيدى ، فانا لا أستطيع أن أخطئها أو أسوب رأيها إذ لم أرها قط

— إنك في محبتي وما إخالها تسليك ؛ ولست على أى وجه أحبك عن الذهاب ، ولكن أنسى أن أمك قد ماتت ؟

— كلا ياسيدى ، وإنى وعدتها أن أحب لك حياتى . غير أننى أريد السفر الآن ، وسأعود إذ ليس في طوقى البقاء في هذا المكان — وعم نشأ هذا ؟

— عن هيام مفروط فاقى متبول القلب بحب الأنسة انيول

— هذا عبت أنت أدرى به ، فأتزوج بلا مهر غير مولير . وهل تنسى نكيتى ؟

— أهو ياسيدى من نكيتك ! أيجوز لى ، دون أن أتجرد من أعين احتراي ، ان أسألك عن سببها ؟ لسننا من أعضاء البرلمان ، ونحن ندفع الضرائب ولا نقررهما ، فإذا كان هؤلاء يقررون على الملك فذلك شأنهم لا شأننا . ولم يجرنا حضرة الراهب شوفلان إلى الخراب معه ؟

— إن الراهب المذكور يعمل كرجل شريف ، فهو يرفض أن يوافق على عشر ، لأنه نأثر على إسران البلاط الذى لم يحدث مثله منذ زمن السيدة دو شاتورو . وقد كانت تلك على جمالها لا تكلفنا شيئا تقريبا حتى ولا ما كانت تهب بسخاها المفرط . وعلى أنها كانت حظية وملكة كانت تقنع بالألقمها الملك في سجن مظلم تعفن فيه إذا ما حرمها عطفه ؛ أما هذه ( الدابالة ) ، هذه ( النورمندية ) هذه ( الجشعة ) !

— ما ذا يعنينى ؟  
— أقول ما ذا يعنينى ؟ إن الأمر لأعظم مما تتصور . ألا تدرى أن ثروة حظية هذا الملك الذى ينتصب مالنا لا تحصى ؟ فقد حصص

فأنت ترى عندئذ أن ليس بينك وبين جلالتة سوى مصراعى باب تستشف من وراءه هاوية فتلفت باجتماع « مهرب » أو ملجأ فلا توقف إلى شيء . هل تتصور كيف ينتقم الملك لنفسه منا نحن أقرابه السيد شوفلان ؟ إنه يأمر بتعذيب داميان الذى طمته بعوسى وبنى رجال البرلان ! أما نحن فيكتفى بكلمة أو بالصمت وهو الآنكى . أتدري ما هو صمت الملك حينما يحذرك عند مزوره بنظرة خرساء ؟ إنها درجة من درجات المذاب تأتى بعد الاعدام والباستيل ، وهى فى الظاهر أقل منهما قسوة ولكنها أشد أثرًا من مرأى الجلاد . حقًا إن المحكوم عليه بها يظل خرا ، ولكن عليه ألا يفكر فى الاقتراب من امرأة أو من أحد رجال الحاشية أو من قصر أو دير أو ثكنة ، فكل شيء موصد دونه محظور عليه ، وهو إذن يتزه على غيرهدى فى سجن غير منظور — سأمحرك فيه حتى أخرج منه

— لن تفعل أكثر من غيرك . فإني السيد دومينير لم يكن مجرمًا أكثر منك ، وكانت له مثلك وعود وآمال مشروعة ، وأبوه أخلص أتباع جلالتة وأشرف رجل فى المملكة . أقصاه الملك فذهب بشعره الأشقر لا ليرجو بل ليحاول إقناع الخطية : أتعلم بمأجابه ؟ هاك نص أقوالها وقد بعث إلى بها السيد دومينير فى رسالته : « إن الملك هو السيد . إنه لا يريد إظهار استيائه منك شخصيًا ، بل يكتفى بأن يظهره لك مجرمًا ابنك من الوظيفة . ومماقتك على غير هذا الشكل بادرة لا يريد بها فيجب احترام إرادته . انى أرى لك مع هذا وتدخل فى همومك ، فقد كنت أمًا وأعلم وقع هذا الأمر فى نفسك » هاك كلام هذه الخلوقة التى تريد أن تتراى على قيمتها !

— من غير شك . ولعله لا يسووك أن تراها لترى رأيك فيها ، أليس كذلك ؟ إن العقل فى سنك يحكم بواسطة العيين . حاول رؤيتها إذن إن راق لك ذلك ، غير أن هذه السعادة ستخطئك — ولم يأسدى ؟

— لأن هذا جنون ، ولأن هذه المركزة أكثر اختفاء فى مقاصيرها الصغيرة فى رامبورون من سلطان الأتراك فى قصره . لأن الأبواب تغلق كلها فى وجهك . فإذا تريد أن تفعل عندئذ ؟ أحمولة المستحيل ؟ أم البحث عن الثروة كشريد ؟ — لا ، ولكن كما شئت . أنا لا أريد التوسل ياسيدى ، وإنما أريد الاحتجاج على ظلامه . فلقد كان لي أمل راسخ بل شبه وعد من السيد دوويرون وكنت على وشك الحصول على ما أبغى . ليس غرامى هذا نزوة أو طيشًا لأنك ما أنكرته على ، فاحتمل إذن عاولتى الدفاع عن قضيتى . إني أجهل ما إذا كان يتاح لى الاتصال بالملك أم بالسيدة دى بمبادور ، ولكنى أريد السفر

— إنك لا تعرف البلاط ، وتريد التوكل فيه ! — لا بأس ! فقد يكون قبولى هناك لهذا أكثر سهولة ، لأنى مجهول — أنت مجهول أيها الفارس ! أظن ذلك ؟ اسم كاسمك ! إننا عريقون فى النبل ياسيدي فلا يمكن أن تكون مجهولًا

— حسن إذن فالملك يصنى إلى — ولكنه لا يريد أن يفهم منك . إنك تحلم برسائى وتظن أن سيحتوك قصرها عند ما يقف الحوضى بك هناك ... لنفرض أنك تمكنت أن تصل إلى الايوان بل إلى الرواق ومن ثم إلى الكوة

ولكنه لم يتدان لسباع قصته بل قال : « حقاً لقد جئت في الوقت المناسب ، في البلاط الليلة حفلة تيشل أنواع من عيد لا أدري ما هو . ولست راغباً في حضوره لأنني نائم على المريضة من أجل الحصول على شيء ما . فهناك كتاب توصية من حضرة الدوق دومون طلبته منه لشخص لا أدري من هو . اذهب إلى البلاط وإن لم تكن قدمت إليه من قبل إذ لا حرج عليك وبغيتك المشاهدة . احرص على أن تكون في طريق الملك في المخرج الصغير فظرة واحدة يجعلك سعيداً »

فشكر الفارس الراهب وعاد إلى الفندق وكان متعباً إثر ليلة سهاد ونهار ركوب ، فوقف أمام امرأة قبه يرتدي ثيابه بمساعدة خادمة زينته على قدر طاقتها ففطت ثوبه الموشى بالذهب بمسحوق الرز . زينة مضطربة تليق بالمشاق كثيراً . استسلم هكذا للمقادير وسار فقد كان عمره عشرين عاماً

وصل إلى القصر والليل رخي سدوله ، فتقدم من الباب الحديدى بوجل وسأل الحارس عن الطريق فأشار له إلى درج كبير ، وهناك علم من الحاجب السويسرى أن الحفلة على وشك الابتداء ، وأن الملك أى الجميع في القاعة . وأضاف السويسرى قائلاً : « وإذا أراد سيدى المركز اجتياز البلاط فيسكون بعد برهة من شهود الحفلة ؛ وإن كان يرغب أن يمر بالقاصير ... »

لم يكن الفارس يعرف القصر فدفعه حب الاطلاع أولاً أن يجيب بأنه سيمر بالقاصير ، وإذا بخادم تبعه ليده فأردف قائلاً بأفقه : إنه ليس في حاجة لمن يرافقه ، وتقدم عندئذ وحيداً في اضطراب كان قصر فرساي مثلاً أنواراً من أميته حتى

— يقال إنها فانتان ياسيدى

— ربما ؛ إنها ليست جميلة والمروف أن الملك لا يحبها ولكنه يخضع لها ويلين أمامها . فيجب أن يكون لها شيء آخر غير رأسها الخشبى لكي تحتفظ بنفوذها الغريب

— يزعمون أنها ذات فكر ثاقب !

— ولكنها بدون قلب

— بدون قلب ؟ ! وهى التى تعرف كيف تنشيد أشعار فولتير وتغني موسيقى روسو والتى تمزق أنفام الزىرو كويلت ! هذا مستحيل ولا أصدقه قط . — أما إنك تريد فازذهب إليها وانظر ! إنى أنصح ولا أصر ، وستخسر نفقات السفر ؛ ويظهر أخيراً أنك مدله بحب هذه الأنسة انيول ؟

— أحبا أكثر من حياتى

— إذذهب ياسيدى

— ٣ —

يقال إن الأسفار تخفف من أوار الحب بما تهبه من لهو وتسلية . ويقال أيضاً إنها تذكى ناره . ولم يقم الفارس بهذا التمييز العلمى لطراءة صباه . وقد امتطى في منتصف الطريق حصاناً من خيل البريد إذ أنهكته العربة فوصل نحو الساعة الخامسة مساءً إلى فندق الشمس ، وكانت الشمس في زمن لويس الخامس عشر شعار الزى

كان في فرساي راهب شيخ يعرفه الفارس ووجهه إذ سبق أن كان قسيساً قرب نوفليت . وكان لهذا القسيس الساذج الفقير ابن أخ راهب في البلاط . قد ينفع فتاناً فيهم شطره . وكان هذا رجلاً مهيباً غمره رداؤه الواسع فاستقبل الوافد بترحاب عظيم ،

ذروته ، وكان ريق الثريات والمصاييح ولعان الأثاث  
الذهب والرخام يحفظ الأبصار ما عدا مقاصير  
المسكة فقد كانت أبوابها مفتوحة ، كان الفارس كلما  
سار ازداد تعجبه وانتهاره بشكل يتمدر تخيله . ولم  
يكن الجبال وحده ، بل ولا سنا الأضواء نفسه يجعل  
النظر رائعا ، وإنما هي الوحشة التي تسود هذا المكان  
الشبيه بالصحراء المسحورة

حقاً إن وجود الانسان وحيداً في ميدان  
متسع سواء كان مبدأً أو مقبرة أو قصرأ فيه  
شيء من الخفاء أو الغرابة ، يحيل إليه أن البنيان  
أناخ بكل شكله عليه ، وأن الجدران ترمقه والأصداء  
تضئ إليه ، ورتين خطاه يكر صفو السكون الذي  
يشمر بالوحشة منه رغماً عنه ، فلا يجسر أن يسير  
إلا في خشوع . وهكذا حدث للفارس بادی  
الأمر ، ولكن حب الاطلاع قلب عليه حالاً  
واستدرجه ، فقد كانت أسنة ثماعدة الرابا تمكس  
أنوارها ، وليس من يجهل وفرة ما كان على الجدران  
من نقوش ترمز إلى الغرام والعشاق والآلهة فكانت  
جميعاً ترفرف على السقوف وتبدو كأنها تدمج القصر  
كله بأكليل عظيم

— أقيم في هذه المنافي التي لا مثيل لها  
مخلوقات فانية ؟ وهل تجلس غواني من لحم ودم على  
هذه الأرائك التي ما يزال من استدارتها اللينة فوق  
تلك التكتات هذا الأثر الخفيف المغم بالترائح ؟  
من يدرى ؟ ربما تبينا من وراء هذه الأستار  
الصفيفة أميرة ما تزال نائمة منذ مائة عام في أعماق  
خندق واسع باهر ، أو فتاة من الجن بثوب من سلال  
أو إلهة الرخام تفتح رافدة ذهبية في عمود من  
الرمز وتخرج منها

أذهبت هذه الأوهام صواب الفارس فألقى  
بنفسه على أريكته هناك كي يحلم . ولو لم يتذكر  
أنه عاشق لظل مشرد البأ أندأ طويلاً . ما الذي  
تفعله آن تشر الأكنة أنيقول حبيته الحبيسة في  
قصرها المتيق

فصاح نفاة : أيناني : ماذا أصنع هتلعز إضاعة  
الوقت ؟ هل عدت الرشد ؟ أم أنا إذن ؟ إلهي ماذا  
جزي لي ؟ ثم نهض واستمر يجوس خلال هتلم

هتلم قاعات ذات أسجاف مخملية موشاة بالذهب  
وأرائك نفحة ما تزال تحتفظ بجلال الملك العظيم ،  
وهتلك مقاعد متجعدة وكراسي صغيرة مبشرة حول  
منضدة قمار . عدد لا نهاية له من القاعات المتعاقبة  
كلها خالية تأخذ روعها الأبصار ، ولو أنها تبدو  
عديمة الفائدة . ترى بين أوتة وأخرى أبواباً سرية  
تؤدي إلى ردهات يتبع النظر من كثرتها . ألف  
سلم تتقاطع مع ألف ممر كأنك في أجة متشعبة  
الدروب . أعمدة صنعت للجبابرة . مخادع متشابهة

الامكان ، وحدث نفسه بقوله : إن هذا القصر جميل جداً وشاسع جداً ، ولكنه محدود له نهاية ؛ ولكن أطول من قصرنا بثلاث مرات فيجب أن أرى أقصاه

لكن ليس من السهل أن يسير الانسان في اتجاه واحد نحو الأمام في قصر قرساي مدة طويلة وآله البناء لم ترض هذه المقارنة القروية بين الدار الملكية والقصر الخفير إذ بدأت تثير العاشق المسكين وتضله بشكل مروع لكي تعاقبه ولا ريب ، فقد أخذت تتلذذ بأن تديره وتلفتة على أقدامه ذاتها فترجعه بلا فتور إلى الموضع عينه كفلاح تائه في غابة . وهكذا ظل جيس البناء الرمزي الذهبي

في لوحة « أزمان روما القديمة » التي صورها بيراني في الاباطي مجموعة رسوم يسبمها المصور « أحلامه » هي تذكر مشاهداته الخاصة أثناء هنيان حتى اثباته ، تمثل هذه الرسوم قاعات غوطية شاسعة فرشت أرضها بكل أنواع الآلات والأدوات والمجالات والحبال والبكرات والروافع والمجانيق وغيرها دلالة على قوة عظمى تقوم بعملها على مقاومة هائلة . وتشاهد على شفير الجدران سلماً يرتقيها بيراني نفسه بصعوبة . وإذا ما تبعت بنظرك درجاتها العلوية تشرف فجأة على هوة سحيقة . ومهما يكن من أمر بيراني في المسكين فأنك توفى أنه أنجز عمله على الأقل إذ لا يستطيع أن يتقدم خطوة واحدة دون أن يقع ؛ لكن أرجع البصر ترى سلماً أخرى منصوبة في الهواء فوقها بيراني أيضاً على شفاهاوية أخرى . أنظر إلى الأعلى أيضاً تجد سلماً هوائية تنصب أيضاً وبيراني يتم صعوده وهكذا

المدينة الجديدة فضل فيها وكان ذلك أمراً بديهاً . وظهر له خادمان أو ثلاثة في أقصى الرواق يتهايمسون فتقدم منهم . وسألهم عن طريقه إلى مكان الحفلة فأجيب بنفس اللمحة : « إذا كان سيدى الركيز يرغب أن يحتمل مشقة النزول من هذا السلم ويسير في الرواق الأيمن فسيجتاز ثلاث درجات ينطف عند ارتقاؤها إلى اليسار ، وعند ما يجتاز قاعة ديانا وقاعة أبولون وقاعة الشعراء وقاعة الربيع يهبط ست درجات أخرى ثم يترك على يمينه قاعة الحرس ليصل إلى سلم الوزراء ، وهناك يصادف . ولا شك حجاباً يدلونه على الطريق

— شكرًا . — إنني إن لم أهتم بمد هذه المعلومات

فذلك ذنبى

وعاد إلى المسير بشجاعة ، ولكنه كان يقف رغمًا عنه ينظر من طرف إلى طرف ، ثم يتذكر غرامه فيتابع تسيره ؛ وأخيراً بعد ربع ساعة خالها دهرًا أتى خداماً جددًا كما أنبأه من قبل ، قالوا له :

« السيد الركيز قد ضل ، إذ كان عليه أن يسير من الجناح الآخر للقصر ، ومع هذا فالوصول إليه سهل ، وليس على السيد إلا أن ينزل من هذا الدرج ثم يجتاز قاعة النقوش وقاعة الصيف وقاعة ... فقال : « أشكركم »

ونابح الفارس نفسه قائلاً : « إني مغفل حقاً إذ أسأل ناساً كالبهائم فأنقص شرفي في جهد ضائع ؛ ولو أن هؤلاء على فرض الاستحيل لا يسخرون مني . وماذا تفيدني هذه الأسماء التي يسردونها أمامي بل وكل هذه الألقاب الطنانة لقاعات لا أعرف منها واحدة ؟ »

وعول أن يذهب قدمًا في الجهة اليمنى قدر

حسان مخضبات في أنافة بالأحمر والأبيض،  
يمسكن لا من أذرعهن ولا من أيديهن بل من  
أطراف البنان سادة كهول وفتيان ؛ ولكن جد  
حريصات على أن يتهاككن في مشيتين كيلا تسخ  
ثيابهن ؛ وكان كل من في هذا الحفل الباهر يتكلم  
همساً بشيء من الجدل المزوج بالرغبة والحرمة

لم يحجز الفارس أن الصدفة قادتة إلى الخدع  
الصغير بالضبط . فقال : ما هذا إذن ؟ فأجاب  
الحاجب : سيمر الملك . هناك ضرب من البسالة  
التي لا يقف دونها شيء . وهذا النوع بسيط جداً  
لأنه شجاعة غير المهذين من الناس ، وقتانا الريق  
لم يكن يتصب هذه الزرية على رغم كونه بأسلاً حقاً ،  
فإن سمع كفتي « سيمر الملك » حتى تولاه الجلود  
وتعلكه شيء من الدهر . كان في لويس الخامس  
عشر تراخي الملوك وفاة أكثرهم وإن كان يظل في  
الصيد ممطياً صهوة الجواد اثني عشر ميلاً دون أقل  
حذر . ولم يكن يطرى نفسه عبثاً بأنه أول شريف  
في فرنسا ، ولا تقول له حظياته دون سبب إنه  
أكمل الأشراف وأجملهم . وكانت رؤيته تازكا  
مقدمه ومتنازلاً للسير بشخصه الكريم أمراً غريباً .  
وعند ما احتاز الخدع وذراعه موضوعة أو بالأحرى  
ممتدة على كتف السيود درجنسون بينما كان كبه  
الأحمر ينزلق على الأرض (وكان قد ابتدع هذا  
الزي من الكسل) انقطعت الضوضاء وطاطأت  
الحاشية رؤوسها ولم تجسر أن تجي فوراً . أما الحور  
الذين لجثون بهنوء وأثاء على أربطة سوقهن ذوات  
اللون الناري في أقصى أردبيتهم الفضفاضة وحين  
بخلاعة حمية تدعوها جداتنا احتراماً ، وقد استبدل  
بها عصرنا المصاحفة الانكليزية الخافتة

على التوالي إلى أن تختفي السلم الأبدية هي ويرانيزي  
مماً في النجوم أعنى في جافة الصورة  
إن هذه الصورة التي أوحتها الخي تمثل بكثير  
من الدقة الضجر من جهد بلا جدوى ونوع الدوار  
التي يسيه نفاذ البصر كحال فارسنا الذي استولى  
عليه الغضب وهو يجوب قاعة بمد قاعة وإوانا بمد  
إوانا ثم قال :

« حقاً إن هذا أمر قاس . اني بعد إذ كنت  
مفتوناً مأخوذاً معتبطاً لوجودي وحيداً في هذا  
القصر اللعين (إذ ليس هو قصرًا للجن) لم أعد  
أستطيع منه خروجاً ! قبح الله الفطرسة التي أوح  
إلى فكرة الدخول إلى هنا كما فعل الأمير (فنفرينه)  
بجذائه الذهبي الثقيل بدلاً من أن أطلب إلى أول  
خادم قادم أن يقودني بكل طيبة خاطر إلى قاعة الحفلة !  
لما استشعر الفارس من نفسه هذا الندم للتأخر  
كان مثل يرانيزي في منتصف سلم على درجة قاعة  
بين ثلاثة أبواب خيل إليه أنه يسمع من أوسطها  
لفظاً شديداً المدبوبة خفيف الجرس مفرط اللذة إذا  
صح التعبير ، بحيث لم يستطع أن يمتنع عن الصياح  
دهشاً وبينما كان يتقدم ويصيح بسمعه في اضطراب  
من ذلك انفتح هذا الباب على مصراعيه وعبق في  
وجهه نسيم عطري أرجه ألف شذى ، وطفئت عليه  
موجة من النور كسفت قاعة المرايا ، فنكص على  
عقبه من هذه المفاجأة وسأله الحاجب الذي فتح  
الباب : « هل يريد سيدى المركز الدخول ؟ »  
فأجاب :

— أريد الذهاب إلى حفلة التمثيل

— إنها انتهت في هذه اللحظة

وعندها أخذت تخرج من قاعة الاحتفال غيد

وفوق أذنها وردة وقد أعطت يدها رشاقة ولباقة  
لسيد كانت تكلمه همساً من وراء مروحتها  
وشاءت الصدفة أن تفلت هذه المروحة تجلجلال  
حديثها ونضحها وحركاتها فتسقط تحت مقعد كان  
أمام الفارس تماماً فبادر لالتقاطها حالا، ومن أجل  
ذلك جثا على إحدى ركبتيه فبدت له الشابة فتاة  
جداً حتى أنه قدم إليها المروحة دون أن ينهض،  
فوقفت هنيئة وابتمت، ثم مضت بعد أن شكرته  
بإيماء خفيف برأسها؛ وشعر الفارس عقب النظرة  
التي رمته بها بخفقان في فؤاده دون أن يعلم لماذا  
— وكان محملاً — فإن هذه الصبية كانت (التلونة  
الصنيرة) كما لا يزال يدعوها الناقور. أما الآخرون  
فكانوا يقولون عند الكلام عنها: «الركيزة» كما  
يقال «الملكة»

— ٤ —

«هذه هي التي ستجنيى والتي ستجنيى!»  
حقاً إن الراهب مصيب إذ قال لي إن نظرة تقرر  
مصري! نعم إن هاتين المبتين الناعستين الجميلتين،  
وهذا الثغر العذب الساخر، وتلك القدم العريضة في  
الحذاء الحريري... هي سحر جثتي الخنون! «  
بهذا كان الفارس يناجي نفسه ولكن بصوت  
عال: وذلك لدن عودته من الفندق. فمن أين أتاه  
هذا الأمل الفجائي؟ هل كان الصبا يتكلم فيه، أم  
إن عيون الركيزة كانت قد تكلمت؟ على أن العدة  
ما تزال على حالها، لأنه إذا لم يعد الآن يفكر في الثول  
بين يدي الماهل فمن ذا الذي يقدمه إلى الركيزة؟  
وقضى شطراً عظيماً من الليل يكتب للنساء آفيلول  
رسالة تضارع الرسالة التي قرأها السيدة بمجادور  
من قبل. وإيراد نص هذه الرسالة لا فائدة منه إذ

أما الملك فلم يكن يبالي شيئاً أو ينظر إلا لما  
يجلو له. ولعل الكاتب (ألفيري) الذي يقص في  
مذكراته كيف مثوله في فرساي، كان هناك حيث  
يقول:

«كنت أعلم أن الملك لا يكلم غير البارزين من  
الأجانب، ومع هذا لم أستطع أن أعتدى على هيئة  
لويس الخامس عشر العبوسة القلطة إذ يجيل النظر  
فيمن يقدم إليه من رأسه إلى أخمص قدميه، ولا  
يبدو عليه أى اكتراث له. وقد لاح لي آنذاك  
أنه كذلك الجبار الذي قيل له «دونك تلمة أقدمها  
إليك» فنظر إليها وابتم أو لمه قال: «ما أصغر  
هذا الحيوان!»

جلس الملك خلال هذه الأزهار وتلك النيد  
الحسان وكل ذلك البلاط واجماً لا يعبأ بأحد،  
فأدرك الفارس دون تأمل طويل أن أمه في الملك  
خائب وأن قصة غرامه لن تنال شيئاً من اهتمامه.  
وفكر يقول:

«إنني أتمس! ولقد كان أبي محملاً إذ قال لي  
إنني سأرى يبنى وبين الملك هوة وأنا على قيد  
خطوتين منه. من ذا الذي يحميني بل من يقدمني  
إليه إذا ما أفتححت خلوتي؟ هو ذا السيد المطلق  
الذي يستطيع بكلمة أن يغير طاملي ويؤمن سعادتي  
ويحقق أمانى. إنه هنا أمانى، وإذا مددت ذراعى  
لمست زينته، ولكني أشعر أنى أشد ببدأ عنه  
منى عند ما كنت في أقصى قرينى! من لي بأن  
أكله أو أحازه؟ ومن يتجنى إذ ذاك؟»

بينما كان الفارس هكذا متفكراً رأى غانية مُعَصراً  
تدخل وسات الرقة والدة تشع منها. كانت ترتدى  
ثوباً أبيض غاية في البساطة دون ماس أو وشى



فلا يدع للصدق مكاناً . لكن أبرد الشبان أعصاباً  
إذا كانوا شباناً حقيقة ( إذ ليس كل الناس كذلك  
وإن كانوا في سن الشباب ) تمكنوا أن يستبينوا  
هذا الشعور الغريب ، الضمير الجريء ، وانخطر  
الأخاذ ، الذي يستدرجنا نحو الخط . يشعر الإنسان  
بأنه أعمى ويعتني ذلك . لا يدري أين السير ولكنه  
يعتني ؛ والسحرو في هذا الاستخفاف وهذا الجهل  
نفسه ، فهو لذة الفنان إذ يحلم ، والماسك إذ يقضي  
الليل تحت نوافذ صاحبه ؛ وهو فطرة الجندي بل  
وكفاءة المقامر

سلك الفارس سبيل ترابون من دون وعي تقريباً .  
وعلى أنه لم يكن حسن الهندام كما يقال فما كانت  
تنقصه الأناقة ولا العظمة التي تجعل الخادم حين  
يلتقي بك لا يجرؤ على أن يسألك : إلى أين تذهب ؟  
وبفضل بعض المعلومات التي استقتها من فندقه لم  
يسر عليه الوصول إلى باب القصر الخارجي ، إن  
كان يصح تسمية هذا البيت المرمى الصغير الذي  
رأى كثيراً من الملاذ والمتاعب قصراً . وكان  
الباب مغلقاً لسوء الحظ ، وفي المشي الداخلي  
سويسري ضخم مترمل برداء فضفاض يتمشى  
ويداه خلف ظهره فقل من لا ينتظر أحداً

فتساءل الفارس : « لعل الملك هنا ! أو لعل  
الركيزة غير موجودة . وعندنا ما يكون الأبواب  
مغلقة والخادم يتزهدون فمن الدهي أن يكون  
الأسناد موجزين أو خارجين »

ما العمل ؟ فقد اتناه الاضطراب والحنينة فجأة  
بعد ما كان منذ هنيهة يشعر بالشجاعة ورباطة  
الجأش ؛ وكانت تحيفه فكرة كون « الملك هنا »  
أكثر مما أزعجته أمس الكليات الثلاث : « سيمر  
الملك قريباً » لأنها كانت آتت مفاجأة ؛ أما الآن

ليس سوى المشاق — إننا استغنينا البهاء — من  
يستشعرون الجدة إذا كرروا الشيء ذاته

ولما انبج الصباح خرج الفارس يتمشى في  
الدروب وهو يحلم ، ولم يخطر بباله أن يستعين بحماية  
الراهب . وليس من السهل تبليان السبب الذي وقف  
به دون ذلك إذ هو خليط من خوف وجراءة ، ومزيج  
من خجل خاطئ وخيال . وفي الحقيقة لم كان يحبه  
الراهب إذا قص عليه قصة المشية ؟ كان يقول :

— لقد أتيت لك النقاط مروحتي ، فهل  
عرفت كيف تستفيد من ذلك ؟ ماذا قلت للمركزة ؟

— لا شيء

— كان عليك أن تخاطبها

— كنت مضطرباً فأضمت الرشد

— هذا خطأ . يجب معرفة اقتناص الفرصة  
ويمكن تلاقى ما فات . أريد أن أقدمك إلى السيد  
فلان فانه من أسدقائي ، أو إلى السيدة فلانة فانهما  
أحسن وأفضل ؛ وسنحرص على أن نوصلك إلى هذه  
المركزة التي أخافتك ... الخ ... الخ

على أن الفارس لم يكن يبالى شيئاً من هذا  
وكان يحيل إليه — إذا صح التعبير — أنه إذا سرد  
الحادثة أذهب روتها وأفسد بهاءها . وكان يقول في  
نفسه إن الصدفة فعلت من أجله ما لم يسمع بمثله  
ولا يمكن تصديقه فيجب أن يظل هذا سرّاً بينه  
وبين السعادة . وكان يرى أن إفساد هذا السر لأول  
من يصادفه يجرده من قيمته ويظهره غير جدير به ،  
فكان يتاجى النفس قائلاً : أمس ذهبت إلى قصر  
فرساي منفرداً ، فسأذهب اليوم إلى قصر ترابون  
وحيداً . ( وكان قصر ترابون مقام الحظية يومئذ )  
قد يبدو هذا الطراز من التفكير — بل ويجب  
أن يبدو — خيلاً وعتاهية لمن ينعم النظر في المواقف

فهو يعرف نظرتة الصفراء وعظمته القاسية

« وياه ! بأى وجه أقابل هذا الملك الرفيع بعد إذ أحاول الدخول إلى هذه الحديقة كطائش سادر فالتقى به وجهاً لوجه وهو يتناول قهوته على حافة الساقية ؟ »

وتمثل في الحال للعاشق المسكين شبح الباستيل البنيض بدلاً من خيال المركيزة الفاتن الذى ارتسم في مخيلته إذ صرحت باسمة ، ولقد استبان مشارف وأقنية وخيزراً أسود وماء التمدب ، لأنه كان يعرف حكاية ( لاود ) التشرذد الفرنسى الذى ظل سجيناً خمساً وثلاثين سنة لاستيلاء السيدة ببادن منه . فأخذ التأمل يحل شيئاً فشيئاً محل الأمانى التى طارت

وحدث نفسه ثانية قائلاً : غير أنى لم أجتزم ذنباً قط لا أنا ولا الملك أيضاً . وأنا إنما أعترض على ظلامة دون أن أنتقص أحداً ؛ وأمس استقبلت في فرساي بكل لطف ، وكان الخدم جد مهذبين فعلام الخوف إذن ؟ أمن ارتكاب حماقة ؟ سأعمل على ما يرتق الفتى »

اقترب من الباب ولسه بأصبعه ، ولم يكن منقلباً تماماً فانفتح فدخل بثبات ، فانفلت السويسري في سأم وقال : « ماذا تطلب ؟ إلى أين تذهب ؟ »

— أذهب إلى السيدة دى ببادور

— هل أنت على موعد ؟

— نعم

— أين رسالتك ؟ »

ليس لديه كلمة من مركيز كما كان بالأمس ، وليس منه في هذه الكرة كلمة من الدوق دومون ! وأطرق الفارس واجماً فلا حظ أن جوربه الأبيض وأبازمعه

اللامعة قد غطاها التبار ، وكان قد ارتكب خطأ بالجيء مشياً في بلاد لا يثنى الناس فيه ؛ فاطرق السويسري أيضاً ، ثم صعد فيه النظر لاسم فرق رأسه إلى قدمه ، بل من قدمه إلى فرقه ، فبداه الثوب نظيفاً ولكن القبة كانت مائلة قليلاً ولا غبار عليها . فقال :

« ليس معك رسالة . فإذا تريد ؟ »

— أريد أن أتحدث إلى السيدة دى ببادور

— أصحح ! وهل حسنت أن ذلك يجري على هذا الشكل ؟

— لا أعلم شيئاً عن هذا ، هل الملك هنا ؟

— ربما . أخرج ودعنى في راحة

اصفر الفارس لهذه الفتحة رغمًا عنه إذ ما كان يريد أن يستولى عليه الغضب فأجاب : « كنت أقول أحياناً للوصيف أن يخرج ، لكن لم يقل لي ذلك وصيف قط »

فصاح السويسري في حقن : وصيف ! أنا وصيف ؟

— وصيف ، بواب ، خادم وضيع ، إلى لأهتيم بذلك وقلما أعنى به

نفظ السويسري نحو الفارس خطوة وقبضته متشجعتان ووجهه ملتب ، فتحفظ الفارس متهدداً واستل بعض حسامه وقال : « خذ جنرك فإنني شريف نبيل ويكلفني أن أجندل فظاً مثلك ستاً وثلاثين ليلة

— إن كنت نبيلاً فأنا من أتباع الملك ، أقوم بواجبي . ولا تظن ...

سمع عندئذ صوت بوق من بعيد كأنه آت من غابة (سابورى) ثم تلاشى في الصدى ، فترك الفارس

تحسيني ثائراً ولا تفهم أن في جيبى ربيعة لجلالته !  
وأنى من أبناء الريف . لكنك أحمق »

فكان جواب السويسرى أن ذهب إلى زاوية  
أخذ منها رمحه وظل واقفاً كذلك والسلاح في يده  
وصاح بمنف « متى ترحل ؟ » ويظهر أن الشجار  
الذى تنوسى وجده مرة بعد أخرى غداً جداً في  
هذه المرة . وصارت بدا السويسرى الضخمتان  
تضطربان بشكل غريب . ولا أدرى ما الذى كاد  
أن يحدث حينما التفت الفارس فجأة وقال « آه ! من  
هذا القادم ؟ » وكان خادماً ممتطياً جواداً كريماً  
يمدو به ملء فروجه ، وكان الطريق قد توحد من  
المطر والباب غير مفتوح تماماً فتردد القادم ، فتقدم  
السويسرى من الباب ففتحه ، فوكر الراكب  
الحصان بهمازه وكان قد وقف هتية فاندفع فعثرت  
به قائمته فكبا بفارسه على الأرض البليلة

ليس من السهل أبداً إلهاض جواد كبا حيث  
لا سوط يساعد على ذلك ، بل ذلك خطر . وكانت  
محاولة الجواد فاشلة خصوصاً وإن قدم الراكب  
ما تزال تحت السرج . إلا أن فارسنا بادر لمعونة  
الخادم دون أن يلقى لهذه المحاذير بالا ، وما عزم أن  
أهض الحصان وخلص ممتطيه من الوَحْل الذى أخذ  
يقزلق ببطء فقفله حالاً لئلا السويسرى يفلس بدوره  
في المقعد الكبير وقال للفارس : « لا مريمه في أنك  
نبيل ياسيدى ، وقد أسديت إلى خدمة ، فهلا أسديت  
إلى يدى ؟ أجل فتذهب بهذه الرسالة إلى السيدة  
المرکزة بدلا منى لأنها مرسله من الملك ومستعجلة  
جداً كما ترى ، فقد كادت تدق عتق وعنى جوادى  
من أجل السرعة ، وصرت الآن وأنا أعرج أخلقى  
بجمل نفسى منى بجمل هذا الرقيم

سيفه يسقط فى غمده وقال وقد نسى الشجار الذى  
ابتدا :

— ويحك ! إن الملك يخرج إلى الصيد ، فلم لم  
تقل لى ذلك فوراً ؟

— ليس هذا من شأنى ولا من شأنك أيضاً  
— أصغ إلى يا صديق العزيز : ليس الملك  
هنا ، وليس لدى رسالة ، ولم أحصل على موعد . هاك  
ما تصلح به شأنك ودعنى أدخل  
وأخرج من جيبه بضعة فتود ذهبية ، فصبوب  
إليه السويسرى نظرة ثانية باحتقار شديد ، وقال  
بترفع :

— ما هذا ؟ بهذه الوسيلة يحاول الناس  
الدخول إلى دار ملكية ؟ إحذر أن أحبسك فى  
هذا المكان بدلاً من أن أخرجك منه  
فاستعاد الفارس عندئذ غضبه وأمسك حسامه  
ثانية وقال :

— أأنت أيها الخليع ؟  
فردد الرجل الضخم قائلاً : « نعم أنا »  
لكن أثناء هذا الحوار الذى يأسف المؤرخ  
لتعريض بطله له اغبرت السماء وتلبدت بالغيوم وتارت  
عاصفة لمع فيها برق خاطف تلاه رعد قاصف وانهمر  
وابل من النيث فرأى الفارس والذهب ما يزال فى  
يده قطرة ماء كبيرة كالدينار على حدائث الغبر فقال :  
« ويحك ! هلا صرنا إلى ملجأ . إذ ليس من اللازم  
التعرض للبلبل »

وانجبه برشاقة نحو غار مالك (خازن النار) حيث  
دار البواب إذا احتيج إليه ، وهنالك بلا أكثرات  
ألقى بنفسه على مقعد البواب الكبير وقال :  
« وباه ! إلى كم تضايقتى ! وكم أنا تعس ! إنك

أنشأها في كل ناحية كما يظهر ، فالصيد الفلاني حيث كان يتجول جده بجبال أصبح يومتد منقبا بصورة غريبة إلى أجنحة وأقسام غير متناهية وفيها من كل الألوان ، وكان الملك ينتقل كغراشة بين هذه النياض الحريية والخميلة وقد سأل يوما الكونتس سيران الجميلة :-

ألا يشوقك أثاث مقاصيري ؟

فقلت :- لا ! إلى أريده أزرق . ولنا كان الأزرق هو لون الملك فقد أطربه هذا الجواب . وفي الحلة الثانية وجدت السيدة سيران أثاث القصوره أزرق كما رغبت

ولم تكن القاعة حيث كان الفارس آنثذ وحيدا زرقاء ولا بيضاء ولا وردية ولكنها كانت كلها مرايا . ومن المعلوم مقدار ما تجنيه السيدة الجميلة ذات القوام الفاتن من تمكنها من إبداء محاسنها مكررة على ألف وضع فهي تصرع وتستولى على من تود أن تقتنه لأنه أنى نظر رآها فلا يجد إلى اقتائها سبيلا فيضطر أن يفر أو يعترف بخضوعه

كان الفارس ينظر أيضا إلى الحديقة . حيث تتجلى خلال الجفائن والماشي السندسية الأوليد والأواني المرمرية التي يبدو فيها ذوق الرعاة ، وكانت المركيزة تعمل على جملة زيا وطرازا وقد ارتفع بعدئذ لدرجة سامية من السكال والاتقان زمن السيدة بارى والملكة ماري اثوانيت . وكانت تظهر البدائع الخلوية حيث تنزوى الأخيلة التي تذهب اللب . وكانت الحراي الموهة وتماثيل الآلهة الوقورة والهايا كل العلية والأنصاب ذات الرؤوس الكبيرة الجامدة من الهول في صوامع زبرجدية ترى ظهور بستان انكليزي خلال أشجار السرو الداهلة وتكاد

وأخرج الغلام من جيبه غلافا كبيرا مذهبا ومزيناً بنقوش عربية وعليه الخاتم الملكي فأجاب الفارس : « حبا وكرامة ياسيدي » ومضى بعد أن أخذ الغلاف ، يبدو على رؤوس أقدامه بخنفة ورشاقة

— ٥ —

لما وصل الفارس إلى القصر وجد سويسريا أيضا أمام الايوان فقال وقد أبدى الرسالة : « أمر الملك » فما كان الفتى يخشى الحراب في كرتة هذه فدخل جذلا مارا بين نصف دستجة من الخول والاتباع

ورأى الأمر الملكي والخاتم حاجب كبير واقف وسط الدهليز فاجنى بوقار كمنحطة حنثا الرشح ، ثم لس بأحدى أصابعه الهزيلة وهو يتسلم زاوية أحد الجدران الخشبية فانفتح حالا باب سري مغلى بسجادة ، فأشار الحاجب للفارس بلطف فدخل منه وانسدلت السجادة خلفه ، وعندئذ أدخله وصيف صموت إلى قاعة ومنها إلى ردهة فيها أبواب ثلاث أو أربع غرف صغيرة ثم أخيرا إلى قاعة ثانية ووجه أن ينتظر قليلا . فتسامل الفارس : « أنا في قصر فرساي أيضا ؟ وهل نشرع في لعبة ( الطيمية ) ؟ »

لم يكن قصر تريانون يومتد كاله الآن أو كما كان قبلئذ ، وقد قيل إن السيدة منتنون جعلت فرساي مبعدا ، وإن السيدة بيمادور جعلته وكر غرام . وقيل أيضا عن تريانون : إن هذا القصر الخرق الصغير كان عش غرام السيدة مونتسبان . ومهما يكن من أمر هذه الوكنات فان لويس الخامس عشر

وحيدة ، جالسة أمام منضدة وقد التفت بقرقل  
وأستندت رأسها بيدها ، وبدت جد منهمكة . فلما  
رأت الفارس يدخل قامت فوراً وقالت : « هل  
أنت قادم من عند الملك ؟ » وكان في إمكان الفارس  
أن يجيب . ولكنه لم ير أحسن من أن يجثو باحترام  
ويقدم إلى المركيزة الرسالة التي يحملها فأخذتها أو  
بالأحرى تناولتها بحدة بالغة ، وكانت يداها وهي  
تفرض الرسالة تضطربان من فوق الغلاف

كانت هذه الرسالة التي سطرها الملك بيده  
طويلة جداً فالهمتها أولاً بنظرة إذا صح القول . ثم  
قرأتها بحرص ودقة عميقة ، مقطبة حاجبها مطبقة  
شفتيها ، فما كانت وهي كذلك جميلة ولا تشابه قط  
المظهر السحري الذي بدت فيه لدى المجدع الصغير .  
فلما أتت على آخر الرقيم أخذت تفكر ، وبدأ وجهها  
الذي اصفر يتخضب شيئاً فشيئاً بلون وردي خفيف  
( وما كان لديها آنئذ خضاب أحمر ) واستمادت مع  
الدماثة والأنس بارقة من جمال حقيقي لاحت على وجهها  
الصباح حتى ليظن أن خديها وردتان . فتنفست  
الصعداء وألقت الرسالة على المنضدة ثم التفت نحو  
الفارس وقالت له بابتسامة خلابة :

« لقد كلمتك مشقة الانتظار لأنني لم أكن مستيقظة ،  
وما أزال ، ولذا أمرت أن يؤتى بك من القاصير فإني  
سجينة هنا كما لو كنت في بيتي . وبعد فإني أريد أن  
أجيب الملك بكلمة فهل يسوؤك أن تكون رسولي ؟  
ترى الفارس إذ رأي أن من واجبه الإفصاح  
حتى إذا استجمع قليلا من شجاعته قال في حزن :  
— مع الأسف يا سيدي ! إن هذه النلة التي  
تطوقين بها جدي لا أستطيع لها نبلا  
— وكيف ذلك ؟

الجدال الصغير والمبار الصغيرة تحمل على الجنة  
تستبدل بها دار ألبان . ما أعجب سخرية الطبيعة  
التي يقلدها الانكليز وينسخونها دون فهم ! لعبة  
طفل حقيقية أنحت الآث ملهاة سيد كسول  
لا يدري كيف يبدد سأمه من فرساي وهو في  
فرساي نفسها

أما الفارس فكان جد مفتون وجد مأخوذ  
من وجوده هناك فلم تخطر على باله فكرة الانتقاد  
لأنه كان بالعكس مستعداً لإكبار كل شيء ، وكان  
فعلاً معجباً بكل شيء . وبينما هو يقلب الوكنة بين  
يديه فعل القروي بقمته إذا وصيفة حسناء تفتح له  
الباب وتقول بمنوبة :

« تمال يا سيدي » فتبعها ، وبعد ما اجتاز من  
جديد عدة أروقة سرية أدخلته غرفة كبرى لم يكن  
مصرعاهما مغلقين تماماً ، وهناك وقفت وأخذت تصني  
فجل الفارس يقول في نفسه : « لعبة الطيمية  
دأبنا » ومع ذلك فقد انفتح أيضاً بعد مضي زمن  
قصير باب وكررت وصيفة أخرى كانت تبدو أكثر  
جمالاً من الأولى بنفس اللجة نفس الكلمات :  
« تمال يا سيدي »

ولئن كان في فرساي مضطرباً فقد كان الآن  
كذلك مضطرباً محتاجاً ولكن بصورة تختلف  
كثيراً عن الأولى . لقد أدرك أنه ليس أعتاب  
الميسل الذي تحمل فيه الألوهية ، فتقدم خافق القلب  
مستضيئاً بنور لطيف أسدل عليه غطاء فتبدد بعض  
الظلام ، وتأخر الجوبع للذي عبق لا يكاد يدرك ،  
فأزاحت الرصيفة بوجل زاوية سحج حريرى فاذا  
به يرى في أقصى مخدع كبير بسيط الأثاث رائمه ،  
السيدة ذات الروحة - يعني المركيزة القديرة . وكانت

وكانت الركيزة معتادة أمثال هذه الأجاديث كثيراً وإن لم تكن تتفاح بها إلا بصوت خافت ، ولكن يظهر أن الحديث الحالي سرها جداً فقالت :-  
واعتماداً على أي ظن ، وثقة بأى يقين وثقت بإمكان الوصول إلى هنا ؟ إذ يحيل إلى أنك لم تكن تحسب حساب جواد يعثر في الطريق !

— سيدتي . كنت أعتقد ... كنت آمل ...

— ماذا كنت تأمل ؟

— كنت آمل أن تستطيع ... الصدفة ...

— دائماً الصدفة ! إنها من أصدفائك على ما يظهر ، ولكنى أندرک إن لم يكن لك من صديقة سواها فشفاغتك محزنة

ربما أوشكت السعادة الملهة أن تنتقم لنفسها من هذه القصة لولا أن رأى الفارس الذى خيلته هذه الأسئلة الأخيرة على حافة المنضدة المروحة التى التقطها أمس ، فأمسكها وقدمها إلى الركيزة وقد ركم دكوع الباردة وقال لها : « هاك يا سيدتي صديقتى الوحيدة هنا »

غارت الركيزة برهة وأخذت تنظر إلى المروحة تارة وإلى الفارس أخرى وقد بدا عليها الدهول ثم قالت :

— آه ! إنك محق فقد عرفتك . إنك أنت يا سيدى ! أنت نفسك الذى رأيتك أمس بعد التمثيل مع السيد ريشيليو فأسقطت هذه المروحة حيث وجدت كما تكرر القول ...

— نعم يا سيدتي

— فأعدها إلى بكل لباقة كفارس من صميم الفرسان ، فلم أشكرک ، ولكنى مازلت واثقة بأن من يعرف كيف يرفع مروحة يمثل هذه الرشاقة (٥)

— لم أحصل على شرف أن أكون من أتباع

جلالته

— وكيف جئت إلى هنا إذن ؟

— مصادفة وانفاقاً . فقد اتفق أن رأيت فى الطريق خادماً ملق على الأرض فرجاني ... ( ويظهر أن الركيزة كانت آتت جذلة وأن السورور بأنها طامعاً ) فأعادت مقهقهة :

— كيف ؟ ملق على الأرض ؟

— نعم يا سيدتي فقد كبا به حصانه لدى الباب ، واتفق وجودى هناك لحسن الحظ فساعدته على النهوض وكانت مياحه قد توحلت كثيراً فرجاني أن أحمل رسالته

— وأية مصادفة أوجدتك هناك ؟

— ذلك لأن لدى رفيعة أريد تقديمها إلى جلالته

— ولكن لا يقطن الملك هنا

— نعم ولكنك تقطنين أنت

— بخ بخ ! كأنك كنت آتياً تحملين رسالة !

— سيدتي أرجو أن تصديقيني ...

— لا تخش ، فما أنت أول من فعل ذلك ...

ولكن أسألك بالنسبة : فيم تقصدين أنا ؟ مع أني لست إلا امرأة ... كساثر النساء

وعندما فاهت الركيزة بهذه الكلمات فى سخر ، زمقت الكتاب الذى فرغت من تلاوته بظفر ، فأجاب الفارس :

— إني أسمع دائماً القول للثأور : الرجال

يمارسون السلطة والنساء ...

— عيلنها ، أليس كذلك ؟ حسن يا سيدى ، إن

فى فرنسا ملكة

— أعرف ذلك يا سيدتي ولهذا تجدني هنا اليوم !

الحصول على هذا القلب الذى لم تجن من ورائه إلا العار والقضيحة لولى العهد ، وقد انقضت سنوات عشر والرغبة فيه تلتهم فؤادها حتى نالته أخيراً ، ولم تكن تعرف أن السيد فوثر سوى قصة غرامه ولكنما كانت مسرورة به سرورها من خبر مفرح كان الفارس واقفاً فى جود خلف الركيزة يراقبها وهي تكتب بالندفاع ولهفة ثم تفكر وتتقطع عن الكتابة فتلمس ييدها أنفها الصغير الدقيق كالغبر ثم يفرغ صبرها كأن أسراً يضايقها ثم تمضى أخيراً وترمج ، ومن الواجب أن نقر بأن ما تكتبه ليس سوى المسودة

كانت قبالة الفارس فى الطرف الآخر من النصصة امرأة جميلة من صنع البندقية تلمع ، وعلى أن الرسول الجبان لم يكن يجرؤ أن يرفع ناظره ، فقد كان من الصعب ألا يرى فى هذه المرأة وجه وصيفة الملكة الجديدة ، ذلك الوجه المبوس الساحر فأخذ يناجى نفسه قائلاً :

— ما أجملها ! ومن تماسى أى عشيق سواها .  
ولكن (أيتناى) أجل ، ومع هذا فإن التفكير فى ذلك يعد منى خيانة مريعة !

فقاتل الركيزة ( وكان الفارس يجهر بالتجوى دون أن يشعر )

— عم تتكلم ؟ ماذا تقول ؟

— أأنا ياسيدى ؟ إني أنتظر

فقاتل الركيزة وقد أخذت ورقة أخرى

— هأنذا قد أنجزت

ولكن نصيفها سقط عن كتفها عند ما قامت

بمحنة صغيرة كىا تلتفت

إن الزى شئ غريب ، فقد كانت جداننا

البالغة يعرف كيف يرفع عند اللزوم القفاز أيضاً ؛ ونحن النساء نحب هذا

— ليس ما قلت سوى الحقيقة لأنى كدت

أبارز السويسرى أنفأ لنى يجيئ

— ويحك ! مع السويسرى ! وفيم ؟

— لم يشأ أن يدعى أدخل

— لو أضر لخسرنا . ولكن من أنت ياسيدى ؟

وماذا تطلب ؟

— سيدنى إني أدعى الفارس فوثر ، وعدنى

السيد يرون أن يجعلنى ضابطاً صاحب العلم

— حقاً لقد تذكرت أنك آت من نوفليت

وأنت عشيق الأنسة أنيبول

— سيدنى من الذى استطاع أن يقول لك ؟

— آه ! أنذرك بأننى ممن يرهب جانبهم وأنا

أحزر عند ما تخوننى الداكرة أنك قريب الراهب

شوفلان وقد رفضت من أجل هذا . أليس كذلك ؟

أين رفيمتلك ؟

— هاهي ذى ، ولكنى حقيقة لا أقدر أن أفهم

— وفيم الفهم ؟ أمض وضع ورقتك على هذه

المنضدة فإني سأجيب الملك فتحمل إليه طلبك

ورقمى معاً

— ولكنى أظن أن قد قلت لك ياسيدنى ...

— ستذهب . فقد دخلت إلى هنا من عند

الملك ؟ أليس كذلك ؟ حسن ! وستدخل إلى هناك

من عند الركيزة بمبادور ومنضدة شرف الملكة

فانحنى الفارس دون أن ينبس بينت شفة وقد

أجذته الدهشة ، فقد كان الناس كلهم يعرفون

منذ زمن طويل ما حاكت الحظية من أحاييل وما

دبرت من حيل . ومكائد ، وكل ما قاومت فى سبيل

ولست جرساً صغيراً ثم مدت للشاب ذراعاً عارية بعد أن دفت عنها موجة من الوشي (اللهاتلا) فأنحنى هذا كربة ثانية ولس بأطراف شفتيه أنامل المركزة الوردية فلم يجد في هذا العمل وقاحة لاستحالة أن يكون ذلك بل رأت فيه شيئاً غير قليل من التواضع

ولم تلبث الوصفات الصغيرة أن ظهروا (و لم تكن الكبيرات قد استيقظن بعد) وكان خلفهن الرجل الهزيل كالتيث في القطيع ، وكان يشير إلى الطريق بابتسام

— ٦ —

كان الفارس قابلاً في غرفته الصغيرة في فندق الشمس غريباً في مقعد عتيق فقد انتظر القد وما تلاه دون أن يتلقى خبراً فجعل يقول :

« يالها من امرأة غريبة ! حولة وقاهرة ، طيبة وخبيثة ! أكثر النساء استهتاراً وأشدهن عناداً ! لقد نسيتني ، أواه يا للتماسة ! إنها محقة لأنها قادرة على كل شيء وأنا لست شيئاً

ثم قام وصار يدرع الرفقة ويقول : « نيم لاشي » لا ، لست إلا فقيراً مملوئاً ، ولم ينطق أبى بنير الصواب فقد سخرت مني المركزة . ولقد أعجبها جمالها فحسب إذ كنت أنظر إليها فكانت جد مقبولة لرؤيتها في هذه المرأة وفي عيني تأثير محاسنها التي لا تضارع وإيم الحق . نعم إن عينيها صغيرتان ولكن ما أطفهما ، وهي صغيرة الجسم ولكن قامتها هيفاء !

آه ! يا أيها الأنسة انيول !  
آه ! يا صديقتي الغالية ! هل أستطيع أن أنساك أنا أيضاً ؟

لا يبالين الذهاب إلى البلاط بثياب فضفاضة تدع أعناقهن عوارياً ويجدن ذلك أمراً فاهماً ليس فيه شيء من الغلظة ، لكنهن كن يسترن بحرص ظهورهن التي تبديها عادات اليوم في الرقص والمسرح وهذا من مستحبات الجمال وطرائفه

كان يوجد على كتف السيدة بيمادور التحيل البض الأخاذ شامة صغيرة سوداء تشبه ذبابة واقعة في الحليب فجعل الفارس ينظر إلى هذه العلامة برصانة كطائش يتكاف الوار ، وكانت المركزة تنظر إلى الفارس وقد رفعت ريشتها في الهواء ففي هذه المرأة تبودلت نظرتان لا تخطئ النساء فهمهما ؛ ومعناها من جهة : « أنت ساحرة » ومن الجهة الأخرى : « لست مستاءة من هذا »

إلا أن المركزة أصلحت نصيفها وقالت : « إنك تنظر إلى شامتي ياسيدي ؟ »

— أنا لا أنظر ياسيدي وإنما أرى يا كبار —  
— هاك الكتاب غفده ورفيعتك إلى الملك —  
— ولكن ياسيدي ... —  
— وماذا تريد بعد ؟ —

— جلالة الملك في الصيد فقد سمعت آنفاً صوت البوق في غابة سافوري

— حقاً . إنني لم أظن لذلك . حسن ! فليكن غداً أو بعد غد إذ لا أهمية لذلك . ولكن لا ، حالاً ، اذهب وأعطها إلى (لويل) . الوداع ياسيدي . واجتهد ألا تنسى أن هذه الشامة التي رأيت الآن لم يرها في الملكة سوى الملك وسوى صديقتك (لمصادفة) . ورجائي أن تقول لهذا الصديق ألا يعتاد الجهر في سرد أسرارهم إذا كان وحيداً كما فعل الآن . وداعاً أيها الفارس



- ودق الباب بجفاء دقتين أو ثلاثاً فقال : « من هذا ؟ » وإذا بالرجل المزيبل مرتد سواداً وجورين حريين يشفان عن ربلي الساقين الضامرتين قد دخل وحياء في احترام وقال : « ستقام الليلة حفلة رقص مقنع في البلاط ، وقد أرسلتني سيدتي المركيزة أقول لك إنك مدعو
- حسبك يا سيدي وإني أشكرك شكراً جزيلاً !
- وما إن انسحب الرجل المزيبل حتى أسرع الفارس إلى الجرس فقرعه فأتت نفس الخادم التي ألبسته حسب معرفتها من ثلاثة أيام ، وأخذت تساعده نائمة على ارتداء نفس الكسوة المشوشة بالذهب وحرصت جهدها على أن تجعله أنيقاً
- مشى الفتى بعدئذ نحو القصر حيث كان مدعواً في هذه المرة وقد اصطنع الهدوء ولكنه كان أكثر سخطاً وأقل جرأة منه عند ما خطا في هذا العالم الذي كان مجهولاً لديه خطوته الأولى . أذهلته روائح فرساي في هذه المرة بمقدار ما أذهلته في المرة الأولى . ولم يكن القصر ليلتذ خالياً فكان الفارس يسير في الردهة الكبرى ناظراً إلى جميع الجهات حرصاً على استكناه سبب وجوده هناك فلم يلبخ له اقتراب أحد منه . وما انصرفت ساعة حتى سئم وعول على الانصراف لولا أن استوقفته لادن مروءة سيدتان على وجهيهما قناعان متشابهان كثيراً . وكانتا جالستين على مقعد . سددت إحداها إليه أصبعها كأنها ممسكة غدارة فهضت الأخرى وجاءت إليه فأخذت بذراعه في تراخ وقالت له : « يظهر يا سيدي أنك على ما يرام مع مركيزتنا »
- أستمحك يا سيدي عفواً ، عمن تكلمين ؟
- إنك تعرف المقصود جيداً
- لا ، قطعاً
- عجباً ! ولكنه الواقع
- أبدأ
- كل البلاط يعرف ذلك
- ولكنني لست من البلاط
- إنك غر ، فقد قلت إنه قد عرف ذلك
- هذا يمكن يا سيدي ولكنني أجهله
- على أنك لا تجهل أن خادماً وقع لدى باب قصر تريانون أمس الأول . أو لم تكن هناك مصادفة ؟
- بلى يا سيدي
- أما ساعدته على النهوض ؟
- لقد فعلت يا سيدي
- أو ما دخلت القصر ؟
- دون شك يا سيدي
- هل أعطوك ورقة ؟
- نعم يا سيدي
- وقد جلبها إلى الملك ؟
- بالتأكيد
- لم يكن الملك في قصر تريانون بل كان في الصيد وكانت المركيزة وحدها ... أليس كذلك ؟
- بلى يا سيدي
- وكانت قد استيقظت منذ هنيهة وما تزال شبه عريانة لولا تصيف كبير .
- إن أولئك الذين لا يستطيع منهم من الكلام يقولون ما يدور في خلدكم .
- حسن جداً . ولكن يظهر أنك تبادلنا نظرة لم تسوفا
- ماذا تقصدين بهذا يا سيدي ؟

— أنك أعجبتها —

والبرلمان ؟

— خطي لك كلمة فيهاك المركبة ولا شك أن لك الفائدة العظيمة والشكران الجزيل ...

— أطلب عفوك ثانية ياسيدي ، ولكيما

تطيلين دناءة

— وهل في السياسة مروة ؟

— لا أعرف ذلك . لقد أسقطت السيدة ببادور مروحتها أمامي فالتقطتها وأعدتها إليها فشكرتني وسمحت لي بكرم أخلاقها أن أشكرها بدوري

— دعنا من المجاملات فإن الوقت ينقضي .

إني أدعي الكونتس دستراد وأنت تحب الأنسة أنيول ابنة أخي ... لا تقل لا ، فلا فائدة من إلا نكار . إنك تطلب وظيفة صاحب العلم في الحرس .. ستناها غداً ، وإذا كانت اتيناني تعجبك فستندو حالاً صهرى

— آه ياسيدي ! ما هذا الاحسان الفياض ؟

— ولكن عليك أن تتكلم

— لا ياسيدي

— قل لي إنك مدنف في حب هذه الفتاة مدله

— بكل جوارحي . ولكن يجب أن يظل

شرفي إذ أنها غراي

— إنك عنيد جداً أيها الفارس ! أهذا

جوابك الأخير ؟

— إنه الأخير كما كان هو الأول

— أرفض الدخول في الحرس ؟ ورفض يد

ابنة أخي ؟

— نعم ياسيدي إن كانا بهذا الثمن

— لا أدري شيئاً من هذا ، وإنما سيمصرنى

إلى القنوط أن أرى المروءة النادرة واللطف الذي لم أكن أتوقع والذي كان بالغ الأثر في أعماق نفسي يغدون سبب دسائس شائنة

— لقد احتاجك الغضب سريعاً أيها الفارس .

ويلوح لي أنك ستدعوني إلى البراز كل من في البلاط

فلا ينتهي بك الأمر إلا بعد أن تردى كثيرين

— ولكن إذا كان هذا الخادم قد سقط

وإذا كنت قد حلت رسالته ... فأعذربي إن سألتك علام سئلت ؟

فشدت السيدة القنعة على ذراعه وقالت له :

— أصح إلى ياسيدي

— بمقدار مايسرك ياسيدي

— إليك ما تفكر فيه الآن : إن الملك لا يحب

المركبة قط وليس من يمتد أنه أحبا من قبل .

أما هي فلم تكف بارتكابها جريمة إغلاق البرلمان

وإلقائه هو وضريبة الداهين ظهرياً ، بل هي تجرؤ

اليوم على أن تحارب سلطة أعظم كثيراً وهي سلطة

اليسوعين ، وعلى أنها ستفشل فأنها ذات أسلحة

تدافع بها عن نفسها قبل أن تهلك

— حسن ياسيدي ، وماذا أستطيع أن أفعل ؟

— سأقول لك : إن السيد ( شوازل ) مستاء

من السيد ( برني ) وكلاهما ليسا واثقين من التجربة

التي يزيدان القيام بها . وبكلمة منك يتمكن شوازل

أن يحل محل برني

— وبأي صورة ياسيدي ، أرجوك ؟

— بأن تروي بأ زيارتك بالأمس

فخدجته بنظرة ملؤها الفضول والاستكناه ،  
ثم ابتعدت ببطء إذ لم تر على وجهه أثرًا للتردد  
واختفت بين الجماهير . وجلس فارسنا الذي لم يفهم  
من هذه الحادثة الغريبة شيئًا في زاوية من زوايا  
الردهة وجعل يناجي نفسه قائلاً : « ماذا تريد أن  
تفعل هذه المرأة ؟ لا شك أنها مختلة الشعور ، إنها  
تريد إحداث انقلاب من أجل وشاية حقاء وتعرض  
على أن أؤنس شرفي من أجل الحصول على يد ابنة  
أخيها ! ولكن (أنتيناي) لا ترضاني ، بل إنى أرفضها  
إن كان الحصول عليها يحتاج إلى دسيسة كهذه !  
ماذا ؟ أعمل على خراب هذه الرميكة الطيبة  
وقضيختها وعارها ؟ أبدًا ! لا ، أبدًا ! »

ظلم الفارس على إصراره ومقاومته حتى أوشك  
أن ينهض فيتكلم جهراً لولا أن لست كنته في خفة  
أعلة وردية اللون فرغ عينيه فرأى أمامه القناعين  
التشابهين اللذين أوقفاه من قبل ، وقالت له صاحبة  
أحدهما وقد غيرت نبراتهما :

« ألا تريد إذن أن تساعدنا قليلاً ؟ » فلم يتخددع  
الفارس على رغم تشابه الثوبين التام ورغم الجهود  
المبذولة لإزالة الفرق بينهما ، إذ لم تكن النظرات  
ولا التبرات ذاتهما في السيدة الأولى . وكررت  
الكلمة قائلة :

أجيب أيها الفارس ؟

— لا يا سيدتي

— أنتكبي ؟

— ولا هذا أيضاً

— مازلت على مكابرتك وإصرارك إذن . مساء

الخير أيها اللامزم !

— ماذا تقولين يا سيدتي ؟

— هاك شهادتك وصك زواجك

وألقت إليه مروحتها فإذا بها تلك التي انقطعها  
مرتين من قبل ، وكانت الأصداف المذهبة تتألأأ  
وبينها نقش الصور التي عرفها فلم يبق عنده مجال  
للشك في أنها مروحة السيدة بمبادور فقال :

— يا للسماء ! أهذا ممكن أيها الرميكة ؟ فقالت  
وقد خسرت اللثام الأسود الشفاف :

— كل الامكان

— لا أدري يا سيدتي كيف أجيب ...

— لا حاجة لذلك . إنك رجل مهذب أديب ؛

وستنتقي لأنك عندنا ، فقد جعلك الملك صاحب العلم  
الأيض . تذكر أن أكبر بلاغة يتمسك بها الراجي  
هي أن يستطيع السكوت عند اللزوم . وأردفت  
ضاحكة وقد هربت : « ساعنا إذا حصلنا على  
معلومات قبل أن نمطيك ابنة أختنا »

(دمشق) مظفر البقاعي

## رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرئين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

الرقم ١٢ قرشاً

اسبر  
لا  
القلب  
ولا  
المعدة

[illegible]

قوصان منة سبر  
مع شرب اللبن  
الساخن يزيل  
الوقاوت  
في الحرة واحدة

بالبيرة والرو  
ماتزم وإرجاع  
النساء والأولاد

**'ASPRO'**

النساء والأولاد اسير في غير علاج لربها

اسپر

المسحوق والذئبق والقطران أو أي صمغ الحامض  
من قصبه إلى ثلثة أوقية كل واحد مع غيره حتى يعود  
بمعية فالاصبر في بعض المرات في دقايق قليلة  
عشره في قصبه في دقايق ماضية فوالله اعلم  
وقال في الاصبر في نصفه في نصفه في نصفه  
عليه . اعلم بغيره وانفذ نفسك .

## ماذا يعمل

نور کھانا

پنج پ. بشریدان و شکرگاہ

۲۱ تاریخ طبع میر

۹. تابع موسسه البوگنزاره

تاجپور

اسير وياع في جميع الامارات وخارج الامارات  
٥ مليون ١٠ ايرس ٢٧ رشا ٢٧ رشا ٥ موش

۲. وِصَاو

٢٦٣٤٠ -

47

حتى غدا من طول  
الانحناء لا ينصب قامة  
ولا يقيم ظهرآ ؟ فإذا  
ترك !؟ انني أُجِيل  
عنيّ هنا وهناك فلا  
أرى إلا هذا الثور  
المهزبل وذلك البهم  
لا يمتنى يوم أو يومان

# المِثَاءُ الْمِلْحُ

## لِلأُسْتَاذِ أَدِيبِ عَبَّاسِيٍّ

ورث يوسف الجمال عن أبيه بضعة عشر فدانا  
من الأرض، ونظر حوله فلم ير غير هذه الأفدة  
وزوجة وصيّا في الخامسة من عمره وطفلة مازال  
تحبو، وحيوانين هزيلين يستخدمهما في فلاحته .  
وفكر مليّا ماذا يصنع وكيف يسير بقية الطريق ؟  
أيستمرّ يستغلّ الأرض ويستندرها وهي هنا  
— على سيف الصحراء — كثيرة الطل عسيرة  
الحلاب شديدة الخل، إذا جادها الثبت — وهو  
شحيح — فما الزرع، لم يسلم من ريح الشمال  
تجفّفه وتذويه، أو الريح الشرقية تلفحه وتذريه، أو  
البودة تعمش في خيوطه وتأتي عليه، أو الجراد يحط  
على الحقل أخضر مرمعا ويتركه أحمر كالخا لآحية  
ولا نماء فيه ؟ أغضى يطلع الأرض ويزرعها، وتلك  
هي احتمالات الثراء السريع الذي يشده وتغمض  
على صوره عيناه وتطيف بها أحلامه في اليقظة وفي  
النائم ؟ « كلا ! كلا ! فالأرض التي لا تعطى إلا  
الكفاف حين تعطى لا يفتأ المرء لاسقا بها مشدودا  
إليها ما عاش . وأن من ارتفع وجهه عن الأرض  
ممن ركنوا إلى الأرض ؟ ! هذا والذي رحمه  
الله، ألم يقطع أربعين عاما عتيا فوقها مكبوبا عليها

حتى ينفق مما أرقه النير ويهبط الثور قرينه في  
الميل عليه والاسراع في السير دونه . وثبت أدري  
ماذا يكون حالنا هذا العام إذا تأخر المطر أسبوعا  
آخر أو أسبوعين ؟ إن لدينا ما يكاد يوصلنا إلى بدء  
الحصاد، ولكن ماذا نصبر إليه بعد أوان الحصاد  
إذا ظلّ وجه السماء أمدا آخر على جفافه الشديد  
ومجوده الموثس فصوّح الثبت وهلك الزرع الذي  
نما مع البدر<sup>(١)</sup> ودلّت تباشيره على الخير  
الوفير، ولكن شول<sup>(٢)</sup> النيم بعده واقطع القطر  
فصدى الثبت وجفّ وأوشك أن يزول ؟ »

هكذا شرع يوسف الجمال ينجاس نفسه لما  
نظر حوله ورأى الفقر والخصاصة اللذين خلّف  
له والده . وفكر مليّا ماذا هو صانع، أيستمرّ يفلج  
الأرض ويزرعها وتستمرّ آماله تتراوح بين أقصى  
الأيأس والرجاء تبعا لانحباس المطر أو إغداقه .  
وهل في ذلك ما يحقق الآمال المسولة والأمانى  
المذاب ؟ « ثم لم لا أكون كوسى و خليل  
التاجرين توفيقا ويسرّ حال ؟ ولكن أواه أين

(١) البشري : المطر قبيل الشتاء

(٢) يقال شولت الناقة إذا اطمع لها

الشعور في صدر الزوج فأطرق بفكر ... ولكن لم تلبث صور الثراء السريع والميش الموطأ أن رقست في خياله دورة أو دورتين حتى انحسر عن صدره شعور الحنين واللغة الذي أنارته زوجه بمحدثها، فرفع رأسه وخاطبها بحفاة  
لقد عزمت على الخلاص من غناء الفلاحة وأتمناها، فلا تلجى في الجدل ولا تهادى في النصح والاشفاق. إنني سوف أكون تاجراً ك هؤلاء التجار الذين يقضون أوقاتهم في لعب « الطاولة » أو « المنقلة » أو القمار أو في الجلوس والحديث، ثم في التهويم والنوم وما إليها من أسباب التلذذ وبواث اللذة ولم تجادل الزوجة. فعنى تعرف من عناده وإصراره ما لا يجدى معه جدل ولا حوار

\*\*\*

قبض يوسف الثمن بضع عشرات من الجنيهات وأستاجر دكاناً وحشد فيه من السلع كل ما قدر له الزواج السريع ووطن فيه الربح الوفير. وجلس على كرسي في ركن من الدكان ينتظر تهافت الشارين عليه وإدراكهم إياه بكثرة الطلب والمجادلة في جودة السلع وأتمناها. ولكن ارتفع النهار وأقبل الظهر دون أن يؤم دكانه شار؛ وبعيد الظهر جاءت صبية صغيرة بيضتين تطلب قفلاً. فقبض قبضة وصرها في ورقة، ولكن الصغيرة استقت الكمية وطلبت المزيد، ولما لم يزدها استردت البيضتين ... وعزى يوسف نفسه بأن الناس لا بدّ مقبولون عليه متى علموا مكانه من السوق وعلموا جودة البضائع عنده ورخصها. ولا حاجة إلى القول بأن النهار الأول مضى دون أن يبيع بما يزيد عن بضعة قروش. وجاء النهار التالي ولم يكن خيراً من سابقه، وكذلك اليوم الثالث والرابع إلى آخر الأسبوع. وعندها أخذ الشك

(٦)

رأس المال، وكيف أبداً التجارة كما بدأها؟ ولكن هل من اللازم أن يكون المرء تاجراً وزارعاً حقاً؟ ولم لا أبيع هذه القنادين بمحصولها هذا العام فأخلص إلى الأبد من كدّ الفلاحة وعسرهما، وأتخلص من ريب المحل هذا العام وكل عام؟ وعرض يوسف الجمال رغبته هذه على أهل البلدة، فتقدم حلاً من اتباع الأفدنة بنقلها، إذ ليس يجفو الفلاح الأمين الأرض مهما جفته وقبت عليه، ولا ينقطع له منها رجاؤه مهما تقطعت أسباب الرجاؤه. وهو يعلم بعدئذ أنها مهما جفته لا تخذله، ومهما ضغفت عليه لا تسحقه، وإنما يخرجها جليداً على الشدة أياً على اليأس

ومن الإنصاف أن نذكر أن زوجة يوسف لم تكن راضية عن هذا التبديل والتحول من استقرار الزراعة إلى مغامرة التجارة. وفي أسبوعية اليوم الذي جرت فيه صفقة البيع جاءت بعينين مغرورتين وأجداً مخضلة وخاطبته: ماذا أنت صانع يا يوسف؟ أتبيع الأرض التي حفظها لك أبوك أربعين عاماً كما حفظها له أبوه وحفظها كل أب لابنه وجد لحفيده حتى وصلت إليك غير منقوسة ولا متحفية؟ ألا تحس بأننا نفقد شيئاً غير التراب والحجارة إذ نفقد الأرض؟ برك ألا تشتاق الحين بعد الحين أن ترى قطع هذه الأرض التي تنل والتي لا تنل، وتجوس خلالها وفي صدرك مثل الذي تحسه لولديك أو منزلك حيناً تنيب عنهم أمداً طويلاً؟ تصور كم دغدغ أبوك وأجدادك صور هذه الأرض بمحاربتهم، وكم توسدوا نراها وحلموا الأحلام فوقها! وكم قاتتهم وبنت أجسامهم القوية بما تدر وتنتج! تصور هذا يا يوسف وانظر أى شيء نفقد مع البيع! وكان حديث الزوجة قد نفذ شيئاً إلى مكان

ثمن إذا وجد خيراً منها دله على أنك لا تقيم وزناً كبيراً لفضيلة الصدق . أما قولك أنك تبني السلفة بلا ربح فدلالة الكذب فيه واضحة ، إذ لماذا أنت هنا إذا كنت تبني السلفة برأس المال متجاوزاً عن الربح ؟ وهب أنك أخجلت الرجل فاتباع السلفة فهو ليس بمائد إلى دكانك مرة أخرى ، فالشارى يجب أن يكون حراً فى كل شيء ، حراً فى الاختيار ، حراً فى تعيين الثمن ، حراً فى ألا تظن فيه الكرازة وحب الماكسة ؛ وإذا استشرشتك من ذلك فى دكان من الدكاكين فليس بمائد إليه . هذه أمور لمالك تجهلها لقلّة خبرتك بشؤون السوق وتركك مشتري حاجات البيت لى . وكما ألححت عليك أن تقوم أنت بشراء ما محتاجه فكنت تمتدّر بأن تنبيك فى شئون الفلاحة سحابة النهار لا يسمح لك بارتداد السوق ومعرفة جيداً . وإذن إليك ما أفدته بالخبرة من هذه الشؤون ، وما هو خليك أن يجتنب الشارين ويحسن الحال : عليك أن تبسط وجهك وألا تكتر من التوكيد والأقسام ، وأن تكون صبوراً ، وألا تشعر الشاري شيئاً من الضيق والمخرج أو الاحتقار ، فليس أقتل للتجارة وأدعى لبوارها من هذه . اعرض حاجتك عرضاً مقبولاً وأرح نفسك وأرح الشاري من الأيمان ، فعلى أن تردده يقيناً بما تقول . امتدح السلفة ودل على صفاتها ولكن باعتدال . وإياك ومثل هذه الأقوال : « إن سلمي خير مافى السوق ، وإنني أعطيكها بلا ثمن » وغيرها مما لا يفيدك شيئاً إلا اعتقاد الشاري أنك تكذب وأن السلفة قد تكون من الرذالة بحيث تحتاج إلى كل هذه الأقسام والتوكيد . ثم إياك أن تبدى شيئاً من الدهشة أو الامتناع مهما عرض الشاري ثمناً للسلفة . أفعمه بلفظ أن الثمن الذى يعرضه هو دون ما يستطيع بيعها به ؛ وإذا خرج لم

يدب إلى نفسه والواسوس تساوره ؛ وأغضى إلى زوجته بما أخذ يتدسس إليه من ريب وشكوك غفائطته بقولها : عليك أن تبصر هنا يا يوسف صبرك على الأرض أو أكثر ؛ وأزبدك أن احتمال الخسارة الفاجئة هنا أشد وأنكى . فانت فى الفلاحة إذ تفقد بعض ما تفقده يعوِّض عليك عنه غالباً فى السنوات الآتية ، والأرض بعد باقية لك ، ولكن الخسارة فى التجارة منهاها الدمار والخراب . وكمن من تاجر أصبح فى نعم وبلهنية وأمسى فى شقاء الفقر وضيق القافة ؛ فواجبك إذن الصبر وطول الأناة .

وعلى كل أحب أن أنزل غداً لأرى كيف تبني وفى صباح اليوم التالى نزلت الزوجة وجلست بين الجدار وبين رفوف السلع القائمة بحيث ترى ولا ترى . وجاء أول شار فقام زوجها وعلى وجهه جهومة الارتياح وكدرة الهم وأحضر حاجة الرجل ، فقبلها هذا بين يديه فلم تمسحه وطلب خيراً منها ، فأجابه يوسف : إن هذه السلفة خير ما عندى ، ولن ترى أحسن منها فى جميع السوق . وأقسم لك بشرفي أنني أدفعها لك بلا ثمن إذا وجدت أفضل منها ؛ ثم إننى أكتفى منك ثمناً لها برأس المال . إلا أنت الشاري هز رأسه وخرج لم يشتر شيئاً . ولم تظن الزوجة صبراً فخرجت إليه وقالت : الآن علمت لماذا يتجنب الناس دكانك ؟ تعلم أن أكثر الناس يكرهون النبوس والاكتفهرار فى وجه التاجر ، فلكل الناس همومهم ؛ ويجب ألا تضيف إلى همومهم همك . ثم إن لجاحك وإلحاحك على أن حاجتك هى أحسن الحاجات يثان الشك والريب فى نفس الشاري . فالناس تعلم بالخبرة أن التاجر لا يطيب فى امتداح السلفة إلا إذا كان يشك هو فى جودتها ، وإلا ترك هذه السلفة تملن عن نفسها بنفسها . ثم إن توكيدك الأقسام بأنك تقدم السلفة للشارى بلا

وعلى كل فأما محصن نفسه من الآن وعازم ألا يزيد  
البلغ الذي أقامر به على بضعة قروش  
وفي الليل أم يوسف مجلس المقامرين في أحد  
الدور المتطرفة ، وتلطف به القمارون القدماء فقام  
وقد أضيف إلى عشرة القروش التي جاء بها عشرات؛  
وانسكفاً إلى بيته وإها به لا يكاد يسمعه من فرط  
السرور ؛ وأيقن بأن نجمه أخذ في الصعود وأنه  
لا بد مدرك الثراء السريع وتحقيق أحلامه بمجملتها  
وسأته زوجته فيم كان تأخره ، فتلطف لها  
بالاعتذار ودفع إليها حفنة من قطع النقود المختلفة ،  
وسأته في هذا البالغ الكبير من أين جاء ، فأجاب  
بأن توفيقه في البيع ذلك النهار كان توفيقاً نادراً  
وعاد يوسف طبعاً إلى مجلس القمار في الليلة  
التالية ، وعاد إلى الكسب والخسارة كما كان يميل  
للمقامرين الماهرين حتى لا يئوسوه من القمار قبل أن  
تتمكن عادته منه ، وعندها ما أسهل أن يجردوه من  
كل ما لديه

وهكذا مرت الليالي وصاحبتنا لا ينفك يقامر  
ويقامر . وفي خلال ثلاثة أشهر افتقد ما لديه من  
الدراهم التي كان ينوي أن يبتاع بها بضاعة جديدة  
في أول الموسم ، فأصبحت يده صفراً . وهنا شعر  
كأن قلبه يهبط من موضعه ، وكأن ماء بارداً يصب  
على جسمه . فلم يكن يقدر أن القمار يفعل به كل هذا  
الفضل ؛ ولم يكن يجرؤ أن يجرى حساباً على ما لديه  
حتى يظل على اطمئنان الجهل بماله ، وما أودى به  
القمار من ماله . وكانت هذه الصدمة تميد إليه رشده  
لأنه لم تكن المادة قد استحسنت منه إلى الحد الذي  
يكاد يستحيل الفكك منها عنده . ومن هنا صار  
همه بعدها أن يبيع في النهار ما يستطيع بيعه  
ويذهب في المساء يقامر به غداً يسترد بعض  
ما يفقد ، ولكن هيات ! فقد أعمته الخسارة وأضحى

يشتر شيئاً فلا تشيعه بدمدمة الامتناع وعبوس  
الفشل . ثم الزبح ، اكتف منه بالقليل تبع كثيراً  
وتربح . وبالجملة عليك أن تجعل علاقتك بالشارى علاقة  
مقبولة غير منفردة

\*\*\*

وكان يوسف استفاد من نصائح زوجته الذكية  
وخبرتها الصحيحة ، فتحسنّت عنده نسبة المبيع  
اليومي ، فبش وتطلق وجهه بعد أن كان يقالب  
نفسه مغالبة على اصطناع البشاشة والخبور .  
وسارت الحال سيرها الطبيعي عاماً وبمض المام ،  
وحسب يوسف أرباحه عند نهاية المام فوجدها  
لا بأس بها ، وإن كانت دون ما كان يؤمل من  
النقى الفاجئ وهو شهوة المتحكمة وهواه الكمين  
الذي طلق الفلاحة من أجله ... وعلى كل فقد  
عزم على أن يمضي في هذا السبيل قدماً ، فليس  
بعيداً أن يصبح في خلال بضعة أعوام كأغني تاجر  
في البسلة . ثم ألا تيسر له هذه التجارة حياة الدعة  
والراحة كما كان يتشهى ويأمل ؟

غير أن جروح الخيال وزق الشهوة جعلاه على  
غير استقرار من أمره ، فعاوده هوى النقى السريع  
على مستوى جديد أعلى من مستواه الأول . وإذن  
فتجارته هذه بمجالها المحدودة لا تنبئ وطراً ولا تبئنه  
غاية . فإذا يصنع إذا ؟ قام في نفسه هذا السؤال  
وأبى أن يتراجع ؛ وعندها أحس كأن شيئاً من  
داخله يوسوس له ويهتف به : ما شرك يا يوسف  
لو جربت حظك — كما يجرب الناس حظوظهم —  
في القمار ؟ وأراد يوسف أن يطرد من صدره كل  
ما يبعث على التردد فيا وسوس له به ، فقال : لن أقامر  
بمبالغ كبيرة ، يكفي ربح يوم واحد . هاهم أولاء أناس  
أعرفهم لا يفتأون يقامرون ومع ذلك لم يفترقوا  
ولم تخرب بيوتهم ، كما يقال عادة عن عواقب القمار .



لك البيت لتبنيه حيناً تحتاج إلى ثمنه .. ألا يسرك هذا ؟ !

— أرحوك يا مريم ، أرحوك ! لا تفضحيني !  
أقسم لك بشرفي وروح والدتي أن يكون هذا آخر عهدى بالقار ! كفى ما جره علينا من دمار .  
وقام إليها يترضاها وقبل جبينها حيناً ووجنات الطفلين حيناً آخر . وما زال بها حتى فتر عزمها على الذهاب ، فمادت إلى البيت وذهب هو إلى عمله  
\*\*\*

وعادت الأمور إلى مجاريها واسترد يوسف شيئاً من نشاطه بعد أن انقطع عن القمار ، وكاد يلم شعثه ويرأب بعض الصدوع في تجارته التي أوشكت على البوار ، وظل حاله في اتعاش إلى أن هبط البلدة رجل غريب يحمل كتاباً في كيس من قماش ، ولم يطل المقام بهذا الرجل الغريب حتى شاع في البلدة أن لديه في كتابه مفااتيخ الكنوز التي خلفها الأوائل والتي لا تزال مطمورة في الخراب والقبور القديمة المبتوثة حول البلدة . وبحكم الملة المستحكمة والهوى الزمن كان صاحبنا يوسف أول المصدقين لما أذاع الرجل عن نفسه من القدرة على كشف الكنوز . وفي ذات مساء دار حديث بين يوسف وهذا الرجل كانت نهايته كالآتي :

— أتؤكد لي أنك قادر بكتابك وسحرك على الاهتمام إلى مواضع الكنوز وكشفها يا أبا ميسور ؟

— ثق بهذا وثوقك بأن في وجهك عيين وفي يديك عشر أصابع

— ماذا لو شرعنا في البحث إذن ؟  
— ولكن البحث يحتاج إلى أشياء يا صاح :  
يحتاج إلى الخبوز وغيره مما نستعين به على طرد الأرصاء التي أقامها الأولون على هذه الكنوز لتضلل

من اليسير على المقاصرين الماهرين أن يخدعوه ويحجروا عليه النش في اللعب . وكانت زوجته تسأله عما صارت إليه تجارته ، ولم ترى البضائع تذهب ولا يوتي لها بموضع ؟ فكان يجيبها أجوبة فيها امتعاض وصرف عن التماس في السؤال . وأخيراً عولت على معرفة الحقيقة من طريق آخر . ولم يطل بها البحث حتى عرفت كل شيء

وعاد يوسف كمادته متأخراً إلى إحدى الليالي فوجد زوجته ما زالت جالسة عند رأس ابنها ورأسها منكس إلى حجرها ، فهمس متكلفاً السرور والقبلة ، إلا أنها رفعت رأسها ولم تجبه بشيء ، وإنما كلى على وجهها التجهم وفي عينيها الحمرة والآنار الدمع على خديها ما صرفه إلى فراشه دون أن يتيسر بيت شقة . فلقد شعر بأنها عرفت حقيقة حاله وما آل إليه أمره ، وخبر له إذن أن يتجنب العاصفة وهي في إبان عصفها

وفي الصباح قامت زوجته إلى ابنها وأخذتهما بيديها وسارت تبني الخروج . فناداها : إلى أين وما ذا تعنين ؟ فأجابت بحفاء : هذا لا يعنيك . إنني ماضية أقيم مع أهلي بضعة أسابيع

— ولكن كيف لا يعنيني غيابك ، ومن يقوم بشؤون البيت ؟ وهل تظنين أنني أقدر أن أخبز وأطبخ وأقوم بمهام التجارة ؟

فدجته بنظرة لم يستطع أن يتلقاها بعينيها ، فكسر نظره وإن لم يشع عنها بوجهه لبومها أنه مازال ناظراً إليها ولم ترعبه بنظرها ، وتقدمت خطوة نحوه وسألته بلهجة لم يسمع منها مثلها قط :

أقول مهام التجارة ؟ ! سمعتك تقولها ! وهل بقيت لك تجارة لتقوم بمهامها ؟ ! لقد طلبت الراحة إذ طلقت الفلاحة ، وسوف تراح راحة تامة حيناً يأتي القمار على البقية الباقية ... وهذا وأحب أن أترك

الذى ابتعناه بنصف جنيه ليس من الصنف الجديد الذى يجعل دخانه طرد الأرصاء واطهار الكنوز .

وعلى كل فقد يكون سبقنا إلى الكنز باحث فاستحوذ عليه دوننا ؛ فخير لنا إذن أن تنتقل إلى مغارة أخرى ولم يفت صاحبنا يوسف ما ناجى أبو ميسور به نفسه ، لأن الثعب والريب صيّراه بشديد الإصغاء والسماع ، ولأن هذا — أبا ميسور — أراد ألا يصل ضوئه من الخفوت إلى درجة الخفاء

— صدقت يا أبا ميسور ! قد يكون سبقنا إلى الكنز باحث غيرنا فقال له دوننا

— قد يكون هذا وقد يكون أن البخور ليس من الجودة والنقاء بحيث يحذر الأرصاء فتتخلى عن الكنز الدفين

— غداً نجد البخور إن شاء الله — ولكن نصف الجنيه الذى دفعته إلى استنفذه في يشتري هذا البخور الردى

— غداً يكون لديك غيره . لا يهمك أمر الدرام . كما احتجت إلى مبلغ فأنا أدفعه إليك

وهكذا سار الحال على هذا المنوال بضعة أسابيع ويوسف ذائب على الحفر في ظلام الليل ودفع المبلغ بعد المبلغ إلى صاحبه ليشتري البخور وخلافه من المواد التى كان يُقرب في تسميتها دون أن يكون لها وجود ألبتة ، لكن يشده يوسف بملء ووقوفه على أخفى الأسرار التى تتعلق بالبحث عن الكنوز ، وحتى لا يئوسه من أمل النجاح قبل أن يكون استصق البقية الباقية في دكانه

وكانت يوسف وصاحبه يحفران كل مغارة وينشان كل قبر في البحث عن الكنوز . وكانت تقع لهما في أثناء البحث وقائع ومفاجآت عديدة ، كأن يفضى البحث والحفر إلى مغارة مطموزة فينتشئ الأمل الداهب ، وأن ينتهى إلى قبرة

الباحثين أو تنولهم أو تخنى الكنز كلما أوشك أن يتكشف

— هذا على يا أبا ميسور ، وليس عليك منه شيء . هكذا اتفقا . وفي الصباح قد يوسف صاحبه نصف جنيه يشتري به بخوراً وغيره مما سيحتاج إليه في طرد الأرصاء وترضى الجنى

وشرطاً في البحث متسترين خشية الانقضاض والوقوع تحت طائلة العقاب

اختار صاحبنا أبو ميسور مغارة من المغاور النائية عن البلدة لأن كتابه — كما زعم — دله على وجود كنز من الكنوز فيها . وشرع ينظر في سقفها وجوانبها ملياً ويقرأ في كتابه ، ثم أخذ يقيس أبعادها ويرسم خطوطاً متقاطعة فيها إلى أن انتهى إلى نقطة معينة رسم حولها دائرة ، ثم أوقد النار وألقى عليها البخور ، ثم نثر عليه مادة أخرى لم يدر صاحبنا يوسف ما هي . ولما سأله عنها أجابه : هي خليط من مواد عديدة يؤق بها خاصة من الهند والصين ؛ ومن هنا كانت كثيرة التكاليف عزيزة إلا على من يبذل في إعدادها المال الوفير

وأشار أبو ميسور إلى الدائرة التى رسمها في قاع المغارة وقال ليوسف : أحفر هنا . وأخذ يوسف المول وشرع يحفر بقوة وحماسة شديتين . وفي خلال ثلاث ساعات فتح حفرة تكاد تغيب الرجل وهو منتصب . واثنته يوسف إلى عمق الحفرة التى حفر وإلى يديه اللتين تحملا<sup>(١)</sup> من شدة العمل ، فاستولى عليه الريب وشعور الخيبة فأحس بالثعب الشديد والكلال المفرط . ولما عاد الحفر عاوده ببطء وضعف ظاهرين . ولاحظ أبو ميسور ذلك وأدرك علته ، فقال كأنه يحدث نفسه : يحفل إلى أن هذا البخور

(١) جلت اليد قطعت من العمل

— إلى البلدة ! إلى البلدة وإلى بالخور من أجود الأصناف ! لا تسر على الأرض بل طر طيراً في الهواء . هيا ! هيا ! وإلا طار الكنز وطرث أنا معه !!!

وشمر يوسف أذنيه وانطلق يمدو في ناحية البلدة بسرعة المجنون

ولا حاجة إلى القول بأن يوسف عاد بعد ساعة يحمل البخور فلم يجد أبا ميسور . ونظر في قاع الحفرة فرأى مكان الارباق حفرة خالية ، فصاح صيحة خرجت معها البقية الباقية من عقله ؛ وشرع يلطم وجهه ويلطم صدره وهو في خلال ذلك يصيح أخذتهما الأرصاد ! ! أخذتهما الأرصاد ! !

واثنى يمدو راجعاً إلى البلدة ولازمة جنونه : أخذتهما الأرصاد ! أخذتهما الأرصاد ! وسار في سوق البلدة يلطم وجهه ويكرر الصراخ : أخذتهما الأرصاد ! أخذتهما الأرصاد . وحف به الصبية من كل جانب وأمسك كل بحجرين وشرع يقرعهما بعضهما ببعض ويصيح : أخذتهما الأرصاد ! أخذتهما الأرصاد ! وظلوا وراءه يقرعون الحجارة ويردون على لازمته بمثلها إلى أن أبلغوه منزله على هذه الحال من القته والخيال

أما مزيم زوجته التسعة فلم تقتلها الصدمة وإن كادت تصرعها ، فلقد خفف وقعها بعض الشيء أنها كانت تقدر لزوجها شيئاً قريباً من هذا منذ رأته ينصرف هذا الانصراف الجنوني إلى البحث عن الكنوز ، وفشلته فشلاً تاماً في صرفه عن هذا الاتجاه الجديد الذي وضعه في جو من الخفاء والاعتقاد يسهلان ضعيفة الحس واختبال الفكر لقد كانت مريم بطفلين وزوج يعولهم ، أما الآن فقد أضحت بثلاثة أطفال عليها أن ترى هي كيف تعولهم ... !! أرب عباسي

في سخر رأس أو جرة مهشمة فيضرب أبو ميسور كنفاً على كف ويشرع يندب سوء الحظ الذي جعلهما يجتئان متأخرين في البحث حتى يكون الكنز المحبوه نصيب غيرهما من سبقوها إلى التنقيب ، أو كأن يطير خفاش أو بومة فيطير له قلب يوسف الذي غدا يعتقد اعتقاداً جنونياً بالأرصاد وصار يرى في كل ما يدب أو يطير في هذه المناور رسداً بصورته الحقيقية أو التخفية ، كما لم يفتأ يوحى إليه أبو ميسور

وتشاء المصادفة أن يحفرا بعد يأس في مفارة مرابها أولاً ، ولكن أبا ميسور أمهلها لأنه لم ير فيها دليلاً على وجود كنز من الكنوز فيها ، فيكشف الحفر فجأة عن إربيق من البرز بظاء محكم . ويرفع يوسف الغطاء بحركة عصبية لا وعى فيها . ولما بدا له ما كان بداخله صاح صيحة مرعبة هرع لها أبو ميسور من ركن المفارة حيث كان يحرق البخور ويعزم ؛ ونظر إلى أسفل ، وعندنا صاح : مكانك ! إياك أن تسه الرصد ! الرصد بدأ يتحرك ! آه لقد أخذ يضايقي البخور ! نحتاج إلى البخور . وإلا غاب الكنز وهلكنا ! السرعة ! السرعة إلى البلدة وإلى بالبخور ! الباقي يوشك أن ينفد ! الأرصاد بدأت تضيق على ، الأرصاد !

وخرج يوسف من الحفرة مغتوراً ثم مضى مضطرب الأعصاب زائع العيين راعش اليدين ، ونظر إلى أبي ميسور وهو عند باب الحفرة يحرق البخور ويقرأ ويعزم نظرة فيها توسل الرجاء ، ويريق الأمل ، وفيها بلاهة الدهشة ورعدة الخوف . لقد تحقق أمل العمر أو كاد ، وخومت السعادة فوق رأسه . ولكن الرصد ! الرصد يوشك أن يطيرها !

— ألا تزال واقفاً ؟ ألا تتحرك يا خشيبة ؟  
— نشدتك الله يا أبا ميسور ما ذا أصنع ؟

بكلمة باردة تتجمد منها كلات قلبي على شفتي  
وكان سميت يأتي إلى مسكننا كل يوم فلا أشعر  
بنفور منه لما كان يبدو عليه من حسن الهيئة  
والسذاجة، ولا اشتراكه في بحث مسألة رحيلنا بكل  
إخلاص، في حين أن زيارته المتكررة كانت سبباً  
لما حل من اضطراب على يثنتا؛ وبالرغم من أن زيارتي  
له كانت قد أقيمت في شكوكا مستغربة. وكنت  
حدثته عن الرسائل التي حملها إلى بريجيت فما لاحظت  
عليه دلائل الاستنكار، بل رأيته يبدى من الحزن  
بقدر ما أشعر به، فاعلن لي أنه كان يجهل ما في هذه  
الرسائل وأنه لا يقر لهجتها؛ ولو أنه عرف بما فيها لما  
كان حملها. وما كان لي أن أذهب إلى الاعتقاد بوجود  
سر ما بين سميت وبريجيت في حين أنها كانت تتعامله  
معاملة لا تتجاوز حدود الجمالة، ولهذا كنت أظن أنه  
بسرور بالرغم من وقوف كل منا تجاه الآخر موقف  
الحاذر المتكف. وكان قد رضى بأن نعهد إليه بمقابلة  
انسياء بريجيت بعد سفرنا والعمل على تقاضى مقاطعتهم  
لها، وكانت لسميت حرمة في البلدة، لذلك توقعت أن  
يكون لتوسطه خير نتيجة، واعترفت له بهذا الجميل.  
وكان كل شيء في خلق هذا الشاب يدل على نبلة إذ  
لم يكن بدخر وسعاً لإعادة السرور إلينا عند احتاجنا  
به ففتأ كد أن ما يطمح إليه هو أن تسود السعادة  
بين بريجيت وبيتي، وما سمعنا مرة يورد ذكر علاقتي  
بها إلا وهو يبدى عقيدة الرجل الذي يرى في الحب  
أقدس رابطة تضم شخصين أمام الله. وهكذا كان  
سميت في تقديري صديقاً خلصاً أوليه ملء تقى.  
غير أن الأحزان التي كان يخالها فتبدو عليه بالرغم  
منه كانت تثير في أفكاراً غريبة فاستعيد ذكرى  
الدموع التي رأيت هذا الشاب يذرفها وأتمثل وقوعه

من أعماق النفوس

أَعْرِفَانِي فِي الْعَصْرِ

لألفريد روبري

بقلم الأستاذ فليكنس فانس

الجزء الخامس

الفصل الثالث

وتحسنت صحة بريجيت وكانت أعلنت لي أنها  
مستعدة للرحيل في حال شفائها فلم أطاوعها بل رأيت  
أن تنتظر خمسة عشر يوماً أيضاً ربما تستعيد قواها  
لتحمل مشاق السفر

وبقيت متمتعة بصمتها الحزين فلم أستطع اقتيادها  
إلى مصارحتي بما تضرع، وقالت إن سبب انقباضها  
هو الرسالة التي وردت إليها، ملحة على بالاً أطلب  
منها إيضاحاً في هذا الصدد فاضطررت إلى  
مجارأتها، فتخل علينا الأفراد حتى لم يعد يستقر بنا  
مقام كل مساء إلا في السارح واللاهي فنكتفى  
بالعمود جنباً إلى جنب، فإذا أشجاناً نغم أو شاقنا  
بيان شدة نأيد أيد، أو تبادلنا نظرات التفاهم والولاء؛  
غير أننا كنا نحفظ بالصمت أمان توجهننا

وكننت أتحفز عشرين مرة في النهار لأرغمي عند  
أقدامها متوسلاً إليها أن تعيد لي سعادتي أو تقضى  
علي فبردي ما يبدو على وجهها من شجوب عند ما  
تحس بما أنوي، إذ كانت تقف وتوتى أو ترسل لي

يحذو بي إلى الاستفهام من بريجيت عن تفاصيل حياته ، وما كان لديها سوى ماذكرة فيما تقدم ، لأن حياة هذا الشاب كانت عبارة عن فقر واستقامة وخمول ذكر ، وما تستدعي مثل هذه الحياة أكثر من كلمات وجيزة لسردها ؛ غير أنني كنت أستعيد إيراد حوادثه وأنا لا أدري سبباً لاهتمامي بها

وحللت تفكيري فأدركت أن في قرارة نفسي ألماً خفياً كنت أنكره على ذاتي . ولو أن هذا الشاب جاء إلينا في أيام سعادتنا فخل إلى بريجيت رسالة ثم تجنب الالتقاء بي في المسرح . ثم ذرف دموعاً لا أدري سببها فهل كنت أقف عند مثل هذه الحوادث وأنا ممتنع بسعادتي ؟ ولكن الأمر قد وقع في زمن كنت أصطدم فيه بأحزان بريجيت وأشعر أن مدامتي الماضية لما قد ولت فيها هذه الأحزان ؛ ولو أنني عاملتها طوال الستة أشهر الماضية المعاملة الحسنة لما كنت أجد من سبب لتكدير صفو حياتنا . وقد كان سميت ، بالرغم من كونه رجلاً عادياً ، متصفاً بالأخلاق الرضية ، ولا تخفى صفاته الطيبة عن الناظر إليه فلا يجد بداً من الوثوق به ، ولذلك كنت مضطراً إلى أن أقول في نفسي : لو أن سميت كان هو عاشق بريجيت لما كانت تردد في الرحيل معه راضية مسرورة كنت أرجأت سفرنا بجله اختياري فأصبحت الآن نادماً على ذلك . وما كانت بريجيت تفعل عن تذكري بالسفر فتقول لي : ما الذي يمنعنا عن الرحيل بعد أن شفيت من دأبي ؟

وفي الواقع ما كنت أدري سبباً لتأخري . ولكنم وقفت مستنداً إلى الوقت ، أنظر تارة إلى سميت وطوراً إلى خليلتي فأرى كلامهما شاحب الوجه صامتاً فأحار في تعليل هذه الحالة ؛ غير أنني كنت

مرتبكاً في الزمن نفسه الذي مرضت بريجيت فيه فأحس من كل هذا بوجود تغام حزين يسود بينها وبينه ، فلا أملك نفسي من التألم والاضطراب

لقد كانت أقل رغبة تدفع بي من قبل شهر إلى الاندفاع مع غيرتي اندفاعاً جنوبياً ، فأصبحت لا أجد أمراً يدفعني إلى الارتياح يبريجيت فأقول مالي والسر الذي تخفيه إذا كان هنالك سر مادامت مصممة على الرحيل متى ؟ وهب أن بينها وبين سميت أمراً تخفيه عني فهل في ذلك ما يستوجب اللوم وليس بينهما سوى مودة واشتراك في أحزان ؟ لقد عرفته طفلاً وهي تراه الآن بعد مرور الستين في زمن تستعد فيه لمبارحة فرنسا ليتقدم إليها كآلة في يد القدر ليبلغها ما يكدرها في موقعها الحرج ، فلا غرابة إذن أن يسود عليها مثل هذا الحزن من تذكر الماضي . وهل من موجب للوم إذا هو واجهها بنظرات الأسف الحزين إذ يراها مقدمة على سفر طويل معرضة لحياة مضطربة ، وقد أصبحت مضطربة بكاد ينكرها أهلها وأصحابها ؟

وعند ما كانت تمر هذه الحواظر يالئ كنت أرى أن عليّ أنا أن أقف بين بريجيت وبين سميت لأدخل إلى نفسيهما الاطمئنان مؤكداً لها أن يدي ستكون خير عَضْد لها إذا شئت أن تستند إليها ومؤكداً له أنني ممان لسا يديه نَحْونا من عطف ، ولما سيؤديه من خدمة . كنت أراي مدفوعاً إلى هذا دون أن أجسر على القيام به إذ كنت أشعر بصقيع في دمي فأبقى دون حراك على مقعدي

وعند ما كان سميت ينصرف إلى مسكنه في المساء كنا نبقى صامتين أنا وبريجيت أو يدور حديثنا عليه وما كنت أدري حقيقة الدافع الغريب الذي كان

حياته وخفايا نفسه وأنا أنفوس في ملامح بريجيت  
لأقرأ تأثير هذه المشاهد عليها

وكنت أشيع سميت إلى الباب عند انصرافه  
ثم أقف مستغرقاً في التفكير إلى أن يقطع صوت وقع  
أقدامه فأعود إلى الغرفة لأنظر إلى بريجيت وهي  
تهياً تلعب ثيابها فأقف متمتماً بجسمها الرائع وبما فيه  
من جمال امتلكت كنوزه فأراها تسرح شعرها  
الطويل وتمعد فوقه عصاة ثم تترك رداءها ينزلق  
عن جسمها إلى الأرض لتطفر نحو سريرها كأنها  
إلهة الجبال تندفع إلى البحر للاستحمام في مياهه .

وكنت أنا من جهتي أطرح على سريري دون أن  
يخطر لي يبال إمكان استسلامي إلى سميت ، فاكنت  
أقصد التبرص لها للوقوف على جلية الأمر بل كنت  
أتمنى وأقول في نفسي إنها لجد جميلة ، وما سميت  
المسكين إلا شاب طيب القلب ؛ ولكل منهما أحزانه  
كما أن لي أحزاني . وهكذا كنت أشعر بإقباض  
قلبي وأحس في الوقت نفسه أن حملاً قتيلاً سقط عنه  
وفتحنا صناديق السفر فأتضح لنا أننا نسيتا

بعض الحوائج فعدنا إلى سميت بمشتراتها ، وما كان  
هذا الشاب ليتردد في القيام بكل ما تكلف به .  
وعدت يوماً إلى البيت فرأيتُه جالئاً على الأرض  
منهما في إقبال صندوق كبير ، وكانت بريجيت أمام  
البيانو الذي كنا استأجرناه لمدة إقامتنا في باريس  
وهي تعرف عليه أننا غريبة على " فوفقت في مشي  
الغرفة وكان الباب مفتوحاً أتتصت إلى هذه التلغات  
وهي تنفذ إلى أقصى مشاعري ، وما سمعتها من قبل  
تغيرها بمثل هذا الشجي وهذا الخشوع . وكان  
سميت يتلذذ بالإصغاء إليها وهو على ركبته يشد حابل  
الصندوق . ثم وقف وقد أكمل عمله وبقيت بريجيت

أشعر بأن ليس هنالك سرّان بل سرّ واحد مشترك ،  
فا تستقر الرينة منى كما كانت تستقر من قبل في غيرة  
مربوضة بل في أعرق غريزتي كأنها أمر واقع  
لا يقاوم . وفي غرائز الإنسان أمور جد مستغربة ،  
ومن أغربها أنني كنت أجد شيئاً من اللذة حين  
أترك بريجيت وسميت يتحدان قرب الموقد لأذهب  
تأهياً على الأرصفة وأسندني إلى الأعمدة المادية للنهر  
مسرحاً أبصاري على مركض المياه كما يقف من  
لا عمل له متلهياً بالنظر إلى المارة في الشوارع

وعند ما كان يدور الحديث بينهما عن الأيام  
التي قضياها في بلدتهما فتوجه إليه بريجيت الخطاب  
بلهجة الأم مذكرة إياه الأيام التي قضياها سوية  
كنت أحسبني متألماً ، ولكنني كنت في الوقت نفسه  
أشعر بشيء من السرور فأستنطقهما عن تلك الأيام  
وأحدث سميت عن أمه ، وعن أعماله ، وعن أمانيه  
في المستقبل فأتضح له مجالاً لإظهار حقيقة شخصيته  
على خير ما تظهر به فأنزع من تواضعه صورة فضائله ؛  
وكنت أقول له إنك شديد التعلق بأختك (فاي) ، متى  
تنوى تزويجها ؟ فكان يقول والاحمرار يملو وجهه  
إن إنشاء الأسرة يكلف كثيراً ، ولعله يتمكن من  
تحقيق هذه الأمنية بعد سنتين أو أقل من هذه  
المدّة إذا سمحت حالته الصحية بالقيام ببعض أشغال  
إضافية لتثله مكافأة فوق راتبه ؛ ثم يقول إن في البلدة  
عائلة لها كفافها من العيش اتفقت مع أسرته لتزويج  
أخته من ابنها البكر ، وإنه تجلّ لأخته عن حصته  
في إرث أبيه ، وسوف لا يعدل عن ذلك وإن  
أصرّت أمه على الرض ؛ ثم يضيف إلى ذلك قوله : إن  
للشاب ساعدين يؤمنان حياته ، أما الفتاة فحياتها متوقفة  
على زواجها . وكان سميت يمرض أمامنا مشاهد

عما إذا كانت تود أن نذهب إلى هذه القرية . وما انتظرت جوابها فأخذت قلما ووجهته نحو الرسم ؛ وإذ سألتني بريجيت عما أريد أن أفعل ، قلت لها إنني سأحاول بتعديل بعض الخطوط على وجه الفتاة المائلة في الرسم أن أجعله شبيها بوجهك ؛ ولعلني أوفق أيضا لوضع بعض الشبه من وجهي على وجه الجبلي الجمود وأعجبتهما هذه الفكرة فأرأيتهما تأخذ بحفاة فتمرها على الوجهين فبدأت أنا برسم بريجيت مكان وجه الفتاة ، وحاولت هي أن ترسم وجهي مكان وجه الفتى ، ووقفنا كلانا إلى ما قصدنا فإذا بي وبها على مدخل القرية في سويسرا . وبعد أن نتحكما أمام هذا المشهد بقيت المجموعة مفتوحة ، وإذا بالخدام يدعو لأمر ما نخرجت . ولما عدت إلى الغرفة رأيت سميت مستنداً إلى الخوان وهو مستغرق في التأمل حتى أنه لم ينتبه لدخولي . وجلست قرب الموقد حتى إذا رفمت صوتي وخاطبت بريجيت انتبه سميت لوجودي فرفع رأسه وقرس فينا لحظة ثم استأذنتنا بالإلّا نصراف فجاء . وبينما هو يتجه من المشى إلى الباب رأيته يصفع جبينه براحة فنهضت عن مقعدي وهرعت إلى غرفتي وقد انطلمت في عيني هذه الحركة التي تم عن الألم وأنا أسأل نفسي ماذا عسى أن يكون هذا ؟ .. وضممت راحتي بحركة الاسترخام دون أن أدري إلى من أتوجه بها ، ألى ملك سعادتي أم إلى شيطان يؤسى ؟

### الفصل الرابع

وكان قلبي يهيب بي إلى الرحيل فأرجى السفر من يوم إلى يوم إذ كنت أشعر في كل مساء بلذة صريرة تسمرني في مكاني . وكنت في كل مرة أتوقع فيها زيارة سميت يملكني اضطراب لا يهدأ حتى

ملقبة أناملها على معزف البيانو وقد شخصت أبصارها إلى الآفاق . ورأيت للمرة الثانية الدموع تنحدر من عيني الشاب فكادت عيناى تذرفان مثلها ، فتقدمت نحوه دون أن أدري ما أفعل ومددت يدي لأصافحه ، فارتعشت بريجيت وظهرت دلائل الدهش على وجهها وقالت لي : أكنت هنا أنت ؟ فقلت : إنني كنت هنا . أنشدني يا عزيزتي وأسميني صوتك أيضا . فعاودت الإنشاد دون أن تجيبني بكلمة ، ورأت ما يفعل إنشادها بي وبسميت تخفت نبرات صوتها تدريجياً حتى حسبت نغفات الشعراء همساً يتردد في الآفاق من بعيد . ونهضت فألقت قبلة على وجعتي ، وكان سميت لم يزل قابضاً على يدي فشمرت أنه يشد عليها بحركة مرتعشة وقد علت وجهه صفرة الموت

وحملت إلى البيت مرة أخرى مجموعة مناظر عن بلاد سويسرا فجلسنا نحن الثلاثة نقلب صفحاتها فاستوقف انتباه بريجيت أحد المناظر في مقاطعة « القود » على مقربة من طريق « بريك » حيث يمتد واد ظليل تحف به أشجار التفاح وترتني المواشي في مروجها ، ووراء هذا المنظر كانت تلوح قرية لا يتجاوز عدد مساكنها العشرة ، وهي مبنية بشكل مدرج على منحدر التلال ؛ وكان يظهر في مقدمة هذا المنظر رسم فتاة تلبس قبعة من الفس وهي جالسة إلى جذع شجرة وأمامها خادم المزرعة يدها بعصاه الممددة على الطريق التي قطعها من جهة الجبل حيث كانت تظهر مناظر جبال الألب تبكّلها ثلاثة تيجان من الثلج مرصمة بأشعة الشمس الناربة . وكان هذا المنظر على غاية من الجلال يلوح الوادي المنحضل فيه كأنه بحيرة من الأعشاب الندية . فسألت بريجيت

إنني أذكر حادثة وقعت لي على الجسر الملكي  
رأيت فيها رجلاً يهلك غرقاً

كنّا رهطاً من الأصحاب نقفون على السباحة  
فذهبنا تحت الجسر يتبعنا مركب فيه سباحان من  
متخصصي الاقناذ، وبعثنا رهط آخر حتى بلغ عددهما  
الثلاثين. وأصاب أحد رفاقنا احتقاناً أورثه السوار  
فاذا به يصرخ مستنجداً وقد رفع يديه يلوح بهما على  
سطح الماء، وما عثم أن اختفى أثرهما. فالتفتنا بأنفسنا  
في اليم ثم عدنا بلا جدوى، وما أخرج الفريق إلا  
بمد مرور ساعة إذ وجدت جثته عالقة تحت كومة  
من الأخشاب

لن أنسى ما حيت ما شعرت به وأنا أغامر بنفسي  
تحت أطباق المياه، فإني كنت أرسل أبصارى في  
اللجج القاتمة تدور بي بصخبها المحتق، وأذهب غاصاً  
على قدر ما يطبق صدرى كبت أنفاسي، ثم أطفو على  
سطح الماء لأتبادل بعض كلمات مع رفاقي الناطسين  
مثلي، ثم أعود إلى الأعماق لاصطياد الإنسان الغريق  
وملء قلبي الأمل والارتياح. وما كنت أتثقل بذي  
الفريق تقبضان على رعدة الموت حتى أشعر بلذة  
بمازجها هلعاً أستطيع التغلب عليه. وطفوت

راجعاً إلى ظهر المركب وقد أهككني التعب  
إن من نتائج النجاة إذا هي ألفت في الإنسان  
على شيء من إنسانيته أن تدفع به إلى هوس الاستطلاع.  
وقد تكلمت عما اتابني من هذا الهوس في زيارتي  
الأولى للبحينة، وسأذهب الآن في وصف الفضول إلى  
أبعد ما وصلت إليه

تقضي الحقيقة على كل إنسان أياً كان أن تنور  
يده عند ما يحين ساعته إلى ملبس العظام من أى  
جرح يتكشف عنها، وما تعرف حقيقة الحياة إلا

أسمع قرع جرس الباب منذراً بوصوله. فإني  
يا ترى هذه العاطفة المضمرة فينا يستهويها الألم  
ويشد بها الشقاء؟

وكنت كل يوم أرتعش لكلمة أمهمها أو لبارق  
لحظ أبافته ثم تردى هذه الكلمة نفسها وهذه البارقة  
عيناها في اليوم الثاني إلى الحيرة والارتياح بريتي.  
وما أدري لماذا كنت أرى بريجت وسميث غارقين  
في بحر من الأحزان كما لا أعلم لماذا كنت أشخص  
متأمل فيهما وأنا لا أبدي ولا أعيذ في حين أنني  
ما كنت أملك ثورة نفسي في مثل هذا الموقف.  
لقد كنت أحس بشيء من الخيال وفي من الغيرة  
العنيفة في الحب ما يشبه غيره الشرق في لخب غرامه  
وكنت أمضى أبهى في الانتظار دون أن أعرف  
ما أنتظر. حتى إذا أسيت قدمت على سري قائلاً:  
لا أفكرن في هذا الأمر؛ فأسند رأسي يدي ولا  
ألبث حتى أصبح: لا إن هذا مستحيل. ثم أعود  
إلى مثل هذا العمل في الليلة التالية

وكانت بريجت تبدي لي من التعجب أمام سميث  
ما لا تبدي مثله ونحن منفردان، حتى إنها ذات  
ليلة كانت ذاهبة معي في مجادلة قاسية، فاستمعت صوت  
سميث في الهو حتى هرعته إلى وقعدت على ركبتني؛  
أما هو فكان يبدو في كل آن كأنه مستغرق في أسي  
لا ينقطع عن مجالده، فكانت حركاته معتدلة ولا يتكلم  
إلا متمهلاً؛ غير أنه لم يكن يتالك أحياناً من الإتيان  
ببعض حركات تشد بعنفها عن حالته العادية

أفكان تمللي في موقف وفناد صبرى نوعاً من  
الفضول؟ ولو جاءني أحد وقال لي: مالك ولهذا  
الأمر؟ إنك حقاً لفضولي. فهل كان يمكنني أن  
أفسر عاطفتي بغير التحرش والفضول؟



أناملهم فيطرحون أردبتهم عنهم ويجلسون إلى مائدة ليكرروا - وهم يقهقهون ضحكا - آخر عبارة نطقوا بها أمام جملة من فضليات النساء

أفأكان بوسع هؤلاء الأغرار أن يرفضوا ينذل بعض دربهات الرداء المنسدل كالقلب على مواضع العفة فما يكون تقديرهم للحياة وهم فيها في موقف المثلثين وراء ستائر السرح الداخلية؟ ومن كهؤلاء

الناس يذهب إلى قرارة الأشياء وقد تعود سبرها محترقا جاحدا؟ أفأسمتهم ولا يبان لهم إلا التماير الخافية المتهنكة القذرة فهم لا يرون الافصاح عن الحقيقة إلا بها، وما سائر التماير في عرهم إلا سخافات وتوهم، فإذا هم قصوا عليك واقعة اكتفوا بالبيان عن احساسهم منها فلا يخرج من شفاههم إلا سفيه الكلام؛ فبعثا تنقش على الروح فيأيقولون وما يتلفظون إلا بالحرف الميت. فإذا أراد أحدهم أن يقول: لقد أحببتى هذه المرأة، قال: لقد تمتعت بوصال هذه المرأة. فهو لا يقول: أحب، بل يقول: أشتهي. وبدلاً من قوله إن شاء الله يقول: إن شئت أنا

ويعلم الله ما يدور في خلده هؤلاء الناس وبماذا يناجون أنفسهم

ومن كانت هذه حاله فلا بدع إذا هو استغرق في الكسل أو اندفع بحماسة الفضول إلى هتك الأستار، لأنه بينما يتمرن على تمثيل الأمور على أسوأ حالاتها لا يروق له أن يرى في العالم من يحسن به ظنا، فيبعد إلى سد أذنيه في تكاسله. وهكذا يدع الأب ابنه حراً في ارتياد الأماكُن التي تحوله قائلاً: للشبية أن تحيا حياتها؛ غير أن الابن لا يتألك نفسه

بهذا الإختبار. وبمض الناس يتراجمون خوفاً أمام العظم المرتنى والبعض الآخر ينالهم الارتياح فيرتمشون كالشجاح لا يتقدمون ولا يتأخرون.

وهنا لك أناس يمدهم هذا المبتدئ فيموتون وللمهم أفضل الأحياء. وعمر الحدث على أكثر الناس فيتابعون سيرهم ملفعين بالنسيان، والأجيال تايح على هذا السبيل نحو الفناء

وقد قضى على بعض الأشقياء في مثل هذا الموقف ألا يتكسوا على أعقابهم ولا يترددوا فلا هم ينسون ولا هم يموتون، فإذا ما قدر عليهم أن يصطدموا بكثرة، وما الكوارث إلا كاشفة الحقائق للبصائر، فإنهم يقتحمونها ويمدون أذرعهم نحوها فهم كالغائص تحت أطباق اليم يستقرهم نوع من التوكل بالزريق وقد كبح وجهه في قبضة الموت فيتلسون موضعه حتى إذا قبضوا عليه ضموه إلى صدرهم ونحروا عن منبض حياته

هؤلاء هم الثملون بجمرة الفضول الطامعون إلى معرفة ما وراء كل مظهر، بقضوت عمرهم في الارتباب ومحاولة بلوغ اليقين فيقفون جهودهم على استكشاف ما في الحياة كأن الله قد بثهم عليها عيوناً وأرصاداً فيرسلون أفكارهم مشحونة كالسهام وتقطع أجسادهم نهشة الفهد الكاسر

ليس كالفسق من يستولى عليهم مثل هذا الهوس لأنهم يقفون أمام نهر الحياة فلا يكتفون بالنظر إلى الماء يجري صافياً في حركته بل يندفعون أبداً إلى سبر أعماقه ومراسيه. فهم إذا ما خرجوا من مرقص هرعوا إلى الواخير ولما تزلأ كفهم ندية من مصاغة يد عذراء قد تكون ارتعشت بين

تسير إلى المجرز وهي تقضم الأعشاب مطمئنة على طريق مذابحها، أفليس من يحسن الظن ويحيا مطمئناً خير ممن يصدم الحياة بما يدعوه نباهة وحزماً وهو يغذى تفكيره بمبادئ « لاوشغو كول » ؟ وهل من واقعة يمكن أن أوردتها مثلاً أشد

إثباتاً لما أوردت من الحادثة التي أقصاها لقد كانت خليلتي مستعدة للرحيل ، ولا تنتظر إلا كلمة أقولها لتصدع بها وما كان حزنهما خافياً عني فلماذا بقيت ؟ وماذا كان سيقع لو أننا شدنا الرجال ؟ لقد كان عليّ أن أقنم مخاوفي حتى إذا مررت ثلاثة أيام على رحيلنا نسينا كل ما ورائنا ، وهل كان لما أن تفكر في سواي وهي منفردة ؟

لماذا وقتت مهتماً بسر لا يتهدد سعادتي ؟ إن بريحييت كانت مستسلمة لي فهل كان عليّ أن أذهب إلى ما وراء استسلامها ؟

كان لي أن ألقى قبلة على شفاهها فأضع بها حداً لكل شقاء ، ولكنني تخيرت مسلكاً آخر . وهذا ما فعلت :

كان حيث قد تناول المشاء معنا ذات ليلة فتركته مع بريحييت وانسجبت حالاً ، وعند ما أقفلت الباب

سمعتها تنادي الخادمة طالبة إحضار الشاي وعند ما دخلت الترفة في اليوم التالي مررت صدفة أمام المائدة فأريت عليها إبريق الشاي وقربه فنجان واحد ؛ وما كان أحد دخل قبلي لأقترض أن الخادمة أخذت أحد الفنجانيين ، فأرسلت أنظاري في جوانب الغرفة فلم أجد للفنجان الآخر أثراً

فسألت بريحييت عما إذا كان سميت تأخر عندها ، فقالت إنه بقي حتى نصف الليل . فسألتهما عما إذا

عند عودته من التفرس في وجه أخته ، وقد اتصبت في غميلة الوقائع الحيوانية التي تصدمه في كل آن فيسأله عما إذا كانت أخته ليست من طينة المرأة التي كان في غرفتها ... ويدور القلق بالفتى فيرى أحشاء الارتباب

إن سوء الظن الدافع إلى الاستكشاف إنما هو داء وييل ينشأ من ملازمة الأرجاس يدفع بالمبتلين به إلى التجول كالأشباح بين المقابر عاملين على هتك ما تستر لحودها . وما هذه النزعة إلا عذاب أليم يعاقب الله به من ارتعوا على مزالق الضلال ، فهم يتشوقون أبداً إلى التيقن من تداعي كل من حولهم إلى الانهيار . ولعل هذه النزعة غلاماً ارتباعاً ولكنهم مسوقون كرهاً إلى التحرر والتجسس ومنازعة الوقائع أسرارها فيحنون الرأس على الزوايا كالممار يوجهها لتركيز ما يقيم في خياله . فإذا ما عثروا على دليل يثبت الشر علت شفاههم بسمه الرضى ؛ وإذا ساورهم الشك في وجوده مالوا إلى افتراضه والإيمان به ؛ وإذا صدمهم الخير تطلخوا إلى ما وراءه إن أية هؤلاء القوم قولهم من يدرى ؟ تلك كلمة

ابليس ألقاها في وجه السماء وقد أغلقت دونه بابها . ولكم أشقت هذه الكلمة من بنى البشر على ممر الأجيال ، ولكم جرت من الولايات وأدت إلى مجاذر ، ولكم ذبعت كالنجل يقطع أغمار السنابل الخضراء قبل نفوذ جوبها . إن ألوف الأسر قد دفنت تحت أنقاض مساكنها منذ دوت هذه الكلمة بين جدرانها .

من يدرى . من يدرى . يا لها من كلمة ذنيئة ! وخير للناس من أن يتفوهوا بها أن يقتلوا بالأغنام

لخيلتي كل ما طرق أذني وما لاح لميني ، وكنت  
أجه من حين إلى آخر إلى البرفة التي ربتنا فيها .  
حقائب السفر منذ شهر قافضها وأفص ما وضعت  
فيها يداها الناحلتان من حوائج وكتب وأنا أنتصت  
إلى فرقة بحلات العربات في الشارع فيخفق لها  
فؤادي .

وبسطة على الخوان خريطة أوروبا الشاهدة على  
ما بنينا من أمان واستسلمت أمامها لأفجع تشاؤم .  
ومن الغريب أنني لم أكن أشعر في آلاي بما يرم  
عن غضب أو غيرة ، فقد كانت ربيتي تقف مترددة  
لا تقتحم تعيين أمر تبني عليه شكاً جليلاً . فيا للعقل  
البشري من قوة تخلف من المظاهر ما يمدب القلب  
ويشقيه ! وما أشبه السماغ بسجون ديوان التفتيش  
في القرون الوسطى وقد علقت على جدرانها من  
الآلات ما يهيجك فلا تدري أي الأعياب أطفال أم  
مكاشم تعذيب

وهل لأحد أن يبين لي ما الفرق بين قولي  
لخيلتي : إن جميع النساء خائنات وبين قولي لها :  
أنت خائنة ؟

ومرت في رأسي خواطر أشبه بأدق القياسات  
البنية على السقسطة ، فكنت أسمع إلى ما يدور من  
جدل بين عقلي وضميري فأسمع الأول يقول :

— إذا فقدت بريجيت فاذن يكون ؟

فيقول الضمير : أنها سترحل معك

— وإذا كانت تخادعني ؟

— وهل لها أن تخدعك وهي من طلبت في

وصيلها أن يضيئي للناس من أجلك

— لعل سميت يحبها ؟

كانت نامت دون أن تدعو أحداً من الخدم فقالت :  
لم أدع أحداً لأن الكل كانوا نياماً

فذهبت أنظارى في جوانب البرفة مرة أخرى  
تفتش على الفئجان . في أية مهزلة يرى على المسرح  
غيوراً تذهب به حماقة إلى التفتيش عن فئجان ؟  
وما كان قصد بريجيت وسميث من شربهما في فئجان  
واحد يا تري ؟ ...

وما كانت هذه الفكرة على شيء من الواجهة  
في غرايتها ، ومع ذلك بقيت أذرع البرفة ذهاباً وإياباً  
والفئجان في يدي حتى هزنتي تحكة عصبية فهقمت  
بها طارحاً الفئجان إلى الأرض فاحطم وتطارت  
كسره بداداً ، ومشيت أزيد هذه القطع تكسيراً  
بضربات قدي

ونظرت بريجيت إلى وهي صامتة ، واستمرت  
على معاملتي بيرودة تكاد تكون احتقاراً في اليومين  
التالين ، وهي ترداد ملاطفة لسميث حتى أنها بدأت  
تدعوه باسمه « هنرى » ولا تكف عن الابتسام له

وقالت ذات مساء بعد العشاء إنها تريد الخروج  
لاستنشاق الهواء وعرضت على أن تذهب مشياً إلى  
الأوبرا ، فرفضت مراقبتها وقلت : إذهي مع سميث  
وخيلاني . فاستندت إلى ذراعه وتعمشا وبقيت  
وحدى كل السهرة أحاول أن أدون ما يميني لخاطري  
فيشرد البيان على ، وألجأ إلى استعراض شيكوكي  
والتلذذ بها فأمن فيها كالماشق لا ينفرد بنفسه حتى  
يخرج من جيبه رسم محبوبته محققاً فيه مستغرقاً في  
أحلام غرامه

وعلقت أبصارى على المقعدين حيث جلس سميث  
وبريجيت كأنني أستنطقهما سرّاً يكتمانهُ مستعبدان

— ذلك لضلالك في المسالك المظلمة وليس لمن  
يسير في الظلمة أن يسكر النور ، فلماذا تحشر نفسك  
في زمرة البغاة ؟  
— لأنني أحاذر الدخول في زمرة الخدوعين  
— لماذا تحيي ليالك بالسهرة ؟ إن الأطفال ينامون  
عند ما ينسدل ستار الظلام ، ولماذا أنت منفرد الآن ؟  
— ذلك لأنني أفكر وتساورني المخاوف والشكوك  
— ومتى تؤدي فريضة الصلاة ؟  
— عند ما يعود إعادني إلى . لماذا خدعني الناس ؟  
— ولماذا تتحدح الناس أنت الآن أيها الجبان ؟  
— أفليس أولى بك أن تموت إذا كنت لا تحتمل الآلام ؟  
هكذا كان يتجادل في صوتان هائلان يتناقضان  
فأسمع صوتاً ثالثاً ينتحب بينهما قائلاً  
— يا للطهارة المفقودة ويا لأيامي الماضيات !  
فليكس فارس « ينتحب »

## تاريخ الأدب العربي

لـمـؤـتـاـز أحمد حسن الزيات

الطبعة السادسة

في حوالي ٥٠٠ صفحة من القطع المتوسط  
يعرض تاريخ الأدب العربي منذ نشأته إلى اليوم  
في صورة قوية تحليلية رائدة  
تمنه عشرون قرشاً ويطلب من إدارة الرسالة  
ومن لجنة التأليف ومن سائر المكاتب

— مالك ولهذا أيها المجنون وأنت الواصل من  
أن محبوبها هو أنت لا سواك  
— اذا كانت تحبني فما هو سبب حزنها ؟  
— ذلك سرّها فاحترم هذا السر  
— أتكون سعيدة يا ترى اذا أنا احتفظتها ؟  
— ان سعادتها متوقفة على حبك لها  
— لماذا تضطرب عند ما ينظر بحيث إليها  
فتحول عن عينيها عينيها ؟  
— ذلك لأنها امرأة ولأنه في شرح شبابه  
— لماذا يملو وجهه الاصفرار عند ما تنظر هي  
إليه ؟

— لأنه رجل ولأنها رائحة الجلال  
— لماذا انطرح على صدري عند ما كنت في  
زيارته ولماذا ضرب في أحد الأيام جبينه براحته ؟  
— لاتسل عما يجب أن تجهل  
— ولماذا وجب على أن أجهل هذه الأمور ؟  
— لأنك حقير ضعيف ولأن الله وحده علام  
الغيوب

— ولكن لماذا أحس بهذه الآلام ولا أفكر  
بهذه الأمور دون أن يسود الاضطراب أعماق  
روحي ؟  
— تذكر أباك واصنع الخير  
— ولكن ما الذي يصدني عن هذا التذكّر  
وعن هذا البر ولماذا يجتذبي الشر إليه ؟  
— انطرح جانيك على ركبتك واعترف لأنك  
إذا كنت أسأت الظن فقد ارتكبت سوءاً  
— وما هو ذنبي إذا كنت أثبت الانم ولماذا  
تجلى الخير عني ؟

## أوديسيوس يلتقي تليماك

لقد كانت هداة الفجر الساكنة الجيلة حيناً  
 هب يومايوس وضيغه من نومهما ليلبسا ثيابهما وبعدا  
 فطورهما ، وليرسل الراعي عماله وراء قطمانه الناعمة  
 في السهل الصامت الوديع ... وحيناً أقبل تليماخوس  
 أهرعت إليه الكلاب تلحس ثيابه وتلعق قدميه ،  
 وتَهْتَز من نشوة وطرب لأنها رائته بمد طول  
 النياب ... وقد لحظ أوديسيوس ذلك فقال يتحدث  
 إلى الراعي : « يومايوس ! هذا أحد معارفك أو  
 الأوداء إليك مقبل ... لشد ماعلقه الكلاب التي  
 أوشكت من قبل أن تعقرني ! إنها لاتنبع ولا  
 تكشر ، بل تقى في إثره ذليلة ! » . وما كاد يفرغ  
 من حديثه حتى كان ولده واقفاً أمامه في رجة  
 الدار . وما كاد يومايوس يلحسه ، حتى هب من  
 مقامه مسبوها مرتبكا ، وحتى انقذت الأكعوس  
 التي كان يمزج فيها الخمر من يديه ... بيد أنه  
 ذهب إليه يقبله ويقبله ، ويبالغ في تقبيله ، كأب  
 مشوق لقي ولده فجأة بعد بضع سنين من سمرارة  
 البعد وألم الفراق ! ثم قال يكلمه : « أواه  
 تليماخوس ؟ أهو أنت يا نور عيني ؟ أنت نفسك ؟  
 أو قد عدت ؟ بالله ما كان يحظر بخلدني أنك عائد  
 من سفرك بعد الذي دبروا لك ! هلم يا صبي !  
 تعال يا بني ! فلقد عادت إلى روحي من سفر سحيق  
 برؤيتك ... تعال تليماخوس فأندر مارتورنا هنا طول  
 اشتغالك بالمعايد النلكيد !! » وقال تليماك يجيبه :  
 « أجل أيها الصديق ؟ غير أنني أتيت لأسألك  
 عن أمي !! أما تزال غلصة لك كرى أوديسيوس  
 فأعنه على عهده ، أم أنها هجرت مهاده لتقع في شرك



## الأولاد ليسيوس

لهرميرس

## بقلم الأستاذ دريني خشبة

## مقدمة الفصول السابقة

« لم يد أوديسيوس بعد لما وضعت حرب طروادة  
 أوزارها لأنه نزل طريقه في البحر ولأن إله البحار  
 نبتيون كان أقد أعدائه وكان هذا واقفاً له بالرصاد -  
 وقد أجر ولده تليماك لیسال عنه الملوك الذين حصوه  
 إلى طروادة - وكانت أمه آية في الجمال اليوناني الفذ  
 فلما تأخر وصول زوجها طمع في زواجها جميع أمراء  
 ليشاكا وأمراء الجزر القريبة منها فحسروا إلى بيتها  
 وحاصروها فيه ليضطروها إلى الزواج من واحد منهم  
 ولكنها استميتهم حتى تفرغ من تسبيح كانت تعمل  
 فيه بالليل وتتقنه بالتهار ؟ وأجر بسن عشاقها ليقنوا  
 تليماك في طريقه إلى الوطن . وقد لقي أوديسيوس  
 أهوالاً جه من أحسن مآل الأوديسة . وقد صرت  
 بالفارسي في الفصول السابقة . ثم أوصله فلك الملك  
 الفياشين - أمراء البحر - سالماً إلى ليشاكا - وقد  
 غيرت مبرزاً ملاحه وأظهرته في شكل شجاع عجز  
 وأمرته أن يذهب لبيت راعي يومايوس وليظل  
 لديه يومين أو نحوهما حتى تهدب من فصوص يائنة تليماك  
 سالماً إلى الوطن - وفي الفصل التالي يلتقي الولد أباه  
 وتعارفان ... »

لا أستطيع أن أدفع عنها إصر هؤلاء الأنجاس الناكيد ، الذين طال لبهم حولها ، وتوهمهم بسبها حتى لأخشى أن تضيق بهم فتختار مرغمة ، أفضلهم بعلا لها ، أو أكثرهم عطاء ، وأوسعهم ثراء ... بيد أنني أوتر أن أمنحه ديناراً وصداراً ، ونعلين ، وسيفاً جرازاً ، ثم أرسله إلى أى أقاليم العالم شاء ، فى حمايتي ... وإن أحب ، فليبق هنا فى ضيافتك أنت ، وسأرسل إليه ما هو حسبه من طعام وشراب خشية أن يرهقك ، أو أن تضيق به ... أما أن يصحبني إلى القصر الذى تعلم من أمره ما تعلم ، فذلك ما لا أرشاه له ... فقد بغمه أخذ بكلمة فيجرحه ، وأجرح أنا بسببه ، وأنت لا تخفى عليك أننى صغير لا أستطيع مهما أوتيت من الشجاعة أن أرد عادية هؤلاء الأوغاد ، وتولى أوديسيوس الاجابة فقال : « أوه أيها الحبيب الطيب القلب ! لشد ما يتعزق نياط قلبي لما سمعت من أمر هؤلاء العشاق الأشقياء الذين يستيحيون مثلي فتى كريم مثلك ! ولكن قل لي ، إذا أدت أن أتكم فى هذا الشأن : هل عن رضى منك لصقوا بمنزلك فابرعون ؟ أم رغبتك أيها العزيز ؟ اليس لك أخوة يسندونك ويشدون أزرک فطردهم من بيتك ؟ أو أه لو عاد لي شبابي الآن أو أه ! وآه لو عاد الآن أوديسيوس ! الله لو أنني فى حالك هذه لأترت أن أمتشق سيفي فى وجوههم فاما أن أظهر يفتي منهم ، وإما أن أفر قتيلاً بينهم فلا تقع عيني على ما يصنعون ، ولا أرى إلى عيهم وعيهم بكل ما فى منزل أبي من خير ومسير السنين الطوال ! » فقال تليماك : « ليس سرأيها اللامحي الكريم ما بيني وبين قومي ، وليس منهم من

من شرك المناكب المدقة بها ؟ » وأجابه الراعي فوصف له ما تلقاه الأم الحزونة من الضنى والحزن ، وما تذرف من الدموع فى جنح الليل لما يرميها به الحيدان ... ثم دخل تليماك بعد أن أخذ الراعي حربته ، فنهض أوديسيوس ليخلى لولده مقعده ، فأبى تليماك .. « لأن المكان فسيع ، ولأن يوماوس يستطيع أن يعد لنا مقعداً آخر ... فوالله لتجلسن أيها اللامحي الكريم ! » . وهيا الراعي لسيدته مقعداً من الحشائش الغضة والخلفاء الرطبة جعل عليها فروة كبيرة مما عنده ؛ وجلس تليماك .. وأحضر يوماوس فطوره فى أطباق من أطباق أمس وشيئاً من الخبز والتمر ؛ ونشر الصحاف على الخوان أمام مولاه ، وأخذ الثلاثة يلهوونها أكلة مربية هائنة ... حتى إذا فرغوا ، توجه تليماك بالحديث إلى راعيه فقال : « ممن ضيفك يا أبتاه ومتى وصل إلى إيثاكا وكيف ؟ وأى اللامحين حملوه إلى شاطئنا ؟ » . قال الراعي : « والله يا بني ما أستطيع أن أخفى عنك ما قال ؛ فهو يدعي أنه من نسل الأماثل الأجداد من أمراء كريت ، وأنه طوف فى الآفاق ، وسافر فى البلاد ورأى من الدن ما لا عين رأت ... وهو يقول إن فلاناً تسبورتيا قد حمله إلى شاطئنا قبل أن تحمله رجلاه إلى كوخى هذا ... ولكن .. لم هذا ؟ ولم أتولى أنا الاجابة ؟ إنه أمامك وأنا أدع أمره لك ، فاصنع ما تشاء ... إنه لائذ بك ، قاصد بابك ، وأحسب أن له حاجة عندك ! » وبدأ الأم فى حيا الشاب فأجاب : « والله لقد آلمني حديثك أيها الأب يوماوس ! أنت تجعله لا تذابني قاصداً بابي ، وأنت تعرف من حالى ما تعرف ، وتعلم أنني مُرْزَأٌ بهذه الطغمة ، مشغول بالذنى التى

فملها أوديسيوس فهب مسرعاً إلى ربة الحكمة التي قالت له : « الآن ينبغي أن تكشف نفسك لولئك فتفقه على حقيقة الأمر ، ثم تذهب معه إلى المدينة وفي قبضتك الموت الزؤام تجرعه صاباً ويحوموا للمشاق . وسأكون دائماً معك ، وسأشرف على على المعركة بنفسى » ولسته بمصاها السحرية فارتد إلى صورته الحقيقية ، وعاد إليه عفوانه وجماله ، وتلك البشارة البرزخية التي تلتصق فوق جسمه دائماً ؛ واستطالت لحيته كذلك ، وعاد إلى الكوخ في حلته الضافية التي كانت عليه من قبل ... فلما رأى تليماك شُده وقرق وقال له : « أيها التازح القريب ماذا أصابك ؟ لقد تبدلت أما تبدل ! خبرنى أرجوك وأتوسل إليك ، أأنت إله كريم فتمقر لك القرابين ونذبح من أجلك الأضاحى ؟ » قال أوديسيوس : « ليفرخ روعك يا بنى فأنا إله إن أنا إلا بشر ، وإن أنا إلا أبوك الذي ذهبت تدور الدنيا من أجله والذي بسببه غصصت بكل هذه الآلام ، وصبرت للؤم هؤلاء الناس ! ثم ضم إليه ولده وطقق قبله ويذرف دموعه على خديه ١١ بيد أن تليماك لم يصدق وراح بدوره يقول : « أبى ؟ لن تكون مطلقاً أبى ! بل أنت إله تنزل من السماء ليبتى ، وليريدنى شقوة وأشجاناً ! أي بشر يستطيع أن يصنع ما صنعت ، وكنت منذ لحظة عجوزاً مجدودب الظهر بمجد الوجه غائر العينين ، تلوح في مرقق وأسهال ، ثم تخرج هنيئة وتمود في هذا البدن الفينان وذلك المظهر الفتان الذى لا يكون إلا للآلهة ؟ » فقال أبوه : « أى بنى أنا أوديسيوس ، ولن يرجع إليك أوديسيوس آخر سوى اطمئن يا ولدى فقد صنعت مينرفا ما رأيت بأبيك ، وما صنعتها أنا بنفسى

يضمّر على عداوة أو يطوى جوانحه لى على حقد ... أما الأخوة والأشقاء فليس فى أسرتنا من رزق هذه النعمة ، بل هذا دأب عائلتنا منذ القدم ؛ ذلك أرسسسياس لم ينبج غير لرتريس ، ولم ينبج لرتريس غير أوديسيوس ، وهذا لم ينبج غيرى ... أنا ... هذا المرزأ المحزون الموجع القلب .. من أجل ذلك طمع هؤلاء الطامعون فينا وتكالبوا على بيتنا من كل فج ، فأقبلوا من ساموس ودلشيوم وزاكتوس وأطراف إيثاكا ، ومن الجزر الكثيرة المنتثرة في هذا البحر ... كل يرغب أن تكون أوى له من دون المالين زوجة برغمها ، فهم مقيمون لا يرمعون ، آكلين ناعمين ، يستفيدون غلة ما ترك أوديسيوس ، آتين على كل ما فى بيته وخزائنه ، ويوشكون أن يأتوا على أنا الآخر ! » ثم أمر يومايوس أن يذهب إلى القصر فيخبر أمه بعودته سالماً من ييلوس ؛ فذكره يومايوس بحمد الضيف الشيخ الذى امتنع عن الأكل والشراب منذ أن رحل تليماك يسائل عن أبيه ... وذلك مما أضواء من الهم ، واستأذنه أن يمر عليه فيخبره بعودة مولاه حتى يطعم هو الآخر . ولكن تليماك أمره بأن يذهب من فورهِ إلى القصر فيخبر الملكة ، ولترسل هي إحدى وصيفاتها إلى جده فتخبره ... وانطلق يومايوس ... وكانت مينرفا تنتظر ذهابه لتبدو لأوديسيوس في صورة حسناء ذات وقار وحسن سم ، وقد أخذت الكلاب روعة مرأها فتكبيكت في أحد أركان الحظيرة ، وراحت توفوق وتهر <sup>(١)</sup> مما شدهما من منظر مينرفا ، وقد لفت

(١) الزوقة صوت الكلاب إذا غابت والحرير صوتها إذا أنكرت شيئاً (العمالي)

إنها رية ولها القدرة على كل شيء ، ففي وسعها أن تظهر من تشاء في صور شتى ، وليس هذا على أئتنا بعزّز ، وأحسن تلياك ما كان يشيع في كلمات أبيه من حرارة وإخلاص لا يصدران إلا عن قلب أب ، فانطلق يبادل والده عناقاً بعتاق ، ودماً بدمع ، وقبالات بقبالات ! ثم سأله كيف عاد إلى الوطن بعد كل تلك السنين الطوال ، فقص عليه قصسته ثم قال له : « ولكن حدثني أنت عن أسر أولئك المشاق الأوغاد ماعددهم ، وهل نستطيع كلانا أن نقف لهم فنظفر بهم ؟ » فأجاب تلياك : « أبته ! لقد سمعت النناء على شجاعتك وسكّة حيلتك وجليل حكمتك في كل خُبارٍ وكل تقع ... ثناءً بلهج به فم الدنيا جميعاً ! بيد أنه ينبغي ألا نجازف هذه المجازفة التي لا نعرف ماذا وراءها ... إذ ماذا يصنع اثنان بشرين ومائة من خيرة صنّاديد إيثاكا وما حولها ؟ الرأى أن نفكر في أنصار يشدون أزرباً ويكونون عوناً لنا » فقال أودسيوس وهو يتسم : « وما قولك يا بني في اثنين الله - جوف العلي - ثالثهما ، ومينرفا نصيرتهما على القوم الظالمين ؟ إذا كان هذان معنا ، أفنحتاج إلى عون آخر ؟ » فقال تلياك : « بلي ... تعالى جوف وجلّت مينرفا ... إن لها لأيدياً فوق أيدي الناس ، لأنهما يحكان من فوق عرشهما المرد فوق السحاب ، في الأرض والسماء على السواء . » وقال أبوه يزيد طمأنينة : « وسيكونان معنا في الحلبة حين يجيد جدنا ... فإذا كان الصباح فاذهب إلى القصر واختلط بالمشاق ؛ وسبقودى راعينا الأمين إلى هنالك ، متكرراً في صورة الشحاذ الفقير الذي رأيت ، فإذا فرطوا علي فلا تأس ، حتى ولو

كان فرطهم بالضرب والسباب ... ويسرنى أن تحتمل وتصطبر ، فإذا زادوا فاصرف عني أدام بكلمة طيبة حتى يحكم الله بيني وبينهم بأن يحين حينهم ... واحذر أن تخبر أحداً بمودتي حتى ولا أبي ... بل على الأحص أمك بنلوب أو هذا الراعي يومايوس ... إذ ينبغي أن نستمع على أمرنا بالسكمان حتى نعرف أصدقاءنا ونخبر أعداءنا ! » وطمأنه تلياك وأكد له كل شيء ... ثم وصل يومايوس إلى بنلوب فأخبرها بعودة تلياك ، وذاع النباء بين المشاق فذعروا ، لفشل مؤامرتهم ضده ، وانتشروا خارج القصر ، واعتزموا أن يبعثوا نفرًا منهم بهذا النباء إلى الطلعة التي ذهبت تترصد بالفتى لئنتاله إذ هو عائد من ييوس ... ثم اجتمعوا يذكرون السيئات ويدبرون قتل تلياك حين تتيج فرصة أخرى . وكان ميدون قريباً منهم فاسترق سمعهم وطار به إلى بنلوب التي هالها ما مكروا وما دبروا ، فذهبت في جميع وصيفاتها إلى رحبة القصر ، حيث اجتمع أعداؤها إلى شياطينهم ، فصاحت برعيمهم أنطونيوس من وراء حجابها قائلة : « أنطونيوس تبت بذاك يا ألام الناس ! أنت يا من بدعونك التي الصالح وأنت أسفل مما يظنون طوية وأخبت سريرة ! كيف حدثتك نفسك بهذا التدبير السيّ فترسم لأشراك قتل ولدي الذي لم يعد لي في الحياة رجاء غيره ؟ ألا لأنه ضعيف بنفسه ؟ ألا فاعلم أنه قوي بالله الذي ينتقم لمباهد من الظالمين ! أيها اللئيم ، أبجل هذا تجزي جميل أودسيوس الذي حال مرة بين أيك وبين أعدائه معرضاً بنفسه للهلكة ولولاه لظفروا به ، ولولا أن قتل منهم من قتل وصرع من صرع لمجلت روحه إلى نيران هيدز وبش الفرار ؟ أفلم



ثم قال لراعيه : « أبها الأب الصديق ، إني متوجه إلى المدينة لأتقي أي ، فأكبر الظن أنها لن برقأ لها دمع ولن تخفت لها أهة حتى تراقى ... أما هذا اللاجئ ... فرأى أن ينطلق إلى المدينة فليسال الناس وليطرق الأبواب ، ولن يعدم إذا تكففهم أن ينال رزقه ويحصل على لقأت يتبلغ بها ... إن لدى من المتاعب والمشاق ما يشغلي عن كل جواب آفاق ... إمض به إلى المدينة إذن ، فإذا آله هذا ، فهو حر ... إني رجل لا أعبأ أن أقول الحق ! »

فنهض أوديسيوس ليقول : « سيدى ! إني لم أبغ أن أثلبت هنا ، فليس لشحاذ فقير مثل أن يلتمس رزقه في الحقول والنيطان ! بل إني منطلق إلى المدينة ولست مقعداً أو ضعفاً فلا أقوى على عمل يؤجرنى عليه أحد أمراًها ... تفضل أنت فاذهب لطبتك ، وسامضى أنا مع خادمك حين تتمتع الشمس قليلا ، فأنا كما ترى رجل شيخ ، وأخشى أن يقتلني برد الصباح وصقيعه ، وليس ما يحفظني منها إلا مارتى من مرق مضى أصلها وبقي رقمها ! » ... وانطلق تلياك فبلغ القصر ، واتى أول من لقي مريضه يوريكليا ، حيث كانت وأترابها ينشرون فراء على كراسى وحالات مبعثرة في الزدهة ... فلما رآه عجلت إليه ورجبت به وسلمت عليه ، وانطلقت السموع من عينها فأنفقد لسانها وأجيس منطلقاً ، ثم اجتمعت الجوارى يقبلن تلياك ويحدقن به حتى لفتن نظر الأم العذبة المحزونة المطلة من إحدى شرفات القصر ، فأهرعت من عل وأخذت في حضنها الحب الرحيم أعز الأبناء ، وأمطرت جبينه وخديه بالسموع والقبل ثم جملت تقول له : « أو قد عدت إلى الوطن يا نور عيني ! تلياك ! تالله لقد وقر في

يكفك ما تأكل بغير حق من زاده ، وتمتغ غير عابى بعثاده ، فترسم لأشراك غيلة ابنه ؟ » وانبرى يوريماخوس يهدى من ثورتها ويطمئنها أن أحداً من المالين لا يستطيع أن ينال تلياك بأذى مادام هو حياً يدب على قدمين ... وكان يتكلم رغم ما كان ينطوي عليه قلبه ... لأنه كان من أكبر المتأمرين على حياة ابنها العزيز الحبيب ... وبعد أن توارت أورورا عاد الراعى إلى حظائر يدب على عكازه ، وكانت ميزفا قد لست أوديسيوس بمصاها السحرية فعاد إلى صورة الفقير الشحاذ وعادت إليه مرقه وأسأله ، فوجد سيده وضيغه الفقير ينداب عشاءها . ولما لحه تلياك قال له :

« ما وراك يا يومايوس الصالح ؟ أعلمت عن الطغمة التي استأنت في ساموس تبرص بي شيئاً ؟ » فأجابه الراعى : « تالله لا علم لى بشئ يا مولاي ، فأنا لم أتنظر طويلا في المدينة لأتسقط الأبناء ، لأنك أمرتني أن أرتد على عجل ؛ بيد أنني لحت مراكبا يطوى البحر إذ أنا عائد ، ويدخل المرقأ ، وفيه من العدة والمدد ما يبهز النظر ويخطف البصر ، وأجسب أنهم هم الأمراء الذين تقى ، غير أنني لا أجزم بهذا . »

ونظر تلياك إلى والده متبسها ، محاذراً أن ينتبه الراعى إلى شئ .

\*\*\*

### أوديسيوس في قصره

وفضرت أورورا جبين الشرق بالورد ، وخضبتة بالشفق ، فهب تليماخوس من نومه الهامى الهادئ الموشى بالأحلام ، فلبس وانتل ، واختلط جرازه

أبنائه إلى ملك أسبرطة لأسأله عن أبي... وقد  
لقيني منالوس فأحسن لقاى وأكرم مثنوي ،  
ورأيت زوجه هيلين الحُسنان اللتان التي شُبَّ  
بسبها حروب طروادة ، والتي لقي من أجلها أبطال  
الأغريق أنكي ألوان العذاب ... ولما سألتني الملك  
فيم قدمت ، نبأته بأبناء العشاق المأميد ، ووصفت  
له مايجرون على بيت أبي من الخراب ، فأرعى وأزبد  
ولعنهم أشد اللعن ، ونوسل إلى الآلهة أن ترد إليهم  
أوديسيوس فيسطن بهم ، ويميد إليهم صوابهم ، ثم  
قص على ماسمه من أحد أرباب الماء - بروتينوس -  
الذي أخبره أن أبي ما يزال حيًا يرزق في إحدى  
الجزر النائية ، وأن عربوسًا من عرائس الماء تصجده  
عندها في تلك الجزيرة برغبه ، لأنها تحبه وتمواه ،  
وأنه لايجد سفينة يهرب عليها إلى الوطن ... هذا  
يا أماء كل ماعلمته عن أبي من الملك منالوس ، وقد  
أذن لي في العودة ، فأبَت في رعاية السماء وحفظ  
الآلهة . وكانت بطلوب تصفي وثورة من الجزن  
تحتاج نفسها ، ولظي من الوجد يفتك بقلها . فلما  
فرغ تلياك ، التفت تيوكليمينوس المتني إلى السيفة  
الرؤوم فقال : « يازوج أوديسيوس أعيريني سمك !  
إصني إلى فسأتبأك ! إن ابنك هذا لم يسمع عن  
أبيه أي نبأ يقين ... أما أنا ، فقد بدت لي أمارات  
وشهدت في السماء علامات ... ومحال أن تكذب  
علامات السماء ... أقسم لك بجوف الطي رب  
الأرباب ، وأقسم بهذا البيت أوديسيوس ، أن  
زوجك هنا ، وفي إيثاكا ... وهو يعلم كل صغيرة  
وكبيرة من أبناء العشاق وخباتاتهم ، وإنه ليدبر  
لهم عقابًا هائلًا لن يفلت أحداً منهم !! » وسكت  
المتني ... وأقبل العشاق من لمبهم غفلوا عباياتهم ،

قلبي أنفي لن أراك بعد إذا أبحرت إلى بيلوس  
برغمي ، وعلى غير علم مني ، لتسقط أبناء أليك...  
ولكن ... خبرني يا بني ماذا عساك سمعت . »  
فقال الفتى : « أماء ! لم تمودين بذكري إلى عبوس  
الحياة وقد أفلتت من الموت ؟ أولى لك ثم أولى أن  
تضني عليك من أغرأتوابك ، ثم تصلي للآلهة  
أن تهني لنا يوم انتقام عادل لا يبق ولا يذر !  
يبد أنه ينبغي أن أذهب الآن لأنني ضيفًا  
كريمًا عزيزًا جدًا على - عزيزًا جدًا على يا أماء ! -  
حضر معي في سفيني أمس ، وقد أرسلته مع من  
يُضيفه عني حتى أعود فأضيفه أنا نفسي »  
وذهب بطلوب فصلت طويلًا للآلهة ، وانطلق تلياك  
فاقي تيوكليمينوس وعاد معه إلى القصر ، وجلسا  
يتحدثان بينما أحضر أحد الخدم مائدة حافلة بألوان  
الطعام وأطبب صنوف الشراب ، فوضعا أمامها ...  
وأقبل بطلوب فجلست لدى الباب تنسج ثوبها الذي  
لايتهي ! فلما فرغا من طعامهما أقبلت فقالت تخاطب  
تلياخوس : « يبدو لي أنك لن تقص على الآن  
ما سمعت من أبناء أليك يا تلياخوس ، وأوتر إذن  
أن أصعد فأضجع في فراشي الذي أبلله دائمًا  
بدموعي منذ فارق أوديسيوس ... فإذا انصرف  
الأوغاد المأميد وفرغت من شغلك بهنم فاحضر  
إلى لتقص علي من أبنائه . » ولكن تلياك قال :  
« أماء ! لم أقص عليك ماسمعت وما سافرت إلا  
لأطمئنك وأطمئن نفسي ؟ لقد سافرت إلى بيلوس  
وخظيت ببقاء نسطور الذي هش لي وبش وفرح  
بي كما أنا ابنه الذي انتقده طويلًا وعاد نجاة إليه ؟  
غير أنه لم يذكر لي عن أبي قليلًا أو كثيرًا لعدم  
علمه بشيء من أبنائه ، ولذلك بغنى مع واحد من

البذاء ، وركل أودسيوس آخر الأمر ركلة قوية في ساقه ، فلو لا ما حرص الملك عليه من كتمان أمره لحطمه بسببها ، ولسح به ظاهر الأرض ، ولقد هاج هايج يومايوس فدعا أخته لتنتقم لرفيقه الضميف وطفق يقول : « يا عرائس هذا البيع المقدس اسمي بحق ما عقر لك أودسيوس وباسم ما ضحى أن ترديه إلى بلاده لينتقم من أمثال هذا الوغد الزنيم الذي لا يحسن إلا أن يملق أعداء مولاه ، وإلا أن يغشى رحابهم ، بينما قطعناه ساعة في المرح لا راعي لها ولا حفيظ ! » فصاح الراعي الوقح : « هاه ! أجيبي يا عرائس دعاءك لكليك الأمين ! أوأه لو أستطيع أن أحملك في فلك أحد هؤلاء السادة فأبعثك بيع الرقيق في بلد سحيق ! أودسيوس ما ذا أبها إليهم ! لقد أودى أودسيوس ولن يعود إلى الحياة قط . وبودي لو لحق به ابنه تلياك ! ! » ... قالها ... وانطلق حتى بلغ القصر وغشى مجلس العشاق بطرفهم بما حدث له مع راعي الخنازير ... أما أودسيوس وأمينه فقد سارا وريداً حتى أتيا بوابة القصر فقلبا عندهما ... وتناول أودسيوس يد الراعي وقال : « يومايوس ! لا رب أن هذه سراي الملك ! أنظرا ! ها هي ذى الحجرات يتلو بعضها بعضاً ، وهاك الرحبة الكبرى ذات الماد وذات الأبواب ... وإلى أحدهن أن هناك أضيافاً اجتمعوا لوليمة ، وهذا قثار اللحم بملأخياشيعي ، وإرنان القيثارة يجلجل في أذني ... » فقال يومايوس بجمبه : « أنت ذكي شديد الذكاء ! إنه هو المكان بسبته ، والآن ، هل تذهب أنت وحدك تستعرض الأمراء وتعود ، أم تنتظر حتى أذهب أنا فأخطف نظرة إليهم ؟ على أنك يجب ألا تلبث هنا طويلاً ، فقد رآك بعضهم

ثم نشطوا إلى الشاء والخنازير فجروا لطعامهم ... هذا ما كان من أمر تلياك وأمه ، وما كان من أمر العشاق . أما ما كان من أمر أودسيوس فقد مضى في الطريق إلى المدينة بخطى متمترة والراعي بين يديه ، وعلى كاهله حقييته ، وفي يده عكازه ، وكلما لقيهما أحد صمّر خده ، وشمخ بأنفه ، تفرزاً من منظر هذا الشحاذ الفقير القدر ... ثم أتيا إلى نبع يتفجر في الطريق فيستقي الناس منه ، وقد بسقت من حوله أشجار الحور والسندبان ، وترقرق الماء فوق الحصاء كاللجين يتدحرج من حيد أكمة هناك ، أقام الصالحون فوقها مذبحاً لعرائس الغاب حيث يتقدم الناس بندورهم ويمقرنون إصغياتهم ... وقد لقيها هناك راعي ماغر الملك — ملاثيوس — يسوق قطيعاً من أسنن ما يرعي لأجل ولأم العشاق ... ولقد كان ملاثيوس هذا من أذنانهم ومتملقهم . وكان يصنع كل ما يجيبه إليهم ويضمن له عطفهم ، فلما رأى الفقيرين وأحدهما زميل له ، انطلق بهذي ويصخب ، ويسب ويسخر ، ويفمز الرجلين غمزاً شديداً موجعاً ، حتى غلى الدم في رأس أودسيوس : « إن شملأ أهذان المسخان ! طاعون يجتاحك يا راعي الخنازير القدر ! حقاً إن الطيور على أشكلها تقع ! كلب يقود آخر ... إلى أين ؟ إلى حيث يلتقط فتات موائدنا ! عجبا ؟ ألا تطلقه معي إلى المزراع ينظف الثرائب ويحمل الماف ويحرس التلة ويشرب ما يشاء من اللبن الحازر (١) والخميص ، ويكسو عظامه المروقة بإهاب من اللحم ! ولكن هيهات ! فقد بلدت طباعه فلا يصلح لعمل شريف ! » وهكذا ظل الراعي الشرير يبق من هذا

(١) شديد الحموضة والخميص الذي استخرجت زبدته

الذى قضى وتركه من ورائه لإكمال الوصيفات وقلة أكثرهن ... أما عبيد هذا القصر فهم كالوصيفات حذوك النمل بالنمل ، فهم لا ينشطون لعمل كما ينشطون وسيدهم بينهم ، ثم هم قد قدأوا بالعبودية وذلة الرق نصف آدميتهم ورجولتهم !! « ثم مضى أودسيوس نحو صديقه وخذل صباه ، فبكى وذرف دموعه ، وكذلك فعل الكلب ... حتى مات ... ولكن بعد أن رأى سيده نارة أخرى !!

ولم تلبك راعييه فأومأ إليه ، وأخذ جانباً ، ثم أمدته بنصيب جزيل من طعام الوليمة ... وبعد لحظات أقبل أودسيوس في صورة الشحاذ الفقير ، وجلس على الأرض ، فأرسل إليه ولده شيئاً من اللحم والخبز مع يومايوس ، وأسر إليه أن يرسله بين الأسراء يتكفف ، وبالأحرى ليتعرف ، فلما فرغ من طعامه نهض فساد بينهم يسأل هذا ويحدث فيه ، وينصرف إلى ذاك ويمجده ، وبعد يده من من أجل لقمة كما يصنع الشحاذون ، وقد رثي له كثيرون فأمدوه بلبقات ومضغ من اللحم ، إلا أنطونيوس ، فقد استهزأ به وبمن أحسن من الأسراء إليه ، وعيرهم بأنهم يتصدقون بما ليس لهم ثم هاج وماج ، ورفع كرسيّاً أوشك أن يطمح به رأس أودسيوس ، وأمره أن ينصرف فلا يكره عليهم صفوهم أكثر مما فعل !! ولكن الكرمي صدى كنف الملك ، وأعز رأسه ، ووقف أودسيوس كالصخرة لا يتحرك ولا ينبس بمنت شفة ... ولكن ألف ألف فكرة سوداء كانت تكلف فؤاده وترحم تفكيره ... ثم مضى فجلس حيث كان من قبل ، وهتف بالشاق في صوت جهورى فقال : « سادى الأمراء اسموا ! تالله لو أنها ضربة في حرب بين كفتين لما حملت لها موحدة في نفسى ...

فيؤذيك ويطردك من هنا شر طردة » وقال أودسيوس : « بل انطلق أنت وإنى منتظر هنا ، فإذا لكبنى أحد أو لكزنى أو ركبنى ، فليشد ما احتمل هذا وذاك ، وهل هو إلا بعض ما احتملت في حروبي الطويلة ؟ » وبينهما يتحدثان ، إذا كلب كبير رابض يقف فجأة فيمص بذبذبه وينصب أذنيه ، ويحدق بصره في أودسيوس ، ويظل مسحوراً ذاهلاً : آه ! إنه الكلب العزيز أرجوس الذى رياه الملك قبل أن يرحل إلى طروادة ... لقد أهمل أمره ، فهو رابض هكذا في حانة من الروث والقذر والقمل أمام بوابة القصر ، كالشاعر المجز الذى يجتر ذكرياته !! لقد عرف صوت مولاه برغم السنين الطوال ، فبكى ، وهر ، وأرسل الدموع حراراً تسقى صديقه ! وقد تأججت في قلبه الحيوانى ثورة من الحزن الطارىء المفاجئ فلم يقو أن يزحف ليمسح بلسانه قدي مولاه ... وقد لحظ أودسيوس ما أصاب كلبه العزيز فبكى هو الآخر تأثراً ، وسجل هذه الآلية من الوفاء للحيوان على الانسان ! وأشاح بوجهه عن الراى حتى لا يدرك ما بينيه من دموع . فلما مسحها بكه قال يحدث يومايوس : « أليس عجيباً ومؤملاً مما يا صديقى أن يتركوا هذا الكلب الذى تبدو عليه سباه النبل فوق هذه الكومة من الروث ؟ قد يكون أقمده الضعف عن متابعة الصيد وقد يكون بقاؤهم عليه من أجل منظره وحسن سمته !! » فأجابه الراى : « أوه ، بل أيها الرفيق ! أما والله لو شهدته في إثر مولاه أودسيوس لعجت لعظم قوته وشدة جبروته ! أبداً لم يخلق الله وقتئذ كلباً أتبع لصيد ، أو أقوى حاسة شم منه ؛ وأبداً لم يكن عندنا كلب ليس يدرك عبوة كلب كآرجوس هذا الرابض يساقط نفسه أنفساً !! إنه يبكى مولاه

« انطلق إذن فأحضره ، ودعه يتحدث بما روى وجهاً لوجه ، وسأهبه صداراً ودثاراً إذا توسمت في قوله الحق ، وأنتست في روايته الصدق »  
 وادعى أوديسيوس أنه يخشى أن يجوز وسط الأمراء مرة أخرى ، وفضل أن يلقى الملكة فيتحدث إليها إذا جئ الليل بجانب المدفأ ... ووافقت الملكة ، وصوّت رأي الرجل ؛ وكان الوقت أسيراً فقصده الراعى إلى تليماك واستأذنه في الانصراف إلى حظائره ، فأذن له ، ولكن بعد أن أمره بالتزود لمشائه ، ففعل يومايوس ، ثم مضى ليسهر على خنازيره

در بنی هشتی

» بنیع «

ظهرت مبرئاً

## مسر حیات

توفیق الحکیم

فی مجلدین

٦٠٠ صفحة

تتم الجزء من ١٨ قرشاً مصرياً

عدا أجرة البريد

تطلب من ناشرها

مكتبة النهضة المصرية

١٥ شارع اللدايغ بالقاهرة

ولكن أنطونيوس رأى من سلطان الجوع والضعف على ما جرأه وأثار مخزته ... وأنا مع ذلك أترك جزاءه لله ، وأضرع إليه جل ثناؤه أن يقبضه قبل أن ترف إليه عرسه !! » وكانما خجل المشاق مما فعل أنطونيوس فجعلوا يلومونه ويتلاذمون فيما بينهم . قال قائلهم : « من يدري ؟ ألا يحتمل أن يكون أحد آلهة السماء جاء ليلونا ... والويل لك يا أنطونيوس إذا صدق حدسنا ... ألا تعلم أنهم طاملاً يتزلزلون فيقشون مدناً في صور الشحاذين ليروا بأعينهم ما نأفك وما نعين ؟ » ولم يبال بهم ولم يابه لما قالوا ... وكان تلباخوس يتميز من الغيظ ، ويسر في نفسه أوجع الألم لما نال أباه من الضرب ، بيد أنه غلب غضبه ، وجبسه في أعماقه ، كما حبس في عينيه وابلأ من السموع ... وكانت بتلوط تطلع من شرفها وترى ما حل بالرجل من إيذاء ، فتهفت بيومايوس أن يدعوها إليها كيما تسأله عن أوديسيوس ، لما يبدو عليه من أثر السفر وجوب الآفاق . قال الراعى : « أجل يا مولائي ، إنه رجل من كريت ، وقد خاض ألف مكروه قبل أن تحمله الصدفة إلى بلادنا ؛ ثم هو يحدث ساحر الحديث طلي الرواية ، حتى ليخبط سمع من يصنى إليه بأشد مما يستطيع منشد مطرب أن يفعل ؛ وكلما طال حديثه لدت طلاوته ، وكثرت حلاوته ، فلا تملى أذنان ، ولا يضيق به مصغ إليه ... وأعجب ما ذكره مرة لي أنه رأى أوديسيوس وعرفه في أبيروس ... بل يزيد فيؤكد أن مولاي عائد أدراجنا إلينا ، حاملاً معه كنوزاً من الذهب ، وأذخاراً لم تر العين مثلاً ولم تخطر على قلب بشر !! » فتنهدت بتلوط وقالت :

« طبعته بمطبعة الرمان بشارع المهدي رقم ٧ »

صاحب المجلة ومديرها  
ورئيس تحريرها المستول  
احمد حسن الزيات

بدل الاشتراك عن سنة  
٣٠ في مصر والسودان  
٥٠ في الممالك الأخرى  
١ ثمن العدد الواحد

الادارة  
شارع عبد العزيز رقم ٣٦  
العتبة الخضراء - القاهرة  
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

# المروية

مجلة اسبوعية للقصة والنايخ

نصدر مؤقنا في أول كل شهر وفي نصفه

العدد ٢١ ٢٨ رمضان سنة ١٣٥٦ - أول ديسمبر سنة ١٩٣٧ السنة الأولى



من احسن القصص

## فهرس العدد

صفحة	الفرام الأول	أقصوة مصرية	قلم أحمد حسن الزيات
١٢٩٠	الزوجة الحناء	للكاتب النموى هيرمان بار	قلم الأستاذ كامل محمود حبيب
١٢٩٥	في ليلة الميلاد	للقصوى الفرنسي جى دى موباسان	قلم السيد محمد الزاوى
١٢٩٩	قطعة الضمير	لبوريس فيليوف	قلم الأستاذ محمد لطفي جمعة
١٣٠٩	خيال الحب	للكاتب الفرنسي أنذرية بيرابو	قلم الأديب محمود السيد شعبان
١٣١٥	قصة كان	للقصوى الروسى أنطون تشيكوف	قلم الأديب السيد جورج سلتى
١٣٢٢	الأغلال	للشاعر الفيلسوف رابندرانات طاغور	قلم الأديب شكرى محمد عياد
١٣٢٩	بقية حية	للكاتب الروسى تورجنيف	قلم الأستاذ خليل هندواى
١٣٣٢	اعترافات فتى الصبر	لألفريد دى موسيه	قلم الأستاذ فليكس فارس
١٣٣٦	الأوذية	لهوميروس	قلم الأستاذ دبنى خبشة
١٣٤٥			

وجهها الكامد  
طرحتها السوداء ،  
فلم أثبت معرفتها .  
وعهدي بالقرية بعيد  
فلم أعد أميز المرأة  
بلبستها ومشيتها  
وبهيمتها كما كنت  
أفعل .

من ذكريات الريف

الغمام الأول

بقلم أحمد حسن الزيات

ارتد بصرى إلى خائباً لا يملك تفسير ما في نظرة  
الصديق من عجب ، وما في ابتسامته من خبث ..  
فسألته : ماذا ؟

قال : أما عرقها ؟

فقلت : من هي ؟

قال : فلانة !

فقلت : فلانة ؟!

قال : نعم فلانة ! ولا أدري كيف أحببت هذه  
المرأة وأنت رجل منذ نشأت شاعر القلب ، وهي  
على ما أرى من ضهور الجسم وحفاة الخلقه .. ماذا  
فتبتك منها وإنك لتراها ؟ ..

فقلت له : بالله ربك لا ترد ! لا أريد أن تصفها  
ولا أحب أن أراها . دع لي صورة الفتاة التي  
عرقها وأحببتها . إنها لا تزال في طويات القلب  
طاهرة كالطفولة ، ناضرة كالصبي ، ساحرة كالشيبة .  
أما هذه التي ترى فليس بيني وبينها عهد ولا سبب .  
قم بنا عن هذا المكان وسأريك من هذه الصورة  
الجميلة خطوطاً تبعثك على أن تخيل أكثر مما  
تسمع ، وتمتع أكثر مما تفهم

\*\*\*

كان ذلك في ربيع السابع عشر والدنيا غير

ذهبت منذ قريب إلى القرية في شأن من شئون  
الأسرة . وللقرية في رمضان سحر يغلب على القوى  
الحاسة فتفرق في فيض من الشعور الرضى الرخي  
المبهم ، فلا تدري أهو حلاوة الذكرى الخاطرة ، أم  
نشوة الطبيعة الشاعرة ، أم لذة الأنس الخالص ،  
أم جمال الإيمان المشترك . وأحب شيء إلى نفسي هناك  
أن أخرج أنا وصديقي الممددة إلى ملاعب الطفولة  
ومسارح الصبي ، فاستنشى عبير الذكريات الجميلة ،  
وأستوحى آثار الداهيين الأعزّة . مشينا على المائدة  
تنقل الخطو الرفيق على أسطوار مشرقة من أديم  
الثرى الحبيب ؛ فهنا تتذكر مجلساً من مجالس الآباء ،  
وهناك تتمثل ملعباً من ملاعب الإخوة ، وثمت  
تخطر موقفاً من مواقف الأوبة ، حتى انتهينا إلى  
مكان ظليل جميل في ظاهِر القرية ، جلسنا فيه نقول  
كان وكان ، ونتمتع بجل العين والصدر والنفس من  
صفاء الجو ورواء النسيم وإشعاع البيئة . وفي فترة من  
فترات الصمت العميق الخالم أرسل صديقي نظره إلى  
مورد اللامشية من الترفة ثم رده على وفي عينه الساحبة  
جميع معاني التعجب ، وعلى شفته الباسمة كل أدوات  
الاستفهام . فنظرت حيث نظر فإذا امرأة في  
أخريات الشباب تورد بقرتها الماء ، وقد أسدلت على

ومشبهن الوئيد في أخايد الأرض منحنيات على  
الفروع الموقرة بالتمر الثالي يقطفنه في لباقة ووضعه  
في خفة وهن يتفكهن بالنسكات ويتروحن بالأغاني  
ويتساررن بالني ، ثم عودتهن في طفول الشمس  
بحرن كالغزلان ويصدحن كالمصافير فيضلعن على  
كأبة النهار المحتضر وضادة الصباح الوليد ؛ كل  
أولئك كان يرهف شعوري بالجمال فأسمع على حداقتي  
وجهالتي إلى أفق الالهام والشعر .

وكان من بين هؤلاء الفتيات النواهد أربع  
لمن عليهن السلطان الثالب والازادة المطاعة ، لامتيازهن  
بالحسن الرائع أو الصوت العذب أو الدلال العابت .  
ولهنه المزايا نفسها نشأت بيني وبينهن ألفة ، فكن  
يتخلفن عن السرب ينضعن وجوههن ويصلحن  
هندامهن حتى تنهض الجمال راحة بأحمال القطن ،  
فنمود جميعاً صامتين إلا كلمة حية أو ضحكة ندية تقع  
في الأذن أو في القلب حيناً على حين

وكانت فلانة هذه إحدى هؤلاء الصواحب  
الأربع ، وكانت يومئذ في عمر البدر تمتاز منهن بحلاوة  
الصوت ولطافة الروح وقوة الجاذبية . وكان منبع  
الجاذبية فيها عيني حوراوين تشعان الفتنة من خلال  
أهدابها الوطط ، وفأ رقيق الشفتين نضيد الثنايا  
جميل الافتراق ، وصوتها لطيف الفتنة حلو الثبرات  
فضى الرنين ، ونفساً رزينة الطبع رقيقة الشعور  
هادئة الشعاع ؛ فلا تملك وأنت مأخوذ بسحر هذه  
الصفات أن تفكر فيما فقدته من براعة التكوين  
وصفاء البشرة وغضارة البدن . وكانت هي من دونهن  
شديدة الخفر طويلة السكوت خافضة الصوت ؛  
تغمم إذا تكلمت ، وتطرق إذا تبسمت ، وتنظر  
إذا نظرت خلسة أو عن معرض . فأعزاني

الدنيا ؛ والناس غير الناس ، فالدور يفيض منها الخير ،  
والجالس يشيع فيها الوار ، والأخلاق تنقب عليها  
السذاجة ، والأمور بين أهل القرية تجري على نظام  
سماوى من التسامح والتعاون والألفة والعفة  
والاحترام والاحتشام والبر . وكان سلطان الأب على  
الأسرة أشبه بسلطانه عليها في الجاهلية الأولى ، فهو  
مجمع رأيها في القول ، ومرجع أمرها في العمل ، لا يثنى  
له يد في شأن ، ولا يرد عليه قول في حكم . لذلك  
نشأ على الهيبة فلا تقرب من مجلس ، وعلى الحياء فلا  
تشارك في حديث ، وعلى الطاعة فلا تمارض في أمر ،  
وعلى الحشمة فلا تنبدل في عاطفة . فتستطيع أنت  
من وصف تلك الحال أن تدرك طبيعة الحب الذي  
يولد بين هذه البيئة وبين هذه النشأة .

كنت أقضى عطلة الدراسة كل صيف في  
القرية ؛ فلا أكاد أنطلق من قيود الحياة في القاهرة  
حتى أعود إلى أحضان الطبيعة الرؤوم ، أتوخي أفياء  
الشجر كاطير ، وأحرم بين الحقول كالفراش ، وأروى  
مشاعري الظامئة من الجبال الحلال في السماء والماء  
والهواء وصور الناس ووجوه الأرض . فإذا أبلغ  
القطن وحن جنبه حلا لى أن أخرج وراء الجانيات  
الجماليات بملء أن أراقب عملهن وأسجل أسماءهن ؛  
ولكن الباعث الصحيح على مكابدة القيقظ واحتمال  
العناء كان شغفى بالجانب الشعري من هذه  
المشغلة . فقد كان خروج الفتيات من أزقة القرية  
أسراباً إلى الطريق الضاحك المطلول عليهن صباحة  
الصبح وإشراق العافية ، ووقوفهن صفاً على رؤوس  
الخطوط في أعلى الحقل يحين بأصواتهن الرخيمة  
المشادية شجيرات القطن وقد انمقدت على أوراقها  
أكاليل الحباب وسال على أطرافها رصاب الندي ،



بالشباب ، وصمتت الطرقات فلا تهزج بالأغاريد .  
وأصبح لقاء الأوانس الأربع ، أو الأنسة المرادة من  
هذا الجمع إن أردت الصدق ، عسيراً على مثلي ممن  
لا تساعد تربيته المدنية على أن ينشوا دور الأهلين  
في كل وقت ، ويلا بسوا طبقات الفلاحين من غير  
سبب . ولكنني أصبحت على غير ما أمسيت !  
ففراغ بالي قد امتلأ ، وأفق خيالي قد امتد ، وسر  
حالي قد استعلن ؛ وظللت اليوم كله لأجد في قلبي غير  
هوaha الملح يعصف به عصف الريح بالشجرة التهدة ،  
ولا أبصر في عيني إلا جفنيها الكحيلين يُسبِلان  
في سكون على الحماظها الفاترة ، ولا أسمع في أذني غير  
أغنيتهما مع صاحبتهما في آخر يوم من أيام الجنى ساعة  
أقبلت على الحقل في ضخوة النهار كمداني ، ومطمعها :  
يا بدر لما جيتْ كانتْ ضلامْ نورْتْ  
تلمست اللعل والحبل لأراها في بيتها أو ألقاها  
في غيظها ، فأخطأتني التوفيق لهذا الحياء الغالب على  
طبي ؛ فكنت أمر يباهي ، أو أسير في طريقها ،  
فأجدها أحياناً على عتبة الدار داخلة أو خارجة ، أو  
المحماحيتاً على حمارها القصير الأبيض راكبة على حمل  
من البرسيم ، فنتخلّس النظر ، وتنتسرق الابتسام ،  
ثم يذهب كل منا لوجهه  
لم أكن أعرف على وجه اليقين شعورها بهذا  
الفراق بعد أيام الجمع ، ولكنني علمت من بعد  
أنها كانت تبتي الوسيلة إلى اللقاء الحر حتى اهتدت  
إلى هذه الحيلة :

كان في بيتنا صيدلية صغيرة من العقاقير  
الضرورية الواقية ؛ وكان أهم ما في هذه الصيدلية لثر  
دائمهم قطرة الزنك يجعله لمن يشاء من أهل القرية .  
فكنت ترى « المنظرة » فيما بين المغرب والعشاء أشبه

هذا النغور الغزالي بها ، فكنت أسلط عليها رقيقاًها  
فيداعبها باليد ، أو يعابثها باللسان ، فتنظر أو تضحك  
أو تصيح ؛ فأحس في دمع عينيها ، وبريق ثناياها ،  
وحلاوة جرسها ، شيئاً خفياً قوياً لا أجهله لأنه  
ملء الشعور ، ولا أعلمه لأنه فوق المعرفة

كنت أقعد تحت الظلة عند مغاراش القطن  
المجموع فتأتي الفتيات فرادى وتُسي فيضمن ما ينقل  
حجورهن من القطن ، ثم يثرن طويلاً وينصرفن  
طافرات وأهازجات ، إلا فلاتة هذه ، فقد كانت تأتي  
وحدها فتحتل نطاقها على طرف المفرش ، ثم تفرط  
حجرها وهي خاشعة الطرف باسمة ، فأحاول استنطاقها  
فترتاع وتقلب إلى خطها مضرجة الوجه لا تنبس ولا  
تلتفت . وفي ذات مرة طلبت منها جرة الماء فجاءت  
بها على استحياء وهي تحاول أن تُغضن من وجهها  
وتكسر من طرفها فلا تستطيع . ووقفت أمامي  
عيناً لمين ، وروحاً لروح ؛ وجهت أنا كذلك أن  
أقول لها كلمة فذهل الخاطر وتطلت اللسان ؛ وظل  
كلانا ينظر إلى الآخر ولا يراه ، ويتلمس الطريق  
إليه ولا يجده ؛ ولكن سبباً من أسباب القدر كان  
قد وصل القلب بالقلب ، فامتزجت النفس بالنفس ،  
وفهم الشعور عن الشعور ؛ وأدركنا معاً أن بيتنا  
سرّاً ليس بيتنا وبين الناس ، جعلها في نظري  
غير من أرى من الصبايا ، وجعلني في نظرها غير من  
تعرف من الصبيّة . ومنذ ذلك اليوم أصبحت تحوم  
حول حومان الروح حول جسدها الهامد ؛ تعلم أنه  
لها ، ولكنها لا تملك أن تبعث الحياة فيه

\*\*\*

ومضت أيام الجنى السعيدة ، وقرت الكواعب  
الحسان في البيوت ، وأفقرت القيطان فلا تمج

لا . لا . عيني سليمة ، ما فيش لزوم  
حينئذ لم يبق بيبي وبين نور إلا شيء له  
دلائل وليس له لغة . هي تعلم أني أحبها ، وأنا أعلم  
أنها تحبني ، ولكننا لا نجد لهذا العلم الضروري  
اسماً يدل عليه ، ولا كلاماً يعبر عنه . لأننا معشر  
القرويين — كما تعلم — نعرف الحب بمعناه وننكره  
بلفظه . فنحن نفرق منه كما نفرق من ألفاظ  
الفضيحة والنقيصة والمهر ، ولا نفهم من كلمة الحب  
إلا افتتاح العين والقلب لواحد من الناس في غيبة  
الأسرة . ذلك إلى أن الحياة الطبيعي يعقد اللسان عن  
شكاية برحائه وحكاية همه ، فكيف بالتصريح به ؟  
كانت هذه الساعة التي جلسنا إلى ظاهرها من  
أغرب ظواهر النفس .: صبيان في حيا الشباب  
ومرح الفتوة يتحرق كلاهما شوقاً إلى صاحبه ،  
فتدنيهما الفرصة المرقوبة ، وتجمعهما الطبيعة المؤلفة ،  
على غفلة الأعين وهمود الأذان ، فلا تنبسط يد ، ولا  
ينزل لسان ، ولا تجمح شهوة ، ولا يكون بينهما إلا  
حديث عام لا يلبث أن ينقطع لأنه زور على القلب  
وكذب على الخاطر ، ثم يفترقان وفي صدر كل منهما  
سعير من الوجد يذيب الحشا ويرمض الجوامع .  
دأبت نور على هذا اللقاء بهذه العلة أسبوعاً من  
الذهب كان يشعها ورناً لهذه العاطفة المكتوبة فتمت  
نحو الجبار في صدره واهن ضيق . ثم خشيت فضول  
الرقباء من طول الاستشفاء فأمرت عنها أن تبرا !  
وانسدل بيني وبينها الستار فلم أعد أراها  
\*\*\*

تدرعت إلى صداقة أخيها بوحدة السن والهوى  
حتى تمكنت بيننا الألفة . وأنتجت هذا الصداقة  
نتيجتها المقصودة فكنت أقضي أماسي في بيته ، بين

بالعبادة الناجحة . وكان الذي يتولى هذا العمل  
الحجري أنا أو أحد إخوتي . فبينما أنا ذات ليلة جالس  
وحدي على مصطبة البار إذا برأها مقبلة تهادي  
في الظلام ، وقد غضبت عيناها التمتي بمندبل أسود !  
فهضت إليها عجلان في حال تم على دهشة المفاجأة  
وربكة الموقف وقلت لها :

— أهلاً وسهلاً ! سلامية عيناك يا نور !  
— فقالت نور ويدها ترمف في يدي ، وصوتها  
يتهدج في أذني  
— الله يسلمك ! علوزه أحط أطره .  
— فدخلت بها النظرة وأجلستها بجانبني على  
الكنية ، ورفعت هي العصاية عن عيناها فإذا جفناها  
محتقتان قليلا . فسألتهما عن سبب هذا الاحتقان  
فقالت إنها حكتهما عامدة بالتوتيا الخضراء فالتها .  
فقلت لها وقد فطنت إلى ما مرت إليه :

— ولماذا ؟  
— كده !  
— كده ليه ؟  
— أهو كده !

فضحكت وضحكت . ثم أملت رأسها الصغير  
على ركبتي ، ووضعت كفي على وجنتها ، وأما لي  
على خديها ، وطفقت أنظر من هذا القرب إلى هذا  
الجمال الذي شغفني وشغاني . فهذه هي العين التي  
ترسل السحر حيث ترسل النظر ؛ وهذا هو الثغر  
الذي يفتر عن المفاتح كما يفتر عن الدرر ؛ وهذا كله هو  
الحيا الذي يشرق في قلبي الناشئ إشراق الأمل ،  
ويتحدث في نفسي الغضة حديث الصباية . وأردت  
أن أحجز تيار الهوى عن الوضع الذي نحن فيه فلاأت  
القطارة وهممت أن أفتح عيناها ، ولكنها نهضت  
مذعورة وهي تستضحك وتقول :

الماشق الصغير ، فقالت لى بلهجة الأم العطوف :  
سافر يا بنى مطمئناً فهي لك !

\*\*\*

وذهبت إلى نور فى الحقل القريب أودعها وداع  
الراحل فى الغد ، فوجدتها بين البقرة وعجولها  
الصغار توزع بينهن العلف ، كما وجد فرتر شلوت  
بين أطفالها الستة توزع عليهم الخبز ! جلست على  
حزمة من البرسيم ، وجلست هى لإزائى على أديم  
الأرض . وصرت برهة من الصمت الحزين قبل أن  
أقول لها إننى عاهدت أمها على أمر ستعلم بناءً منها  
إذا سألتها ، وإننى سأسافر فى الغد إلى القاهرة ،  
وسأعود فى الصيف إلى القرية ، فيجتمع الشمل  
ويرجع الأوس ويتحقق الرجاء . فتبين الأوسى فى  
وجه نور ، وحاولت أن تتكلم فأعياها الكلام ؛  
فأطرقت برأسها ، وتحاملت على نفسها ، ولكن وجهها  
احتقن احتقان المحتقن فأنفجرت بالبكاء حتى سمع  
نشيجه من بعيد . فكانت هذه هى المرة الأولى  
التي قالت فيها نور بلسان الطبيعة القوى الصريح :  
إنى أحبك !

وسمى الدهر بينى وبينها ، فوسَّع مسافة الخلف  
بين طريق وطريقها ، وقطعتنى القاهرة عن القرية  
فأصبحت لا أزورها إلا لاما ؛ واستحدثت فى نياط  
القلب أسباب جديدة ؛ وتزوجت نور من ذلك  
الشقي الذى تعرف ، فألج على رباتها بالشر ، وأنجح  
على سعادتها بالفقر ، حتى أصارها إلى ما ترى !

وكم يا صديقى فى أجادب الدنيا ومحارى الحياة  
من أزهير لوحاتها المسموم وصوحتها الهواجر ، ولو  
أنها غرست فى أطياب الأرض لكانت زينة العيش  
وبهجة النفس وممتعة النظر !  
الربيات

أمة وزوجه وأخته . تجلس جميعاً على فرن القاعة الدافئ  
تلمب الورق ونشقق الحديث ، ولكن ما حولنا وما بيننا  
من الأشخاص والأشياء كان إطاراً أو كانت هى الصورة .  
قالمين لاتقع إلا عليها ، والقلب لا يتجه إلا إليها ، حتى  
فطنت لحالنا الأم ، واضطربت بمحدثنا الألسنة ، وعزا  
الخليئون هذه العاطفة إلى طيش الحدأة ، واستبعدوا  
أن ينتهى هذا الحب إلى شئ من الجد لاختلاف التربية  
وتباين الطبقة ؛ ولكن هوى نور غطى على قواى الدركة  
فتركنى أضطرب فى دائرة ضربها على فلا أحاول  
الخروج من حصارها الكثيف ، ولا أقصد إلا الغاية  
الحنمية للحب العفيف . ذلك أن الحب انجذاب  
وامتلاك واستئثار ومتمتع . وهو يسلك إلى هذه  
الأطوار ما أمكن من المسالك ؛ فإذا تعددت أمامه  
النافذ انسرب من هنا وانسكب من هناك ،  
حتى ينتشر ويتبدد ؛ وذلك هو الحب فى المدينة .  
أما إذا انحصر فى حدود من الخلق التين والتنشئة  
القويمة هدير الأسير الملوب ، واضطرب  
اضطراب الحنق المكروب ، ثم لا يجد له متفجساً  
إلا الفرجة الوحيدة المشروعة ؛ وهذا هو الحب فى  
القرية . لذلك قطعت العزم على أن أفضى بذات  
صدرى إلى أمها قبل رحيلى إلى القاهرة . فلما كنتها  
ورجوتها فى ضراعة وتوسل أن تذود الخطأب عن  
نور ربنا أعود ، فحسبها هذا الرجاء فشخص بصرها ،  
واشفر فوها ، وظلت على هذه الحال برهة لا تطرف  
ولا تحجيب . وأخيراً قالت فى لهجة الحائر المشدود :  
وهل رضى أبوك ؟

فقلت لها : وماذا عليك ؟ إنى أعرف من  
يستطيع إقناعه . ولكن أم نور نفسها لم تقتنع ،  
وكرهت مع ذلك أن تكسح باليأس أمل هذا

# الزوجة الحسنة

للكاتب النمبوى هيرمان بار  
بقلم الأستاذ كامل محمود حبيب

نعم انى أحبها ولكن  
أعلم ما يشغل زوج  
المرأة الحسنة إذا  
غاب عنك هذا  
فلا تحدث عن شئ  
بعده. إن الزواج من  
حسنة يتطلب صبرا  
كصبر أيوب» ثم  
راح يصغر صغيرا

مزججا وفي وجهه البوس والتجهم؛ وحيل إلى  
أننى سموت إلى الغاية التى يريد قلت: «أفرايت  
يا بول، إن خطاياك تنحدر إليك من صلب! هذا  
هو الحزاء! إن الغيرة تكاد تعصف بك» ونظر  
إلى فى دهشة وهو يقول: «يا لئلاء! أى غيرة؟ قيم  
تفكر؟» وأسفت على أن رميته بتهمة هو منها برء،  
فقلت: «أفلا تستشعر الغيرة؟» قال «لا. لا.  
إن الزوجة الحسنة هى خير ما يمتنى المرء إن لم  
يستعبدها جالها» قلت: «لقد قصر عقلى عن أن  
أستشف ما تريد» قال: «سأضرب لك الأمثال  
لأكشف لك عن بعض ما عصى عليك»

وبدا لى أنه ينفس عن كربه حين ينشر على  
عينى أمره، وأنا صديق قديم حبيب إلى نفسه،  
فتعلق بصرى به وهو يتناول سيكارة أخرى فيشعلها  
وهو يقول:

إن الشهوة التى سيطرت على - يوم زواجنا -  
كادت تستلبنى عقلى. لقد انطلقت إلى ميونيخ  
برفقة زوجتى، وخيالى يصور لى أننا نستطيع أن  
نحول فى أنحاء المدينة فى لذة وسعادة؛ نرور مما  
بنفس أصدقائى ثم نظير إلى مروج باقاريا ننعم

... ولاقيت صديق بول دورن بعد غياب  
طويل فاندفعت إليه فى شوق قائلاً: «كيف حالك  
يا عزيزى؟ لقد احتجبت عنا طويلاً، أفتروجت  
حقاً؟ لم يكن ليضطرب فى خيال واحد من رفاقك  
أنك تتزوج فتزول عن بعض ما فيك من عبث ومرح  
ولكن المرأة... المرأة يا بول!»

وابتسم بول فى رقة وأخذ بذراعى يجرنى إليه  
أفكان لبول أن يتزوج وقد عرف فيه صحابته  
المجون والعبث؟ إن هذا خيال ما يستطيع الإنسان  
أن يثق فيه!

وتناول سيكارة فى هدوء ووقار، وحدجته  
بطرف عيني فآلمنى أن أرى فيه الرزاة والسكون!  
لا ضير، فهو زوج! ثم... ثم قلت: «لقد أبدلت  
طبعاً بطبع يا بول بعد أن تزوجت... تزوجت من  
فتاة جميلة» فترك ذراعى فى غضب وهو يقول: «دع  
عنك المزاح وإلا كان هذا فراق بينى وبينك!»  
وأزججني حديثه فاندفعت أسأل: «ما ذا، ماذا  
يا صديق؟»

قال: «حقاً، إنها حسنة فائنة... ولعمري  
إن البلاء فى الزوجة الحسنة، فأنا أدفع الثمن غالياً،

إلى النادلة تسألها ثم دلفت إلى "في آانة وثودة"، وحين صارت يأزاء الطلبة تركت مظهرها تسقط من يدها فاندفعت النادلة إليها والطلبة في شغل

وسألنها عن بعض ما يحب من أصناف الطعام لتتناول طعام الإفطار فلم تعر سؤالاً التفاته وراحت تقول: «أنا لا أريد أن أجلس إلى هذا الشاب فهناك في الشارع وعلى جدار الملهى أشياء تبعث في النفس الضيق والملل... خير لنا أن نلتجئ عن هذا المكان. ثم انطلقت تتهافت نضداً إلى جوار الطلبة؛ وحين سحبت إليها كرسيها هزت الآخر فانتثر ما عليه من صحن فتناولتها والطلبة في لهوهم ما ينظرون.

واستقر بنا المقام فسألها مرة أخرى عما تتطلب من طعام، والشوق يدفعني إلى المرض؛ غير أنها قالت في ثورة وهي تضع نظارتها على عينها: «خيرى، أفلا يجد هؤلاء الطلبة عملاً سوى شرب الجمعة ولمب الورق؟» وأمسكت بصحيفة أصرف بها عن نفسي السوء وأكففت بين سطورها نزوة تضطرب في قلبي، ولكنها لم ترض أن تنزل عن رأيها في سهولة، فاندفعت تتحدث إلى: «يا لعمس أباء هؤلاء الطلبة! إنهم يبدلون آخر فلس في جيوبهم في سبيل أبنائهم وهم يبددون المال في القاهى، أن العلم وعصا العلم؟» وانطويت عنها أردت بصرى في سطور الصحيفة في إغضاء وإهمال؛ ولكنها قالت: «أنظر إلى كوؤوسهم... إلى رؤوسهم! يا عجباً! إنهم يحال الحطة!»

وتأجج الغضب في رأسي وأنا أهدى من ثورتى خشية أن ينفلت شرفى في هذا الندى، ثم قلت في هدوء: «لا، بل أستطيع أن أرى أن ميونيخ تبعث في نفسك الضيق والضجر وأنا لا أجد بداً من أن نتطلق إلى شليس بعد ساعتين، فهو مكان

بالخوة، ونقطف الثمرة الحلوة. ووجدت السعادة في ميونيخ، وعلى حين فجأة بدأ القلق يضطرب في ناظرها، فجلست إليها أستطلع الخبر، فقالت: «لا شيء! إننى أرى الجمال هنا، ولكن... ولكننى أرى في الناس غلظة وجفاء!» وحدثنى نفسى: «يا لله! لا ريب أن في سكان ميونيخ البطء والهدوء، أما الغلظة والجفاء...!» واندفعت هى في حديثها: «حقاً، إن فيهم غلظة وجفاء! إن المرء ليضرب في الطرقات والشوارع الساعات فلا يرى إنساناً واحداً يرفع بصره فيجده في الآخر. هذه هى الغلظة التى رأيناها فيهم»

أفرايت يا صديق؟ لقد زلت زوجتى، فعلى تريد الشوارع تومج بالناس بين معجب بها وعاشق لها، وهى لا تجد بيتها في ميونيخ. لملك تنفجر ضاحكا من هذه السخافة، ولكنك ستتجد فيما أقص عليك متعة وسلاوة

وفي الصباح التالى انطلقت أجلس في ندى مكسليان أنتظر زوجتى لأصحبها إلى المرض. لقد تركتها في الفندق تردى ملابسها وتترن. وليثت طويلاً أنتظرها. ودقت الساعة عشراً وأنا جالس إلى نضد أردت بصرى بين المارة وأحديق في دار الأوبرا وهى قبالتى؛ وأبتدأ الناس يتصدعون عن المكان والشندل متكئون إلى الجدار في كسل وفنور. وخلا المكان إلا من شزيمة من الطلبة يتحسون الجمعة ويلعبون؛ وهذا المكان إلا من بعض كبات تنفرج عنها شفاة الطلبة بين الحين والحين؛ وبذر الانتظار في نفسى غراس القلق والضيق... ثم جاءت عند الظهر... جاءت ترف رقيقاً جميلاً، حسناء جذابة، فاتنة خلابة، تسير الهوتى في خيلاء وصبر، وعلى ثغرها ابتسامة عذبة... ومالت

إلى بلد آخر إن لم تجدى اللذة هنا » ، واضطرب قلبي ، وانتفض فؤادي ، واستولى على الأسي والحزن ، فأنا لأطمئن إلى حياة قلقة لا أستطيع فيها أن أستقر في مكان جميل جذاب أجد فيه السكون والراحة ، ولكن ماذا أفعل وأجأ ماتهدأ ولاطمئن . لا ريب فحي ترد أن تنطلق إلى فينا حيث تطوقها الأنظار في كل مكان ، لأنها إن افترقت من يعجب بها حارت حيرة من اعتاد التدخين ثم هو لا يجد إلى الدخان سيلا . تلك حقيقة مزعومة ، فخير للإنسان ألا يتزوج من حسناء !

وفي الصباح التالي بكرت إلى البحيرة ، إلى الوادي ، إلى النابة أمتع نظري وأشبعها جميعا بنظرات الوداع ، نظرات فيها الألم والحسرة ، والخواطر المتناقضة تصطرع في خيالي . أما هي ... هي أجانا فما تزال في غدغدها تنم بالنوم الهادئ . إنني أنمشق هذه الناحية من الأرض ، ولكن ...

ولم في خاطري رأى ، انفرجت له شفتاي عن ابتسامة فيها الرضا والاطمئنان ، فانطلقت أعدو في لففة إلى صديق دريتشر ، وهو ممثل بارع ، وهو رئيس فرقة التمثيل الأهلية في بافاريا يستمتع بشهرة عالية ؛ وهو أيضاً شاب فيه المرح والطرب والفكاهة والرأى الناقد والقرحة الواعدة ... وهو صديق فيه الاخلاص والوفاء

وحين ضمننا المجلس اندفعت أقول : « دريتشر ، إنني أطلب إليك شيئاً وأرجو ألا تبادلي فيه . إنك تعرف كل إنسان في هذه الناحية ، أقتسطيع أن تمدني بشاب أتيقن وسم ليثمل دور عاشق ؟ » قال في دهشة « ليثمل ماذا ؟ » قلت « ليثمل دور عاشق . إنني أريده يجلس ويحدق ... يتحدث في زوجتي ساعة من نهار . إن زوجتي قد اعتادت

هاديء جميل ، وهناك دريتشر صديق قريب إلى نفسي » ثم رجعنا إلى الفندق نتأهب ...

وأبرقت إلى صديقي ... وبلغنا شليس في عند الساعة الرابعة ، فألفيت صديقي لدى الحطة ينتظر . وانطلقنا جميعاً إلى فندق جميل على شاطئ البحيرة وحللنا غرفة واسعة أنيقة جميلة ، تترأى أمامها البحيرة وما حولها من مباهج . وأضنى التبع زوجتي — أجانا — فانطرحت في فراشها في سبات عميق ؛ أما أنا فقد انطلقت على دراجتي أطوف بالبحيرة والقرية وأستجلى رواء الريف الجميل ، ثم عدت عند الثامنة فإذا هي في الحديقة ، وفي يدها كتاب ما تستقر عينها بين سطوره ، وعلى خطوات منها بعض الريقين ، وقس يجلس إلى الحارس . وأخذتني روعة المكان فأحببت أن أقضى بعض وقتي هناك ؛ واندفعت إليها وهي جالسة في نوها الأبيض الحريري الجميل ، يتأرجح العطر منها عبقاً طيباً ؛ غير أنه لم يلتفت إليها أحد ، ووقفت بازائها أقول : « ما رأيك يا عزيزتي ؟ » فخدجتي بنظرة قاسية وقالت : « أهذه هي شليس ؟ أنا لا أستطيع أن أمكث هنا أكثر من يومين فهذا مكان لا يلدني » قلت : « إنه هادئ ... والبحيرة ... »

فقاطعتني « والبحيرة صغيرة عابسة » قلت : « والوادي الجميل ... » فقاطعتني ثانية : « والوادي الجميل غير صحي » قلت : « والجمال ... » فقاطعتني مرة أخرى : « والجمال ، أنا لا أحبه ! » ثم نظرت إلى في ازدراء وهي تقول : « والطعام رديء الطهي والجمعة البافارية تملأ الجسم شحاً ، وأنا لا أريد أن أبدو خدلة كالفلالات . إنني أتيقن حياة هادئة . لقد كان من الخير لي أن أسجن في دير ولا أتزوج من رجل لا يحبني » قلت : « لا بأس ، سنرحل

أجاثاً وحدها في الحديقة ... وجاء العامل في ثوب أنيق ... جاء بنفذ أمر سيده في براعة وإتقان ... ورجعت أحدثها : « لقد ذهبت إلى المحطة ... فراقني أن نسافر على قطار الساعة العاشرة صباحاً » قالت في لهفة : « ماذا ؟ ماذا تعني ؟ أفلا تستطيع أن تستقر في مكان ؟ إنني أميل إلى هذا المكان ، إلى البحيرة ... » فقاطعتها قائلاً : « ولكنها صغيرة ! » قالت : « هذا هو موضع الجلال فيها » قالت : « والجلال من حولها » قالت « لاضير » فأنشد الهواء العليل في أعاليها . سبق هنا حيناً من الدهر فما يرضيني أن تضطرب في أنحاء العالم ... »

ومكثنا هناك ثلاثة أسابيع دفعت فيها الثمن غالباً . ولا ريب أن أجاثاً لن ترضى بهذا المكان

هذا النوع من النزول فهي تفرع عن كل مكان تفتقد فيه بنيتها . وسأدفع له ثلاث ماركات في اليوم ثمناً لجلوسه في الحديقة يردد بصره بين الفينة والفينة في زوجتي ، وأدفع له ثمن شرايه » قال : « لاضير ، لاضير ... » ثم نشرت الخبر أمامه ، فقال : « نعم سأفعل غير أني لأستطيع أن أستغني عن واحد من زملائي ، ولكن ... آه ، نعم ، إن في الفرقة عاملاً شاباً فيه الأناقة والظرف و ... دع عنك هذا ، سأحدثه الحديث كله الآن ؛ وفي المساء بتدري العمل ... » قلت « أشكرك يا صديقي ، ولكن أقطعك إلى العامل ؟ » قال « وماذا يعنيك أنت ؟ إن المرأة لا تعني بنظرات من يتشققها بقدر ما تعني بنظراتها هي ؛ وستري ... »

لأم محمد منيب

بديلاً ...

وعند المساء انطلقت إلى مكتب البريد وخلفت

استديو مصر يقدم نجيب الريحاني في

سـلامه في خير

بالاشتراك مع

راقية ابراهيم . روحية خاله . فردوس حسن . حسين رياض . منسى فهمي  
فؤاد شفيق . استفان روستي . حسن فائق . محمد كمال المصري . إدمون تويما

وفي نفس البروجرام

كازينو بديعه اسكتش موسيقى غنائى مصرى

جريدة مصر الناطقة : مصر المسحورة

يعرض الآن

بسينا رويال مصر و بسينا عدنان بالمنصورة

وسينا الكوزموجراف بالاسكندرية

# فَلَيْلَةُ الْمِيلَادِ

للقصصيّ الفرنسي جِي دِي مَوِيَّاسَان  
بكتله المستيد محمد العزراوي

لقد كان يوماً فريداً كل  
عام . وبخاصة في ذلك  
العام الذي مضى عليه  
عشرون من إخوته ...  
حينما كنت في الثلاثين ...  
فأنا الآن في الخمسين !  
« كنت حينذاك  
مفتشاً بهذه الشركة التي

أديرها الآن ، « شركة ماريتيم للتأمينات » . ولما  
أزمع العام الرحيل عقدت العزم أن أمضى عيد  
رأس السنة الجديدة في باريس اللاهية . ولم يخالني  
شك في أني سوف أقضي في باريس يوماً سعيداً  
حافلاً ، وليلة مريحة لاهية ... ولكنني تلقيت من  
من مدير الشركة خطاباً يأمرني فيه أن أبحر  
— توأ — إلى جزيرة ري « RE » إذ أبدع فلك  
شراحي ذو ثلاث سوارٍ إلى الشاطئ فاحتث الرمل  
وعجز عن الخروج . وكان الفلك تابعاً لشركة « سنت  
نازير البحرية » إحدى عميلاتنا القديمت  
« إذن ضاع الأمل في ذلك اليوم السعيد  
الحافل ، وفي تلك الليلة المريحة الطروب ... وكانت  
الساعة الثامنة حين تسلمت الخطاب . فوصلت  
في العاشرة بناء الشركة لأتلقى التعليمات اللازمة .  
وفي نفس المساء حملني القطار السريع ، فوصلت  
« لاروشل » في صبيحة الحادي والثلاثين من

شهر ديسمبر

« وكان لدى ساعتان من الزمن أقضيهما قبل أن  
أركب فلك « ري » السفين « جان — جيتون »  
فطفت أطراف المدينة . وقد عجبت من أمرها إذ لم

لقد كان أمس اليوم الحادي والثلاثين من  
شهر ديسمبر  
وكنت على وشك أن أتندى مع صديق القديم  
« جورج جاران » ، حينما أتى إليه موله خطاباً  
غطت غلافه الطوابع والأختام الأجنبية . فقال لي  
جورج :  
— أسمع ؟  
— من دون شك !

فطبق يقرأ ثمانى ورقاتٍ طوال ، خطت عليها  
يد انجليزية أسطراً في كل اتجاه .. فهي تستقيم في  
اتجاه واحد حيناً ، وتتقاطع في اتجاهاتها أحياناً .  
وكان يقرأها بصوت بعلٍ خفيض ، متنبهاً لما يتلو  
أعظم انتباه ... في تلك اللذة التي يحسها عادة من  
شيكاً يحس قلبه الرقيق  
وبعد أن فرغ من تلاوته وضعه على رف  
المصطلي ثم قال :

« هيه ! هذا من أذيان تاريخ قديم ، مافضت  
غلافه لأحد من قبل ... تاريخ عاطفي أسدل عليه  
الزمن سحجه وحجبه . لا يدركني به إلا بعض  
الكسائم تهب على من هذا الكتاب وأمثاله ... آه !



— يوسف — فلنكا كبيراً ذا ثلاث سوار من سفن « سنت نازر البحرية » — قد اضطرت ليلة عاصفة أن يجثث الرمل من جزيرة « رى » ...  
« وقد كتب مدبر الشركة : لقد قذفت العاصفة « ماري — يوسف » في ليلة هوجاء ، فنشب في رمل الشاطئ حتى بات من العسير تسييره من جديد . ولم يكن هناك من الوقت ما يكفي لأن نحمل ما كان على ظهره ، إذن فيجب عليكم تقدير حال السفين المنكوب ، وتقدير ما كانت عليه حاله قبل الكارثة ، ثم الحكم بعد ذلك بأن كل ما بذلناه من جهود كاف لأن يعيده سيرته الأولى . وقد ذهبت وكيلاً من شركتنا كي أقدر حال السفين ، فربما حكمت لهم ، وربما شهدت عليهم أمام القضاء إذا دعت الحال » وبعد أن يتسلم المدير تقريري يجب عليه أن يعد عدته للدفاع .

« وكان قائد الزورق « جان — جيتون » يعرف كل شيء عن الكارثة إذ دعى وسفينه وألقيت على عاتقه عملية الانقاذ . وقد قصص على القصة في بساطة وسهولة قال : إن « ماري — يوسف » قد قذفته هبة من ربح صرصر عاتية في ليلية مدلهمة فتحول عن طريقه فضل سواء السبيل ، واتخذ سبيله في اليم سرياً ، وبات لا يدري زبانه في أي شقة من اليم هو ، ولا في أي وقت من الليل الطويل ؛ وظل يحبط في بحر من الزبد الغاضب والوجع التدافع والريح العاتية .. موجة تلعه وأخرى تخلعه ، وريح تسفعه وأخرى تدفعه ، حتى ارتطم بذلك الساحل الهولة . وأنت تعلم أنه كثير الرمل لأن اليم يأتيه برمل « الصحارى » أثناء المد .  
وبينا أنا أتحدث كنت أنلفت حولى ، وأدير البصر

أر مدينة أنجب من « لاروشل » . فهي واسعة الشوارع ملتونة المسالك كأنها التيه « اللابرت »  
« وبعد أن طوقت ما طوقت في شوارعها الفريدة حملني زورق بخاري أسحم إلى جزيرة « رى » وتحرك وهو يصفر صغيراً مدويكاً يبدو عليه الغضب والاحتدام . ومرق من بين المنارتين اللتين تحرسان الثغر ، ثم عبر الجلون الهادىء فخرج من ذلك السد الذى ابتناه « ريشيليو » حفظاً للبناء وأمناً للسفن . حينئذ رأيت النساء كيف يتكسر على صخورهم ، وشاهدت الصخور في البحر تطلق المدينة البارزة في اليم فكأنها عقد درى زان تحرها الجليل ... ومن ثم اتخذ الزورق طريقه في اليم إلى اليمين .

« لقد كان يوماً ذا برد وزمهرير ، فمياؤه ملبدة بضباب كثيف وسحبته ثقالة ؛ وكان البحر هادئاً تحت ذلك السقف الواطئ المنحوس ، فكان الزورق يخترق في أديم أزرق صاف ... في مياه هادئة لا تحركها هبة نسيم ، فكأنها متبعدة منهوكة من كثرة ما لاقت من الأثين والمنت ، بل كأنها ميتة لا حياة فيها : أمانها البرد القارس ، وجسم على صدرها ذاك الضباب الكثيف ، وإزلاق « جين — جيتون » على صدرها الصقيل بأمن ودعة . واستطاع أن يسرى في تلك اللجة السدفاء الهامدة ، نازكاً وراء أمواجاً صغيرة لا تلبث أن تهى فتموت .

« وظفقت أتحدث مع القائد مدة ... كان هذا القائد مندجاً فلا تدري في أي موضع ركبت أطرافه منطويكاً على نفسه فهو مستدير — إجمالاً — كهيشة زورقه البخارى . وكنت أريد أن أعرف بعض خفايا الكارثة التي سوف أقررها : وهي أن « ماري

ذلك في الساعة الثانية والدقيقة الخامسة والأربعين  
أو في الثالثة على الأكثر. وأنا أعلم أن لن نجد على  
« ماري — يوسف » هذا قطرة من ماء أورثرا  
لوحل ... وسوف تسر وتدهش إذ تعلم أن تلك  
العملية لن تستهلك من الزمن إلا ساعة وخمسا وأربعين  
دقيقة أو ساعتين على الأكثر ، والواقع أنه لا يمكننا  
أن نقضى في تلك العملية أكثر مما قلت ، لأنه سرعان  
ما يعقب الجزر مدا في ذلك الشاطئ العمين ... لك  
أن تبدأ عودتك إلينا في تمام الرابعة والدقيقة الخمسين  
— أندرك ما أقول؟ — وأن تركب « جان - جيتون »  
في الساعة والنصف ، وأنا زعيم بأن أحملك في نفس  
المساء إلى ميناء « لاروشل »

« فشكرت القائد ، ثم تمحذت في مقدمة الزورق  
مقعداً أقرب منه مدينة « سان ماربان » فقد كنا  
نمدو نحوها في سرعة فائقة

وكانت « سان ماربان » ميناء تشبه جميع  
الموانئ الصغيرة . إلا أنها تمتاز منهم بأنها باضرة  
تلك الجزائر التي يثرثها يد الطبيعة - حول القارة -  
في قاموس المحيط . كانت قرية كبيرة من قرى  
الصيدان ، قدمها في الشاطئ ، والقدم الأخرى  
في وشل البم العظيم ... تقنات الخضر والطيور ،  
والأصداف والسمك ، ومعظم العيش على هذا الأخير ،  
لأن الجزيرة خفيضة الأرض قليلة الزرع ، تبدو كأنها  
غير أهلة وإن كنت لم أطوف بها أو أوغل بداخلها  
« وبعد أن اعتذرت عبرت رأساً نائماً مندفعاً  
في صدر البحر ، وكان هذا ينطف من وراءه فجأة .  
فكنت أصوب النظر — فوق الرمل — إلى مكان  
بعيد ، شديد البعد ... حيث تبدو نقطة سوداء  
بأقصى الأفق هناك بعيداً ... بعيداً ... وحشت

في كل مكان : فقد كان هناك بين أديم المحيط وسطح  
الضباب مجال تجول العين فيه وتبصر . وأخيراً  
شارفنا أرضاً قتلت :

— أهذه جزيرة رى ؟

— أجل يا سيدي !

وأشار القائد بيده — فجأة — إلى شيء غير  
واضح يقوم بقاموس المحيط — تفتححه العين ولا  
تكاد تدركه — وقال :

— هيه ! هذا سفينك

— ماري — يوسف ؟

— نعم بالطبع !

ولكني ذهلت ... ! هذه النقطة السوداء  
« ماري — يوسف ؟ » تلك التي لا تكاد تبصرها  
العين حين بصرت بها حسبنا قمة صفوان غارق في  
البم ! وبدت لي النقطة تبعد عن الشاطئ ثلاثة  
كيلو مترات سوياً ، فقلت :

— ولكن أيها القائد لا بد ألا يقل غورالماء عن  
مائة وخمسين متراً في تلك النقطة التي أشرت لي عليها  
فطفق يضحك ، ثم قال :

— مائة وخمسون متراً يا صاحبي ! إنني أقسم أن  
ليس هناك متران ! فكيف غورك الذي فرضت  
يا صديق ! ؟

— حقاً إنها مشكلة !

ولكنه استمر يقول :

— نحن الآن على المد ، فالساعة لما تبلغ التاسعة  
والدقيقة الأربعين ... لك أن تذهب أي شئت ...  
فامش والشاطئ ضاماً يديك إلى جيوبك ، واملأ  
بطنك الرقيق مما يقدم اليك « فبدق ولي الهدد »  
من آكال شبيهة وأشربات فاخرة ، ثم عد إلى بعد

« وبدأ إلى الحوت ، وقد تطرح على ذلك البساط الأصفر كبير الحجم عظيم النسب ، وقد ثقفته بعد ساعة من المشي السريع ... »

« لقد استراح على أحد أعطافه مهدماً محطماً . يبدى للناظر عظامه المروقة وأضلاعه اليابسة . مثلما يفعل الحيوان الغليل ... حقاً لقد كانت ألواح سحابة من أثر القطران . ولكن من يتبادر إلى ذهنه أنها من أثر القطران ، وليست عظاماً نخرة فتتها السوس وسودها البلى ؟ إن المدقق يستطيع أن يميز هذا من ذاك . وما ذلك بفضل فراسة أو ذكاء ، بل بفضل دُسرٍ حديدية ، ومسامير ناتئة في الخشب ! سوف يرى المدقق وغيره أن الرمل قد فرغ من غزوه من زمان بعيد . وأنه قد غزاه من كل ثلثة فتتها الحطم فيه . حقاً ! لقد تغلغل الرمل فيه حتى بات من المسير أن ينظفه المرء أو ينتشل الفلك منه . بل لقد حسبت أنه لما في الرمل كما ينمو الزرع في الأرض ، فليس إلى اقتلاعه من سبيل . لقد غرسه الزارع من مقدمته فهي تبدو مدفونة في ذلك الرمل الأصفر ، بينما ترتفع مؤخرته إلى السماء فارةً ضارعةً كأنها صيحة غوثٍ يائسة ! وكانت كلبتان رجحهما اليأس وأضواها الحزن ، تبدوان على عطفه الأعلى : « ماري — يوسف »

علوت جثة الفلك من عطفه الذي استراح عليه ، وبعد حين كنت على سبطحه الأعلى ، ثم دخلته لأطوف بحجراته وأهباته ما سمح لي الرمل بذلك . وكان النور الشاحب يوصوص إلى من تلك المنافذ التي أنشأها فيه مبدع الفلك ، أو من تلك الفتوق التي أحدثها الصخر فيه . وكان

الخطى فوق ذلك السهل الأصفر ، فكانت قدمي تنوصان فيه كما تنوص يد الجزار في لحم جبل سمين ! لقد كان البحر في جزره بعيداً عن الشاطئ الطويل ؛ وكثيراً ما أنعمت النظر كي أبصر ذلك الخط الذي يفصل الرمل عن المياه الصافية فلم أفلح إلا في رؤية خط باهت مفرغ لا تفاصيل فيه ولا ملامح ... والآن ... ينطبع المحيط الأطلسي أمامي تماماً ... الشاطئ يحجزه ... فلست أدري أهو يحتضن محبة أم يتأهب لأن يصد غارته إذا ما عاد بمده صاحب ... كنت أسير في مغارة وحدي ، يلطمني نسيم البحر في هنة ودعابة ... ويلقي الماء الأجاج برائحته الفظة المحمة ... ولكني بين ذلك لا أعدم هبة من نسيم البر القوي ... من روائح العاقول وذلك النبات الذي ينمو على الشيطان ، ولا أعدم هبة من نسائم اللوح الهادي حين الجزر ...

« كنت أسير وحدي ، وكانت تشائني أرواح أولئك الذين أماتهم البحر غيلة واقتساراً . نعم ! وكانت تحوم حولى ، وتحاذيني بأصواتها الخافتة ، يحملها النسيم على أجنحته الخفية .. ولكني ما كنت أحي بما تقول شيئاً ، فقد كنت من آن لآخر أسرع الخطو وأوسع الخطى ... وأدقائي المجهود إذ زاد عني برد الجو الشديد ، وبدأ الضال » « ماري — يوسف » يترأى إلى بطة غالما اليم ، ولفظها الموج على الشاطئ ؛ ولكنه كان يكبر كلما تقدمت رويداً ؛ حتى هالني عظم حجمه ، واعتقدت بأنه حوت هائل قد أجهد سيادوه أنفسهم في صيده وإخراجه من البحر ، ولكن جهودهم تكاد تذهب سدى ، فالحوت ينطرح على عطفه الأيسر ، وبوشك أن ينزل إلى اليم مرة أخرى ...

فإذا كان كيف ماته ، ثم يقصان على من أنباء  
الفلك ما لم أحط به خيراً . ولا أكتشك أني  
ذعرت لتلك الفكرة ، فقفزت إلى سطح السفينة  
من إحدى الكوى . وهناك عند مقدمة الزورق  
شاهدت سيداً وقوراً ، قد حفت من حوله ثلاث  
فتيات حسان ... أو بالجرى سيداً إنجليزياً تحف به  
فتياته الثلاث ، ولا يخالني ريب أنهم فرعوا جميعاً  
إذ يروني بنته أخرج إليهم هلاًكاً جزوعاً ، فقد كانوا  
يحسبون الفلك خالفاً وحيداً ... وفرت صغرى  
البنات ، ولما ذهب عنها الروع عادت . أما الفتاتان  
الباقيتان فقد أسكتنا بأيهما خشية أن يسقط على  
الأرض . أما هو فقد فرّاه دهشةً وذعراً .  
وكان هذا كل ما أبداه من علائم الدهشة والحيرة .  
وبعد ثوان قال :

- آه ياسيدي ؟ أأنت صاحب هذا السفين ؟
- نعم ياسيدي !
- أسمح لنا بزيارته ؟
- إذا تكرمتم ياسيدي !

ونطق بعد ذلك بجملة غريبة الألفاظ لم أدرك  
من ألفاظها إلا كلمة « كريم » فقد كانت تردده في  
كلامه كثيراً

وطبق يبحث عن مكان سهل الصعود ، فدلته  
وأعطيته يدي ليستمعص بها من الزلزل . وبعد أن  
ارتقى السطح أعنت الفتيات الثلاث على الصعود  
معنا إلى سطح السفينة الأعلى . لقد كن جيلات  
ساحرات ، وكبراهن خاصة ... ملك في  
الثامنة عشرة من عمرها ... يافعة كالزهرة ، فارعة  
كالباية ، عطرة كالزجسة ... دقيقة ... رقيقة !  
لينة للماعطف مرهفة القوام ... احقا ! إن هؤلاء

بقي بأشتمته الحزينة على تلك الحجرات والأبهاء  
التي صيرها الرمل كهوفاً وغرباناً ... لم يكن هناك  
شيء سوى الرمل ... والرمل فقط ... !

وبدأت أسطر على قرطاس ما أشاهد من حال  
هذا الضال المنكود . وكنت أبني أن أفرغ من  
تقريرى ، ولكن جوف الفلك مظلم لا يدخله النور  
إلا من كوة صغيرة تكفي لأن أبصر منها جل  
الشاطئ الأصفر ... كان حينذاك الوقت أصيلاً ،  
تداعب الشمس فيه بنورها الذهبي رمال الشاطئ  
الصفراء فتكسبه نوعاً من حياة وبهجة ، لاتبث  
هذه أن تفيض وأن تنقبض هذه الأخرى . ذلك  
لأن الشاطئ كان وحيداً فلم يكن به أحد غيرى ...  
وغير ... « ماري — يوسف » ؛ وإلى لا أذكر أن  
منظراً من مناظر الغروب قد أثر في مثلاً أثر هذا ،

فقد ملك ما ملك من زمام حسي وذهنى ، واستولى  
على ما استولى حتى لم أعد أصطبر عنه برهة ريثما  
أخط بضع كلمات في تقريرى الطويل . إن الطبيعة  
تجلى في الأماكن النعزلة فتسجر وتأسر ...  
ولكني تلهيت عنها فخلست على دن مقلوب مشم .  
وأسرعت أخط ما يعن لى من الفكر الكى أفرغ من  
تقريرى سريعاً . وبينما أكتب كنت أسمع هممة  
جافة خافتة ... إنها هزيم الموج البعيد ... إنها  
عواء الریح العتيد ... إنها آهات الفلك الضارعة ...  
بل هي آهات الموجة ... كلا ! إنها أصوات غامضة  
تحدها مئات بل آلاف من حيوان اليم العظيم !

وسمعت بقرى أصواتاً آدمية فجأنتني فبهت  
وتحيرت في أمرى ، فوثبت جزوعاً كأنما أنا أمام  
شيطان رجيح ! لقد حدثت — في برهة — أن  
عربيقي سوف يقومان من قاع المركب ، يأتیان

وعلمت أنهم يقضون الشتاء في «بياريتز» وأنهم قد وصلوا جزيرة «رى» أخيراً كي يشهدوا منظر «مارى - يوسف» وهو غارق في اليم محتثراً شاطئه ورمله. ولم أجد بوجوههم ذاك التجهم الذى يشف عن غطرسة طالما غرستها انجلترا في نفوس أبنائها الكرام. لقد كانوا نبلاء بسطاء: هؤلاء الناس! لا أثر لكبر ولا غطرسة! كانوا من هؤلاء السواح الدائبين الذين تقصف بهم انجلترا إلى العالم يخبرونه ويعلمون أسرارهم. فألاب سميرى القوام، بادى الهزال، عظيم الوجه أحمره، يحده من الجانبين عذاران ناصعا الشيب. وكذلك بناته فأرعات القوام باديات الهزال كذلك - إلا الكبرى - رقيقات لطيفات ... وكبراهن خاصة!

لقد كان لكبراهن أسلوب في الخطاب وفى الحديث ... فى الفهم وعدم الفهم ... فى تصويب حديقتهما نحوى إن أرادت سؤالى ... حديقتهما الصافيتين كماء المحيط! فى الإمساك عن الرسم كى تقدم ما رسمت، وتعدل ما خططت من خطوط ... فى الإقبال على العمل بنشاط وجور ... وفى إجاباتها «بنعم» أو «لا» ... أسلوب جملي أذهل وأدهش ... أذهل عن وقتى ونفسى معاً ... جملى أعلق الساع لها ساعات لا عد لها ... وأعزم بترقب ما تسقطه شفتاها المساوان من رائع اللفظ وعذب الحديث!

وعلى حين غرة قالت لى هامسة:

— إلى أسمع صوتاً تحت هذا السفين

كأنى أسمع الصوت أنا الآخر! فقفرت إلى

سطح الزورق الأعلى لألقى هؤلاء الناس!

الانجليزيات الحسان يشهن زهرات بديعة تمهدما المحيط بلطفه، وجباهاً بمطفه، وشملها بمنائته؛ فتشأها على جماله ونسقه ... ولو صبح ذلك لكانت كبراهن إحدى الزهرات اللاتي نشأن بشاطئ أصغر لا تزال تحفظ له المهد، وتخلص له الود، فاتخذت من رمله شعرها التزير البديع!

وكانت تتحدث بلهجة أسلم من لهجة أبيها، فكانت ترجماناً بينى وبينه. وكان على أن أقص عليهم الكارثة وخوافها؛ فبدأت أنسج الحوادث، وأنعم التفاصيل؛ وكنت أقرر الحوادث فى مهارة وحقق، وأؤكد فى التقرير ما وسعنى التأكد؛ فكأنما كنت حاضر حينذاك، فأنا أحد الذين كرمهم البحر بغيره ... وما دخلوا جوف السفين الذى ينيره

بصيص من نور ينفذ إليه من الكوى والفتوق حتى علت صيحات الفرح والإعجاب ... وجذب الوالد وبناته دفاتر الرسم لا شك أنهم كانوا يحملونها فى ثيابهم الواسعة. ثم أخذ كل يخط رسماً «كريكاتورياً» لتلك الشكل الناشئ العجيب ... حقاً! لقد كان شكلاً لا يقدر على وضعه إلا يد اليم الماهرة، ولا يقدر على رسمه إلا يد فنان موهوب ... وساد الجو سكون جيب. ولك أن تتخيلهم وقد جلس أربستهم كل قريب من الآخر ... أبوهن فى طرف وهن فى الطرف الآخر ... قد جلسوا جميعاً على روط خفيض ثم وضعوا دفاترهم على أنفادهم وانحنوا عليها يرسمون منظر الفلاك الحزين. وبدأ كل يخط خطوطاً لا بد أنها تمجد منظر المكان مرسوماً من الداخل المغمى وبينما كبراهن ترسم كانت لا تكف عن الترتة والحديث معى، أما أنا فقد كنت أجلس جوارها أمارن بين ما ترسم وهيك «مارى - يوسف» المنكود ...

مقدمون عليه من خطر عظيم . فوددت لو صرخت :  
« النجدة ! » ولكن لن أوجه الصيحة ؟  
« واحتضنت الفتاتان الصغيرتان أبهما .. وكان  
هذا يحدث في البحر الساخر بين غاضبة محقة  
« أسدف الليل قبل أن يسترد البحر مياه المد  
فكان ليلاً رطباً ثقيلًا بارداً ...

وأخيراً قلت :

— لا شيء لدينا سوى أن نمكث الليل بهذا  
السفين .

— نعم بالطبع !

« ألبثنا كذلك ربع ساعة ؟ نصف ساعة ؟  
لست أدري كم من الوقت لبثنا ، ولكن الذي أدريه  
أنا كنا جميعاً متكافئين ، نمكث في المياه الهادجة من  
حولنا ... تأتي جمجمة من بعيد ، فتصحب على  
المنرج ساخرة ، وتمس الزورق فنحس بأنها تغلي .  
كلا ! لم تكن تغلي ، بل كانت تميس وتذلف  
— ساخرة — إلى الشاطئ المتلوي !

« واستشعرت إحدى البنات البرد يقوسها ،  
ففكرنا حينئذ في الرجوع إلى جوف الزورق من  
جديد لتتق هبات النسيم البارد ، وانحنيت على السلم  
فألقيت الماء بلاءً قاع السفين ، فاقترحت عليهم أن  
نمكث في مؤخرته المرتفعة ربنا نجد لنا مخرجاً من  
مازقنا هذا ، أو نكون في مكان يعصمنا من الماء  
إلى حين

« لفنا الظلام بمسوحه السوداء الطاخية ...  
وتقارب كل منا من صاحبه كي يشيع الدفء فينا ...  
ولكن ... كان يحيطنا الماء والظلمة ! أحس بحسده  
يرتد بجانبنا فيرتطم بكفتي ، لقد كانت صفري البنات  
ترتعد من خوف وزمهرير ، وأسنانها تصطك من  
( ٢ )

وأصخت السمع فسمعت إذ ذاك همهمة ، سمعتها  
منذ أمد قصير . كنا نسمع همهمة جافة مستمرة في  
حفيف غير حالي الثبرات ... تستمر في صوْت أجش  
خفيض ... ما هذا ؟ رفعت رأسي وفزعت إلى  
الكوة فصرخت صرخة مدوية : لقد استردنا اليم  
خاطنا بمائه وموجه !

وقفزنا جميعاً إلى ظهر المركب ، ولكن أزمة  
الفرصة قد أفلتت جميعاً من بين أيدينا . فقد عرفنا  
الأسر أخيراً ولات ساعة معرفة ! حاصرتنا المياه  
من كل جانب ، كل فوج يتبع الآخر ، والموج  
يكسح بعضه بعضاً ... كلا ! لم تكن تعدو ! بل  
كانت تحبو مدلاة وادعة ترمقنا بسناها اللدهي ، ثم  
تودعنا وهي تترنم بخمرها الساخر في الطريق إلى  
البر القريب ! ماذا حدث ؟ لا شيء أكثر من بضعة  
أمتار من الماء قد سبقتنا إلى الساحل ... ولكن  
لم يكن المرء بمستطيع أن يميز حد الماء الزاحف على  
رمل الساحل القريب

« وقد تأهب الانجليز للمغامرة بأنفسهم وسط  
الماء المترحل إلى البر ، ولكنني منعتهم لأنه بات  
أماننا مستنقع عميق يأتيه الماء متحذراً من منرج  
مرتفع ، فإذا ما قفزنا فيه جرفنا الماء وأغرقتنا  
دوامات المنحدر

« وانصب الغم في قلوبنا صباً ، إذ كانت لحظة  
عصية لها ما بعدها من اللحظات السود ... ولم  
نكن ندرى ماذا نفعل ... على أن صغراهن نكحت  
قائلة :

— بلنا نحن التكوينيين الفرقيين !

« وأردت أن أمكح ولكن الهلع ألجني  
وأخبرني ... إذ تمثل أمامي ما نحن فيه وما نحن

— آه حقاً إنه يؤذيني  
وأردت أن أهبها معطف ولكنّها أبت . غير  
أنّي خلسته وألقيته على كتفها بالرغم منها  
وبدأ الهواء يحرك الموج — في هنية ورفق —  
فيسمع له خرير خفيض ، ولكنه تعاطف واشتد  
فاقلب زئيراً صاخباً .. وأندفعت المياه إلى فلكنا  
لاهثة غصبي ... ووثبت إذ ذاك فجأة ، فقد لطمني  
الهواء البارد في وجهي ، وبدأت العاصفة !  
« وأحسن السيد بما أحسست به ، فما زاد على  
قوله :

— إن هذا لمضر بنا ... إنه ...  
« هو مضر بنا جميعاً دون ريب ... إنه الموت  
الأكيد الأسود ! ... فقد بدأ الموج — حتى  
الضعيف منه — يهاجم السفين . ذلك الرمث المفكك  
يربطنا ظهرو بالحياة . فإذا ما صفتته على جنبه موجة  
هوجاء تفككت أوصاله ، وانفصمت عرايا الواهية ..  
« كانت ظلمة الليل تزيد وتعمق كلما هبت علينا  
ريح سحباء عاتية . وكنت إن أنعمت النظر في الماء  
— في تلك الحليكة المتكاثفة — رأيت خبالاً من  
الزبد يشد بعضها بعضاً ، ثم تتلكأ في أعطاف  
« ماري — يوسف « المنكود ، فتتحركه ، وحينئذ  
تهبط قلوبنا في البطون ، وتبلغ أرواحنا الحقوقوم  
خوفاً وفزعاً .

وبدأت كبرى الفتيات تضطرب وترتد ،  
فالتصقت بي تلتوس لى دفئاً ... وتعلكت من  
زمامي رغبة جامحة أن أحضنها بين يدي ، وأغيبها  
في صدري !

هناك البحر ... البحر من خلفنا وأمامنا ،  
والبحر عن يميننا ويسارنا ... وهناك على البر يقوم

حين لآخر بصوت جاف خفيض ... لا تتحدث  
إلا غراراً بعد أن سجدنا على أنقاضنا — كما يفعل  
العابد الخائب — نمدح في المياه الداكنة بحزن  
وحز . ومع ذلك فقد بدأت أستشعر لذة غريبة  
تتمر قلبي الواجف برغم الليل الخالك والبلاء العظيم !  
لذة قوية أجدها في البرد القارس والليل الخالك  
والكرب الميت ... في تلك الساعات المضطربة  
السدفاء التي أمضيتها — والتي سوف أمضيها فوق  
ذلك الرمث الهائم في جوف الليل البهيم — قريباً ..  
قريباً من ... تلك الفتاة الساحرة !

وتساءلت طويلاً فيما بيني وبين نفسي : لم غلبني  
على أمرتي هذا الشعور بالفرح والسعادة ... له ؟  
« له ؟ هل أدري ؟ .. لأنها بقرتي ؟ .. من .. ؟  
هي ؟ .. ومن تكون « هي » ؟ فتاة محليزية مجهولة ؟  
إني لا أحبها ... بل لا أكاد أعرفها ... ثم ... ثم  
بعد ذلك أستشعر حناناً هائلاً يعصف بقلبي ال ...  
مغلوب ! وددت لو استطعت إنقاذها ... بل وددت  
أن أنجي بنفسني في سبيلها ... هذا الشيء الأجنبي !  
الليل يثقل بيزده وجليته ... أمواج من ماء  
وأخرى من أسداف الظلام ... ليل سادس وصمت  
مقيم ...

« وعلى حين غرة سمعت نسيجاً ... وأأسفا !  
كانت صغرى البنات تبكي . وحاول أبوها أن يسلمها  
ويداعبها فاشتركت معه أختها . فنكلم الجميع بلهتهم  
التي لا أعرف منها لفظاً ... لكنني حسدت أنهم  
يهدهونها ويداعبونها ، ولكنها تأتي فتظوى على  
نفسها في خوف وفزع

« وسألت جارتني :  
— ألا تحبين برداً يا أنسة ؟

بما شئت وما حلا لها من أهانج الفرح والتطريب  
علنا ننسى ما نمانى من بلاد وعنت . وأرتضت جارق  
ما اقترحت عليها ، فتهادى صوتها في الليل حنوكم  
قويًا . ينفث السحر ، ويبيت الشعر حيا . تهادى ...  
فترقق ... ثم سال جزنا وأسى . لقد كانت تنفى  
لحنًا حزينا دون ريب ... إذ كانت تسأني بنبأه  
ومقاطعه ، فيخرج من بين شفيتها حزينا موجعا ...  
ثم ... ثم يصدر عن السفين ... بهيم في الظلام ...  
ليتكسر على رؤوس الصخر وشعافه ... ثم يغيب  
في شحكات الموت الساخرة ! ولست أذكر هل  
كنت يقظان حينما حسبت أني أسمع صوت كروان  
جريح ينوح ويكي بيننا . رجحن فوق الموج في  
حزن ولعب ؟ ...

وسخر منا البحر فماد بمده ، ثم طفق يرتطم  
بسفيننا « ماري - يوسف » ولكن ... لم أكن  
أنا لأفكر في شيء من هذا ... لأفكر إلا في هذا  
الصوت الحنون !

وما لبثنا إلا قليلا حتى اقلبت بنا السفينة بشفة  
فقد اعتدلت كأنها تستمد للزال ، فانسدحنا - برغمنا -  
على سطح الزورق الأعلى . وانطرحت على كبراهن  
فأمسكت بها في جنون ونشوة ، فضممتها إلى دون  
وعى ولا تفكير ... لقد كنت أحسب أني أنشق  
آخر أفقاسي ، فوددت أن يكون حينها آخر عهدى  
بهذه الدنيا ، فشرعت أقبل ذلك الشعر الجلل الجليل  
الآن ! لم يعد السفين يتحرك ... ولم تعد نحن نختلج  
وصاح الأب فرعا « كيتي ! » فأجابته من بين  
ذراعي : « نعم ! » ثم تطلعت من بين أحضاني ...  
يا لها من لحظات ! كم وددت حينذاك أن ينحطم  
« ماري - يوسف » فيلعبنا البحر سوايا

النائر ... ومنها تتراقص الأنوار البيضاء والحراء  
والزرقاء كل له ميزته ودلالته ... تتراقص أمامنا  
وخلفنا . وتدور نافذنا كل منار من آن لأن ...  
فكأنها عيون باحثة ... عيون مرعدة تسائل عنا  
الليل البهيم ! وقد حسبت أن إحداها عثرت علينا  
فهي تتلصق في سيرها ، فكأنما هي تتعرف علينا  
خفية وتتوسم الوجوه ! ولكنها ضابقتني هذه  
المارة وأغضبتني ! فقد تراءى لي - بعد لحظة -  
أنها تطلب كمين الماذل الثقيل ! فهي تبطن في  
السير كظلمة غصبي ! ثم لاتمض أجفانها عنا إلا  
على قدوى وشجن ؟

وكان السيد الانجليزي يشعل عودا من الثقاب  
ليري الساعة من حين إلى حين . وعلى حين بنتقال  
لي - من فوق رؤوس قتيانه - في لهجة بائسة :  
— سيدى ! أغنى لك علما سعيدا ؟

لقد كنا في منتصف الليل فتمنيت له ماتحى ،  
ومددت له يدي فشد عليها بجرارة ، ثم قال لبتانه جملة  
طويلة لم ألقه منها شيئا ، فبدأت القيتات يتننن  
— وهو معهم — وارتفع الصوت حارا قويا ،  
ينشد : « الله يحفظ الملكة » فتهادى التشديد في الليل  
البهيم وحوتم في الظلام الأبكم ضارعا ملتا ...  
وأحسست أولا برغبة قوية في الضحك ،  
ولكني أمسكت بفضل شعور ناشئ عجيب ...

لقد كان شيئا غبيا منكودا ، لازمه سوء  
الطالع فألمبه وأرهفه : ذلك الغناء ... غناء الموق  
المنزقين ... غناء من ضرب عليهم الموت فلا صرخ  
لهم ولا هم ينقنون ... ذلك الغناء كان شيئا يشبه  
الدعاء والابتهال !  
وبعد أن فرغ الغناء طلبت إلى جاري أن تنغني



وقال السيد :

— إنها خطرة بائنة ، ولم تحدث بنا ضرر ، فما زال بسطح الزورق أطفالى الثلاث  
يا لله ! لقد كان يحسب — حين لم يصر فتاته الكبرى أنه قد ثكلها  
وثاب إلى الرشاد رويداً رويداً . وهناك عن  
كثب شاهدت نوراً يترجع على الماء الغاضب ...  
وسحت فردت الصيحة . لقد كان زورق الفندق ، أنى  
ليبحث عنا بعد أن أدرك ما قدمنا من تهور  
ونجونا ، وكم أسفت لذلك ! حلنا الرجال عن  
الزمت إلى زورقهم اللتين ، فلا أمل في الكرب  
ثانية ... ! وأخيراً أعدنا إلى مدينة « سان مارتن »  
وفرك الانجليز أيديهم :  
— العشاء ، العشاء !

« وقد طمئنا ... ولكني لم أكن سعيداً ...  
لأنى حزنت على « ماري — يوسف »  
وكان لابد أن نفترق في الغد . وبرحوا الجزيرة  
إلى « بياريتز » بعد كثير من الوعود والقبل . ولم  
أكن أستطيع اللحاق بهم ، فهناك قيود العمل اللعين  
كم كنت مجنوناً حينذاك ! كان على أن أطلب  
يد الفتاة ، فاني واثق أنى لو مكثت معها ثمانية أيام  
لكنت في التاسع زوجها !  
كم يكون المرء — أحياناً — ضعيفاً غامضاً !  
ومضى عامان لا أسمع فيها من أخبارها شيئاً .  
وفي رأس الثالث تسلمت من نيويورك خطاباً . فقد  
تزوجت هناك ، وقد قلت لى ذلك . ومنذ ذلك  
الوقت ونحن ترأسل في اليوم الأول من يناير كل  
عام ، وهى تحدثني عن معيشتها ... أطفالها ... عن  
أخواتها ، أما عن زوجها فلا ... لماذا ؟ آه !

لماذا ... ؟ وأنا الآخر لا أحدها عن شئ إلا عن

« ماري — يوسف »

غرامى الأول والأخير ... المرأة التى أحبتها  
وأحبها ... كلا ! بل التى سوف أحبها ... آه !  
لقد كرثنا الدهر كما كرث اليم « ماري — يوسف »  
وحطمنا الحب كما حطمه البحر ... وضل كل منا  
في الحياة طريقه ، كما ضل « ماري — يوسف » في  
الظلام طريقه ... إن الحوادث تحملك بعيداً ...  
بعيداً ... ثم بعد ذلك ... بعد ذلك ... كل شئ يمر  
وينقضى ... فهي الآن عجوز دون شك ... لا أكاد  
أعرفها إذا ما لقيتها ... فتاة الماضي ... فتاة  
« ماري — يوسف » الشريد ... أى مخلوق ...  
مقدس ! لقد حدثني أنه قد ابيض شعرها شيئاً ..  
وهذا شعري يشتعل فيه المشيب ... يا إلهي ! إن  
هذا يفزعنى ... آه ! تلك الفدائر ... الفدائر  
الصفراء .. كلا ! إن وجهها قد غاض وتغضى ...  
إيه أيها الفداكرة ! أى ذكرى أليمة تيمثين ...  
سيد محمد العزازى

## رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامتريين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

الرقم ١٢ قرشاً

# يَقْظُ الضَّمِيرُ

لبوريس فيليوف  
بقلم الأستاذ محمد لطفي جمعة

عن نفسه في كل مساء بالو  
في الأندية والملاعب والحانات  
وتنغم ليتسبه بالمخامرة  
والمقاورة - وأحياناً بالمقامرة  
على المائدة الخضراء فيربح  
ما يربح ليموض نفقات  
سهرته ، أو يخسر مالا يؤثر  
في ثروته . ولم يكن متزوجاً  
لأنه ما زال في عفتوان

الشباب ، ولم يلق في الأيام  
التي كان يشاها تلك التي تنقلب  
على عوامل العزوبة في نفسه ، بل  
كان يكتفي باللواتي يقضين لباتته  
في لقاء صاحب ، تسبقه نشوة  
الحمر وتعقبه لذة الكرسي . وكان  
يذكر تلك الأيام والليالي جيداً  
حتى اتفاه من حوادثها ، واستمر  
على تلك الحال بين العمل والهو  
حتى التقى بالفتاة « جوتي » وكانت  
امرأة مدرس صغير في مدرسة  
ابتدائية ، وكان الزوج فقيراً  
بكفيه مرتبه كمعظم أبناء صناعته

الذين تستغلهم الحكومة ليخرجوا رجال المستقبل ،  
وهم يموتون جوعاً ، ويلاقون الويلات من شظف  
العيش . ولكن جوتي .. ما أحل هذا الاسم في فقه فقد  
كان يلغظ إذ ينطق به كأنه يحسو خيراً أو يستوعب  
قطعة من الحلو المحشوة بالجوز واللوز عند ما روى لي  
قصتها . وقصته بنفسه قبل موته بأيام قليلة قال : لم  
تكن محبوبتي جوتي جميلة وصغيرة فحسب ، بل كانت

( اشتر هذا الكاتب الذي نشأ في  
مدينة كييف ، عاصمة مقاطعة يادوني  
بدرس أعماق النفس البشرية ، والأحاطة  
بالعوامل النفسية التي تنتج عن تغير  
أحوال الفرد بفعل القضاء والقدر  
وهو يعتقد أن الإنسان أداة عاجزة  
و « عجيبة لينة » في يد الفلك المدار  
فهو ليس ملك نفسه ، وليست إرادته  
بنافذة ولا بشفاعة إذا تحكت لإرادة  
عليها . وقد وضع قصصاً طريفة تؤيد  
نظره ، ونشر بعضها في مجلات  
برافدا ، و « ذرفي دانيا » وفي  
مجموعة صغيرة دلت على علو كعبه في  
فن القصة ، ولكن اللينة عاجلته في  
منتصف العقد الثالث في عام ١٩٢٢  
وهذه القصة من خير ما كتب )

كان صديقي بوريا مقاولاً  
وفناناً وقد درس صنعة البغارة  
على أبيه ، فقد كان معاراً شهيراً  
شاد بعض قصور النبلاء وشارك  
في رفع قوائم كنيسة سانت  
أندريه في ساراتوف على نهر  
القولجا . وكان له مال وفير ورث  
بعضه عن أبيه وحاز بعضه بمجده  
وكده . فنشأ في العز والترقب ،  
وعاش عيشة راضية سعيدة .  
وقضى شبابه في بطرسبرج عاصمة  
القيصرية ، وكانت أجل المدن  
في نظره ، فكان شديد الإعجاب

بها ، يصفها بأنها ثمرة خير قران بين المدن والمدن والمصر  
والماء ، ولم يوفق البنائون في أنحاء العالم وفي كل  
النصور إلى ما وقفوا إليه في تشييد قصورها ومد  
جسورها وترتيب طرقها ولا سيما برسيكيتيف نيشكي .  
فكان بوريا يعيش سعيداً بين عمله وبين إعجابهم بمسقط  
رأسه ومدينة أحلامه ، غير مكترث بما كان يقع  
في قصورها وسجونها وحصونها من الظالم ، يرفه

كان حاضراً لا غير حضوره موقفاً ! نعم كنت أحبها على الرغم منه ومنها ومن العالم أجمع . لم يكن قدها ولا جمال وجهها وعينها ولا رخصة أناملها ويديها ولا إبداع سمائها هي التي فتنتني وحدها ، بل صوتها أيضاً ... صوتها ... كان هذا الصوت مزيجاً من الموسيقى وتغريد البلابل وهزات النسيم وسحر النغم الغامض وحنان الأم ، فاجتذبتني قبل أن أفيق من غشيتي لدى رؤيتها . لقد تملت لي فيها الأوثة الكاملة وأردت في لحظة جنونية أن أزرق منها بفلام . لقد صرخت الطبيعة في أذني ، وتحرك كل ساكن في كيان ، وفي لحظة أخرى عدت إلى نفسي فاحتقرت نفسي لانغماسي في الشهوات البخسة ، ورأيت ضرورة التغيير قبل أن أنبس بكلمة ، لأصبح رجلاً جديداً جديراً بحبها ، ولا بد من أن أطلق ماضي حياتي الملوثة بالدنأيا قبل أن أفوز بيدها . هل تخيل أن هذه المعجزة تتم في دقيقة واحدة على يد امرأة صغيرة ؟ ولكن المعجزة تمت ، فإن جوتي بادلتني حيي ؛ ولم يكن الفقر وحده سبب مطاوعتها إياي وتليتها نداء قلبي — لأنها كانت مستورة — ولم يكن نداء الجنس بالدافع الوحيد لها — لأن زوجها كان شاباً — وقد قالت لي إنها لا تشعر بالحياة الزوجية ، لأنها أحبت بإخلاص ، وإن الدنوب لا يشعر بها إلا للرجم على اقتراضها . أما الحب الطاهر ولو كان مشوباً بالتسليم فلا يشعرها بالخطيئة ، فقلت لها : يا جوتي الصغيرة ، يا جوتي الحبيبة ، يا حلم الملائكة ورمز هيلانة الهاربة في سبيل باريس الفارس الجليل ، كيف تقولين ذلك ؟ إنه ذنب ضد عقيدتنا ... فنظرت إلى نظرة قصيرة ثم أغضت ... هل هو عتاب أم تكذيب ، أم تغليب إرادة الحب على إيمان القلب ؟ لست أدري ! اللهم اغفر ذنب حبها إياي فقد أحبتني

ذات قدرة نادرة على تنظيم الحياة وتدبير الدار ، حتى تمكنت من مطاردة الفقر ومحاربهه بالفطنة . فكانت تمد النداء والشاء ، ولكن جسمها كان دائماً نظيفاً معطرأ . وتبدو أناملها التي تمارس الطهي مرتين في النهار رخصة دقيقة لم يعلق بها أثر من آثار النار أو الدسم ؛ وكان شعرها أسود لامعاً ، أما عيناها فنيعمان من منابع الجمال . كيف أصفهما وما بلون القطيفة الخضراء وحوّلها إطار بلون الشهد الذهبي ؟ أما ثيابها فقد كانت فتنة الفنان كأن مصوراً يفكر ثم يتسكّر ، ثم يخرج فكرته ؛ فهي ثياب رخيصة ولكنها متقنة بل إلى ما فوق الاقنان . وهي التي علمتني أن الثوب ليس بضمن قماشه ولا بلون رسومه ولكن بدقة صنعه وتطريزه . كانت على فقرها محسودة من ربات المجال من طبقة الأغنياء ، فتجحت تلك الفاتنة في أن تفيض بالخيال وجعلت من حياتها وحبا حلماً رائماً . فلما رأيتها أثناء زيارة فنية في بيتها الصغير في شارع بوشكين في الحط الرابع في الدور الأعلى من العمارة رقم ١١٧ ، نسيت نفسي ونسيت وجه الدفري نيك (البواب) الميم الذي لم أر أقبح منه في حياتي . لقد نسيت نفسي حقاً ونساءلت أفي الأرض أنا أم في السماء ؟ وأحسست أفي تغيرت في طرفة عين ، وصرت رجلاً آخر ، لأحب سواها ولا أفكر إلا فيها ، ووهمت أنها لم تخلق إلا لتسعدني ونسيت أنها متروجة ، وأن لها رجلاً آخر يماشرها ويسعى على رزقها ورزقه . وغلب عني شبحه وفكرته وصار في ذهني الملهب كأنه شخص خيالي لا وجود له في الحقيقة !! هل هذا هو ما يسمونه الحب للوهلة الأولى ، أو دقة الصاعقة ؟ لا أدري . والعجب في أمرنا أنها هي الأخرى أحبتي منذ تبادلنا النظرة الأولى ؛ وكان زوجها غائباً بالطبع ، وفي ظني أنه لو

وأنتذرتني . حجباً ! هل يحجو ذنب واحد ذنوباً جمة ؟ هذا هو الذي حدث . فإني بعد حبها أصبحت بريئاً كالطفل . لقد أحبتني لأنني كنت مريحاً وكنت غنياً فكنتها من التمتع بما كانت محرومة منه من ملذات الحياة . صحبتها إلى السارح الراقية وأسمعتها شليابين بنفي، وكارتينا دمنسكي تمثّل، وأريتها إيزيدورا دنكان ترقص، وسقيتها كؤوس البيرمنت والفودكا الغالية والبندكتين اللذيذ بعد الشاء في مطعم بورتريف، ولم تكن تحمل بأن قدمها تطلق أرضه؛ ورأت انعكاس أضواء المدينة على نهر النيقا، وتلاؤ أنوار قصر الشتاء على الجليد . وخلوت بها في بيوت جميلة، فكانت تقول لي : « إن قلبي يحدثني يا بوريا العزيز بأن هنأ بك قصير الأجل، ولكن لأعليك فقد حيث واستمتعت » ولا أستطيع أن أذكر لك كل ما رأيته وسمعته منها فلم أحفظ بصورة من صورها التي صنعتها بنفسى في الحداثى وفي ظل الأشجار وعلى موائد الطعام . ولم أستبق رسالة من رسائلها، فقد سلمتها إليها يدأ بيد، كالعرف البائد في زمننا، فإن الماشق لا يحفظ رسائل معشوقته المزوجة ...

ولكن كل ذلك انتهى فجأة وأنا المذنب الملووم حقاً فقد بدأت بالقطيعة ولا أدري ما السبب، سوى رذيلة الملل من الشيء الواحد، وبطر الرجل حيال المرأة الخاضعة، وغيره الزهد فيما يملك . فإن النفس تتزع من ظلام الجحود أسباباً للفرقة . لقد تأملت لفرافها وشعرت بطن الحناجر عند ما قالت لى لدى لغائنا الأخير : « ألم أنبأ بأن سعادتنا قصيرة الأجل ؟ إنك مثل كل الرجال، وإن لم أكن عرفت سواك، فأنت تبتذني بعد أن فرغت من غايتك . وأصبحت لا تقيم لى وزناً، ونسيت كل عهدك . لقد سلكت

السيبل التي يسلكها أمثالك، فأنا لا ألومك، ولكننى أحببتك وصدقتك ولا أندم على حبك، ولا أستطيع أن أستمطفك أو أحرك شفقتك فليس في وسعك أن تحبني بعد أن زهدت في ؟ وليس في وسع أعظم الرجال أن يقدم الكرامة على العاطفة فإن ملالك عند وصلك إذا انتهى الحب يكون أقل لى من عذابى بعد هجرى . لو كنت امرأة أخرى ... لو كنت عذبتك وأذنتك لوعة الدلال والبعد، وبمعت صفاء قلبي غالياً، لبقيت طول حياتك على حى ؟ ولكن طبعنى لا تغفر، وقد جدت لك بنفسى منذ أحببتك فكانت عاقبتى مرارة البعد . لقد أفسدت حياتى يا بوريا، فلن أصلح لأكون زوجة، بل لن أصلح للفساد بعدك ! فأما راحة وإما منتحرة، فأيهما يحلو لك ؟ أفنى في هجرى كأفنتى في حى . قل بالله عليك ولا تضن على بصحك » فكانت كلأها كوخز السنان فى قلبي، وكانت السموع لا تكفى لتمحو ألى، كما كان الرجوع إلى سابق عهدنا مستحيلأ . بعد أن انمخى المقد الذى كان برطنا، وانثرت كلأته الممزقة فوق رمال القطيعة الجديدة كالصحراء، فرجحت إلى صديق كركلنكو نيلانوف -

قائه الله ! - فقد كان فاسقاً مستهتراً، وكنت هجرته منذ عرفت خبيثتى الخلسة جوى . وقلت له اسمع : إنها تنذرني بالندم، زائمة أنني لن أجد سواها فيمن يماثلها من النساء . فقال لى : كلهن يقطن هذا القول لاستيقاء الرجل المحبوب ؛ أما إذا فرغت قلوبهن من حبه، فلن يعرته أقل لغته، ولا يشفقن عليه ولو تخرج فى تراب أقدامهن ولو تمرقت أحشاؤه أمام أعينهن . الأولى لك يا صديقى أن تعف عن الطعام ونفسك تشتهيه . أنظر هنا يا بوريا . أنظر هنا، الأولى لك أن تبدأ بالانصراف قبل أن تقاچتلك هى الهجر -

فأحدث الخبيث ييليانوف في ذهني صورة قبيحة  
قائله الله ! ليتني ما أسكرته فقد صار بعد القودكا  
أسلط لساناً وأقبح لفظاً وأجراً على الكلام القارس .  
يا لك من عدول لثيم يا ييليانوف .. لم يكن اللثيم خالياً  
من الأغراض . فقد كنت هجرته فيمن هجرت  
من الأصدقاء بعد حبي إياها ، وقد كفتني الاجتماع  
به وبرفاقته في الحانات والملاهي والمغاني الصاخبة  
فقنعت بها دون كل الناس . فكان بروق له أن  
يستردني لأعود سيرتي الأولى . أليس هذا عجيباً ؟  
لقد كان يقار منها وهو لا يعلم ذلك ، أو يعلمه ويخفيه  
عني ليظهر أمامي بمظهر الناصح الخالص  
فقلت له قبل أن يصيبه الصداق :

— ولماذا لا تنصح لي أن أتزوج ؟ فقال : آه .  
الزواج ! هذا شيء آخر . دعنا نخلص أولاً من  
الخليلة ، حتى نبحث عن الخليفة

قائله الله وجميع القديسين ! لقد كان جوابه  
حاضراً وبديته سريعة فأقنعتني قبل أن يصيبه صدام  
القودكا الحزم . وصحت عزيمتي على هجرها فخلت بين  
نفسي وبينها وأنا على أشد الألم ، فتغلبت في النهاية  
بعد أن ذقت الأمرين . فقد كانت صورتها لا تفارقني  
في الليل والنهار ، وكنت أحلم بلقائهما ووصلها وأسمع  
أنيهاً كأنها ضيقتني ، وأندق حلاوة لمسها وهي  
بعيدة عني حتى لقد همت المرة بعد المرة أن أئوب  
إليها ، وأعود راكماً بين يديها

ونحلت فرجها إذ ذاك فكلمت أجن من الوجه  
ولكنني قاومت وقاومت حتى فزت بالنسيان ، ولست  
أدري بالذقة كيف عشت بعد هجرها ؟ وتلهمت  
بالانكباب على عملي ، وقطعت علاقتي بيليانوف  
وأشباهه وطلعت حياة الرقص والمخمر ونفخت عن  
كاهلي حياة الفجور كما ينفخ الشخص ثيابه في يوم مطير  
وتفرغت للبناء وجمع المال فربحت فوق ثروتي  
أرباحاً طائلة ، وصرت للمقاول المعروف بالمهارة في

إن الحب حرب بين الجفسين يا أخي ، ومن المهارة  
في الحرب أن تنسحب من الميدان قبل أن ينال منك  
خصمك أو يجهز عليك ، والإجهاز هنا أن يتنحى  
جنباً إليك وأنت متعلق بها فالويل لك ثم الويل لك .  
واعلم أننا جميعاً نفعل مثلك : نغازل النساء المتزوجات  
ثم نودعهن وداعاً لا لقاء بعده . فافعل كل ما يفعله  
أبناء جيلك ولا تحسب أنك تذهب في حقها .. وإذا  
كنت تعلم أنها فقيرة ، وأنها متشبثة بك لئلا تفترق  
مالك فلا بأس من أن تعوضها بنفحة أو بسطة  
كف تستعين بها على نسيانك وتجديد حياتها في  
ظل زوجها الأنوك !

وعندما سمعت منه هذه الكلمة قلت له : أحرص  
أيها النذل ؟ فإنها ليست من هذه الطبقة وليست  
على هذا الطراز . إن هذه الطفلة الواحدة تنقلب دُباً  
لتنشب أطفالها في وجهي إذا قدمت لها المال ...  
ثم أنت تتناب رجلاً جيتُ أنا عليه ! ففضض  
ييليانوف . وقال لي : أنا نذل ..؟ أنت حمار ، لن تستريح  
حتى تهلق . فأعجبني النكتة وضحك وصالحته . هذا  
العدول الخبيث ييليانوف . اصطلحنا وسقيته قنينة  
من القودكا الرخيصة الثمن لأنني كنت أكره أن  
أراه يشرب النوع الذي كانت جوتي تشربه مني  
فأردت تسميته لأجل الله كرى . وبعد أن تلذذ  
ييليانوف بالمخمر ، وقبل أن يصاب بالصداع الحزم قال لي :  
أنا أعلم يا بوريا أنك رجل شريف ، تذكره  
المرقة وتأتي المثل في السداد وتبضخ حياة الأمانة  
وترفض أن تهضم حقوق النير ، وهذه عادات كتبها  
بممارسة أعمالك ، ولكن أن تستمر على حب امرأة  
أحبها غيرك ، هذا الذي لا تطيقه بطبعك . إنها  
كالنواة التي يلفظها من أكل الفاكهة ، أترضى أن  
تعيش على النوى ؟ إنها متزوجة كما تقول ، فلها  
رجل آخر لا تقدر على رده ...

وقضت على البقية الباقية من مالى . وغادرتى التوفيق  
وابتعد عني أحماني وعاداني أشد هم لؤمًا ، ماعدا  
ييليانوف ، لأنه لم يكن يعطيني شيئًا ولا يضيره أن  
ياخذ من غيرى . وأتى إلى المجتمع الذى كنت يومًا  
من سادته ، ولكن الحالة الجديدة لم تجعل سيداً  
ولا عبداً . وكان يمزى أن القيصر وولى عهده  
والقيصرة وبناتها لم يكونوا أسعد منى خطأ ، ولكن  
هذا القول كان وهمًا ، ولكننى كنت أنوم ما هو أعظم  
منه وهو أننى سأعود يومًا ما إلى الثراء بعد الحاجة ،  
واليسر بعد السر ، إذا فضضت عن كفى غبار  
البأس القاتل . وصورة الثروة التى أستردها لما تقارفى ،  
وكانت تحارب أمام عيني شبح الفقر الذى يهددنى ،  
فكنت أحسب أن لى قريبًا مجهولاً سوف يهلك فى  
أمريكا وتوافينى ثروته على عمل ، أو أن يكون لى  
كز دفين فى أحد البيوت التى يبنيتها . وتعلكت  
هذه الفكرة نفسى فماد لى ببيض من الرجاء  
وظفرت بصفقة رابحة عدتها فاتحة الخير وبداية  
الفرج بعد الضيق . وكان الجنود المائدون من  
اليدان بملأون الحانات ، ولا سبى فى حى بطرس  
وبولس بجوار الحصن الشهير ، ففشيت ليلة إحدى  
هذه الحانات التى كانت مكتظة بالشرايين من عسكر  
الدولة التى بدأت تتلون بلون الثورة ، وكانت نجة  
الجنود وهم يتجرعون القودكا تملو وتتضخم وتهز  
أركان السكان كما انقذت فى سقفه الأسود سحب  
من دخان طباقهم ، وأخذوا ينظرون لى شرراً  
لأننى لم أكن أختال فى ثياب كشيابهم ، فطلبت من  
الساق قنينة من القودكا لأحرف أنظارهم عني فتغير  
نظرم لى من الحقد إلى السخرية ، كأن المحر كان  
وفقاً عليهم .. ولكنهم فى الحق كانوا يتساءلون فيما  
بينهم عن علة قمودى ، لماذا لا أخوض غمار الحرب  
التي خاضوها ، وأبقى فى العاصمة منعماً بالحرية

عملى والالاقة فى شخصى والاستقامة فى خلقى  
وبلغت ذروة الانتصار المادى وتكدست أموالى فى  
المصارف ووثقت فى الشركات ورجال الأعمال  
وتحكنت من التصرف فى ملايين الروبلات واتصلت  
شهرتى بفنلندا فبنيت للقيصر قصرًا على شاطئ  
البحر وأعددت له مرسى ليخته الذى كان يعتمد  
عليه فى فراره . أتعرف تسارسكوى سيلو ؟ نعم !  
أنا الذى أشرفت على بنائه وسافرت إلى الغرب .  
وزرت إيطاليا وفرنسا ودرست كل طراز البناء  
القديم والحديث . وأخيراً حننت إلى البيت  
والثوى والركن الركين والرجولة الملمثة الآمنة  
بالل واليسر والرخاء المضمون . فتزوجت من فتاة  
جميلة ورزقت أطفالاً وبينهن بنت أسميتها جوى  
( لأجل الدكرى التى كانت تتجدد ) . ثم جاءت  
الحرب العظمى واضطربت الأحوال وارتبكت  
الشؤون ونفخ نفاة فى صور الثورة . وصار كل  
شئ إلى الفناء المقدور ، إلى العدم . وحل الفشل  
حل النجاح وماتت الزوجة وتشتت شمل الأطفال ،  
فلا أدرى أين هم . وقابلنى ييليانوف وكان لا يزال  
يسكر ويلهو ويعتمد على الغير فى نفقائه ، فلما رآنى  
وسمع قصتى قال : لا تبتئس فان جان جاك روسو  
كان له خمسة أطفال أتى بهم جميعاً فى ملجأ اللقطاء !  
لست أعلم منه ولا أعقل ولا أغنى . لقد كان  
فيلسوفاً كبيراً وألف أحسن الكتب ، وأنت ،  
ما أنت إلا مقال ومعار . وإن العالم كله أصنى إلى  
تعاليمه وهو لا يعلم إن كان أولاده أحياء أم ذهبوا  
إلى العالم الآخر ، إن كان هناك عالم آخر ؟ المسألة  
ترجع إلى اعتقاد روسو . فسرتنى عني وأنا أعلم  
خبيته وقيلت كلامه على علاته بحكم اضطرارى  
لقبوله . وعدت إلى شرب الخمر ولعب القمار من  
جديد ثم مارست أعمالاً فأحرقته الأخضر واليابس

الماضي الحالك .. من مخزن التصاور القابع في ذهني  
كأنه صراف بخيل ... لا يقدم الأشكال والرسوم  
إلا بحساب أي حساب

لقد تجاهلتي وابتعدت عني وثاربت على  
الترحيب بأضيافها حتى لم يحرم أحد من الخطوة منها  
ببسة أو نظرة عطف مصطنع أو كلمة عذبة أو وعد  
بلقاء قريب .. وكانت « خطلة السير » قد ساقها  
مصادفة أو بقصد غامض نحو المنضدة التي طرحت  
عليها أعباء هي ووهي ومددت ليدها بساط خسارت  
وندى ، فلما دنت مني حدثت في ، ودهشت ، ثم  
تراجعت وقالت لي وهي تضحك تحكة الألم والسخرية  
والندم والخجل ، تحكة لم تكن تعرفها جوتي الأولى ،  
وأقتنيتها هذه الثانية وقالت لي :

— أأنت هنا ؟ في الحالة ؟ لقد التقينا . إن  
العالم صغير ، ولا بد للأحياء أن يجتمعوا مهما  
فرقت الأيام بينهم . أنظري إلى ما صنعت لي حتى لك أن  
تفتخر . أنا مخلوقك ، بل قل مخلوقة حبك ، إن  
شئت . فأخبرت رأسي ألما وحسرة فقالت لي :

— إرفع رأسك يا بوريا ولا تحجل . إن الصانع  
لا يحجل من صنعه ، وأنا صنعة يديك . لم يكن  
ينقصني إلا أن أراك ، وها أنا ذى قد رأيته . ثم مدت  
لي يدها — تلك اليد التي طالما قبلتها وبللتها بدموعي  
وبقيتها هكذا برهة لا أدري هل طالت أم قصرت  
لأن نفسي كانت فريسة الانفعال والعواطف ورأسي  
كأحد مصانع الأسلحة والدخائر ؛ ثم شعرت أنها  
تسترد كفه من يدي ، كما لو كانت حلية تخشى  
عليها من سارق يقلبها بين كفيه ليسلمها ، وحولت  
عينها عن عيني وقالت : الوداع يا ... بوريا

في صباح تلك الليلة عثروا في نهر النيفا على جثتين  
الأولى لرجل في الأربعين من عمره والثانية لامرأة  
في مقتبل الشباب . بوريا وجوتي !

محمد لطفي محمد

والسلامة ؟ ولو علموا الحرب التي أعانها لأشفقوا  
على فانها كانت أحمى نارا وأحرق أوداراً من حرب  
القتال ، فان الموت كان خيراً مما أيا فيه . وطالما  
حسدت بطل تولستوى « الميت الحي » ولكن أنى  
لى بنعمة الموت المنقذ ؟ وبينما أنا مستغرق في وحدى  
والألم يحز في نفسي ، والندم على دخولي هذا المكان  
يكاد يمزق أعضائي ، وإذا بامرأة ظهرت تحتال  
وتبخر وتضيء وتتلألأ كالكوكب الدرى فى  
ظلام تلك الحفرة المدهم ؛ كانت تلبس ثوباً من الحرير  
الأحمر يخالل ثياب ضباط الفرسان وفي يدها عصا  
صغيرة من العاج . فلما دخلت ساد السكون واتجهت  
الأنظار إليها ثم أخذت تنظر وتنتق ما طاب لها من  
الشبان والكهول وتوزع الضحك والكلمات  
العذبة والنظرات الفاتنة ذات العيون وذات اليسار .  
وجاءة انطلقت الألسن بعبارات الإعجاب وتبدل  
المبوس بالابتسام والضحك ، وأخذوا يستمعفونها  
ويقدمون لها الأقداح ؛ وقد ينهض أحد هؤلاء  
الجنود الظلمة نين إلى الحب فيلس يدها ثم يقبض عليها  
ويضع على أناملها قبلة حارة . وكانت المرأة تقابل ذلك  
كله ببشر وسرور ومرح ، وترحب بالفاظ الحب  
بنظرة دلال ، وتبادل بعض الضباط نكات لازمة  
ولكنها فى حدود الأدب ، فاقبلت الحالة الجهنمية  
روضة من رياض النعم . وعلى غير انتظار رأنتى .  
والتقت عينا ، فأعرضت عني أولاً .. وبهمهم وجهها  
وتنيرت حالتها . وفى شبه حلم خفيف عرفتها هي ..  
جوتي .. لقد أخبروني أنها ماتت في جزيرة القريم  
منذ ثلاثة أعوام بمرض الصدر ... كذبوا وهامى  
ذى على قيد الحياة ، جميلة رائعة ، ولكنها تبدلت .  
صدقوا ... إن جوتي التي عرفتها وأحببتها وقاطعتها  
ونسيتها قد ماتت ، أما هذه فامرأة أخرى وأفساه ...  
إننى لم أستطع أن أنتزع صورتها الأولى من ظلام

# خيال الحب

لِلكَاتِبِ الْفَرَنْسِيِّ أَنْدَرِيه بُبِيرَاوُ  
بِقَوْلِ مُحَمَّدِ السَّيِّدِ شَعْبَانَ

ومع ذلك فقد جرى  
غناها مثلاً على ألسنة  
الناس في إقليمها وما  
جاوره . وكانوا كثيراً  
ما يقولون إن أموالها  
ستؤول كلها في نهاية  
أمرها إلى خزائن الحكومة ،  
ولكنني قد علمت الآن أن  
أمر يكيافدا قد اشتري قصرها

الفسيح ؛ وذكري هذا مثلاً محلياً له علاقة بهذا  
الموضوع كنت قد سمعت امرأة تقول يوماً لابنتها ..  
ورأيت في يوم من الأيام — بينما كنت أطل  
من إحدى نوافذ الفندق امرأة نصفاً تجمع أزهاراً  
في الحديقة ، وكان الشيب قد وخط شعرها  
وظهرت على جبينها تجاعيد تنم عن الكبر . وما إن  
رأيتها على ما هي عليه حتى اعتقدت تماماً أنها تؤدي  
وحدها أكبر نصيب من العمل في الفندق  
ودخلت حجرتي خادمة فسألتها : « هل هذه  
التي أراها هي الآنسة (دي باردلاك) ؟ » فقالت :  
« إنها هي » ...

وأخيراً رأيتها في إدارتها الصغيرة — وكانت  
تعد مفارشات من السكان — فحييتها وذكرت  
اسم (باردلاك) فأدارت وجهها إليّ في حدة  
وسألني عما إذا كنت أعرف شيئاً عن هذا  
الاسم ... فحدثتها عن المنزل ، والنهر الذي ليس  
ببعيد عنه ، ثم عن (الجارون) وهو قريب منه ،  
وذكرت لها بعد ذلك أسماء كثير من تعرفهم ،  
وتحدثت عن الشديدة المحرمة التي رأيتها في العربة  
الصغيرة ثم سألتها : « هل كانت تلك السيدة

رغبت في أن أقضي أياماً على بحيرة (ليمان) ،  
ولما كنت حريصاً على ألا أنفق أكثر مما في طوق  
فقد رأيت أن تكون إقامتي في فندق (بلاري) .  
وعند ما سألت هناك عن الشروط أعطيت كثيراً  
عليه اسم صاحبة الفندق الآنسة (أوجيني دي  
باردلاك) .

وقد أيقظ هذا الاسم الأرستقراطي كثيراً  
من الذكريات في نفسي فتذكرت بيت عائلة  
(باردلاك) الفخم الذي كان في النهاية القصوى  
من فرنسا بالقرب من مدينة أعرفها جيداً .  
وأصدقك القول أنني كنت أعشق ذلك البيت  
القديم الشريف الذي كانت تكتنفه حديقة فسيحة  
فيها بحيرات عدة . وكنت أرى في بعض الأحيان  
مالكته وهي تجوز فانية عند ما كانوا يتنقلون بها في  
أثناء الحديقة وهي جالسة في غربتها الصغيرة  
وكان سكان المدينة كثيراً ما يسخرون منها ، فهم  
يقولون إنها تملك قصرًا جميلاً ولكنها لا تستطيع  
أن تتمتع به ، وخيولاً كثيرة لا تستخدمها في شيء ،  
ومطابخ عوج في جنباتها الطاهون بالرغم من أنها  
لا تعيش إلا على اللبن



وكانت عمتي تثير الإعجاب بما تمعله في يوم ميلادها ؛ إذ كانت تتفق المال في ذلك اليوم بغير حساب ؛ وكان أقاربها يأتون إليها من الأماكن الدانية والقاصية كل برجوسياتها ؛ ومن أجل هذه الصّلات كان الرجل الذي لا يستطيع الحضور بنفسه يرسل زوجته لئلا تذكر عمتي بنصيبه . وقد ذهب والدي معي في ذلك اليوم بالرغم من أننا كنا نسكن على بعد ثلاثين ميلاً من دار « بارديلاك » وإلى لسلي يقين الآن من أن أبي وأمي كانا يتوقعان بذهابهما معي إلى عمتي خيراً كثيراً بعد ما أيقنا أن وجودنا عندها ما كان يبعث إلا السرور والإعجاب في قلبها ؛ وما كان ينال بعض ذلك أحد أقاربها الكثيرين الطامعين ، ولذلك كان أبوي من أسبق الناس إلى اكتساب صلاتها

وإني لأذكر جيداً أن عمتي قالت لأخي ونحن نتأهب للعودة : « إن فضائل الإنسان هي التي توصي خيراً به ؛ وقد أجمعت رأيي على أن أترك لك كل ما أملك » ...

ولم يكن هذا كل ما حدث ، فقد جمعت عمتي أقاربها الآخرين قبل ذهابنا ثم ذكرت لهم وهي تقرق الأرض بعضاً في يدها كل ما تمتعده فيهم ، فقالت لهم إنهم منافقون يتملقونها لينالوا أموالها ، ثم طردتهم بعد ذلك من منزلها . وبذلك ظهر الأمر أكثر وضوحاً لأبوي ، وما كان في حقيقته كذلك أو ما كان على الأقل سهلاً ميسوراً كما وقع في ظنهما ...

وفي الخامس من أبريل من العام التالي ذهبنا إلى عمتي جميعاً في أبدع زينة وأجمل ثياب . وكانت تعاملني عند ما كنا عندها معاملة فيها القفاظة

عمتي ؟ « فمزت رأسها بالإيجاب . فقلت : « ألم تنهي إلى منزل ( بارديلاك ) في الأيام الأخيرة ؟ »

فأجابت — وهي تلتقي مفرشاً على الكوم الذي أمامها : « إنني لم أذهب إلى هناك منذ إحدى عشرة سنة »

فقلت : « ليس من الممكن على كل حال أن يكون قد نسيك الناس هناك . وإن كنت لا أعلم أمرين ذلك أم تجهلني ؛ ولكنك ولا رب قد صرت مثلاً بين الناس هناك ... ؛ فقد سمعت امرأة تصيح في وجه ابنتها قائلة لها : إنك قد فقدت عقلك وصرت غبية كذلك الآنسة « دي بارديلاك » التي فضلت الحب على ثروة كبيرة ! »

فتهدت الآنسة ( دي بارديلاك ) وقالت بحد قليل من التفكير : « إنهم ولا رب يقولون ذلك ! » ثم ضحكت ضحكة ، وما كان ضحكها مما تروح الأذن إلى سماعه ؛ فقد خُيِّلَ إليّ أنه يخرج من قلب صيغ من صوان صلد ؛ واستمرت تمد مفارشها الكتانية ، ثم التفتت إليّ بعد دقيقة وتكلمت كما لو كانت تم حديثاً :

— « سبعة عشر عاماً ... سبعة عشر عاماً طوالاً ! لقد عشت مع عمتي سبعة عشر عاماً بطولها وما كنت إلا خادمة أو ما يشبه ذلك عند ما جئت إلى هذا الفندق أول مرة ؛ ولكن ليس هذا ما بهننا . لقد كنت خادمة عند عمتي ، بل كنت أقوم بما يعمله الخدم جميعاً على اختلاف أعمالهم ؛ وكنت صبية صغيرة عند ما ذهبت إلى منزلها أول مرة وما نسيث ذلك اليوم أبداً ، فقد كان الخامس من شهر أبريل وهو يوم ميلاد عمتي ! »

ومأظن صادقة أن أبويَّ كلانا يتفقدان أنهما قد أساءا إليَّ بتركى مع عمى ، فقد كلانا يظنان أنى سأظل عندها بضعة أسابيع لا غير وأنى سأذهب إليهما متى أشاء وأعود متى أحب ، وما علما أن عمى إنما كانت تريدنى عندها خادمة خاصة أتيهما ولا أتركها ، وأخذها على الرغم منى بعد أن يئست من أن يجد لها خادمة تقبل أن تكون كذلك وترضى بمثل هذه الشروط ...

وكننت بالطبع أسكن عند عمى ، وكانت تكسوفى وتطمعنى ، وكان أجرى عن عمى لمسارنه عنها من ثروة كبيرة عند مات موت . وما كنت أظن أنها إنما أخذتني متبرعة لتذلى وتضعنى لسلطانها . وعند ما أدرك أبواي حقيقة الأمر وعلم بما هو واقع لم يحتجا على هذه العاملة ولم يقضيا حباً للثروة الموعودة والنفى المنتظر ...

وبدأت حياتى على أن أكون رفيقة لعمى وورثتها لها . وما بلغت الخامسة عشرة من عمرى حتى كنت قد أدركت تماماً أن أقل نسيان أو أدنى إهمال أو أصغر كلمة فاجئة فيها شئ من عدم اللياقة ستفقدينى مال عمى وروثها . ويمكنك من هذا أن تفهم كيف كنت أقرب مستقبلى وكيف كنت أخشى أن أخطئ فأرتكب غلطة ... وعلى هذه الحال عشت سبعة عشر عاماً !!

لم يكن هذا أشد الأمور مرارة على نفسى فقد كانت عمى لا تسمح لى بأن أستريح يوماً فى حياتى أو أخلص ساعة إلى نفسى إذ كنت لا أفرغ من العمل أبداً . لقد كنت قبل أن أعيش مع عمى صبية نامية الجسم ضاحكة الوجه . وقد تنبذ هذا كله سريعاً وتبدل فلم يبق منه شئ ، إذ جعلتنى

والشراسة ، كما كانت تمزح مع أبى مزاحاً مرأولاً لأنه خسر شيئاً من المال فى صفقة عند مسجل عقود ومع ذلك فقد عرضت علينا عند ما كنا نتأهب للمودة إلى دارنا أن نمكث عندها ليلة أخرى ، وكأنما كانت هذه الدعوة امتيازاً مازتنا به من بقية أقاربها

« ثم قالت : إن فى منزلنا هذا خمسين حجرة للنوم ، وإنى أدعوكم للانتظار عندى إلى الغد » ... وكأنما أعزقت أبى وأمى فى بحر من كرمها بهذه الدعوة فقد أومهما هذا بأن ثروتهما قد صارت أكثر قرباً منهما وأنهما سينالانها دون ريب . وبينما كنت فى حجرى الكبيرة التى اخترتها لنفسى من البيت الفسيح سمعت أبى وأمى فى الحجرة المجاورة يهين كل منهما الآخر ضاحكا مستبشراً ... غير أن ما حدث فى اليوم التالى لم يكن مما يبعث على الطمأنينة ، فقد تجاهلت عمى وجودنا ، وكانت تسخر من أبى سخرتها المؤلفة بين الحين والحين

ولما أعد طعام الغداء لم تعرض عمى علينا أن ننتظر ، فلم يجد أبى بداً من أن يعود إلى دارنا بعد أن أهانتها عمى وسخرته . وكان أبى فى هذه الساعة مكتئباً منقبض النفس . ولما عرضنا عليها عزمانا على العودة لم تمنع فى ذلك وقالت لنا : « معكم الحق ، فلنكن أن نذهبوا ولكنى سأبقى هذه الصبية معى لأنى فى حاجة إلى رفيق ، وقد خطر لى هذا أمس عند ما شاهدت بنفسى نمو جسمها وحسن خلقها » وأذهل الأمر أبى وأمى وحيرها فقبلا خوفاً من أن يفقدوا الثروة الموعودة إن رفضا ما عرضته عليهما عمى . ثم ضما إلى إليهما بمرارة ما أحسست بمثلها من قبل عند ما ودعانى فى ذلك الصباح

تطرد الواحد منهم أو الجماعة فيتركونها ، أما أنا فقد بقيت وحدي عندها لا تطردني ولا تبعدني عنها  
« وجاء يوم ميلادها فاستقبلت أقاربها ، وكان بعض أبناء أخوالي فتياناً مرححين فبادلنا بسمات معسولة ، ولكنني كنت أشعر طول الوقت أنهم كانوا كاذبين فيما يظهرون لي فقد كانوا ينظرون إليّ من طرف خفي كما ينظرون إلى عبوة لهم و... و... ولكن ما كنت أستطيع أن أقول شيئاً. إن الواجب يحتم على الورثة المنتظرة ألا تفقد عقلها... وألا تفقد قلبها... »

وكانت نضرتي قد ذبلت قبل أن أبلغ الثامنة عشرة من عمري ، جف عودي ، فا أنا بالفتاة وما أنا بالمرأة ؛ وكنت أعجب كيف تستطيع مثلي أن تعيش ، وما كنت في الحقيقة إلا شبحاً كالح اللون ينتظر نعل امرأة ميتة ، ومع ذلك فما كانت تملكني إلا فكرة واحدة وهي أنني يجب ألا أغضب عمي (إيرين) ...

« وكان قد لسنى الفرو من قبل عند مارايت أننى قد صرت فتاة جميلة ساحرة . ولكن هذا كله قد أصبح جزءاً من الماضي الذى فات والناظر الذى مات . فهأنذا أرتدى الملابس السود ولا أعتنى بشعري فأصلحه أو أرتبه فى أى شكل من الأشكال . وهأنذا قد أصبحت نحيلة الجسم صفراء اللون حتى صرت فى الثامنة عشرة من عمري صورة رزمزية لمناس لم تزوج ... »

فسألتها : « ألم ترى والديك فى ذلك الحين ؟ »  
فأجابت : « كنت أراها مرتين تقريباً فى العام ساعتين فقط . وما كانت تسمح لي عمي إلا

المسبوبة التى أعانيتها مناقفة كاذبة ، ووضعت فى طبعي المكر والخبث ، ومحت من شفتي كل ضحك وابتسام . لقد كتبت مرة أو مرتين إلى أبويّ أنشكس وأنظلم ، ولكن أبي أرسل إليّ ردّاً جميلاً ساحراً وقال لي يشجني إنني سأجني من وراء هذا ثروة كبيرة...  
« كانت عمي غنية جداً ، ولكنها كانت مقدمة كسيحة ، وقد جعلها هذا الداء امرأة غريبة الخلقة والخلق ، تكره كل إنسان ، وتمت كل شيء . وكانت تحم على خدبها بل على كل من يتصل بها طاعة لها لا تثير . والأجيب من ذلك أنها كانت تنور ، وتكاد تتميز غيظاً إن رأت أحداً يضحك أو تظهر على وجهه خايل السعادة والبشر . وكانت لا تسمح لي بالذهاب إلى الحديقة بجفري ، بل كانت لا تسمح لي بأن أتركها أو أبتعد عنها لحظة واحدة ؛ وما كانت لي إلا فرصة واحدة أتمتع فيها بالجرى وحدي فى البيت وذلك عند ما كانت عمي ترسلني لأبحث لها عن مندبلها أو عن قبعها المصنوعة من القش ...

\*\*\*

« لم يكن لها أصدقاء ، فإن أتاها زائر قلنا إنها غير موجودة ، وعاشت بذلك فى عزلة . وما كانت تذهب حتى إلى القداس فى المدينة ، ولو ذهبت لانهزتها فرصة أرى فيها الناس . وكان كاهن الكنيسة يأتى إلى منزلنا ليلتو علينا نحن الاثنين قدّاسه فى إحدى الحجرات ، ثم يتلو بعد ذلك على الخدم فى الفناء الخافى للدار : وكان الطبيب يأتى عادة فى موعده ، ولكن عمي أساءت إليه مرة إذ وصفته بالغباء على منسمع منه . أما جماعات الخدم فما كانوا يمكنون طويلاً عندها إذ كانت تنيرهم بين الحين والحين ، وكانت

« واقرب منى فى يوم من أيام ميلادها اثنتان من أقاربها وقال لى واحد منهما دون أن ينظر لى: « إن عمكك تجز عن أن تعمل أى شىء إلا لم تكونى ملازمة لها . وقد خيل لى أنه لابد أن يكون كل واحد منهما قد فقد بنتاً له فى الخامسة عشرة من عمرها ، تشبهى لأنها سارت ميتة ، ولا تشبهى لأنها كانت سميدة ! »

« ودارت الأيام دورتها فصارت عمى أشد قسوة من قبل . فأأكد أمسك كتاباً حتى تطلب منى شيئاً ، وما كنت فى حقيقة الأمر غير كلب يرتدى ثياباً أنيقة . فما كان عليها إلا أن تنادى صاحبة : « يا أوجينى ! » حتى أسرع إليها . وكثيراً ما كنت أخجل عند ما كانت تنادىنى فى لهجة معيبة فإن نادتنى غاضبة اندفعت أبكى ... سبعة عشر عاماً ! »

« وذات مساء ... هذا شىء مضحك ! ... ذات مساء — بعد سبعة عشر عاماً ! ! » ، وسكنت بضع دقائق ؛ ثم قالت : « كان ذلك فى السابع عشر من أغسطس فأنا أعرف هذا اليوم كما أعرف يوم ميلاد عمى ... كان هذا اليوم عيداً عملياً من أعياد المدينة ، وكانت عمى (إيرين) تكره هذا اليوم لأن الناس يجتمعون فيه ويمتنون أنفسهم بما يشتهون من هو ومرح . وكان المساء ساكناً جميلاً ولذلك تناولنا عشاءاً على سطح البيت كما هى عادتنا فى ليالى الصيف الجميلة الصافية

« وأثار اللف الدم فى عروقى ؛ فجلست — بعد أن فرغت من عشائى — على السور الحجرى ،

زبارة عاجلة لها ، أماها فكان يخشيان الحضور إلى بيت عمى (إيرين) خوفاً من أن يخطئاً فيقولوا أو يفعلوا ما يفضها

« ومرض والذى مرضاً لم يرج له شفاء منه . وقبل أن يموت قال وهو يسم لى ابتسامة كلها ألم : « ليس فى يدى شىء أستطيع أن أتركه لك يا طفلى المسكينة ؛ ولكنك سوف تالين عما قليل كل ما تريدن ! » . ولم تمش أى طويلاً بعد وفاة والدى وقالت لى قبل موتها : « كم كنت أتمنى أن أعيش حتى أراك تملكين ثروة عمك (إيرين) كلها ! ! » « آه من هؤلاء النسوة العجائز الثريات ! ! ...

إن الواحد منا ليكاد يعتقد أنه لا يمكن أن يؤذين شىء أو يضرهن أو يغير منهن . ولكنهن مع ذلك يفزعن عند ما يصيبهن أذى ، وقد كنت أنا فرعة هلمة مثلهن لأنى كنت أخشى أن تصدر منى هفوة بسيطة أفقد بسببها كل ما أضعت صباي من أجل الحصول عليه ...

« وظل أقارب عمى يأتون إليها فى يوم ميلادها الخامس من إبريل من كل عام . وكانوا يأتون من أقاصى فرنسا ، وكنت فى بعض الأحيان أتهد وأزفر بالرغم منى عند ما يرحلون عنا ، وكانت عملى خاطري أحياناً رغبة خفية فى أن أبتعد عن عمى قليلاً فأقول نفسى : « آه لو كان فى مقدورى ألا أظل بجوارها إلا فى الليل ! » وطافت برأسى هذه الفكرة : « كم أتمنى أن ينام معنا فى هذا البيت إنسان آخر ! ! » . ولكنها كانت آمالاً تخطر فى نفسى ما استطعت يوماً أن أعبر عنها بكلمات أقولها ! !

\*\*\*

يا عمى ! « دون أن أنظر حولي فما كان في استطاعتي أن أحول بصرى عن الحبيين ، وإن كنت كأنى أراها من خلال سحابة ... وأسر الرجل إلى الفتاة بشيء في أذنها فضحكت مسرورة حتى جذل ! فتذكرت مرة أخرى أنى ما عرفت الحب طوال عمري ، وأنى لست في الحقيقة غير عانس قد ذوى عودها ولم تزوج ... !

« وبقيت نازرة إلى الحبيين . ولجأة بدأت البطة التي ربطها الرجل إلى عاتق الدراجة تصيح وتبجّ فصاح بها الرجل : « أخزأك الله ! » ثم رماها ببقيمته . ولكنها بحثت وصاحت مرة أخرى ثم سكنت بعد ذلك

« واقترب الفتى من الفتاة فخدقت فيهما ؛ ولكنى كنت كأنا أراها من خلال ضباب ! !

« الحب ... ! إيه أيها الحب ... لقد رأيتهما من المكان الذى جلست عليه فوق السور الحجرى وعيناها نصف مغلقتين ، فقلت لنفسي : إننى سأظل هكذا لا ينظر إلى أحد ولن يجيبني أحد . وكان الرجل قد طوق بيده خصر الفتاة ... وخيل إلى أنه إنما يطوق خصرى أنا بيده ... ؛ ثم ... ثم صاحت عمى : « يا أوجين ! ألم يصبح الجو بارداً ؟ » ولكنى لم أجب فما كان في استطاعتي أن أجيب !

« وبعد ذلك ... بعد ذلك أمال الرجل وجه الفتاة إليه كأنا يريد أن يقبلها ، فحاولت الفتاة أن تمنعه ؛ ولكنى أدركت أن ذلك لم يكن غير تصنع منها كما كنت أنا لا بدّ فاعلة تماماً لو ... لو أراد الرجل الذى أحبه أن يقبلني ! !

وكان ما يزال دافئاً من تأثير حرارة الشمس وسفلت نفسي في حياكة بعض الملابس

« واختلطت أصوات المساء التي عهدناها في المدينة بضوضاء مهرجان الميد وجلبته ، وكانت عمى جالسة على مقربة منى تقصّ على قصة طويلة كنت أعرفها بل أحفظها عن ظهر قلب ...

« وكنت أنظر إلى الطريق الذى كان قريباً من المنزل ، وقد غرست على جانبيه أشجار الحور التي كانت تضطرب وتمترز وإن لم تكن هناك رياح ، فرأيت في الطريق فتى وفتاة ، وكانت الفتاة تحمل قبعتها في يدها ، وكان الفتى يجر دراجة ، وقد وضع على عاتقها بطة فاز بها في بعض الألعاب المقامة في ساحة المهرجان ، وجلست الفتاة على الحشائش الخضراء التي على جانب الطريق لتخرج من حذاءها حصاة قد دخلت فيه ، وأسند الرجل دراجته إلى شجرة . ثم جلس بعد ذلك بجانب الفتاة ....

« وراقبتهما ونظري مصوب إليهما ما يتحرك عنهما ، بينما كانت عمى مستمرة في سرد قصتها التي لا تنتهي ؛ وكان من الواضح الجليّ أن كل واحد منهما يحب الآخر حباً جماً ، فقد أسندت الفتاة رأسها إلى صدر الفتى . وعند ذلك لم أستطع أن أمنع نفسي من التفكير في أنى قد بلغت من العمر اثنتين وثلاثين سنة ، وأنى مع ذلك لم أعرف الحب ولم أندوّق طعمه وأنى ... وأنى ...

\*\*\*

« ولجأة صاحت عمى : « هل أنت مصفية يا (أوجين) لما أقول !؟ » . فاجبتها : « نعم

ياسيدي أنى قد صرت مثلاً في هذه الناحية من فرنسا؟ وما أستطيع أن أمنع نفسى من الابتسام عند ما أفكر في هذا الأمر. فهم يقولون في أمثالهم هنا: «إنها أعدل من تلك الفتاة» «دي يارديلاك» التى فضلت الحب على أن ترث ثروة واسعة! «وإني... إني ما أظن هذا إلا شيئاً طريفاً، ولكن لا تنس أن الناس هنا كثيراً ما يبالغون...»

«الحب... الحب... أى نوع من أنواع الحب هذا الذى كان في قلبي ياسيدي؟ إنه خيال الحب... ولكنه خيال ناقص النمو مجرد من كل شيء»

ثم ضحكت ضحكاً خيلاً إلى أنه يخرج من قلب قد قد من صوتٍ صلد، بينما كانت تنتظر فيها حولها. وهي تعد للمرأة الثانية المغارش الكتانية

محمد السيد شعبان

## تاريخ الأدب العربي

لأستاذ أحمد حسن الزيات

الطبعة السادسة

في حوالى ٥٥٠ صفحة من القطع المتوسط  
يعرض تاريخ الأدب العربي منذ نشأته إلى اليوم  
في صورة قوية تحليلية رائعة  
ثمنه عشرون قرشاً ويطلب من إدارة الرسالة  
ومن لجنة التأليف ومن سائر المكاتب

«وصاحت عمتى: «يا أوجين! لا بحثى عن وشاحى»

«آه! القُبلة... القُبلة التى لم أعرفها ذلماً أنذوقها بعد! وأغلقت عيني حتى لا أرى أكثر مما رأيت وحتى أحلم بالقبل والحب - القبل والحب الذى ما عرفته طوال حياتى والذى لا يمكن أن أناله الآن...»

«وصرخت عمتى بجدّة: «يا أوجين!... أوجينى»، ولم أستطع أن أجبها. ونجاة كرهت هذه المرأة البجوز التى خدعتنى وأبعدتني عن كل ما يمكن أن أناله من سعادة الحياة...»

«وبعد ذلك... بعد ذلك ناديت مرة أخرى؛ ولكن أنا - أنا قد صرت نجاة لأول مرة في سبعة عشر عاماً - ثائرة حائرة لا أستطيع الصبر.. فقلت لعمتى بالرغم منى في سائمة ونجبر: «أوه! أخزأك الله!.. ثلاث كلات في لحظة طارئة من لحظات اليأس والسأم! ولكنها كانت أكثر مما كان يمكن لأن أخسر بسببه ميراثى الذى استبعدت من أجله وخدمت للحصول عليه، وبهذا أضعت كل ما عملته في سبعة عشر عاماً بطولها...»

«وسمت عمتى تقول بمتعجة: «أوه!..» وعند ما أدركت وجهى ورأيت وجهها القامى أدركت... أدركت بين ظلام الشك... أنها لن تعطينى بل لن تترك لي فلساً واحداً من مالها...»

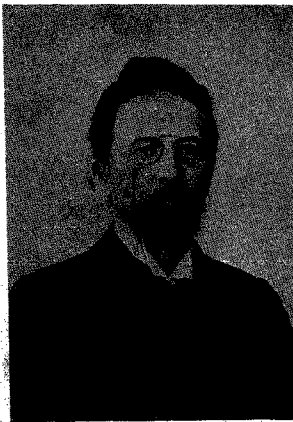
وسكنت الآنسة «دي يارديلاك» وانحنت على رف مجوارها ثم حدثت في الكومة التى أمامها من المغارش الكتانية. وصرت لحظة طويلة قبل أن تنفتح شفتيها ثم قالت أخيراً: «إننى أعرف

# قصة كان

للمصطفى الروسي أنطون تشيكوف  
بقلم الأديب السيد جورج سلسبت

اليوم البقيض الحاضر؛  
ذكريات الأمس البعيد  
أيام كان من صباه  
الأنيق في نعيم تغمره  
شقى الهنات، وأيام  
كانت السعادة تظله  
بفيئها الوديف الفينان؛  
أما اليوم فقد انقلبت  
به الحال، وبات نضو

بؤس وأخافقة؛ أبلغ عليه  
الشقاء بكل كل يوم يصهر  
العافية وبذيق القوى،  
وهجرته زوجته التي كان  
يحسبها فيها مضي أخت  
اللائكة الأطهار وشقيقة  
الحوار لما كانت تحبوه من  
عطف وتمتعه من حب،  
فاذا بها لدى أول كارثة  
ألت به من كوارث  
الدهر أول من تنسك  
له واجتنواه، وفرت مع  
عشيق لها متغلبة عنه  
أخرج ما يكون إلى عطفها  
وجها وحسانها؛ فنعم منذ



الكاتب الروسي الكبير أنطون تشيكوف

ذاك الحين على الحياة وأضاع ثقته بالناس جميعاً،  
وخلال إلى كانه يشك شكاً قلبه المذبذبة الموقود، ويندب  
على نفات أو تاره أعلامه الذهبية التي صوّحها خريف  
العمر، وطوّحت بها أبدي الهدمان؛ وبحيا في منزل  
وضيع منعزل عيشة الزاهدين المتقشفين لا يتخلط

النهار ساكن مستجور  
ونسبات الأصل متعشة  
عجبة، والشمس المتكئة  
على أريكّة الأفق النازية  
نبت بأشعها المتألقة  
قارة وسنى، والوسيقار  
الكهل «سيتشكوف»  
يدلف على عازاة الشاطئ،  
اللازوردى وثيد الخطى،  
وعلى ظهره المجهود من ورق  
السنين كانه الضخم في  
كثته (١) الحالية؛ كان  
قد يكون عبءاً على سواء  
إن راح يحمله، أما هو  
فلا يشكو من حله ولا

يتبرّم لأنّه مورد رزقه الأوحده فحسب، بل لأنّه  
حبيب إليه بعد أن نأى عنه خلاؤه وعجبه، وسيمره  
في اللبالي السود عند ما يبرّح به الهم وتجتاحه الذكريات  
الألمية المرة ذكريات العهد السرى النابر، وذكريات

(١) الكنة بالكسر: البيت ووفاء كل شيء وسفره

جالسة القرفصاء وييدها قصبه ذات شص" تصطاد بها صغار الأسماك، فعرفته لدى رؤيتها قشعريرة سرت في أعضائه كلها سريان الكهرباء في أسلاكها؛ فقد كان يحبس نفسه بمنأى عن عيون الناس ومنجاة منهم فإذا به يرى فتاة، إلا أنه ما لبث أن حمد الله لنن حدثق فيها وأدرك أنها غافية

واستولى عليه شعور لذيذ مبهم لم يدرك كنهه ولا معناه؛ وأحس بنشوة علوية قرت لها نفسه، واهتزت لها جوارحه  
يا للنعنى الحريب !

لقد بدأ يحس حرارة الحرمان، على طول المهد بعدم الإحساس بها؛ ويشعر بفراغ روحي كبير وهو الذي كان يخيل إليه أنه لن يفتتن بعد بأنتي؛ فقد أنارت هذه الغادة الغافية ما لم تثره في نفسه غافية ولا مستيقظة !

وحدثته نفسه أن يوقظها إلا أنه عدل عن فكرته هذه خشية أن تزوعها رؤيته، ورؤيته على كل حال ليست بالتي ترضى !!  
وتنهذ من فؤاد ملتاع وتتم :

— « لقد أوشك ميعاد ذهابي إلى قصر الأمير أن يحين فوداعاً أيها المجهولة الرائعة الحسن » وراح يسبح بهدوء، حتى إذا دنا من الضفة وألقى عليها نظره الجامعة الأخيرة خطر له أن يترك لها ذكرى من مجهول، ذكرى ممن رآها ولم تره ومن قد لا تراه، وسرعان ما نفذ فكرته، وجمع من زهر الحقل ونبات الماء طاقة كبيرة علقها بالشص فراحت تطفو على سطح الماء يحملها التيار الجليل؛ وصعد مرة أخرى على الضفة ليلبس ثيابه ويذهب إلى شأنه

بالناس إلا مضطراً، ولا يعاشرهم إلا مكرهاً عند ما يدعوهم أحد النبلاء للمزف في حفلة تقام أو في مأدبة تودب، وهو لو يستطيع اعترضهم جميعاً وعاش في صومعة كالنسالك المتعبدین، بعيداً عن الترف والرياء والحياة والفنر

وإنه الآن مدعو إلى قصر الأمير « بوبولوف » مع جوقة موسيقية في السهرة الراقصة التي سيقمها رب القصر احتفالاً ببعد خطبة الأميرة ابنته . وما هو ذا قد خرج من منزله ميماً قصر الأمير غتاراً ضفة النهر العشوشية سيلاً؛ إلا أن روعة الأصيل أخذته وصرفته عن نفسه، وسحر الماء الهادئ المنساب بدعة وسكون فنته، وخبره الموزون المؤيد التزديد ملك عليه مشاعره، وأحس وهو الكلف بالطبيعة، الهائم بجبالها الساحر الأخاذ برغبة ملحة تدعوه للاستمتاع بالماء القاتن، وقد سكبت عليه ذكاء أشعثها المسجدية . وحدثته نفسه بالاستحمام، فإن لديه من الوقت متمسكاً يستطيع خلاله أن ينعم ما شاء وأن يتملى من متعة السباحة ما طاب له التلّی؛ وقرر تلبية نداء نفسه، فما هي إلا هنيهة حتى كان قد نضا عنه ثيابه وتركها على الضفة فوق كانه الضخم وألقى بنفسه في الماء الرقراق وراح يتغلغل بين تضاعيف التبعج السرى، ويسبح هائناً مسروراً كأنما ألقى عن صدره ما جثم عليه من هم . وما هو ذا يغمره فيض الإحساس بالجبال الشعرى المونق فيستيم بسمه الطفل الغرير .

— يا الله !

هتاف خفيض انفرجت عنه شفتاه بدهشة واستغراب لا حد لها . فقد أبصر على الضفة فتاة



للمنيب ولم يبق لها لتتوارى وراء الشفق البعيد إلا مرحلة تقطعها بخطى المكثود الوانى ، فرأت أن الوقت قد حان لتعود إلى المنزل ، ونظرت في السماء فلم ترَ عوامتها طافية على سطحه فسحبت القصبه فاذا بالخيط يمتد ، غير أن العوامة لم تَبين والشص لم يظهر له أثر ، فطاقة الزهر لما تربت من الماء ثقلت فانحدرت بالشص إلى القاع وخيل إليها أن الشص عالق بشيء ما فقلعها إذن أن تقطس في الماء لتخلصه

ورفعت عينها الجليتين إلى الأفق البعيد فرأت الشمس تلم ذوائبها من رحاب الآفاق ، فمز عليها كثيراً أن يدركها السماء قبل أن تحصل على صئارتها فما كان منها إلا أن نضت عنها ثيابها في مثل خطف البرق ، وغطست في الماء حتى كنفها العاجيتين . وراحت تسمى لحل صئارتها من طاقة الزهر وتسريح الخيط المتعقد

ووقفت إلى مبتناها بعد لأى فخرجت من النهر سميدة تتألى ملاحمها بالسرور ، وتفيض عيناها بالبشر الوداع ، ولكن سرعان ما اضمحلت بسماها وأغاثت ، وتبدل بشرها بالجمامة والتقطيب

فلقد أبى سوء الطالع إلا أن ينكها بما نكب به الموسيقار الكهل من قبلها فسرت ثيابها ولم يترك لها السارق ما تأزر به . فراحت تعول وتنجب وتندب حظها المنكود

وأدركت أن البكاء لا يجنيها قليلا ، وأن من الواجب عليها أن تفكر في أمرها لا أن ترتب رجمة الأقدار وقالت في نفسها :

« ليس لى إلا أن ألتجئ إلى هذا الجسر القريب

ولكنه وقف على الضفة مأخوذ اللب مسلوب الفكر ، وسمر في مكانه والها مشدوها ثم دمدم سيمتشكوف ووقف ذاهلا بين الحيرة والحنق فإن ثيابه سرت كلها ولم يترك له السارق إلا القبة والسكان !

لم يكن فقدان ثيابه خسارة في نظره على ما هو عليه من ضيق ذات اليد ، ولكن الأمر الهام لديه هو وجوده في قصر الأمير في الموعد المضروب

وجلس على كتفه كأنه يفكر في وسيلة تخرجه من هذا المأزق الحرج الذى زجه فيه بعض الأشرار الملاعين !

وغمره بأس شديد وحزن ممض ، ومسه صندوق أحس معه بتلاشى القوى وفقدان الحلم ، وظل على هذه الحال ردحا من الوقت حتى أمد الله برحمته وألممه أن يتخذ الجسر القريب ملجأ يختبئ تحته وراء الموسيقى والعليق ، حتى إذا ما أدركه الليل انسل تحت جناحه الدجوجي إلى أقرب بيت يراه واستجد بساكنيه ليتداركوه بما يستتر به حتى يبلغ منزله

وبناء على هذا الخاطر وضع سيمتشكوف قبعته الطويلة على رأسه وحمل مكانه على ظهره ومشى نحو الجسر المقصود ، وهو يجيل أنظاره هنا وهناك خوفا من أن تقع عليه عين

والآن يا قارئ دعنا نترك صاحبنا مستسلما إلى همه لحظات قلائل ولنمد إلى عادة الشاطئ لنرى ما حل بها :

لما أقافت من غفوتها كانت الشمس قد جنحت

وضاءة حسنهما ، فأفرخ روعه واطمان باله ، ثم قال لها بلهجة كلها ضراعة وتوسل :

« آه يا آنسة ، لقد رزئت بما رزئتُ به أنا - من قبلك ، وألم بك ما ألم بي من خبط ، وإخال أن الذين سرقوا ثيابي هم أنفسهم الذين تناولوا إلى سرقة ثيابك حتى أصبحنا في البلوى سواء . ورفع نظره إليها فرأها مطرقة حياء منه وخجلاً فاستطرد قائلاً : « أرى يا آنسة أن وجودي أمامك على هذا الشكل المصيب قد حرمك متعة تسريح النظر ، وأن الأسباب ذاتها التي تحول دون ذهابك من هنا تحول بين الذهاب وبينى ، فهل تريد أن أضحك في كسنة الكنان فتنتجى من رؤيتي وتحتجى عن ناظري ؟ »

ومد يده قبل أن ينتظر جوابها وأخرج الآلة الموسيقية من مكانها وتقدم منها ، وقد فتح فوهة الكنتة بكنتا يديه ، فارتجت فيها وهي متجمعة على نفسها ، ثم راح يربط الفوهة والبسمة المربضة على ثغره ، لأن الله - على حسابانه - قد حياء هذا العقل الراجح الذي أقنعه من ورطة ما كان لينجو منها لولاه ! ثم قال سيمتيكوف : « الآن يا آنستي لتفر عيناك ولتطمئن نفسك ، فساهلك عند ما يجن الليل إلى أهلك ثم أعود إلى هنا فأخذك كاني ! »

وعند ما مد الظلام رواقه على الكائنات كان الموسيقار الكهل يذلف نحو قصر الأمير وعلى ظهره حمله المحبوب ، ولم ينس أن عليه أن يتجه أولاً إلى أقرب بيت ليستعير من ساكنيه ثياباً يرتديها ثم يمشى لطيفه

وهكذا راح يسير في الاتجاه الذي رغب فيه متتد الخطى يستعيد في ذاكرته ذكريات المساء

حتى إذا اشتد الظلام هزعت إلى بيت « أغافيا » القريب وأرسلتها لتأتيني بثياب من المنزل » وهكذا انسكت سرية الخطى بين المشب الطويل حتى بلغت الجسر ، ولم تكد تخطو تحته خطوتين حتى لحت رجلاً عارياً منتصباً أمامها كاللارد بصدره الأزب وذوائب شعره المدلاة على منكبيه تحت قبعة الطويلة السوداء ، قففت شعرها فرقاً منه وجزعاً وصرخت صرخة واحدة وارتعت على الأرض مغشى عليها

ولم يكن « سيمتيكوف » بأقل منها خوفاً وقد حسها لأول وهلة جنينة قذف بها القيدر لتضليله وإغوائه

ثم قال لنفسه : أجل ! ولم لا تكون جنينة هذه الساحرة التي هبطت على عارية ؟ وإن لم تكن كذلك فما معنى ظهور فتاة لها هذا الجلال الفائق والحسن الرائع على هذه الصورة المتجلجلة أمام الناس ؟ وكيف جاءت إلى هذا المكان دون سواء إن لم تكن موفدة لإغوائى ؟

وبينا كانت هذه الأفكار وأمثالها تضطرع في رأسه كانت العادة الجميلة قد ثابت إلى رشدها وأفاقت من غيبوبتها فقالت له وهي ترمد فرقا :

« لا تقتلنى ! ارحنى ربك وأشفق على صباى . أصرع إليك ألا تمنى بسوء ؟ أنا الأميرة جيولوف ياسيدى ، سيفدق أهلى عليك المال بلا حساب إن رأفت في ؛ إن أولاد السوء قد اغتتموا فرصة غوصى في النهر واختلسوا ثيابي جميعاً »

فأخى سيمتيكوف هامته وراح يحدق في الأرض ، وأدرك أن هذه التي حسبها جنينة لم تكن إلا فتاة النافية التي وقف في النهر يتملى من

دون حراك تنتابها شتى الآلام النفسانية اللاعبة ؛ ولقد سمعت نداء الموسيقىار وقع قدميه الثقيلتين حين هروا راكضاً ، فلنعت في سرها الساعة التي أتت فيها لصيد السمك ، والوقت الذي أذعنت فيه لرأى ذلك الحبول ، ورضيت أن تودع في هذا الوفاء الذي كادت تخنق فيه ؛ فكانت تحصى الدقائق آملة أن تصل إلى القصر بين كل لحظة وأخرى فإذا بحاملها الأحق باقى بها على قارة الطريق دون أن يفكر فيها

ولقد حدثتها نفسها بتمزيق الوفاء بأسنانها والخروج منه إلى الهواء الطلق تملأ منه رثتها ، وتتلفع بعد ذلك بقطع الوفاء وتسرع إلى قصرها ، وكادت تهم بذلك فعلاً لولا أنها سمعت لفظاً فقبت في مكانها واستكانت

وكان القادمون رفاق سيمتشكوف وهم في طريقهم إلى قصر الأمير . فلما أبصروا الكنة في سبيلهم وقفوا حيالها حائرين دهشين

قال أحدهم : « كنان يارفاق » ولكنه آلة زميلنا سيمتشكوف ، فإذا جرى له ياترى حتى تركها هنا ... ؟

— ربما كان السكين نشوان لعبت بلبه سورة الخمر فرى بها على قارة الطريق من غير أن يرى ! — فلنجملها معنا إذن ولنسد إليه جيلاً . قال الثالث هذا وتقدم من الكنة فحملها على ظهره وتابعوا سراعهم ؛ وإن هم إلا بضع خطوات مشوها حتى بدأ حاملها يتبرم بها ويشكو من ثقلها :

« يا للشيطان اللعين ! »

« ماذا ألم بك ؟ »

« إنها ثقيلة فوق ما تتخيلون ، فوالله ، لو كنت إياه لأبيت أن أعزف على هذه الآلة الضخمة

فيمبس تارة ويستسم أخرى ، فما يشك رأيته — لو قبض لأحد أن يراه حينذاك — في أنه محبول ! وقد يكون الخبال مسه فعلاً فإن ما وقع له لفوق ما يستطيع أن يحتمل عقله المضطرب الضعيف . وأقول عقله الضعيف وأنا واثق مما أقول ، فإن زوجته التي لازمته زمناً طويلاً وبلت فيه أخلاقه وخبرت طباعه لم تهجره عن عتب ، ولم تتخل عنه طمعاً في المال الوافر والشباب الريان كما يدعى

ولقد كان مقتبطاً بحمله مسروراً ؛ وإنها لنعمى أن يحمل كهل مهجور أميرة عذراء فائقة المحاسن ! وكانت الأحلام تهدده على ما كان فيه من حال زرية وعمرى معيب ، ويأمل أن يرفعه آل بوبولوف من حضيبض الضمة والمهانة إلى أوج العز والنعيم لهذه اليد البيضاء التي يسديها إلى وحيدتهم وأحب الناس إليهم ، وقد تمت شفتاه وهو يكاد يروح تحت عبثه الحبيب :

« سبحانك اللهم ! ما ضربت بيسارك إلا تلقيت بيمينك ! »

ولاح له عن بعد شبحان خبيلا إليه في البدء وهمين من أوهام النظر الخاطي والفكر الشريد ؛ إلا أنه لم يلبث أن تبيّن من حقيقتيهما لدن أنعم فيهما النظر ، ورأى أن كلا منهما متأبط رزمة ما شك في أنها الثياب المسروقة ، فوضع للتو حمله عن منكبه برفق وصرخ بجله فيه :

« مكانكا ! »

وركض وراءها بكل ما تسعفه قواه ، ولكنهما أطلقا سيقانها للريح لما رأيا من يلحق بهما ، فراحا وهيات أن يدركا

أما الأميرة الباسة فقد ظلت في كنة الكنان

الهمز في موضع الجيد يا خضرة الكونت ؛ وإلى  
لأؤكد لك أن ذلك الوسيطار المنفى قد لعب أمانى  
على كانه نخبة من أناشيد «ليست» طربت لها كثيراً  
حتى أنني رغبت إليه لفرط إعجابي بها أن يلقنني  
أنشودة منها ففعل ، وأنا الآن أجيد عزفها بعض  
الإجادة »

— هيه ! نخبة من أناشيد «ليست» . إنك  
تمزح في قولك الآن وتهزل من غير ريب  
— لا وربك . ثم قال المستشار بلهجة ملؤها  
الحزم والجِد : تعال معي أبرهن لك على صدق  
ما أقول . هلم بنا إلى منبر الموسيقى لترى بعينيك  
وتسمع بأذنيك . إنى لأعجب كثيراً لهذه المكابرة  
تبدو منك يا خضرة الكونت . ومشياً معاً إلى المنبر  
حتى إذا بلغنا راحا بفكان رباط وقاء الكنان ...  
و ... آه ! ... يا للكنان الحى ! !

\*\*\*

ليطلق القارئ الكريم تخياله العنان هنا ،  
فاني أترك له أمر الحكم على مآل الحوار الموسيقى  
بين التبيين ، وأدع له أمر التّ فيه بد هذه المفاجأة  
الذيذة العذبة ! ولنعد إلى سميتشكوف :  
فقد ظلّ المسكين يدنو وراء السارقين حتى  
وهنت قواه وكلت رجلاه . ولما أيقن أنه لن يستطيع  
إدراكهما عاد يلهث من الإعياء إلى حيث ترك  
وديته الغالية .

ولشد ما التاع إذ لم يجد لها أثراً ولشد ما اغتم  
واكتأب إذ راح يفكر في طالعه للتكود وجده  
المائر ؛ أنتفّر زوجته مع عشيقها على مرأى منه

فإن حملها وحده لا يماذه أجر ولا بدل »  
— « إنه السعى وراء الرزق يا صاح ، يرغم المرء  
على احتمال المكارة »

— « إنى لأؤثر الاشتجار على اكتساب القوت  
عن سبيل هذا ( الكنان ) الثقيل الفادح »  
وما زال هذا يتذمر وذاك رفه عنه بالحديث ،  
وذلك يهون الأمر عليه حتى بلغوا القصر ، فوضعا  
(الكنان) على منبر الموسيقى في محله المهود ، ودخلوا  
قاعة الطعام ، فإذا بالترتبات تتلأأ مصابيحها وتتألق  
أنوارها ، وإذا باللائدة قد صفت عليها كؤوس  
الشرب ، وأتية الطعام ، وطاقات الزهر ؛ وإذا في  
صحن الصالة خاطب الأميرة ، وهو مستشار في المحكمة  
العليا وأحد أركان غرفة المواصلات في الدولة ،  
يزجى وقته بالتحدث إلى الكونت «شكاليكوف»  
عن الفن الموسيقى الجميل ويقول :

— « لقد عرفت بنفسى في مدينة نابولي  
يا خضرة الكونت عازفاً على الكنان الكبير كان  
يُبدع سامعيه بأنغام هي السحر ، وكان يأتي بالمعجزات  
حقاً في توقيعه الجميل وعزفه النريد

وقد كان بكنانه الكبير الضخم يكرر الحنين  
مهما بسرعة مدهشة تأخذ بمجاميع القلوب ، ولقد  
عزف عليه حتى الـ « فالس ستروس » وحمل سامعيه  
إلى الملأ الأعلى ، وأسكروهم جميعاً وترنحت منهم  
الأعطاف كالشاربين الثملين

قال الكونت : « حسبك وإنى لأستميحك  
عذراً إن أنا هزئت بقولك ، فإنه ليفوق حد  
التصديق ! »

— « أبالاً أعالي في القول ، وليس من شأنى

وأنا مجرم أنتم ؟؟

أجل لأنني لجرم قاتل . فالأميرة قد اختنقت ،  
ما في ذلك ريب في ذلك الوفاء الصفيق اللعين . لقد  
قتلها بيدي فالويل لي ! »

وصمت لحظة تملكت فيها جاشة الأميرة الملائكية  
الحسن ملقاة حيال الطريق تنوشها عقبان الجو ،  
وتتخاطف لهما كواصر الوحش ، فشق ذلك عليه  
واربداً بحياه ، وانتفضت أوداجه ثم ضرب رأسه  
الجار مرتين أو ثلاثاً ، وقهقه بجلء فيه قهقهة  
صدعت بأصدائها هدأة الليل الساجي !

وكأنما أفاق بعد برهة من سوريته فرمق السماء  
بنظرات شذراء وقال يلمحث نفسه : « سأراها ،  
سأبحث عنها في كل زاوية وفي كل شارع حتى  
أجدها »

وخرج من تحت الجسر وراح يبحث عنها في  
كل مكان ولكن من دون طائل ، حتى إذا أوشك  
الفجر أن ينبلع عاد إلى مكانه بين المليق والعوسج  
مربتهك المفاصل مضمض العزم وارتعى على الأرض  
وهو يقول :

« سأغادر مكاني هنذا بعد المساء المقبل  
وسأبحث عنها الليل بطوله ، وإن لم أعثر عليها أعدت  
الكرة في المساء الذي يليه إلى أنت أوفق إلى  
مبتغى »

وحق الآن يتحدث الفلاجيون القيمون في  
تلك الأنحاء عن رجل عار يجال الشعر جسمه كله  
مقيم تحت الجسر الصفيق ، وكثيراً ما يسمعه عابرو  
السيبل معولاً يتحسن على عزيز مفقود !

جوه ج طسقى

ومسمع ، ولا يثار لنفسه المكومة ، ولا لكرامته  
الثلومة ؟ أتسرق ثيابه ويرى سارقها ، ولا يستطيع  
أن يقبض عليهم لتقص العدالة منهم ؟ أنكون  
الأميرة الفاتنة في كنة كانه ، ويحملها على ظهره  
التمب المكدود ، وعشى بها على الجادة عارى  
الجسم ويتركها تغلت من يديه دون أن ينال رضاها  
ويكتسب ودها ، ويفقد ما أمل نيله على يديها من  
مال هو في أشد الحاجة إليه في أيامه السود ؟ !

ومشى يحدق في جوانب الطريق بينين زائفتين ،  
وتقدم إلى الأمام مسافة طويلة وهو يعلم حق العلم  
أن قدميه لم تطأها منذ أمد بعيد . وعاد القهقرى  
حتى تجاوز كل مدى خيّل إليه أنها قد تكون  
فيه ، ثم رجع إلى الجسر منهوك القوى يقتش هنا  
وهناك عن صالته ... ولكن من غير جدوى

واتصف الليل !

ووقف تحت الجسر وقد أسند رأسه إلى جداره  
وغرق من أذكاره القائمة في لجة بعيدة الغور !  
وخدبت أعصابه حتى لم يعد يشعر بالوجود  
ولا يحس بالحياة . وجد بصره كمن طرأ عليه بفتة  
طارئ روعه ، ولم يلبث أن نزع قبعته الطويلة  
السوداء عن رأسه بحركة عصبية ، وأمسك شعره  
بكلتا يديه وجعل يشده كمن أصيب في عقله بمس ، ثم  
بدأ يلكض <sup>(١)</sup> صدغيه بكل ما أوتي من قوى  
وانفجر بعد ذلك كالطفل الرضيع يبكي بكاء مرأاً  
ويقول بصوت خنقه النشيج :

« يلى من مغبول ! أتخسر على ثيابي التي  
فقدتها أم على المال الذي كنت آمل أن أحصل عليه

(١) يضربه بمنج الكف

للتسخرى منى بفضولك

العجيب ؟

فقات شياما :

« أسخر منك ؟ »

الجيب إلى أن أزع

مُحلي فاضع مكانها

أغلاك !

# الأغلاك

للمشاعر الفيلسوف رابندرانات طاغور الهندي  
يقتله الأديب شكري محمد عياد

« سرقة من خزانة الملك ! »

ذهبت هذه الصيحة تطوى المدينة طيا ؛ لا بد  
أن يقبض على السارق حتى لا يصيب قائد الحرس أذى  
وكان فاجارسن قد هبط إلى الثغر غريبا عن  
أهله ليبيع جينادا في المدينة ؛ فسلط عليه عصبة  
من اللصوص سلبته كل ما كسب ، وأجأته إلى  
أطالامب مبد مهيم خارج أسوار البلدة . فألقوا عليه  
التهمة ، واقتادوه متللا إلى السجن محتازين به  
شوارع المدينة

وكانت « شياما » المتجربة ذات الجمال الفتان  
جالسة في شرفتها تطل في تراخ على الجمع المار .  
فإنها هي ترمد نخاة وتصيح بوصيقها : « وأأسفا !  
من ذلك الشاب ذو الوجه النبل والجمال الثوراني ؟  
ذلك الذي رسف في الأغلاك كأنه لص ؟ سلي  
رئيس الجند باسبي بات به إلى »

وجاء رئيس الحراس بالسجين وقال لشياما :  
« ليس في الوقت متسع لأجابتك - ياسيدتي -  
إلى ماترفيين ؛ فعلى أن أهرع إلى الملك إطاعة  
لأمره »

ورفع « فاجارسن » - مريما - رأسه ، وصاح :  
« من أغراك يا امرأة بأن تأتي بي من الطريق

ثم التفت لرئيس الجند وقالت :

« إليك كل ما ملكت يميني وأطلقه حرا »

فأنحنى الرجل وقال :

« ليس الأمر في وسي ؛ لا بد من ضحية نطق »

بها غضب الملك ،

فتولست إليه شياما قائلة :

« إنني لأطلب للسجين غير مهلة يومين »

فأقسم رئيس الجند ووافق

وفي نهاية الليلة الثانية من اعتقال فاجارسن

قرأ السجين صلواته ، وجلس اللحظة الأخيرة يكتب

وإذا بالبواب يفتح وبالرأة تدخل حاملة في يدها

مصباحا . ثم أشارت فخل الحارس وثاق السجين ،

فقال الشاب :

« لقد جئت إلى بهذا المصباح - أيتها المرأة

الرحيمة - كما يطلع الفجر بنجمة الصبح بعد ليلة

حبي وهذيان »

وصاحت شياما :

« رحيمة خفا ! » وانفجرت ضاحكة حتى

نسالت من عينيها الدموع ، وصرخت قائلة :

« ليس بين أحجار هذا السجن ما هو أصلب

من قلب هذه المرأة وأقنى . » وأمسكت يده

كثف الشباب ، ونام شعرها بين ذراعيه وهمست  
في خفوت :

« لقد أتيت من أجلك أيها الحبيب أصراً إذا ؛  
يبد أن إخبارك به أشد وأقسى . لا كشفه لك في  
كلمات قصار : لقد سحلت عنك أغلاك يوتيغا ،  
وهو فتى شفه الحب وأضناه الهوى ؛ واذنعي الجريمة  
وأهدي إلى حياته ... في سبيل حيك اقترفت أعظم  
ما اجترمت يا أغر حبيب ! »

كانت تتكلم والهلل الشاحب يضوى ويزل ،  
والطيور تأوى إلى أوكارها فتسلم الغابة لسكون عميق  
وانسل ذراع الشاب في هدوء من حول خصر  
المرأة وتصلد الصمت من حولها واستحجر في  
الأذان ...

وجثت المرأة فجأة عند أقدامه ، وتعلقت  
بركبتيه صامحة :  
« غفرانك أيها الحبيب غفرانك ! دع العقاب  
لله هو يجزي على ما قدمت يداي ! »

وانترع فاجارسن ساقيه بيسدا ، وصاح في  
صوت أبح : « تشرن حياتي بضمن الخطيئة ! لعنة  
الله على كل نفس من أنفاس حياتي ! »  
وهب واقفاً ، وقفز إلى الشط من القارب ،  
وأعاث في ظلام الغابة ، وظل يسير ويسير حتى انقطع  
به الطريق ، واستوقفته الأدغال المتكاثفة والأشجار  
المتلفة

وجلس على الأرض متعباً ... ولكن من هذا  
الذي تبعه في صمت طوال الطريق المظلم ، والذي  
يقف الآن كالشبح وراءه ؟  
وصاح فاجارسن : « هلا تركنتي ! »

السجين فاقداً خارج الأبواب

\*\*\*

أشرقت الشمس على ضفاف الفارونا ، وكان  
زورق على الرسى ، قالت شياما :

« تمال مي في هذا الزورق أيها الشاب النازح ،  
وحسبك أن تعلم أنني قطعت كل أغلاك ، وأنى  
معك في هذا القارب »

واترلق القارب في هيئة ولين ، وغردت الطيور  
في مراح وجبور ، وقال فاجارسن :

« خبريني يا غرامى ! بأى ثروة اشتريت  
حريتي ؟ » فقالت شياما :

« هيه ! ... ليس الآن ... »

\*\*\*

تكبدت الشمس السماء ، وعادت نساء القرية  
إلى دورهن وثيابين تنز بعد الاستحمام ، وجراهن  
ممتلئة بالماء ، وانفضت السوق فالتع في الشمس طريق  
القرية الخالي ...

وهبت نفحات الظهر المباشرة فازاحت النصف  
عن وجه شياما . فهمس فاجارسن في أذنها :

« لقد أخرجتني من غل يزول إلى غل يدوم  
مدى الحياة . ذريعي أعرف كيف فعلت ! »

فأسبت المرأة النصف على وجهها وقالت :  
« ليس الآن يا حبيبي ... »

\*\*\*

وأغطش الليل ، وراح النسيم الراني ، والتمع  
الهلل الليل على نحواشي الماء ذى السواد  
الحديدى

وجلس شياما في الظلام ، وأراحت يدها على

وهوت عليه المرأة في لحظة ، وأغرقته بدليها ،  
وغطته بشعرها التهدل ، وأثوابها الجرارة ، وأنفاسها  
الترددة ، وصاحت في صوت خنقته العبرات المحتبسة :  
« لا . لا . لقد اجترمت لأجلك فاقبلي إذا  
شئت ؟ دعني أموت بيدك ! »

وارتمش ظلام الغاية الراسخ لحظة ، وسرى  
العرب في جنون الأشجار المتغلغلة في جوف الأرض  
وارتفعت تحت جناح الليل أهة مكتومة ، وأنفاس  
مضطربة ، وسقط على الأوراق النابوية جسد

\*\*\*

توهجت شمس الصباح على مسلة المبدع البعيد ،  
وبرز فاجارسن من الثاب ، وظل النهار بطوله يهيم  
بجوار النهر صالياً بحرارة الشمس لا يفتر لحظة

وفي الليل اردد إلى القارب على  
غير هدى ، فوجد على الفراش سواراً ،  
قبطض عليه وضمه إلى قلبه حتى أدماء ،  
وانبسط على الوشاح الأزرق المتكوم  
في الزاوية فأخفى وجهه بين طياته ؛  
وأراد أن يجتر من نومة حرره ،  
وشذا عيبره ذكرى جسدي حبيب ...  
وترخ الليل في صمت ثقيل راجف ،  
واختفى القمر وراء الأشجار ، ووقف  
فاجارسن ماداً ذراعيه إلى الثاب منادياً :  
« تعالي إلى يا غرابي ! تعالي إلى ! »  
وانبث من الظلام فجأة شبح  
وقف على شفير الماء . « تعالي إلى  
يا غرابي ! تعالي إلى ! »

« لقد جئت يا حبيبي ، ولم تستطع  
يداك المزيّن أن إزهاق روحي ، فقد

فيسلم خضير

١٠٥٧

١٠٥٧

برليشة ذهب عيكار ١٤

مضمون ٣ سنوات

لست تعلم الحكيك وما لشرقية

مكتبة وطبعة خضير بسام عبد العزيز بصر



— أنا هي بذاتها  
وما كان لي إلا  
القول والنظر كالجنوب  
في هذا الوجه الأريد .  
وفي هاتين الميتين  
اللامتين الشاختين  
في بدون حياة  
أهذه المومياء هي  
(لوكريا) أجل وأبهي

## للكاتب الروسي تورجنيف بقلم الأستاذ خليل هنداوي

بِقِيَمِ حَيَاتِهِ

إمائنا، من كانت بضة الأهاب وردية اللون ترقص  
وتضحك وتمرح وتغني؟ لوكريا... الرقيقة التي فتنت  
رفاقها، ومن كنت أسبم لها خفية حينما كنت في  
السادسة عشرة

— آه يا لوكريا ماذا أصابك ؟

— إنها حادثة مروعة ، ولكن لا تخش  
ياسيدي ، ولا تمرّك السّامة من حالي . اجلس مني  
قريباً على هذه الخاية لأنك لا تستطيع الإصغاء إليّ  
بعيداً . أي صوت لي الآن ؟ إنني جد مسرورة  
برؤيتك ...

( وهنا هس عليه لوكريا قصتها ، وأنها في ساعة  
عمرها سقطت غن السّم وعمرها هذا الفلّال الذي عطل  
حركتها . وقد جربوا باطلا أن يجدوا لها الدواء . وأخيراً  
قادوها إلى هذه المزرعة عند أقارب لها )

— وهل تظللين مضطجعة هكذا دائماً ؟

— نعم ! وقد غبر عليّ سبعة أعوام ، في الصيف  
أمكث في هذا الخوص الصغير ، وفي الشتاء يحملونني  
إلى مدخل هناك

— ومن عسى يعني بك ويقوم بحاجاتك ؟

— إنني وجدت هنا رجالاً كرماء لا يتركونني  
ولكن في الغالب لا أحتاج إلى شيء . كدت أستغني

« كان تورجنيف خلال صيد يفش عن ملجأ من  
المطر في مزرعة لأمه . فهبط كوخاً مهجوراً ووجد  
خصاً في زاوية من زواياه سريراً خشبي يرقد عليه شكل  
إنساني صغير »

دنوت ولكن الدهشة سمّرتني في مكاني . إن  
إزائي كائناتاً حياً ، ولكن ما هو هذا الكائن ؟

وجه غاض منه ماء الحياة ، وغشيه لون برزّي  
كأنما يرى فيه الناظر صورة قديمة قديمة ، وأنف  
دق مارنه حتى أشبه حد المدينة ، وشفتان دقيقتان  
نحيفتان لا تكادان تحسان ، وعينان لامعتان ، وأسنان  
بيضاء ، وبعض غداثر شقراء ناست تحت النقاب ،  
وفي أطواء الفضاء تتحرك يبطء أصابع يدين ، ووجه  
لا يسمه القبح ، وإنما هو جميل ، ولكنه غريب  
مؤثر ، ولكنني لحت أشد ما أثر في نفسي ما لحت على  
الحدين المتصلبين صورة ابتسامة تجهد ذاتها باطلا لتظهر  
— ألا تعرفني يا سيدي ؟

تردد ذلك الصوت الذي راح يردده هذا الكائن  
كنفخة ، تحركت به شفتان بمناه

— إنني (لوكريا) هل تذكرني ؟ هذه أنا التي  
كنت أرسل الأغاني وأثير الضحكات عند أمك !  
— أأنت « لوكريا » أنت ؟ هذا مستحيل

كيف تعملين حتى تبرح الأفكار نفسك؟ وعلى الأقل  
ألا تنامين كل الوقت؟

— لا ياسيدي ! لا أستطيع أن أنام . حينئذ أريد  
ويدون أن أحس الآلام الكبيرة أجد في أعماق  
نفسى آلاماً صماء تمتشى في عظامي ، وهذا ما يجرى  
النوم . لا... أظل على حالة واحدة هادئة دون تفكير .  
أحس أنني أحياء . إننى أنتفس ، وهذه كل حياتى .  
إننى أنظر وأسمع ... تدوى أسراب النحل وتسقط  
حمامة على السقف وتغشى ، ودجاجة تقاسم فراخها  
فتاتاً أو عصفورة أو فراشة تحوم . هذا يدخل  
السرور في نفسى ، ومن عامين طرق السنونو هذا  
السكان وبني - هنا - عشاً . ما أجل هذا !

وفي بعض خطراتى أردت صلوات ، ولكنى  
لا أعرف منها كثيراً ، ولكن لماذا أنجز الإله  
الصالح منى ؟ وماذا أطلب إليه ؟ إنه يعلم حاجتى  
أكثر منى . إنه أرسل إلى صليبه وهذه علامة  
عبته لى . أعرف صلاة ( يا أبانا ) وصلاة ( السلام  
عليك يا مريم ) ثم أرانى أحلم فى شيء ... وهكذا  
الزمن يمضى

( وهنا يعرض عليها ( تورجنيف ) أن يتقاعدا إلى مستقلى  
فى المدينة ولكنها ترجوه ألا يفعل )

— إننى أعرف ياسيدي أن فى عملك خيراً لى ،  
ولكن هل فى الإمكان مساعدة الآخرين ؟ هل يمكن  
قراءة ما فى النفوس ؟ إنما يجب على الإنسان أن يجد  
مساعدة فى نفسه . إنك لا تؤمن به . فى بعض  
خطراتى وأنا مضطجعة وحدى أحس أن لأجد على  
الأرض غيزى ، وأن لا أحد لى سوى ، وأشعر بأن  
بركة تنزل على ... تساورنى أفكار تبتعث على البهشة

عن الطعام والشراب ، وترانى أكثر الأوقات  
مطروحاً جانب هذا اليبوع البارد ، وأستطيع أن  
أبلغ مقرى وحدى ، إذ لا تزال إحدى يدى سليمة .  
وهناك فتاة صغيرة تيمية ترافقنى كثيراً فليجزمها  
الله عني ! كانت هنا قبل لحظة ، ألم تلاحظها فى طريقك ؟  
إنها عادة شقراء تحمل إلى أزهاراً طلالاً أحباء . كان  
عندنا من الروضة أزهار ولكنها دوت . أما أزهار  
الحقول فهي جميلة أيضاً وشذاهها أضوع ! ماذا تريد  
خيراً من ذلك ؟

— ولكن الحياة ؛ ألا تجدونها كثيفة ثقيلة  
عليك يا لوكريا البائسة ؟

— ما العمل ؟ لا أقدر أن أكذب . كانت  
أيام مصابى الأولى أياماً ثقيلة قاسية ، ثم ما لبثت أن  
تمودت ، وللإنسان من دهره ما تمود ، وصبرت  
وذكرت أن آخرين - هنالك - قد يكونون  
أحق بالشكوى منى ...  
— وكيف ذلك ؟

— هم من لا مأوى لهم مثلاً ، والعميان والصم !  
أما أنا - فشكراً لله - أبصر وأرى ، وأسمع  
ما خفت من الأصوات . ليشق خلدي منقاداً فى  
الأرض فاني أسمع ، وأروح كل المطور حتى  
الضئيل منها . لتزهر زهرة فى الحقول أو زيقونة فى  
البستان دون أن أخبر بذلك ، فإذا ذهب عليها الريح  
أكون أول كائن يحس ما تنطوى عليه هذه الريح !  
لا لا... ولماذا ألتن حظى ؟ فهناك آخرون حظهم  
أقسى ، وكذلك الأشخاص المافون تدفع بهم  
ميولهم كثيراً إلى عمل الشر . أما أنا فالخطيئة تركتني  
— وهل أنت وحيدة ، وحيدة دائماً يا لوكريا ؟

« في هذه المروج ، هذه المروج ، في هذه المروج الجميلة الخضراء » كانت تشدو دون أن تبدل ملامح وجهها وعيناها لا تتحولان . ولكنها كانت ترسل صوتها رن مؤثراً ، هذا الصوت الضيف الذي كان يجهد نفسه متصاعداً كأنه خيط دخان ، متدفقاً من كل نفسها . أصبحت لا أحس ذلك الرب ، بل حل محله شفقة عنيفة تضغط على قلبي  
أنت فجأة وقالت :

— لا أقدر ... إن قوتي تخونني ، إن فرحي كثير برؤيتك . وهنا أغضت عينيها ، ولست يدي أصابعها الباردة فنظرت إلى نظرة خفية ، ثم رأيت حاجبيها الكثيفين المنتهين بخطوط ذهبية تخطوط الهيكل القديمة قد أغلقت  
كنت بالقرب من الباب عند ما ذكرتي ...

— هل تذكر ياسيدي ( وقد بدت ملامح غريبة على عينيها وشفتيها ) هل تذكر جدليتي الصغيرة ؟ كانت تهوي حتى ركبتي . غير على ذلك عهد طويل وأصبحت لا أجزم . كانت غداً جميلة وأنى لى أن أعمل المشط فيها في هذه الحالة ؟ فاضطرت إلى قصها ... عفواً يا سيدي ... لا أستطيع !

مررت أسابيع معدودة علت خلالها أن لوكريا غادرت هذا الكون . وهناك يقصون — أنها في يوم موتها — كانت تسمع بدون انقطاع نواقيس تقرق . وكانت لوكريا تزعم أن هذا اللحن الذي تسمعه لا يقبل من الكنيسة ولكنه من العالم الأعلى وكأنها لا تجرؤ على أن تقول : من السماء

فيليب هنداري

— وأية أفكار تساورك بالوكريا ؟

— يستحيل الافضاء بها ياسيدي ! لأنها مما لا يمكن التعبير عنه . ثم أنساها . ثم ... يعرض لي ذلك كسحابة تمر فوق . . . وعندها أحس نداوة تمرني . ماهذا ! لا أعلم منه شيئاً . ولكني أقول : لو كان واحد معي لا يجد له مكاناً . لا أحس شيئاً ولا شيء إلا رزقيتي

وهنا انتهت لوكريا تنهداً شديداً ولكن صدرها لم يسعفها على التند أكثر من بقية أعضائها — سيدي ! إنني هجت . فيك حسن الشفقة كثيراً ، فلا تأسف على كثيراً . أصغ إلى ما سأقوله لك ... إنك تعلم ، أو تذكر أنني كنت طالبة للروح كثيراً في عهدي الأول . وتعلم كم كنت أغنى ! — وأنت تفنن أيضاً !

— نعم : أردت أغاني القديمة ، أنواعاً كثيرة من الأغاني ، أعرف منها كثيراً ولم أنساها . ولكن ألحان الرقص أصبحت لا أرددها لأن حالتني لا تساعدنني

— إنك تفننيتها لنفسك بدون شك ؟  
— لنفسى ... وأرددها عاليًا ، قد لا أقدر أن أغنى عاليًا جداً ، ولكن سامعها يفهمها . إنني حدثتك الآن عن غادة صغيرة تمودني . لقد علمتها وأصبحت تعرف منها أربعا ، وعمما قليل ترى تنفست ( لوكريا ) والفكرة التي بدأت ترددها هذه النادة الغانية عجزاً قد أيقظت في نفسى هولاً لا قبل لي به . ولكني قبل أن أنبس بكلمة تصاعدت رنة تتعالى بصعوبة لكنها صافية مستقيمة ملائت أذني ، ثم رنة أخرى تلتها ثم أخرى ... ولوكريا لا تزال تردد ...

# هَذَا هُوَ اسبرو

## يساعدك!

انه أقوى دواء  
ظهير الى الآن  
للقضاء على الزلّم



خمسرة عالم سريع الفعّية، لا يستحي فيه ساكناً. مرادك جديده وكرامه جديده  
في كل وقت ودون انقطاع. ورة العالم الطبي حركة نشا لا كبدية. فالتقوى لا تزل  
الموجودة في رقص اسبرو اصين معروفه وصفت عامه، فهي تخلصك من كل شكايات التي للعجب  
الناسي سر عذرة المرء. وتجلب النوم اللذيذ للمصابين بالاربع، ولذلك اقبل الناس افراداً على  
مخازن الادوية للشراء. ولهذا لك شكايات كثيرة سببها واحد. فاسبرو يثقل على هذا السبب ويزيل الشكايات  
في الحال. ولهذا هو السبب فيما لا سبرو منه القوة الرائكة على مغالبه الزلّم. لقد انقضت ايام استعمال الكودون  
الطيرة. فان نجات اسبرو فجاء كالبرق. فجميع الناس يستعملون الان هذا القرص العجيب لانه أسرع والضميمة  
دواء للشكايات الناجمة من حرارة المرء. واسبرو يستعملها عددك المئات ولكن عليك  
أن تتأكد من أنك تحصل على اسبرو فقط فوجد أقراص  
تسبب اسبرو في ظاهرها ولكن اعلم أن محتويات الأقراص الداخلية  
هي التي تأتي بالشفاء.



اسبرو يصدر في الجملة

يبيع في جميع الدول	في عمان	٢
٥	٢٤	١٠
٥	٢٧	١٠

## من حقك أن تحصل على ما تطلبه - فلا

تأخذ غيره . الوكلاء . ج. ب. شريهان وشركاه

أخرى ، فأخفى ساعة أتجسس وأنصت إلى حديثهما .  
ولكم خطر لى أن أوجد خلافاً بينى وبين سميت  
فأدعوه إلى المبارزة ، فكنت أدبر له ظهرى وهو يوجه  
الخطاب إلى فأراه يتبعنى مندهشاً وبعد يده إلى  
ليصاغنى . ولكم قصدت أن أنهض من فراشى  
ليلاً لأفتح أدراج مكتب بريجيت وأخص أوراقها ،  
ولكننى قاومت هذه الفكرة حتى اضطرت مرة  
إلى مفاددة البيت كيلاً أستضعف لها . وخطر لى  
يوماً أن أدخل عليها وأنا شاهر خنجرأ لا كرههما  
على الاقرار لى بسبب الحزن الستوى عليهما . وفى يوم  
آخر انقلب غضبى عليهما إلى عداة لنفسى . إننى  
أدوّن هذه الأحوال بمداد الأسى والحجل . ولو أن  
أحد الناس انتصب أمامى ليسألنى عما يدفع لى إليها  
لكنت ولا ريب أصاب بالي فلا أجد كلمة أبر بها  
ما أقفل

لقد كنت موجهاً كل قواى إلى التجسس  
والارتياح فأخلق الاضطراب والشقاء لنفسى  
فأقضى أياى فى إرهاف أذنى بالتسمع ، وليالى فى ذرف  
الدموع ، مررداً قولى إننى ساموت غماً وألماً ، مشدداً  
إيمانى بأن هنالك ما يستلزم هذا الفناء . وهكذا  
كنت أحسن أن الضعف يبحث " الأمل من قلبى .  
ويخيل لى " أنى أتجسس فى حين لم أكن أسمع فى  
الظلام سوى خفقان قلبى فلا أقطع عن ترديد هذه  
ال عبارات الفارغة التى يتلغى الناس بها فى كل  
مناسبة فأقول : إن الحياة حلم وكل شئ باطل  
زائل . وأتوصل أخيراً إلى سوء الظن بالله وأنا سائر  
على سبيل هوسى وآلامى

هذه هى الحياة التى كنت أستعطر منها لذتى  
وبمثل هذه المشاغل كنت أقطع متخلياً عن الحب



## عن فائت فى العَصْرِ

لأفريدى موسى  
بقلم الأستاذ فليكر فارس

### الجزء الخامس

#### الفصل الخامس

إنها لقوة مروعة هذه القوة الكامنة فى الفكر  
الانسانى ! فعلى السلاح الذى يدافع به والمقل الذى  
نلجأ إليه ؛ إنها لأفضل ما وهب الله للانسان ، فعلى  
تابعة لنا تأتغر بأمرنا ؛ نقذف بها إلى الآفاق ولكنها  
إذا ما تحطت حدود ذهننا ذهبت طليقة لا تملك لها  
زماماً

وكنت وأنا أدرجى الرحيل من يوم لى يوم  
تبارحنى قواى ويهجرنى الوسن فتسرب منى حياتى  
دون أن أشعر ؛ فإذا أنا جلست إلى المائدة كرهت  
طعامى ، وإذا أسدل الليل ستاره وانظرت على فراشى  
ترأى لى حتى فى أحلامى وجهان شاحبان هما وجهها  
سميت وبريجيت كأنهما يرقباني كما أرقبهما من  
صباحى حتى مساءى

وكنت كلما ذهبا كل مساء إلى الملامى أرفض  
مرافقتهما ثم أتبعهما إلى المسرح الذى قصدها  
فأقعدت خلفهما بين النظارة لأراقبهما . وإذا ما جلستا  
تحدثت فى غرفة ادعيت أن لى ما يشغلنى فى غرفة

الآفاق متوقفاً أن تقذف إلى بقنبلة تضع حداً لأوهامى . غير أن هذه الحال لم تكن تنجلي أُمى إلا كلمات بروق خاطفة في دياجير أباي

ما أشبه الفكر عند ما يدور على نفسه بدرويش يطلب الاستغراق في نشوة دورانه فلا يلبث حتى ينهكه جهده فيقف مرثاعاً وما اكتشف في معاولته شيئاً ، إذ لا يقوده الانصباب على أغواره إلا إلى الهاوى حيث ينقطع الهواء كما ينقطع في الآبار السحقة وعلى الدررى المحتكة بالسحاب ، وقد وضع الله حداً لكل مجال تحم على الإنسان ألا يجتثقه . وعند هذا الحد المنيع يتطرق الصقيع إلى القلب وتسوده غفلة يندفع فيها إلى اجتياز نطاقه طلباً للحياة حاسباً أنه ينشق الهواء وليس ما حوله إلا أثير أوهام تحتشد فيه جهوده المضنية أشباحاً تدور به لتنفى عليه

ووهنت قواى في موقى حتى غدوت لا أطيق الحياة في وساوسى وشكوكى فضممت على القيام بمثل أنوصل به إلى معرفة الحقيقة

استأجرت عربية وأمرت أن تكون مقعدة للسفر عند الساعة العاشرة ليلاً وأوصيت الخدم ألا يدعوا مدام ييارسون تشمر بالأمر

وجاء سميت وقت الشاء فجلسنا إلى المائدة وأنا أنكلف المرح وأقول لبريحييت : إني لا أعارض في العدول عن السفر إذا كانت ترغب عنه ، لأننى أستحسن باريس ولا أجد بين المدن مدينة تفضلها في ملاهيها ومسراتها . وأعربت أخيراً عن ملى إلى البقاء ما دام ليس هناك ما يضطرنا إلى الرحيل وكنت أوقع أن تعلن بريحييت إصرارها على السفر إلى جنيف ، فاكذب ظنى إذ أبدت رغبتها (٧)

حارماً نفسى نقي الهواء وصفاء السماء وسعادة الحرية أجل إن الحرية الخالدة كانت تستهوينى بالرغم مما وصلت إليه لأنها ما انقطعت عن مراودة تفكيرى ، فكنت أشعر وأنا مستغرق في غرائب أطوارى وجنوني بقوة تنبث في نفسى فتطلقها من أجواء سجنها ؛ تلك فترات كنت أتمتع بسكونها عند ما تنفخى نسبات من الهواء الليل ، أو عندما أدع جانباً المؤلفات المشحونة بالنقد العنيف وبثورات الإلحاد التي تحتاح المجتمع لتتمية بالملل ، فأطالع سواها كمد كرات كونستان مثلاً . ولأوردن بضعة أسطر قرأتها من هذه الذكريات فأعادتني إلى حقيقة حياتى :

« أصيب بالسودورف الجراح الساكونى التابع للبرنس كريستيان بشظايا قذيفة كسرت ساقه في معركة واغرام ، وكان منظر حراً على التراب وهو على آخر رمق ، فإذا به يرى «أميديه دكرورغ» مرافق أحد القواد يسقط مصاباً بقنبلة صدمت صدره فتندق الدم من فـه . وتيقن أن هذا المصاب سيموت مغلوباً إذا لم يبادر أحد لإسعافه ، فزحف مستجعماً بقية قواه حتى وصل إلى المرافق الصريع وعالجه بفصد أقتذ حياته . وحمل الجراح بعد المعركة إلى فينا حيث قطعت رجله فلم يعش إلا أربعة أيام »

قرأت هذه السطور فسقط الكتاب من يدي وطفقت أبكي بدموع أعادت إلى السكينة يوماً كاملاً إذ تحولت عن كل هم وانقطعت إلى ذكر سالسدورف فخطر لي أن أصوب ربيتى إلى أحد

وما كانت تفيدني مثل هذه اللحظات سوى التفكير في زمن ساد الصلاح فيه عواطفى وحياتى فأبسط ذراعى نحو النباء استعظمها في شقائى ، وأسائل نفسي عن هدفها في هذه الحياة مديراً لحاظى في

مازحاً فقلت لها : إن ما بدالى من إصرارها أثناء  
العشاء دفعنى إلى التعجيل ، وما خرجت بعد الطعام  
إلا لأطلب العربة . ودخل خادم المنزل يشعرا بأن  
الحوائج قد رتبت وربطت وأن السائق فى انتظارنا  
وقالت : أصبح أنك تريد الرحيل فى هذا  
الليل ؟

فقلت : ولم لا ما دمنا متفقين على مفادرة هذه  
المدينة ؟

— وهل نسافر الآن فى هذه الساعة ؟

— أجل سنسافر . ألسنا على أهبة منذ شهر ؟  
وما دمنا قررنا الأمر فالتعجيل خير من التسويف .  
أفأ رأيت كيف تم كل شيء بسهولة ؟ ومن رأيي  
أن يقضى الانسان فى شؤونيه على هذه الطريقة  
فلا يدع لندم ما يستطيع أن يفعله فى يومه . إذا كان  
يحاول لك السفر هذا المساء ، فلماذا لا أنتهز الفرصة  
للتخلص من التسويف وقد ثقلت هذه الحياة على ؟  
إذا كنت عازمة على الرحيل فالترحل

وساد بيننا السكوت ، فتقدمت بريجيت إلى  
النافذة فإذا بالعربة أمامها تؤيد ما عزمته عليه .  
وما كان لها أن ترى فى هذا إلا تنفيذاً سريعاً لما  
شأته هى ، فأصبحت تجاه أمر واقع لا تملك العدول  
عنه . وبعد أن تحققت أن كل شيء قد أعدت سرح  
نظرها فى جوانب المسكن وأخذت قبعتها ودانها  
قائلة : هيا بنا . ولكنها وقفت مترددة وأخذت يدها  
مصباحاً وذهبت تدور فى غرفتي وفى غرفتها فاتحة  
أدراجهما ثم سألتني عن مفتاح مكتبها قائلة : إنه  
كان معها منذ ساعة وقد فقد . وعادت تقول :  
هيا بنا إنني مستعدة ، وهى لا تملك نفسها من الارتعاش  
وجاءت فجلست حيث كنت جالساً وأنا أحلق

فى ذلك ولكن بلهجة لا تتم عن عزم أكيد .  
فانتهزت الفرصة للزول عند إرادتها وغيرت مجرى  
الحديث قطعاً خط الرجعة على ما اعتبرته أمراً مقضياً .  
ثم عدت أقول : وهل هناك ما يمنع مرافقة سميت لنا  
فى رحلتنا فإن بإمكانه أن يحصل على إجازة ، وفضلاً  
عن ذلك فإن مهارته فى فنه وإن أنكرها هو تضمن  
له العيش حرراً فى أى بلد نزل فيه . إن عربتنا  
تستع له ؛ وليس من الخير لشاب فى سنه أن يقضى  
أيامه سجيناً . ووجهت الخطاب إلى بريجيت أطلب  
منها أن تبذل نفوذها لإقناع سميت بأن يضحي من  
أجلنا ستة أسابيع من وقته على أن يعود بعد هذه  
السياحة إلى مكتبه

وكانت تعلم أن هذه الدعوة لم تكن إلا نوعاً  
من المزاح ولكنها لم تردد فى ضم صوتها إلى صوتي .  
غير أن سميت تملل بإمكان فقد وظيفته إذا هو تنيب  
عنها واعتذر إلينا متأسفاً

واستحضرت زجاجة من خير الشراب  
واستمردنا فى الحديث حتى اتشينا . وخرجت بعد  
العشاء لأننا كد من أن أواصرى قد نفدت ، ثم عدت  
مسروراً إذ رأيت كل شيء على ما يرام . وأبدت  
رغبتي فى عدم الذهاب إلى الملاهى وطلبت أن يعزف  
سميت لنا على قيثارته لخمسة السهرة سوية . فأخذ يوقع  
الأنغام وذهبت بريجيت تطلق صوتها بالإرشاد ،  
وجلست أنا أقرب على البيانو ، وقنا بعد ذلك تحتسى  
« البوتش » ونلعب بالورق وأنا معلق أنظاري  
على ساعة ، حتى إذا وصلت إلى الماشرة سادني  
ارتعاش تغلبت عليه ، وقرعت الججلات أمام  
الباب فقبضت على يد بريجيت وسألها عما إذا كانت  
مستعدة للرحيل . فنظرت إلى مستترية وقد حسبني

تنتظر إشارتي - وقد بدا التأثر بجلاء على ملاحظها -  
شمرت باقباض في حشاشتي ، وكانت وجدت  
مفتاح مكتبتي إذ رأيت أدرجها مكشوفة فارغيت  
على المقعد قرب الموقد ، وقلت لها وأنا لا أجسر على  
التحديق في عينها :

- إصني إلي يا بريجيت . لقد أسأت إليك  
كثيراً وقد حق علي أن أحمل آلاي فلا أشكو  
إلى أحد . لقد طرأ على حالك من التبدل ما يضغني  
فاضطرت إلى دعوتك لجلاء أمرك ، ولكنني أعدل  
اليوم عن الاستسفار وأصرح لك بأنني راض بالبقاء  
هنا إذا كان يصعب عليك الرحيل  
فقلت : هيا بنا فلنرحل

- لك ما تشائين ، ولكنني أقتضي الصراحة  
منك ، فأنا مهياً لاقتبال أي سهم يسد إلى دون  
أن أسأل عن مصدره فلا أتمل ولا أشكو ، وإذا  
كان قضى علي بأن أفقدك فأطلب منك إلا حجب  
الأمل عني كيلا أتمتع بأذياه فأمرت  
خدقت في قائلة : حدثني عن حبك ولا تذكر  
أوجاعك

فقلت : أحبك أكثر من الحياة ، وما أوجاعي  
إلا أوهام تجاه هذا الغرام . تعالي لنذهب إلى آخر  
الدنيا فأحيا بك أو أموت من أجلك  
وتقدمت نحوها فاذا بالاصفرار وبلو وجهها وإذا  
بها تتراجع إلى الوراء مرعطة وهي تكبره شفتها  
المتقلصتين على الابتسام ، وذهبت إلى مكتبتي قائلة :  
أنتى هنية من الزمن إذ علي أن أحرق بعض أوراق  
وأبرزت رسائل أقاربها أمي ثم مرقها وألقت بها  
إلى النار ، وعادت فأخرجت أوراقاً أخرى طالعها  
ووضعتها على الخوان ، وما كانت هذه الأوراق إلا

في سميث الواقف أمامي وقد ملك نفسه ، فأنم عن  
اضطرابه شيء سوى قطرتين من العرق تدحرجتا  
على فوديه . وكانت بين أنامله قطعة عاج من قطع  
اللب انحطمت وتساقطت كسرها على الأرض .  
ومذ كنتا يديه إليها ليصالحنا قائلاً : سفر سعيد  
يا صاحبي

وعندنا إلى الصمت وأنا أتوقع أن يضيف إلى  
توديمه كلمة واحدة ، وقد قلت في نفسي إذا كان  
هنالك سر في أية مناسبة غير هذه سأوفق إلى  
اقتناصه ؟ إن في مثل هذه الساعة تنعكس الأسرار  
على الشفاه ، وهأنذا أترصد خيالها

وقالت : في أي بلد ستقيم يا عزيزي أكتاف ؟  
وأنت يا هنري ستكتب إلينا ؛ ولن تنسى أهلي  
قسى جهدك لديهم من أجل  
فقال بصوت طفي التأثر على هدوء نبراته : أعدك  
بالأ أذكر جهداً في هذا السبيل ، ولكن الرسائل  
التي تلقيتها لا تدع لي أملاً كبيراً ، فإذا ما حبطت  
مساعي فلا تهمني بالقصور . وعلى كل لا تتوقى  
وزود أخبار تسرك في القريب العاجل . ثق بي  
فإني مخلص لك

وبعد أن وجه سميث إلينا بعض كلمات من قبيل  
الجمالة تحول نحو الباب فسقته إليه وخرجت لأدع  
له مجالاً لخطوة أخيرة . ودفت الباب ، ورأى كأنني  
أبتعد ، ثم عدت فأصقت أذني بفتحة المزلاج  
وحقق سميث فيها قائلاً : متى أراك ؟  
فقلت : لن تراني بعد . الوداع يا هنري  
ومدت إليه يدها فرفعها إلى شفتيه وخرج ،  
ولم أندفع بسرعة إلى الوراء لسان اضطدم بي  
وعند ما خلوت يبريجيت وهي حاملة دثارها



واستطردت قائلاً : لماذا نخادع أنفسنا ؟ لو لم أكن تراميت إلى الهاوى في نظرك لما كان وسعك أن تتظاهرى بغير حقيقتك أمامي . أفتزين هذا السفر تنفيذاً لحكم مبرم قضيت به عاتياً وأتيت به جلاباً بقودك إلى الإعدام ؟ أى شيء يروعك من غضبي لتلجئى إلى مثل هذه الحيل ؟ وما هو هذا الخوف الذى يقودك إلى مثل هذه الأكاذيب ؟

— أنت مخطئ . يا أكتاف . قف عند هذا الحد ولا تزد

— لماذا هذا الحذر ؟ إذا كنت قد فقدت صفة الأمين على شرك فعاملينى معاملة الصديق على الأقل . وإذا امتنع على أن أعرف مصدر دموعك فهل أحرم النظر إلى انساكها من عينيك ؟ أراجعبت ثقتك عني إلى حيث لا تعتقد باحتراي لأوجاعك ؟ وما هى الجناية التى أعاقب عليها بحرمانى معرفة هذه الأوجاع ؟ أفليس لذلك من دواء ؟

— لا ! وخير لك ولي أن تشدد التكبر على . إنك لتدفع بنا كليتنا إلى الشقاء ، أفلا يكفيك أن ترحل عن هذه البلاد ؟

— وهل يوسى أن أرحل وكل حركة منك تدل على نفورك من هذا السفر ؟ فأنت تقمحينه مكرهة وبوادر الندم تسبق أقدامك عليه ، فما تخفين غنى يا ترى ؟ وما يفيد التلاعب بالألفاظ إذا كانت الفكرة أوضح من النهار ؟ وهل يجمل بي إذا لم انحط إلى أدنى دركات الإنسانية أن أقبل عن رضى ما يجودين به مكرهة أسفة ؟ على أنني أقف حائراً فى رفضه وأنت تحطمين قواى بصمتك

— لا . إننى لا أبتعك مكرهة . أنت على خطأ

قوائم حسابات لمض موردى حوائجها ، وبينها ما لم تكن دفعت منه بعد ، وطلقت تشكلم وهى تدق فى هذه الحسابات راجية عفوى عنها لاحتفاظها بالصنعت طوال المدة الأخيرة ، مبدية نحوى أشد المطف ، مستسلمة لإرادتى ، فرأيت فيها جسم الحب أو جسم مظاهره ، وذهب مرحها المصطنع يحز فى قلبى إذ رأيت فيه ألماً يجحد نفسه فيتكلف سروراً أجمع من النواح واستسلاماً قرارته أمر عتاب . وقد كان خيراً لى لو أنها ظهرت جامدة ولم تلجأ إلى هذا الهياج الكذوب للتعلب على نفسها وظهرت برجييت لعينى كأنها ممثلة تقلد ما كانت عليه قبل خمسة عشر يوماً ، فإذا بكل حركة منها كانت تسكرني غراماً من قبل تصدم قلبى فيقبض لها ارتياحاً وبحث بها فجأة : أى سر تضمين يا برجييت ؟ إذا كنت تحبينى حقيقة فألى م تضمين بهذا الدور الذى تحكين تمثيله أمامى :

— أنا أمثل ! وما الذى يدعوك إلى هذا الظن ؟ — أفأ يجدر بك أن تعلمي أن روحك تلامس الموت ، وإنك تتحملين عذاب الشهداء ؟ إننى أخض لك ذراعى فألقى رأسك إلى صدري وأطلق سراح دموعك عليه ، فلمنى أذهب بك إذا فعلت ، أما أن أختطفك ، وأنت على ما أرى فذلك بما لا أقدم عليه فصرخت : هيا بنا فلنذهب

فقلت : لا أقبل بحياتى إننى لن أقبل ما دام بينى وبينك هاوية سر أو سواد تقاب . إن أشد مصاب لأهون وقفاً على من هذا المرح الذى تتصنعين فوجئت إذ رأتنى نافذاً إلى أقصى سريرتها بالرغم مما تبذل لحجبها عني

فقدك، حتى ولو سقطت هذه الجدران على قبل أن  
أطلع على هذا السر الذي يقض مضجعي منذ شهر .  
إنني تاركك إذا لم تتكلمى . لقد أكون مجنوناً ؟ لقد  
أكون مقدماً على هدم حياتى يدي ؟ ولقد يكون  
من الخير لى أن أجاهل ما أطلب إيضاحه ، فلا أثير  
بيننا أموراً قد تقتل سعادتنا وتمزق شملنا وتحول دون  
هذا السفر الذى حصرت أمانى فيه ؛ لقد يكون  
كل هذا ولكنى لا أجمع عن غزى . تكلمى  
أو أتخلى عن كل شىء

— لا ... لا ... لن أتكلم

— بل سوف تتكلمين . أنتحسين أننى أخدع  
بأكاذيبك ؟ أنجيل إليك أننى جاهل أسرك وأنت  
تبدلين بين صبح ومساء متقلبة كقلب الظلمة  
والنور ؟ وتلجأين إلى تبرير موقفك بإبرازك رسائل  
لا تستحق أن أتى عليها نظرة واحدة . وهكذا تقنعين  
بأننى أكتفى بأول تعليل يحطرك تقديمه ، أوجهك  
وجه تتأمل من الجبر لتضعحل وراءه أشباح عواطفك  
فما هو اعتقادك فى ؟ ياترى ؟ إننى لا ألتحد بنفسى  
على قدر ما يلوح لك فخذار أن يتم لى سلوكك مما  
تبدلين لستره كل هذه الجهود

— وماذا تعتقد أن يكون هذا السر الذى أخفيه ؟

— ألى ؟ بوجه هذا السؤال ؟ وما تقصدين من  
هذا التحدى الصريح . إذا لم يكن ما ترمين إليه  
إحراجى لإثارة كرامتى الجريحة حتى إذا انفجر غيظى  
تخلصت منى

إنك تتوقعين منى تصريحاً لتقابليه بنجيب الأنوثة .  
تردين أن أهمك لتردى على بقولك : إن امرأة مثلك  
لا تتنازل للدفاع عن نفسها . إن أشد النساء لوماً

فى اعتقادك هذا ، فأنا أحبك يا أكتاف فكف  
عن تمذيبى

وتساقت هذه الكلمات من فيها بكل عنوية  
الحنان ، فرأيت نفسى منظرها على قدمها وقد  
غلبتني نظراتها ونبرات صوتها فهتفت : أتجيبينى  
يا بريحيته ! أحق ما تقولين يا خيليتى ؟

— أجل إننى أحبك . أجل إننى ملكك فاعل  
بى ماتشاء . إننى سأنتهمك . هيا بنا يا أكتاف فإن  
العربة بانتظارنا . وشدت بأناملها على يدي وهى تلقى  
على جبينى آخر قبلاهما مكررة قولها : لا بد من أن  
أنتهمك . إننى أريد أن أسير معك إلى آخر يوم من  
حياتى ...

رددت كلمة « لا بد » فى نفسى ووقفت ناظراً  
إلى بريحيته تقلب آخر صفحة من أوراقها فسألها  
عما إذا كانت أتمت عملها ، فأجابته بإيجاباً

عند ما أوصيت بالعربة لم أكن مقررراً الرحيل  
بل رमित إلى القيام بتجربة فإذا أنا تجاه أمر واقع  
وتقدمت فاتحاً الباب وأنا أرفع صوتى قائلاً :  
« لا بد » وما تعنى هذه الكلمة ، بل أى شىء وقع  
هنا وأنا لا أدرى به ؟ أوضحى لى الأمر وإلا بقيت  
حيث أنا ؟ أفىكون حبك لى فرضاً عليك وعاطفة  
لا بد منها ؟

فارتجت على القعد وهى تفرك يديها ألماً وتصرخ :  
ويحك ! إنك ستجعل الحب طول حياتك

— لملك تقولين الحق ، ولكنى أستشهد الله  
على أننى أعرف العذاب . لقد قلت إنه لا بد لك  
من حبى فلا بد لك أيضاً من إبداء الجواب ، وما  
أنا مبارك موقفى حتى ولو اضطررتى إصرارى إلى

شعرت بضنك أشد على روعي من هذا الضنك .  
وما قررت البقاء في باريس إلا وأنا مصمم  
على استنطاق بريجيت مهما كلفني الأمر ، فأخذت  
أستعرض الوسائل توصلاً لبغيتي فلا أجد ، وأتخفى  
لو خطرت لي وسيلة ناجحة أبذل في اتخاذها كل  
ما أملك

ما العمل ؟ ماذا أقول ؟ وهي واقفة أمامي هادئة  
تحدثني بنظرات ملؤها الأسى

وسمعت قرعة حوافر الخيل . وقد حلت من  
مرابط العربية ، وما لبث حتى ساد الصمت على الشارع .  
وقد كان يوسى أن أقف وأصرخ لأسترجمها غير  
أنني جئت مكاني كأن القضاء قد حكم بابتعادها  
دون مهاد

تقدمت إلى الباب ودفعت مزالجه وأنا أسمع  
في أذني همساً يقول لي : لقد أصبحت وحدك تجاه  
المخلوقة التي في يدها حياتك أو موتك

وعدت إلى التفكير في حيلة تهتك الأستار  
أمامي فإذا بي أذكر قصة من قلم ديبدو عن امرأة  
تأكلها الغيرة على عشيقها فلجأت إلى حيلة غريبة  
توصلاً لجلاء ريتها به إذ صرحت له بزوال حبها له  
وبأنها غائمة على هجره ؛ وكان هذا العاشق يدعى  
الركيز أرسيس ، على ما ذكر ، فوقع في الحيلة  
واعترف لخليلته بأنه هو أيضاً لم يعد يشعر بالحب لها .  
وكنت قرأت هذه القصة وأنا في زمن المراهقة  
فأعجبت بحيلة بطلها ، وعندما عثت لحاطري وأنا  
في هذا المآزق ابتسمت وقلت في نفسي : لعل بريجيت  
تقع في الشرك نفسه إذا أنا مددته لها فتفضي إلى  
بسرهما

تصرف كيف تشجح يبرود العظمة وتدود عن نفسها  
بسلح التحقير ، فالصمت أقوى ما تتمتع به المرأة . وما  
تعلمت هذه الحقيقة من أمس . إنك تراودين الالهانة  
بالسكوت ولكن إذا كان يوسمك أن تحاربني قلبي  
لأن قلبك خافق فيه ، فأنت أضعف من أن تهاجمي  
تفكيري ، فإن رأسي أقسى من الفولاذ وفيه من  
المعرفة مالا تعلمين

— يالك من ولد مسكين ! أفلا تريد أن نرحل ؟

— لا . إنني لن أسافر إلا بصحبة خليلتي وما  
أنت بخيلتي الآن . لقد جاهدت طويلاً وتمذبت  
كثيراً وأنا أقرض شغاف فؤادي . لقد طال ليلى  
وآن للصبح أن ينجلي . فهل أنت مودة جوابك  
أم لا تزالين مصرة على السكوت ؟

— لن أجواب

— ليكن ما تريدن فأنا مصرة على الانتظار  
وذهبت لأنطرح على مقعد في آخر الغرفة  
مصمماً على عدم الحركة حتى أعرف ما أريد معرفته .  
أمامي فأخذت تمشي أمامي رافعة رأسها وقد انطبعت  
آثار التفكير على جبينها المنجهم

وبت أنبها بأنظاري ، وكما استغرقت في صمتها  
أوغلت في غضبي . وكنت أحاول إخفاء ثوري  
فتوجهت إلى النافذة وصرخت بالحلم أن يؤدوا  
للسائق أجره مملناً عدولي عن السفر هذا المساء  
فقلت بريجيت : مسكين أنت !

وأقلت النافذة وعدت إلى مقعدي متظاهراً  
بأنني لم أسمع شيئاً وفي أحشائي نار تنقد تجاه هذا  
الصمت الجليدي وهذه القوة السلبية . ولو أنني كنت  
في موقف عاشق تيقن خيانة محبوبته له لساكنت

وتصاعد الدم إلى رأسي فقبضت على يدها قائلاً :

— اجلسي واسمعي

فقلت : ولماذا أستمع وما أنت التي يتكلم ؟

وخجلت من محاولتي المراوغة فعدلت عنها وقلت :

— اصنعي ليّ واقتربي مني . إنني أتوسل إليك

أن تجلسي إلى جنبي ، إذا كنت لا تزالين مصرة

على الصمت فاستمعي لي على الأقل

— أنا مصية فتكلم

— لو جاءني أحد وقال لي أنت جيان وأنا من

لم يتجاوز الثانية والعشرين ، وقد أفتحم البارزة فلا

ريب في أنفي أغضب لامتهان كرامة أعرفها في نفسي

فأسير إلى الميدان مجازفاً بحياتي لأشك سيفي بسيف

نكرة من الناس . وما أقدم على هذا إلا لأثبت أنني

لست جياناً ؛ وإذا أنا لم أفعل ألصق المجتمع بي ذل

العاويد ، إذ لا يورد الجواب على مثل هذه الالهة

إلا كلمة السيف

— لا ريب فيما تقول ، ولكن إلى أين تنجبه

بهذه المقدمة ؟

— إن النساء لا يزلن إلى ميدان البارزة ؛ غير

أن لكل إنسان سواء كان ذكرًا أم أنثى ساعة

يناقش فيها الحساب مهما انتظمت حياته ، ولا فلت

من هذا المأزق إلا رجل يرضى بالمار وامرأة تقنع

بالقطيعة والنسيان . لقد حق على كل مخلوق أن

يثبت حيويته فإذا ما هوجم رجل دافع بسيفه ، أما

المرأة فابجديها امتشاق الحسام لصيانة نفسها بل

عليها أن توجد لنفسها ما يوافق موقفها من سلاح ،

فإذا هاجمها رجل لا تأبه له وردته بالترفع والاحتقار .

أما إذا كان المهاجم محبوباً سلاحه الشك والارتياب

فلا قبل لها باحتقاره ، وقد وضعت روحها في صدره

وهكذا انتقلت من حالة الهياج والغضب إلى

المراوغة والخاتلة ، وخيل لي أن اقتياد امرأة إلى

الاقترار ليس من صعاب الأمور ، وقلت في نفسي :

ما دامت هذه المرأة خليفتي فلن أعجز عن استنطاقها

إلا إذا كنت من صغاليك الرجال

وتراخيت مستلقياً على مقعدي وتكلفت عدم

المبالاة والمرح فقلت : أما ترين أن زمن التصريح

قد حان ؟

وإذ رأيته تنظر إليّ بعيني الاستغراب ذهبت

في حديثي قائلاً : لا بد من التوصل يوماً إلى

المصاحبة بالحقائق ؛ وسألنا إلى اقتحام هذه الصراحة

فأكون قدوة تحرك من كل حذر ؛ وليس خير من

التفاهم والاتفاق بين الأسداء

وما توقفت عن ذرع الفرفة ذهاباً وإياباً ، كأنها

لم تسمع كلاتي وقد رأته ولا زيب على أساري

وجهي ما يكذب بياني . فتابعته قائلاً :

— لا تجهلين أننا منذ ستة أشهر نميش جنبا إلى

جنب ، وما كان أبعد حياتنا عن السرور أو ما يشبهه

أنت في مستقبل العمر وأنا كذلك ؛ فهل لو شعرت

بنفور من هذه المصاحبة تجدين في نفسك ما يدفعك

إلى مصارحتي بنفورك ؛ وما أكتمك أني لو مللت

هذه الصحبة فلن أبردد في الاعتراف بها ، إذ لا يوجد

سبب يحول دون هذه الصراحة ، لأنه إذا كان الحب

ليس جريئة فلا يمكن أن نرى جرماً في تناقص هذا

الحب أو في زواله . وهل يستنكر أن يحتاج من

في سننا إلى التثيير ؟

ووقفت واجهة وهي تردد قولي « من في سننا »

إليّ توجه هذا الكلام ؟ بأي دور تريد أن تقوم

في تمثيلك هذا ؟

ومدت يدها تطبق أناملها على شفتي وهي  
تعرض بوجهها عني ، فسكت وأطرق كل منا مستغرقاً  
في تفكيره

وسمعتها تقول حزينة مبهمة :

اصنع لي . لقد جالبت العذاب طويلاً  
يا أكتاف ولتشهد السماء على أنني أبذل حياتي  
فداء لك . وما دام أمأي بضيق من الأمل أحمل  
كل عذاب للاتجاه إليه ، ولكنني مضطرة إلى  
تذكرك بأنني امرأة ولو أغضبك هذا التصريح ؛  
وللمرأة حدود تقف قواها عندها . فلا تقاوم الطبيعة  
البشرية باصرارك على استنطاق فاني لن أجيب  
على سؤالك ؛ وليس بوسي الآن إلا أن أجشو  
لآخر مرة على قدميك متوسلة اليك أن نسرع  
في الرحيل

« يتبع » فيليكس فارس

— إذا كان المهاجم محبوباً فلا جواب إلا  
بالصمت

— لقد أخطأت في بيان قصدك فان الجواب  
الذي ترين للمحبوب الذي يلمطح بارتياحه حياة امرأة  
إنما يقوم بذرف الدموع وبإستشهاد ما بذلت من  
سبر ومن إخلاص فيما مضى . إنك تركين للزمان  
أن يظهر براعتها من التهم إذا تركها عاشقها وهو  
يؤاخذها بجمرة سكوتها

— لعل ذلك صحيح ولكنني أرى الصمت أولى

— إنك تلجأين إلى الصمت ؛ وكوني واثقة

من أنني سأذهب وحدي إذا أنت لم تعد لي عن هذا  
السكوت

— وأخيراً... يا أكتاف

— أخيراً ليأت الزمان مبرراً لك بعد ذلك ،

إنك تنتظرين عدل الزمان

— أجل وذلك ما أرجو

— ذلك هو أمالك ! أسبرى أقصى سريرتك

فهذه هي المرة الأخيرة التي يتسنى لك أن تستنطقها  
أمأي . لقد قلت إنك تحبينني فصدقت ، فهل تقصدين  
الآن تجاه ارتياحي بك أن أهجر ك تاركاً للزمان  
مهمة تبرئتك ؟

— ألك أن تصارحنى بريتك ؟

— ما كنت أود أن أصرح بها إذ لا فائدة من  
هذا التصريح ، ولكنني أصبحت ولا مناص لي من  
مقابلة الصنارة بمثلها . إنك تخونينني ! إنك تحبين  
رجلاً غيري ، ذلك هو شرك ، وذلك هو سرى

— ومن هو هذا الرجل ؟

— هو سميت

## مجموعات الرسائل

تباع مجموعات الرسائل مجلدة بالإنعام الآتية

٥٠ السنة الأولى في مجلد واحد

٧٠ كل من السنوات الثانية والثالثة والرابعة

والخامسة في مجلدين

وذلك عدا أجرة البريد وقدرها خمسة قروش  
في الداخل وعشرة قروش في السودان وعشرون

قرشاً في الخارج عن كل مجلد



# الأولاد ليسوا

لهرميرس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

أوديسيوس يتشاجر مع شحاذ

وبينا كان أوديسيوس جالساً يزدرد طعامه ، إذا شحاذ ضخم الجسم شاهه المنظر يدخل فجأة ، فيلتفت إليه جمهور العشاق . ويعرفون فيه الفقير إروس ، المشهور بنهمه الذي لا يوصف ، وبإقباله الشديد على أردأ ألوان الشراب ... وكانت له عليهم دالة ، وليس في الجزيرة كلها من يفهمه ... فلما لمح أوديسيوس جالساً يتبلغ بقلبه ، نظر إليه نظرات المنيظ الحسّيق وقال له : « انحرف عن الباب أيها المجوز القدر وإلا جردتاك من عقبيك ... ولو أننى أترفع عن مقارعة أمثالك !! » وحدهج أوديسيوس وقال : « أيها الصديق إننى ما أذنتيك ، وإن فى المكان متسماً لكليتنا ... أرجو ألا تتبرقأ أكثر مما فعلت وإلا فلا يفرنك هرمى وتقدم بسى ، فتالله لأرينك كيف أضربك ضرباً تقول منه الهامة أسقونى ! إجنح للسلم هو خير لك ! وأصغ إلى نصيحى ، وإلا

فلن ندخل قصر الملك أوديسيوس بعد اليوم ... » وغيظ الشحاذ إروس وقال : « اسمعوا ما ذا يهرف هذا الشره المخرف ! ألا ما أشبهه زوجة حمقاء تترى أمام كآتون ! تالله ليخيل إلى أن أنقض عليه فأففض ثيابه ! هلم أيها الرجل ! استمد للقاء ، وليشهد السادة كيف أمثل بك ؟ » وقهقه أنطونيوس وقال : « أيها الأصدقاء اشهدوا ! إن إروس يتحدى هذا الفقير ، والفقير بدوره يتحده ... هلم نجعل حولها حلقة لنرى إلى هذا المراك الضحك ! » وسكت أنطونيوس ، وتكيبك الأمراء حول الرجلين ضاحكين عابثين ، ثم التفت إليهما أنطونيوس وقال : « إسمعا إذن ؟ ههنا كمكأت ليس أجود منها ... وإنها خالصة لمن يتفوق منكأ على قرنه ... ولئن فاز أجر عندنا عظيم ... إنه سيجلس معنا فى جميع ولأعنا منذ غد ، ولن ندع أحداً من الشحاذين يضايقنا بعد هذا اليوم » وتخابث أوديسيوس وقال : « يا سادة ! من الظلم أن يتبارى رجل عجوز ضعيف مثلى مع هذا الهولة ... ولكن الجوع يدفعنى إلى البطش به مع ذاك ... بيد أنى لى رجاء ألا يساعده أحد على ، فيلكنى مثلاً أو يلكرنى حيناً أكون مشلولاً به » فقاموه ألا يفعلوا . وتقدم تليماخوس ابنه فقال : « أيها الرجل ، إذا وسمك أن تناضل هذا الرميل فلن نخشى من هؤلاء رهقا ... إنى أنا مضيفك ، وأوليس أجب إلى أنطونيوس ويورياخوس من أن يشهدا هذا اللقاء الفذ بينكما ! » ثم إن أوديسيوس شعر عن ساعديه وغذيه ، وكشف بقليلاً عن صدره ، عابداً ليظهر الأمراء على عضلة المكتنز وقوته الخارقة ... وقد صدق حدسه ، فقد بهت العشاق ونظر بعضهم إلى بعض يقولون : « وإعجباً !

من تجاربي ... ألا ما أضعف الانسان ! إنه إذا ما مسه ضر دعا الله فلذا كشف عنه الضر فهو مقتصد ناه بجانبه كأن لم يمسسه ضر ... فأنا مثلاً لقد كنت في عتقوان ضباي أميث في الأرض مغتراً بقوتي وقوتي، حتى أسقط الكبر في يدي ففتت إلى أمر السماء، ولكن بعد أن كتب على الشقاء وهكذا أولئك الأمراء الذين غرتهم الأمان وأضلهم جبروتهم فأقاموا بهذا القصر غارين آمنين لا يظنون أن له صاحباً قد يفجأهم ببودته فيستأصل شأفتهم ويذهب برمجهم ... وإني والله أيها السيد لأرى أنه عائد ليس من هذا بلد، وأنه عائد قريباً؛ فتقبل أنت نصيحتي ولا تقم معهم، بل انطلق إلى بيتك وأهلك ولا تستأن حتى يدمحك معهم فيحطملكهم أجمعين ..» وشرب أودسيوس، ودفع الكأس إلى الأمير الشاب الذي بدت عليه أمارات المهمل بما قال الرجل ولكن ... والأسفاه ! لقد كتب عليه الشقاء، فلم يصنع لنصيحة أودسيوس

ويدا لبطلوب أن تذهب في بعض وصيقاتها فتخطر بين المشاق لبروها، ولترى ما ذا يكون ... وقبل أن تفعل ألقت عليها مبرقفاً ناعساً وأمنةً، وبدت لها في الرؤيا كأنها تعطيلها لشيء عجيبة؛ ثم إن الربة أضفت عليها رواء كرواء الآلهة، ونصيرتها بنصرة الشباب والجمال، قربا جسمنها واستطال، وزاتته لمة عاجية وسناء ... فلما هبت من نومها، مرست عينها متعجبة، وشدهتها تلك الغفوة الطارئة التي جلبت لها السعادة في دنيا من المغموم، ونمت لو أراحها الموت من حياة انتصت أشجانها وباعدت بينها وبين إلفها بفلاؤف من الآلام والأحزان ... وانطلقت في سرب من وصيقاتها

أي عضل وأى ساعدين ونغذين يخفي هذا الرجل تحت أسفله ومزقه البالية؟ مسكين إروس ! ماذا يبق منه بعد هذا اللقاء ؟! « أما إروس فقد انتفض واقشمر بدنه مما عراه من الدعر، ولكن الخدم لم يتركوا له أن يفر من اللقاء الذي دعا هو إليه، بل شملوا له عن ساعديه ونغديه كما فعل غريمه، ثم جروه إلى الحلقة برغمه ... وود أودسيوس أن يبطش بالرجل فيحطمه بأول لكمة؛ غير أنه أثر ألا يفعل خشية أن يكتشف المشاق من هو ... فلما امتدت الأيدي تصنع الدفاع، وأقبل وأدبر، وكروفر، ثم أهوى على أذن الرجل بضربة سحق عظامه، وطرحته على الأرض ... ولبت المسكين لا يبدي خراكاً من هول ما حل به؛ بيد أن أودسيوس جره من عقبيه إلى ساحة القصر، ثم عرج به نحو جدار كبير حيث سنده إليه، وجعل في يده عكازه وقال: « لبت هنا ولا تنش منازل الملوك بعد، وذد بعصاك الخنازير السائبة، فذاك خير من أن تصيب بها الغرباء أمثالاً ... فان عدت إلى مثل حماقتك فلن يصيبك إلا شر مما رأيت ! » وتركه واتشى إلى حيث كان، فوجد المشاق يضحكون حتى كاد يقطعهم الضحك ... وهتفوا له ثم قالوا: « حقق الله آمالك، وأمالك أمانيك أيها الغريب اللامح، بما خلصتنا من هذا الشحاذ النهم اللماح ! » وسمع أودسيوس دعاءهم، وانهل إلى الآلهة أن تستجيب !! ثم وضع بين يديه انطوليونيوس كمكة كبيرة، وزوده أمفينوموس بخبز ونخمر صلباً له في كأس كبيرة من ذهب، ودعا له بخير. وأتس فيه أودسيوس طيبة ودمانة خلق فقال له: « هبه ... هلم أيها العزيز أعضك نصيحتي وأحدثك

وبما أخذتهم به من حزم ... أما أنطونيوس فقد أجابها بقوله: «أما هدايانا يا ابنة إيكاربوس فلا أحب إلينا من تقديمها إليك ... على أننا لن نرم عن هذا القصر حتى نختار لنفسك بعلًا يكون كفنًا لك» وأبد العشاق ما قال قائلهم، فنهضوا ليحضروا هداياهم، وسرعان ما عادوا يحملونها ... وتقدموا بها إلى ينلوب؛ فهذا ثوب ثمين من قاتم موشى بالذهب تزينه اثنا عشر زرارًا ذهبيًا ... وهذا عقد حليت خرزاة يقطع من السكرمان الحر؛ وتلك أساور من ذهب وشبثونف كثيرة وأقراط (١). وعادت ينلوب ومن خلفها وصيفاتها يحملن الهدايا والى ... وأخذ العشاق كدأهم في التصف والفر والبث والغناء ... حتى أقبل الليل، فقدم النداء بجوار من نحاس بها وقود يشتمل، وطفق البخور يعبق في أرجاء الهيكل الكبير ... وهنا ... نهض أوديسيوس وتوجه إلى البنات يقول: «أيها العذارى أولى يكن ثم أولى يكن أن تذهبن إلى سيدنكن قنسلينها وتواسينها، وسأقوم بالنيابة عنكن على هذه النار حتى ينصرف العشاق ... ولن يؤودنى أن أقوم عليها حتى مطلع الفجر؛ ولن أضيق بجمعهم مهما عبثوا، فأنار رجل ذو بخاريب». فتضاحكن به، وقالت مينلاتو التي هي أجملهن وأقلهن احتشامًا، تعبت به: «ماذا أصابك الليلة أي هذا النازح الغريب؟ أطلق إلى حداد المدينة فم في دكانه، فهو خير لك من أن تسهر هنا وتثرثر ... هل غاب صوابك يا شيخ لأنك ظفرت بالشحاذ إيروس؟ أربع عليك، فقد تبثلك السماء بمن يطش

(١) الشبثونف والأقراط (الحفان) لأذن المرأة

فأشرفت على العشاق وقد ضربت بخيارها الشف على وجهها التأتق التاسع، فذهل الملأ، وزاغت أبصارهم، وأحسوا أن شيئًا يملغ قلوبهم، فامنهم إلا تمني أن يكون صاحب هذا الجمال الرائع والحسن الباهر، والفتنة المتقدة ... ونهض يورماخوس فقال مخاطبها: «يا ابنة إيكاربوس بوركت! تالله لو رآك كل من في هيلاس لاجتمعت حولك قلوب غيرنا من العاشقين، ولأقبلوا من كل فج فاذحموا حولك هنا ... في ذلك القصر العتيق!». فقالت ينلوب: «يورماخوس! تالله لقد ذهب الآلهة بجبالى الذى تصف يوم رحل عني زوجي أوديسيوس فيمن رحل إلى طروادة ... وما أنس لا أنس ما قال لي وهو قابض على يميني يودعني: «زوجي! إن أكثر من ترين من هذا الجيش لن يعودوا إلى ديارهم ... ففي طروادة محاربون صناديد، وملاعب أسنة لا يشق لهم غبار، وذاذة ورماة! وإنى لأدرى ماذا يكون من أمرى هنالك، ولذا، أكل إليك كل ما أذع ورأى، وإنى موصيك أول ما أوصيك بأبى وأمى، فاعنى بهما كأحسن ما كنت تمنين وولدهما معك، فإذا شب ولدى وترعرع، فلك أن تتركى هذا القصر إن شئت، وتزوجى من نختارين من الأكفاء الأنداد» هذا وإنى أرى أن هذا اليوم البصيب قد حان! ولكن وأسفاه! إنكم اجتمعتم هنا لتأكلوا وتشربوا وتمشوا وتمشوا بكل ما ترك صاحب القصر ... وكنت أظنكم تقيمون في منازلكم وترسلون إلى هداياكم لتكبروا عندي ولا تهزل مكانتكم لدى ... ألاساء ما ترون» وتبسم أوديسيوس من قولها، ووثق من إخلاصها، وعجب من شدة ما سحرت ألباب العشاق



درع دلاص سابنة وخوذة من نحاس ، وريحان في يدي لترى كيف لا يحول الجوع بيني وبين أقراني ، وكيف أخرج بدماهم الأرض ، وأتركهم في البرية جزر السباع وكل نسر قشيم ... أيها اللكعُ الوقح ... والله لو أن أوديسيوس رب هذا البيت قد فخاك الآن لصاقت عليك الأرض بما رحبت ... أنت أيها المفرور المتعاطل الذي غره أن يكون شجاعاً بين نوحي لا حول لهم !»

وجن جنون يورعاخوس ، وأخذ مُتَكَاً ثقيلاً وقذفه شطر أوديسيوس ، ولكن البطل انفتل بعيداً وسقط الشكّاء على الساق السكين ، غر إلى الأرض يئن ويتوجع ... وغيظ العشاق أيما غيظ ، وعلا لعظهم ، وودوا لو يسحقون أوديسيوس لولا أن تقدم تلياخوس وحال بينه وبينهم وهو يقول : « يا سادة ! إنى كصاحب هذا القصر ، لا أستطيع أن أطرد الرجل منه بعد إذ آوَيْته وضيّفته ... والراى أن تقطعوا سمركم هذا ، وتذهبوا من فوركم إلى منازلكم حتى يتصرم الليل ... » وأيده الأمير أمفينوس ، ووقفوا جميعاً فاحتسوا السكّاس الأخيرة ثم انقلبوا إلى منازلهم ... وفي نفس يورعاخوس من الهم ما تنوء بحمله الجبال ...

### المرضع المعجوز تعرف أوديسيوس

وهكذا خلا الجو لأوديسيوس وولده ، فقال ، يحدث تلياك : « أى بنى يبنى أن نخبى أنسلحة القوم في مكان حرز ، فإذا سألوك عنها فقل لهم إنك تحفظها لهم حتى لاتأثر بالذخان والبنار وتقلب الجوى . وامثل تلياك ، ودعا المرضع المعجوز يوريكيا فقال لها : « أماء ليقر الوصيفات في مضاجعهن حتى

بك كما بطشت به ، ويطردك من هنا ؟! » ... ورسقها أودسيوس بعينه وقال : « أسكني يا هناة <sup>(١)</sup> والله لأحدث بما حدثت الأمير تلياخوس فليقطعن لسانك ، وليرقن جسدي ! » . وذعر المناري وولين هاربات ، وقام أوديسيوس على النار وجعل يلحظ العشاق وفي قلبه ضرام ، وما فتىء يفكر في ألف خطة للانتقام منهم والبطش بهم ... ولم تشأ ميرفا أن تنهى هذا الشقاء الذي ضربته على أوديسيوس ، بل تركته يستهزئ به العشاق ، ويسخر به يورعاخوس ، فيضحك العشاق إذ يقول : « ما أظن إلا أن الآلهة قد أرسلت إلينا هذا الرجل ليكون حامل مشاعنا وحائى قبسنا ... أنظروا إلى رأسه التجاسى ، أليس يصلح أن يكون مشعلاً يضيء لنا ؟ » ثم التفت إلى أوديسيوس وهو يقول : « إذا استأجرتك لتسوّج مزرعة لى بعيدة من هنا وتنرس بها أشجاراً ، على أن أعطمك وأكسوك وأقتدك مالا ، فإنك ترضى ؟ ولكن لا ... إنى لأظنك تسرق منها طواعية لغزائرك وحبث جيلتك فتنتقل إلى المدينة لتستجدي وتتكفف ... »

وتحاثب أودسيوس وقال بحجبه : « يورعاخوس ! تالله إنه ليس أحب إليّ من أن أباريك في فلاحق في يوم من أيام الربيع ، حين يطول النهار ، من مشرق الشمس إلى مغربها ، على ألا يذوق أحدنا طعاماً ولا يسيغ شراباً ... أو أن يعهد إلى كل منا بأربعة أقدية في أرض جبوب ، وثودين حنيزين ذوى خوار ، في ذلك اليوم ، لترى أينما يصمد لحره ويفلح أرضه ... بل إنى لأتمنى ، إذ نحن في هذه الأرض ، أن يدهمنا عدو بخيلة ورجله ، وتكون لى

الملك عظيم يحكم أمة عظيمة بالعدل ونجزيه بالحكمة ...  
 إنني يا مولائي رجل كرهته الزمان ، وعسفت به يد  
 الحداث ، فاذا سألتني ما اسمي وما بلادي ، فأناك  
 تثيرين من أعماق ذكريات حنيفة تدي فتاوى ،  
 وتفجر السموع في ما قى ، فأعفيني أيها الملكة من  
 ذكر ذلك ، فانه ليحزنني أن أجلس بين يديك يا كيا  
 متصدعاً مهموماً ... » وبدا الألم على وجه بنلوب  
 وقالت : « أواه أيها الغريب ما أقسى ما ذلت حياتي  
 وذوت زهرتي منذ رحل زوجي المحبوب إلى طروادة ،  
 تاركاً لي الهم ، وغلقاً لي الحسرة ! ألا ما أقسى  
 ما يحن قلبي إليه ، ولشد ما يخفق من أجله ! لقد  
 أسلمني بعباده الليل أليل من الآلام ، فما أدري  
 منذ فارق كيف أشس لضيف مسكين مثلك ، ولا  
 كيف أبش لأحد ما من المالين ... وهؤلاء الأمراء  
 اللؤماء الذين تككبوا حولي يريدون ليرغموني  
 على اختيار أحدهم بدلاً لي من دون أوديسيوس  
 لا أدري كيف أدودهم ، ولا أعرف السبيل لنفخ  
 أذاهم ... لقد مكرت بهم طويلاً ، ولكنهم  
 بكروا بي النيثات ، فلا أدري كيف أنقذ نفسي  
 منهم ؟ وهذان أبواي يريداني على هذا الزواج  
 البغيض إليّ ، وهذا ابني قد شب ، وهو يضيق  
 بعشاق ذرا ، وإن في صدره خرجاً منهم لأنهم  
 يهلكون روثه ، ويعيشون في قصره ، ويخوضون  
 في عرض أبيه ... ولكن ... حدثني بأربابك  
 من تكون ، ومن قومك ، وأى بلاء من الدهر  
 شردك عن وطنك ... تسكلم أيها العزيز ولا  
 تحزن . وأرسل أوديسيوس أمة عميقة  
 ثم تكلم فزخرفت حديثاً طويلاً موشى ، ولقى  
 قصة حزينة متقنة ، وذكر الملكة أنه رجل مُهرزاً

أقل أسلحة أبي إلى مكان حرير فقد تراكم عليها  
 الوسخ وأتلفها الدخان » وقالت يوريكليا معجبة :  
 « أجل يا بني ، إنه ينبغي أن تعني بكل ما يتعلق بأبيك  
 وبكل ما ملكت يدك ... ولكن قل لي ... من  
 يحمل لك الصباح حتى تنقلها إلى حرزها ؟ ألا  
 أدعوهن فيحملنه لك ؟ » وشكرها تلياً ، وذكر  
 لها أن الرجل الغريب سيحملة ، وأهرعت يوريكليا  
 إلى داخل القصر ، وهب أوديسيوس وولده يميلان  
 الخوذ والدروع والرماح ، وبدت مبيرفاً الكريمة  
 تحمل بين أيديهما مصباحاً ذهبياً كان يشع سناء  
 عجباً ، ونورا لم تقع عيناً تلياً على مثله . فقال لأبيه  
 وقد أخذه العجب « أباه ! ما هذا النور للنعكس  
 على الجدران والعمد والقوائم والعواض حتى ليكاد  
 يجعلها تذهب ! قط ما رأيت مثل هذا قط ... لا بد  
 يا أبي أن إلهاً معنا هنا ! » وقال أبوه : « أخزن  
 عليك لسانك يا بني ، وأما قلبك بما ترى ، فانه من  
 نور السماء ، وهذا دأبُ الآلهة ... والآن ، لتصد  
 أنت فلتنم ملء عينيك كي تستريح ... أما أنا ، فباق  
 هنا ، لأنه لا بد لي أن أكلم أمك وخدمها »  
 وانطلق تلياً إلى مخدعه ، وأقبلت بنلوب  
 وأقبل في إثرها سرب من خدمها فأعددن لها عرشاً  
 ممرداً من ذهب وعاج استوت عليه وأسندت قدميها  
 العاجيتين إلى متكأ جميل ، فبدت كاحدى الآلهة .  
 وجلس أوديسيوس على كرسي صغير بُنيت عليه  
 فروة غليظة ، ثم كلمته الملكة فقالت : « والآن  
 أيها الغريب الكريم قص علي من أبتائك وخبرني  
 من أنت ، ومن أى البلاد قدمت » فقال أوديسيوس :  
 « أيها الملكة تعالى جدك وصلح حالك ... إن لك  
 في المالين لذكر أعين كالغطر ، وأما كريمة ليس

أوديسيوس بقره ويحمله أكثر مما كان يجمل سائر  
أصحابه »

وصت أوديسيوس ، وبكت بنلوب فاستخرطت  
في البكاء ، ثم قالت : « لشد ما كنت أدنى لك  
أيها الغريب النازح الجواب ؟ أما الآن فإني  
أحترمك وأعطف عليك ، بل أحبك ! تالله لقد  
صنعت له هذا الثوب يدي ، وأنا التي وشيته  
بالذهب ! وأسفاه هلك أوديسيوس ! إنك لن  
تعود إلى يا حبيبي ! مبتدأ ليوم زحمت فيه عن  
وطنك إلى هذا البلد المعين المشؤم اليوم ! » وهش  
أوديسيوس وقال : « خفي عنك يا مولائي ، ولا  
تتلفي قلبك بطول هذا البكاء . ثم لم تياسين من  
أوبته وقد سمعت عنه أخباراً سارة حين كنت في  
أيروس ! لقد مات عنه كل أصحابه ، ولقد غرقت  
سفينته في أعماق البه لغضب صيته الأكلة عليه ؛  
بيد أنه نجى مع ذلك . وهو الآن سليم معاف  
يوشك أن يصل إلى إيثاكا بخير . وأنا لا أرسل  
ما أقول حديثاً ملقاً ، بل أحلف عليه وأقسم  
بأغلظ الأيمان أنه سيعل إليكم في طمكم هذا ...  
بل ربما كان بينكم قيل أن يتم القمر دورة هذا  
الشهر ! » فتأوهت بنلوب وقالت : « وبك أيها  
الضيف تالله إن نلني ليكذب ما تسمع أذنأي ،  
وإنه لا يصدق أن صاحي عائد يوماً إلى إيثاكا ...  
ولكن هلم ... إلى سكر وسيفاني فيفسن قدميك  
ويعطينك ثياباً وكسوة ويهين لك فراشاً وثيراً هنا .  
فاذا كان القد فستجلس مع تلياك على مائدة الأسماء  
ولن يجسر أحد منهم أن يكلمك كلمة أو أن يعد يده  
إليك بأذى » وشكر لها أوديسيوس وقال : « مولائي  
لقد اعتدت أن أضع اسماء إفا نمت ، وأن أقترش

من جزيرة كريت كانت له نعمة وكانت له سعة من  
العيش ، وذكر أبويه وأهله والحياة الواسعة المخفجة  
التي كانا يحييانها ، وذكر أنه عرف أوديسيوس أول  
ما عرفه حين غرقت به الفلك وقذفه الموج على  
الشاطئ الأقريطي ، فهرول إليه وتلف به وأخذه  
إلى داره حيث أكرم مثواه واحتفى أبواه به ... ولم  
يكد أوديسيوس يفرغ من حديثه حتى ترقرقت  
الدموع في عيني بنلوب وانطلقت تبكي على زوجها  
التي لم تدرك أنه جالس إليها يحدثها ويوشى لها أطراف  
الكلام . وتأثر هو من بكائها فكادت عيناه تفيضان  
بالدمع ، لولا أن ملك حاله ، وهيمن على عواطفه ،  
غبس العبرات التي أوشكت تهمل بأجفان من  
حديد ... ثم أرادت الملكة أن تتحنه إن كان  
صادقاً فقالت : « وهل تذكر أيها العزيز ماذا كان  
يلبس يوم لقيته ؟ أو تستطيع أن تصف لي ، وتصف  
رفاقه الذين صحبوه في هذه الرحلة المشؤمة ؟ »  
وتخافت أوديسيوس فقال : « مولائي ليس من  
اليسير على شيخ كبير مثلي أن يذكّر أحداث ما قبل  
عشرين عاماً ... بيد أنني سأحاول أن أرسم لك  
الظلال الضئيلة التي ما تزال تطبع من صورته في  
رأسي ... أذكر أن يا مولائي أنه كان يلتفت بثوب  
أرجواني موشى بالذهب ، وقد رسم فيه بالذهب أيضاً  
كل صيد مغروق يحمل في بر طيله <sup>(١)</sup> طلياً مرقطاً .  
وأذكر أنني رأيت قصيصه ولسته ، فلا أذكر أنني لست  
في حياتي أنم ولا أرق ولا أتمن ... وكان يسمى  
بين يديه مشير أكبر منه جسماً وسناً ذو كتفين  
مستديرين وبشرة سنجابية وشعر مفلقل ... وكان

(١) عن تلياب بن ابن الأعرابي أنه فم الكلب أو شفته  
ولم يذكره صاحب القاموس

وتأثر الملك وأنشأ يقول : « ربما يا أماء ! لقد قال مثل ما قلت كثيرون ممن رأوني ورأوا أوديسيوس »  
 وذهبت يوريكليا فأحضرت طساً<sup>(١)</sup> به ماء وانتهز أوديسيوس انشغالها عنه فأبتمد عن الوقود ، لأنه ظن أن المرأة قد ترى الندوب التي بقدميه ، الباقية نمة من عضة خنزير برى كان قد بطش به في أحداثه فتكشفت ما حرص هو عليه من كيان أمره .. بيد أنها لمست التذبة<sup>(٢)</sup> الكبرى في ساق سيدها إذ هي تغسلها ... وكانت الظنون قد ساورتها لما سمعت من صوته ، واستدكرت من صورته . فلما تحسست الندبة زاغ بصرها ، وحلقت نجاة في وجه مولاهما وسقطت يداها من غير وعى فاقبل الطس النحاسي محدثاً صوتاً ممرناً مدياً ... وسال الماء ... وأحبس الدمع والمنطق في عيني المعجوز وفي لسانها ثم عالت المفاجأة السارة المحزنة في صدرها ... وصرخت تقول : « أنت ! هو أنت ! والله إنك لأوديسيوس ... لقد عرفتك ... هذه هي التذبة التي أحدثها الخنزير بساقلك ! لقد لستها بيدي ! » وأهرعت المعجوز بمذهولة نحو بنلوب لتزف إليها البشرية الهائلة ... ولكن منفرقا كانت أسبق منها ... فقد سحرت عيني بنلوب وسمعا ... وجعل أوديسيوس إلى المعجوز فأطبق بكفه على فها وقال : « يوريكليا ! أسمى ! أنا هو ! ولكن أسمى ! إن كلمة واحدة منك تقضي علي ! لقد غنوتني ونشأتني في حضنك صغيراً ، فهل تكونين

العباء ، ولني تمسني وصيفاتك ، فقد يذعرن من خشونة قدي ... ولكن إذا كان فيهن واحدة غلصة شربت من كزوس الزمان مثل ما شربت من بحر وآلام ، فلا بأس أن تنسل لي قدي ، على أن تكون عجوزاً خبزبونا ؟ » . وسرت بنلوب وقالت نجيحة : « أبداً ما علمت أحزم منك ولا أوفر ذكاء وعقلاً أيها الضيف الكريم . لك ما سألت ، فان عندنا خلاصاً أميناً طاعنة في السن كانت موكلة ببولاي أوديسيوس إذ هو مطفل تغسله وتسهر عليه ، وهي التي ستنسل لك قديميك ... يوريكليا ... يوريكليا .. أبلى .. أسهرى على هذا الرجل المعجوز الذي له مثل سنك وتجاريك ... إن له سحنة كسحنة أوديسيوس هسياء كسيائه .. أغسل قدميه وقدي له كسوة تليق بضيف حل بيتنا » وكأنا هاجت ذكرى أوديسيوس شجون المرأة فترقق الدمع في عينيها اللزتين وقالت : « آه يا ولدي يا أوديسيوس لشد ما يترزع فؤادي إليك ويخفق لكركاك ! الله لم أر رجلاً أحبت للآلهة كما أحببت ونحني لها كما نحني ... ومع ذاك فقد ناموا جميعاً عنه فلم يتأذوا برجوعه إلى وطنه ! ومن يدرى ؟ قد يكون غريباً كهذا الزريب ، جواب آفاق في بلاد نائية ، ومن يدرى ؟ قد تكون نسوة تعبت به كما عبت نسوة هذا القصر بهذا الرجل ... هلم أيها الضيف الكريم ، لا أحب إلى من أن أغسل قديميك كما أمرت مولاي ... أوه ! يا للعجب ! لماذا ينحذب إليك قلبي هكذا ؟ يا للآلهة ! أبداً ما رأيت من أضياف هذا البيت العتيق أشبه بأوديسيوس منك مبررة وصوتاً وخطراناً ... »

- (١) الطس بالفتح والظسة والظسة ( الطشت ) الذي يفسل فيه ( قاموس )  
 (٢) أثر المرح القديم



التازح الذى سيعود من سفره نجاة فيطش بالطنعة  
الماتية التى استباحث قصره ، وولنت كالكلاب فى  
عرضه ... ألا يا ابنة إيكاريوس اسعدى !  
واستيقظت من نوى مسبوحة وطرت إلى إوزى  
لأطمئن عليه فوجده سالماً ... فهل تستطيع أن  
تعب تلك الرؤيا أيها العزيز ؟

فقال أودسيوس : « أيها السيدة الفاضلة ...  
لقد فسر لك الرؤيا زوجك بلسانه ... وحى لا معنى  
غير ما قال ... إنه قادم وشيكاً لا ريب ... وإنه حامل  
إلى العشاق منايام »

وأتاقت بنلوب ثم قالت : « أبداً ... إن هى  
إلا أضغاث أحلام ! إذا كان غد فإني ذاهبة  
إلهم فذا كرة لهم شرطاً إن استطاعوه نالنى أقوام  
فذهبت من فورى إلى بيته وتاركه كل هذا القصر  
الذى دخلته زوجة خير زوج ، ليكون حلماً جيلاً  
يزخره لى الماضى ... وذلك أننى شارطة عليهم أن  
يحملا قوس أودسيوس فيصيبوا بها غرضاً يخترق  
السهم إليه اثني عشر (دنجلاً) <sup>(١)</sup> فان أصابه أحدهم  
فأنا له . وهش أودسيوس وأيد فكرتها « لأن  
واحداً منهم لن يستطيع أن يوتر قوس أودسيوس  
قبل أن يحضر أودسيوس فيحطمهم جميعاً ! »  
وأشارت بنلوب إلى خدنها فأعددن لأودسيوس  
مُتَكَ وفراشاً وثيراً ... وذهبت بنلوب لتذرف فى  
مخدعها دموعاً من بلور

دربى فشب

« يتبع »

تكنبى وشاحذة سكينى كبيراً ، وبعد أن وصلت  
إليكم بعد بأس وقنوط من عودتى ؟ أصمتى ! على  
لسانك بسلال وأصفاد فلا أزيد أن يعلم أحد أنى  
هنا ... وإلا ... فتالله لن أرحمك — ولو أنك  
مرضى — يوم يجد الجد !

وارتعدت يوريكليا ، وقالت تحببه : « أى بنى !  
لم تكنمى هكذا ؟ أتشك فى ثباتى وحفاظى ! إطمئن  
يا بنى ، فساكون أصمت من الحجر الصلب ، وأستر  
لسرك من الحديد ! » فخدجها أودسيوس وقال :  
أصمتى إذن ، ولا تقسدى تدبيرنا ، ولنتوكل جميعاً على  
الله ! وذهبت فأحضرت ماء آخر ؛ وأخذت فى  
غسل رجله العظيمتين ، فلما فرغت ضمختهما بأغفر  
الطيوب ، ووقفت قلب عينها فى مولاها بينما كان  
هو يربط لفائف على ندوب ساقيه ... وأخذ  
أودسيوس كرسيه وجلس قريباً من الموقد تلقاء  
بنلوب التى شرعت تحده وتقول : « أيها الضيف ،  
ما أرى بأساً أن أسألك إذا كنت أبى هنا مع ولى  
أو أختار أحداً من أولئك الأمراء فيكون لي بملاً ..  
على أن رؤيا ما تزال تضطرب فى خدى ولا  
أعرف كيف أعبرها . ذلك أننى كنت أقتنى عشرين  
إوزة بيضاء ، وكنت أحبا وأرعها بنفسى ، فرأيت  
فيها برى النائم تسراً فشمنا انقض عليها من الجو  
فافترسها جميعاً بينما كانت تأكل طعامها من الملف  
الذى أعدته لها ... ولما رأى النسر شدة حزنى  
والتياحى على إوزى ، وقف على ثوء قريب ثم أنشأ  
يكلمنى ويقول : لا تحزنى يا ابنة إيكاريوس على الإوز  
فإنه يمثل عشاقك الفساق ... أما أنا فأمثل زوجك

(١) لم نجد فى البرية — أو لم نعرف — مرادفاً  
لجور الفرس أو العجلة ، فأجيزنا هذه اللفظة لشيوخها بين  
الصناع .



صاحب المجلة ومديرها  
ورئيس تحريرها المسئول  
احمد حسن الزيات

بدل الاشتراك عن سنة  
٣٠ في مصر والسودان  
٥٠ في الممالك الأخرى  
١ ثمن العدد الواحد

الإدارة

شارع عبد العزيز رقم ٣٦  
العتبة الحضرية - القاهرة  
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

# المروية

مجلة أسبوعية للقصص والنايخ

نصدر مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصف

السنة الأولى

١٢ شوال سنة ١٣٥٦ - ١٥ ديسمبر سنة ١٩٣٧

العدد ٢٢

من أحسن القصص



## فهرس العدد

صفحة	
١٣٥٤	سيدنا الشيخ حسين . . .
١٣٥٩	الحب والتجسس . . .
١٣٧١	الأم البيضاء . . .
١٣٧٩	طبيب الاقليم . . .
١٣٨٥	قد دفنا الماضى البفيض . . .
١٣٩٦	الوطنية . . .
١٤٠٠	اعترافات في العصر . . .
١٤١٠	الأوفسية . . .
	أقصصة رقيقة . . .
	{ قصة بوليسية للكاتب الأمريكي جيس جولد كوزينز . . . }
	للكاتب الروسي تيودور سولوجب للقصصى الروسى إيفان تورجنيف .
	أقصصة بوهيمية . . .
	{ مترجمة عن مجلة القصص الواقعى الانجليزى . . . }
	لألفريد دى موسيه . . .
	لهومبروس . . .
	بقلم أحمد حسن الزيات . . .
	بقلم الأستاذ محمد لطفي جمعة . . .
	بقلم الأستاذ عبد الحميد حمدي . . .
	بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار . . .
	بقلم الأستاذ أدب عباسى . . .
	بقلم الأديب محمود السيد شعبان . . .
	بقلم الأستاذ فيليكس فارس . . .
	بقلم الأستاذ دبري خشبة . . .



من ذكريات الريف

## سيدنا الشيخ حسين

بقلم أحمد حسن الزيات

حتى ليضرب وجهه .  
يلبس العمامة الضخمة  
على رأسه الصنبر الأصلع  
فتتطبق على فؤديه ،  
وتستقر على أذنيه ،  
وتلقى على عيائه الأسمر  
إشراقاً حائلاً من التقي  
والهيبة ؛ ويرتدى

( الزعبوط ) الخشن الفضفاض على جسمه الرهل  
الرجراج ، فإذا مشى رفع ذبله على عاتقه الأيسر  
فيكشف لعينيك عن جانب من سراويله البيضاء  
يضرب عليها من خطوة إلى خطوة رأس تكنها  
السوداء القليظة . وهو يمشي مطرق الرأس متكفي  
الخطو كأنما يهبط في حذور من الأرض .  
واضطراب لجمه مع وثاقة تركيه دليل على أن هذا  
الرهل عارض من عوارض الجلوس والراحة ؛ ولا  
يحتاج هذا الدليل من عرفه في ريق شبابه ، فقد قضى  
عمره الأول ضارباً في الأرض بقدميه وذراعيه ،  
حتى سخرته الحكومة فيمن سخرت لحفر قناة  
الاسماعيلية وترعة الحممودية . فلما عاد من الهجرة  
والسجرة شرع يحفظ القرآن على أبيه ليخلقه على  
خدمة ( الزاوية ) وهي مسجد القرية الصغير . وكان  
حفظه القرآن على الكثير غمزة يصنيها منها منافسوه  
من ( الفقهاء ) ، فيقولون في خبث الحاسد إن كلام  
الله لا يرسم على لوحة الدهن إلا في الصغر ؛ ويجهد  
هو أن يفوت عليهم ما يقصدونه من هذا الغدز فلا  
يفتر عن استظهاره واستدكاره حتى يحمله على ظهر  
قلبه ، وأداه عن طرف لسانه

كان سيدنا الشيخ حسين رجلاً مربع القامة  
إلى الطول ، تمتلئ الجسم إلى السمن ، آدم اللون  
في اصفرار ، مستدير الوجه في غلظ ، قصير العنق  
في اكتناز ، عريض الجبهة في بروز ، ضيق العين  
في كلال ، مرسل الشارب ، مسبل اللحية ، قد شاع  
فيهما مشيب السنة الخمسين

وهذه هي الصفات الخلقية التي تثب إلى ناظريك  
أول ما تراه ؛ فإذا رجعت فيه البصر رأيت في  
وسط جبينه سمة ظاهرة في شكل الزبيبة من أثر  
السجود ، وفي أعلى ذقنه ندبة غائرة كطعنة السمار  
من أثر مشاجرة . وليس بين طول السجود وحب  
المشاجرة تناقض في خلق الشيخ ، فقد كان رقيق  
القلب مرهف الشعور ، يحتاج لأدنى باعث ، ويكي  
لأقل حادث ، وتأثر لأني خير ؛ فهو شديد الرضى  
إلى حد الاستكانة ، سريع الغضب إلى درجة البطش ؛  
ورضاه وغضبه لا يخرجان عن حميته لدينه أو عصبيته  
لرأيه . فالصوفي الذي ينسب إلى الأولياء ما للأنبياء  
من الخوارق يحرك قلبه ويشير إعجابه حتى ليقبل  
رجله ؛ ( الشاعر ) الذي يغالب ( أبو سعدة الزناني )  
على ( أبو زيد الهلالي ) يهيج نفسه ويضرم غيظه

لخياطة المقاطف . فأما ذؤوب الخطوط الجميلة فهو لا على  
عليهم ما طُلت منه من الثناء والأحبة : فذا يكتب  
( السبع آيات النجيات ) ، وهذا يكتب ( السبع  
عهود ) ، وذلك ينقل من ( الديري ) جدول التأليف  
بين الزوجين ، وذلك يكتب على خوصة نخة شرقية  
للسعال ، أو على بيضة دجاجة سبتية للحمى .  
وينصرف أولئك جميعاً ويقيم أربعهم في القراءة  
فينقلب أستاذاً ( لسيدنا ) يحفظه قصيدة البردة  
للأبوصيري شطرة شطرة ، أو على حد تعبيره هو :  
( شجرة شجرة ) . وهنا تظهر قسوة الإرادة الفتية على  
الذاكرة الشبخة ، فسيدينا يريد أن يحفظ البردة كلها  
لأنها تُنشد أمام الجنائز كأنها كتاب الموتى ، وهو  
حريص على أن يترجم فريق للنشدين في الجنائز ،  
يذكر الناسين أوائل الآيات ، ويرسم للبادئين  
طرائق النظم ، حتى يمتاض بهذه الزعامة عن زعامة  
القراء ، فإن فيهم من يفوقه في حفظ القرآن  
وتجويده . ولكن ما العمل وأنا لا أفهم ما أقرأ ،  
وهو لا يعلم ما يحفظ إلا أن ينقشها في صفحة  
حافظته على الصورة التي ألفناها من رسم الكلمات .  
ولا أذكر كيف قرأ مطلع هذه القصيدة :

أَمِنْ تَذَكُّرِ جُبْرَانَ بَدَى سَلَمٌ

ضربت دماً جرى من مقلة بدم  
وإنما أذكر أنه كان على غير هذا الضبط الذي قرأه  
أنت الآن ، وربما كان أقرب إلى الضبط الذي قرأه  
عليه أحد أنصاف الأميين من إخواننا المسيحيين  
إذ قال :

أَمِنْ تَذَكُّرِ جُبْرَانَ بَدَى سَلَمٌ

وما كان أصعب عليه رحمه الله من نطقه ( أكفنا  
هنا ) في قول الأبوصيري :

وتوفي أبوه فأصبح خادماً ( الزاوية ) ، وقارىء  
البيوت ، ومعلم الكتاب ، ولا حد للموتى ؛ فكان نهارة  
كله سعيًا متصلاً وحركة دائبة : ينفلت من صلاة  
النجر فيدور دورته الزتية على الدور يقرأ في كل  
منها ما تيسر من كتاب الله ، ثم يُسأل وهو ماش  
يتدهدى بين الأزقة عن تاريخ اليوم في التقاويم  
العربية والأفرنجية والقطبية فيجيب ، ويُستغنى عن  
اليوم المشثوم واليمون فيفتي ، ويُطلب منه أن يحسب  
النجم لهذا أو ذاك فيحسب ؛ ثم تناديه إحدى عجائز  
البيوت ليبنى لها القرن فيلي ، ويدعوه أحد الفلاحين  
ليكيل له القلة في البيدر فيذهب ، ثم يجتم دورته  
اليومية عند الضحى العالى ، ويمود إلى الكتاب  
فيعلق عمامته وزعوبه على الرود ، ثم يقعد على شقة  
من الحصير ، عن يمينه ( الجريدة ) ، وعن يساره القلة ،  
وأمامه حزمة من الخوص البلول ، وفي يديه صغيرة  
يدخل فيها الخوصة بعد الخوصة وأصابعه الكزماء<sup>(١)</sup>  
تولى بها من كل جانب ؛ ثم يستمع إلى أحد الصبيان  
وهو متربع على الأرض قدماه ، يرتجف من  
الخوف ويتلو عليه ما حفظ من لوحه . فإذا فرغ  
سيدنا من استماع قراءة الحافظ ، وعراك أذن الناسي ،  
وضرب رجل القصر ، ذهب إلى الزاوية فلا ميضاً لها  
ومفطسها بالذلو ، ونظف حُصْرها وبماشها  
بالمكنسة ؛ ثم يصلى بالناس الظهر ، ويمود فيتندى ،  
ثم يعطى الصبيان حصّة العصر ، ويصرف بعضهم  
إلى أهلهم ، ويرسل البعض الآخر يجمع الحطب من  
التلول ، أو يجلب السريس من الحقول ، أو يبل له  
حزم الخوص في المستنقع ؛ ثم يستقي فريقاً لتشقيق  
السعف لجبل الصغيرة ، وقتل الحبال من السد

(١) الكزماء : هي القصيرة الفليضة

فما لميتيك إن قلت اكففا همتا

وما لقلبك إن قلت استنق بهم  
فانه كان يلفظها على أنها كلمة واحدة ؛ وهي بهذا  
الاعتبار تلتوى على لسانه وتندُّ عن ذاكرته

\*\*\*

كانت لي الخطوة عند (سيدنا) من دون أولاد  
الكتاب ، لأنني كنت أسمع له البردة ، وأكتب له  
الحجاب العالي ، وأرسم الخاتم الدقيق على رُكب  
التلاميذ عصر الخميس حتى لا يستحووا في النهر  
يوم الجمعة . وكانت لي الدالة على (امرأة سيدنا) ،  
لأنني كنت سريعا إلى قضاء حاجتها من بيت الأسرة .  
فكنت أغني من الأعمال الشاقة : كهرس سنا بل القمح  
بالمصاحن ، ودق كَرَب النخل بالمطارق <sup>(١)</sup> ، وجر  
حُزم الجريد من البستان ؛ وأجاب إلى كل ما أسأل ؛  
فلا أزال أذكر أن العريف قرر ذات حين أن يأتي  
(الأولاد) بأغديتهم في الصباح حتى لا يخرجوا من  
الكتاب في الظهر . وأغدية التلاميذ تختلف طبعاً  
 باختلاف البيوت في الغنى والفقير ؛ فكان العريف  
الماكر يرمك الطعام بعضه فوق بعض فيجعل طيبه  
أسفل ورديشه أعلى ؛ ثم يجمع الصبيان حول هذا  
الركام ويأمرهم أن يبدأوا الأكل من فوق ،  
فياً كانوا كارهين ، حتى إذا أوشكت أناملهم  
الصغيرة أن تهبط إلى الطبقات الخصيبة أعلن انتهاء  
القضاء ، وحل آخر النهار كل ذلك إلى أهله ؛  
فكان أكثر (الأولاد) يقاسون الجوع ولا  
يستطيع أحد منهم أن يجار بالشكوى ، إلا أنا ،  
فلم أكد أعرض (لسيدتنا) بفوضى هذا النظام  
حتى حملت (سيدنا) على غل يد العريف والقضاء حكمه  
(١) الكرب : زرع الجريد الفلاظ التي تقطع معها (قف)

على أن هذه الخطوة وتلك الدالة لم تستطعيا أن  
تجيبا إلى الكتاب ، ولا أن تحفقا عن نفسي شدة  
كرهه . فمقد كنت كسائر الأطفال أكره الكتاب  
كراهتي للموت ، وأخاف من الفقيه غافقي من الهولة .  
وكان أسعد أيامنا نحن أولاد الكتاب يوم يموت  
في القرية ميت ؛ فإذا سمعنا في الصباح ألبا كصراخ  
النبي على بعض السطوح طفرنا من السرور وسكرنا  
من الطرب ، لأن هذا الميت سينقذنا طول النهار من  
طلعة الفقيه . فقد كان الشيخ حسين هو الذي يبنى  
قبره ، وهو الذي يقسله ويكفنه ، ثم يلجده ويلقنه ،  
وفيما بين ذلك يشارك الجزار في ذبيحته ، ويرأس  
المنشدين في جنازته . فإذا لم يكن في القرية ميت  
يشغله تجهيزه ، ولا في بعض الدور فرن يؤخره  
بناؤه ، فرغ لنا بنظره القاسية وجريدته الجاسية  
ومسيحته المنكرة . فهو في جلسته وهيئته اللتين  
وصفهما من قبل ، ونحن قومود على أرض النظرة ،  
بعضنا يتقل من المصحف ، وبعضنا يحفظ في اللوح ،  
وأحدنا ينود <sup>(١)</sup> أمامه ، يسمّع الدرس القديم ، أو  
يصصح الدرس الجديد . فإذا عثر ولج به العثار  
أنحى على نغده بالجريدة المبرومة ، ثم يأمرنا أن  
نجهز بالقراءة حتى يصيب في صياحنا بكاء المضروب .  
ويتطاي غضب سيدنا إلى نواحي النظرة فتنتخلع قلوبنا  
من الرعب ، ويتداخل بعضنا في بعض كما تتداخل  
الخراف في الحظيرة إذا ما سمعت هيمة الدب <sup>(٢)</sup>

على أن سيدنا كان في غير ساعة الدرس طيب  
القلب رقيق الكبد لا ينفك في صلواته يدعو الله أن

(١) ناد القاري : إذا مز رأسه وكتفيه على نحو ما يميل  
قراء القرآن

(٢) الهيمة : صوت الدو المهاجم

يجعل أولاده من حلة القرآن وطلبة العلم

\*\*\*

المركة ، ويتفاهم الأمر ، ولا ينحسم إلا بتدخل أهل الحى . وعرفته الكلاب ، فكان إذا مشى هرة ولو لم يكن في يده حجر ؛ فهو في طريقه إلى الدور أو إلى الزاوية أو إلى الكتاب ، تراه متبوعاً بسرب منها تنبحه وتهم به ، حتى أكرهته آخر الأمر أن يدع جمع الطوب وأن يحمل المراوة

\*\*\*

وسمع النائين في الزاوية بين عَمَدِهَا التصدعة ، وفوق حُصْرُهَا البالية ، يتحدثون ذات يوم بأن المنشاوى باشا يتفق الأموال في وجوه المروف ، ويحبس الأَطْيَان على أعمال البر ، فهو يقيم المستشفيات والملاجئ ، وينشي المدارس والسنجيد ، ويفيض من ثرائه النعم على البيوت الجديدة قهتر وتوزق . ففكر سيدنا ملياً وهو يضع قنديل الزيت في مشكاته المحطمة ، ثم رجع إلى بيته ساهماً حالماً كأنما يشغل باله شأن خطير

ورآه المبكرون من رجال القرية ونساءها يأخذ طريق السوق بعد صلاة الفجر ، نملأه تحت إبطه ، وزاده فوق ظهره ، وعصا غليظة في يده

— إلى أين ياسيدنا الشيخ حسين في هذا الوقت ؟

— إلى المنصورة في شأن من شؤون الزاوية

— ألم تجد حماراً ؟

— بلى ، ولكننى فضلت أن أحمل نفسى خافة

أن يضع الحمار

ولكن مضى اليوم واليومان والأيام وسيدنا لا يظهر في مكان من أمكنة القرية ، فإلى أين ذهب ؟ كان يطوى المراحل ماشياً حافياً إلى ( القرشية ) بلد الحسن الكبير المنشاوى باشا ؛ وكان بين قرية الشيخ وبلد الباشا مائة كيل من الأمتار

كان أظهر ما في حياة الشيخ حسين غرامه بالزاوية ، فهو لا يفكر إلا فيها ، ولا يعمل إلا لها ، ولا يسأل إلا عنها . هي ميراثه عن أبيه ، ورجو أن تكون ميراثه لبنيه . أمنيته لنفسه أن يدفن في الزاوية ، ودعوته لابنه أن يكون خطيب الزاوية ، ورجاؤه في الله أن يعطف عليها وزارة الأوقاف ، أو يرقق لها قلوب الناس ، فيرفعوا ما خرمن سقفاها ، ويقيموا ما تقوض من بناها ؛ ولكن وزارة الأوقاف مشغولة عن الزاوية ، وأهل القرية مكتفون بالمسجد الكبير ، فمن الذي يدينه من مثاله ويسعفه بآثاله ؟ لا أحد إلا إيمانه بالله وثقته بنفسه . ألم يكن في صدر أيامه بناء ؟ إذن لا يعموزه إلا الأجر والحجارة ، وهذا مطلب مع الزعامة المؤمنة يمكن التحقيق سهل الملتبس . فكان كلما دخل داراً يقرأ فيها ( الراتب ) نفصها بنظره الحسير ، فإذا رأى أجرة مهجورة أو طوبة مكسورة حملها في كفه الواسع إلى الزاوية . وكان يمشي في الطريق ونظره إلى الأرض ، فإذا رأى حجراً أو بعض حجر لقطه وحمله إلى الزاوية . وكان يرجو بهذه الطريقة أن يتجمع له مع الزمن والاستمرار أكوام من الأجر ، لولا أن الحوادث العواث حالت بينه وبين ما يرجو . كانت الكلاب الراقدة فوق التلول ، أو الرابضة على التبتات ، أو الراسدة في الأزقة والحارات ، كلما رآه ينحى على ( الطوبة ) يلتقطها ، ظنت أنه يريد أن يرميها بها ، فنفضها يهجم عليه ، وبعضها يولى عنه ؛ ويدعو بناج هذا السكب وهرب ذاك بسائر الكلاب ، فيضطر ( سيدنا ) إلى أن يقذفها بما معه من الحجارة ، فتحمى

فلم يكذب يراه حتى هروا إليه قبل أن تقع عليه  
عيون الخدم وهو ينعم بالدعوات ويتوسل بالنظرات  
ويتنهل باليدنين . فارتاع الباشا الشيخ ، وصاح  
بالخدم أن يطردوا هذا الجزى ، فاقضوا عليه واعتقلوه  
ثم أخرجوه وهو يصيح :

الزاوية يا باشا ! الزاوية ! ربنا يطول عمرك !

\*\*\*

وفي ذات أمسية قراء من أمامي القرية الجميلة ، بينما  
كان الصبيان يلعبون في الجرن ، والشبان يسمرون  
على المصاطب ، والشيوخ يتعبدون في الزاوية ، إذا  
بالتاظرين إلى سكة السوق يرون الشيخ حسين  
عائداً وخفاه تحت إبطه وليس على ظهره زاد .

— أين كانت هذه النية الطويلة يا سيدنا ؟

... ؟

— مالك تهالك على نفسك ؟ هل أدخلوك في

الستشفى الأميرى ؟

— أمراً لله ! قدر الله ! قل لن يصينا إلا

ما كتب الله لنا

وأصبح الصباح فأقبل الزائرون يسلمون على  
سيدنا فوجدوه طريح الفراش ، عينه رمداء ، وجسده  
مردوع ، وقوته منسركة . حاولوا أن يعلموا منه  
سبب هذا الغياب ومصدر هذا السقم فلم يسمعوا  
إلا قوله : أمراً لله ! قدر الله !

وتبقت العلة بالرجل الصالح فلم يحض على أوبته  
شهر حتى خلا مكانه من الزاوية العزيزة والقرية الحبيبة  
وسكت الكتاب فلم يضح ، وهدأت الكلاب  
فلم تنبح ، وقوت الحجارة فلم تنزعج ، وعوض الله  
سيدنا البار من بيته في الأرض ، جنته في السماء

الزيات

ها هو ذا يهدج<sup>(١)</sup> في الطرق الشوكاء والمسالك  
الحصية والمزائق الوحلة دأى القدم مرتهك المفاصل  
طوى الحشا ، يبيت ليله في القرية التي تقابله في  
المساء ، لا ينزل على الممدة ولا على الشيخ ، وإنما  
ينزل على خادم المسجد أو فقيه الكتاب أو مأذون  
القرية ممن يتوسم الخير فيه ويرجو المؤاساة عنده  
وبعد عشرة أيام كاملة من السير المجهد والمثوب

الضني ، ورد مناهل الباشا في القرشية فوجدها عوج  
بذوى الماهات والحاجات من طلاب الرزق ، بين صحنى  
يقدم وصل (الاشتراك) ، وشاعر يطلب جائزة  
القصيد ، ورئيس مدرسة يبتنى نصيحاً من الإعانة ،  
ومديرة ملجأ ترتجى حصه في الوقف ، وطوائف  
مختلفات من المحتالين والمبارين والشعوذين وأرباب  
الطرق ، كل يستندي كف المحسن الكبير الذى  
يوزع ثروته تفصيلاً قبل أن يخرج الموت عنها جملة  
دخل المسافر المجهود في غمار الناس وهو أشعث  
أغبر ، فاتقته الميون ، وتدافته الأيدي ، وظن  
الحجاب والخدم أنه طالب طعام ، ولم يدروا أنه  
ركب المخاطر وتجنم الأهوال ليطلب من الباشا بناء  
الزاوية ، فدفعوه إلى رواق فسيح كمنابر الجند  
تكسدت فيه العجزة والمساكين على حال من البؤس  
لا توصف . واحتج سيدنا على هذا النمط الغريب  
من الإكرام ، وقال ثم قال ، فلم ترتفع إليه عين ، ولم  
تسمع إليه أذن . وقضى على هذه الحال الألفية بضعة  
أيام لم يفتر فيها لسانه عن الاحتجاج واللجاج في  
مقابلة الباشا ، والناس من حوله يصنعون منه  
ويعشون به ، حتى تسلف في غفلة الأيام ذات صباح إلى  
دوار الباشا فوجده جالساً في ردهة (السلامك)

(١) هدى الرجل : مشى مشية الشيخ

# الحرب والتجسس

قصة بوليسية للكاتب الأميركي جيمس جولد كوزينز  
نقله الأستاذ محمد لطيف جمعة

الغارة ، بل هو  
عقد زين جيد  
المدنية أيام حداثته  
وجناته مراع آرام ،  
ومورد عذب كثير  
الزحام ، وليالي  
حجراته مطالع أنوار  
وأكلام أزهار  
وأوكر أطياف

ومستودع أسرار . فنزلنا بيت  
من تلك البيوت اختصني به  
صديق الدكتور شارل أحد  
أطباء المدينة والشركة ، وقد أضاف  
إلى علم الطب ثروة جديدة  
باكتشافه علاجاً حديثاً لداء  
ديزير ريفوليه (١) الأليم الذي  
أعجز شفاؤه نطس الأطباء .  
ولكنه كان بين مخالب شيبوليث  
ذات الخطر . كان شارل واحداً  
من التوابغ الذين هم على جانب  
من البساطة والبله . فلما استقرت  
بنا النوى وألقينا بمصا الترحال ،  
وقبل أن آخذ بنصيبى من الهناء  
يقرب « أميل » التى أضتاني

بمدها ، ذكرت أنى تموت أن أنزل بفندق  
« ريتز » فأجد به راحتي وخلوتي وسلوى . ولما  
كنت خلقت ألوفاً لو رددت إلى الصبا ومنحت

(١) ديزير ريفوليه بالفرنسية Desir Refoulé أى  
الرغبة المكبوتة

قصة قصيرة من وضع جيمس جولد  
كوزينز J. G. Cozzens الذى ولد  
فى شيكاغو وتعلم فى قارة أوروبا  
وعاش فى فرنسا وألمانيا وتزوج من  
برئيس بومبارتن ووضع القصص  
الطويل والقصير ومنها سان بدرو  
وأدم الأخير والرجال والأخوة .  
وهو فى هذه القصة القصيرة التى  
تنقل إلى العربية للمرة الأولى يرسم  
لك التجسس الحربى كأنك تراه  
ومحلى نفسية المرأة شيبوليث التى  
أوردت نفوساً كثيرة موارد الهلاك  
بفتنتها . ويطل القصة لدينيج يلهو  
بحب الفتاة إيثيل قارة وينصب الشباك  
ليوقع بالمرأة شيبوليث طوراً ويقتطعها  
مقتبلاً حركاتها ومسجلاً أخبارها ،  
وما يزال بها حتى يعثر بها فى مدينة  
أنتيب بعد أن نجح من جبل المشقة  
على يديه . وقد نالت هذا القصة جائزة  
(اندرسون) ونقلت إلى بضع لغات

لما بلغت وصديقتى انيل  
نثر « أنتيب (١) » استقبلنا ماء  
السيم تحت أقدام البلد ، يلهو  
به الد والجزر ، فأخذنا بالجانب  
الشمالى ، وسرنا على جسر بين  
شقتين من البحر غير بعيد ، إلى  
أن رأينا قصوراً وجنات راعنا  
حسنها وزينتها ، وهى التى شادتها  
شركة « كازينو (٢) » القمار  
لوظفيتها وحفظلة خزائنها ،  
ومصارفة أموالها ، ورؤساء  
حصانها (٣) . وهى تمتد على  
طريق الراكب أو الراجل كأنها  
حتى تكامل ، من بلد عامر ، ذى  
نصيب متوافر من مفاخر فى

(١) بالفرنسية Antibes ميناء على شاطئ الذهب فى جنوب  
فرنسا على قرب من ( كان ) ومونتكارلو شهيرة بلعب قمار  
وكانت من مراكر الجواسيس الدوليين أثناء الحرب العظمى  
(٢) كازينوكو لاتينية إيطالية معناها مقر أو دار لجماعة  
وتطلق على ملاعب القمار الملحقة بالبنادق الكبرى  
(٣) حصان ترجمة لكلمة Crouhier وهو مساعد رئيس  
المالكة الحضراء لجمع نفود اللاعبين ويقسمها بين الملك وبينهم

بسواده ، ولا ألواح البلور التي دوى صوت تحطيمها  
في الجوكا أنه قصف الرعد وأطلقات المدافع ، ولكن  
ذلك الانجليزية البكاء — وقد شهد الليب يتصاعد  
من ناحيات القصر — حُيِّل إليه أنه ليست  
الأشياء المادية هي التي تحترق وحدها ، ولكن  
ذكريات شتى تأكلها النار فيما تأكل فينبعث لها  
لهيب مختلفة ألوانه متباعدة نفحاته ، فههنا ذكرى  
لثة وهناك ذكرى ألم — أوتني لذكرى فندقق العتيق قبل أن  
تقلى ؟

— ليكون وفائي لك أمتع وأعمن وأطول  
وأعرض وأجدي وأنفع !  
— إنني أتركك على مضض ، وأتظنك على نار ،  
وأصبر لك على عتاب مُبَسَّت ، فإبراء هذه الزيارة  
للمجلة وتلك اللغة المتعانة شوب من الحنان سوى  
ذكرى لاذعة من تلك الذكريات التي تتوارى ولا  
تزل ، وتكنم ولا تنفي ، وتتوص في الماء ثم تطفو  
ولا تنفك

فتحملت عتاب أئيل ولم يكن مبهمة سوى النيرة  
وأنها لأهون على من اطلاعه على السر الزهيب .  
وحاولت أن أصرفها عن طول النقاش فقلت لها :  
أندكرين ذلك القصر العتيق في وسط الطريق  
بين أورايج وتولوز ، ذلك المنفى القديم الذي قيل  
إن أحد أمراء فرنسا شاده لعشوقته من « التور »  
قالت : نعم أذكره

قلت : إنه الآن مغمر بالشمس ، مخفوف  
بصخور الجبال ، غارق إلى نصفه في الغابة يعصف  
به هواء النهار وريح الليل على مر الأسحار والأمثال .  
فلو أن ذلك الأمير الشاعر ما زال عائشاً بعد أن  
هدم الدهر صرح سعادته ، وامتدت يده العائقة

قوته وجماله وإرادته ، لفارقت شيبي باكياً عليه ...  
وقد فاتني الاستشهاد بهذا المعنى أثناء حوارى وأئيل  
عند ما قبضت على بضع شعيرات من رأسي مبتلسة  
بجريمة البياض ، في وسط السواد وقبل الألوان ،  
ولكنني أعرضت عن هذا الاستشهاد الآن لأنه  
وإن كان عامراً بروح الوفاء ، إلا أنه معيد لذكرى  
الشيب ومهدد بمفارقة الشباب وأنا محتاج إليه في  
عشرتها . فראيت أن أكرم الأمثال وأبوح برغبتى  
في قضاء حق الزيارة لذلك المنزل الذي أنست به  
وعشت في ظلاله أحياناً

فلما طرحت الأمر بين يدي أئيل الفاتنة  
وشرحت لها القصد من تلك الزيارة التي كانت  
مبتوية على رغبتى في مراقبة الجاسوسة شيوليث<sup>(١)</sup>  
قالت لي : أتفي لسكان الجرد الذكرى ؟

قلت لها : نعم إذا كان الوفاء قد غاض ، فلا  
ترجو عند أكثر الناس وفاء للود ولا وفاء للحق  
ولا وفاء للعبد ولا وفاء للذم ، فأني لا أريد أن  
أخون عهد هذا السكان الذي تحسبن أنه لا يحس  
ولا يشعر

— وماذا ترجو من الوفاء لجناد تقول إنه لا يحس  
ولا يشعر ؟

— إنه إن لم يجز على الوفاء إحساناً بإحسان  
فهو لن يجزى عليه شراً . ولم أفاتيحها بالطبع في حقيقة  
مطلبي خوفاً من إذاعة السر الذي كنت مرتبطاً به  
فقالت لي : إنك تشبه ذلك الانجليزية الذي  
وقف بيكي على حريق قصر بالور وهو لا يملك فيه  
شبراً ولا فتراً

— إنني أفهم ذاك الانجليزية وأعطف عليه  
فانه لا يبيك الجدران التي تركها الحريق متشحة

(١) اسم الجاسوسة البولية التي يتنوى القبض عليها

والشراب ونسيت الطعام، والعيشة ولم تذكري الحب؟  
قالت: النوم لأن فيه الأحلام، والشراب لأنه  
يفنى الفكر عن الطعام، والعيش لأنه هو الحياة.  
— والحياة أن تتنقظ على صوت الأمواج وتستقبل  
أشعة الشمس وأن تقنع بعشرة الحبيب في خلوة  
صحيفة بعيدة عن فضول الأوغاد من العاذلين والحساد  
والتأمين اللسنة الذين خلقوا ليكذبوا ويفسروا  
ويفرقوا بين الأجباب

كان ذلك الكوخ الأثني<sup>(١)</sup> جميلاً حقاً لأنه  
يمثل العزلة الشاء والوحدة المتكبرة المتعالية يقصد  
إليه من ريدته، ولا يصل إليه إلا من يتعب في  
سبيله. فكرة سامية عبر عنها صاحبها بالالتجاء إلى  
شاطئ البحر في سفح الجبل، فهذه الأمواج الصادرة  
والواردة تترجم بأنغام هادئة كأنها تهمس أسرارها  
في أذن الرمال الذهبية التي لا يعلم عمرها إلا الذي  
خلقها وأبقاها، وهذه الألوان النفسجية تعكسها  
أشعة الشمس وتداعبها وترقصها وتحضنها وتقفز  
عليها فتتولد منها ذرات من النور اللون تحطف  
النظرات من الأبصار كأنها لمحات الفكر في لحظة منه  
لمحات التجلي الروحي. وهنا يشعر الإنسان بأنه جزء  
لا يتجزأ من هذه الكينونة الكاملة... الله! فينسى  
الماضي والحاضر والمستقبل، وفي طرفة عين — بل في  
طرفة روح — إذا صبح هذا التعبير — يتلاشى  
الزمان والمكان

النور... نبع الفن الفياض ولباس السعداء،  
النور الذي يفرحنا ويسرنا لأنه يطابق المعرفة الكاملة  
القائمة على التأمل، والتأمل حياة الحكماء.  
لقد أدركت الأديان قديماً سر النور ولا سيما في  
الشرق فجعلت من النور « النعيم السرمدى »

(١) نسبة إلى أتيب وأصل اسمها أتيبوا أى وراء الغابة

إلى قصره، أترينه يرضن عليه زيارة كالتي جدنا  
عليه بها ضحى هذا النهار؟  
فأطرقت أثيل، وقالت: كلا! وهذا الذي  
يخيفني فأى ذكرى لك في فندق ريتز تريد أن تحبها  
وتحببها؟  
— ولا شك أنك تذكري تلك المصافير التي  
كانت ترعى بين السمن، كأن سفيرها الرقيق نفثت  
آتية من مكان بعيد، ولعلها ذكريات أعجز الدهر  
أن يحورها

— ولكن أذكرك أيضاً كيف انفرجت  
الحشائش جفأة عن حيوان ينب بين الطلول فإذا هو  
تلمب مغزع. فأنت لا تسمع دائماً صوت البلابل،  
وقد ترى أحياناً وحوشاً كلسة، حتى في عالم  
الذكريات، فلا بد لي أن أصحبك في تلك الزيارة.  
فقلت لها: حباً وكرامة، هيا بنا

وقبل أن نخطو في طريقنا وردت باسمي المستعار  
رقية من الكولونيل روكيه يأمرني فيها بالانتقال  
فوراً من بيت الطبيب شارل إلى فندق مجهول على  
شاطئ البحر، لأنكون على استعداد للانتقال  
بطريق الماء في باخرة صغيرة، وأن أؤجل تعقب  
شيوليث إلى غد. فلما علمت أثيل بتأجيل زيارة ريتز،  
كادت تطير من الفرح. وقصدنا إلى التزل الصنير  
الذى شاده شيخ فرنسي في وحدة قعساء وأطلق  
عليه اسماً مصغراً للتميز والتدليل « كابانون »<sup>(١)</sup>  
فأذكر أثيل بالكوخ الهندى الذى وصفه  
برناردان سان بيير وأعجبت الفتاة بهدونه كما أعجبت  
بقصة بول وثيرجيني. وقالت لي:

— هنا يحلولى أن أنام وأشرب وأعيش  
— ولم ذكرت النوم ولم تذكرى الصبح،

(١) Cabanon تصغير كوخ. ويصح أن يسمى كوتجاً



خفيفاً حله ، لاعباً لاهياً ، مستمتعاً بلذات الشباب  
وما الحياة إلا الشباب !

وكان مشهد إيثيل في ثوبها الأزرق النقول بلونه  
وتطرزه عن ثوب « نورماشير » حذوك الفرزة  
بالفرزة والخيط بالخيط ، وقبعها الصغيرة التي تنحسر  
عن جبينها الوضاء ، وشعرها القسطنطي الذي يبعث  
به الهواء ، وعينها العسلتين الناعستين — كان  
مشهد جمالها وشبابها ومرحها ورنات صوتها —  
يمت في نفوس الحجاز تذكر ساعات من العمر  
زاهية ، ولدات في الحياة ماضية ، وقد تكون  
الذكرى سلواناً وإن كانت لغائت لا يعود . فقد كان  
كل ما حولنا من الكون ينمو ويسم للحياة

وبعد أن أخذنا قسطنا من الراحة على تلك  
القاعد الوثيرة تجاه البحر والجبل ، انتقلنا إلى إحدى  
الغرف التي أعدت للنازلين بأعلى الكوخ الصغير  
وهي مطلة على الألب ماريتيم <sup>(١)</sup> وشاطئ الذهب ،  
ومشرفة على المدينة الصغيرة التي تبدو عن بعد  
كبافة أزهار متعددة الألوان . فكان أول ماعتيت  
به « إيثيل » تصفيف الكتب والمجلات التي حملناها  
في متاعنا ، وكان هما الثاني العناية بكنبنا المرز  
فيثفل الذي تعلق بها ، وانتقل جزء من خبه إلى  
إلى سيدته ، فهو يتبعها أين ذهبت ، وينظر إليها  
بميتين ملؤها الاخلاص والوفاء حتى ليكاد ينطق  
بمبادتها .

فلما بدلنا ثيابنا نزلنا للغداء ، وكان من سمك  
الدراك وحساء الخضضر وقاكهة ونقل ونيذ جراف  
الذي خزنه صاحب الكوخ في كهف عثيق في أحد  
بيوت أنتيب القديمة ليكسب للده القدم ، وصفاء  
اللون ولذعة « باكوس » ذات النشوة الدهشة  
ولسا أن فرغنا من غداثنا « التنسكي » <sup>(٢)</sup>

(١) سلسلة جبال (٢) نسبة إلى التنسك

وخلفت « هرمن » الفارق في النور الصافي ؛  
وأهمان الفارق في الظلام الأبدي  
وكنتم صامتاً فأخذت إيثيل بيدي وسألني  
عن تفكيرى فقلت لها وأنا أنظر في عينها :  
— أفكر في الجبال وهو الشعاع الأول من هذا  
النور السباوي ، وهو الرسالة السامية الموجهة إلى  
هذا العالم الأرضي من الذي قال للنور كن فكان ،  
والذي خلق الإنسان وجعله أجل للكائنات وجمل  
المرأة أجل من الرجل وجعلك أجل للنساء !  
فصحكك إيثيل وقالت :

— هل هذا الذي يشغل بالك ؟  
قلت : نعم ، لأنني حين أرى بجانب نظام الوجود  
إنما أعيد صورة أجمعها في عقل ، وإنني إذ أجل هذه  
الصورة أستطيع أن أدمج في الطبيعة وأسمها  
هامة فأفسر همها وأصبح بها : « هذا الذي حاولت  
أن تقول » إن الطبيعة نفسها تستطيع أن تفهم  
نفسها والعقل لا يفقه إلا العقل ، وحين يتم الفهم  
لا يبق من كل ما يشغل العقل أو يستهويه سوى  
شيئين : الحب والجبال ، الحب أولاً لأنه هو الأعم  
الأثمل ، والجبال ثانياً لأنه أحد مظاهر القوة التي  
تربط المابد بالمبود إلى الأبد ... إلى الأزل ...  
وفيه تنطوي أسى معاني الخلود والبقاء

— ٢ —

البحر والنور ، وموسيقى الأمواج ، وهبات  
النسيم ، والقاعد الوثيرة ، والحرية المطلقة ، والوحدة  
المهامة ، تلك أدوات الحياة في « الكابانون » وتلك  
هي التي تحبها إيثيل ، وكنتم لم نكن الضيفين  
النادرين اللذين صادتهما بحسن ذلك الكوخ فقد  
كان هناك نساء ورجال بلغت بهم السن ذروتها  
فهم يؤثرون أن يقضوا أياماً بين المياه الصافية والجبال  
العالية يتلهون عن أفعال الشيخوخة بمشهد الشباب

ضميرها ، وتهديم نفسها ، مذ كانت أنفاسها معدودة وحفرتها معدة ، وهلاكها حقيقاً . أئذ كبرن تلك المرأة التي أظهرت الصحف صورتها وسجلت أسماءها وألقابها ووصفت ماضيها وأوردت أخبار أهلها وذوها ؟ ولا يزال بعض الناس ولا سيما الذين تناولوا على إلقاءها من برائن الكولونيل فودرويان<sup>(١)</sup> محتفظين بقصاصات من تلك الصحف ومثل من صورتها ناطقة وهي لا تختلف كثيراً عن حاضرها . كانت تلك الخواطر تجول بنفسي عند ما تأهينا للزيارة ولم تتخذ إثيل زينة نادرة ولم تتحل بشئ من حلها الغالية ، وقد قمعت بلبس فستان بلون البن المطحون ، وجملت حول عنقها عقدًا من اللآلئ الصغيرة له واسطة من حجر العقيق عليه نقش حمامة ، وتقيمت بقلنسوة من لون الثوب مقصوفة على شكل جناح الطير

فكانت لها تلك الروعة الغريبة التي تعبر عن الجمال وشدة الجاذبية  
وأمسى منظرها مشبعًا بالأحلام والسحر فبعت في نفسي نشوة غريبة وفيضًا قويًا ، وأخذت أسأل نفسي :

— ألها هذه السكاة من نفوس الآخرين ؟ فإن كان كذلك فويل لي ، فإن كل الرجال يشفقونها ، وويل لها لأنها سوف تمتلئ فريسة الاستهواء والغواية ، وهي مصدر تلك اللذة المجهولة التي يبتغي سحرها من نظراتها ومن صوتها على هذه الحياة التي تعجز أداة التصوير عن أداء بعض حقيقتها . انتقلنا إلى فندق ريتز ، فوصلنا بعد أن عدنا أدراجنا على جسر البحر وتوجهنا إلى يسار خط الحديد ، وكان

وجلسنا نشرب القهوة بلفتى البرقية التي كنت أنتظرها ، وفيها الأمر بمراقبة شيو ليث فأردت أن أذكر إثيل بزيارتنا لفندق ريتز

وكانت أتيب في تلك الفترة كمدينة ييارتر ، مستقر التجسس البولي يصلها في كل قطار أفراد وجماعات من كل جنس ولون ، يجتمعون ويتفرقون ويتبادلون الأسرار ويدونون ما يصلون إليه من الأخبار بأنواع من اللغات المرمزية ، وكلامهم خبير بفته ، دقيق في عمله ، حريص على الكتمان ، ولا سيما النساء منهم اللواتي كن منبع الفتنه وعش الدعارة ، ووكر البلاد ، ومتابع الدماء ، ومتاب الردي ، ولا سيما أولئك النسوة اللاتي اتخذن أتيب وبلدة « ييارتر »<sup>(٢)</sup> وكان ونيس<sup>(٣)</sup> صرعى لناغم الشر حتى وصفها « بمباجيه » رئيس الخفية الفرنسية بأنها مدن عشش بها الشيطان وضرب فيها قباهه ! ومن أشهرهن تلك المرأة التي اعتقلت في وكرها كالأفي الطيبة ، وسلط عليها سيف المجلس العسكري يرأسه الكولونيل فودرويان . فكانت تصافح الموت وتمتنق قبراً مجهولاً في ضواحي مونكارلو لولا أن رجلاً صحيح النية ، خالص الضمير ، ظن نجاتها تورثها التوبة فتسلط بدموعها دماء إساءتها فتصق على ما كان من جرمها ، وتقلع عن مزج خبزها بدماء ضحاياها ، فتدخل في الأمر وتوسط وتشفع وتوسل حتى خلص عنقها من الجبل الذي قتلته بسوء فعلها ونسجته من خيوط شرها ، فسا لبثت أن فازت بجملها حتى رجعت عن توبتها ، وتكسعت على عقبيها ، ولم تذكر تذللًا وانهبًا

(١) مفتي جبل على شاطئ المحيط الإطلنطي من أعمال إسبانيا

(٢) مثال ييارتر ولكنها فرنسيتان على البحر الأبيض

(١) نشر الكولونيل برافوم ديلاغرييه مذكراته عن أسرار الحرب العظمى وأغاض في سرد هذه الحادثة ( مطبعة كوندورسيه باريس )

تصطك ، وقد رجعت إلى الوراء كأنها حيال أفعى  
قائلة من أفاعي الهند الصاعقة الساحقة التي لا ترحم  
بشراً ولا تخشى وحشاً كبيراً

فنظرت ورأت فإذا بها ... المرأة ... شيوليث  
اليهودية الحسنة الملعونة التي كان لي معها تلك  
الفاجعة الأليمة منذ عام .. وكانت اختفت عن الأنظار  
واقطع ذكرها على الألسن والأسماع ، وظنت فئة  
من الذين يحسنون الظن بالأقدار والأيام أنها قضت  
فيمن قضى في كارهة البخارة «دياريم» التي غرقت ،  
أو أنها بجمت نفسها ندماً وجزعاً من الصورة التي  
تركت عليها ضميرها بعد اتصالها بكل رجل من  
الرجال الأربعة أو السبعة الذين كنت آخرهم .  
أو أن شهماً من هؤلاء الفتيان الذين يقضون  
الكرامة على الهوى ويجعلون القضية أولاً والشهوة  
في المحل الثاني قد طمئنا بخنجر أو أفرغ في جلدنا  
الشيطاني درهما من الرصاص السم

ولكن لا ! لا هذا ولا ذاك ولا تلك . وهامى ذي  
شيوليث اللعينة مائلة أمامى ، شاخصة إلى يبصرها ،  
محدقة في وجهي بعينيها الساحرتين ، ثم قلب أحفائها  
في إثيل ، وهي محرق الأرم وتكاد تنشب فيها  
أظفارها لتفترسها لغير ذنب سوى أنها رأها في  
صميتي وأنا تلك الضحية الوحيدة التي أفلتت من يدها  
ونجت من حبالها بمعجزة إلهية . ولعلها شعرت  
بغريزتها الشيطانية أن أوان الانتقام والعقاب  
قد حان ، وأنها إن خلصت من حبل المشقة بالأمس  
فلن تنجو اليوم أو غداً . وقبل أن يفيق الدكتور  
شارل من دهشته بلقائى ، أو يختم صيغة الترحيب المتفق  
عليها بين أفراد تلك الطبقة بادرت إلى تنفيذ عقد  
سرى متفق عليه بيني وبين الجاسوسة شيوليث ،  
خبيتها كائى لا أعرفها ، وقبلت يدها على ما يقضى به

الفندق حافلاً بالأضياف الذين انتشروا في ردهاته  
وشرفاته وحول شجيرات حديقته المصفرة التي كنت  
أشبهها بمحديقة ليلبيوت<sup>(١)</sup> . فكان نصيب إثيل من  
نظرات الرجال والنساء ما كان بين حاسدة وإياها  
وحاسدى ، ولكننا كعادتنا لم نبال ولم نمر أحداً  
التفاتاً ، لأن معظم البلاء في اعتداء الناس عليك ناتج  
من تشجيعهم بالنظر إليهم والاكتراث بهم . وقديماً  
قالوا : « من وطنه الأبصار وطأنه الأقدام ! »  
فكان لهذا التساى عن الناس أثره الطيب في حمايتنا  
من الناس .

وقد اتخذنا مكاناً قصياً وأخذنا نرقب المارة  
ونتبع بأنظارنا باطرات البخار في رواحها وغدوها  
وأستعيد بمفردى ذكرياتى ، وإثيل سامتة في حيرة  
من أمرى : أرى أنا من حب النساء كما ادعى أم  
عج قديم جئت أحج إلى كمية غرائى الذى تحطمت  
أصنامة رغم أنى ؟ ولكننى كنت بمنجاة من سوء  
ظنها ولو قليلاً لأنها قبلت الاقتراح في اصطحابها  
زيارة هذا الفندق الكبير

— ٣ —

ولم نوشك أن يستقر بنا المقام ونختس الحسوة  
الثالثة أو الرابعة من الشاى حتى دخل الدكتور  
شارل صاحب الفضل الأول والآخر ( إلى يومنا  
هذا ) في اكتشاف العلاج لداء ديزر يفويليه الأليم  
ومعه امرأة لم أتبينها في أول الأمر . ولكننى عند  
ما تحققت شخصيتها أدركت سر الأمر بانتقالى من  
دار ذلك الطبيب . ونظرت إلى إثيل فاذا لو أنها تمتنع  
ووجهها باهت ، وقد تقلصت عضلات الابتسام ،  
واصفر الأنف وارتعشت الأطراف وكادت الأسنان

(١) يشير المؤلف إلى شعب الأقزام الذين لديهم جولييفر  
في أول أسفارهم

على موجدة ، قفلت للبرأة :  
 - أى نعم ! ياسيدتى ، أذكر لقاءنا الأول  
 على شاطئ كان ، وإقامتنا في موتسكارلو ، فقد كان  
 لقاءً موفقاً وإن لم تكن على موعد ، وإقامتنا السعيدة  
 وإن كانت قصيرة الأجل قد انتهت بطول الأجل  
 لبعض الناس !

فقلت : ما زلت أترصد ورود كتاب وأترقب  
 بلوغ خبر منك ، ولكنك أغفلت ذلك ولم تحفل  
 بما كان بيننا من مودة

فنظرت إلى الآنسة إثيل وهي مصيخة  
 للحديث مصنية إليه واعية لكل ما فيه فاذا نفسها  
 قد نهضت وفارت

وكان الدكتور شارل أخذ يحيي إثيل ويرحب  
 بها وهي عنه لاهية لانتعير أذنا

فقلت : لأن تلبثت ياسيدتى في الاتصال بك  
 بالبريد الجوى أو السريع أو للتباطى فليس معناه  
 أننى نسيك أو تهانوت في شأنك . وما كان  
 أحوجنى في تلك اللحظة المسيرة إلى مداراتها  
 ومساهاها

فلم تفتها غائبي من تطلقى بها وعلمت أننى  
 لا أفعل ذلك إلا حرصاً على كرامة الفتاة التى مى  
 وطهرها وعفتها وأدبها

فقلت : من الناس من يكفر نعمة الاخلاص  
 وينمط إحسان الوفاء ، ومن هؤلاء من لا طاقة لهم  
 بالقيام بحزمة الصنمية

فقلت في نفسى : « لا طاقة لنا اليوم بمحاول  
 وجنوده » وما هذه المرأة إلا روح متمردة متقصصة  
 من أرواح هؤلاء الجنود . وقلت لها : صدقت !  
 وبدأت أنظر إلى الدكتور شارل الذى كان يشرح  
 لإثيل أعراض الداء الذى وفق إلى علاجه وأنا

ذلك العرف السخيف المحبوب إلينا من روسيا  
 القيصرية والمحبوب لدينا بعد أن استمرأنا طراوة  
 الألف الناعمة والأنامل اللينة

وفي الحى أننى عند ما قال الدكتور شارل « مدام  
 راشيل لوكمبرج » حدثتني نفسى بأن أقطع يدها  
 بأنبأى قبل أن نهشها بأنبأها . وقد أطلت القبله  
 وأحسست برد يدها وأحسست هى أن شفتى تنفرجان  
 فسارعت بسحب يدها باسمة بفمها وهى تنثر الشرر  
 من عينها

وقد كان بالى منشغلاً بانتمها الجديد المستعار  
 وبالصدمة التى سوف تصيب الطبيب عند ما يقف على  
 حقيقتها ؛ ولم ينهينى من ذهولى إلا قولها لى : « طالما  
 اشتقت إلى رؤيتك بعد لقائنا الأول على مقربة من  
 هنا في مدينة كان ، وإقامتنا القصيرة في موتسكارلو .. »  
 وكان الدكتور شارل لاهياً عناً في تلك اللحظة  
 كعادته عند ما يستغرق في أفكاره التى تدور في  
 ذهنه حول العلاج الجديد الذى اكتشفه لمرض  
 « الدير ريفولىه » فلم يسمع إلى ما قالته مدام  
 شيبوليث ولكن الآنسة إثيل نظرت إلى نظرة  
 إدراك وعتاب

ففهمت أن رؤيتها استتارت في قلب شيبوليث  
 دفين حقدتها وهي امرأة تفل في قلبها مراحل المداوة  
 والحسد والبغضاء على الرغم من جمالها وذكائها وفطنتها .  
 وأعلمها ورثت من أهلها من الحفاظ ما يحلل حقدتها  
 على الدنيا بأسرها ؛ فلما هاجها تبجها ورأيت ما يعقب  
 ذلك من سوء الأثر في نفس الآنسة ، حاولت باللطف  
 واللين أن أستل سخيمة قلبها وأطفي نار غضبها  
 لأننى عرفتها بذينة اللسان سبابة قوية في التميزه ،  
 فأردت أن أتى قوارصها ونوافدها ، فلم أجدر عرجاً  
 بغير مجاملتها وملاطفتها وإن كنت لا أصبر للآنسة

واستمددت له وإن كان حياء البنت وخفرتها يموقفي  
ويلجئني ويقدد لساني  
فقلت : أُنذركين يا سيدتي الجواسيس ، ولا  
سبيا الذين حكم عليهم بالاعدام في موتكارلو في العام  
الماضي ، من هلك منهم ومن نجا ولو إلى حين ؟  
— ٤ —

فاصفرت شيوليث ، وارتعدت ، وجد الدم في  
عروقها ، ولغثت ، وضاق نفسها ، واختنقت  
واكفهر وجهها وتجهمت ، وانسمت حدقة عينها  
اليسرى ثم ضاقت كالسنور الذي يثور قبل أن يهاجم  
جرذا ، أو كالأفعى التي توشك أن تنفث سماً لتلسع  
مهاجماً ... ثم ملكت ناحية غضبها ، وربطت حزمة  
أعصابها بسلك من فولاذ إرادتها وكظلمت غيظها  
وقالت :

— تدهشني قوة ذا كرتك كأنها بر عميق  
لا ينضب ماؤه !

— أو جُيب مظلم يخفي في جوفه أشلاء أشرار ،  
وجاهج نجار ، وهياكل قتلى الغرور والنيمة  
فالتفتت شيوليث نحو الطبيب الذي مازال ساهياً  
لاهباً كالأصم وسط الممركة الحامية تستنجد به  
لينقذها من المازق الذي ألقت بنفسها فيه ، وقالت :  
هذا الشاي قد برد ، والزبدة تجلثت والرني تحول  
لونها والخبز المقدد تقلصت خرومه حتى عاد كالأسفنج  
القديم !

فألقي الطبيب نظرة زاهدة على المائدة ، وقال :  
— أنت تعلمين أن الشاي يئبه أعصابي ،  
والزبدة الثلوجة المزوجة بمحض البوريك (١)  
تسمى ، والرني يزيد مقدار الجليكو في كبدتي ،  
والخبز الموء بالسم يؤدي لطحلي

(١) قد أثبت التحليل الكيميائي أن هذا الجنس يضاف  
إلى الزبدة ليحفظها من الفساد

أنهز فرصة للفرار من هذا الميدان ، فان المرأة توهمت  
أنني صرت في ملكها وأنها تسترقي وتمتدني  
لأنني أريد ألا تستطرد في حديثها بمسمع من  
الآنسة . وإذا أنا أفكر في وسيلة الهرب من تلك  
المرأة أراها محجج في وتدقق النظر في وجهي كأنها  
قرأت في صفحته أنني أحمل في هذه المرة نذير  
هلاكها وأربص بها الدوائر

فقلت : أوه ! أوه ! يا موسيو لودفيج لقد  
وخطك الشيب ، وقلب لك الزمان الذي كنت  
لا تبالي به بحمته ، فهاضك من نصارة عودك ذبولاً  
ومن سواد فوديك قتيلاً  
فقلت لها وأنا أأحرق الأرم :

— نعم ما من رجل إلا تقص الدهر زمرته  
والآن عريكته . تلك سنة الطبيعة ، وقد ودعت  
شبيبتي التي طارت وداع محب هادئ لم يطر الفراق  
لبه ، ولم تعصف بمقله رياح البضواء والهجر  
والقطعية ، فلم أشعر قط بالاختناق والخمية  
— الأمر ظاهر فانك لا تترك فرصة حتى  
تنهزها ومثلك إذا واطب على الرقص على هذا التوقيع  
لا يهرم ولا يحدودب حتى إذا لفعه الشيب ووخزه  
الكبير وأكل عليه الدهر وشرب

وكان النيط قد بلغ من الآنسة ومنى مبلغه  
ولكنني أنفت أن أسلم لهذه المرأة بالهزيمة قبل  
القبض عليها فضحكت وقهقهت لعل أفيق ذلك  
الطبيب الفارق في دأبه ودوائه ، ولكن هذه الاستغاثة  
ذهبت أدراج الرياح . وكنت أظن أنه أعز جواراً  
وأمنع مزاراً ما رأيت ، ولكن المسكين كان كالسكران  
بمحرة كشفه عن أسباب الداء وأبواب الدواء  
فصحت عزيمتي على أن أختفها بوترها وأرميها  
بمحرجها وأرد كيدها في محرجها وعجزت لذلك

المرضعات . أليس الأمر ما أقول يا موسيو لافيج ؟  
أو أنك تحسبها طفولة ثانية وأنتى أقصم الحلقى  
بالأسنان الخضر ، ولا أعلم بعد علم شيئاً كما وقع  
لصديقك هاجنيك قبل أن يلحق بأسلافه . وكان  
هاجنيك أحد جواسيس الألمان الذين أعدمهم  
الفرنسيون ، فضحكت فحكة الانتصار وضحكة التلذذ  
بجدبها البشوة في جوانبه النكتة الفاحشة والمفارقة  
الطريفة ، وأدركت أنها تريد مهادنتي ( أما المصالحة  
فلا ! ) بإدخال السرور على نفس الأنسة التي لم يكن  
بينهما ثار ولا ضغينة مبيتة ، فلم أنشأ أن أنفخ في  
نار عدائها التي أوشكت أن تصير ماداماً ولو إلى حين  
وتركت عنانها على غاربها وأرهقت أذني لا تكون  
رقيقاً على قولها ، وتظاهرت بالانشغال عنها بمحدث  
صاحبها الطيب الذي لم يكن شيء يستهوي ويملك  
عليه مشاعره غير الأدوية النادرة والمال المحببة  
والأدواء الغريبة . وفي تلك اللحظة جاء أحد الخدم  
برسالة إلى شيبوليث يحملها في طبق من القصة . فا  
لبث أن قضتها حتى عبت ، ثم ابتسمت تصمتاً  
لتندارى علة عبوسها ، ونهضت معتدرة . نطقت أن  
يكون شريك يقظ من أفراد عصابها الدولية قد  
أنذرنا وحذرها وأنها مولية الفرار قبل أن أتمكن  
من أداء واجبي الذي ينحصر في تضيق الخناق عليها .  
واتهزت إيثيل هذه الفرصة ودنت مني وقالت :  
— هل عرفتها من زمن طويل ؟  
قلت : من هي ؟  
قالت : تلك التي لا أحب أن أسميها والتي تنتظرها  
بقارغ الصبر . فقلت بيني وبين نفسي : لقد قلت حقاً  
ولكن لست أفسره . ثم خاطبتها :  
— آه تقصدين لا ريب إلى شيبوليث  
— لم أستطع قط أن أنطق باسمها

— ولم إذن طلبت الشاي المستوفى ؟ ( تيه  
كوبليه )  
— لأجل ضيوفي ولأجلك  
— أنظرن أننا نسيهدف لأخطار تلك اللعل التي  
أجدت سردها وأحسنتم تشخيصها ؟ إنك كرب  
الدار الذي يقدر في طعامه ليمسك المدعو عن الأخذ  
منه ! فقالت الأنسة آيدا :  
— ولا سيما وقد غابت الشمس وجنحت  
شيبوليث — وما لنا وغياب الشمس وحساب  
الساعات ونحن وأتم في زهرة ! فقال الطيب :  
— هل الدهر إلا ليلة ونهارها تقضيها في  
العمل واللعب ؟ وهل الحياة كلها سوى طلوع  
الشمس ثم غيابه . فأجابت الأنسة إيثيل :  
— لقد أتينا في شباب النهار ، ولم نأخذ قسطنطا  
من الراحة وقد مال ميزانه  
شيبوليث — أية راحة تصمد لقاء الأصدقاء  
ومسامرة الأصحاب  
الأنسة — ولكن هذه القطر الرائحة النادية  
غير منقطعة تؤذي سمى ، وتهز أعصابي ، ولا أظنها  
إلا فاعلة بك وبالسيدن ما أحسه وأستشعر به  
— أما أنا فتعودتها ، وصار يحاول أن أرقبها  
وأعدها وأنظر إلى سيول الناس منهمرة ، تدخل  
وتخرج ، وتصبعد وتهبط ، ويحتمع وتنفرق ، وتدفع  
وترابط كلما فتحت بوابة المنزل وأقفلت ، كأنهم  
وكانها قناطر للماء أو نبض الحياة ، وحركة السكون .  
وكنيت لأول عهدي بالإقامة في هذا الفندق أحلم  
في نومي بالقطار وصغيره وهزته ورجته وهرج الحطة  
وصرجها ، وأفزع أحياناً من رقادى على صوت  
قادم أو استعداد راحل ، ولكنني صرت الآن  
أطمئن تلك الضوضاء اطمئنان الطفل إلى أغاني

فضحكت وقالت :

— ما أصدق وصفك ! سواء أ كان ليشى  
بروهمان فاوست أو مفستوفانه كما وصفته وأذكر  
من كلاته في زوجته قوله : « إن الحكمة تتدفق  
من شفيتها كاسمها ، حقاً إن دم إسرائيل الزكي  
ليجري في عروقها »

— قلت لي إن اسمها « سنبله »

— ومعناه بالعبرية غدير أو نهر ، فكان الرجل  
غارقاً بين السنبله والغدير ، وكان على الرغم من حبه  
ليأها وإعجابها به وبدنها الزكي يعلم أنها عريقة في حرفة  
الزوجة بصيرة بأنواع الأكاذيب التي تخرج من  
الوروط وتنقذ المرأة الكذوب من أخرج المأزق  
— فضحكت عابداً وقالت :

— لعل عشيرها الحاضر الدكتور شارل يستنبط  
دواء يتجرعه الرجل فينقاد لزوجته انقياداً أعمى ثم  
يقنع الانسانية المنظمة للانقاذ على يديه بأن الحضارة  
لن تبلغ شأوها الأعلى حتى يصبح للزوجات الأمر  
المطاع . وفي تلك اللحظة عادت شيلويلث فابتسمت  
لأميل وقالت لها :

— ما أجلك وأذكاك ! لقد أحسنت الطبيعة  
إلى الدنيا بك وبمبيلاتك ، ألا إن الروعة والجمال والفرح  
لن حبتهم الطبيعة بالادراك ، ففهموا سرعة الدهر  
وقوة سيره وكر الغداة ومر العشي ؛ أما الندم  
والحسرة فللذين لم يدركوا ، فتباطؤوا

الأولون علموا أن تحصيل اللذة الراهنة غاية الحياة  
ومرماها وهدفها ونهايتها ، والآخرون هم الذين  
توانوا وتمسكوا بالفضائل فانتظروا حتى أفلت الزمان  
وانفلت الأيام من بين أيديهم ساخرة من تهاونهم ،  
فلما انتبهوا كانت الفرصة الذهبية قد غادرتهم صرعى  
الهموم والندم

— إنه لفظ عبري ورد في التوراة معناه سنبله  
وقد اتخذته الحارثيون من بني إسرائيل كلمة سر  
أو جواز مرور ضد خصومهم في بعض وقائعهم  
— وكيف وصلت هذه التسمية إليها ؟

— هذا ما لا علم لي به

— كيف عرفتها ولم تقف على سر اسمها ؟

— لم تصل الودة بيننا إلى هذا الحد

— وكيف تنار مني عليك إذا لم تكن مودتك  
منعقة كهذا التبدل على الأقل ؟ قلت : عرفتها جاسوسة  
وعرفتها زوجاً ليهودي اسمه ليشى برهمان كانت تعنفه  
في الصباح والمساء تريد أن تسيره في الصغيرة والكبيرة  
كما تشاء وتهوى

— هذا لا يدهشني فقد زودتها الطبيعة بلسان  
أحد من السيف ، وإرادة قوية كالقولاذ ، وذكاء  
نافذ كالسهم المسدد ، وقلب يفل بالنيظ والحدق أين  
منه مراجل البخار

— إنك تصفينها كما لو أنك عرفت ما منذ أعوام

— وهل كانت محبوبة لدى زوجها ؟

— نعم كان يحبها ويتفانى في رضاها ، فإذا  
هاجت عليه وأنشبت أظفارها به وساقته بلسانها يتمتم  
قائلاً : « لا بد لكل نعمة من آفة ، ولا بد دون  
الشهد من لسمات التحل »

— لا أظن زوجها رجلاً كالرجال

— كان كهلاً قصير القامة مستدير الوجه قد  
طغى الشيب على رأسه الضخم ولحيته الكثنة وحاجبيه  
البارزين التهاوتين على عينييه فهما حدة وبريق كأنهما  
سراجان وهاجان أنبهما نور الكهراء ، وفي جبهته  
الواسعة العالية أسطر مستطيلة عميقة متوازية كأنها  
نقشت بيد راسم لا يخطئ في مد الخطوط المستقيمة  
— كأنك تصف فاوست الحكيم قبل أن يبيع

قلبه إلى الشيطان

هاديء ، ولكن له ضمير آ وكرامة ؛ فلما هاجته وادعيت أنه نائم ككلب أهل الكهف اتبته ليثبت لك وجوده الأدبي ؛ وليس للكلاب وسيلة للتعبير عن أفكارها غير هذه . وفي الأمثال القديمة : لا توقظوا الكلاب النائمة

شبوليث — وقالوا : على نفسه جنى غليوم تل ، لأنه استهدف للأخطار باختياره

— ولكن كلبنا اسمه فيثفل ، وخير لنا وله أن نمود إلى حواري الهادي . كنت تقولين إن الضمير يتمثل إذا اتجهت نفوسنا إلى الخير المحض ، ولكن الخير في نظرك أمر اعتباري ونسبي فلا يمكن أن نضغه بالضمير . وخلاصة القول في هذا البحث اللذيذ الذي أثرت ربحه على غرة منا ومن كلبنا أن الإنسان لا يميل إلى الخير دائماً ولا إلى الشر دائماً ، وأن الضمير يحتاج إلى حكم العقل أولاً ليستيقظ ، لأن الحكم على ما يتفق والفضيلة أو يخالفها يحتاج إلى ميزان العقل ، والعقل يحظى ويصيب بالنسبة للزمان والمكان والأفراد والجماعات ، كما أن العقل خاضع لقانون الوضاعة وقيد التقاليد وأغلال العرف والقوانين الوضعية ؛ فإذا خضع الضمير للعقل أسى عرصة لتضارب أحكامه فتجهم وجه شبوليث ثم استدركت خلفها فبدت ودعتا للشاء فرجوت إيثيل أن تخاطب إدارة فيدقنا في الاعتذار ، ولم يكن مقصدي إلا أن أبعدنا عن حلبة المعركة فانفلتت في الدخل وقالت شبوليث :

« قيود » التقاليد و « أغلال » العرف ! مادخل القيود والأغلال ... ؟ أتكون في هذه المرة ؟ ولم تكذب تنهني حتى أحاط بها رهط من رجال الخفية الحربية يقودهم كولونيل « لاروك » نفسه ،

فدهشت إيثيل من روح الإباحة في حديث شبوليث وقالت : في اعتقادي الذي يحلو لي أن أتبعك به أن الواجب يقضى علينا أن نكتم أنفاس اللذة الشريرة على قدر الطاقة وأن نشجع اللذة الخيرة .

شبوليث — إذا فعلنا هذا محونا الضمير وأسقطناه من حساب عقولنا ، ولا شك في أنه يموت من تلقاء نفسه بتعطيل وظيفته لأننا مادنا لا نستحي إلا الخير ولا نقصي إلا الشر فإن الضمير يستغرق في نومه كما استغرق هذا الكلب الجليل تحت قدميك أننا مطمئناً ، لأن الحاجة إلى يقظته ومراسته معدومة ، والضمير كلب الحراسة الذي ينهض كلما وجد داعياً ليقتله

وفي تلك اللحظة حدث أمر غير متظر ، فإن شبوليث لم تكذب تفرغ من ذكر الكلب الحارس ويقتله حتى نهض فيثفل ونبح في وجهها نبحة حادة شرسة وأخذ يهتز بالغيظ وهو يوشك أن يهاجمها . ففرغت المرأة وجزعت وأخذتها رعدة الخوف وتناولت قدام من الماء ورفعت يدها لتقذف به وجه الكلب الأمين ، ورأيت الغضب يرسم على وجه الأنسة ع كما ارتسم الرعب على وجه المرأة . فقبضت على معصمها وقلت لها : حذار أن تفعل شيئاً بطيش حلم الكلب فلا تقدر على حمايتك منه . وخلصت القدرح من أناملها التي استأنت عليه فقالت : — لم يخطر ببال أنك تصحب كلباً مستوحشاً غير مكتم لتجسه على مهاجمة أصدقائك . فإن التسلح بالكلاب الشرسة الغليظة علامة على الخوف الذي يخالج قلوب أربابها

قلت : أنت مخطئة يا عزيزتي فإن كلبى وديع



وعادت إيثيل والكلب في أثرها . فأشرت إليها  
بألا تتقدم خطوة ، خشية أن تبصر بجثة الطبيب  
الذي كان يتحدث إليها منذ برهة وصار الآن يتخبط  
في دمه ، فسألتني وهي لمحي :

أسمعت طلقة المقذوف ؟ وأجبتها متجاهلاً : أي  
مقذوف ؟ لعلها فرقة إطار المطاط في عجلة لسيارة  
جاجة ... وهرولت إليها قائلاً :

« لم يبق لنا إلا أن نقضي أيام الراحة بعد التعب  
في فندقنا اللذيذ نداعب كلينا الأيمن فيفعل ، فهيا بنا ! »  
فقلت : أين شيوليث والطبيب ؟

قلت : لقد انطلقا في غيبتك إلى حيث تلقى هي  
جزاء شرها ، وباقى هو جزءا خيره ...  
نمر لطفي بمجمع

وسرعان ما أخرجت من حقيبة زيتنها الثمينة  
مسدساً أبيضاً من الصدف النزل بالفضة وصوبته إلى  
صدرى وأطلقت ، فأنجحت ومرت القذيفة فوق  
هامتي واستقرت في ظهر الطبيب الذي كان لاهياً  
في تشخيص المرض الذي اكتشف دواءه . ولكن  
الشرطيين قبضوا عليها وكبلوها بالأغلال والقيود  
فقلت : لست جاسوسة . أنا بريئة . هذه وشاية  
دنيئة وبلاغ كاذب . فقال لها الكولونيل وهو  
يدس يده في ثيابها : ان لم تكوني جاسوسة فأنت  
قاتلة . وها هو ذا قتيك الدكتور شارل يشهد عليك  
دمه بأنك لا تؤذين إلا الذين يحسنون إليك .  
وساقها الجند إلى سجن أنتيب حيث سبقها زمرة  
من شركائها في انتظار المحاكمة أمام المجلس الحربي الأعلى

أتقوا بالحج إسلامكم ، وبالعبرة إيمانكم

وبزيارة النبي الكريم إخلاصكم

فقد توفرت لكم جميع وسائل الراحة

على الباخرتين

زمزم و كوثر

اطلبوا الاستعلامات الكافة من

شركة مصر للملاحة البحرية

« أشكر لك  
كرمك ياسيدي ،  
ولكنني دائماً أقضي  
هذه الليلة في بيتي »  
ف نظرت الفتاة  
إليه وابتسمت  
وقالت : « مع  
من ؟ »

# الأم البيضا

للكاتب الروسي تيودور سولوجب  
بقلم الأستاذ عبد الحميد حمدي

فأجاب ساكساوولوف وفي صوته أثر دهشة  
خفيفة : « وحيداً »  
فقالت السيدة جوروديشيف وقد ابتسمت  
ابتسامة مررة :

« يالك من عدو للبشر ! »

لقد كان ساكساوولوف راضياً بحياة الحرية التي  
يحياها ، ولقد كان في بعض المناسبات يسأل نفسه  
متعجباً كيف أوشك مرة أن يتزوج ! فلقد  
أصبح الآن ألوفاً لبيته الصغير الموثق على طراز  
جدي ، مستأنساً بمجادمه الخاص الشيخ الرزين  
« فيدوت » وبامراته « كريستين » التي لا تقل  
عنه شيخوخة والتي كانت تطهى له غذاءه . وكان  
مقتنعاً جد الاقتناع بأنه لم يتزوج لأنه أراد أن  
يعيش وفيّاً لجه الأول . وفي الحق أن قلبه قد برد

من أثر ما تعود من عدم الاكتراث الناقص من  
حياته المنعزلة التي لا ترى إلى غاية معينة

كان ساكساوولوف ذا ثروة مستقلة ، فقد مات  
أبواه من زمن بعيد ولم يكن له من أقرب على  
الاطلاق ، فكان يعيش عيشة مأمونة رخيصة هادئة ،  
وقد اتصل ببعض المتدببات المشتغلة اشتغالاً جدياً

اقترب عيد القيامة ، وقد أصبح « إسبر  
كونستانتيونتش ساكساوولوف » قلق النفس  
متعجباً ، منذ اللحظة التي سئل فيها — وهو في بيت  
جوروديشيف : « أين تقضي ليلة العيد ؟ »

ولأمر ما أبطأ ساكساوولوف في الإجابة على  
هذا السؤال

فقالت ربة الدار ، وهي سيدة بمشوقة القوام ،  
ضعيفة البصر ، ثائرة : « تعال فاقض ليلة العيد  
عندنا »

واضطرب ساكساوولوف ، فهل كان اضطرابه  
من حركة الفتاة التي ما سمعت كلمات أمها حتى  
رمقته بنظرة خاطفة ، ثم لم تلبث أن حولت عنه  
نظرها بسرعة ، وهي مستمرة في التحدث إلى  
الشاب مساعد الأستاذ ؟

وكان ساكساوولوف فتي « مناسباً » في نظر  
أهله الفتيات الناهديات ، وكانت هذه الحقيقة  
من أسباب حيرته وضيقه ، فقد كان ينظر إلى  
نفسه كأعزب عجوز وإن لم يكن قد جاوز السابعة  
والثلاثين من سني حياته . ولقد أجاب على دعوة  
السيدة بقوله :

سا كساولوف يرى في عينها أمارات الحب الصبي ،  
إذ كان يبدو فيهما بريق لطيف كلما رآه ، وكانت  
وجنتاها تصطبغان بالحمرة الخفيفة

ولكن في ليلة لن تنسى ذكرياتها أبداً ، أصفت  
الفتاة إليه وكان ذلك في طليعة أشهر الربيع ، ولم يكن  
قد مضى وقت طويل على ذوبان الجليد فوق النهر  
وعلى اكتسب الأشجار أثوابها الخضراء الناعمة ،

وقد جلست تمارا وسا كساولوف في إحدى الحجرات  
أمام نافذة تشرق على نهر النيفا ، ودون أن يتعب  
الفتى نفسه في البحث عما يقول ، وعن وسيلة قوله  
نطق بوضع كلمات عذبة ولكنها أزعجتها ، فبهت لونها  
وابتسمت ابتسامة شاردة ، ووقفت ، وكانت يدها  
الرفيعة ترتجف وقد استندتها إلى مسند الكرسي المنقوش  
وقالت الفتاة في صوت ناعم رقيق : « غداً »

ثم انصرفت

وجلس سا كساولوف برهة طويلة ، وقد ملكت  
اللفة نفسه ، يربب الباب الذي اختفت وراءه تمارا  
واستولى على رأسه دوار لا يهدأ ، واسترعى نظره  
غصن من زهر الالباق الأبيض ؛ فتناوله وترك البيت  
من غير أن يقرئ أهل السلام

وفي الليل لم يغمض له جفن ولا عرف الكري  
الطريق إلى عينيه . فوقف في النافذة ينظر إلى الطريق  
الظلم الذي أخذ ظلامه ينقشع رويداً كلما اقترب  
الصباح ، وقف يتسهم وهو يبعث بذلك الغصن من  
الالباق الأبيض ، فلما أشرق الصباح رأى أن أرض  
الترفة قد غطيت كلها بأوراق ذلك الزهر الجميل .  
وقد بدا له ذلك الأمر ساذجاً مضحكاً ، ثم استحم  
فشعر كأنما قد استجمع حواسه المشردة ، وترك  
البيت قاصداً بيت تمارا

بالآداب والفنون المصرية . وكان بهم اهتماماً  
ايقوديا بكل شيء حسن في الحياة ، بينما الحياة  
نفسها كانت في نظره فارغة خالية من المعنى . ولولا  
حلم وحيد بهيج يرى كأن يتراءى له بعض  
الأحيان ، لأصابه الجود التام الذي أصاب كثيرين  
غيره من الناس

— ٢ —

لقد كان جبه الأول الوحيد ، الذي اتهم  
قبل أن زهر ، يمت أحياناً إلى غمخته في الليل  
أحلاماً حوة حزينة ، وكان قد التقي من قبل خمس  
سنوات بالفتاة الصغيرة التي خلفت في نفسه ذلك  
الأثر الدائم . وكانت فتاة باهتة اللون ، رقيقة ،  
هيفاء الخصر ، زرقاء العينين ، شقراء الشعر ،  
وكانت تتراءى في نظره كمخلوقة سايوية ، مصنوعة  
من هواء ودخان ، ألقى بها القدر اتفاقاً إلى ضواض  
المدينة فترة قصيرة من الزمن . وكانت بطيئة الحركة  
وكان في صوتها الواضح الحنون نومة تشبه خرير  
ماء النهر المتحدر في لطف على الصخور

وكان سا كساولوف يراها دائماً في لباس أبيض  
ولا ندرى إن كانت هي المصادفة التي قضت بذلك  
أم كان من عادتها لبس البياض — فانطبع أثر  
البياض في نفسه لايفارق تفكيره فيها ، حتى اسمها  
« تمارا » كان يبدو له دائماً أبيض كالثلج على قمم  
الجلال

وشرع سا كساولوف يزور والدي تمارا وفي  
أكثر من فرصة اعترم أن يحدثها بتلك الكلمات  
التي تربط إنساناً بمحظ إنسان سواه . ولكنها كانت  
دائماً تروغ منه ، وقد فاضت عيناها بأظهر معاني  
الحنون والألم ، فأي شيء كانت تخاف ؟ وكانت

وفي الطريق شئت الضوضاء والزحام آراءه فامتزج تفكيره في أسرة جوروديشيف بما يصل إلى أذنيه من صخب الجمهور ونكاته . على أنه هل يستطيع أن ينكث بوفائه لكى تمارا إكراما لأذى خلق سواها ؟ لقد خيل إليه أن العالم كله شيء تافه حقير عادى ، حتى أنه تلهف إلى تمارا — وإلى تمارا وحدها — لتأتى فتحصيه بحية عيد القيامة ثم عاد يحدث نفسه مفكراً :

« ولكنها ستحدثنى مرة أخرى بهذه النظرة التوسلية ، ترى ماذا تريد تمارا الطاهرة الرقيقة ؟ ترى تقبل شفتها الناعمات شفتى الظالمين ؟

— ٣ —

وهام ساكسولوف في الطرقات على غير هدى ، يفكر فى تمارا تفكيراً موجماً ، يحدث فى وجوه اللارة ، فيتأفف مما يرى من خشونة بادية على وجوه الرجال ووجوه النساء على السواء . وتبين أن ليس بين جميع هذه الوجوه وجه واحد يستطيع أن يتبادل وإياه تحية عيد القيامة مزوجة بفرحة الحب ؛ وسيشهد اليوم الأول من أيام العيد كثيراً من القبلات تتبادلها الشفاه الخشنة وتتحرك لها اللحي المعقدة وتشوبها رائحة الخمر .

فإذا كان لا معنى له من أن يقبل إنساناً ما فليقبل طفلاً . وقد بدأ ساكسولوف تسره رؤية وجوه الأطفال

ومضى الرجل يضرب فى الأرض وقتاً طويلاً ثم بدأ التبع ينال منه فقصده إلى فناء كنيسة فيما وراء الشارع الصاحب بضجة الناس . وارتفعت إلى وجه ساكسولوف عينا طفل جالس على أحد القاعد . وقد تجلى الخوف فى نظره ، ثم قبع جامداً لا يتحرك شاخصاً يصره إلى الأمام لا يحوله يمنة ولا يسرة .

وهناك خبروه أنها مريضة ، فقد أصابها رجفة من برد فى ناحية ما ، ولم يرسا كسولوف الفتاة قط بعد ذلك اليوم . فقد ماتت بعد أسبوعين ، ولم يحضر جنازتها ، ومراً موتها لم يحدث فى نفسه هزة ولا صدمة ؛ ولم يكن فى مقدوره أن يعز ما شعر به نحوها أكان حياً أم كان مجرد افتتان قصير المدى طائر .

وكان فى بعض الأسابيع يتخيلها أمامه ، ثم لا يلبث خيالها أن يتلاشى ، ولم يكن محتفظاً بصورة من صورها . وصرت سنوات عديدة . وفى أيام الربيع الماضى ذكر ساكسولوف تمارا ، ذكره بها غصن من اليليق الأبيض فى شرفة أحد المطاعم وقد وضع — كثيراً — فى غير موضعه ، بين صنوف الطعام الدسم ، ومن ذلك اليوم عاد يستعذب التفكير فى تمارا فى ساعات المساء ، وكان إذا غفا بعض الأحيان رآها قد أقبلت جلست أمامه ونظرت إليه نظرة ثابتة نقيض وداعة وتدللا وكانما تريد أن تطلب منه شيئاً . وكان مما يضغط صدره ويؤله أحياناً أن يحاول إدراك ما تبتغيه تمارا بهذه النظرة التوسلية وفى هذه الليلة عند ما غادر بيت جوروديشيف فكر على عجل وقال فى نفسه : « ستأتى فتحصيني بحية العيد »

وكان الخوف والوحدة قابضين لنفسه فسأول نفسه مفكراً :

« لماذا لا أتزوج ؟ يجب ألا أكون وحيداً فى ليالى الأعياد الإلهية »

وصرت فى تخيلته صورة فاليريا ميشايلوفنا — فناء آل جوروديشيف — ولم تكن الفتاة جميلة ولكنها كانت دائماً متأنقة فى لباسها ، وخيل إلى ساكسولوف أنها تميل إليه وأنها لن ترفض يده إذا هو تقدم لها خاطباً

« مع من تعيش ؟ أليس لك أب ؟ »  
فأجاب الطفل وهو ينظر إلى الجمع المحيط به  
بميتين تفيضان بالدموع :

« لا ، ليس لي أب »

فقال العامل في خشوع وهو يهز رأسه :  
« ليس لك من أب أمها العزيز ! فهل لك من أم ؟ »  
فأجاب الطفل :

« نعم لي أم »

« ما اسمها ؟ »

فأجاب الطفل :

« اسمها أمي »

ثم فكر قليلا وقال :

« الأم السوداء »

فقال العامل العابس :

« السوداء ؟ هل هذا هو اسمها ؟ »

فقال الطفل شارحا :

« لقد كان لي أولا أم بيضاء ، والآن لي أم

سوداء »

فقال رجل الشرطة آخر الأمر وقد استقر  
على رأى :

« حسن يا ولدى ، إننا لن نعرف منك كثيراً  
ولا قليلا ، فالأحسن أن آخذك إلى مركز البوليس  
وهناك يستطيعون عن طريق التليفون أن يعرفوا  
أين تسكن »

وقصد رجل الشرطة إلى أحد الأبواب ودق  
الجرس ، وفي هذه اللحظة رآه أحد البوابين فأقبل  
عليه حاملاً الكنسة في يده ، فطلب منه الشرطة  
أن يأخذ الطفل إلى مركز البوليس ، ولكن الطفل  
تأمل قليلاً ثم صاح باكياً :

وكانت عيناه الزرقاوان لطيفتين تشعان بريق حزن  
الطفولة ، فهما أشبه العينين بأعين تمارا . وكان الطفل  
مُثْبِل الجسم حتى أن قدميه لم تكونا لتتدلّيا على  
الأرض فدنا إلى الأمام في خط مستقيم . فجلس  
ساكساولوف إلى جانبه ونظر إليه في حنان ولطفة ،  
فقد كان في منظر ذلك الطفل الوحيد ما يثير في نفسه  
ذكريات جمة العذوبة ؛ على أنه كان طفلا عادى المنظر  
في ثياب ممزقة مهلهلة ، على رأسه الأشقر الصغير  
قبعة من الفرو الأبيض ، وفي قدميه نملان قذران  
باليان .

جلس الطفل على المقعد جامداً فترة طويلة ثم  
وقف واندفع يمشي بكاء موجعا ، وجرى في الفناء  
حتى تجاوز الباب وصار إلى الطريق العام ، وهناك  
وقف مرة أخرى . وكان بادياً أنه لا يعرف في أى  
طريق يتجه . فبكى بكاء خافتا كأنما يسر شجاء إلى  
نفسه لا يريد أن يطلع عليه أحداً من الناس .  
فكانت قطرات الدمع تنحدر كبيرة على خديه .  
فازدحم الناس حوله ، وأقبل عليه رجل من رجال  
الشرطة ، وسأل الطفل أين يسكن فأجاب في لثغة  
الطفولة القاسرة :

« في دار جليكوف »

فسأله رجل الشرطة :

« في أى شارع ؟ »

ولكن الطفل لم يعرف اسم الشارع وكرر قوله  
« في دار جليكوف »

وكان رجل الشرطة شاباً مرحاً ففكر لحظة  
ثم أيقن أن ليس هناك مكان بهذا الاسم في الجوار  
القريب .

ودنا عامل عابس الوجه من الطفل وسأله :

« لقد مشيت مع أمي ، ومشيتنا ومشيتنا ، ثم طلبت مني أن أجلس وأنتظر ، ومضت بعد ذلك مبتعدة عني . فأصابني الخوف والحزج »  
 « ومن هي أمك ؟ »  
 « أمي ؟ إنها سوداء غصوب »  
 « وماذا تصنع أمك ؟ »  
 ففكر الطفل لحظة ثم قال :  
 « إنها تشرب القهوة »  
 « وماذا تفعل غير ذلك ؟ »  
 فتوقف ليشع لحظة عن الكلام ثم قال :  
 « تتشاجر مع المستأجرين »  
 « وأين أمك البيضاء ؟ »

« لقد جعلوها بعيداً . وضموها في نمش ثم جعلوها بعيداً . وأني أيضاً قد جعلوه بعيداً »  
 وأشار الطفل بيده إلى الفضاء البعيد ثم انفجرت عيناه بالدموع  
 فسأل ساكساوولوف نفسه بمفكر :

« ترى ماذا أستطيع أن أعمل لهذا المسكين ؟ »  
 ثم إذا الطفل ينطلق جازياً . وبعد أن اجتاز عدة شوارع عرضية أبطأ خطاه مرة أخرى ، وكذلك التقى به ساكساوولوف مرة ثانية . وكان المني الذي لحظه على وجه الطفل خليطاً من الفرح والخوف ، وقد قال لساكساوولوف وهو يشير إلى بيت كبير قبيح المنظر ذي خمس طبقات :

« هذه هي دار جليكهوف »

وفي هذه اللحظة ظهرت على عتبة باب دار جليكهوف امرأة سوداء الشعر ، سوداء العينين ، ترتدي لباساً أسود ، وعلى رأسها منديل أسود فيه نقط بيضاء ، فلما رآها الطفل تراجع خائفاً وقال هامساً :

« دعني أذهب فسأعرف الطريق وحدي ! »  
 ترى هل ازعج الطفل من مكسدة البواب ، أم تراه حقاً قد تذكر الطريق ؟ على أي الحالين جرى الطفل مسرعاً حتى كاد يقبض عن نظر ساكساوولوف ؛ غير أن الطفل لم يلبث أن أبطأ خطاه ، وقد اتجه مع الطريق صعداً يجرى من أحد جانبيه إلى الجانب الآخر محاولاً عبثاً أن يهتدي إلى البيت الذي يسكن فيه . وتبعه ساكساوولوف في سكرون وصمت ، ولم يكن يعرف كيف يتحدث إلى الأطفال  
 وأحس الطفل آخر الأمر بالثعب ، فوقف إلى جانب عمود من أعمدة المصاييح واتكأ عليه وترقرقت الدموع في عينيه

فبدأ ساكساوولوف يتحدث فقال :

« حسن يا بني ، ألا تستطيع أن تتعرف البيت ؟ »  
 فنظر إليه الطفل بعينه الحزبتين اللطيفتين ، وعلى حين فجأة أدرك ساكساوولوف السبب الذي أغراه بأن يلج في تتبع خطوات الغلام  
 ففي نظرة التائه الصغير وسياه شيء يشبه ما في نظرة تمارا وسياهها أكل الشبه  
 فسأله ساكساوولوف في لطف ورقة :

« ما اسمك يا عزيزي ؟ »

فأجاب الطفل :

« اسمي ليشع »

« أتمش مع أمك باليشع ؟ »

« نعم مع أمي ، ولكنها أم سوداء ولقد كانت لي أم بيضاء »

فطن ساكساوولوف أن الطفل لا شك يقصد

بالأم السوداء إحدى الراهبات

« وكيف ضللت الطريق ؟ »

«أى ١»

«وذلك جائز ، ولكن قد تكون معترمة  
منادرة البلدة كلها ، وإذن كيف يستطيعون أن  
يقتنوا آثارها ؟»

فنظرت إليه المرأة - وهى امرأة أبيض - نظرة  
الدهشة وصاحت :

فابتسم ساكساوولوف وقال يحدث نفسه :  
« هذا حق ، وكان يجب أن يكون فيدوت  
قاضى تحقيق »

« كيف جئت إلى هنا أيها الشقى ، ألم أطلب  
منك أن تبقى على القعد ؟ »

وجلس ساكساوولوف على مقربة من المصباح  
وفى يده كتاب ، فلم يلبث أن أغنى ، فرأى فى الحلم  
تماراً - رقيقة بيضاء - أقبلت عليه وجلست إلى  
جانبه ، وكان وجهها يشبه وجه ليشع شهما مدهشاً  
وقد نظرت إليه نظرة ثابتة ملحمة كأنما تنتظر منه  
شيئاً . وكان مما يؤلم ساكساوولوف أن يرى عينها  
البراقين المتوسلتين على هذه الصورة ولا يستطيع  
أن يدرك ما تريد . فهب فجأة من مكانه وأسرع إلى  
الكرسى الذى خيل إليه أن تمارا جالسة عليه ، حتى  
إذا وقف أمامه قال متوسلاً فى صوت مرتفع :

وكادت المرأة تنهال ضرباً على الطفل المسكين  
لولا أن رأت سيداً يحترم النظر رقبها عن كثر ،  
فغضت صوتها وقالت :

« ألا يمكن أن تنتظر نصف ساعة دون أن  
تهرب ؟ لقد تعبت فى البحث عنك أيها اللعين ! »  
ثم قبضت يديها اللطيفة على يد الطفل الصغيرة  
وجذبت به بعنف إلى داخل الدار

فتعرف ساكساوولوف الشارع والدار ثم انصرف

- ٤ -

« خبرنى ماذا تريدن ؟ »  
ولكن خيالها تلاشى من أمامه  
فقال ساكساوولوف فى نفسه وقد استولى عليه  
الحزن :

كان ساكساوولوف يحب الإصغاء إلى نصائح  
خادمه فيدوت الرزينة الحكيمية ، فلما عاد إلى بيته  
أخبره بقصة الطفل ليشع ، فقال فيدوت :  
« لقد تركته المرأة عمداً حيث وجدته أنت .  
فيا لها من امرأة خبيثة تذهب بالطفل إلى هذا المكان  
النائى عن الدار »

« لم يكن ذلك إلا حلماً »

فسأله ساكساوولوف :

- ٥ -

« وما الذى يجعلها على أن تفعل ذلك ؟ »

وفى اليوم التالى بينما كان ساكساوولوف خارجاً -  
من معرض الجمع العلمى التقي فى الطريق بآل  
جوروديشيف فأخبر الفتاة بقصة الطفل ليشع  
فقالت فاليريا ميشا يوفنا فى صوت رقيق :  
« ياله من طفل - مسكين ! إن امرأة أبيه تريد  
أن تتخلص منه »

« لا أستطيع أن أعرف ، ولكن لاشك  
فى أن هذه البلهاء قد قدرت أن الطفل سيم فى  
الشوارع حتى يلتقطه بعض الناس . وماذا تتوقع من  
امرأة الأب ؟ وأية فائدة تجنيها من بقاء الطفل  
عندها ؟ »

فقال ساكساوولوف :

« ولكن كان فى مقدور البوليس أن يعثر عليها »

فقال ساكساوولوف وقد أزعجه أن تتفق الفتاة

على عينيه الناعستين ، وقع نظره على غصن من  
البليق الأبيض فوق المائدة . فساءل نفسه : من أين  
جاء ذلك الفصن ؟ هل تركته تمارا شاهداً على رغبتها  
وخطر له فجأة أنه بزواجه من فتاة أكل  
جوروديشيف وتبينه الطفل ليشع يكون قد حقق  
رغبة تمارا . فتنفس تنفس الارتياح وسط الشدني  
المطري النبت من غصن البليق الأبيض  
ثم ذكر أنه هو الذي أحضر ذلك الفصن بنفسه  
في ذلك اليوم ، ولكنه لم يلبث أن قال في نفسه :  
« إن ذلك لا يغير من جوهر الأمر شيئاً فليس  
تفكيرى في مشتراه وإحضاره إلى البيت ونسبائى  
بعد ذلك أننى اشتريته إلا حقيقة واقعة تشير إلى  
رغبة تمارا »

- ٦ -

وفي الصباح قصد ساكساوولوف إلى حيث يجده  
ليشع ، فقابله الطفل على الباب وأراه مسكنه وكانت  
امرأة أبيه جالسة تشرب القهوة وتتنازع مع المستأجر  
الأحمر الأنف ، وإليك ما استطاع ساكساوولوف أن  
يعرفه من أمر ليشع :  
ماتت أمه وهو في الثالثة من عمره ، فتزوج  
أبوه من هذه المرأة السمراء ولكنه مات في السنة  
نفسها ، وللرأة السمراء ايرينا أيفانوفنا طفل من  
صلبها في السنة الأولى من عمره ، وكانت على وشك  
الزواج من زوج جديد ، وستقام حفلة الزواج بعد  
أيام قليلة ، وستذهب هي وزوجها على أثر ذلك إلى  
الريف ، وكان ليشع غريباً بالنسبة إليها وهو بذلك  
عقبه في طريقها :

فقال ساكساوولوف :

« أعطني »

وفيدوت في استنتاج هذه النتيجة الفاجعة من ذلك  
الحادث البسيط :

« ليس هناك ما يؤكد هذا الاستنتاج »

« الأمر واضح كل الوضوح فالطفل لا أب له  
فهو يعيش مع امرأة أبيه ، وهي يجد في بقائه عندها  
عبئاً ثقيلاً عليها ، فإذا لم تستطع أن تتخلص منه  
بوسيلة غير جافة فلا شك في أنها ستطرده في قسوة  
لتخلص منه نهائياً »

فأبسم ساكساوولوف وقال :

« إنك تنظرون إلى هذا الأمر نظرة جد عابسة »  
فسأته فاليريا ميشايلوفنا :

« لم لا تتبنى هذا الطفل ؟ »

فسألها ساكساوولوف في دهشة :

« أنا ؟ »

فقالت في شيء من الالاحاح :

« إنك تمش وحيداً ، وليس لك من أقرباء ،  
فلتعمل عملاً طيباً في عيد القيامة ، وعندئذ تجده  
ممعك من تبادل تحية العيد على كل حال »

« ولكن ماذا أستطيع أن أعمل بطفل ؟ »

« جهه بمرية . والذي يبدو لى أن القدر قد

قد ساق هذا الطفل في طريقك لتتبناه »

ونظر ساكساوولوف إلى وجه الفتاة الحنون

وقد علتة حمرة طفيفة - نظرة ملؤها الدهشة ، وقد

تجلى في عينيه من معاني المظلم ما لم يقصد إليه

ولما تراءت له تمارا هذه الليلة في منامه بدا له أنه

قد فهم ما تريد . وقد سمع في سكوت الغرفة هذه

الكلمات واضحة ناطقة :

« اعمل بما طلبته منك فاليريا »

وهب ساكساوولوف من نومه فرحاً ومرتبداً



نظرة الابتهاج ، وأحس ساكساوولوف بلسة رقيقة  
على شفتيه ، وسمع صوتاً ناعماً يقول في لطف :  
« المسيح قام ! »

ومد ساكساوولوف من غير أن يفتح عينيه ،  
ساعديه فماتق جسا صغيراً لطيفاً . وكان الذي عاقله  
هو ليشع الطفل الذي تسلق على ركبتيه ليحييه  
تحية العيد

فقد أيقظت نواقيس الكنائس الطفل ،  
فأمسك بالبيضة البيضاء وأسرع إلى ساكساوولوف  
واستيقظ ساكساوولوف فضحك ليشع ورفع  
البيضة أمام عينيه وقال :

« لقد أرسلتها لي أبي البيضاء ، وأنا أعطيتها إياك  
لتعطيها للخالة فاليريا »

فأجابها ساكساوولوف :

« حسن يا عزيزي ، سأقبل ما تريد »  
وأعاد ساكساوولوف ليشع إلى فراشه ثم قصد  
إلى فاليريا ميشايلوفنا يحمل لها البيضة هدية من الأم  
البيضاء ، ولكن خيل لساكساوولوف في هذه اللحظة  
أنها هدية من تمارا عبد الحمير صدى

فقال إيرينا إيفانوفنا قد شعرت بسرور خبيث  
« يسرنى أن أحبيب طلبك »

وبعد أن توقفت لحظة قالت :

« إنما يجب أن تدفع لي ثمن ملابسه »

وهكذا أوى ليشع إلى ساكساوولوف وساعدت  
فتاة آل جوروديشيف في الحصول على مربية صالحة  
وفي إعداد كل ما يلزم لإقامة الطفل . وتحقيقاً لهذه  
الغاية كانت ترور بيت ساكساوولوف ، وقد بدت في  
نظر رب الدار ، وهي منهمكة في عملها هذا ، انسانية  
مفارقة للتي عرفها من قبل ، وكأنها قد فتحت له باب  
قلها ، وسمعت عيناها يريق اللطف والصفاء وأنس  
فيها جملة ما كان يأنس في تمارا من رقة ووداعة

— ٧ —

تأثر فيدوت الخادم العجوز وامراته مما كان  
ليشع يروي لها عن أمه البيضاء ، وفي يوم سبت الثور  
عند ما أرقدها في فراشه علقا في نهاية السرير بيضة  
من السكر بيضاء وقالت له كريستين :

« هذه البيضة من أمك البيضاء ، ولكن  
يجب ألا تسمها يا عزيزي إلا بعد قيام المسيح ودق  
النواقيس »

فرقد ليشع مطيحاً وفي فترة طويلة محدقاً في  
البيضة الجلينة ، ثم غلبه النوم

وفي هذا المساء جلس ساكساوولوف في البيت  
وحيداً ، وحوالي منتصف الليل ثقل عليه شعور  
بالنماس لم يكن في مقدوره أن يقاومه ، فأغمض  
عينيه مسروراً لأنه قد يرى تمارا بعد قليل . ولقد  
جاءه مرتدية البياض مشرقة جالبة معها عن بعد  
أسوات النواقيس السارة ، وانحنى تمارا على  
ساكساوولوف وعلى شفتها ابتسامة لطيفة وفي عيناها

## رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامتريين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

المن ١٢ قرشاً

# طَبِيبُ الْأَقْلِيمِ

لِلْقَصَصِ الرَّوْسِيِّ يَتَانِ تَوَرَّجَنِيْشْ  
بِقَلَمِ الْأَسْتَاذِ عَبْدِ الطَّيْفِ النِّشَارِ

قد أخذ يفقئ إلى  
الآخر بسره كاملا  
كانه أمام قسيس  
الاعتراف

ولست أعرف كيف  
اكتسبت ثقة هذا  
الصديق الجديد الذي  
أخذ بغير مقدمة

يطلقني على أسراره . وسأعيد إلى القارئ واحدة  
من سيره محاولا صياغتها في أقرب الأساليب إلى  
أسلوبه . قال وقد بدأ يسرد القصة بصوت خافت  
مضطرب ( وهذه هي النتيجة العادية لتعاطي سموط  
بيريزوف غير مخلوط بمادة أخرى تخفف من حدته )

— قال : « ربما كنت لا تعرف القاضي  
( يا فال لوكوتش ) ألا تعرفه ؟ على حد سواء !  
لقد كنت أزوره بمنزله وكان يلعب معي بالورق وهو  
مولع بهذا النوع من اللعب وعلى حين فجأة « وقد  
نطق الطبيب لفظ فجأة بصوت عال وتغيرت لهجته  
بعد ذلك إذ يقول :

« وعلى حين فجأة جاء التابع وقال إن رجلا  
يسأل عني . قلت : ما الذي يريد ؟ فأجابني تايي : لقد  
جاء بخطاب إليك ويظهر أنه من مريض . قلت :  
ناولني الخطاب . فتناولني ، وقلت : لقد صدقت  
فراستك فالخطاب من أرملة مجوز تقول إن ابنتها  
تحتضر وتتمجلى إلى الذهاب . وكانت العربية التي  
أرسلتها في انتظاري ... ولكن المسافة بيننا وبينها  
تربو على الشربن ميلا ، وكنا في منتصف الليل  
والطريق من أسوأ الطرق . ولما كانت هذه الأرملة

في بعض أيام الحريف أصبت ببرد شديد أثناء  
عودتي من جزء بعيد من الأقليم الذي أقيم به .  
وكان من حسن حظي أن الحمي لم تتمكن مني إلا  
بعد وصولي إلى فندق بالمدينة فأرسلت من يستدعي  
الطبيب

وبعد نصف ساعة جاء الطبيب وهو يحمل  
الجسم أسود الشعر متوسط الطول فوفس لي  
الدواء المألوف ودفعت إليه ورقة مالية ذات خمسة  
روبلات فندسها في جيبه . وهم بالقيام ، وحسبته  
سينصرف ولكن لا أعرف ماذا حدث فجعله  
يستأنف الجلوس ويعود إلى التحدث ، فاغتبطت  
بذلك لأنني غائبة في الليلة السالفة آلام الأرق  
وكنت بحاجة إلى مثل هذا الحديث

وجي بالشأي وأخذ الطبيب يتكلم في حرية ،  
وهو رجل ذكي يعرب عن نفسه في شجاعة ، وفي  
حديثه من الفكاهة التي الكثير

وفي العالم أشياء غريبة ، فقد تماشى أحد الناس  
مدة طويلة دون أن تظلمه مرة واحدة في أحاديثك  
معه على دخيلة نفسك ، بينما يجد رجلا آخر لم يكده  
يتصل بينك وبينه سبب التعارف ولكن كلا منكبا

الأطباء . ودنوت من الفراش فوضعت على رأس الفتاة « لبخة » من الخردل ونظرت إلى وجهها ، فأى وجه رأيت ؟ إننى لم أر من قبل مثل هذا الجمال وليس فى العالم قسبات كهذه القسبات ، ولا نظرات كمنظرات هاتين المينين . وتحسنت حالها بحمد الله فتصبب العرق من جبينها وعاد إليها وعيها فالتفتت حولها وابتمت ثم غطت وجهها بيديها فالت أختاها تسالنها عن صحتها ، فأجابت إنها بخير . ثم أدركما الناس

قلت : هذه علامة حسنة ، ولكن يجب أن تترك المريضة وحدها . وخرجنا جميعاً من الغرفة نمشي على أطراف الأمانيل ، إلا خادماً تركناها مع المريضة وكانت الغرفة الأخرى هى غرفة المائدة . وكان فيها على المنضدة وعاء الشاي وزجاجة « الروم » فقدموا إلى الشاي . وطلبوا أن أبيت بالنزل هذه الليلة فوافقت . وهنئى لم أفعل فإلى أين كنت أذهب فى مثل هذه الساعة ؟

وظلت العجوز تكرر سؤالى عن حالة المريضة وأكرر جوابى بأنها ستميش . وأخيراً قلت لها إنها هى أيضاً بحاجة إلى الراحة . وطلبت إليها أن تذهب لتنام ، وكنا إذ ذاك فى الساعة الثانية صباحاً فقالت : ولكن هل توقظنى إذا حدث شئ ؟

قلت : نعم

فذهبت العجوز وبتناهما بعد أن هيات لى فراشا فى غرفة المائدة ، ولكننى لم أستطع النوم لأنى كنت فى نهاية التعب ، وكنت لástطيع منع نفسى عن التفكير فى المريضة ، وأخيراً عجزت عن مقاومة ميلى فقممت لىكى أراها

فقت إلى غرفتها ففتحت الباب برفق ، وما كان أشد خفوق قلبى ! ... ونظرت فرأيت الخادم نائمة

فقيرة فالطبيب لا ينتظر على هذه الشقة أجراً يزيد على الزولين . وقد لا يبلغ الأجر هذا القدر . ولكن الواجب فى نظر الطبيب أهم من كل شئ . وخرجت فوجدت العربية بالباب . ووجدت السائق جالساً فى مكانه وقيمته على رأسه لم يرفعها لاستقبالى ، ولم يظهر لى أى مظهر للاحترام ، فقلت فى نفسى : هذا حسن جداً ، فانه يدل على أن القوم أغنياء ... أراك تبتسم ! ولكن فقيراً مثلى يجب أن يضع كل ملاحظاته فى موضع الاعتبار ، فإذا كان السائق جالساً كأنه أمير ، وإذا كان لا يحيك عند ركوب العربية بلبس قيمته كان لك أن تظمن على أن الأجر لن يقل عن ستة روبلات

ركبت العربية ومى المقابير التى توقعت أنها لازمة . ولا أطيل عليك فى وصف الطريق وأحواله ومستنقعاته ، ولكننى أقول إننى وصلت فى النهاية فوجدت المنزل حقيراً . وكان النور ظاهراً من وراء النافذة دلالة على أنهم كانوا فى انتظارى . وتلفتنى امرأة عجوز تبدو عليها كل علامات الاحترام وقالت : أنقذها فأنها محتضر

قلت : لا تخافى . أين هى المريضة ؟

فقلت : اتبعنى . ورأيت فى ركن من الغرفة فتاة فى العشرين فائدة الوحى وحرارتها فى درجة الاحتراق وهى تنفس فى مشقة وبجانها أختاها تكيان

وقيل لى إنها بالأمس كانت فى صحة جيدة ، وكانت قوية الشهية للطعام ، وفى الصباح شكت من وجع فى رأسها ، وفى المساء سارت حاجة إلى الحالة التى تراها

قلت : لا داعى للخوف

وأنت فقد تعلم أن مثل هذا القول من واجب

خطر جدى، والثانى - ولا بد لي من الاعتراف به -  
أننى شعرت بالبلل إليها، لا بل إلى الأسرة كلها.  
ومع أنها أسرة فقيرة فهي مثقفة مهذبة. وقد كان  
والد الفتيات أديباً مؤلفاً، ومات فقيراً بالطبع ولكنه  
ترك بناته مثقفات متعاملات ولعل هذا السبب (أول لعل  
سبباً آخر) هو باعث مبلى إلى الأسرة. ولكنى  
أؤكد أنهم عاملون كما لو كنت فرداً من أسرهم.  
وفى الوقت نفسه كانت حالة الطرق تزداد سوءاً.  
على سوء، فما كنت أستطيع العودة لو أردت.  
وكذلك كانت حالة الفتاة لا تزداد إلا سوءاً؛  
ومضت على هذه الحالة أيام  
ثم سكت الطبيب لحظة وبدت عليه علامة  
التفكير واستأنف القول فقال: ولست أعرف كيف  
أخبرك ...

وهنا تناول مقداراً آخر من السموط وشرب  
جرعة من الشاي وقال: سأخبرك بغير مقدمة ...  
ولكن ماذا أقول ...؟ إن المريضة أحبتنى ...  
لا أعنى أنها هى التى أحبتنى ... كيف أقول؟  
واختضب وجه الطبيب احمراراً وقال: لا أريد  
أن أقول إنها أحبتنى، فلي الرجل ألا يتعالى في  
تقدير نفسه. وهى متملة واسعة الاطلاع، وأنا  
لا أكاد أذكر ماتملته من اللغة اللاتينية، وليس لى  
ما أستطيع أن أباهى به؛ ولكن الله له الحمد لم  
يخلقى أبله فلت أرى في الواحد أنه اثنان ولا في  
الأسود أنه أبيض. ولهذا استطعت أن أبين أن  
ألكسندرا أندريفنا - وهذا هو اسم المريضة -  
لا تحبى، بل هى تشعر بصدافة وود - أعنى بميل  
واحترام - وإن كانت هى نفسها تخطى في تقدير  
شموورها الحقيقى نحوى  
وكان الطبيب يلقى الجمل الأخيرة في سرعة شديدة

مفتوحة الفم وهى تنطق ... تلك التهمة للممونة!  
أما الفتاة فكانت متجهة الوجه إلى مبسوطة  
الذراعين ... تلك المسكينة!

دنوت منها ففتحت عينها فجأة ورأى فازجعت  
وقالت: من أنت؟ من أنت؟

قلت: لآتمخافى بإسدينى فأنا الطبيب. فخذت في  
وجهى وقالت: أنت طبيب؟

قلت: نعم وقد استدعيتى أمك من المدينة ...  
لا بأس عليك، إنك الآن أحسن مما كنت عليه منذ  
ساعتين؛ وبعدم يوم أو يومين تستطعين القيام والمشي  
فقلت: لا أريد أن أموت! لا أريد أن أموت.  
أنقذنى!

وانتابها حالة الحمى فجسست نبضها وقلت:  
هدئ من روعك. فنظرت إليّ ثم تناولت يدي  
وقالت: سأخبرك لماذا لا أريد أن أموت ... نحن  
وحدنا هنا. لا نخبر أحداً ... لا نخبر أى أحد  
وأنصت، فزدت دوناً منها، وهمست في أذنى وشعرها  
يلس خدى. وأنا أعترف بأن دواراً كان يعتربنى  
إذ ذاك، وكانت تتكلم وأنا لا أفهم لأنها محمومة.  
وكأنها كانت تنطق بغير اللغة الروسية. ثم انتهت  
من همسها وأشارت إليّ بأصبعها إشارة تحذير  
وقالت: «إياك أن تخبر أى أحد»

فطماستها وأسقيتها الدواء ثم أيقظت الخادمة  
وخرجت

وهنا تناول الطبيب شيئاً من السموط وتبلد من  
تأثيره وقال: وفى اليوم التالى لم تتحسن صحة المريضة  
خلافاً لما كنت أتوقع. وفكرت ثم فكرت،  
فقررت أن أبقي هذا المنزل ولو أن سائر مرضاى  
فى انتظارى

وذلك لسببين: أحدهما أن هذه المريضة كانت فى

ولم أترك قط غرفة المريضة إلا للضرورة ،  
و كنت في ملازمتي إياها أقص عليها القصص المسلية ،  
أو ألعبها لعبة الورق وأسهر بجانب سريرها في الليل ؛  
و كانت أمها تشكركني والهوامع تتحدث من عينها  
فأقول في نفسي : إنني لا أستحق شكرها لأنني أعاني  
هذه المشقة بدافع الحب . وقد بلغ من ميل الفتاة  
إلى أنها في كثير من الأحيان لا تسمح بوجود أحد  
غيري في الغرفة . و كانت تكثر في حديثها معي من  
إلقاء الأسئلة على " قسائلي مثلا " : أين تلمت وأين  
أعيش ؟ وتساألني عن أحوال أسرتي ، وعن معتدتي  
أن أقابلهم . و كنت أشعر بأنه ينبغي لها ألا تكثر من  
الكلام . ولكنني من جهة أخرى لم أكن قادراً  
على حمل نفسي على منعها

و كنت أحياناً أضع رأسي بين يدي وأفكر في  
الحفاة التي ارتكبتها ، فتأتي الفتاة وتمسك بيدي  
و تمنحنى نظرة طويلة . و كنت أحس حرارة يديها  
الدالة على الحلى وألح في عينها علائم الملل من مرضها  
الشديد ؛ و كانت تصفني بأنني رجل طيب و تقول إنني  
أفضل من كل جيرانها . و تأسف لأنها لم تعرفني من  
زمن قديم ، ف كنت أشكرها وأقول : إنك لا تعرفين  
مقدار ما اكتسبته وإنك سوف تشفين

و لا بد من إخبارك بأن هذه الأسرة كانت  
قليلة الاتصال بالجيران لأن جيرانها لم يكونوا في  
مستواها من حيث الثنى ، ولأن عزة هذه الأسرة  
كانت تمنعها عن الاتصال بالأغنياء

و لقد كنت أشعر حين تبديدها لتأخذ من  
يدي الدواء وحين تستعين بي على الهوض ، وحين  
تنظر إلى نظراتها الطويلة — كنت أشعر عند  
ذلك بأن قلبي يكاد أن يمزق ، و كانت حالها تزداد  
سوءاً في أطوار مستتبر . و كنت أرى أنها ميتة  
لا محالة

وارتباك ظاهر . ثم شرب بقية الشاي وقال بصوت  
أقرب إلى الهدوء من الصوت الذي كان يتكلم به ،  
قال : و كانت حالة المريضة تزداد سوءاً على سوء .  
و أنت أيها الصديق قد لا تستطيع أن تفهم الأدوار  
التي يمر بها الأطباء خصوصاً عندما يتصور الطبيب  
أنه قد سيطرته على المرضى . ففي هذه الحالة يفقد  
ثقتة بنفسه ويحجم ويتصور أنه نسي كل شيء عرفه  
و يخال أن المريض قد نثقه به ، وأن الناس يرتابون  
فيه ويتهايمسون عليه . و الناس متى رأوا مريضاً  
اعتقدوا أنه لا بد له من دواء ، و انتظروا من الطبيب  
أن يأتي بدواءه فإن لم يستطعوا عدوا ذلك دليلاً على  
جهله ؛ و يعرف الطبيب عنهم هذه الحقيقة فينثبث  
بدواء ، ثم يعدل عنه إلى غيره ، ثم يتناول كتاباً  
من كتب الطب فيختار دواء ثالثاً ، وقد تكون  
المصادفة وحدها هي مبني هذا الاختيار ؛ و إلى هذا  
الحد يكون المريض قد وصل إلى درجة الاحتضار ،  
و يحظر بيال الطبيب أن طبيباً آخر قد ينقذ مريضه  
فينصح بالاستشارة الطبية . ولو اطلمت على نفس  
الطبيب عند ذلك لعرفت أنه إنما يود أن يشرك معه  
أطباء آخرين حتى لا يتفرد بتحمل المسؤولية عند  
الوفاة . على أنه في الواقع ليس تمت ما يدعو إلى الارتباك  
فإن الموت يكون مقضياً به على المريض ، وليس الوزر  
و زور الطبيب فقد أدى ما يجب عليه بميله وفق القواعد  
التي تعلمها . ولكن الصعوبة الحقيقية التي يمانها  
الطبيب هي شعوره بالجزع عن تأدية خدمة لمريضه ،  
و هذه هي الحالة التي عاينها مع ألكسندرا أندريفنا ،  
فإن الأسرة نسبت أمها في خطر . وأنا كذلك أخذت  
أؤكد أن الخطر قد زال ، ولكن قلبي كان يشعر  
بعاء ثقيل . و بما زاد في تعمي أن حالة الطرق ساءت  
جداً فكان السائق كلما ذهب بالعربة لشراء الدواء لم  
يعد إلا بعد بضعة أيام

أساير وجهها ، فازعجت وقلت : لا تخافى لا تخافى  
 قالت : اننى لا أخاف الموت . ثم جلست فجاءة  
 وأسندت رأسها إلى ذراعها وقالت : أشكر لك  
 أن صدقتنى وأرحتنى . وإنك عطوف حنون ، اننى  
 أحبك . ثم نظرت إلى كمنظرة المأخوذ فاضطربت .  
 واستمرت تقول : هل أنت سامع ؟ اننى أحبك .  
 قلت : ولكن يا ألكسندرا كيف استحق ؟ .  
 فقالت مقاطعة : كلا كلا إنك لم تفهمنى . ثم أمسكت  
 بذراعى ووضعت رأسى بين كفها وقبلتنى  
 وصدقنى لقد كدت أبكى عند ذلك وجثوت  
 تحت قدميها . ودفنت وجهي في الوسادة ، فلم تتكلم .  
 وكانت تمبت يديها في شبرى وأنا أصبى ثم بكى  
 فهدأتها وأخذت أوكدها ... ولكى كنت فى  
 الواقع لا أعى ما أقول

ثم قلت لهم سيسيتفظون يا ألكسندرا . يكفى  
 يكفى . فقال لا أبالى . وإذا استيقظوا فليأتوا ، فانى  
 لأهمهم ... اننى أموت وماذا تخاف أنت ولماذا تخافى ؟  
 ارفع رأسك أم لملك لا تخفى وأنا المخطئة ... إن  
 كان كذلك فانى أعتذر إليك  
 قلت : يا ألكسندرا ، ما هذا الذى تقولين ؟ اننى  
 أحبك يا ألكسندرا . فنظرت إلى عيني وفجئت  
 ذراعها وقالت : إذن فضمنى بين ذراعيك  
 وأخبرك بالحق أننى لم أعرف كيف لم أجن فى  
 هذه الليلة ؟ إن المريضة كانت تقتل نفسها وقد  
 بدت لشدة ما اعتراها من التغير كأنها ليست هى ..  
 وأدركت أنه لولا معرفتها بأنها مشككة على الموت  
 لما فكرت فى أمرى . قل ما تريد ولكن من  
 أصعب الصعوبات أن يشعر الإنسان بأنه مقبل على  
 الموت وهو لم يتجاوز العشرين دون أن يعالج الحب ،  
 ذلك هو الأمر الذى دفعها إلى اليأس . فأمسكت فى

وصدقنى إذا قلت اننى وددت لو سبقتها إلى القبر .  
 وكانت أمها وأختها ينظرن إلى ويراقتنى وقد  
 بدأت تتهنئ بى تترعزع . وخار عزمي فلم أستقر  
 على رأى

وفى إحدى الليالى كانت الخادم نائمة فى الغرفة  
 وكانت تغط غطيها العتاد . ونظرت إلى الفتاة فلم  
 أجد جمالها قد قل على الرغم من شدة ذوبها وهزالها ؛  
 وكانت وطأة الحنى شديدة عليها فى تلك الليلة فظلت  
 تتقلب على الفراش إلى منتصف الليل ثم ظهرت كأنها  
 نائمة . وكان الصباح موقدا فى ركن من الغرف تحت  
 الأيقونة المقدسة ، فجلست هناك مطرق الرأس ،  
 وأدركنى الناس لحظة ثم استيقظت فجاءة عند ما  
 شعرت بيد تلمسنى . ونظرت فرأيت ألكسندرا  
 أندريفا ، وقد تقلصت شفتاها والتهب خداهما مثل  
 التهاب النار وقالت : هل أموت يا دكتور ؟

قلت : لا سمح الله

فقلت : لا تقل لى إننى سأعيش ، لا تقل  
 كذلك ... أصغ بالله ولا تكتم عنى حقيقة حالى  
 ثم أسرعت أنفاسها وقالت : إذا كنت أعرف  
 أن موتى قريب فانى سأقص عليك قصتى كلها  
 قلت : بالله يا ألكسندرا ... فقلت مقاطعة :  
 أصبغ لى إننى لم أكن نائمة . ولكننى كنت أنظر  
 إليك مدة طويلة . لقد وثقت بك فأنت طيب  
 شريف . وأرجوك بكل مقدس فى الحياة أن تخبرنى  
 بالحقية هل أنا فى خطر ؟

قلت : ماذا أقول لك يا ألكسندرا ؟

فقلت : أستحلفك ألا تكتم عنى

قلت : لا أكتكف فأنت فى خطر أكيد ،  
 ولكن الله رحيم . فقلت : اننى ساموت . وبدأ  
 عليها كأنها مسرورة من لقاء الموت . وأشرقت

ولما رأت المريضة أمها قالت : « لقد أحسنت إذ-  
جئت فقد تبادلنا الوعد وكلانا يجب الآخر »  
قالت الأم : « ما الذى تقول الفتاة ، وماذا  
تقول أنت يا دكتور ؟ »

فقلت : « إنها تهذى فى نوبة الحمى »  
قالت الفتاة : « ما هذا ؟ إنك كنت تقول لى  
غير ذلك منذ لحظة وقد قبلت خاتنى ، لماذا تنظاها ؟  
إن أى طيبة وسوف تصفح . إنها تدرك أنى أموت  
لاداعى إلى الكذب ... مد إلى يدك ! »  
فوثبت من مكاني وفرت من الغرفة ، وقد  
أدركت العجز بالطبع حقيقة ما كان ...

ولا أريد أن أتبعك بالاطالة فى هذا الحديث  
وأنت تدرك أن هذه الذكرى تؤلى ، وقد ماتت  
مريضتى فى اليوم التالى فبرحما الله  
ثم نهده وقال : « وقبل موتها طلبت إلى أهلها  
أن يخرجوا ويتركونى وإياها وحدنا فى الغرفة ،  
وقالت : ساعنى ... لأنى أنا المولمة .. إن مرضى ..  
ولكن صدقنى إنى لم أحب أحدا أكثر مما أحببتك.  
احتفظ بخاتنى )

ووقف الطبيب ليذهب ثم قال : إنه يكره الذهاب  
إلى منزله عند ما تكون زوجته مستيقظة لأنها تكثر  
من تنغيه ، ولأنه يكره بكاء الأطفال  
وقال : « بعد ذلك تزوجت من بنت تاجر ، وأخذت  
بائنة قدرها سبعة آلاف جنيه واسم زوجتى أكويلينا  
وهو اسم يتناسب مع اسم تريفون ولكن زوجتى  
مفقودة الصبر وهى بحمد الله تنام أكثر وأقلها  
ولا سكنت الطبيب دعوتها إلى أن يلاعبنى لعبة  
الورق فبرح منى روبلين وجاد إلى المنزل وهو مسرور  
بما ربح  
عبد اللطيف النشار

ولم ترد أن تتركنى ، وهى تقول : « كن رثوفاً بى .  
أشفق على .. ما الذى تفكر فيه ؟ أنت تعرف أنى  
ساموت . إنى لو كنت سابقى على قيد الحياة فانى  
أخجل . نعم ولكن لماذا أخجل الآن ؟ »

قلت : ولكن من الذى قال إنك ستمتوتين ؟  
فقلت : دع هذا القول فانك تخدعنى . إنك  
لا تعرف كيف تكذب فان وجهك ...

فقلت : إنك ستميشين إلى ألكسندرا ، إنى  
سأشفيك ، إنى سأطلب من أمك أن تباركنا  
وستزوج وتكون سميدن  
قلت : كلا إنى ساموت ، ولكننى متمسكة  
بوعذك وإنك وعدتني ... إنك قلت لي ...

ولقد كان خطأ منى أن تسرعت فى القول .  
سألتنى عن اسمى الأول ، وكانت قبل ذلك تدعونى  
كما يدعونى سائر الأسرة بقلب الدكتور ، ولا بد  
هنا من الاعتراف بأن اسمى ( تريفون ) ليس من الأسماء  
السارة فقلت : اسمى تريفون إيتانتش . فهزت رأسها  
وقالت كلات باللغة الفرنسية ، وقد كانت هذه الكلمات  
باطبع دالة على الاشتراز من هذا الاسم ثم ضحكت  
وقضيت سائر الليلة معها وكنت أحس بأنى  
أسير بخطوات سريعة نحو الجنون

ولما دخلت غرفها للمرة الثانية كنا فى الصباح  
بعد تناول الشاى وكنت لا أعرفها فان الموق عند  
الدفن أشبه بها من الأحياء ، وإنى أقسم لك أنى  
لم أفهم كيف جرت الأمور على هذا المتوال ثلاثة  
أيام على التوالى ولا أعرف ما الذى كانت تقوله لى  
بالليل ، وتصور أنى فى الليلة التالية كنت أصلى  
وأدعو الله أن يأخذها إليه

وعلى حين فجأة جاءت الأم وكنت قد أخبرتها  
فى الليلة السالفة بأن الأمل قليل وأن الأفضل استدعاء  
القسيس

# فَدَرَفَتِ الْمَاضِيَ الْبَغِيضَ

## لِلْأَسْتَاذِ أَدِيبِ عَمَّاسٍ

اللازمة والحرص  
المحتوم أن يرهف  
الناس الانتماع ويحدوا  
الأبصار ويضاعفوا  
الانتباه كلما لاح لهم  
النورى أو النورية من  
بعد أو من قريب ،

ويعلم أن ربة الدار لا تحسب في الحريصات اللاني  
لا يتفطن بسهولة إذا لم تجر كل مساء فتفتيشاً دقيقاً  
على محتويات البيت لك هبط البلدة نفر من النور  
أدرك عبد الكريم إذن أسباب اقتباس السكان  
واسترايتهم ، ولم يجد أول الأمر حيلة يدفع بها  
أسباب الريب سوى أن يعتكف هو وزوجه في  
البيت ما أمكنهم الاعتكاف . وقد رأى عبد الكريم  
يوماً أن ينكر الأصل الذى يتنم إليه فلم يفلح .  
فلقد كان في سيأهم جميعاً ومعارفهم ونبرات  
أصواتهم وحرركاتهم وسكناتهم ما لا يجدى معه إنكار  
ولا تنكر ؛ هذا عدا ما بوغت الصغار مرة  
أو مرتين يتراطنون بلسانهم الخاص رغم ما حذرهم  
أبواهم ونهياهم عنه أشد التحذير والنهي

وطال انتظار المائلة أن تحف الربة والتحوط  
فيستطيعوا أن يتصلوا بالسكان وبواصلهم ، ولا سيما  
أنهم جاءوا يطلبون رزقهم عن طريق العمل الشريف  
لا من طريق التطفل والتسول والسرقة كما هو دأب  
أبناء جنسهم . فصمموا أخيراً على تحدي ارتياب  
الناس وخرجوا من مسكنهم وبرزوا للناس  
وواجهوهم مواجهة في الأزقة والشوارع وفي سوق  
البلدة والساحات العامة دون استخفاء ولا وجل .  
ولقد كان لذلك أثره المحتوم ، فنفخت إلى حد بعيد

(٥)

هبط البلدة عبد الكريم البرجى هو وزوجته  
الشابة وبنوه الصغار : حسين ومحمود ووصى ،  
وأخذوا لهم مسكناً غرفة مفردة في حي من أحياء  
البلدة المتوسطة ، وعزموا أن يعيشوا عيشة هادئة  
مستقرة يستريحون معها من الضرب في الآفاق إلى  
آخر العمر . ولكن عكر عليهم هذه الآمال وشرذ  
تلك الأحلام ما لاحظته عبد الكريم وزوجته مغبة  
من اقتباس السكان عنهم اقتباساً ملحوظاً مذ حلوا  
بينهم ، ثم ماجاء بعده من استراية وحيلة تبدوان في  
وضوح وصراحة على جميع الأجوار . ولقد حاول  
الصغار في اليومين الأولين أن يختلطوا بصبية الحى ،  
ولكنهم كانوا في كل محاولة يجدون أنفسهم وحيدين  
حيث وقفوا ، وينظرون فاذا الصبية عادوا وعقدوا  
لهم بعيداً حلقة أخرى يستأنفون فيها ألعابهم . ولقد  
فهم الاخوان الثلاثة مما رأوا من سلوك صغار الحى  
ومما فسره لهم أبواهم أن وجودهم بينهم غير مرغوب  
فيه ، وأن عليهم أن يكتفوا عن لحاقهم ، ويكتفوا  
بالعب بعضهم مع بعض ، فأذعنوا لذلك كارهين

ولم يجد عبد الكريم البرجى صعوبة في تبين  
أسباب هذا الاقتباس والاستراية في سكان الحى .  
فقد اعتاد أن يرى مثل ذلك حينما حل العمور  
نفر من أبناء جنسه ، بل هو يعلم أنه أضحي من الحيلة



في الآفاق ، ولكن حرمة إياه حياة الاستقرار التي اصطنعها أخيراً

وأراد عبد الكريم أخيراً أن يكتب تقدير الناس واحترامهم . بعد أن أزال من نفوسهم كل أثر للرية وسوء الظن ، فأدخل بنيه الثلاثة مدرسة البلدة يتلقون مبادئ القراءة والكتابة والحساب والتركية كغيرهم من أبناء البلدة

ويبدأ أبناء عبد الكريم نشاطاً وهدوءاً في الدرس ، فيكونون في طليعة لدايم طلبة السنوات التي قضاها في مدرسة البلدة . ويوزر المدرسة في آخر العام مفتش معارف الولاية وهو رجل تركي ، ويحبب انتباهه أبناء عبد الكريم بسيماهم وقبائهم الخاصة ، فيسألهم في بعض ما تعلموه ويحيونه أجوبة تسره ، فيسأل عنهم . وحيناً يخبرونه من أوم وكيف أثر حياة الاستقرار على حياة التطوف والانتقال تستولي عليه الدهشة والاعجاب ويمت وراء أبيهم ، ويحضر هذا ويسأل المفتش لماذا أثر حياة الاستقرار دون أبناء جنسه ولماذا هو يمت أبناءه إلى المدرسة ؟ فيجيب جواباً موفقاً إذ يقول : « نحن يا سعادة البك نرغب أن نكون خداماً نافعين للدولة إذ نختار حياة الإقامة والاستقرار ، ونعلم الأبناء ليصبحوا قادرين على خدمة الدولة الخدمه الصالحة المقروضة على كل عماني أمين » ويسر المفتش سروراً كبيراً بهذا الجواب ويقول : « عفارم عفارم عبد الكريم ! إننا سوف نرسل بنبك على نقعة الدولة إلى المدرسة التجهيزية ليكونوا خداماً صالحين للدولة كما نرغب »

ولم يستطع عبد الكريم أن يجيب على هذا

نظرات الارتباب وخف التهامس بين الناس كلما مروا قريباً منهم ، وثأب إلى ربات الدور بعض اطمئنانهن فاستطاعت صفية أن تلقى عليهن التحية وتقف دقيقة أو دقيقتين تحدثن دون أن ينفرن وينفرط عقدهن أو يتحسنن حلين خشية أن تطير من حيث لا يحتسبن أن تطير .

وزاد اطمئنان السكان حيناً رأوا عبد الكريم يعمد إلى غربال كبير وعملاء بالفواكه والخضر والسحارة المشوية <sup>(١)</sup> والمحضر المسلوقة وخلافها مما قد يتسع له هذا الغراب ، ويحمله على رأسه ويدور على الساكن من الصباح إلى المساء يبيع ما يستطيع بيعه ثم يعود إلى منزله لا يرحه إلا في صباح اليوم التالي . فلقد أنعمهم هذا بأن عبد الكريم عازم غزياً أكيداً أن يعيش من كد يده لا مما يستطيع أن يناله بالسرقة والتسول

هذا وقد برزت عناصر الطيبة والأريحية في البلدة حيناً رأوا عبد الكريم يخرج على تقاليد الجنس ويصطنع هذا الأسلوب من الحياة المستقرة ، ويعيش مما يحصله بكدي يمينه وعرق جبينه ، وغدت ربات البيوت لا يشتري من السوق شيئاً يستطعن شراءه منه ، بل غدون يوسينه بأشياء وحاجات معينة يأتيهن بها من السوق وينال عليها رجحاً سيراً

وتحسن أحوال العائلة وصار عبد الكريم يستطيع أن يتخذ له مكاناً يستقر فيه ويعرض للناس سلمه ، ولكنه أثر أن يظل بائناً متجولاً ، وكأنه بذلك يلي بطريقة محوكة مصفرة ما غرسته الأجيال في دمه ودافته في أعصابه من حب التجوال والضرب

(١) السحارة فصيح « الملقى » العامية

عمله . فقد كان في سميت حسين المستكين وإحدى  
الماهات اللازمة له ورسوب أخويه رسوباً شديداً  
ما جعلهم يشفقون عليه ويعاملونه معاملة لينة ، ولا سيما  
أنه كان أقل اخوانه انصرافاً عن الدرس إلى اللهو  
والاستهتار

وأرسلت النتائج المدرسية للاخوان الثلاثة إلى  
مفتش المعارف فقرر فصل محمود ووصفي وإبقاء  
حسين . وبلغت عبد الكريم نتائج بنه تلك وما  
قرر المفتش حيالها ، فأقامه ذلك وأقعد ، ولم يقر  
له قرار حتى ذهب يني مقابلة المفتش لعله يستطيعه  
ويعصره عما دبر لابنيه الفاشلين ، ولكن المفتش  
أبى أن يقابله ، فلقد أحس أنه يرى ثقته واختياره  
يقمان على وهم فاشلة ، واستعداد مزيف ؛ ولكن الأب  
لم ييأس ولم يفت في عضده أن منع الدخول على  
المفتش في مكتبه ، فترصد له في الشارع المؤدى إلى  
بيته ، وحالاً لمحه يخرج من المكتب يني المنزل أقل  
راكضاً من بعيد ، وأكب على يديه ورجليه وما  
زال يبيكي وينتحب ويستغفر لبنيه إلى أن رق له  
ووعده بأن يعيد بنيه جميعاً إلى المدرسة ليحبرهم  
سنة أخرى ، فضى عبد الكريم ودموع الحزن  
والشكر تبلل وجهه ، ودعا للمفتش أحر الدعاء  
وعاد وعلى وجهه كل سمات النصر الدليل والنجاح  
الضارح

وقيل أن يعود أبناء عبد الكريم إلى المدرسة  
في العام الجديد استعداداً للمفتش إلى مكتبه وأنسبهم  
تأنيلاً شديداً مرزاً على تقصيرهم وسيرتهم المريية ،  
وأخذ عليهم المواقف في أن يقلعوا عن حياة اللهو  
والاستهتار ويتكبدوا على عملهم المدرسي وينصرفوا

الانعام الكبير إلا بالانهيار على يدي المفتش يقبلهما  
بشدة ودموع الفرح والنبظة تفيض بها أجفانه  
وتسبح منهمة على يدي المفتش النعم

\*\*\*

أدخل أبناء عبد الكريم البرجي المدرسة  
التجيزية كما وعد المفتش أبائهم ، ولم يفتّر لهم هم أو  
يحبو سبي أول ما دخلوا المهد ، فكانوا أمثلة جيدة  
في صدق العمل وحسن الاجتهاد ، ولكن الانتقال  
من بيئة القرية المحدودة إلى محيط المدينة الصاحب  
بدون تدرج في هذا الانتقال أو تمهيد له يكون له  
غالباً مثل نتيجة الانتقال من المحيط المظلم إلى المحيط  
الشديد الانضاءة ، فتفشى الأبصار وتروغ الأنظار  
أمدأ بطول أو يقصر حسب استعداد الأشخاص  
لسرعة التكيف والتحول السليم من حال إلى حال .  
ومن هنا لم يلبث أبناء عبد الكريم إلا شطراً  
يسيراً من العام حتى أدرکوا الفارق الكبير بين  
حياة القرية ومتمها الضئيلة النافهة ، وبين  
ما تتكشف عنه حياة المدينة كل يوم من متع أسرة  
ولذات مغرية . ولم يكن من حياة البلدة ونماذج اللهو  
فيها - إن صح أن ينسب إليها اللهو - ما يستطيع  
أن يتبداه أبناء عبد الكريم فيكون لهم جسراً  
ينتقلون عليه آمنين من عدوة إلى أخرى من عدوات  
الحياة . لم يكن لهم شيء من الخبرة السابقة والقدرة  
على تمييز سليم اللهو من الموبق ، فكان لذلك أثره  
المحتوم في نتائج عملهم عند نهاية العام ، فرسب  
محمود ووصفي رسوباً شديداً ، ونجح حسين نجاحاً  
لعله كان أعود إلى شعور الاشفاق في صدور المدرسين  
منه إلى جهد صادق من حسين وتقدير عادل لنتائج

طريق الفرور والدعوى إلى حد الاستهتار بهم والاحتقار الشديد لهم ، فثارت ثارتهم وأقبلوا يسبقونهم بالسنة حداد ويردون على استهتارهم واحتقارهم لإيهم باستهتار واحتقار أشد . ولكن الغريب أن ذلك لم يوقفهم عند حد من الفرور والاستهتار ، فكأنهم آمنوا على أنفسهم من ناحية علمهم ومعرفتهم ، فعدا لا يهتمهم أن يهاجوا من أى نواحى الهجوم . وقد أغاظ هذا الموقف غير البالى أهل البلدة وأحفظهم ، فأداروا رؤوسهم هنا وهناك يلتامسون ناحية ضعيفة فى هؤلاء الفرورين ، فينفذون إلى مكان من الفرور فيهم ، فيقتلونهم فيهم أو يقتلونهم به . وكما ينزل الوحى فجأة تنبها فجأة إلى أن الاخوة من ذلك الجنس الذى يضرب الثل به فى الحفارة وهوان الشأن والحظة . ولم ترجمهم البلدة الموتورة فى كرامتها ، فانتشرت لفظة « النور » ومشقتها فى طول البلدة وعرضها وغدت على كل لسان ؛ وصرت حيثما ذهبت لاتسمع إلا : النور ! النور ! استنور القوم ! ما أنورهم ! فبح النور من أجل النور ! وما إلى هذه الألفاظ والتمايم مما هدى القوم إليه الحقد والضعيفة . وفعلت هذه الموجة الصاخبة فعلها فرددتهم إلى نفوسهم ، ثم اكتسحتهم اكتساحاً ، فعادوا يتقمعون اقتباعاً شديداً فى مسكنهم كمثل ما ألقوا إليه أول ما هبطوا البلدة . وشعروا بجمرة الائمة إذ رأوا كل ذلك البناء الذى بنوا بنهار عند كلمة واحدة ( النور ) ، وشعروا كذلك بحقد وكرامة بالغة — لأهل البلدة — بل لذلك الوالد الذى « أى أن يكون إلا نوريا ١١ » وكم أخذوا يتمنون ( يبدع أنوفهم ) لو أنزلوا من صلب غير صلبه !

إليه عن كل ما عداه ... وخرجوا من لده وفى سعاتهم وخلوأتهم كل دلائل الدلة والضراعة والانفراج بعد حساب عسر ورهبة

عاد الاخوة الثلاثة إلى المدرسة التجهيزية ، وكأن نصائح الفقتش أو تهديده ثم ما يكون عادة من رد الفعل القوى لكل قمل قوى ، قد أثابت إليهم بعض عزيمتهم والمآزب من رشدهم ، فأقبلوا على دزوسهم إقبالاً إن لم يحقق لهم التبريز فقد جنبهم الفشل . وظل ذلك دأبهم إلى أن خرجوا من المدرسة بعد بضعة أعوام يحملون شهادتها ويحملون فى الوقت عينه شيئاً غير يسير من صلف المعرفة الناقصة وغرور العلم الفج . هذا إلى ذكريات لوقائع ومغامرات عديدة ما قثتوا يوماً يباهون بها ويقولون : « لقد كنا كالحيتان فى البحار تفتح أفواهاها لتستقبل جميع أنواع السمك بلا تفرق بينها ثم لاتجد معدها مع ذلك صعوبة فى هضمها جميعاً وتمثيلها ! »

وقد استقبل أهل البلدة أبناء البرجى استقبالا حسنا وطلقوا يهنئون أبويهم أحر التهنة ويتمنون لهم أحسن المستقبل وأفضل العمل . وكأن الاخوان الثلاثة فهموا من إقبال أهل البلدة على تهنتهم والاستبشار بمستقبلهم أنهم جاءوا يقرن لهم بالفضل المطلق ويأبمونهم على إمارة العلم والمعرفة فأدار ذلك رؤوسهم وضاعف غرورهم وصلفهم إلى حد لا يطاق . وقد احتملهم أهل البلدة أول الأمر إذ ظنوا أنها نشوة النجاح لا تلبث أن تزول ويحل عليها الاتزان والتقدير الصحيح للأمور ، ولكنهم لاحظوا أن أبناء البرجى يعضون فى

وفيراً من المال... وينظر الأب إلى هذا المال الكثير فيتنبه إلى أن بنيه يسرفون في معيشتهم، وأن عليه أن يحد من غرب أهوائهم ويمنه من شهواتهم. وتهاجمه هذه الفكرة هجوماً هيناً أول الأمر، ثم يمود هجوماً عنيفاً أشد العنف. ويتقدم أخيراً إلى بنيه ويمنهم بمرارة وحدة إلى إسرارهم البالغ وتبذيرهم الشديد. ويستغرب الأبناء هذا المظهر الطاري من أبيهم ويقولون: «مالك تركتنا نعيش كأنشاء والمال قليل بين أيدينا، وتبجي الآن—وقد أسبغ الله علينا نعمه— تريد الحد من أسباب سعادتنا وتمكيد صفونا؟ إنه لشيء عجيب حقاً!» ولكن الأب لا يعنى إلى حجبهم ويصر على محاسبتهم محاسبة دقيقة على ما يسرفون ويبدرون. وأخذ يذكركم أن له الحق المطلق في تنظيم شؤون الصرف كما يرى ويقول: «أى شيء كنتم تكونون الآن لو آثرت الانتفاع بأنسابكم المبكرة وشغلتمكم في البلدة ولم أرسلكم إلى مدرستهم؟ ثم أى شيء كنتم تصيرون إليه لو لم أترام على قدى الفتش بعد فشلكم الشنيع فبرق لي ويعيدكم إلى المدرسة بعد أن قرر طردكم؟ أذكروا هذا وانظروا أى إنهم تقترفون؟ وأى فضل تتكبرون أنها الأبناء العاقون إذ ترغبون أن تركبوا رؤوسكم وتمشطوا أهواءكم الجاحجة كأنشاءون!»

وقد كان يذعن البنون وينزلون عند هوى الأب لو جاءهم بهذا العزم مبكراً قبل أن تتمكن منهم عادات الاسراف وتتأصل فيهم، ومن هنا يفهمونه بصراحة أنهم لن ينزلوا عما اعتادوا أن يعيشوا من العيش الرغد ليجاروا هواه القريب في التقدير والتضييق عليهم، وهكذا يصر الأب من

وجاهم الفرج — بعد إذ غدت حياتهم لانتطاق حقاً — حينما جاءتهم طلبات من الحكومة للعمل في بعض دوائرها. فأقبلوا بلا ولاء يستعدون للرحيل. وفي ليلة من ليالي كانون الكالحة أمسوا ولم يصبحوا

\*\*\*

استأجر عبد الكريم وبنوه بيتاً أنيقاً كبيراً في المدينة التي اختير الأبناء للعمل فيها؛ وتنفسوا الصعداء بعد تلك المطاردة العنيفة التي طوردوها في البلدة، وشعروا بلذة الانطلاق بعد الانقباض، وذاقوا حلاوة الاطمئنان بعد صمارة القلق. ولكنهم عادوا بعد حين يستشعرون شيئاً من الاضطراب الخفي والقلق المكتوم؛ واستغربوا أول الأمر أن يعود إليهم القلق والاضطراب بعد نجاة وأمن، ولكن لم يصعب عليهم أخيراً أن يتيبنوا أسباب ذلك فقد شعروا أنهم ما زالون تحت خطر المطاردة، إذ ماذا يمنع أن يستطيل حقد أهل البلدة ويستمر فيرسوا من يدل أهل المدينة الكبيرة على أصلهم الوضع ونشأتهم الحقيرة، فيكون الشيء الذي لا يطاق والتعاسة التي لا تحد. ومضى شهر ثم شهر ثم آخر وهم كاللدى بين فكى القضاء لا يدري متى يطبقان عليه. ولكن بعد أن مضى هذا الزمن ولم يرد من البلدة نبأ يدل على أصلهم أو يحضر رسول سوء يكشف للسلا أمرهم، عاد يتسرّب إليهم الاطمئنان من جديد، وأيقنوا أنهم سيثبون الظن بأهل القرية أكثر من اللازم

ومضى حال العائلة رخيئاً خليئاً أمداً طويلاً. وقد استطاع الإخوة أن يدخروا من رواتبهم والزضى التي كانوا ينالونها على عادة موظفى ذلك الزمان شيئاً

أن تفرض عليه هذه الرغبة فيقتل نفسه باختياره؟<sup>١٩</sup> ويجب محمود: «لا تعجل ياوصي! كل ما أعنيه هو أن يكون ظاهر الأمر انتحاراً وحسب. وعلى كل أتركاني أفكر في الأمر ملياً، وأعد للأمر خطة محكمة أعرضها عليكما غداً» ويقوم كل إلى فراشه منطوباً على شرا مانطوى عليه نفس من نفوس البشر

\*\*\*

أبدى الإخوة في الأسابيع التالية تساهلاً شديداً مع الأب، فدفعوا إليه بجميع ما لديهم من تقود وطلبوا إليه أن يجري الاقتصاد والتدبير في جميع نواحي عينتهم. وبدهشه أول الأمر هذا الانقلاب ينقله البنون من موقف المناد إلى موقف اللامهنة، ويفسره بأنه - لا شك - النتيجة المحتومة لما هدهم به من هتك سرهم والذلالة على أصلهم. ويشمر بنشوة الفوز فيمنع في التدبير والتقدير، وكلاً لاحظ أن بنيه يهيمون بكلام يقول: «يا لله! ماذا يصير إليه حالنا لو علم الناس حقيقة أمرنا والحقي من شأننا؟! إنه لشيء مرعب حقاً. ولكن الحمد لله إن أحداً إلى الآن لا يعرف من أمرنا شيئاً! « وفي يوم يتقدم حسين إلى أبيه ويقول: «إننا في حاجة إلى جبل للتسثيل فاشتره لنا ياأبت وحاول أن يكون من الجلس الجيد الرخيص»

ويسر الأب إذ يرى بنيه أصبحوا يفهمونه ويحارونه على خطته في الاقتصاد، فيمد حسناً بأن يتنازع لهم أحسن الجبال وأرخصها ولو اقتضى الأمر أن يدور على جميع أسواق المدينة لا يترك منها واحداً.

ابتاع عبد الكريم البرجي الجبل بعد أن طاف على معظم أسواق المدينة ينشد الرخص والجودة ممّا.

جهته ويصر البنون، فيذب الخصام ويستطيع الجبل والشادة. وفي ثورة من ثوراته يصيح الأب: «مرتم ناساً يا نور! لا تستطيعون أن تمشوا إلا كالحكام والولاة، والله لأريكم! ويحفل البنون عند كلمة «نور» وتتسع حدقات عيونهم وتشخص أبصارهم كمن تبين فجأة خطراً داهماً وشرّاً مستطيراً. ويلحظ الأب ذلك ويتنبه إلى هذا السلاح الحاسم تقوده إليه فجأة ثورة من ثورات الغضب، فيعود يقول: «نعم، نور وألف نور؛ والله لأفضحنكم وأعيدنكم مهزأة في أفواه الناس أجمعين! إفعلوا ما تشاءون وتقدرون، وسأفعل ما أستطيع يا نور! (وهنا يرفع صوته بكلمة «نور» عالياً) ويخشى البنون أن ترداد ثورته فيقوم بتنادي على الناس في السابلة: تمالوا انظروا النور، تمالوا أخبركم عن أصلنا الوضع الحقيق، فيخرجون صامتين من لدنه وسبأ الكره الشديد والدهشة البالغة في عيونهم وعلى وجوههم

وينادي محمود بعد صمت طويل وتفكير عنيف: «ماذا تريان؟! إن كل ما بنينا يوشك أن ينهار على رؤوسنا. لماذا لا نفعل شيئاً؟ هل نبقى كالخوت عرست في جنبه حزبة نصعبه حينما توجه إلى أن تقضى عليه؟! لماذا لا نزيل هذه الحربة السمومة من جنوبنا ونحطمها ونرميها قصياً؟<sup>٢٠</sup> وبجيبه وصفي: «علينا أن نتخلص منه وإلى الشيطان مثل ذلك الأب البين! ويقول حسين: «ولكن كيف نستطيع التخلص منه؟ وماذا نصنع لتنجو من عواقب ما تشيران إليه؟» ويجب محمود: «الأمر هين. علينا أن ندعه ينتحر! ويضحك وصفي ضحكة صفراء ويقول منهمكاً: «ولكن كيف نستطيع

السوداء والحزن المهم ، فكننت أسأله ماذا به ولم أراه واجاً ، فكان يجيب : لاشئ\* لاشئ\* ، وتبسط أسأله وزول وجومه كأنه يحاذر أن يطلع أحد على دخيلة أمره . وكنت أسأل والدتي — بحكم نفوذ المرأة إلى أسرار الرجل — هل ترى شيئاً لهذه السوداء والوجوم يتملكه أحياناً ، فتجيب بأنها لاتعلم من أمر ذلك شيئاً »

ويجئ الطيب ، فيرى أن تنزل الحقة ليفحصها ويرى هل في الحادث جناية مدبرة أم هو انتحار وحسب . ولكن المدعى العام يطلب اليه أن يترث قليلاً ، ويطلب إخراج الاخوة ، فيخرجون . وعندها ينصب الكرسي الذي كان مطروحاً تحت رجل عبد الكريم ، فيلاحظ أن الكرسي لا يصل إلى قدميه بل يظل بينه وبينهما خلاء بمقدار شبر . وعندها يلتفت إلى الطيب وقائد الدرك ويقول : « حتماً هذا الكرسي وضع هنا للتنمية ولم يستعمله الرجل في انتحاره قط ، إن يكن مات منتحراً . وعلى كل دعونا نزل الحقة الآن فقد يكشف لنا الفحص الطبي أفى السألة جناية أم هي انتحار وحسب » وتنزل الحقة ويلاحظ المدعى العام أن على الجبل آثار احتكاك حوالى الجبل الذى رُبط منه بحديد النافذة ، فيضيف هذه الملاحظة إلى ملاحظته على الكرسي . ويشرع الطيب في فحص الحقة ، فيقرر بعد الفحص الدقيق أن ليس ثمة أثر لاستعمال العنف ، وأن فقرات العنق محولة مما يدل على أن الجسم منط إلى أدنى بعد إذ كان معتمداً على ثشي\* . إلا أن المدعى العام ينبهه إلى أن حول العنق دائرتين من أثر ضغط الجبل عليه ، ويسأله كيف يملئه ؟ ولكن الطيب لا يهتدى إلى تعليل

وفي صباح اليوم التالى لشتراء الجبل سمع الجيران صياحاً وولولة فأهرعوا ينظرون ماذا أصاب عائلة البرجى في ذلك الصباح ويدخلون فيرون صفيّة والاخوان الثلاثة يتكئون ويمولون أشد البكاء والمويل ، ويسألون : ماذا دهام وأى خطب أصابهم؟ وتشير الزوجة بأصابعها إلى غرفة نوم زوجها ، فيظل الجيران وإذا عبد الكريم معلق من رقبتة في حديد النافذة وعيناه جاحظتان ولسانه مدلى على صدره مقدار شبر . ويروهم النظر ، فيجفلون ويقبلون على صفيّة وأبنائها يسألونهم : كيف كان ذلك ومن صنعه ؟ ويجيب صفيّة : « لا أدرى ! لا أدرى . كل ما أعرفه أن عبد الكريم ابتاع البارحة حبلاً قال لى إننا نحتاجه وجئت غرفته هذا الصباح لأوقفه فوجدته معلقاً كما ترون » أما الاخوان فكانوا يمثلون دور الدين عقد الحزن ألسنهم فلم يجيبوا عن استفسار الناس بشيء

ولم يمض وقت طويل حتى أبلغ قائد الدرك نبأ الحادث ، فحضر إلى بيت عبد الكريم بصحبته المدعى العام . وشرع المدعى العام — بعد أن عاين الحقة — يجرى تحقيقاً دقيقاً ، فتوجه إلى الزوجة أولاً وسأله عدة أسئلة ، فتبين من أجوبتها ولهجة حديثها ومظاهر الحزن الأكيد فى وجهها أنها لاتعرف من المأساة سوى فصلها الأخير . فتركها وبادر التحقيق مع البنين ، فكانت أجوبتهم جد متقاربة ، وتشير إشارة واضحة إلى أنهم لاتهمون أحداً وإلى ترجيحهم أن أباهم مات منتحراً . ولما سأله المدعى العام ماذا يظنون الدافع لانتحار أبيهم ، كادوا يلمتمون لولا أن محموداً قال : « يُحيل إلى أن والدى كان فى المدة الأخيرة يملكه ثشي\* من

جديداً على موت البرجي بما ساقف عليه من ماضى  
الرجل وبنيه

\*\*\*

بعد شهرين كاملين من هذه الحوادث بكر الناس  
في صباح أحد الأيام بالنهوض والذهاب إلى قاعة  
المحكمة ليتسنى لهم أن يحجزوا فيها مقاعد لهم  
ويشهدوا محاكمة أبناء البرجي بتهمة قتلهم أباهم كما  
سيثبت ذلك المدعى العام في هذه الجلسة الختامية  
وحوالي الساعة العاشرة جاء جنديان مسلحان  
يسوقان أبناء البرجي ويدخلانهم قفص الاتهام ؛ وبعد  
أن تمت الاجراءات اللازمة وقف المدعى العام وألقى  
بصوت هادئ رصين مرافقته التالية :

حضرات القضاة المحترمين ! لا أريد أن أطيل  
الشرح ولا أكثر التحليل وإنما أكتفي بمرض  
موجز للحقائق التي بنيت عليها نظريتي في الاتهام ،  
وهي أن وفاة البرجي لم تكن نتيجة للانتحار كما دلت  
على ذلك ظواهر الأمر ، وإنما كانت الوفاة بأيدي  
جناة آثمين هم هؤلاء البنون المائلون أمامكم ، إن جاز  
في عرف المبادئ النبيلة والغايات الشريفة أن ندعوهم  
أبناء ، ولو كان الصخر بنبت بنات وبنتين لقلت إن  
هؤلاء الذين لا أستطيع أن أدعوهم بنين إلا تمجوراً  
نشأوا من الصخر الجلعد والحجر الأصم

إن أول ما نهني إلى أن الحادث لم يكن  
انتحاراً الكرسي الذي وجدناه مطروحاً تحت رجل  
القتيل . فقد بدا لي أن أفقه تحت رجله لأرى  
أطولوه رجلاً الجثة أم يبق بينه وبينها فراغ ، كما  
تبادر إلي ؛ وقد صدق حدسي لما نصبت الكرسي  
وظل بين أعلاه وقدي القتل مقبداً شبر من الفضاء

مقبول . ويضيف المدعى العام إلى ملاحظتي الأوليين  
هذه الملاحظة الثالثة عن أثر الحبل حول العنق

ويطلب المدعى العام الإخوة ، فيحضرون ،  
ويعتذر إليهم عن ريكهم بالأسئلة في وقت هم  
أحوج ما يكونون فيه إلى بواثب التعزية . ويسمح  
لهم بدفن أبيهم إذ لم ير وجهاً لموته غير الانتحار  
يدفن الاخوة أباهم ويعودون من المقبرة .  
وفيما هم سائرون والناس وراءهم وأمامهم اغتمم محمود  
عطفة في أحد الشوارع والتفت إلى أخيه وصنى ،  
وقال بصوت خفيض : « لقد دفنا الماضى البغيض ! »  
ولم تفت العبارة أذنين كانتا تسيران خلصة وراءهم  
للتفتظا مثل هذه العبارة أو غيرها

وزداد المدعى العام يقيناً — بعد أن سمع  
ما سمع — بما أخذ يكوّنه لنفسه من نظرية حول  
موت البرجي فيقول : إن هذه العبارة التي همس بها  
أحد الاخوان تدل دلالة واضحة على أن الإخوة لم  
يعازج نفوسهم قط شيء من الحزن لموت أبيهم ، بل  
هي تشير إلى مبلغ ارتياحهم وسرورهم لموت أبيهم .  
وليس بالقليل أبداً أن ينسيهم شعور الانفراج بموت  
هذا الأب واجب الحيلة اللازمة فيناجى بعضهم  
بعضاً بمثل ما سمعت . أما مظهر الحزن الذي يتكلفه  
الاخوان الآن تساعدهم عليه طبيعتهم الصفراوية  
وملاصحتهم المهمة المكتومة ، فهو دور يتخلونه ويتقنون  
تمثيله ، ولكن الذي يحيرني بعض الحيرة هذا  
« الماضى البغيض » الذي يشيرون إليه ، ولعلّ إذا  
أرسلت من أعمد إلي إلى البلدة التي جاءونا منها  
يتحرى عن جلية أمرهم ، أستطيع أن ألقى نوراً

والدائرتان من أثر الجبل حول عنق القتيل . فالناذرة السفلى هي بلا ريب أثر الجبل إذ شد على عنق الرجل وهو نائم والدائرة العليا هي أثر الجبل بعد أن علق في حديد النافذة ، وقد نهى إلى دلالة الدائرتين من أثر الجبل حول عنق الرجل الاحتكاك الذي رأيته في الجبل قريباً من مكان تعلقه بحديد النافذة ، إذ خيل إلى أن هذا الاحتكاك نائم من إدخال طرفي الجبل في فجوة من فجوات حديد النافذة وسحبهما من الجهة الخلفية إلى أسفل رفع الجثة على نحو ما ترفع الأجسام بالكراش . فقد قلت لأرب أن الرجل مات غنوخاً قبل أن يعلق ، والأرجح بل الأكيد أن يختلف وضع الجبل حول عنق الجثة وهي ملقاة أفقياً ثم وهي معلقة عمودياً ، وعليه طلبت أن يخرج الجبل من عنق الرجل ونظرت فإذا أتران : الأول مخفي تحت زيق القميص ، والثاني مكان الجبل إذ شد على عنق الرجل بعد التعليق

وأحببت أن أعلم من جاء بالجبل الذي علق به الرجل ، فسألت الإخوان فأجاب كلهم بأن أيام اتباعه كانوا يبتاعون ذلك يتسارعون إلى إبعاد التهمة عنهم ولكن لم أقتنع بكلامهم ورحت أسأل التجار في السوق هل اتباع البرجي حبل قبل أن تحدث له الوفاة فكان جميعهم يجيب بأن البرجي جاء حقاً يطلب حبل . وقد أخبروني جميعاً كذلك بأنه كان في حالة نفسية جيدة وأنه جادلهم طويلاً وما كسهم في الثمن كثيراً فاستغربت ما ذكره من مظهر حرص الرجل وقلت : هل بمقل أن يكون المرء حريصاً مثل هذا الحرص وهو قادم على الانتحار وتطلق الحياة بخيرها وشرها ؟ ثم ألا يجوز أن الأب حمل اختياراً على شراء الجبل — تحمله على ذلك أحد

وهنا أدركت أن من المستحيل أن يكون الرجل علق نفسه بحديد النافذة ثم ركل الكرسي ، بعد أن صعد عليه ، ليسقط جسمه ويشد الجبل على عنقه وزهق أنفاسه . وإنما المقبول أن يكون الرجل خنق بالجبل على الأرض ثم علق بعدها وطرح الكرسي بين رجله ليأبىاهم المحققين والإلقاء في روعهم أن الموت كان انتحاراً وحسب ، ولكن فات الجناة أن يتقنوا أسباب التعمية هنا ، فم الكرسي عليهم ثم أنزلنا الجثة وتقدم الطبيب ليفحصها ، وقرر الطبيب أن فقرات العنق محمولة مما يدل على سقوط الجثة إلى أسفل ، كما قرر أنه لا تكاد تبدو آثار من استعمال العنف على الجثة ، مما جعله يميل إلى نظرية الموت انتحاراً لا قتلاً .

بيد أن تقرير الطبيب وتوجيه الوفاة انتحاراً لا قتلاً لم يفت في عضدى بل كان مساعداً لي على تصور الجرم تصويراً خيالياً ، ثم وجدت بمدد من الحقائق ما يبرر لي هذا التصور : تصورت أن البنين — لسبب من الأسباب — أرادوا قتل أبيهم فجاءوا بالجبل ودخلوا عليه ليلاً فالفوه نائماً وعندما وضعوا أنثوطة في الجبل وأدخلوا رأس أبيهم فيها وأمسك واحد من الأخوة بطرف من الجبل وآخر بالطرف الآخر ثم تهاذبا الجبل بينهما بقوة وسرعة ففاضت روح السكينة دون أن يبدى مقاومة ، يساعد على ذلك استغراقه في النوم وشيخوخته . وبعد أن أتم الجناة ما جنوا رفعوا الجثة وعلقوها بحديد النافذة ليوهموا الناس أن أباهم مات منتحراً هذه الصورة التي صورتها لنفسى عن كيفية وقوع الجرم حاولت أن أدعمها بالحقائق ، وأول مساهماتي من الحقائق دليلاً على صدق الصورة



لها ، وعندها قالت : إنها لم تلاحظ شيئاً من ذلك ، بل كأنها لاحظت أن الرجل زاد قوة وانشراحاً ، ولا سيما بعد أن انقطعت المشادة بينه وبين بنيه

بعد أن أصغيت ما أصغيت الى ثرثرة الخادم دون أن تدرك خطورة ما أقضت به إلي قالت : هذه أدلة جديدة تريدني يقيناً بأن البرجي راح بحجة العقوق ولؤم البنوة . فالجبل لم يشتره السكين لينتحر إذن ، وإنما أوحى بنوه إليه بشرائه زيادة في الاحتياط ، فيقول الناس والمحققون ان الرجل ابتاع أسباب الموت والقضاء بيده . كذلك أدركت ان ما قاله لي محمود في بدء التحقيق من استيلاء السوداء والشذوذ على أبيه قبيل الحادث واعتقاده ان لذلك علاقة بانتحاره لم يكن إلا كذوبة ارتجلها في غير تفكير ليتخلص من حراجة الموقف حيناً أمجّلتها بالسؤال هو وأخوه عن أسباب انتحار أبيهم . أما ما كان يتردد على لسان الأب وقت المشادة من لفظ «النور» فلم أحله أول الأمر محلاً خاصاً ، قلت : هي عادة الشرقيين من الاسفاف في الخصومة وتوزيع الثموت والألقاب في غير قصد ولا اعتدال . ولكنني عدت ونظرت إلى هذا اللفظ يتردد في الخصومة بين الأب والأبناء نظراً جديداً لما جاني من اتدبته الليث عن ماضى القوم في البلدة التي جاءوا منها بأن القوم يمتنون مباشرة إلى النور ، وأنهم قوطعوا من جراء ذلك مقاطعة شديدة أول ما حلوا البلدة ، ثم طوردوا مطاردة عنيفة — لأموور طارئة — بلفظ «النور» حتى اضطروا أن يرحلوا بليل

بعد هذا عدت إلى ترتيب الحقائق ترتيباً

بنيه حتى يُعلم في السوق أن الرجل أعد وسائل الانتحار بيده ؟ دارت في نفسي هذه الخواطر ، فكرت في سؤال الإخوة من جديد لعل استدرجهم إلى معرفة من أوحى بمشترى الجبل . ولكنني عدت عن هذا الرأي لأنني رأيت الإخوة — بعد أن رأوا الشبهة تتجه نحوهم — يعمنون في الحذر والحيلة بحيث لم يمد في الامكان استدراجهم . ولكنني لم أياس ، فقد تطلعت بمخادم المنزل ، فأخبرتني بأن حسيناً هو الذي طلب إلى والده مشترى الجبل ، وقالت انها علمت ذلك من عبد الكريم نفسه فقد استغربت لماذا اشترى الجبل ولديهم جبال كثيرة ، فأجابها بأن ابنه حسين هو الذي طلب إليه شراء الجبل لحاجة البيت إليه . وزادت الخدام أن نقاشاً حاداً كان يقع بين عبد الكريم وبنيه ، ولكن ذلك النقاش هدا فجأة كما بدأ فجأة ، وساد البيت بعده مظهر قوى من الاقتصاد والتقدير . وهنا سألت الفتاة : هل تذكر شيئاً مما كان يدور بين الأب والبنين عند ما كان ينتجهم الجدل والمشادة ، فأجابت بأنها كانت تخشى أن تدنو من الأبواب والنوافذ حيناً كانوا يناقشون ، ولا سيما أن بعض الإخوان كان يخرج الحين بعد الحين يستوثق أن أحداً لا يسترق السمع أو يصني لما يتجادلون ؛ ولكنها رغم ذلك استطاعت أن تسمع الأب مرة أو مرتين يردد بصوت عال كلمة «نور» فكان الأبناء يستكثنون جد الاستكانة ويفكرون عند سماعها . وأخيراً سألت الخادم : هل لاحظت على عبد الكريم قبل أن يقدم على الانتحار شيئاً من الحزن والسوداء ؟ فأجابت بأنها لا تعرف ماذا أعنى بالسوداء ففسرتها

## الأخوين الآخرين :

ويختم المدعى العام مرافقته بطلب الحكم الصارم على الإخوة الثلاثة إذ يقول : إنني أطلب من المحكمة الموقرة ، بعد أن عرضت عليها عرضاً واضحاً عناصر الجريمة وجميع ملامساتها - أن تحكم على هؤلاء الإخوة الثلاثة كقتلة سفاحين انحدروا إلى أقصى درجات الوحشية وألأم صفات الاجرام والالام ؛ إذ من تمتد يده إلى شعلة الحياة في مصدر الأنوثة تعبت بها وتطفئها إلا من أعطى نفس خنزير أو أدنى من نفس خنزير !!

ويوجه رئيس المحكمة الكلام إلى الإخوة ويقول : أنصحكم - بعد أن وضحت معالم الجريمة - بالاعتراف بذلك أولى لكم وأجلب لاستعمال الرأفة بكم ويقف الرئيس عند عبارة الأخيرة ينتظر جواباً فلا يتكلم أحد . فيعيد الكلام ويسأل : ماذا تقولون ؟ أنصرون على الانكار ؟ وعندنا يرفع حسين صوته ويقول متنبهاً في دنة تكسر بها الدلبة ويقطعها الحزن : نعم ، نعم ، نحن القتل ، نحن المجرمون !! ولا يستطيع محمود ووصفي بعد إقرار أخيهما أن يصرا على الانكار فيعترفان

واختل القضاة يتداولون بينهم أمر الحكم ، وشخصت الأبصار نحو الإخوة الثلاثة وفيها من المعاني والمواقف المتباينة ما أتى على القبية الباقية من ثباتهم وتماسكهم ، فيلتفت حسين إلى أخويه ويقول بصوت باك ورنه متحطمة :

— أنظروا ! قريباً سنتخلص من جميع ذلك الماضى البغيض !!

أوب عباس

جديداً بعض الجدة ، فقلت : لا ريب أن الأب كان يهدد بنيه بكشف ماضيهم واتسابهم إلى ذلك الجنس الوضيع (النور) ، إذا لم يرعوا ويزلوا على مشيئته فيما شجر عليه الخلاف ودبت الخصومة ، فاضطروا أخيراً ، اجتنباً للفضيحة واختياراً لأهون الشرين ، أن يذعنوا بعد أن يبتوا له شراً كبيراً . وقد ذكرت لي الفتاة الخادم أن الخصومة هدأت وتبعها فوراً تقدير واقتصاد شديدين ، وهذا بلا ريب ما كان يريده الأب ونجم عنه الشجار الذي انتهى حيناً أذعن البنون . وسارت شؤون الدار على هوى الأب لا على هوى البنين . وقد يبدو مظهر الاقتصاد والتقدير المفاجئ في الأب شيئاً غريباً ، ولكنني أقر هنا أنها حالة نفسية مشهودة شهوداً عاماً ، فكان رؤية المال يربو ويزداد - ولا سيما عند من يثرون بعد متربة - تزيد الناس حرصاً عليه ورغبة فيه ... أقول : اختار الأبناء أن يذعنوا من جهة ، ولكنهم - من جهة ثانية يبتوا للأب شراً مستطيراً ، فكانت حكاية الانتحار وأخيراً حقيقة الجنائية ...

وعند هذا الحد من مرافعة المدعى العام تسمع حركة سقوط في قفص الاهتمام ، فيلتفت المشاهدون ويلتفت القضاة فيرون حسيناً ملقاً على الأرض وقد أخذته غشية ، ويبادرون إلى إسعافه ، وحالاً يبق يستأنف المدعى العام مرافقته ويقول : قد رأيتم باحضرات القضاة المحترمين كيف انهار أحد التهمين بعد أن لم تقو أعصابه على التماسك في وجه الحقائق الصارخة بأنهم القتل المجرمون . ثم انظروا كيف غدت غيرة الموت وقرة الفناء تعاون وجهي

# الوطنية

مُترجمة عن مجلة الْقَصَصِ الْوَاقِعِيِّ لِانْجِلِيزِي  
بِقَلَمِ الْأَدِيبِ مَحْمُودِ السَّيِّدِ شَعْبَانِ

فقد أعلن لي (هانز) في  
يوم من الأيام — وقلبه  
يفيض حزناً، ونفسه  
تتملئ أسفاً، وجسمه  
ينفض فرقا — أن ألمانيا  
قد أعلنت الحرب على  
أعدائها، وأنه سيسافر  
إلى ميدان القتال لأن

اسمه قد درج بين أسماء المحاربين هناك ... ثم رجاني  
أن أعود إلى (باريس) — وفي الوقت مُسْتَحَقَّ —  
خوفاً من أن تجد ظروف تحول بيني وبين ذلك .  
وقد كان (هانز) — بالرغم من كل ذلك — على  
يقين من أن الحرب لن تستمر أكثر من ثلاثة  
شهور على أكثر تقدير، وأنه سيعود إلى بعد ذلك ..  
وأحسست بعد أن أفتت من صدمة هذا النبأ  
الفاجع، وهول هذا الخبر المؤلم — أن حبي لزوجي  
(هانز) أقوى وأعنف بكثير من حبي لوطني (فرنسا) !  
وشعرت أن كل ما هو حبيب إليّ أحب إلى نفسي  
من كل ما سواه، وأن كل ما هو عزيز عليّ أعزَّ  
على قلبي من كل ما عداه . ومن أجل ذلك أهبتُ  
بنفسي أن أكون ما حبيت فداءً لهانز وللقصير  
ولألمانيا متحملة في سبيل ذلك ما قد يتأنيبني من  
الآلم أو يعسني من السوء ...

وودعت (هانز) وأرسلته إلى المعركة، وقلبي  
يفيض إعجاباً، ونفسي تليه فخاراً . وقد كنت أنا  
أيضاً أعتقد أن الحرب ستضع أوزارها عما قليل،  
وأن (هانز) سيعود إلى سلباً قوياً كأننا . واتقضت  
شهور عدة فما تجد لبيب الحرب وإنما ازدادت المآلك

تزوجت من (هانز) — وهو أحد الجنود  
الألمانيين — لمام واحد قبل الحرب المالية الضروس  
التي أهلكت كل شيء ودمرت كل شيء، بالرغم  
من أني فرنسية الأصل والجنس ... وكانت أول  
عهدي به أن لاقيته في معرض من معارض الفنون  
في (باريس) — وكان قد ذهب إليه زائراً — فلما  
سمعته يتكلم الفرنسية بطلاقة تحدثت إليه، فلكني  
حديثه العذب الفكاهة، وأسرى غزله المرح الرقيق،  
فكان ما كان، واتبع بنا الأمر إلى الزواج بعد قليل  
وتركت وطني راضية لأعيش مع زوجي (هانز)  
في قرية صغيرة من قرى ألمانيا . وعشت بين أحضان  
عائلته في سعادة ورفاهية، ورغد وبلهنية . وصار  
أصدقائه مع مضي الزمن أصدقائي، وخلصاؤه  
مخلصائي، وأقاربه أقاربي ! وما مضى على وجودي  
بينهم غير قليل حتى تعلت كيف أتكلم الألمانية،  
وحتى كنت أنسى أنني كنت فرنسية الجنس واللغة  
في يوم من الأيام . وقلتي (هانز) بما جاءه الله من  
قوة وسحر إلى دنياه فذقت لذة الهناء، وحلاوة  
الصفاء، ومتمعة الحب ! !  
ولكن هذا النعيم لم يدم طويلاً وأسفاه !

استرداد قريتهم المسالومة ومحاصرتها وتطويقها ... واستيقظت على حين غرة على صوت مزعج ودوي هائل وخبيج وجلبة في حجرة الاستقبال التي في الطابق الأسفل من منزلي ، فارتدت منامتي على عجل وأضأت المصباح الكهربائي الذي ينير الدرج ثم هبطت الدركات بسرعة يدفع بعضي بعضاً

\*\*\*

فاذا رأيت هناك ؟

... لقد رأيت جندياً فرنسياً يرتدي ملابس العسكرية متكناً بجانبه على المنضدة ، والدم يتفجر غزيراً من جرح في رأسه ، وكانت سترته ملطخة بالوحل ، وعلى وجهه أثر مما يعاني من الألم ويقاسى من الجهد ...

وما كاد الرجل يراني — وأنا أقترب منه — حتى ألقى إلى نظرة فيها كل معاني الاسترحام كأنما يستجدي بها المعونة ، ورجوها النوث . ثم مدّ إليّ إحدى يديه كأنما يعلن إلى أن لا حول له ولا قوة فقلت له بلهجتي الفرنسية الوطنية : « هل يؤلك هذا الجرح كثيراً ؟ »

فتفتح الجندي عينيه على مهل ثم قال : « هل سيدني ... فرنسية ؟ »

وما أدري لماذا أحسست ساعته بثورة في دمي وهزة في جسي ، وخفقان في قلبي ! وقلت للجندي : « نعم ، إنني فرنسية ، ولكني مقيمة هنا . . . إني ... أنا ... ! »

وأمسك الجندي بذراعي ثم قال : « إن الواجب يحتم عليك أن تساعديني . لقد حسني زملائي ميتاً فتركوني ، والآن يجب عليّ أن أرجع إلى صغوفنا ! يجب عليّ ... »

المشركة فيها عدداً وعدداً . وكان ( هازز ) يرسل لي بين الحين والحين بعض الرسائل — وهو في ميدان القتال — فكنت أجد فيها قليلاً من المتاع واللذة ، وشيثاً من الراحة والطمانينة ، ووميضاً من السلوان والأمل ، ولكنني ما كنت أريد إلا أن أرى وجهه ، وأسعد به في جوارى مرة أخرى !

\*\*\*

أواه يا قلبي !

إنني ما رأيت ( هازز ) بعد ذلك اليوم أبداً ، وما كنت أحسب أنني قد ودعته الوداع الأخير ! فقد تراءى إليّ أن طائرة فرنسية دسرت البكين الذي كان يختبئ فيه — بعد مضي عشرة شهور من بدء الحرب — فقصي نحيبه محترقاً . وكاد الحزن يفقدني عقلي ويورثني الخبل ...

ومن ذلك اليوم تولدت في نفسي الكراهية والبغضاء لفرنسا ، وتحتيت لو استطلعت أن أثار لزوجي أو أُنقِم له من أولئك الذين قتلوه ! وأجبت لو أن فرنسا خرجت منهزمة منكسرة من الحرب بل مُدَمَّرة مُهْدَمة مُخَرَّبة !! ولكن السنين — واحسرتها — قد خيبت ظني ، إذ وقعت الهزيمة على ألمانيا ؛ فلبأت الأحلام المفرقة فؤادي ، وأغممت الأوهام القاتلة خيالي ؛ فصدمت كل ما يقال عن قسوة الألمانين ، وكل ما يذاع من أنباء اعتدائهم على الأطفال الآسيتين والنساء الضعيفات . فدعوت الله من قلب خالص أن ينصر القيصر ويكتب له الفوز المبين !!

... وفي يوم من أيام سبتمبر من عام ١٩١٨ أجلى الفرنسيون الألمان عن قريتنا ، ولكن الألمانين تمكنوا — قبل غروب شمس ذلك اليوم — من

وما أرتاب في أنه قد تسلق الحائط ودخل منزلك  
من النافذة... إلى... إلى... !»

فأجبت بهدوء: «لقد بحثت بنفسك فلم تجد  
أحدًا هنا»

وكان من العسير عليه أن يدرك ما يقول أو  
يفكر فيه فقال: «أنا... أنا... لقد أخطأت..  
أنا... أنا...»

وانتشرت على شفتيه ابتسامة شيطانية ما رأيت  
أخبرت منها ثم قال: «هل تعيشين هنا.. وحيدة؟»  
فأجبت: «نعم.. إنني أعيش هنا وحيدة منذ

أن قتل زوجي»  
فاقترب مني شيطانًا فاجرأ، وعريبدأ داعرًا،  
ونخورًا خبيثًا وهو يتمم: «وعلى ذلك فانت  
تعيشين هنا وحيدة؟»

ولكن بالرغم من كل ذلك لم أتحرك من موضعي  
ولم أترشح عنه، بل قلت له: «ألا تظن أنه من  
الاستحسن أن تخرج الآن لتبحث عن الكلب  
الفرنسي فلملك حائر عليه؟»

ولكنه أجابني — بعد أن طوق خصرى  
بذراعه وضمني إليه بمنف —: «لا.. لا.. لقد  
ذهب... و... وأنا لا أريد أن أخرج هذا  
المكان... بل أريد أن أمكث هنا بأية طريقة!»  
وأحسست بعد ذلك بشفتيه تنطبقان على عنقي. ثم  
قال: «ستكونين — ولا ريب — متساهلة لينة  
الجانب مني... أليس كذلك؟»

وحاولت أن أدفعه بعيداً عني ثم قلت له:  
«أرجوك...»

ولكنه ضمني إليه بقوة، ثم تابعت أنفاسه  
سراعاً وهو يقول: «لنقاوى... فلن تجديك

وما كاد يتم كلامه حتى سمعت دقاً عتيقاً على  
الباب، وصوتاً عالياً ينادى: «أيها السيدة...  
أيها السيدة»

كانت في منزلنا حجرة صغيرة اعتاد (هانز) أن  
يقضى فيها شؤونه الخاصة؛ فلما مات أغلقت بابها  
الصغير ثم قفلتته بستر يحجبها عن الأبصار، وأبقيت  
الحجرة على ما كانت عليه، فلم أتناول أى شيء فيها  
بتغيير أو تبديل كأنها مكان مقدس لا يمس، أو  
كأنها الموئل الذى تستريح فيه روح زوجي وتطمئن  
إليه...

وما أدرى ما الذى دفعنى إلى أن أنتهك هذا  
الحرم المقدس في ذلك الموقف المعصيب!

لقد قُذت الجندى الفرنسى إلى الحجرة فرفرت  
الستر عن بابها، ثم فتحته، وبعد أن أدخلته فيها  
أغلقت بابها ثم أعدت الستر إلى موضعه...

واشتد الدق على الباب الخارجى عتيقاً، وما  
كدت أفتحه حتى دخل منه جندي ألماني ضخم  
الجسم كبير الجرم أحمر الوجه، فدفعني جانباً  
وأزاحني عن طريقه، ثم أخذ يجرى في أنحاء البيت  
كيفما شاء باحثاً عن الجندى الفرنسى. ففتش المطبخ  
ثم الحمام فلما لم يجد عزمه أن يدفع ريق الدَّرَج إلى أعلى  
وتلَبَّثْتُ في موضي حتى عاد إلى، وحرصت  
على أن أكم شعورى، وأكبح عواطفى، وأدفع  
عن نفسى رجفة كادت تهزنى. وحاولت أن أبعد  
عيني عن الستر حتى لا ألفت نظراً الألمانى إليه

وما كاد الجندى يقف أمامي وجهاً لوجه حتى  
أدركت أنه مخمود لا ي...

وقال لي بصوته الغليظ الخشن: «إننى... إننى  
أظن أنى قد رأيت كلباً فرنسياً يجرى في فناء دارك

« نعم ... نعم ... إنك سجين ! »  
 وخرج الرجلان من داري وسارما ، وعلى  
 ثغر الفرنسي ابتسامة لافراقه ، وعلى وجه الألماني  
 خيرة وذحول !

وما رأيت الجندي الفرنسي بعد ذلك اليوم  
 أبداً . فبالت شعري هل مات في الحرب أم هو  
 ما يزال حياً إلى اليوم ؟ ولو أنني رجعت إلى  
 (باريس) بعد الحرب لالتباطات في البحث عنه  
 حتى ألقاه فأشكره على ما أسدى إلى من عارفة  
 وما قدم لي من جيل

ولكني وأسفاه لم أعد إلى فرنسا ، لأن  
 حياتي فيها تزوير على نفسي ، ولم أبق في ألمانيا ،  
 لأنني لجعت فيها بموت زوجي الذي كنت أعيش  
 من أجله على أرضها ، بل أنيت إلى إنجلترا لأبدأ  
 حياة جديدة ، وما نسيت هذه الذكريات المؤلمة في  
 يوم من الأيام بالرغم من مرور هذه السنين الطوال  
 محمود السيد شعبان

## مجموعات الرسائل

تباع مجموعات الرسائل مجلدة بالبريد الجوي

٥٠ السنة الأولى في مجلد واحد

٧٠ كل من السنوات الثانية والثالثة والرابعة

والخامسة في مجلدين

وذلك عدا أجرة البريد وقبدها خمسة قروش

في الداخل وعشرة قروش في السودان وعشرون

قروش في الخارج عن كل مجلد

المقاومة شيئاً . لا بد مما أريد ... وتستطيعين أن  
 تنسي كل شيء عند ما أتركك إن كنت لا تريد  
 أن ... لا تقاومي ... !!

وهمت أن أصرخ مستغيثة ولكنني تذكرت  
 أن صراخي سيجلب دون ريب عدداً كبيراً من  
 الجند ، وأن هؤلاء سيفتشون وسيبحثون من  
 جديد عن الجندي الفرنسي . فقلت للجندي الألماني :  
 « أرجوك ... أرجوك أن تدع هذا لوقت  
 آخر ... !! »

فقهقه الرجل ثم قال : « لوقت آخر ؟ وقت  
 آخر ؟ ربما يكون ذلك عند ما أموت !! »

وما تلبث حتى حملني على ذراعيه وأخذ يصعد  
 بي الدرج إلى أعلى . ولكنه لم يكذب يخطو خطوة  
 واحدة حتى سمعنا صوتاً يقول على حين غرة :  
 « إنني أسف ياسيدي على ما سببت لك من تعب ... »  
 وما سمع الألماني هذا الصوت حتى أنزلي من

فوق يديه وأوقفني على قدمي ، ثم أدار وجهه فبدا  
 حوله وإذا ... وإذا بالجندي الفرنسي واقفاً أمامه  
 وجهاً لوجه ، منتصب القامة ، مرفوع الهامة ،  
 بالرغم مما يقاسي من جراحه ، وما يعاني من آلامه !  
 وإذا به يسم لنا بالرغم من أنه يكاد يُعنى عليه من  
 الألم ، ويُعنى عليه من الجهد والإعياء

\*\*\*

— « إنني سجينك الذي تبحث عنه ،  
 وأسيرك الذي ترجوه !! إنني حاجتك وطلبيتك ...  
 وما دام الأمر كذلك فعلى بنا إذن نذهب من  
 هنا وترك هذه السيدة الكريمة في سلام  
 وطمأنينة !! » هكذا قال الجندي الفرنسي للجندي  
 الألماني الذي أذهلته المفاجأة فوقف مرتبكاً لا يدري  
 ماذا يفعل . وأخيراً قال هامساً في نفس متقطع :

في الشك مقتل الحب ، وما تنفجر المرأة لإهانة  
لا يسمها أن يجيب عليها  
أما والله لقد ثقل هذا الحال على فألى أى زمن  
سيدوم ؟

فقالت وقد تجمدت نبراتها بروداً على شفتيها :  
— لك أن تضع له حداً فإنه ليرهقنى بقدر  
ما يرهقك

— سأضع له حداً في هذه اللحظة فأنا هاجرك  
إلى الأبد ، وللزمان أن يفعل فعله ليبرك  
الزمان ! الزمان ! هذه كلمة الوداع ، أيتها  
الماشقة الباردة ؟

تذكرى وداعك هذا عند ما يمرّ الزمان فتفتشين  
عيناك عن السعادة والحب والجمال . أين خيمتك لفقدى  
أيتها الماشقة ؟

إن كل ما يمرّ في ذهنك الآن هو أن الحب  
الفيور سيدرك يوماً ما ارتكبت من ظلم عند ما يطع  
البرهان بصره فيعلم أى قلب أدنى ، وعندئذ تسح  
دموعه خجلاً من نفسه فيفقد لذة العيش ويهجره  
وسنّه وتصبح حياته مأتماً ينوح به على أيام كان له  
أن يقضيها فرحاً سعيداً ، ولكن لا يحظر لك أن  
معشوقة هذا التمس قد تقف مذعورة في ذلك الحين  
من نتائج انتقام الزمان لها تصرخ قائلة :

— ليتني فعلت ما كان يجب فعله قبل قوات  
الأوان

صدقيني ! إن كبرياء هذه الماشقة لن يأتينا بأية  
تمزية إذا كانت أحببت حقيقة

وكنّت أود أن أتكلم هادئاً فألتك زماي من  
يدى ، وبدأت بدورى أذرع الترفة طولاً وعرضاً .  
فتشتبكت نظرات بريجت بنظراتي اشتباك السيف

من أعماق النفوس

اعترافاً في العَصْرِ

والفريدي موسى

بقلم الأستاذ فليكن فارس

## الجزء الخامس

### الفصل الخامس

وترامت نحوى فهبت أصيح : — إنه لمجنون  
من يحاول ولو مرة واحدة في حياته أن يفوز  
بالحقيقة من فم امرأة . إنه ليمود بغنيمة الاحتقار  
وقد استحقتها

إن من يتوصل إلى كشف حقيقة المرأة إنما  
هو المتنصت إلى هذيانيها في نومها ، أو السنتنطق  
خادماتها بقوة الرشوة . وما يعرف حقيقة المرأة إلا  
من استحبال امرأة ليتهك بذنائها الأشباح الملقمة  
بالظلام ؛ أما الرجل الذي يطلب هذه الحقيقة بكل  
صراحة وإخلاص ، الرجل الذي يجد يداً تأفت  
الدنيا مستجدياً هذه الحسنه الزائمه فإنه لن يظفر بها  
طوال حياته . إن المرأة تختبئ من أمثال هذا  
الرجل فلا يجيب على سؤاله إلا بهز كتفها ؛ وإذا  
ما خافه الجلد انتصبت في وجهه كمدراء الهيكل غاضبة  
لمغافها ومسيئاتها . وهل تدافع المرأة إذا شعرت  
بالرية تدور حولها بسوى آية النساء المظلمى : إن

— إلى متى تستمر على هذا الضلال ؟ فقد أعجزتني بشكوكك وهي لا تشب حتى تنطفئ ولا تنطفئ حتى تشب . أنت تطلب إلى أن أترد نفسي ، ومن أي سجنانية يجب عليّ أن أبررها ؟ أمن هجر بلادي أم من غرباى أم من موتى أم من قطع رجائى ؟ إذا أنا تكلفت السرور وحسبت سرورى إهابة لك . لقد ضحيت كل شيء لأرحل معك ، وما أنت سائر معى مرحلة دون أن تلتفت إلى الوراء . فأن لا أتلق غير الإهانة ولا أشهد غير الغضب إيان كنت ومهما فعلت

أى بنى الحبيب ! لبتك تعلم بأي صقيع قاتل أحس وأية أوجاع تقطع أحشائى عندما أراك تقابل أصدق كلمة تصعد من قلبى إلى لسانى بالريبة فلا تصنى إليها إلا هازنا ساخرآ . إنك لتجرم نفسك السعادة التى لا سعادة سواها على الأرض وهي الاستسلام فى الحب . إنك لتقتل بما تفعل كل عاطفة رقيقة سامية فى قلب من يحبك ، ولنى يطول بك الأمر حتى يمتنع عليك أن تؤمن إلا بكل خشن كثيف ، فلا يبق لك من الحب إلا ما تراه بعينك وما تلمسه بيدك .

أنت لم تزل فتيا يا أوكتاف ، وأمامك مراحل طويلة فى الحياة فستخذ لك خيليات غيرة لقد قلت حقآ ، ليست الكبرياء شيئا معدودآ وما أتوقع منها تعزية وسلوانآ ، ومع ذلك فأنى أطلب إلى الله أن يقدر عليك ذرف دمة واحدة تتحدر يوما كفارة عما أذرفه الآن من دموع . ووقفت وهي تقول أيضا :

— أوجب على أن أعلن ، وعليك أن تعلم ، أنى منذ ستة أشهر لم أنطرح على وسادى ليلة دون أن أكرر قولى لنفسى : إنك لن تشفى من دالك ولا

بالسيف ، وكنت أراها أمامى كأنها باب منيع سجت وراءه فأقبض عن وسيلة أبذل فى سبيل امتلاكها حياتى لأحطم أفعالها وأغتصب ميرها وقالت : ماذا تقصد وما الذى تريد أن أقوله لك ؟ — أريد أن تبرحى لى بما تضررين . أفليس من القساوة أن تكرهينى على تكرار هذا القول ؟ — وأنت .. وأنت .. أين قساوتى من قساوتك ؟ تقول إن من يطمح إلى معرفة الحقيقة مجنون ، أفلا يحق لى أن أترد على هذا بقول إنها مجنونة المرأة التى يحيل لها أن ما ستملته من حقيقة سيصدق إن السر الذى تريد معرفته هو أنى أحبك . ذلك هو سرى . فىالى من عاشقة أصاحت رشدها . إنك تفتش عما يكمن وراء شحوى ، وشحوى أنت ألقيت به على ثم عدت تهمة وتستنطقه . يالى من مجنونة ! لقد أردت الانكماش على آلاى لأقف عليك صبرى واحتمالى . أردت ستر دموعى عنك فإذا أنت تجسس عليها وتحسبها دلائل جرم خفى . يالى من مجنونة ! لقد أردت قطع البحار وهجر وطنى لأتبعك وأموت بعيدة عن كل من أحبنى منطرحة على قلب رتاب فى إخلاصى . يالى من مجنونة ! لقد كنت أحسب أن للحقيقة من النظرات والنبرات ما ينم عنها ويدعو إلى احترامها أوأه إن عبراتى تنحق أنفاسى عندما أفكر فى حالى . لذا اقتدتى إلى هذا السبيل أخضع عليه حياتى إذا كنت ستقف بى هذا الموقف الحائر لا أهتدى فيه إلى نفسى ؟ وأمحت على والسمع يتساقط من أجفانها وهي تصرخ : يالى من مجنونة ! — وعادت إلى حديثها :



ما لنا لا نعلم ما نفعل وإلى أين نتجه ؟  
 تمال نستقر على رأى فقد عشنا دأماً سوية فقل  
 لى ما الذى يدعوك إلى هجرى ؟ إننى لا أطيق أن  
 أكون ملتصقة بك وبمعدة عنك فى وقت واحد  
 قلت إن من حق الرجل أن يتمكن من الوثوق  
 من خليلته وأنت مصيب ، ولكن إذا كان فى الحب  
 خير للرجل فعليه أن يؤمن به ، وإذا أصابه منه  
 ضير فن واجب أن يمتد به داء يعمل على شفاء نفسه منه  
 أفأ ترى أن ما نفعله الآن إنما هو مجازفة فى  
 ميسر ؟ وما مجازف إلا بقلتنا وحياتنا ، إن ذلك  
 لأمر فظيع

من : أنا لتصب على شكوكك ؟  
 وتوقفت أمام المرأة ، وهى تكرر قولها :  
 من : أنا ؟ أنظر إلى ما أصبح وجع عليه  
 وأردت توجه الخطاب إلى خيالها :  
 — أأليك بوجه الارتباب أيها المرأة النعسة ؟  
 أحولك تدور الشكوك أيها الوجه الشاحب ؟ أيها  
 الوجنتان اللذابتان ترويهما محرقات السموع ، أكلى  
 مراحل عذابك يا هذه ؛ وليأت الفم الذى جفف  
 رواء جمالك بقلته لينطبق الآن على عينك فيمنضمها  
 أنزل إلى الحفرة الرطبة الباردة أيها الجسد الناحل  
 وقد تراخت قوائمك عن حملك ، لعلهم يصدقونك  
 وأنت تمدد فى اللحد إذا كانت الشكوك تؤمن بالموت  
 ويحك أيها الشبح الحزين إلى أى شاطئ من  
 شواطئ العذاب تتدأى ممولاً باكياً ؟ أية نار تشب  
 بين عظامك فتقف واضماً خططاً لرحيل وأسفار  
 وإحدى رجليك ناشبة فى ثلمة القبر  
 مُت أيها الشبح وليشهد الله أنك ما أردت  
 إلا أن تجود بمحك . أية قوة من الوجد آثاروا فى

حيلة لى فيك . أيجب أن تعلم أننى مانهضت يوماً فى  
 صباحى دون أن أصمم على محاولة شفائك . وأناك  
 ما قلت لى كلمة دون أن أشعر منها أن لا بد من  
 هجرك ؛ وأناك ما ضمنتى مرة إلا وأعلن لى قلبى  
 أنه يفضل الموت على الانسلاخ عنك ، وأننى فى  
 كل يوم بل فى كل دقيقة حاولت وأنا كالأكرة  
 بين أمل وخوف أن أتلب بحبى على أوجاعى أو أتلب  
 على حبى بهذه الأوجاع ؛ وأننى ما فتحت لك قلبى  
 مرة دون أن تتخذ منه بنظرانك الساخرة إلى أعماق  
 أحشائى ، فإذا أنا وأصدته دونك شعرت أنه ينطوى  
 على كثير رسده القضاء عليك ولن يناله سواك ؟ أعلى  
 أن أحدثك عن ضعف وعن هذه الأسرار التى تتجلى  
 ناهية لعين من لا يجدها حزمة فى نفسه ؟ أقول  
 لك إنك فى كل مرة ذهبت من بين يدي غاضباً  
 كنت أوصد بابى لأنفرد برسائك الأولى أطالها  
 بدموعى ، وإن بين ما أعرفه قطعة تعرفها أنت  
 ما زلت أستعطر من نعماتها الصبر فى غيابك حتى تعود ؟  
 يا الشقائى ! إننى أعلم الآن ما ستكلفنى هذه  
 السموع التى ذرفها فى الخفاء وهذا الجنون الذى يتدفق  
 صفناً وحناناً . إننى لا أبكى لأن كل ما تحملت من  
 عذاب لم يُجِد شيئاً

وأردت مقاطعتها فصاحت : دعنى ، دعنى أقول  
 لك ما لا بد من إعلانه : لماذا ترتاب بى وأنا لك  
 بكلبى منذ ستة أشهر وعليك وقفت فكرى وروحى  
 وجسدى ؟ فما تكون يا ترى هذه الحياة التى تجسر  
 على انتهى بها ؟

إذا كنت قررت السفر إلى سويسرا فماذا  
 مستعدة للرحيل معك ، وإذا كنت تظن أن لك  
 مناحاً على فاستكتبنى الرسالة التى تريد وسلمها  
 للزريد بيدك

تناثرت رمادا قبل سقوط وريقاته الداوية  
أى وادى الجبل ! أى عمى الخنية تحت وقر  
السنين الراقدة الآن بسلام فى لحدها ! أى أشجار  
الزيفون أشجارى ! أى جذبي الأبيض الصغير ! أى  
ابن مزرعتى ، لقد أحبتهمونى جميعا فهلا ذكرتهم  
الزمان الذى رأيتهمونى فيه سعيدة نخورة محترمة ؟  
أية قوة ألفت بهذا الغريب ليضلنى سواء  
السبيل ؟ من أجاز له أن يمر على طريق قريتى ؟  
ويل لك أيها المرأة ، لماذا تلفت ورايك لأول مرة  
اقتنى أترك ؟ لماذا رجعت به كاخ ؟ لماذا فتحت له  
بابك ومددت له يدك ؟

أى أوكتاف ! لماذا أحبتنى إذا كان هذا هو  
مصيرك ومصيرى ؟

وتداعت إلى الحضيض فهرعت إليها أسندتها  
بذراعى وحملتها إلى مقعد ارتمت عليه ملقبة رأسها  
على كتفى وقد حطتها مابذلت من جهد وهى تتدفق  
ببيناتها الزائغ المرير

وتوارت عن عياني الخليصة الهامة فاذا فى  
لا أرى مكانها غير طفلة تن من آلامها ...  
وأطبقت جفنيها فطوقتها بذراعى وقد سكنت  
بينهما لانى

ولما تاب إليها رشدها شكت الضعف ورجتى  
بصوت ضعيف تحزن أنت أتركها لتذهب إلى  
مرقدتها وتهادت فى مشيتها فرفعتها على ذراعى  
وألقيتها على مهل فوق الفراش وما بقى على وجهها  
شئ ينم عن الألم بل رأيتها تتجرد من آلامها  
وتنساها كن برتاح من جهد جسدى أضناه . ذلك  
لأن طبيعتها الضعيفة الرقيقة أرهقها العراك  
فاستسلمت بعد أن ذهبت بها إلى أبعد ما يتحمل  
قواها وبقيت رابطة أناملها على يدي وأنا مكب

فؤادك وإلى أى حلم قذفوا بخيالك ليجرعوك أخيرا  
هذا الزعاف القاتل :

أية جنابة ارتكبت حتى تهت هذه الحى المحرقة  
فيك ؟ وأية ثورة تجتاح روح هذا العريد الذى  
يدفمك برجله إلى الحفرة ومن شفتيه تتدفق كلمات  
الغرام ؟

إذا أنت بقيت فى الحياة أيها المرأة فإلى أين  
مصيرك ؟ ألم يحزن حينك ؟ أما كفالك الدهر  
عذابا ؟

أى برهان يطلب منك لتصديقك إذا كنت  
أنت البرهان الحى تكذبين فى شهادتك على  
نفسك . أبقي عذاب لم تتجنيه ؟ فأية تضحية تعدين  
لأطفال أوار هذا الحب الذى لا يروى ؟

إنك ستصيحجن أخوكة تنفض عبئا عن طريق  
مهجور تفزع إليه كيلا يشير الناس بأصابعهم  
مقهقهين ...

ستفقدن الحياة فتشعرين حتى عن مظهر هذه  
الفضيلة المتحطمة ولطالما عزت عليك من قبل .

وسيكون الرجل الذى تلتجئين به من أجله أول  
من يمد يده للاقتصاص منك ، فيزجرك لأنك  
وقفت الحياة عليه وتحدت المجتمع فى سبيله ، وعندما  
يتهاشم أسداقاؤك حولك يتفرس فى ملامحهم  
ليرى ما إذا كانت الشفقة قد تجاوزت حدودها  
فى نظراتهم . أنه ليهكم بالحياة إذا امتدت يد  
لتصافح يدك عند ما تترين فى صحراء حياتك على  
أحد يمكنه أن يمر بك فيشفق عليك

يا لله ! أذكركن اليوم الذى وضع الناس فيه  
على رأسك إكليلا من الورد البيضاء ؟ هذا هو  
الجين نفسه الذى ترين بياض تلك الورد ؟ فيأليت  
هذه اليد التى علقت الإكليل على جدار المعبد قد

الموت لجأت إليه طبيعتها لتجاوز الألم حدوده فيها  
إلا برهاناً على صدق يأسي من عودتها إلى ، فإن  
سكونها فجأة بعد هذا التدفق في بيائها وهذه العنوبة  
التي تجلّت على ملاحظها عند ثواب رشدّها ورجوعها  
إلى الحياة حزينة مروّعة ، وحتى هذه القيلة التي  
رنت كصدى لقلبي ، كل هذا كان يؤذن بأن الدهر  
قد سكن بيننا وأن جبل وصلنا قد أنبت إلى الأبد  
بين يدي

وكنّت أنفّس فيها وهي ممددة في وسن العباء  
المرهق فأتيقن بأنني إذا عدت إلى ما سبّب هذه  
الغيبوبة بعد أن تفيق منها سأدفع بها إلى الرقدة التي  
لا أقبّاهة بعدها ، وسمعت الساعة تدق في سكون  
الليل فشعرت بأن الساعة المنقضية تتوارى طائوية  
معه حياتي

وما أردت أن أستجبد بأحد فأوقدت الصباح  
الصغير وشخصت إلى إشعاعه الضئيل يذهب بدءاً  
في الظلمة كذهاب خطرات أفكارى النائمة الحائرة  
وما كنت فكّرت حتى اليوم في إمكان فقد  
بريجيت بالرغم من أنني سمعت مائة مرة على هجرها ، ويعلم  
كل من ابتلى بالمشق قيمة مثل هذا العزم في ساعات  
اليأس أو في دقائق الغضب ، وما ينقطع الحب عن  
الوله بمشوقته مادام واثقاً من حبها له . وهكذا كنت  
أنا ، ولكنني لأول مرة شعرت بأن قضاء لا يرد  
ينصب مفرقاً بينها وبينني ، فأهدت قواي وأحتيت  
الرأس قرب سريرها وقد أدركت مدى شقوتي ،  
ولكن شعوري المتخدر لم يكن يقين مدى آلامها  
فإن روعي كانت تتراجع مرّاعة أمام ما يقتحمه  
تفكيرى

وقلت في نفسي : هذا ما أردته أنا لك فقد انقطع  
كل رجاء في بقائك مع من تحب . أنا لا أريد قتل

على وجهها أقبّله وإذا بشفاها ولما ترل ثلّة بفراهما  
تتلاق فيلصق فيها بفعى دون أن نشعر وما عثم  
حتى استغرقت في الوسن بعد هذه المصادمة العنيفة  
وهي تتوسد صدرى مفترّة الثغر كأننا في الليلة  
الأولى من ليالينا

## الفصل السادس

وكانت بريجيت نائمة وأنا جالس أمام سريرها  
صامتاً جامداً كفلاح اجتاحت العاصفة حقله فخطمت  
سنابله

وذهبت أسير أعماق نفسي متلعساً ماجنت ،  
وما كدت أستعرض بعض أعمالى حتى رأيتني تجاه  
مات لا سبيل لتلافي نتائجها

إن من الآلام ما تستنفد طاقة الحس فتشعرك  
بشدتها أنها بلغت حدّها ، ويمثل هذه الآلام كنت  
أتوغل في خجلي وتبكيك ضميري فأرى أن لا بد  
لي من توديع بريجيت بعد هذا العراك العنيف ، وبعد  
أن كرعت حتى الثمالة كآس غرابها الحزين ، وقد  
توجب على أن أطلق سراحها من هذه الأوصاب إذا  
كنت لا أتعهد قتلها

وما كانت هذه المرة الأولى التي تلجأ فيها  
بريجيت إلى تأنّبي ، ولكم وجهت إلى جارح الكلام  
في ثورة غضبها ، ولكن ما قالت في عرا كنا الأخير  
لم يكن صادراً عن كبرياء جريئة بل كان بياناً عن  
حقائق تمخض بها القلب طويلاً فما انثقت منه حتى  
مزقته تمزيقاً ، وقد رأيت كل ما يحوط بنا من أحوال  
وما أبديته من رفضي الرحيل معها يمنع تسرب أى  
أمل إلى

فتيقنت أن بريجيت لن تقوى على إلانالى عفوها  
حتى ولو غلبت نفسها واستغفرتها إليه ، وما كان  
هذا الوسن العميق الذي سادها كأنه نوع من

ذهاب الريح على قيثارة تهز أوتارها المشدودة لتقطعها  
وأحسبت بالأم سنيتين تنخرق فؤادي في لحظة  
وعلى أثرها تقبض عليه أوصاب الحاضر وليدة ذلك  
الماضي المشثوم، وما أجد في البيان ما أصف به مثل  
هذه الأوجاع، ولعل وصفها بكل جلاء لا يحتاج إلا  
لكلمة واحدة، ولكن هذه الكلمة لا يفهمها إلا  
من ابتلاه الحب بأدوائه

وكانت بريجيت مستغرقة في نومها وأنا مطبق  
أنامل على يدها فإذا هي تلتفط باسمني في بحرأها  
نهضت أتمشى في الغرفة والدموع تهمر من  
عيني فددت ذراعي كأني أحول القبض على الزمان  
الماضي وقد أفلت مني وأني له أن يعود؟ وصرخت :  
أمكن هذا ؟ أحمق أنني أفقدك وقد امتنع علي أن  
أحب سواك ؟ أحمق أنك مولية إلى الأبد ؟ أنت  
حياتي ، خليتي أشهرين مني فلن أراك بعد ؟  
واتجهت إلى بريجيت أطأها كأنها تسمعي  
فأقول لها : لا .. إنني لن أرضى بهذا القضاء ، أي  
معنى لهذه الكبرياء ؟ أفليس من وسيلة أبدلها  
للتكفير عن إهانتني لك ؟ ساعديني علي وجود هذه  
الوسيلة ، أفنا غفرت لي ألف مرة من قبل ؟ إنك  
تحبيني وسوف تخونك قواك إذا أنت أقدمت علي  
جناية هجري ، لأنك لا تعلمين ولا أعلم أنا ما سنفعل  
وما سيحل بنا إذا افترقنا

واستولى علي "الجنون المطبق" المخوف فبدأت  
أذهب وأجىء رافعا صوتي بما أقول دون هدى  
مفتشاً هنا وهناك عن آلة جارحة قاتلة حتى ارتيمت  
جائياً أمام السرير أضرب بجافته جيني ، وتحركت  
بريجيت فتوقفت مذعوراً

وقلت في نفسي : إذا هي أفاقت من نومها الآن  
فما أنت فاعل أيها الجنون ؟ دعها في نومها إلى

هذه المرأة فلا مناص لي إذن من هجرها ، وذلك  
ما صممت عليه وسأحقته غداً

وذهبت في تفكيري على هذا النمط دون أن  
أحس كم نفسي على ما جئت ودون أن ألقت إلى ماورائي  
وإلى ما أمامي ، فسيت سميت وما وقع من حوادث .  
وما كنت لأتميز السبب الذي قادني إلى هذا الموقف  
وأنحصر كل همي في التفكير لأعلم بأية عربة سأغادر  
المدينة في الصباح

ومر على زمن طويل وأنا على هذا السكون  
الغريب ، فكنت كرجل أصيب بطلعة خنجر فلا  
يحمس أولاً بغير صقيع النصل حتى إذا سار بضلع  
خطوات في طريقه يقف مندهشاً وقد زاعت عيناه  
فيتساءل عما ألم به ، ويفتح جرحه دافقاً على مهل  
أرائل قطرات دمه ، فلا يلبث أن يرى الأرض  
تخضب بالأحمر القاني وملاك الموت يقبض عليه  
فيهزه الروح فجأة ويسقط مصعوقاً على الحضيض  
وكنت أكمل هذا الجريح ساكناً والداهية  
الدعاء تحديجني بأنظارها وتقدم إلى

وبدأت أردد بصوت خافت الخطاب البلي  
وجهته بريجيت إلى وأنا أدور في الغرفة معدداً  
ما كانت الوصيفة تعده لها فكنت أنفوس في وجهها  
ثم أذهب لألتصق بجيني على زجاج النافذة ناظراً إلى  
وجه السماء المتجهم بالغيوم

وأنحصر تفكيري في كلمة واحدة « الرحيل  
غداً » وما طال بي الأمر حتى امتنع علي أن أفهم  
معنى هذه الكلمة ، وانتفضت فجأة وأنا أهتف قائلاً :  
يا لله ! أي خليتي النعسة إنني أفقدك لأنني ما عرفت  
أن أحبك

وارتمشت أعضائي كأن شخصاً مجهولاً يصيح  
بهذه الكلمات في أذني فذهبت في كل جارحة مني

معانيها غاظة . إنها أُمّى الآن هذه الزهرة المضطربة  
تتساقط رماداً وقد أحرقها غرامها  
وأجهشت بالبكاء قائلاً لنفسى : أنظر إليها يا هذا  
وفكر في شكوى من لهم أجسام الخليلات وليس لهم  
غرامهن . إن خليلتك موهبة بك وقد استسلمت  
لك وهما أنت ذا تفقدوها لأنك ما عرفت كيف تهواها  
وتجاوزت أوجاعى حدود احتياى فهمضت لأرجع  
إلى ذرع الفرفة بخطواتي قائلاً :

— أجل ، أنظر إليها يا هذا وتذكر من يقضى  
عليهم اللال فيذهبون في الأرض مسرحين أوجاعاً  
لا يشاظرهم إلاها أحد . أما أنت فقد كان لك من  
يقاسمك آلامك فإ انفردت بشيء مما احتملت .  
تذكر من يسرون في الحياة ولا أُمّ لهم ولا قريب  
ولا صديق حتى ولا كلب لهم يؤنسهم ، تذكر من  
يفتشون ولا يجدون ومن يكون فيسخر بهم الناس  
ومن يحبون فيسكروهم ومن يموتون فلا يدركهم أحد  
أما أنت فامامك على هذا السرير مخلوقة قد  
تكون الطبيعة أعدتها لاستكالك ، فهيات روحها  
في دوائر الفكر الخفية أختاً لروحك ، وجسدها  
في أعماق أسرار المادة أختاً لجسدك ؛ وقد مضت  
عليك ستة أشهر لم ينطق فك بكلمة ولم يحقق قلبك  
بنبضة دون أن تجاوبك كلمة من ثمرها ونبضة من  
فؤادها . غير أن هذه المرأة التي أنزلها الله عليك  
كأنزاله الندى على الأزهار لم تستقر حتى انزلت  
عن تويج قلبك الهاوى . لقد جاءتك هذه المخلوقة  
فاتحة لك ذراعها لتهلك حياتها أمام وجه السماء  
فإذا هي تتبدد كأنها طيف لن يبقى بعد زواله حتى  
خيال خياله !

لقد التصقت شفاهاك وطوقت ذراعاك عنقها  
وضممتك ملائكة الحب الخالاه فأصبحها كأنها واحداً

الصباح فإ لك إلا هذه الليلة لتراها  
وعدت إلى مقعدى وقد كتم الخوف أنفاسى  
وخيل لي أن دى قد تجعد في عروق مع انجساد  
دموعى فلبثت دون حراك يهزنى البرد هزاً فأقول  
لنفسى لأحتفظ بسكونى : أنظر إليها ! تفرس بها  
فلن يتسنى لك أن تراها بعد الآن .  
وملكت أعصابى أخيراً فتناثرت دموع الأمسى  
بطيئة على جدى . وتولت سورة التضب فإذا مكانها  
سكنية الاشفاق فأنسمنى وهى صرخة إموال وأهين  
تشق الفضاء ، فأنحيت على السرير أخدق في برجييت  
كأن ملاكي الصالح يهيب بي لأول مرة إلى استطلاع  
ملاحمها المرززة على صفحات فؤادى

ها هي ذى أُمّى فإ لشدة شحوبها وقد أحاطت  
بأهدابها الطويلة هالة زرقاء ولما يزل رشاش السمع  
عالقاً بأطرافها وهذه قائمتها المشوقة منطرحة على  
الفراش وقد تقوّست كأنها حتى في رقادها تنوء  
تحت وقر ثقيل ، وهذا خدعها الأسيل تمدد صفرة  
دكناء وقد لاقته على الوسادة سكنتها الصغيرة  
ومعصمها النحيل ، وهذا جبينها وقد ارتسمت عليه  
آثار إكليل الأشواق تاج التالين الصابرين  
وإذا بي وأنا مستغرق في تأملى أرى أُمّى ذلك  
السكوخ حيث التفتت بها منذ ستة أشهر صبية مرحلة  
تتمتع بالحرية ولا تبالي بشيء

وبلى ! ما الذي فعلته بذلك الصبا وتلك الخلال ؟  
وعادت الأغنية القديمة المنسية تتردد على مسمعى :

كنت في روض دلالي زهرة فيها ضرام  
أحرق العشق جمالى هكذا يقضى الغرام  
بهذا كانت تنغى خليلتى الأولى ، وما كنت  
من قبل لأدرك معنى هذا الشعر الساذج كما أدركه  
الآن ، فبدأت أنرم به كمن يحفظ ألفاظاً تنجل له

أما فكذباً عينيّ. فيا أرى ومنددت يدي مثلما  
جسدها لا يتحقق أني لست في حلم وأن هذا الجسد  
ليس خيالا

ولحت وجهي في المرأة فإذا به يحدق في مستغرباً  
كأنه يستنكر هذا الإنسان الذي تتجلى ملائحته  
في ملاحظه

من هو هذا العاني الذي يحدق في في ويتخذ  
يدي آلة للتعذيب ؟

أهذا الرجل هو من كانت تدعوه أبي باسم  
أوكتاف ؟ أهذا هو من كان يترأى لي بين صروج  
الغاب عند ما كنت أنجي وأنا في الخامسة عشرة  
من ربيع حياتي فوق جداوله وهي تنساب كاللجين  
صافية كصفاء فؤادي ؟

وأطبقت جفوني مائداً إلى أيام طفولتي فإذا  
التذكر يحترق قلبي بألف شعاع كأن الشمس تمزق  
خيوطها حالكات النجوم

وصحت : لا . إن من ارتكب هذا الإثم ليس  
أنا وليس كل ما يترأى لي في هذه الغرفة سوى  
أضغاث أحلام

وعدت أستعرض تفتّح قلبي للحياة فيلوح لي  
على صفحات تذكاري متسول همم كان يجلس أمام  
باب المزرعة وكنت أحمل إليه بعد النداء فضلات  
مائدتنا ، فأراه كأنه الآن أمام مقوس الظهر ماداً  
يديه الناحلتين ليباركني وهو يتسم

وشعرت بفتنة هبوب نسبات الفجر على صدغيّ

وبتساقط قطرات كأنها أنداء الصباح على روعي

فتحت عيني فإذا الحقيقة تنطج بصري وقد

أثارها اشعاع الصباح الضئيل

وعدت أحاطب نفسي قائلاً :

أعتقد أنك برىء من الإثم يا هذا ؟ أحسب

برابطة الدم وجامع الشهوة ، ولكنكما حتى في  
ساعات هذا العناق الموحد كنتما منفصلين يتند  
أحدهما عن الآخر ابتعاد منفيين بينهما ما بين مشرق  
الشمس ومغربها.

أنظر إليها يا هذا ولكن احترس من إبداء أية  
حركة ، لم يبق لك إلا هذه الليلة لترأها فاحقق  
إعواذك كيلا تنهها من رقادها

وساورتني أفكار مظلمة بدأت تحتل دماغي على  
مهل فشمرت بقوة تدفعني إلى سبر الأعماق  
في نفسي

أفيكون قضاء العتابة في أن أرتكب الشر في  
حين أن ضميري يشعري حتى في غمرات جنوني  
أنني صالح وعجب للخير ؟

أأرتكب الشر كأن ورأي قوة لاني تدفعني  
إلى الأغواض في حين أشعر بقوة أخرى تحذرنني  
من الانزلاق على مهاوئها ؟

لماذا أرتكب الشر وفي صوت يهتف مستنكراً  
ماتى ؟ حتى ولو تلطخت يداي بدماء الجريمة أسمع  
صرخة من أعماق فؤادي تعلن لي أنني لست مجرماً  
وأن الفاعل ليس ذاتي بل هو شخص آخر كامن  
فيّ ولم ينبثق مني ، هو الروح الشرير النفاذ  
قضى علىّ

لقد صرت في ستة أشهر وأنا أذهب على سبيل  
الأذية فما اجتزت يوماً دون أن أعمل على الإضرار  
كافراً بنفسي ونصب عيني نتائج فعلتي

فهل الرجل الذي أحب بريجت ليحرقها  
ويقتسو عليها فجرحها تارة ليمود إليها تارة أخرى  
مائلاً زوجها ارتباماً دائراً حولها بالشكوك ليطرحها .  
أخيراً على فراش الضي ، كان رجلاً آخر سوائى ؟  
وضربت بكفي على موضع قلبي ناظراً إليها ممددة

وتذهب مورداً الأحاديث عن أيام صباح فتقنع  
نفسك بأن على الله أن يفر لك وإنك مكره غير  
مختار في شقائقك ، ثم تتحول إلى الأرق في لياليك  
فتناجيه بمثل ماتناجي به نفسك كيلا يسلبك  
راحتك حتى الصباح

ولكن من يدري ! إنك لا تزال في مقبيل  
العمر ولسوف تستسلم لقلبك فتفك كبرياؤك .  
ها أنت ذا الآن أمام أول طلل من آثار الدمار التي  
ستبقها حيث تمر . وإذا ما ماتت برحمت غداً  
فإنك ترسل دموعك على نمشها لتذهب بعد ذلك  
سائحاً في الأرض ، ولعلك توجه إلى إيطاليا فتلتف  
بردائك كإنكليزي أصيب بداء الملل واليأس من  
الحياة إلى أن تصبح يوماً في أحد الفنادق وأنت  
تحتس كاساً بعد كاس فتقول لقد سكوت صوت  
ضميري وحن زمن السلوان فلا رجمن إلى الحياة  
إنك تأخرت كثيراً حتى ذرفت الدمع يا هذا  
فكن على حذر ! سيأتيك يوم تنقطع عن البكاء فيه  
من يدري ! لقد يدور بك من الناس من  
يهزأون بالأوجاع التي تتوهم الشعور بها ؟ وتغر بك  
امرأة قيل لها إنك تبكي خلية خطفها الموت فتسل  
إليك بسمة الإشفاق فتستبث لجيمتك ما ينبغي  
غروك

أنا يكون بوسمك في ليلة من الليالي عندما يصبح  
ما ترتمش له الآن ومالا تجسر على التحديق فيه  
صفحة مطوية في ماضي الزمان أن تتراخي على مقعدك  
أمام مائدة أنس وطرب لتقص على رفاقك غشاواك  
والانقسام على شفتيك ما رأيته عيناك وهما دامتان  
هكذا يكرع الناس كؤوس المار وذلك هو  
سبيل الحياة . لقد كنت حالاً بالأمس فعدت  
ضعيفاً وهذا الضعف سيقودك إلى الشر غداً .  
( تمة الكتاب في العدد القادم ) فليكن فارس

نفسك بريئاً لأنك تبكي ؟ أيها التلمذ للحياة منذ  
أمس وقد أفسدته الحياة ، إن ما تراه في تقديرك  
شهادة من ضميرك لك قد لا يكون إلا دنماً وتبكيكاً  
وأى قاتل لا يملكه ضميره ؟

أفأنت واثق من أن صراخ الألم المتعالى من  
صميم فضيلتك ليس آخر حشرجة تدفع بها في  
احتقارها ؟

أيها الشقي ، لا تحسن هذا الصخب المتعالى من  
أعماق فؤادك أيئناً وإعوالاً ، فقد لا يكون ما تسمعه  
إلا صرخة الطيور الجوارح تنبئها المواسف بتحطم  
سفينة بين ثارات الأمواج

من أخبرك بما كانت عليه طفولة من يموتون  
مخضبين بالدماء ؟ أنا كان لهؤلاء أيضاً أيام بر وصلاح ؟  
لهم يمرون مثلك أيديهم على جباههم ليتذكروها  
لقد ارتكبت الشر وما تندم على ما فعلت أنا  
أحرق الندامة قلب نيرون بعد أن قتل أمه ؟

من قال لك يا ترى إن الدموع تغسل الآثام ؟  
وهب أن الدموع تظهر وأن قسا من روحك لن  
يستسلم للشر أبداً ، فما جيلتك بالقسم الآخر الذي  
استغرق فيه ؟ إنك ستلتبس يسراك الجراح التي  
فتحتها يمينك وستنسج من فضيلتك كفنك تدرج فيه  
جراحك . إنك لتفعل ما فعله بريتوس عندما أرسل  
طلعته الجلاء وعاد ينقش على نصله ما تشدق به  
أفلاطون

وإذا ما فتح أحدك ذراعيه فانك لترسل إلى  
أعماق قلبه مثل هذا النصل وقد نقشت آيات النوم  
عليه ، وهكذا ستقود إلى المدافن بقايا عواطفك وتنثر  
فوقها أزهار إشفائك المقيم هاتفاً بمن يشهدون  
ما تفعل : « ما حياي ؟ لقد علمني الناس القتل فلا  
يعزب عنكم أنني أذرف الدمع لما قضى عليّ لأن  
الله قد خلقني أفضل مني الآن »

# حقوق العالم بأسير

## أسير

### الهيبة الدولية



الدول الموروثة استعمال الموروثة والقائمة يكون أيضا موروثة. ولكن الدول التي يستعمل في الأمور متعددة والمروثة عظمى وفيه استفاد الناس من نبال بشرية عالمية واسعة ونشرت في اصطلاح الأرض، والأرض عظمى كان على صحتها الحقيقة، ففقدت ذات شهرة في افكار العالم نورا عظمى ورائد ليدلهم واضح يباع بمقاديرها غير افضل اقبال الذين استعملوه وتأكدوا من نفوذ قدره لغزهم - ولقد كان لهم الحق معه دواء واحد على كل أدوية كثيرة، دواء يرفق بالأم بسرعة مفعوله ويحلب النوم المندثر ليرضى بالإنارة ويزيل القبح الانساني من عالم الأرض يعني الأمم المصنوعة النساء، وأدوية الصراخ والنيور الجيا وفيه لها من الأرض في دفاعهم والسبب في ان لا هذا الاستعمال كتحقيق من المرأة بعدة قصصها الجسم ونيو الودودج إيلوية ويظهر باطن الجسم وفيه ذلك فانه لا يوجد القبح واللامعة والرياء في مروي كل هذه الخفايا بحيث لكل انسان الموروثة مثله، ففعل ان ننظم الاصحى ذلك ليست العظمى من الذين استفادوا من هذه الدول الهميب.

أسير في مصنع في إنجلترا

## أسير

### التي تارة بل عند

اقرأ هذه السمات المقتنة ففبها الكفاية

أسير في بيع في كل مكان بسير

الوكلاء مع. ب. شريان وشركاه

٢٧ و٢٨ و٢٩ و٣٠ و٣١ و٣٢ و٣٣ و٣٤ و٣٥ و٣٦ و٣٧ و٣٨ و٣٩ و٤٠ و٤١ و٤٢ و٤٣ و٤٤ و٤٥ و٤٦ و٤٧ و٤٨ و٤٩ و٥٠ و٥١ و٥٢ و٥٣ و٥٤ و٥٥ و٥٦ و٥٧ و٥٨ و٥٩ و٦٠ و٦١ و٦٢ و٦٣ و٦٤ و٦٥ و٦٦ و٦٧ و٦٨ و٦٩ و٧٠ و٧١ و٧٢ و٧٣ و٧٤ و٧٥ و٧٦ و٧٧ و٧٨ و٧٩ و٨٠ و٨١ و٨٢ و٨٣ و٨٤ و٨٥ و٨٦ و٨٧ و٨٨ و٨٩ و٩٠ و٩١ و٩٢ و٩٣ و٩٤ و٩٥ و٩٦ و٩٧ و٩٨ و٩٩ و١٠٠



في بطش شديد؟؟» فتقول ميترفا: «الذي يحفظك منهم غداً يحفظك من غيرهم بعد غد، ولو جمعوا لك جحفاً أضعافاً... فلا عليك أيها العزيز... خل عنك الوسواس إذن... ونم ملء جفنيك... وأترك للنساء قيادك فهي حسبك...» قالت هذا وزفت في الأثير اللانهائي إلى أولب، تاركة وراءها القصر العتيق بمن فيه من نؤام وغير نؤام...

مسكينة بنلوب! لقد كانت هي الأخرى شاردة اللب، موزعة القلب، مارتقا لها عبيرة، ولا تقي لها عين، ولا يقر لها قرار... لقد لبثت ليها كله تتشوف إلى أودسيوس وتبكي عليه، وتستذكر أيامه، وترثي لهذا الفتى اليافع تلكم! ثم تدعو الموت كي يخذم أنفاسها، ويقر عليها أحزانها... ولكن المنابذ أوافر لا تستجيب لساء أحد... وهب أودسيوس عند مطلع الفجر فانطلق إلى المذبح الكبير حيث جثا متضرعاً لهفان، يسبح باسم زيوس العلي ويصلي له، ويهتف به أن يجعل له علامة يطمئن قلبه بها أن كبير الآلهة ما يزال يحميه ويكأوه، كما كآه في شدائده في كلا البر والبحر... وكان أودسيوس يركب صلاته بأطهر الدموع وأحرها، وكان سيد الأولب يصني لدعائه من علباء السماء، فما إن فرغ الملك المحزون حتى أرسل زيوس في الأرجاء زلزلة عظيمة مدوية رجعت أسداها جنابات القصر الساكن، وأحياد الجبال الشاخة... وكانت خادم بائسة تنهر طوال ليها عاملة في طاحونها ناصبة، فلما وقرت في سمها الزلزلة ذعرت وروعت، وأزاحت طرف الستر لتنظر إلى السماء فلم تجد فيها سحابة واحدة، بل وجدتها مشرقة بقباشير الصباح مضيئة بنور ربه... فجعلت تجار إلى الله وتقول:



## الأولب

لهر ميرس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

### نذير من السماء...

طلق أودسيوس يتقلب في فراشه على أحر من الجمر، وطق رأسه بغل كالقدر، بل يفور كالتنور بطائفة فائرة صاحبة من الأفكار والوسواس، وهو لا يدرى ماذا يصنع بهذه العصبية أولى القوة من أولئك المشاق المفاليك، وهو وحده، ومهما يكن شجاعاً صنديداً فقد يتكاثر اللباب على الأسد فيقتله... وهبطت من السماء ميترفا اللطيفة في صورة حسناء هيفاء ممشوقة القد، بأربعة القمصان، فجعلت نواسيه وتطمئنه، وتبشره بأن الأولب كله من وراءه فلا يخاف ولا يأسي...

«هذا حسن أن يكون الأولب، وتكونين يارية الحكمة من ورأى حتى أتتصر على أولئك الجبارين... فكيف لا أخشى أن يهب من ورائهم قبائلهم وذرايرهم واللائدون بهم يثأرون لهم فيحل

يحدو قطعانه وباعزله ، وطلق كدأبه يسب  
أودسيوس ويرسل عليه وعلى يومايوس ما ترح به  
فه من شتائم ، تحرشاً بالرجل الشحاذ الفقير ،  
ولكن أودسيوس لم يحرك ساكناً ... وأقبل  
راع آخر يقود بقرة صفراء لاذلول ولا فارض ،  
يدعى فيلوتيوس ، قوف عند زميله يومايوس  
يسأله عن صاحبه الفقير الشيخ ، وكأما راعته  
ملاحه وحسن سمته : « إن له لسماء كسياه الملوك  
برغم أسفاله ورمقه ! » ثم صافح أودسيوس وقال  
له : « مرحباً أيها الأب ! خف الله عنك عنادك  
ووضع عنك وزر ماتشكو ... باللساء ! إن مرارك  
يفجر السموع في عيني لأنك تذكرني بمولاي  
أودسيوس الذي وكل إلى رعي قطعانه وأنا بعد  
صغير حدث ، فكبرت كما كبرت ، وتضاعف  
عددها ... ولكني وأسفاه لا أفرح بسمها  
ووفرة عددها ، بل إن الحزن ليرزح على نفسي  
لأنها تُسَمِّن فتكون غذاء لا مباركاً ولا هنيئاً  
لأولئك الأمراء الظالمين ... ولولا رجائي في  
السما ... وأملئ الكبير في عودة مولاي أودسيوس  
لكدت من بعيد بسيد آخر أخدمه ، لأن الصبر  
على خبائث هؤلاء السَّماة الطَّغاة لم يعد في طوق  
أحد ... وأسفاه عليك يا مولاي أين أنت اليوم ؟  
ألا ليتك تمود فتبطش البطشة الكبرى بهؤلاء  
الجبائين ! » ... واعتبط أودسيوس بما سمع من  
كلام الراعي فقال له : « الله ما أشجعك أيها  
الصديق ! ولكني أبشرك وأطمئنتك ، وأقسم لك  
أن مولاك عائد ماني هذا شك ، وهو عائد عما  
قريب ، وستشهد عينك هاتان مصارع السَّماة  
الطَّغاة ! » ... وبينما هما يتحدثان إذا بالعشاق

« زلال وليس في الأفق سحاب ! أما والله إنه نذير ،  
أما والله إنها الغضبة السماء على هؤلاء الناكيد ...  
القساء ... الذين يقسروني على هذا العناء وذاك  
النصب طوال الليل كأني من حديد ... يا جوف  
اليلي ... إن يكن ما سمعت حقاً فاني أسألك بحق  
أسألك أن يكون هذا الدقيق آخر ما يأكلون من  
زاد هذه الدنيا ! ! »

وتبسم أودسيوس من قولها ، وتوسم فيه وفي  
تلبية السماء خيراً له ، وشاع في أعطافه شعور قدسي  
بما دنت ساعة الانتقام ... وكانت الوصيفات الأخريات  
يوقدن نار الدفا في الردهة الكبرى ، بينما برز  
تلياخوس من مخدعه مغترطاً سيفه ، ورحمه بنجر  
من خلفه ، حتى إذا بلغ وصيد الباب الكبير  
هتف بالمرضع المعجوز يوريكلياً يقول : « كيف حال  
الغريب النازح يا أمه ؟ بودي لو أنكن عنيثين به كما  
ينبغي ، لأن والدتي على ما جلبت عليه من خير  
ولطف ، لانتهش لأمثاله من النازحين الغريباء »  
وقالت يوريكلياً تجيبه : « يا بني لاترهب على والدتك  
في هذه السبيل ، فقد احتسى ضيفك من الخمر ملء  
بطنه ، حتى لقد أبى أن يذوق طعاماً بعد ، وقد  
أبى إلا أن يتام على فراش خشن في الردهة  
الكبرى ، ولا أدري لم تشب بهذا » . وانطلق  
تلياك إلى المدينة يتبعه كلباه . ثم أقبل الراعي  
يومايوس يسوق بين يديه ثلاثة خنازير كيناز من  
أحسن قطعانه ، وما إن رأى أودسيوس - الشحاذ  
الفقير في حسابه - حتى قصد إليه ، ولبت  
يسأله عما لقي من العشاق - فذكر له أودسيوس  
ما كان من وقاحتهم ... وبينما هما كذلك ، إذ أقبل  
الراعي السفية ، سليلت اللسان ، ميلاثيوس وهو

تحرك قطع اللحم فوق الخوان فحي تقطر دماً أحمر كأنه يفيض من غلاصم قتلى ! ثم امتلأت عيونهم بدموع غزير حرار ... ثم طفت صدورهم تملأ وتهبط وتنشق عن نهيدات تصعد من سويداوات القلوب ... ثم هذا ثيوكليمنوس - الكاهن الأبق - يشهد المعجزة ويرى النذير ، فينهض فيهم قائلاً : « تمسك لكم أيها الأنجاس لقد سمى بكم ما ذا تحب لكم المقادير يا ترى ؟ ما هذه الظلمات كأنها قطع الليل تنطش رؤوسكم وتزلزل أقدامكم ؟ وما هذه الدموع تصعب من عيونكم فتشوى حدودكم ؟ أنظروا إن استطعتم ! ما هذه الدماء التي تخرج جدران القصر ؟ ما هذه الأشباح التي تكظ الهوا الخالد ؟ إنها تهاوى إلى عالم الفناء فويل لكم ! أوه ! وتلك آية أخرى لقد كشفت الشمس غطاء وتوارت بالجباب ! الضباب الضباب ! ما أروع الضباب ينتشر فيملاً ما بين الأرض والسماء ! » وبالرغم مما أُنذر الكاهن فقد أغرق القوم في الضحك ، ولم يزدادوا إلا خيالاً ... وقال قائمهم ، وإنه ليوريماخوس : « ما أحسب إلا أن به حنة ! خذوه فقلوه ثم في السوق صلوه ، عسى أن يجذمت ضياء يمشي فيه ، إنه لا يجذ ضياء هنا ! »

وتلبث الكاهن فقال : « أربع عليك يا يوريماخوس فان لي عيتين وأذنين وإلى الأبد وأسمع ... وإلى نذير لكم من بلاد يحمل بكم فلا يبق ولا يذر ... أيها الأفاكون الفسدون ! » وانطلق الكاهن من القصر ... ولز أحد العشاق تلياك فقال : « ألا ما أتعسك في كل من صيقت من ضيف يا فتي ! أما كان مجسبك هذا الفقير الشحاذ القدر الذي تطعمه ما عليه من سبيل حتى تجلب هذا التفتيق

يقبلون أفواجا فيملأون البهو ، ويجلسون إلى ولعيتهم ، فيشير تلياك إلى أبيه فيجلسه معهم ، ويمد له مائدة ومقعداً ، ويحضر له من الشواء والخبز والشراب ما هو حسبه ويقول له بسمع من الجميع : « إجلس أيها السيد ولا تخش رهقاً ... إلى أمقت أن أسمع شغباً اليوم ، فالبيت بيت أودسيوس وإلى لصاحبه ! » وغيظ انطونيوس فقال : « دعوه فقد حق له أن يقول ما يشاء ، فثالله لولا أن حال جوف بيتنا وبينه لأسكتنا إلى الأبد أنفسنا ! » وقال سفيه آخر : « طب نفساً يا تلياخوس وقر عيناً ، فهناك منحة مني لضيفك ، مضنة مشهاة ! » ثم تناول عظمة من السلة القرية فقصف بها أودسيوس الذي انحرف عنها فلم تصبه ، وعند ذلك قال تلياك مضاضاً : « ثالله لو أصابته لأقصدتك برخي هذا فنفذ في صدرك ، وخرج بلع من ظهرك ، ولا تقب العرس الذي تحمل به فكان مناحة تؤز بيتك ... إلى لم أعد صديقاً بعد فلا ترهوني استرون كيف أستطيع أن أضع لكل ذلك حداً بعد إذ طفع الكيل ! » وهنا هب لثيم آخر فخذ في سخرية مقالة تلياك ... « لأن من حقه أن يحمي ضيفه ... ولكن اسمع يا تلياخوس ... لم لا تمضي إلى أمك وقد بئست من عودة أليك فطلب إليها أن تحضر فتختار البعل الذي يروها من بيتنا ؟ » فتعبد تلياك الكلام وقال : « هي حرة مطلقة الحرية . إلى لا أقف في طريقها ولا أقصرها على شيء ! » وما كاد يفرغ حتى انفجر المناكير يضحكون ويضحون

ثم حدثت المعجزة !  
لقد تضرعت وجوه القوم بمجرة الدم ... ولقد

الذى يدعى النبوة ويرجم بالغيب ؟ »

وصمت تلياك فلم يبتس ، وظل ينظر إلى أبيه ،  
ويرقب ساعة الجد

\*\*\*

### وما رميت إذ رميت ...

وخلن ( الدناجل ) ، ثم حلت هى السهام وسارت  
أمامهن ، وعلى وجههما قناعها السادر الحزن ؛ حتى  
إذا كانت عند الأمراء هفتت بهم فصمتوا ، ثم قالت  
لهم وفى صوتها نبرة الحزن ، وموسيقى الآلام :  
« ها هى ذى قوس أودسيوس وتلك هى سهامها أنها  
السادة الأمراء ، فمن استطاع أن يثنيها فيرسل عنها  
سهما يخرق الدناجل الاثنى عشر فاني له ، وهو  
صاحبي ... وعسى أن تبطل السماء حجركم اليوم ..  
فقد طالما ذهبت بخير هذا القصر وأرغم من زاده  
بحجة أنكم عشاق كما استبجتم أن تسمو أنفسكم ،  
فاليكم القوس فانظروا ماذا تصنعون » وأشارت إلى  
الراعى يوماوس قتلسم القوس العظيمة ، وحملها معه  
زميله راعى الضأن فيلوتيوس ... ثم إن الراعين  
لم يطبقا ذكريات سيدهما التى حاجتها فيهما القوس  
فدرفا دموعهما ثم استخرطا فى البكاء ... وانتهرها  
أنطونيوس فقال : « تبأ لكأ أيها الفلاحان القدران  
فيم هذا البكاء ! ألتبتمنا الشجو فى فؤاد سيدتيكأ ؟  
إنطلقا أيها المسخان فابكيا بعيداً فثالله ما أحسب  
بكاءكأ إلا يزيد فى صلالة القوس ، وثالله ما أحسب  
أحدأ منا يبالغ منها مأدا ... وثى ! من منا له بأس  
أودسيوس ! لقد كنت طفلاً ، بل كنت وليداً ،  
حينأ رأيت رجلاً ذا صولة وثوة يهديها إلى البطل ..  
أجل ... رأيت هذا ببعي هاتين ... . وكان فى  
كل ما قال ساخرأ ... فقد هيا له الفرور أنه بقليل  
من البقاء سيثنى القوس ويرسل السهم ويحظى  
ببنلوب !

وهض تلياك فقال إنه سيسام فى الزماية فإذا  
استطاع فانه سيق أمه لديه ولا يتركها تنادر منزل  
أبيه قط ... ثم حفز حفراً على خط مستقيم فجعل

وكانت بنلوب جالسة فى الحريم تسمع إلى ضييج  
القوم وعيجهم ، فبدا لها أن تضع حداً لهذا البعث  
القيم الذى استمر كل هذه السنين الطوال فأمرت  
بعض وصيفاتها فتبعتها إلى الحبأ الذى حفظت به  
أذخار الملك وعتاده ، والسلاح الذى طالما فرقت له  
قلوب وارتمدت فرائص وزاغت من هوله أبصار ..  
لله ما كان أشجأها ذكريات حافلة بأروع  
ضروب الجد ! ها هى ذى الرماح التى طالما لاعب بها  
أودسيوس الأسته ، والسيوف التى طالما انتزع بها  
الأرواح ، والدروع السابغات التى كانت تدرأ عنه  
وتحميه ، وتحفظه وتفتديه ... ثم ها هى ذى القوس  
العظيمة معلقة فوق الحائط تلمع وترقص من حولها  
المنايا.. القوس ذات الدكر لتي أهداها إلى أودسيوس  
أحد المعجيين به ... ها هى ذى بده هذه السنين الطوال  
لم يحملها أحد غير أودسيوس ، لأن أحدأ غير  
أودسيوس لا يستطيع أن يثنى قوس أودسيوس ،  
وفيهما الوتر المرْد ، الذى لا يلين ولا يبين ولا يرد ،  
إلا إذا كله أودسيوس ! وتناولت بنلوب كنانة  
السهم التى طالما قذفت النون فى قلوب الأعادى ،  
وجلست تنثرها فى حجرها ، وتنتقى منها وتبكي  
أحر البكاء ... لأن كل سهم منها كان يهيج فى  
قلبها ذكريات زوجها البطل  
وأشارت إلى وصيفاتها بخلن القوس العظيمة

ثم نهض راعي الخنازير ، يومايوس ، ونهض في إثره صديقه الراعي الآخر ، غششا الخطي خارج اليهوديا شاهدا من يأس القوم ... وقد تبعهما أودسيوس ... فلما كانوا بعيداً قال لهما : « أيها الحبيبان ، إذا أرسلت العناية أودسيوس في هذه اللحظة ليطش بهؤلاء المناكيد ، أفتحاربونهم معه ، أم تحاربونه معهم ؟ » ... فرمقه فيلوتايوس وقال : « يا للسماء ! تالله لو صحت أحلامك لرأيت كيف أفتديه منهم بنفسى ومهجتى ! وتالله لرأيت كيف يهتز سلاحى فيحصده رؤوسهم ويغير أشلاءهم ! » وقال يومايوس مثل هذه المقالة ... ولما وثق من اخلاصهما كشف لهما عن حقيقته فقال : « إذن فاعلموا أنني أنا أودسيوس ، وهذه هي الندوب التي أحدثها الخنزير في ساقى ، وقد أبت الى وطنى فجأة فلقيتكما أول من لقيت ، وأكرمت مثواى يايومايوس وأنت لا تعرفنى ، ولم أشأ أن أبدو للقوم حتى أعرف عدوى من صديقى » ولم يكذب فرغ من قوله حتى انحنى الرجلان يشهدان الندوب ، فلما استيقناها ، ذهلا عن نفسيهما ، وجثوا عند قدسى مولاها ، وطفقا يقبلانها ويفسلاهما بدموعهما ، ثم نهضا فألقيا سلاحهما عليه ؛ بيد أنه أمرهما أن يصمتا حتى لا يفضح أمرهم أحد ... وقال لهما : « لا بد أن نمود أدراجنا إلى اليهود ، وسأطلق أنا قبلكما ، وسأطلب منك يايومايوس أن تعطبنى القوس لأقوم بنصيبى في التجربة ، وسيرفض القوم أن أفعل ، ولكنك يجب ألا تبالى وتناولي القوس ، ثم تسرع بعد هذا الى الحرم فتخبر النساء فيه ألا يذعنن إذا سمعن نجيحة أو عويلاً فى اليهود ، أو شهدن حرباً وقتالا ... أما أنت يايولوتايوس فقسرع إلى باب

فى كل منها دمجلاً وثبت حولها بالحجارة والتراب .. ثم إنه تناول القوس العظيمة وأقمعها السهم ، وجمع قواه وطفق يشد ؛ وفشل مثنى وثلاث ، وكانت القوس تشمخ عليه فلا تكاد تنثنى ، حتى إذا حاول الرابعة وأوشك أن يظفر ، أوماً إليه والده ففهم ما يريد وقال : « أوه ! إنه لا يقدر على هذه القوس إلا من هو أقوى منى وأكل جسانا وأتم بنية ... فليقدم لهما من شاء منكم حتى نرى ! »

وقال أنطوليوتوس : إنهم جميعاً مشتركون فى التجربة حسب مقاعدكم ، حتى الكاهن ... فهض هذا ونعم شطر الوصيد وحمل القوس الرهيبه ، وحاول مائة مرة أن ينشها فلم يستطع ، فألقاها وقال : « أيها الرفاق ... ما أحسب هذه القوس إلا مؤيسة للجميع ... لقد أوهنتى وذهبت بمُنتى ... ألا فلتحملوا بأمرأة أخرى غير بنلوب ، فوالله ثم والله إنها للرجل الذى كتبتهما المقادير له ... الذى يحضر إليها بما ليس فى وسعكم من كنوز ومن أذخار » وغضب أنطوليوتوس وبجهم للكاهن ثم قال :

« ألا ساء ما تقول أيها الرفيق ! أحسبت أننا نياأس من هذه القوس لأنك لم تقدر عليها ؟ ومتى كنت رجل جلال وجهاد ؟ ومتى ثنيت قوساً أو أرسلت سهماً ! أربع عليك ففينا الكثيرون الذين يستطيعونها بالقليل الأقل من الجهد » ثم أمر راعي الضأن ميلانيوس أن يحفر حفرة ويوقد فيها ناراً يجمل بها وعاء من شحم ليعالجوا به القوس عسى أن تلين قبل أن يدبوا دلوهم ... فلما كان هذا أخذ الأبطال كل بدوره يعالج أن ينش القوس ، ولكنها استعصت عليهم جميعاً ، ولم يبق إلا أنطوليوتوس وبوريغاخوس ، وهما أكثرهما الجمع قوة وأوفرهم قوة

مباراتهم ... ومن يدري؟ لهمم ذعروا أن ينجح هذا الفقير فيا فشلوا فيه ... قال أنطونيوس : « أخزن عليك لسانك أيها السليط الوقح ! أكر يكفيك أن يسمح لك بوجودك بين هؤلاء السادة الأخيار من أقيال البلاد حتى تطالب أن تبارهم ! » وكانت بنلوب تطالع فلم تحتمل أن يؤذى ضيف ولدها هكذا ، فقالت : « أنطونيوس ! أتى لك أن تؤذى تلياك في ضيفه ؟ بل ينبغي أن يحاول الرجل كما حاولت ، فاما أنك تحشى أن يظهر فيها فشلت فيه .. فلا خير .. إنه لا جرم ليس يحلم مثلكم بأن أكون زوجة له ، فليفرخ ورعك إذن ، وتلطعنوا جميعا » وقال يوريماخوس : « يا ابنة إيكاريوس ما دار بخلدنا قط أن تكوني زوجة له إذا ظفر ، ولكننا خشينا أن يفضحننا في الناس فيقول : « عجبا لسادات إيثاكا وما حولها ؟ يطعمون أن يتزوج أحدهم امرأة البطل العظيم أوديسيوس ثم لا يستطيعون رى سهم عن قوسه ، ويأتى رجل شجاع فقير فينقى القوس ويرى السهم وهم مع ذلك لا يستحيون ! » هذا ما خفتنا أن يكون يا ابنة إيكاريوس وهذا ما خشيت أن يذهب بشرفنا ! » فقالت بنلوب : « لتطمئن يوريماخوس فليس في مثل هذا يضيع شرفكم ... ولكن الرجل ذو جسم طوال ومظهر جبار ، وقد ذكر أباءه فعلم أنه كريم النضر طيب الأرومة عريق الحمتد ، فلم لا يعطى القوس لذى ما يكون ؟ وإيه إن ظفر فساخط عليه وأدفع له سلاحا وأرسله أتى شاء ! » ثم نهض تلياك فقال : « أماء ! إن القوس قوسى وإنى لصاحبها ، أعطيها لمن أشاء وأصونها ممن أشاء ، ولن ينازعنى حتى أحد من العالمين ، ولو شئت لأعطيها الرجل فتكون حقاً خالصاً له ما سمحت لأحد أن يمنى ... تنفضلى أنت فلتاكي عليك أبواب

البهو فتوصده وتحكم بإغلاقه حتى لا يفت منهم أحد أبداً » . ثم مضى يجلس مكانه لدى الباب ، وتبعه الراعيان ... وفي هذا الوقت كان يوريماخوس يحاول محاولته ، وكان من وقت إلى آخر يذهب بالقوس العظيمة فيعرضها للئار عسى أن يسهل عليه ثنيها ، لكن القوس أبّت مع ذلك أن تلين ، فلما بلغ من يوريماخوس الجهد ألقي بها يائسا وقال : « تباً لها من قوس عنيدة ، والمار الأبدى لنا جميعاً يا رفاق ! ما لنا ولهذا ؟ إن في إيثاكا حسناً ، وإن فني أزواجاً تريباً أبكاراً لمن يشاء ... أوه ! يا للخرى ! أوه ! لم تقل الأجيال المقبلة إننا كنا دون أوديسيوس قوة وأقل منه فتوة حين عجزنا أن نثني قوسه ! يا للخرى ... يا للخرى ! »

وروع أنطونيوس وذهل عن أمره ، ولم يشأ أن يحزى نفسه بأن يحاول كما حاول غيره ... فوقف فقال : « ما أحسب القوس عنيدة ولا مستعصية كما ترعمون ... ولكن اليوم يوم عيد أبوللو رب القوس العظيم ، فأتى لنا أن نحمل قوساً اليوم ! دعوها ، واتركوا الأهداف مكانها ، فلن يجسر أحد أن يدخل بهو أوديسيوس فيمضى بها ، وفي بكرة التد يحضر ميلانيوس من قطعانه عزرات سماتاً فنضحي بها لأبوللو ، ثم تم محاولتنا »

ولكن أوديسيوس هب من مجلسه فقال : « يا سادة ! ما دتم لن حاولوا الرماية اليوم فأرجو أن تدفموا إلى هذه القوس لأجرب أنا أيضاً ، ولارى هل ما تزال بقية من مئة الشباب مخبوة في أعصابي ! أم أنها ذهبت بها جميعاً متاعب الحياة وكثرة التجوال في أطراف الدنيا ... » وجن جنون القوم لما قال أوديسيوس هذا ، وحببوا كيف يجسر شجاع فقير مثله أن يطلب أن يشارك السادات في

في أجزائها ، خافة أن يكون السوس قد نخرها  
إذ هو ناه عن بلاده ... وزاغت أبصار القوم ،  
وجعلوا يُبرِّقون في الشحاذ الفقير ويقولون :  
« الهلوف »<sup>(١)</sup> الزنيم ! إن له كعينًا فاحصة كأن  
لها عهدًا بالماية ؛ وإنه لبيحث القوس كأنه يقتنى  
أمثالها ! ... ثم قبض أودسيوس على القوس ،  
وشد طرفها في سهولة وفي يسر ، كما يشد الموسيقى  
وترآ من أوتار قيثارة ، ونظر إلى الأهداف المتراسة  
أمامه ، وأرسل سهمًا اخترقها جميعًا ، وسَمِعَ له  
صوت كمنسقة العصافير ...

يا عجبا ! لقد أراش أودسيوس السهم ،  
وأرسل زيوس العلى زلزلةً وزعدًا مدويًا وثب له  
فؤاد البطل ، وطارت منه ألوان القوم ، واخذف  
الرعب في قلوبهم ...

ثم أخذ أودسيوس سهمًا آخر فثبته ، ثم  
أراشه فاخترق الأهداف مرة أخرى ...

قال أودسيوس : « تلياخوس أيها العزيز !  
إن ضيفك لم يخيِّب رجاءك ولا أضاع عشمك »<sup>(٢)</sup> ،  
ولقد أسبت الأهداف كلها على حداثة عهد بالماية ...

والآن هلم ... إن النهار يوشك أن يوج ، وإنه لينبني  
أن نعد وليمة النساء للسادة الأمراء ، ولن يعدوا  
بعدها ما ذأبوا عليه من رقص وعزف ، وقصص  
وغناء ... »

وم تلياك فأتى حائل سيفه على كاهله ، وتناول  
رحمة العظيم . وسرى !

« يتبع »  
درجى فشيبة

(١) الهلوف بتشديد اللام وزان فردوس الثقيل الجاني  
الطين ونحجب أن منه نعت المصريين كلمة هلقوت وقد  
استعملناها لظرفها ومناسبتها كثيرا للعقام  
(٢) في القاموس المعجم الطبع

الحريم وانظري في أعمال البيت وصرفي شئون الخدم  
وخذى في غراك ونسجك ، وسنظرن نحن في أمر  
القوس وسأرى أنا لن تكون النوبة ، فاني هنا سيد  
لا مسودا ... وشدهت بنلوب قليلا ، إلا أنها  
عرفت أن ابها قال حقا ، فانسجبت ، وغلفت عليها  
أوابها ، وانطرحت في فراشها حيث واقها ميرفا  
فسكبت في عينيها غفوة هادئة لذيذة ، فاستسلمت  
لسبات عميق

وتقدم يونايوس فحمل القوس وأوشك أن  
يذهب بها إلى أودسيوس ، لكن الأمراء زأروا  
مناصبين ، بغشى الراعى ، وألقى القوس ثانية ، فصاح  
به تلياك : « هات القوس هنا أيها الرعديد ، لشد  
ما أود أن أخلص منك ومن هؤلاء السادات الذين  
ترهبهم ... » وسخر الأمراء ونجوا ضاحكين ...

ولكن الراعى تقدم إلى القوس فاحتملها ، وذهب  
بها قدما إلى مولاه ... وانطلق بعد هذا إلى الداخل  
فنادى الموضع يوريكليا وقال لها : « إن مولاي بأمرنا  
أن نقتل جميع الأبواب ، ويقول لك إنه إذا سمع  
أحد من النساء نجيحة في الهو أو قتالا فليجلسن حيث  
هن ولا يترعن ، وليأخذن في عملهن ، أنسمعن ؟ »  
وغلقت الموضع الأبواب وبلغت رسالة مولاه ...

ثم هم فيلوتيوس فقلق باب الهو وأحكم إقفاله ،  
وربطه يسكب<sup>(٣)</sup> طويل كان لسفينة وألقى لدى  
الباب ؟ وعاد جلس مكانه وعيناه لا تربعان عن  
مولاه ...

وتناول أودسيوس القوس فجعل يفحصها ويبحث

(١) في القاموس السلب لهاء شجر بالين تعمل منه الحبال  
ونحجب أن منه إطلاق السلب على الحبال الغليظة في مصر فلم  
نر بأسا من استعماله بهذا المعنى







# الرسالة

مجلة السجينة للفكر والعلم والفن

مجلة الآداب الرفيعة والثقافة العالية

تصل الماضي بالحاضر وتربط الشرق بالغرب

على هدى وبصيرة

الرسالة : تعبر باخلاص عن روح النهضة المصرية

الرسالة : تجمع على وحدة الثقافة أبناء البلاد العربية

الرسالة : تصور مظاهر العبقريّة للامة العربية

الرسالة : تسجل ظواهر التجديد في الآداب العربية

الرسالة : تحيي في النشء أساليب البلاغة العربية

■ ————— ■

مجموعة أعدادها ديوان العرب المشترك ، وكتائب الشرق

الجديد ، وسجل الآداب الحديث ، ودائرة معارف عامة

■ ————— ■

الاشتراك الداخلي ستون قرشاً ، والخارجي ما يساوي جنبها مصرياً ، والبلاد العربية بخمسة ٣٠ ٪



صاحب المجلة ومديرها  
ورئيس تحريرها المسئول  
أحمد حسن الزيات

برل الاشرافك عن سنه  
٣٠ في مصر والسودان  
٥٠ في الممالك الأخرى  
١ بمن العدد الواحد

الادارة

شارع عبد العزيز رقم ٣٦  
التيبة الحضرية — القاهرة  
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٤٢٤٥٥

# الهرولة

مجلة أسبوعية للقصص والنايخ

نصدر مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصفه

السنة الأولى

٢٩ شوال سنة ١٣٥٦ — أول يناير سنة ١٩٣٨

العدد ٢٣



## فهرس العدد

صفحة		
١٤١٨	جولي رومان .....	للقصص الفرنسي جى دى موباسان
١٤٢٤	عائدة .....	أقصصة مصرية .....
١٤٣١	عشة أو صخما .....	للقصص الروسي ليونيد أندرييف
١٤٤٠	الجزاء .....	أقصصة ريفية .....
١٤٤٥	مهر الشاعر .....	أقصصة مصرية .....
١٤٥٢	غرام .....	للكاتب الروسي أنطون تشيكوف
١٤٦٤	اعترافات فن العصر .....	لألفريد دى موسيه .....
١٤٧٤	الأوذية .....	لهوميروس .....
	يقلم أحمد حسن الزيات .....	
	يقلم الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني .....	
	يقلم الأستاذ محمد لطفي جمعة .....	
	يقلم الأستاذ كامل محمود حبيب .....	
	يقلم الأستاذ محمود بك خيرت .....	
	يقلم الأديب السيد جورج سلسق .....	
	يقلم الأستاذ فليكس فارس .....	
	يقلم الأستاذ دريني خشبة .....	

الجنة الحالية بالورد  
والبرتقال، غطرتهم  
السافلة، ودعاوهم  
الباطلة، ورغبتهم  
الخسيسة، وبصروا  
الذهن البشري على  
جبلته الأولى من  
الحقارة والجهالة

# جُولِي رُومَان

لِلْقَصَصِي الْفَرَسِيِّ جِي دِي مُوْبَاسَان  
بَقْلَمِ أَحْمَدَ حَسَنِ الزِّيَّاتِ

والكبرياء والطمع . وعلى حين بفتة رأيت في آخر  
فرضة من الفُرُضِ الرائية التي يصادفها السائر في  
كل منعطف هناك، أربع دور أو خمسا يقعن في وجه  
البحر، وتحت أقدام الجبل، وأمام غابة موحشة من  
الصنوبر تمتد وراءهن إلى بعيد في واديين كبيرين  
لا طريق فيهما ولا منفذ

وكان أحد هذه الجواسق أثيقاً معجباً،  
فقيد بصرى بحسنه، واستوقف خطاي على بابه .  
وهو مسكن صغير أبيض الجدران أسمر التوافذ  
قد كسته الورود المتسلقة من أساسه إلى سقفه .  
أما حديثه فبساط من الزهر تجمع فيه كل لون  
وكل شكل، فكان خليطاً عجيباً من الألفة الفريدة  
والظرف النادر . فإذا سرحت بصرك في أفئيته  
وجنباته رأيت الحضرة الضئيرة تنطلي كل شبر من  
أرضه، وألفاف النور تجمل كل درجة من سلمه،  
وعناقيد الورد الأزرق أو الأصفر تتدلى على واجهته،  
وأكاليل الزهر الأحمر تتألق على أعمدة مشرقته؛  
وأبصرت من خلفه عمشى من أشجار البرتقال  
المزهرة يمتد حتى يقف عند حضيض الجبل

\*\*\*

منذ هامين كنت أسير في الربيع على ساحل  
البحر الأبيض . وألذ الأشياء أن تفكر وأنت سائر  
في الطريق على جبل . وهل أجل من أن تسير في  
الضياء وفي الهواء على حدود الجبل أو على سيف  
البحر وأنت تحمل ؟ وما كثر ما ينتال على نفسك الهامة  
في هاتين الساعتين اللتين تمسهما أحلام الحب وأوهام  
الخطر ! تهب عليك الأماني البهمة البهجة فترشها  
مع التسمم الليل الفاتر، فتحدث في قلبك شهوة  
السعادة كما يحدث للشي في نفسك شهوة الطعام؛  
وتظير حوالبك الخواطر السواحر مجالاً مفردات  
كأنها أطيار الربيع

كنت أسير في ذلك الطريق اللاحب الداهب  
من سان رافائيل إلى إيطاليا، أو بالحرى ذلك  
الزخرف الأنيق المتغير الممتد الذي تراه فتجسبه  
نُحْنَق ليمثل جميع ما قال الشعراء من قصائد الغزل  
وأناشيد الغرام . وكنت أفكر في أن الناس إنما  
يأتون هذه البلاد من (كان) حيث يسترفهون،  
إلى (موناكو) حيث يقامرون، ليظهروا الرهو  
والصلف، أو ليتعاطوا القو والنرف، فيعرضوا  
فحسب هذه الساء الحافلة بالسحر والجمال، وفوق هذه

مرة متعاقبة . سافرت هي وهو على مركبة البريد كما كانوا يسافرون يومئذ ، فبدا البحر ليحييا حياة الهوى والصبابة في الجزيرة النائية تحت ظلال البرتقال التي تكتنف (بارم) ، وتسمى صدفة الذهب

لقد كان الناس يتحدثون عن صعودها إلى بركان (أطنة) ويذكرون كيف انحطت على فوهته الوسيعة وهما ملتصقان خدًا لخد يريدان أن يلقيا بنفسيهما في هاوية جهنم

لقد مات مات صاحب الشعر المضطرب الذي أثار بمقمه رأس جبل ، وفتح بدقته وأمراره ظلالا جديدا للشعراء الجدد

ومات الآخر كذلك ، مات ذلك المهجور الذي ابتكر من أجلها جلا من الموسيقى بقيت في كل ذاكرة ، وتراكيب من النصر والياس حزت في كل قلب

وبقيت هي بعدها في هذا البيت المنتقب بالزهو المحتجب في خيلة من الفتنة !

\*\*\*

غزت الجرس غير متردد ولا متلكني ، ففتح الباب غلام في نحو الثامنة عشرة من عمره ، على وجهه ويديه دلائل الحق والبلاهة . فناولته بطلاقي بعد أن كتبت عليها بحبة رقيقة للمثلة المحجوز ، ورغبة شديدة في أن ألقاها ؛ فلملها تعرف اسمي فقتسمح لي بالدخول

ذهب الخادم ورجع ، فطلب إلى أن أتبعه ، فتبعتني إلى بهو نظيف ظريف ضخم الأثاث على طراز لويس فيليب . وكانت فيه جارية في سننها السادسة عشرة ممشوقة القوام عليها مسحة من

دونت من الباب فقرأت عليه هذا الاسم مكتوبا بحروف صغيرة من الذهب : (فلا أنطان) فقلت لنفسى : ليت شعري أى شاعر أو أية حورية يسكن هنا ؟ أى عُشَلٍ ملهم كشف هذا المكان وشاد فيه هذا المنزل الذي تطير حوالبه الأحلام وينزل عليه الإلهام ويطيف به الجمال كأنما نبت في طاقة من الريحان والزهرة ؟

وكان على مقربة من هناك عامل من عمال الطرق يقطع الصخر ، فسألته : من صاحب هذه الجنة ؟ فقال : السيدة جولي رومان

جولي رومان ! لاطلا سمعت وأنا في حجر أبي هذا الاسم يتردد على الأفواه ؛ ذلك اسم المثلة الكبيرة منافسة المثلة الشهيرة راشيل ؛ تلك هي الفنانة التي لم تنل امرأة ما نالت من تصفيق المجسدين وتنافس النفرين وتدلبل الأجيال ؛ ما أكثر ما وقع في سبيلها من حوادث البارزة والانتحار ؛ وما أشهر ما استفاض حول اسمها من المقامرات والأحداث !

ما عمر هذه الساحرة القوية اليوم ؟ ستون ؟ سبعون ؟ خمس وسبعون ؟

جولي رومان ! هنا ، في هذا البيت ؛ هنا ، تسكن المرأة التي تيمت أندر المعجزات الشعرية ، وأنبغ القرائح الموسيقية في هذا البلد ؛ لا أزال أذكر تلك الرفعة التي أصابت فرنسا بأمرها وأنا يافع حين فرت هذه المثلة إلى صقلية مع هذا ، بعد أن قطعت أسبانيا مع ذاك

لقد سافرت مع حبيلها الشاعر ذات مساء بعد أن مثلت إحدى الأمسي الجديدة ، وهتفت لها الجمهور نصف ساعة متصلة ، ودعاها إلى الظهور إحدى عشرة

فنقص على قرائها ذكرياتها ومغامراتها ونوادرها  
وماثرها ، ثم يحجى النسيان ويطوى البلى  
ثم سكنت برهة وعادت تقول :

\*\*\*

وليس ذلك اليوم يبعد . بعد بضعة شهور  
أو بضعة أيام لا يبق من هذه المرأة الحية إلا هيكل  
صغير من العظام . ثم رفعت بصرها إلى صورتها التي  
تبسم لها : لهذه المجوز ! صورتها المضحكة ! ثم  
نظرت إلى صورة الرجاء الشاعر المحترق  
والموسيقار الملهم فكأما يقول أحدهما للآخر :  
« ماذا يبتغي منا هذا الطلل الدارس ؟ »

فأخذ بكظمي حزن لا يوصف ولا ينال :  
حزن على العمر الذى انقضى ولا يزال يضطرب فى  
الذكريات اضطراب الغريق فى الماء العميق .  
وكنت أنظر وأنا فى مكانى المركبات الفاخرة  
تخطف على الطريق الناهب من نيس إلى موناكو ،  
وفيهما الفتيات الرشيقات عليهن مظاهر الغنى  
ودلائل السعادة ، والرجال المستبشرون عليهم آثار  
الرخاء والنبطة . فنظرت إلى ما أنظر إليه ، وفهمت  
ما أفكر فيه ، فقالت مغنمة وهى تبسم ابتسامة  
الاستسلم : لا يستطيع المرء أن يكون بعد ما كان !  
فقلت لها : لَسَدَ ما كانت الحياة فى عينك جميلة !  
فنهدت ثم قالت : نعم كانت جميلة رخيصة ! ومن أجل  
ذلك أسف عليها أشد الأسف .

ورأيتها على استعداد لتحدث عن نفسها فأخذت  
أستفهمها فى رفق وحذر كما يحس الإنسان القرح  
المض . فتكلمت عن فوزها وغبطتها ونشوتها  
وأصدقائها وعن كل ما يتصل بحياتها الناجحة  
المجيدة . فسألها :

الحسن ، فرفمت مكنتها احتراماً لى ، ثم انصرفت  
وبقيت وحدى

كان على حوايط البهو ثلاث صور : صورة  
للمعثة فى أحد أدوارها ، وصورة للشاعر فى رديجونه ،  
وصورة للموسيقار أمام بيانو . وكانت هى فى زى  
ذلك العهد شقراء فائقة تبسم بشفتها الرقيقة وبميناها  
الزرقاء ؛ وقد تألق المصور فى صورتها واقفان  
لجأت بدعية متقنة . وكان كل ما فى البهو يشعر  
بالقديم ويتحدث عن الآلاف الناهبين والأيام  
الخوالى

فتح أحد الأبواب ودخلت امرأة شططاء نحيلة  
الظل ضاربة : قد لقع رأسها الشيب وابيض حاجباها  
وأهدأها فبتت كأنها الفارة البيضاء . فدت يدها  
إلى وقالت فى صوت لا يزال على طراوته وحلاوته  
ورنينه :

— شكرًا لك يا سيدى ! فإن من كرم الخلال  
أن يفكر رجال اليوم فى نساء الأمس ! تفضل  
بالجلوس

ذكرت لها أن جمال بيتها استهوانى وأغوانى  
فسألت عن صاحبها ؛ فلما عرفت أنه هى لم أستطع أن  
أقوم رغبتي فى طلب الإذن عليها . فقالت : إن ذلك  
ليتلج صدرى وبهيج نفسى ياسيدى . وهذه أول مرة  
يقع فيها مثل ذلك . حيناً ألقيت إلى بطاقتك وعليها  
كذلك الرقيقة عرنتى هزة شديدة كأنما انبثت بقدم  
صديق قديم غاب عن عيني منذ عشرين سنة .

أنا امرأة ميتة ، ميتة حقاً ، لا يتذكرنى أحد ،  
ولا يفكر فى إنسان ، حتى يأتيني الموت الحق ؛  
ويومئذ تتحدث الصحف عن جولى رومان ثلاثة أيام

الرجلان كيف يسفيان عقل المرأة بالنغم والسكس .  
أجل ربما كان في هوانا من الوهم أكثر مما فيه من  
الحقيقة ؟ ولكن هذا الوهم يملك فوق أطباق  
السحاب على حين تدعك الحقيقة ملق على آدم  
الثرى . فإذا كان غيرها قد أحبب أكثر مما  
أحباني ، فانهما وحدها علماني كيف أفهم الحب  
وأحسه وأعبده

قالت ذلك ثم تقاطرت دموعها اليائسة في  
سكون وصمت ، فتعاضبت عن ذلك وجعلت أنظر  
إلى بسيد حتى ثابت إلى نفسها بعد لحظات  
واستأنفت تقول :

كل مخلوق ياسيدي يشيخ قلبه متى شاخ جسمه ؛  
ولكنني لا أخضع لهذه القاعدة ، فإن جسمي  
المسكين قد بلغ التاسعة والستين ، بينما قلبي البائس  
لا يزال فتيا لم يتجاوز العشرين . ولذلك ترائي أعيش  
وحدى بين الزهور والأحلام

ثم تولانا صمت طويل عاودها فيه الهدوء فمادت  
تقول وهي تبتسم :

إنك لتسخر مني إذا علمت ... إذا علمت  
كيف أقضي أمانتي كلما كان الجو جميلاً والطبيعة  
مشرقة . أني لأثير في نفسي الخجل والرائة في  
وقت مما

فحاولت حملها على أن تقول لي ما ذا تفعل فلم  
أتبح . فهيمت بالقيام ، ولكنها هتفت بي قائلة :

— الآن ؟

فأجبتها أني سأتمشي في مونت كارلو . فقالت  
في شيء من الحياء والحشمة : أتقبل أن تتمشي  
معي ؟ إن ذلك يعلل قلبي سروراً وغبطة  
فقبلت دعوتها على الفور ، فهمل وجهها لذلك ؛

وهل أنت مدينة بهذا السرور المرح وتلك  
السعادة الخالصة للمسرح ؟

فأجابت في شدة وحدة : أوه اكلا  
فابتسمت أبا وعادت هي تقول وقد نظرت إلى  
الصورتين نظرة حزينة :

إني مدينة بكل ذلك لها .

فلم أتمالك أن سألتها : لأيهما ؟  
فقالت : لها معاً ، حتى لأخلطها بعض الخلط  
في ذاكرتي الشيخة . ولقد أحس في نفسي وخز  
الضمير لأحدهما ، اليوم ؛ فقلت لها : لست مدينة  
لها بشيء ياسيدي ؛ إنما أنت مدينة بسعادتك  
للحب . فهو وحده الذي يجب أن تعترفي له بالجليل  
والشكر . وما كان هذا أو ذلك إلا ترجاناً له .

فقالت : ذلك جائز . ولكن أي ترجان كانا ؛  
فقلت لها : وهل أنت موقفة بأنك كنت  
لا تبجدين في دهاء الناس من يحبك خير الحب وكل  
الحب ، فيقدم إليك قلبه وفكره ووقته وحياته ،  
بينما هذان لم يقدما إليك إلا خصمين مخوفين هما  
الموسيقى والشعر ؟

فصاحت تقول بذلك الصوت الرخيم الحنون  
الذي يحرك أوتار القلب :

لا ياسيدي ، لا . ربما كان غيرها يحبني أكثر  
منهما ، ولكنه ما كان يستطيع أن يحبني مثلهما .  
آه ! لقد غنياني أناشيد الغرام على لحن لا يتسنى  
لغيرها أن يوقمه ؛ لشدة ما أطرباني وأسكراني ؛ هل  
كان في مقدور إنسان ما أن يجد ما وجداهما  
من السحر في الألحان والأوزان ؟ وهل يكفي  
المرء أن يحب إذا كان لا يقدر أن يضع في حبه  
أنعام السموات والأرض ؟ لقد عرف هذان



فتوسلت إليها قائلاً : سبحان الله ! ماذا ؟  
أظلمني عليه وأنا أعدك ألا أسخر منه . أقسم  
لك على ذلك ...

فترددت . ولكنني تناولت يديها المروقتين  
الباردتين وقبلتهما مراراً واحدة بعد أخرى كما  
كان حبيبها يفعلان . فتحرك لذلك قلبها فقالت  
في شيء من التردد :

أتمدني ألا تضحك ؟

فقلت لها : أعدك وأقسم

فقالت : إذن تعال

ونَهَضَتْ فنهَضَتْ معها ، وكان الخادم الصغير  
الأبله يُسْحَى الكرسي من ورائها فهَمَسَتْ إليه  
بكلمة سرية فقال :

سماً وطاعة ياسيدي . على الفور

وأخذت بذراعي فشبتا تحت الطنف ؛ وكان  
المشي متعة للنظر وبهجة للقلب ؛ والبدر الطالع  
يرسم في سوائه خطاً طويلاً من الضوء كأنه  
شريط من الفضة ، يقع على الرمل الأصفر بين  
ردوس الأشجار المدهامة ؛ وكان الشجر في نشوة  
لإزهاره يسطع شذاه العبق الحاد فأفهم الليل كله .  
وكنت ترى من خلال خضرة الحوَّاء آلافاً من  
الحجاب (١) تطير مضيفة لساعة كجبات النجوم ،  
فهمت قائلاً :

ما أحرى هذا الزخرف بمشهد من مشاهد  
الحب !

فابتسمت ثم قالت :

أليس كذلك ؟ أليس كذلك ؟ سترى !

(١) الحجاب Luciole ذباب يطير بالليل له شعاع في  
ذنبه كالسراج

ودقت الجرس فجاءت الخادم فأمرتها بما تريد ثم  
قامت فطافت في كل مكان في البيت

\*\*\*

وكان للبيت طنف مزيج مزدان بالشجيرات  
الزهرة يفتح على غرفة الطعام فيرى الجالس فيه  
ممشى البرتقال الممتد إلى الجبل . وبين ضامم العشب  
والزهر نجد مقعداً واطناً يدل وجوده على أن المثلة  
المنجوز كثيراً ما تأتي فتجلس فيه

تجولنا في الحديقة ننظر إلى فنون الزهر  
وضروب الشجر وأنواع الرياحين ، وكان المساء  
يقبل على رُودٍ وهدوء فينشر في جو السماء الفاتر  
أريج الورد والفاغية . ولم يكن غير قليل حتى غابت  
أواخر النهار في أوائل الليل ، وجان موعد الطعام  
فجلسنا إلى المائدة

كان المشاء لذيذاً طويلاً ارتفعت فيه الكلفة  
بيننا وبينها حين فطنت إلى ما نشأ لها في قلبي من  
شدة الليل وصدق الودة . وشربت إصبعين من النبيذ  
كما كانوا يبرون من قبل فاطمات إلى بأنسها ،  
وأطلعتني على دخيلة سرها . قالت :

أنظر إلى القمر ! أنى أحبه وأقدسه . لقد  
كان الشاهد على سعادتي الحياشة وسروري الروح .  
ويخيل إلى أن جميع ذكرياتي منقوشة على صفحته ؛  
فما هو إلا أن أطلع وجهه حتى تنهافت على خاطري  
سراعاً تباعاً . وفي أغلب العشايا أهني لنفسي مشهداً  
من أروع المشاهد ... مشهداً جميلاً ... جميلاً ...  
لو كنت تعلم ؟ ... ولكن لا ... إنك لو علمت  
هزأت في وسخرت مني .. لا أستطيع .. لا أجروء ..  
لا ... لا ...

أنحك . ولكن الحادين عاداً إلى آخر المشى فماد  
منظرها أخذاً بملك القلب . ثم أخذاً يستندان  
رويداً رويداً ، وبختين شيئا فشيئا ، حتى ذهبا كما  
يذهب الحلم

\*\*\*

واقبل المشى بعدها موحشاً كثيب النظر .  
وذهبت أنا أيضاً حتى لأراها على الحال الطبيعية .  
فإن هذا النظر الذي بمت الماضي كله يجب أن يبق  
طويلاً . أجل ، بمت ذلك الماضي كله ! ماضى الغرام  
والزينة والبذخ ! ماضى التصنع والخداع والغواية !  
ماضى الرشاقة والفتنة والحلق وبالباطل ، ذلك الماضى  
الذى لا يزال يحرك شعور المثلة الشبخة ، وبهر  
قلب الماشقة المعجوز !

## في أصول الأدب

لمؤلفه الأستاذ محمد حسن الزيات

كتاب جديد فريد في نوعه . يشتمل على  
أبحاث تحليلية بطريقة في الأدب العربي وتاريخه .  
منها تاريخ الأدب وحظ العرب منه . العوازل  
المؤثرة في الأدب . أثر الحضارة العربية في العلم والعالم  
تاريخ حياة ألف ليلة وليلة . وهو أوفى بحث كتب  
في هذا الموضوع إلى اليوم . ثم قواعد تفصيلية  
للرواية التمثيلية الخ ...

يطلب من إدارة مجلة الرسالة

وثنه ١٢ قرشا

ثم أجلسنى بجانبها وجمعت قائلة :  
ذلك ما يمت الأسف والأسى على الحياة .  
ولكنكم لا تفكرون في شيء من ذلك يا رجال  
اليوم . إنكم مالبون وعمليون وتجار وساسرة !  
حتى الحديث إلينا لا تحسنونه ولا تعرفونه . وإذا  
قلت (نا) أردت الشواب الكعاب .

لقد أصبح الحب في رأيكم علاقة تبتدى في  
الكثير الغالب بحساب الخياطة ، فإذا وجدتم  
الحساب أعلى من المرأة قطعتم . وإذا وجدتم المرأة  
أعلى من الحساب دفعتم .

صدقة طريفة ... عادات طريفة !

ثم أمسكت بيدي وقالت : أفطر ! فنظرت  
فإذا بمنظر عجيب يشده الفكر ويذهل الخاطر :  
هناك في طرف المشى وفي ضوء القمر أقبل فتى  
وفتاة يتهايان وقد أخذ كل منهما بنصر  
الآخر . كانا بمشيان هوثنا على الشريط الفضى  
فتعاقب عليهما أضواء القمر وأظلال الشجر . وكان  
الفتى في لباس من الدمقس على طراز القرن  
الماضى ، وعلى رأسه قبعة مراحة بریش النعام .  
وكانت الفتاة ترتدى حلة شمسية<sup>(١)</sup> الدليل وقد ذرت  
على شعرها الزرور الأبيض ، وصففته على نحو ما كان  
يصنع الحسان في العهد الفار . فلما صارا على مائة  
خطوة منا وقفا في وسط المشى وأخذتا يتماقتان  
على أرق ما يكون الغزل والعناق بين عاشقين

تفرست في الجبيين فإذا هما الخادمان : الغلام  
والجارية ! وحينئذ استخفى الفرح ومادى السرور  
حتى التوى جسمى على القعد . ومع ذلك غالبت  
رغبة الضحك كما يغالب الجريح رغبة الصياح فلم

(١) ذبلها على شكل المظلة

# عائدة

أقصوصة مصرية

بقلم الأستاذ إبراهيم عبد القدّر المازني

في مدرسة للمعاملات ،  
وحملت شهادتها أو  
أجازتها ، وقدمت  
في البيت ، فقد كانت  
حالمًا حسنة لا تتوجه  
إلى العمل لكسب  
الرزق ؛ على أن هذا  
لم يكن خليفًا أن يمنحها  
أن تشتغل بالتعليم لولا  
أن « حمودة » خطبها

فآثرت الزواج . ولم يكن يعرفها أو تعرفه قبل  
الخطبة ، ولكنها بعد ما تحابا — على الأيام ، فقد  
كان حمودة شابًا حديث العهد بالوظيفة ، وكان فيه  
حرص وثؤدة ، فاكثرت بالخطبة ، وتهمل حتى يمد  
نفسه لحياته الجديدة ويدّخر ما بعده لازماً لها ،  
ومن أجل ذلك كفّ عن التدخين اقتصاداً في  
الثقة ، وانصرف عن غشيان المقاهي والاختلاف  
إلى دور السينما ، وكانت تلك متعته التي لا يكاد  
يلتمس سواها . وكانت أمّاته تثقل أحياناً على عائدة ،  
ويشق عليها طول الانتظار ، وتصبو إلى الانتقال  
من بيت أبيها إلى بيت زوجها ، وتجادل حمودة ،  
وتشعر أن جسمها كله ينفض من قوة الحنين إلى  
تلك الحياة الجديدة التي كانت تعلم بها وتخالها منها  
صور من المتع والذائدات غامضة غير جلية ،  
ولكنها متع محسها سلفاً بالندر الذي في أعضائها  
والفتور الذي يعتريها حتى لتكاد ساقها — من  
فرط الاختلاج — تعجزان عن حملها . وكانت  
ربما شعرت بالنفور من حمودة لثقل ما يكنها من  
العبر ؛ وكانت تقول له أحياناً إنه لو كان يحبها كما

كانت « عائدة » تعرف « شبيحة » من خطيبها .  
وكان بيت شبيحة هذا مقابلاً لبيتها ، فكانا يتبادلان  
التحية والسلام ، وكل منهما في شرفته ، أو نافذته  
ولكنه لم يكن يزورها ، وإن كانت دعتهم مرات  
إلى « تشریفها » . وكان يشتهي أن يجيب الدعوة  
ويوثق الصلة ولكنه كان يصد نفسه لعله أن  
أهلها يحفظون ، وإن كانت هي فتاة عصرية . ولم  
يكن أحد يعرف ما عمل شبيحة ، فقد كان رجلاً  
كثيروماً ، قليل الكلام ، طويل الصمت ، يكتفي  
بالإشارة إذا أغتت عن الكلمة ، وبالنظرة إذا  
كانت حسبه بلاغاً ؛ فإذا بدا له أن يتكلم أوجز  
ولم يسهب ، وضرب في كل حديث إلا نفسه  
وحياته وعمله . وكان يئيب عن بيته — أوشقته —  
أياماً ثم يمدد ، ولا يسأله أحد أين كان ، أو ماذا  
كان يصنع بنفسه ؟ وكان أكبر الظن به أن له  
ضيعة يتمدها . وكان مديد القامة ، عريض الأواج  
وفي عظام وجهه قوة ، وفي نظره — حين  
يطيلها — حدة ، ولكنه مع ذلك كان سمحاً ،  
حلو الابسام ، وظريفاً جذاباً — حين يشاء  
وكانت « عائدة » قد أغتت دراستها ، وتخرجت

صيحة الجوع ونداء الصبوة ومصرخة الالهة ،  
وحدث نفسه أنها قادرة على إسعاده وأن حسبا أن  
تقول له إنها قانعة بأن تغل خطيئته حتى يأتي في رايه  
أن يبنى بها . ولكنها لا تنفك تستمجه قبل أن يستوفي  
عده ، وبذلك تسلبه السكنية التي هي كل مناه  
من الدنيا

وكانت أم عابدة ترى هذا وتدركه ، فيسرها من  
حمودة أنه رزين غير طياش وأنه يريد أن يوطد  
القاعدة قبل أن يرفع البناء ، ويستوثق من متانة  
الأساس قبل أن يفرح بملو الجدران ويفتح النوافذ ،  
ولكنه كان يؤلها ويقطع قلبها أن ترى على وجه  
بناتها آيات الحرقات التي في أحشائها ، وكانت تحدث  
نفسها أن السكنية بعض ما يفيض الحبيب على نفس  
حبيبه ، وأنها هي آتت زوجها الروح بحبا له ،  
وأفرغت على قلبه السكنية اللوموقة ، ولكنه لاحيلة  
لها ، فقد أحبت عابدة خطيئها ، فلو طلبها ألف ،  
كلهم خير منه ، لما رضيت بواحد منهم . ولا خوف  
من البطء في الحقيقة ، فان حمودة جاد لا يهزل ،  
ووفى لا يخون ولا يقدر ، وعاقل لا يطيش ، ولكن  
بناتها ، هي بناتها ، وليس يسعها إلا أن تتألم لها .

\*\*\*

وكانت عابدة تاتي شريحة في بعض الطريق أحيانا  
فتسير معه مسافة ، أو تركب معه الترام ، إذا كانت  
غائمتها واحدة ، فكان يحز في نفسها ويسخطها عليه  
أنه لا يزال يسألها كلما قابلها : « امتي الدخلة إن شاء  
الله ؟ » وكانت تراه يتسم فيكبر في وهما أنه يتهمكم  
ويسخر ، فتثور نفسها وتمود لا تدرى على أي  
الرجلين سخطها أشد وتقمها أحمى : على حمودة  
الذي يكلفها ما لا تطيق من الصبر ، ويعرضها لهذه

(٢)

يزعم لا أطاق أن يفطم نفسه عنها هذا الفطام ،  
ولكنه كان - في كل مرة - يستطيع أن يفي  
بها إلى السكون والرضى والافتناء

ولم تكن تشكو هذا إلا إليه ، ولكن أنها  
كانت تنظر إليها فتدرك - بلا حاجة إلى البت  
والشكوى - أن بنتها تحرق نفسها . وكان حمودة  
يقضى السهرة في بيت عابدة أحيانا ، ويتمشى مع  
الأسرة ، وكان يجلس إلى المائدة أمام عابدة ، فأما  
الأب فكان يكب على الصحن ويشغل بالطعام عما  
عده ؛ وأما الأم فكانت عنها لا تزال تنتقل من  
حمودة إلى عابدة ، ثم ترد من عابدة إلى حمودة ،  
فكانت تراها تنظر إليه ، ولا تكاد تحول عنها عنه  
كأنها تريد أن تأكله بلحظها وتلمحه وتجعله يتسرب  
- من عينها - في كيائها المتوقد ، وروحها  
المتلهفة . أما حمودة فلم يكن في نظره أكثر من  
السرور المادي والافقار الرزين بما رزقت من قوة  
الجذب وحلاوة الطبايع ، وكان على يقين من حبا  
له ، فكان الصبر لا يشغل عليه . ولا تكرر أنها  
كانت تزججه بالحاحا ولكن طبيعة الحذر كانت  
تدفعه إلى المقاومة واتقاء المجلة . وكان همه من  
حياته رضى القلب وراحة النفس والاطمئنان ،  
فطلبه السكنية الهيمنة لا النشوة ، وما أخطأه السكنية  
للنشودة قط إلا حين ضفطت عابدة كفه ورفعت  
إليه وجهها ، وقد استدارت شفتاها كأنما تنها  
للتقبيل أو تدعوه إليه . ولم يرض عن نفسه ولا عنها  
حين أحس بالاضطراب الذي أحدثه له هذا ، فصار  
بعد ذلك يعالج أن يخفف ألسنة الموافت في نفسه  
ويسكن الضجة التي قامت فيها ، وحرص على اتقاء  
لسها ، وعلى لفت وجهه عنها كلما رأى في عينها

وأراها كل ما يرى ، وأنفق عن سعة ولم يرض  
بشيء ، ثم تركها مع أربابها على موعد

ودار بنفسها وهي تؤوب إلى البيت أنها لو كانت  
مع حمودة ، لأوسع قدميها إحقاء ، ولكانت حقيقة  
أن تخرج من مدينة الملاهي وفي نفسها مُمى كثيرة .  
والفاقة ليست عيباً ولكنها على كل حال ضئيلة

وضيق . وفي الناس كثيرون أغنى من شيخة ،  
ولكن شيخة والحق يقال — كذلك حدثت  
نفسها — كريمة . وما أحلى كلامه وأعذب  
حديثه ، بل ما أحلى صمته وأبلغ نظره ! ولكن  
الواحدة تشعر بالاطمئنان حين تكون مع حمودة ،  
ويشيع في نفسها الرضى ، مهما بلغ من شدة الصبوة .

أما شيخة — وارتعدت عائدة وهي تتأجج نفسها  
بذلك — فاني أحس وأنا أصعد عيني إليه أنى  
كالصفور الناظر إلى الحية .. مرعب .. مرعب ..  
وطاف برأسها أنها لا تستطيع أن تقاوم تأثيره

في نفسها إلا إذا كانت بين الناس ، ولقد وسعها  
أن تزجره في « المدينة » ولكنها واثقة أنها ما قدرت  
على ذلك ولا اجتأرت إلا لأن حولها من الناس  
بحر زاهر ، ولو كانت وحدها معه لما وسمها شيئاً  
وتكررت المقابلات في « مدينة الملاهي » ،  
ولم يكن من هذا بأس ، لأن الشهر شهر رمضان  
وفيه يطيب الشهر ، وهي على كل حال لا تخرج إلا  
مع جارئاتها وصواحبها ، فلا اعتراض ولا ملاحظة ،  
لأن الأيوبيين ولا من الخطيب

وقال لها ليلة وهما خارجان من إحدى الملاهي

« تعالي ... إن مى الليلة سيارة فلندرن بها دورة »  
ولم تر بأساً فخرجت معه ، وركبا السيارة  
وانطلقا بها وهي إلى جانبه ، وأقبل عليها يتحدثها  
ويتأججها ويسرها ويضحكها ، كما لم يكن يفعل من

السخرية من شيخة ، أم على شيخة الذي لا تدرى  
لماذا يسخر منها ويتكلم عليها ؟ ما شأنه هو على كل  
حال ؟ ولكنها كانت تراجع نفسها وتضبطها فما  
يأبى أن تظهر الغضب لسؤال يرى في ظاهره ، ولا  
أن تكشف بالغضب عما تنطوى عليه من الألم ،  
فيرى خبيثة نفسها ودخيلة صدرها

وقال لها مرة وقد التقي بها في « مدينة الملاهي »  
إلى جانب المعرض الزراعى : « ليتك تتزوجينني !  
إن حالى حسن ، وفي وسعى أن أتمتلك بالدينيا وأجعل  
حياتك فيها رحلة جميلة »

فزوت ما بين عينيها وأغلظت له في الرد ، فلم  
ينهمز ، بل راح يقول :

« إنك تبدين شبابك ، وهو مع ذلك كل  
حظك من حياتك ... فتاة جميلة مثلك ، تشتهي  
ولا شك أن ترتدى أنفوس الثياب وآفتها ، وأن  
يكون بملها ذامال ، وخبيراً بالدينيا »

فقال له بجمدة : « وهل شكوت إليك قصاً  
أو حاجة حتى تتدبرنى بهذا الكلام ؟ »

فاعتذر وقال : « لا أحتاج منك إلى شكوى  
فان لى لغزاسية ، وأنا أعلم أن شيخة يمشى إلى غايته  
مشى السلحفاة ، ولو كان يقبل معونتي لأعنته ،  
ولكنه متكبر ... جداً »

فكانت لنفسها إن حمودة يشعر بكرامته ويعتبر  
بها ، وإنه جدير بالإكبار من أجل ذلك ، وإنها هي  
لا شك تعرف له قدره ، وإن كان يسوءها منه هذا  
الطبل والتسوييف

وعدل شيخة عن تحريضها لأنه أحس أن هذا  
منه يستثير مقاومتها . وذهب بهمس في أذنها بكلمات  
الإعجاب ، وهاتيك في كل أذن عذاب ، وطاف  
بها في أرجاء هذه « المدينة » وأركبها كل ما يركب

وتنسل وتخدم ، ولا تتخطى عتبه ، وكان شيعه يغيب عنها أماناً ثم يعود ، ولكنه لا يتركها وحدها فقد كان في البيت حارسه الذي لا يفتي ولا يغفل ؛ ذلك الرجل الأشعث الذكر الهيئه والصوت ، وكانت عودة شيعه في كل مره إيداناً بمجيء زوار ، وكان الزوار هم هم لا يتغيرون ، وكانت إذا حضروا تلمز غرقها ولا تخرج منها إلا إذا دعاها شيعه ، فكانت تقدم لهم الطعام — تضع أطباقه على المائدة — ويخرج ولا تلبث أو تلبس ، ولكنه لم يسمعها إلا أن تسمع بعض ما يدور بينهم من الكلام ، فدهشت وتمعدت أن تسمع ، فعلمت أن هؤلاء شركاء يزيفون أوراق النقد ، وأن ههنا في البيت أدوات التزييف ، ولكنها في غرف أرضيه ، تذكرت أن الحارس كان لا ينفك يصددها عن الانحدار إليها أو الاقتراب منها ، وعرفت أنهم يحملون ما يزيفون ويوزعون على أعوان لهم يسافرون به إلى الأسواق في الريف ، وهناك يمتثلون حتى يتخلصوا منه ، ثم يعودون بالأوراق الصحيحة ، ويجمعون فيقتسمون وهكذا ...

إذن شيعه خريف أوراق ، وهذا عمله ! وقد وقفت في حياته ، فقدف بها سجنها على الأصح — في هذا المنزل المنقطع أو بوها وأنها ... وليس لها من الدريه سواها ... وجوده ... ماذا ترى صمتوا ؟ وكانت في أول الأمر تبكي بأربع ، فلما مضت الأيام صارهما أن تهرب وتعود إلى أهلها ، ثم خطر لها أن الرجوع صعب بعد الذي صار إليه أمرها مع شيعه ، وكانت لا تزال تجهل حقيقته ، فقالت لنفسها إن هذه قسمتها ولا حيله لها تعرفها ، غير لها أن توطن نفسها على الرضى بما كتب الله عليها . ولم يفتر جها لجوده ، ولا ضمعت صبه نفسها إليه

قبل ، فإن كلامه في الماده — على عذوبته — قليل . ولم يكن بالها إلى الطريق ، بل كانت عينها على هذا الرجل الغريب الذي يفرعها ، آنا ، وآونة يرقصها بصنوبته ولينه ، وإذا بالسيارة تقف فجأة أمام بيت منقطع

وقال لها « تعالى »

ف نظرت فلم تستطع أن ترى شيئاً ، فقد كان الظلام دامساً ، ولا مصابيح هناك ، فسأته : « أين نحن ؟ »

فلم يزد على أن قال « تعالى ... سترين »

وتناول يدها وأزّلها من السيارة ، ودخل بها البيت ، وكان في دهليزه مصباح بتول صغير مثبت في الحائط بسمار ، فشت أمامه ، وخرجت من الدهليز إلى غرفة رحبه ، في وسطها مائدة فوقها مصباح كبير يتدل من السقف ، وحولها كراسي من الخيزران ، وتحتها سجاده كبيره عتيقه ، وإلى اليمين « صفة » عليها شمعدانات وتحتها ميا يلى الحائط حقيقه

وصفق شيعه ، ففتح باب ودخل رجل أشعث منكر الهيئه والصوت ، أوقد المصباح وأشار إليه شيعه بفرج ، وما لبثت عايدة أن سمعت صوت السيارة ، فكاد قلبها يقف من الرعب ، ورفعت عنها إلى شيعه وهي واجفه ، فأولم إليها فشت أمامه إلى حيث أشار ، وعينها عليه كأنما كان يجذبها إليه ، وفتحت الباب فإذا وراءه سلم فقاد يولى إليها بعينه وحاجبيه أن اصمدى . ففعلت وهي لا تى وعرفت وهي تتحط على كرسي في الثرفه التي مضى بها إليها أن هذه هي النهايه !

\*\*\*

لبثت في هذا البيت شهوراً تطبخ وتكس

واستطاعت بعد عشاء أن تمر على ورقة بيضاء وقلم تخط به ، ثم طوت الورقة ، ولم تزل تحتال وتشحن غفلة من الحارس حتى خرجت ، وسألت أول غلام صادفته عن الحلي الذي هي فيه — فإ كانت تعرف أين هي — ثم أضافت العنواف إلى مافي الورقة ، وشكبتها بدبوس وكتبت عليها عنوان خطيبها وأندقت الغلام قرشين — فقد بق معها ما جادت به من مدينة اللامهي — واستحفظته أن يرى الورقة في أى صندوق للبريد ، بطابع أو بغير طابع ، سيان ؛ المهم أن تاتي في الصندوق والسلام وعادت إلى البيت وهي مشفقة أن يكون الحارس قد فطن إلى خروجها ، وشاء الحظ الحسن أن يكون شيحة وزملاؤه غائبين عن البيت . ولا شك أن شيحة يذهب في هذه الأيام إلى شقته تلك أمام بيتها ، فيأما أجراًه ؛ ألا يدركه عطف عليها حين يطل من نافذته ويرى شقة أبيها ، وتقع عينه على أحدها ؟ أو حين يلتقي بخطيبها ؟ وما ذا تراه يقول لجموده حين يشكو إليه اختفاء عايدة ؟ وما ذا عساه يقول ؟ كل شيء بالطبع إلا الحقيقة ؛ ومن الحق أنه ضللهم جميعاً وهو يتظاهر بالاشفاق عليهم ويتبرع بموئنتهم ؛ وهل ينتظر إلا هذا من مثله ؟

ومر يومان كادت تخب فيهما ، وكانت إذا دخل الليل ، تصعد إلى غرفتها وتجلس إلى النافذة وتحاول أن تنظر من ثوب الشباك ، وأن تتخرق بعينها أسداف الظلام ، وكان النوم يفلها وهي قاعدة ، ثم تنبه وتهض مذعورة ، مخافة أن يكون أحد قد جاء ، ومغى يائساً . فقد كتبت إلى جموده أنها ستجلس كل ليلة وراء النافذة القبلية وفي مساء اليوم الثالث ، وكان شيحة وإخوانه لا يزالون غائبين ، والحارس في الغرفة التي يقضي

وحنيها إلى السكنة والأمان والدعة والرضى في ظله ، ولكن شيحة كان قد استولى عليها ، وإن لم يستول على نفسها ، فلما تبينت أن هؤلاء مريضون فزعزعت وأيقنت أن المسألة قد تبر وجهها ، وأن السجن هو ما لها لا محالة عاجلاً أو آجلاً . ولو اقتصر الأمر على مقامها في بيت شيحة لبق لها أمها ، ولكن الزيف ؟ ... أى أمل لها الآن في اتقاء الفضيحة والمار والسجن جيماً ؟ وأهلها المساكين ؟ خير لهم أن تموت ... سيكون ساعة .. أو شهراً ... أو شهوراً ثم يتزنون !

وطال إطرافها وسهوما وتفكيرها ، وكثر أرقها ، ولكن شيحة لم يكن يبالها أو يعبأ كيف تكون . وبحسبه منها أن تقضى حاجاته ، وأن يقضى منها لبائاته ، بل لقد صار يدي لها الملل ولا يتي أن يظهر الضجر ، وسمعت عايدة أحد زواره يقول له مرة :

« عايدة فتاة طيبة »

فهز شيحة رأسه أن نعم ، ولم يقل شيئاً فقال الرجل : « لقد عزمت كما تعلم أن أكف اكتفاء بما حصلت ... فهل عندك مانع من أخذ عايدة مي ؟ »

فتنبه شيحة وقال : « إيه ؟ »

قال الرجل : « إنها فتاة ، وقد أخلصت في الخدمة فيحسن أن نبعدها عن هذا كله » فقال شيحة : « آه ! هذا مانعني ؟ لا بأس ... متى شئت »

فكادت عايدة تصمق ، وماذا بعد أن تصير هكذا ... يملها رجل فيرميها إلى آخر ؟؟ واتتوت أن تتخلص وتنجو بسرعة

\*\*\*

تستعد؟» هل عندها شيء؟ واستلق إلى رجل آخر... قبل أن ينقذها حمودة! حتى البكاء ممتنع عليها! وهل تعرف ماذا عسى أن يصنع بها شبيحة إذا سمعها أو رآها تبكي؟ أترأى يمكن أن يظن أن هذا من حباله، ورغبته في البقاء معه؟ وهل في وسعها الآن أن تضايقه وتنتظر هذا لتؤخر رحيلها عن البيت؟

ولإنها لفي هذا وما إليه وإذا بحركة عنيفة يرتفع إليها صوتها من تحت، فانتفضت واقفة، وذهبت تعدو إلى الباب، وتسمعت فملت أن البوليس قد جاء. ولكن كيف دخل؟ لعل الباب كان مفتوحاً. وقبض على الشركاء، ورأت شبيحاً يصعد درجات السلم، فارتدت راجعة إلى الزرفة، ووقفت تلتفت ثم توارت وراء ثياب معلقة على مشجب، ودخل الشبح ثم صاح «لا أحد» - واثني راجعاً... فكاد قلبها يقف مرة أخرى، فقد كان الصوت صوت حمودة. فهل ترى كان يبحث عنها؟ وهل اعتقد أنها هربت قبل مجيئه، وأنها ليست الآن في البيت؟؟ لماذا لم تقل له إنها هنا؟...

وخلا البيت وساد السكون بعد أن مضى ألف عام فيما تحسب وهي واقفة وراء الثياب، فخرجت تمشي وانحدرت إلى الدور الأرضي، وبرزت إلى الفضاء الرحيب أمام البيت، ووقفت تستمع ثم مشت في الظلام على غير هدى، فما كانت ترى شيئاً، ولم تكن تحس أو تدرك إلا أمراً واحداً.. أنها تبحث من السجن، وليكن بعد هذا ما يكون...

وصافح سمعها صوت يقول «هسس! هسس!» ففرغت، وكبر في وهما أن هذا بعض القوم الذين ظننت أنها تبحث منهم، ووقفت في مكانها لا تتحرك ولا تكاد تنففس، فقال الصوت مرة

إليها الدهليز من الباب على عادته سمعت صغيراً خافتاً غدقت في الظلام فلم تستطع أن ترى، فرغت الشباك بمحذو ورق وأطلت فسمعت همساً: «عابدة.. عابدة» أنا حمودة! اسمي... هل هنا أحد؟ فهمست من فوق بصوت مبجوح: «لا... الحارس فقط»

فسأل: «متى يجيئون؟» قالت: «غداً... أو بدم على الأكثر» قال: «إذن لا بد أن تبقى حتى يكونوا جميعاً هنا.. لا تخافي... يجب أن تبقى... سأعود... احذري أن تقوي شيئاً...» فوعدت فلم يزد على أن قال «مسكينة! واخفي في الظلام».

\*\*\*

وفي اليوم التالي كان الشركاء جميعاً محيطين بالماندة، وعائدة تحمل إليهم الطعام، وفرغوا منه فالتفت شبيحة لها وقال:

«اصبري، واستعدي للخروج» فريعت، وخافت أن تخرج ويجمي حمودة فلا يجدها، وكيف يعرف بعد ذلك أين ذهبت؟ وكان لا بد أن تخفي جزعها فتجلدت وقالت:

«أخرج؟» قال: «نعم... لم يبق لك محل هنا» قالت وهي بجواره: «ولكني أفضل أن أبقى» قال: «اسمعي الكلام، ستعيشين بعد الليلة مع خليل سامعة؟»

قالت بذلة «حاضر» وصعدت، وقد أفقدها اليأس المفاجيء كل قدرة وسلبها كل قوة.



وانثقا، لما جئت مع البوليس أنك في البيت ، فلما  
اعتقلوهم صعدت - متطوعاً - فلم أجد أحداً ،  
ولكني شعرت بحركة خفيفة فأيقنت أنك غيبته ،  
فصحت : « لا أحد » وعدت مطمئناً وفي نيتي أن  
أعود وحدي لأخذك ، ولكني وأنا عائداً سمعت وقع  
قديمك ... هذه هي القصة ... »

قالت : « ألا تريد أن تسمع قصتي ؟ »

قال : « كلا ! إنها لا تعني ... حسبي أنني  
وجدتك ... والآن قومي ... على فكرة ... لقد  
رأيت أن الانتظار لا داعي له ، فهل عندك مانع من  
التعجيل ؟ »

قالت : « يجب أن تعلم أنني عشت مع شيخة »

قال : « ألم أقل إنك كنت ضحية ؟ انسي هذا

يا فتاتي وتعالى ... » إبراهيم عبدالقادر المازني

أخرى « همس ! همس ! » فلم تستطع أن تجيب  
ودنا منها شبح ، فنبضت على الأرض مفشياً عليها  
\*\*\*

لما أفقت عابدة ، ألفت نفسها راقدة على  
الأرض ، وخذها على ساق حمودة ، فابتسم لها ،  
« أحسن ؟ » ففكرت عيناها وجلست فقال لها :

« لما جاءني كتابك لم أخبر أحداً ، حتى ولا  
البوليس ... أردت أن أهدي بنفسي أولاً ... »

وكان في وسمي أن أتذك في تلك الليلة ، ولكني  
أردت أن أقبض على المجرمين ، فكان لا بد أن  
تبقى كما كنت حتى لا يشبهوا ، وبهروا ...  
وكنت أحرص على ألا يقبض عليك معهم ، ولهذا  
لم أقل للبوليس شيئاً عنك ، ولكن القبض عليك  
لم يكن يخيفني فأناك ضحية ، ولست شريكة ، وكنت

الجو العاطر إلى روحى الجميل

في البقاع المطهرة

تبتعوا فيه بأطول وقت ممكن

وانتهزوا موعد الرحلة الثانية

يوم الأحد ٩ يناير سنة ١٩٣٨

على الباخرة

زمزم

# عَشِيرَةُ ضُحَاهَا

للقصصيّ الروسي ليونيد أندرييف  
بقلم الأستاذ محمد لطفي جمعة

ولكن الأم كانت  
حائقة مفيضة لرغبتها  
في تعليمه . ولما كان  
ميفول ميفولفتش  
يجب أن يبقى غيظ  
الأم قبل على مضض  
أن ينقل الصبي من  
مصنع الشال إلى

صفوف المدرسة الابتدائية في  
سراتوف . فأظهر من النجاة مادعا  
إلى إعجاب أساتذته ، ولكن المال  
كان قليلاً والنفقات تزيد على  
طاقة الأب فكفاح وصبر بضع  
سنتين حتى بلغ الولد متعته حظه  
من التعليم وهو شهادة البكالوريا .  
وقد حسب الوالد نفسه من بناء  
المجد أن بلغ ولده هذه المرتبة  
من العلم في حياته  
وكانت الأم ترجو أن يصل

لا يوجد مطلع على طرائف الأدب  
الروسي لم يقرأ قصة قصيرة أو وسطى  
أو مطولة لهذا المؤلف الذي قضى  
نحبه في العقد الثاني من هذا القرن  
المصريين بعد أن ظهرت أشعة وهاجة  
من عبقرية النادرة ، فقد فخر في  
برهة قصيرة إلى الصفوف الأولى .  
ومن أروع قصصه « بين الماهر »  
و« الهاوية » و« الثائر » و« الصمت »  
و « حياة الانسان » وهي فاجعة  
رائعة مكتوبة على الأسلوب التبشيلي .  
وفي قصته القصيرة التي نقلها إلى  
الغربية إلى المرة الأولى دليل جديد  
قوى على نبوغه وحذقه وصدق فنه

نشأ جودار برافسكي في  
سرجيو سنا إحدى ضواحي مدينة  
سراتوف ، على نهر الفولجا ،  
وكان صبيّاً ذا ذكاء وفطنة ،  
ورث الإقدام والثبات عن والده  
ميفول ميفولفتش الفلاح ، وقوة  
الإرادة والطموح إلى الملا عن  
والده أوجستا سينا فثنا المنحدرة  
من أصل قوقازي . فأراد أبوه  
أن يقاسمه العمل في الحقول صنعة  
آبائه وأجداده ، لأن الأرض في

الشباب إلى الجامعة ليتخرج فيها طبيباً أو مهندساً  
ليعيش بين طبقة السادة والنبلاء في بطرسبرج ؛  
وشجّعها على المضي في هذا الأمل أن جودار كان  
بجتهداً طموحاً شديد الحساسية مثله مثل الفنانين  
الذين كُتبت فيهم مواهب الجلال والقدرة على إبرازها ،  
وإن قدمت بهم الفاقة دون تحقيق أمنياتهم .  
وكان الولد كما هم بطمع لنفسه في المراكز العالية ،  
فتأخذ على زوجها المواقف ألا يبخل على ولده  
بالمال الذي يحتاج إليه في تنقيفه ولو اضطر إلى

نظرة مصدر الخير كله . ولكن الأم تمتعت قائلة : « إن  
لم يكن تعليمه في المدرسة مستطاعاً فلتبعت به إلى  
إينسكن صانع التماثيل والإيقونات ، يعلم فنه الجليل  
الراقي ، ويؤهله إلى حياة أرفع من حياتنا » فنزل  
الوالد على إرادتها ، وقبله مثال القرية على مضض ،  
لأنه كان يضمن بأسرار مهنته أن تبذل لأولاد  
الموحيك<sup>(١)</sup> ، وهم أقل من طبقته ؛ وفرض على  
الوالدين أجراً لتعليم الولد روبلين يدفعانها كل شهر .

(١) طبقة الفلاحين

يبع جزء من الأرض الموروثة !

وسافرت الوالدة والولد إلى بطرسبرج ونزلا ضيفين على قريب لها كان فيا مضى مديراً لإدارة الأموال المقررة ، وحلأ إليه هدية حسنة من الدجاج والبط والفاكهة والبقول والزبدة والبيض فأحسن استقبالها وأكرم وفادتهما واطمأن « الثورنك »<sup>(١)</sup> إذ علم أن الأم قروية من قرية سرجيوسنا وأن الشاب قادم للانتظام في صفوف الجامعة . فوفر على نفسه مشقة التجسس وتبلغ الشرطة خبر مقدمها ، واكتفى بضمانة الموظف القديم الذي أكده أنها لا يحملان في حقيتهما البريئة ديناميتاً ولا قنابل يد ولا مسدسات ولا منشورات ثورية ؛ ولكن مظهر الأم وما تحمله من أمائر النيل الموروث ووسامة الشاب حركت سلوكه وأيقظت وسأوسه فكان يهمس في أذن الموظف القديم كوبرنيك سيروفيتش : « إن كثيراً من الشرفاء الذين أفسدت أذهانهم كتب الساحر العجوز القيم في « إيسانيا بوليانا »<sup>(٢)</sup> قد يتكبرون في هيئة الفلاحين ليصرفوا عنهم ظنون الشرطة » ولا يهدأ باله إلا إذا قال له المضيف : « أنا ضامن لها ، فهما من أقاربي ، وإن دماءنا لم يتطرق إليها الفساد » ...

وسعى الموظف كوبرنيك سيروفيتش لدى أولى الأمر واستكتب الأم والولد عرضاً للاسترحام . ولكن مساعهم ذهبت أدراج الرياح لـلـقـلعة الضرية

(١) يواب المشار في بطرسبرج وموسكو في العهد القيصري - يحيى الأجور ويراقب السكان ويتجسس عليهم للشرطة

(٢) هو ليو تولستوى

المقاربة التي يدفعها الأب عن النصاب الواجب أداؤه لخزانة الدولة ، فن الإرهاق له أن يجبر على دفع رسوم الدخول والامتحان فضلاً عن أثمان الكتب ونفقات الحياة .

وهب أنه باع الأرض لينفق ثمنها في تعليم ابنه فيصبح الشاب إذن أقل استحقاقاً للدخول ، لأنه ينحدر إلى طبقة المدمين . وقال له أحد كبار الموظفين بسلاتير بوبوف مراقب التعليم العالي وهو يجادله ليقنعه بالدول :

— تعلم يا كوبرنيك سيروفيتش ما أكنه لك من المودة والاحترام ، ولكن القانون هو القانون ؛ قد يكون قاسياً أو خاطئاً فالأولى أن نعمل على تمديله لا على نقضه وتحطيمه . فأجابه سيروفيتش : « حقاً إن نظر المرء ليخلف تبماً للزمان والحوادث . أترأى يا جناب المراقب نائراً أو صاحباً محتججاً ، ماذنب هذا الولد النابغ الذي نال شهادته بكده وجده ، يحرم من التعليم العالي لأن أباه ليس ميسوراً . إن النبوغ من نعم الله التي تهبط على الياسير والمعاسير على السواء

— هدىء روعك يا حضرة مدير الأموال المقررة سابقاً — أترأه وقد أتم تعليمه وهو على ما وصفت من الذكاء والفطنة ، ولم ينس أسله وفاخته وحاجة والديه ، فينشأ نائراً وينضم في غير وحي إلى صفوف المفتونين الحقى الناقين على نظام الدولة الراغبين في هلاكى وهلاكك ، فيقطعون معاشك ويمنعون صرتى وزاحون أولادى وأولادك في معترك الحياة بما أوتوا من كفاية نادرة ، وهم لا يزالون ذوى أدمغة بكر وأذهان خصية لم تقض على تلافيها حياة الترف والرفاهية التي شادت بركة

النيلان الذي لم يمهّد في الشيوخ من أجل طالب تريد أن تلحقه بالجامعة قهراً ومن هو الطالب؟ وتناول في اهتمام يمازجه التهمك عريضة ابن الفلاح وقرأ «جودار برافسكي... من قرية سرجيوسنا لإحدى ضواحي سراتوف... وهو بعد عاجز عن دفع المصروفات خليف بأن ينقطع عن الدراسة إذا انكشف ستر أبيه بزلول أثمان القمح!! وما بقي إلا أن تطلب منا أن نغنيه من الرسوم ونجني على خزنة الدولة حياة سواد عينيه وتوقيع لائحة شأه» فقال كوبرنيك وقد ملك زمام غضبه: خزنة الدولة؟ عفواً! لم تصل بي العروة إلى هذا الحد، ولكنني حسبت...

— كفكاف حساباً فيما مضى، وأنت تعلم أنني لا أمل مجلسك، ولا أكره حديثك، لولا أن لدى من الأعمال... فياجنذا لوشرفني في منزلي (١٧) برسيكتيف بنفسك) فتشرب معاً طاساً من الشاي، في مجلس خال من الجدول فتلق كوبرنيك السهم بلباقة وأخفى الجرح الذي

أصابه في الصميم ونهض في وقار وتؤدة قائلاً: — لا جرم أن نظمتنا الاجتماعية والسياسية كالشجرة السكرية النابتة قد آتت أكلها، وأنت من خير ثمارها، عم صباحاً يا سيدى. ولا تخش انباءى إلى كبير محوطة حمايته ونظلى رعايته فى الأماكن العليا، إذا حدثت بك نفسك بأكل لحي أو السى فى، وإنما وراى ماض فى خدمة الدولة تترك جبال الأورال ولا يتركك، وبحيطة ناصعة البياض لن تلونها وشاية واش أو دسيسة دساس

\*\*\*

وعادت الأم الحزينة إلى قرينها وقرينها تحمل اللوعة

الله أن تغمسنا فيها إلى الأذقان، فهل تندم ولات ساعة ندم أو تحرق الأرم على أنك زدت النار اشتعالاً بتعليم هذا الفتى النجيب وما هو إلا سهم يصوب إلى صدورنا؟

فقال كوبرنيك سيبروفيتش وكان شيخاً هما فى الستين من عمره أطلق شعر عارضيه وعثنتونه فبدا فى هيئة مشير خطير فى الجيش:

أراك يا حضرة المراقب قد ركبت متن الشطوط وقطعت بحبالك الجامح فراسخ عدة فى عالم الهم، وأصبحت كغيرك من ذوى المناصب الرفيعة ترى فى كل شاب يستريد من العلم زعياً لثورة المستقبل، يفكر فى فتنة تأكل الأخضر واليابس، أو يدير مؤامرة تهلك الحرث والنسل، كالستأجر الجديد لبليت قديم يزعم أنه ماوى الجن ومسكن الغفاريات فلا يلبث أن يرى فى كل ركن شبحاً ويسمع فى سكوت الليل صدى أصوات المردة، وما رأى وما سمع إلا ما أملى الرعب الذى ملك عليه زمام نفسه

وكان موظف الجامعة هادىء الأعصاب مترن التفكير واسع الصدر، فترك مدير الأموال المقررة السابق يتكلم إلى آخر ما أراد ثم التفت إليه وعلى فيه ابتسامة عريضة خبيثة وقال له:

— أرى أن الذى شطح ونطح وجرى حتى لهث ليس خادملك المطيع؛ ولو لم أكن أعرفك للمعرفة الحق وأنت بك ثقة لأحد لها وأعلم من ماضيك الحافل بالولاء للدولة والعبودية لجلالة مولانا القيصر، لظننت بك الظنون وحدتني نفسي بأن الراحة وإطمئنان البال والفراغ مفسدة لأكبر العقول ومرتج خصب لوساوس الشيطان ونزوات الثورة. كل هذه النخوة، وكل تلك الهمة وذلك

إلى تلك الأيام السعيدة التي قضاهما في كنف أنيكين  
صانع الآلهة على ضفاف نهر التولجا

وفي تلك الفترة تعرف جودار إلى اسبازيا  
كورنولونا إحدى طالبات الجامعة في التاريخ  
والاقتصاد وقالت له إنها ابنة مزارع في جزيرة القرية  
ليس ميسوراً ولا ممسوراً يعيش عيشة راضية بإيراد  
سنوى قدره ألفا روبل قائماً بحظه من دنياه، يعتقد  
أن السعادة لا تكون إلا لتوسل الحال أمثاله الذين  
لا يعرفون النعم ولا يجهلون الفقر. وكانت اسبازيا  
تحدث جودار أول الأمر عن مستقبل الإنسانية  
وسعادتها فلا يحرك ساكناً ولا تظهر على وجهه  
علام التصديق، فكانت تمازحه في رفق ساخرة من  
ارتياحه وشكه هازئة بضعف يقينه، فكان يترع  
اليقين من سعادته بقرىها، والنظر إلى عينها الزرقاوين  
المعيتين فتأخذه النشوة ويستحوذ عليه السرور  
كلاً رآها وصافحها وسمع نبرات صوتها الخنون  
المهادى. ولما انتهت فيه عواطف جديدة لم يمهدها  
وظن أنه أصبح لا يستطيع أن ينتعش إلا في صحبتها  
دعاه في أحد أيام الربيع بعد الغداء إلى زهرة خلوبة،  
فقال له وهما يجترقان بستان إيفان وكارينا: أراك  
يا دوشنكا<sup>(١)</sup> تجنى عني أمراً قشجع فتكلم ولا  
تكلم عني شيئاً. فقال لها: أخفى عنك أنني أحبك حباً  
يقصر عنه القول بحيث أهبك حياتي لو شئت.  
فحدثت اسبازيا في عيائه وأدرت من أمارت الصديق  
والاخلاص والحزم البادية عليه أنه جاد في قوله  
فسكتت وأطربت ثم تغيراً مقعداً خالياً بغلصا  
عليه، وبدرته قائلة:

— وكيف تملل هذا الشعور والاستعداد

(١) يا عزيزي

بين حنايا أضلاعها، وتخفي الهم الذي احتواها من  
خيبة الأمل، وهي تعلم أن زوجها سوف يلقيها  
بانتصار رأيه، ويتهما بالفرور والتطلع إلى مكانة  
أسمى من مكانتهم، فكان جزاءها أن تمود وما جنت  
من سعيها إلا ترك الولد في البلد النائي غريب الوجه  
واليد، أليف هم وغم ووحدة، وقد انحزط في سلك  
« الخواجات » والسادة وهو ليس منهم في شيء  
سوى الهيئته والمنظر، عليه أكثر مما عليهم، وليس  
له بما لهم. وقال لها: « أى نفع لنا وله من العيشة  
القاسية في وسط أولئك المرائين المتسربين تحت  
ألب تقاب » كأنه يدرك ففاق العاصمة، ففهمت  
معنى نظراته الشراء وأدرت ما يحول بخاطره عنها  
ولكنها لم تملك أن ترد غضبه أو تقلل من شأن  
انتصاره، فقد شعرت بالضغف والعجز بعد أن رأت  
خطوطها الجميلة ومشروعها الرائعة لم تتعد دائرة  
خيالها. وهما هي ذى قد تلاشت أحلامها البراقة  
واضحلت أمانها الذهبية. ولكن أوجستا سيانها  
لم تكن تهزم خيال بعلمها الظافر، فهي تعلم أنه تأثر  
واستاء، ولم ينطق بما قاله إلا ليثير حفيظتها وأن  
يخففها قلم له ما أراد

ولما كانت مصلحة الأموال المقررة في حاجة  
إلى الجباة والمحصلين في مواسم العام التي تكون مظنة  
لرشاء الممولين ودافى الضرائب، فقد سعى كورنيك  
في تعيين جودار في وظيفة بديوانه القديم، وعمل  
الرئيس بوصية كورنيك على جودار فصار جانياً  
يدور ويلف ويحصل ويجمع من الصباح إلى المساء،  
فلا يمود إلى وكرة إلا وقد خارت قواه واضمحلت  
إرادته وشعر بهوان النفس وضعف البدن فينهالك  
على فراشه حزناً يائساً، وهو يئن من الألم ويحن

الناس به وأخبرهم بطباعه ، ولقد فهم معنى نظراتها وأدرك ما يحول بخاطرها وتوهم أنها تنفج قلبها له فقال : أية سعادة تغمرنا بفيضها الساحر إن صدقت ظنونى ؟

فقالت : وما تلك السعادة التى تشدها وتؤمل أن تغمرنا بفيضها الساحر ؟

فقال لها : لماذا لا نتم بتلك اللحظة الساحقة ؟ فضحكت ضحكة عجيبة وقالت له :

— أراك تمجّل الذات يا دوشنكا ولا تحسب للزمالة والصحة البريئة حساباً ، والمرء فى ريفنا ينشأ على ما عوده أبوه !

فاجر الفتى خجلاً واضطرب قلبه وود لو تنشق الأرض فتبتله قريحه من الحياة ومتاعها وضآلة أمله فيها ولا سيما بعد هذا الحب الضائع والهفوة التى وقع فيها وقال :

— عفوآيا آنسة ! إن احتمال إقبال السعادة على أقلقلى فذهلت عن نفسى

فقالت له : لا تمجّل ولا تدعى آنسة فلا أزال اسبابزا التى تعرفها وتود أن تبقى على مودتها — فبلغ ريقه واطمان — ولكن قل لى : لماذا لم تدخل الجامعة وأنت على ما أرى من ذكاء وفطنة ؟

فروى لها تاريخ حياته المروع ، ووصف لها ما عاناه وألدهاه فى تعليمه ، وما تجشمتة أمه وقربه فى سبيل تحقيق آمالها فيه . فقالت له :

— ليست الجامعة بالمكان الوحيد الذى يطلب فيه العلم ويبحث بين جدرانها عن الحقيقة ، ولعلها آخر مكان يسعى إليه أمثالك لتكوينهم رجالاً خصوصاً فى بلادنا هذه وزمننا هذا ، ولعلها تكون أداة تعطيل ورجعى

للتضحية وأنت متبرم بالحياة ناغم عليها كما علت منك ؟ فقال لها : العلم عند ربى فقد ينفل الزمان مرة فى الدهر واحدة عن التشكيل بى ، وقد تبسم لى الأقدار بسمه ولو سهواً

قالت : أرضاها وتفتح بها ؟

قال : نعم

قالت : ولو كانت بسمه التهمك والزراية ؟

فقال لها : على رسلك

قالت له : ألم تكن لك صديقة صغيرة فى قرينك ؟ قال : كلا . لم أعرف النساء قبل أن أرد هذه العاصمة فقد قضيت ساعات فى رفقة غايات رعناوات لم يكن للقائهن من بد ... فأرخت عينها وقالت :

لقد تركن حباً أترأ عميقاً فى نفسك الفتية يا دوشنكا

فقال : كلا ! فقد كنّ غايات طائشات لأمه ليهن ولا حساب للغد ، لأنهن لا يعشن إلا للساعة التى هنّ فيها ، وطالما سمعت منهن قولهن السخيف الفاتر : « ساعة الحظ لا تمسّوس » فكنت أشتت وأتفرز وأهم بتركن حيث كنّ جالسات أو متكئات صاحبات أم مترنحات

فالتفت اسبابزا على صاحبها نظرة فاحصة متمهلة كأنها تدرسه عن كتب

فقال لها : ولكن لماذا تريدنى منى هذا الاعتراف الذى لا طائل بعده ؟

فقالت : لا شئ . ألبتة يا دوشنكا . لا شئ . ألبتة ، وصمتت . وكانت نفس جودار تحدّثه بأن اسبابزا تعلم على اليقين فم يفكر ، وماذا وقع له فى خطوته الأولى نحو الشباب ، ولعلها بعد أمه التى ولدته أدري

قال لها وقد فتحت عيناه من الدهشة :

— أين يكون إذن ذلك المكان الذى يتكون فيه الرجال ؟ وإن كانت الجامعة على ما وصفت فاعلة الإقبال عليها ، وإقبالك أنت خاصة ؟

قالت : البعض يلتصقون بالإجازة التى تفتح لهم أبواب المناصب العليا ، والبعض يلتصق وسيلة للعمل المنتج وهو تعليم الشعب

\*\*\*

ومن تلك الليلة سمعته إلى حى بتروثنا فيما وراء النباشا وهو حى العمال والمصانع ، وقادته إلى بيت صغير فبدلاً بشياهما ثياب صفار الخبازين والمجانين ، فكان من أرحامنا داخلين لا يعرفهما بعد أن تربيا بزيمهما الجديد . ثم أخذنا يجوسان خلال الحارات الضيقة القذرة والأزقة المالحكة الموبوءة حتى بلغا بناء كانت مصنعاً كبيراً أمسى مهجوراً ، وقد اكتظ بمئات العمال يستمعون إلى خطيب في ثياب راهب ؛ وكان الراهب نحيفاً خفيفاً أجرداً أمرد لا شئ فيه غير عينيه كالشمعتين المضيئتين ، وكان صوته كأنغام السكان يوقع به أنغاماً تارة شجية ميكية وطوراً مثيرة مبهجة

وكان الخطيب يقطع من جبل البلاغة ويصوغ من جواهرها ، يفيض تارة كالنهر المذهب الفرات وطوراً يهدر كالشلال الرهيب ، يترحم ويميل كغصب السكر بهب الريح ، وكأنه يطرب لما يقول كأن يبعث المنشدن ذوى الأسوات اللامعة والفن الرفيع . انتهى جودار أولاً ، ثم زاغ بصره ، ثم سكر وراح يردد في نفسه معاني الخطبة الرائعة بعبارات تنكاد تكون من ألفاظه وصياغته ، ولم يعد عليه شئ غريباً ، فهذه حياة الفلاحين يصفها الراهب ويمجد ،

وحياة اللهو والنور يظلمها . فى در نصيد ، وتلك صورة اليأس والقنوط التى خلها السادة على العبيد ، وهذه صور كل واحدة أفقن من الأخرى للمستقبل السعيد . وكان يتقبل بسامعيه الذين صاروا من تابعيه - من وصف جحيم الحياة حتى ليشرع جودار بحر أوارها ويرى حرة شررها ، ثم يفرى بوصف جنات الدنيا ، حتى ليتخيل جودار أنه وإسبازيا يلهوان فى أرجاء حديقة فيحاء ويقطفان الأزهار من بين الحشائش الخضلة الندية

ثم انفرط عقد الاجتماع وجلس الخطيب فأقبلوا عليه محتضنونه ويقبلون يديه ويبللون مسوحيه بدموعهم الحارة ، ويركع بعض النساء العصبيات تحت أقدامه ولولا خشية الله لعبدته ؛ وكان جودار قد بلغ أعلى درجات التحمس ، ولكن حيائه وكبريائه عاقه عن مجارة الجمهور فى اندفاعه وقنع بأن قال لها : « ما هذا الذى رأينا وسمعنا ؟ »

فقالت له : هذا صوت المستقبل ين فى أذنيك ليوقظك كما أيقظ هذه الألوف من الضحايا المستترقة فى النوم العميق . فقال لها : وكيف السبيل إلى الاقتداء به وبلوغ شأوه فى الفصاحة والمعرفة ؟

قالت : سهر الليالى أو القراءة والاستنفاع فى تلك النيايع الفياضة بماء الحق الصافي وفى الغداة قالت إسبازيا لجودار : إن كنت ترغب فى تذوق هذه الحياة الفاتنة وتقصد إلى مشاركتنا فى العمل المنتج فما عليك إلا أن تتير حياتك ، وأن تعيش عيشة مزدوجة ، فأت فى عملك نهاراً وتبعث فى الليل رجلاً آخر . فلما قبل ففتحته بجواز مزيف يحمل اسماً جديداً يعرف به فى أطراف الليل وجزءاً من النهار ، وهو اندوماك نوفالوف ، فصار يفتش محافل

القالية ، لوزارة المعارف ، فعمل « محفظها » وفاز بكرسيتها المرموق من فطاحل الرجبين بمعين الجشع . ودخل قصر الوزارة ، وجلس في القاعة التي تربع في دسها باديف وستولين وميرنوف وجوجو لوقتش <sup>(١)</sup> وكلهم كونت أو بارون . فكان أول همه أن أثنى القرار الذي يحرم أولاد الفلاحين من دخول الجامعة لعجز النصاب ؛ وكان عليه أن يجدد شباب التعليم ويبدل نظمه البالية ، فأكب على العمل ليل نهار واتخذ مقره ومسكنه ومثواه في الوزارة لا يغادرها ولا يبرح مكتبه إلا لمرقه

وفي إحدى الأمسيات الهادئة اتخذ طريقه إلى سيزاك توبلاي <sup>(٢)</sup> إزاء برسكتيف نيفسكي ، حيث يقطن قريبه الشيخ كوبرنيك سيرووقش ، ولما استأذن على رب البيت استقبله في دهشة قائلاً :

« جودار يا ولدي العزيز ! أين أنت ؟ لقد قطعنا ولا ذنب لنا إلا بعجزنا في السنين الخوالي عن إلحاقك بالجامعة ، ولكنك رضيت بوظيفتك ، وقد أقعدتني الشيخوخة عن متابعة السعي ، فقال جودار :

— لا عليك يا عمه فهذا تاريخ قديم نسبته ، ولم أقعد عن الدرس والطلب ... حتى ... وقطع عليه الحديث دخول هورين الولد البكر ، ولم ير جودار منذ بضع سنين فقال له :

— دعني أنظر إلى وجهك يا ابن عمي ما أشبهك بنوفالوف وزير مافارنا الجديد ! وخرج ثم عاد مسرعاً ويده « جازيت بورصانيا » وفيها تصاوير الوزراء الجدد ... ووضعها تحت عيني والده ... فابتمس الشيخ وقال :

الحركة ، ولبتهم الكتب الهاماً وبواصل العمل ، لا بل ولا يصحجر ، فتجددت حياته وخلع رداء الماضي وصار كالجوداد الكريم الذي يقصد إلى اتجاه واحد لا يجحد عنه يمنة أو يسرة محمولا على أجنحة من حب الفوز والتحمس للنصر ، يستنشق ريح الأمل الذي يحده ، ويبقى في يد اليأس تراب الماضي الأليم .

وكانت بطرسبرج في فجر القرن العشرين قد استيقظت فنهضت كالغادة الحسنة ، تنفض عن كاهليها غبار سهرة الليلة البارحة ، واتجهت نفوس الشباب من كل جنس ولون ودين وطبقة إلى العلم . وعند ما فتحت الدوما أبوابها للزارعين فكر جودار في الاستقالة من منصبه الصغير ، ولكنه تمهل وقد اشتهر في الأوساط الثورية باسمه الجديد « أندوماك نوفالوف » ولكن لم يقف على سره أحد غير فتاته

المخلصة التي جمته إلى الزعماء والقادة ، وكانوا هم أيضاً يحملون أسماء مستعارة مثله ، وأظهر أندوماك نوفالوف كفاية في التنظيم وقدرة فائقة على خدمة وطنه ، وامتدت إليه الأيدي بالمعونة واشترأت نحوه أعتاق الطامحين والمعجبين ، وطلب إليه أن يستقيل من وظيفة التحصيل والحماية التي كان يشغلها في مصلحة الأموال المقررة ليقطع للعمل القوى فينتفه ، وأصبح لا يسمع أحداً يناديه باسمه القديم . وعند الانتخاب العام صار نوفالوف في مقدمة المرشحين لمجلس الدوما عن حي يتروقنا وهو حي الخبازين ، وفاز بلا منازع . فقد كان ناجوه ساميه ومريديه وأصدقائه الذين يلتفون حوله في النداء والعشي . وعند ما ألقت الوزارة رشحته حزب « براشدا تراسكوي » <sup>(٣)</sup> وهو الأكثر

(١) من وزراء المعارف السابقين

(٢) شارع في بطرسبرج

(٣) الحق الصراح



فأخذ يحرق الأرم غيظاً ويمض بنان الندم آسفاً ،  
ثم نهض وودع وانصرف . وفي اليوم التالي دعا  
سبيروفتش ليلقاء في تمام الساعة الثانية عشرة في  
قصر الوزارة .

ولم يدر الشيخ سبب الدعوة ولكنه حافظ على  
موعدھا ولبس أنغريتا به واستأذن على الوزير فأحسن  
استقباله ، ولكن عيني كوبرنيك جھظتا وفيه فخر  
من الدهشة عند ما سمع صوت الوزير أندوماك نوقالوف  
ولم يتألك أن سألہ : سيدی الوزير ... أتعرف شخصاً  
اسمہ جودار برافسكي ؟ فذا جودار منه ، وقد خشي  
على عقل الشيخ وحياته وقال له :

— فلنفترض يا سيدی المدير السابق للأموال  
المقررة أن جودار برافسكي وأندوماك نوقالوف علمان  
على شخص واحد ، فهل كنت تفرح وتنشط وتقبل  
شكرهما أو شكره وتكتم سرهما أو سره ؟ فهض  
الشيخ مرهقاً ، وهو يهيمس : ولدي ! ولا هذا روعه  
قال له جودار : الآن سأنتقم لك وأخذ يثارك ،  
وأظفرك بعمدوى وعدوك

ودق الجرس ، وطلب إلى كاتب سره أن يدعو  
إليه مراقب التعليم العالي . ودخل الموظف القديم  
سلاير بوبوف يجير أثقال السنين ويحمل أعباء اللحم  
والشحم ، وحياتهم وقف منتظراً .

— يا جناب المراقب . أقدم اليك السيد كوبرنيك  
سبيروفتش . ففتح الرجل عينيه ورحب به مطمئناً  
إلى رجل من العهد القديم

وأذن الوزير للموظف بالجلوس قائلاً :

— لك أن تجلس . فقد ألغيت النظم القديمة ،  
ونحب أن نأتي على التقاليد البالية دفعة واحدة .  
ومن هذه التقاليد وظيفة المراقب على التعليم العالي ،

« عند رعاية التتر والتركان مثل ينطبق على  
هذه الحالة » لقد خلق الله في كل بقعة من الأرض  
أربعين شخصاً على صورة واحدة « ، وليست وزارة  
المعارف بكبيرة على ابن عمك ، لو أنه وفق إلى دخول  
الجامعة ، أو دخل من « الباب الخلفي » ثم خفض  
صوته هامساً : « باب الثورة والدوبا ... » لو أنه ظفر  
بلقاء الأب جاپون<sup>(١)</sup> وخطب في الجماهير . ولكن  
لا عليه ، فإن الذئهر لم يساعده . أفٍ لهذا الوغد  
التكبر سلاير بوبوف الذي كان مراقباً للتعليم العالي !  
إنه خنوص خبيث ، يدافع عن الطبقات كأثما بنات  
خالته ، ويقصى الفقراء عن متاهل العلم كما لو أنهم  
يخطفون من بين يديه صحن البورش<sup>(٢)</sup> الذي يتجرعه  
ويسد به نهمة !

فقال جودار وقد امتنع لونه : أظن هذا الرجل  
لا يزال مراقباً للتعليم العالي

فقال الشيخ كوبرنيك : حتي في عهد هذه  
الوزارة الثورية . إنه خرق في الرأي وخنوص للظلم  
ورجوع بالعلم إلى العصور المظلمة ، واهتسلام  
للرجعيين

فقال ولده هوزيين : من يسمعك لا يشك في  
أنك تأثر مع أنك قضيت معظم عمرك المبارك في  
الطاعة المطلقة . فنهد الشيخ حتى اهتز صدره وقال :  
آه لو عرف الشباب وآه لو قدر المشيب !

وكان جودار يهم أف يوح بحقيقة حاله ،  
ولكن الليالي والأيام علمته الكظم والكتمان  
ولما بدأ يشرب الشاي تذكر والديه وخصمه

(١) راهب سياسي خطب وكتب وتار ثم نال نقوداً  
كبيرة حول سنة ١٩٠٥

(٢) نوع من حساء الحضر واللحم

بوبوف : هذا الذي قتلته بالنص لصاحبي فهاج  
وسخط وما زال يذكرها لي  
الوزير : هبني وقريك الشاب شخصاً واحداً  
ولا تحقد على صديقك القديم . فانه لم يمرقل غير  
ما أمر بمرقلته . والآن يا سيدي المراقب على التعليم  
العالي سابقاً ، أستودعك الله وأصالحك ، وإن كان  
لديك قريب فقير لا يملك أهله دفع النصاب فرحباً  
به لأن هذا القانون كما تعلم قد ألني قبل الاستثناء  
عنك . وخرج الرجل

وقال سيروفتش وهو يماثق قريبه : لقد بعثني  
من مرقدي  
فقال الوزير : لي عندك مطلب وهو أن تستدعي  
والدي وتكشف لما في رفق حقيقة ماجري ، وأن  
تتلطف بوالدي قبل أن تراني فأني أخشى عليها شدة  
الفرح بولدها الذي حرم من التعليم العالي لأنه لم يكن  
على شيء في نظر المحترم بوبوف  
عمر لطفي جمعة

## مجموعات الرسائل

نباع مجموعات الرسائل مجلدة بالترتيب

٥٠ السنة الأولى في مجلد واحد

٧٠ كل من السنوات الثانية والثالثة والرابعة

والخامسة في مجلدين

وذلك عدا أجرة البريد وقدرها خمسة قروش

في الباخل وعشرة قروش في السودان وعشرون

قرشاً في الخارج عن كل مجلد

فهي من اليوم ملناة وزائلة . وعليك أن تذكر أنك  
آخر من شغلها ولك أن تتمتع من هذه الساعة بكل  
ما تتمتع الحالة على الماش الكامل من الراحة  
والرفاهية ، وإن الوزارة لم تستغن عنك إلا على  
مضض فقد كنت شديد الحرص على قوانينها  
ولوائحها . فرد الشيخ كوبرنيك قبل أن يفيع  
المزول من دهشته : ولا سيما يا سيدي الوزير  
حرمان نوابغ الشبان من الالتحاق بالجامعة بسبب  
عجز والديهم عن دفع النصاب

فقال بوبوف : أذكر أن السيد سيروفيتش نفسه  
وهو من أعز أصدقائي رجائي وألح في استثناء واحد  
من هذه القاعدة ، وكان يظن الفتى نابغاً فغيبت رجاءه  
لأن الشاب لم يكن على شيء ، فغضب صاحبي حتى  
كدنا نشتبك في معركة ... ولا أظنه قد ندم على  
عدم نجاحه في مسعاه  
فقال سيروفيتش : لعلك لو قبلت رجائي لبقيت

في منصبك هذا من يدرى ؟ ...  
فقال بوبوف : لا أفهم ما ترى إليه يا سيدي  
الدير السابق

فقال الوزير : من يدرى ؟ لعل الشاب الذي  
خفيت أمله كان في موضي فيذكر لك هذا الصنيع  
ولكنك تقول إنه لم يكن على شيء

فقال بوبوف : هذا احتمال بعيد التحقيق  
الوزير : وما كان اسمه ؟

سيروفتش : جودار . جودار برافسكي ياسيدي  
الوزير من مقاطعة سراتوف

الوزير :  
كنت طبعاً ياسيد سيروفتش تسي لتعليم شاب  
واحد في الجامعة ولعله كان يجيب أو يتضم إلى  
صفوف المتطرفين

صديقين ، وهما هي  
آصرة إلى آصرة ،  
فطار إليه يشربه ثم  
انطلقا معاً إلى الحقول  
كعصفورين استسجرا  
جمال الطبيعة في يوم  
صاف من أيام الربيع  
فراحا يدفان بحثا حين  
فيهما التشايط والسعادة

## من صميم الريف الجزء بقلم الأستاذ كامل محمود حبيب

وجاءت الزوجة الصالحة تشعر الفتى السعادة  
وتسعدني إلى جانبه ، وأغمض الدهر جفنيه عنهما  
فرشفا ممّا — على حين غفلة منه — كأساً من  
السعادة صافية ما يكدرها خصام ولا يشوبها جفاء  
وتصرمت السنون وهوبها حتى ...

\*\*\*

وخرج عبد العزيز عند الأصيل — كما يفعل  
بين الحين والحين — إلى شاطئ القدير ، برفقة  
صديق جيب إلى نفسه ، توثقت بينهما عروة  
الصداقة منذ زمان على رغم ما بينهما من تفاوت  
فبعد العزيز من عليه القوم ومحمود من أواسط الناس ؛  
غير أن شيئاً في حياتهما جمع بينهما فأفس كل منهما  
برفيقه واطمأن إليه ... خرجا معاً يستروحان نسبات  
الربيع ويتمتعان النظر برؤية فتيات القرية وهن يملأن  
جرارهن وفهمن الجمال يرف رفيقاً حلواً ما زوقته  
للمدينة ولا شوهته الأصباغ ، يتسمن في خفر  
ويتحدثن في استحياء . وهيج الشاطئ والفتيات  
في نفس عبد العزيز ذكرى غرام مسحت عليه يد  
الأيام فراح يقص على صاحبه قصته . وانطلقا والحديث  
ذو شجون ، وراح عبد العزيز أن يرى على خطوات

عبد العزيز بن الحاج أحمد فتى طوى العشرين  
من سني عمره فيه قوة الشباب ، ومرح الطفولة ،  
ودلال الفتي ، ونشوة السلطة ، لا تشغله مشاغل  
الحياة ، ولا تثقله حاجات الميش ، فأبوه شيخ فيه  
الفتى والجاه ، وفيه الشفقة والحنان ؛ فهو لا يقسو  
على أولاده فيسب في نفوسهم المقت ، ولا يقتصر عليهم  
فينبث في قلوبهم البض ... وهو حين رأى ابنه  
الأكبر — عبد المزمز — يحبو نحو الشباب رويداً  
رويداً جذبه من المدرسة ليسيطر على عمله ، وليلقى  
بين يديه قياد أموره ؛ ثم هو ما يرح يسدى إليه  
النصيحة في لين ، ويلقى عليه الدرس في رفق ؛ وأراد  
الرجل أن يلقي في روع ابنه أنه رجل فانطلق بحديثه  
حديث الزواج فاطمأن الفتى إلى حديث أبيه وفي  
نفسه اللذة ، وفي قلبه النشوة ؛ ثم انطلق من لذه  
وعلى شفتيه ابتسامة ...

وبدا الفتى مرحاً طروباً ، فزئب — الزوجة  
المنتظرة — ابنة خاله فيها الجمال والحياة ، وفيها العقل  
والهدوء ؛ ثم هو يتعشق الزواج ليدنو في أعين الناس  
رجلاً فيه الرجولة ؛ وأخوها زميلة في المدرسة ،  
ورفيقه في الحقل ، وتربه في اللعب ؛ شباً ممّا

واختلف الفتى إلى الناحية التي رأى فيها الفتاة يدفعه قلبه ، فهو يسعى إليها في حجة صديقه محمود مرة ، ووحده مرات ، يتمتع نظره وقلبه معاً برؤية صاحبتها ثم ... توثقت العروة وانكشف الحجاب فراح يتحدث إليها أو يجلس على خطوات منها أو يقدم إليها هدية صغيرة ؛ والفتاة تستشف نوازع قلبه فتدفعه عن نفسها في دلال وتجذبه إليها في رضا . وتلاقيا — مرة — على حين غفلة من الرقاء فاندفع يقول لها وتقول له ... وحال حالها ... لقد كان هذا الهوى في عيني الفتاة لهواً وفي عيني الفتى عبثاً ، فاستحال — بعد حين — في قلبهما حباً جامعاً وعشيقاً عاشقاً ؛ والفتى ما يستطيع أن يجلس إلى فتاته في خلوة ، والفتاة لا تستطيع أن تجدد السبيل إلى فتاه . وأنى تخلص إليه وهي في قيد من أبيها وهو فقط غليظ الكبد ، وقيد من أهلها وهم حوالها يترصدونها ، وقيد من دارها وهي في قلب القرية ؟ فثار الحب ثورة لا يجمد لها متنفساً .

\*\*\*

وأظلمت الدنيا في عيني عبد العزيز حين أحس بقلبه يدفعه إلى فتاته في شدة وعنف وهو يعلم أن لاسبيل إليها وهو زوج ، وتوزعته الخواطر السود فبدا كاسف البال حزيناً مبهوماً ، وانظفاً لإشراق وجهه واستلبه العشق من مرحة ومحمود من ورائه يسرى عنه ويخفف من آلامه وينزع عنه أشجانه ليت الفتى ضم جوانحه على لبيب من الأمي يتأجج فما أرسله حمماً تتلظى به الزوجة المسكينة ؛ لقد تراءى له أن زوجته هي العقبة الكؤود التي تحول بينه وبين أمه ، فلبس لها لباس الشر ، فسايرمها إلا شزرراً ، وفي عبوس ، وما يحسدنها إلا (٤)

منهما فتاة ليست هي ممن يعرف من بنات القرية ولا هي من طرازهن ، فهي كطفلة حسناء جميلة الممارف ساحرة الميئين ، ترتدى ثياب الريف في تأنيق ، وتعمل عمل الريفيات في حذر ، كأنها لم تدرج في القرية ولم تشب بين سائها وأرضها ؛ فتعلق بصره بها مايطرف ولا يتحول . ثم اندفع يسأل صديقه : « ترى من تكون هذه الفتاة الفتاة الفتاة ؟ » قال محمود : « أفلا تعرفها ؟ إنها سمعية بنت حسن بن الفلاح » وعجب الفتى أن تكون هذه الحسنة ابنة فلاح جلف قذر وهي كأنها زهرة يانعة تفتح عنها كبتها منذ ساعة تتأنيق في ثياب ذات ألوان جذابة يسترها قبض أسود رقيق شفاف خشية أن تذهب طعمة للألسن ومضغة في الأفواه . ومن من الفلاحات تستطيع أن تبدو أمام الأعين في غير ثوبها الأسود الصفيق ؟ وعجب الفتى مرة أخرى أن يبدو وجهها في صفائه وبنائها لم تلوحه الشمس تفتق بعض جماله ، وأن يرى يديها في روثقهما ونعومتها لم يلوها البرسيم ، وأن يرف ثوبها في نظافة ونظام لم يعصف به النيط . فقال لصديقه : « أف يكون ذلك حقاً ؟ » قال محمود « نعم » قال « فما بالها على ما أرى من حسن وأنيق وجهاء وروثق ؟ » قال محمود : « لا جرم إنها قد قضت عمراً من عمرها عند خالتها في القاهرة لا ترى الريف إلا قليلاً قليلاً ؛ وحين مات زوج خالتها وكان موظفاً بالحكومة ارتدت الخالة وابنة أختها ليعيشا في ظلال الأهل هنا ... هنا في القرية » قال عبد العزيز : « يا عجباً ! يا عجباً ! » ثم انطلقا ... وابتم الفتى أن وجد في نفسه شيئاً يجذبه إلى الفتاة فله بعض هوج الشباب

لقد ألقى الفتى في قلب زوجته بالسواوس تقرضه  
فهي ما تستقر وما تهدأ . ماذا عسى أن يكون الأمر ؟  
إن المرأة لتضطرب للخطرة تطيف بجياها فيمصف  
بها الشك ، وهي لا تأمن قلب زوجها الشاب . أخفقا  
أن يفلق قلب الشاب دون النساء جميعا سوى زوجته ،  
وهو ما يزال يضطرم حياة ونشاطا يفوق نحو الجمال  
ويندفع في أثر النعمة ؟ لعله ... لعله ... ووقفت  
الكلبات على شفيتها

وجلس زينب إلى خادم عجوز تنفض أمامها  
أمرها ، وتشكو بها وحزنها ، وابتسمت العجوز  
في أسى ، وهي تقول : « لا ضير ! سأتيك بالخبر  
اليقين ! » وراحت العجوز تنقص الفتى عن بعد  
وفي خفية ، وترسل ابنتها في أثره فانكشف أمامها  
الأمر كله ... ثم انقلبت إلى الزوجة تنذرها الهاوية  
التي توشك أن تتردى فيها

وأعجز الفتاة أن ترد الزوج إليها بعد إذ أعرض  
ونأى فانطلقت إلى دار أبيها ... انطلقت المسكينة  
إلى دار أبيها هربا من نار متسمة عاشت فيها شهورا  
فسجت على مرحها وشبابها في وقت مما  
وتجاذب الفتى أشران وقد هجرته زوجته :  
حبه لفتاته ، وحنانه إلى زوجته التي صحبها السنين  
الطوال فما أحس منها أذى ولا استشعر ضيقا ؛  
غير أن شيطان الحب كهب من مزقه يوسوس ،  
فأسلس وانقاد ... ثم انطلق إلى فتاته ...

\*\*\*

وأغلظ الأب على ابنه واشتد ، ثم انطلق إلى  
زوجة ابنه يصلحها فما أبي الأب وما توقفت الزوجة ؛  
غير أن حياتها اضطربت فأصبحت جحيا يسمر  
ألمكا وضيقا وأسى ، فانطلقت — مرة أخرى — إلى

الحديث الخلف الخشن ، ولا يطمئن إليها إلا ربنا  
ينفلت من لسانها ... واضطربت هي أن ترى زوجها  
وحبيبها يتطوى على م في نفسه لا يحدتها حديثه  
وهو كان ينشر على عينها حديث حياته كلها ...  
لقد أعرض عنها على غير ذنب ، وعافها دون جنابة  
غزرت في نفسها آلام ما تستطيع أن تبوح بشيء  
منها

وهفت نحوه — ذات مرة — تداعبه وترفه  
عنه فردها في غلظة ، وجلست إليه — أخرى —  
تريد أن تحبته فدفمها في جفاء ، وتقدمت أيام والفتاة  
تضيق بما ترى من زوجها ... ثم نادى شجاعته  
فلبتها فقالت : أي عبد العزى ! لقد صرمت الأيام ،  
وأنا أراك في كد وحزن وما أجود الجرأة على أن  
أسألك سر أمرك ، وفي نفسي أنها سحابة ما تلبث  
أن تتشبع فابالك ؟ « قل في فتور : « لا شيء ! »  
قالت : « ولكي أراك تغيرت فأصبحت رجلا غير  
الذي أعرف . أفأستطيع أن أسرى عنك بعض ما  
أهمك ؟ « فصمت وفي نفسه خواطر تتناوحه وهو  
ما يقوى على أن يحدتها حديث قلبه فيمصف بضبابية  
من السعادة في قلبها تكاد تنصب ؛ ولكنها استمرت  
تقول : « وأنا الآن إلى جانبك أشمركا في غريبة عنك »  
قال في هدوء : « وماذا أحسست مني ؟ » قالت :  
« أحس منك الجفاء والكراهية ، ولشد ما يؤلني  
أن أراك تطمئن إلى العزلة ، وتسكن إلى الوحدة ،  
وعليك أثر الحزن والأسى ؛ ولقد عرفت فيك المرح  
الطروب ... » قال : « هذا بشي لا أبوح به »  
قالت « وأنا ... ؟ » قال « إنه لا ... » واعتقل  
لسانه فما استطاع حديثا . واضطربت في خاطرها  
هي فكرة

في ابنها ، وهو يدرج بازائها ، سلوة وعزاء  
ومرت الأيام وسعدية تحاول جهدها أن تجذب  
الفتي إليها فتصرفه عن زوجته الأولى فيستغنى عنها  
فيقطع ما بينه وبينها ، وهي لا تستطيع أن تصارحه  
ببغيتها خيفة أن تثير فيه كوامن الكرى ، ثم هي  
ما تنفك قلقه مضطربة خشية أن يجد النصيحة إلى  
قلبه الطريق فينبذها وينطوى عنها ؛ وبعد العز  
ما يزال — رغم هذا — ابن أبيه يقوم على أمره في  
غير فتور ولا كسل

وهفت نفس الفتى إلى ابنه — والناس يحملون  
إليه خبره — فراح يطلبه في إلحاح يداعبه ويلاعبه ،  
ثم يحبوه يبعض الحلوى واللعب ، وينفحه بالقروش  
و... كأنه يكفر عن بعض ما استرله الشيطان عنه ،  
ووجد الطفل في أبيه اللطف والحنان فانطلق في أثره  
وجلس الطفل إلى أمه — ذات مرة — وقد  
وجد فقد أبيه ، فهو لم يره منذ أيام ... جلس إليها  
يستحيا أن تحمله إليه ، وهي تهدي من إلحاحه  
وتبعث فيه الأمل ، ثم هي تدفعه عنها في رفق ...  
وذهب صبر الطفل فانطلق في شوق ينتظر أباه لدى  
المنطف ؛ وانتظر فظال به الانتظار ... وصبر صبي  
بإزاء الطفل ومن ورأه رفيق له يشد في أثره  
ويرشقه بالحصى ، وطاشت واحدة تسقط على رأس  
الطفل وهو آمن في ناحية من الطريق فصرخ :  
« يا أبي ... يا أبي ! » أدرك الطفل معنى الصرخة  
التي أرسلها مدوية حين آلتها الحياة وصدمته الحصة ؟  
لقد انشق لها قلب الأب وهو يسير الهوينى في طريقه  
كأن القدر ساقه ليلبي نداء ابنه فيخفف عنه بعض  
ما أصابه ، فحمله بين يديه وانطلق به إلى داره ...  
واختلف الطفل إلى دار أبيه ثم راح يستوصح

دار أبيها وفيها بضعة منه ، لا تخضع لأمر أبيها  
ولا تلين لرجاء أمها ؛ ثم ... ثم وجدت في ابنها  
سلوة وعزاء

\*\*\*

وطرب الفتى لما كان فانطلق إلى صديقه محمود  
يحدثه حديث أمانيه فراح هذا يحذره رغب أمره ،  
ولكن أنى له أن يلقى إليه السمع والفتاة تفتح له  
ذراعها كل مساء وتلقاه في ابتسامه حلوة أسرة ،  
وتسقيه من رحيق السعادة كأساً مترعة ؛ ومن  
ورائها أمها تغريه بأمر ؛ والأب يرى ويسمع ؛ غير  
أن طعمه في مال عبد العزيز ومال أبيه ينشر على  
عينيه حجاباً كثيفاً ، وهو رجل غفل يهتز طرباً  
أن يترأى له أن ابنته ستصبح في يوم ما ... فيصبح  
هو ... والحاج أحمد يبلغ إليه بعض خبر ابنه فا يرى  
فيه سوى نزوة من نزوات الشباب الطائش ما تهرج  
أن تنطفئ أو تثوب ، وهو لا يستطيع أن يحدثه  
الحديث شتاً على هيئته أن ينفرط عقدها من قلب  
ابنه ... وانطوت الشهور سراعاً ... والفتى يطمئن  
إلى الفتاة ويسكن إلى حديث أمها

والثالث عقل الفتى واختلط عليه الأمر ، وعلى  
حين غفلة من أهلها أصبح زوج سعدية

ماذا يستطيع الشيخ أن يفعل وقد انفلت الزمام  
من يده ؟ إن قلبه لا يطاوعة على أن يقذف بابنه في  
مناى عنه ، فخرم على زوجته الجديدة أن تلج داره .  
لاضير ، فالفتى يسكنها داراً أخرى ، وهي تخفف  
عنه بعض ما يصيبه وتداوى داءه في حلق ومهارة .  
واطمان الفتى إلى زوجته الجديدة وقد أسدل على  
الأولى ستار النسيان فامشت في دار أبيها زوجة  
بلا زوج ، تتناوحها الآلام ، وتلهمها الغيرة ، فتجد

« صه ، أيها المهور ... ! » وسقطت الكلمة المرذولة عليه صاعقة تستلبه من عقله وهذونه وتنفت فيه ثورة التهور والجنون ، فنتطق - والغضب يمصف به - بالكلمة المحرمة ، ثم ارتد وابنه بين يديه يضمه إليه ويقبله بين عينيه ، ويلبس فيه السلوة والعزاء ؛ ومن ورأه المرأة الطلقة وقد جن جنونها حيث تهدمت حياتها وتحطمت آمالها ، فراحت تصرخ في سمر : « أفقتها ؟ أفقتها أيها الأحمق ، أيها ... ! »

فائل محمود مبيب

## رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرئتين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

المن ١٢ قرشاً

أمة خبر المرأة التي يراها في دار أبيه تغبته أنها هي أخته ... اختلف الطفل إلى هناك وسعدية تلقاه - في حضرة أبيه - في بشاشة وسرور وتداعبه في لطف ؛ ثم هي - في غيبته - تخط شدة بلين وتخرج قسوة رفق ؛ والابن لا يشعر بما يتزى في قلب زوجة أبيه من كراهية له ومقت ، والأب - في غفلته - يحيل إليه أن المرأة ترى في ابنه هوايتها هي أيضاً لأنه بمض حبيها ، فهو يراها تطف عليه وتحبوه بالحلوى واللعب ، وفي نفسها هي أمة ...

وحزّ في نفس المرأة أن ترى الطفل يجذب إليه والده فيصرفه عنها حيناً من الدهر ، وخافت أن يذير في قلب أبيه غراس أمة ، فراحت تبتلظ عليه قليلاً قليلاً كي ترجمه عن الدار ؛ والطفل لا يستشعر فيما يجد أذى ولا غضاضة . وعلى حين فجأة دخل عبد العزيز والطفل بين يدي سعدية ينتفض من الدهر ويصرخ : « يا أبي ... يا أبي » وهي تهم أن تلطمه ، وعلى خده أثر لكمة ، فذهل عن نفسه ووقف مكانه مسلوباً لا يستطيع شيئاً : ماذا أرى ؟ أخفاً أنها تقسو على ابني ؟ وانفلت الطفل من بين يدي المرأة ليلقي بنفسه بين أحضان أبيه ؛ وانفجر الأب - في غيظ - عن كلمات لذاعة قاسية يلوم زوجته ويؤنبها ؛ وأحست المرأة كأن الكلمات تنساقط عليها رجوماً رجوماً تسحق كبرياءها وتمصف بكرامتها ، فاندفعت تكيل له الألفاظ الجافية الفليظة . وشق على الزوج أن يرى الزوجة وأبوها أبوها تنسأى إليه وهو هو ؛ فتهدم عليه بالفاظ الاوم والتبكيك ، فقال : « أيها الحقاء ... ! » فقاطعه :

كُنْنا مَاحِدَينَ  
لِوَجْهِهِ فِي الْمَاحِدَاتِ

هنا خير كناية بعبارة الفريسة بنفسه

يَبَاعَانِ مَجْمُوعِ الْمَكْنِيِّ عَنْ كُلِّ مَاحِدٍ

السمع، مع أن أحداً  
على ما أعلم لم يفكر  
في اختياره إلى الآن؟  
ولكن آخر أجابه  
بأنه سبق التسمية به  
وإن له عنده لقصة  
طريفة روتها له  
أحدى قريباته

# مَهْ الشَّاعِرُ

## بقلم الأستاذ محمود بك خيرت

وكانت صديقة لصاحبة هذا الاسم

\*\*\*

ظلت زمناً غير قصير ووجهها مسنداً إلى زجاج  
النافذة وما كان هناك ما يلتفت النظر أو تقع عليه  
العين، وقد أخذ الرذاذ يتساقط في الطريق خيوطاً  
على هيئة حبات صغيرة من الملح، وهي تنقر ذلك  
الزجاج تقرأ متواصلاً والضباب الكثيف يرتفع  
شيئاً فشيئاً في الفضاء فتختفي فيه صور الأشجار  
والبيوت والأفق فلم يكن هناك في الجانب المقابل  
للنافذة إلا الطبيعة الجامدة المتضائلة كساها الشتاء  
توباً قائماً من الحزن

ولكن نظراتها كانت ضالة زائغة، فكأنها تنظر  
أمامها إلى شيء وهي لا تنظر في الحقيقة إلى شيء، وإنما  
كانت تفكر فيما يتردد على خاطرها من الذكريات  
وقد ملكت عليها صوابها وحواسها حتى أنها  
لم تسمع طرق بابها؛ فاضطرت ابنة عمى إلى الدخول  
فألفسها على تلك الصورة مستغرقة في خيالاتها  
وأحلامها، فما أذهلها أسرها وهي تعلمها أدبية وشاعرة  
رقية تحب الطبيعة وتشق جالها، فلا بد أن منظر  
هذا الرذاذ يتساقط وذلك الضباب المنتشر أخذ

خطر لنا أن نهجر المقاهي والمجالس العامة التي  
لا فائدة منها وأن نجتمع في بيوتنا بالتناوب، فكنا  
عند كل مساء تقطع فيها الوقت سامرين إلى منتصف  
الليل أو إلى ما بعده ونحن نعرض لمختلف الموضوعات  
من سياسة أو أدب أو تاريخ أو قصص أو غير ذلك  
وقد جرتنا الحديث ذات ليلة إلى الأسماء التي  
يختارها الآباء لأطفالهم وإلى غرائبها في بعض الأحيان  
وإلى الدوافع التي تحملهم على اختيارها دون سواها  
وقد تكون لاعتبارات مضي زمنها، أو لأمال مستقبلية  
يرجون تحقيقها. فترام يطلقون على طفلهم اسم  
«النابي» بعد أن كاد المقم يجرعهم في سبيله  
ككؤوس الأسى، أو اسم «ست الدار» على أمل أن  
تكون الطفلة يوماً ما زينة أهلها وسيدة بيتها،  
أو «أبو الفيط» لمل هذا الطفل يطف عليه الحظ  
فيصبح فيما بعد مزارعاً موفقاً  
وهكذا أخذنا نستعرض كثيراً من الأسماء  
من صلاح الدين إلى أبو القمصان إلى فارس إلى  
غصن فورية، وإلى غير ذلك من هذا النوع الذي  
لا ينتهي. وعند ذلك صاح أحدنا: ألا ترون  
يأرقاني أن اسم «سنبلة» اسم جليل المعنى حلوق



عن ذلك الجمال الصورى الذى نطلبه عند الأصباغ  
والأعطار

أما فى الشتاء ...

وعند ذلك قاطعها صديقها قائلة :

أما الشتاء فقد أطربته من قبل كما أطربت  
فصل الربيع الآن . ألم تقولى إنه الصاحب الرقيق  
الذى نخطب وده وتجذ قلوبنا دفاها عنده ، وأنه  
الذى يهين لنا سبيل الأحلام الناعمة ونحن من  
حول الموقد نصطلي ناره وتتناول الأفايص نصنت  
إليها كما تنصت الطفلة الصغيرة إلى ما تقصه عليها  
جدها حتى يغلب جفניה النعاس ؟

— الحقيقة أن لأمرجنتنا أفعالا مفاتيحها  
الفصول

— بل قولى إنك بحاجة إلى الحب حاجة الفصن  
الظان إلى ارتشاف المآء

— وما ذا عساه أن يفيد مع من عصفت بها  
الأقدار فما عاد يشغل رأسها خاطر ولا قلبها حب ،  
ولم يعد خافها ماض ولا أمامها بحال لأمل ؟ لقد  
أصبحت يستوى فى عيني الشتاء والربيع والضحك  
والبكاء وقد آليت أن أعيش وحدي مع نفسى  
أندوق طعم العزلة فيها وإن كانت عزلة قاسية صعبة  
حتى أن الدقائق لتمر من حياقي دون أن أشعر بها

\*\*\*

أما أبو سنبلة فكان رجلاً فقيراً لا يملك فى  
قلوب إلا بضعة أفدة شيلة الاراد ، ولكنه كان  
مزارعاً نشيطاً قوى الارادة يفيض قلبه دائماً بالأمل ،  
فأخذ يجود ويقتصد حتى أصبح من أعيان ذلك البندر .  
فلما بسط الله له فى الرزق وهياً له أسباب السعادة

بليها والطبيعة دائماً جميلة فتاة مهما تماقت الأيام  
والفصول

وكانت الفتاة قد انتبهت فالتفتت إلى خلفها  
ووجهها ينم عن الحزن والتفكير حتى ارتفعت  
أبنة عى وسألها عن أمرها ، فأجابها فى بساطة أن  
لا شئ ... وهو جواب كان يحمل فى طياته أثر  
ما كان يشغل بالها ، وما كان إلا جواب هؤلاء الذين  
حياتهم أشبه بأفق ذلك الشتاء تتلاشى شيئاً فشيئاً  
فى ضباب الأيام الضائعة وهى تمر على حالة واحدة  
لا جديد فيها

وكان الثعب قد نال منها فأرتمت فوق مقعد  
قريب وهى تردد جوابها السابق : لا شئ ، لا شئ .  
— وهذا الشحوب وهذا التفكير الباديان على  
وجهك يا سنبلة ؟

— قد يكون ذلك لرداء الجو ، ألا ترى ؟

( مشيرة إلى النافذة )

فى الربيع يصعد ماء الحياة المبتسمة إلى أجسامنا  
نحن أغصان الحياة فنشعر كأننا نولد من جديد  
ونسيم الآمال العذبة ميز أعطافنا ويفرس الابتسامات  
فى شفاهنا فتفتتح عن قُبَل الحب الهنيئة كما تفتتح  
أكمام الورد المطر البايح

وفى الربيع تمتد الأغصان وتنمو الأوراق  
وسواء كانت من المتسلقات أو مما يلبث مكانها  
تملاً القضاء بهاء وبهجة ، وتكسو الأرض خضرة  
ونضرة ، وقد رقت السماء وطاب الجو ، فلانشعر عنده  
بحاجة إلى ذلك الغرو الذى نلت أعناقنا به عند  
الشتاء وقد غمرتنا النشوة وجرى فى دمننا النشاط  
وارتسم على ملامحنا البشر ، وصفت بشرتنا فاستغنت

الحبين . وكان القراء يشعرون بما في هذا الشعر من السهولة والقوة وحلاوة الأسلوب ، حتى أصبح هذا الشاعر المجهول معلوماً عند جميع الناس لا يتخلو أحاديثهم في مجتمعاتهم من ذكره ، وكلهم يتعنى لو أنه يكشف عن اسمه وعن مكانه فيملأون عيونهم منه بعد أن استهوهم وسحروهم بشعره .

وكانت سنبلة قد انتهت إلى ما تنقله المجلات عن هذا الشاعر ، فكانت إذا حضر بها ساعى البريد تسرع إلى فهرسها فإذا وقع بصرها على الشاعر المجهول قلبت صفحتها لتعثر على ما ينشره على الناس من جديد ، حتى إذا ما انتهت من قراءته استرخت على مقعدها وقد دبّت في مفاصلها النشوة .

ولقد أخذ هذا الشعر يفتصب كل يوم شيئاً من فراغ قلبها حتى استولى عليه وهي تقول : لا يقول مثل هذا الشعر إلا قلب عذبة الحب ، فمن هي السعيدة التي ظفرت منه بهذا الثناء المنظوم ؟ بل من هي تلك الفاسية التي لا تجزي إحسانه إليها بإحسان منها ، وهي تبتعد حين يتقرب ، وتبعد عند ما يترضى ؟ ثم تقول : ليتني كنت أنا بيت القصيد من شعره فأباهي وأتبه على أجمل الفتيات ، ثم تبكي وكثيراً ما دفعها الشوق إلى معرفته فسألت أصحاب تلك المجلات عنه ولكنهم أجابوها بأنهم هم أيضاً مجهولون من هو

\*\*\*

— إنك يا سنبلة في أوج شبابك وحسنك كالنمرة الياقة الناجحة لا تنتظر إلا اليد السعيدة التي تمتد لتقطعها فلم لا تفكرين في الزواج ؟ — فكرت فيه ولكنني لم أتزوج من شاب

انتقل إلى القاهرة بعد أن اقتنى بها أغزر المرات وشيد لسكناء هذا القصر الأنيق وهو يطل على حديقة قصر يملكه صديق له من الصغر ، وكان لهذا الصديق ولد في سن سنبلة وسمي القسيات لطيف الحديث جم الحياء تخرج في الجامعة المصرية بعد أن نال إجازتها في فن الأدب ، فاقترح أبوه على جاره أن يزوجه من ابنته ، ولكنها استمهلت أباه في لطف بحجة أنها لا تزال صغيرة ، وأن من يريده لها لا يزال في قليل التجربة .

وكانت العادة في مثل هذا الحال أن يتبادل أقرب الطرفين صورتي الخاطب والمخطوبة ، حتى إذا وقع كل منهما من قلب الآخر وتنهأت الأسباب لإبرام الزواج ساغ لها التراور والاختلاط . وهكذا ظلت صورة سنبلة عند خاطبها وصورة عندها

ولقد كان شديد الولع بها ففعل فيه زفضا ما يفعله السهم النافذ حتى غلبه الحزن وامتد إلى جسمه السقم . وكثيراً ما كان الأطباء يمدونه فلا يجدون لمرضه سبباً ظاهراً ، ولذلك كانوا يشيرون عليه بالرياضة والأسفار وارتياك الرياض والمتنزهات حتى أنه كان كثير الجلوس في جوسنر بالحديقة تطل عليه شرفة في ذلك القصر الذي دفن آله فيه .

وكانت مجلات الأدب في ذلك العهد كثيرة تنشر على قرائها ما يرسله إليها الكتاب والشعراء من وحى خيالهم وسحر بيانهم ، وكل منهم يضع اسمه على ما يكتب إلا واحداً كان يقتصر على كني « شاعر مجهول » وكان شعره يتناول كل لون من ألوان الحياة وبخاصة الحب وما يتصل به من مآسى

لأن قلب الرجل دائماً في سن العشرين ، وهذا القلب هو الذي سأحتله ؛ وحسبي أنه فتي صهرته نار الحب فأوحت إلى خياله بهذا الشعر الساوي الذي غمر نفسي واحتل قلبي وتغلغل في خواطري وأحلاى ودي .

وكانت هذه الصديقة موفدة في الحقيقة من قبل والد الخاطب وقد فكر في أن صلتها بسنبلة وقد بدأت من الصغر في المدرسة كفيلة بالإلتها واسترضائها ولذلك عادت تسألها :

— وما هو يا سنبلة عيب هذا الشاب الذي طلب أبوه يدك له ؟ إلى لأراه فتي في شرخ الشباب بهي الطلعة مليح القامة وهو فوق ذلك متملم وأبوه غنى ، وهو صديق لأبيك

ولكن سنبلة لثمت الصمت ، وأخذت تنظر إليها من طرف خفي كأنها تتكشف ما دفع بها إلى هذا السئ . فلما ألحت عليها صاحت فيها : أبدأ ، أبدأ لن يكون إلا ما أردت . وإذا كان أبي أو أبوه هما الذين وسطاك بينه وبينى فحسبك أنك وقفت على أمرى ، ولك من الآن أن تصرحى لها به . ومع هذا ...

وعند ذلك قصدت في عنف إلى درج المكتب وأخرجت منه صورة ذلك الفتى ثم اندفعت إلى باب الشرفة المطل على الحديقة ، وكان جالساً تحتها فزرقها ثم ألقت بأجزائها إليه قبل أن تدركما صديقتهما ...

\*\*\*

ولقد كان هذا الفتى يمشي إلى تلك اللحظة على الأمل . فلما قذفت سنبلة في وجهه رسمه على تلك

مقلب تقرئني ساعات نشوته الأولى ثم ينفض غنى — ما أخطأت ؛ فإن أخطر ما يكون مثل هذا الزواج الذي لا يقوم إلا على مجرد المتعة ، فإذا ما خمدت نار تلك النشوة الأولى راح يبحث له عن متعة أخرى ترفع ما تراكم من رمد تزقه فوق تلك النار . وليس على مثل هذا الأساس المضطرب يستقيم الزواج وتضان الأسر

— ولا أرى كذلك أن أتزوج من أى شاب وإن كان جميلاً

— إذن فأنت تريد أن تتزوجى من غنى ؟ — ولا هذا أيضاً فإن أبى وافر النقى على ما تعلمين . ولكنى ...

وكانت صديقتهما تعلم مبلغ ولهما بما تقرأه في المجلات من مقطوعات الشاعر الجهمول فصاحت بها : — أترك تحديق نفسك بالزواج من هذا الشاعر . إذن فأنت تجرّين وراء الخيال يا سنبلة

— ولبه ؟ أليس بموجود ؟ — بلى ولكنك لا تعرفين من هو ولا أين يقم — ومن يدرى ؟ ربما أصل إلى الاهتداء إليه يوماً ما .

— ربما . ولكن ماذا يكون من أمرك لو أنك وجدته عند ذلك دميأ أو طاعناً في السن ؟

— إعلمي يا صديقتي أن مثل هذا الشاعر كمثل النور الساطع ، فهل تستطيع عيناك أن تحدق فيه حتى تهتدى إلى شيء من عيوبه ؟ ومع ذلك فإن لهؤلاء الشعراء أرواحاً صافية لطيفة تحول بين عيوبنا وبين ما منحصيه عليهم من العيوب . أما أنه لا يكون كفتي في السن فهذا ما لا أحفل به ،

مع الجلات ، فلما رفعت الفلاقي عنه وجدته صورتها  
التي كانت عند ذلك الشاب يزدها إليها ، وقد قطع  
كل أمل منها ، وكاد الأمل يقضى عليه بسببها .  
ولكنها رأت بظهرها هذين البيتين :

ياطلمة الشمس هل تدرين كيف قضي

على هناء حياتي ردك القاسي

حسبي على أي حال ما قضيت به

فالشمس تشرق من بعد على الناس

الشاعر المجهول

وما كادت تقع عينها على توقيعه حتى أهدم  
سيل الدمع من عينها وارتدت عند صدر صديقها  
وهي تردد في صوت تحتق خافت : إنه هو . إنه  
هو . ثم اندفعت إلى داره وكان على آخر رمق .

\*\*\*

ولم تمض أيام على ذلك حتى فكر الجاران في  
إبرام الزواج وأخذوا يتكلمان في معداته وفي المهر  
الذي يقدم له . ولكنها اقتربت من جيبها وقالت  
له في دلال : إن لي عندك - أيها الشاعر الذي  
عذبني وكان بعيداً عني وهو قريب مني - مهراً  
من نوع آخر . ففهم غرضها وأخرج من جيبه  
ورقة مطوية ناولها إياها ضمنها هذا الشعر :

أطلت فقالوا إنها البدر مسفر

وهات فقالوا ها هو النصف يحظر

ولا البدر يحكي وجهها في صفائه

ولا النصف يحكي قذها فهي تسخر

تبارك باريها فكم هو مبعد

يصوغ من الحسن الطبا ويصود

(٥)

الخشنة الزرية أدرك أن هذا الخيط الباقي قد انقطع  
وأن الاستمرار في التعلق بها بعد ذلك إنما هو ضرب  
من الجنون . ولكن أنى لقلبه أن يفتن بذلك وقد  
أصبح ملكاً لها ؟ وكان جلوسه في الحديقة في  
ذلك الفصل القارس مما ساعد على تنفيل الداء فيه ،  
فاختفى عن الحديقة من ذلك اليوم وازم فراشه ،  
وقد أخذ الأطباء يعودونه إلا طبيباً واحداً هو  
الذي كان أقدرهم على شفاؤه : « ودأوى بالتي كانت  
هي الداء »

أما سنبلة فما كانت من يوم ذلك الحادث تأبه له  
أو تفكر فيه لأن كل خواطرها كانت منصرفة إلى  
شاعرها ، ولكنه انقطع عن نشر مقطوعاته من  
ذلك اليوم مما حيرها وأطار لها ، وهي تظن الظنون  
وتحسبه مريضاً أو على سفر ، أو أنه ظفر بتلك التي  
كانت رسول إلهامه ووجيه ...

وكانت صديقها ، بالرغم مما صدمتها به على ما  
سبق ، تزورها من وقت لآخر ، ولكنها تحاشت أن  
تشترك معها في حديث يتعلق ببن الجار أو بذلك  
الشاعر ، إلا أنها كانت حيرى لما كانت تراه على وجه  
سنبلة من دلائل الحزن والدبول ، وهي تقول في  
نفسها : لعلها تأثرت بمرض ذلك الشاب ، وأنها  
الآن نادمة على ما فرط نحوه منها

وبينما هما كذلك دق الجرس ، فأسرعت سنبلة  
إلى تلقي أعدد الجلات الجديدة من خادمها ووضعها  
على المكتب ، ثم أخذت تتصفحها عدداً وعدداً ولكنها  
لم تجد فيها شيئاً جديداً ، فتغير لونها وكاد ينهمر الدمع  
الذي كتمته في مآقيها .

حتى أنها لحت فوق المكتب شيئاً ملفوفاً كان

وجست يدي قد راعها ما أصابني  
فصاحت بماذا أنت بالله تشعُر  
ومن عجب دأى بها وهي أصله  
وتسألني عن علقي وهي أخبر  
فلما خلت من عودي الدار أجهشت  
ومددمها بالؤلؤ الرطب يحدر  
تقول رعاك الله ما أنت واحد  
من النار في جني منه وأكثر  
ولكن تجاهلت الذي كان بينهم  
لكي يجهلوا ما بيننا فهو أستر  
ومالت على صدري وهمت إلى في  
وكم قلة فيها الدواء للبشر  
محمود خيرت

ومن عجب إعراسها وهي خلصة  
تحدق من طرف خفي وتنظر  
فشككتني فيها وفيه سيوفه  
وإن نغار الظبي أدنى وأيسر  
فنبهت عيني أن تنص لتتبيق  
مضاريه والاحظ كالسيف أتر  
وحذرت قلبي أن يميل مع الهوى  
وما بعده إلا الأسي والتحسر  
فما سمعا مني قلبي معذب  
بهجرانها والدين بالدمع تهمر  
وبينهما نفس تناجي شقيقة  
لقد صحت ما قد كنت أخشى وأحذر  
وكم قائل ما بعد شكواك والبا  
وما بعد جفن في دجى الليل يسهر  
أما أن أن نسي فتسلو كما سلت

## تاريخ الأدب العربي

للمؤلف أحمد حسن الزيات

الطبعة السادسة

في حوالي ٥٠٠ صفحة من القطع المتوسط  
يعرض تاريخ الأدب العربي منذ نشأته إلى اليوم  
في صورة قوية تحليلية رائدة  
ثمته عشرون قرشاً ويطلب من إدارة الرسالة  
ومن لجنة التأليف ومن سائر المكاتب

وتصبر لكن كيف أسلو وأصبر  
ولم تستبين أصرى إذا كنت عنده  
ربنا فتغضى أو مسيتاً فتغفر  
ألم يكفها مهدى وسقي وأدعى  
وفي بعض هذا إن تشأ ما يكفر  
وفي ليلة طالت على وعودي  
تلكهم ممّا أعانى التأثر  
تذكرتها والجو صاف وريحه  
كأنفاسها والليل نشوان مقمر  
إذا بي أراها بيننا فكأنما  
تمثل لي في الحلم ما كنت أذكر  
وكانت وقد ألقت على القوم نظرة  
فناها الحسباً تمشي الهويثا وتبر



شاباً ليس من جال  
الخلق وحسن الخلق  
في كثير ولا قليل  
كنيجانور، لأنه أبداً  
باسر الوجه كالخ  
الأسارير، ذو عيّن  
صغيرتين. وقسمات  
لا وسامة فيها ولا  
انسجام، ولأنه سكير  
قلما يصحو من نشوة

الصهباء أو ينجو من

سورة الحمر، ولأنه فظ الطبع غليظه كثيراً ما ينهال  
على حبيته بالضرب كلما أغضبه في قول أو أحقته  
في عمل، ويكيل لها الشتام لكل بادرة منها لا تروقه  
ويقدحها بالسباب ما شاء له خلقه السيء وطبعه  
الوحشي فتتفر منه وتبكي، ولكن ما هي إلا ساعة  
أو بعض ساعة حتى تعود إليه ناسية ما لقيته من  
عنته وفظاظته، وتفرح بمحبها وحنانها كأنه لم  
يجترح في حقها إثمًا ولم يلمس بها إهانة، وترقه  
قبالتها الحري كأنه لم يسيء إليها قط ولم يؤذها،  
وكأنما لم يبدر منه إلا كل ما يحبه إليها ويفرّجها به  
وتساءل «اليوكين» عن كنه هذا الحب غير

المألوف، وعن مدى اللذة النفسانية في هذا الهوى  
الغريب، وقال إنه لا يلومها لأنها لا تحب رجلاً  
أقرب إلى مزاجها وطباعها وأدنى إلى تفهم نفسياتها  
وعقليتها من ذلك السكير الغرّ، فإن لها كلاً للناس  
ذوقاً في الحب ليس من النطق ولا الحكمة في شيء  
أن تؤاخذ عليه وتلام من أجله، وللناس فيها يعشقون  
مذاهب، كما يقولون، ولكنه يحاول أن يدرك مقدار  
السعادة الشخصية في مثل هذا الهوى الغريب القذ،

# غسل امرئ

للكتاب الروسي نطون تشيكوف  
بقلم الأديب السيد جورج سليست

حفلت المائدة بالطلي المتع من الأحاديث، كما  
حفلت باللذة الشهي من أصناف الطعام، وأندر  
المدعوون إنداراً كئيداً عذبا، فلقد شاقهم جميعاً  
أن يفتنوا في أحاديثهم ففعلوا ما شاء لهم طرفهم  
وأدبهم كأنما كان واحداً يسمى ليبدأ نداء في طلاوة  
القول وحلاوة النكتة، فأثروا بالبديع المستطرف  
من الملح، وجاءوا بالسائق المستحب من النوادر؛  
فرتت الضحكات بريشة ناعمة تنبيء سامعها  
بما شمل مرسلها من سرور، واستحوذ عليهم من  
مرح، وظلوا كذلك ردحاً من الزمن غير يسير  
يتطارحون روائع الطريف حتى أطلت عليهم  
«نيجانور» لشأن من شئون الخدمة، فإذا  
«باليوكين» بغير الحديث لدى مرآة وبديل مجرى  
القول، ويتخذ من هذا النادل موضوعاً لما يضطرم  
في نفسه من ميول وأهواء، وإذا به يقص على  
مدعويه أن نيجانور هذا قصة غرام رائمة، وإن  
الفاتنة «بلاجيا» كانت ولم تزل صبةً به مغرمة،  
وكان ولم يزل هاتماً بها كلفماً؛ وأبدى نتيجة كيف  
تمشق فتاة على حسن موثق وقدر رشيق كبلاجيا

بين ذراعي تسألني عن الهدية التي سأقدمها إليها في آخر الأسبوع

إننا معشر الروسيين والحق يقال لا نفتأ نتساءل كلما أجبنا : أرفع حبنا أم وضيع ؛ روحاني أم شهواني ؟ وإلى أين يؤدي بنا هذا الحب يا ترى ؟ وهل يلحق بنا أن نمن فيه أم نقف عند حدنا خوف التورط فيما لا نحمد عقباه ؟

وأنا أقول من غير مواربة ولا مداحاة : إنني لن أسأل نفسي هذه الأسئلة الباردة بعد اليوم . قد أكون مخطئاً في نظري هذه إلا أنني لا ولن أستبدل بها سواها ؛ وقد يكون الخير كل الخير في التروى قبل أن يطوح المرء بنفسه في حب ، إلا أنني أعلم العلم اليقين أن هذا التروى يُفقدُه لذة الروح ومتمته النفس ومرض القلب ونشيقه

إني أعرف هذه الأمور حق المعرفة وأدركها حق الإدراك لأنني بلوَّهاً بنفسي وخبرتها

ولمت عيناه وثأني بحياه كأنما غمرته سورة علوية من البشر والسرور ، وظهر للرائين بأجل وضع وأفق صورة ، وشاعت على ثغره الجميل بسمة وادعة جميلة

وتراى كأنه يريد أن يتكلم عن ذكرى ، عن أمر مضى وله في نفسه أثر وبقياء ، كأنه بود أن يقص قصة من أفاصيل الشباب الناشئ ، قصة هوى مكبوت . والأعزبون الذين يسكنون وحدهم عندهم دائماً في قرارة نفوسهم أشياء هم أبداً على استعداد للتحدث عنها من تلقاء ذواتهم ، والمقاضي في المدن ملتقى الأعزبين يؤمونها تزجية الوقت بأحاديثهم ، وأنى تبصر أعزبين معاً قفل إثنين يساراً عن هوى ويتحدان عن حب

وبود لو يستطيع أن يوفق إلى حل ما في الحب من طلاس ، وإلى سبب غوره وكشف النقاب عن معميانه لا سيما والحب لم تذكر عنه حتى الآن إلا حقيقة مفردة لا جدل فيها ولا خلاف عليها وهي أنه « عظيم » وكل ما عدا ذلك مما كتب عنه ، أو قيل فيه قابل للجدل وللأخذ والرد وللمناقشات الطويلة المرهقة ، وليس إلا مقدمات للفر لا يزال متلفاً ولسر لم يرح غامضاً ، وإن البيان الذي يظهر مطابقاً لحالة لا يتفق وعشر سواها ، وإنه من الخير أن تبحث كل حالة من حالات الحب على حدة ، مستقلة تمام الاستقلال عن أخواتها ، فالتخصيص وحده — كما يقول الأطباء — يؤخذ به ويؤله ، لا التعميم — « بالصواب نطق » قال الأستاذ بوركين :

— أجل ! هذا هو الحق الصراح يا صديقي ، فنحن الروسيين جد مولعين بالالغاز والأحاجي ، أو بالأحرى يستهوننا الغامض المبهم فنحوم حوله فقط ؛ أما أن نكتشف جوهره ونبلغ لبابه فأمر لسنأ من طلابه وليس لنا به غاية ولا مأرب ، وكتابتنا رعام الله وحرسهم يحملون الحب ما شاء لهم ذوقهم الشعري الأنيق ويحيطونه بهالة من الروعة والجلال وبوشوشة كالربيع بالورد الفوف والأرج المططار والبلبل الفريد

إننا لا نفهم الحب كما يجب أن نفهمه ، أو لا نحاول أن ندركه كما يتحتم علينا أن نفعل ، ورجالنا يحسون أن الحب هو الزواج ، فإذا أحببت غادة فعليك أن تطلب يدها لتتبي بها ، ونسأؤنا يقدرن الحب بمقدار الهدايا ، فلي قدر هداياك ، يكون حبك وهوأك . وإنني لا أزال أذكر يوم كنت طالباً في موسكو . إنني أحببت أو أُحِبِل إلى أني أحببت سيدة فائنة لطيفة دقيقة الحسن رقيقة الشعور كانت كلما احتسبتها



وأن أنبار على مطالمة أمهات الصحف والمجلات  
ظناً مني أني أستطيع أن أجمع بين عناء العمل وبين  
لذة الثقافة فإذا برأيت ينجيب ، وإذا بي بعد بضعة  
أسابيع أتخلى عن سكني في الطابق العلوي الأنيق  
الترتيب والرياش وأهبط إلى الطابق الأسفل أنام  
وأقوم فيه لا عن تبدال ولكن عن وني . ولم ألبث  
أن تمودت أن أرقد كالفلاحين حيث يتفق لي أن  
أفعل ، في المَجَلَّة أو على المشيم أو في كوخ  
حارس الغابات لشدة ما كان يتناهى من تعب  
يرهق القوى ويضني الجسم

وبقيت كذلك أنصب على العمل انصباباً من  
غير تراخ ولا توان حتى قيتض الله لي ما يرقه عنى  
بعض الترفيه إذ عينت قاضياً شرفياً لمحكمة الولاية  
الصلحية ، وأصبح لي ما ينزعني من إدارة أعمال  
الزراعية ولو إلى حين ، وبات من الحم على أن  
أذهب كلما دعت الحاجة إلى المحكمة في المدينة  
فأسام في أعمال القضاة . وهكذا عدت إلى شئ من  
سابق العهد السرى وحياة الترف والنماء ، وأصبح  
لي كثير من المعارف والأصحاب من سرات البلد  
ووجهائه يستقبلوني لدى مجيئى إلى المدينة بكل  
بشاشة وترحاب

إلا أن أحب العلاقات الودية إلى نفسي  
وألفها عندي كانت تلك التي توقفت عندها بيني  
وبين نائب رئيس المحكمة السيد « لوجا نوقتش » ؛  
وما إخال أن يبتكم من يجهله ، فهو رجل دمين  
جذاب ، كريم النفس ، طيب القلب إلى حد بعيد  
وإني لأذكر حين دعاني للمرة الأولى لتناول  
الطعام على مائدة بعد جلسة طويلة مستأ يمدّها  
الجهد والوصب فقبلت الدعوة شاكرًا وذهبتُ

كانت السماء تترامى من خلال زجاج النوافذ  
مربدة الأديم ، والأشجار مخضلة الأفنان من  
رذاذ المطر البدي وكف منذ حين ، والسحاب  
الأدكن تحدوه الريح كما يحدو الراعى سائمه ، وكان  
الطقسُ بارداً قرأ في حين كانت قاعة المائدة دافئة  
والراحة المضمونة فيها تغرى بالبقاء ، إما للتحدث  
أو للاصغاء

وتتحدث البوكين ، ورطب شفثيه بطرف  
لسانه وانطلق في حديثه يقول :

« لا أزال أيتها الأعزاء منذ أمد بعيد أسكن  
في هذه الأرياض وأدير بنفسى أعمال استنار  
أراضينا فيها ، فقد عزت على كثيرًا لدين تحرّجت  
من الجامعة أن أجد جل أراضينا مرهونة وأن  
أرى أبى غارقاً في ديونه لكثرة ما تكبّد من  
مضاريف في سبيل تنقي في خير جامعات موسكو ،  
فموت على ألا أهجر الأرض حتى أفي ما عليه  
من ديون

ولما كنت أعلم أن ريع الأرض ضئيل وأنى  
لن أوفق إلى مبتغى ما لم أبذل كل ما في وسعى من  
قدرة ، رحت أستغل الأرقاء والبيد في هذا السبيل  
الشافق ، والزراعة كما لا يخفى عنكم تستلزم بذل الجهود  
وتستدعى إفراغ القوى ، فلم أدع في القرية ولا في  
القرى المجاورة رجالاً سابقاً<sup>(١)</sup> إلا استدعيتهم للعمل  
عندي ، أو امرأة فارغة إلا أنيت بها فخرتوا وزرعوا  
حتى البور والسيباخ . وكان العمل مستمراً ما تنقطع  
فوريته ولا تهدأ حدته من مطلع الشمس حتى مغربها  
وحاولت في مستهل الأمر ألا أهجر الكتب

(١) رجل ساخ : فارغ لا عمل عنده والسيباخ من  
الأرض ما لم يحرق

بإدانة أولئك التهمين إدانة لا تتفق والمدالة في شيء، فكانت تصني إلى حديتي يا عجباً وهز رأسها الصغير الجليل وتسأل زوجها متعجبة دهشة:

— وكيف جرى ذلك إذن يا « ديمتري » ؟  
وديمتري لوجا وقتش كان رجلاً زبناً ورزبناً يعتقد كل الاعتقاد أن البت في القضاء لا يكون على المائدة ولا في حديث خاص، وأن ذلاقة اللسان يجب ألا تبرىء مذنباً وتجرم بريئاً، وأن الحكم يجب أن يكون صارماً مهما كان نوع الذنب ليكون المحكوم عليه عبرة لسواه، وليرهب الناس القانون ويعتزموا الشرائع وقال لي ردأ على سؤال قرينته بلهجة ملؤها الرزاة والجد: « لسنا يا صديقي من أصحاب الفن ولا من مشيرى القلائل نخسبك أننا لن ننتقل ولن يحكم علينا »

ولما رأني على أمية الإجابة رفع يديه بكل هدوء وقال: « أرجو منك يا عزيزي أن تترك هذه الأحاديث لفردسة أخرى أكثر ملاءمة من هذه، وإني سأنتفق وإياك على رأي واحد فيما بعد. أما الآن فكل واشرب، فالأكل والشراب على قدر المحبة كما يقول العامة وهم في قولهم جد مصيين، أليس كذلك يا « أنا » ؟

فأحتت « أنا » رأسها وقالت: « بلى يا عزيزي »  
وإني الآن أستطيع أن أقول لكم أيها الأعزاء إن هذين الزوجين كانا سمينين هائنين على أتم ألفة وأشمل وفاق، وإنهما كانا متفاهمين كل التفاهم لا يتحاجبان في أمر ولا يمترض أحدهما على رأى الآخر، وإن فعل فبكثير من اللطف والحنان والأدب وكانت الإشارة أو الفقرة من أحدهما كافية لإفهام الآخر مراده.

أنا وهو إلى منزله وتعرفت هناك بالسيدة قرينته « أنا اليكسيفنا »، وهي عادة في مستهل العشرين من عمرها ما إن رأيتها حتى شمرت بجاذب خفي يدينني منها ويحببها إلي.

أنا لا أستطيع اليوم أيها الأعزاء، وقد مضى دهر من الزمن طويل على هذه الحادثة، أن أقول لكم على التدقيق ماذا وجدت في السيدة « أنا » حتى أعجبت بها الإيجاب كله وحتى نالت من نفسي من النظرة الأولى المسكنة العظمى وتبوءت من قلبي المنزل الأنسي، ولكن كل شيء كان لي واضحاً جلياً حين كنا على المائدة معاً وحين كنت أتناول الغداء وأرمقها بين الفينة والفينة من طرف خفي بنظرات ما أدرى والله كيف أنبتها، وكل ما أستطيع الآن أن أحمده لكم منها هو أنني رأيتها فتية تجمع إلى الحسن الساحر سرعة الخاطر، وإلى خفة الروح وحز الفؤاد حياء المحسنات وخفصر المذارى. وشعرت فوراً أنها شخص أنيس قريب إلى قلبي، كأني أعرفها منذ نومة أظفارها أيام كانت طفلة مريحة تملأ الفضاء ضحكاتها وأناشيدها، أو كأن رسمها الكريم مطبوع في ذهني منذ زمن بعيد، أو كأن هذا الحيا الطلق وهاتين العينين الساجيتين وهذا الجسم البديع مما أُلِّفه نظري وأحبه قلبي قبل ذلك اليوم.

وقد كنت وأنا جالس إلى المائدة ما أزال تأثر النفس هائج الأعصاب لنقمتي على الحكم الجائر الذي أصدره رئيس المحكمة على أربعة من اليهود أنهموا بتأليف عصاة تقطع الطرق وتعيث فساداً، ورحت من تأثري وانفعالي أسرد تفاصيل المحاكمة على السيدة « أنا » وأبين لها الخطأ الفادح الذي وقع فيه القاضي

وقالت لي لما انتهت الرواية وقتنا ممّا تتخطر في  
على مهل :

— أ كنت مريضاً ؟

فأجبتها أن وعدة ألت في فبرحت بجسمى وأنى  
برئت منها أو كدت فقالت :

— أراك سقيماً شاحب اللون ذابلاً في حين  
أنك كنت في الربيع مرحاً طروباً ، وكنت حين  
شرقتنا بتناول الغداء على مائدتنا ممتلئاً قنّة وسحراً ،  
وكنت بأحاديثك ملهماً تقن في القول وتصرف به  
على هواك ببيان عذب كان له الوقع الجميل في نفسى .  
وأعترف لك الآن أنك استمعتنى إليك بروعة  
أحاديثك وشعرت بميل نحوك وعطف ودي ما  
حتت ضلوعى على مثله لخلوق سواك ، ولا أدرى  
لماذا تذكرتك كثيراً في الصيف المنصرم ؟ ولا  
لماذا كان طيفك يمثل أغلب الأحيان أمام عيني ؟  
واليوم وأنا قادمة إلى المسرح كانت نفسى محدثنى  
بلقائك ؟ وهأنذا الآن أفك ، ولكن على غير  
ما كنت أود ، كمداً محزوناً . فقلت : « أ كنت تنتظرن  
لقائى إذن ... يا أنا ... ؟ »

وكانت تلك هى المرة الأولى التى لفظتُ فيها  
اسمها الكريم من غير لقب ، فرفضت لى عينها  
الساجيتين ببجلال ، ولما التقي النظران أطرقت  
حياء ، وصرّح الخفر خديها الناضرين الناعمين  
بحمرة الورد

ولم نلتج أن افترقنا على أمل اللقاء القريب .  
أجل . لقد افترقنا ، ولكن فمى كنتُ أفنكر وأنا  
أسير إلى المنزل لأقضى ليلتى فيه ؟ وخیال من كان  
ملازى آناء ليلتى تلك ؟ وطيف أية خورية كان ذلك  
الذى راود أجفانى حتى الصباح ؟ وعند من أودعت  
روحى وقلبى ومشاعرى جميعاً ؟ ! الجواب واحد

وبعد الغداء عزمنا على البيان فكان توقيعهما  
عليه لطيفاً مشجعاً ، وأنشدت هى أغنية رقيقة عذبة  
حركت بها مكانى الأحاساس من نفسى ، ولم  
يلت أن أعطش الليل فقممت مودعاً شاكرآ لها  
لطفهما وحسن ضيافتهما ، وعدت إلى منزلى . وكان  
ذلك في أول فصل الربيع المراح

ومضت الأشهر تبعاً ، ولم تدع لى مشاغلى  
الكثيرة فرصة واحدة لأهبط المدينة ، ولكن  
ذكرى المرأة الفنية الشقراء الوسيمة الوجه الفاتنة  
القسما لم تبرح خاطرى قط ، وطيفها الحبيب لم  
يحل عن ناظرى

وفى أخريات الخريف مثلت في المدينة إحدى  
السرحدات الزائفة لمشروع خيرى ، وكان أن دخلت  
مقصورة الحاكم ، ولشد ما خفق قلبي لدى  
رأيت « أنا اليكسيفنا » ، وشعرت من جديد  
بضغط قوى على صدرى لا سبيل إلى دفعه كان  
مأته إحساسى بأثر الجمال البليغ في نفسى الساهمة  
المرودة ، غيبت ، وجلست قرب « أنا » مأخوذاً  
بسحر عينيها الحائنين ، وقلبي وجيب دونه وجيب  
الفؤاد المروع

أجل ! لقد جلست قربها أنظر إلى المسرح  
والطالين فلا أرى هذا ولا هؤلاء إلا أطيافاً وأشباهاً ،  
قد كان فكبرى شريداً يمتأى عن التثليل وهوانه  
محسوراً كله في هذه التى رحت أخالسها النظر من  
حين إلى حين ، والتي كنت كلما احتكت كنتى بكتفها  
عرضاً أشعر بغمرة اللذات وقبض الهنات ، كأن  
مفاتن العالم ومباهج الحياة استتحات جميعاً امرأة  
فاتنة شقراء هى هذه التى أسعد بالجلوس حياها  
أغلى من روعة حسنها الضحيان

عازف مفن<sup>(١)</sup>؛ صوتاً ناعماً انزعجني من غمرة  
الجواطر ولجة الآراء، وانشغلي من وخر الضمير  
وتبكيته، وألفاني أمامها لي يبهرنى جمالها الرفيع،  
وتغويني أنوثتها الغدّة، وتسكرني نبرات صوتها  
المرنان في العبارات الترحيبية المنمّقة التي انفرجت  
عنها شفتاها الرقيقتان اللغزيتان وهي تتقدم بحوى  
بخطى موقعة توقيعاً

ولم تلبث أن قفنا إلى المائدة، وبعد تناول الغداء  
عزف ديمتري على البيان قطعة موسيقية أو قطعتين،  
ثم أنشدت هي أنشودة غرام حلتني بها بغزوة الغناء  
ورخامته ورقة المعنى وروعته إلى ملا غير هذا الملاء  
تحف به الهناءات والمتع، وتلاعبت بعواطفنا ما شاء  
لها الفن الرفيع والصوت البديع، ودارت بيننا  
بعد ذلك أحاديث شتى تناولنا فيها مختلف الشؤون  
الثقافية كاللوسيقى والأدب والفلسفة والدين والعلوم،  
وشرينا خلال الحديث الشاي مراراً، ولم تنق من  
غمرته إلا على صوت الطفلة وهي تنشج باكياً معولة  
والحاضنة تناعبها وتداعبها لعلها تسكت، فهضت  
«أنا» وقتت على إثرها مودّعاً، وكان الليل قد  
أوشك أن ينتصف

وأسميت بعد ذلك كثير التردد على آل  
«لوجانوفتش» لا أهبط البلد إلا وأقضى جل أوقاتي  
عندهم؛ وبث يشوقهم مرأى كما يشوقني مرأىهم؛  
وأصبحت أغشى منزليهم ساعة أشاء كأنني فرد من  
أفراد الأسرة دون أن يستأذن لي عليهم بالدخول؛  
ولم تلبث حياتي أن أصبحت حثيماً دائماً وشوقاً  
مستمرّاً، وبث لا أستسيغ العيش ولا أستطيع  
الحياة إلا في بيتهم، أو إن شئتم فقولوا إلا حيالها

(١) اللفظة الصحيحة لكلمة فان الشائعة على أقلام الكتاب

على هذه الأسئلة كلها أيها الأعزاء، هو: «أنا»  
نعم أيها الرفاق، إنها «أنا» لا سواها، فأنا هي التي  
أذكرت في روحي جنوة مضطربة لا ينطق سعيها؛  
وهي التي أرهفت بجسدها الرفيع وصوتها الساحر  
إحساسى وشعورى، وهي وحدها التي حركت في  
قلبي الخلق عواطف الحب

وما انتصف النهار حتى كانت قدماى تقودانى  
إلى منزلها كأن قوة خفية تدفع بي إليه، وما أعلنت  
الخداع نبأ قدوى حتى هرع لوجانوفتش إلى يستقبلني  
بما فطر عليه من لطف وإيناس، وهشّ بوجهي  
ويش، وقال لى إن زوجته حدثته عن مرأى ليلة  
البارحة، وإنه كان يطل نفسه بقدوى إليه، وإنه  
كان سيمتد على كثير لو حرمته زيارتي، فتحرك  
لساني بشكره، وأما ذهني فقد ماج واضطرب،  
وراحت الأفكار تتقاذفني بلياراتها وتصطرح في  
رأسي قوية عنيفة؛ أأكون سافل الأخلاق منحطها  
فأأخذ صداقة زميلي ووده وسيلة لحب غير مشروع؟  
أيطهر لي هذا الأدب الجم، وهذا اللطف المتناهي،  
وهذا الإخاء الخالص، فأصبو إلى امرأته وأحوّل  
قلبي عنه ولها منه طفلة رضية هي أحوج ما تكون  
إلى عطف أمها وحنانها؟ أو ليس حي هذه الزوجة  
الأم إغواء وإثماً؟ أأندفع وراء عاطفتي الجامحة اندفاعاً  
فيه كثير من التهور والجنون والضلال وأنا الذى  
تؤثر عنه الزناة والتعقل وبعد النظر؟ وبكلمة  
موجزة: أأخون صديقي في شريكه حياته ووالدة  
ابنته؟

أجل، كانت هذه الأفكار وأمثالها تصطرح  
في خاطري اصطراعاً عند ما سمعت صوتاً حنوناً  
حسبته لرقته وعذوبته منبثاً عن أوتار تقهرها ريشة

وترمقي يمثلهما، ويحدثن عن شتى الأمور، وطرقتنا مختلف الموضوعات إلا موضوع حبنا فلم ينطق لنا به لسان ولم نلم به لا تصريحاً ولا تلميحاً، ولقد كنا سعيدين السعادة كلها هاتئين فوق مدى الظن . ولما أقبل زوجها سرّاً كثيراً بمرآى، ورحنا معاً نزجى الوقت بالحديث ونسرى عنا بالعزف على البيان حبناً وبلا نشاد حبناً آخر

أنا لم أعرف بعد في حياتي بإسادة رجلاً أظهر قلباً وأصفى نية وأوفى ولاءاً من «ديمتري لوجانوفتش» فقد كان لا يشك في إصراره قط كأنه كان واقعاً من طهارة نفسها وعفتها ولا يرتاب بي على كثرة ما كان يأتي فيراني في منزله ، وكان هو وقرينته يفكران في أمري أكثر من تفكيرى فيه وينكران على هذه الحياة القلقة المضطربة التي أحياها من غير شكوى ولا تبرم ، في قرية لا تمتع فيها ولا راحة لمن كان في مثل ثقافتى ، وكان يمز عليهم أن أبذل شبابى كادحاً جاهداً في العمل المرهق ولا يتبقى لى من إيراد المواسم إلا النزر اليسير من المال أنفق على شؤونى الخاصة بكثير من التقدير خشية نفاذه قبل الأوان

وكان يترامى لها أنى أنألم وأنى ما كنت أتكلم أو أحسو الشراب إلا لأموء على نفسى وأنفس عنها بعض ما بها من شجن وغم . ولقد كنت أشعر بنظراتها الفاجصة حتى في ساعات سرورى وانشراحى كأنهما كانا يودأن أن يستطلما بها مكتونات قلبى ويستكشفا ضميرى . وكان يؤلهاما حقاً أن يريانى سادراً في التفكير البائس ، وكثيراً ما كانا يمرضان على المال عند ما كانا يدریان أن على قسطاً مستحقاً من الدين ، ويلخان على بوجوب

هى ، وكثيراً ما كنت أدخل دارهم فلا أرى فيها إلا الحاضنة والخادم فأسئلى على الأريكة في الثوب أطلع في صحيفة أو أقرأ في كتاب ، فإن ملكت من القراءة حنوت على الطفلة أهددها تارة وأغنيها طوراً ، حتى إذا حان ميعاد عودة «أنا» من السوق همرت إلى الباب أنتظرها على عتبة ، فما إن تقبل مثقلة الدراعين بما تكون قد ابتاعته من أدوات ولوازم ولتسب ، حتى أقدم إليها أروح عنها بحمل أشياءها جميعاً كأنى غلام يدأب على خدمة سيده بكل نية وغفر

وبات الزوجان يقلقان على إذا أطلت عنهما غيابى كأنما اتصلت أسباب حياتى بأسباب حياتهما ، وبت أنا لا أستروح نسيم السعادة إلا بنشئائى منزلها وترددى عليهما ، ولم يكن من شىء يحول دون رغبتي في ذلك إلا وعكة تلم بي أو مرض يعرونى . ولقد وفدت مرة بعد غياب طال أمده فدخلت الباد وجلست على إحدى أرائك الثوبى ساهماً مخزونة ، فما هى إلا بضع دقائق حتى أقبلت «أنا» في مبادؤها وصاحت لى رأتنى بلهفة الجزعة اللتاغة : — أهذا أنت ؟ لساذا حبست عنا قدمك كل هذه المدة ؟ ولماذا حرمتنا من أنسك هذا الأمد الطويل ؟ أأصابك مكروه ؟

لقد كانت نظراتها الوادعة اللتاغة بطهر الحب ، وبداها العاجيتان المدودتان إلى ، ورداؤها اللزلى البسيط الأنيق وشعرها المدودن الناعم ، وصوتها ذو الجرس الحنون ، ومشيتها الوزونة الخطى ، وكل ما فيها يؤثر في تأثيراً عجيماً ويثير في حنايا ضلوعى مواطنى المكبوتة الكظيمة

وجلست حياها أرمقها بنظرات ملؤها الحب

فكنت أضن بهذا الحب العذرى الرضيع ، هذا الحب النفساني العالي أن يسف وأن ينحط من رفعة إلى حضيض المهانة والابتذال . وكنت أربأ بنفسى أن تهوى إلى الدرك الوضع الشائن ، وأترهبها عن ارتكاب الإثم الموبق ، فاحاولت على كثرة ترددى على منزلها واجتماعى الطويلة بها أن أقبلها ، أو أرتشف رحيق الهوى العذرى من شفتها ، لأنى كنت أعد حتى تقبيلها مساً بولائى لزوجها وخطأ من قيمة الصداقة البريئة الخالصة التى ربطت بيننا ، وامتناناً للأخاء الذى وحد بين قلبى وقلبه

وليس معنى هذا يا أعزائى أنى صنو الملائكة الأطهار وأن صدري لا تحتلج فيه عاطفة نائرة ولا تخفق فى حناياه نزوة جامحة ، لا ! فقد كانت تجيش بصدري نوازع شتى ولكنى كنت أكبتها وأخذ حدثها . وكان يجول فى خاطري بمض الأحايين أن هذه الخلطة النقية التى أنبها فى حب هذه الخلقة الساحرة لم تكن مثلى ، وأنها ليست إلا من صنع الخيال الخاطئ ، وأن رعى اليهود وحفظ الوعود واحترام الصداقة وتقديس الأخوة ليس إلا أوهاماً فى أوهام ، وأن الشرف والغفاف والزهادة والتجرد والشهامة والإيثار ليست إلا أسماء لغير مسميات لا وجود لها إلا فى بطون الكتب وعقول التزمتمين الخبولين ، واصطلاحات لا معنى لها إلا فى عقول هؤلاء وأمثالهم من المافوقين أولى النظريات التى يستحيل تطبيقها على البشر بوجه من الوجوه ؛ ولكنى كنت لا أثبت أن أزعج نفسى عن مثل هذه الفكر وأقول إنها خاطئة أو حاشاها إلى الشيطان وزينها لى الهوى

وهكذا يا أعزائى رحت أكلف بها من غير

تقبل مساعدتهما المادية لى إلا أننى كنت أشكرهما عواطفهما الرقيقة بكثير من الأدب واللفظ ، وآبى أن أستدين منهما باوة واحدة مع أنى كثيراً ما كنت فى أمس الحاجة إلى المال . وكنت أوثر أن أستدين من الرايين على أن أظهر أمامهما بمظهر الوضع المهان ودارت الأيام دورتها ، وأصبحت « أنسا » أما لولدين كالربيع طلاقة وسنا ، ولدين مرحين غردين كبليين ، انقلبتم فيهما ما فيها من نجابة وذكاء ، ورونى وبها ، ولدين كانا غر أبهما ، وعنوان بهجته ونبيع مسرته ، إلا أنهما لم يكونا كذلك لأنهما التى كانت ترى فيهما ذبولا لآمالها وتصويحا لآمانها

لقد كانت تعطف عليهما وتحبهما ، ولكن عطفاً مشوباً بالكدر وحياً ممزوجاً بالكآبة والحزن ، لأنها كانت تشعر فى أعماقها أن كل عام يزيد فى نموها وحيويتها ينقص من قوتها وحيويتها هى ، وإنهما كلما تقدم بهما العمر نحوقة الصبا والشباب انحدر بها إلى هاوية الكبر والهرم ، وأصبحت غير قيمة بالتقدير ولا جذيرة بالإعجاب والحب

لقد كان هذا الخاطر يعضها ويرمضها ، ولم أكن بحاجة لتصرح لى به ، فخركتها وتصرفاتها ومسحة الشجن التى علت قسماها كانت كلها ناطقة به ؛ ولكنها كانت على خطأ واضح وضلال مبين ، فشعوبها السام خادها فتنة على فتنة وسحراً على سحر ، وكونها أما لم يحل دون إعجاب بها بل على النقيض زاد فى حبي لها وتعلق بها

لقد أحبتها حباً عميقاً هادئاً لا نزوة عاطفية فيه ولا جراح نفس ، وأحبتها هى كذلك حباً شريفاً طاهراً ، لقد تزهرت حبي عن المفاسد والأهواء ،

استطيع أن أنأى بها ؟ لو أنى ترى موسى أسبح  
في أقطار المعمور وأجوب عواصم العالم ، أو لو أنى  
زعم فذ في بلادى تيمدنى الجواهر ، أو لو كنت  
عالمًا كبيرًا أو مفتيا خطيرًا أو كاتبًا نحريرًا ، إذن  
ليس الأمر وهان ، أما أن أنتقل بها من حياة عادية  
لأخرى شبيهة بها أو أحطّ منها فما أرفضه وآباه  
الآباء كله ؟ قال أين المال لو قدر الله لحبنا أمدًا  
ولسعادتنا أجلًا ؟ وماذا يكون مصيرها هي يا ترى  
لو ألمّ بي مرض عضال أقمدنى عن العمل وجمالتي  
طريح الفراش ، أو وافاني الأجل المحتوم فت ؟

كنت أفكر في هذا وأنا جالس إليها ، وأحسب  
أنها كانت تفكر فيه مثلي ، وأن خواطرها لم تكن  
إلا هذه أو ما يقرب منها ، وإخال أنها كانت تفكر  
في زوجها الذي لم يسميَ إليها قط ، في وليدها فلذتي  
كبدها ، في أمها التي كانت تعبدتها وتحب صهرها  
كأنها الحبيب .

وأمر آخر كان يرمضها على ما أظن وبعض  
منها الروح : أيكون حبها مسمدًى يا ترى ؟ أم إنه  
يلبني بنكبات لا أول لها ولا آخر فيزيد حياتي  
تقييدًا وجدّي عثورًا ؟ ؟ وكان يترأى لها عدا  
ذلك أنها فقدت الكثير من نشاطها بعد أن أصبحت  
أمًا لولدين ، وأنها لم تمد كفاءً لي لتسهلّ مني  
حياة جديدة تتطلب جهدًا وإفرا ؟ وكثيرًا ما كانت  
تقول لزوجها أمأى إن عليّ أن أبني بفتاة ذات مزايا  
كثيرة تكون لي نعم العون في شؤوني كافة ،  
ولكنها كانت تتبع فوراً عبارتها هذه بقولها له إن  
من الصعوبة بمكان أن أثمر في المدينة بأسرها على  
فتاة كالتى تبتغيها وتبتناها لي

وكان يطيب لها أن تخرج منى إلى التشرهات

أمل وأهم بها دون رجاء . فكننا نجتمع الساعات  
الطوال فنمزج كثيرًا ونصمت كثيرًا كذلك ،  
وكنّا أنظر إليها فنظرات الوله ، وتنظر إلى نظرات  
التيتم ، ويحاول أحدها أن يبوح للآخر بحبه ،  
ويشبه شكاة قلبه ؛ غير أنه يعود إلى نفسه فيؤثر الصمت  
ويفضل السكوت . وأى حاجة بنا للقول وكل ما بنا  
ينطق بالحلب ويمتف بالمهوى ؟ وأى جدوى للتصريح  
وكلانا يدرك حق الإدراك ما يعتلج في نفس رفيقه  
من وجد لا يج وجوى مستعر ؟

وإن الصمت في مثل هذه المواقف لأبلغ من  
النطق ، والسكوت خير من الكلام . ولقد كنا  
سعيدين بالكلام عندما كنا نتكلم جدًا أو مزاحًا ،  
وما تئين بالصمت عندما كنا نطلق لأخيلتنا العنان  
ذاهلين مرورين تأهين في عالم الرؤى والأحلام  
كنت أفكر وأنا جالس حياهما في ظلم القدر  
وقسوة القضاء ؛ أفكر في حبي لها وحبي إلى هذا  
الحب الناعم الساجي ، أفكر في زوجها الكهل  
وفتوتها اليانعة ، أفكر في كيف أن الأقدار شامت أن  
بصادفها هو لا أنا ، وكيف ألقها في سبيله لا في  
سبيلي ؛ وكنّت أحيانًا أشتطّ في تأملاتي ويذهب  
بي خيالي كل مذهب ، فيخطر لي أن أنزعها من  
أحضان زوجها وولدها وأفرّ بها ضاربًا بصدقة  
زوجها وبالشرف عرض الحائط ؛ غير أنى لا ألبث  
أن أعود إلى عقلي الرصين وأتوب إلى هداى فأعزف  
عن هذا الرأى الفاسد الأخطل ، وأقول في نفسى  
إن هذا لو تمّ لجاء متتهى القسوة وغاية الظلم .  
وما إخال أنى فطّ إلى هذا الحد فأحطم سعادة  
عائلة يجلى فيها الصغير والكبير الإجلال كله ، ويشق  
بي جميع أفرادها ثقة عيائى كبرى . ثم إلى أين

لا تطيق أن ترى زوجها ولا ولدها الحبيين ،  
وغدت تتردد على أمها وأختها كثيراً وتقضى عندهما  
روحاً من النهار طويلاً ثم تنكس عائداً إلى منزلها  
كسيرة الخاطر محزنة النفس

وتغيرت أجباعاتنا فيها تغير من عاداتها ، فأملت  
ساعات اللقاء سلسلة من الصمت الطويل والتأمل  
العميق ، وأضحت تظهر لي بمظهر الندى أمام الناس  
كلها ضمني وإياها مجلس أو نادر فإن تناظرت  
وأحدك من الناس انحازت إليه ضدي ؛ وإن  
تحدثت عن أمر ناقضته ولم توافق عليه ؛ وإن  
سقط شيء من يدي عرساً قالت لي ببرودة ساخرة :  
« أهنتك » ؛ وإن صميتها إلى الملهى وحدت أن نسبته  
أن أستحضر ملى النظر قالت بفتور : « كنت أعلم  
انك ستسناه ! »

وصمت « البوكين » لحظة نظر فيها من خلال  
النافذة إلى السماء التي انقضت عن أديمها بعض  
السحب وأن أنة « خاتمة » ثم استطرذ يقول :  
« كل شيء في الوجود يسادة إلى نفاذ ، ولا  
شيء في حياتنا — لسوء الطالع أو لحسنه — إلا  
ينتهي إما عاجلاً أو آجلاً . ووقت انقضاء عن  
« أنا » أو بالأحرى انقضاءها عني قد دنا وحن ؛  
فقد عين « لوجانوفتش » رئيساً لحكومة مجاورة  
لبولونيا وكان عليه أن يبيع كل ما عنده من أثاث  
وريش وخيول وحتى منزله الريفي الجميل . وعلى  
ذكر المنزل الريفي هذا أقول إننا عند ما كنا لآخر  
مرة فيه وقت « أنا » حبال تتأمل ملى الحديقة  
النماء التي تساوره ، والحقول المنبسطة أمامها  
مخضرتها السندسية ونبتها المخضلة ؛ وكان كلانا  
منقبض النفس مكبد الأسارير يشيع تلك المرائي  
بنظرات حزينة ويودعها لآخر مرة وداعاً لا لقاء

العامة غير آبهة لآلسن الوشاة ولا مكترثة لأقوال  
الغمامين ، فنستمع ممكاً بالنسيم السجاج والنيء  
السجسج ، وتتلوى من منظر الورد وعبق الزهر ؛  
ويلاً لها أن أصحبها إلى الملهى لحضور إحدى  
الروايات المسرحية الممتعة ، فنذهب سيراً على الأقدام  
ونجلس في المقصورة كنفكاً إلى كتيف وجنكاً إلى  
جنب ، فإن بدا في المسرحية موقف غراى رائع  
الفتنة إلى بعينين نصف مطبقتين ، ومحيا وادع كسته  
الماطفة كل روعتها وسحرها ، وثغر فائق ترتقص  
عليه مغريات اللى ، وتمتد :

« البوكين ! » فأحنو عليها وصوتها الرخيم  
يرن في سمى ، وحبا يغور في أضللى ، وأهمس  
بحب : « أنا ! » وأهم بقبليها فما إن يكاد يصل  
نفرى إلى نغرها حتى أسحب رأسى وأراجع عنها  
أظماً ما أكون إلى رشفة من بين ثناياها ، وأحس  
القبلة في فمى فارتيم ، فتردى رأسها الصغير المحبوب ،  
وتطلق من صدرها المجهود زفرة لاهبة حررى ولا  
تدبس . وأحسب أن تلك اللحظات القلائل هى خير  
ما كنت أشعر فيه بالسعادة والنعيم ، وأحس فيها  
بأن « أنا » لى وحدى ، وأن واحداً لا يطبق  
العيش قصياً عن رفيقه يتقل على جبر البعد ونار  
النوى ؛ ولكن والأسفاه ، ينتهى التمثيل ونخرج  
من الندى فيذهب كل إلى طيته كتربيين لاصلة  
للواحد بالآخر ولا سبب يمت به إليه

ومررت الأيام بعضها في إثر بعض ،  
وأصبحت « أنا » سوداوية الطبع ضيقة الخلق  
تتبرم بالحياة وتشكو منها وتحزن لغير داع وتنضب  
لغير سبب ، وباتت ترى في الكائنات نقصاً مشوهاً  
كهرت الوجود من أجله وضاعت به ؛ لا ، بل تعدى  
الأمر إلى يثنها وأسرتها فاجتوت منزلها وأمست



بعدة . ولما التفت إليها رأيت في عجزها دمتين  
تترأران ! (١)

وساءت صحتها قبل الرحيل الى مقر زوجها  
الجديد ، فاستشار لها الأطباء فائتوا أنها مصابة  
بضعف الأعصاب والقوى جميعاً ونصحوا لها  
بالاستشفاء في « السكريمه » وقرروا أن تعالج في  
ذلك المصح الغان بالهواء الرخي والماء المعدني والناخ  
السري ، حتى إذا تم لها الشفاء وقضى لها البرء  
لحقت بزوجها إلى مسكنه المتيد

ورافقت أنا إلى المحطة حيث اجتمع لوداعها  
جم غفير من علية القوم وسراة البلد ، وقرع الجرس  
مؤذناً بتحرك القطار بمد قليل ، فودعت زوجها  
وولديها والناس جميعاً ، ولما بقي إلا توان قلائل  
لسيره ففزت إلى العربيه لأضع رزمة لها كانت قد  
نسيها ولأودعها الرضاع الأخير وحدي . ولما التفت  
نظراتنا خذلتنا قوانا ، ووهي جللنا ، فاحتضنتها  
بين ذراعي لأول مرة في حياتي فألقت رأسها الصغير  
على صدرى الخفاق ، ولم يتالك نفسها من البكاء  
فأمهرت من مقلتها الدموع غزيرة حرى

وفي تلك الغمرة الساحرة خنوت أرتشف من  
مقلتها الدمع وأكفكف بشفتي العبرات الواكفة  
وألثمها في فمها وخديها وعنقها وشعرها وكففيها  
وأنى وقع عليها ثغري لثمات كلها هوى وجوى ،  
وشعرت في تلك اللحظات بحزن عميق في نفسى  
لم يسبق لى أن شعرت بمثله في ساعة من ساعات  
حياتى ، وانقبضت انقباضاً لا عهد لى بمثله من قبل ،  
وأدركت في تلك الدقيقة فقط إبأن الأسى المحرق  
الذى اجتاحت كيانى كله أن أيامنى التى قضيتها مماً  
وتصرفت منها الساعات قد ذهبت هدرأ فبأ لا طائل

(١) رأراً الدمع دار في المحور ولم يسقط

تحته ولا غنية فيه ، وأن هذا الذى حال بين حبا  
ويبقى من إباء وشرف وكرامة لم يكن إلا هراءً ولنفاً ؛  
وأنى أخطأت خطأ فادحاً في عدم انصياعى إلى  
باططنى وهواى ؛ وأدركت في تلك اللحظة فقط أن  
على المرء عند ما يجب أن يرتفع فوق العرف والشرائع ،  
وأن يسمو فوق الترهات والأباطيل ، وأن يتخلى  
عن التفكير في غده ومستقبله ، وألا يبحث في أمور  
السعادة والشقاء ، والرزيلة والفضيلة ، والشرف  
والتهتك ، أو يضيع أوقاته سدى ؛ وليندفع وراء  
حبه إن شاء متعة نفسه وراحة قلبه

وقبلتها للمرة الأخيرة قبلات حارة أودعها كل  
ما فى قواذى من حنين وحب وصالحها مودعاً إياها  
إلى الأبد . وكان القطار قد تحرك فخلست في العربيه  
المجاورة أبكى حتى بلغ بنا المحطة الأولى فنزلت وعدت  
منها إلى قريتي ماشياً

وأطلت الشمس من وراء النجوم الدكناء التى  
كانت تحجبها وأرسلت أشعتها النعشة من خلال  
النوافذ فقام « بوركين » و « إيفان » إلى الشرفة  
يتأملان جمال الطبيعة الساحر ويحدقان في ترعة الماء  
وقد لمت صفحتها كالرأة الوضيئة تحت شعاع  
الشمس ، ورتبا في نفسيهما المضيقهما الذى حدثهما  
بسداجة وإخلاص عن حبه الشهيد ، وأشققا على  
هذا الرجل النابغ الأروع الذى يقضى أيامه في هذه  
الحقول والبساتين دون أن يكثر بالعلم أو بالأدب  
أو بأى شئ سواه يدخل السرور إلى قلبه الحزين  
الباكى ، الذى يمن إلى الماضى البعيد حنيناً يصوح  
شبابه الوردى ويؤيس نفسه ، ويتلفت كثيراً بلوعة  
وحرة إلى خيال تلك المرأة الغائنة التى قضى بقرنها  
خير سنى صباه دون أن ينال منها حتى في آخر عهده  
بها إلا قبلات معدودات هي كل ذخيرته من هواه

مورج سلسى

# الرسالة

## في سنتها السادسة

على الرغم من ارتفاع أثمان الورق هذا الارتفاع الفاحش ، وبالرغم من تقدم الرسالة هذا التقدم الطرد ، وبالرغم مما سنبدله في تحسينها من الجهد في عامها الجديد ، سيبقى اشتراكها كما هو : ستون قرشاً في الداخل ، وجنيه مصري في الخارج ، وتقدم إلى من يدقعه في أثناء شهر يناير للقبل مجلة الرواية مجاناً

## الرواية

وليست الرواية هدية ضئيلة القدر ، فإنها تصدر جميلة الطبع والوضع في سبعين صفحة ، وهي المجلة الوحيدة التي تقرأ فيها القصة العربية الفنية مكتوبة بأسلوب بليغ مشرق ، أو القصة الأوربية الرائعة مترجمة للسان أمين صادق . وحسبك دليلاً على قوتها وقيمتها أن مجموعة سنتها المنصرمة تشتمل على ٣٤ أقصوصة موضوعة ، و ١١٦ أقصوصة منقولة ، وثلاث مسرحيات ، وعلى النص الكامل لكتاب اعترافات فتى العصر لألفريد دي موسيه ، وملحمة الأوديسة لهوميروس ، وكتاب يوميات نائب في الأرياف لتوفيق الحكيم . أما مجموعة السنة القادمة فستكون أروع وأجمع وألذ . واشتركا وحدها ثلاثون قرشاً في مصر ، وخمسون في الخارج

## اشتراكات الطلبة والمعلمين الإلزاميين

يشترك الطلبة والمعلمون الإلزاميون في الرسالة وحدها بأربعين قرشاً ، وفي الرواية وحدها بعشرين قرشاً ، وفيهما معاً بخمسة وخمسين قرشاً . ويجوز أن يقسط هذا المبلغ أقساطاً تبدأ في يناير وتنتهي في شهر مايو من سنة ١٩٣٨

## الاشتراك في الرسالة

بقوى عقلك ، وبخمي ثقافتك ، وبطموحك على تطور الفكر العالمي الجدير

## والاشتراك في الرواية

ببري ذوقك وبرهف شعورك وبتملك بروائع الفن القصصي المحرر

ماذا تريد أن تفعل في هذا العالم ؟  
إلى أين مصيرك إذا أنت خرجت من هذه  
الغرفة ، وإذا بقيت فيها فما هي آمالك منها ؟  
أفلا تحس وأنت تنظر إلى هذه المرأة أن في  
قلبك كنزاً لا زال دفيناً ؟ أفلا ترى أن ما تفقده  
الآن ليس ما بدأ ، بل ما كان يمكن أن يبدو بقي  
مُضمرأ ، وأن أضع الوداع هو ما يشعرك بأنك لم  
تفصح عن كل شيء ؟

لماذا لم تتكلم منذ ساعة ؟ فقد كان لك أن  
تتلك السعادة قبل انتقال عقرب الزمان خطوة  
واحدة

لماذا لم تعلن أنك إذا كنت تتألم ؟ وإذا كنت  
تحب فلماذا أضمرت حبك ؟

إنك الآن تكاشد الأموال يموت على أكوام  
كنوزه . لقد أقتلت بابك على نفسك أيها الحريص  
وها أنت ذا وراء المزايا المحكمة تهزها عبقاً لأنها لن  
تعود لسلطانك فهي منيعة ومن صنع يديك

أيها الضال ، إنك نسيت ربك عندما اشتبهت ؛  
وبلغت مشتهاك فلعبت بسعادتك كما يلعب الأطفال  
بالدمى وما خطر لك أن ما قلبه يداك سريع  
العطب ، وليس لك أن تظفر بمثله عندما تشاء . لقد  
احتقرت مأملاك وأهمكت التمتع به وأنت تتلهى  
بالابتسام ولا يخطر لك أن هناك ملاكاً صالحاً  
يسهر عليك ولا ينقطع عن الصلاة ليحفظ لك  
بهذا الشبح الذي لا يلوح حتى يختفي

أواه ، لو أن في السماء ملاكاً يتولى حراستك ،  
فما هو فاعل يا ترى الآن ؟

إنه لاشك جالس إلى معزقه وقد تراخى جناحاه  
وامتدت يداه إلى مضارب الأنعام ليتغنى بأنشودة

من أعماق النفوس

استغفاراً في العصر

لألفريد موريه

بقلم الأستاذ فليكس فارس

## الجزء الخامس

### الفصل السادس

وقلت في نجوى للذاتي : « لم يبق لي إلا أن  
أسدي إليك نصيحة يا هذا : خير لك أن تموت  
أنتهز فرصة شعورك بالصلاح في هذه الساعة  
واذهب إلى الفناء كيلا تتوغل في الشر غداً

إن أمامك الآن امرأة تحبها وهي منطرحه على  
فراش احتضارها ، فلا تردد . مد يدك إلى صدرها  
واكتف منها بأنها لم تمت بعد ، وما دمت تشعر  
بالاحتقار لنفسك أطبق أحفانك ولا تفتحها بعد ،  
ذلك خير لك من أن تشيعها إلى مرقدتها الأخير  
ثم يجيء غداً فتسلوها

بادر إلى إغمد خنجر في قلبك ما دام هذا  
القلب لم يحول بعد عن الله الذي أبدعه  
أفبوقفك سباك عن الاندفاع إلى الموت ؟ وأي  
شيء تريد الاحتفاظ به من هذا الصبا ؟ أتأسف  
لسواد شعرك ؟ إن لم يشب هذا الشعر في ظلمة  
هذا الليل على مفركك تغير له ألا يملوه بياض  
الشيب أبداً ...

لسوف تضطر لتتمكن من احتمال حياتك ألا تكن في  
بنسبان الحب ، بل عليك أن تتعلم جحوده ونكرانه  
كما عليك ألا تنسى ما كان صالحاً فيك فحسب ، بل  
عليك أيضاً أن تقتل أية جرثومة قد تستنبت الأيام  
منها صلاحاً ، لأنك إذا بقيت للحب متذكراً فلن  
تستطيع أن تخطو على الأرض خطوة واحدة ،  
وأن تضحك أو تبكي ، وأن تحسن إلى فقير . لن  
تستطيع الشعور بالحنان لحظة واحدة دون أن تسمع  
صرخة الدم في قلبك قائلة لك : إنك ما خلقت

صالحاً إلا لإسعاد ربيحت بكل عاطفة طيبة فيك  
إنك لن تقوم بأى عمل دون أن يذهب عمالك  
مثيراً أحد الشقاء في أعماق أحشائك فكل  
ما تحتاج له روحك ينه فيها تأسفاً على ما فات  
فيحول الأمل نفسه . وهو رسول الساء في القلوب  
يدعوها إلى الحياة — إلى شبح قائم ينضم إلى الماضي  
لبؤاخي . فاذا ما حاول بلوغ أمانة اقلب جهدك  
ندماً لأن القاتل لا يذهب في الظلمة إلا وهو يرتبط  
على صدره بكتلات يديه خشية أن تقع أنامله على جدار  
فتم آثارها عليه

تلك هي الحياة التي قدرت عليك في آتيك  
فاختر بين روحك وجسدك إذ لا بد لك من القضاء  
على أحدها  
إن ذكرى الخير ستدفع بك إلى ارتكاب الشر  
فما عليك إلا أن تصبح جثة باردة إذا كنت تحاذر  
أن تبقى شبيحاً لذلك !

أيها الفتى مت في سلاحك لعل أحداً يأتي  
إلى قبرك فيذوق الدمع عليه »

وانظرت أمام السرير قائدة هدى لأعلم من  
أنا ولا أحس بما أقول ، وأرسلت ربيحت زفرة وهي

(٧)

أبدية ، أنشودة الحب والسوان ! ولكن أعضاء هذا  
الملاك ترمش وقد انطوى جناحه وهوى رأسه  
كالقصبة المنكسرة . لقد مر به ملك الموت ، وما  
لس كشفه حتى تبدد وتوارى في الكون الفسيح  
وها أنت ذا باق وحدك على الأرض وأنت في  
الثانية والعشرين من سنى حياتك بعد أن كان الحب  
الشريف السامى وقوة شبابك سيوجدان منك كائناً  
له شأنه في الحياة

لقد مررت بك أيام طويلة من اللال والأحزان  
وساورك التردد ، وأثقلت عليك الشبية الطائشة ،  
فاوصلتك هذه الحن إلى يوم كان لك أن تتوقع فيه  
بلوغ الطمأنينة والسلام . لقد كان لك أن تتوقع  
من حياتك التي وقفتها على كائن امتلك لبسك أن  
تهب عليها نسمة جديدة فإذا أنت تشهد انهيار كل  
شيء يحيط بك . وقد اقلبت شهواتك الغامضة إلى  
أسى صريح . لقد كان قلبك من قبل خالياً منها هو  
الآن يصبح مهجوراً ...

هذا هو حالك ، وأنت لم ترل واقفاً عند حيرتك  
وترددك !

ما الذي تتوقمه وهي قد سئمتك ولم تعد لحياتك  
من قيمة عندها . إنها تهجرك فلم لا تهجر أنت  
نفسك ؟ ولييك عليك من أحبوا شبابك ، إنهم  
ليسوا بمديدن

إن قلباً حكمه الخزي أمام من يهوى لجدير  
بالصمت إلى الأبد . لقد مررت على قلب ربيحت  
فعليك بالحافظة على ما أبقاه من أثر فيك ، فإذا بقيت  
في الحياة فلا بد لك من درس آثارها ؛ ولا سبيل لك  
للحفاظة على أنفاسك المدنسة إلا باستكمال تدنيسها ؛  
ولا قبل لك بالحياة إذا أنت لم تشتترها بهذا الثمن .

الهدان ينفران إلى الحياة ، وكل لفنة ترسلها إلى  
مرآتها تقنعها بوجود البقاء ؟ وأي رجل لا يتقدم  
مهنئاً لها بشفاؤها عند ما تحب آخر دمة على أجفائها  
وتلتهم أول ابسامة على ثناياها ؟

لن تعضي ثمانية أيام على صمتها حتى تبدأ  
بالتأمل من ذكر اسمي لأنها لا تحب على ذكرى  
إلا وهي ترسل حولها نظرات من يستنجد الناس  
لاقتناص السلوان ، فلا يطول الزمن حتى تمتنع عن  
التفكير في "وحنج" سماع اسمي . وفي صبيحة يوم من  
أيام الربيع تفتح نافذتها لتنظر الانداء ترسم الأزهار  
وتتنصت إلى زقزقة المصافير بين ناضرات الفصول  
فتستغرق في وجوها قائلة : لقد أحبت فيما مضى .  
وعندئذ من سيكون قربها ياترى فيقول : وستجبن  
إيفان ، فتصني إليه ؟

أين أكون أما حينذاك ، أينها الخائنة ؟ أين  
أكون حين تنتحين وقد علا وجهك احمرار برعم  
الورد يفتق عن أكله إذ يتصاعد كل ما فيك من  
فتاء وبهاء ويتعقد تاجاً على مفرقك ؟

ستقولين إن قلبك مغلق ، ولكنك تسرحين  
منه هالة من أنوار جديدة تسبهي كل أشعة منها  
قبلة غرام . وما من امرأة تعان إرادتها بأن تحب  
كالرأفة القائلة إنها لن تحب بعد !

وأية غرابة في هذا ؟ أفلمت أنت أيضاً بثت  
حواء ؟ أفما تعرفين اعتدال قوامك وروعة تحرك  
وقد وصف جلالك من رآه فلا تعتقدن كما تعتقد  
المناري أن لسكل النساء مالك تحت أستارك ولا  
تجهلين ما للتمتع من قيمة في عواطف الرجال ؟  
وهل ترضى المرأة التي غرّها الفتاء أن تحرم ما  
يولده الإعجاب بها من غرور ؟ وهل تعد نفسك

تدفع عنها غطاءها كأنها ترحزح عنها حملاً ثقيلًا ،  
فانكشف صدرها ناهدًا بناصع يياضه أمام عيني  
واهترت مشاعري كلها لهذا المشهد فما عرفت  
أهو الحزن يستولى على ، أم الشهوة تتلاعب بدي  
وخطر لي نجاة خاطر ملأني ذعرًا فإذا بي  
أقول : « أواه ! أترك جميع هذا لسواي ؟ أموت  
وأزل إلى القبر فيقبي هذا الصدر بعدي بنفس  
هواء السماء ؟ أمن العدل أن تمتد يد غير يدي إلى  
هذه البشرة الشفافة الناعمة ، وأن تلتصق بغمها  
شفتان غير شفتي ؟ ويجول في قلبها غرام غير غرامي ؟  
أيقف قرب هذا السرير رجل سواي ؟

أنتكون برحبت سعيدة حية معبودة وأكون  
أنا في زاوية من القبر أكثر رماذا ؟  
أية مدة من الزمان تحتاجها للنسيان إذا مت  
غداً ؟ وأي مقدار من الدموع ستندرف على حجر  
قبري ؟

من يدرى ؟ لعلها لن تذرف قطرة واحدة من  
جفونها على ، ولن يقترب منها صديق بل لن  
يقترب منها . أجد دون أن يقول لها إن موتى كان  
خيرًا لها من بقاء فيعزمها ويدعوها إلى الانقطاع  
عن ذكرى ؟ وإذا هي بكت يحولها الناس عن التفكير  
في ، وإذا استمر حتى حيا في قلبها بدي فان الناس  
سيمعلون على شفاؤها منه كأنه سم زاعف له تراقه  
وهي نفسها لعلها في اليوم الأول تصمم على  
الالحاق في ، ولكنها لا تلبث حتى تتحول بعد شهر  
عن طريق الدفن كيلا ترى حتى من بعيد أعصان  
الصفصاف الباكي التهدة على شاهد قبري

وهل لها أن تقمل غير ذلك وما كان الجمال  
الرائع إلا ساليًا عتيقاً ؟ وكيف تطلب الموت وهذان

يخرج من قبره ليذهب إلى بيت كاهن فيقرع بابه ،  
وقد مضى الوقت الذى كانت تترأى فيه أشباح  
الأموات للأحياء بعد أن حظرت الفرطة اقتحام  
الممور على الباقيين من معقل الموت فاهتف من  
قبور هذه الأيام إلا من سارع الناس إلى مواراته  
التراب قبل خلود أنفاسه . من أخرس الموت فى  
هذا الزمان إذا كان قد أسمع صوته من قبل ؟ فهل  
اختار الروح النطق السكوت كيدا لأن الحكومات  
تمنع المؤمنين من الاحتشاد على الطرق لإقامة شعائر  
الدين ؟

إن فى الموت النهاية والهدف . لقد وضع الله  
الموت حداً والبشر يتناقشون فى أمره وقد كتب  
على جبين كل منهم : إنك فريسة الموت ، شئت  
أم أبيت

وماذا يقول الناس إذا أنا قتلت بريجيت ؟ ليقولوا  
ما يشاءون فلن تسمع ولن أسمع أنا بما سيحدثون .  
ستنشر غداً إحدى الجرائد أن أوكثفت ... قتل  
خليتيه ، وبعد غد لن يتحدث بنا أحد ، ويرجع  
كل من شيع نمشنا إلى بيته ليتناول غداءه على عادته ،  
وأبقى أنا وبريجيت تحت أطباق الترى فى رقاد عميق  
لا تنهنا منه الأقدام السائرة فوق ترابنا

أفلا ترين أيها الحبيبة أننا سنرقد هنالك  
بسلام ؟ أفليس التراب خير فراش ومير تنوسده  
فلا تجتاحه الأوصاب والأوجاع ولن يقدم فى جواره  
من سكان القبور من يفتاننا مقبحا اتحادنا أمام الله .  
هنالك ستمعانق عظامنا وقد تعرت عن كل كبرياء  
واضطراب ، وما يعقده الموت المزى لا يُحل وما  
يجمعه لا يبدد

لسأذا ترتعش فرقا من العدم أيها الجسد العدم

من الأحياء إذا ضرب عليها الحجاب وساد حول  
جالها السكوت ، وما جالها فى عقيدتها سوى ما يلتمع  
من شهوة فى عين عاشقها وما يتدفق من ثناء على  
شفثيه

لا ... لا مجال للشك فى أن من أحب مرّة  
يتمنع عليه ألا يجب بعد . فمن يرى الموت يفزع منه  
إلى الحياة

إن بريجيت تهوأت وقد يقتلها هواها ولكنها  
ستندفع إلى صدر غيري إذا أنا انتحرت من أجلها .  
وأخفيت فوق السرير وأنا أردد كلة : غيري ...  
غيري ... حتى لاصق جبينى كنتها العارى

وقلت فى نفسى : أليست هي أرملة ؟ أفا مرّ الموت  
قربها من قبل ؟ أفا اعتنت يداها الصغيرتان بمريض  
وكفتنا جثة ميت ؟ وما تجهل دموعها الأولى للدة  
التي جفت بعدها ، والدموع الثانية ستجف بأسرع  
من الأولى

وقأتى الله استهواء الوسواس الخناس ! أفا  
بوسمي أن أفضى عليها وهي مستغرقة فى نومها ؟  
ولو أننى نهيتها من رقادها الآن لأقول لها إن  
ساعتها قد دنت وإننا سنطلق روحينا بآخر عناق  
وأخر قبلة ، فإنها لن تردد فى القبول . ولكن  
بعد ذلك ما يكون ، فأين الدليل على أن كل شئ  
لا ينتهى بالموت إلى الفناء ...

وكنت مشهرا يندى سكيناً عثرت عليه  
أهو الخوف أم ألجين أم التوهم الذى جرّ التفكير  
إلى الاعتقاد بالحياة الأخرى ؟ وما يعلم عنها من  
يقولون بها ؟ إن تلك الحياة قد أوجدت للجاهلين  
والتوغماء من الناس وما بلغ الاعتقاد بها فى أحد  
مبلغ اليقين إذا لم ير أحد من نواظير القبور ميتا

المرضعات من مجرمين ! فلماذا يعني عرف هؤلاء  
الآقين ؟ ومن من الأحياء يستفيد من الحساب  
الذي يؤديه الأموات ؟

إذا كان قد وجب على الإنسان أن يعاقب على حياته  
فقد كانت السماء ولا رب خالية خاوية ، أفا يكفي  
الإنسان شقاء أن يقضى عليه بالحياة ؟ ذلك ما قاله  
فولثير على سرير احتضاره ، ومن أولى منه بهذه  
الصرخة وهي أنين شيخ جاحد قطع من حياته كل  
رجاء ؟

لأية علة يقوم هذا المراك ؟ ومن هو يا ترى  
ذلك المسرّح أبعاره من العلياء في هذه المآسي ؟  
من هذا المشرف متسلّكاً على مشاهد هذه المخلوقات  
التي لا ينقطع توالدها ولا تنتهي مدتها ، فيأخذ له أن  
يرى الصروح تشيد ثم تنبت الأعشاب بين أطلالها ،  
وأن يرى الزارع يزرع ثم تنكسح العاصفات مازرع ،  
وأن يرى الأحياء يمضون ثم يصرخ بهم الموت :  
قفوا ... وأن يرى الدموع تسيل حيناً ثم تجف على  
مسالكها ، وأن يرى وجه الشبيبة متورداً بالحلب  
ثم يراه مجعداً بالهزم ؟

من هو هذا المتلهي بالنظر إلى الناس يمضون  
أمام السماء باسطين أكف ضراعتهم إليها فلا تريد  
السماء سنبلة واحدة على ما نبئت من السنايل في  
حقولهم ؟

من هو مبدع كل هذه الأشياء ليتمجد وحده  
بعله ؟ إن جميع ما صنع هباء هباء

إن الأرض سائرة إلى الفناء ، وقد قال هرشل إن  
حياتها ستنتهي بالصقيع ، فن هو يا ترى الرافع على  
يده هذه القطرة من البخار التجمد المحقق بها منتظراً  
احلالها وتطاول عناصرها كما يمدق الصياد بوشل من

ليكون فريسة له ؟ كل ساعة تمر من الزمان إنما هي  
خطوة من قدميك نحو الفناء تقطع بها حلقة من  
سلسلة حياتك . وما غذاؤك إلا من كل شيء ميت ؛  
فالساء تنقل عليك والأرض التي تطأها بقدميك  
تشد بهما لتجتذبك إليها . أنزل ... أنزل إلى الحفرة  
ودع عنك هذا الخوف ، لأنك لا ترتعش إلا للكلمة  
الموت فما عليك إلا أن تقول : إنني لن أحيأ بعد .  
وهل الحياة إلا وقر ينفس الإنسان عن كربه  
باطراحه ؟ ولماذا تقف تجاه الموت مترددين إذا كان  
قد تحم علينا الوصول إليه عاجلاً أو آجلاً ؟

إن المادة لا تقني وقد عاجل العلماء بكل ما لديهم  
من الوسائل ذرة منها فمجزوا عن إخراجها من  
حيز الوجود إلى العدم . فإذا كان لا مسيطر على  
المادة إلا تصاريف الصدفة العمياء فأى شر تركبه  
إذا هي انتقلت من عذاب إلى عذاب آخر ما دامت  
عاجزة عن استبدال سيدها المسيطر عليها ؟ وهل  
يهم الله للشكل الذي أبدو فيه وللثوب الذي تشحه  
أوجاعي ؟ إن عذابي مستقر في جمعتي وهذا العذاب  
إنما هو ملكي وأنا حر في القضاء عليه ؛ أما الأكرة  
العظيمة فليست لي ، فانا أعيدها إلى من أودعني  
إياها ، أعطي عنها للأرض فليتخذها شاعر كأسأ  
يحتسى فيها ثمرة جديدة

أية ملامة أستحق إذا أنا فلت ، ومن ذا الذي  
بوجه هذه الملامة لي ؟ وأى قاض صارم سيحكم  
بالخيانة علي ، وهو لا يعلم شيئاً من أمري لأنه لم  
يكن كائنًا في أحشائي ؟

إذا كان قد قضى على كل مخلوق بقسط من  
العمل لا بد له من القيام به ، وإذا كان التمرد على هذا  
العمل جريمة ، فبالأطفال الذين يموتون على أنفاس

لقد كتبنا وأملينا الشرائع الإلهية والانسانية ونحن نقف واجبين خائفين مما كتبنا يعيش واحدنا ثلاثين سنة صاراً على أوجاعه وهو يعتقد أن تجلده مقاومة وكفاح، في حين أنه لو أطلقت على هيكل تفكيره قبضة من البارود المشتمل لاستتبث على أحد القبور زهرة ناضرة . وكنت وأنا أنفوه بهذه الكلمات أصوب السكين إلى بريجت وأتني رأس النصل على صدرها، وبث فاقداً رشدى كالحوم ورفعت الغطاء لأهدى السكين إلى منبض قلب خليلتي . فإذا بصليب صغير من الأبوس يلتصق بسواده بين يديها ، وإذا بي أتراجع مذعوراً ، وقد تراخت أنامل عن مقبض السلاح فسقط من يدي

وكانت عمة بريجت هي التي أعطتها هذا الصليب في ساعة احتضارها ، وما كنت قد رأيتها على صدرها قبل هذه المرة ، ولعلها علقتها في عنقها عندما غرنا على السفر كتمويدة تقبها الأخطار . وشبكت كفاً بكف نجاة والتوت ركبتيها فإذا أنا راكع أهتف والارتعاش يهزني : أ كنت هنا ، يا سيدي ؟ أ كنت هنا وأنا لا أدري ؟

ليقرأ هذه الصفحة من لا يؤمنون بالسيد المسيح لقد كنت أنا أيضاً لا أؤمن ، فما كنت ارتدت المبادئ لا بأيام الطفولة ، ولا بأيام المدرسة ، ولا عندما أصبحت رجلاً ، فلم يكن لديني ، لو صح أن تدعى عقيدتي ديناً ، رموز ولا طقوس إذ لم أكن أعتقد إلا بالله لا وحى منه ولا طرق لعبادة ، لأنني تسمعت منذ صراحي بآداب العصر ، ووضعت من أئدائه ما درت على الناس من عقيم الإلحاد . فكانت الكبرياء البشرية إلهة الآناية تمنع في أن يتفوه

مياه البحر يتوقع تبخره ليظفر بالبحر من راسبه إن نظام التجاذب الذي يخلق العوالم في مدارها إنما هو دافعها إلى الفناء فارصاً من أحشائها بشهوة لا حد لها . فما من كوكب إلا ويجر شقوته دائراً بالأنين على محوره ، وكل العوالم تتنادى من أقصى الأفلاك إلى أقصاها مشتاقة إلى راحة السكون مغتشة عن أول كوكب يتوقف عن مسيره بينها . ولكن الله يمنعه أن تستقر فهي دائبة أبداً على عمل لا غاية فيه ولا نفع منه . إنها تدور وتدور ، تتألم وتحترق ، تنطفي وتشتعل ، تنحدر وترتفع تتلاصق وتتجانب ، وتشابك تشابك الحلقات حاملة على سطوحها آلافاً من المخالقات تتجدد بلا انقطاع وهذه الكائنات تضطرب وتتلاق فيلتصق بعضها ببعض برهة من الزمان ثم تسقط ليقوم غيرها بعدها ، فالحياة تندفع دائماً إلى حيث انعدمت الحياة كالهواء يهب أبداً إلى حيث فرغ الهواء ...

كل شيء يسير على ناموس مقرر في هذه الأفلاك فكل مسلك خط بأسطر من ذهب ومن نار ، وكل شيء ذاهب على نغمات الموسيقى السماوية وهو يتجه أبداً على صراط لا قبل له بالتحول عنه . وكل هذا ليس شيئاً ! وكل هذا هباء ! ...

ونحن ، نحن الأشباح النعسة التي لا اسم لها ، الأشباح الناحلة المثقلة بأوجاعها السائرة كالوهم في هذا الكون الفسيح ، وما نفخت فيها نسمة الحياة إلا لتلد الموت ، لأنفسنا نبذل الجهود لنثبت أن لنا مهمة كبرى ، وأن هنالك من يشعر بوجودنا فنتردد في إطلاق رصاصه على رأسنا كأننا إذا فعلنا وهزنا كتفتنا نأني أضراً قريباً ...

وكان موتنا سيخرج هذا الكون عن نظامه



للأضرار بأى مخلوق . وهأنذا أقسم بمسيحك نفسه  
إننى لن أقتلك ولن أتحرقها أنا إلا بمجنون . ما أنا  
إلا ولد حسب نفسه رجلا . أنت لا تزالين حية  
والحمد لله ، وسوف تستمينين بصباك وجمالك على  
نسيانى ، وإذا ما قدرت على منحي العفو لما أورتك  
من داء فإن عفوك نفسه شيفيك من دائك

نأى بأمن إلى الصباح باريجيت ، وغدا ستنطقين  
بمحكمك فأرْضِخْ لأى قرار تتخذين

وأنت أيها المسيح ، أنت يا من كنت لها منقذاً  
جُدْ لى بغفرانك ، ولا تقل لها ما رأيت : لقد ولدت  
في عصر ملحد جاحد فيا لشدة ما يحق على من  
التفكير أيها المُنْبَثِّق من روح الله . إن الناس قد  
نسوك فما علمنى أحد أن أحبك . إننى ما طلبتلك  
يوماً في المعابد ولكنى وجدتك الآن حيث لا أملك  
التفاوض عن رهيبتى وخشوعى . وقد ظفرت شفتائى  
ولو مرة قبل موتى بتقبيلك على صدر متلى بالآيمان  
بك . فليكن إيمانها حارساً لها وأنت يا سيدى أذكر

هذا البائس الذى لم يجسر على اقتحام الموت عند  
ما رآك مسمراً على صليبك . لقد أنقذتنى من الشر  
وأنا كافر ولو كنت مؤمناً لأنزلت على روحى الغزاء .  
اغفر لى جملونى ملحداً بعد أن جئت بالندامة على .

اغفر لجميع المجدفين لأنهم لم يروك في ساعة يأسهم  
إن السرات البشرية تقوم على السخرية ولا  
رحمة فيها ، والسعداء في هذه الحياة يظنون أنهم في  
غنى عنك أيها المسيح فإذا هم جدفوا عليك في  
كبرائهم فانهم سيقادون يوماً إلى معمودية الدموع .

أشفق عليهم لأنهم يرون أنفسهم في مأمن من  
عواصف الحياة ولأنهم يحتاجون إلى تأديب المصائب  
ليهرعوا إليك

بالصلاة فتندفع روحى في ارتياحها طالبة الغزاء في  
الكفر والوجود

وبت كالتامل قد أصاع رشده عند ما رأيت  
رمز المسيح على صدر باريجيت ، فتراجعت عنها  
مذعوراً لا لايمانى بل لعلى بأنها تؤمن به

وقفت يدى وما شئت لرهبة سنحت عينا ،  
كنت في الليل منفرداً وحدى ولا ترائى عين إنسان  
فما كانت معتقدات الناس لتتال من روحى ، وكنت  
أملك تحويل عبنى عن هذه القطعة الخشبية بل أملك  
القبض عليها وإلقاءها في الرماد ، ولكننى بدل  
طرحها هي طرحت سلامى

إن ما شعرت به في تلك اللحظة نفذ إلى أعماق  
روحى ولما يزل مستقر حتى اليوم فيها

ما أشقى الناس الذين يهزأون بما يمكنه أن ينقذ  
حياة إنسان ، وما بهم الاسم والشكل والايان .  
أفليس كل ما هو صالح مقدساً ؟ فبأية حق يتناول  
المخلوق على خالقه ؟

وشعرت في داخلى يئيبوع يتدفق من ذرى  
تفكيرى كالجداول النسرية من دويان الثلوج على  
القفم وقد لجتها عين الشمس للنيرة المحرقة ، وارتفع  
الندم من عذابى ارتفاع البخور من مجامره

لقد كنت على وشك ارتكاب جريمة ، ولكننى  
ما رأيت آله الاجرام تسقط من يدى حتى شعرت  
ببراءة نفسى ، فقد كنت لحظة لأستعيد السكون  
والقوة والهدى ، فتقدمت إلى السرير وأمخنت على  
ضم خيلتى مقبلاً صليها على صدرها قائلاً لها :

— نأى بسلام فان عين الله ساهرة عليك .  
لقد مررت بك أعظم خطر وأنت تبسمين في أحلامك  
ولكن اليد التى هدوت حياتك لن تمتد يوماً

### الفصل السابع

وفي اليوم التالي عند الظهر كان شاب وامرأة يخترقان حديقة « القصر الملكي » وذراعاهما مشتبكان تحت أشعة الشمس ؛ دخلا مخزن سائح واختارا خاتمين متشابهين فقدم كل منهما خاتماً إلى الآخر وهما يتسلمان . وسارا في زهرة قصيرة ثم دخلا مطعم « بروفينسو » وصعدا إلى إحدى غرفه المظلة على أجل مناظر الدنيا ، وهناك انفردا بعد انسحاب الخادم وتقدما إلى النافذة يسرحان النظر ويد كل منهما تربت على يد رفيقه

وكان الشاب مرتدياً أثواب السفر وقد طفح وجهه بشراً كمرس برى عروسه لأول مرة مباهج باريس . وكان مرشح هذا الشاب حيوراً هادئاً يرم عن سعادة لا اضطراب فيها ، ولو أن رجلاً مرمت به تجارب الحياة نظر إلى هذا الشاب لتيب فيه طفولة تستحيل إلى رجولة ، وعزماً تستقيح الماطفة من التفكير

وكان هذا الشاب يتطلع إلى السماء ثم يتأمل ملامح رفيقته فتتحدر من أجفانه دموع يتركها سائلة على خديته وقد أثارها ابتساماته

أما المرأة فكانت شاحبة وقد انطبعت على ملامحها آثار التفكير العميق وهي لا تحديق إلا في وجه رفيقها ، ولا تملك نفسها من مسaire مرحة ، غير أنها في الوقت نفسه لا تحاول إخفاء ما يطفو على وجهها من قرارة قلبها

وكانت إذا ابتسم رفيقها ابتسمت له ، فكانها في حبورها تسير مسائرة ولا تختار اختياراً ، فإذا ما تكلم تكلمت وإذا ما قدم لها طعاماً أكلت ،

ليست حكمتنا وشكوكنا إلا ألعيب أطفال في يدنا فأغفر لنا لأننا نتوهم أننا كافرون . اغفر لنا أيها المبتسم على جلجلة الغداء . إن أشد ما ينزل بنا من شقاء في حياتنا العابرة . كالظل لعنا هو محاولة غرورنا أن ينسلك وأنت تعلم وما تخفى خافية عليك أن هذا الفرور وهم تبدده نظرة منك . أفسا كنت رجلاً ؟ وهل رفعتك إلى مرتبة الألوهية غير الذئاب ؟ إن مرقاتك إلى السماء كانت آلة تعذيب رفعت منها فأحيا ذراعيك إلى أحضان مصدرك الأسنى . ونحن على مثالك يقتادنا الألم إليك كما اقتادك إلى أليك . إننا لا نتقدم للانحناء أمام رسمك إلا وعلى جباهنا أكاليل الشوك . ولا نلص رجلك الداميتين إلا بأيد دامية ، فإنك بعذاب الشهداء اكتسبت محبة البائسين !

ولاحت طلوع الفجر وبدأ كل شيء ينتبه مرسلأ في الأثير أصوات الحياة ، وشمعت بالعباء لشدة ما نالني فأردت الانسحاب من غرفة برجييت طلباً لبعض الراحة ، وبينما أنا متجه نحو الباب ارتعى على أحد المقاعد ثوب من أثوابها على الأرض فإذا بورقة مطوية تسقط منه . والتقطتها فإذا هي رسالة ممنونة بخط برجييت ولم تكن ملصقة ففتشتها وقرأت ما يأتي :

٢٥ ديسمبر

« عند ما تصل إليك رسالتي هذه أكون بعيدة عنك ، ولعلها لن تصل إليك أبداً . إن حظي مرتبط بحظ رجل ضيقت في سبيله كل شيء فهو لا يطيق الحياة بدوني . ولسوف أحاول أن أموت من أجله . إنني أحبك ، الوداع . أشفق علي »

وقليت الورقة فإذا عليها هذا العنوان :  
إلى هنري سميت في بلدة ن ... نافذة البريد

سنشقى كلانا . لك الزمان أنت وأنا لى الله  
— أوكتاف ... أوكتاف ... أنت واثق

من أنك لست على ضلال ؟

— لأعتقد بأن أحدا سيسلو الآخر ياربجيت ،  
ولكننى واثق من أن ليس لنا أن تبادل الغرفة  
الآن ، غير أن هذه الغرفة محتومة علينا حتى ولو قدر  
ألا نلتقى بعد

— ولماذا لن نلتقى يوما ؟ فأنت لم تزل فى  
ريمان الشباب

وأردفت بإبتسامة مرة :

— سنلتقى بمأمن من كل خطر لأول غرام  
يحتل قلبك بعد غرامى

— لا ، يا صديقتى . تبقى بأننى لن أراك دون  
أن يثور فى كمن غرامى . قدر الله أن يكون  
الرجل الذى اتخلى له عنك أهلاً لك . إن سميت  
فى صالح وطيب القلب . ولكن مهما بلغ حبك له  
فسوف لاتنقطع عن حبي . ولو أننى أفر الآن  
بقائك معى هنا أو اللحق بى لما كنت تترددى فى  
اتباع ما أريد

— ما أصدق ما تقول !

— أحيي هذا ؟ أتلحقين بى إذا أنا  
دعوتك ؟

ولكنه بعد أن هتف بهذه الكلمات من أعماق  
قلبه استطرد على مهل :

— من أجل هذه المطاوعة يجب ألا نلتقى أبداً .

إن من الحب فى هذه الحياة ما يبيلل الرأس والحس  
وما يزغزع العقل والقلب ، وليس غير نوع واحد  
من الحب يختفى فى الروح دون أن يكر صفوها  
لأنه ينشأ منها ولا يموت إلا بانطلاقها

ولكنها كانت تذهب فى نفسها من حين إلى حين  
كأنها فى غيبوبة عما حولها ، وكانت سكنت هذه  
المرأة وحركاتها كلها تنم عن استرخاء تستسلم فيه  
لرفيقها استسلام التابع الضيف يستمد حياته من  
متبوعه وقد أصبح خيالاً له وصدى لصوته . وما  
كان الشاب غدوعاً بحالة رفيقته بل كان ينفذ إلى  
سريرتها وفيه شئ من الغرور وكثير من الرضى فاذا  
هي تراخت وألصق تذكرها بعينها بالأرض هب  
يعالجها بقوة متكلفاً المرح لينقذها من ضعفها ؛ فقد  
كان بين هذين الرقيقين تمازج غريب من الفرح  
والحزن والاضطراب والسكون ، فاذا ما نظر  
إليهما متأمل خالهما تارة أسعد الناس وتارة أشق  
من فى الحياة ، وغاب عنه هذا السر يشد أحدهما  
إلى الآخر برابطة الأسمى عقدت على عاطفة أقوى  
من الحب ، وهل أقوى من الحب سوى عطف  
الصديق على الصديق ؟

وما كان يلوح فى عيونهما شئ من لمعات  
الشهوة ويد الواحد تشد على يد الآخر فكانا ولا  
ثالث بينهما يتجددان بصوت خافت فيستندان جبيناً  
إلى جبين كأنهما يتعاونان على التذكرات المرحقة  
دون أن تتجاذب الشفاء إلى قبيلات الغرام ، ودقت  
الساعة تؤذن بالأولى بعد الظهر وكل منهما محق  
فى عيني رفيقه يستنجد بهما ، فكانهما ضميئان يتلسان  
من الضعف خرجاً إلى الصلاح ، وتهتدت المرأة  
وقالت :

— لعلك مخطئ يا أوكتاف

فقال : لا . لست مخطئاً يا صديقتى ، تبقى بما  
أقول . إنك مقدمة على تحمل المذاب ولقد بطول  
صبرك عليه أما أنا فلا نهاية لذائى . ولكننا

هاتى يذك ودعى الناس بهزأون من كلمة أفولها  
 وهم لا يفهمونها  
 « لئبق صديقين ويستودع كل منا الله رفيق  
 إلى الأبد »

عند ما تعافقنا لأول مرة كان في كل منا ذات  
 خفية أدركت أننا سنتحد فلندع هذه الذات الخفية  
 وقد اتحدت مني ومنك أمام الله جاهلة افتراقنا على  
 الأرض، فلا تقوى ساعة خلاف نأفة من الزمان على  
 حل اتحادنا في السعادة التي لا تزول

وكان لم يزل قابضاً على يدها فنهضت وهي تشرق  
 بوجهها وتقدمت نحو المرأة بابتسامة غريبة وأخذت  
 مقرضها من حقيبتها وقطعت خصلة طويلة من  
 شعرها، ثم نظرت إلى وجهها ملياً بعد أن شوهته  
 بجرمانه قطعة من تاجه وتقدمت بهذه القطعة  
 إلى عاشقها

وضربت الساعة ثانية فخرجاً عائد من الحديقة  
 وعلى وجههما علامات الرضى التي كانت تلوح عليهما  
 وهما قادمان على طريقها

وقال الشاب — ما أجل هذه الشمس !  
 فقالت المرأة — إنه نهار جميل لن يمضى أثره  
 من هنا . وضربت بشدة على صدرها  
 وأسرها بالسير وتواريا بين الجموع

\*\*\*

وبعد ساعة صرت عربة على مرتفع وراء  
 حواجز فونتبلو وكان الشاب مستقلاً وحده هذه  
 العربة يلقى نظرة أخيرة على المدينة التي رأى فيها  
 النور وهو بوجه الشكر لله لأنه من ثلاثة ابتلام  
 العذاب بجرمته لم يبق إلا شق واحد

« انتهى الكتاب »  
 فيليكس فارس  
 (٨)

— وهل ستحرمي من مراسلتك يا أوكثاف ؟  
 — لا . سأكتب إليك مدة من الزمن لأن  
 ما سأواجهه من عذاب في بادئ الأمر سيقبطني  
 لاحالة إذا أنا حرمت . نفسي من كل تمزية . لقد  
 اقتربت منك على مهل وبكل حذر حتى عرفتني  
 وحتى ... لا ، لندع الماضي . وسوف تنقطع رسائلي  
 عنك رويداً رويداً وهكذا سأنحدر على مهل من  
 الدروة التي رقيتها منذ سنة ، ولقد يكون لهذه  
 الرحلة الحزينة روعتها

وإذا ما رجعت بالكرى إلى الأيام التي كنت  
 حياً فيها فلا تقف أمامها وقفة المتأمل في قبر عقدت  
 الخضرة والأزهار فوقه قباًبا تظلل اسمين لراحلين  
 عزيزين يرقدان فيه فأشعر بحزن مغمم بالأسرار  
 وأريق دمة الأمل حولة لا مرارة فيها

وارتمت المرأة عند سماعها هذه الكلمات على  
 مقعد ممولة باكية ؟ وبكى الشاب معها ولكنه بقي  
 دون حراك كأنه ينكر على نفسه لوعتها ، وعند  
 ما جفت مآقيه تقدم إلى صديقه وقبل أناملها على  
 مهل وقال :

— صدقيني أن من يشعر بحبك له مهما كانت  
 العاطفة التي تشملينه بها إنما يستمد من هذا الشعور  
 قوة وإقداماً . لا يداخلك ريب يا ربيحيت في هذه  
 الحقيقة وهي أنه لن يفهمك أحد كما فهمتك أنا .  
 ولعل سواي يبذل لك من الحب ما أنت أهل له ،  
 ولكن لن يصل أحد بحبه لك إلى الأعماق التي  
 أحبيتك منها . سيدارى سواي ما أهنت فيك من  
 الصفات فيحسوطك بفرامه ، ستجدين عاشقاً أفضل  
 مني ولكنك لن تجدى لك أحاً مثلي

والقوس المتيدة المتيدة ، ووقف فوق الصيد حتى لا يفر أحد من أعدائه فينجو من الموت الذي هو ملاقيه ، ثم نثر الكنانة عند قدميه وهنق بالشاق يقول : « وهكذا بإسادة تم فصول المأساة ، وهكذا أيضاً تنتهى المباراة التي لم يفر فيها واحد منكم ... والآن ... أنظروا ... إني لن أسدد سهامى إلى هذه الأهداف بعد ، بل إني مسدد إلى غرض آخر .. »

ومعد الور العرْد ، وأرسل إلى حلقوم أنطونيوس سهماً سرّاً شاكلاً مجل به إلى هيدز . وكان الملج يوشك أن يحدس كاساً ذهبية من أعنت الحجر ، فسقطت الكأس من يده الداهلة ، وسقط هو يتسحط في دمه ، ويلفظ أنفاسه . ودُعر الآخرون حيناً رأوا أخام يسقط إلى الأرض رمّة لا تأمة فيها ولا حراك ، وهاجوا وماجوا ، وهبوا يبحشون عن أسلحتهم ... ولكن هيهات ! لقد أخفاها أوديسيوس وولده ليلة أمس ... فأتى لهم بها !! وصاحوا بأوديسيوس : « أيها المجنون لقد أخطأت المرى ! ماذا أصابك ؟ إنك تسدد إلينا ؟ لقد قتلت أنبل شباب إيثاكا ، ثكلتلك أمك ! أبداً لن تحمل بعد هذه قوساً أبداً

واتكشف الستر ، وعاد إلى الشجاذ الفقير عتفوانه ، واتقدت من فمه الحُصم فقال : « أيها الكلاب ! قال <sup>(١)</sup> مازعمتم أن أوديسيوس لن يؤوب ! هاأنذا أيها العبيد ! لقد استبحتم حتى بقي وأفلتم قدسَه الحرام ، وأؤنضم في الفتنة فاعتدتم على نساءى ولم تبالوا أن تتمشقوا زوجى بينا رجلها حتى يسعى على قدميه ، غير عاشرين بمن يطعم عليكم في الساء وهو بكم محبط ، ولا مبالين بما تضح به الرفات الكريمة في ترى هذه الأرض من فعالكم ، فويل لكم قد جان حينكم »

(١) خاب



## الأقزيسية

لهيرودس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

### مقدمة الفصول السابقة

« لما وضعت حروب طروادة أوزارها عاد جميع أبطال الاغريق إلى أوطانهم مانعين أوديسيوس ملك إيثاكا فقد نسي أن يصحى للآلة قبل أن يبحر فأضله نيتون إله الجبار ووقف له بالرصاد وأغرق أساطيله وظل يترصده كلما بالعودة إلى وطنه حتى انتهى به المظاف إلى ملك الفياشين الذى أحبه وأكرم مثواه وأرسله على بعض سفنه إلى شاطئ إيثاكا — وبينما كانت أوديسيوس في تجوالاته كان أحراء الملكة قد يشوا من أوجه وعشقوا زوجته ، وطعموا أن تختار أحدهم زوجاً لها فكان أوديسيوس لفرط جمالها وباهر حسننها ولكنها شغلهم عن نفسها بحيل اخترعتها حتى عاد زوجها ولنى ولده تليك واتفقا على الانتقام من العشاق كما سياتى ... وكان أشد العشاق حياءً يبنلوب هما أنطونيوس ويوريكسوس من بلاء إيثاكا — وسيلقيان أول الناس مصرغهما ... »

### الانتقام الهائل ...

وأتى أوديسيوس أمهاله ، وأطرح يزرقة ، وبرز للبلأ أوديسيوس القوي الحديدى الجبار ، وتناول كنانة الأسهم التي تمهم فيها المنايا وتعمم ،

فصرعه ، وخر اللثيم بما لج سكرة الموت ، وانتشرت ضبابية الفناء الأبدى على وجهه المقبوح فأطبقت عينيه ... وهنا ... هاج الأمير أمفيونيوم وماج وهجم على أوديسيوس بسيفه الذي تقطر من حده النابا ... وكاد اللثيم ينال من خصمه متلألاً لولا أن قفز تلياك برمح العظيم فأغمدته في صدره ورده عن أبيه وعاد مكانه دون أن ينتزع الرمح مخافة أن يتكاثر عليه الأعداء ... وقال تلياك لأبيه : « أبتاه إنه يجب أن تستمد بسلاح أكثر ... وإني ذاهب فحضر ما نحتاج إليه وعاد بسرعة البرق » فقال أبوه وهو يتصيد القوم بسهامه : « هلم يا ولدى وهات ما استطعت ، فلشد ما أخشى أن تفرغ هذه السهام فلا أستطيع أن أدفعهم عن الباب ... » وانطلق تلياك إلى غرفة السلاح فأحضر ما مست الحاجة إليه من رماح وسيوف وخوذات ، وأدبر عما هو حسبه منها ، ثم لبس الراعيين الأمينين أساتين دلاصين<sup>(١)</sup> وزودهما بسيفين بشارين ، ووقف الثلاثة إلى جنب البطل العظيم يعمنون تكاثر المشاق عليه ، بينما هو يرسل سهامه فتخترقهم وتستأصل شأتهن واحداً فواحداً ، حتى إذا فرغت سهامه ، وقف الأبطال الثلاثة ينودون من دون الباب حتى لبس أوديسيوس دروعه ووضع على رأسه خوذته ، وأخذ رمحين عظيمين في كلتا يديه ، وعاد إلى كفاحه وكانت حمة في الجانب الآخر من البهو بوابة صغيرة لم يفتن المشاق إليها ، فأرسل أوديسيوس راعي الخنازير ليحرسها وليحول بين المشاق وبينها ... وضاعت الدنيا حتى غدت ككفة الحابل في أعين القوم ، ويجهمت لهم حتى غدت كالليل البهم ألقى غواشيه فوق رؤوسهم ، وناله بكسله على صدورهم ... فقال

(١) درعين سابطين

وارتمدت فرائص الكلاب كما دعاهم أوديسيوس وطارت حمرة الجحش من خدودهم ، ووقف يورماخوس متخاذلاً وهو يقول : « إن كنت حقاً ملكنا أوديسيوس فكنا نتنذر عما ارتكبناه من الإثم في بيتك . ولقد تكلمت فقلت الحق كل الحق ولكنك قد أردت أنفلونيوس الذي دعانا إلى كل ذلك والذي كان يطمح أن يتربع على عرشك ويملك كما ملكت ، فاعف عنا واصفح عن خطايانا ، فنحن بالرغم من كل ما حصل شعبك الأمين ورعاك الأوفياء الأتلياء ... على أننا سنموت كما استبحنا مآلاً بمال وعناداً بمتاد » فقال أوديسيوس : « يورماخوس أيها النذل ! إنكم مهما ملأتم يدي بالذهب فلن تشفوا حردى ولن تذهبوا غلي حتى أنتقم منكم جميعاً ما صدر عنكم من إفك وما ارتكبتم من أوزار ! فاختاروا لكم الحرب التي جدت بكم فجدوا بها ، والقتال الذي لا يحصى منه ولا يحيد عنه ، أو ... فالفرار الفرار ... ولن تجدوا إلى الفرار سبيلاً ... » وزلزل الجميع زلزلاً شديداً ، وجفت أنسجتهم في حلوقهم فاعرفوا ما ذا يحبرون ، ثم هتف فيهم يورماخوس فجاءه يقول : « أيها الإخوان لقد تحجر قلب هذا الرجل فلن يعرف سبيلاً إلى الرحمة ، وهذا قد قبض على القوس بكتلتا يديه ، ووقف فوق الوصيد ينودنا عن الباب ، ولن يفلت أحد منكم سهامه قط ، بل إنه سيقبضنا واحداً بعد واحد ... ولا أرى إلا أن نقرعوا إلى سيوفكم فتخترطوها ، وإلى المناضد فتدعروا بها ، ثم نهجم عليه كرجل واحد عسى أن نرحضه من الباب فننجوا بأنفسنا ونلوذ بالفرار فإذا بلغنا المدينة فأتنا سالون ! » ثم فرغ من صيحته واستل جرازه ، وهجم على أوديسيوس مرمداً مزججراً ، ولكن أوديسيوس أصابه بسهم في صدره

أنا وتلك لنزود دون الباب « وانطلق الراعيان فوقف كل منهما خلف مصراع من باب الغرفة حتى إذا برز ميلانتيوس أقضا عليه وكبلاه ودفعاه داخل الغرفة ، ثم ربطاه في عمود هناك ، وقال له يومايوس « إهنا يا صاح وارقد هنا إلى الصباح ، وأكبر ظني أن الشمس لا تشرق عليك إلا وروحك في عالم الظلال والأشباح ، فلا تراك قطمانك بعد اليوم » وأغلقا الباب وعادا أدراجهما إلى مولاهما وولده ، ووقف الأربعة يناضلون جحشاً بأكله . ثم بدت ميترفا الحكيمة في زي منظور وطيلسانه قعرهما أودسيوس وفرح بها قلبه ، وهتف بها قائلاً : « منظور أيها العزيز موعوتك وتأيدتك فتحن صديقان منذ القدم ! » وهتف العشاق ينادون : « احذر يا منظور وإلا تفتلي حثفك بعد أن ننظر بهذا الوغد . ولحظت ميترفا زعر أودسيوس مما رأى من تسليج القوم فقالت تؤنبه وتحته : ما هذا التقاعس عن الحيلة يا أودسيوس ؟ هل فقدت شجاعتك وعنفوانك ؟ إنك ما أحجمت مثل ما تهجم اليوم طوال عشر سنوات حاربتها في طروادة من أجل هيلين فهل يشق عليك أن تلقى هذه الحفنة من عشاق تلوپ في بيتك ، بل في عقر دارك ؟ هلم ! فب إلى جاني وانظر إذا كان منظور قد عني الصداقة القديمة ! »

وحاربت معه ساعة ، ولكنها تركته ليعمل للنصر بمفرده ، وانسحرت . فكانت عصفوراً من عصافير الجنة جعل يرف ويرف في سماء البهو ، حتى وقف على إحدى خشباته ... وفرح العشاق لما رأوا من مفارقة منظور ، وعادت إليهم بمض شجاعته لما رأوا المحاربين الأربعة يقفون وخدم في مدخل الباب الكبير ... وقال أحدهم مخاطب الآخرين :

قالهم : « ألا يستطيع أحد أن يرق من البوابة فيصيح بأهلنا ويستنجدنا ؟ »

فأبى له ميلانتيوس <sup>(١)</sup> يجيبه : « هذا عبث لن يكون وراءه طائل ، فإن رجلاً واحداً يستطيع أن يقفنا جميعاً لو فعلنا ، دون أن نباع الباب ... بل لدي فكرة ... إني أعرف أين خبا أودسيوس وابنه أسلحتنا ، وسأطلق فأحضر اسمك منها ما يقيكم منها ... » ثم تعلق بحبال مدلاة من كوة في السقف وتسلق عليها حتى نفذ ثمت ، وانطلق إلى غرفة السلاح فأحضر اثنتي عشرة درعاً ورمحاً كثيرة وخوذات وظل ياتي بها من الكوة فيلقاها رفاقه ويدعون بها ... ولو كان مع أودسيوس سهم واحد يرسله إلى هذا السالج قبل أن يعلق بالحبال لما استطاع أن يحضر هذه المدد . قال أودسيوس : « أي بني لقد خاننا أحد ودل القوم على غرفة السلاح فانظر كيف يتضاعف عناؤنا ويزيد بلاؤنا » فقال تلياك : « كلا يا أبته ، إنه لم يخننا أحد ، والذنب ذنب ، فقد تركت باب الغرفة دون أن أوصده ... يومايوس ! انطلق فخلق باب غرفة السلاح وأحضر مفتاحها ؛ وانظر هل خاننا أحد ، أو أن هذا من فعل ميلانتيوس كما أحس ! » وانطلق يومايوس فرأى ميلانتيوس ذاهباً إلى غرفة السلاح ليحضر مدداً آخر ورمحاً ، فقال الراعي : « هاهو ميلانتيوس الوغد منطلق إلى الغرفة كما حدس مولاي » وهتف بتلياك : « هاهو ذا ! هاهو ذا ! هل أحضره حياً لباتي جزاء أم أقتله حيث هو ؟ » فقال أودسيوس : « بل اذهب أنت وأخوك الراعي فشدوا ثيابهم احبسوا في الغرفة حتى ياتي جزاء ، وسأقي <sup>(٢)</sup> هو الراعي الخائن الذي أصبح ضامع مع العشاق ضد مولاهم أودسيوس

كان يبنى إذ أنا صبي في المهد ! » وكان النادى قد فزع مما رأى ، وخبا نفسه تحت مقعد كبير ، ثم طرح عليه جلد ثور ، فلما سمع تلياك يقول لأبيه هذا القول ، رز من مكانه ، وتعلق برجل تلياك ، وأنشأ يتوسل ويتضرع ، ويكي ويتصدع . فقال له أودسيوس : « لا تجزع أبها الرجل ، فلقد أتقذك ولدي كما أتقذ النشد ... اذهب فانتظرا في الرحبة ، فمعدى ما يشغلي عنكما الآن ... وانطلق الرجلان وهما لا يصدقان أنهما نجوا ، وجلسا عند المذبح ينتظران قتلتهما في كل لحظة ... ثم مضى أودسيوس يبحث في الهو وتحت المناضد عن يكون به رمق من الحياة فيجهز عليه ، بيد أنهم خروا جميعا مضرجين بدمائهم في التراب ، وقد تككبوا فوق بعضهم كالسمك فوق الساحل بقذف به الصائد في يوم صائف ... ثم قال لابنه أن يدعو الموضع المعجوز يوريكيا ، فأقبلت ورأت أودسيوس واقفا كاللارد بين القتل وقد لاطخت الدماء يديه ورجليه وصدره ، فكادت المرأة تبحن من الفرح لهذا النصر المبين الحاسم ، وأوشكت تصيح وترغرد ، لولا أن ردعها أودسيوس عن ذلك : « أيتها الموضع المعجوز اكتمى فرحتك ، فإنه ينبغي ألا تكون شاة فوق جثث القتلى ، وألا يكون صياح ، لأنها إرادة السماء وقد نفذت فيهم بما أمرت من قبل وكانوا من الفسدين ! » ثم أمر بالجثث أن تحمل خارج القصر ، وبالدماء أن تنسل ، فتم ذلك في أقصر وقت ، والثفت إلى الموضع يحدثها ويقول : « أرايت ؟ اذهبي الآن فأحضري نارا وكبريتا كيما نطهر الحجره ، ثم أخبري بنلوب أن تلقاني ههنا ! » . فقالت المعجوز « سمعا وطاعة لك يا بني ! سأفعل ما أمرت ، ولكنى سأحضر لك ثوبا تلبسه قبل كل شيء ،

» هلموا فليقذف ستة منا رماحهم قذفة واحدة إلى صدر أودسيوس ، فإنه إن سقط واسترحنا منه ، فإن تلقى عناء من الباقيين » ولما أحياه ، فقفوا برماحهم في صدر أودسيوس ، ولكن .. ههات .. إن واجدا منهم لم يصب غرضنا من الصدر العظيم ... وهنا ... هتف أودسيوس برفاقه ، فاقبض الأربعة على أربعة من المهاجرين فجعلوا في صدورهم رماحهم ، ورد الله كيدهم في نحورهم ، فقتل كل منهم ... وروى الآخرون فارتدوا على أعقابهم ، وارتدوا في الركن الشحيح من البهو ، وبهذا استطاع أودسيوس ورفاقه انتزاع الرماح من صدور القتولين ... ولم يهتم الراعيان بما أصابهما من جراح بالغة ، بل وقفا يناضلان وبفقدان سيديهما ... ولما رأت مبرقا ما باقى المحاربون الأربعة من تكاثر الأعداء ، رفت في الهواء ، ثم كشفت عن درعها الهائلة التي تجلب الموت على كل من يراها ، ووضعت خوذتها الرائعة ثم انبرت للقوم ، وهجم المحاربون الأربعة يطاردون الأعداء ، والأعداء يبحرون من ههنا إلى ههنا مذعورين ذاهلين مما رأوا من درع مبرقا ... وجعل أودسيوس ورفاقه يصطلمونهم أربعة بعد أربعة ... حتى لم يبق إلا النشد السكين فيميوس ، الذي قسره العشاق على الإنشاد لهم ، وتطريهم تطرياً لم يؤثره ، ولم يؤجر عليه ... لقد فزع النشد المسكين من هول المجزرة ... وانطرح تحت قدمي أودسيوس يقول : « مولاي ! أودسيوس العظيم ارحمني واعفني فقد قهرني القوم على ما رأيت ! اصفح عن النشد البائس الذى يدخل السرور على أثمة الآلهة ، ويذهب الحزن عن قلوب الناس ! » . وهتف تلياك بأبيه يقول : « اصفح عنه يا أبى ، فإنه لا تثريب عليه ولا لوم ... وهلم فنقد النادى إن كان ما يزال به رمق ، فلقد



تقول : « خبريني بالله عليك أيتها العززة .. خبريني بالله عليك ... إذا كانت ما تقولين حقاً فأني لأودسيوس أن يلقى وحده كل هؤلاء ؟ وأني لواحد أن يهزم فيلقاً من مائة أو يزيدون ؟ » فقالت الموضع : « لعمرك ما رأيت كيف حدث هذا الأمر ، ولكني سمعت بأذني هاتين أنين القتل ... لقد كنا جميعاً جالسات داخل الفصر ، وفرائصنا ترتعد من الفرق وكانت النوافذ كلها منكفة بأمر سيدي ، حتى أقبل عليك فدعانا إلى البهو ، حيث رأينا أودسيوس واقفاً بين الرم وهو الآن يطهر البهو من أدرانهم بالنار والكبريت ، والدفاً بتأجج بلقي كالبحيم ، ولقد أرسلني لأدعوك إليه حتى يفرح بك ويطمئن قلبك بعد طول المذاب » وكانت العجوز تشكلم وهي ما تنقطع عن الضحك والرح ، فقالت لها بنلوب : « أيتها الموضع العززة لا يقتلك الفرح والصخب .. تالله إنه لن يفرح بأودسيوس اليوم أحداً كما أفرح به أنا وولدي تلك ... هذا إن كان ما قلت حقاً ... على أنني لا أصدق ... لا جرم إنه لك كريم أقبل لينتقم لنا من هؤلاء العرايب جزء ما أنزلوا بنا من هوان فأبادهم جميعاً .. أما أودسيوس فلا ! لقد قضى أودسيوس ، وقضى إلى الأبد ! » فقالت يوريكيا : « أما ترأين غير مصدقة يا طفلي (١) . العززة ؟ ألا فاسمي ! هالك دليلاً آخر ؟ بينما كنت أغسل قديمي الرجل الفقير اللاجئ تحسست يداي ندوباً في ساقه ذكرتني بالندوب التي أحدثها الخنزير البري في ساق سيدي أودسيوس ، فلما كشفت عنها تبيتها ، وتأكدت أنه هو ، وأردت أن أصبح بك لأخبرك ، وأزف إليك البشرى . لكنه أطبق يده على فمي فلم أستطع أن أنبس ... تعالي ! هلممي معي الآن وانظري ببينيك لترى إن كنت كاذبة ، تعالي جمعت فداك ! » وانطلقا معاً ، وطافت الدكريات

فانه لا ينبغي أن تظل واقفاً هكذا في أسماك هذه « بيد أن أودسيوس أمرها أن تفعل ما أخبرها من فورها ، فاطلقت العجوز ، وعادت بالنار والكبريت وأخذ أودسيوس في تطهير البهو الكبير بنلوب ... وأخيراً ... بنلوب !

وهرولت الموضع العجوز فصعدت إلى الطابق العلوي ، حيث كانت سيدتها المحزونة تتقلب على فراش المغموم والأحزان فهتفت بها وهي تضحك ، وتكاد تبجن من الفرح : « هلمي يا بنيتي فاشهدي ببينيك كيف حققت الآلهة أحلامك واستجابت لصلواتك ... هلمي ... لقد عاد أودسيوس وبطن البطشة الكبرى بأعدائه فقتلهم عن بكرة أبيهم بعد ما كان من خباياهم وبعد ما استباحوا من حرمانه وما أراغوا من خيره وهزئوا بولده ... إنهضى !

ولم تصدقها بنلوب ، وقالت مستهزئة بها : « لشد ما عدوت طورك وغبت عن سوابك أيتها الموضع العززة حين توقظيني بمثل هذا العبث وذلك الحديث الملقق ! لقد حرمتني من غفوة يالها من غفوة لم تكسحل عيائي بأهدأ منها ولا أروح منذ أن فارقت أودسيوس إلى الأرض المشثومة ... تالله لو حصل مثل هذا بمن هن دونك سنأ ومنزلة من الخدم لكان لي معهن شأن آخر .... ولكن ... لا عليك يا يوريكيا ... » فتبسمت الموضع ثم قالت : « وى ! تالله إنه لاحق ، ولا مربة فيما أقول ... إنه هو الشحاذ الفقير الذي كلك ، والذي عبث به القوم وقد كان يعرف تلك كل ذلك ، ولكنه جعله سراً بينه وبين أبيه حتى يثار من الأمراء ويستأصل شأقهم ! » فوثبت بنلوب من سرورها مسبوبة ذاهلة ، وطوقت بذراعها عنق يوريكيا ، وأنشأت

الآمال الكواذب التي تجرعت غصصها مدى عشرين عاماً... «أما أوديسيوس فقد مضى فاستحم وتضمخ بأحسن الطيوب، وأضفى عليه من كل ساربرى وقوف موشى، ثم نزلت ميثرا ففخت فيه من روح الشباب، وسكنت في عروقه دماء الفتوة، ومسحت يديها الكريميتين على وجهه المجد ذى الأسار فأشرق وتألن، وهذلت شعره على كتفيه غداً فاجحة كقطع من الليل البهيم. ثم إنه انطلق إلى البهو فجلس لتقاء بنلوب وأنشأ يقول: «أيتها الزوجة المنجية! أما والله لقد ركب بين جنبيك الألهة قلباً ليس كقلوب النساء.. وأي امرأة تنبذ من زوجها مكاناً قصياً كما تنبذين يا بنلوب... بعد إذ عاد اليك من مجوال عشرين سنة كلهن قلائق وأهوال... يوريكليا! هلي فامهدي فراشاً بيديك الضيفتين، مادام الحديد البارد الذي خلق منه قلبها لا يلين! «ومع كل هذا فقد كان الريب يرن على فؤاد بنلوب، فقالت تحتبه: «مولاي! إني وأيم الحق لا منجبة ولا بي خيلاء، ولكني أذكر أحسن الذكر كيف كنت يوم همت بك سفينتك الجبارة إلى اليوم... يوريكليا! اذهبي أبثا الرضع فأحضري سرير زوجنا من الخدج، واجعل عليه الوسائد والحسانات ليستريح عليه مولاك كما أمرك.» وعجب أوديسيوس لما تكلمت به زوجته، فقال: «إنك يا زوجتي تمزقين نياط قلبي بما تقولين! أنى لأحد ما من العالمين أن يحرك سريري بله أن يحمله، إن لم تكن قد أطلعت على سره؟ لقد صنعت غدعى واتخذت سريري في جذع الزيتونة الهائلة... فهل ما يزال سريري في موضعه نمت، أم أن أحداً قد قطع الخدج المتيد واحتل السرير إلى مكان بريد؟» وهنا، مادت الدنيا برأس بنلوب، وتأكدت أن الرجل زوجها من

رأس بنلوب، ولم تدرك ما ذا عساها فاعلة إذا كان ما أنبأت به الرضع حقاً... فلما دخلتا البهو جلست بنلوب على مقعد كبير من المدفأ، ثم طفقت يحدق بعصرها في أوديسيوس، وكان جالساً وظهره إلى عمود من عماد البهو، وعيناه تبحثان في الأرض، وكأنه كان ينتظر أن تتكلم بنلوب قبل أن يفوه هو بكلمة... بيد أنها لم تنبس، بل كانت ذاهلة شاردة، تنظر إليه مرة فتوشك أن تعرف فيه بعلمها الحبيب، ولكنها كانت إذا نظرت مرفقه وخرقه، والأعمال التي لا تستر بعض جسمه الهائل عجبت، وتولاهما الدهش، وانمقد لسانها فما يكاد يبين وقال تلياً آخر الأمر: «أماه! لشد ما تحجر قلبك وغلظت كبديك! لم لا تبهضين فتعانقني أبي!! أمة زوجة تنحبس لسانها كما انحبس لسانك، فما تكلم زوجها الذي أب من سفر سنين كلها أشجان وكلها أحزان، وكلها آلام متصلة ومتاعب تنوء بحملها الجبال! «فقالت أمه تحببه: «تالله يا بني لقد ذهلت عن نفسي وإني لفي تيه فما أكاد أبين... ولكن إذا كان حقاً أوديسيوس، فإن لنا علامات هي سر ذات بيننا، ولا يعرفها أحد سوانا» فتيسم أوديسيوس وقال: «لا عليك يا بني! ادعها فستستبين حقيقي حين أخلع هذه الأسما» ثم اتجى وولده ناحية، وأسر إليه أنهما ينبغي أن يتهايا لما غسى أن يكون من تألب الاياكيين عليهما وشغفهما لما كان من قتل ساداتهم، وما يتوقع من قيامهم بثورة عامة لا تبقي ولا تذر للانتقام من القاتل... وذكر أوديسيوس أنهما يجب أن يقيا في البهو فيأخذا في مثل ما كان العشاق يأخذون فيه من قصف وعبث ومجانة... وحسب المارة أن بنلوب قد اختارت بعلمها من بين الأمراء... «فهي لم تعد تطلق الوحدة، ولا تحتمل التزل، ولا تقوى على حياة

يتربص بشئ من هم جديد ، فعلا ذكرت لي ماذا  
 زعم لك تيرزياس في العالم الآخر ؟ إلى مشوقة إلى  
 ما قال « فاذكره بحق الآلهة عليك » فأجاب أودسيوس  
 « عمرك الله لم تسألين عن أمر إن يُبدل لك  
 يسؤوك ؟ ولكن لا خير ... سأذكر لك ما تبتني به  
 تيرزياس » ثم وجم قليلا وقال : « لقد أشار أن  
 أن أحمل مجدافا عظيما على كاهلي ، ثم أنطلق مهاجرا  
 إلى عمالك نائية وأصقاع سحيقة ، حتى أكون في  
 قوم لم يسمعوها عن البحر قط ، ولم يروا في حياتهم  
 مجدافا ولا سارية ، فإذا لقيت أول من يسألني عما  
 أحمل ، وهل هو مذناة مما ينسف به القمع غرست  
 المجداف في الأرض ، ثم تقربت إلى إله البحار  
 نبتيون الجبارين بقرايين تمحونا بيني وبينه ، وتقدم  
 بيننا أواصر السلام والوئام ، كما تقربني إلى أعوانه  
 الآخرين من آلهة الماء ، فإذا فعلت استرحمت من  
 لأواء الحياة ، وجتبتني أرزأوها ، وعدت إلى شبي  
 وإليك ، وإلى ولدي وقصري فمشت بيتكم بسلام ،  
 حتى يأتيك الموت هادم اللذات من أعماق البحر ،  
 ولكنه سيكون موتا طيبا لا خوفا ولا مرهوبا ،  
 بل سكرة بين أمانة ونعاس . بعد إذ الجسم موهون ،  
 والقلب فارغ ، والرأس مشتمل والروح سالية قالية . »  
 وهكذا ظل الجيبان المشوقان يتحدنان قطعا  
 من الليل ، بينما كانت المرضع وخادمة أخرى تمهدان  
 الفراش على ضوء المشال ... ثم أقيمت الوصفة  
 فذهبت تمشي بين أيديهما إلى المذبح ، وفي يديهما  
 الشعلة المقدسة يفيض نوراً ولألاء كما أفاض منذ  
 عشرين سنة ... ولهما ظلام الليل ، وستر الهوى ،  
 وسكن البهو بعد ما ضج بالزفر والقصف ، وهذا  
 القصر في سدول السعادة

( الفصل الأخير في المدد القليل ) دريني غشبية

غير شك ، تخفق قلبها خفقانا شديداً ، وانطلقت  
 تعدو نحوه ، ثم طوقت عنقه بذراعها ، وراحت  
 تبكي وتنتحب ، وتقول له : « لانتقم علي إذن  
 يا أودسيوس ، ولا يجوز لك أني لم أعرفك منذ  
 أول نظرة ... أواه أيها العزيز ! لقد قضت الآلهة  
 أن نفترق وتمنب كل هذه السنين وما كان من  
 شك في هو أثر من احترامى خشية أن يخدعني  
 أحد فيدعي أنه أنت ، ويزخرق علي ويهرج  
 حتى ينالني بالخداع والخب ... ولكن ما دمت قد  
 ذكرت لي سر الخدع والسرير والزيوت ، وهو ما  
 لا يعلمه أحد غيري وغيرك وغير يوريكيا ، فالآن  
 فاهنا ، ولأهنا أنا ، وليعلمن قلبي ... قلبي الوفي  
 الذي أردت إليك كآخر عهدك به ، لا ينطوي إلا  
 على حبك ، ولا يضم غير الوفاء لك .. » وعاقها  
 أودسيوس ... وضم إلى صدره صدرها ... والتف  
 حول عنقه ذراعاها البضتان البيضاءون - وجد  
 عاجهما الناعم الأملس حول كاهله ، ووقف أودسيوس  
 على شاطئ البحر كأي قف السباح التعب النهوك  
 على شاطئ البحر وقد بلغه بعد جهد ، فأعضاه مترخية  
 وأعصابه موهونة ، وقلبه خفق ، وروحه نشوى ،  
 وذراعا مع ذاك معلقتان بالشاطئ وقد سمرت فيه ...  
 وقال بعد لأي : « والله يا زوجتي العزيزة إنا ما بلطنا  
 بعد نهاية أشجاننا وأحزاننا ، وإن أماننا لا مدا  
 بعيداً وهو ما أحر تبتنا لي عنها الكاهن تيرزياس  
 حين رحلت إليه في هينز ، وإن لا أدري ماذا يكون  
 من أمري ... ولكن ... لا ... لننطلق الآن إلى  
 مخدعنا العزيز الطاهر فإن في حاجة إلى الراحة  
 والاستجمام ... وإن في أشوقاً مبرحاً وزوعاً شديداً  
 إليك » . فقالت بثلوب : « المذبح الطاهر التي معد  
 في أيما لحظة أردت يا أودسيوس العزيز ... بيد أنك  
 أثرت شجني وقزعت شجوي بما ذكرت عما





# الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

مجلة الآداب الرفيعة والثقافة العالية

تصل الماضي بالحاضر وتربط الشرق بالغرب

على مدى وبصيرة

الرسالة : تعبر باخلاص عن روح النهضة المصرية

الرسالة : تجمع على وحدة الثقافة أبناء البلاد العربية

الرسالة : تصور مظاهر العبقريّة للامة العربية

الرسالة : تسجل ظواهر التجديد في الآداب العربية

الرسالة : تحيي في النشء أساليب البلاغة العربية

مجموعة أعدادها ديوان العرب المشترك ، وكتاب الشرق

الجديد ، وسجل الآداب الحديث ، ودائرة معارف عامة

الاشتراك الداخلي سنون قوشاً ، والخارجي ما يساوي جنهاً مصرياً ، والبلاد العربية بخمسة ٢٠ ٪



صاحب المجلة ومديرها  
ورئيس تحريرها المسئول  
أحمد حسن الزيات

برل انشراك عن سنه  
٣٠ في مصر والسودان  
٥٠ في الممالك الأخرى  
١ عن العدد الواحد

إدارة

شارع عبد العزيز رقم ٣٦  
العتبة الخضراء - القاهرة  
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

# المروية

مجلة أسبوعية للقصص والنايخ

نصدر مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصف

السنة الأولى

١٥ يناير سنة ١٩٣٨

العدد ٢٤

من إحسن القصص



## فهرس العدد

صفحة	
١٤٨٢	التجوم ... ..
١٤٨٦	الشمرة بعد الثمانين ... ..
١٤٨٨	١٩ مارس ... ..
١٥٠١	هبة الموت ... ..
١٥٠٤	العلم ... ..
١٥١٠	عروس البحر ... ..
١٥١٣	الأم التوحشة ... ..
١٥١٩	الدهر العلم ... ..
١٥١٩	لينوتسكا ... ..
١٥٣٦	الأوفيسة ... ..
١٥٤٢	فهرس المجلد الأول من الرواية ... ..
	للقصصى الفرنسى ألفونس دوديه ... ..
	مترجمة عن الانجليزية ... ..
	للقصصى بوريس فيليوف ... ..
	للكاتب الفرنسى أناتول فرانس ... ..
	للكاتبة الانجليزية لوز هيلجرز ... ..
	للشاعر الهندى رايندانات طاغور ... ..
	للقصصى الفرنسى دى موباسان ... ..
	أقصوصة مصرية ... ..
	للقصصى الروسى اسكندر كوبرين ... ..
	هو ميروس ... ..
	بقلم أحمد حسن الزيات ... ..
	بقلم الأستاذ عبد الشفيق النشار ... ..
	بقلم الأستاذ محمد لطفي جمعة ... ..
	بقلم السيد محمد الزاوى ... ..
	بقلم الأديب جورج سلسي ... ..
	بقلم السيد فخرى شهاب السعيدى ... ..
	بقلم الأديب كمال الحريرى ... ..
	بقلم الأديب نجيب محفوظ ... ..
	بقلم شكرى عماد عباد ... ..
	بقلم الأستاذ دريى خفيا ... ..



أو إليها أن يقص على  
أبناء الناس في السهل  
من حفلات التعميد  
ومهرجانات الزواج ؛  
ولكن الشيء الذي  
كان يثير شوقي  
ويستبد بهوائي ، هو  
أن ينمطف الحديث  
ويستفيض إلى حال  
ابنة سيدى الآنسة  
اسطيفانيت وهى أجمل

فتاة في الفراسخ العشرة التي تحيط بهذه البقعة  
كنت أسأل وأنا أخفى مظاهر الاهتمام : هل  
تذهب غالباً إلى الحفلات والأهشاء ، وهل يتقدم  
إليها كثير من الشباب الظرفاء ؟ ولئن سألتني سائل  
ماذا تتردُّ عليك هذه الأبناء وأنت الراعي الفقير الحقيير  
لأقولن له إنني كنت قد بلغت سن العشرين وكانت  
هذه الآنسة هي كل ما رأيت وعلمت في حياتي من  
الجمال والحسن

وفي ذات أحد من الآحاد كنت أنتظر زاد  
الأسبوعين فلم يصل في موعده . فحملت تأخره في الصباح  
على حفلة القداس ؛ ولما متع النهار وثارت العاصفة  
عزوته إلى أن البقل لم يستطع السير لرداءة  
الجو ووحل الطريق . ثم اقتربت الساعة الثالثة  
فصحَّت السماء ، والنعم الجبل بالشمس والماء ،  
فسمعت من خلال رديف<sup>(١)</sup> الأشجار وخزير  
الجداول صوت الجلالجل في عنق البقل ، وهو في  
بهجة جرسه وحدة رنينه أشبه بإيقاع الأجراس  
(١) ريف الفجر : تقاطر من أوراقه الندى أو الماء

# النجم

قصة رابع من رعاة الغنم  
للقصصى الفرنسى ألفونس دوديه  
بقلم أحمد حسن الزيات

كنت وأنا أرمي النجم على شعاف اللورون  
أفنى الأسابيع الطوال لا أسمع صوتاً يهتف ولا  
أرى قدماً تسي . فأتا وحدي أعيش في المرعى  
الفقر لا أجد بجانبى غير كلبى ، ولا أنظر أمامى  
غير قطيعي ، اللهم إلا ناسك ( مندور ) فقد كان يمر  
من حين إلى حين بهذا المكان وهو يبحث عن  
الأعشاب الطبية في الجبل ، وإلا بعض الفحامين  
من أهل ( ييمون ) ألح وجوههم السود وهم  
يمرون من بعيد ؛ ولكن هؤلاء الناس قد فقدوا  
الرغبة في الكلام لطول العزلة فأصيبوا بداء الصمت ،  
وجهلوا تصاريف العيش وأقاويل الناس في القرى  
والمدن فنلت عليهم السذاجة .

كذلك كنت أسمع في كل أسبوعين جلالجل  
بفلنا وهو يصعد في حدود الجبل حاملاً إلى زاد  
نصف الشهر ، فأنظر إليه وهو يلوح من فوق  
المنحدر هيناً فشيئاً وقد تنأ على ظهره رأس  
فلاح المزرعة الشاب ، أو قناع الصمة ( نوراد )  
الشيخة . حقاً لقد كنت سعيماً ؛ كنت أطلب إليه

توبها الأنيق قليلاً مخافة أن يبتل ، ودخلت الحظيرة تريد أن ترى الركن الذي أمام فيه ، ومنذود القش الذي أرقد عليه ، ومعطى الملقى على الحائط ، ثم عصا وزنادي الموضوعين على الأرض ، فوجدت في كل أولئك شيئاً للو وسبيلاً إلى الفرجة .

قالت الأنسة الجميلة : إذن أنت تعيش هنا ياراعى المسكين ! لا ريب أنك تضجر من المقام لطول الوحدة وضيق العزلة . قل لي ماذا تصنع وفيه تفكر ؟ فقام بنفسى أن أجيبها : « فيك يا صيدنى » وما كنت أكذب بهذا الجواب على نفسى ، ولكننى كنت من اضطراب النفس بحيث لا أجد كلمة تقال ولا جواباً يُبنى .

وأعتقد أنها لاحظت على ذلك الاضطراب ، فوجدت الخبيثة سرور قلبها في أن تضاعف ريكنى بأستلها الماشية : قالت :

— وصديقتك الطيبة ياراعى ؟ أما تصعد الجبل لتراك من حين إلى حين ؟ لا بد أن تكون هى المرة الذهبية أو الجهورية ( إستيريل ) التى لا ترفض إلا على ردوس الجبال .

كانت اصطفايت نفسها وهى تتحدث إلى أشبه الناس بالجورية إستيريل في حال تحككها ورأيتها مائل إلى الخلف ، وسرعة عودتها سرعة جملة ظهورها أشبه بالزوايا .

— استودعك الله ياراعى !

— وأنت في أمان الله يا سيدنى .

ثم ألفت على البقل سلالها الفارغة وانصرفت . فلما غيبتها الطريق المنحدر كان يميل إلى أن الحصى الذي كان يطاير من حوافر البقل يقع على قوادى خصاة خصاة ؛ وقد بقى وقعه في أذنى طويلاً ، طويلاً . وظللت بقية النهار كالوستان

في عيد الفصح . ولكن الذى كان يقوده في هذه المرة لم يكن فلاح الزرعة ولا العمة نوراد ؛ إنما كان ... إحزرٌ من ؟ كان الذى يقوده آنستنا بنفسها ... آنستنا بشخصها ... استوت على صهوته في اعتدال بين جنيتيه <sup>(١)</sup> وقد تورد خداهما من هواء الجبل وطراءة الجو بعد العاصفة

وقفت اصطفايت الجميلة مطيبتها على باب الحظيرة ، ثم قالت وهى تترجل : إن الفتى مريض ، والعمة نوراد في عطلة عند أولادها ؛ وإن الذى عوقها هو ضلالها في شباب الطريق .

ولكن الذى يراها في زينة يوم الأحد بشریطها المكمل بالزهر ، ونطاقها المضمخ بالمطر ، وفستانها المحمل بالخزرم ، يظنها لجال هندامها وحسن شارتها قد أضعفت وقها في مراقبة الرجال ، لا في تفس طريقها بين الأدغال

يا للمخلوقة الظرفية ! إن عيني كانتا تحملقان إليها في غير فتور ولا ملل . كانت هذه هى المرة الأولى التى أرى فيها اصطفايت من قرب . فإنا كنت أراها إلا في الشتاء حيناً اهبط السهل بالقطمان ، وأرجع إلى الضبعة في الساء لتناول العشاء : كنت أراها أحياناً تجتاز الدوحة في خفة الفزالة لا تموج على شيء ولا تتحدث إلى خادم . وكانت دائماً على أتم ما تكون الفتاة من الزينة ، وعلى أقل ما تظهر الجميلة من الزهو . أما الآن فعلى وى وأما على ولا على ؛ أرو إليها بجامع عيني ، ولا يحول شيء بينها وبينى ؛ أليس ذلك مما يزهف الفؤاد ويذهب الوعى ؟ أخرجت اصطفايت الزاد من السلتين ثم أخذت تنظر إلى ما حولها نظرة استطلاع وشوق ؛ ثم ثمرت

(١) جنبتا البعير والبغل ما يحمل على جنبيه

على أن الليل كان قد غشى الأرض ، فلم يبق إلا غبار من الشمس على شفاف الجبل ، أو بخار من الضوء على حوائى المغرب ؛ فطلبت إلى الأنسة أن تدخل الحظيرة لتسترخ وتغفو ، وبسطت لها فروة جديدة من جلود الخراف على فراش من القش الطرى الوثير ، ثم تمنيت لها ليلة سعيدة ونومة هنيئة ، وخرجت تجلس أمام الباب .

شهد الله أننى على الرغم من نار الحب التي كانت تحرق دى وتلذع شغاف قلبى لم يرد على فكرى خاطر سوء ، ولم تقم بنفسى رغبة منكرة . اللهم لا شيء إلا نخوة شديدة فيها الكبروفها الفخر ، لأن فى زاوية من زوايا الحظيرة ، وعلى مقربة من التقطيع المستطع ، ترقد ابنة سيدى فى زعابى وحمايى ، كأنها نفضة لم يخلق الله فى قطان الأرض أعلى منها قيمة ولا أنصع منها بشرة !

أبدأ لم أراى النساء فى مثل هذا العمق ، ولم أشاهد النجوم على مثل هذا الهاء . كل شيء فى الكون مما حوالى قد تغير فى نفسى وفى عيني هذه الليلة !

كان بصرى يجول فى رقيق الجلد ، وفكرى يسبح فى أجواء الخيال ، وإذا باب الحظيرة يفتح ، والأنسة الجيلة تخرج ! نيا بها الفراش فلم تكتحل عينها بنوم ! لأن النعم كانت تحدث فى القش خشخشة وهى تتحرك ، أو تردد الفناء وهى تحلم ، فامتنع عليها الرقاد فأترت أن تكون بجانب النار . فلما رأيت ذلك منها طرحت على كتفها فروق ثم أرثت النار وهيجت اللهب وجلسنا نصلبها جنباً إلى جنب ، لأنبس بكلمة ولا نهم بمحدث

\*\*\*

لو كنت قصيت كيلة العراء تحت النجوم لعرفت

لا أجزو على الحركة مخافة أن يقيد هذا الحلم .

فلما تصيفت الشمس للغروب ، وأخذت بطون الأودية ترزق لدنو النساء ، والأغنام الثاغية يتضام بعضها إلى بعض لتدخل الحظيرة ، سمعت صوتاً يهتف بي من المنحدر ، ورأيت فتاتاً ترجع لامتلهة ولا متدلة كما كان يظهر عليها منذ هنيهة ، ولكنها كانت ترجف من الخوف وترتمش من الليل .

والظاهر أنها حين بلغت أسفل الجبل رأت نهير (السرج) قد طافا وفاض بعد المطر ، فأرادت أن تناسر فى عبوره فأشفت بها الناصرة على الفرق .

وأفزع ما فى الأمر أنها فى هذه الساعة من الليل لا تستطيع أن تفكر فى المودة إلى الضيعة ، لأنها وحدها لا تبين معالم الطريق ولا تأمن عوارضه ، وأنا لا أستطيع أن أترك التقطيع لأبلغ بها موضع الأمن . والتفكير فى أنها تقضى ليلتها على الجبل فى هذا المكان يمحض قلبها بالهم ويقض جنبها بالقلق ، لأن أهلها على الأخص سيبيتون من الاشفاق والخوف على غير قرار ولا سكينه . فسكنت روعها وأزلت خوفها وقت لها :

لا بأس عليك ! إن ليالى بوليصار ياسيدتى ؛ وليس فى الأمر على سؤته ما تخشى عواقبه ، والهم ساعة ثم ينقضى !

ثم أسرع فأوقدت النار بالحطب الجوز لتجفف عليها قدميها ونوبها ، فقد كان لا يزال ريف من ماء الهر ؛ ثم وضعت بين يديها شيئاً من اللبن والجبن وعزمت عليها أن تأكل . ولكن الصغيرة المسكينه ما كانت تفكر فى طعام ولا دواء . وغلبها الأمر على الزمام فاستكانت للبره ؛ وهاج ذلك من نفسى فدمعت عيناي أنا أيضاً

\*\*\*

كأنها رابع سماوى صغير؛ ثم قالت في لهجة الإعجاب والعجب:

ما أكثر النجوم وما أجملها ! أبداً ما رأيتهما على هذه الكثرة وفي هذا الجمال ! هل تعرف أسماها أيها الراعى ؟

أجل يا سيدتى. أنظري ! إن فوقنا تماماً « طريق القديس جاك » ( برید المجرة ) إنه يسير من فرنسا قُدماً إلى إسبانيا . خطه القديس جاك دى غاليسيا للبطل شرلمان ليدله به على الطريق الواضح في حروبه الشمواء مع الغرب . وعلى بعد منه ترين « مركبة الأرواح » ( الدب الأكبر ) بجوارها الأربعة المشرقة . فالنجوم الثلاث اللاتي يسرن في المقدمة هن الخيول، وهذه النجمة الصغيرة التي تزينها بقلعة النجمة الثالثة هى الناقص . أترين ذلك الوابل من النجوم الذى يتساقط من حولها ؟ تلك هى الأرواح التي لا يريدنا الله في ملكوته

وأدنى من ذلك قليلاً تبصرين « مشط البستاني » أو الملوك الثلاثة ( الجوزاء ) ! تلك ساعتنا معشر الرعاة نُوقِت بها حركات الفلك ؛ فما هو إلا أن أنظر إليها كما أنظر الآن حتى أعرف أن الليل قد انتصف، وأن نصفه الأول قد مضى . وأدنى من ذلك قليلاً نحو الجنوب يلعب « جان دى ميلان » وهو شعلة الأجرام الفلكية ( الأبرق )<sup>(١)</sup> . وإليك ما زعمه الرعاة عن هذا النجم : يزعمون أن « جان دى ميلان » هو « الملوك الثلاثة » و « قصص الفرائج » ( الثريا ) كانوا مدعويين ذات ليلة إلى مُعرّس نجمة من النجوم الصديقة . وكان « قصص الفرائج » مُعْجَلاً فسار أول المدعويين واتخذ الطريق الأعلى . أنظري هناك تجديده في أقصى السماء . وقطع « الملوك الثلاثة » الطريق من أسفل

(١) من نجوم الشعرى الثمانية .

أن عالماً خفياً يستيقظ في الوحدة والسكون حين يرقد الناس وتسكن الجوارح . حينئذ ترسل الينابيع شدوها الواضح ، وتشعل القدران لها بها الصغيرة ، وتذهب الأرواح وتجنّى حررة طليقة ، وتشعر أن في الهواء خفياً لا يكاد يُحس ، وسجراً لا يكاد يُدرك، فيخيل إليك أنك تسمع الفصون تنمو والأعشاب تنبت

إن النهار . معاش كل حي ؛ أما الليل فماش كل شيء . ومن لم يتعود هذه الظواهر أحس لها رهبة وأوجس منها خيفة . لذلك كانت فتاتنا ترتد من الخوف ، وتبيل على وتلتصق بي كلما طار إلى أذنيها صوت أو حركة . وعلى حين بنته ارفع إلى أسماعنا من التذير البراق صوت طويل شجي متموج ، وفي اللحظة نفسها أنساب في أجواز الفضاء نجمة جميلة فسامنت رأسيها ، ثم هوت في اتجاه الصوت كأنما كانت هذه الأنة التي سمعناها تحمل معها هذا الضوء الذي رأيته

فسألت اصطفايت في صوت خافت :  
— ما هذا ؟

فأجبته : هذه روح تدخل الجنة يا سيدتى . ثم رسمت يدي على صدرى علامة الصليب فضلّبت هى أيضاً ، ومكثت به صرّفة الرأس مشدوّهة الفكر متزايلة الشاعر ثم قالت :  
أحق أنك يا معشر الرعاة سحرة ؟  
فقلت لها : كلا يا آنستى ؛ ولكننا في الجبل نعيش على مقربة من الكواكب ، فنحن نعلم من أمرها وسرها مالا يعلمه سكان السهول وكانت لا تزال تنظر في النجوم وقد اعتمد رأسها على كفها واتشحت بجلد الخروف فبدت

## الشهرة بعد الثمانين

مترجمه عن الإنجليزية

للاستاذ عبد اللطيف النشار

لم يقولوا للستر « إيدي وارن » إنه في اليوم الذي يبلغ فيه عامه الثاني والثمانين سبى آماله في الحياة وقد تحققت كلها : تلك الآمال التي قضى العمر في النزوع إليها . ولكنهم أخبروه بأنه في ذلك اليوم سينال نعمة يكون لها أثر حسن في بقية حياته وكان « إيدي » منذ السادسة عشرة من عمره موسيقياً يشتغل في المسرح ، لكنه لم يكن قط نابغاً في مهنته . ولم يهتم أحد قط من أصحابه على كثرة عددهم بأنه من المبشرين . فقد كانت شخصيته عادية لا مزية لها سوى شدة ما بها من النعوض لكنه كان يحب المسرح من كل قلبه ، وكان يعتقد أنه طيب القلب . وكان لذلك يشق بنفسه ثقة عظيمة . ويرى أن هذه الثقة هي السبب في أحتماله خرفته كل هذه المدة الطويلة دون أن يصادف منها نجاحاً ودون أن يطمح في بلوغ غاية

وكان « إيدي وارن » رجلاً متواضعاً ، ولولا اعتقاده أنه طيب القلب لما قبل أن يشتغل في مسرح من أحقر المسارح في حي منعزل من أحياء المدينة الفقيرة . لكنه بالرغم من تواضعه واقتناعه كان يمسس ويقطب في بعض الأحيان ، ويقول لأصحابه : « سيأتي يوم من الأيام ترون فيه اسمي مكتوباً بحروف من النور في شارع « وست أند »

يُكتب اسمه بالألوان ؛ ذلك أمل لا يبلغه من المشايين غير العظيم النابه الذي يستحق أن يقرأ اسمه

أسفل فلحقوا به . أما الكسول النؤوم « جان دي ميلان » فقد قد به كسله ونومه عن اللحاق فظل في المؤخرة ؛ ونارت به الحمية فرمام بمصاه يريد أن يفقههم بها . ومن ذلك سُمي « الملوك الثلاثة » عصا « جان دي ميلان » أيضاً

على أن أجل الكواكب جماء إنما هو كوكبنا يا سيدتي : كوكب الراعي ؛ ذلك الذي يضيء لنا في الفجر حيناً تندو بالقطيع إلى المرعى ، وفي الغروب حيناً تزوج به إلى الحظيرة . وإننا لنسميه أيضاً (ماجلون) : ماجلون الجليمة التي تجري وراء « بير دي بروفس » (زحل) ثم تزوج منه كل سبع سنين . فقالت الجليمة :

— كيف أيها الراعي ؟ وهل بين النجوم زواج ؟

— نعم يا سيدتي ولا ريب

وأخذت أشرح لها كيف يكون زواج النجوم وقران الكواكب ، ولكنني أحسست شيئاً تدبّ أرقياً يقع على كفتي في أين ورفق . ذلك كان رأسها الجليل أماله خدّرُ النعاس فاستاق على في تكسر قليل جميل بال الشريط المزدهر ، والحجر المكوى ، والشعر المموج . وباتت هكذا لا تفيق ولا تتحرك حتى شحب وجه السماء ، وذوى روض النجوم ، وغرقت هوادي الليل في ضوء الصباح المنتشر . وكنت أرامقها وهي في حضن الكرى وفي أعماق نفسى ثورة ، وفي صميم قلبي اضطراب . ولكنني كنت في حي هذا الليل السافر الباهر لأأم بسوء ، ولا أفكر في ريبة ، ولا أخطئ بيالي غير الخواطر الجليمة . وكانت الكواكب من حولنا ومن فوقنا تواصل سيرها الدلول الصامت كأنها القطيع الوديع الضخم ، وقد تمثل في نفسى لحظة من اللحظات أن نجمة من هاتيك النجوم هي أجملها رؤاء وأبهرها ضياء قد ضلت طريقها فأقبلت عليّ واستلقت على كفتي لتنام !

أنفسهم من السرور . وبدت على ثمره ابتسامة  
مضيئة ، ونحك نضحاً من استنخفه الغرب . وكان  
الإعلان بالمصاييح يتضمن هذه العبارة :

إيدى وارن الموسيق الممثل الغريب الأطوار -  
الاسم بالأنوار ! نسى وارن في هذه اللحظة أنه  
مرضى ، ونسى كل شيء إلا أن المجزة التي كان  
يرجوها قد تحققت ، وأنه قد بلغ ما كان يرجو  
اسمه ! اسمه هو لا اسم رجل آخر !

اسمه بالنور ! وكان العرق البارد يتصبب من جبينه ،  
ولكن ثمره مشرق بابتسامة وقلبه خافق بنشيد  
وكان المسرح غاصاً بالناس بفضل النشاط الذى  
أبداه المثلون . ولما جاء موعد رفع الستار حلوا  
« إيدى » إلى المسرح ووضعوا على صدره « الكنان »  
مسح الرجل عينيه من دموع الضعف ودموع  
الحرم ودموع السعادة ، ثم وقع بضمة ألحان مرحلة .  
ولما أوشك الدور أن ينتهى سقط « الكنان » من  
يده وصاح من كانوا على منصة المسرح :

« الطبيب ! الطبيب ! إن إيدى قد ... »

وهرعوا إلى جسمه الضئيل ثقيل إليهم أنهم  
لا ينظرون إلى جثمان ميت ، فأتت الوجهة يضىء  
بالبشر ، والشفقتين يفتران من ابتسامة  
وسأل أحدهم الطبيب :

« أخبرنا هل هو ... ؟ هل هو ... ؟ »

وقبل أن يجيبه الطبيب دخل عامل الكهرباء  
مهما فاندس بين الواقفين دون أن يلاحظ سبب  
اجتماعهم وقال : « لقد حدث خلل فى الجهاز  
الكهربائى الذى يضىء فى الشارع فانطقاً بالنور  
الذى على باب المسرح وانطقاً اسم « إيدى وارن »  
عبر اللطيف النشأ

كل رجل وكل امرأة وكل طفل فى لندن . وكان  
وارد يعتقد أن سيأتى يوم ينال فيه ذلك المجد فىرى  
اسمه مضيئاً أمام أكبر مسرح فى العاصمة .

وقد بلغ الآن الثانية الثمانين ولما ينل هذا المجد .  
وكانت صحته سيئة ، حتى لقد أشار عليه أطباؤه  
ألا يطيل الجلوس بين أصدقائه ، ففضى ثلاثة أعوام  
فى فراشه لا يبارحه إلا إلى المسرح . وهو يحلم بأنه  
سيأتى اليوم الذى يري فيه اسمه مكتوباً بالنور

وكان أمله فى المسرح لا يبشر بذلك ؛ فإن  
مئات الألوف سمعوه وهو ينفى ، ولكن الذين يذكرونه  
لا يتجاوز عددهم مائة . على أنه كان ذا أصدقاء  
حقيقيين يربو عددهم على أصدقاء أى موسيقى آخر .  
وكانوا من مختلف الطبقات : من أدنى السوقة طبقة إلى  
أعلى العسكريين مرتبة ، وفهم المثلون والممثلات ؛  
وله على الطائفة الكبيرة أفضال سابقة ، فهو لذلك  
حائر لثقها ، فقد كان يخلص النصح لكل فرد من  
أفرادها عند حدوث الأزمات . وكان رأيهم فيه  
قيحاً ، ولكنهم على الرغم من ذلك يحبونه .

ولما علموا بقرب عيد ميلاده الذى يبلغ فيه  
الثانية والثمانين جدوا فى العمل واشتركوا فى تقديم  
هدية عظيمة إليه ، ودرجوا لذلك تدبيراً بديعاً يمود عليه  
بالكسب الوفير بعد الحفلة التى عزموا على إقامتها  
وأعلنوا عنها . ولم يكن الجمهور على علم بصاحب هذا  
الاسم الذى تقام الحفلة من أجله

واستأجر المثلون المسرح من دون أن يخبروه .  
وفى المساء الذى تقام فيه الحفلة جاؤوا إليه بعد  
أن جن الظلام فوجدوه فى حالة ضعف شديد فقادوه  
إلى المسرح فى عربة . ولما وقع بضرة على اسمه  
مكتوباً بالنور كوفى المثلون على متاعهم وعلى  
ما أنفقوه من المال بما أدخله صاحبهم القاتلى على

# ١٩ مارس

## قصة بوليسية جامعة للمقصي الروسي بوليس فيليبوف بقلم الأستاذ محمد لطفي جمعة

إليه سوى خادمة الطعم ،  
وهي الأخرى روسية  
حسنة ... بنت جنرال أو  
أمير بحر في خدمة القيصر  
وقد تركت الأهل والأوطان  
لتنشد الحرية في القرية  
وهي أمة أشد الأبناء ، عفيفة  
حتى عن الحلوان الذي  
يجوده الطاعمون . فلم أجد

ما أقوله إلا أن أسألها عن نزل أحط فيه رحلي ،  
ولو إلى حين . ولما خاطبتها بالروسية ابتسمت  
وغضت من بصرها ، وأجابني بالفرنسية : إنها  
لا تفهم اللسان الذي كلنبا به ! ! لتخني شخصيتها  
وتظهر كرامتها ؟ . ولكن لم يكن أصلها وجنسها  
ليخفيا على أحد من أهل وطنها . فهذا الجمال البارع  
والقد الفارع والشعر الذهبي والأعين الفيروزية  
والبشرة الناعمة ، لا تكون لواحدة من بنات أوروبا  
الغريبة . وأخيراً أخذت أسأل نفسي أن تكون تلك  
الصبية بغير حليل أو خليل ؟ وهل تغيش على الخبز  
والمثل الأعلى ، ولا تشعر بحاجتها إلى الحب ؟ وكان  
الطر ما زال هائلاً ، وكنت انتهيت من غذائي ، ولم  
يبق لي إلا أن أنصرف . فقالت لي :

— عليك بزل راسين في خطة سان جورج ،  
ركب إليه مركبة الكهراء من ميدان بيره على  
قيد خطوات من هذا المكان ، فتقف يبابه  
فنهضت وودعتها ، وأخذت سمعي إلى موقف  
الترام وانتظرت تحت سقيفة من الخشب المطلو  
باللون الأحمر ؛ غير أن الطر جرف اللون فازداد حمرة  
وهو يتساقط في خيوط متواصلة كأسلاك من

وصلت مدينة جنيف عند الظهر في ذلك اليوم  
التي لا أنساء ، وكان المطر نازلاً من السماء كالوكان  
هابطاً من أفواه البقرب التي أفلتت من أيدي  
السقائين . مطر أحمر ممزوج بتراب قرمزي كأحسن  
ما يصنع المصورون لتلوين لوحاتهم . مطر ثقيل غزير  
كبات كبيرة من العقيق الأحمر الذي يؤتى به من  
بلاد القرب السعيدة ، ليجعلوه أفرطاً للنساء وحلية  
لخواتمهن . مطر غريب بلون الدم السائل من جراح  
الملائكة في معركة حامية وراء السحاب . مطر لم  
ير أهل المدينة مثيله ولم يعلموا تعليله . وكنت على  
أعتاب الريح ، أليس هذا محبباً ؟ هل يدل على الخير  
أو الشر ؟ لم أكن أعرف الطيرة ، فلم أكرث  
وجلست أرقبه وأزددت غذائي في مطعم روسي  
بشارع كوراتري كالت ياوى إليه دثنسي  
وكاد دثنسي وأوليانوف وغيرهم من المهاجرين ؟  
ولكنني لم أجد أحداً منهم لأنهم لا يرونه إلا وقت  
العشاء . أما في تلك الساعة فكانوا لا شك في سرهم  
يفعلون في نوم عميق ، لأنهم يقضون معظم ليالهم  
في الترتة وشرب الشاي وانتظار الفرج في المستقبل  
القريب ... أو البعيد ... فلم أجد أحداً ألهو بالحديث

والافتقار.. ولكن ماذا تصنع لتلك الحكومة التي لا تمشي إلا في ظل جيش عمرهم من الجواسيس ، ولا تكتفي بمراقبة الرجال ، بل أشباه الرجال وأشباه الرجال ... ذبح عنك أن شعورك بأنك موضع الريبة ومثار الشكوك يشل حركتك ، ويمرقل سميك ، ويربك أعمالك ، ويقص الناس عنك . فإذا أنا فاعل إذا ؟ بلغت المكان الذي أقصد إليه ، وكان هذا اللفظ الثقيل في أترى ، يتحرى اسمي ولقي وسقى وصنعتي ومقصدي ومصدرى وموردي . ثم أفع في عش زناير ، ثمُد فيه أنفاسي ، وتقاس خطواني ، وتلتقف كلماتي ، وتمتد الأيدي بأوراقى ، وتختلس سورى ، وتتهب نظرائى ، ويسترق السمع من وراء أبوابى ونوافذى ؛ إنها إذن حياة لا تطاق وعيشة بغيضة وسجن لا يحتمل . فإذا أنا سانع لأضال هذا الوغد الذى لم يؤت من « الفن » ما يكفي لإخفاء أمره على فريسته ؟ تمنت لو لم أكن روسياً من مواليد ١٩ مارس سنة ١٨ بمدينة كييف بنذر مقاطعة يادوى ... وعند ذلك ذكرتُ أن اليوم عيد ميلادى ، وأنى جئت جنيف لأرى الشمس وأزهار الربيع وزرقة الماء في البحيرة الشهيرة ، وقمة الجبل الأبيض الممتعة بالجليد . فإذا بالشمس محتجة وراء برقع سميكة من النجوم المتراكمة ، وإذا السماء تحطر ماء أحمر كالدم القاني ؛ أما الأزهار فقد انثنت أعناقها وطأطأت رؤوسها ؛ وإذا في أعف في مغالب تلك الجاسوسة الحسناء التي أسلمتني بغير جريرة ولا ذنب لذلك « المخبر » التهمت في حرفته الحقيرة ... فياله من عيد ميلاد سعيد ! وإلبنى بقيت في لوزان العريضة ، أمتأ في سربى ، مطمئناً في غرفتي ، محاطاً بعناية مدام بروشييه التي لا تعيب فيها إلا ثرتها !

النحاس الأحمر متصلة بين السماء والأرض . كانت مركبة الكهرباء خالية إلا من راكب واحد ، شأنه النظر ، شره العين والأذن ، رث الهيئة أخذ يرقبني عن كسب ، ويتظاهر بالقراءة في « جورنال دى جنيف » وهو لا يقرأ في الواقع إلا صحيفة وجعي ، ولا يدرس إلا ثياني يحاول أن يتفهم شخصيتي من أني إلى يأتى ... وكان الخبيث يرهف أذنيه ليتسمع الحديث بيني وبين نفسي ؛ فلما أعطاني الملتزم تذكرة وقدرته منها ، أخذ يسأله ويتلقى جوابه في حذر ، وقد كان بلاربيب يسأله عن الناحية التي أقصد إليها ، ولكن بائع التذاكر خافه بنظرة في اتجاهي ، فحنى الرابك الدسم القدر عليه وغضب وأدار وجهه ولزم الصمت حتى ظننته مجنوناً فأخذت أقرأ في كتاب ، ولم آت على صفحة كاملة حتى اهتديت إلى حقيقة الرجل أو ماظننته حقيقة أمره . لا بد أن يكون جاسوساً روسياً يتعقبني كمادتهم : يتعقبون كل شاب روسى في البلاد الأجنبية ... خصوصاً إذا كانت ميوله مجهولة ... آه ظننت الآن فقط هذه البنت اللامونة خادمة الطعم لا بد أنها « أرشدته » إليّ بعد أن وجهتني إلى المكان الذي تريده ، لأبقى تحت مراقبتهم . إذن هي قعيدة الجواسيس وكبيرة المخبرين وشيخة « البصامين » في هذه البقعة . وها قد وقمت أول ما وقمت في فوهة البركان ، أو بين فكي الأسد ! الله ما أذكاني وما أيقظ شعوري ! لقد دلتني قلبي على الفخ الذي يجب أن أسقط فيه ... ولكن علام هذا الاضطراب وتلك الوسوسة ؟ أمطلوب أنا للحكومة القيصر ؟ أم أني فوضوى أو ثائر خطر ؟ لا هذا ولا ذاك ... لست « مشبوهاً » وليس في تاريخي تهمة تقضى بالتقصي



الحفرة من جهنم أم لا أقصد إليها ؟  
 — شأني ؟ أنا صاحب الزل يسيدى ، وسترى  
 أنه ليس حفرة من جهنم بل روضة من النعيم ...  
 — ولماذا كنت تقفنى أترى منذ ركب الترام ؟  
 — توحت أنك سيد غريب تريد الإقامة في  
 مكان هادئ فأردت أن أودى خدمة لك ...  
 ولنفسى . تفضل أولاً بالدخول لتسترخ من وعثاء  
 السفر ، فأثار التعب بأدية عليك . وعندنا حمام مستعد  
 ومائدة لا تخلو من الطعام الشهي . وكان المطر  
 الأحمر لا يزال يهطل ولكنني لم أكن أبالي .  
 وفي تلك اللحظة أطل من باب الشرفة طفلان  
 كاللائكة وقالوا في نفس واحد :

— بابا . أدخل وادع السيد معك ولا تتلقيا  
 هذا المطر الأحمر القطيع ، إنه كالدم ! فقال الرجل  
 « بونجور فرد : بونجور فينجا » فقال في صوت واحد  
 « بونجور بابا » فسري عني وقتل نفسي : لا يكون  
 هذان الطفلان من أعوان المؤامرة على ، فانهما  
 أظهر من أن يكيدا الغريب . البيت الذي فيه أطفال  
 مأمون العاقبة . ثم ألتفت بنظرة أخرى فإذا  
 الأشجار الباسقة تظلل المدخل ، والزرع الأخضر  
 الخضل بالمطر الأحمر قد اكتمى حلة غريبة يبعجز  
 عن التفنن في تأليف ألوانها أمهر المصورين . قد خلت  
 وصعدت الدرج والرجل يسبقني ببضع خطوات .  
 ولم أكد أصل إلى الردهة حتى تقدمت إلي خادم  
 وتناولت عصاي ومعطى وقبعتي وخلعت يسدها  
 حذاءي ( كما لو كنت في بيت أهل في روسيا )  
 وتقدمني رأسين نفسه ( جاسوس الترام ) إلى الحمام  
 حيث الماء الدافئ وصابون جولدفلور الذي أفضله

فإن أنا منها الآن ! وأن هي متى في تلك التربة  
 الموحشة وليس بيني وبين بيتي الذي آوى إليه في  
 « أفينودز آلب » إلا بضعة ساعات في القطار .  
 وأخيراً فكرت فيما ينتجني من الخطر ويضيع على  
 هؤلاء الشرار جهودهم . وطال تفكيري ، ثم  
 هدأت إلى النزول عند الوقفة الأولى كمن بلغ غايته  
 فإذا بمعنى « غل الدئاب <sup>(١)</sup> » الذي يقتضيني بأمر  
 « خضراء الدمن » التي باعتني بغير ثمن ولا ثأر  
 ولا حقد مبين ، فأسأله عن علة تبني ، فإن لم  
 أخلص منه بهذه الطريقة السهلة أستغيث بالشرطي  
 وأصمم على اقتياده إلى مقر الجند ، لأقف على داعي  
 تجسسهم . فإن مجابهة الخطر وتحويل الحوادث ولو  
 كانت مُعقدة خير من الخوف ولو كان خيالياً ،  
 وأرواح للنفس من القلق ولو أنه من ثمرات الدهن  
 السكليل ...

وقف الترام ونادى « الملتزم » : سان جورج .  
 بقي لانسى . القرافة والبستان — كامباني راسين !  
 آخر الخط — ترمينوس

ولم يكده الكسار يبنق بتلك الأسماء متتالية  
 حتى أسقط في يدي ووقفت كل شعرة في بدني  
 — لا رعباً ولا فرحاً — ولكن غضباً وغيظاً .  
 ونزلت مرعماً ؛ وقيل أن أستدر رأيت الرجل يدنو  
 مني في أدب وخجل لم أعهدهما منه في الركبة ،  
 وقد كشف عن رأس أصلع لامع كقشر الزمان  
 ناعم كظن الأنفى أجرد كالصخر وقال :

( لعل سيدى يقصد إلى زل راسين ؟  
 — وما شأنك أنت إن كنت أقصد إلى تلك

(١) خير تعريب لكلمة mouchard الفرنسية

على سائر أنواع الصابون وفوطة نظيفة وقناني وأحقاق وأدوات زينة كاملة العدد . وقال لى وهو ينفق الباب وراه : سيكون الشاى معداً عند خروجك . وإذا كان لديك متاع فى « مستودع الأمانات » بالحطة ، فما عليك إلا أن تعطينى رقه لنحضره بالتليفون ونسلم الوصول لحامله بعد نقد أجره ، فما دريت إلا وأنا أسلمه الوصول بيدي فاقبسم وأنحنى وقال « شكرأ سيدى » كأمر خادم فى أرقى فندق ...

فأقلقتنى هذه الابتسامة الخبيثة من ذى الوجه المشوه والرأس المجذوب . ولكن أدبه وصوته كانا ينافضان تشويبه ودمامته ، فما رأيت مخلوقاً بمضه يكذب بمضه غير هذا الرجل : راسين ذى العينين الزرقاوين واللعب السائل والشعر الأشقر اللعين . ولكنه لم يجهلنى حتى أفكر فى دمامته ، واتصل كلح البرق بمخزن الودائع اتصال المتود ، وكلف الموظف بإرسال المتاع على جناح السرعة ...

وبعد برهة قصيرة كنت جالساً إلى مائدة أنيقة أشرب الشاى وأندق الفطائر اللينة الدسمة . واختفى راسين ، فظننته منكباً على تدوين تقرير مفصل لبرفمه إلى رؤسائه !

وفيا أنا أشرب الشاى مشرد الفكر ، غير عابىء بلة الراحة بعد التعب والرى بعد الظأ بقدر انشغالى بما ينتظرنى على يد هذا الجاسوس المتظرف أطلت « فيجو » وأخوها « فرد » من باب الغرفة وحييانى بحية الود

فاستدرجتهما بناعم القول ، وسألتهما عن السيد الذى قال لاه « بابا » وكنت أظن حتى تلك اللحظة

أنهما يمزحان أو يثلان دوراً تلقائهما . فهمسا — وقد استولى كل منهما على أذن من أذنى — أنه لا يستطيع أن يدخل إلى قاعة الاستقبال مادام فيها ضيف ، هذا تنبيه مامعليه ، وهو لا يستطيع مخالفتها وإلا ... برر ... برر ...

وأخذ الطفلان يفردان فى أذنى ويلعبان أمامى كالطيور الصغيرة المرسحة .

وبعد برهة سمعت صوت الحمال ورأيت حفاائى تجمل إلى أعلى الدار ، ولم يطلب أحد منى حساباً ، وجاءت جانيت تخبرنى أن غرفتى قد أعدت وأن متاعى قد نقل إليها على « إلا أن أصعد ربها تعد لى الحمام الدافى . كأمر سيدتها مدام راسين . فتركك الطفلان وتبعت خطاهما إلى غرفة رحبة أنيقة الأثاث شرقية شمالية تدخلها الشمس ويتخللها الهواء ، وكان المطر الهادى لم يقطع ، والغرفة مطلة على الحديقة تتراءى للناظر من نوافذها مباحج البستان وتسمع منها أجراس كنيسة عتيقة ، تحق وراء أبراجها الضخمة المناظر الأخرى التى ورد اسمها على لسان اللززم فى الترام ...

ففتحت جانيت الحفاائب وصفت الثياب فى مواضعها من الصّوران وأطلقت سراح الكتب التى كانت كالأسرى مكتوفة الأيدى مكتومة الأنفاس فى ظلام الصناديق وتركتنى لتعد الماء الساخن . وبعد فترة كنت أحتال فى ثياب جديدة وبدشت على نضرة النعم وألقيت نظرة على كتبى ، ولكن قلبى اضطرب واستولى على الفلق مما يدبره لى ذلك الأصلح اللعين . وزادنى جزعاً أننى لم أجد فى المنزل أحداً سواى . ولم أعهد فهدقاً يخلو من المقيمين

يطاع . وبعد هتبه دخل الغرفة في ذل واستخذاء  
— يجر رجله ويتلفت خلفه وينظر نظرة الرجل  
والحذر — راسين — جاسوس الترام — تجلس  
في طرف المائدة — فقالت له السيدة :

— دائماً متأخر ؟

فأجابها بصوت الطفل المذنب :

— عفواً يا عزيزتى . فقد كنت ...

ولسكنها لم تمهله حتى يتم كلامه ونظرت إلى  
باسمة ساخرة وقالت :

— حضرة زوجى مسيو راسين . ثم دفعت  
بوعاء الحساء في ناحيته فنهض ومد ذراعيه كالعايد  
المنتظر الالهام ، وصرفت السيدة نظرها عنه كما  
بصرف رب الدار اللثيم نظره عن صيف ثقيل أو  
زائر متطفل . وأخذت تؤنس وتقدم إلى الطعام  
وتنقله من الصحفة إلى أطباق مختارة الله وأدسمه  
وأشهاه وهي لا تداعب طفلها إلا قليلاً . وتناولت  
قنينة من البلور فيها ما طاب من نبيذ الكروم  
الفنية ، وسكنت في قدحى من ياقوتها ورأيت  
راسين ينظر إلى دورق البلور وقد لعلت أضلاعه  
وكواكبه بنور الكهرياء وحمرة الحمرة ، وهو يداعب  
كأسه بأمله يريد أن يملأها ، فاقترحت أن يشاركتنا  
فقالت :

— إن زوجى لا يشرب النبيذ فقدسها الطبيب .  
أليس كذلك يا راسين ؟

فقال المسكين مغمغاً : نه ... نه ... يم يا عزيزتى  
ولم يطفىء المسكين ظمأه إلا بإلقاء القراح الذى  
لا طعم له ولا رائحة ولا لون ...

ولما جاء دور الفاكهة تناولت سيلين ( وكان

والراجلين غير هذا . وبعد أن أجلت الطرف في  
الأشجار سمعت دقات جرس وجاءت جانبى تنبئى  
بجول موعيد المشاء وهو فى السابعة — وقد  
تمودت أن أتمشى فى لوزان قبيل التاسعة أو بعدها  
بقليل فأنحدرت على مهل أنزل الدرج وأفكر فيما  
عسى أن يحدث لى

ولم أؤكد أسل إلى غرفة الطعام حتى دخلت  
على سيدة فى الثلاثين من عمرها لم تر عيني أوجل  
منها ولا أبدع وأروع . وقيل أن أتمكن من  
استجلاء رواثها وأمتع الطرف بمنظرها الفتان  
بدرتني بالتحية والابتناس ، ودعيتني إلى الجلوس على  
رأس المائدة كأنى صاحب الدار ، وجلست إلى يميني  
في ثوب من الحرير الأزرق وحول عنقها عقد من  
حجارة زرقاء كريمة ، وفي أذنيها قرطان من الياقوت .  
ولما كان الجو لا يزال رطباً من أثر المطر واحتجاب  
الشمس فى ذلك اليوم — عيد ميلادى ١٩ مارس —  
فقد وضعت على كفتها شالاً من الحرير الأبيض ،  
وتعطرت بخلاصة الأزهار فتأرج منها الطيب منعشاً  
مفرحاً خلاباً

واندفعت تتكلم وتضحك حتى لكأنها عرفتني  
منذ الصغر

وبعد برهة دعت بولسها فرد وفيجو فجلسا  
على يسارها ، وجاءت الخادم ( جانبى ) بوعاءين من  
الحساء فقالت ربة الدار : هذه خلاصة اللحم ، وتلك  
خلاصة الخضر والبقول ، فأينها تفضل ؟ فإن لدينا  
طعاماً لكل ذى ذوق . أما أنا فأختار لك خلاصة  
اللحم لأنها تقويك . فلم أخالف لها إشارة لأنها  
كانت تتكلم بلهجة الأمر الناهي الذى تمود أن

— خير ... مادام السيد . ومالت إلى تريد أن تعرف اسمي فقلت : جوديل ستارسكي من كيف يا دوى — طيب في طريقى إلى باريس وبرلين . فأبرقت أسرتها وهملت وتركت البيانو ، وجلست أمامى وقالت لزوجها من جديد :

« مادام السيد الطيب يشفع لك في هذا اليوم وهو عيد ميلادى ، فقد ولدت في ١٩ مارس سنة ١٨٠٠ وقد نسيت أن تقدم إلى هدية ... فأردت أن أقدم موقف راسين الذى تحول

بفضي له شفقة عليه ، وقلت :

— عيد ميلادك ١٩ مارس ؟ يا للمعجب ! فقالت : وأى عجب في ذلك ؟ ألأن المطر كان أحر ؟

قلت : كلا ، بل لأنه عيد ميلادى أنا أيضاً فاحمر وجه المرأة وانفعلت ولمت عيناها ، وقالت : إنه عيد سعيد حقاً . وقال راسين : كنت أتوى أن أتفرغ لا لتفاء هديتي إليك ولكن لتبني السيد وتطوعى لارشاده إلى الزل أنساني

فقلت : لا عليك يا راسين فقد عفوت عنك . فقالت : أنا الكفيل بهدية العيد لهذه المصادفة

السارة

وتجاهلت سيلين وجود زوجها وانصرفت بفكرها ونظرها وحواسها إلى ، وكأنها عرفت منذ طفولتها فأخذت تحدثن عن ماضها ونشأتها في أسرة غنية ، وكيف أن أباه كان يثير الإعجاب والحسد بما يعمل في يوم ميلادها إذ كان ينفق المال بغير حساب ، ويوزع الهدايا والتحف على الجميع . وكانت تسخر من زوجها سخيرة

هذا اسمها ) برقالة وقشرتها وفصلت فضوصها عن بذورها بمهارة وأضافت إليها السكر وعصير الزهر وقدمتها إلى مبهجة ، ودحرجت لزوجها برقالة مريضة صفراء مجمدة . ولو كان في البرتقال إناث عوانس . لكانت منها تلك التي زفت إلى راسين . ونهضنا عن المائدة وانتقلنا إلى غرفة الجالوس ، فسارت أمامي ، لا لتقدمنى ولكن لترى قدما وثوبها ينحدر من خصرها الناحل إلى كتيب أردافها المترنة ...

وأخذت مكانها بجانب البيانو بحيث أرى وجهها وأسمع صوتها وأمتع الطرف بأناملها الدقيقة الطائلة وهي تداعب مفاتيح العاج ، وأخذت تعزف أنغام « حديقة بلها القطر » من أطرب ما ألفه « تشيكوفسكى »

وفي أثناء العزف دخل راسين يتسلل كالجرذ السلوخ بصلعته البراقة التي أشبهت في نظري مؤخر فرد عتيق ، فلم أستطع أن أكنم ضحكي فوقفت سيلين ونظرت إلى قائلة :

هل يضحكك عزفى ؟

فقلت : لا ...

فنظرت إلى زوجها وقالت : أنت هنا ؟ ألم أقل لك أن ترقد الأطفال أولاً ؟ فقال : لقد ذهبا إلى جدتهما ليلهما بمجذبها قبل النوم

فقلت : هذا حسن ، تعلم أنني أصير فريسة أعصابي إذا غنيت في حضرتك ثم لا تفارقني ؟

فقلت لها : ذرية يا سيدتى يؤنسنى في السهرة الأولى . فنظرت إلى وسكتت على مضض ، وجلس الرجل مكتئباً منقبض النفس . فقالت سيلين :

— كنت تسألني شيئاً فأكل حديثك  
قلت لها : هل هذا الرجل زوجك حقاً ؟  
فاطرت برأسها ، وقالت : نعم  
قلت : وهل هو والد هذين المسكين البرشين ؟  
فرد وفيجو ؟

قالت : نعم  
قلت : ولماذا تامليني بتلك القسوة ، وتمزحين  
على ظهره مزاحاً أليماً في حضرة رجل غريب وأنت  
المهذبة المثقفة ؟ حقاً إن جالك وظرفك وذوقك  
كانت خليفة رجل أجل وأرق وأعلم وأكيس  
ولكن ما دمت رزقت منه ولديك أما كان الأجدد  
بك ... قفاطعني قائلة :

— وهل ولدت حقيقة في ١٩ مارس ؟  
قلت : نعم  
قالت ولم تملك دموعها في هذه المرة :

— كنا أغنياء وهذا البيت الذي تراه معداً  
لنزول الغرباء كان أحد قصورنا الخلوة ، وكان أبي  
من أغنى أصحاب مصانع الساعات في هذه المقاطعة  
وهو الذي اخترع ساعة الهيكل الشهيرة ؛ فبعد أن  
بلت الثامنة من عمرى مرضت وقعدت السمع  
والنطق ؛ فلم يدخر أبي وسعاً في علاجي وأفنق  
نصف ثروته على الأطباء والدجالين والصيادلة  
والشعوذين ، ولكن راح المال على غير ظائل ؛  
وبعد أن كنت طفلة جميلة ساحرة ذوى جمالي وصرت  
شبحاً أصفر اللون ؛ وبعد أن كنت نامية نوماً  
حسناً فرهة أسير نحو الأنوثة الناضجة بقدم ثابتة  
وأمل لامع ، أمسيت مخلوقة بلهاء لا أعي ولا أذكر .  
وانطلق نور الله كاه من عيني وانقطعت صلتى بالعالم

جارحة بين الجبن والجبن ، وترميته بنظرات أحد  
من الخناجر وأحس من الشر وهو يطأ طيء  
الرأس وينفض البصر . كان حبه لزوجته نوعاً  
من العبادة المكتومة التي يكنها الرقيق المحروم  
لمولاته المعبودة

وقد أدرك الزوج المسكين أن الهفوة الصغرى  
أو الإهمال غير المقصود أو اللفظ في غير موضعه  
تفقد البقية الباقية من صبرها عليه فتطرده من البيت  
أو تقطع عيشه في غير رفق أو تصادفه في رزقه  
وتحرمه على الأقل رؤية ولديه (٩) فكانت حاله  
حال المسكين الذي يراقب مسلك نفسه ويخشى أن  
يخطيء فيبقى ويحرم

وكانت سيلين تتكلم وتلهو وتمزح وأنا في شغل  
شاغل ، أقول لنفسى : « أتكون هذه الأسرة من  
الفطنة وسعة الحيلة بحيث تمثل هذه الأدوار البارة  
لاستدراجي وتقل أخباري ؟ »

وفي الساعة التاسعة نهضت راسين وتقدمت إلى  
زوجته وقبل يدها ، وحياتي بانحناء صلته الجريئة  
وخرج يتعثر في أذيال الاستكانة والصغار  
وعند ما رأت سيلين ظهره قالت : أف !!  
قلت لها : ليس من حق أن أسألك وأنا ضيفك  
وقد أبي أدبك وكرمك أن تسأليني عن هويتي قبل  
أن تقبليني في بيتك ولم تعرفي ما أدفع لإقامتي  
فاهر وجهها وكادت تصرخ في وجهي ولكنها  
ملكنت نفسها وقالت :

لم أنتظر أن تحكم علي بالضمة حتى هذا الدرك  
أولكنك معذور لأنك لا تعرفنا ... وصرمت بينيها  
غيمة رأيت فيها أثر دموع جهدت في احتباسها  
وقالت :

قالت : الحقيقة أنني عقيب الزواج ضاقت الدنيا في عيني وتضرعت إلى السماء ، طالبة النور والتجدة ، ورأيت في نومي أنني أسمع وأنكلم . ففتحت عيني فإذا الحلم حقيقة . فسرى عني قليلاً وأنا في أشد الدهشة والمعجب

فضحكك وقلت لها :

— يا لك من جميلة تنكرين الجميل ...

فضحكك وقالت : ليس هذا ختام القصة فإن أبي سلمه زمام ثروته وفوض إليه الأمر كله في التجارة والإدارة وظن أنه يستريح على ظهره كما قلت إنني أضرح على ظهره ، تفسر الأنوك المال والمصنع وضيع التجارة ، ورحنا نحن نخيمه بجهله وسخافة عقله . ولم تتمكن من إنقاذ شيء من ثروتنا غير هذا البيت الذي وهبه الدائنون لي لأن أكبرهم نصيباً كان يحمي كإحدى بناته . وهو الذي أشار علينا باتخاذ نزل .

فأطرقت أنا بدوري . وكنت بين مصدق ومكذب ، لولا أنها حملت إليّ تو الساعة صورها وهي طفلة ، وهي صبية ، وهي علية ، وهي شبّاب الإكليل ، ووثائق المصنع ، وتاريخ والدها وصورها . فلم يبق لبي شك في صدق روايتها ، وكانت الساعة الأولى بعد نصف الليل عندما نظرت إلى نظرة غريبة وقالت :

— لا بد أنك يا دكتور قد تعب ، فقد حملتك أعباء تاريخي فوق أعباء السفر . فامض ونم نوماً سميحاً فقد أعددت لك فراشاً وثيراً . وثبني بما تشبهه للإفطار حتى أعده لك بيدي

فقلت لها : عندما رأيت الغرفة والسرير قبل

والناس ، وصرت أداة حية ولكنها ممثلة . وبلنت الشرين وأنا على تلك الحال بعد أن جف ماء الحياة من عودي ، وذبلت نضرة الجلال من وجهي ، وانقلبت محاسني دمامة لا تطلق

فأشار قسيس الحى على أبي أن يزوجني قبل أن تفوت على تلك الفرصة من العمر فأمسى عائساً خرساء صماء تتقاذفني أمواج الحياة القاسية . ولم يكن أبى يفكر في أحد من ذوى السكاة التي تدانينا ، فاحتواه اليأس حتى كاد يقتله ، فله القسيس على شاب كان يخدم في الكنيسة ، وينظف مقاعدها ويفتح نوافذها ويغلق أبوابها ويعدّها لصلاة الجماعة يوم الأحد . وكان من أسرة طيبة فقد بها الدهر . فبكي والدي وكاد يغمى عليه من الحزن . أما والدي فكانت في ذهول لا رجاء في إفاقته منه وأخيراً . تم الزواج

فقلت : وكان هذا الرجل راسين

فقلت والدموع تحتها : نعم ! ولكن بعد الزواج بأسبوع واحد حدثت العجزة ، فقد عاد إلى سمى وبدأت أنكلم كالأطفال وأندرج في النطق إلى أن استعدت الحاستين كاملتين واسترددت حقوق من الحياة ، فعملت وتمعنت ، وحاولت أن أرفع مستوى زوجي الشئس فلم أستطع ، فإن من اعوجاج الرجل . مالا تملك أقدر النساء تقويمه

وفكرت أن أفصل عنه . فلم يقدر أبى على نسيان جميله ونسب إليه الفضل في شفائي ، إن حقاً وإن باطلاً . وفوق ذلك فقد حسبه رجلاً وصالحه زمام ثروته

— ولماذا تدهشين من عرفان أباك بجميله ؟

نظمت ثيابي يبطء وانطرحت على فراشي ،  
وكان الثعب قد أضنانني فرحت بعد لحظة في سبات  
عميق . وحملت أن الباب قد انفتح وتسللت منه  
سيلين على أطراف أصابعها حافية في سواد الليل ،  
وما زالت تدنو من فراشي وهي تكتم أنفاسها حتى  
شعرت بلهبها فوق جبينى الذى كان يتصبب عرقاً  
من الفرح والانفعال . وحملت أنني لست زر  
الكهرباء المعلق بخيط من حرير فوق رأسى فأضاءت  
الفرقة وفتحت عيني فإذا سيلين نفسها واقفة على  
قيد ذراع منى محمرة الوجه لا تنطق ولا تتلفت .  
وقفت أمامى المرأة التى رثيت لها واشتهيتها وجهاً  
لوجه وقلباً لقب وجسداً لجسد ، غاولت أن أنكلم  
فلم أستطع ، وبقينا في صمت عميق أحداً ينظر للآخر  
ولا يكاد يراه غفشت في لحظة وجل أن تكون قد  
عادوها البكم في أثر الانفعال وأنه قد تعادها إلى !  
وحاولت أن أنطق لأطمئن على سمى ونطقى ولكننى  
خشيت انفصاح الأسر في هدوء الليل

فدبت إليها يدي وأنا لا أصدق أنها تقبض  
على شيء من لحم ودم وخشيت أن يكون تمثال الجمال  
الذى أمامى خيالاً أنلس إليه الطريق فلا أجده .  
ولكننى جذبتها إلى . فذنت منى وهى تتمتع تمنع  
الراغبة وتحاول أن تكسر من طرفها فلا تستطيع ،  
وأجلستها على حافة الفراش وقلت لها في همس وقلبي  
يضطرب وفؤادى يتنفذ :

أنت جئت إلى وأنا أفكر فيك . إننى لا أستحق  
هذه المجازفة الكريمة . فإذا أقول لك ؟ سيلين  
سيدتى ... تكلمى .

فتبين الأسى في وجهها وحاولت أن تتكلم

أن أراك وأسمع حديثك تمنيت أن أرقد لأستريح .  
ولكن الآن لن يطيب لى النوم ...

فابتسمت وقالت : قم ونم . فملك ترى في النوم  
خيراً مما رأيت في اليقظة . فنهضت متربداً أسفاً ،  
كاسف البال حزناً ، وقد تخيلت الفتاة الروسية التى  
تخدم في المطعم راقدة في فراش حقير في غرفة  
ضيقة . وقد حملت ضميرى وزر اتهامها بما هى بريئة  
منه ، كما تخيلت راسين البائس الذى يشبه الكلاب  
العالمية <sup>(١)</sup> التى يلبسونها ثياب الرجال المضحكة لتمثل  
في الملعب أدواراً قاسية كالقفر من حلقات ملهبة  
أو ركوب دراجة محطمة وهى تنبح نباح الكلاب  
وتأتى بأعمال البشر خاضعة راضية قائمة بقطعة  
السكر التى تمتد بها يد مديرتها القاسى ... وهو  
الآخر أهتمته وتخوته وظننت به الظنون ، ولم يكن  
إلا ساعياً في إرضاء هذه الحسان مجلب تريل جديد .  
واشتقت على الرغم منى إلى الحب الذى حركته في  
تلك المرأة القاسية المسكينة . ورسبت في قرارة  
نفسى حثالة من الآلام والأوهام التى صرنت لى من  
نصف النهار إلى نصف الليل بنير انقطاع . فتناولت  
يدها وساقها وأبقيتها في كفى فترة ثم رفعتها إلى  
شفتى ، لأننى أحسست أنها كانت تنتظر ذلك منى  
وترغب فيه

وصمدت أمامى في الدرج إلى أن بلغت غرفتى .  
وقالت لى وهى تفتحها يدها « ليلة سعيدة » وراحت  
في الظلام تلتهم مرقدها . أين ؟ فى أحضان راسين  
كأم في حضن الوحدة والخيال ؟ وهى لاشك تفضلهما  
على حضنه ...

رزقتهما من رجل لأحبه ومن لا أحبه لا أعرفه  
وكأنه لم يمسنى

نفجيت ولم أعتذر ، فان هواها غطي على عقلي  
فتركنى مضطربا في الدائرة التي خطها حولي ، فسكنت  
ثم تشجعت وقلت : ولكنني أتحمق شوقا إليك  
وقد أعجبني منك كل شيء : سوتك وجمالك وعيناك  
وقدك وذكاؤك . وقد جئتنا المصادفة وألفت بين  
قلبيننا حوادث غير مرقوبة وربطت بين نفسينا  
الطبيعة المواتية في غفلة الأعين وهمود الأصماح

فقلت : أو تقيم طويلا في جنيف ؟  
فقلت : بقدر ما تسمحيني لي أن أقم  
فقلت : أما في هذا البيت فلا ، لا لأنه البيت  
الذي فيه ولدت وتزوجت ، ولكن لأنني لست فيه  
حرة ، ولا أقدر أن أخرج من الحصار الكثيف  
الذي يحجر علينا . وإن للحب غاية عتومة فلست  
أومن بالصدقة البريئة بين رجل وامرأة في جنيف  
الشباب ، وما الحب الذي يتخطى حدود الصداقة  
الموهومة إلا امتلاك واستئثار ، وهو الذي أشرع  
بانك خلقتني في هذه الليلة

فقلت : مادمت قد ذكرت زواجك فلا بد  
أن تكون له حرمة في نفسك : فكيف تستبين  
الجمع بين تلك الحرمة وبين الحب الذي تصفين  
فقلت : أما الزواج فله الحرمة التي تذكرها  
وأكثر ، وأما الزوج فلا ، ولا سيما هذا الذي ألح  
على حياتنا بالشر ، وأضحى على سعادتي بالفقر ، حتى  
أوصلنا إلى ما نحن فيه

فقلت لها : لقد قبلت شرطك . وغدا ...

( ٢ )

فأعياها النطق الصريح . وأطرقت برأسها وتحاملت  
على نفسها وانفجرت بالبكاء

فتناولت رأسها وكانت عيناها مغمضتين الا قليلا  
والدموع تنهمر منهما بشير نشيج وأدنت وجهها  
إلى محاولاً تقبيلها . فتمنعت في رفق وقالت :  
— لا . لا . لم يؤن الأوان .

نفجيت وهدر الليل إليها في مشاعري هدير  
الغليان وقلت لها :

— لماذا إذن جئت وتجمعت مشقة الديب ؟  
فقلت لي : جئت لأنني لم أستطع أن أخمض  
عيني دون أن أدرك ... وهيهات أن يهنا لي عيش  
بمد الليلة بدونك

فقلت : أبهذه السرعة تشغلين ، ورجل  
غريب الوجه واللسان وربما كان غريب القلب  
والأطوار أيضاً ؟

فقلت : لست غريبا عني فان سببا من أسباب  
القدر قد وصل حياتي بحياتك ومزج قلبي بقلبك  
وأوجد سرا بيني وبينك لم أجد مثله بيني وبين  
الرجل الوحيد الذي عرفته وهو زوجي

فابتسمت ابتسامة أساءت سيلين فهمها وتوهمت  
الشك يحول في أطرافها فقلت :

— ثم أولا تتق فلا ألومك ولا أرغمك على  
تصديقي . لأنني على الرغم من زواجي عشر سنين ،  
لا أزال بكرا لم يمسنى رجل  
قلت وقد أدهشتني جرأتها : وهذان اللسان  
الطاهران ؟

قلت : أطفال ! لقد ظننتك فهمت تلميحي لقد



ولكنها لم تسكلم ودقت الساعة الثالثة  
فدنوت منها وعلى غرة منها ضممتها إلى صدرى  
فضممتى بحرارة وقوة ما أحسست بمثلها من قبل ،  
وطبعت على فيها اللهب قبلة لا أنسى لذتها وعبيرها  
ما حيت . وكنت في ذهول فلم أشعر بسيلين وهي  
تتملص من ذارعى التي كانت حول خصرها ،  
فانطرحت على فراشى منهوك القوة ، أسفاً على ما بدر  
منى ولكننى سعيد

ولا أدري كم طال نوى

ولكننى تيقظت على صرخة واحدة لم تتكرر  
لم تكن صرخة إنسانية . ولكنى نزعنت قلبي  
من صدرى ، وأنبأتني بكارثة لا قبلها ولا بعدها ؛  
ثم ساد صمت عميق . وفي تلك الفترة سمعت على  
النافذة نقرأ كالذى سمعته عند ما كانت السيدة جالسة  
على فراشى ، فأضأت الغرفة ، ولبست بعض ثيابى  
ووقفت وراء الباب ؛ فإذا حركة وقع أقدام وصوت  
امرأة مجوز لم أسمعه من قبل يقول :

— آه ... ماذا صنعت بها أيها الشقي؟ وابنائه !  
جاستون . جاستون . أنظر ما فعل الشرير المجنون  
بإبنتنا . فوهمت في أول الأمر أن مجرمًا ضالاً ،  
أو شريداً فاقد العقل قد سطا على الطفلة فيرجو<sup>(١)</sup>  
ففتحت الباب وتقدمت بعض الخطى فرأيت  
باب الغرفة المقابلة لرفعتى مفتوحاً على مصراعيه  
وقد وقف فيها شيخان رجل وامرأة . وخرجت  
على جانبتي مستغيثة نائحة

فقلت لى : غداً نيكرو يا صديق إلى بحيرة ليمان  
نستجلى بهاءها ونحترق غابة بوازي<sup>(٢)</sup> الحاملة نشف  
أمامنا فيها بتبريد البلايل فهذا فصل لقائنا وموسم  
تحرقها ثم تذهب إلى بستان الأموات النابقة<sup>(٣)</sup> وفيه  
من الأشجار والأزهار ما يزيل عن نفسنا الحزن  
وقد سيطرت عليها نشوة كادت تفقدها  
هدوءها وورائتها . واستمرت في حديثها قائلة : غداً  
يا قسم ميلادى ننتقل إلى المدينة فنجدول في أنحائها  
ونطوف بالخازن الجميلة ثم نظير إلى فرسوا الصاحبة  
القرية فنتم بالخالوة ونقطف أحلى الثمار ونجد الازدة  
والسعادة . غداً نأطلق من الأغلال التى طال تقيدى  
بها ففسير جنباً إلى جنب في شوارع المدينة الحبيبة  
حيث تختلط أصوات الليل التى حرمت من مباعها  
في رفقة نفس حبيبة برنين الأجراس التى تدق في  
عيد الفصح السعيد ...

وفي تلك الساعة سمعت صوتاً غريباً كأن يداً  
تقر على درفة النافذة فصمتنا وكتمنا أنفاسنا  
وهمت بإطفاء النور فهتني بإشارة من يدها ،  
فهضت في خفة وحذر وانجهت نحو النافذة وفتحتها  
برفق بحيث أعمكن من رؤية ما وراءها فرأيت طيراً  
ضخماً من طيور الليل يطير عائداً إلى وكرة معشماً  
في إحدى أشجار السكافور التى كانت تضطرب  
وتهتز ، وإن لم تكن هناك رياح عاصفة فأغلقت  
الدرفة وعدت إليها وطمأنتها وقلت لها : غداً

(١) Bois la boesie في ضواحي جنيف

(٢) بستان بها أيضاً

(٣) virginie اختزال vrginie وهو اسم البنت

فقلت لها : أيقظي السيدة

فقلت : كيف أوقظها أنظر ؟ يا سيدي !

نخطوت وإذا بي أرى راسين راكما على الأرض وقد تدلت رأسه على صدره كالشئوق ولم أكد أحول بصرى عنه حتى كدت أسقط من هول ما رأيت

سيلين ... نعم سيلين مطروحة على الفراش في ثياب نومها وفي صدرها خنجر والدماء تجري من بين نهديها كأنها خارجة من نافورة . ولم تكن بعد قد فارقت الحياة . وهي إذن التي صرخت تلك الصرخة الفاجئة الفاجعة التي مزقت أحشاء الليل فلما تفجعت عليها وبكيت ، فتحت إحدى عينيها وقالت في همسة سمعتها واضحة :

غدا ... ! وأغمضت عينيها وصعدت روحها .  
الطر الأحمر القاني ... والمدافن والكنيسة والبستان . و ١٩ مارس عيد مولدى ومولدها ومصرعها

\*\*\*

عدت إلى غرفتى وأنا أكاد أجن وأهلك من الحزن واللوعة والأمل الضائع والحسرة على شباب تلك التي لم أعرفها إلا ليلة واحدة وقد ملأت بالى بعد فراغه ، ومدت أفق خيالى وراء ما كنت أرجو . وبعد نصف ساعة غند بزوغ الصباح أقبلت الشرطة بجنيها ووجلها وكلاهما وحقاتهم المازلة وأدوات التصوير والسلاسل والأغلال ، وفي أثرهم قاضى التحقيق ورجال السلطة والطبيب الشرعى وأعوانه

ونفر من الصحفيين والمصورين

ولكن الخطب الجسيم الذى حل بالمتولة كان أهون مما تصوروا في شأن القاتل فقد كان متلبسا بالجرعة ومعتقا بها ولكنه لم يبررها ولم يمتذر

وكان على أن أنتظر حتى تدفن سيلين في مدافن سان جورج وأن أسمع دقات أجراس الكنيسة ، لا نحية لعيد الفصح المرتقب ، ولكن إذنانا يطلب الرحمة لروحها ؟

محمد لطفي جمعة

## في أصول الأدب

للمؤلف أحمد حسن الزيات

كتاب جديد فريد في نوعه . يشتمل على أبحاث تحليلية طريفة في الأدب العربى وتاريخه . منها تاريخ الأدب وتحط العرب منه . العوامل المؤثرة في الأدب . أثر الحضارة العربية في العلم والعالم تاريخ حياة ألف ليلة وليلة وهو أوفى بحث كتب في هذا الموضوع إلى اليوم . ثم قواعد تفصيلية للرواية التمثيلية الخ ...

يطلب من إدارة مجلة الرسالة

وشتمه ١٣ قرشا

# الرسالة

## في سنتها السادسة

على الرغم من ارتفاع أثمان الورق هذا الارتفاع الفاحش ، وبالرغم من تقدم الرسالة هذا التقدم المطرد ، وبالرغم مما سنبذله في تحسينها من الجهد في عامها الجديد ، سيبقى اشتراكها كما هو : ستون قرشاً في الداخل ، وجنيه مصري في الخارج ، وتقدم إلى من يدفعه في أثناء شهر يناير المقبل مجلة الرواية مجاناً

## الرواية

وليس الرواية هدية شئلة القدر ، فإنها تصدر مجلة الطبع والوضع في سبعين صفحة ، وهي المجلة الوحيدة التي تقرأ فيها القصة العربية الفنية مكتوبة بأسلوب يليق مشرق ، أو القصة الأوربية الرائعة مترجمة بلسان أمين صادق . وحسبك دليلاً على قوتها وقيمتها أن مجموعة سنتها المنصرمة تشمل على ٣٤ أفصوصة موضوعة ، و ١١٦ أفصوصة منقولة ، وثلاث مسرحيات ، وعلى النص الكامل لكتاب اعترافات فتى مصر لألفريد دى موسيه ، وملحمة الأوديسة لهوميروس ، وكتاب يوميات نائب في الأرياف لتوفيق الحكيم . أما مجموعة السنة القادمة فستكون أروع وأجمع وأكبر . واشترائها وحدها ثلاثون قرشاً في مصر ، وخمسون في الخارج

### اشتراكات الطلبة والمعلمين اللازمين

يشترك الطلبة والمعلمون اللازمون في الرسالة وحدها بأربعين قرشاً ، وفي الرواية وحدها بمشرين قرشاً ، وفيهما معاً بخمسة وخمسين قرشاً . ويضاف إلى ذلك خمسة وثلاثون قرشاً فرق البريد لاشتراكات الخارج . ويجوز أن يقسط هذا المبلغ أقساطاً تبدأ في يناير وتنتهي في شهر مايو من سنة ١٩٣٨

### الاشتراك في الرسالة

يقوى عقلك ، ويزيد ثقافتك ، ويطلعك على تطور الفكر العالمي الجدير

### والاشتراك في الرواية

يربي ذوقك ، ويرهف شعورك ، ويمتلك بروع الفن القصصي الحديث

الثامنة. ثم خرج فطير  
في أحد مطاعم «الباليه»  
روايال». وبينما للتأمل  
يعد له الطعام تصفح  
بعض الصحف. وقرأ  
فيها أسماء من حق  
عليهم الإعدام بساحة  
الثورة في الرابع

# هَبْزُ الْمَوْتِ

للكاتب الفرنسي أناطول فرانس  
بقلم السيد محمد العزاوي

والمشترين من شهر فلوريال  
وهو يذكر أنه أظفر بشبهة. ثم قام فنظر في  
المرآة إلى خياله، حتى يصلح ما تشعث من لباسه  
الأنيق؛ وحتى يرى أهو متنسبط الأسارير أم  
متقبضها فيرسلها على سجيها المسحة الطروب.  
وهو يذكر - كذلك - أنه سار على شاطئ  
السين بخطى خفيفة سريعة، قاصداً منزلاً صغيراً،  
يصنع زاوية مع السين وشوارع المازارين  
هناك كان يعيش «المواطن لارديون» النائب  
العام لدى محكمة باريس الثورية، وقد عرفه أندريه  
قبل ذلك راهباً متنسكاً في «أتجرس»، ثم عرفه  
جمهورياً متطرفاً في باريس  
ودق أندريه الجرس. فظهر له - بعد دقائق -  
وجه لارديون يطل من كوة الباب. فلما استوثق  
من اسم الزائر ومهنته فتحه على مصراعه مرحباً.  
وكان لارديون مطعم الوجه، أحمر الأذنين، لعينه  
بريق خاطف غريب. كان مظهره مظهر الجبان  
الضحك؛ ورحب بأندريه وهو يقوده إلى أنغم  
غرف المنزل

جلس أندريه على شاطئ السين ساعة يستروح  
النسيم... وما كان أحد أحق منه بنسيم السين  
يروح عنه الكد والتعب. إنه سوف يترك هذا  
كله بعد حين! وجلس أندريه يفكر.. ترى فيم  
أمضى بقية يومه؟ ليس يدرى أندريه. ولكن  
الذي يدرى أنه قضى يومه في باريس؛ وأن كل  
شعاب باريس شاهدة اليوم يسر فيها. حتى إذا  
ما أشفاه اللب فزع إلى السين الحبيب. أي نهر  
وأي جلال!؟ أي موج وأي ثبج! أي جمال  
وأي هدوء! لن يصير من هذا شيئاً؛ وهو ليس  
بتادم على ذلك. إنه لن يندم لأنه سوف لا يري  
أمواحه الوردية تميس وتذلف. سوف لا يراها تنهذى  
إلى جنة الحب، وتنساب إلى تلك الزوبة حيث يجثم  
بيت «لوس» كهرة بيضاء. إذن فلن يري وكر  
الحب ولا عش الغرام. حقاً لن يراه ولن يندم.  
لأنه سوف يلقى في السجن حبيته، فيجده  
- بقرمها - أيام الوصول والأمر... مل!  
إنه لا يذكر من يومه هذا إلا قليلاً. فهو لا يذكر  
إلا أنه أصبح قلقاً حائراً، وأنه اغتسل في الساعة

وأخى لارديون رأسه مؤمناً على مشاعره ،  
ومتابعاً قوله . واستأنف أندريه :

— عهدي بك رجل شعور يا لارديون ! وإلى  
لأرجوك أن تصل بيتي وبين من أهوى ، بأن  
ترسلي سريعاً إلى سجن « بورت ليبر »

فأبتم لارديون بسمه البت يخلطه الحزم ،  
أو الحزم يخلطه البت ، ثم قال :

— ها ! ها ! أيها المواطن ! إنك تسألني شيئاً  
أعلى من الحياة ! إنك تسألني السعادة ! ثم مد  
ذراعيه نحو الخدع قائلاً : إيشاريس ، إيشاريس !  
فبرزت من الخدر فتاة عارية التراعين ، حاسرة  
النحر ، تردى قيصاً قصيراً وقبعة نائنة فاحتضنها  
لارديون واجتذنها إلى ركبتيه قائلاً :

— يا ملاكي ! تأمل وجه المواطن ولا تنسبه  
أبدًا . إن المواطن مثلنا يعمر قلبه الحب والهوى  
وهو يعلم أن الفراق مر أليم ؛ ولذلك يريد لقاء حبيبته  
في السجن . وطابت نفسه أن يطيح رأسه معها  
بالمقصلة . أترين بأساً أن نطوق عنقه بجميل ؟

— فقالت الفتاة وهي تداعب خد القائد الثوري  
« كلا ! لا أرى بأساً »

— إذن فقد أصدرت الحكم بامولاني . واجب  
علينا أن نعين ذنبك الحبيبين الثمرين المخلصين . أيها  
المواطن أندريه جرمين ! أعطني عنوانك وأما أعمل  
على أن تبث في السجن الليلة

فقال أندريه بأنه موفى سميده . فأجابه لارديون  
وهو يصاحفه « ستذهب فتلقى حبيبتيك . تبثها بربك  
أنك وجدت إيشاريس بين ذراعي لارديون

ولما أن ولج الباب أندريه ألقى مائدة ممدودة  
صفت عليها صحاف نخمة فيها طعام أُرعد لاثنين .  
وهو لا يذكر من ألوانه إلا نخد خنزير وفروجاً ،  
« وفطيرة » من الحلوى الفاخرة ، وحساء وشواء  
كثيراً .. وبصر أندريه بستر من زجاج النجر الممتقة  
موضوعة في جردل من الماء لتبرد ، ولاحظ أندريه  
فوق المصطلي تفاحاً وفاكهة وجبناً !

وهو يذكر أنه استدار يصره في الرفقة  
الفسيحة ، فألقى زجاجات النجر وقواريرها مختلطة  
— على الكتب — بأوراق الجمهورية المبعثر ... ثم  
وجد باباً مفتوحاً لم يشك أندريه في أنه يؤدي إلى  
مخدع ، فقد كان ثم سر غير مرتب ... وأخيراً  
قال أندريه :

— أيها المواطن لارديون ! لقد جئتكم كي  
تسدي لي جيلاً

— أيها المواطن ! إنني مستعد أن أهيك إياه  
إن لم يتعارض مع مصالح الجمهورية  
— إن ما أسألك أيها المواطن لارديون يتفق  
ومصالح الجمهورية ، ومصالحك أنت أيضاً

وجلس أندريه بإشارة من لارديون ثم قال :  
— أيها السائب ! أنت تعلم أني أعارضك منذ  
عامين وأعارض أصدقائك ؛ وأني صاحب مقالات  
« مذابح الإرهاب » إنك إذ تقبض علي لا تكون  
أسديت إلى الجليل الذي أرجو ، بل تكون أدبت  
واجبك ، فليس طلبي إذن أن تقبض علي . ولكن  
أعزني سمك أيها المواطن !  
إني مفرم وحبيتي في السجن ...

وأحضانه ؛ فلعلها تستطيع أن تهيك بعض ما تهنيه  
إيشاريس ! »

قال أندريه إنه واجد أكثر من ذاك لديها في  
السجن . وإنه شاكر ، وآسف أنه لن يستطيع أن  
يرد للاردوين الجليل . فقال لاردوين وهو يضم  
إيشاريس :

— إن المروءة هي ألا تطالب من أحسنت إليه  
رد الجليل . من يدري متى يأتي دورنا ؟ اليوم دعنا  
نشرب ، ولا تفكر في غدٍ وإلا تفكر الصفو  
من نسيم السين آخر أنفاس الحياة ...  
سير محمد العزاوي

## حجوا بيت ربكم

وزوروا وطن نبيكم

على الباخرتين

زمزم و كوث

أعدت لكم فيها

شركة مصر للملاحة البحرية

جميع أسباب الاطمئنان ووسائل الراحة والأمان

# العَلَمُ

للكاتبة الانجليزية لوز هيلاجرز  
بقلم الأديب جورج سَلِسْتِي

المجتمع الصاحب .  
وخرجت من  
الزحل فتاة في مستهل  
الصبا ومطلع الشباب  
تتألق منها الأسارير  
بالوضاء، وتفيض منها  
القسبات بالحسن، وقد  
زادها ثوبها القروي  
البسيط جمالاً فظرياً

حبياً إلى القلوب، ومشت كفيئة الخطى إلى دجاجها  
تنثر عليها الحب مفترّة الثنايا، والأفراخ تتصاح  
حولها صيحات الفرح وتقفر حيا لها ممرحة مسرورة .  
فلما فرغت من شأنها مع دواجها تحطرت بقدها  
اللدن المشوق على بساط الشب التوج الهامات  
بأنداء الصباح، وراحت ترمي السماء بينين حلتين  
تفيضان وداعة ولطفاً، وتأمل فيما يكتنفها من  
الرائي الساحرة بسذاجة الولد الغريب

ووقع نظرها على سحابة زرقاء تتصاعد من وراء  
الغابة في مطاوى الأفق، ثم على أخرى مرفوعة على  
مناكب الهواء السجاج البارد، فوقفت منهوثة  
سادرة لحظة أو لحظتين وهزت كتفها في حرارة  
واشمزاز وقالت: « الحرب ... مرة أخرى يا لنكد  
الطالع ! » ورفست الأرض رجلها حاتقة غضبي

إن القدر ليأني أن تكون السعادة إلا مشوبة  
بالكدر، والأطمئنان إلا مرثناً بالقلق والاضطراب ؛  
وسنة الدهر الخوئون ألا يحرم الناس لغتانه المرة  
بين الحين والحين كأنما يمر على القضاء الراغل أن  
يفلت امرؤ من إسراره

والحرب !؟ أي جدي في الحرب وأي نفع !؟

انصدح عمود الفجر، وتمشت طلائع الأنوار  
في خواشي الليل تمشي الأمل الوضيء في حنايا القلب  
البائس اللئاع؛ وأطلت مليكة النهار في محمها النارية  
قارة الطرف تنثر بساتن قمرها الشيب ذات العيين  
وذاوات اليسار، قهلات الدنيا وأطلقت الكائنات ؛  
واسترسلت ذوايب الأضواء على السهول القيع  
فاهزت الأغراس وارتشت السنايل، وانطلق  
نسيم الصباح البليل فوق المروج والحقول يهمس في  
آذان الزهر هينات الهوى، ويتمم في مسامع  
النباتات أسرار الغرام، وسبحت في رحاب الأجواء  
وفود الأطيوار تنسكر السماء بزقزقاتها، فيترج لا غاريدها  
قلب الأثير، وتمجد لأناشيدها أعطاف الأفق،  
وانحسرت مرأى الطبيعة الفاتنة في تلك السهول  
المتبسطة الخضراء عن منزل وضع قائم حف بياحاته  
مغضل النبات وساوره ندى العشب، فبان في روعة  
الصباح الضحيان منزلاً من منازل الخلد جامعا في دعة  
تفتن القلب في إطار من الحضرة السندسية يأخذ  
بمجامع القلب . منزل وادع اطأنت به أسسه في  
تلك الربوع الغر التي يظلمها العلم الفرنسي المثلث  
الألوان اطمئنان أهليه النائين عن مخيخ الحياة ولجب

عن همسة ناعمة مدلولها الضمت ، ثم شاعت على قسائه  
بسمه كثيفة خرساء ، كان لها في نفسها هي أبلغ  
الأثر . ولم يلبث روعها أن أفرخ وبها أن اطمان ،  
فتقدمت إليه وأسندت ذراعها إلى الباب حياله ،  
وقالت له بصوت رقيق أودعته الكثير من العذوبة  
والحياء :

« يلوح لي أنك قادم من معركة إخال أن  
رحاها ما تزال دائرة هناك . أليس كذلك ؟ »  
وأشاحت برأسها نحو الغاية التي ما فتى الدخان  
يتصاعد من ورائها كثيفاً داكناً

وألقى الرجل عليها نظره فراها تحديق في الأفق  
وقد انقبضت منها اللامع وتجهمت ، واصطكت  
أسنانها من غيظ كظيم . فقال وقد فارحنه  
ولعت عيناه بوميض الغضب :

« هؤلاء الألمان الخنازير لا هم إلا قتل  
الأبرياء وإراقة الدماء ! ليست فرنسا هي التي يريدون  
فأهم بحاجة إلى زرعها ولا إلى أرضها ، وإنما الفتك  
بأهلها ما يبتغون . إن إزهاق أرواح الناس مبتغاهم ،  
وسفك الدم غاية مناهم ؛ إنهم وحوش ضارية لا يبالون  
لهم إلا مرأى التجميع المهدور يترقق على الثرى ،  
وإلا الأشلاء المبعثرة هنا وهناك على أديم الأرض .  
لقد هجموا علينا فجأة شائهم في كل غاراتهم النادرة  
وحصدونا برصاصهم حصداً »

ورجع خطوة إلى الوراء ، وأسند ظهره إلى  
الباب ونضح ونضح صغراء ، يحسبها السامع لجفافها  
شهقة محتضر ثم قال :

« أحسب أنني الرجل الوحيد الذي لا يزال  
من كتيبتنا على قيد الحياة . لقد قتلوا أفرادها جميعاً  
ولم ينج من الموت المحتم إلا أنا ... لقد مات رفاقي  
(٤)

إنها النكبة الكبرى والطامة العظمى ، تنثر الدمار  
ثراً فتقوض معالم الدنية والعمران ، وتطوح  
بالشباب إلى مهادى الردى ، وتيمت بهم إلى أشداني  
الموت لقما سائنة هنيئة :

أما المجد والسؤدد ، أما العز والفخار ، فليست  
إلا كلمات جوفاء لا معنى لها إلا عند الجشعين الآل  
يتخذون من مجامع الضحايا وأشلأها سلعاً لطاعهم  
وما ربهم ، فيا للصبأ الغدور ، ويا للدم المهدور !

والشباب زيتة الحياة وبهجتها ، وذهابهم ذهاب  
الأمانى وتلاشي الأحلام ، ونأيهم تصويح لمستقبل  
الفتيات المتيد . فالجرب إذن نكبة عند النساء  
فادحة تلمس منهن الورى الحساس في الصميم ، وتسبب  
إلهن إساءة ليس إلى اغتفارها والصفح عنها من  
سبيل !

كانت نظرات الفتاة معلقة في سحب الدخان  
وهو يسمو نحو الأعلى ، وفكرها محصوراً في الحرب  
وويلاتها والمساوىء التي تلحق من جرائها بينات  
جنسها ، وتاهت في تفكيرها العميق الذي شغلها عن  
نفسها حتى أنها لم تَرَ رجلاً زحف بين السنايل  
الخضراء ، ولا سمعت وقع خطاه وهو يمدو على بضمة  
أمتار منها ممزق الثياب مترتها ، ولم تفر من غمرة  
التفكير إلا على صوته البنى أرسله بخنجر وهو يسرع  
إلى باحة المنزل ويحتجى ببابه

هو شاب في مقتبل العمر عليه برزة الجندي  
الفرنسي قد علت حمياه الوشم أماناً الوصب المرقع ،  
وتجلت في نظرات عينيه دلائل الجزع ، فإ إن وقع  
عليه بصرها حتى صاحت مرثاة :

« يا إلهي ! ألكم أربعتي ! »  
فوضع سبابته على شفثيه الرقيتين اللتين انفرجتا



فرفع إليها نظره الخافت وقال بصوت أجس :  
« لقد نجوت به منهم . أجل ، لقد أنقذته

ولكن بعد أن دفعت في سبيل إنقاذه حياتي ...  
ولمّا لثنت بنحس ... »  
وبسط القطعة المطوية برزاة وهدهود ، ثم  
استطرد :

« إنها عِلمَ فرنسا الغالي . لقد فني أفراد  
الكتيبة جميعاً ولم يسلم منها إلا هذال اللواء المفدى ...  
لقد نال هؤلاء الألمان الملاعين كل شيء ما عداه ،  
فهو وحده لم يمس ... لقد أحرزوا النصر ووقفوا  
إلى نيل الظفر للنشود بعد أن أزهقوا أرواحنا  
وأهرقوا دماءنا ... إله أيها الفتاة ... »

وكف عن الكلام هنيهة ، ثم أمسك معصمها  
الذي لوحت به حرارة الشمس دون أن تسفعه ، وهزّه  
هزة استجمع لها كل ما فيه من قوى وتابع :

« عليك أن تحتفظي بهذا العلم احتفاظك  
بنفائس الأعلاق ، وأن تصونه صيانتك لأقدس  
ما عندك . أنسمعين ؟ »

فأجابت بشيء من الجراءة والبدالة :  
« ما لنا وللم الآن يا هذا ، دعنا منه  
ولندبر أمر إنقاذك »

وتفرّست فيه لتبين أثر كلماتها في نفسه ،  
فراته وقد زوى ما بين حاجبيه وكبح وجهه جامد  
التنظرات سادر الطرف لا يبحر ، فلم يكن منها إلا  
أن أمسكت اليد التي أطبقت على معصمها بقوة ،  
ودلت عليه برقة ، ورمقته بنظرات فائرة تلم قلب  
الخلي واستأنفت قولها :

« إن العلم على كل حال لا يمتدّي كونه  
قطعة من قماش ، وأما أنت فلـ « برديك الشباب

كلهم وإن على آذانهم لمتفتر . إن هي إلا ساعة  
أو بعض ساعة ألفظ بعدها ... »

وتوقف عن الكلام ، فساد المكان صمت  
دهيب ، وخيم عليه سكون قاجح . فريمت الفتاة ،  
وتقدمت إليه مرتمشة ، ومدت يدها النحيفة  
السمرء ، وقالت بلهفة الجازعة :

« ما بك ؟ أمصاب أنت بمرح يحتاج إلى  
تضميد ؟ ألم بك مكروه ؟ دعني أحضر لك جرعة  
من الماء القراح ، أو أقدم إليك المساعدة التي تبتغي ؛  
أفصح بربك ... قل ... أيموزك شيء ما ؟ أريد  
ماء أو ... »

فهز رأسه والألم يكبت منه الروح ، وتحيرت  
على قعره الدابل بسمة هزة باتت من ورائها أسنانه  
اللؤلؤية البيضاء ، وأطلق من صدره المعنى آهة  
اضطرب لها جسده الراهن التهوك وقال :

« إن زمني يا فتاتي قد تصرف وانقضى ،  
ولم يبق لي من الحياة إلا دقائق معدودات . لقد  
استقرت في صدري رسامة جانية ، والشفرة التي  
فتحتها فيه ضمنية بالقضاء على أشد الرجال عزماً  
وأقوام بنية ، وقد ألفظ أنفاسي الأخيرة بين يديك  
يا فتاتي ، ولكن لا لي ما أقوله لك قبل رحيلي  
الأبدى من هذه الدنيا الغائبة ... وسيتي الأخيرة  
قبل أن تفارق روحي جسدي »

قال هذا ومدّ يده إلى صدره وانزع من بين  
ثناياه قطعة من القماش اللون طويت بترتيب كلى ،  
وقدّمها إليها وقال : « انظري ! »

فتطلعت الفتاة إلى ما قدمه إليها الجندى المجرم  
وساحت بدشة واستغراب لا حدّ لها :

« ولكن ما هذا ... ؟ »

أن تحبته في صدرك ... فتصبح فرنسا الحبيبة في صدر امرأة، وإنه والله لحسن أمن من رلين»  
وصمت هنيهة أطلق فيها من صدره المخبور  
زفرة لاهية ثم قال بلهجة السيد الأمر :  
- « أصرى يا فتاة »

وزلت الفتاة عند رغبته وأذغت لمراده  
فراحت تفتح صدرها بأصابعها اللينة الناعمة وراح  
هو يتملى بنظر البائس المحزون من روعة الفجوة  
الضاحية بين الهذين السريين، حتى إذا وضت  
العلم المطوى فيها، وأخذت ترزّز صدرها وهنّ  
منه العزم وخرت القوى، فهو ي جسمه، وكاد  
يقع على الأرض تحت قدميها الصغيرتين لو لم  
تسعه بذراعيها البلاوين المفتولتين، فأتاك عليها  
قليلاً ثم ارتمش بينهما ارتماشة الطائر الجريح وتعمل  
بينهما بحركة خفيفة مؤلة حاول أن يستجمع فيها  
قواه لينتصب واقفاً وحجم لنفسه بصوت خفيض  
متقطع سمعته الفتاة جلياً واضحاً :

- « يلوح لي أن الموت أدنى إلى مما كنت  
أحسب، فغير لي إذن أن أذهب في سنيلي »  
ثم التفت إلى الفتاة وحدق في عيناها الوضوء  
القسمات بعينه السوداوين الكئيبتين وقال لها :

- اصنى لما أقوله لك ولا تحاول أن تترضى  
على مشيئتي ... أجدى عليك ألا أبقى هنا، فيقأتى  
شرّكه، ووبال عليك وعلى ذؤيك أجمعين ...  
سأسير على بركة الله وحسبى أنى أودعت العلم  
في حوز حرز ... وحذاريك الألمان يا فتاة ...  
فاذا شئت أن تحسنى إلى نفسك فأنكرى عليهم  
رؤيتك لي ... لا بل عليك أن تنكرها الإنكار كله

النصير، وأمامك مستقبل وضيء ملؤه الآمال،  
وأنا ... أريدك أن تحيا ... سأحاول جهدى  
لأنجيك وأعيد إليك قواك وعافيتك، ولن أذكر  
وسعاً في سبيل برّك وشفائك وضمان سعادتك  
وهناك »

وتوقفت عن كلامها مرة أخرى لحظة واحدة  
فقط حدثت خلالها فيه ومقلتها تشعان بوميض  
غريب ثم قالت :

- « في وسى أن أخبئك في مكان لا ترفع  
إليه عيون أعاذيك، ولن يتألك عندي مهما  
تألبت جوعهم وكثرت على، فالتويه على هؤلاء  
الخنازير الأغبياء سهل ميسور »

وما كادت شفاته تفرجان عن آخر لفظته،  
حتى كان هو قد انزع يده من قبضتها انزعاً  
وصاح بها :

- « خبى فرنسا بدلاً منى . إيه أيتها العذراء  
ما أراك تفقهين ما أقول ؛ إن العلم هذا هو فرنسا  
بعينها، متجسمة فيه بكرامتها وإياها ومجدها التالذ  
والطارف، وشعها الأنوف النبيل، ويجب ألا  
يصل إليه أعداؤنا الألمان بوجه من الوجوه،  
أنفهمين ؟ »

كان يتكلم بشيء غير يسير من الحدة والغضب ؛  
والحدة والغضب خليتان مأثورتان عن الفرنسيين  
جميعاً لا تكاد تستثنى منهم أحداً ؛ غير أنه لم يلبث  
أن انفثت حدته واستكان، وانطلق يطوي  
اللواء طياً سريعاً ومقلته التالبتان عالقان بمقلتها  
الناعستين ثم قال بلهجة كلها ضراعة وتوسل :  
- « إن رداءك واسع قضا فضاض فعليك بالله

— « إنك تحملين فرنسا في صدرك أيها الفتاة ... »

ونضح ضحكة هادئة مقتنصة واستطرد في عبارته :  
« وأنا رجل على شفير الهاوية وأوشك أن أبوت ...  
والاحتضار على قيد باع منى وتحدثين إلى مع  
ذلك كله عن الهوى والحب ، هيه ... »

وداح صدره يهبط ويعلو بسرعة ، وفؤاده  
ينفخ حتى ليكاد يسمع وجيئه ؛ فلما أحس بشيء  
من الراحة تابع قوله بشيء من المראה كثير :

« لا شأن لي بالهوى ... إنها الحياة التي  
أبنتي ؟ ... هي الحياة التي أحتاجها أيها الغانية ! »  
لقد رماها بهذه الكلمات المقتنصة القاسية ،  
وإن هي إلا أحجار تنثال لا ألفاظ تقال ، ثم سار  
الهوى ، وانطلق يدلف في سبيله دلفة الغاني  
الكليل

وأما هي فقد اثنت بسكون على الحاجز الخشبي  
والأيس رمض منها الجوارح ويقص منها الحشا ،  
تواكبه نظراتها الحزينة وهو يشق طريقه بين سنابل  
الحقل كنيء الخلطى وثيدها . ولما ابتعد عنها ولم  
تد تسمع حركة ولا نامة ، ولم يبق لها إلا ارتقاص  
الأزهار بين أكف النسيات ، وارتعاش النباتات  
بين أنامل الهواء ، لكضت صدرها الحبيب الفاتن  
لكضة أو لكستين وصاحت من فؤاد متبول  
وحشاشة كلبي :

— « فرنسا ! أنا أكره فرنسا وأمقتها ! »  
ورأى السمع في عجزها ولم يلبث أن انهمر  
على خديها الملهين صبيها سخيتاً

وسيقنون بقولك من غير ريب ، فالوقت لا يزال  
باكراً ... أنفهمين ؟ ! »

وسكت وكل ما فيه يتم على الأيس الفادح والألم  
الر ؛ ونظر حوله نظرات بطيئة فاحصة كأنه راح  
يودع ذلك المحيط الزاهر الغمور بالجمال الفطري  
الساحر ، ويشيع هاتيك الأرباض التي يهددها  
سجع البلايل وتغريد المتادل كل فجر ، ويناعها  
كل مساء خفيف الأوراق في القصون المثلد  
الندي و هيمنة التسيم الرخي في سوق <sup>(١)</sup> السنايل  
الثرية . ولما هم بالسير استوقفته الفتاة بنظرة كلها  
هوي وجوى ، وقالت له وقد خر سرج أخفر خديها  
النضرين بحمرة الشفق الحالى : « قبلى — على  
الأقل — قبل رحيلك . هبني لثمة واحدة من ثغرك  
الشبيب . وارشف مرّة — لا غير — لماي قبل منك ! »  
فجد الجندى في مكانه بارد النظرات ، وقد  
وقفت هي أمامه ملتهبة العاطفة بقدها المياس ،  
وقوامها الرشيق ، وشبابها الفض الرطيب ، وجسمها  
الغري الفاتن ، وألقى عليها نظرة ضممتها كل  
معاني الزهد والاحتقار ، وقلب شفتيه ، وهز  
منكبيه وقم :

— « وأما لكن معاشر النساء ! إنكن  
جميعاً في العاطفة سواء ؛ ... طبعاً بطابع أنوى  
واحد ، وجيلان على شاكلة واحدة ! »

وصمت وهو يلهث ، كأنما جثم نفسه مشقة  
لا قبل له باحثها إلا يجهد ، حتى إذا هدأت  
أنفاسه واستراح التفت إليها ثانية وقال :

# الرجوع الى طبيعتك طالما اضطررت الى الاستمرار في بيوتك



**كيف تقضي  
«اسبرو»  
لنوطحك**

بفردتكم صغرة مع ٣ - ٦ سنوات لمرضى  
القلب او الربو ٣ - ٦ سنة مرض واهل  
٦ - ١٢ سنة مرض واهل  
١٢ - ١٨ سنة مرض واهل  
«اسبرو» كثيره صلاوة في لوطيكي ووطحك  
٣ سنوات حداث امر الطيب

لنحفظ لوطيتك في هذه المرة ولننظر حتى يتقدم سيرة اهل بيوتك في  
الرجوع الى طبيعتك مع «اسبرو». وانما تستطيع ذلك بالتاكيد بشرط ان  
تأخذ «اسبرو» في وقت الوافد ان قرحه او تلوته معه «اسبرو» في وقت  
ساعاته اصيل اصابه لوطيتك في هذه المرة. وقد اثبتت نتائج اللوحات  
سيرة الناس لاهلهم واهلهم في وقت الوافد في وقت الوافد في وقت  
هذه الفترة. لذلك طارداً ما صار «اسبرو» في وقتك في وقتك  
ان شاء الله تعالى في وقتك في وقتك في وقتك في وقتك في وقتك  
ما تستطيع تقديره في وقتك في وقتك في وقتك في وقتك في وقتك  
ان «اسبرو» في مادة سليمة وفعاك في وقتك في وقتك في وقتك  
الطالما لوطيتك - قرح «اسبرو» في اربع حبوبه ما تكونه في وقتك

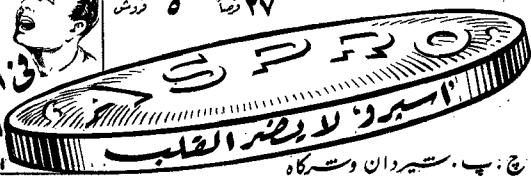
بربعة لوجع الحلق والتهاب اللوزتين وفعل فاعله في وقتك في وقتك في وقتك في وقتك في وقتك  
والفعل في وقتك في وقتك في وقتك في وقتك في وقتك في وقتك في وقتك في وقتك في وقتك في وقتك  
طبيبين قرحين لوطيتك في وقتك في وقتك في وقتك في وقتك في وقتك في وقتك في وقتك في وقتك في وقتك



**«اسبرو»  
تفكر في  
في التناوب  
الزهر**

ملحقات	٥	٢	٢
قرشاً	٢٥	١٠	١٠
قرشاً	٥	٢٧	٢٧

بياع في جميع الامارات  
وتحتفظ بالملكية



ج. ب. ستيردان وشركاه

ناعستان حائلتان ،  
تلتصقان التماس قطر  
الندى الوضاء !  
ولكن الأمير  
الشاب يستغرق في  
كتابه تصفحاً فلا  
يرفع عنه عينه ولا  
يقف !

## عروس البحر

لِلشَّاعِرِ الْهِنْدِيِّ رَابِدْرَانَات طَاهُورُ  
بَقْلَمِ السَّيِّدِ الْخَزِينِيِّ شَهَابِ السَّعِيدِي

\*\*\*

واعترض الملك الوالد بِسَّحِي<sup>(١)</sup> ابنه وعشيرته  
يسأله عما انحرف بابنه عن الزواج وبفضه إليه !  
فقال سمير الأمير : « أيها الملك الجليل ، لقد  
زهد الأمير في الزواج ما سمع عن عرائس الأمواه ،  
ولقد أقسم في سره لتكونَ زوجته من عرائس  
البحر ، بنات الماء ... »  
وأراد الملك أن يعلم من أمر هذه العرائس شيئاً ،  
فاستدعى إليه أهل العلم وأرباب الحكمة .. ولكن  
أرباب الحكمة لا يعرفون ... ولكن أهل العلم لم  
يرووا في كتبهم عن العرائس المزعومات شيئاً !  
إنما هاتيك العرائس : عرائس الخيال الوهومات ..  
وكذلك قال رؤاد البحر من المهوود التجار !  
فدعا الملك الشيخ إليه سمير ابنه ، يسأله عن  
قص على ابنه هذا الخيال الوهوم ؟ فأجاب : إنه  
رجل يضرب في الآفاق مجنون ... وقد سمع منه  
الأمير ما سمع في الغابة حين كان يصطاد !  
فأرسل الملك أعوانه في البحث عن هذا المتشرد  
المجنون ليحضره إليه ... حتى وجدوه وجأوا به  
إلى قصر الملك الفخم العظيم ! فسأله الملك عن

(١) النجى : الصاحب أو الصديق

كان شاباً فتياً ، في مرآة قرة العين ، وابتهاج  
القلب ، وغبطة النفوس ...  
وكان غرة قومه ، ووجه عشيرته ، يثنون له  
أعطافهم ، ويمهدون له أكنافهم ، ويؤثرونه بالحب  
والإيثار ...  
وكان من حوله يستفزون نفسه الثائرة بأحاديث  
الزواج ، وما فيها للقلب من متعة ، وما في الطبع  
إليها من طمأنينة وارتياح  
قال واحد من رسل الملك إليه : « أما أميرة  
بهليك ... فما أجلها ! إنها لك الباقية من أزاهير الربى  
في الربيع ! »  
ولكن الأمير الشاب أشاح بوجهه — وكان  
لم يعلق الحديث منه بشيء — وما أجاب  
وقال آخر : « ... وتلك هي أميرة كندهار ..  
زاهرة أنيقة ، وضوء بهية ، كتل وضوء المنقود  
التضيد ! »  
ولكن الأمير الشاب ينساب في الغابة لا يخرج  
منها إلا بعد حين ...  
وقال وصيف من سراي الملك — أيه — :  
« ... جميلة أميرة كالمهوج جمال قوس الأفق عند  
انتشاق أضواء الفجر وأنواره ... وغيناها ... عيناها

وإن هذا لشهر جديد يكاد ينصرم .. والأمير  
في مكانه لا يريم !

وفي ليلة من ليالى هذا الشهر أصنى الأمير  
الشاب إلى صوت مزمار خافت يطرق أذنيه كالصدى  
التأى البعيد ...

وفي اتجاه السيل المنحدر إلى البحيرة الجميلة  
كان اتجاه الأمير ... حيث كان مصدر الصوت  
الشعري الرحيم ؟

وهناك ، كانت تجلس بين أزهار « اللوتس »<sup>(١)</sup>  
حورية من بنات البحر عزائس الماء المنشودات  
إن شعاعاً عبقاً كان ينبثق من زهرة من  
من زهور « السيزش »<sup>(٢)</sup> في مفرقها الجليل

\*\*\*

فترجل الأمير عن جواده ، ودنا إلى الحورية  
في استحياء يطلب منها تلك الزهرة الجميلة المعلقة ..  
فرفعت رأسها ترنو إليه ثم سحبت زهرتها من شعرها  
وقدمتها قائلة : « إنها إليك »

ثم سأله الأمير : وأى ملكة أنت ؟  
فبدت على وجهها علامات الدهش والابتكار  
ثم قهقهت في ضحكات مترنات كالأنغام ... كان لها  
رنين في قلب الأمير الشاب .. لقد ظن الناس تلك  
الضحكات مزامير .. لشد ما يخطئون ...  
ثم ركب الأمير جواده ، وأردفها خلفه ومضى  
يبحث السير !

وحال على ظهر الحصان همس الأمير في أذنها  
أن اخلعي عنك النقاب .. وإذ كرى اسمك الكامل  
فأجابت : إن اسمي ؟ كما كرى ... وأما القناع

(١) زهور هندية معروفة لم نجد لها في اللغة ترجمة .  
(٢) ليس في العربية وصف كهذا ولكن أمانة الترجمة  
اقتضت نقله ، على أن فيه معنى يدرك بعض الذين يهتمهم الجال

ملكه عروس الماء أين تكون ؟  
قال المجنون : إنها فيما يلي حدود الشمال من

ملككتك أيها الملك العظيم ... عند سفح جبل  
« شيتراي » حيث تنبع بحيرة « كامياكا » ...  
فقال الملك وهل يصير المرء عزائس الماء هناك ؟

فأجاب الجائل المخبول : نعم ! في إمكان المرء  
رؤيتهن ... ولكنه لا يكاد يعرفهن لما يحيطن  
به أنفسهن من إبهام وغموض ... غير أنني أعرف  
العرائس الفاتنات بأصوات مزاميرهن الرائعة ...  
أو بقبس من شعاع لمن وهاج !

فغضب الملك من هذا الهذيان وقال : « إنه  
للمجنون ! قد أصابه مس من حياة التشرد والتجوال  
فاطرده »

غير أن الأمير كان قد أصنى إلى ذلك الهذيان  
الجميل ... وقد علق بقلبه منه ما سمع ، فليس إلى  
طرده من سبيل ...

\*\*\*

وجاء الربيع يكاد سنا حسنه يستلب العقول ...  
وانبثقت أزهاره في الغابة تملأها حسناً وعطراً !  
فركب الأمير جواده وخرج ... فيسأله الأهل :  
إلى أين أيها الفتى النبيل ؟ إلى أين أيها الأمير الجليل ؟  
ولكن الأمير ساكت لا يجيب ...

السيل يتدفق متحدرًا من أعلى الجبل ثم ينصب  
في البحيرة فيفيض ... وهناك ، هناك قرب الجبل  
في المنبد المهجور كان الأمير يقيم !

ومر شهر ، والأمير في معبده يرتقب ، وفي  
الشهر هذا اشتدت خضرة الزرع ، واكتست  
بوشاح من البرجد الزاهي الجليل !

« إن الأميرة قد جاءت متخفية في هذه

الآطار ... »

ولكن أصوات المزمع إن خفتت فلم تنقطع ،  
أو انقطعت فإلى حين ؛ وكان الأمير إذا سمع ذلك  
يهيج ويفض لأشهر لا يشاركونه شعوره نحو  
هذه الأميرة ابنة الماء ؟ !

ومضت الأيام : والأمير على ما وصفنا ، وأهلوه  
على ما ذكرنا ، وزوجه على حالها لم تتغير ، ولم تلق  
عنها نقابها البغيض المكروه ...

ولكن الأمير يؤمل ويبتظر ، وهو الآن يكتفى  
بالأمل والانتظار ...

\*\*\*

وإنه لجالس مع « عروس البحر » يسامرها  
إذ سألتها عن مدى لبس هذا القناع البغيض ؟  
فقلت : « بل سيكون لذلك أيها الأمير مدى معلوم ،  
ولكن تَرَيْتَ الآن »

فأجابها : إذن فسيكون ذلك في قر الشهر  
المقبل أيها الأميرة الحسنة ! !

\*\*\*

إن قراء<sup>(١)</sup> البدر قد اكتملت وضوحاً وقوة ،  
فهي الآن تملأ البعد ، وتفصل الحقول ... وتسيل  
على الأرض فتغطي على كل ما فيها ... حتى تلك  
الغرفة ، وذلك السرير ! !

ولكن أين كاكاري ... أين الأميرة ابنة  
« البحر الحسنة » ؟ !

... لقد غابت ، إذ رفعت عنها القناع ! !

« بنداد » فخرى شهاب السعدي

(١) قراء البدر نوره

فما كان قد انكشف كما أراد !

وهنا قال الأمير : وجهك ... أرنيه ... إني  
في حاجة إلى استجلانه أيها الملكة الحسنة  
ولكنها قهقمت في ضحكات كالأولى كان لها في  
قلبه المتاع وقع ورنين

ثم وصلا إلى المبد القديم المهجور ... فملن  
الخبر وذاع ؛ وسمع الملك الشيخ بزواج ابنة الأمير  
فأرسل إليه الجند والحيل والقبلة والعرصات ، في  
معبده المهجور !

\*\*\*

— واليوم يا « كاكاري » سندهين إلى القصر.  
ولكنها لم تجبه ، ولكن في عينيها كان الجواب .

لقد كانتا دامتين ، طامحتين بالدموع ، تستعبران !  
لقد حاجتها الذكرى ... وأثارت ما في نفسها من  
شجون ...

ثم قالت : « بل أنا لا أستطيع الذهاب ...  
أيها الأمير المحبوب ! »

ولكن صوضاء القادمين وجلبتهم غلبت صوتها  
الواطى الضئيل ، وسارت إلى قصر الملك الفخيم !

\*\*\*

فرأىها الملكة فقالت : وأي أميرة هذه تكون ؟  
ورأىها ابنتها فقالت : يا للمار ! !

ورأىها من ورائف القصر واحدة ، فقالت :  
انظرن إلى رداء الأميرة الخلق ... لا بأس عليها  
فإنها ممن لا يحتجن إلى الثياب إذ أنها من  
عرائس الماء !

ولكن الأمير أسكنهن في حقن وغيط شديد .  
وقال :

# الأم المثلث وحشة

لِقَصَصِي الْفَرَسِي دِي مُوَبَاسَانِ  
بِقَلَمِ الْأَدِيبِ كَالِ الْحَرِيرِي

النافرة . كل شيء  
في « فرجيل » كان  
يتصوّر مشاعر طفولتي  
الناجحة ، ويستهم  
أحاسيس صباي  
الناجحة ، خصوصاً  
ذلك الجبل الذي يتشع  
بالنيطان الشجر ،  
ويتحلى بالرياض

الزهراء ، ويتقلد بقعود النهر الفضية ، وأساور  
الغدر البراقة ، كأنه غانية أمود ، بحلها وحلها  
ومطارها وشغفها

لله كم كنا نلهو بصيد السراطين من شقوق  
الجداول ، ونقص أسماك الحيات من غمر الماء ،  
وكم كانت سعادتنا سماوية ونشوتنا ملائكية ، حين  
كنا نستحم عراء في ماء الجدول ، بين أسراب  
البط وطوائف المكاكي . ولكننا وأسفاه كل  
ذلك انقضى وانطوى في غيابة الأربعين عاماً

وأنا في ضحوة هذا النهار أسير سريع الخطو  
رشيق اللقطة كأني الجدي الطافر ، وكلباتي أمامي  
يسرحان في الأرض ويرودان أما كن القنائص  
ومواقع الطيور ، وعلى بعد مائة خطوة كان صديق  
« سرفال » يدوس بقدميه الكبيرتين حقلاً من  
شجيرات « الشوكي » الممتدة أمامنا . وكنت مجتهداً  
في تنحية كتل من العليق التي كانت تعيد غابة  
« سادر » من كل جهاتها حين تبصرت كوخاً  
متهدماً مهافتاً أسوداً سحم أكل الدهر عليه وشرب .  
وما كدت أبنته حتى عراني لرؤيته هزة ورعشة .  
نعم لقد ذكرته جيداً : فقد كان في جلسته وموقعه

كان قد مضى على رؤيتي صاحبة « فيرون »  
أربعين سنة حين أبت إليها هذا الخريف للصيد  
اللاهي واللدو البريء والد كزى الحلوة . وقد زلت  
ضيقاً على صديق « سرفال » بعد إذ أعاد بناء قصره  
التهديم من غارة الألمان

لشد ما استرقتني جمال هذا الريف ووسوسة  
رياح الخريف في هذه الأمكنة الحبيبة أجواء  
سحرية وآفاق شمسية ، ومسارح لكزيات طفولتي  
عزيزة على أثيرة عندي . ثم فيها بعد ذلك المناظر  
الطبيعية البهيجة ، والمشاجر المنخفضة الأريحية ،  
ومفاتيح النظر والفؤاد والسمع

أندري ما يجتذبتنا من هذه الأمكنة التي درجت  
فيها طفولتنا ونما صباها ؟ ذكريات عذاب حول  
نبع مسجور كنا نتصيد فيه السمك ، أو جلسات  
إلى دوح مشتجر نصفي فيه لغناء الطير ، أو قفزات  
مرحات فوق هيردافق صافق نفوس فيه بأقدامنا ،  
أو صعدت إلى ربوة مشرفة مخضوة خرة بالنبت  
يانعة الزهر مغفومة بالمطر . كنا نتجاري على  
مصاعدها فرحين ، أو نتبارى على مسالكها الزلقة  
لاهتين ، كأننا الجداء المرححة الطافرة ، أو الغلياء الراتمة



الجليدة، وملاعها القروية الجافة — أشبه ماتكون بولدها وزوجها. لم يكن أحد منهما راق ليعجبها، ولا شيء منهما راح ليضحكها أو يطربها؛ فعلى الدهر متعبة منقبضة، بأسرة الوجه راكدة الريح ...

على هذه الحال كانت تقضى حياتها الجافة الرتيبة في كوخها المتأبد المريد. حتى إذا تردى كوخها بردائه الشتوى الأبيض أخذت تختلف مطلع كل أحد إلى القرية تشتري الخبز واللحم، وتبتاع الخضار والفاكهة، ثم ترد في سرعة إلى كوخها وتسلم نفسها إلى عزلتها ووحدها؛ وفي بعض الأحيان حين كانت تخشى وثبة ذئب أو أوغارة ضبع طاو، كانت تتقلد بندقية ولدها الصدئة المتيقة وتغشى بها متحاملة مكدودة، مخنية القامة، مرتهكة المفاصل منبهة الصدر، تقتلع أقدامها اقتلاعاً من أبسطة الثلج، يذبا فوهة البندقية تبعث بعصاة سوداء حول رأسها، تجتهد الفوهة عبثاً في تنحيها عن شعورها البيضاء المشتعلة شيئاً، والتي لم تكتحل عين بشرية برؤيتها مكشوفة

في ذات يوم أقبل « البروسيون » إلى القرية غازين ظافرين، فتحتم على كل بيت أو كوخ في القرية استقبال هؤلاء الأضياف الكرام ... كل بما تملك يمينه وتتسع له ثروته؛ وإذا كان الظن يتجه إلى ثروة صاحبنا الوفيرة وتقودها الدفونة، فقد أجبرت على ضيافة أربعة جنود فتيان من الألمان، ثمخر الوجوه شُقر الدقون زُرق البيون، غلاظ شديد الأسر، مكنزى اللحم والشحم على رغم شدة الحرب وهولها وعركها أجسام الشباب برحاحا؛ وعلى أنهم في حمى النصر ونشوة الغلبة والعزة،

على الحال التي كنت تركيته فيها لآخر صرمة سنة ١٨٦٩ منفرداً بمنزلاً طيب الموقع تكتنفه شجيرات الكرم وترتع في باحته وأمام بابه أسراب الدجاج. غين شاهدة الآن بهيكله المائل الحرب وجسده الضارع الحزين، انسربت من عيني شتوى وهاجت في صدري شجوني. فذكرت متالماً يوماً كنت فيه ساعياً لاعتبا مما أجهدتني الصيد، فدخلت هذا الكوخ لأول مرة فقدمت لي صاحبتة قدحاً من نبيذ. كما ذكرت أن صديقي « سرفال » اقتصر على حكاية سكانه فقال: أما رب هذا السكن فقد قتله حارس من حراس الأحراج في يوم كان يستلب فيه غلة جاره، وأما الولد فلخشونة طبعه وشراسة أخلاقه ووحشية مزاجه فقد كانوا يلقبونه بالولد « المتوحش » هو وأمه؛ ولطالما أُلُف الزرع وسرق الدجاج وأفسد الحرث والنسل. وهنا خطر لي أن أعلم ما تم في أمر سكان هذا الكوخ الهجور فناديت صديقي وطلبت منه سرد قصة أهله فقال:

حين أعلنت حرب السبعين تطوع « الولد المتوحش » وهو في سنته الثالثة والثلاثين، في عداد من تطوع من شباب القرية، تاركاً أمه المعجوز وحدها في كوخها المنمزل، وليس وراءها من يعولها غير صباية من مال تتناش بها

كانت وحيدة منبوذة في هذا الكوخ المطرَح النَّائى، ومع هذا لم يكن الخوف ليعرف مكاناً من قلبها ولا سبيلاً إلى نفسها؛ إنما يخاف ويفزع الخرد النيد والحسان الأماليد، اللائى قلوبهن هواء، وأعضاياهن خيوط عتكبوت. أما « الأم المتوحشة » فكانت — بقامتها المناذة الديدية، ومعارفها الخشنة

ووطنها . وليس ذلك بدءاً من قلوب القرويين الأطلهار  
فالتعصب القوي لم يدخل قلوبهم ، والبغض الوطني  
لم يجر في دماهم . فذلك كله يكاد يكون وفقاً على  
قلوب أهل المدن والأصهار ، إن أهل القرية السذج  
المساكين ، وسكان الريف الخضع الحاشعين ، الذين  
يتحملون الغرم وغيرهم ينعم بالغنم لأنهم فقراء ،  
والذين يطيبون نفساً بلحومهم الحسية الفريضة كي  
تحرقها نار الدافع وتسفدها جواحم القنابل ، لأنهم  
كثير عديد في زعم أهل المدن ، والذين يتألون  
من الحرب أشد الألم ويتعدون أهول العذاب  
ومنون منها بكل طاحنة دهباء وكارثة ظلاء لأنهم  
مستضعفون في الأرض ، لا يملكون لأنفسهم  
وذوبهم نفماً ولا فصاً ؛ أقول إن هؤلاء المساكين  
الأخيار ليسوا أصحاب أمزجة حررية وطبائع جهنمية ،  
فلا الموت للذياد عن الوطن المغصوب مما يعتدونه  
شرفاً ونفراً ، ولا نهر الحياة والشباب عندهم بالمآثرة  
التي تستأهل إلقاء الأجسام في النار

\*\*\*

كان الناس يتحدثون في شأن هؤلاء الجنود  
الأرمنية وما يلقون عند الأم المتوحشة من رماية وحذب  
وأكرام . في ذات صباح بينما كانت صاحبتنا خالية  
لنفسها ووحدها في كوخها إذ أبصرت في السهل الممتد  
أمامها رجلاً يقصد منزلها . وحين اقترب من الكوخ  
عرفت فيه موزع بريد القرية . فلما شاهدها ناولها  
ورقة مطوية وقال لها : إنه لكتاب يهكم ياسيدتي .  
فأسرعت المجوز بإخراج منظارها الذي تستعين به  
على خياطة ملابسها ثم قرأت :

سيدتي المتوحشة :

يسوؤني أن أحمل إليك أبناء فاجعة أئمة لانتهيا

فقد كانوا نهاية في الظرف والدمائة ولين الجانب ،  
يلقون الأم المتوحشة بالوجه الباش واللسان المذب  
واللجة المطوف . ثم هم كانوا لا يألون جهداً في  
إراحتها وتوفير قودها وتقليل إنفاقها عليهم ، ولا  
يكلفونها عمل شيء أو تهينة حاجة يستطيعون  
الاضطلاع بها دونها . وعلى الجلة فقد كان إصلاح  
الملبس وكى الثياب وتنظيف الأقفصة وغسل الأواني ،  
وأخيراً مسح زجاج النوافذ وتكسيروا أطباق التدفئة  
أموراً منوطه بهؤلاء القتيان الناشطين الذين كانوا  
يرعون هذه الأم المتوحشة ، رعاء الأبناء البررة  
أهم الحبيبة العززة . على أن ذلك ما كان يمنحها من  
تذكر ولدها الراحل بمقامته الطويلة الحنية وجسمه  
المهزول الأعجف وأفنه المحدث الأعقف ، وعينه  
الرمادية الدكناء وشاربه الغليظ الكث الذي طالما  
نما وربا حول فمه وشفتيه ، كغابة كثيفة مشتعلة ؛  
كانت دأمة التسأل عنه ، كثيرة التلهف لرؤيته ،  
لا يمر يوم دون أن تلقى واحداً من هؤلاء الأرمنية  
بهذا السؤال :

— ألا تدلني على معسكر الفرقة الثالثة والعشرين  
من الجيش الفرنسي ؟ والمفتاه على ولدي لقد تقطوع  
في هذه الفرقة . فكأنوا يجيبونها برطانهم الألمانية :  
لا نستطيع ذلك ولا نعرفه . وإذ يذكرون أمهاتهم  
المرواتع الجازعات ينتظرن لإبهم في البلد القصي  
تدركهم على هذه الأم اللتاعة المسكنة رحمة فيسرون  
عنها اللغة ويرفون بعض ما تجد من الشجو والحنين .  
لهذا ولطف والظرف الذين كانت تجدها في  
هؤلاء الجنود الأرمنية ، كانت « الأم المتوحشة »  
تحننهم وتحنو عليهم بالرغم من أنهم أعداء بلادها

بعض من الألم أطراف شاربه الكثرة ، كدأبه  
حين يقضب ويهيج

علي أن سؤالاً جديداً تهافت على رأسها :  
ما عسام صانعين بجسده الداي المقطع ؟ أيمودون  
به إليها كما فعلوا بجسد زوجها أم سيخطفونه جزر  
سباع الطير وضواري الوحش ؟

وهنا بلغ سمها خفق نمال جنودها ، يصخبون

ويجلبون بعد عودتهم من القرية . فتيبت الرسالة

المشتومة في صدرها . ثم إنها ملكست عنان جأشها ،

فاصططعت هيئة الهدوء والجد واستمادت سحتها

الاعتيادية المألوفة . كان الأربعة في لحو وسرور

وقصف ، وقد عادوا من القرية ظافرين بأرب

حنيد طرى سرقوه ولا شك من احد منازل

القرية . وحين بصروا بالألم أشاروا إليها لكنهم

المألوفة : أن أعدى لنا حساء لذيذاً شهيماً . فهرعت

الألم تهيه الطعام وتعد مائدة الإفطار . ولكن

شجاعيتها خانتها حين تحتم عليها ذبح الحيوان المسكين .

لم تكن هذه المرة الأولى التي تراول فيها ذبح أرب

أو دجاجة . فقيم ترتجف يداها ويخفق فؤادها ؟

أخيراً تمت عملية الذبح والسلخ . فظهر اللحم أحمر

تسيل دماؤه الحارة القانية على يدي المجوز فيسري

لمرآها الخوف والهول في عروق المرأة ، وترتند

من قة رأسها حتى إلخص قدمها ، ولاسيا حين

تثلث في جسده الداي ولدها الفقيد وقد قتلته

الفتلة نغراً صريحا للدين والفم

ويتم نضج الحيوان ، فيتخذ الأربعة مجالسهم

حول المائدة ويجلس صاحبتنا في مكانها المعتاد ،

نفسك المذبذبة لسماعها : لقد قتل ابنك ياسيدتي .

انفجرت عليه فتلة جهنمية فشطرتة قسمين ، والمهفتاء

ولما كنت بجانبه في خط القتال وكان قد رجاني

أن أحمل أخباره إليك إن أصيب بنكبة أو أذى

فقد أخرجت من جيبه عقيب الفاجعة ساعته

لأسلمها إليك حين تنتهي الحرب . وتقبل تحياتي

وتمزيقي الخالصتين :

سيزار ريفور

جندي من الفرقة الثانية من الجيش الفرنسي

وفي ذيل الرسالة تاريخ كتابتها وهو يعود إلى

ثلاثة أسابيع

وقفت الألم أمام هذه الكارثة مأخوذة والمتهجيرة ،

لا تحير كلاماً ولا تذرف دماً . فقد كان مصابها

يمز على البيرة . ثم أنشأت تردد بينها وبين نفسها :

هو ذا ولدي الحبيب لاتي مصرعة في مطاوى القرية ،

بعيداً عن أمه الرؤوم ، فوالهفتاء عليه وعلى شبابه

الفض وصباه الشارخ . ثم رحما الموقف وأنجدها

السمع فأذرفت الدموع الغزار وصعدت الزفوات

الحرار . حتى إذا ثابت إليها نفسها وعودها عازب

حلمها ، أخذت تذكر في حسرة ولهفة أنها لن

تقبله آخر الأبد قبلات أم حنون ، ولن تحتويه

بذراعيها ولن ولن ... يا لظلم الإنسان ! ألم يكف

حراس الأحراج قتل زوجها المسكين حتى ققام

الألمان القساة بولدها الوحيد يشطرونه شطرين

كأنه لعبة من مسكرين يدي طفل أرعن . ثم خيل

إلى المرأة الرزاة أنها تراه وسط المعمة ، مفصول

الرأس عن الجسد بارز العينين من محجرتهما .

السلم الصناعي الذي اصطنعته المعجزة لا يلائهم  
الغرفة الجديدة ، وما كادوا يفعلون ويقفون وراءهم  
باب سقف الغرفة الجديدة ، حتى انتزعت الأم  
التوحشة ذلك السلم الحلي الذي يصلهم بياحة الدار ،  
ثم انسلت ففتحت باب الكوخ الخارجي ، وادوت  
تحميل حزم التبن والحشيش لتألبها بحين المطبخ .  
وكانت تروح وتندو إلى غرفة الناعمين في حذر  
ورقة لتطمئن إلى استراحتهم في النوم . وإذا سمعت  
غطيطهم الدوي الصاحب كأنه الأنعام الشوشة  
الناشرة تبيت من الأوتار المترامية المطلة ، ارتدت  
إلى المطبخ فألقت في الموقد المستمر حزمة من الحشيش  
وأعقبها بأخرى من التبن ؛ وحين تأكدت من  
اشتغالها وسرت النار في الأكياس المجاورة غادرت  
المطبخ ، وراحت تتأمل عملها في سكون وجود  
ووحشية . وفي بضع دقائق توهج المكان بالسعر  
المتأجج ثم استحالت الكوخ بفرقه ومطبخه ، إلى  
جحيم يتضرم وأتون يقذف بالهب والشرر . ثم  
أخذت ذلسة اللهب تندلع من النوافذ والشبابيك  
كأنها ألسنة الشياطين ، وهنا انبعثت من الكوخ  
صرخات شاكية ضارعة ، أعقبها أنات وتوسلات  
حزينة مبكية ؛ ثم انقطعت الأناث الدوية ، وخفت  
الصرخات العاوية ، فما عدت تسمع غير فرقعة  
الأخشاب وهي تثر في الفضاء ، أو فرقعة الجدران  
وهي تنهاوي إلى الأرض . أخيراً انفجر الكوخ  
وتصدع هيكله وسط سحب داخنة سحابة وغيوم  
مشتعلة حمراء . فكنت ترى التلوح في البرية ، وقد  
تألفت وتوهجت من انكسار النار عليها ، كأنها  
العروس الزعوب ، ارتدت حلة ناصعة بيضاء مطرزة  
الحوائش بالشرائط المجر

لا تشتهي طعاماً ولا تسبغ شراباً ، بينما أصحابنا  
يزردون اللحم الفريض ويشرقون بالنبيذ المتق  
الأحمر غير حافلين بها ولا ملقين إليها بالاً ؛ على أنها  
كانت تتناوبهم يصرها الحين بعد الحين ، وقد هبات  
في نفسها أمراً . وعلى حين فجأة فاجأهم صائحة :  
— أليس غريباً أنى وقد مضى على إضائكم  
شهر لم أعرف أساءكم بعد . فأدرك الجنود بعد لأي  
ما تنبيه الأم ، ثم أعلنوا أساءهم كل بدوره ، ولكن  
ذلك لم يفتحها ، فرجهم كتابة أساءهم وأساء أساءهم  
وحل إقامتهم في ورقة خاصة . فأذعن الأربعة  
لشيئها ثم ناولوها ورقة بما أبتقت ، أخرجت لقراءتها  
منظارها المهود ، وجملت تنظر إلى خطوطها الغريبة ؛  
وما إن تأملتها برهة حتى طوت الورقة وأخفها  
دون ثيابها بجانب رسالة ابنها الفاجعة . فرغ الأربعة  
من تناول الطعام فأهابت بهم قائلة :

ساعد لكم شيئاً تحبونه ، ثم طفت تخرج من  
الغرفة التي ينامون فيها أكياس الحشيش وأكياس  
التبن ، وحين سألوها عما تبتنى من عملها أجابتهم :  
— البرد قارس والجو بارد وسأبني لكم من  
هذه الأكياس غرفة تنعمون فيها بالدفء اللذيذ  
والنوم الهنيئ . فأقبلوا فرحين يساعدها في  
تكديس الأكياس وتريم الجوانح . حتى تم لهم  
بذلك غرفة ذات جدر أربعة رجهم الأم أن يردوا  
فيها إليهم قارن دافئين هائنين

وفي الغد كانت دهشة أحدهم بالفة ، حين شاهد  
الأم تعيد سيرة الأمن فلا تلمظ طعاماً ولا تمد  
يدها إلى حقيفة ، ولا سألوها عن سبب امتناعها عن  
الطعام اعتذرت بضعف الشهية وعناء العمل ، ثم  
أصرمت نارا لتصطليها وصعد أصحابنا الأربعة

— هذه رسالة نبي ولدي فيكتور ، ثم أعقبت وهي تجار كالنمرة الغاضبة :

— وهذه عنوانين جنودكم ، وأرجو أن تذكروا حين إرسالها إلى أمهاتهم : أني أنا التي حرقت فلذات أ كبادهن ، وليكن توقيعا هكذا :  
« انتصار سيمون المتوحشة »

لم يستطع الضابط أن يملك غضبه أمام وقاحة هذه المجوز وتشفها ، فأمر بجنوده فاستاقوها إلى جدر من كوخها يوشك على الانطفاء ، ثم اصطف حولها على بعد عشرين متراً اثنا عشر جندياً ، ورغم أنها أدركت ما يراد من هذا العمل لم تبد حراجاً ولا استمدت لدفاع عن نفسها

وهنا ارتفع صوت الضابط بأمر الجنود باطلاق النار دفعة واحدة .

لم تسقط المرأة كتلة دامية ، ولكن رصاص البنادق قصف ركبتها ، فهوت إلى الأرض صريمة ، تحمل في يدها المتقبضة رسالة ولدها دامية حمراء

قال صديق وقد انتهى من سرد قصته على :  
ولسكي ينتقم الالان ويشفون حرم من القرية ، هدموا قصرى كما تعلم .

وبينا صديق يقول لى هذا كنت أمثل لخطارى ، وأنا أنامل الكوخ المهدم الحرب ، شجو أولئك الامهات اللواتي فقدن أولادهن بين جدرانها اللثيمة . ثم أعجب وأدهش لهذه البطولة الشرسة التي أبدتها الأم التاكل ساعة الموت وحين تلقت رصاص الجنود

كالم الحريى

وفى وسط هذا المرح والرج كنت تسمع إرمان جرس يدوى من بعيد ، منذراً بالخطر وداعياً النجدة ، بينا الأم المتوحشة عالقة البصر إلى الكوخ وقد تنكبت بنديقة ولدها ، وفى نفسها أن تطلق الرصاص على كل واحد من هؤلاء الأربعة يسمعه جده فينجو من الجحيم اللاهب . حتى إذا اطمأنت إلى أن كل شيء قد انتهى إلي ما ترغب ألقت بسلحها إلى النار المندلعة ، وتسلفت جذع شجرة ثم راحت تقرب الحريق وادعة ساكنة . وأهرع من القرية رجال النجدة ، وفلاحون لاستطلاع الخبر ، وجند من الالان للتحقيق ، وكان على رأسهم ضابط يقطن الفرنسية كأحد أبنائها ، قال لها : أين جنودنا الأربعة أيها المجوز ؟

فدلت الأم المتوحشة يدها المروقة الهزيلة ، ثم أشارت إلى الحريق الذى بدأت تمحس دماره ، وأجابت بصوت هادئ قوى : هناك هناك .

فأحرق بها الجند ، ثم سألها الضابط :  
— ومن كان للسبب فى إضرام النار ؟ فأجابت المرأة وفى لهجتها التشقى والحنق :

— أنا ... أنا ...

ولم يصدق الضابط قولها وظن النكبة عصفت برأسها ، فأمر جنوده فسدوا أمامها طريق النجاة ، غير أنها استسلمت إليهم ، ثم أخذت تقص عليهم حكاية حالها منذ اليوم الذى استقبلت فيه الجنود الأربعة ، حتى هذه الساعة التى تشفى فيها غيظها تأخذ بتأرها من كل ألامى

فرغت من قصتها وأخرجت من جيبها ورقتين مطويتين راحت تلبين كلاً منهما على ضوء الحريق مستعينة بمبظارها ، قالت وهي تفرد إحداها :

# اللَّهُمَّ الْمَعْلَمُ

أَقْصُوصَةٌ مَصْرِيَّةٌ  
بقلم الأديب نجيب محفوظ

وأذهله السقوط إذ  
بأغسه من حيث لم  
يقدّر فكسبه سكرًا  
وزعن عبقته بنفسه .  
ولم يستطع البقاء في  
المدرسة ممسكًا من  
الصروفات المدرسية  
فرجع إلى قريته

حزينا ينوي صادق النية أن يدرس في داره  
ويتقدم إلى الامتحان مرة أخرى ، ولكن كانت  
الحياة شاقة مضطربة يكتنفها القلق والازعاج إذ  
أن أخوته ضايقهم أن يقبع في عقر داره مطعنا بين  
كتبه ويجهدواهم أنفسهم طيلة يومهم ، فرأى لهم  
على صدره وتهقر درجات وهوى لدى الامتحان  
فكان سقوطه هذه المرة أنسى من المرة الأولى وأشد .  
وسرعان ما انبرى له إخوته قائلين : إما العمل معنا  
في الحقل وإما أن نرى لك رأيا غير المذاكرة . فساءه  
تمصهم عليه واستبدادهم به خزم أمتعته وقال لهم  
غاضبا : « لا عجب أنت يتربص بنا أبناء عمنا  
ويقيدونا بالفقر كما قيدوا أبانا من قبل ، مادمت  
— وأنتم إخواني — تأخذكم القسوة على  
تفسدون مستقبل ... فلنكن أمتيكم ، وهأنذا  
هاجركم وهاجر القرية والمدرية ، ولسوف تأتكم  
نبأى بعد حين » . وترك القرية غير مستمع إلى  
توسلات ، يدفعه الغضب الشديد ، ويخيل إليه أنه  
سينفوز المدن ويقهر البلدان ، ولم المأل حتى يعلو  
شأنه عن كل شأن

ولد خليل بعد وفاة أبيه بيضمة أساييس ، ولم  
يكن اليتيم أشد ما ادخرته له الحياة ، لأن أباه كان  
قد عاش عهدي الشباب والكهولة في فقر مدقع  
قضى به عليه نزاع بينه وبين أبناء عمومته على  
قطعة كبيرة من الأرض ما زال يؤجل الفصل  
فيه أمام المحاكم أعواما كثيرة حتى تقضت  
حياة الرجل في ضيق . وشب الطفل بين أحضان  
أمه مع إخوة ثلاثة له يعيشون جميعا على ريع ثلاثة  
فدادين لأهمهم ، فكان من أمر الإخوة الثلاثة  
أن عملوا في الحقل على قناعة بما قسم لهم في  
حاضرهم ، وعلى أمل أن يعوضهم الله عن  
جهدهم وصبرهم خيرا في مستقبلهم . وكان من حظ  
خليل أن أرسل إلى الكتاب ثم إلى مدرسة  
الزقاق الابتدائية على كره من أخوته ؛ وأزره  
النجاح فنال الشهادة الابتدائية وأدخل المدرسة  
الثانوية . وما زال مثابرا على نشاطه صابرا على  
فقره حتى نال شهادة الكفاءة . وبث النجاح في  
نفسه إيمانا وطيدا وعزما أكيدا وثقة مطمئنة ، لولا  
أن قدر لحياته غير ما بشرت به طلائمه فزلت به  
القدم وغابه الحظ فسقط في امتحان البكالوريا ،

حط خليل في القاهرة وقصد لساعته - مستعينا  
بإرشاد الناس - إلى شبرا حيث قرية الناظر

وكان الرجل يقيم في بيت كبير قديم ، مكوثاً  
من طابقين ، جعل من الطابق الأول فصول  
مدرسته ، ومن الثاني نصفه للإدارة ونصفه سكناً  
له ، وكانت زيارة خليل مفاجأة لم يتوقها فرحب  
به قائلاً :

« أهلاً وسهلاً .. كيف حال والدتك وإخوتك ؟  
أهلاً ... أهلاً ... لم لم تنبئ بمجيئك ؟ » فأجابه  
مبتسماً :

« لأنني حتى مساء أمس لم يخطر لي السفر  
على ذهن ، ولم أكن أقدر أني تارك القرية قبل  
استدارة عام دراسي كامل . فبدت الدهشة على وجه  
الناظر وتساءلت عيانه ؛ فاستطرد خليل قائلاً  
بلهجة حزينة :

« مناق بي إخوتي وضقت بهم فالتفت في ذهني  
فكرة الهجرة ، وسرعان ما أبرزتها لإرادتي إلى حين  
الحقيقة فارتحلت عنهم » فضحك الأستاذ وقال :

« إن تاريخ أسرتنا يتلخص في قصة نزاع شقي  
منذ القدم ، يأكل فيه أبناء العم أبناء عمومتهم  
والإخوة أبناء أبيهم . وعلى كل حال خستنا فقلت  
فإن القرية لتضيق عن مواهبك . ولكن على  
فكرة ... قل لي ما شأن قضيتكم الآن ؟ » فلم  
يملك خليل نفسه من الضحك وقال :

« كمهلك بها ، ميتة حتى يأذن الله فيميتها ...  
وقد قابلنا المحامي منذ أجل قريب فوعداً ومناشاة  
وما يعدنا إلا هواء كما وعد أمنا من قبل ، وكما وعد  
أبانا بحمايه رحمة الله عليهما من قبل القبل ...

وكان له قريب يدعى عبد الباسط النر ، يدير  
مدرسة أهلية في العاصمة ، فجمل غايته إليه ، وبني  
أماله عليه

وكان خليل يبدو محافظاً على دينه ، وإن وقف  
به إسلامه عند حدود المظاهر ، فكان يصلي الصلوات  
الخمس ويصوم رمضان ويقرأ القرآن ، ولكن قل  
أن تهر نفسه لمواطف الإيمان العميق ، أو تنبت  
في قلبه خلجات التدبِن الصادقة ؟ ولذا أمكن أن  
تستقر في وجدانه آراء يبرأ منها التدبِن والأخلاق  
الفاضلة كما يمانه بالشطارة واعتقاده أنها فضيلة مادامت  
تعين على العيش والظفر في معترك الحياة . ولم يتخرج  
من الكذب والرياء والاحتيال مادامت هذه جميعها  
من دعائم الشطارة التي تسد خطاها نحو أهدافها  
النافعة ؛ ولم يتنبه ضميره إلى التنافر القائم بين هذه  
المبادئ خيرها وشرها فنجأ من الأزمات النفسية  
والأخلاقية كأنه أشخاص مستقلون في كينونة  
واحدة . وظل راضياً هادئاً يعمل لدينه بما يفرضه  
عليه من العبادات ، ويعمل لديناه بما يفرضه به الهوى ؛  
وسار في طريق الحياة قدماً تدفقه هذه البواعث  
التناقضة كأنه آله صاه يستعين بها الطبيب على إلقاء  
النفوس ويستعملها الأثيم في إزهاق الأرواح الأبرياء ...  
وعلى هذا النحو كان تلميذاً مجتهداً متبداً ؛ ولكنه  
استعمل مكبره وحيثه ، فشارك الآكل طعامه ،  
والكسو ثيابه ، والقارئ كتبه ، حتى ساءت  
سمعته وامتن ذكره ، وخاض التلاميذ في سيرته ؛  
ولكنه كان يمد نفسه دائماً المظفر المتصر مادام  
يستطيع الاحتيال على أسباب العيش ؛ وهون عليه  
الفقر كبريائه وكرامته

\*\*\*

« للعبد لله » وعلى كل حال انتظر فستعمل كل شيء في حينه »

\*\*\*

ومن غداة اليوم التالي ابتدأ الأستاذ خليل عمله كدّرس . ولم يكن ذا استعداد خاص للتعليم ، ولكن ذخيره من الحيلة أيدته بالقوة والثقة فقام خير قيام بما يتطلبه عمله من الثبات والظهور بمظهر العلم والعرفان وألهمته مواهبه ما يسوس به الأطفال ويضبط النظام ؛ على أنه لم يلبث أن فطن إلى أن

جميع زملائه يستندون في الغالب إلى التهويش والتضليل لا إلى العمل الصادق والدرس الحق ، فأطأّت نفسه وهوش وضلّ وكان من الثغورين . وكان يهاب قريبه وناظره ويعمل له الحساب، ولكنه

— بطول الممارسة — اطلع على خبيثة نفسه ، فأنفاه لا يحتفل بالترتية والنظام احتفاله بالحفلات وإراداتها في الحفل المدرسي توزع بطاقات الدعوة بالثبات على أولياء أمور التلاميذ ، وبالعشرات على كبار الخي وأغنيائه ، وفي أثناء الحفل يدور صفار التلاميذ

على كبار المدعوين بالورد وغيره من الأشياء الخفيفة التي يمدح التورطون منهم ثمّة أضغاث مساهمة في تنشئة الفقراء ... وكانت وظائف القاعين على هذه الحفلات أقرب ما تكون شها بوظائف محصلي الضرائب . وقد لعب الأستاذ خليل دوره بمهارة جلبت له العطف والثقة فأضحى لدى ناظره في منزل مكي

ولدى نهاية الشهر الأول من حياته الجديدة قصد مع القاصدين إلى حجرة سكرتير المدرسة ، ليقيض مرتبه — ولم يكن قد سأل عنه تأدياً منه واطمئناناً إلى تقدير قريبه — ولشد ما كانت دهشته

(٦)

« كل شيء رهن بمشيئة الله فاصبر الصبر الجليل والآن أخبرني علام عزمت ؟ » فنظر إليه بعينين مستطلعتين وقال : « أرغب في أن أجد عملاً »

« أي عمل ؟ »  
« أأمل أن أجد في مدرستك وظيفة مناسبة »  
فصمت الأستاذ مفكراً لحظة ثم قال :  
« أظنك لم تحصل بعد على البكالوريا ؟ »  
« نعم ولكن معلوماتي لا تقل عن أحد من حاملها »

« فليكن . فإن عندي مدرسين لا يحملون سوى الكفاءة ... فما هي المواد التي ترى أن تدرسها ؟ »  
فانمش الأمل نفس خليل وتيقظت ثقته بنفسه ونهبت شطارته فقال بثبات :

« كل ما تعهد به إلى .. عربي .. إنجليزي .. حساب .. رسم .. ديانة .. ألعاب رياضية .. »  
« حسن ... وفضلاً عن ذلك فسأعهد إليك بقسط في إدارة الحفلات »  
« أي حفلات ؟ .. »

« الحفلات المدرسية ... التي تدر على المدرسة ريعها الحقيقي وخاصة بعد أن أصبحت الاعانة الوزارية غير مضمونة »

« وما سبب ذلك والوزارة لا تني عن تشجيع المدارس الأهلية ؟ .. »  
فتنهّد الأستاذ وقال :

« لأنني تورطت في تأييد الوزارة السابقة وخطبت في حفل عام أقيم لتكريم الرئيس المستقيل ؛ ولا أظن الوزارة الحاضرة — والعداوة بين حزبها وحزب الوزارة المستقبلي مشهورة — تنسى هذا



عنه الظنون وتنفى عنه الريب ، أو فاما أهون الحياة  
 جميعاً وما أعثب المجد بضيق في سبيلها  
 واستأنف أساليب الحياة التي كانت يتبعها  
 بإخلاص على عهد التلمذة في مدرسة الزقازيق ،  
 وتربص بالحفلات المدرسية التي قال الناظر أنها تدر  
 على المدرسة ربما الحقيقي ، تلك الحفلات الغريبة  
 حيث تتراكم بطاقات الدعوة أكداكاً ، أكداكاً  
 وتجتمع التبرعات من كل صوب ، ويسهل اللعب على  
 من كان مثله نشيطاً شاطرأ حدقاً ، وجرت يده  
 في خفة ودبت الحياة في جيوبه المهجورة فاطمأن  
 نوعاً إلى الحياة واستطاع أن يتمتع نفسه بيمض ليالى  
 القاهرة الفاتنة طوراً في القاهي وطوراً في الحانات ،  
 ولكن الأيام لم تتركه في غييه يجمع فلم يلبث أن  
 أحس بمراجعة رئيسه تحيط به ، وبخدره يأخذ عليه  
 المسالك ، فكف مقهوراً خيفة أن يفقد الزهان كله  
 ويخرج « من المولد بلا حمص » ولكن أنى له  
 الصبر ونداءات الشهوات لا تخمد لها نار في قلبه  
 أو يخف لها صراخا

وهدها تحربه إلى مقهى قريب من المدرسة تسهر  
 فيه شرذمة من إخوانه المدرسين يلعبون الورق إلى  
 ساعة متأخرة من الليل فارتأى أن يسلك جماعتهم  
 وأن يجرب حظهم ، وقد قابلا رغبته بدهشة لا تخفى  
 لأنهم ظنوه بادئ الأمر حنبلياً لا راجع نداء دينه  
 الحنيف إلا واحداً منهم تحدها بنظرة ظفر وقال  
 وهو يقهقه :

« ألم أقل لكم أي أعلم مالا تعلمون ؟ »  
 وشاركهم في لعبهم ، وجاء الحظ خيباً لا آماله ،  
 فنتهت فيه غريزة الشطارة وانصرف بكنيته إلى رويض

حين سلمه الرجل ثلاثة جنهات لاغير . وواجهه في  
 الأمر ولكن الرجل أكد له أنه سلمه مرتبه  
 بالكامل . فهور إلى حجرة الناظر والجنهات في  
 يده ، وما إن رأى الرجل « المرتب » في يده وطالع  
 الدهشة الرتسة على وجهه حتى فهم بداهة  
 ماوراءها ، فابتسم ابتسامة صفراء وقال بهدوء : -  
 « أغير راض أنت ؟ ... »

طبعاً ... خصوصاً وإني أرى أن من المدرسين -  
 ممن هم دوني عملاً ونشاطاً - من يجاوز مرتبتهم  
 الخمسة جنهات أو يزيد ... فاستطرد الرجل وهو  
 ما يزال محافظاً على هدوئه : -

« لايفرنك قولهم ولا ما هو مقرر لهم ، فهذا  
 شيء والتبض شيء آخر ... وثق أنك أوفرهم حظاً .  
 ولا تنس أنك تشاركني سكني وأنى لن أغفلك  
 من المكافأة كل حفل مدرسي »  
 « هذا حسن ، ولكن ... »

« لا لكن ! أستاذ خليل ، أنت قربي ويعز  
 على أن تشكو . ولكن ما حيلتي وأنا مدير أعمال  
 خاسرة لا تكاد أرباحها تنق بمتاعها ؟ ... فلتفنع  
 بهذا الآن وعزائك أن اخوانك لا يجحدون في  
 الحكومة عملاً ، وإذا وجدوا فلن يطعموا في مثل  
 مرتبك هذا »

وهنا ذكر غضبته الفرعونية أمام إخوته  
 وتلويحهم بقبضة يده وهو يقول : « لسنوف بأنبيكم  
 نبأى بمدحين » فشمع بجزي قاتل وخيبة أمل مريرة  
 إذا كان الأمر كذلك فينبغي أن يرى نفسه  
 حيلة ، وهل تنقصه الحيلة ؟ . وهما هي ذى المظاهر  
 جميعاً - من عبادة وسلاة وتلاوة قرآن - تدفع

القنوط يطالعه في كل مكان

\*\*\*

وفي أول مارس دس الجنيئات الثلاثة في صدره وترك المدرسة هائماً وإخوانه يتغامزون، ولم يلتفت إليهم لأنه كان مشغولاً بأشباع نهمه في حدود الأغلال التي قيده بها الدهر، ولم يكن يراً — حتى في هذا اليوم السعيد يوم أول الشهر — من الابتأس والسكابة، لأنه يعلم أنه لا يملك حق التصرف في المبلغ الذي ماله على ما يشتهي وإلا عرض نفسه لثلاثين يوماً قاحلة ينسى فقر ساعة منها ليل هذا اليوم السعيد، ولكنه لم يدر بخلافه حسيان تلك المفاجأة التي كان يدخرها له الدهر

فقيم هو يضرب في الأرض إذ رأى رجلاً يمر به مسرعاً. عرفه من النظرة الأولى، فأسرع نحوه حتى لحق به؛ وأحس به الرجل فتوقف والتفت إليه واستولت عليه الدهشة فصاح: —

« خليل افندى ... ما الذي أتى بك إلى هنا؟ »

إنها مصادفة عجيبة تجمعني بك حين أفكر فيك. فتمجّب معي واشكر الله كثيراً ..

« ولم تفكر في يا حضرة المحامي؟ »

« كي أبشرك يا سيدى فقد كسبتهم القضية »

وردت إليكم أرض أيبكم وريهما التجمع ...

وكانت كل كلمة تخرج من فم المحامي تهز قلب خليل هزاً عنيقاً حتى خارت قواه وأحس أن الأرض تميد به فاستند إلى الحائط. أنه فرح فوق ما يتحمل، أما المحامي فاستطرد وهو يهمهم بالسیر: —

إني مسافر هذا المساء إلى الزقازيق، وسوف

يده على الخفة والرشاقة ... وسرعان ما تنبه الرفاق إلى هذا الراجح أبداً ... وكان من السير أن يخفى سره إلى الأبد فامت حوله الشبهات، وتجلت في عيون لاعبيه الريبة والحذر؛ وما زالوا يدافعونه حتى قاطنوه صراحة ونجّسوه عن مآذيتهم فأب ملوماً محسوراً ...

ومرت عليه الأيام الطويلة وهو يعاني الفقر واليأس، وأخيراً فتنس في جيبته فلم يجد سوى الاقتراض مخففاً عن نفسه ومشبعاً لرغباته وشهواته فاقترض، اقترض من الناظر ومن المدرسين ومن البواب نفسه. ولما طوّل بأداء الدين ما طل وسوء وأجل وتهرب، فارتفعت الشكوى منه على كل لسان، واضطر سكرتير المدرسة أن يحجز على مرتبه فلم يفلح بالبائع المطلوبة. وهنا اشتد الغضب بالناظر واستدعاه إليه وقال له معذراً:

« إنك تحبب أمل فيك، وتضعني في مركز دقيق أمام مسؤولي، وإلى أمارحك بأنى لن أصبر على تصرفاتك بعد الآن »

ثم جمع إليه الموظفين وقال لهم في لهجة حازمة قاطعة:

« من يقرض خليلاً بعد الآن فستقع عليه تبعة عمله ... ولن يكون مرتبه ضماناً لأحد ... »

وهكذا وجد نفسه في عزلة زهية، يعيش بين أناس لا تربطهم به صلة عطف أو مودة، يضيّقون به ويضيّق بهم، ويتجاشونه ويتجاشاهم، فأحاط به الهم وعاش عيشة نكدية يتحمل الحرمان في جزع، ويتلف على الأمل يميناً وشمالاً فلا يلقى إلا وجهه

« أقابل أخوتك غداً ... »

« خذني معك ... »

جاهزة بين يديه حاضرة في قلبه من طول ما صورتها له أمانيه ، وصاغتها أحلامه

فسار بأقدام مطمئنة إلى « الحاقى » وآثر الحاقى على غيره ، لأن اللحمة كانت أغز المأكول لديه وأشدّه تنمّعا عليه ، وطلب ما أملاه عليه نهمه وانكب على المائدة يلتهم ما عليها بجشع وشراهة . فسكت عنه الجوع ، ولم يكف حتى اضطر إلى الامتلاء والشبع ، وأخطأ تقديره إذ ترك لكائنة لهما شيئا

« إذا شئت ... ولكن يبني أن تعلم أن أيامك عدة أيام — ربما بلغت الأسبوع — تتم فيها بعض الاجراءات القانونية قبل أن تتسلموا أموالكم إليه ... »

فأبها وقد جمد وجهه ، فضحك الأستاذ وقال : « أخرى بمن انتظر الستين رانغا أن ينتظر الأيام راضيا ... »

ثم عرج بعد ذلك إلى حانة هادئة شرب فيها وعل حتى دارت رأسه ثم قادته الخمر — عند منتصف الليل — إلى فراش لا يذوق النوم الزاقدون عليه

\*\*\*

وعند الضحى غادر البيت كأنه غير رجل الأمس . كان تبعا متهاقنا مصفر الوجه ، يدوى الصداع في رأسه ، وتلتوى شفتاه من الاشتراز ، فتعجب كيف تنتهي اللذة إلى هذه الحالة الريضة التي ترعد في الدنيا بأسرها ... وذكر نلغفه على الملاذ ، وتجرقه على الطعام والشراب والشهوات ، وذكر أنه كيف روى نفسه من هذه جميعا حتى اتخما فردت إلى مايعانى من سوء وضراء ، وكل هذا في ليلة واحدة ... ليلة واحدة لا أكثر ... وأسفاه ... لقد كان يظن خطأ أنه ذو موهبة وقدرة على الاستمتاع بالحياة الدنيا فإذا به عليل مسكين يتقلب على وجهه عند الكرة الأولى ... ألا سحقا للدنيا التي لا ترضى في فقر ولا تسعد حين الثراء ، وسرت به روحه متلهفة

فليكن ، لقد أصبحت السعادة منه قاب قوسين أو أدنى ، ورأى أن من الحكمة أن ينتظر هذه الأيام في القاهرة لأنه كره أن يقيم بين إخوته فقيرا ، ولو أياما مندودات وهو الذى هجرهم غاضبا متكبرا وإنها لسعادة عظيمة أن ينتقل الإنسان فجأة من الفقر إلى الغنى ، شبيه به أن يجد عيد نفسه على عرش دولة من السادة ، فأى سعادة بعد بؤس ، وعز أثر ذل ، وظفر عقب خذلان ؟

وقد تحسست يده محفظته فشمع ببغطة ، وذكر أمانيه منذ لحظة فافرجت شفتاه عن ابتسامة عذبة وهمس لضميره : « أستطيع أن أعيش أول ليلة في حياتي »

واستسلم للأحلام ، ففترته تياراتها المضطربة ، ولفحه لهبها ، فتشعبت به السالك ، واختلط عليه الأمر ، وخيل إليه أن جنباته الثلاثة لن تشبع نهمه أو تطفى شهوته

فلما أن هدأت نفسه واطمأنت عواطفه النائرة رأى الأمر سهلا يسيرا ووجد « خطة » السهرة

إلا أن جيوبى خالية من النقود وأنا فى شدة الحاجة إلى أجرة السفر وسوف أرد إليك نقودك أضاعافاً لدى وصولى القرية ...

« قد كنت لا ترد وأنت مقيم بيننا ... »

« تغير الأمر، وصرت من الملاك »

فاقترب منه الشاب وشم فمه ، وأردت مشمئزاً وهو يقول :

« صدقت ... لارب أنك تملك الضياع

الواسعة ... أنا أيضاً أملك مثلها حيناً قصيراً من الديالى السعيدة ...

ولكنى أعجب كيف تبق ربح هذه الحجرة فى رأسك حتى منتصف اليوم الثانى ... »

« لا تهذ . إن ما قلت هو الحق المبين »

فضحك الشاب وهو لا يستطيع تصديقه وسأله بلهجة تصنع فيها الجد :

« أى خمر هذه ؟ سها لى وأنا أشرب وأملك

الضياع وأقرضك ما تشاء ... »

فولى عنه يائساً وهو يعض على أسنانه ، ولم يكن

حظه أعظم توفيقاً مع غيرة ، فسألهم واحداً واحداً

ورددوه جميعاً فى لهجة صارمة حتى لم يبق ممن لم

يسأل سوى حضرة الناظر والبواب . وكان يحشى

الناظر ويشحاشاه فذهب إلى البواب ، ولما أحس

الرجل بأن الحديث يحوم حول الاقتراض قال مسرعاً

« معذرة ياسيدى ، لقد سبق منى بعين الطلاق

ألا أقرضك بعد المرة الأخيرة ، وقد طلقت امرأتى

مرتين . — بدافع الخلافات الزوجية — ورددتها

« والثالثة نابتة » وخراب بيتى قضاء لا يرضيك »

فصاح فى وجهه غاضباً : — « الله يخرب بيتك »

— وهو يعانى الألم والاشتزاز — إلى قربته الحبيبة وتمنى على الله لو يجد نفسه سريعاً بين ديارها ، يزرع أرضه ويهنا ببيشة زوجية هادئة بعيداً عن مهالك النفوس ومثيرات الشهوات ، وبعداً عن الناس جميعاً الذين يعيش بينهم فى عزلة رهيبة وسط سياج من الحذر والقت

وانتهى عند ذاك إلى المدرسة ، وتذكر وهو يضع يديه فى جيوبه أنه خالى الوفاض وأنه أنفق آخر قرش من جنيتهات الثلاثة وخرج مشكوراً مصحوباً بالسلامة ...

إن ما ينبئ له الآن أن يقترض مبلغاً زهيداً يسافر به إلى بلدته ويسدل ستاراً كشيئاً على هذه الحياة الشكدة ؛ وإذا كان عشر هذا المبلغ مما يستحيل عليه اقتراضه وهو مفلس مشهور بالاحتيال فما بظن أنه يمز عليه الآن اقتراضه وهو غنى من الأغنياء وعين من الأعيان

وقصد من فوره إلى أول من لاقاه من مدرسى المدرسة خياه على غير توقع وقال له :

« من فضلك يا شكرى أفندي ... إنى فى حاجة شديدة إلى مبلغ زهيد لأنى ... »

فدهش الرجل وقاطعه متسائلاً وهو لا يخفى دهشته :

« أتقترض ولما يعض غير ليلة على أول الشهر ؟ يا حظ من كنت ضيفهم أمس ... »

« إنك لا تدرى من الأمر شيئاً ، لقد ربخنا

القضية ، ألم تعلم أنه كان بيننا وبين أبناء عمنا قضية

منظورة أمام المحاكم منذ أعوام عديدة ؟ هى الحقيقة

ولقد ربخنا القضية وصرت من الأغنياء المعدودين ،

صديقاً ما يزال على حسن ظنه به ؟ ولكن هذا  
بميد ، فليت يجد عملاً ولو نصف يومه التكدؤ هذا  
وبدأ له هذا أعسر مطلباً من الأول ، فأتى بنظرة  
في أركان الطريق يزجو وهو يائس أن يجد كيساً  
نملوءاً منسياً ...

وحملته قدماه وهو لا يدرى إلى ميدان المحطة  
فنظر إلى بنائها وتهد بحسرة موجعة ، وجاس  
خلالها يطالع القطر النأهية للرحيل يلحظ حزين  
كئيب ويشهد المسافرين المتدافعين المهرولين بمحسألم  
وانترع نفسه من المحطة ، واستأنف السير ،  
وصر الوقت لا يحس به ، حتى أدى الشئ قدميه ،  
ونال الثعب منه كل منال ، وخيل إليه في تدهوره  
أن مفاصله تنفك بعضها عن بعض ، وشعر — بعد  
طول المهد — بقرصة الجوع تمزق بطنه الذى لم  
يستقبل شيئاً منذ عشاء الأمس الفآخر ، فسار  
يتخبط ، وذكريات القرية ، ومائدة الحاقى ، والحامى ،  
والناظر . تمثل أمام مخيلته في صورة مثيرة تاركة  
خلفها الألم والجزع

والتي في بعض بحواله الضال بشحاذ — وكانت  
آية الليل تحتل الآفاق التي ولت عنها أشعة الشفق —  
يسير متوكئاً على عكازه ، وعلى ظهره جوارى نملوء  
بما فيه من كسر الخبز ، فتعجب غاية التعجب أن  
يرجع هذا الشحاذ إلى مأواه آمناً مطمئناً ، سميذاً  
بما على ظهره وما في سراويله ، وأنت يمانى هو  
— غنى مديرة الشرقية السري — ألم الجوع  
والقهر ... فأى دنيا هذه ...

وأجبر الجوع تيار تأملاته على الانقطاع  
فتبع الشحاذ عن كتب وقد جدت عيناه على جولقه

ثم قصد إلى قريبه يائساً متفعلاً ، وحادثه في الأمر  
وارتاب الرجل في حقيقة القضية الراجحة لأنه لم  
يتعود من خليل الصدق ، وساءه أن يفترض في  
اليوم الثانى من الشهر فقال له باستياء شديد : —

« إنك تتصرف تصرف القصر المهورين  
وتسى إلى سمعى وشرفى » فرد عليه بحماسة قائلاً :  
« أقسم لك بشرفى أننا كسبنا القضية ، وأن  
الذى أكد لى الخبر هو المحامي نفسه »

« آسف لأن أصارحك بأننى لن أومن لك حتى  
يأتى الخبر من إخوتك ، ولن أؤمن إن أنا أقرضتك  
اليوم أن تأتبنى غداً وتمثل أمامى نفس المهزلة ،  
فلتجمل عاقبة زفافك »  
« أرجو أن تصدقنى ... »

« لا تلح ... إلى بدأت أحس بأن ما يفرق  
بين أهلينا جميعاً من الشقاق سيفرق بيننا »  
فانتفض خليل من الغضب ، وامتلاً غيظاً ويأساً  
فضرب المكتب بقبضة يده ضربة شديدة وخرج  
وهو يمدم بصوت حاق غير مفهوم

وكانت غصبة اليأس ، لأنه ربح بنفسه في عزلة  
قائلة وغدا لا مال له ولا معين ولا صديق ، فاستسلم  
للغضب وسب ولعن من دون جدوى لأن الغضب  
لا يستطيع أن يطوى به هذه الأميال التي تفصل  
بينه وبين قريته أو بينه وبين الراحة والطمأنينة

وضرب في الأرض على غير هدى تقوده قدماه  
ذاهل الفكر ، حائر النفس ، لا يرى بصيصاً من النور ،  
ولا يمتدى إلى حل ، تتردد عيناه بين المارة والحواريات  
والبيوت والركبات كأنه يتمنى أن تغفرا عنه  
مجهول ينشله من ورطته وإفلاسه ... لو يجد

ولعل أبانواس - وقد كانت حياته ليالي متصلة من نوع ليلة الأمل - رد في نهايته إلى مثل ما ردد إليه هذا الصباح وهذا المساء من الألم والحنن فأطلقها صرخة داوية كما ينفجر البركان من شدة تفاعل باطن الأرض. ولكن وأأسفاه نحن لا نذكر العظمت إلا حين لا تنفع إلا العزاء والتأمل. وعرج إلى الميمن وتقلت خطاه وهو يمر أمام البيت الذي ولج به بالأمس مترحماً

أمن الممكن أن يرجو هنا خيراً...؟ ومع هذا فمن الذي أطعمه من جوع...؟ وصعد مسرعاً وطرق الباب ثم دخل، فقابلته بترحاب وقالت له ضاحكة:

«لعل رقت لك...؟»

فقال مضطرباً:

«طبعاً... طبعاً... ولكني لست هنا لذلك»

«فلم أنت هنا إذا...؟» فتردد لحظة ولكنه

خشى أن يعقله التردد عن الكلام فقال:

«إصنع لي يا سيدتي، لقد فقدت تقوذي كلها

ولا ناصر لي ولا معين، وأنا في بلدكم هذا غريب،

ويبني أن أعود إلى قريتي بالشرقية، وأنا - أقسم

لك أي غنى والحمد لله - فأقرضيني ريالاً فقط أردت

اليك جنباً ذهبياً، وخذني على ما تشائين من

الضمانات، ولكن بالله لا ترفض لأن الرفض معناه

الموت والقنوط

«لعلك وجدت أن ثمن زجاجة الخمر أرخص

بكثير مما دفعت بالأمس فحقت...»

«أبدأ أبدأ... والله العظيم»

«فلعلك إذا بلطجي؟»

فقال لمابه وانخل قلبه، وتلف إلى أقدر لقمة فيه؛ ولا يحب فلأنه نوى أن يصوم يومه لحل له الإفطار منذ ساعة على الأقل. وخيّل إليه أنه أيسر على نفسه أن يمد يده بالسؤال إلى هذا المتشول من أن يعدها إلى أفندي يحترم في مثل برته، ولكن كيف يفعل ذلك...؟

وعرج الرجل إلى منعطف هادي فاقترب منه وقلبه يرقق بمنف في صدره وقال له بتضرع:

«يا عم... أعطني كسرة خبز لله»

فنظر إليه الشحاذ دهشاً وغصه من الرأس إلى القدم، أو ببساطة أخرى من الطربوش إلى الخشاء، ثم هن رأسه منكراً مستغرباً وقال بلهجة امرأة:

«على الله! فتوسل إليه بلهجة صادقة ووجه

ناطق:

«لا تفرنك ثيابي... إلى أكاد أموت جوعاً»

فتردد الرجل بين مصدق ومكذب ثم دس يده

في جوفه وناولته نصف رغيف، فارتد به إلى ركن

مظلم كأنه ظفر بكثرة لا يشمتن والتمه بشراة ولدة

لا تقاس بها لله بالأمس وهو جالس إلى مائدة

الحاتي، ولكنه لم يتأكل عواطفه فسحقت عيناه

دمعاً ساخناً كما يبني لرجل يملك مالا يقل عن

خمين فذاً ويمد يده بالسؤال إلى شحاذ عاجز..

وإذا سكت عنه الجوع عاد إلى السير على غير

هدى، وإلى التفكير اليائس في معضلته، ووجد

نفسه فجأة في عماد الدين، فتذكر ليلة الأمل

القريب... حقاً إن الحياة عدو في ثياب صديق،

وسارا جنباً إلى جنب ، وستحت منه نظرة عارضة إليه فارتجف جسده لأنه خيل إليه أنه يرى جاكته عليه ، كان الرجل يرتدى جلباباً وجاكته وطربوشاً ويسير مطمئناً لا يقع له في حساب ما يقوم في نفس صاحبه من الشك والربح . أما خليل فكان ينهم النظر في الجاكته ولا يكاد يصدق ما يرى له عيناه .

إنها جاكته نكته نفسها بقماشها وتفصيلها ، بل هذا الزر المكسور شاهد لا ترتقي إليه الشهات ، فكيف

حصل عليها ؟ أيكون قد سرقها ؟ إنه لا يهضم هذا الغرض ، ألعها إذا أعطته إياها أو بمعنى آخر أهدتها إليه ؟ إن هؤلاء النسوة اللاتي يرتحن تحت أقدامهن

خيرة الشبان يرتحن بدورهن تحت أقدام أحط الخلوقات وأدنسها . إنه يعرف ذلك تمام المعرفة ، فلا مجال للشك .. وتحاشى النظر إلى الرجل وأبت

كبريائه أن يوجه إليه أى سؤال أو يفاتحه في أى حديث . ومشى إلى جانبه شارد الفكر ساخن الرأس ملتهب العواطف حتى انتهيا إلى المحطة وكر

الرجل راجعاً دون أن يسمع كلمة شكر ... أواه ... لقد كان وهو في محنة الفقر شاطراً محتالاً لا يشق له غبار ، يأتيه عيشه رغداً من كل مكان ، ولكن هذا لم يمنه — وهو أخو مكر

ودهاء — من أن يرى رجلاً هلفوتاً يسلبه لباسه علانية فلا يستطيع له ردأ ، كما لم يمنه — وهو صاحب ضياع وأموال — من أن يمد يده بالسؤال

إلى شخص من أبناء السبيل وأن يعلم رغبة القذر وهو يركب على قارعة الطريق ...

يجب حفظ

« بل أنا بائس قانط » فدفعت على صدرها وقالت : « يا لسوء حظي ... غيرى لا يرجع إليها في مثل حالتك هذه إلا من يكون قد بذرت قدميها أموالاً وضياعا وأنت لم تنفق على سوى جنبه أعرج »

« أتوسل إليك أنا في ورطة شديدة ... »

فقلت بهكم :

« إن كنت عاطلاً ... أو ظفك في بيتي »

« يا للداهية ... »

فقلت غاضبة :

« انتضب وأنت تمد يدك سائلاً .. ؟ »

فأجاب : « هاك طربوشى رهينة »

فصمت هتية ، وتناول الموضوع من ناحيته الجديدة ، ورمقت الطربوش والجاكته بعين حادة ..

ثم قالت :

« والجاكته أيضاً ... لأن الطربوش وحده لا يساوى شيئاً »

فتنفس الصمداء وخلع الجاكته مسرعاً وقبض

الريال وفر من أمامها كأنما اختطفه اختطافاً ، ولم

يبق أمامه سوى أن يحزم متاعه التافه ، فقصد من

توه إلى حجرته بالمدرسة . فلما وقع نظره على الفراش

خارت قواه فارغى عليه يدهاته أو على الأصح بينطلونه

وراح في سيات عميق . واستيقظ مبكراً فنهض من

فراشه وأخذ حقيبته وترك المدرسة دون أن يودع

أحد . وعند منطف الطريق التقى بأحد الفراشين

وكان قادمًا من بيته قاصداً المدرسة فغياه الرجل

بأدب — على رغم كل شيء — وأبدى استمداه لخدمته

بحمل الحقية إلى محطة الترام فأعطاه إياها شكرًا ،

بالجمال؛ فلم يعد يجد في  
مقاتل النساء ما يستفز  
أويستيره، وأدعى  
من كل ذلك أنه بات  
يفكر في الموت على  
غير دأبه، حين كان  
يخيل إليه أنه ليس  
هو الذي سيموت

بل شخص آخر اسمه فوزتزين  
فراح ينشق أعراف الحب  
من رياض الشباب، ويحي  
في قلبه للعمود أول إحساسات  
الحياة

ذهب إلى المدرسة الداخلية  
في حقول جروهوف، حيث  
تقف من السادسة على المذهب  
الفزوبلي تحت إشراف مجازر  
خبرات، فألقى كل شيء قد  
تغير، وألغى من المدرسة قسم  
البنين. ثم زار المدرسة الحرية  
وكنيسة كاريم حيث وقف إبان  
تلمذه يناول القسيس البخور،  
وحيث سرق أطراف الشموع  
وشرب الماء الفاتر بعد حفلة  
المساء الرباني الأخير، ودرش  
الشاس الثقيل يعض منه، فخرى

وراءه شيخ الكنيسة بكل أهتبه وجلاله. وطاف  
بالمعاهد التي مارس فيها أول مجازب الحب الصباني

(٧)

# لينولشكا

للقصصى الروسى سكندر كوبرين  
بقلم محمد شكرى عبياد

اسكندر كوبرين، كاتب روسى  
قريب العهد؛ يمتاز عن كثير من  
الكتاب الروس بأنه لم تكن له  
رسالة في الحياة غير الفن. فقد كان  
يكتب للفن وحده، يتناول الحياة  
باحساس فنان فيخرجها بريشة فنان،  
غير قاصد إلى فكرة إصلاحية أو  
فلسفية اجتماعية. على حين كان تولستوى  
مصلحاً اجتماعياً، ودستوفسكى متصوفاً  
فيلسوفاً، وجوركي داعية شيعياً.  
وتعد لينولشكا من أروع ما كتب  
كوبرين؛ فهي تحلل إحساساً دقيقاً  
عالياً من إحساسات النفس البشرية،  
وتحمله تحليل صادقاً قوياً خلافاً.  
وللقصصى الفرنسى جى دى موياسان  
قصة عنوانها « انتهى Fini » قريبة  
الشبه من قصة كوبرين هذه، لولا  
ما تحمله القومية والبيئة وشخصية  
الكتابين من اختلاف في أسلوب  
العرض والتشخيص Delination.  
وقد ترجمها لقراء الرواية في عدد  
قادم، لنتيح لهم فرصة المقارنة بين  
فنيين عظميين في القصة  
« المترجم »

عند ما ارتحل الكولونيل  
فوزتزين من بطرسبرج إلى  
الكريميا، عاج على موسكو  
فقضى فيها يومين يتلمس في  
مهدما ذكريات طفولته، ويذكر  
بين ربوعها أحلام شبابه

ويقال إن بعض الحيوان  
إذا أحس دنو الأجل ارتد مودعاً  
إلى مسارحه الأولى. وما كان  
بشور فوزتزين من داء يهدده بميته  
مبكرة، فقد كان لما زل في  
الأربعين من عمره، قوى العود  
منتصب القائمة، صحيح الجسم.  
ولكنه كان يرى في إحساساته  
ومشاعره وصلاته بالعالم منذراً  
بشيخوخة الروح وهزم النفس  
كأن يحس عنزواً عن الله  
وانصرافاً إلى تذكارات الأيام

الماضية وإنكاراً لكل ما يحيط به. وذهب من قلبه  
حب اجتلاء الطبيعة مخلفاً إحساساً دقيقاً مرهفاً



ثم طلب شاياً ومسدد . وكانت الباخرة تسبح في ضباب وردى شف مدت فيه الشمس أسلاكاً من عسجد . وكان الشاطئ الرمل يتلعم من بعيد والبحر ينسل جوانب السفينة في لين . وتابعت الباخرة سبيلها فهبط فوزنترين إلى قاعة الطعام فرأى منظرأ عجيباً ! رأى الموائد قد صفت إلى الحيطان وزينت بازهور وأغذية عيد الفصح<sup>(١)</sup> ، وكانت أشعة الشمس الوضائة ترسم على أغطية الموائد دوائر من ذهب ، وتصبغ بيض العيد بحمرة الورد وزرقة السفير<sup>(٢)</sup> ، وتتوهج تحتها أزهار الخزامى والبنفسج والسوسن والثالث

وأقبلت سيدة قطر ، فأطلق إليها فوزنترين نظرة لمآحة إذ هي مارة به ، وما كان بها من شباب ولا جمال ، ولكنها كانت ذات قوام خصب ريان ، وكانت ترتدى ثوباً بسيطاً محبوباً رمادي اللون موشى بالحرير عند الطوق وأطراف الأكم . وكان رأسها مغلى بوشاح شفاف أبيض ضارب إلى الزرقة ، وكانت تحمى شاربها وتقرأ في نفس الوقت كتاباً فرنسياً كما حدس فوزنترين من اندماج حجمه واصفرار غلافه

وأوحى إلى فوزنترين عند رؤيتها كأن فيها شيئاً مألوفاً ولكنه بعيد العهد . لم يطالع ذلك في عيائها بل في أحديداب رقبته ، وارتفاع حاجبيه . كلما بصرت به . ولكن ذلك التأثير اللاشعورى لم يلبث إلا قليلاً حتى نسي وأحس ؛ وسرعان ما ارتفعت حرارة الجو تذكى الرغبة في زهرة على ظهر السفين ،

العابث ، وولج الحدائق والمتزهات فما رأى هناك أثراً من آثار سباه ، فقد كان كل شيء قد حال وتبدل ، فلم يشعر فوزنترين بشيء من الحنين ينفخ الحياة في روحه الخاملة ، ولم ينعم لذكرى الشباب بذلك الحزن الجميل اللطيف المتواضع المتأمل ، فhez رأسه : « أجل ... أجل ... إنها بداية الهرم وما باليد من شيء ... »

ثم عرض له شأن من شئون العمل حله إلى « كيف » ليوم ، فبلغ « أودسة » أول الأسبوع المقدس<sup>(١)</sup> . وثار البحر فتلث فوزنترين لأنه لم يكن ملاحاً ماهراً . وفي السادسة من مساء السبت أقفلت به سفينة « الدوق الأعظم ألكسى » من فرضة براكتشكوى . ولم يودعه أحد فسر لذلك إذ لم يكن يحتمل ما يفرضه موقف التوديع من تكلف ونفاق

وكان السافرة قليلين وسوادهم من ركاب الدرجة الثالثة . وجاء فوزنترين خادمه متنبأ أن في الدرجة الأولى - عدها - سيدة وابنتها . فقال الكولونيل في ارتياح : « حسن جداً .. » وكان كل شيء يبنى بسفرة هادئة مريحة ، فقد كانت غرفة فوزنترين حسنة واسعة وضيئة النوافذ ، وكان البحر قد هدأ وتطامن بعد عصف وثورة ، وكسته أمواج رخية طفقت تهدد الباخرة وتداعبها في لين ورفق . فنام فوزنترين ليلته تلك كما لم ينم منذ شعور بل منذ أعوام حتى أيقظه صفيح الباخرة وقد شارفت يوبا توريا ، وديب الأقدام على ظهرها . فارتدى ملابسه سريعاً

(١) عيد بئ المسيح Easter

(٢) نوع من الفايوت أزرق اللون Sapphire

(١) الأسبوع الذى يسبق سبت الحلاص Holy Week

ويسمى بالانجليزية أيضاً Passion Week

فونترين أن سوف يذكرها في لحظة ، ولكنها  
صاحت في جذل وهي تمد إليه يدها :

« فونترين ؟ كوليا فونترين ؟ هل عرفتني  
الآن ؟ إن اسمي الزيجي لثوفا ... ولكنك تذكر  
ولا شك ، أفلا تذكر موسكو ، وشارع بوفارسكي  
وحارة بوريو جلوبسكي ، وبيت الكنيسة وصاحبك  
في المدفعية « أركاشا إرلوف ؟ »

وارتمشت اليد التي امتدت تصافح كف السيدة  
وشدت عليها بقوة فكانت أعشاهها بريق الذي كرى  
« يا إلهي ! أحقا لينوتشكا ؟ ! إنني أستمتع بك  
المفويا إلينا يا إلينا ... »

« فلاديميروفنا . لقد نسيت ! وأنت كوليا ...  
كوليا بيمته ... ذلك الفتى الخجول النفور ذو الحس  
الرهيف ! أي عجب ! أي لقاء عجيب ! هلا جلست ؟ !  
كم أنا مسرورة ! »

وقال فونترين : « حسن . حدثيني عن نفسك  
كيف حال أركاشا ؟ وألكسندرا ميلقنا وأولتشكا ؟ »

\*\*\*

فعند ما كان فونترين طالبا يتأهب للحنديّة  
اتصلت حباله بحبال زميل يدعى إرلوف . فكان  
بعض أيام الأحد بين أهل صديقه ، وبينهم  
بعضة عيد الغلاص وعضة عيد الميلاد بكل عطلاته  
وقبل أن يلحق بالدرسة العسكرية دم أركاشا  
مرض شديد ، فاضطر آل إرلوف إلى أن ينتجعوا  
به الريف ، ومنذ ذلك الحين انتجت الوشيحة التي  
ناطت فونترين بهم حيناً . ومنذ سنين عديدة سمع  
أن لينوتشكا قد عقدت خطبتها على ضابط اسمه  
جينيشوك ، أطلق على نفسه الرصاص فجأة لسبب غير  
ذی بال

فصمدت السيدة وجلست على مقعد إلى مؤخر  
الباخرة ، فكانت تقرأ لحظة ثم ترج الكتاب على  
فخذها . وتحديق في البحر كأنها استهوتها دواماته  
الدوارة ، ثم إلى الشاطئ الرمل المنعرج تشرف من  
فوقه أعشاب قليلة

وراح فونترين يذرع السفين جيئة وذهوبا .  
وسنح بالسيدة مرة فنظرت إليه حدقة ، وتفرست  
فيه متسائلة ، فغيل إليه ثانية أنهما التقيا في مكان ما .  
ثم ألح عليه ذلك الشعور وأزعجه وقد وثق أن السيدة  
تبادلته إياه . يبد أن ذاكرته لم تتلوه وإن ألح  
وأطال التفكير . فأقبل نحو السيدة للمرة العشرين ،  
ولكنه اقترب منها هذه المرة في يسر أدهشه ،  
ورفع أصابعه إلى قبعته العسكرية وصفق مهازيه  
صفقة خفيفة وقال :

« معترفة لما افترضت .. ولكني لا أستطيع  
أن أنزع نفسي من الظن أنا تمارقنا من قبل .. أنا  
متعارفان من عهد بعيد .. »

لم تكن جملة على الإطلاق . هي شقراء خفيفة  
الحاجبين تفصل شعرها الأخير شعرات مسمرة  
يخفيها البريق عن أن ترى من بعيد . وتغطي عينيها  
الزرقاوين أهداب خفيفة ، ويرقص النمش وجهها  
المتنفسن . غير أن فيها كان غصاً وزدياً ممتلئاً بين  
القطع جبل الزوايا

أجابته : « وأنا أيضاً أجلس هنا وأعجب إن لم  
نكن قد التقينا ... اسمي لثوفا ... هل عرفتني ؟ »  
« إلى أسف ... أنا أدمي فونترين »

فالتفت في عيني السيدة بريق سرور ، وأضاء  
صفحتها نور ابتسامة مألوفة ، حتى لقد تحيل

« كلا ... مطلقاً ... فما كنت أكن لك إلا مثلما كنت أكن لأخى أركاشا . وعندما بلغنا السابعة عشرة انتابني شيء من الضيق لما صرفت اهتمامك عني . إنها منهزة ، ولكنك تعلم أن الفتيات هن قلوب النساء . قد لا يحب الصامت الخبايا ولكن ذلك لا يمنعنا من الفيرة عليه . وعلى أية حال فليس هذا الكلام إلا هراء . خبرني كيف أنت وماذا تعمل ؟ »

خشدتها عن نفسه ، عن المجمع ، عن الحزب ، عن عمله في الجيش ، عن عمله الحالي . كلا إنه لم يتزوج وقد قالت الأوان . ولقد كانت له بطبيعة الحال زوات شتى ، وعلائق وشيجة

ثم فتر بينهما الحديث وجلسا صامتين يتراقصان النظر من عيون متقاطعة ظللها عشاوة من دموع . وتشبهت في ذاكرة فوزتزين صور الماضي تلوح وتلمس من وراء ثلاثين عاماً . لقد كان أول عهده بليوتشكا ولما بلغ كلاًهما الحادية عشرة ، كانت طفلة نحيلة متقلبة الأهواء ، مُعْظِلة العمال دأمة المراك لا ترى فيها لمحة من جمال ، ففى وجهها كلف وفى ذراعها وساقها طول ، خفيفة الحاجبين حراء الشعر تنمن شعرها خصلتان رفيعتان تنوسان على خديها وكان الشنب متصل بينهما وبين فوزتزين وأركاشا ، حتى ليقضى بهم الزواج أحياناً إلى التضارب والتلاطم وما كانت أولتشكا لتشاركهم عيشهم هذا ، فقد كانت تبدو عليها سمة الصدر ورجاحة العقل وسمت الوقار .

وكانوا دائماً التردد أيام العطلات على المسارح والملاعب ، يشتركون فى حفلات عيد الميلاد وتلون بيض عيد الخلاص ، ويتكابدون ويتناظرون كأنهم

وقالت مدام لقوفا :  
« لقد مات أركاشا فى الريف فى السنة التسعين بحُجَى فى رأسه ، ولم تعمر « ماما » بعده غير سنتين ، وأتمت أولتشكا دراستها الطبية فعلى اليوم طبيبة أولى فى سردوبسك ، وكانت قبل جراحة مساعدة فى جاكين ، وهى تأبى الزواج إباء شديداً ، وإن كانت قد سحنت لها فرص كثيرة سائفة ؛ أما أنا فقد تزوجت منذ عشرين عاماً — وتعثرت على زاوية فيها ابتسامة — لقد أصبحت الآن مجوزاً وزوجى من ملاك الأراضى ، وهو محقق أول لا طويل الباع ولا عريض الشهرة ؛ ولكنه رجل شريف أمين صاحب أسرة ، لا يشرب الخمر ولا يلعب الميسر ولا يكلف بالنساء ككثير من رجال هذا الجيل ، وهذا ما أحمده الله عليه ... »  
فقاطعتها فوزتزين :

« أفلا تذكرين أنى أحببتك مرة يا إلينا فلاذيمروفنا ؟  
فضحكت ، وبتنا على محياها كأنه انقلب شاباً من جديد ولحت عين فوزتزين بريق أغلبية ذهبية فى أسنان كثيرة

« أى هراء ! لقد كان ذاك تجاذباً صبيانياً وحسب . بل لقد كان أقل من ذلك . إنك لم تكن تحبني على الإطلاق ، بل لقد كنت تحب بنات سنثكوف الأربع ، كلا بدوزها . فلما تزوجت الأولى ألقيت بقلبك عند قدمى الثانية ، وهكذا على التعقيب ... »

فقال فوزتزين فى بشاشة لاعبة :  
« آه ! إذن فقد كان بك شيء من الفيرة على ؟ »

البراقين : « أيها الولد البشع الثقيل ! »

وكان الولد البشع الثقيل واقفاً ويدها ترتجفان وقد ارتحنا إلى أسفل ، بل لقد كانت ساقاه ترتعدان ، وكان المرق يسبح من جبينه . لقد كان اللحظة يحس بين ذراعيه جسدها الرشيق الخاضع التأوّد . الأثوى ، ويلس بصدرة نديها الراسخين البسرين الطاوعين الفتيين ، ويشم رائحة جسدها ... رائحة مسكرة كأشجار زهور الحور !

وبدا فوزنزين عامه ذلك متخاذلاً ثائراً صرير الفكرة خفي الأحران هتان الدموع ؛ وبات نفوراً خجولاً مضطرباً عاصياً متمرداً . فكانت لا تضي لحظة إلا مد ساقه إلى كرسي فأوقمه ؛ أو مد يديه فأمسك بينهما شيئاً طرياً ، أو قلب فناجين الشاي واللبن على المائدة . فكانت الكسندرا ميلشينا تقول عنه في لطف وعطف : « لقد أصبح كوليانا شديد النيفار وحشى الطباع . »

وكانت لينوتشكا تهزأ به . فقد كان يقف وراءها سامداً وهي ترمي أو تطرز ، ويحدق في رأسها الخنسي فيستشعر إحساساً عجيباً بالألم والسرور ؛ ولقد ينظر إلى نحرها الأبيض ينوس عليه شعرها الأصفر الخفيف التموج ، أو ينظر كيف يتكسر إزارها المدرسي الأسود حيناً تنفّس ، ثم يعود فينبسط ويستدير ، ويمتليء عند ما تتلى رثتها ، وكان مرأى السواربن البسطين على يديها البيضاء الأثويتين يصاحبه أنى ذهب ، ورائحة الحور تبثمه أينما كان : في المدرسة أو في الكنيسة . وكانت دقاره وأعطية كتبه تتلى بالخرقنين الأولين من اسمها ا. ا. وكاناً أيضاً محفورين في غطاء صندوقه ،

دُمى خشبية صغيرة . وعلى هذا الحال تقضت ثلاث سنين ثم ذهبت لينوتشكا - على عادتها - لتقضي الصيف بمنزلهم الريفي بجماكين . وعادت في الخريف إلى موسكو فراكها فوزنزين وقد تبدلت حالاً غير الحال ، ففقرهاته وانسمت عيناه دهشاً . كانت لا تزال بمنأى من أن تسمى جميلة . ولكن كان فيها سحر أروع من سحر الجمال . ذاك سحر الأنوثة الزاهرة المتفتحة تأتي بالمجزات بين يوم وليلة ، وترد الطفلة الخشنة الطويلة الذراعين والساقين فتاة ساحرة . فقد ظل وجه لينوتشكا محتفظاً بذلك اللون العميق المورّد يجرى من تحته دم الشباب الحار المرح . وبدأت أردافها تثقل وتستدير ، ونضج صدرها وبرزت زواياها وانتعش جسمها كله ، وجرى فيه ماء الشباب يكسوه ليونة وغضارة وجمالاً .

وسرعان ما تحول ما بينهما . فقد كانا في أحد اجتماعات يوم السبت يلعبان في غرفة نصف مظلمة فبدأا يتصارعان ، وكانت النافذة لا تزال مفتوحة وقد انبعثت من الحديقة الأمامية نبات الخريف المبكر ، ورائحة الأوراق النابتة ؛ وخفقت في الفضاء دقات حزينية بطيئة تسلسها الجرس الكبير في كنيسة بوريسوجليبيكي

وتلافاً بالسوق ، وتشاداً بالأذرع ، وتهايت على وجهيهما أنفاسهما المبهورة . ثم تدافع الدم فجأة إلى خد لينوتشكا حتى بدا في ظلام الغروب وانحما جلياً . وراحت تهمس في اضطراب وإبصار وغضب وقد غضت طرفها :

« دعني وحدي .. دعني أذهب .. إني لا أريد .. » ثم أردفت وهي تحدجها بنظرة غاضبة من عينيها

ويشقان الطريق وسط الرحام في خطى متطابقة منتظمة. وكان كل شيء يسكرها في تلك الليلة الرائعة: الفناء المرح، والشموع الكثيرة والتقبيل والضحك والجمع المندفق، واثلاق النجوم في السماء القامعة، ورائحة الأوراق الغضة من الحدائق المسورة؛ وذلك التقارب غير المألوف، وشعور الضيعة وسط الرحام اللجج. وجذب فوزنترين ذراعها إليه كأنها ينير وعي، فلم تسد رداً ملحوظاً؛ فأعاد تلك الشدة الخفية فاستجابت لها، فتمسّس في الظلام أطراف بنائها، فدبده عليها في لطف فلم تقاوم ولم تنفّست ولم يبدُ عليها غضب

وبلغا بوابة البيت، وكان أركاشا قد تركها مفتوحة لها، وكان لا بد — للوصول إلى البيت — من عبور جسر أقيم بين صفيين من أشجار الزيزفون لاجتناب الرُداغ. فلما اصطفت البوابة وراءها طفق يقبل أمامها الدافئة اللينة الغضة « لينوتشكا ... إني أحبك ... إني أحبك » وطوق جيدها بذراعه وعصرها إليه، وقبلها قرب الأذن. وانحدرت قبمتها وسقطت على الأرض فما أبه بها، وظل يقبل خديها الباردتين وهو يهمس كالمحموم: « لينوتشكا ... إني أحبك ... إني أحبك ... »

وعثر بشفيتها وهي تهمس: « كلا ... كلا ... دعني أذهب ... دعني ... » أي شقتين حلويتين ملتهبتين ساذجتين لم تقاوم حين قبلها، ولكنها لم تبادلها قبلاته وراحت تنفّس في سرعة وعمق وخضوع؛ ففاضت دموع الفرح على خديه تشيم البرد فيهما. وعند ما اترع نفسه

وسط قلب ممزق ملتهب. وكانت الفتاة الصغيرة تدرك بفرجة المرأة كنه صمته الخاشع المتبذل. ولكنه كان في عينيها فرداً من الأسرة، مألوفاً إلى حد بعيد بينها وبين أن تحبه. أما هو فقد رآها قد انقلبت خلوقاً عجيباً يانماً برافاً شديداً، وإن بقي لديها ذلك الغلام العنيف ذا الصوت الخفيض والسترة العسكرية الضيقة والسرراويل الواسعة. فكانت تنازل معارفها من صبيان المدارس في براءة، وتماثل ابن التيسيس في ساحة الكنيسة. وكان يلذ لها أحياناً أن تصوب إلى فوزنترين نظرة من نظراتها الخاطفة الذكية للرفعة، فكأنها قط راود فأراً. فإذا نسي نفسه، وشد على يدها شيئاً، هددته ببنان مورد، وقالت ملحة: « أنظر ... لا تكشفن » لما « عن كل شيء » فتشيع البرودة في أطراف فوزنترين، وعلا قلبه خوف قوى صادق؛ حتى لقد أبلس وأعد العدة ليحب كبرى بنات سنلنكوف. ولكن قلبه الذي فاض بالوجد عرف السعادة لحظة في عيد الخلاص ...

كان قد ذهب مع آل إرلوف إلى صلاة منتصف الليل في كنيسة بوريسو جلوبسكي؛ حيث كان لاكسندرا ميليفنا مكان خاص فرش ببساط خاص فوقه كرسي وثير. وتلصّثت الكسندرا ميليفنا وأولتشكا في الكنيسة لتريا تبريك خبز العيد وكمكته، بينما غادر الكنيسة كوكليا وأركاشا ولينوتشكا. واختفى أركاشا في الطريق فجأة وكأنما ابتلعت الأرض، فتابع كوكليا ولينوتشكا السير وحيدتين.

كانا يسيران وقد اشتبكت الذراع بالذراع،

معدنى . أما الحاجبان فسوداوان بيّنان ، وفى الفم  
اكتناز واستفراز ، وإن كان بكراً ندباً جيلاً

وكانت الفتاة تبدى اهتماماً بالنواورات المشعة ،  
ففرح لها فوزتزين عملها وكيفية تكوينها ، ثم  
طفق يتحدث عن أعماق البحر الأسود ، وعن عمل  
الفواصين ، وعن حوادث السفن ؛ وكان محدثاً  
ذرب اللسان فأصفت الفتاة إليه وهى تنفّس من  
خلال شفتين منفرجتين ولا تحول بصرها عنه

وكان كلما أنعم النظر إليها ملأ قلبه شعور من  
الحزن الرّخى الجميل — عين الشعور الذى كان يتوق  
إليه فى موسكو — إلا أنه أعمق وأوسع وأبث  
على الأثير

وعندما غادرتها الفتاة لتطل على دبر هر سونكى  
تناول يد لينوتشكا الكبيرة قبليها وقال مفكراً :

« إن الحياة بدءٌ عاقلة ، ولا بد للإنسان من  
أن يخضع لأحكامها ، وهى إلى ذلك جميلة ، فأنما  
الحياة بث متصل للأموات ؛ وسوف نذهب أنا  
وأنت ، وسوف نفنى ، وتنتشر من جوارحنا  
وأفكارنا وأعمالنا ومبادئنا وخيالاتنا وموهبتنا  
لينوتشكا أخرى ، وفوزتزين آخر ؛ فكل شيء  
متصل بالآخر منوط به ، ولسوف أذهب ، ولكنى  
سوف أبقى ؛ وليس لنا إلا أن نحب الحياة ونخضع ؛  
فأنا نعيش سوتياً ، أحياء ومموتين »

وانحنى يقبل يدها مرة أخرى . فلمت خده  
الأعبر فى حنان ، ثم تبادلوا النظرات فامتلاّت  
مآقيهما بالدموع ، وابتما ... بسمة حلوة متنبية  
حزينة ...

شكرى محمد عياد

عن شفتيها ، ونظر إلى النجوم تضىء من خلال  
أغصان اليرزفون رقص فرحاً وانفجر باكياً ...

« لينوتشكا ... إنى أحبك ... »

« دعنى وحدى ... ! »

« لينوتشكا ! »

فصاحت فى غضب ما كان منتظراً :

« أيها الولد البشع الثقيل ! سوف ترى !  
لأكشفنّ " لاما " عن كل شيء ! سوف أخبرها  
ولا شك ... ! »

ولم تخبر أنها بشيء ... ولكنها لم تعد تنفرد  
به منذ تلك الليلة . ثم أقبل الصيف ...

« ... وهل تذكرين ... يا ألينا فلاديميروفنا ،  
كيف قبل صبيّ فتاة قرب بوابة بيت الكنيسة فى  
مساء جميل من أمسية عيد القيامة ؟ »  
فأجابته وهى تضحك فى سراحة :

« أنا لا أذكر شيئاً أنها الولد البشع الثقيل !  
وعلى أية حال فهناك ابنتى قد أقبلت ، ويجب أن  
أقدمكما . لينوتشكا ! هذا نيكولاى إيفانوفتش  
فوزتزين ... صديق قديم ، قديم ، من أصدقاء  
طفولتى . وتلك ابنتى لينوتشكا ؛ وهى الآن فى سنيّ  
ذلك المساء الجميل من أمسية عيد الفصح »

فقال فوزتزين :

« لينوتشكا الصغيرة ولينوتشكا الكبيرة »  
فأجابته مدام لثوفا — فى شيء من المرارة —  
تصحح قوله :

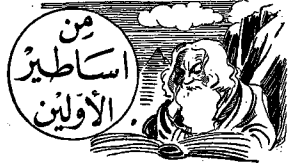
« كلا ... لينوتشكا المجوز ولينوتشكا الفتاة »  
وكانت لينوتشكا تشبه أمها شبة كبيراً ، إلا  
أنها أجل من الثانية أيام صباها ، وكان لها —  
بدل شعر أمها الأحمر — شعر كستنائى ذو لمعان

أخيل زعيم اليرميدون ، وروح أخيل نفسه ،  
وروح أجا كس العظيم ... وعرف أجا ممنون روح  
أمفيدون العاشق الحروب الذي قتله أودسوس  
فيمن قتل من عشاق بنلوب ، فكلمه ، وكله  
أمفيدون قصص عليه ما كان من مأساتهم الغرامية  
وما كان من أوبة أودسوس المفاجئة واختلاطه  
بهم في صورة فقير شحاذ ... إلى آخر القصة  
الدامية المشجية التي انتهت بقتلهم جميعاً ... وما  
كاد يفرغ حتى بدا العجب في حيا القائد أجا ممنون  
وطفق يثني على وفاء بنلوب ، وشجاعة صديقه  
أودسوس ، ثم راح ينسج على زوجته الآتمة  
كليتمنسترا ما كان من غدرها ، وتدير غيلته مع  
حبيلها الفاسق ليحسوس ...

وهكذا انتهت الأشباح الآتمة إلى ظلمات  
هيدز ... إلى مملكة بلوتو ... حيث تاتي جزاها  
العدل من مغالب سيريروس الحادة وأظفاره  
القواطع

هذا ما كان من أمر تلك الفئة الباغية  
أما ما كان من أمر أودسوس فقد استيقظ في  
بكرة اليوم التالي واستيقظت معه بنلوب السعيدة ،  
وهب من فراشه فارتدى ملابسه ، ووضع عليه  
سلاحه ، ثم أمر زوجته ألا تخاطب من الناس  
إنسياً حتى يعود ، وأن تتسكن عليها أبواب القصر ،  
لأنه منطلق إلى أيه ليفز إليه البشرى بنفسه .  
ودعا إليه تلياخوس ليصعبه وليصعبه الراعيان  
الخلصان الوفيان ، بعد إذ يسبح كل منهما عليه  
دروعه ، ويستمد بسلاحه

وانطلق الأزمة بطوون شوارع المدينة التي  
خيم عليها الصمت دون أن يشعر بهم أحد من  
أهلها ، حتى بلنوا الخلاه ، وما زالوا يذرعونه حتى



## الأوديسية

لهرميرس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

أوديسوس يلقى أباه

وبعد السوم على ربوع أثينا

وهتف هرمز بأرواح القتلى فهُمِّمَتْ ،  
ثم أشار إليها بعصا السحرية فسحر الكرى  
مُقلِّها ثم أشار كرهة أخرى فأهرعت في إثره كما  
تهرع الخفافيش في إثر دليها

وانطلق حبيب الآلهة فبهر باب البحر المحيط ،  
وعبرت الأرواح الهائمة في إثره ، وجاز صخرة  
لوكيديا ، وبوابة الشمس الخالدة ، ثم انطلق ،  
والأرواح الهائمة من خلفه ، في تيه الأحلام ، وعبر  
بها في مروج أسفوديل ذات الأشباح ، حيث لقي  
القتلى أرواح ذويهم وأبطالهم من رجال هيلاس  
الذين سقطوا تحت أسوار طروادة ... وهناك ...

وقفا طويلاً يتناجون ، وكلم ابن بليوس قائد  
الهيلانيين أجا ممنون ورناله ، فكلمه أجا ممنون  
وتحسّر عليه ، ورأوا روح بتركولوس حبيب

غريب جواب آفاق ، وبجده ، ليلم ما في قلبه ، فذهب إليه ، ووقف عن كذب يكلمه :

— « أيها الشيخ وبكأنك لا علم لك بأمور هذا الزرع ، وإن أعمر بستانك وآتى أكله حقا ، إني لا أرى عشباً في الأرض ، ولا شجرة إلا وهي مثمرة ، ولا زهرة إلا وهي مُسفرة نامية ، وما ذاك إلا لسهرك عليها ... بيد أنه لن يسودك إن لاحظت أنك تمنى بهذا البستان أكثر مما تمنى بتسكك ، مع ما أنت فيه من تقادم السن ولفحة الشمس ووطأة المرض ... وما أحسب مولاك إلا قاصي القلب عليك ، قليل الاحتفاء بك والتوجع من أحلك ، مع مالك من سياء النبل ، ومظاهر الملوك ؛ فما كان أحجى بك — وأنت في هذه السن — أن تستحم وتضمخ وتنام ملء عينيك ، لا بزجج عمل ، ولا تؤودك أكلاف الحياة ؛ ولكن قل لي بالله عليك أيها الشيخ ، لمن تنصب كل هذا النصب ، وبستان من هذا ؟ خبرني ! لا تخب على أيها الأب ، فقد لقيت من سألته فلم يبه بي ولم يُعن بمسألي ... ولقد ذرعت الرحب حتى وصلت هذه الأرض إنيثا كما لأنني كنت أقدم فيها مضي من الزمان فأحل ضيقاً على أمير عزيز فيها ، وما أعرف إن كان ما زال حياً يرزق ، أو مضى لا قدر الله إلى هيدز ! ولقد كان هذا الصديق يزورني في وطني فأكرم مثواه كما يكرم مثواي ، ولقد كان يحدثني الأحاديث عن أبيه ليرتسب أن آزر سزياس ... وما أنس لا أنس أيام كان يحمل إلى الهدايا فأردها إليه أضعافاً مضاعفة ، فمن ذاك أننى فتحت مرة بسبع بدر من خالص الذهب ، وبحيلة من فضة مزودة بأفواف الزهر ، واثني عشر صداراً ، واثني عشر ديناراً ، ومثلهن من أكرم البُسُط ، وشيء كثير من ثياب القاتم

كانوا عند المزرعة للصون الناضرة ، وهناك ، نظر أودسيوس ببينين مشوقتين ، وقلب ملتاع خفق ، إلى البيت الصغير الذي يؤوى أباه الضعيف الشيخ ، حيث يقضي أيامه في أسي ليس بعده أسي ، ويحتر همومه في صمت كصمت الموت ، ويدرف دموعه في فئوط وسكون ... لا يراه أحد ، ولا يشكو به إلى مخلوق إلا هذه المرأة المجوز الحيزون التي تخدمه في رضى ، وتسهر عليه في حب له ، وإشفاق من أجله ... وكان ليرتس ، الأب المحزون يتلغى بالعمل في بستان قريب يشذب شجيراته ، ويهذب زُهيراته ، فأمر أودسيوس ولده ورعايته أن يبقوا في المنزل ليعدوا غداء فاخراً وشواء سميناً لأنه يحب أن يلقى أباه في البستان وحده ...

— وانطلق أودسيوس إلى البستان ، فوجد الفلاحين قد انصرفوا إلى أعمالهم ، ووجد أباه يجوس خلال الأشجار كالشبح ، ويمهى بفاسه فيحفر حولن ، وهو بين القينة والقينة يصلح من باسه الخشن الذي تخدّمه من جلد عز ، كما تخدّمه قفازيه وجوريه ... ووقف أودسيوس تحت كثرة باسقة وطفق ينظر إليه ، ويقب في السنين الطوال التي يؤود تحته عينيه ، ثم تعجب للقلب الكبير الذي سمع لحدان الزمان ولأواء الأيام فلم يتصدع ولم يهن ، وإن كان بعض حزنه لتنوء منه الجبال

وانجس الدمع من عيني أودسيوس ، وأهمر على خديه الحزينين ، وأوشك أن يمضي نحو أبيه فيأخذه في حضنه ، ويفجأه بالبشرى القاتلة ، لو لا خيفته على تلك الشيخوخة المتداعية أن تنقض حين لا تحتمل النبا العظيم ... نبأ عودة قطعة القلب والكبد بعد بأس عشرين عاماً ... لهذا أثر أودسيوس ألا يفعل ، وآثر أن يلقى أباه كرجل



وانعقدت سحابة مظلمة من مرارة الحزن  
خفيت الضوء عن عيني ليرتيس ؛ ثم إنه أهوى  
إلى الأرض قبض قبضات من التراب وراح يمحوها  
على رأسه ، وبين أنين مؤلم . ولم يحتمل أودسيوس  
أن يرى أباه في هذه الحال ، بل كاد صدره ينشق  
من حسرة عليه ، فهرول نحوه ، وأخذ ملء ذراعيه  
وجعل يضمه إلى صدره ويقبله ويقول : « أبناه !  
أبناه ! هو أنا ذا ! أنا أودسيوس عدت إليك بمد  
عشرين عاما فافرح وهدى روعك ، ولنته الآلامك  
وليك أحسن البشريات ! لقد قتل أعدائي المشاق  
جميعا . قتلهم في بيتي ، وانتقم لك ولي ولبلوب ! »  
بيد أن ليرتيس وقف ذاهلا عن نفسه ، ثم  
نظر إلى ولده وقال : « إن كنت حقا ولدى  
أودسيوس ، فهات برهانك الذى يقطع شكي ! »  
فقال أودسيوس : « ألا تصدق ! إذن فانظر  
إلى الندوب الخالدة التى أحدها فى ساقى خنزير  
الفلاة إذ أنا حدثت يا أبى ! ألا تذكر يوم كنا  
على جبل برناسوس ، وكان جدى أوتوليكوس معنا  
ثمة ، وكان يتحنن بالهدايا والى ؟ وهاك دليلا آخر  
يوم مشيت ممل فى هذه الحديقة ورجوتك أن تحمل  
بعض هذه الأشجار باسنى ، فثبتت ممل ، ورحت  
أنت تسميها بأسمائها ، فجعلت لى ثلاث عشرة  
كفراة ، وعشر تفاحات ، وثلاثين تينة ، وخمسين  
صفا من الكروم الناضرة التى كان يزرع القمح بين  
عرائشها التى كانت تتدلى منها العناقيد من كل لون ! »  
وانجذب الشك عن فؤاد ليرتيس ، فأخذ ولده  
بين ذراعيه المرتجفتين وراح يضمه ويقبله ، ويصعد  
فى صدره الرحب القوى أنفاسه ، حتى إذا وهنت  
قواه أرسله ، وأخذ يحمله فيقول : « يا لاله !  
يا أرباب السموات الخالدة فى شعاف الأولب ! أهكذا

والسنجاب ، ثم أهديت إليه أربع جوارى كنس  
أكبار اختارهن بنفسه مثقفات مهذبات ، يتخابلن  
فى الخمر ، ويرفلن فى الديباج »

وازدحت السموع الحارر بكل الذكريات  
المشجبة فى عيني الرجل الشيخ ، وقال يجيب  
أودسيوس : « أبها الأخ لقد بلغت منك ، فهذه  
هى إيشا كا ... بيد أبها - وأسفا ! - نهى  
مقسم بين فئة باعية ظالمة لا تخضع لقانون ولا تعرف  
شرعة ... أما صديقك فوا أسنى عليه ... وإألف  
أسنى على هدايك ! من لك به اليوم لبردها عليك  
أضمافا مضاعفا يا صاح ! ولكن قل لى بربك  
وأصدقنى : منذ كم سنة لقيت صديقك الناس ،  
الذى هو أبى ؟ إيه ... له الله ! ما أحسب إلا أن  
السبك قد اغتذى به ، أو أنه غدا يوما جزر السباع  
وكل نسر تشعم ! أوأه عليك يا أودسيوس يا ولدى !  
هكذا قضيت ولم أذرف على تراك عبرة ، ولم تكتحل  
عينا أمك قبل أن تحوت برؤياك ... ولا بتلوب !  
ولا بتلوب أيضا كانت إلى جانبك تنغمض بيدها  
أجفانك ... ولكن ... ولكن قل لى أبها الأخ  
من أنت ، ومن أى البلاد قدمت ؟ وإن من من  
الكرام الأكابر ؟ وفى أى الرافق وصلت إلى إيشا كا  
وفى أى السفائن ؟ أم وصلت بك إحدى الجوارى  
للنشأت ثم غادرتك فى إيشا كا ؟ »

وقال أودسيوس وهو يلقى ما يقول : « أنا من  
أنا ... ذ ... أنا إيريتوس بن أفيديس بن بوليمون  
من أسراء ألياس ، من أعمال صقلية ، ولقد هبت  
على سفينتى عاصفة هوجاء فدفتنا بحور بلادكم وألقينا  
الراسى فى ميثانكم ... ولقد لقيت أودسيوس لآخر  
مرة منذ خمس سنوات ، وقد افترقا وكلنا أمل أن نلتقى  
لتبادل تذكارات المحبة وهذا الصداقة والوفاء والود »

فلما رأوا ما ارتد إلى سيدهم من شبابه، وهذا الرجل الغريب الذي يجلس بين العائلة المقدسة، وقفوا مسبوحين مشدوهين، لا يعرفون ماذا يقولون... وحدثهم أوديسيوس، ثم بدأ يكلمهم في لطف وخيت ويقول: «اجلس أيها العجوز دوليوس فكل أنت ورجالك... لا تعجب! فليس ثمة متسع لدهش أو عجب... اجلس قبل كل شيء! أملاً بطنك وبطون رجالك... لقد انتظرناكم طويلاً، لكنكم استأنتم!» ولكن سرعان ما عرف دوليوس مولاه حين سمع صوته، فأقبل عليه، وتناول يديه، وطفق ينمرها بالقبل الباكية ويقول: «أوه يا مولاي! هكذا والله تستجيب السماء! لقد طالما جأرنا ولقد طالما دعونا فلها الثناء إذ ردتك إلينا! فمش واسلم وسر وأبهج.. ولكن.. هل علت الملكة بقدم مولاي؟ أم تنطلق من فورنا فنزف إليها البشري؟» وطمأنه أوديسيوس، فجلس الرجل مبتهجاً مسروراً، وجلس أبنائهم معه، وأخذوا في أكلهم وشرابهم، وأخذ أوديسيوس يلاطفهم ويداعبهم.. وهكذا عاد الجبور مرة أخرى إلى بيت ليرتيس!

\*\*\*

وقرّع آذان الناس في المدينة ما كان من قدم أوديسيوس، وما حاق بالأمرء العاميد من نكبة على يديه الجبارتين فأهرعت جموعهم إلى قصره صاخبة ناعبة، ثم انطلقوا إلى حيث كدست أجساد القتلى فحرق كل قتيله، وأرسلت جثث الغريباء إلى ذويهم في أوطانهم في سفن الصيادين من كل فجح لتسحق ثمة... واجتمعوا بعدئذ ليتشاورا بينهم فيما ينبغي أن يكون... فقبض بونيتيس والأمنى زلزل جوانحه وأنشأ يقول: «أيها الرفاق! وهكذا كان هذا الرجل الطاغية حرباً دأبة عليكم فلم يصعب منه إلا

قضيت آخر الأمر أن ينصب جام غضبك ومحم تقمكت على هؤلاء الكفرة الفجرة! ولكن! لشد ما أخشى أن يتألب الجمهور علينا، فيهرع إلى هنا، ويطلبوا نار ذويهم؟

فتبسم أوديسيوس وقال له يطمئنه: «لا عليك يا أبى... هلم الآن نذهب إلى بيتك الجليل، فلقد أرسلت تلباك ثمة ومعه الراعى، وبومايوس الوفي، ليعودوا لنا طعاماً سريعاً خفيفاً»

وأعد الطعام، ومزجت الخمر، وذهبت الخادم العجوز فأعدت حماماً لسيدها الشيخ، ثم ضمخته وأضفت عليه ملابس نظيفة... وتنزلت ميتزفا الكريمة فشت يديها الإلهيتين على جسم ليرتيس فتدفق الشباب في عروقه، وعاد إليه رواؤه وحسن سمته، فلما خرج من الحمام تعجب أوديسيوس وقال له: «تالله يا أبى! لا أشك أن بعض الآلهة قد رد إليك صباك. وخلع عليك برودة الشباب من جديد!!»

ولم يكن عجب ليرتيس بأقل من عجب ولده... «تعاليت يا جوف! وتقدست يا ميتزفا! وساجدك يا بوللو! لقد كسوتوني نضرة الشباب التي كانت لي يوم ملكت مدينة تريكوس بمعونة السيفالبيين الشجعان! أوأله قد رلى أن أقف إلى جنبك أمس يا باني، ليكون لي شرف محاربة الأوغاد الذين قتل، إذن، لحظيت بكوكبة منهم أضرج أديم الأرض بدمائها، فأشفي منهم حرداً في صدري، وغلا في حشاشتي!»

وأكلوا هنيئاً وشرابوا مريئاً، ثم جلسوا على الأرائك متقابلين.. وكانت الخادم العجوز قد انطلقت إلى المزارع فدعت كبير الفلاحين دوليوس، فأقبل في زجالة الدين كدم العمل وأنهمكتهم المثابة...

ونصرفهم عن ولد ومزوجه ومتاع هذه الحياة الدنيا ،  
فأبستم أ كبرالاءاء، ورفضتم أقب الرفض، وجملمتموها  
فتنة كنت أستعبد بالآلهة منها! فعلام تنلى مراحل  
صدوركم يا قوم؟ وفيم أثاركم بالرجل وقد نأر لمرسه؟  
ألا فاسمعوها كلمة مخلصه أسديها إليكم ... الرأي ألا  
تذهبوا ، وألا تجملوها فتنة لا تصيبين الدين ظلموا  
خاصة ، بل اقمذوا ههنا آمين ، ولا تكونوا كاللدى  
سى إلى حتفه بظلفه ، وأبطأت عليه النايا فسى  
قدماً إليها ! » ... وما فرغ حتى زجر القوم  
وتصاحوا به ، وخجوا من كل مكان ... ثم إنهم  
سموا إلى شيطان يوبيتس ففزعوا إلى أسلحتهم ،  
وأسفوا عليهم من دروعهم ، وانطلقوا إلى المدينة  
فتظلموا فيها صغوفهم ، وأقاموا يوبيتس قائداً  
منحوساً عليهم ، وما جلوه كذلك إلا لياقي حتفه  
بيد أودسيوس ، وتعجل روحه إلى النار !

ومضت مبنزفا إلى سيد الأولب ، جوف العلى  
فوقفت يبابه تقول : « أبناء ! أذن عن سريرتك ،  
واكشف عن مكتوم قلبك ومكتون نفسك ! هل  
يحل على هذه الفتنة الظالمة غضبك ، أم أنك لمانحها  
مختك ، ومحضها بحايتك؟ » فتبسم من قولها وأنشأ  
بجيب : « وفيم هذا التساؤل يا ابنتى ؟ ألم تقدرى  
أنت أن يعود أودسيوس إلى وطنه فيذبح بيديه  
أولئك المائة الطغاة ، ويرج وجه الأرض من  
خباياهم ؟ ليكن ما تشائين ! إسنى ما بدالك ...  
ولكن نصحى أمحضك إياه يا مبنزفا ! مادام  
أودسيوس قد نأر لنفسه من أعدائه ، فليكن السلام  
على الأرض ، وليحل الأمان في ربوعها ، وليتقاسم  
الللأ على الود والصفاء ، وليحكم أودسيوس بين الناس  
بالمعدل ... وعلينا نحن أن نزع ما في صدورهم من  
غل فينسوا سخائمهم ، ويطرحوا آثاراتهم ، ثم لتكن

الشمر ، ولم تشر لكم فعاله إلا الندامة ! فلقد ساق  
شبابكم وخيرة أبطالك إلى اليوم المشئومة حيث قتلوا  
أجيين ، وينقلب إليكم اليوم ليذبح ساداتكم وذوى  
الصولة فيكم ... فهلما إذن ورواً رأيكم فيه قبل  
أن ينطلق إلى بيلوس فيطلب المون عليكم ، وتصبحوا  
على ما قصرتم نادمين ! إنا إن لم نثار لضحايانا فأى  
عار يسمننا وأى خزى يصننا يا قوم ! وأية حياة  
هذه التي تحبونها بعد ما حل بكم من هوان ومذلة ...  
غير لكم أن تدبجوا أنفسكم فترحلوا إلى هيدز مع  
أرواح قتلاكم ولن تكونوا على ذلك من الأسفين ! »  
ثم جلس وهو تصدع من الحزن على صاحبه أثنيسوس  
الذى كان أول ضحايا أودسيوس ... وقام ميدون  
المنشد التاسع فقال : « أيها المواطنين أعيرونى  
أذا نكم ! تالله إن أودسيوس لم يرم سهامه إذ رى ،  
ولكن بعض الآلهة كان يرسم له ويتافع عنه ، ولقد  
رأيتُه بمعنى هاتين فى صورة منطور ، ووالله ما هو  
منطور ، ووالله لقد كان يشى بين يديه ههنا وههنا  
فكيراع الشاق وتفرع قلوبهم ويسقط بعضهم فوق  
بعض فتأخذهم سهام أودسيوس وبرى من دماهم  
جرازه ! » وما كاد يفرغ ميدون ، وكان فيهم أمينا  
صادقا ، حتى طارت أوائهم وامتعت جياهم ،  
ونظر بعضهم إلى بعض ، وادأرأوا طويلا ، ثم  
وقف هاليتير بظلمهم القديم بن مسطور ، وكانت له  
دراية بكشف أستار الماضى والحاضر والمستقبل ،  
فصمصر خده وقال : « أيها الإخوان ! يا أبناء  
إيثاكا ! إسمعوا وعوا ! تالله لقد طالما مهدتم للفتنة ،  
وانها لثمرة أنتم عارسو شجرتها وأنتم اليوم جئاتها ..  
أندكرون يوم رجوتكم فالحفت عليكم فى الرجاء أنا  
وصاحبي ميدون هذا ، أن نذهب فنمتع القصر من  
شبابكم ، ونصون عرض أودسيوس من أبنائكم ،

فطار ليرتيس إليهم ربحه ، وأقضى يوبيتيس بضرة  
في صدره ، تفرج سنن الرمح يلمع من ظهره ورأى  
أودسيوس ذلك فطار إلى الملأ بسلاحه ورمحه ،  
واقض تلك في إثره ، وهجم الآخرون في إثر  
تلياك ، ولم يطل القراع ، فقد فرغ الأعداء واختلط  
نظامهم ، فولوا الأدبار ، ولكن هيات ! لإنجاة  
اليوم ! فلقد سد عليهم أودسيوس ورفاقه الطرق ،  
وأخذوا عليهم السالك ، فهم في ضيق وهم ذاهبون !  
وهتفت ابنة جوف العذراء بأودسيوس ورجاله  
تقول : « السلام عليكم أيها المحاربون ! السلام ! السلام  
قبل أن تجرى دماؤكم أنهارا ! »

قد بدت مينرفا في صورتها الإلهية المقدسة  
فارتمدت فرائض القوم ، وتخاذلوا فيما بينهم ، حتى  
أحجب أودسيوس ! لقد ارتجفت أعصابهم وعصف  
الدعير بسواعدهم ، وكادت سيوفهم ورماحهم تنتثر  
على الأرض ... ولم يلبأ أودسيوس ، بل هجم كالنمر  
على القوم المهزمين يودلو بصعقتهم ، وطفق يبرق  
ويرعد ، ويزار بصوته المدوي العظيم ، فغضب سيد  
الأولب ، وأرسل إحدى صواعقه نذيراً من لده  
إلى مينرفا ، فجعلت إليه ذات العيتين الزرجيتين ،  
وزجرته عن الناس وهي تقول : « لا يا أودسيوس !  
لا يا ابن ليرتيس النبيل ، لا يجدر هذا بماضيك ! ضع  
حداً لهذه المجزرة المروعة أو تجلب عليك غضب  
جوف الهلي ! »

وخسب أودسيوس ، وُسرت مينرفا ، وعقد  
منطور الصالح بين الفريقين ، ودخل الناس في السلم  
كافة ! ...

( تم الأوديسة )

وربني هيبنة

لهم من أنفسهم أمتنة ، ولتجر البركات عليهم  
أجمعين ، وليصبحوا بجولنا أصفاء متحابين »

وزفت مينرفا من السموات الهلي إلى إيثاكا  
وفرغ أصحاب أودسيوس من أكلهم فأمرهم  
أن يتحسّسوا آثار القوم ، فانطلق أحد أبناء  
دوليوس إلى المدينة فرأى من استعداد أهلها  
ما رأى ، وجاء إلى مولاه على عجل فقال له : « مولاي !  
لقد تسلح الإيثاكيون وهم موشكون أن يقدموا  
إليك ! » فنهض أودسيوس فادّرع وادّرع أبوه  
وابنه وخادمه وأبناء دوليوس الستة ، وادّرع  
دوليوس كذلك ، وادّرع الفلاحون الآخرون ،  
وحمل كل سلاحه ، وبرزوا إلى الطريق وفي  
مقدمتهم أودسيوس

وبدت مينرفا في صورة منظور في جليسانه ،  
فلما رآها أودسيوس فرح واستبشر ، والتفت إلى  
تلياك فقال : « أي بني عليك أنت أن تحمينا اليوم  
فلقد عرفت ما خاض أبوك من معامع ، وسئرى من  
محارب خيرا من صاحبه اليوم ! » فقال تلياك بجيحه :  
« إطمئن يا أبني فستري كيف يحمي المسالوج فرعه ،  
وكيف يشب الفرع على أصله . نال الله لن أفضحك  
فيا وكلت إلي يا أبني ، ولني يخيب رأي أهلي في ! »  
وفرح الوالد بمقالة ابنه ، وشكر للآلهة وأثنى عليها  
واقتربت مينرفا من ليرتيس ، وهي ما تزال في  
صورة منظور ، فقالت له : « أوه أيها الجدد الوقورا  
صل لمينرفا وابتهل ، وتوسل إلى جوف ، أن يمنحك  
القوة والجلد ، ثم اهجم بحربتك على يوبيتيس فروها  
من دمه ، فالسباء كلها مملك » ولسته ييدها فتدق  
شبابه في قلبه ، وكان جيش الأعداء قد اقترب منهم

## فهرس المجلد الأول من الرواية

الصفحة	القصة	المؤلف	المترجم
٢٠٦	العقد الضائع	ابراهيم عبدالقادر المازني	أحمد حسن الزيات
٢١٣	ماريا	أفصوصة انجليزية أحمد عبد العظيم شحاته	أحمد حسن الزيات
٢١٩	المرأة الشاعرة	توماس هاردي	نظمي خليل
٢٢٨	يوميات نائب	توفيق الحكيم	أحمد فتحي مرسى
٢٣٣	رجل بلا روح	كاثين رينولد	عائد
١٤١	المستربكوكورفاقة ديكنز	موريس رستان	خليل هندواوي
٢٤٧	سر أبي الهول	موريس رستان	فليكس فارس
٢٥٣	اعترافات في العصر دي موسيه	فليكس فارس	دربي خشبة
٢٥٨	الأوذنية	هوميروس	العدد ٥
٢٦٦	الوصية	موباسان	أحمد حسن الزيات
٢٧٠	الذئبان	ابراهيم عبدالقادر المازني	أحمد حسن الزيات
٢٨٢	غرام الشعراء	أفصوصة فرنسية ف. ف	أحمد حسن الزيات
٢٨٥	يوميات نائب	توفيق الحكيم	أحمد حسن الزيات
٢٩٠	ضحية	أندريه كورتيس	أحمد حسن الزيات
٢٩٧	الصمت	يوليد أندريف	أحمد حسن الزيات
٣٠٧	الحفاء المشتم	جرازا دايلدا	أحمد حسن الزيات
٣١١	اعترافات في العصر دي موسيه	فليكس فارس	أحمد حسن الزيات
٣١٨	الأوذنية	هوميروس	أحمد حسن الزيات
٣٢٤	سر أبي الهول	موريس رستان	أحمد حسن الزيات
٣٣٠	الحامي	موباسان	أحمد حسن الزيات
٣٣٤	هتاف المأوية	أفصوصة فرنسية ف. ف	أحمد حسن الزيات
٣٣٦	كيف كنت عما	ابراهيم عبدالقادر المازني	أحمد حسن الزيات
٣٤١	سبارزة	أندريه وارنود	أحمد حسن الزيات
٣٤٥	من القاتل	أندريه وارنود	أحمد حسن الزيات
٣٥١	في سبيل الزوجة توماس هاردي	توفيق الحكيم	أحمد حسن الزيات
٣٥٧	يوميات نائب	توفيق الحكيم	أحمد حسن الزيات
٣٦٣	الساحر	تشارلز كوف	أحمد حسن الزيات
٣٧١	صيد النملك	سرسفد	أحمد حسن الزيات
٣٧٤	اعترافات في العصر دي موسيه	فليكس فارس	أحمد حسن الزيات
٣٨٠	الأوذنية	هوميروس	أحمد حسن الزيات
٣٨٥	سر أبي الهول	موريس رستان	أحمد حسن الزيات
٣٩٤	من ذكريات القرية	أحمد حسن الزيات	أحمد حسن الزيات
٤٠١	اللائمة	ابراهيم عبدالقادر المازني	أحمد حسن الزيات
٤٠٩	يوميات نائب	توفيق الحكيم	أحمد حسن الزيات
٤١٤	دورينا	مسز جور	أحمد حسن الزيات
٤١٩	تسي تانا	أفصوصة يابانية	أحمد حسن الزيات



الصفحة	الفصّة	المؤلف	الترجم
٩٩٦	فدريجو	بروسير ميريه	حسن صادق
٩٩٣	كرد على	بوشكين	عبد اللطيف النشار
٩٣٧	عودة الروح	نيودوردي بانفيل	السيد محمد الزراوى
٩٤١	أجلافيوسيليزيت	ماترلك	محمد غلاب
٩٥٣	اعترافات في مصر	دى موسى	فليكس فارس
٩٦٠	الأوذنية	هوميروس	دربى خشبة
٩٧٠	على الحديدة	ابراهيم عبد القادر المازنى	العدد ١٦
٩٧٤	قصة بلا نهاية	أنطون تشيخوف	عبد الحميدى حدى
٩٨٢	المرض المتبادل	نجيب محفوظ	محمد الزراوى
٩٨٧	جبان	موياسان	كامل محمود حبيب
٩٩٣	فاوست	تشيخوف	أميل فرج
١٠٠١	على الباغي تدور الدوائر	عن الإنجليزية	محمد خيرت
١٠١٣	لها أي	محمود خيرت	أحمد فتحى مرسى
١٠١٧	القلب الضئى	فيكى باوم	فليكس فارس
١٠٢٣	اعترافات في مصر	دى موسى	العدد ١٧
١٠٣٤	لو عرف الشباب	ابراهيم عبد القادر المازنى	إميل زولا
١٠٤١	النم	محمود خيرت	عبد الحميدى حدى
١٠٤٦	سباق الحصاد	ليام أوفلاهerty	يوسف فهمى
١٠٥٢	روز	أوسكار وايلد	حسن صادق
١٠٥٧	سالوما	هانز أندرسون	شكرى محمد عياد
١٠٧٩	البائسة الصغيرة	فليكس فارس	دربى خشبة
١٠٨١	اعترافات في مصر	دى موسى	العدد ١٨
١٠٨٨	الأوذنية	هوميروس	محمود خيرت
١٠٩٨	الظلال	نغرى أبو السعود	فليكس فارس
١١٠٦	أم إمام	أنطون تشيخوف	جورج سلسكى
١١١٦	السمم الرابع	نجيب محفوظ	عبد الحميدى حدى
١١٢٢	الحظ	محمود خيرت	عبد الحميدى حدى
١١٢٨	الراكبون إلى البحر	جورج ملتون سنج	شكرى محمد عياد
١١٣٤	الملك الشاب	أوسكار وايلد	بشير الصريقى
١١٤٢	إن تهمل الناس	ليوتولنسوى	عبد اللطيف النشار
١١٤٨	يصعب عليك	ليوتولنسوى	فليكس فارس
١١٥٣	إطافواها	اعترافات في مصر	دى موسى
١١٦٢	الطيّار الذهبي	في مصر يوسف ماتيلدا سيراو	محمد لطفي جمعة
١١٧٤	غادة البحر	ايسن	خليل هندناوى
١١٧٧	الفرقة الزرقاء	بروسير ميريه	كامل محمود حبيب
١١٨٢	ذو القدم	أنطون تشيخوف	جورج سلسكى
١١٩٣	نفثت يوفيقاني	عبد اللطيف النشار	فليكس فارس
١١٩٦	سحابة	أديب عباسى	دربى خشبة
١٢٠١	كورني فاسيليف	تولستوى	أحمد فتحى مرسى
١٢٠٩	اعترافات في مصر	دى موسى	فليكس فارس
الصفحة	الفصّة	المؤلف	الترجم
١٢١٨	الأوذنية	هوميروس	دربى خشبة
١٢٢٦	ليلة هائلة	أنطون تشيخوف	السيد جورج سلسكى
١٢٣٢	ساكنو الكهوف	فريدانفون سار	كامل محمود حبيب
١٢٤٢	الثامنة	ألفريدى موسىيه	السيد مظفر الباقى
١٢٦٤	الماء الملح	أديب عباسى	فليكس فارس
١٢٧١	اعترافات في مصر	دى موسى	هوميروس
١٢٨٠	الأوذنية	هوميروس	دربى خشبة
١٢٩٠	الفرام الأول	أحمد حسن الزيات	العدد ٢١
١٢٩٥	الزوجة الحسنة	هيرمان بار	كامل محمود حبيب
١٢٩٩	فى ليلة الميلاد	موياسان	السيد محمد الزراوى
١٣٠٩	بقطة الضمير	بوريس فيليوف	محمد لطفي جمعة
١٣١٥	خيال الحب	أندرية بيرايو	محمود السيد شعبان
١٣٢٢	قصة كان	أنطون تشيخوف	السيد جورج سلسكى
١٣٢٩	الأغلال	رايندرا ناث طاغور	شكرى محمد عياد
١٣٣٢	بقية حبة	تورجنيف	خليل هندناوى
١٣٣٦	اعترافات في مصر	دى موسى	فليكس فارس
١٣٤٥	الأوذنية	هوميروس	دربى خشبة
١٣٥٤	سيدنا الشيخ حسين	أحمد حسن الزيات	العدد ٢٢
١٣٥٩	الحب والتعصب	جيس جول كوزيتز	محمد لطفي جمعة
١٣٧١	الأم البيضاء	تيرودور سولوجوب	عبد الحميدى حدى
١٣٧٩	طبيب الأقليم	لغان تورجنيف	عبد اللطيف النشار
١٣٨٥	قدفدا للمضى البقيش	أديب عباسى	عبد الحميدى حدى
١٣٩٦	الوطنية	عن الإنجليزية	محمود السيد شعبان
١٤٠٠	اعترافات في مصر	دى موسى	فليكس فارس
١٤١٠	الأوذنية	هوميروس	دربى خشبة
١٤١٨	جولى رومان	موياسان	أحمد حسن الزيات
١٤٢٤	عائدة	ابراهيم عبد القادر المازنى	العدد ٢٣
١٤٣١	عشية أو ضحاها	ليونيد أندرييف	محمد لطفي جمعة
١٤٤٠	الجزء	كامل محمود حبيب	عبد الحميدى حدى
١٤٤٥	مهر الشاعر	محمود بك خيرت	عبد الحميدى حدى
١٤٥٢	غرام	أنطون تشيخوف	السيد جورج سلسكى
١٤٦٤	اعترافات في مصر	دى موسى	فليكس فارس
١٤٧٤	الأوذنية	هوميروس	دربى خشبة
١٤٨٢	النجوم	ألفونس دوديه	أحمد حسن الزيات
١٤٨٨	مارس	بوريس فيليوف	محمد لطفي جمعة
١٥٠١	هبة الموت	أنطون فرانز	السيد محمد الزراوى
١٥٠٤	العلم	لويز هيلجرز	جورج سلسكى
١٥١٠	مروس البحر	طاغور	نغرى شهاب السعيدى
١٥١٣	الأم الوحشة	موياسان	كمال الحريرى
١٥١٩	الدهر العلم	نجيب محفوظ	عبد الحميدى حدى
١٥٢٩	لينوتشكا	اسكندر كوبرين	شكرى محمد عياد
١٥٣٦	الأوذنية	هوميروس	دربى خشبة





# الرسالة

مجلة السبعة للفكر والعلم والفن

مجلة الآداب الرفيعة والثقافة العالية

تصل الماضي بالحاضر وتربط الشرق بالغرب

على هدى وبصيرة

الرسالة : تعبر باخلاص عن روح النهضة المصرية

الرسالة : تجمع على وحدة الثقافة أبناء البلاد العربية

الرسالة : تصور مظاهر العبقرية للامة العربية

الرسالة : تسجل ظواهر التجديد في الآداب العربية

الرسالة : تحيي في النشء أساليب البلاغة العربية



مجموعة أعدادها ديوان العرب المشترك ، وكتاب الشرق

الجديد ، وسجل الآداب الحديث ، ودائرة معارف عامة



الاشتراك الماخلى ستون قرشاً ، والمخارجى ما يساوى جنبها مصرياً ، وللبلاد العربية بمجم ٢٠ ٪



FIN

DU

DOCUMENT

# المروية

مجلة أسبوعية للقصص والتاريخ

تصدر مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصفه

1937  
Volume 2